(الجزء الثامن)

من تفسير الامام الكبير والعلامة الشهير من أطبقت الامة على تقدمه فى التفسير وجعلته حجة اذا وقع النزاع فى التعبير الامام أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى المسمى

جامع البيان فى تفسير القرآن

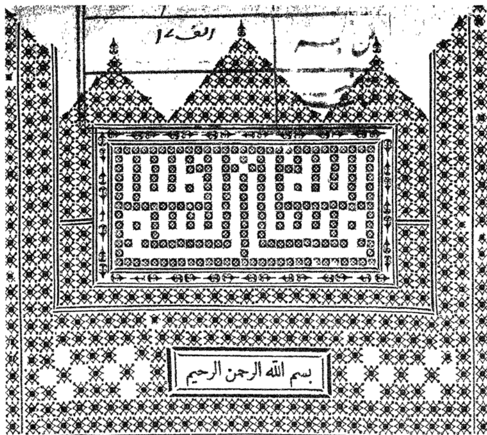
رحمه الله وأثابه رضاه آمين

(ولاجل تمام النفع وضعنا بالهامش الجزء الثامن من تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للعلامة نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمى النيسابورى قدست أسراره)

(تنبيه)

طبع تفسير ابن جرير على النسخة المحضرة من خزانة (أمراء نجد آل رشيد * لازالت الايام تتلألأ بزواهر مجدهم ولابرح الانام يغترف من بحار برهم وذلك بعد مقابلة تلك النسخة على النسخة الموجودة بالكتبخانة الخديوية لازالت أشعة النفع بها تستمد منها سائر البرية وقد بذلنا الطاقة فى تصحيحها ومراجعة ما يحتاج الى المراجعة من مظانه الموثوق بتصحيحها مع عناية جمع من أفاضل علماء مصر بالتصحيح تذكر أسماؤهم آخر الكتاب

(طبع بالمطبعة الميمنية بمصر)



القول فى تاويل قوله (ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شئ قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يا محمد آيس من فلاح هؤلاء العادلين بربهم الاوثان والاصنام القائلين لك لئن جئتنا بآية لنؤمنن لك فاننا لو نزلنا اليهم الملائكة حتى يروها عيانا وكلمهم الموتى باحيائنا اياهم حجة لك ودلالة على نبوتك واخبروهم انك محق فيما تقول وان ما جئتهم به حق من عند الله وحشرنا عليهم كل شئ فجعلناهم لك قبلا ما آمنوا ولا صدقوك ولا اتبعوك الا أن يشاء الله ذلك لمن شاء منهم ولكن أكثرهم يجهلون يقول ولكن أكثر هؤلاء المشركين يجهلون ان ذلك كذلك يحسبون ان الايمان اليهم والكفر بايديهم متى شاؤا آمنوا ومتى شاؤا كفروا وليس ذلك كذلك ذلك بيدى لا يؤمن منهم الا من هديته له فوفقته ولا يكفر الا من خذلته عن الرشد فاضللته وقيل ان ذلك نزل فى المستهزئين برسول الله صلى الله عليه وسلم وما جاءه به من عند الله من مشركى قريش ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج قال نزلت فى المستهزئين الذين سألوا النبى صلى الله عليه وسلم الآية فقال قل يا محمد انما الآيات عند الله وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون ونزل فيهم ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شئ قبلا وقال آخرون انما قيل ما كانوا ليؤمنوا يراد به أهل الشقاء وقيل الا أن يشاء الله فاستثنى ذلك من قوله ليؤمنوا يراد به أهل الايمان والسعادة ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شئ قبلا ما كانوا ليؤمنوا وهم أهل الشقاء ثم قال الا أن يشاء الله وهم أهل السعادة الذين سبق لهم فى علمه ان يدخلوا فى الايمان عليه وأولى القولين فى ذلك * بالصواب قول ابن عباس لان الله جل ثناؤه عم بقوله ما كانوا ليؤمنوا القوم الذين تقدم ذكرهم فى قوله وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها وقد يجوز ان يكون الذين سألوا الآية كانوا هم المستهزئين الذين قال ابن جريج انهم عنوا بهذه الآية ولكن لا دلالة

(ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شئ قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون ولتصغى اليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون أفغير الله ابتغى حكما وهو الذى أنزل اليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم وان تطع أكثر من فى الارض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون ان ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم بآياته مؤمنين وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه وان كثيرا ليضلون باهوائهم بغير علم ان ربك هو أعلم بالمعتدين وذروا ظاهر الاثم وباطنه ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم وان أطعتموهم انكم لمشركون) القراآت قبلا بكسر القاف وفتح الباء أبو جعفر

فى

في ظاهر التنزيل على ذلك ولا خبر تقوم به حجة بان ذلك كذلك والخبر من الله خارج مخرج العموم فالقول بان ذلك عني به أهل الشقاء منهم أولى لما وصفنا واختلفت القراء في قراءة قوله وحشرنا عليهم كل شئ قبلا فقرأته قراء أهل المدينة قِبَلا بكسر القاف وفتح الباء بمعنى معاينة من قول القائل لقيته قبلا أي معاينة ومجاهرة وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين والبصريين وحشرنا عليهم كل شئ قبلا بضم القاف والباء واذا قرئ كذلك كان له من التأويل ثلاثة أوجه أحدها ان يكون القبل جمع قبيل كالرغف التي هي جمع رغيف والقضب التي هي جمع قضيب ويكون القبل الضمناء والكفلاء واذا كان ذلك معناه كان تأويل الكلام وحشرنا عليهم كل شئ كفلاء يكفلون لهم بان الذي نعدهم على ايمانهم بالله ان آمنوا أو نوعدهم على كفرهم بالله ان هلكوا على كفرهم ما آمنوا الا أن يشاء الله والوجه الآخر ان يكون القبل بمعنى المقابلة والمواجهة من قول القائل أتيتك قبلا لا دبرا اذا أتاه من قبل وجهه والوجه الثالث ان يكون معناه وحشرنا عليهم كل شئ قبيلة قبيلة صنفا صنفا وجماعة جماعة فيكون القبل حينئذ جمع قبيل الذي هو جمع قبيلة فيكون القبل جمع الجمع وبكل ذلك قد قالت جماعة من أهل التأويل ذكر من قال معنى ذلك معاينة **حدثني** المثنى قال ثنا عبد الله ابن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وحشرنا عليهم كل شئ قبلا يقول معاينة **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وحشرنا عليهم كل شئ قبلا حتى يعاينوا ذلك معاينة ما كانوا ليؤمنوا الا أن يشاء الله ذكر من قال معنى ذلك قبيلة قبيلة صنفا صنفا **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن يزيد من قرأ قبلا معناه قبيلا قبيلا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد قبلا أفواجا قبيلا قبيلا **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أحمد بن يونس عن أبي خيثمة قال ثنا أبان بن تغلب قال ثنى طلحة ان مجاهدا قرأ في الانعام كل شئ قبلا قال قبائل قبيلا وقبيلا وقبيلا ذكر من قال معناه مقابلة **حدثني** محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شئ قبلا يقول لو استقبلهم ذلك كله لم يؤمنوا الا أن يشاء الله **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وحشرنا عليهم كل شئ قبلا قال حشروا اليهم جميعا فقابلوهم وواجهوهم **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبيد الله بن يزيد قرأ عيسى قبلا ومعناه عيانا * وأولى القراءتين في ذلك بالصواب عندنا قراءة من قرأ وحشرنا عليهم كل شئ قبلا بضم القاف والباء لما ذكرنا من احتمال ذلك الاوجه التي بينا من المعاني وان معنى القبل داخل فيه وغير داخل في القبل معاني القبل وأما قوله وحشرنا عليهم فان معناه وجمعنا عليهم وسقنا اليهم ۞ القول في تأويل قوله (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا) قال أبو جعفر يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم مسليه بذلك عما لقي من كفرة قومه في ذات الله وحاثاله على الصبر على ما نال فيه وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا يقول وكما ابتليناك يا محمد بان جعلنا لك من مشركي قومك أعداء يوحي شياطين بعضهم الى بعض زخرف القول ليصدوهم بمجادلتهم اياك بذلك عن اتباعك والايمان بك وعما جئتهم به من عند ربك كذلك ابتلينا من قبلك من الانبياء والرسل بان جعلنا لهم أعداء من قومهم يؤذونهم بالجدال والخصومات يقول فهذا الذي امتحنتك به لم تخصص به من بينهم وحدك بل قد عممتهم بذلك معك لابتليهم وأختبرهم مع قدرتي على منع من آذاهم من ايذائهم فلم أفعل ذلك الا لأعرف أولي العزم منهم من غيرهم يقول فاصبر أنت كما صبر أولو العزم من الرسل وأما شياطين الانس والجن فانهم مردتهم وقد بينا الفعل الذي منه بني هذا الاسم بما أغنى عن اعادته ونصب العدو والشياطين بقوله جعلنا وأما قوله يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا فانه

ونافع وابن عامر الباقون بضمة منزل بالتشديد ابن عامر وحفص والمفضل كلمة ربك عاصم وحمزة وعلي وخلف وسهل ويعقوب الباقون كلمات من يضل مس الاضلال الاصبهاني عن نصير وضم على البناء للفاعل وحرم على البناء للمفعول حمزة وخلف وعاصم غير حفص والمفصل وقرأ أبو جعفر ونافع وسهل ويعقوب وحفص جميعا بالفتح الباقون على البناء للمفعول فيهما ليضلون بضم الياء عاصم وحمزة وعلي وخلف الباقون بالفتح * الوقوف الجزء الثامن تجهلون ه غرورا ط يفترون ه مفصلا ط الممترين ه وعدلا ط لكلماته ج لابتداء الضمير المنفصل مع احتمال الواو الحال أي لا تبديل لكلماته وهو السميع ويعلم العليم ه عن سبيل الله ط يخرصون ه عن سبيله بالمهتدين ه مؤمنين ه الي ط بغير علم ط بالمعتدين وباطنه ط يقترفون ه لفسق ط ليجادلوكم ج المشركون * التفسير هذا شروع في تفصيل ما أجمله قوله انها اذا جاءت لا يؤمنون وكان المستهزؤن بالقرآن خمسة الوليد بن المغيرة المخزومي والعاص ابن وائل السهمي والاسود بن عبد يغوث الزهري والاسود بن المطلب والحارث بن حنظلة أتوا الرسول صلى الله عليه وآله في رهط من أهل مكة فقالوا أرنا الملائكة يشهدوا بانك رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ابعث لنا بعض موتانا حتى نسألهم أحق ما تقول أم باطل أو ائتنا بالله والملائكة قبيلا أي كفيلا على ما تدعيه فنفى الله تعالى عنهم الايمان وان أوتوا هذه المقترحات

قال أبو زيد يقال لقيت فلانا قبلا وقبلا ومقابلة كلها بمعنى واحد وهو المواجهة رواه الواحدي وقال أبو عبيدة والفراء والزجاج قبلا بكسر القاف معناه معاينة روي عن أبي ذر قال قلت للنبي صلى الله عليه وآله أكان آدم نبيا قال نعم كان نبيا كلمه الله تعالى قبلا واما قبلا بضمتين فقيل انه جمع قبيل ومعناه الجماعة يكون من الثلاثة فصاعدا من قوم شتى مثل الروم والزنج والعرب ولهذا قال الاخفش في تفسيره أي قبيلا قبيلا أو معناه الكفيل والعريف من قبل به ويقبل (٤) قبالة والمعنى لو حشرنا عليهم كل شيء كفلوا بصحة ما يقول ما آمنوا وموضع الاعجاز فيه ان الاشياء المحشورة منها ما ينطق ومنها ما لا ينطق ومنها حي ومنها ميت فاذا حشرها الله تعالى على اختلاف طبائعها مجتمعة في موقف واحد ثم انطقها وأطبقوا على قبول هذه الكفالة كان ذلك من أعظم المعجزات اما قوله تعالى ما كانوا ليؤمنوا الا أن يشاء الله ايمانهم فقد قالت الاشاعرة فلما لم يؤمنوا دل على انه تعالى ما شاء ايمانهم وقالت المعتزلة لو لم يرد منهم الايمان لما وجب عليهم الايمان كما لو لم يامرهم به لم يجب ولو أراد الكفر من الكافر لكان الكافر في كفره مطيعا لله لانه لا معنى للطاعة الا فعل المراد ولو جاز من الله تعالى ان يريد الكفر لجاز ان يامر به ولجاز ان يامرنا بان نريد الكفر فالمراد من الآية انه شاء من الكل الايمان الاختياري وما شاء الايمان القهري والمعنى ما كانوا ليؤمنوا ايمانا اختياريا الا أن يشاء الله مشيئة اكراه واضطرار فحينئذ يؤمنون وزيف بان الاختيار لابد معه من حصول داعية يترجح بها أحد طرفي الممكن ولا تحصل تلك الداعية الا بتخليق الله تعالى فكانه لا اختيار قال الجبائي قوله الا أن يشاء الله يدل على حدوث المشيئة لانها متعلقة وهي الشرط لزم حصولها حصول المشروط وأجيب بانها قديمة الا أن تعلقها باحداث المحدث في الحال اضافة حادثة ثم ختم الآية بقوله ولكن أكثرهم يجهلون قالت الاشاعرة أي لا يعلمون ان الكل بقضاء الله وبقدره وقالت المعتزلة انهم لا يدرون أنهم يبقون كفارا عند ظهور الآيات التي طلبوها والمعجزات التي اقترحوها فيقسمون بالله جهد أيمانهم على ما لا يشعرون من حالهم أو ولكن أكثر المسلمين يجهلون ان هؤلاء لا يؤمنون الا أن يضطرهم فيطمعون في ايمانهم الاختياري بمجيء الآيات المقترحات ثم قال وكذلك قيل انه منسوق على قوله وكذلك زينا أي وكما زينا لكل أمة عملهم جعلنا وقيل ان المشار اليه محذوف أي وكما

من

يعني انه يلقي الملقي منهم القول الذي زينه وحسنه بالباطل الى صاحبه ليغتر به من سمعه فيضل عن سبيل الله ثم اختلف أهل التأويل في معنى قوله شياطين الانس والجن فقال بعضهم معناه شياطين الانس التي مع الانس وشياطين الجن التي مع الجن وليس للانس شياطين ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه أما شياطين الانس فالشياطين التي تضل الانس وشياطين الجن الذين يضلون الجن يلتقيان فيقول كل واحد منهما اني أضللت صاحبي بكذا وكذا وأضللت انت صاحبك بكذا وكذا فيعلم بعضهم بعضا حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو نعيم عن شريك عن سعيد بن مسروق عن عكرمة شياطين الانس والجن قال ليس في الانس شياطين ولكن شياطين الجن يوحون الى شياطين الانس وشياطين الانس يوحون الى شياطين الجن حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا اسرائيل عن السدي في قوله يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا قال للانسان شيطان وللجني شيطان فيلقى شيطان الانس شيطان الجن فيوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا * وقال الامام أبو جعفر جعل عكرمة والسدي في تاويلهما هذا الذي ذكرت عنه عدو الانبياء الذين ذكرهم الله في قوله وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا أولاد ابليس دون أولاد آدم ودون الجن وجعل الموصوفين بان بعضهم يوحي الى بعض زخرف القول غرورا ولد ابليس وان من مع ابن آدم من ولد ابليس يوحي الى من مع الجن من ولده زخرف القول غرورا وليس لهذا التاويل وجه مفهوم لان الله جعل ابليس وولده أعداء ابن آدم فكل ولده لكل ولده عدو وقد خص الله في هذه الآية الخبر عن الانبياء انه جعل لهم من الشياطين أعداء فلو كان معنيا بذلك الشياطين الذين ذكرهم السدي الذين هم ولد ابليس لم يكن لخصوص الانبياء بالخبر عنهم انه جعل لهم الشياطين أعداء وقد جعل ذلك لاعداء أعدائه مثل الذي جعل لهم ولكن ذلك كالذي قلنا من انه معني به انه جعل مردة الانس والجن لكل نبي عدوا يوحي بعضهم الى بعض من القول ما يؤذيهم به وبنحو الذي قلنا في ذلك جاء الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثني المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا حماد عن حميد بن هلال قال ثني رجل من أهل دمشق عن عوف بن مالك عن أبي ذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا أبا ذر هل تعوذت بالله من شر شياطين الانس والجن قال قلت يا رسول الله هل للانس من شياطين قال نعم حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن أبي عبد الله محمد بن أيوب وغيره من المشيخة عن أبي عائذ عن أبي ذر انه قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس قد أطال فيه الجلوس قال فقال يا أبا ذر هل صليت قال قلت لا يا رسول الله قال قم فاركع ركعتين قال ثم جئت فجلست اليه فقال يا أبا ذر هل تعوذت بالله من شر شياطين الانس والجن قال قلت يا رسول الله وهل للانس شياطين قال نعم شر من شياطين الجن حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال بلغني ان أبا ذر قام يوما يصلي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم تعوذ يا أبا ذر من شياطين الانس والجن فقال يا رسول الله وان من الانس شياطين قال نعم وقال آخرون في ذلك بنحو الذي قلنا

جعلنا بينك و بين أعـدائك كذلك فعلنا بمن قبلك من الانبياء وأعدائهم لم نمنعهم من العداوة لما فيه من الامتحان الذى هو سبب ظهور الثبات والصبر وكثرة الثواب والاجر قالت الاشاعرة لاشك ان تلك العداوة معصية وكفر وان جعلها شرفالانه يدل على ان خالق الخير والشر والطاعة والمعصية والايمان والكفر هو الله قال الجبائى المراد بهذا الجعل انه حكم و بين فان الرجل اذا حكم بكفر انسان قيل انه كفره واذا أخبر عن عدالته قيل عدله وقال الكعبي انه أمر الانبياء بعداوتهم واعلمهم بكونهم أعداء لهم فاقتضى (٥) ذلك انهم صار وا أعداء للانبياء لان العداوة تكون من الجانبين أجاب أبو بكر الاصم بانه لما أرسل محمدا الى العالمين وخصه بتلك المعجزات صار ذلك التخصيص سببا للحسد والعداوة أو للبغضاء فهذا هو المراد بجعلهم أعداء له و زيف بان الافعال مستندة الى الدواعى وهى من الله تعالى و بان العداوة والحب متعلقة بالطبع لا بالارادة والتكلف فلا يقدر عليها الا الله تعالى وانتصاب الشياطين كما مر فى قوله وجعلوا لله شركاء الجن قال الزجاج وابن الانبارى عدوا فى معنى الجمع ولقائل ان يقول لا حاجة الى هذا التكلف لصحة قولنا وكذلك جعلنا لكل واحد من الانبياء عدوا واحدا اذ ليس يجب ان يحصل لكل واحد من الانبيا أكثر من عدو واحد عن ابن عباس كل عات متمرد من الجن والانس فهو شيطان وقال مجاهد وقتادة والحسن ان من الجن شياطين ومن الانس شياطين وان شيطان الجن اذا أعياه المؤمن ذهب الى متمرد من الانس وهو شيطان الانس فاغراه بالمؤمن ليفتنه عليه وروى ان النبى صلى الله عليه وآله قال لابى ذر هل تعوذت بالله من شر شياطين الانس والجن قال قلت وهل للانس من شياطين قال نعم هم شر من شياطين الجن وقيل ان الجميع من ولد ابليس الا ان الذى يوسوس الانس يسمى شيطان الانس والذى يوسوس الجن يسمى شيطان الجن و زيف بان المقصود من الآية الشكاية من سفاهة الكفار الذين هم الاعداء وهم الشياطين وعن مالك بن دينار ان شيطان الانس أشد على من شيطان الجن لانى اذا تعوذت بالله ذهب شيطان الجن عنى وشيطان الانس يجيئنى فيجرنى الى المعاصى عيانا ومعنى الايحاء الاعلام أو القول السريع أى يوسوس شياطين الجن الى شياطين الانس وكذلك بعض الجن الى بعض و بعض الانس الى بعض وكانه لا يتصور وسوسة الانس الى الجن الا على تقدير القول بالتسخير و زخرف القول ما زينوه من القول والوسوسة والاغراء ...

من ان ذلك اخبار من الله ان شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله شياطين الانس والجن قال من الجن شياطين ومن الانس شياطين يوحى بعضهم الى بعض قال قتادة بلغنى ان أباذر كان يوما يصلى فقال له النبى صلى الله عليه وسلم تعوذ يا أباذر من شياطين الانس والجن فقال يا نبى الله وان من الانس شياطين فقال النبى صلى الله عليه وسلم نعم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن الآية ذكر لنا ان أباذر قام ذات يوم يصلى فقال له نبى الله تعوذ بالله من شياطين الجن والانس فقال يا نبى الله أو للانس شياطين كشياطين الجن قال نعم أو كذبت عليه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن فقال كفار الجن شياطين يوحون الى شياطين الانس كفار الانس زخرف القول غرورا وأما قوله زخرف القول غرورا فانه المزين بالباطل كما وصفت قبل يقال زخرف كلامه وشهادته اذا حسن ذلك بالباطل ووشاه كما حدثنا سفيان بن وكيع قال ثنا أبو نعيم عن شريك عن سعيد بن مسروق عن عكرمة قوله زخرف القول غرورا قال تزيين بالباطل بالالسنة حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى أما الزخرف فزخرفوه فزينوه حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد زخرف القول غرورا قال تزيين الباطل بالالسنة حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله زخرف القول غرورا يقول حسن بعضهم لبعض القول فى تسعرهم فى فتنتهم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله زخرف القول غرورا قال الزخرف المزين حيث زين لهم هذا الغرور كما زين ابليس لآدم ما جاءه به وقاسمه انه لمن الناصحين وقرأ وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم قال ذلك الزخرف وأما الغرور فانه ما غر الانسان فخدعه فصده عن الصواب الى الخطا ومن الحق الى الباطل وهو مصدر من قول القائل غررت فلانا بكذا وكذا فانا أغره غرورا وغرا كالذى حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى غرورا قال يغرون به الناس والجن ۞ القول فى تأويل قوله (ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون) يقول تعالى ذكره ولو شئت يا محمد ان يؤمن الذين كانوا لانبيائى أعداء من شياطين الانس والجن فلا ينالهم مكرهم و يأمنوا غوائلهم واذاهم فعلت ذلك ولكنى لم أشأ ذلك لابتلى بعضهم ببعض فيستحق كل فريق منهم ما سبق لهم فى الكتاب السابق فذرهم يقول فدعهم يعنى الشياطين الذين يجادلونك بالباطل من مشركى قومك و يخاصمونك بما يوحى اليهم أولياؤهم من شياطين الانس والجن وما يفترون يعنى وما يختلقون من افك و زور يقول له صلى الله عليه وسلم اصبر عليهم وانى من وراء عقابهم على افترائهم على الله واختلاقهم عليه الكذب والزور ۞ القول فى تأويل قوله (ولتصغى اليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه) يقول تعالى ذكره وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا

ولتصغى اليه يقول جل ثناؤه يوحى بعض هؤلاء الشياطين الى بعض المزين من القول بالباطل ليغروا به المؤمنين من اتباع الانبياء فيفتنوهم عن دينهم ولتصغى اليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة يقول ولتميل اليه قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وهو من صغوت تصغى وتصغوا والتنزيل جاء بتصغى صغوا وصغوا وبعض العرب تقول صغيت بالياء حكى عن بعض بنى أسد صغيت الى حديثه فأنا أصغى صغيا بالياء وذلك اذا ملت يقال صغوى معك اذا كان هواك معه وميلك مثل قولهم صلغى معك ويقال أصغيت الاناء اذا أملته ليجتمع ما فيه ومنه قول الشاعر

ترى السفيه به عن كل محكمة * زيغ وفيه الى التشبيه اصغاء

ويقال للقمر اذا مال للغيوب صغى وأصغى وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس ولتصغى اليه أفئدة يقول ترجع اليه أفئدة **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس فى قوله ولتصغى اليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة قال لتميل **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدى ولتصغى اليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة يقول تميل اليه قلوب الكفار ويحبونه ويرضون به **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولتصغى اليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة قال ولتصغى وليهووا ذلك وليرضوه قال يقول الرجل للمرأة صغيت اليها هويتها ۞ القول فى تأويل قوله (وليقترفوا ما هم مقترفون) يقول تعالى ذكره وليكتسبوا من الاعمال ما هم مكتسبون حكى عن العرب سماعا منها خرج يقترف أهله بمعنى يكسبهم ومنه قيل قارف فلان هذا الامر اذا واقعه وعمله وكان بعضهم يقول هو التهمة والادعاء يقول للرجل انت قرفتنى أى اتهمتنى ويقال بئسما اقترفت لنفسك وقال رؤبة

أعيا اقتراف الكذب المقروف * تقوى التقى وعفة العفيف

وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله وليقترفوا قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس وليقترفوا ما هم مقترفون وليكتسبوا ما هم مكتسبون **حدثنا** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وليقترفوا ما هم مقترفون قال ليعملوا ما هم عاملون **حدثنى** يونس بن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وليقترفوا ما هم مقترفون قال ليعملوا ما هم عاملون ۞ القول فى تأويل قوله (أفغير الله أبتغى حكما وهو الذى أنزل اليكم الكتاب مفصلا) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهؤلاء العادلين بالله الاوثان والاصنام القائلين لك كف عن آلهتنا ونكف عن الهك ان الله قد حكم على بذكر آلهتكم بما يكون صدا عن عبادتها أفغير الله ابتغى حكما أى قل فليس لى ان أتعدى حكمه وأتجاوزه لانه لا حكم أعدل منه ولا قائل أصدق منه وهو الذى أنزل اليكم الكتاب مفصلا يعنى القرآن مفصلا يعنى مبينا فيه الحكم فيما يختصمون فيه من أمرى وأمركم وقد بينا معنى التفصيل فيما مضى قبل ۞ القول فى تأويل قوله (والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق فلا

العاصى والتحقيق فيه ان الانسان ما لم يعتقد فى أمر من الامور خيرية أو نفعا لم يرغب فيه ثم ان كان هذا الاعتقاد مطابقا للواقع فهو الحق والصدق والالهام وكان صادرا من الملك والا كان مزخرفا أى يكون باطنه فاسدا وظاهره مزينا قال الواحدى غرورا نصب على المصدر لان ايحاء الزخرف من القول فى معنى الغرور ولو شاء ربك ما فعلوه استدلال الاشاعرة به ظاهر والمعتزلة يحملونه على مشيئة الالجاء فذرهم وما يفترون منصوب على انه مفعول معه أو مفعول به أى وافتراءهم أو وما يفترونه قال ابن عباس يريد ما زين لهم ابليس وغرهم به (٦) وفيه تحذير من الكفر وترغيب فى الايمان وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وآله وتنبيه له على ما أعد للكفرة من العقاب وله من الثواب بسبب صبره على سفاهتهم وتلطفه بهم الصغو فى اللغة الميل يقال فى المستمع انه مصغ اذا مال بحاسته الى ناحية الصوت وأصغى الاناء اذا أماله حتى انصب بعضه فى بعض ويقال للقمر اذا مال الى الغروب صغى وأصغى قال الجوهرى صغا يصغو ويصغى صغوا أى مال وكذلك صغى بالكسر يصغى بالفتح صغى وصغيا واللام فى ولتصغى لا بد لها من متعلق فقالت الاشاعرة التقدير وانما جعلنا مثل ذلك الشخص عدوا للنبى لتميل اليه أو الى قوله المزخرف أفئدة الكفار فيبعدوا بذلك السبب عن قبول دعوة النبى وليرضوه وليختاروه على أنفسهم وليقترفوا وليكتسبوا من الآثام ما هم مقترفون وقال الجبائى ان هذا الكلام خرج مخرج الامر ومعناه الزجر كقوله واستفزز من استطعت منهم بصوتك وزيف بان حمل لام كى على لام الامر تحريف وقال الكعبى هى لام العاقبة تقديره ولتميل الى ما ذكر من عداوة الانبياء ووسوسة الشياطين أفئدة الكفار وجعلنا لكل نبى عدوا وعن أبى مسلم انها معطوفة على موضع غرورا والتقدير يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول ليغتروا بذلك ولتميل قلوب الكفار الى المذاهب الباطلة وأورد عليه ان ميل القلوب الى الآراء الفاسدة هو عين الاغترار فيلزم عطف الشئ على نفسه وههنا بحث وهو ان الاشاعرة قالوا البنية ليست شرطا للحياة فالحى هو الجزء الذى قامت الحياة به والعالم هو الجزء الذى قام العلم به وقالت المعتزلة الحى والعالم هو الجملة لا ذلك الجزء حجة الاشاعرة انه جعل الموصوف بالميل والرغبة فى الآية هو القلب لا جملة الحى وبمثله استدل من جعل المتعلق الاول للنفس هو القلب لا مجموع البدن ثم انه سبحانه لما ذكر انه لا فائدة لهم فى اظهار

تكون

الآيات التي اقترحوها بين بقوله أفغير الله ابتغي حكماً الآية ان الدليل الدال على نبوته قد حصل وكمل والزائد على ذلك لا يجب الالتفات اليه وانما قلنا ان الدليل الدال على نبوته قد حصل لوجهين الاول ان الله تعالى قد حكم بنبوته من حيث انه أنزل عليه الكتاب المبين المشتمل على العلوم الكثيرة والفصاحة الكاملة وقد عجز الخلق عن معارضته وأشار الى هذا الوجه بقوله أفغير الله ابتغي حكماً يعني قل يا محمد انكم تتحكمون في طلب سائر المعجزات فهل يجوز في العقل ان يطلب غير الله حكماً فان كل أحد يقول ان ذلك غير جائز (٧) الوجه الثاني اشتمال التوراة والانجيل على ان محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله حقاً وعلى ان القرآن كتاب حق من عند الله وأشار اليه بقوله والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق ثم قال فلا تكونن من الممترين والخطاب لكل أحد أي اذا ظهرت الدلائل فلا ينبغي ان يمتري فيه أحد وقيل الخطاب للرسول في الظاهر والمراد به الامة وقيل الخطاب للرسول في الحقيقة والمراد التهييج والالتهاب كقوله ولا تكونن من المشركين أو المراد فلا تكونن من الممترين في ان أهل الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق ولا يريبك جحود أكثرهم قال الواحدي الحكم والحاكم واحد عند أهل اللغة وقال بعض أهل التأويل الحكم أكمل من الحاكم لان الحاكم كل من يحكم والحكم هو الذي لا يحكم الا بالحق ثم لما بين ان القرآن معجز قال وتمت كلمة ربك أي القرآن وقوله صدقاً وعدلاً مصدران ينتصبان على الحال من الكلمة ومعنى تمامها انها وافية كافية في كونها معجزة دالة على صدق محمد أو كافية في بيان ما يحتاج المكلفون اليه الى القيامة علماً وعملاً أو المراد بالتمام انها أزلية لا يحدث بعد ذلك شيء واعلم ان كل ما حصل في القرآن نوعان الخبر والتكليف فالخبر كل ما أخبر الله تعالى عن وجوده أو عن عدمه كالخبر عن وجود ذاته وحصول صفاته أعني كونه تعالى قادراً سميعاً بصيراً يدخل فيه الخبر عن صفات التقديس والتنزيه كقوله تعالى لم يلد ولم يولد ولا تأخذه سنة ولا نوم ويدخل فيه الخبر عن اقسام أفعال الله تعالى وكيفية تدبيره لملكوته في السموات والارض وفي عالم الارواح والاجسام ويدخل فيه الخبر عن أحكام الله تعالى في الوعد والوعيد والثواب والعقاب ويدخل فيه الخبر عن أقسام أسماء الله تعالى والخبر عن النبوات وأقسام المعجزات والخبر عن أحوال النشر والقيامة وصفات أهل الجنة والنار والخبر عن أحوال المتقدمين والخبر عن المغيبات وأما التكليف

تكونن من الممترين) يقول تعالى ذكره ان أنكر هؤلاء العادلون بالله الاوثان من قومك توحيد الله وأشركوا معه الانداد وجحدوا ما أنزلته اليك وأنكروا ان يكون حقاً وكذبوا به فالذين آتيناهم الكتاب وهو التوراة والانجيل من بني اسرائيل يعلمون انه منزل من ربك يعني القرآن وما فيه بالحق يقول فصلاً بين أهل الحق والباطل يدل على صدق الصادق في علم الله وكذب الكاذب المفتري عليه فلا تكونن من الممترين يقول فلا تكونن يا محمد من الشاكين في حقية الانباء التي جاءتك من الله في هذا الكتاب وغير ذلك مما تضمنه لان الذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق وقد بينا فيما مضى ما وجه قوله فلا تكونن من الممترين بما أغنى عن اعادته مع الرواية المروية فيه وقد حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله فلا تكونن من الممترين يقول لا تكونن في شك مما قصصنا عليك ۞ القول في تأويل قوله (وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم) يقول تعالى ذكره وكملت كلمة ربك يعني القرآن سماه كلمة كما تقول العرب للقصيدة من الشعر يقولها الشاعر هذه كلمة فلان صدقاً وعدلاً يقول كملت كلمة ربك من الصدق والعدل والصدق والعدل نصبا على التفسير للكلمة كما يقال عندي عشرون درهماً لا مبدل لكلماته يقول لا مغير لما أخبر في كتبه انه كائن من وقوعه في حينه وأجله الذي أخبر الله انه واقع فيه وذلك نظير قوله جل ثناؤه يريدون ان يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل فكانت ارادتهم تبديل كلام الله مسألتهم نبي الله ان يتركهم يحضرون الحرب معه وقولهم له ولمن معه من المؤمنين ذرونا نتبعكم بعد الخبر الذي كان الله أخبرهم تعالى ذكره في كتابه بقوله فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبداً ولن تقاتلوا معي عدواً الآية فحاولوا تبديل كلام الله وخبره بانهم لن يخرجوا مع نبي الله في غزاة ولن يقاتلوا معه عدواً بقولهم لهم ذرونا نتبعكم فقال الله جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يريدون أن يبدلوا بمسألتهم اياهم ذلك كلام الله وخبره قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل فكذلك معنى قوله لا مبدل لكلماته انما هو لا مغير لما أخبر عنه من خبر انه كائن فيبطل مجيئه وكونه ووقوعه على ما أخبر جل ثناؤه لانه لا يزيد المفترون في كتب الله ولا ينقصون منها وذلك ان اليهود والنصارى لا شك انهم أهل كتب الله التي أنزلها على أنبيائه وقد أخبر جل ثناؤه انهم يحرفونه غير الذي أخبر انه لا مبدل له وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته يقول صدقاً وعدلاً فيما حكم وأما قوله وهو السميع العليم فان معناه والله السميع لما يقول هؤلاء العادلون بالله المقسمون بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها وغير ذلك من كلام خلقه العليم بما اليه تؤول ايمانهم من بر وصدق وكذب وحنث وغير ذلك من أمور عباده ۞ القول في تأويل قوله (وان تطع أكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم لا تطع هؤلاء العادلين بالله الانداد يا محمد فيما دعوك اليه من أكل ما ذبحوا لآلهتهم وأهلوا به لغير ربهم وأشكالهم من أهل الزيغ والضلال فانك ان تطع أكثر من في الارض

فيدخل فيه كل امر ونهي توجه منه سبحانه على عبيده سواء كان ملكا أو بشرا أو شيطانا وسواء كان ذلك في شرعنا أو في شرائع الانبياء المتقدمين أو في مراسم الملائكة المقربين الذين هم سكان السموات والجنة والنار والعرش وما وراءه مما لا يعلم أحوالهم الا الله تعالى فاذن المراد وتمت كلمات ربك صدقا ان كان من باب الخبر وعدلا ان كان من باب التكاليف وهذا ضبط حسن وقيل ان كل ما أخبر الله تعالى عنه من وعد ووعيد وثواب وعقاب فهو صدق (٨) لانه لا بد ان يكون واقعا وهو بعد وقوعه عدل لان أفعاله منزهة عن ان تكون بصفة الظلم ثم قال لا مبدل لكلماته والمعنى ان هؤلاء الكفار يلقون الشبه في كون القرآن دالا على صدق محمد الا أن تلك الشبهات لا تأثير لها في هذه الدلالة البتة لجلاء الدلالة ووضوحها أو المراد ان كلماته تبقى موصوفة بصفتها مصونة عن التحريف والتغيير كما قال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون أو الغرض انها براءة عن التناقض كما قال ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا أو المعنى ان أحكام الله تعالى لا تتغير ولا تتبدل لانها أزلية والازلي لا يزول وهذا الوجه أحد الاصول القوية في اثبات الجبر ان يلزم منه أن لا ينقلب السعيد شقيا و بالضد ثم لما أجاب عن شبه الكفار بين ان عند ظهور الحجة وتبين المحجة لا ينبغي للعاقل ان يلتفت الى كلمات الجهال فقال وان تطع أكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله والمضل لا بد أن يكون ضالا ويعني بهم الذين ينازعون النبي في الدين غير قاطعين بصحة مذاهبهم كالزنادقة وعبدة الكواكب والاصنام وكالذين يحرمون البحائر والسوائب والوصائل ويحللون الميتة فيحكمون على الحق بانه باطل وعلى الباطل انه حق فلا يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون يقدرون انهم على شئ أو يكذبون في ان الله أحل كذا وحرم كذا وأصل الخرص حزرما على النخل من الرطب تمرا وليس لنفاة القياس تمسك بالآية من قبل توجه الذم على متبع الظن لان المذموم من اتباع الظن هو الذي لا يستند الى امارة كظن الكفار المستند الى تقليد أسلافهم فقط أما اذا كان الاعتقاد الراجح مستندا الى امارة فلم يتم انه كذلك ثم قال ان ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين والمراد انك بعد ما عرفت ان الحق ماهو والباطل ماهو فلا تكن في قيدهم بل فوض أمرهم الى خالقهم لان الله تعالى عالم بان المهتدي من هو والضال من هو فجازى كل أحد بما يليق بعلمه أو

يضلوك عن دين الله ومحجة الحق والصواب فيصدوك عن ذلك وانما قال الله لنبيه وان تطع أكثر من في الارض من بني آدم لانهم كانوا حينئذ كفارا ضلالا فقال له جل ثناؤه لا تطعهم فيما دعوك اليه فانك ان تطعهم ضللت ضلالهم وكنت مثلهم لانهم لا يدعونك الى الهدى وقد أخطؤه ثم أخبر جل ثناؤه عن حال الذين نهى نبيه عن طاعتهم فيما دعوه اليه في أنفسهم فقال ان يتبعون الا الظن فأخبر جل ثناؤه انهم من أمرهم على ظن عند أنفسهم وحسبان على صحة عزم عليه وان كان خطأ في الحقيقة وان هم الا يخرصون يقول ماهم الا متخرصون يظنون و يوقعون حزرا لا يقين علم يقال منه خرص يخرص خرصا وخروصا أي كذب ويخرص يظن و يخرص يكذب وخرصت النخل أخرصه وخرصت ابلك أصابها البرد والجوع ۞ القول في تأويل قوله (ان ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يا محمد ان ربك الذي نهاك أن تطيع هؤلاء العادلين بالله الاوثان لئلا يضلوك عن سبيله هو أعلم منك ومن جميع خلقه أي خلقه يضل عن سبيله بزخرف القول الذي يوحي الشياطين بعضهم الى بعض فيصدوا عن طاعته واتباع ما أمر به وهو أعلم بالمهتدين يقول وهو أعلم أيضا منك ومنهم بمن كان على استقامة وسداد لا يخفى عليه منهم أحد يقول واتبع يا محمد ما أمرتك به وانته عما نهيتك عنه من طاعة من نهيتك عن طاعته فاني أعلم بالهادي والمضل من خلقي منك واختلف أهل العربية في موضع من في قوله ان ربك هو أعلم من يضل فقال بعض نحويي البصرة موضعه خفض بنية الباء قال ومعنى الكلام ان ربك هو أعلم بمن يضل وقال بعض نحويي الكوفة موضعه رفع لانه بمعنى أي والرافع له يضل والصواب من القول في ذلك انه رفع بيضل وهو في معنى أي وغير معلوم في كلام العرب اسم مخفوض بغير خافض فيكون هذا له نظيرا وبه زعم بعضهم ان قوله أعلم في هذا الموضع بمعنى يعلم واستشهد لقيله ببيت حاتم الطائي

فحالفت طيء من دوننا حلفا * والله أعلم ما كنا لهم خذلا

و بقول خنساء

القوم أعلم ان جفنته * تغدو غداة الريح أو تسري

وهذا الذي قاله هذا التأويل وان كان جائزا في كلام العرب فليس قول الله تعالى ان ربك هو أعلم من يضل عن سبيله منه وذلك انه عطف عليه بقوله وهو أعلم بالمهتدين فأبان بدخول الباء في المهتدين أن أعلم ليس بمعنى يعلم لان ذلك اذا كان بمعنى يفعل لم يوصل بالباء كما لا يقال هو يعلم بزيد بمعنى يعلم زيدا ۞ القول في تأويل قوله (فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم بآياته مؤمنين) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وعباده المؤمنين به وبآياته فكلوا أيها المؤمنون مما ذكيتم من ذبائحكم وذبحتموه الذبح الذي بينت لكم انه تحل به الذبيحة لكم وذلك ماذبحه المؤمنون بي من أهل دينكم دين الحق أو ذبحه من دان بتوحيدي من أهل الكتاب دون ماذبحه أهل الاوثان ومن لا كتاب له من المجوس ان كنتم بآياته مؤمنين يقول ان كنتم بحجج الله التي أتتكم وأعلامه باحلاله ما أحللت لكم وتحريم ما حرمت عليكم من المطاعم والمآكل مصدقين ودعوا عنكم زخرف ما توحيه الشياطين بعضها الى بعض من زخرف القول لكم وتلبيس دينكم عليكم غرورا وكان عطاء يقول في ذلك ما حدثنا به محمد بن بشار ومحمد بن المثنى قالا ثنا عاصم قال أخبرنا ابن جريج قال قلت لعطاء قوله فكلوا مما ذكر اسم الله عليه قال يأمر بذكر اسمه على الشراب والطعام

والطعام والذبح وكل شئ يدل على ذكره يؤمر به ۞ القول في تأويل قوله (وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه) اختلف أهل العلم بكلام العرب في تأويل قوله وما لكم ألا تأكلوا فقال بعض نحويي البصريين معنى ذلك وأي شئ لكم في ان لا تأكلوا قال وذلك نظير قوله وما لنا ألا نقاتل يقول أي شئ لنا في ترك القتال قال ولو كانت ان زائدة لا يقع الفعل ولو كانت في معنى وما لنا كذا وكذا لكانت وما لنا الا نقاتل وقال غيره انما دخلت لا للمنع لان تأويل ما لك وما منعك واحد ما منعك لا تفعل ذلك وما لك لا تفعل واحد فلذلك دخلت لا قال وهذا الموضع تكون فيه لا وتكون فيه ان مثل قوله يبين الله لكم ان تضلوا وان لا تضلوا يمنعكم من الضلال بالبيان * وأولى القولين في ذلك بالصواب عندي قول من قال معنى قوله وما لكم في هذا الموضع وأي شئ يمنعكم ان تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وذلك ان الله تعالى ذكره تقدم الى المؤمنين بتحليل ما ذكر اسم الله عليه وإباحة أكل ما ذبح بدينه أو دين من كان يدين ببعض شرائع كتبه المعروفة وتحريم ما أهل به لغيره من الحيوان وزجرهم عن الاصغاء لما يوحي الشياطين بعضهم الى بعض من زخرف القول في الميتة والمنخنقة والمتردية وسائر ما حرم الله من المطاعم ثم قال وما يمنعكم من أكل ما ذبح بديني الذي ارتضيته وقد فصلت لكم الحلال من الحرام فيما تطعمون وبينته لكم بقول حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به الى قوله فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لاثم قال ليس عليكم في حرام ذلك من حلاله فتمتنعوا من أكل حلاله حذرا من مواقعة حرامه فاذ كان ذلك معناه فلا وجه لقول متأولي ذلك وأي شئ لكم في ان لا تأكلوا لان ذلك انما يقال كذلك لمن كان كف عن أكله رجاء ثواب بالكف عن أكله وذلك يكون ممن آمن بالكف فكف اتباعا لامر الله وتسليما لحكمه ولا نعلم أحدا من سلف هذه الامة كف عن أكل ما أحل الله من الذبائح رجاء ثواب الله على تركه ذلك واعتقادا منه ان الله حرمه عليه فبين بذلك اذ كان الامر كما وصفنا ان أولى التأويلين في ذلك بالصواب ما قلنا وقد بينا فيما مضى قبل ان معنى قوله فصل وفصلنا وفصل بين وبين بما يغني عن اعادته في هذا الموضع كما

حدثني محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وقد فصل لكم ما حرم عليكم يقول قد بين لكم ما حرم عليكم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب عن ابن زيد مثله واختلفت القراء في قول الله جل ثناؤه وقد فصل لكم ما حرم عليكم بفتح أول الحرفين من فصل من مطاعمكم فبينه لكم وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين وقد فصل بفتح فاء فصل وتشديد صاده ما حرم بضم حائه وتشديد رائه بمعنى وقد فصل الله لكم المحرم عليكم من مطاعمكم وقرأ ذلك بعض المكيين وبعض البصريين وقد فصل لكم بضم فائه وتشديد صاده ما حرم عليكم بضم حائه وتشديد رائه على وجه ما لم يسم فاعله في الحرفين كليهما وروي عن عطية العوفي انه كان يقرأ ذلك وقد فصل بتخفيف الصاد وفتح الفاء بمعنى وقد أتاكم حكم الله فيما حرم عليكم * والصواب من القول في ذلك عندنا ان يقال ان كل هذه القراآت الثلاث التي ذكرناها سوى القراءة التي ذكرنا عن عطية قراآت معروفات مستفيضة القراءة بها في قراءة الامصار وهن متفقات المعاني غير مختلفات فبأي ذلك قرأ القارئ فمصيب فيه الصواب وأما قوله الا ما اضطررتم اليه فانه يعني تعالى ذكره ان ما اضطررنا اليه من المطاعم المحرمة التي بين تحريمها لنا في غير

المراد ان هؤلاء الكفار وان أظهروا من أنفسهم ادعاء الجزم واليقين فهم كاذبون والله تعالى عالم بأحوال قلوبهم وبواطنهم ومطلع على تحيرهم في أودية الجهالة وتيه الضلال قال النحويون ان أفعل التفضيل لا يعمل في مظهر ففي الكلام محذوف أي يعلم من يضل عن سبيله فان لم يقدر محذوف قوي بالباء كما في القلم ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين وهذا هو الاصل وانما خص هذه السورة بالحذف موافقة قوله الله أعلم حيث يجعل رسالته وعدل الى لفظ المستقبل تنبيها على قطع الاضافة لان (٩) أكثر ما يستعمل افعل من يستعمل مع الماضي نحو أعلم من دب ودرج وأحسن من قام وقعد وأفضل من حج واعتمر فلو لم يعدل الى لفظ المستقبل التبس بالاضافة تعالى الله عن ذلك وجوز بعضهم ان يكون من للاستفهام كقوله لنعلم أي الحزبين أحصى ثم قال فكلوا والفاء مسبب عن انكار اتباع المضلين الذين يحلون الحرام ويحرمون الحلال وذلك انهم كانوا يقولون للمسلمين انكم تزعمون انكم تعبدون الله فما قتله الله أحق ان تأكلوا مما قتلتم أنتم فقال الله سبحانه للمسلمين ان كنتم محققين بالايمان فكلوا مما ذكر اسم الله عليه وهو المذكى بسم الله فان قيل ان القوم كانوا يبيحون ما ذبح على اسم الله تعالى ولا ينازعون فيه وانما النزاع في أكل الميتة فانهم كانوا يبيحونها والمسلمون يحرمونها فما الحكمة في اثبات الحكم في المتفق عليه وترك الحكم في المختلف فيه فالجواب لعل القوم كانوا يحرمون أكل المذكاة ويبيحون أكل الميتة فرد الله تعالى عليهم في الامرين بقوله فكلوا مما ذكر اسم الله عليه وبقوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله أو نقول المراد اجعلوا أكلكم مقصورا على ما ذكر اسم الله عليه وعلى هذا يكون المراد تحريم الميتة فقط والله أعلم أما قوله وقد فصل لكم فاكثر المفسرين قالوا المراد به ما فصل في أول المائدة من قوله حرمت عليكم الميتة الى آخر الآية واعترض عليه بان سورة الانعام مكية والمائدة من آخر ما نزل بالمدينة والآية تقتضي ان يكون المفصل مقدما على هذا المجمل بل الاولى ان يقال المراد قوله تعالى بعد هذه الآية قل لا أجد فيما أوحي الي محرما الى آخرها فانها وان لم تكن متقدمة في التلاوة فانها متقدمة في النزول أو لعلها قد تقدمت عليها في النزول ... وقوله الا ما اضطررتم أي دعتكم الضرورة الى أكله بسبب شدة المجاعة وان كثيرا ليضلون المبالغة في قراءة ضم الياء أكثر لان كل مضل ضال فانه يكون ضالا أولا ثم يكون مضلا الا ان الضال غير مضل قيل انه يريد به ...

حال الضرورة لنا حلال ما كنا اليه مضطرين حتى تزول الضرورة كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة الا ما اضطررتم اليه من الميتة ﴿القول في تاويل قوله﴾ (وان كثيرا ليضلون باهوائهم بغير علم ان ربك هو أعلم بالمعتدين) يقول تعالى ذكره وان كثيرا من الناس يجادلونكم في أكل ما حرم الله عليكم أيها المؤمنون بالله من الميتة ليضلون أتباعهم باهوائهم من غير علم منهم بصحة ما يقولون ولا برهان عندهم بما فيه يجادلون الا ركوبا منهم لاهوائهم واتباعا منهم لدواعي نفوسهم اعتداء وخلافا لامر الله ونهيه وطاعة للشياطين ان ربك هو أعلم بالمعتدين يقول ان ربك يا محمد الذي أحل لك ما أحل وحرم عليك ما حرم هو أعلم بمن اعتدى حدوده فتجاوزها الى خلافها وهو لهم بالمرصاد واختلفت القراء في قراءة قوله ليضلون فقرأته عامة أهل الكوفة ليضلون بمعنى انهم يضلون غيرهم وقرأ ذلك بعض البصريين والحجاز ليضلون بمعنى انهم هم الذين يضلون عن الحق فيجورون عنه * وأولى القراءتين بالصواب في ذلك قراءة من قرأ وان كثيرا ليضلون باهوائهم بمعنى انهم يضلون غيرهم وذلك ان الله جل ثناؤه أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم عن اضلالهم من تبعهم ونهاه عن طاعتهم واتباعهم الى ما يدعونه اليه فقال وان تطع أكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله ثم أخبر أصحابه عنهم مثل الذي أخبره عنهم ونهاهم من قبول قولهم عن مثل الذي نهاه عنهم فقال لهم وان كثيرا منهم ليضلونكم باهوائهم بغير علم نظير الذي قال لنبيه صلى الله عليه وسلم وان تطع أكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله ﴿القول في تاويل قوله﴾ (وذروا ظاهر الاثم وباطنه) يقول تعالى ذكره ودعوا أيها الناس علانية الاثم وذلك ظاهره وسره وذلك باطنه كذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وذروا ظاهر الاثم وباطنه أي قليله وكثيره وسره وعلانيته حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وذروا ظاهر الاثم وباطنه قال سره وعلانيته حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن أبي جعفر عن الربيع ابن أنس في قوله وذروا ظاهر الاثم وباطنه يقول سره وعلانيته وقوله ما ظهر منها وما بطن قال سره وعلانيته حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس في قوله وذروا ظاهر الاثم وباطنه قال نهى الله عن ظاهر الاثم وباطنه ان يعمل به سرا أو علانية وذلك ظاهره وباطنه حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وذروا ظاهر الاثم وباطنه معصية الله في السر والعلانية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وذروا ظاهر الاثم وباطنه قال هو ما ينوي مما هو عامل ثم اختلف أهل التأويل في المعنى بالظاهر من الاثم والباطن منه في هذا الموضع فقال بعضهم الظاهر منه ما حرم جل ثناؤه بقوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء وقوله حرمت عليكم أمهاتكم الآية والباطن منه الزنا ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا حماد عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير في قوله وذروا ظاهر الاثم وباطنه قال الظاهر منه لا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف والامهات والبنات والاخوات والباطن الزنا وقال آخرون الظاهر أولات الرايات من الزواني والباطن ذوات الاخدان ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا

على فمن ذريته من المشركين لانه أول من غير دين اسمعيل واتخذ البحائر والسوائب وأكل الميتة وقوله باهوائهم بغير علم يريد ان عمرو بن لحي أقدم على هذه المذاهب من الجهالة الصرفة وقال الزجاج المراد منه الذين يحللون الميتة ويناظرون في احلالها أو يحتجون عليها بقولهم اذا حل ما تذبحونه أنتم فلان يحل ما يذبحه الله تعالى أولى وكذلك كل ما يضلون فيه من عبادة الاوثان والطعن في نبوة محمد صلى الله عليه وآله وفي الآية دلالة على ان النزاع في الدين بمجرد التقليد (١٠) حرام ان ربك هو أعلم بالمعتدين فيجازيهم عليها وفيه من التهديد ما فيه ثم ذكر آية جامعة فقال وذروا ظاهر الاثم وباطنه قيل ظاهره الزنا في الحوانيت وباطنه الصديقة في السر قال الضحاك كان أهل الجاهلية يرون الزنا حلالا ما كان سرا والاصح ان النهي عام اذ لا دليل على تخصيصه ثم قيل المراد ما أعلنتم وما أسررتم وقيل ما عملتم وما نويتم وقال ابن الانباري يريد وذروا الاثم من جميع جهاته كما تقول ما أخذت من هذا المال قليلا ولا كثيرا أي ما أخذته بوجه من الوجوه وقريب منه قول من قال المراد النهي عن الاثم مع بيان انه لا يخرج عن كونه اثما بسبب اخفائه وكتمانه وقيل المراد النهي عن الاقدام على الاثم ثم قال وباطنه ليظهر بذلك ان الداعي له الى ترك ذلك الاثم خوف الله لا خوف الناس وقيل ظاهر الاثم أفعال الجوارح وباطنه أفعال القلوب من الكبر والحسد والعجب وارادة الشر للمسلمين ويدخل فيه الاعتقاد والعزم والنظر والظن والتمني والندم على أفعال الخيرات ومنه يعلم ان ما يوجد في القلب قد يؤاخذ وان لم يقترن به عمل ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون أي يكتسبون من الآثام والاقتراف يجيء الاقتراف كما يقال التوبة تمحو الحوبة وظاهر النص يدل على انه يعاقب المذنب البتة الا أن المسلمين أجمعوا على انه اذا تاب لم يعاقب وأهل السنة على انه اذا لم يتب احتمل العفو ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه نقل عن عطاء انه قال كل ما لم يذكر اسم الله تعالى عليه من طعام أو شراب فهو حرام تمسكا بعموم الآية وأجمع سائر الفقهاء على تخصيص هذا العموم بالذبح ثم اختلفوا فقال مالك كل ذبح لم يذكر اسم الله تعالى عليه فهو حرام ترك الذكر عمدا أو نسيانا وهو قول ابن سيرين وطائفة من المتكلمين أبو حنيفة ان ترك عمدا حرم وان ترك نسيانا حل الشافعي متروك التسمية عمدا أو سهوا حلال اذا كان الذابح مسلما لقوله تعالى وانه احمد

الفسق والضمير عائد الى الاكل الذى دل عليه الفعل أو الى الموصول على انه فى نفسه فسق مثل رجل عدل أو على تقدير حذف المضاف أى وان أكله لفسق وقد أجمع المسلمون على انه لا يفسق با كل ذبيحة المسلم الذى ترك التسمية ولقوله تعالى وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم وهذه المناظرة كانت فى مسئلة الميتة وذلك ان المشركين قالوا يا محمد أخبرنا عن الشاة من قتلها اذا ماتت قال الله قتلها قالوا أفتزعم ان ماقتلت انت وأصحابك حلال وماقتل الكلب والصقر حلال وماقتله الله حرام فانزل الله الآية فالمراد من الشياطين ههنا ابليس وجنوده وسوسوا الى أوليائهم من المشركين ليخاصموا محمدا وأصحابه فى أكل الميتة وقال عكرمة وان الشياطين يعنى مردة المجوس ليوحون الى أوليائهم من مشركى قريش وذلك انه لما نزل تحريم الميتة سمعه المجوس من أهل فارس فكتبوا الى قريش وكانت بينهم مكاتبة ان محمدا وأصحابه يزعمون ان مايذبحونه حلال وان مايذبحه الله حرام فوقع فى أنفس ناس من المشركين شئ فنزلت الآية ثم قال وان أطعتموهم يعنى فى استحلال الميتة انكم لمشركون قال الزجاج وفيه دليل على ان كل من أحل شيأ مما حرم الله تعالى أو حرم شيأ مما أحل الله فهو مشرك لانه أثبت حاكما سوى الله تعالى ثم قال الشافعى الفسق فى آية أخرى وهى قوله قل لا أجد فيما أوحى الى محرما الى قوله أو فسقا أهل لغير الله به مفسر بما أهل به لغير الله فعلمنا ان الفسق فى هذه الآية أيضا مفسر بذلك لنا عن هذا المقام وهو التمسك بالمخصصات فلم قلتم انه لم يوجد ذكر الله ههنا لما روى انه صلى الله عليه وآله قال ذكر الله مع المسلم سواء قال أو لم يقل فيحمل هذا الذكر على ذكر القلب أو نقول هب ان هذا الدليل يوجب الحرمة الا ان معنا ما يدل على الحل واذا تعارض الحل والحرمة فالحل راجح لان الاصل فى الاشياء الاباحة وللعمومات الدالة على الحل كقوله خلق لكم مافى الارض جميعا كلوا واشربوا ولانه مستطاب وقد قال أحل لكم الطيبات ولان الطبع يميل اليه وقد نهى عن اضاعة المال هذا تقريره مذهب الشافعى ومع ذلك فالاولى بالمسلم ان يحترز عنه لقوة ظاهر النص قال الكعبى فى الآية دلالة على ان الايمان اسم لجميع الطاعات لانه تعالى سمى مخالفته شركا وأجيب بانه لا يبعد ان يراد بالشرك ههنا اعتقاد ان لله شريكا فى الحكم * التأويل وكلهم الموتى أى قلوبهم الميتة وحشرنا أى أو بناهم جميع الآيات المودعة فى المكونات الا أن يشاء الله فان المشيئة تعبير

أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى وذروا ظاهر الاثم وباطنه اما ظاهره فالزوانى فى الحوانيت وأما باطنه فالصديقة يتخذها الرجل فيأتيها سرا حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنى عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ولا تقربوا الفواحش ماظهر منها ومابطن كان أهل الجاهلية يستسرون بالزنا ويرون ذلك حلالا ما كان سرا فحرم الله السر منه والعلانية ماظهر منها يعنى العلانية ومابطن يعنى السر حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن أبى مكين وأبيه عن خصيف عن مجاهد لا تقربوا الفواحش ماظهر منها ومابطن قال ماظهر منها الجمع بين الاختين وتزويج الرجل امرأة أبيه من بعده ومابطن الزنا وقال آخرون الظاهر التعرى والتجرد من الثياب ومايستر العورة فى الطواف والباطن الزنا ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولا تقربوا الفواحش ماظهر منها ومابطن قال ظاهره العرية التى كانوا يعملون بها حين يطوفون بالبيت وباطنه الزنا * والصواب من القول فى ذلك عندنا ان يقال ان الله تعالى ذكره تقدم الى خلقه بترك ظاهر الاثم وباطنه وذلك سره وعلانيته والاثم كل ما عصى الله به من محارمه وقد يدخل فى ذلك سر الزنا وعلانيته ومعاهدة أهل الرايات وأولات الاخدان منهن ونكاح حلائل الآباء والامهات والبنات والطواف بالبيت عريانا وكل معصية لله ظهرت أو بطنت واذ كان ذلك كذلك وكان جميع ذلك اثما وكان الله عم بقوله وذروا ظاهر الاثم وباطنه جميع ماظهر من الاثم وجميع مابطن لم يكن لاحد ان يخص من ذلك شيأ دون شئ الا بحجة للعذر قاطعة غير انه لو جاز ان يوجه ذلك الى الخصوص بغير برهان كان توجيهه الى أنه عنى بظاهر الاثم وباطنه فى هذا الموضع ماحرم الله من المطاعم والمآكل من الميتة والدم وما بين الله تحريمه فى قوله حرمت عليكم الميتة الى آخر الآية أولى اذ كان ابتداء الآيات قبلها بذكر تحريم ذلك جرى وهذه فى سياقها ولكنه غير مستنكر ان يكون عنى بها ذلك وأدخل فيها الامر باجتناب كل ما جانسه من معاصى الله فخرج الامر عاما بالنهى عن كل ماظهر أو بطن من الاثم ۞ القول فى تأويل قوله (ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون) يقول تعالى ذكره ان الذين يعملون بما نهاهم الله عنه ويركبون معاصى الله ويأتون ماحرم الله سيجزون يقول سيثيبهم الله يوم القيامة بما كانوا فى الدنيا يعملون من معاصيه ۞ القول فى تأويل قوله (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم وان أطعتموهم انكم لمشركون) يعنى بقوله جل ثناؤه ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه لا تأكلوا أيها المؤمنون مما مات فلم تذبحوه أنتم أو يذبحه موحد يدين لله بشرائع شرعها له فى كتاب منزل فانه حرام عليكم ولا ما أهل به لغير الله مما ذبحه المشركون لاوثانهم فان أكل ذلك فسق يعنى معصية كفر فكنى بقوله وانه عن الاكل وانما ذكر الفعل كما قال الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا يراد به فزادهم قولهم ذلك ايمانا فكنى عن القول وانما جرى ذكره بفعل وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم فاختلف أهل التأويل فى المعنى بقوله وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم فقال بعضهم عنى بذلك شياطين فارس ومن على دينهم من المجوس الى أوليائهم من مردة مشركى قريش يوحون اليهم زخرف القول ليصل الى نبى الله وأصحابه فى

النصيحة والعناية الازلية كفاية لابدية ولكن أكثرهم يجهلون أن الهدى ليس بالمنى وانه بمشيئة المولى ثم أخبر ان البلايا للسائرين الى الله
هى المطايا فقال وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس هى النفس الامارة التى هى أعدى الاعداء والذين آتيناهم الكتاب هديناهم بنور
الكتاب الى حضرة الجلال فلا تكونن من الممترين فى الازل وتمت كلمت ربك كلامه وقضاؤه فى الازل صدقا فيما قال وعدلا فيما حكم
بالوجود والعدم والسعادة والشقاوة والرد (١٢) والقبول والخير والشر والحسن والقبح والايمان والكفر وأحسن شئ خلقه هو الانسان

أكل الميتة ذكر من قال ذلك حدثنى عبد الرحمن بن بشر بن الحكم النيسابورى قال ثنا موسى بن عبد العزيز القنبارى قال ثنا الحكم بن أبان عن عكرمة لما نزلت هذه الآية تحريم الميتة قال أوحت فارس الى أوليائها من قريش ان خاصموا محمدا وكانت أولياءهم فى الجاهلية وقولوا له ان ماذبحت فهو حلال وماذبح الله قال ابن عباس بشمشار من ذهب فهو حرام فانزل الله هذه الآية وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم قال الشياطين فارس وأولياؤهم قريش حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال عمرو بن دينار عن عكرمة ان مشركى قريش كاتبوا فارس على الروم وكاتبتهم فارس وكتبت فارس الى مشركى قريش ان محمدا وأصحابه يزعمون انهم يتبعون أمر الله فما ذبح الله بسكين من ذهب فلا يأكله محمد وأصحابه للميتة وأما ماذبحوا هم يأكلون وكتب بذلك المشركون الى أصحاب محمد عليه السلام فوقع فى أنفس ناس من المسلمين من ذلك شئ فنزلت وانه لفسق وان الشياطين ليوحون الآية ونزلت يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا وقال آخرون انما عنى بالشياطين الذين يغرون بنى آدم انهم أوحوا الى أوليائهم من قريش ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن سماك عن عكرمة قال كان مما أوحى الشياطين الى أوليائهم من الانس كيف تعبدون شيأ لا تأكلون مما قتل وتأكلون أنتم ماقتلتم فروى الحديث حتى بلغ النبى صلى الله عليه وسلم فنزلت ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قوله وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم قال ابليس الذى يوحى الى مشركى قريش قال ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس قال شياطين الجن يوحون الى شياطين الانس يوحون الى أوليائهم ليجادلوكم قال ابن جريج عن عبد الله بن كثير قال سمعت ان الشياطين يوحون الى أهل الشرك يأمرونهم ان يقولوا اما الذى يموت وما الذى تذبحون الاسواء يأمرونهم ان يخاصموا بذلك محمدا صلى الله عليه وسلم وان أطعتموهم انكم لمشركون قال قول المشركين اما ماذبح الله للميتة فلا تأكلون وأما ماذبحتم بايديكم فحلال حدثنا محمد بن عمار الرازى قال ثنا سعيد بن سليمان قال ثنا شريك عن سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس ان المشركين قالوا للمسلمين ماقتل ربكم فلا تأكلوا وماقتلتم أنتم تأكلونه فاوحى الله الى نبيه صلى الله عليه وسلم ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال لما حرم الله الميتة أمر الشيطان أولياءه فقال لهم ماقتل الله لكم خير مما تذبحون أنتم بسكاكينكم فقال الله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه حدثنا يحيى بن داود الواسطى قال ثنا اسحق بن يوسف الازرق عن سفيان عن هرون بن عنترة عن أبيه عن ابن عباس قال جادل المشركون المسلمين فقالوا اما بال ماقتل الله لا تأكلونه وماقتلتم أنتم أكلتموه وأنتم تتبعون أمر الله فانزل الله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق الى آخر الآية حدثنا أبو كريب قال ثنا عبيد الله عن اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم يقولون ماذبح الله فلا تأكلوه وماذبحتم أنتم فكلوه فانزل الله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه حدثنا ابن حميد

لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم وكذلك شر شئ هو الانسان عند فساد استعداده ثم رددناه أسفل سافلين ولاهل الكمال ترق فى كمال الحسن الى الابد ولاهل النقصان تسفل فى القبح الى الابد أيضا اظهارا للقدرة الكاملة غير المتناهية وهو السميع لحاجة كل ذى حاجة العليم بما يستاهله كل موجود وان تطع أكثر من فى الارض وهم أهل الاهواء وأقلهم أهل الحق وان هم الا يخرصون فى دعوى طلب الحق فان سبيل الحق لا يسلك بالهوى وانما يسلك بالصدق والهدى فكلوا ماذكر اسم الله عليه فمن أمارات الايمان ان يأكلوا الطعام بحكم الشرع لا على وفق الطبع ويذيبوه بذكر الله كما قال صلى الله عليه وآله أذيبوا طعامكم بذكر الله فالاكل على الغفلة والنسيان والاستنابة على العصيان يورث موت الجنان والحرمان عن الجنان وقد فصل لكم يا أهل الله ماحرم عليكم وهو الدنيا ومافيها والآخرة ونعيمها الا مااضطررتم اليه من ضروريات البشر فى الدارين بامر المولى لا بالطبع والهوى ان ربك هو أعلم بالمعتدين الذين جاوزوا المولى وركنوا الى الدنيا والعقبى وذروا ظاهر الاثم يعنى الاعمال الطبيعية وباطنه يعنى الاخلاق الذميمة الردية سيجزون بما كانوا يقترفون لان

الاخلاق الظلمانية توجب صداء مرآت القلب وتزيدها رينا الى ان يصير حجابا بين العبد وبين الله تعالى ولا قال
تأكلوا طعاما الا بامر الله وعلى ذكر الله وفى طلب الله ليندفع بنور الذكر ظلمة الطعام وشهوته وانه يعنى ظلام الطعام يؤدى الى الفسق الذى
هو الخروج من النور والروحانى الى الظلمة النفسانية وان الشياطين ليوحون فان للشيطان مجالا فى الوسوسة اذا كانت النفوس فى المجادلة
مع القلوب ليدعوها الى متابعة الهوى الله حسبى (أومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج

منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون الا بأنفسهم وما يشعرون واذا
جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالته سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا
يمكرون فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس
على الذين لا يؤمنون وهذا صراط ربك مستقيما قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون لهم (١٣) دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا
يعملون ويوم يحشرهم جميعا يا معشر
الجن قد استكثرتم من الانس وقال
أولياؤهم من الانس ربنا استمتع
بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي
أجلت لنا قال النار مثواكم خالدين
فيها الا ما شاء الله ان ربك حكيم
عليم وكذلك نولي بعض الظالمين
بعضا بما كانوا يكسبون يا معشر
الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم
يقصون عليكم آياتي وينذرونكم
لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على
أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا
على أنفسهم انهم كانوا كافرين)
القراآت ميتا بالتشديد أبو جعفر
ونافع وسهل ويعقوب رسالته
بالنصب والتوحيد ابن كثير
وحفص والمفضل الباقون رسالاته
على الجمع وبالكسر في موضع
النصب ضيقا بابه بالتخفيف ابن
كثير حرجا بكسر الراء أبو جعفر
ونافع وسهل وأبو بكر وحماد الباقون
بالفتح يصعد من الصعود ابن
كثير يصاعد من التصاعد بادغام
التاء في الصاد أبو بكر وحماد
الباقون يصعد بالادغام من التصعد
يحشرهم بياء الغيبة حفص
الآخرون بالنون * الوقوف مجرميها
منها ط يعملون ه فيها ط
وما يشعرون ه رسل الله ط
رسالاته ط يمكرون ه للاسلام
ج لابتداء شرط آخر مع العطف
في السماء ج لا يؤمنون ه
مستقيما ط تذكرون ه يعملون ه جميعا ج للحذف أي يحشرهم ويقول لهم مع اتحاد المقصود من الانس الاولى ح لتبدل القائل
مع اتفاق الجملتين أجلت لنا ط قال النار يغلظ الصوت على النار اشارة الى أن النار مبتدأ بعد القول وليست فاعلا شاء الله ط عليم ه
يكسبون ه يومكم هذا ط كافرين ه * التفسير انه سبحانه بعد أن ذكر أن المشركين يجادلون المؤمنين ضرب مثلا لتقرير ذلك فبين أن
المؤمن المهتدي بمنزلة من كان ميتا فجعله الله حيا وأعطاه نورا يهتدي به في مصالحه وان الكافر بمنزلة من هو في الظلمات منغمس فيها لا خلاص

قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين بن واقد عن يزيد عن عكرمة ان ناسا من المشركين دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا أخبرنا عن الشاة اذا ماتت من قتلها فقال الله قتلها قالوا فتزعم ان ما قتلت أنت وأصحابك حلال وما قتله الله حرام فأنزل الله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه عن الحضرمي ان ناسا من المشركين قالوا أما ما قتل الصقر والكلب فتأكلونه وأما ما قتل الله فلا تأكلونه حدثنا المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم بآياته مؤمنين قال قالوا يا محمد أما ما قتلتم وذبحتم فتأكلونه وأما ما قتل ربكم فتحرمونه فأنزل الله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم وان أطعتموهم انكم لمشركون وان أطعتموهم في أكل ما نهيتكم عنه انكم اذا لمشركون حدثنا المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن الضحاك قال قال المشركون ما قتلتم فتأكلونه وما قتل ربكم لا تأكلونه فنزلت ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وان أطعتموهم انكم لمشركون قول المشركين أما ما ذبح الله للميتة فلا تأكلون منه وأما ما ذبحتم بأيديكم فهو حلال حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم قال جادلهم المشركون في الذبيحة فقالوا أما ما قتلتم بأيديكم فتأكلونه وأما ما قتل الله فلا تأكلونه يعنون الميتة فكانت هذه مجادلتهم اياهم حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق الآية يعني عدو الله ابليس أوحى الى أوليائه من أهل الضلالة فقال لهم خاصموا أصحاب محمد في الميتة فقولوا أما ما ذبحتم وقتلتم فتأكلون وأما ما قتل الله فلا تأكلون وأنتم تزعمون انكم تتبعون أمر الله فأنزل الله على نبيه وان أطعتموهم انكم لمشركون وانا والله ما نعلمه كان شرك قط الا باحدى ثلاث ان يدعى مع الله الها آخر أو يسجد لغير الله أو يسمي الذبائح لغير الله حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ان المشركين قالوا للمسلمين كيف تزعمون انكم تتبعون مرضاة الله وما ذبح الله فلا تأكلونه وما ذبحتم أنتم أكلتموه فقال الله لئن أطعتموهم فأكلتم الميتة انكم لمشركون حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس في قوله وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم قال كانوا يقولون ما ذكر الله عليه وما ذبحتم فكلوا فنزلت ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه الى قوله ليجادلوكم قال يقول يوحي الشياطين الى أوليائهم تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون مما قتل الله فقال ان الذي قتلتم يذكر اسم الله عليه وان الذي مات لم يذكر اسم الله عليه حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن

سليمان قال سمعت الضحاك في قوله وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم هذا في شان الذبيحة قال قال المشركون للمسلمين تزعمون ان الله حرم عليكم الميتة وأحل لكم ما تذبحون أنتم بايديكم وحرم عليكم ماذبح هو لكم وكيف هذا وأنتم تعبدونه فانزل الله هذه الآية ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه الى قوله لمشركون وقال آخرون كان الذين جادلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك قوما من اليهود ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى وسفيان بن وكيع قالا ثنا عمران بن عيينة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ابن عبد الاعلى خاصمت اليهود النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن وكيع جاءت اليهود الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا نأكل ما قتلنا ولا نأكل ما قتل الله فانزل الله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق * وأولى الاقوال في ذلك بالصواب ان يقال ان الله أخبر ان الشياطين يوحون الى أوليائهم ليجادلوا المؤمنين في تحريمهم أكل الميتة بما ذكرنا من جدالهم اياهم وجائز ان يكون الموحون كانوا شياطين الانس يوحون الى أوليائهم منهم وجائز ان يكونوا شياطين الجن أوحوا الى أوليائهم من الانس وجائز ان يكون الجنسان كلاهما تعاونا على ذلك كما أخبر الله عنهما في الآية الاخرى التي يقول فيها وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا بل ذلك الاغلب من تاويله عندي لان الله أخبر نبيه انه جعل له أعداء من شياطين الجن والانس كما جعل لانبيائه من قبله يوحي بعضهم الى بعض المزين من الاقوال الباطلة ثم أعلمه ان أولئك الشياطين يوحون الى أوليائهم من الانس ليجادلوه ومن تبعه من المؤمنين فيما حرم الله من الميتة عليهم واختلف أهل التأويل في الذي عنى الله جل ثناؤه بنهيه عن أكله مما لم يذكر اسم الله عليه فقال بعضهم هو ذبائح كانت العرب تذبحها لآلهتها ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى ومحمد بن بشار قالا ثنا أبو عاصم قال أخبرنا ابن جريج قال قلت لعطاء ما قوله فكلوا مما ذكر اسم الله عليه قال يأمر بذكر اسمه على الشراب والطعام والذبح قلت لعطاء فما قوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه قال ينهى عن ذبائح كانت في الجاهلية على الاوثان كانت تذبحها العرب وقريش * ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد وابن وكيع قالا ثنا جرير عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه قال الميتة وقال آخرون بل عنى بذلك كل ذبيحة لم يذكر اسم الله عليها ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو اسامة عن جهير بن يزيد قال سئل الحسن سأله رجل قال له أتيت بطير كذا فمنه ما ذبح فذكر اسم الله عليه ومنه ما نسي ان يذكر اسم الله عليه واختلط الطير فقال الحسن كله كله قال وسألت محمد بن سيرين فقال قال الله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه حدثني المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا حماد عن أيوب وهشام عن محمد بن سيرين عن عبد الله بن يزيد الخطمي قال كلوا من ذبائح أهل الكتاب والمسلمين ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه حدثنا ابن وكيع قال ثنا يزيد بن هرون عن أشعث عن ابن سيرين عن عبد الله ابن يزيد قال كنت اجلس اليه في حلقة فكان يجلس فيها ناس من الانصار هو رأسهم فاذا جاء سائل فانما يسأله ويسكتون قال فجاءه رجل فسأله فقال رجل ذبح فنسي ان يسمي فتلا هذه الآية ولا

تأكلوا

له منها فيكون متحيرا على الدوام وهل هما خاصان أو عامان فيه قولان الاول قال ابن عباس يريد حمزة بن عبد المطلب وأبا جهل وذلك ان أبا جهل رمى رسول الله صلى الله عليه وآله بفرث وحمزة لم يؤمن بعد فاخبر حمزة بما فعل أبو جهل وهو راجع من قنصه وبيده قوس فاقبل غضبان حتى علا أبا جهل بالقوس وهو يتضرع اليه ويقول يا أبا يعلى أما ترى ما جاء به سفه عقولنا وسب آلهتنا وخالف آباءنا فقال حمزة ومن أسفه منكم تعبدون الحجارة من دون الله اشهد أن لا اله الا الله لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله فانزل الآية وعن مقاتل نزلت في النبي صلى الله عليه وآله وأبي جهل وذلك انه قال زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نؤمن به الا أن يأتينا وحي كما يأتيه فنزلت وعن عكرمة انها نزلت في عمار بن ياسر وأبي جهل وعن الضحاك هي في عمر بن الخطاب وأبي جهل والقول الثاني انها عامة في كل مؤمن وكافر لحصول المعنى في الكل وانما جعل الكفر موتا لانه جهل والجهل يوجب الحيرة والوقفة فهو كالموت الذي يوجب السكون وأيضا الميت لا يهتدي الى شئ وكذلك الجاهل والهدى علم وبصيرة وهما يوجبان الفوز بالمطالب كالحياة والنور قال بعض العلماء قوله أومن كان ميتا اشارة الى أول مراتب النفس الانسانية وهي الاستعداد المحض المسماة بالعقل الهيولاني عند الحكيم وقوله فأحييناه اشارة الى ثانية مراتبها المسماة بالعقل بالملكة وهي أن يحصل لها العلوم الكلية الاولية وقوله وجعلنا له نورا اشارة الى ثالثة المراتب وهي التي قد حصلت لها المعقولات المكتسبة ولكنها لا تكون حاضرة بالفعل بل تكون بحيث متى شاء صاحبها استرجاعها واستحضارها قدر عليه ولهذا يسمى عقلا بالفعل أي الفعل القريب وقوله يمشي به في الناس اشارة الى رابعة المراتب وهي النهاية المسماة بالعقل المستفاد وقد حصلت المعارف القدسية والجلايا الروحانية للنفس حاضرة بالفعل وصار جوهر الروح مشرقا بتلك المعارف مستضيأ بها ويمكن ان يقال الحياة عبارة عن الاستعداد القائم بجوهر الروح والنور عبارة عن اتصال نور الوحي والتنزيل فانه لا بد في الابصار من أمرين سلامة الحاسة والنور الخارجي من الشمس والسراج فكذلك البصيرة لا بد لها في الادراك من سلامة حاسة العقل ومن طلوع نور الوحي فلهذا قال جمع من المفسرين المراد بهذا النور القرآن ومنهم من قال نور الدين أو نور

تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه حتى فرغ منها * والصواب من القول في ذلك أن يقال ان الله عنى بذلك ما ذبح للأصنام والآلهة وما مات أو ذبحه من لا تحل ذبيحته وأما من قال عنى بذلك ما ذبحه المسلم فنسي ذكر اسم الله فقول بعيد من الصواب لشذوذه وخروجه عما عليه الحجة مجمعة من تحليله وكفى بذلك شاهدا على فساده وقد بينا فساده من جهة القياس في كتابنا المسمى لطيف القول في أحكام شرائع الدين فأغنى ذلك عن اعادته في هذا الموضع وأما قوله لفسق فانه يعني وان أكل ما لم يذكر اسم الله عليه من الميتة وما أهل به لغير الله لفسق واختلف أهل التأويل في معنى الفسق في هذا الموضع فقال بعضهم معناه المعصية فتأويل الكلام على هذا وان أكل ما لم يذكر اسم الله عليه لمعصية لله واثم ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وانه لفسق قال الفسق المعصية وقال آخرون ذلك الكفر وأما قوله وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم فقد ذكرنا اختلاف المختلفين في المعنيين بقوله وان الشياطين ليوحون والصواب من القول فيه وأما ايحاؤهم الى أوليائهم فهو اشارتهم الاما أشار والهم اليه اما بقول واما برسالة واما بكتاب وقد بينا معنى الوحي فيما مضى قبل بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وقد حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا عكرمة عن أبي زميل قال كنت قاعدا عند ابن عباس فجاءه رجل من أصحابه فقال يا أبا عباس زعم اسحق انه أوحي اليه الليلة يعني المختار بن أبي عبيد فقال ابن عباس صدق فنفرت فقلت يقول ابن عباس صدق فقال ابن عباس هما وحيان وحي الله ووحي الشيطان فوحي الله الى محمد ووحي الشيطان الى أوليائهم ثم قرأ وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم وأما الأولياء فهم النصراء والظهراء في هذا الموضع ويعني بقوله ليجادلوكم ليخاصموكم بالمعنى الذي قد ذكرت قبل وأما قوله وان أطعتموهم انكم لمشركون فانه يعني وان أطعتموهم في أكل الميتة وما حرم عليكم ربكم كما حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وان أطعتموهم يقول وان أطعتموهم في أكل ما نهيتكم عنه حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي وان أطعتموهم فأكلتم الميتة وأما قوله انكم لمشركون يعني انكم اذا مثلهم اذ كان هؤلاء يأكلون الميتة استحلالا فاذا أنتم أكلتموها كذلك فقد صرتم مثلهم مشركين * واختلف أهل العلم في هذه الآية هل نسخ من حكمها شيء أم لا فقال بعضهم لم ينسخ منها شيء وهي محكمة فيما عنيت به وعلى هذا قول عامة أهل العلم وروي عن الحسن البصري وعكرمة ما حدثنا به ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح عن الحسين بن واقد عن يزيد عن عكرمة والحسن البصري قالا قال فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم بآياته مؤمنين ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق فنسخ واستثنى من ذلك فقال طعام أهل الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والصواب من القول في ذلك عندنا ان هذه الآية محكمة فيما أنزلت لم ينسخ منها شيء وان طعام أهل الكتاب حلال وذبائحهم ذكية وذلك مما حرم الله على المؤمنين أكله بقوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه بمعزل لان الله انما حرم علينا بهذه الآية الميتة وما أهل به للطواغيت وذبائح أهل الكتاب ذكية سموا عليها أو لم يسموا لانهم أهل توحيد وأصحاب كتب لله يدينون بأحكامها يذبحون

الحكمة والأقوال متقاربة وأما مثل الكافر فهو كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها وفيه ان ظلمات الجهل والأخلاق الذميمة صارت كالصفة اللازمة له لا تكاد تزول عنه فيبقى متحيرا خائفا فزعا نعوذ بالله من هذه الحالة ومعنى المثل ههنا الصفة الغريبة أي كمن صفته هذه والمراد كمن هو في الظلمات ثم قال كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون والمزين هو الله بالتحقيق عند الأشاعرة والشيطان بالحقيقة أو الله مجازا عند المعتزلة والاضافة الى الله بالحقيقة أو المجاز أولى بدليل قوله وكذلك جعلنا أي وكما جعلنا في مكة صناديدها ليمكروا فيها كذلك جعلنا أو وكما زينا للكافرين أعمالهم كذلك جعلنا في كل قرية أكابر وهي جمع الأكبر ومجرميها مضاف اليه والظرف مفعول ثان قدم ليعود الضمير الى القرية وقيل التقدير جعلنا مجرميها أكابر قال الزجاج انما جعل المجرمين أكابر لأجل رياستهم أقدر على الغدر والمكر وترويج الأباطيل على الناس من غيرهم ولأن كثرة المال وقوة الجاه يحمل الناس على المبالغة في حفظها وذلك لا يتم الا باستعمال بعض الأخلاق الذميمة من المكر والغدر والكذب والغيبة والنميمة والشح والأيمان الكاذبة وكفى بهذه الأمور دليلا على خساسة المال والجاه واللام في ليمكروا على أصله عند الأشاعرة واستدلوا به على أن الشر بارادة الله تعالى وحمله المعتزلة على لام العاقبة مجازا كما حملوا الجعل في قوله وكذلك جعلنا على التخلية والخذلان ثم قال في معرض التهديد وما يمكرون الا بأنفسهم لأن وباله يعود عليهم وما يشعرون وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وآله وتقديم موعد بالنصرة ثم انه سبحانه حكى قول أبي جهل وأضرابه زاحمنا بني عبد مناف في الشرف الى آخره وقول الوليد بن المغيرة لو كانت النبوة حقا لكنت أولى بها منك لأني أكبر منك سنا وأكثر منك مالا فقال واذا جاءتهم آية أي معجزة ظاهرة أو وحي قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله قال الضحاك أراد كل واحد منهم ذلك كما في الآية الأخرى بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة ويشبه أن يكون هذا الكلام الخبيث هو المراد بالمكر المذكور في الآية المتقدمة وللمفسرين في مقترحهم قولان أحدهما هو الأشهر انهم أرادوا أن تحصل لهم النبوة والرسالة كما حصلت للنبي صلى الله عليه وسلم وأن يكونوا متبوعين لا تابعين ومخدومين لا خادمين ثانيهما عن ابن عباس والحسن ان المعنى واذا جاءتهم آية من القرآن تأمرهم باتباع محمد صلى الله عليه وآله قالوا لن نؤمن حتى نعطى النبوة

الذبائح باديانهم كما يذبح المسلم بدينه سمى الله على ذبيحته أو لم يسمه الا أن يكون ترك من ذكر تسمية الله على ذبيحته على الدينونة بالتعطيل أو بعبادة شئ سوى الله فيحرم حينئذ أكل ذبيحته سمى الله أو لم يسم ❁ القول فى تأويل قوله (أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها) وهذا الكلام من الله جل ثناؤه يدل على نهيه المؤمنين برسوله يومئذ عن طاعة بعض المشركين الذين جادلوهم فى أكل الميتة بما ذكرنا منهم من جدالهم اياهم به وأمره اياهم بطاعة مؤمن منهم كان أو كافر فهداه جل ثناؤه لرشده ووفقه للايمان فقال لهم اطاعة من كان ميتا يقول من كان كافرا فجعله جل ثناؤه لانصرافه عن طاعته وجهله بتوحيده وشرائع دينه وتركه الاخذ بنصيبه من العمل لله بما يؤديه الى نجاته بمنزلة الميت الذى لا ينفع نفسه بنافعة ولا يدفع عنها من مكروه نازلة فأحييناه يقول فهديناه للاسلام فانعشناه فصار يعرف مضار نفسه ومنافعها ويعمل فى خلاصها من سخط الله وعقابه فى معاده فجعل ابصاره الحق تعالى ذكره بعد عماه عنه ومعرفته بوحدانيته وشرائع دينه بعد جهله بذلك حياة وضياء يستضئ به فيمشى على قصد السبيل ومنهج الطريق فى الناس كمن مثله فى الظلمات لا يدرى كيف يتوجه وأى طريق يأخذ لشدة ظلمة الليل واضلاله الطريق فكذلك هذا الكافر الضال فى ظلمات الكفر لا يبصر رشدا ولا يعرف حقائق فى ظلمات الكفر يقول أفطاعة هذا الذى هديناه للحق وبصرناه الرشاد كطاعة من مثله مثل من هو فى الظلمات متردد لا يعرف المخرج منها فى دعاء هذا الى تحريم ما حرم الله وتحليل ما أحل وتحليل هذا ما حرم الله وتحريمه ما أحل وقد ذكر ان هذه الآية نزلت فى رجلين باعيانهما معروفين أحدهما مؤمن والآخر كافر ثم اختلف أهل التأويل فيهما فقال بعضهم اما الذى كان ميتا فاحياه الله فعمر بن الخطاب رضى الله عنه واما الذى مثله فى الظلمات ليس بخارج منها فابوجهل بن هشام ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال أخبرنا سليمان بن أبى هوذة عن شعيب السراج عن أبى سنان عن الضحاك فى قوله أومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه كمن مثله فى الظلمات قال أبو جهل بن هشام وقال آخرون بل الميت الذى أحياه الله عمار بن ياسر رضى الله عنه واما الذى مثله فى الظلمات ليس بخارج منها فابو جهل بن هشام ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا سفيان بن عيينة عن بشر بن تيم عن رجل عن عكرمة أومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس قال نزلت فى عمار بن ياسر حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير عن ابن عيينة عن بشر بن تيم عن عكرمة أومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس عمار بن ياسر كمن مثله فى الظلمات أبو جهل بن هشام وبنحو الذى قلنا فى الآية قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله أومن كان ميتا فاحييناه قال ضالا فهديناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس قال هدى كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها قال فى الضلالة أبدا حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أومن كان ميتا فاحييناه وهديناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات

الارض ينبوعا الى قوله حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه من الله تعالى الى أبى جهل وفلان وفلان فالقوم ما طلبوا النبوة وانما طلبوا آيات قاهرة ومعجزات ظاهرة مثل معجزات الانبياء المتقدمين تدل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فقوله سبحانه فى جوابهم على سبيل الاستئناف الله أعلم حيث يجعل رسالته على القول الاول ظاهر وأما على القول الثانى فوجهه ان القوم اذا اقترحوا تلك الآيات فلو أظهر الله تعالى تلك المعجزات على وفق التماسهم لكانوا قد قربوا من منصب الرسالة قال بعض العقلاء الارواح متساوية فى تمام الماهية فحصول النبوة والرسالة لبعضها دون بعض تشريف من الله تعالى واحسان وتفضل وقال آخرون بل النفوس مختلفة بجواهرها وماهياتها فبعضها خيرة طاهرة عن علائق الجسمانيات مشرقة بالانوار الالهية مستعلية مؤثرة وبعضها خبيثة كدرة محبة للجسمانيات فالنفس ما لم تكن من القسم الاول لم تصلح لقبول الوحى والرسالة ومراتب الرسل مختلفة فمنهم ذو معجزة واحدة وذو معجزتين أو أكثر ومنهم من له تبع قليل ومنهم من آمن به جم غفير ومنهم من كان الرفق غالبا عليه ومنهم من كان مدار أمره على التغليظ والتشديد وفى الآية تعريض بان حصول النبوة والرسالة لابد فيه من قلب سليم والمقترحون فيهم من المكر والحسد ما فيهم فكيف يعقل حصول الرسالة لهم وانما يحصل لهم ما يناسب أخلاقهم وأحوالهم ولهذا قال تعالى سيصيب الذين أجرموا صغار ذل وهوان عند الله أى فى الآخرة أو فى الدنيا بحكم الله وايجابه من الاسر والقتل أو المراد من عند الله فحذف أو قوله عند الله مستأنف أى معد لهم ذلك واعلم ان كمال العقاب لابد فيه من أمرين الضرر والاهانة ثم ان القوم لما تمردوا عن طاعة محمد صلى الله عليه وآله طلبا للعز والكرامة فالله تعالى بين انه يقابلهم بضد مقصودهم فاول ما يوصل اليهم الذل والهوان وبعده عذاب شديد جميع ذلك بسبب مكرهم ونكرهم فمن يرد الله أن يهديه

في

يشرح صدره للاسلام يقال شرح فلان أمره اذا أظهره وأوضحه ومنه شرح المسئلة اذا بينها وقال الليث شرح الله صدره فانشرح أى وسعه لقبول ذلك الامر ولا شك ان توسيع الصدر غير ممكن على سبيل الحقيقة ولكن ههنا معنى وهو انه اذا اعتقد الانسان فى عمل من الاعمال ان نفعه زائد وخيره راجح مال طبعه اليه وقوى طلبه ورغبته فى حصوله وظهر فى القلب استعداد شديد لتحصيله فسميت هذه الحالة سعة الصدر وان

حصل فى القلب علم أو اعتقاد أو ظن بكون ذلك العمل مشتملا على ضرر زائد ومفسدة راجحة دعاه ذلك الى تركه وحصل فى النفس نبوة عن قبوله فيقال لهذه الحال ضيق الصدر لان المكان اذا كان ضيقا لم يتمكن الداخل من الدخول فيه واذا كان واسعا قدر على الدخول فيه وأكثر استعمال شرح الصدر فى جانب الحق والاسلام وقد ورد فى الكفر أيضا قال تعالى ولكن من شرح بالكفر صدرا قال المفسرون لما نزلت هذه الآية سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل كيف يشرح الله صدره فقال صلى الله عليه (١٧) وآله يقذف الله تعالى فيه نورا حتى ينفسح

فى الضلالة أبدا حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن رجل عن مجاهد أو من كان ميتا فأحييناه قال ضالا فهديناه حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على ابن أبى طلحة عن ابن عباس أو من كان ميتا فأحييناه يعنى من كان كافرا فهديناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس يعنى بالنور القرآن من صدق به وعمل به كمن مثله فى الظلمات يعنى بالظلمات الكفر والضلالة حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس يقول الهدى يمشى به فى الناس يقول فهو الكافر يهديه الله للاسلام يقول كان مشركا فهديناه كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أو من كان ميتا فأحييناه هذا المؤمن معه من الله نور وبينة يعمل بها ويأخذ واليها ينتهى كتاب الله كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها وهذا مثل الكافر فى الضلالة متحير فيها متسكع لا يجد مخرجا ولا منفذا حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس يقول من كان كافرا فجعلناه مسلما وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس وهو الاسلام يقول هذا كمن هو فى الظلمات يعنى الشرك حدثنى يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس قال الاسلام الذى هداه الله اليه كمن مثله فى الظلمات ليس من أهل الاسلام وقرأ الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور قال والنور يستضىء به ما فى بيته ويبصره وكذلك الذى آتاه الله هذا النور يستضىء به فى دينه ويعمل به فى نوره كما يستضىء صاحب هذا السراج قال كمن مثله فى الظلمات لا يدرى ما يأتى ولا ما يقع عليه ۞ القول فى تأويل قوله (كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون) يقول تعالى ذكره كما خذلت الكفار هذا الكافر الذى يجادلكم أيها المؤمنون بالله ورسوله فى أكل ما حرمت عليكم من المطاعم عن الحق فزينت له سوء عمله فرآه حسنا ليستحق به ما أعددت له من أليم العقاب كذلك زينت لغيره ممن كان على مثل ما هو عليه من الكفر بالله وآياته ما كانوا يعملون من معاصى الله ليستوجبوا بذلك من فعلهم ما لهم عند ربهم من النكال وفى هذا أوضح البيان على تكذيب الله الزاعمين أن الله فوض الامور الى خلقه فى أعمالهم فلا صنع له فى أفعالهم وانه قد سوى بين جميعهم فى الاسباب التى بها يصلون الى الطاعة والمعصية لان ذلك لو كان كما قالوا لكان قد زين لانبيائه وأوليائه من الضلالة والكفر نظير ما زين من ذلك لاعدائه وأهل الكفر به وزين لاهل الكفر به من الايمان به نظير الذى زين منه لانبيائه وأوليائه وفى اخباره جل ثناؤه أنه زين لكل عامل منهم عمله ما ينبئ عن الكفر والفسوق والعصيان وخص أعداءه وأهل الكفر بتزيين الكفر لهم والفسوق والعصيان وكره اليهم الايمان به والطاعة ۞ القول فى تأويل قوله (وكذلك جعلنا فى كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون الا بأنفسهم وما يشعرون) يقول جل ثناؤه وكما زينا للكافرين ما كانوا يعملون كذلك جعلنا بكل قرية عظماءها مجرميها يعنى أهل الشرك بالله والمعصية له ليمكروا فيها بغرور من القول أو بباطل من الفعل بدين الله

وينشرح فقيل له وهل لذلك من أمارة يعرف بها فقال صلى الله عليه وسلم الانابة الى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله وهذا البيان مناسب لما ذكرنا فان الانابة الى دار الخلود لا بد ان يترتب على اعتقاد ان عمل الآخرة والخير زائد النفع والتجافى عن دار الغرور وانما ينبعث عن اعتقاد كون عمل الدنيا زائد الضرر والضير والاستعداد للموت قبل نزوله نتيجة مجموع الامرين الزهد فى الدنيا والرغبة فى الآخرة أما قوله حرجا فمن قرأ بكسر الراء فعلى النعت ومن قرأ بالفتح فعلى الوصف بالمصدر للمبالغة قال الزجاج الحرج فى اللغة أضيق الضيق وقيل الحرج بالفتح جمع حرجة وهو الموضع الكثير الاشجار الذى لا تناله الراعية حكى الواحدى باسناده عن ابن عباس انه قرأ هذه الآية وقال هل ههنا أحد من بنى بكر قال رجل نعم قال ما الحرجة فيكم قال الوادى الكثير الاشجار المستمسك الذى لا طريق فيه فقال كذلك قلب الكافر ومعنى يصعد فى السماء كأنما يزاول أمرا غير ممكن لان صعود السماء مثل فيما يمتنع ويبعد عن الاستطاعة فكان الكافر فى نفوره من الاسلام وثقله عليه بمنزلة من يتكلف الصعود الى السماء وقيل المراد ان قلبه يتباعد عن الاسلام وقبوله تباعد ما بين الارض والسماء كذلك يجعل أى كما جعل ضيق الصدر فى قلوبهم

كذلك يجعل الرجس عليهم وقال الزجاج أى مثل ما قصصنا عليك يجعل الله الرجس عن ابن عباس هو الشيطان يسلطه الله عليهم وقال مجاهد الرجس ما لا خير فيه وعن عطاء الرجس هو العذاب وقال الزجاج هو اللعنة فى الدنيا والعذاب فى الآخرة قالت الاشاعرة فى الآية دلالة على ان الهداية والضلال من الله تعالى لانه بين أن العبد قادر على الايمان وعلى الكفر وقدرته بالنسبة الى الامرين سواء ولا يترجح الا بانضمام [illegible]

وأنبيائه وما يمكرون أى ما يحيق مكرهم ذلك الا بأنفسهم لان الله تعالى ذكره من وراء عقوبتهم على صدهم عن سبيله وهم لا يشعرون يقول لا يدرون ماقد أعد الله لهم من اليم عذابه فهم فى غيهم وعتوهم على الله يتمادون وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أكابر مجرميها قال عظماءها حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة أكابر مجرميها قال عظماءها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عكرمة نزلت فى المستهزئين قال ابن جريج عن عمرو بن عطاء عن عكرمة أكابر مجرميها الى قوله بما كانوا يمكرون بدين الله وبنبيه عليه السلام وعباده المؤمنين والاكابر جمع أكبر كالافاضل جمع أفضل ولو قيل هو جمع كبير فجمع أكابر لانه قد يقال أكبر كما قيل قل هل أنبئكم بالاخسرين أعمالا وأحدهم الخاسر لكان صوابا وحكى عن العرب سماعا الاكابرة والاصاغرة والاكابر والاصاغر بغير الهاء على نية النعت كما يقال هو أفضل منك وكذلك تفعل العرب بما جاء من النعوت على افعل اذا أخرجوها الى الاسماء مثل جمعهم الاحمر والاسود الاحامر والاحامرة والاساود والاساودة ومنه قول الشاعر

ان الاحامرة الثلاثة أهلكت * مالى وكنت بهن قدما مولعا

الخمر واللحم السمين ادامه * والزعفران فلن أروح مبقعا

وأما المكر فانه الخديعة والاحتيال للممكور به بالغدر ليورطه الماكر به مكروها من الامر

﴿ القول فى تأويل قوله (واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالته) يقول تعالى ذكره واذا جاءت هؤلاء المشركين الذين يجادلون المؤمنين بزخرف القول فيما حرم الله عليهم ليصدوا عن سبيل الله آية يعنى حجة من الله على صحة ما جاءهم به محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله وحقيقته قالوا لنبى الله وأصحابه لن نؤمن يقول يقولون لن نصدق بما دعانا اليه محمد صلى الله عليه وسلم من الايمان به وبما جاء به من تحريم ما ذكر ان الله حرمه علينا حتى نؤتى يعنون حتى يعطيهم الله من المعجزات مثل الذى أعطى موسى من فلق البحر وعيسى من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص يقول تعالى ذكره الله أعلم حيث يجعل رسالته يعنى بذلك جل ثناؤه ان آيات الانبياء والرسل لم يعطها من البشر الا رسول مرسل وليس العادلون بربهم الاوثان والاصنام منهم فيعطوها يقول جل ثناؤه فأنا أعلم بمواضع رسالاتى ومن هو لها أهل فليس لكم أيها المشركون أن تتخيروا ذلك على أنتم لان تخير الرسول الى المرسل دون المرسل اليه والله أعلم اذا أرسل رسالة بموضع رسالاته ﴿ القول فى تأويل قوله (سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم معلمه ما هو صانع بهؤلاء المتمردين عليه سيصيب يا محمد الذين اكتسبوا الاثم بشركهم بالله وعبادتهم غيره صغار يعنى ذلة وهوان كما حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله قال الصغار الذلة وهو مصدر من قول القائل صغر يصغر صغارا وصغرا وهو أشد الذل واما قوله

صغار

للداعية الا علمه أو اعتقاده أو ظنه بكون ذلك الفعل مشتملا على مصلحة زائدة ومجموع القدرة مع الداعى يوجب الفعل ولابد ان تنتهى تلك الداعية الى تخليق الله وتكوينه دفعا للتسلسل فاذا خلق الله تعالى فى قلبه اعتقاد ان الايمان راجح المنفعة وهو المراد بشرح الصدر مال القلب اليه واذا خلق فى قلبه اعتقاد ان الايمان يعقبه سبب للمفسدة الدينية والدنيوية تنبا طبعه عنه وبقى على الكفر فاصل الآية ان من أراد الله منه الايمان قوى دواعيه اليه ومن أراد منه الكفر قوى صوارفه عن الايمان وقالت المعتزلة انه لا دلالة فى الآية على قولكم لانه ليس فيها أكثر من انه اذا أراد ان يهدى انسانا أو يضله فعل به كيت وكيت وليس فيها انه أراد ذلك أو لم يرد نظيره قوله لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا فبين انه كيف يفعل اللهو لو أراده ثم انه لم يرد ذلك بالاتفاق وأيضا لم قلتم انه أراد ومن يرد ان يضله عن الايمان بل المراد من يرد الله ان يهديه يوم القيامة الى طريق الجنة يشرح صدره للاسلام حتى يثبت عليه وتفسير الشرح هو انه يفعل به ألطافا تدعوه الى البقاء على الايمان والثبات عليه ومن يرد أن يضله عن طريق الجنة فعند ذلك يلقى فى صدره الضيق والحرج لا فى كل الاوقات بل فى بعضها كيلا يمكن دفعه وخصوصا عند ظهور نصرة المؤمنين وبدو الذل والصغار فى الكافرين وأيضا لم لا يجوز أن يقال المعنى فمن يرد الله ان يهديه الى الجنة يشرح صدره للاسلام فى ذلك الوقت الذى يهديه فيه الى الجنة لما رأى من فوائد الايمان ونتائجه من الدرجات العالية والمراتب الشريفة فتزداد رغبته فيه ومن يرد أن يضله يوم القيامة عن طريق الجنة ففى ذلك الوقت يضيق صدره للحزن الشديد الذى ناله عند الحرمان من الجنة والدخول فى النار وقال فى الكشاف فمن يرد الله أن يهديه ان يلطف به ولا يريد ان يلطف الا بمن له لطف يشرح صدره للاسلام يلطف به حتى يرغب فى الاسلام وتسكن اليه نفسه ويحب الدخول فيه ومن يرد أن يضله أى يخذله ويخليه وشأنه وهو الذى لا لطف له يجعل صدره ضيقا حرجا يمنعه ألطافه حتى يقسو قلبه وينبو عن قبول الحق ويفسد فلا يدخله الايمان وأجيب عن قولهم ليس فى الآية انه أراد ذلك أو لم يرد بان قوله فى آخر الآية كذلك يجعل الله الرجس تصريح بانه فعل به ذلك الاضلال لان الكاف للتشبيه والتقدير كما جعلنا ذلك الضيق والحرج فى صدره كذلك يجعل وفيه أيضا دلالة على ان المراد من قوله ومن يرد أن يضله هو انه

يضله عن الدين وتفسير الضيق والحرج بامتلاء الغم والحزن على قلب الكافر بعيد لان أكثر من يعتريه الحزن في الدنيا هو المؤمن ولهذا قال صلى الله عليه وآله خص البلاء بالانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل ولو خص ذلك بالآخرة كان من ايضاح الواضحات فمن المعلوم لكل أحد ان من يضله الله عن طريق الجنة فانه يضيق قلبه في ذلك الوقت والجواب على قول صاحب الكشاف مما مر من ان فعل الايمان يتوقف على ان تحصل في القلب داعية جازمة الى الايمان وفاعل تلك الداعية هو الله تعالى وكذا (١٩) القول في جانب الكفر فان سمى الداعيتين أحد باللطف والخذلان فلا مشاحة في الاسامي قال القاضي في تفسيره روى عن محمد بن كعب القرظي انه قال تذاكرنا أمر القدرية عند ابن عمر فقال لعنت القدرية على لسان سبعين نبيا فاذا كان يوم القيامة نادى مناد وقد جمع الناس بحيث يسمع الكل أين خصماء الله فيقوم القدرية قال ولا يخفى انهم الذين ينسبون أفعال العباد الى الله قضاء وقدرا وخلقا لانهم يقولون الذنب لله فاى ذنب لنا حتى تعاقبنا أنت الذي خلقته فينا وأردته منا وقضيته علينا ولم تخلقنا الا له ولا يسرت لنا غيره فهؤلاء لابد ان يكونوا خصماء الله أما الذين قالوا ان الله تعالى مكن وأزاح العلة وانما أتى العبد من قبل نفسه فكلامه موافق لما يعامل به من انزال العقوبة فهؤلاء منقادون لله تعالى لا خصماؤه هذا كلام القاضي وتجيب منه الاشاعرة فقالوا كيف يكون خصم الله من يقول ليس للعبد على الله حجة ولا استحقاق بوجه من الوجوه وان كل ما يفعله الرب في العبد فهو حكمة وصواب وليس للعبد على ربه اعتراض ولا مناظرة وكل ما يصل منه الى عباده حتى الملائكة والانبياء فهو تفضل منه واحسان لكن الخصم من يدعى عليه وجوب الثواب والعوض ويقول لو لم تعطني ذلك لخرجت عن الالهية وصرت معزولا عن الربوبية وكنت من السفهاء وان من واظب على الكفر سبعين سنة ثم انه في آخر رمق حياته قال لا اله الا الله محمد رسول الله عن القلب ثم مات فان رب العالمين اعطاه النعم الفائقة سنين غير محصورة ثم انه لو ترك ذلك لحظة واحدة قال العبد له انك معزول عن الالهية يحكى ان الشيخ أبا الحسن الاشعري لما فارق مجلس أستاذه أبي على الجبائي وترك مذهبه وكثر اعتراضه على أقاويله عظمت الوحشة بينهما فاتفق ان أبا على عقد مجلس التذكير وحضر عنده جم غفير فذهب الشيخ أبو الحسن الى ذلك المجلس مختفيا عن الجبائي وقال لبعض من حضر هناك من العجائز

صغار عند الله فان معناه سيصيبهم صغار من عند الله كقول القائل سيأتيني رزق الله يراد بذلك سيأتيني الذي لي عند الله وغير جائز لمن قال سيصيبهم صغار عند الله ان يقول جئت عند عبد الله بمعنى جئت من عند عبد الله لان معنى سيصيبهم صغار عند الله سيصيبهم الذي عند الله من الذل بتكذيبهم رسوله فليس ذلك بنظير جئت من عند عبد الله وقوله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون يقول يصيب هؤلاء المكذبين بالله ورسوله المستحلين ما حرم الله عليهم من الميتة مع الصغار عذاب شديد بما كانوا يكيدون الاسلام وأهله بالجدال بالباطل والزخرف من القول غرورا لاهل دين الله وطاعته ❁ القول في تأويل قوله (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام) يقول تعالى ذكره فمن يرد الله أن يهديه للايمان به وبرسوله وما جاء به من عنده فيوفقه له يشرح صدره للاسلام يقول فسح صدره لذلك وهونه عليه وسهله له بلطفه ومعونته حتى يستنير للاسلام في قلبه فيضيء له ويتسع له صدره بالقبول كالذي جاء الاثر به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي حدثنا سوار بن عبد الله العنبري قال ثنا المعتمر بن سليمان قال سمعت أبي يحدث عن عبد الله بن مرة عن أبي جعفر قال لما نزلت هذه الآية فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام قالوا كيف يشرح الصدر قال اذا نزل النور في القلب انشرح له الصدر وانفسح قالوا فهل لذلك آية يعرف بها قال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل الموت حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن عمرو بن قيس عن عمرو بن مرة عن أبي جعفر قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم أي المؤمنين أكيس قال أكثرهم للموت ذكرا وأحسنهم لما بعده استعدادا قال وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام قالوا كيف يشرح صدره يا رسول الله قال نور يقذف فيه فينشرح له وينفسح قالوا فهل لذلك من امارة يعرف بها قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل الموت حدثنا هناد قال ثنا قبيصة عن سفيان عن عمرو بن مرة عن رجل يكنى أبا جعفر كان يسكن المدائن قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام قال نور يقذف في القلب فينشرح وينفسح قالوا يا رسول الله هل له من امارة يعرف بها ثم ذكر مافي الحديث مثله حدثني محمد بن العلاء قال ثنا سعيد بن عبد الملك بن واقد الحراني قال ثنا محمد بن سلمة عن أبي عبد الرحيم عن زيد بن أبي أنيسة عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزلت هذه الآية فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام قال اذا دخل النور القلب انفسح وانشرح قالوا فهل لذلك من امارة يعرف بها قال الانابة الى دار الخلود والتنحي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل الموت حدثني سعيد بن الربيع الرازي قال ثنا سفيان بن عيينة عن خالد بن أبي كريمة عن عبد الله بن المسور قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل النور القلب انفسح وانشرح قالوا يا رسول الله وهل لذلك من علامة تعرف قال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت حدثني ابن سنان القزاز قال ثنا محبوب بن الحسن

الهاشمي عن يونس عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة عن عبد الله بن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام قالوا يارسول الله وكيف يشرح صدره قال يدخل فيه النور فينفسح قالوا وهل لذلك من علامة يارسول الله قال التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل أن ينزل الموت وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام أما يشرح صدره للاسلام فيوسع صدره للاسلام حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام بلا اله الا الله حدثني المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن ابن جريج قراءة فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام بلا اله الا الله يجعلها في صدره متسعا ۞ القول في تأويل قوله (ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا) يقول تعالى ذكره ومن أراد الله اضلاله عن سبيل الهدى يشغله بكفره وصده عن سبيله يجعل صدره بخذلانه وغلبة الكفر عليه حرجا والحرج أشد الضيق وهو الذي لا ينفذ من شدة ضيقه وهو ههنا الصدر الذي لا تصل اليه الموعظة ولا يدخله نور الايمان لرين الشرك عليه وأصله من الحرج والحرج جمع حرجة وهي الشجرة الملتف بها الاشجار لا يدخل بينها وبينها شيء لشدة التفافها بها كما حدثني المثنى قال ثنا الحجاج ابن المنهال قال ثنا هشيم قال ثنا عبد الله بن عمار رجل من أهل اليمن عن أبي الصلت الثقفي ان عمر بن الخطاب رحمة الله عليه قرأ هذه الآية ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا بنصب الراء قال وقرأ بعض من عنده من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ضيقا حرجا قال صفوان فقال عمر أبغوني رجلا من كنانة واجعلوه راعيا وليكن مدلجيا قال فأتوه به فقال له عمر يافتى ما الحرجة قال الحرجة فينا الشجرة تكون بين الاشجار التي لا تصل اليها راعية ولا وحشية ولا شيء قال فقال عمر كذلك قلب المنافق لا يصل اليه شيء من الخير حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا يقول من أراد الله ان يضله يضيق عليه صدره حتى يجعل الاسلام عليه ضيقا والاسلام واسع وذلك حين يقول وما جعل عليكم في الدين من حرج يقول ماجعل عليكم في الاسلام من ضيق واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم معناه شاكا ذكر من قال ذلك حدثنا عمران بن موسى قال ثنا عبد الوارث بن سعيد قال ثنا حميد عن مجاهد ضيقا حرجا قال شاكا حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ضيقا حرجا أما حرجا فشاكا وقال آخرون معناه ملتبسا ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة يجعل صدره ضيقا حرجا قال ضيقا ملتبسا حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن الحسن عن قتادة انه كان يقرأ ضيقا حرجا يقول ملتبسا وقال آخرون معناه انه من شدة الضيق لا يصل اليه الايمان ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن حبيب بن أبي عمرة عن سعيد بن جبير يجعل صدره ضيقا حرجا قال لا يجد مسلكا الا صعدا حدثنا

إني أعلم المسئلة فاذكر بها هذا الشيخ قوله كان لي ثلاثة من البنين واحد في غاية الزهد وآخر في غاية الفسق والثالث كان صبيا لم يبلغ فماتوا على هذه الصفات فاخبرني أيها الشيخ عن أحوالهم فقال الجبائي أما الزاهد ففي درجات الجنة وأما الكافر ففي دركات النار وأما الصبي فمن أهل السلامة فقال قوله ان الصبي لو أراد ان يذهب الى تلك الدرجات العالية التي حصل فيها أخوه الزاهد فهل يمكن منه قال الجبائي لا لان الله تعالى يقول له انما أخوك وصل الى تلك الدرجات (٢٠) لانه أتعب نفسه في العلم والعمل وأنت فليس معك ذلك فقال أبو الحسن قوله فلو ان الصبي يقول يارب العالمين ليس الذنب لي لانك امتني قبل بلوغي ولو أبلغتني فربما زدت على أخي الزاهد في الزهد فقال الجبائي يقول الله تعالى له علمت انك لو عشت لطغيت وكفرت وكنت تستوجب النار فراعيت مصلحتك فقال له أبو الحسن قوله لو ان الاخ الكافر الفاسق رفع رأسه من الدرك الاسفل من النار وقال يارب العالمين ويا أحكم الحاكمين ويا أرحم الراحمين لم راعيت حال الاخ الصغير وماراعيت حالي ومصلحتي قال الراوي فانقطع الجبائي فنظر فرأى أبا الحسن فعلم ان المسئلة منه لامن العجوز ثم ان أبا الحسن البصري جاء بعد أدوار وأكثر تعجبا عن الجبائي قال لا نحن لانرضى بهذا الجواب وانما نقول الجواب مبني على مسئلة اختلف شيوخنا فيها وهي انه هل يجب على الله تعالى ان يكلف العبد أم لا فقال البصريون انه غير واجب ولكنه تفضل واحسان وقال البغداديون انه واجب وعلى الاول لله تعالى ان يقول لذلك الصبي اني طولت عمر الاخ الزاهد وكلفته على سبيل التفضل ولم يلزم من كوني متفضلا على أحد بشيء ان أتفضل على غيره بمثله وعلى قول البغداديين فلله ان يقول ان اطالة عمره أحسن وتوجيه التكليف في حقه لم يستلزم مفسدة الغير فلا جرم فعلته أما اطالة عمرك وتوجيه التكليف عليك فكان يلزم منه عود مفسدة الى غيرك فلهذا ما فعلته وظهر الفرق وأورد على القسم الاول انه تعالى لما أوصل التفضل الى أحدهما فالامتناع من ايصاله الى الثاني قبيح منه عقلا لانه ليس فعلا شاقا عليه ولا ينقص بذلك شيء من ملكه والصبي محتاج الى الاحسان اليه ومثل هذا الامتناع قبيح في الشاهد كمن منع غيره من النظر في مرآته المنصوبة على الجواد لعامة الناس فان كان حكم العقل في التحسين والتقبيح مقبولا فليكن ههنا أيضا معتبرا والا فلا يقبل في شيء من الصور وتبطل كلية مذهبكم وأورد على الشق الثاني ان

محمد

محمد بن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن عطاء الخراسانى ضيقا حرجا قال ليس للخير فيه منفذ حدثنى المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن معمر عن عطاء الخراسانى مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا بلا اله الا الله لا يجد لها فى صدره مساغا حدثنى المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن ابن جريج قراءة فى قوله ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا بلا اله الا الله حتى لا تستطيع ان تدخله * واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأه بعضهم ضيقا حرجا بفتح الحاء والراء من حرجا وهى قراءة عامة المكيين والعراقيين بمعنى جمع حرجة على ما وصفت وقرأ ذلك عامة قراء المدينة ضيقا حرجا بفتح الحاء وكسر الراء ثم اختلف الذين قرؤا ذلك فى معناه فقال بعضهم هو بمعنى الحرج وقالوا الحرج بفتح الحاء والراء والحرج بفتح الحاء وكسر الراء بمعنى واحد وهما لغتان مشهورتان مثل الدنف والدنف والوحد والوحد والفرد والفرد * وقال آخرون منهم بل هو بمعنى الاثم من قولهم فلان اثم حرج وذكر عن العرب سماعا منها حرج عليك ظلمى بمعنى ضيق واثم * والقول عندى فى ذلك انهما قراءتان مشهورتان ولغتان مستفيضتان بمعنى واحد وبأيتهما قرأ القارئ فهو مصيب لاتفاق معنيهما وذلك كما ذكرنا من الروايات عن العرب فى الوحد والفرد بفتح الحاء من الوحد والراء من الفرد وكسرهما بمعنى واحد وأما الضيق فان عامة القراء على فتح ضاده وتشديد يائه خلا بعض المكيين فانه قرأه ضيقا بفتح الضاد وتسكين الياء وتخفيفه وقد يتجه لتسكينه ذلك وجهان أحدهما ان يكون سكنه وهو ينوى معنى التحريك والتشديد كما قيل هين لين والآخر أن يكون سكنه بنية المصدر من قولهم ضاق هذا الامر يضيق ضيقا كما قال رؤبة

قد علمنا عند كل مأزق ضيق * بوجه الامر أى مضيق

ومنه قول الله ولا تك فى ضيق مما يمكرون وقال رؤبة أيضا * وسعها الله برحمتها ولك ضيق * بمعنى ضيق وحكى عن الكسائى انه كان يقول الضيق بالكسر فى المعاش والموضع وفى الامر الضيق وفى هذه الآية أبين البيان لمن وفق لفهمها عن ان السبب الذى به توصل الى الايمان والطاعة غير السبب الذى به توصل الى الكفر والمعصية وان كلا السببين من عند الله وذلك ان الله جل ثناؤه أخبر عن نفسه انه يشرح صدر من أراد هدايته للاسلام ويجعل صدر من أراد اضلاله ضيقا عن الاسلام حرجا كأنما يصعد فى السماء ومعلوم ان شرح الصدر للايمان خلاف تضييقه له وانه لو كان توصل بتضييق الصدر عن الايمان اليه لم يكن بين تضييقه عنه وبين شرحه له فرق ولكان من ضيق صدره عن الايمان قد شرح صدره له ومن شرح صدره له فقد ضيق عنه اذ كان موصلا بكل واحد منهما أعنى من التضييق والشرح الى ما يوصل به الى الآخر ولو كان ذلك كذلك وجب ان يكون الله قد كان شرح صدر أبى جهل للايمان به وضيق صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه وهذا القول من أعظم الكفر بالله وفى فساد ذلك ان يكون كذلك الدليل الواضح على ان السبب الذى به آمن المؤمنون بالله ورسله وأطاعه المطيعون غير السبب الذى كفر به الكافرون بالله وعصاه العاصون وان كلا السببين من عند الله وبيده لانه أخبر جل ثناؤه انه هو الذى شرح صدر هذا المؤمن به للايمان اذا أراد هدايته وضيق

قولنا تكليفه يتضمن مفسدة ليس معناه ان ذلك التكليف تتضمن المفسدة والا لم ينفك تكليف عن المفسدة وانه باطل بالاتفاق فمعناه اذن انه تعالى علم انه اذا كلف هذا الشخص فان انسانا آخر يختار من قبل نفسه فعلا قبيحا فان اقتضى هذا القدر ان يترك الله تعالى تكليفه وجب ان يقبح تكليف كل من علم الله من حاله انه يكفر والا لزم محض التحكم هذا تمام مناظرة الفريقين ولعلك قد عرفت التحقيق هنا فيما سلف فتذكر ثم قال وهذا صراط ربك فى المشار اليه وجوه منها انه المذكور فى الآية المتقدمة اما على مذهب الاشاعرة وهو ان الفعل يتوقف على الداعى وحصول تلك الداعية من الله تعالى فيكون الفعل من الله ويستلزم استناد الكل الى قضائه وقدره واما على مذهب المعتزلة فالمراد هذا الذى قررنا طريقته التى اقتضتها الحكمة وعادته الجارية فى عباده من التوفيق والخذلان ومعنى مستقيما عادلا مطردا وانتصابه على الحال المؤكدة والعامل ما فى اسم الاشارة من معنى الفعل أو هو محذوف أى أحقه وعن ابن عباس يريد هذا الذى أنت عليه يا محمد دين ربك وقال ابن مسعود يعنى القرآن قد فصلنا الآيات ذكرناها فصلا فصلا بحيث لا يختلط واحد منها بالآخر قال فى التفسير الكبير قد بين الله تعالى صحة القول بالقضاء والقدر فى آيات من هذه السورة متوالية متعاقبة بطرق كثيرة ووجوه مختلفة وختم الآية بقوله لقوم يذكرون لانه تقرر فى عقل كل واحد أن أحد طرفى الممكن لا يترجح عن الآخر الا لمرجح فكأنه يقول للمعتزلى تذكر ما تقرر فى عقلك ان الممكن لا يترجح أحد طرفيه الا لمرجح حتى تزول الشبهة عن قلبك فان حصول الفعل عن القادر لو لم يتوقف على الداعى مع تساوى طرفيه وجب ان يحصل هذا الاستغناء فى كل الممكنات والمحدثات وحينئذ يلزم نفى الصانع وابطال القول والفعل والفاعل والتأثير والمؤثر لما بين عظمة نعمته فى الصراط المستقيم بين ما أعد وهيأ للمتذكرين فقال لهم دار السلام أى دار الله يعنى الجنة والاضافة للتشريف والتعظيم كما قيل الكعبة بيت الله أو دار السلامة من كل آفة وكرب والسلام والسلامة مثل الضلال والضلالة والرضاع والرضاعة كلاهما مصدر وقيل السلام جمع السلامة لان أنواع السلامة حاصلة فى الجنة ومعنى عند ربهم انها معدة عنده [illegible] كما يقال لفلان عندى حق لا ينسى وذلك نهاية فى بيان وصولهم اليها وكونهم على ثقة من حصولها وهو وليهم أى قريب منهم بالرحمة والرضوان أو

صدرهذا الكافر عنه اذا أراد ضلاله ❁ القول فى تاويل قوله (كأنما يصعد فى السماء) وهذا مثل من الله تعالى ذكره ضربه لقلب هذا الكافر فى شدة تضيقه عن وصوله اليه مثل امتناعه من الصعود الى السماء وعجزه عنه لان ذلك ليس فى وسعه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن عطاء الخراسانى كأنما يصعد فى السماء يقول مثله كمثل الذى لا يستطيع ان يصعد فى السماء حدثنى المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن معمر عن عطاء الخراسانى مثله وبه قال أخبرنا ابن المبارك عن ابن جريج قراءة يجعل صدره ضيقا حرجا بلا اله الا الله حتى لا يستطيع ان يدخله كأنما يصعد فى السماء من شدة ذلك عليه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج مثله حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدى كأنما يصعد فى السماء من ضيق صدره واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل المدينة والعراق كأنما يصعد بمعنى يتصعد فادغموا التاء فى الصاد فلذلك شددوا الصاد وقرأ ذلك بعض الكوفيين يصاعد بمعنى يتصاعد فادغم التاء فى الصاد وجعلها صادا مشددة وقرأ ذلك قراء المكيين كأنما يصعد من صعد يصعد وكل هذه القراآت متقاربات المعانى وبأيها قرأ القارئ فهو مصيب غير انى أختار القراءة فى ذلك بقراءة من قرأه كأنما يصعد بتشديد الصاد بغير ألف بمعنى يتصعد لكثرة القراءة بها ولقيل عمر بن الخطاب رضى الله عنه ما يصعد بى شئ كما يصعد بى خطبة النكاح ❁ القول فى تاويل قوله (كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون) يقول تعالى ذكره كما يجعل الله صدر من أراد اضلاله ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء من ضيقه عن الايمان فيجزيه بذلك كذلك يسلط الله الشيطان عليه وعلى أمثاله ممن أبى الايمان بالله ورسوله فيغويه ويصده عن سبيل الحق وقد اختلف أهل التأويل فى معنى الرجس فقال بعضهم هو كل ما لا خير فيه ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال الرجس ما لا خير فيه حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون قال ما لا خير فيه * وقال آخرون الرجس العذاب ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون قال الرجس عذاب الله * وقال آخرون الرجس الشيطان ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية ابن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله الرجس قال الشيطان وكان بعض أهل المعرفة بلغات العرب من الكوفيين يقول الرجس والنجس لغتان ويحكى عن العرب انها تقول ما كان رجسا ولقد رجس رجاسة ونجس نجاسة وكان بعض نحويى البصريين يقول الرجس والرجز سواء وهما العذاب * والصواب من القول فى ذلك عندى ما قاله ابن عباس ومن قال ان الرجس والنجس واحد للخبر الذى روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اذا دخل الخلاء اللهم انى أعوذ بك من الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم حدثنى بذلك عبد الرحمن بن البخترى الطائى قال ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربى عن اسمعيل بن مسلم عن الحسن وقتادة عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم

موالىهم ومحبهم أو ناصرهم على أعدائهم وذلك ان القوم قد عرفوا ان المدبر والمقدر ليس الا هو جل جلاله وان النافع والضار ليس الا هو سبحانه فانقطعوا عن كل ما سواه فما كان رجوعهم الا اليه وما كان توكلهم الا عليه ولم يكن انسهم الا به فلما صاروا بالكلية له لا جرم قال سبحانه وهو وليهم على انه متكفل لجميع مصالحهم دينا ودنيا ثم قال بما كانوا يعملون أى بسبب أعمالهم أو متوليهم بجزاء ما كانوا يعملون لئلا يقطع العمل ولا يتكلوا وذلك ان بين النفس والبدن تعلقا شديدا وكان الهيآت النفسانية قد تؤثر فى البدن كحمرة الخجل وصفرة الوجل فالهيآت البدنية قد تصعد من البدن الى النفس فاذا واظب الانسان على أعمال الخير ظهرت الآثار المناسبة لها فى جوهر النفس فلا بد للسالك من العمل بعد كمال العلم والمعرفة ثم لما بين حال من تمسك بالصراط المستقيم أردفها بذكر من تعلق بضده فقال ويوم يحشرهم والمراد واذكر يوم كذا أو يوم نحشرهم قلنا أو متعلقه محذوف والتقدير ويوم نحشرهم وقلنا يا معشر الجن كان ما لا يوصف لفظاعته والضمير اما أن يعود الى الشياطين الذين تقدم ذكرهم فى قوله شياطين الانس والجن أو يعود الى جميع المكلفين الذين علموا ان الله تعالى يبعثهم من الثقلين وغيرهم ويكون القائل على تقدير حذف القول هو الله تعالى كأنه الحاشر لجميعهم وهذا القول منه تعالى بعد الحشر لا يكون الا للتبكيت وانهم وان تمردوا فى الدنيا انتهى حالهم فى الآخرة الى الاستسلام والانقياد والاعتراف وقال الزجاج التقدير فيقال لهم يا معشر الجن لانه يبعد ان يتكلم الله تعالى بنفسه مع الكفار لقوله ولا يكلمهم الله قد استكثرتم من الانس لا بد فيه من اضمار لان الجن أى الشياطين لا يقدرون على الاستكثار من نفس الانس فالمراد قد استكثرتم من اضلال الانس واستتباعهم فحشر معكم منهم الجم الغفير كما يقال استكثر الامير من الجنود واما قوله وقال أولياؤهم من الانس فالاقرب عند بعضهم ان فيه حذفا فكما قال للجن تبكيتا ناسب ان يقول للانس أيضا مثل ذلك توبيخا لانه حصل من الجن الدعاء ومن الانس القبول ولما بكت الله كلا الفريقين حكى جواب الانس وهو قوله ربنا استمتع بعضنا ببعض وفيه قولان الاول ان المراد استمتع الجن بالانس والانس بالجن وعلى هذا ففى الاستمتاع وجهان أحدهما ان الرجل كان اذا سافر فامسى بارض منفردا وخاف على نفسه قال أعوذ بسيد هذا

وقد

وقد بين هذا الخبران الرجس هو النجس القذر الذي لا خير فيه وانه من صفة الشيطان ۞ القول في تأويل قوله (وهذا صراط ربك مستقيما قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون) يقول تعالى ذكره وهذا الذي بيناه لك يا محمد في هذه السورة وغيرها من سور القرآن هو صراط ربك يقول طريق ربك ودينه الذي ارتضاه لنفسه دينا وجعله مستقيما لا اعوجاج فيه فاثبت عليه وحرم ما حرمته عليك واحلل ما أحللته لك فقد بينا الآيات والحجج على حقيقة ذلك وصحته لقوم يذكرون يقول لمن يتذكر ما احتج الله به عليه من الآيات والعبر فيعتبر بها وخص بها الذين يتذكرون لانهم أهل التمييز والفهم وأولوا الحجا والفضل فقيل يذكرون وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وهذا صراط ربك مستقيما يعني به الاسلام ۞ القول في تأويل قوله (لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون) يعني تعالى ذكره بقوله لهم للقوم الذين يذكرون آيات الله فيعتبرون بها ويوقنون بدلالتها على ما دلت عليه من توحيد الله ومن نبوة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وغير ذلك فيصدقون بما وصلوا بها الى علمه من ذلك وأما دار السلام فهي دار الله التي أعدها لاوليائه في الآخرة جزاء لهم على ما أبلوا في الدنيا في ذات الله وهي جنته والسلام اسم من أسماء الله تعالى كما قال السدي حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدي لهم دار السلام عند ربهم هو السلام والدار الجنة وأما قوله وهو وليهم فانه يقول والله ناصر هؤلاء القوم الذين يذكرون آيات الله بما كانوا يعملون يعني جزاء بما كانوا يعملون من طاعة الله ويبتغون رضوانه ۞ القول في تأويل قوله (ويوم يحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس) يعني تعالى ذكره بقوله ويوم يحشرهم جميعا ويوم يحشر هؤلاء العادلين بالله الاوثان والاصنام وغيرهم من المشركين مع أوليائهم من الشياطين الذين كانوا يوحون اليهم زخرف القول غرورا ليجادلوا به المؤمنين فيجمعهم جميعا في موقف القيامة يقول للجن يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس وحذف يقول للجن من الكلام اكتفاء بدلالة ما ظهر من الكلام عليه منه وعنى بقوله قد استكثرتم من الانس استكثرتم من اضلالهم واغوائهم كما حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية ابن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ويوم يحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس يعني أضللتم منهم كثيرا حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس قال قد أضللتم كثيرا من الانس حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله قد استكثرتم من الانس قال كثر من أغويتم حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن الحسن قد استكثرتم من الانس يقول أضللتم كثيرا من الانس ۞ القول في تأويل قوله (وقال أولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض) يقول تعالى ذكره فيجيب أولياء الجن من الانس فيقولون ربنا استمتع بعضنا ببعض في الدنيا فاما استمتاع الانس بالجن فكان كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال

الوادي من سفهاء قومه فيبيت آمنا في نفسه فهذا استمتاع الانس بالجن واما استمتاع الجن بالانس فهو ان الانسي اذا عاذ بالجني كان ذلك تعظيما منهم للجن وذلك الجني يقول قد سدت الجن والانس لان الانسي قد اعترف له بانه يقدر ان يدفع عنه وهذا قول الحسن وعكرمة والكلبي وابن جريج ويعضده قوله سبحانه وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن وثاني الوجهين ان الانس كانوا ينقادون للجن ويطيعون حكمهم فصار الجن كالرؤساء والانس كالاتباع فانتفعوا بالانس انتفاع الرئيس بالخادم واما انتفاع الانس بالجن فهو ان دلوهم على الشهوات واللذات الى ان بلغوا هذا المبلغ الذي أيقنوا انه بسوء عاقبتهم وهذا اختيار الزجاج فالقول الثاني ان البعضين كلاهما من الانس لان استمتاع الجن بالانس وبالعكس أمر قليل نادر وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا أي ذلك الاستمتاع كان حاصلا الى وقت محدود ثم جاءت الحسرة والندامة من حيث لا ينفع وما ذلك الاجل قيل هو وقت الموت وعلى هذا فكل من مات من مقتول وغيره فانه يموت باجله لانهم أقروا بانهم بلغوا أجلهم وفيهم المقتول وغير المقتول وقيل هو وقت التخلية والتمكين وقيل وقت المحاسبة في القيامة قال الله تعالى في جوابهم النار مثواكم مقامكم ومقركم من ثوى بالمكان يثوي ثويا اذا أقام به قال أبو علي الفارسي المثوى اسم المصدر دون المكان لان قوله تعالى خالدين فيها حال واسم الموضع لا يعمل عمل الفعل فالمعنى النار أهل ان يقيموا فيها خالدين الا ما شاء الله قيل المراد منه أوقات المحاسبة ووقت كونهم في المحشر كانه قيل خالدين فيها منذ يبعثون الا ما شاء الله من مقدار حشرهم من قبورهم ومقدار مدتهم في محاسبتهم وقال ابن عباس استثنى الله قوما سبق في علمه انهم يسلمون ويصدقون النبي صلى الله عليه وآله وعلى هذا يلزم ان يكون ما بمعنى من فيه خلال آخر وهو ان الاستثناء انما هو من يوم القيامة الذين يحشرون فيه وقيل المراد الاوقات التي ينقلون فيها من عذاب النار الى عذاب الزمهرير وروى انهم يدخلون واديا فيه برد شديد فهم يطلبون الرد من ذلك البرد الشديد الى حر الجحيم وقال في الكشاف ويكون هذا من قول الموتور الذي ظفر بواتره ولم يزل يحرق عليه انيابه وقد طلب اليه ان ينفس عن خناقه أهلكني الله ان نفست عنك الا اذا شئت فيكون قوله الا اذا شئت من أشد الوعيد مع تهكم لانه اطماع بخير ويأس كلي وقال أبو مسلم هذا الاستثناء غير راجع الى الخلود وانما هو راجع الى الاجل

المؤجل لهم كأنهم قالوا وبلغنا أجلنا الذى سميته لنا الا من أهلكته قبل الاجل المسمى يعنى الآجال الاخترامية ان ربك حكيم فيما يفعله من ثواب وعقاب وسائر وجوه المجازات عليم بما يستأهله كل طائفة فكأنه تعالى يقول انما حكمت لهؤلاء بعذاب الابد لعلمى انهم يستحقون ذلك ثم لما حكى عن الجن ان بعضهم يتولى بعضا بين ان ذلك انما حصل بتقديره وقضائه فقال وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا وذلك ان القدرة صالحة للعداوة والصداقة فترجيح أحد الجانبين لا يكون الا بداعية يخلقها الله قطعا للتسلسل وأيضا لما بين انه سبحانه ولى أهل الجنة بقوله وهو وليهم ذكر ان أولياء أهل النار من يشبههم فى الظلم والخزى والنكال وأشار اليه بقوله بما كانوا يكسبون أى بسبب كون ذلك البعض مكتسبا الظلم وهذا مناسبة فى غاية اللطف لان الجنسية علة الضم فالطيبات للطيبين والخبيثات للخبيثين وفى الآية دلالة على ان الرعية متى كانوا ظلمة فان الله تعالى يسلط عليهم ظالما مثلهم فان أرادوا الخلاص منه فليتركوا الظلم وعن مالك بن دينار قال جاء فى بعض الكتب السماوية انا الله مالك الملوك قلوب الملوك بيدى فمن أطاعنى جعلتهم عليهم رحمة ومن عصانى جعلتهم عليهم نقمة لا تشغلوا أنفسكم بسب الملوك لكن توبوا الى أعطفهم عليكم ثم بين ان كفار الثقلين لا يكون لهم الى الجحود يوم القيامة سبيل وانهم لا يعتذرون الا بالحجة فقال يا معشر الجن والانس قال أهل اللغة المعشر كل جماعة مختلطة يجمعهم أمر واحد ألم يأتكم رسل منكم استفهام على سبيل التقرير فلا جرم استدل الضحاك بالآية وبقوله وان من أمة الا خلا فيها نذير على ان من الجن رسلا كالانس ولان استئناس الجنس بالجنس أكمل ولهذا قال سبحانه ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا والاكثرون على انه ما كان من الجن رسول البتة انما كانت الرسل من بنى آدم وزعموا ان ذلك مجمع عليه ورد بأنه كيف ينعقد الاجماع مع حصول الاختلاف واستدل بعضهم على المطلوب بقوله تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين والمراد بالاصطفاء ههنا النبوة فالاجماع وأجيب عن قول الضحاك بان الآية تقتضى ان رسل الجن والانس تكون بعضا من أبعاض هذا المجموع فكأن هذا القدر كافيا فى حمل اللفظ على ظاهره فلا يلزم اثبات رسول من الجن وأيضا يحتمل ان يقال ان الرسل كانوا من الانس ثم كان من الجن نفر يستمعون من رسول الانس أولياؤهم

ثنى حجاج عن ابن جريج قوله ربنا استمتع بعضنا ببعض قال كان الرجل فى الجاهلية ينزل الارض فيقول أعوذ بكبير هذا الوادى فذلك استمتاعهم فاعتذروا يوم القيامة وأما استمتاع الجن بالانس فانه كان فيما ذكر ما ينال الجن من الانس من تعظيمهم اياهم فى استعاذتهم بهم فيقولون قد سدنا الجن والانس ﴿القول فى تأويل قوله (وبلغنا أجلنا الذى أجلت لنا) يقول تعالى ذكره قالوا وبلغنا الوقت الذى وقت لموتنا وانما يعنى جل ثناؤه بذلك انهم قالوا استمتع بعضنا ببعض أيام حياتنا الى حال موتنا كما حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى أما قوله وبلغنا أجلنا الذى أجلت لنا فالموت ﴿القول فى تأويل قوله (قال النار مثواكم خالدين فيها الا ماشاء الله ان ربك حكيم عليم) وهذا خبر من الله تعالى ذكره عما هو قائل لهؤلاء الذين يحشرهم يوم القيامة من العادلين به فى الدنيا الاوثان وكفر بانهم من الجن فاخرج الخبر عما هو كائن مخرج الخبر عما كان لتقدم الكلام قبله بمعناه والمراد منه فقال قال الله لاولياء الجن من الانس الذين قد تقدم خبره عنهم النار مثواكم يعنى نار جهنم مثواكم الذى تثوون فيه أى تقيمون فيه والمثوى هو المفعل من قولهم ثوى فلان بمكان كذا اذا أقام فيه خالدين فيها يقول لابثين فيها الا ماشاء الله يعنى الا ماشاء الله من قدر مدة ما بين مبعثهم من قبورهم الى مصيرهم الى جهنم فتلك المدة التى استثناها الله من خلودهم فى النار ان ربك حكيم فى تدبيره فى خلقه وفى تصريفه اياهم فى مشيئته من حال الى حال وغير ذلك من أفعاله عليم بعواقب تدبيره اياهم وما اليه صائر أمرهم من خير وشر وروى عن ابن عباس انه كان يتأول فى هذا الاستثناء ان الله جعل أمر هؤلاء القوم فى مبلغ عذابه اياهم الى مشيئته حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قال النار مثواكم خالدين فيها الا ماشاء الله ان ربك حكيم عليم قال ان هذه الآية انه لا ينبغى لاحد ان يحكم على الله فى خلقه أن لا ينزلهم جنة ولا نارا ﴿القول فى تأويل قوله (وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون) اختلف أهل التأويل فى تأويل نولى فقال بعضهم معناه نجعل بعضهم لبعض وليا على الكفر بالله ذكر من قال ذلك حدثنا يونس قال ثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون وانما يولى الله بين الناس بأعمالهم فالمؤمن ولى المؤمن أين كان وحيث كان والكافر ولى الكافر أينما كان وحيثما كان ليس الايمان بالتمنى ولا بالتحلى * وقال آخرون معناه يتبع بعضهم بعضا فى النار من الموالاة وهو المتابعة بين الشئ من قول القائل واليت بين كذا وكذا اذا تابعت بينهما ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا فى النار يتبع بعضهم بعضا * وقال آخرون معنى ذلك تسليط بعض الظلمة على بعض ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا قال ظالمى الجن وظالمى الانس وقرأ ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين قال نسلط ظلمة الجن على ظلمة الانس * وأولى هذه الاقوال فى تأويل ذلك بالصواب قول من قال معناه وكذلك نجعل بعض الظالمين لبعض أولياء لان الله ذكر قبل هذه الآية ما كان من قول المشركين فقال جل ثناؤه وقال

أولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض وأخبر جل ثناؤه ان بعضهم أولياء بعض ثم عقب خبره ذلك بخبره عن ولاية بعضهم بعضا بتوليته اياهم فقال وكما جعلنا بعض هؤلاء المشركين من الجن والانس أولياء بعض يستمتع بعضهم ببعض كذلك نجعل بعضهم أولياء بعض فى كل الامور بما كانوا يكسبون من معاصى الله ويعملونه ۞ القول فى تأويل قوله (يامعشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى وينذرونكم لقاء يومكم هذا) وهذا خبر من الله جل ثناؤه عما هو قائل يوم القيامة لهؤلاء العادلين به من مشركى الانس والجن يخبر انه يقول لهم تعالى ذكره يومئذ يامعشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى يقول يخبرونكم بما أوحى اليهم من تنبيهى اياهم على مواضع حججى وتعريفى لكم أدلتى على توحيدى وتصديق أنبيائى والعمل بأمرى والانتهاء الى حدودى وينذرونكم لقاء يومكم هذا يقول يحذرونكم لقاء عذابى فى يومكم هذا وعقابى على معصيتكم اياى فتنتهوا عن معاصى وهذا من الله جل ثناؤه تقريع وتوبيخ لهؤلاء الكفرة على ما سلف منهم فى الدنيا من الفسوق والمعاصى ومعناه قد أتاكم رسل منكم ينبهونكم على خطأ ما كنتم عليه مقيمين بالحجج البالغة وينذرونكم وعيد الله على مقامكم على ما كنتم عليه مقيمين فلم تقبلوا ذلك ولم تتذكروا ولم تعتبروا واختلف أهل التأويل فى الجن هل أرسل منهم اليهم أم لا فقال بعضهم قد أرسل اليهم رسل كما أرسل الى الانس منهم رسل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبيد بن سليمان قال سئل الضحاك عن الجن هل كان فيهم مؤمن قبل ان يبعث النبى صلى الله عليه وسلم فقال ألم تسمع الى قول الله يامعشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى يعنى بذلك رسلا من الانس ورسلا من الجن فقالوا بلى * وقال آخرون لم يرسل منهم اليهم رسول ولم يكن له من الجن قط رسول مرسل وانما الرسل من الانس خاصة فأما من الجن فالنذر قالوا وانما قال الله ألم يأتكم رسل منكم والرسل من أحد الفريقين كما قيل مرج البحرين يلتقيان ثم قال يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج اللؤلؤ والمرجان من الملح دون العذب منهما وانما معنى ذلك يخرج من بعضهما أو من أحدهما قال وذلك كقول القائل لجماعة أدور ان فى هذه الدور لشرا وان كان الشر فى واحدة منهن فيخرج الخبر عن جميعهن والمراد به الخبر عن بعضهم وكما يقال أكلت خبزا ولبنا اذا اختلطا ولو قيل أكلت لبنا كان الكلام خطأ لان اللبن يشرب ولا يؤكل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله يامعشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم قال جمعهم كما جمع قوله ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها ولا يخرج من الانهار حلية قال ابن جريج قال ابن عباس هم الجن الذين لقوا قومهم وهم رسل الى قومهم فعلى قول ابن عباس هذا ان من الجن رسلا للانس الى قومهم فتأويل الآية على هذا التأويل الذى تأوله ابن عباس ألم يأتكم أيها الجن والانس رسل منكم فأما رسل الانس فرسل من الله اليهم وأما رسل الجن فرسل رسل الله من بنى آدم وهم الذين اذ سمعوا القرآن ولوا الى قومهم منذرين وأما الذين قالوا ان الله تعالى ذكره أخبر ان من الجن رسلا أرسلوا اليهم كما أخبر ان من الانس رسلا أرسلوا اليهم قالوا لو جاز ان يكون خبره عن رسل الجن بمعنى انهم رسل الانس جاز ان يكون خبره عن رسل الانس بمعنى انهم رسل الجن قالوا وفى

وينذرون قومهم بذلك قال واذ صرفنا اليك نفرا من الجن الآية وقد يسمى رسول الرسول رسولا كما انه تعالى سمى رسل عيسى رسل نفسه فقال اذ أرسلنا اليهم اثنين ثم انه سبحانه يكون قد بكت كفار الثقلين بهذه الآية لانه أزال العذر وأزاح العلة بسبب انه أرسل الرسل اليهم فاذا وصلت البشارة فالنذارة الى الكل بهذا الطريق فقد حصل المقصود وقال الواحدى أراد رسل من أحدكم وهو الانس كقوله يخرج منهما اللؤلؤ أى أحدهما وهو الملح الذى ليس بعذب وعن الكلبى كانت الرسل قبل أن يبعث محمد يبعثون الى الانس ورسول الله صلى الله عليه وآله بعث الى الجن والانس اما قوله يقصون عليكم آياتى فالمراد منه التنبيه على الادلة بالتأويل وبالتلاوة وينذرونكم لقاء يومكم هذا يخوفونكم عذاب هذا اليوم فلم يجدوا بدا من الاعتراف فلذلك قالوا شهدنا على أنفسنا والسبب فى انهم اقروا فى هذه الآية وجحدوا فى قوله والله ربنا ما كنا مشركين هو انهم مختلفو الاحوال فى يوم القيامة مضطربون فتارة يقرون وأخرى يجحدون ومنهم من حمل هذه الشهادة على شهادة الجوارح عليهم ثم أخبر الله تعالى عن حالهم فى الدنيا بقوله وغرتهم الحياة الدنيا وعن حالهم فى الآخرة بقوله وشهدوا على أنفسهم انهم كانوا كافرين والمقصود من شرح أحوالهم فى القيامة زجر أمثالهم فى الدنيا عن الكفر والمعصية وقد يستدل بالآية على ان لا وجوب قبل ورود الشرع والا لم يكن لهذا التوبيخ والتبكيت فائدة * التأويل أومن كان ميتا فى حالة العدم فأحييناه بالحياة الحقيقية أى بالحى الذى لا يموت وجعلنا له نور الوجود الحقيقى الذى يمشى به فى الناس وبه يسمع وبه يبصر كمن هو محبوس فى ظلمات الطبيعة وكذلك جعلنا فى كل قرية أى كل قالب أكابر مجرميها من النفس والهوى والشيطان ليمكروا فيها بمخالفات الشرع وموافقات الطبع ما أوتى رسل الله من القلب والسر والروح يشرح صدره أى ينظر الى قلبه بنظر العناية فينوره بنور جماله وهو نور الايمان فيشرح الصدر بضوء النور الواقع فى القلب وهذا الضوء هو المسمى بنور الاسلام وهذا النور يقبل الزيادة والاستعداد الى أن يصير الاسلام ايمانا والايمان ايقانا والايقان عيانا والعيان عيانا [illegible] ظلمات صفات البشرية حرجا لتعلقاته بالدنيا وشهواتها كأنما يصعد فى السماء لانه يميل بالطبع الى السفل [illegible] الا بالتصعيد والقسر وهذا الذى يناسب الهداية والضلالة [illegible]

ربك باللطف والقهر فبجذبات اللطف يهدي السعيد وبسطوات القهر يضل الشقي لهم دار السلام أي السلامة عن القطيعة في مقام العندية بالوصول الى الوحدة بعد الخروج عن ظلمات الاثنينية ويوم نحشرهم في موقف القالب البشري بالحكمة البالغة والقدرة الكاملة يامعشر الجن أي الصفات الشيطانية قد استكثرتم من الانس أي غلبتم على الصفات الانسانية وقال أولياؤهم من الانس يعني النفس الامارة ربنا استمتع بعضنا ببعض واستمتاع النفس الامارة بالشيطان هو أن يستعين بصفات مكره على تحصيل شهواتها ولذاتها العاجلة وحظوظها واستمتاع الشيطان بالانس هو أن يستعين به على اضلال الخلق واغوائهم كما استعان بحواء على اغواء آدم وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا يعني ان مدة الاستمتاع وماجرى بيننا انما كان بمقتضى قضائك وقدرك فاجابهم بان الثوى في النار أيضا بقضاء الله الا أن يشاء الله فيتوب عليهم ان ربك حكيم في تقدير الاستمتاع عليم باهل الجنة وباهل النار وكذلك أي كما جعلنا مردة الجن والانس بعضهم أولياء بعض فكذلك نجعل بعض الظالمين أولياء بعض بما كانوا يكسبون من افساد الاستعداد الفطري ألم يأتكم رسل منكم يعني الالهامات الربانية وشهدوا على أنفسهم اقروا عند الحرمان عن السعادة العظمى انهم بذواتهم كانوا اصداء مرآت قلوبهم وان ليس للانسان الا ماسعى وان سعيه سوف يرى وما التوفيق الا منه (ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون وربك الغني ذو الرحمة ان يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم مايشاء كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين انما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين قل ياقوم اعملوا على مكانتكم اني عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار انه لايفلح الظالمون وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان

جل

لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء مايحكمون وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله مافعلوه فذرهم وما يفترون وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم وأنعام حرمت ظهورها وأنعام لايذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون وقالوا مافي بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا

فساد هذا المعنى مايدل على ان الخبرين جميعا بمعنى الخبر عنهم انهم رسل الله لان ذلك هو المعروف في الخطاب دون غيره ۞ القول في تاويل قوله (قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم انهم كانوا كافرين) وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن قول مشركي الجن والانس عند تقريعه اياهم بقوله لهم ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا انهم يقولون شهدنا على أنفسنا بان رسلك قد أتتنا باياتك وأنذرتنا لقاء يومنا هذا فكذبناها وجحدنا رسالتها ولم نتبع آياتك ولم نؤمن بها قال الله خبرا مبتدأ وغرت هؤلاء العادلين بالله الاوثان والاصنام وأولياؤهم من الجن الحياة الدنيا يعني زينة الحياة الدنيا وطلب الرياسة فيها والمنافسة عليها ان يسلموا لامر الله فيطيعوا فيها رسله فاستكبروا وكانوا قوما عالين فاكتفى بذكر الحياة الدنيا من ذكر المعاني التي غرتهم وخدعتهم فيها اذ كان في ذكرها مكتفى عن ذكر غيرها لدلالة الكلام على ماترك ذكره يقول الله تعالى وشهدوا على أنفسهم يعني هؤلاء العادلين به يوم القيامة انهم كانوا في الدنيا كافرين به وبرسله لتتم حجة الله عليهم باقرارهم على أنفسهم بما يوجب عليهم عقوبته وأليم عذابه ۞ القول في تاويل قوله (ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون) يقول تعالى ذكره ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم أي انما أرسلنا الرسل يامحمد الى من وصفت أمره وأعلمتك خبره من مشركي الانس والجن يقصون عليهم آياتي وينذرونهم لقاء معادهم الي من أجل ان ربك لم يكن مهلك القرى بظلم وقد يتجه من التاويل في قوله بظلم وجهان أحدهما ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم أي بشرك من أشرك وكفر من كفر من أهلها كما قال لقمان ان الشرك لظلم عظيم وأهلها غافلون يقول لم يكن يعاجلهم بالعقوبة حتى يبعث اليهم رسلا تنبههم على حجج الله عليهم وتنذرهم عذاب الله يوم معادهم اليه ولم يكن بالذي يؤاخذهم غفلة فيقولوا ماجاءنا من بشير ولا نذير والآخر ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم يقول ان لم يكن ليهلكهم دون التنبيه والتذكير بالرسل والآيات والعبر فيظلمهم بذلك والله غير ظلام للعبيد * وأولى القولين بالصواب عندي القول الاول ان يكون معناه ان لم يكن ليهلكهم بشركهم دون ارسال الرسل اليهم والاعذار بينه وبينهم وذلك ان قوله ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم عقيب قوله ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فكان في ذلك الدليل الواضح على ان نص قوله ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم انما هو انما فعلنا ذلك من أجل انا لانهلك القرى بغير تذكير وتنبيه وأما قوله ذلك فانه يجوز ان يكون نصبا بمعنى فعلنا ذلك ويجوز ان يكون رفعا بمعنى الابتداء كانه قال ذلك كذلك وأما ان فانها في موضع نصب بمعنى فعلنا ذلك من أجل ان لم يكن ربك مهلك القرى فاذا حذف ما كان يخفضها تعلق بها الفعل فنصب ۞ القول في تاويل قوله (ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون) يقول تعالى ذكره ولكل عامل في طاعة الله أو معصيته منازل ومراتب من عمله يبلغه الله اياها ويثيبه بها ان خيرا فخيرا وان شرا فشرا وما ربك بغافل عما يعملون يقول جل ثناؤه وكل ذلك من عملهم يامحمد بعلم من ربك يحصيها ويثبتها لهم عنده ليجازيهم عليها عند لقائهم اياه ومعادهم اليه ۞ القول في تاويل قوله (وربك الغني ذو الرحمة ان يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم مايشاء كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين) يقول

جل ثناؤه وربك يا محمد الذى أمر عباده بما أمرهم به ونهاهم عما نهاهم عنه وأثابهم على الطاعة وعاقبهم على المعصية الغنى عن عبادة الذين أمرهم بما أمر ونهاهم عما نهى وعن أعمالهم وعبادتهم اياه وهم المحتاجون اليه لانه بيده حياتهم ومماتهم وأرزاقهم وأقواتهم ونفعهم وضرهم يقول عز ذكره فلم أخلقهم يا محمد ولم آمرهم بما أمرتهم به وانههم عما نهيتهم عنه لحاجة لى اليهم ولا الى أعمالهم ولكن لاتفضل عليهم برحمتى وأثيبهم على احسانهم ان أحسنوا فانى ذو الرأفة والرحمة وأما قوله ان يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء فانه يقول ان يشأ ربك يا محمد الذى خلق خلقه لغير حاجة منه اليهم والى طاعتهم اياه يذهبكم يقول يهلك خلقه هؤلاء الذين خلقهم من ولد آدم ويستخلف من بعدكم ما يشاء يقول ويأتى بخلق غيركم وأمم سواكم يخلفونكم فى الارض من بعدكم يعنى من بعد فنائكم وهلاككم كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين كما أحدثكم وابتدعكم من بعد خلق آخرين كانوا قبلكم ومعنى من فى هذا الموضع التعقيب كما يقال فى الكلام أعطيتك من دينارك ثوبا بمعنى مكان الدينار ثوبا لا أن الثوب من الدينار بعض كذلك الذين خوطبوا بقوله كما أنشأكم لم يرد باخبارهم هذا الخبر انهم أنشئوا من أصلاب قوم آخرين ولكن معنى ذلك ما ذكرنا من انهم أنشئوا مكان خلق خلف قوم آخرين قد هلكوا قبلهم والذرية الفعلية من قول القائل ذرأ الله الخلق بمعنى خلقهم فهو يذرأهم ثم ترك الهمزة فقيل ذرى الله ثم أخرج الفعلية بغير همز على مثال العلية وقد روى عن بعض المتقدمين انه يقرأ من ذرية قوم آخرين على مثال فعلية وعن آخر انه كان يقرأ ومن ذرية على مثال علية والقراءة التى عليها القراء فى الامصار ذرية بضم الذال وتشديد الياء على مثال علية وقد بينا الاشتقاق ذلك فيما مضى قبل بما أغنى عن اعادته ههنا وأصل الانشاء الاحداث يقال قد أنشأ فلان يحدث القوم بمعنى ابتدأ وأخذ فيه ۞ القول فى تأويل قوله (انما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين) يقول تعالى ذكره للمشركين به أيها العادلون بالله الاوثان والاصنام ان الذى توعدكم به ربكم من عقابه على اصراركم على كفركم واقع بكم وما أنتم بمعجزين يقول لن تعجزوا ربكم هربا منه فى الارض فتفوتوه لانكم حيث كنتم فى قبضته وهو عليكم وعلى عقوبتكم بمعصيتكم اياه قادر يقول فاحذروه وأنيبوا الى طاعته قبل نزول البلاء بكم ۞ القول فى تأويل قوله (قل يا قوم اعملوا على مكانتكم انى عامل فسوف تعلمون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لقومك من قريش الذين يجعلون مع الله الها آخر اعملوا على مكانتكم يقول اعملوا على حيالكم وناحيتكم كما حدثنى على بن داود قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس يا قوم اعملوا على مكانتكم يعنى على ناحيتكم يقال منه هو يعمل على مكانته ومكينته وقرأ ذلك بعض الكوفيين على مكاناتكم على جمع المكانة والذى عليه قراء الامصار على مكانتكم على التوحيد انى عامل يقول جل ثناؤه لنبيه قل لهم اعملوا ما أنتم عاملون فانى عامل ما أنا عامله مما أمرنى به ربى فسوف تعلمون يقول فسوف تعلمون عند نزول نقمة الله بكم أينا كان المحق فى عمله والمصيب سبيل الرشاد أنا أم أنتم وقوله تعالى ذكره لنبيه قل لقومك يا قوم اعملوا على مكانتكم أمر منه له بوعيدهم وتهددهم لا اطلاق لهم فى عمل ما أرادوا من معاصى الله ۞ القول فى تأويل قوله (من تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون)

وان لم يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم انه حكيم عليم قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين) القراآت عما تعملون بتاء الخطاب ابن عامر مكاناتكم بالجمع حيث كان أبو بكر وحماد الباقون مكانتكم على التوحيد من يكون بالياء التحتانية حمزة وعلى وخلف الباقون بتاء التأنيث بزعمهم بضم الزاى على وكذلك ما بعده الباقون بالفتح زين على البناء للمفعول قتل بالرفع أولادهم بالنصب شركائهم بالجر ابن عامر الآخرون زين على البناء للفاعل قتل بالنصب أولادهم بالجر شركاؤهم بالرفع وان تكن بتاء التأنيث ابن عامر ويزيد وأبو بكر وحماد ميتة بالرفع ابن كثير وابن عامر ويزيد وقرأ يزيد ميتة بالتشديد ابن كثير وابن عامر الباقون بالتخفيف * الوقوف غافلون ٥ مما عملوا ط يعملون ٥ ذو الرحمة ط آخرين ٥ لا لان الواو بعده للحال بمعجزين ٥ عامل ج لابتداء التقدير مع فاء التعقيب يعلمون ٥ لا لان ما بعده مفعوله سواء كان من استفهامية أو موصولة عاقبة الدار ط الظالمون ٥ لشركائنا ج للشرط مع الفاء الى الله ج للفصل بين المتضادين معنى مع الاتفاق نظما شركائهم ط يحكمون ٥ دينهم ط يفترون ٥ افتراء عليه ط يفترون ٥ أزواجنا ج للشرط مع العطف شركاء ط وصفهم ط عليم ٥ على الله ط مهتدين ٥ * التفسير ذلك اشارة الى ما تقدم من بعثة الرسل اليهم وانذارهم سوء العاقبة وهو خبر مبتدأ محذوف أى الامر ذلك ويحتمل ان يكون مبتدأ خبره ان لم يكن وهو للتعليل والمعنى الامر ما قصصنا عليك أو ذلك الذى ذكر لانتفاء كون ربك مهلك القرى وان هى الناصبة للافعال أو مخففة من الثقيلة وعلى هذا يكون ضمير الشان محذوفا أى لان الحديث كذا ويجوز ان يكون أن لم يكن بدلا من ذلك كقوله وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع بمعنى قوله بظلم أى بسبب ظلم أقدموا عليه وهذا أليق بأصول الاشاعرة أو المراد ظالما لكم فيكون من فعل الله وهذا أنسب بأصول المعتزلة ومعناه انه تعالى لو أهلكهم قبل بعثة الرسل ولم ينبهوا برسول ولا كتاب كان ظالما وعلى هذا التفسير يمكن للاشاعرة ان يقولوا انه لو فعل ذلك لم يكن ظالما ولكنه يكون فى صورة الظالم فأطلق الظلم على نفسه مجازا والا فهو تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ولا اعتراض عليه لاحد فى شىء من أفعاله وأما قوله وأهلها غافلون فليس المراد ان هذه الغفلة أن يتغافل المرء

عما وعظ به وانما معناه انه لا يبين لهم كيفية الحال وان لا يزيل عذرهم وعلتهم قالت الاشاعرة في الآية دلالة على انه لا يحصل الوجوب قبل الشرع وان العقل المحض لا يدل على الوجوب البتة لانها تدل على انه تعالى ما يعذب أحدا على أمر من الامور قبل بعثة الرسل لكن بعدها فالمعتزلة قالوا انها تدل من وجه آخر على تقرير الوجوب قبل الشرع لان قوله بظلم ان كان عائدا الى العبد دل على انه يمكن أن يصدر منه الظلم والقبيح قبل البعثة وان كان عائدا الى الله تعالى فقد تم الاعتراف بتحسين العقل وتقبيحه ثم لما شرح أحوال أهل الثواب والعقاب ذكر كلاما كليا فقال ولكل درجات أي ولكل عامل في عمله درجات وعلى حسب تلك الدرجات يكون الجزاء ان خيرا فخير وان شرا فشر ومعنى مما عملوا أي من جزاء أعمالهم وقيل ان أول الآية مختصة بأهل الطاعات لان لفظ الدرجة يليق بهم ولأهل المعصية تكون الدركات واليه الاشارة بقوله وما ربك بغافل عما يعملون قالت الاشاعرة في الآية دليل على مسألة الجبر والقدر فانه تعالى حكم لكل واحد بدرجة معينة في وقت معين وبحسب فعل معين وأثبت تلك الدرجة في اللوح المحفوظ وأشهد عليها الملائكة وخلاف علمه واثباته واشهاده محال ثم بين انه ليس يحتاج طاعة المطيعين ولا يدخل عليه نقص بمعصية العاصين فقال وربك الغني ذو الرحمة اما انه غني في ذاته وصفاته وأفعاله وفي أحكامه عن كل ما سواه فلوجوب وجوده وان ما سواه ممكن لذاته مفتقر في الوجود وفي الامور التابعة للوجود اليه فلا غني الا هو واما انه ذو الرحمة فلان كل ما دخل في الوجود من الخيرات والراحات والكرامات والسعادات من الروحانيات ومن الجسمانيات فهو من الحق وبايجاده وتخليقه والاستقراء دل على ان الخير غالب كالصحة والشبع والسمع والبصر وما ذلك الا لرحمته الكاملة ورأفته الشاملة والذي يتصور من رحمة الوالدين وغيرهما فانما ذلك بايجاد داعية ذلك فيهم ومع ذلك فتمكن الشخص من الانتفاع بها ليس الا منه تعالى ومن هذا يعلم تنزهه تعالى عن الظلم والسفه والكذب والعبث ومن رحمته تكليف الخلائق ليعرضهم للمنافع الباقيات الدائمات ثم لما وصف نفسه بانه ذو الرحمة كان لظان ان يظن ان للرحمة معدنا مخصوصا وموضعا معينا فبين تعالى بقوله تعالى ان يشأ يذهبكم انه قادر على وضع الرحمة في هذا الخلق وقادر على أن يخلق قوما آخرين ويضع رحمته فيهم وعلى هذا الوجه يكون الاستغناء عن

يعني بقوله جل ثناؤه من تكون له عاقبة الدار فسوف تعلمون أيها الكفرة بالله عند معاينتكم العذاب من الذي تكون له عاقبة الدار منا ومنكم يقول من الذي تعقب دنياه ما هو خير له فيها أو شر منها بما قدم فيها من صالح أعماله أو سيئها ثم ابتدأ الخبر جل ثناؤه فقال انه لا يفلح الظالمون يقول انه لا ينجح ولا يفوز بحاجته عند الله من عمل بخلاف ما أمره الله به من العمل في الدنيا وذلك معنى ظلم الظالم في هذا الموضع وفي من التي في قوله من تكون له وجهان من الاعراب الرفع على الابتداء والنصب بقوله يعلمون لاعمال العلم فيه والرفع فيه أجود لان معناه فسوف تعلمون أينا له عاقبة الدار فالابتداء في من أصح وأفصح من اعمال العلم فيه ۞ القول في تأويل قوله (وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون) يقول تعالى ذكره وجعل هؤلاء العادلون بربهم الاوثان والاصنام لربهم مما ذرأ خالقهم يعني مما خلق من الحرث والانعام يقال منه ذرأ الله الخلق يذرؤهم ذرءا وذروا اذا خلقهم نصيبا يعني قسما وجزءا ثم اختلف أهل التأويل في صفة النصيب الذي جعلوا لله والذي جعلوه لشركائهم من الاوثان والشيطان فقال بعضهم كان ذلك جزءا من حروثهم وانعامهم يفردونه لهذا وجزءا آخر لهذا ذكر من قال ذلك حدثني اسحق بن ابراهيم بن حبيب بن الشهيد قال ثنا عتاب بن بشر عن خصيف عن عكرمة عن ابن عباس فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله الآية قال كانوا اذا أدخلوا الطعام فجعلوه حزما جعلوا منها لله سهما وسهما لآلهتهم وكان اذا هبت الريح من نحو الذي جعلوه لآلهتهم الى الذي جعلوه لله ردوه الى الذي جعلوه لآلهتهم واذا هبت الريح من نحو الذي جعلوه لله الى الذي جعلوه لآلهتهم أقروه ولم يردوه فذلك قوله ساء ما يحكمون حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا قال جعلوا لله من ثمراتهم ومالهم نصيبا وللشيطان والاوثان نصيبا فان سقط من ثمرة ما جعلوا لله في نصيب الشيطان تركوه وان سقط مما جعلوه للشيطان في نصيب الله التقطوه وحفظوه وردوه الى نصيب الشيطان وان انفجر من سقي ما جعلوه لله في نصيب الشيطان تركوه وان انفجر من سقي ما جعلوه للشيطان في نصيب الله سدوه فهذا ما جعلوا من الحروث وسقي الماء وأما ما جعلوا للشيطان من الانعام فهو قول الله ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم الآية وذلك ان أعداء الله كانوا اذا احترثوا حرثا أو كانت لهم ثمرة جعلوا لله منها جزءا وللوثن جزءا فما كان من حرث أو ثمرة أو شيء من نصيب الاوثان حفظوه وأحصوه فان سقط منه شيء فيما سمي لله ردوه الى ما جعلوا للوثن وان سبقهم الماء الى الذي جعلوه للوثن فسقى شيئا جعلوه لله جعلوا ذلك للوثن وان سقط شيء من الحرث والثمرة التي جعلوا لله فاختلط بالذي جعلوا للوثن قالوا هذا فقير ولم يردوه الى ما جعلوا لله وان سبقهم الماء الذي جعلوا لله فسقى ما سمي للوثن تركوه للوثن وكانوا يحرمون من انعامهم البحيرة والسائبة والوصيلة والحام فيجعلونه للاوثان ويزعمون انهم يحرمونه لله فقال الله في ذلك وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا الآية

حدثنا

العالمين أكمل وأتم ومعنى الاذهاب الاهلاك وان لا يبلغهم مبلغ التكليف يستخلف من بعدكم أى من بعد اذهابكم لان الاستخلاف لا يكون الا على طريق البدل من فائت وقوله ما يشاء أى خلق ثالث ورابع ثم اختلفوا فقال بعضهم خلقا آخرين من أمثال الجن والانس لكن أطوع وقال أبو مسلم يعنى خلقا ثالثا مخالفا للثقلين ليكون أقوى فى دلالة القدرة ثم بين سبب قدرته على ذلك فقال كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين لان من قدر على تصوير النطفة المتشابهة الاجزاء بهذه الصور المخصوصة قدر على تصويرها بصور أخرى مخالفة لها وقال فى

حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا قال يسمون لله جزأ من الحرث ولشركائهم وأوثانهم جزأ فما ذهبت به الريح مما سموا لله الى جزء أوثانهم تركوه وما ذهب من جزء أوثانهم الى جزء الله ردوه وقالوا الله عن هذا غنى والانعام السائبة والبحيرة التى سموا **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد نحوه **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا الآية عمد ناس من أهل الضلالة فجزؤا من حروثهم ومواشيهم جزأ لله وجزأ لشركائهم وكانوا اذا خالط شئ مما جزؤا لله فيما جزؤا لشركائهم خلوه فاذا خالط شئ مما جزؤا لشركائهم فيما جزؤا لله ردوه على شركائهم وكانوا اذا أصابتهم السنة استعانوا بما جزؤا لله وأقروا ما جزؤا لشركائهم قال الله ساء ما يحكمون **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد ابن ثور عن معمر عن قتادة وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا قال كانوا يجزؤن من أموالهم شيأ فيقولون هذا لله وهذا للاصنام التى يعبدون فاذا ذهب مما جعلوا لشركائهم فخالط ما جعلوا لله ردوه وان ذهب مما جعلوه لله فخالط شيأ مما جعلوه لشركائهم تركوه وان أصابتهم سنة أكلوا ما جعلوا لله وتركوا ما جعلوا لشركائهم فقال الله ساء ما يحكمون **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا الى يحكمون قال كانوا يقسمون من أموالهم قسما فيجعلونه لله ويزرعون زرعا فيجعلونه لله ويجعلون لآلهتهم مثل ذلك فما خرج للآلهة أنفقوه عليهم وما خرج لله تصدقوا به فاذا هلك الذى يصنعون لشركائهم وكثر الذى لله قالوا ليس بد لآلهتنا من نفقة وأخذوا الذى لله فانفقوه على آلهتهم واذا أجدب الذى لله وكثر الذى لآلهتهم قالوا لو شاء أزكى الذى له فلا يردون عليه شيأ مما للآلهة قال الله لو كانوا صادقين فيما قسموا لبئس اذا ما حكموا ان يأخذوا منى ولا يعطونى فذلك حين يقول ساء ما يحكمون وقال آخرون النصيب الذى كانوا يجعلونه لله فكان يصل منه الى شركائهم انهم كانوا لا يأكلون ما ذبحوا لله حتى يسموا الآلهة وكانوا ما ذبحوه للآلهة يأكلونه ولا يسمون الله عليه ذكر من قال ذلك **حدثنى** يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا حتى بلغ وما كان لله فهو يصل الى شركائهم قال كل شئ جعلوه لله من ذبح يذبحونه لا يأكلونه أبدا حتى يذكروا معه أسماء الآلهة وما كان للآلهة لم يذكروا اسم الله معه وقرأ الآية حتى بلغ ساء ما يحكمون وأولى التأويلين بالآية ما قال ابن عباس ومن قال بمثل قوله فى ذلك لان الله جل ثناؤه أخبر انهم جعلوا لله من حرثهم وأنعامهم قسما مقدرا فقالوا هذا لله وجعلوا مثله لشركائهم وهم أوثانهم باجماع من أهل التأويل عليه فقالوا هذا لشركائنا وان نصيب شركائهم لا يصل منه الى الله بمعنى لا يصل الى نصيب الله وما كان لله وصل الى نصيب شركائهم فلو كان وصول ذلك بالتسمية وترك التسمية كان اعيان ما أخبر الله عنه انه لم يصل جائزا ان تكون قد وصلت وما أخبر عنه انه قد وصل لم يصل وذلك خلاف ما دل عليه ظاهر الكلام لان الذبيحتين تذبح احداهما لله والاخرى للآلهة جائز ان تكون لحومهما قد اختلطت وخلطوها اذ كان المكروه كان عندهم تسمية الله

الكشاف المعنى كما أنشأكم من أولاد قوم آخرين لم يكونوا على مثل صفتكم وهم أهل سفينة نوح عليه السلام ثم ذكر حال المعاد فقال انما توعدون لآت قال الحسن أى من مجىء الساعة لانهم كانوا ينكرون القيامة ويحتمل ان يقال انما توعدون لآت اشارة الى لطفه أى ما يتعلق بالوعد والثواب فهو آت لا محالة وقوله وما أنتم بمعجزين أى خارجين عن قدرتنا وحكمنا اشارة الى قهره يقال أعجزه الشئ أى فاته فالجزم فى جانب الوعد والتعريض فى جانب الوعيد دليل على ان جانب الرحمة والاحسان أغلب ثم أمر نبيه صلى الله عليه وآله بتهديد منكرى البعث فقال قل يا قوم اعملوا على مكانتكم قال الواحدى قراءة الافراد أوجه لان المصدر لا يجمع فى أغلب الاحوال وقال فى الكشاف المكانة تكون مصدرا يقال مكن مكانة اذا تمكن أبلغ التمكن وبمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة فمعنى الآية اعملوا على تمكنكم من أمركم وأقصى استطاعتكم وامكانكم أو اعملوا على جهتكم وحالكم التى أنتم عليها يقال للرجل على مكانتك يا فلان أى اثبت على ما أنت عليه لا تنحرف عنه انى عامل على مكانتى التى أنا عليها والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم لى فانى ثابت على الاسلام وعلى مصابرتكم والغرض تفويض الامر اليه على سبيل التهديد كقوله اعملوا ما شئتم فسوف تعلمون أينا تكون له عاقبة المحمودة والفاء لتعقيب الجزاء الايعادى أى قل اعملوا فستجزون وهكذا فى سورة الزمر بخلاف سورة هود حيث لم يقل هنالك قل فصلوا استئنافا [illegible] من نصب ان كان بمعنى الذى أو رفع والجملة مفعول تعلمون ان كان بمعنى أى وعاقبة الدار العاقبة الحسنى التى خلق الله هذه الدار لها وهى مصدر كالعاقبة وهذا طريق من الانذار لطيف المسلك فيه انصاف وأدب [illegible] بان المنذر محق وان هذا [illegible] له فان الكافر تكون العاقبة عليه لا له

ثم حكى أنواعا من جهالاتهم وركاكة أقوالهم تنبيها على ضعف عقولهم وقلة محصولهم وتنفيرا للعقلاء عن الالتفات الى أقوال أمثالهم فقال وجعلوا لله قال الزجاج وجعلوا لله نصيبا ولشركائهم نصيبا بدليل قوله فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا وجعل الاوثان شركاء لانهم جعلوا لها نصيبا من أموالهم ينفقونها عليها ثم قال فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم وفي تفسيره وجوه قال ابن عباس كان المشركون يجعلون لله تعالى (٣٠) من حروثهم وانعامهم نصيبا وللاوثان نصيبا فما كان للصنم أنفقوه عليه وما كان لله أطعموه الضيفان والمساكين ولا يأكلون منه البتة ثم ان سقط شئ مما جعلوه لله في نصيب الاوثان تركوه وقالوا ان الله غني عن هذا وان سقط شئ مما جعلوا للاوثان في نصيب الله تعالى أخذوه وأدوه الى نصيب الصنم وقالوا انه فقير وانما ذلك لحبهم آلهتهم وايثارهم لها وعن الحسن والسدي كان اذا هلك لاوثانهم شئ أخذوا بدله مما لله ولا يفعلون مثل ذلك فيما لله تعالى وقال مجاهد انه اذا انفجر من سقي ما جعلوه للشيطان في نصيب الله عز وجل سدوه وان كان على ضد ذلك تركوه وقال قتادة اذا أصابتهم شدة استعانوا بالله واذا أصابتهم حسنة نسبوها الى شركائهم وقال مقاتل ان زكا ونما نصيب الالهة ولم يزك نصيب الله تركوا نصيب الالهة وقالوا لو شاء زكى نصيب نفسه واما ان زكا نصيب الله ولم يزك نصيب الالهة فانهم قالوا لا بد لآلهتنا من نفقة وأخذوا نصيب الاله تعالى فاعطوه السدنة فمعنى فلا يصل الى الله انه لا يصل الى الوجوه التي كانوا يصرفونه اليها من قرى الضيفان والتصدق على المساكين ومعنى الوصول الى شركائهم انهم ينفقونه عليها بذبح نسائك عندها والاجراء على سدنتها ونحو ذلك وقوله مما ذرأ فيه ان الله تعالى كان أولى بان يجعل له الزاكي لانه هو الذي ذرأه أي خلقه ثم انه سبحانه ذم فعلهم فقال ساء ما يحكمون وذكر العلماء فيه وجوها الاول انهم رجحوا جانب الاصنام في الرعاية والحفظ على جانبه وهو سفه الثاني جعلوا بعض الحرث لله وبعضه لغيره مع انه تعالى هو الخالق للجميع الثالث ان ذلك حكم أحدثوه من قبل أنفسهم ولم يشهد بصحته عقل ولا شرع وأشار اليه بقوله بزعمهم الرابع لو حسن افراز نصيب الاصنام لحسن افراز نصيب لكل حجر ومدر الخامس لا تأثير للاصنام في حصول الحرث والانعام ولا قدرة لها على الانتفاع بذلك النصيب فافراز النصيب لها عبث

على ما كان مذبوحا للآلهة تهتدون اختلاف الاعيان واتصال بعضها ببعض وأما قوله ساء ما يحكمون فانه خبر من الله جل ثناؤه عن فعل هؤلاء المشركين الذين وصف صفتهم يقول جل ثناؤه وقد أساؤا في حكمهم اذا أخذوا من نصيبي لشركائهم ولم يعطوني من نصيب شركائهم وانما عنى بذلك تعالى ذكره الخبر عن جهلهم وضلالتهم وذهابهم عن سبيل الحق بانهم لم يرضوا ان عدلوا بمن خلقهم وغذاهم وأنعم عليهم بالنعم التي لا تحصى ما لا يضرهم ولا ينفعهم حتى في اقسامهم عند أنفسهم بالقسم عليه ۞ القول في تأويل قوله (وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون) يقول تعالى ذكره وكما زين شركاء هؤلاء العادلين بربهم الاوثان والاصنام لهم ما زينوا لهم من تصييرهم لربهم من أموالهم قسما بزعمهم وتركهم ما وصل من القسم الذي جعلوه لله الى قسم شركائهم في قسمهم وردهم ما وصل من القسم الذي جعلوه لشركائهم الى قسم نصيب الله الى قسم شركائهم كذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم من الشياطين فحسنوا لهم وأد البنات ليردوهم يقول ليهلكوهم وليلبسوا عليهم دينهم فعلوا ذلك بهم ليخلطوا عليهم دينهم فيه فيلتبس فيضلوا ويهلكوا بفعلهم ما حرم الله عليهم ولو شاء الله ان لا يفعلوا ما كانوا يفعلون من قتلهم لم يفعلوه بان كان يهديهم للحق ويوفقهم للسداد فكانوا لا يقتلونهم ولكن الله خذلهم عن الرشاد فقتلوا أولادهم وأطاعوا الشياطين التي أغوتهم يقول الله لنبيه متوعدا لهم على عظيم فريتهم على ربهم فيما كانوا يقولون في الانصباء التي يقتسمون بها هذا لله وهذا لشركائنا وفي قتلهم أولادهم فذرهم يا محمد وما يفترون وما يتقولون على من الكذب والزور فاني لهم بالمرصاد ومن وراء العذاب والعقاب وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ليردوهم زينوا لهم من قتل أولادهم حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله قتل أولادهم شركاؤهم شياطينهم يأمرونهم ان يئدوا أولادهم خيفة العيلة حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد نحوه حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم الآية قال شركاؤهم زينوا لهم ذلك ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم قال شياطينهم التي عبدوها زينوا لهم قتل أولادهم حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ليردوهم أمرتهم الشياطين ان يقتلوا البنات واما ليردوهم فيهلكوهم واما يلبسوا عليهم فيخلطوا عليهم دينهم واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته قراء الحجاز والعراق وكذلك زين بفتح الزاي من زين لكثير من المشركين قتل أولادهم بنصب القتل شركاؤهم بالرفع بمعنى ان شركاء هؤلاء المشركين الذين زينوا لهم قتل أولادهم فيرفعون الشركاء بفعلهم وينصبون القتل لانه مفعول به وقرأ ذلك بعض قراء أهل الشام وكذلك زين بضم الزاي لكثير من

المشركين

النوع الثانى من أحكامهم الفاسدة قوله وكذلك زين كان أهل الجاهلية يدفنون بناتهم احياء خوفا من الفقر وأمن التزويج وكان الرجل يحلف بالله ان ولد له كذا غلاما لينحرن أحدهم كما فعل عبد المطلب على ابنه عبد الله والشركاء على الوجه الاول الشياطين الذين أطاعوهم فى معصية الله تعالى وعلى الثانى هم السدنة والخدام والاول قول مجاهد والثانى للكلبى وتقدير الكلام ومثل ذلك التزيين وهو تزيين الشرك فى قسمة القربان بين الله والالهة أو مثل ذلك التزيين البليغ الذى علم من الشياطين زين (٣١) لهم شركاؤهم من الشياطين أو من سدنة الاصنام قتل أولادهم بالوأد أو بالنحر ثم ان وجه القراءة الاكثرى ظاهر وليس فيها الا تقديم المفعول وذلك لشدة الاعتناء به واما قراءة ابن عامر فخطأها الزمخشرى من جهة الفصل بين المضاف والمضاف اليه بغير الظرف فان ذلك قد يجوز بالظرف كقوله لله در اليوم من لامها وضعف بغير الظرف كقوله فزججتها بمزجة زج القلوص مزاده * وحملوه على ضرورة الشعر مع الاستكراه والحق عندى فى هذا المقام ان القرآن حجة على غيره وليس غيره حجة عليه والقراآت السبع كلها متواترة فكيف يمكن تخطئة بعضها فاذا ورد فى القرآن المعجز مثل هذا التركيب لزم القول بصحته وفصاحته وان لا يلتفت الى انه هل ورد له نظير فى اشعار العرب وتراكيبهم أم لا وان ورد فكثير أم لا ومع ذلك فقد وجهه بعض الفضلاء بان المضاف اليه من الاول محذوف على نحو قوله * بين ذراعى وجبهة الاسد * والمضاف مضمر مع الثانى كقراءة من قرأ والله يريد الآخرة بالجر على تقدير عرض الآخرة فتقدير الآية قتل شركائهم أولادهم قتل شركاؤهم ومعنى ليردوهم ليهلكوهم بالاغواء قال ابن عباس ليردوهم فى النار واللام محمول على العاقبة ان كان التزيين من السدنة وعلى حقيقة التعليل ان كان من الشيطان وليلبسوا عليهم دينهم ليخلطوه عليهم ويشبهوه ودينهم ما كانوا عليه من دين اسمعيل فهذا الذى أتاهم بهذه الاوضاع الفاسدة أرادوا أن يزيلوهم عن ذلك الدين الحق وقيل دينهم الذى وجب أن يكونوا عليه وقيل ليوقعوهم فى دين ملتبس ولو شاء الله ما فعلوه أى ما فعل المشركون ما زين لهم أو لما فعل الشياطين والسدنة التزيين أو الارداء أو اللبس أو جميع ما ذكر ان جعل الضمير جاريا مجرى اسم الاشارة والمعتزلة حملوا هذه المشيئة على مشيئة الالجاء والقسر ثم قال فذرهم وما يفترون على قانون قوله اعملوا ما شئتم وفيه مع التهديد التسجيل على الأمور بأنه

المشركين قتل بالرفع أولادهم بالنصب شركائهم بالخفض بمعنى وكذلك زين لكثير من المشركين قتل شركائهم أولادهم ففرقوا بين الخافض والمخفوض بما عمل فيه من الاسم وذلك فى كلام العرب قبيح غير فصيح وقد روى عن بعض أهل الحجاز بيت من الشعر يؤيد قراءة من قرأ ما ذكرت من قراءة أهل الشام رأيت رواة الشعر وأهل العلم بالعربية من أهل العراق ينكرونه وذلك قول قائلهم * فزججته متمكنا زج القلوص مزاده * والقراءة التى لا أستجيز غيرها وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم بفتح الزاى من زين ونصب القتل بوقوع زين عليه وخفض أولادهم باضافة القتل اليهم ورفع الشركاء بفعلهم لانهم هم الذين زينوا للمشركين قتل أولادهم على ما ذكرت من التأويل وانما قلت لا أستجيز القراءة بغيرها لاجماع الحجة من القراء عليه وان تأويل أهل التأويل بذلك ورد ففى ذلك أوضح البيان على فساد ما خالفها من القراءة ولولا ان تأويل جميع أهل التأويل بذلك ورد ثم قرأ قارئ وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم بضم الزاى من زين ورفع القتل وخفض الاولاد والشركاء على ان الشركاء مخفوضون بالرد على الاولاد بان الاولاد شركاء آبائهم فى النسب والميراث كان جائزا ولو قرأه كذلك قارئ غير انه رفع الشركاء وخفض الاولاد كما يقال ضرب عبد الله أخوك فيظهر الفاعل بعد ان جرى الخبر بما لم يسم فاعله كان ذلك صحيحا فى العربية جائزا

۞ القول فى تأويل قوله (وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم) وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن هؤلاء الجهلة من المشركين انهم كانوا يحرمون ويحللون من قبل أنفسهم من غير أن يكون الله أذن لهم بشئ من ذلك يقول تعالى ذكره وقال هؤلاء العادلون بربهم من المشركين جهلا منهم لانعام لهم وحرث هذه أنعام وهذا حرث حجر يعنى بالانعام والحرث ما كانوا جعلوه لله ولآلهتهم التى قد مضى ذكرها فى الآية قبل هذه وقيل ان الانعام السائبة والوصيلة والبحيرة التى سموا حدثنى بذلك محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد الانعام السائبة والبحيرة التى سموا والحجر فى كلام العرب يقال حجرت على فلان كذا أى حرمت عليه ومنه قول الله ويقولون حجرا محجورا ومنه قول المتلمس * حنت الى النخلة القصوى فقلت لها * حجر حرام الا تلك الدهاريس * وقول رؤبة * وجارة البيت لها حجرى * يعنى المحرم ومنه قول الآخر

فبت مرتفقا والعين ساهرة * كأن نومى على الليل محجور

أى حرام يقال حجر وحجر بكسر الحاء وضمها وبضمها كان يقرأ فيما ذكر الحسن وقتادة حدثنى عبد الوارث بن عبد الصمد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن الحسين عن قتادة انه كان يقرؤها وحرث حجر يقول حرام مضمومة الحاء وأما القراء من الحجاز والعراق والشام فعلى كسرها وهى القراءة التى لا أستجيز خلافها لاجماع الحجة من القراء عليها وانها اللغة الجودى من لغات العرب وروى عن ابن عباس انه كان يقرؤها وحرث حرج بالراء قبل الجيم حدثنى بذلك الحرث قال ثنى عبد العزيز قال ثنا ابن عيينة عن عمرو عن ابن عباس انه كان يقرؤها كذلك وهى لغة ثالثة معناها ومعنى الحجر واحد وهذا كما قالوا جذب وجبذ وناء ونأى ففى الحجر اذا لغات ثلاث حجر بكسر الحاء والجيم قبل الراء وحجر بضم الحاء والجيم قبل الراء وحرج بكسر الحاء والراء قبل الجيم ونحو الذى قلنا فى تأويل

الحجر قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثني عمران بن موسى القزاز قال ثنا عبد الوارث عن حميد عن مجاهد وابن عمرو وحرث حجر يقول حرام حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله وحرث حجر فالحرما حرموا من الوصيلة وتحريم ما حرموا حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وحرث حجر قال حرام حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله هذه أنعام وحرث حجر الآية تحريم كان عليهم من الشياطين في أموالهم وتغليظ وتشديد وكان ذلك من الشياطين ولم يكن من الله حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي أما قوله وقالوا هذه أنعام وحرث فيقولون حرام أن نطعم الامن شئنا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله هذه أنعم وحرث حجر نحجرها على من نريد وعمن نريد لا نطعمها الا من نشاء بزعمهم قال انما احتجروا ذلك لآلهتهم وقالوا لا نطعمها الا من نشاء بزعمهم قالوا نحرجها عن النساء ونجعلها للرجال حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله انعام وحرث حجر ما حجر يقول محرم وذلك انهم كانوا يصنعون في الجاهلية أشياء لم يأمر الله بها كانوا يحرمون من انعامهم أشياء لا يأكلونها ويعزلون من حرثهم شيأ معلوما لآلهتهم ويقولون لا يحل لنا ما سمينا لآلهتنا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد انعام وحرث حجر ما جعلوه لله ولشركائهم حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله ۞ القول في تأويل قوله (وانعام حرمت ظهورها وانعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون) يقول تعالى ذكره وحرم هؤلاء الجهلة من المشركين ظهور بعض انعامهم فلا يركبون ظهورهم وهم ينتفعون برسلها ونتاجها وسائر الاشياء منها غير ظهورها للركوب وحرموا من انعامهم انعاما أخر فلا يحجون عليها ولا يذكرون اسم الله عليها ان ركبوها بحال ولا ان حلبوها ولا ان حملوا عليها وبما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا سفيان قال ثنا أبو بكر بن عياش عن عاصم قال قال لي أبو وائل أتدري ما انعام لا يذكرون اسم الله عليها قال قلت لا قال انعام لا يحجون عليها حدثنا محمد بن عباد بن موسى قال ثنا شاذان قال ثنا أبو بكر بن عياش عن عاصم قال قال لي أبو وائل أتدري ما قوله حرمت ظهورها وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها قال قلت لا قال هي البحيرة كانوا لا يحجون عليها حدثنا أحمد بن عمرو البصري قال ثنا محمد بن سعيد الشهيد قال ثنا أبو بكر بن عياش عن عاصم عن أبي وائل وانعام لا يذكرون اسم الله عليها قال لا يحجون عليها حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي اما انعام حرمت ظهورها فهي البحيرة والسائبة والحام وأما الانعام التي لا يذكرون اسم الله عليها اذا ولدوها ولا ان نحروها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله وانعام لا يذكرون اسم الله عليها قال كان من ابلهم طائفة لا يذكرون اسم الله عليها ولا في شيء من شأنها لا ان ركبوها ولا ان حلبوا ولا ان حملوا ولا ان منحوا ولا ان عملوا شيأ حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وانعام حرمت

لا يأتي منه الا الشر والشرك قيل انما قال في هذه الآية ولو شاء الله ما فعلوه ليكون مناسبا لقوله وجعلوا لله وقال فيما قبل ولو شاء ربك ما فعلوه لانه وقع عقيب آيات فيها ذكر الرب كقوله قد جاءتكم بصائر من ربكم الآيات النوع الثالث من أحكامهم الباطلة انهم قسموا أنعامهم أقساما فاولها ان قالوا هذه انعام وحرث حجر وحجر فعل بمعنى مفعول كالذبح والطحن ويستوي في الوصف به المذكر والمؤنث والواحد والجمع لان حكمه حكم الاسماء غير الصفات وأصل الحجر المنع وسمي الحجر لمنعه من القبائح وفلان في حجر القاضي أي في منعه كانوا اذا عينوا شيأ من حرثهم وانعامهم لآلهتهم قالوا لا يطعمها الا من نشاء يعنون خدم الاوثان والرجال دون النساء وثانيها ان قالوا هذه أنعام حرمت ظهورها وهي البحائر والسوائب والحوامي وقد سبق في المائدة وثالثها أنعام لا يذكرون اسم الله عليها في الذبح وانما يذكرون عليها أسماء الاصنام وقيل هي انعام لا يحجون عليها ولا يلبون على ظهورها وانما فعلوا ذلك كله من غير حكم من الله وشرع منه بل افتراء عليه وانتصابه على انه مفعول له أو حال أو مصدر مؤكد لان قولهم ذلك في معنى الافتراء ثم قال سيجزيهم بما كانوا يفترون والمقصود منه الوعيد والنوع الرابع من قضاياهم الفاسدة ان قالوا ما في بطون هذه الانعام يعنون أجنة البحائر والسوائب خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا هذا ان ولد حيا وان يكن ميتة فهم فيه شركاء أي اشترك فيه الذكور والاناث من قرأ بنصب ميتة فتقديره وان لم يكن ما في بطونها ميتة ومن قرأ بالرفع فعلى ان كان تامة أو لان التقدير وان يكن لهم أو هناك ميتة وانما جاز تذكير الفعل وتأنيثه لان تأنيث الميتة غير حقيقي أو لان الميتة لكل ميت ذكرا وأنثى فكانه قيل ميت ولهذا جاز عود الضمير اليه مذكرا في قوله فهم فيه شركاء وتذكير الضمير في قوله فهم للتغليب سيجزيهم وصفهم أي جزاء وصفهم على الله الكذب في التحليل والتحريم انه حكيم عليم ليكون الجزاء واقعا على حد الحكمة وبحسب الاستحقاق فان قيل كيف أنث خالصة وذكر محرم قلنا الاول حملا على المعنى لان ما في بطون الانعام في معنى الاجنة والثاني حمل على اللفظ وفي الاول وجهان آخران ان تكون التاء للمبالغة مثل راوية الشعر وان يكون مصدرا كالعاقبة والعافية أي ذو خالصة ثم انه سبحانه جمع قبائح أحكامهم وأفعالهم وحكم عليهم بالخسران والسفاهة وعدم العلم بالضلال وعدم الاهتداء

ظهورها قال لا يركبها أحد وانعام لا يذكرون اسم الله عليها وما قوله افتراء على الله فانه يقول فعل هؤلاء المشركون ما فعلوا من تحريمهم ما حرموا وقالوا ما قالوا من ذلك كذبا على الله وتخرصا الباطل عليه لانهم أضافوا ما كانوا يحرمون من ذلك على ما وصفه عنهم جل ثناؤه في كتابه الى ان الله هو الذى حرمه فنفى الله ذلك عن نفسه وأكذبهم وأخبر نبيه والمؤمنين انهم كذبة فيما يدعون ثم قال عز ذكره سيجزيهم يقول سيثيبهم ربهم بما كانوا يفترون على الله الكذب ثوابهم ويجزيهم بذلك جزاءهم

❁ القول في تأويل قوله (وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وان يكن ميتة فهم فيه شركاء) اختلف أهل التأويل في المعنى بقوله ما في بطون هذه الانعام فقال بعضهم عنى بذلك اللبن ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن عطية قال ثنا اسرائيل عن أبي اسحق عن عبد الله بن أبي الهذيل عن ابن عباس وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا قال اللبن حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى عن اسرائيل عن أبي اسحق عن ابن أبي الهذيل عن ابن عباس مثله حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا ألبان البحائر كانت للذكور دون النساء وان كانت ميتة اشترك فيها ذكورهم واناثهم حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا قال ما في بطون البحائر يعنى ألبانها كانوا يجعلونه للرجال دون النساء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عيسى بن يونس عن زكريا عن عامر قال البحيرة لا يأكل من لبنها الا الرجال وان مات منها شئ أكله الرجال والنساء حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمى قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا الآية فهو اللبن كانوا يحرمونه على اناثهم ويشربه ذكرانهم وكانت الشاة اذا ولدت ذكرا ذبحوه وكان للرجال دون النساء وان كانت أنثى تركت فلم تذبح وان كانت ميتة فهم فيه شركاء فنهى الله عن ذلك وقال آخرون بل عنى بذلك ما في بطون البحائر والسوائب من الاجنة ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وان يكن ميتة فهم فيه شركاء فهذه الانعام ما ولد منها حى فهو خالص للرجال دون النساء وأما ما ولد من ميت فيأكله الرجال والنساء حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن ابن جريج عن مجاهد ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا السائبة والبحيرة حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله * وأولى الاقوال في تأويل ذلك بالصواب ان يقال ان الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء الكفرة انهم قالوا في انعام بأعيانها ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا دون اناثنا واللبن مما في بطونها وكذلك أجنتها ولم يخصص الله بالخبر عنهم انهم قالوا بعض ذلك حرام عليهن دون بعض وان كان ذلك كذلك فالواجب ان يقال انهم قالوا ما في بطون تلك الانعام من لبن وجنين حل لذكورهم خالصة دون اناثهم وانهم كانوا يؤثرون بذلك رجالهم الا أن يكون الذى في بطونها من الاجنة ميتا فيشترك حينئذ في أكله الرجال والنساء واختلف أهل العربية في

فقال قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم الآية وذلك ان الولد نعمة عظيمة من الله تبقى ذكره ونسله فالسعى في ابطال مثل هذه النعمة اضر رمظنون هو الفقر أو نحوه أو لغائدة موهومة هى القربة الى الاصنام دليل خفة العقل وعدم العلم وانه موجب لخسران الدارين وكذا تحريم ما أحل الله من الطيبات بالهوى والتقليد بل لمحض الافتراء على الله وان ذلك من أعظم الذنوب وأكبر الكبائر ولهذا سجل عليهم أولا بالضلال ثم بعدم الاهتداء لتحصيل كلا الامرين لهم بالمطابقة كما حصل بالتضمن (٣٣) والله أعلم * التأويل مهلك القرى أى قرى أشخاص الانسان بظلم وهو صرف الاستعداد الفطرى في استيفاء اللذات الفانية وأهلها غافلون لم يبلغوا مبلغ التكاليف بعد وربك الغنى عن كل مخلوق عامة وعن الانسان خاصة ذو الرحمة خلقهم ليربحوا عليه لا ليربح عليهم اعملوا على مكانتكم أى على ما جبلتم عليه انى عامل على ما جبلت عليه من قتل أولادهم شركاؤهم من الشياطين والنفس والهوى والدنيا سيجزيهم بما كانوا يفترون لانهم ذهبوا مذهب الطبع لا مذهب الشرع والعمل بالطبع وان كان فيه نوع مجاهدة النفس لا يكون له نور اذا لم يكن لامتثال الشرع قد خسر الذين قتلوا أولادهم لان ذلك نتيجة انتزاع الرحمة عن قلوبهم وحرموا ما رزقهم الله صورة وهو ظاهر ومعنى وهو استعداد حصول مراتب أهل القرب وما كانوا مهتدين لان خشية الفقر حملتهم على قتل الاولاد وقال أهل التحقيق من أمارات اليقين وحقائقه كثرة العيال على بساط التوكل (وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه كلوا من ثمره اذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين ومن الانعام حمولة وفرشا كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين قل آالذكرين حرم أم الانثيين أما اشتملت عليه أرحام الانثيين نبئونى بعلم ان كنتم صادقين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آالذكرين حرم أم الانثيين أما اشتملت عليه أرحام الانثيين أم كنتم شهداء اذ وصاكم الله بهذا فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدى القوم الظالمين قل لا أجد فيما أوحى الى محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فانه رجس أو فسقا أهل لغير الله

به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان ربك غفور رحيم وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت
ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين
سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شئ كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم
فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان أنتم الا تخرصون (٣٤) قل فلله الحجة البالغة فلو شاء الله لهداكم أجمعين قل هلم شهداءكم الذين يشهدون
ان الله حرم هذا فان شهدوا فلا
تشهد معهم ولا تتبع أهواء الذين
كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون
بالآخرة وهم بربهم يعدلون)

المعنى الذى من أجله أنث الخالصة فقال بعض نحوى البصرة وبعض الكوفيين أنث لتحقيق الخلوص كأنه لما حقق لهم الخلوص أشبه الكثرة فجرى مجرى راوية ونسابة وقال بعض نحوى الكوفة أنث لتأنيث الانعام لان ما فى بطونها مثلها فأنث لتأنيثها ومن ذكره فلتذكير ما قال وهى فى قراءة عبد الله خالص قال وقد تكون الخالصة فى تأنيثها مصدرا كما تقول العافية والعاقبة وهو مثل قوله انا أخلصناهم بخالصة * والصواب من القول فى ذلك عندى ان يقال أريد بذلك المبالغة فى خلوص ما فى بطون الانعام التى كانوا حرموا ما فى بطونها على أزواجهم لذكورهم دون اناثهم كما فعل ذلك بالراوية والنسابة والعلامة اذا أريد بها المبالغة فى وصف من كان ذلك من صفته كما يقال فلان خالصة فلان وخلصانه وأما قوله ومحرم على أزواجنا فان أهل التأويل اختلفوا فى المعنى بالازواج فقال بعضهم عنى بها النساء ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ومحرم على أزواجنا قال النساء وقال آخرون بل عنى بالازواج البنات ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد ومحرم على أزواجنا قال الازواج البنات وقالوا ليس للبنات منه شئ * والصواب من القول فى ذلك ان يقال ان الله أخبر عن هؤلاء المشركين انهم كانوا يقولون لما فى بطون هذه الانعام يعنى أنعامهم هذا محرم على أزواجنا والازواج انما هى نساؤهم فى كلامهم وهن لا شك بنات من هن أولاده وحلائل من هن أزواجه وفى قول الله عز وجل ومحرم على أزواجنا الدليل الواضح على ان تأنيث الخالصة كان لما وصفت من المبالغة فى وصف ما فى بطون الانعام بالخلوص للذكور لانه لو كان لتأنيث الانعام لقيل ومحرمة على أزواجنا ولكن لما كان التأنيث فى الخالصة لما ذكرت ثم لم يقصد فى المحرم ما قصد فى الخالصة من المبالغة رجع فيها الى تذكيرها واستعمال ما هو أولى به من صفته وأما قوله وان يكن ميتة فهم فيه شركاء اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأه يزيد بن القعقاع وطلحة بن مصرف فى آخرين وان تكن ميتة بالتاء فى تكن ورفع ميتة غير ان يزيد كان يشدد الياء من ميتة ويخففها طلحة حدثنى بذلك المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى حماد قال ثنا عيسى عن طلحة بن مصرف وحدثنا أحمد بن يوسف عن القاسم واسمعيل بن جعفر عن يزيد وقال ذلك بعض قراء المدينة والكوفة والبصرة وان يكن ميتة بالياء وميتة بالنصب وتخفيف الياء وكان من قرأ وان يكن بالياء ميتة بالنصب أراد وان يكن ما فى بطون تلك الانعام فذكر يكن لتذكير ما ونصب الميتة لانه خبر يكن وأما من قرأه وان تكن ميتة فانه ان شاء الله أراد وان يكن ما فى بطونها ميتة فأنث تكن لتأنيث ميتة وقوله فهم فيه شركاء فانه يعنى ان الرجال وأزواجهم شركاء فى أكله لا يحرمونه على أحد منهم كما ذكرنا عمن ذكرنا ذلك عنه قبل من أهل التأويل وكان ابن زيد يقول فى ذلك ما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد وان يكن ميتة فهم فيه شركاء قال تأكل النساء مع الرجال ان كان الذى يخرج من بطونها ميتة فهم فيه شركاء وقالوا ان شئنا جعلنا للبنات فيه نصيبا وان شئنا لم نجعل وظاهر التلاوة بخلاف ما تأوله ابن زيد لان ظاهرها يدل على انهم قالوا ان يكن ما فى بطونها ميتة فنحن فيه شركاء بغير شرط مشيئة وقد زعم ابن زيد انهم جعلوا ذلك الى مشيئتهم ۞ القول فى تأويل قوله (سيجزيهم وصفهم انه

القراآت حصاده بفتح الحاء أبو عمرو وعاصم وابن عامر وسهل ويعقوب الباقون بالكسر وكلاهما مصدر من الضأن بغير همزة أبو عمرو وغير شجاع وأوقية والاعشى والاصبهانى عن ورش ويزيد وحمزة فى الوقف ومن المعز ساكن العين عاصم وحمزة وعلى وخلف ونافع وأبو جعفر وابن فليح وزمعة والخزاعى عن البزى والقواس غير ابن مجاهد وأبى عون عن قنبل عنه الباقون بفتحها الا أن تكون بتاء التأنيث ابن كثير وابن عامر ويزيد وحمزة وعباس من طريق ابن رومى عنه ميتة بالتخفيف والرفع ابن عامر وزاد يزيد التشديد الباقون بالياء وبالنصب الحوايا ممالة على وحمزة وخلف فقل ربكم وبابه مظهرا الحلوانى عن قالون والبرجمى * الوقوف متشابه ط ولا تسرفوا ط المسرفين ه لا لان قوله حمولة منصوب بأنشأ وفرشا ط الشيطان ط مبين ه لا لان ثمانية منصوب بأنشأ جنات ح أزواج ج لانقطاع النظم مع اتحاد المعنى المعز اثنين ط ارحام الانثيين ط لانتهاء الاستفهام صادقين ه لا لان اثنين منصوب أنشأ أيضا ومن البقر اثنين ط أرحام الانثيين ط لان أم فى قوله أم كنتم بمعنى ألف استفهام توبيخ بهذا ج للاستفهام مع الفاء ولانقطاع النظم مع اتحاد المعنى علم ط الظالمين ه لغير الله ج رحيم ه ظفر ج لانقطاع النظم مع اتحاد المعنى بعظم ط ببغيهم ز للابتداء بان واثبات وصف الصدق مطلقا والوصل وجه لان المعنى وانا لصادقون فيما أخبرنا عن التحريم ببغيهم ز واسعة ط لاختلاف الجملتين المجرمين ه من شئ ط بأسنا ط لنا ط تخرصون ه البالغة ج للشرط مع الفاء أجمعين ه حرم ج هذا فلا تشهد معهم ج
حكيم

حكيم عليم) يقول جل ثناؤه سيجزى أى سيثيب و يكافئ هؤلاء المفترين عليه الكذب فى تحريمهم مالم يحرمه الله وتحليلهم مالم يحلله الله واضافتهم كذبهم فى ذلك الى الله وقوله وصفهم يعنى بوصفهم الكذب على الله وذلك كما قال جل ثناؤه فى موضع آخر من كتابه وتصف ألسنتهم الكذب والوصف والصفة فى كلام العرب واحد وهما مصدران مثل الوزن والزنة وبنحو الذى قلنا فى معنى الوصف قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله سيجزيهم وصفهم قال قولهم الكذب فى ذلك **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن أبى جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبى العالية سيجزيهم وصفهم قال كذبهم **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة سيجزيهم وصفهم أى كذبهم وأما قوله انه حكيم عليم فانه يقول جل ثناؤه ان الله فى مجازاتهم على وصفهم الكذب وقيلهم الباطل عليه حكيم فى سائر تدبيره فى خلقه عليم بما يصلحهم وبغير ذلك من أمورهم ۞ القول فى تأويل قوله (قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين) يقول تعالى ذكره قد هلك هؤلاء المفترون على ربهم الكذب العادلون به الاوثان والاصنام الذين زين لهم شركاؤهم قتل أولادهم وتحريم ما حرمت عليهم من أموالهم فقتلوا طاعة لها أولادهم وحرموا ما أحل الله لهم وجعله لهم رزقا من انعامهم سفها منهم يقول فعلوا ما فعلوا من ذلك جهالة منهم بما لهم وعليهم ونقص عقول وضعف أحلام منهم وقلة فهم بعاجل ضره وآجل مكروهه من عظيم عقاب الله عليه لهم افتراء على الله يقول تكذيبا على الله وتخرصا عليه الباطل قد ضلوا يقول قد تركوا محجة الحق فى فعلهم ذلك وزالوا عن سواء السبيل وما كانوا مهتدين يقول ولم يكن فاعلو ذلك على هدى واستقامة فى أفعالهم التى كانوا يفعلون قبل ذلك ولا كانوا مهتدين للصواب فيها ولا موفقين له ونزلت هذه الآية فى الذين ذكر الله خبرهم فى هذه الآيات من قوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا الذين كانوا يبحرون البحائر ويسيبون السوائب ويئدون البنات كما **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال عكرمة قوله الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم قال نزلت فيمن يئد البنات من ربيعة ومضر كان الرجل يشترط على امرأته أن تستحيى جارية وتئد أخرى فاذا كانت الجارية التى تؤد غدا الرجل أو راح من عند امرأته وقال لها أنت على كظهر أمى ان رجعت اليك ولم تئديها فتخذ لها فى الارض خدا وترسل الى نسائها فيجتمعن عندها ثم تداولنها حتى اذا أبصرته راجعا دستها فى حفرتها ثم سوت عليها التراب **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ثم ذكر ما صنعوا فى أولادهم وأموالهم فقال قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم فقال هذا صنيع أهل الجاهلية كان أحدهم يقتل ابنته مخافة السباء والفاقة ويغذو كلبه وحرموا ما رزقهم الله الآية وهم أهل الجاهلية جعلوا بحيرة وسائبة ووصيلة وحاما تحكما من الشياطين فى أموالهم **حدثنى** الحرث

لتناهى جزاء الشرط مع العطف يعدلون ﴿ التفسير انه سبحانه جعل مدار هذا الكتاب الكريم على تقرير التوحيد والنبوة والمعاد واثبات القضاء والقدر وانه بالغ فى تقرير هذه الاصول وانتهى الكلام الى شرح أحوال السعداء والاشقياء ثم انتقل منه الى تهجين طريقة منكرى البعث والقيامة ثم اتبعه حكاية أقوالهم الركيكة تنبيها على ضعف عقولهم فلما تم هذه المقاصد عاد الى ما هو المقصود الاصلى وهو اقامة الدلائل على اثبات ذاته ووجوب توحيده فقال وهو الذى أنشأ الآية نشأ الشئ ينشأ نشأ (٣٥) اذا ظهر وارتفع وأنشأه الله ينشئه انشاء أظهره ورفعه جنات معروشات وغير معروشات يقال عرشت الكرم اذا جعلت له دعائم وسمكا يعطف عليه القضبان وقيل كلاهما الكرم فان بعض الاعناب تعرش وبعضها يبقى على وجه الارض منبسطا كالقرع والبطيخ قيل المعروشات ما يحتاج الى أن يتخذ له عروش يحمل عليها فيمسكه وهو الكرم وما يجرى مجراه وغير معروشات هو القائم من الشجر المستغنى باستوائه وقوة ساقه عن التعريش وقيل المعروشات ما فى البساتين والعمارات مما غرسه الناس واهتموا به فعرشوه وغير معروشات ما أنبته الله وحشيا فى البرارى والجبال فبقى غير معروش والنخل والزرع فسر ابن عباس الزرع بجميع الحبوب التى تقتات مختلفا أكله والاكل كل ما يؤكل والمراد ههنا ثمر النخل والزرع فاكتفى باعادة الذكر على أحدهما كقوله واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها أى اليهما والمراد ان لكل شئ منهما طعما غير طعم الآخر ومختلفا حال مقدرة أى أنشأه مقدرا اختلاف أكله لانه لم يكن وقت الانشاء كذلك متشابها وغير متشابه فى القدر واللون والطعم ثم قال كلوا من ثمره وقد قال فى الآية المتقدمة أعنى نظير هذه الآية وذلك قوله وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شئ الآية الى قوله انظروا الى ثمره تنبيها على ان الامر بالاستدلال بها على الصانع الحكيم متقدم على الاذن فى الانتفاع بها لان الحاصل من الاول سعادة روحانية أبدية والحاصل من الانتفاع سعادة جسمانية زائلة وفائدة هذا الامر الاباحة وعلم اباحة الاكل على اخراج الحق كيلا يظن انه يحرم على المالك تناوله لمكان شركة المساكين فيه وفى الآية اشارة الى ان خلق هذه النعم اما للاكل واما للتصدق والاول لكونه حق النفس مقدم على الثانى لانه حق الغير وفيه ان الاصل فى المنافع الاباحة والاطلاق لان قوله كلوا خطاب عام يتناول الكل ويمكن أن يستدل به على ان الاصل عدم وجوب

الصوم وان من ادعى ايجابه فهو المحتاج الى الدليل وان المجنون اذا أفاق في أثناء النهار لا يلزمه قضاء ما مضى وان الشارع في صوم النفل لا يجب عليه الاتمام قال علماء الاصول من المعلوم من لغة العرب ان صيغة الامر تفيد ترجيح جانب الفعل فحملها على الاباحة أو الوجوب لا يصار اليه الا بدليل منفصل وفائدة قوله اذا أثمر وقد علم انه اذا لم يثمر لم يؤكل منه هي ان يعلم أن أول وقت الاباحة وقت اطلاع الشجر الثمر ولا يتوهم انه لا يباح الا اذا أدرك وأينع أما قوله وآتوا (٣٦) حقه يوم حصاده فعن ابن عباس في رواية عطاء وهو قول سعيد بن المسيب والحسن وطاوس والضحاك ان الآية مدنية والحق هو الزكاة المفروضة وعلى هذا فكيف يؤدي الزكاة يوم الحصاد والحب في السنبل والجواب ان المراد فاعزموا على ايتاء الحق يوم الحصاد واهتموا به حتى لا تؤخروه عن أول وقت يمكن فيه الايتاء وقال مجاهد الآية مكية وان هذا حق في المال سوى الزكاة وكان يقول اذا حصدت فحضرك المساكين فاطرح لهم منه واذا اذا كدسته واذا عرفت كيله فاعزل زكاته وزيف بقوله صلى الله عليه وآله ليس في المال حق سوى الزكاة وبان قوله وآتوا حقه انما يحسن ذكره لو كان ذلك الحق معلوما قبل ورود هذه الآية والالزم الاجمال وعن سعيد بن جبير ان هذا كان قبل وجوب الزكاة فلما فرض العشر أو نصف العشر فيما سقى بالسواقي نسخ والقول الاول أصح ثم ان أبا حنيفة احتج بالآية على وجوب الزكاة في الثمار ولانه قال وآتوا حقه بعد ذكر الانواع الخمسة وهو العنب والنخل والزرع والزيتون والرمان واعترض عليه بان لفظ الحصاد مخصوص بالزرع وأجيب بان الحصد في اللغة عبارة عن القطع وذلك يتناول الكل واحتج هو أيضا بها على ان العشر واجب في القليل والكثير للاطلاق والجواب ان بيانه في الحديث ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة ثم قال تعالى ولا تسرفوا ولاهل اللغة فيه تفسيران فعن ابن الاعرابي السرف تجاوز ما حد لك فعلى هذا اذا أعطى الكل ولم يوصل الى عياله شيئا فقد أسرف كما جاء في الخبر ابدأ بنفسك ثم بمن تعول وروي أن ثابت بن قيس بن شماس عمد الى جملة نخلة فأخذها فقسمها في يوم واحد ولم يدخل الى منزله شيئا فنزلت الآية ولا تسرفوا أي لا تعطوا كله واذا منع الصدقة فقد أسرف وبه فسر الآية سعيد بن المسيب فان مجاوزة الحد تكون الى طرف الافراط والى طرف التفريط وقال عمر سرف المال ما ذهب منه في غير منفعة وعلى

قال ثنا عبد العزيز قال اذا سرك ان تعلم جهل العرب فاقرأ ما بعد المائة قوله قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم الآية وكان أبو رزين يتأول قوله قد ضلوا انه معني به قد ضلوا قبل هؤلاء الافعال من قتل الاولاد وتحريم الرزق الذي رزقهم الله بأمور غير ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن سفيان عن الاعمش عن أبي رزين في قوله قد خسر الذين قتلوا أولادهم الى قوله قد ضلوا قال قد ضلوا قبل ذلك ۞ القول في تأويل قوله (وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات) وهذا اعلام من الله تعالى ذكره ما أنعم به عليهم من فضله وتنبيه منه لهم على موضع احسانه وتعريف منه لهم ما أحل وحرم وقسم في أموالهم من الحقوق لمن قسم له فيها حقا يقول تعالى ذكره وربكم أيها الناس أنشأ أي أحدث وابتدع خلقا لا الآلهة والاصنام جنات يعني بساتين معروشات وهي ما عرش الناس من الكروم وغير معروشات غير مرفوعات مبنيات لا يبنيه الناس ولا يرفعونه ولكن الله يرفعه وينبته وينميه كما حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله معروشات يقول مسموكات وبه عن ابن عباس وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات فالمعروشات ما عرش الناس وغير معروشات ما خرج في البر والجبال من الثمرات حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي اما جنات فالبساتين وأما المعروشات فما عرش كهيئة الكرم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس قوله وهو الذي أنشأ جنات معروشات قال ما يعرش من الكروم وغير معروشات قال ما لا يعرش من الكرم ۞ القول في تأويل قوله (والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه كلوا من ثمره اذا أثمر) يقول جل ثناؤه وأنشأ النخل والزرع مختلفا أكله يعني بالاكل الثمر يقول وخلق النخل والزرع مختلفا ما يخرج منه مما يؤكل من الثمر والحب والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه في الطعم منه الحلو والحامض والمز كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله متشابها وغير متشابه قال متشابها في المنظر وغير متشابه في الطعم واما قوله كلوا من ثمره اذا أثمر فانه يقول كلوا من رطبه ما كان رطبا ثمره كما حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو همام الاهوازي قال ثنا موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب في قوله كلوا من ثمره اذا أثمر قال من رطبه وعنبه حدثنا عمرو بن علي قال ثنا محمد بن الزبرقان قال ثنا موسى بن عبيدة في قوله كلوا من ثمره اذا أثمر قال من رطبه وعنبه ۞ القول في تأويل قوله (وآتوا حقه يوم حصاده) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم هذا أمر من الله بايتاء الصدقة المفروضة من الثمر والحب ذكر من قال ذلك حدثنا عمرو بن علي قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا يونس عن الحسن في قوله وآتوا حقه يوم حصاده قال الزكاة حدثنا عمرو قال ثنا عبد الصمد قال ثنا يزيد بن درهم قال سمعت أنس بن مالك يقول وآتوا حقه يوم حصاده قال الزكاة المفروضة حدثنا عمرو قال ثنا معلى بن أسد قال ثنا عبد الواحد بن زياد قال ثنا الحجاج بن أرطاة عن الحكم عن مجاهد عن ابن عباس في قوله وآتوا حقه يوم حصاده قال العشر ونصف العشر حدثنا ابن وكيع قال

ثنا

هذا فقد قال مقاتل معناه لا تشركوا الاصنام فى الانعام والحرث وقال الزهرى ولا تنفقوا فى معصية الله تعالى وعن مجاهد لو كان أبو قبيس ذهبا فانفقه رجل فى طاعة الله تعالى لم يكن مسرفا ولو أنفق درهما فى معصية الله كان مسرفا وهذا المعنى أراده حاتم الطائى حين قيل له لا خير فى السرف فقال لا سرف فى الخير ثم ختم الآية بقوله انه لا يحب المسرفين والمقصود منه الزجر فان كل مكلف لا يحبه الله فانه من أهل النار لان محبة الله تعالى عبارة عن ارادة ايصال الثواب اليه قوله حمولة وفرشا معطوف على جنات أى (٣٧) وانشأ من الانعام هذين الجنسين فالحمولة ما يحمل الاثقال فعولة بمعنى فاعلة والفرش ما يفرش للذبح أو ينسج من وبره وصوفه وشعره الفرش مصدر بمعنى مفعول وقيل الحمولة الكبار التى تصلح للحمل والفرش الصغار كالفصلان والعجاجيل والغنم لانها دانية من الارض للطافة اجرامها مثل الفرش المفروش عليها كلوا مما رزقكم الله قالت المعتزلة أى مما أحلها لكم ولا تتبعوا خطوات الشيطان لا تسلكوا طريقه الذى يدعوكم اليه فى التحليل والتحريم من عند أنفسكم كما فعل أهل الجاهلية انه لكم عدو مبين بين العداوة وفى انتصاب ثمانية أزواج وجهان قال الفراء هو بدل من قوله حمولة وفرشا وجوز غيره ان يكون مفعول كلوا والعرب تسمى الواحد فردا اذا كان وحده فاذا كان معه غيره من جنسه سمى كل واحد منهما زوجا وهما زوجان قال عز من قائل خلق الزوجين الذكر والانثى وقال ثمانية أزواج ثم فسرها بقوله من الضأن اثنين أى زوجين اثنين ومن المعز اثنين وفى الآية الثانية ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قال الجوهرى الضأن خلاف الماعز والجمع يعنى اسم الجمع الضأن والمعز مثل راكب وركب وسافر وسفر وضأن أيضا مثل حارس وحرس وقال فى الكشاف انه قرئ بفتح العين والضأن ذوات الصوف من الغنم والمعز ذوات الشعر منها قل آلذكرين حرم أم الانثيين نصب بقوله حرم والاستفهام يعمل فيه ما بعده ولا يعمل فيه ما قبله ويريد بالذكرين الذكر من الضأن وهو الكبش والذكر من المعز وهو التيس والانثيين الانثى من الضأن وهى النعجة والانثى من المعز وهى العنز وذلك على طريق الجنسية والمثنى كأنه ومعنى الاستفهام انكار أن يحرم الله من جنسى الغنم ضأنها ومعزها شيأ من نوعى ذكورها واناثها ولا مما يشتمل عليه أرحام الانثيين أى مما يحمل اناث الجنسين وكذلك الذكر من جنسى الابل والبقر يعنى الجمل والثور والانثيين منهما الناقة والبقرة وما يحمل اناثهما وذلك

ثنا هانئ بن سعيد عن حجاج عن محمد بن عبيد الله عن عبد الله بن شداد عن ابن عباس وآتوا حقه يوم حصاده قال العشر ونصف العشر **حدثنا** عمرو بن على وابن وكيع وابن بشار قالوا ثنا عبد الرحمن قال ثنا ابراهيم بن نافع المكى عن ابن عباس عن أبيه فى قوله وآتوا حقه يوم حصاده قال الزكاة **حدثنا** عمرو قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا أبو هلال عن حيان الاعرج عن جابر بن زيد وآتوا حقه يوم حصاده قال الزكاة **حدثنى** يعقوب قال ثنا ابن علية قال أخبرنا يونس عن الحسن فى قوله وآتوا حقه يوم حصاده قال هى الصدقة قال ثم سئل عنها مرة أخرى فقال هى الصدقة من الحب والثمار **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا محمد بن بكر عن ابن جريج قال أخبرنى أبو بكر بن عبد الله عن عمرو بن سليمان وغيره عن سعيد بن المسيب انه قال وآتوا حقه يوم حصاده قال الصدقة المفروضة **حدثنى** يعقوب قال ثنا ابن علية عن أبى رجاء عن الحسن فى قوله وآتوا حقه يوم حصاده قال هى الصدقة من الحب والثمار **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله وآتوا حقه يوم حصاده يعنى بحقه زكاته المفروضة يوم يكال أو يعلم كيله **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وآتوا حقه يوم حصاده وذلك ان الرجل كان اذا زرع فكان يوم حصاده وهو لا يعلم ما كيله وحقه فيخرج من كل عشرة واحدا وما يلتقط الناس من سنبله **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وآتوا حقه يوم حصاده وحقه يوم حصاده الصدقة المفروضة ذكر لنا ان نبى الله صلى الله عليه وسلم سن فيما سقت السماء أو العين السائحة أو سقاه الطل والطل الندى أو كان بعلا العشر كاملا وان سقى برشاء نصف العشر قال قتادة وهذا فيما يكال من الثمرة وكان هذا اذا بلغت الثمرة خمسة أوسق وذلك ثلثمائة صاع فقد حق فيها الزكاة وكانوا يستحبون ان يعطوا مما لا يكال من الثمرة على قدر ذلك **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وطاوس وآتوا حقه يوم حصاده قالا هو الزكاة **حدثنى** المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن الحجاج عن سالم المكى عن محمد بن الحنفية قوله وآتوا حقه يوم حصاده قال يوم كيله يعطى العشر أو نصف العشر **حدثنى** المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا شريك عن سالم المكى عن محمد بن الحنفية قوله وآتوا حقه يوم حصاده قال العشر ونصف العشر **حدثنى** المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه وعن قتادة وآتوا حقه يوم حصاده قالا الزكاة **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو معاوية الضرير عن الحجاج عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس وآتوا حقه يوم حصاده قال العشر ونصف العشر **حدثنى** المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن شريك عن الحكم بن عيينة عن ابن عباس مثله **حدثت** عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وآتوا حقه يوم حصاده يعنى يوم كيله وما كان من بر أو تمر أو زبيب وحقه زكاته **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله كلوا من ثمره اذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده قال كل منه واذا حصدته فآت حقه وحقه عشوره **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة

عن يونس بن عبيد عن الحسن انه قال فى هذه الآية وآتوا حقه يوم حصاده قال الزكاة اذا كلتمه حدثنا عمرو قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى رجاء قال سألت الحسن عن قوله وآتوا حقه يوم حصاده قال الزكاة حدثنى ابن البرقى قال ثنا عمرو بن أبى سلمة قال سألت ابن زيد بن أسلم عن قول الله وآتوا حقه يوم حصاده فقلت له هو العشور قال نعم فقلت له عن أبيك قال عن أبى وغيره * وقال آخرون بل ذلك حق أوجبه الله فى أموال أهل الاموال غير الصدقة المفروضة ذكر من قال ذلك حدثنا عمرو بن على قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا محمد بن جعفر عن أبيه وآتوا حقه يوم حصاده قال شيأ سوى الحق الواجب قال وكان فى كتابه عن على بن الحسين حدثنا عمرو قال ثنا يحيى قال ثنا عبد الملك عن عطاء فى قوله وآتوا حقه يوم حصاده قال القبضة من الطعام حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن بكر عن ابن جريج عن عطاء وآتوا حقه يوم حصاده قال من النخل والعنب والحب كله حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن بكر عن ابن جريج قال قلت لعطاء أرأيت ما حصدت من الفواكه قال ومنها أيضا يؤتى وقال من كل شئ حصدت تؤتى منه حقه يوم حصاده من نخل أو عنب أو حب أو فواكه أو خضر أو قصب من كل شئ من ذلك قلت لعطاء أواجب على الناس ذلك كله قال نعم ثم تلا وآتوا حقه يوم حصاده قال قلت لعطاء وآتوا حقه يوم حصاده هل فى ذلك شئ موقت معلوم قال لا حدثنى المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن عبد الملك عن عطاء فى قوله وآتوا حقه يوم حصاده قال يعطى من حصاده يومئذ ما تيسر وليس بالزكاة حدثنا ابن وكيع قال ثنا عيسى بن يونس عن عبد الملك عن عطاء وآتوا حقه يوم حصاده قال ليس بالزكاة ولكن يطعم من حضره ساعتئذ حصده حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن العلاء بن المسيب عن حماد وآتوا حقه يوم حصاده قال كانوا يعطون رطبا حدثنا ابن حميد وابن وكيع قالا ثنا جرير عن منصور عن مجاهد وآتوا حقه يوم حصاده قال اذا حضرك المساكين طرحت لهم منه واذا أنقيته وأخذت فى كيله حثوت لهم منه واذا علمت كيله عزلت زكاته واذا أخذت فى جذاذ النخل طرحت لهم من التعاريق واذا أخذت فى كيله حثوت لهم منه واذا علمت كيله عزلت زكاته حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن ليث عن مجاهد وآتوا حقه يوم حصاده قال سوى الفريضة حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن منصور عن مجاهد وآتوا حقه يوم حصاده قال يلقى الى السؤال عند الحصاد من السنبل فاذا طبن أو طين الشك من أبى جعفر ألقى اليهم فاذا حمله فاراد ان يجعله كدسا ألقى اليهم واذا داس أطعم منه واذا فرغ وعلم كم كيله عزل زكاته وقال فى النخل عند الجذاذ يطعم من الثمرة والشماريخ فاذا كان عند كيله أطعم من الثمر فاذا فرغ عزل زكاته حدثنا عمرو بن على ومحمد بن بشار قالا ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد قوله وآتوا حقه يوم حصاده قال اذا حصد الزرع ألقى من السنبل واذا جذ النخل ألقى من الشماريخ فاذا كاله زكاه حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال عند الحصاد وعند الدياس وعند الصرام يقبض لهم منه فاذا كاله عزل زكاته وبه عن سفيان عن منصور عن مجاهد مثله الا أنه قال سوى الزكاة حدثنا عمرو بن على قال ثنا يحيى بن سعيد عن سفيان عن ابن أبى نجيح

انهم كانوا يحرمون ذكور الانعام تارة واناثها أخرى وأولادها كيفما كانت ذكورا أو اناثا أو مختلطة تارة وكانوا يقولون قد حرمها الله فقيل لهم انكم لا تقرون بنبوة نبى ولا شريعة شارع فكيف تحكمون بان هذا يحل وهذا يحرم وأكد ذلك بقوله نبؤنى بعلم أخبروني بأمر معلوم من جهة الله يدل على تحريم ما حرمتم ان كنتم صادقين فى ان الله حرمه واعلم انه سبحانه من على عباده بانشاء الازواج الثمانية من الانعام لمنافعهم واباحتها لهم الا انه فصل بين بعض (٣٨) المعدود وبعضه بالاحتجاج على من حرمها وليس ذلك باجنبى وانما هى جملة معترضة جىء بها تأكيدا وتشديدا للتحليل فالاعتراضات فى الكلام لا تساق الا للتوكيد أما قوله ام كنتم شهداء فام منقطعة أى بل أكنتم شهداء ومعناه الانكار ونحوه أعرفتم التوصية به مشاهدين لانكم لا تؤمنون بالرسل وتقولون ان الله حرم هذا فلم يبق الا المشاهدة فتهكم بهم بذلك وسجل عليهم وعلى أمثالهم بالظلم بقوله فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا فنسب اليه تحريم مالم يحرم قال المفسرون يريد عمرو بن لحى بن قمعة الذى غير شريعة اسمعيل عليه السلام وبحر البحائر وسيب السوائب والاقرب ان اللفظ عام فيتناول كل مفتر واذا استحق هذا الوعيد على افتراء الكذب فى تحريم مباح فكيف اذا كذب على الله تعالى فى مسائل التوحيد ومعرفة الذات والصفات والملائكة وفى النبوات وفى المعاد قال القاضى فى الآية دلالة على ان الاضلال عن الدين مذموم فلا يجوز ان ينسب الى الله تعالى وأجيب بانه ليس كل ما كان مذموما منا كان مذموما من الله تعالى فان تمكين العبد من أسباب الفجور وتسليط الشهوة عليهم مذموم منا دونه ان الله لا يهدى القوم الظالمين قال القاضى لا يهديهم الى ثوابه والى زيادات الهدى التى يختص المهتدى بها وقالت الاشاعرة معناه انه لا ينقل المشركين من ظلمات الكفر الى نور الايمان ثم لما بين فساد طريقة الجاهلية فيما يحل ويحرم من المطاعم اتبعه البيان الصحيح فى الباب فقال قل لا أجد فيما أوحى الى محرما أى طعاما محرما على طاعم يطعمه عن على آكل يأكله الا أن يكون ذلك المأكول أو الموجود أو الطعام ميتة أو دما مسفوحا مصبوبا سائلا قال ابن عباس يريد ما خرج من الانعام وهى أحياء وما خرج من الاوداج عند الذبح فلا يدخل فيه الكبد والطحال لجمودهما وما يختلط باللحم من الدم فانه غير سائل وسئل أبو مجلز عما يتلطخ باللحم من الدم وعن القدر والتى يرى فيها

عن مجاهد وآتوا حقه يوم حصاده قال شئ سوى الزكاة في الحصاد والجذاذ اذا حصدوا واذا جذوا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح في قول الله وآتوا حقه يوم حصاده قال واجب حين يصرم حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور عن مجاهد انه قال في هذه الآية وآتوا حقه يوم حصاده قال اذا حصد أطعم واذا أدخله البيدر واذا داسه أطعم منه حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن أشعث عن ابن عمر قال يطعم المعتر سوى ما يعطى من العشر ونصف العشر وبه عن سفيان عن منصور عن مجاهد قال قبضة عند الحصاد وقبضة عند الجذاذ حدثنا ابن وكيع قال ثنا حفص عن أشعث عن ابن سيرين قال كانوا يعطون من اعتربهم الشئ حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن حماد عن ابراهيم قال الضغث حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد عن سفيان عن حماد عن ابراهيم قال يعطى مثل الضغث حدثنا عمرو بن على قال ثنا يحيى بن سعيد قال ثنا سفيان قال ثنا حماد عن ابراهيم وآتوا حقه يوم حصاده قال مثل هذا من الضغث ووضع يحيى أصبعه الابهام على المفصل الثانى من السبابة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن حماد عن ابراهيم قال نحو الضغث حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن اسرائيل عن جابر عن أبي جعفر عن سفيان عن حماد عن ابراهيم قال يعطى ضغثا حدثنا عمرو بن على قال ثنا كثير بن هشام قال ثنا جعفر بن برقان عن يزيد بن الاصم قال كان النخل اذا صرم يجئ الرجل بالعذق من نخله فيعلقه في جانب المسجد يجئ المسكين فيضربه بعصاه فاذا تناثر أكل منه فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه حسن أو حسين فتناول تمرة فانتزعها من فيه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأكل الصدقة ولا أهل بيته فذلك قوله وآتوا حقه يوم حصاده حدثنا ابن وكيع قال ثنا خالد بن حيان عن جعفر بن برقان عن ميمون بن مهران ويزيد بن الاصم قالا كان أهل المدينة اذا صرموا يجيئون بالعذق فيضعونه في المسجد ثم يجئ السائل فيضربه بعصاه فيسقط منه وهو قوله وآتوا حقه يوم حصاده حدثنا على بن سهل قال ثنا يزيد بن أبي الزرقاء عن جعفر عن زيد وميمون في قوله وآتوا حقه يوم حصاده قال كان الرجل اذا جذ النخل يجئ بالعذق فيعلقه في جانب المسجد فيأتيه المسكين فيضربه بعصاه فيأكل ما يتناثر منه حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبيد الله عن أبي جعفر الرازى عن الربيع بن أنس وآتوا حقه يوم حصاده قال لقط السنبل حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن عبد الكريم الجزرى عن مجاهد قال كانوا يعلقون العذق في المسجد عند الصرام فيأكل منه الضعيف وبه عن معمر قال قال مجاهد وآتوا حقه يوم حصاده يطعم الشئ عند صرامه حدثني المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا شريك عن سالم عن سعيد بن جبير وآتوا حقه يوم حصاده قال الضغث وما يقع من السنبل وبه عن سالم عن سعيد وآتوا حقه يوم حصاده قال العلف حدثني المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن شريك عن سالم عن سعيد في قوله وآتوا حقه يوم حصاده قال كان هذا قبل الزكاة للمساكين القبضة والضغث لعلف دابته حدثنا عمرو بن على قال ثنا أبو عاصم قال محمد بن رفاعة عن محمد بن كعب في قوله وآتوا حقه يوم حصاده قال

جرة الدم فقال لا باس به انما النهى عن الدم المسفوح وباقى الآية ظاهر مما سلف في أمثالها وانتصاب فسقا على انه معطوف على المنصوبات قبله وأهل صفة له منصوبة المحل سمى ما أهل به لغير الله فسقا لتوغله في باب الفسق كما يقال فلان كرم وجود وجوز أن يكون فسقا مفعولا له من أهل وعلى هذا فقد عطف أهل على يكون والضمير في به يعود الى ما يرجع اليه المستكن في يكون قالت العلماء ان هذه السورة مكية وقد بين في الآية انه لم يجد فيما أوحى اليه قرآنا أو غيره محرما سوى هذه الاربعة وقد أكد هذا بما في النحل وفي البقرة مصدرة بكلمة انما الدالة على الحصر فصارت المدنية مطابقة للمكية والذى جاء في المائدة حرمت عليكم الميتة والدم الى قوله وما أكل السبع الا ما ذكيتم من أقسام الميتة ولكنه خص بالذكر لانهم كانوا يحكمون على تلك الاشياء بالتحليل فثبت ان الشريعة من أولها الى آخرها كانت مستقرة على هذا الحكم وعلى هذا الحصر بقى الكلام في الخمر وفي سائر النجاسات والمستقذرات فنقول انه سبحانه قد وصف الخمر بانه رجس وههنا علل تحريم لحم الخنزير بكونه رجسا فعلمنا ان النجاسة علة لتحريم الاكل وكل نجس فانه يحرم أكله هذا بعد اجماع الامة على تحريم الخبائث والنجاسات وان جوزنا تخصيص عموم القرآن بخبر الواحد كما روى انه صلى الله عليه وآله نهى عن كل ذى ناب من السباع وذى مخلب من الطيور فلا اشكال وقيل المراد ان وقت نزول هذه الآية لم يكن محرم غير هذه الاربعة وزيف بان تحريم شئ خامس نسخ والاصل عدمه ثم بين سبحانه انه حرم على اليهود أشياء أخر سوى هذه الاربعة فقال وعلى الذين هادوا حرمنا وذلك نوعان الاول انه حرم عليهم كل ذى ظفر وفيه لغات ضم الفاء والغين وهى الفصحى وكسرهما وهى قراءة ابن السماك والضم مع السكون والكسر مع السكون وهى قراءة الحسن واختلف في الظفر فعن ابن عباس في رواية عطاء انه الابل فقط وعنه في رواية أخرى وهو قول مجاهد انه الابل والنعام وقيل كل ذى مخلب من الطير وكل ذى حافر من الدواب وسمى الحافر ظفرا على الاستعارة وزيف بان الحافر لا يكاد يسمى ظفرا وبان البقر والغنم مباحان لهم كما يجئ مع ان لهما حافرا فاذن يجب حمل الظفر على المخلب والبراثن من الجوارح والسباع بل على كل ماله أصبع من دابة وطائر وكان بعض ذوات الظفر حلالا لهم فلما ظلموا عم التحريم فعموم التحريم خاص بهم ولهذا قدم الجار في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا فيستدل

ماقل منه أوكثر حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن ابن أبي نجيح وآتوا حقه يوم حصاده قال عند الزرع يعطى القبض وعند الصرام يعطى القبض ويتركهم فيتبعون آثار الصرام * وقال آخرون كان هذا شيأ أمر الله به المؤمنين قبل أن تفرض عليهم الصدقة الموقتة ثم نسخته الصدقة المعلومة فلا فرض في مال كائنا ما كان زرعا كان أو غرسا الا الصدقة التي فرضها الله فيه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية عن حجاج عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس قال نسختها العشر ونصف العشر حدثنا ابن وكيع قال ثنا حفص عن الحجاج عن الحكم عن ابن عباس قال نسختها العشر ونصف العشر وبه عن حجاج عن سالم عن ابن الحنفية قال نسختها العشر ونصف العشر حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن شريك عن سالم عن سعيد بن جبير وآتوا حقه يوم حصاده قال هذا قبل الزكاة فلما نزلت الزكاة نسختها فكانوا يعطون الضغث حدثنا ابن حميد وأبو وكيع قالا ثنا جرير عن مغيرة عن شباك عن ابراهيم وآتوا حقه يوم حصاده قال كانوا يفعلون ذلك حتى سن العشر ونصف العشر فلما سن العشر ونصف العشر ترك حدثنا عمرو بن علي قال ثنا عبد الرحمن بن مهدي قال ثنا سفيان عن مغيرة عن شباك عن ابراهيم وآتوا حقه يوم حصاده قال هي منسوخة نسختها العشر ونصف العشر حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى عن سفيان عن المغيرة عن ابراهيم وآتوا حقه يوم حصاده قال نسختها العشر ونصف العشر حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن مغيرة عن شباك عن ابراهيم قال نسختها العشر ونصف العشر وبه عن سفيان عن يونس عن الحسن قال نسختها الزكاة وبه عن سفيان عن السدي قال نسختها الزكاة وآتوا حقه يوم حصاده حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن شباك عن ابراهيم في قوله وآتوا حقه يوم حصاده قال هذه السورة مكية نسختها العشر ونصف العشر قلت عمن قال عن العلماء وبه قال سفيان عن مغيرة عن شباك عن ابراهيم قال نسختها العشر ونصف العشر حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي اما وآتوا حقه يوم حصاده فكانوا اذا مر بهم أحد يوم الحصاد أو الجذاذ أطعموه منه فنسخها الله عنهم بالزكاة وكان فيما أنبتت الارض العشر ونصف العشر حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الاعلى عن يونس عن الحسن قال كانوا يرضخون لقرابتهم من المشركين حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس عن أبيه عن عطية وآتوا حقه يوم حصاده قال نسخه العشر ونصف العشر كانوا يعطون اذا حصدوا واذا ذروا فنسختها العشر ونصف العشر * وأولى الاقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال كان ذلك فرضا فرضه الله على المؤمنين في طعامهم وثمارهم التي تخرجها زروعهم وغروسهم ثم نسخه الله بالصدقة المفروضة والوظيفة المعلومة من العشر ونصف العشر وذلك ان الجميع مجمعون لا خلاف بينهم ان صدقة الحرث لا تؤخذ الا بعد الدياس والتنقية والتذرية وان صدقة التمر لا تؤخذ الا بعد الجذاذ فاذا كان ذلك كذلك وكان قوله جل ثناؤه وآتوا حقه يوم حصاده ينبئ عن انه أمر من الله جل ثناؤه بايتاء حقه يوم حصاده وكان يوم حصاده هو يوم جذه وقطعه والحب لاشك انه في ذلك اليوم في سنبله والثمر وان كان ثمر نخل أو كرم غير مستحكم جفوفه ويبسه وكانت

الصدقة

بذلك على حل بعض هذه الحيوانات على المسلمين وهو ما سوى ذات المخلب والناب فيكون الخبر مبينا للآية لا مخالفا كما ظن صاحب التفسير الكبير النوع الثاني قوله ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما قال في الكشاف هو كقولك من زيد أخذت ماله تريد بالاضافة زيادة الاخذ الى زيد بواسطة من زيادة الربط والمعنى انه حرم عليهم من كل ذي ظفر كله ومن البقر والغنم بعضها وذلك شحومهما فقط وهذا أيضا ليس على الاطلاق لقوله الا ما حملت ظهورهما قال (٤٠) ابن عباس الا ما علق من الشحم فاني لم أحرمه وقال قتادة الا ما علق بالظهر والجنب من داخل بطونها وقيل الا ما اشتمل على الظهور والجنوب من السحقة وهي الشحمة التي على الظهر الملتزقة بالجلد فيما بين الكتفين الى الوركين وهي بالحقيقة لحم سمين لانه يحمر عند الهزال ولهذا لو حلف لا يأكل الشحم فأكل من ذلك اللحم السمين لم يحنث على الاصح والاستثناء الثاني قوله أو الحوايا قال الجوهري الحوايا الامعاء وأحدها حوية وفي معناها حاوية البطن وحاوياء البطن وقال الواحدي هي المباعر والمصارين والمعوي أو ما اشتمل على الامعاء يعني ان الشحوم الملتصقة بالمباعر والمصارين غير محرمة والاستثناء الثالث أو ما اختلط بعظم قال جمهور المفسرين يعني شحم الالية وقال ابن جريج كل شحم في القوائم والجنب والرأس وفي العينين والاذنين فانه مخلوط بعظم فهو حلال لهم والحاصل ان الشحم الذي حرم الله عليهم هو الثرب وشحم الكلية وقيل ان الحوايا غير معطوف على المستثنى وانما هو معطوف على المستثنى منه والتقدير حرمنا عليهم شحومهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم الا ما حملت الظهور فانه غير محرم ودخول كلمة أو كدخولها في قوله تعالى ولا تطع منهم آثما أو كفورا والمعنى كل هؤلاء أهل ان يعصى فاعص هذا واعص هذا فكذا ههنا المعنى حرمنا عليهم هذا وهذا ذلك الجزاء وهو تحريم الطيبات جزيناهم ببغيهم بسبب قتلهم الانبياء وأخذهم الربا واستحلالهم أموال الناس بالباطل وغير ذلك من قبائح أفعالهم وانا لصادقون في هذه الاخبار أو فيما نوعد به العصاة قال القاضي نفس التحريم لا يجوز ان يكون عقوبة على جرم صدر عنهم لان التكليف تعريض للثواب والتعريض للثواب احسان وأجيب بان المنع من الانتفاع يمكن ان يكون لمزيد الثواب ويمكن ان يكون بشؤم الجرم المتقدم فان كذبوك في ادعاء النبوة والرسالة أو في تبليغ الاحكام وعلى أصول المعتزلة فان كذبوك في ايجاز ايعاد العصاة وزعموا ان

الصدقة من الحب انما تؤخذ بعد دياسه وتذريته وتنقيته كيلا والتمر انما تؤخذ صدقته بعد استحكام يبسه وجفوفه كيلا علم ان ما تؤخذ صدقته بعد حين حصده غير الذي يجب ايتاؤه المساكين يوم حصاده فان قال قائل وما تنكر ان يكون ذلك ايجابا من الله في المال حقا سوى الصدقة المفروضة قيل لانه لا يخلو ان يكون ذلك فرضا واجبا أو نفلا فان يكن فرضا واجبا فقد وجب ان يكون سبيله سبيل الصدقات المفروضات التي من فرط في أدائها الى أهلها كان بربه آثما ولامره مخالفا وفي قيام الحجة بأن لا فرض لله في المال بعد الزكاة يجب وجوب الزكاة سوى ما يجب من النفقة لمن يلزم المرء نفقته ما ينبئ عن ان ذلك ليس كذلك أو يكون ذلك نفلا فان يكن ذلك كذلك فقد وجب ان يكون الخيار في اعطاء ذلك الى رب الحرث والثمر وفي ايجاب القائلين بوجوب ذلك ما ينبئ عن ان ذلك ليس كذلك واذا خرجت الآية من أن يكون مرادا بها الندب وكان غير جائز ان يكون لها مخرج في وجوب الفرض بها في هذا الوقت علم انها منسوخة ومما يؤيد ما قلنا في ذلك من القول دليلا على صحته انه جل ثناؤه اتبع قوله وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين ومعلوم ان من حكم الله في عباده مذ فرض في أموالهم الصدقة المفروضة المؤقتة القدر ان القائم باخذ ذلك ساستهم ورعاتهم واذا كان ذلك كذلك فما وجه نهي رب المال عن الاسراف في ايتاء ذلك والآخذ مجبر وانما يأخذ الحق الذي فرض الله فيه فان ظن ظان ان ذلك انما هو نهي من الله القيم باخذ ذلك من الرعاة عن التعدي في مال رب المال والتجاوز الى أخذ ما لم يبح له أخذه فان آخر الآية وهو قوله ولا تسرفوا معطوف على أوله وهو قوله وآتوا حقه يوم حصاده فان كان المنهي عن الاسراف القيم بقبض ذلك فقد يجب ان يكون المأمور بايتائه المنهي عن الاسراف فيه وهو السلطان وذلك قول ان قاله قائل كان خارجا من قول جميع أهل التأويل ومخالفا المعهود من الخطاب وكفى بذلك شاهدا على خطائه فان قال قائل وما تنكران يكون معنى قوله وآتوا حقه يوم حصاده وآتوا حقه يوم كيله لا يوم فصله وقطعه ولا يوم جذاذه وقطافه فقد علمت من قال ذلك من أهل التأويل وذلك ما حدثنا يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا جويبر عن الضحاك في قوله وآتوا حقه يوم حصاده قال يوم كيله وحدثنا المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن الحجاج عن سالم المكي عن محمد بن الحنفية قوله وآتوا حقه يوم حصاده قال يوم كيله يعطي العشر ونصف العشر مع آخرين قد ذكرت الرواية فيما مضى عنهم بذلك قيل لان يوم كيله غير يوم حصاده وان يخلو معنى قائلي هذا القول من أحد أمرين اما أن يكونوا وجهوا معنى الحصاد الى معنى الكيل فذلك ما لا يعقل في كلام العرب لان الحصاد والحصد في كلامهم الجذ والقطع لا الكيل أو يكونوا وجهوا تأويل قوله وآتوا حقه يوم حصاده الى وآتوا حقه بعد يوم حصاده اذا كلتموه فذلك خلاف ظاهر التنزيل وذلك ان الامر في ظاهر التنزيل بايتاء الحق منه يوم حصاده لا بعد يوم حصاده ولا فرق بين قائل ادعى الله بقوله وآتوا حقه يوم حصاده بعد يوم حصاده وآخر قال عني بذلك قبل يوم حصاده لانهما جميعا قائلان قولا دليل ظاهر التنزيل بخلافه

القول في تأويل قوله (ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين) اختلف أهل التأويل في الاسراف الذي نهى الله عنه بهذه الآية ومن المنهي عنه فقال بعضهم المنهي عنه رب النخل والزرع والثمر

الله واسع الرحمة وانه يخلف الوعيد جودا وكرما فقل ربكم ذو رحمة واسعة فلذلك لا يعجل بالعقوبة ولا يرد بأسه اذا جاء وقت عذابه عن القوم المجرمين يعني المكذبين وعلى أصولهم رحمته واسعة لاهل طاعته ولا يرد بأسه مع ذلك عن الذين ارتكبوا الكبائر فما تواقبل التوبة ثم حكى أعذار الكفار الواهية فقال سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا وانما جاز العطف على الضمير المرفوع المتصل من غير ان أكد بالمنفصل لمكان الفصل بعد حرف العطف بلا الزائدة لتأكيد النفي أخبر الله تعالى بما سوف يقولونه ولما قالوه قال في سورة النحل وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شئ وانما قال في سورة النحل بزيادة نحن ومن دونه مرتين لان الاشراك مستنكر مطلقا فلفظ الاشراك يدل على اثبات شريك لا يجوز اثباته وعلى تحليل أشياء وتحريم أشياء من دون الله فلم يحتج الى لفظ من دونه وأما العبادة فانها غير مستنكرة على الاطلاق وانما المستنكر عبادة شئ مع الله سبحانه ولا يدل على تحريم شئ فلم يكن بد من تقييده بقوله من دونه ولما حذف من الآية لفظة من دونه مرتين حذف معه نحن لتطرد الآية في حكم التخفيف اما تفسير الآية فزعمت المعتزلة انها تدل على قولهم في مسألة ارادة الكائنات من سبعة أوجه الاول ان الذي حكى عن الكفار في معرض الذم والتقبيح وذلك قولهم لو شاء الله منا ان لا نشرك لم نشرك هو صريح قول المجبرة فيكون هذا المذهب مذموما الثاني قوله كذلك كذب الذين من قبلهم فلم يذكر المكذب به تنبيها على انهم جاؤا بالتكذيب المطلق لان الله عز وعلا ركب في العقول وانزل في الكتب ما دل على غناه وبراءته من مشيئته القبائح وارادتها والرسل أخبروا بذلك فمن علق وجود القبائح من الكفر والمعاصي بمشيئة الله وارادته فقد كذب كله وهو تكذيب الله ورسله وكتبه ونبذ أدلة السمع والعقل وراء ظهره والحاصل ان هذا طريق متعين لكل الكفار المتقدمين منهم والمتأخرين في تكذيب الانبياء وفي دفع دعوتهم عن أنفسهم لانهم يقولون الكل بمشيئة الله تعالى الثالث قوله حتى ذاقوا بأسنا وذلك يدل على انهم استوجبوا الوعيد من الله تعالى في هذا المذهب الرابع قوله قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا وانه استفهام على سبيل الانكار أي لا علم لهؤلاء القائلين ولا حجة لكم أصلا الخامس ان تتبعون الا الظن السادس وان أنتم الا تخرصون السابع قل فلله الحجة

والسرف الذى نهى الله عنه فى هذه الآية مجاوزة القدر فى العطية الى ما يجحف برب المال ذكر من قال ذلك حدثنا عمرو بن على قال ثنا المعتمر بن سليمان قال ثنا عاصم عن أبى العالية فى قوله وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا الآية قال كانوا يعطون شيأ سوى الزكاة ثم سارفوا فانزل الله ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا معتمر بن سليمان عن عاصم الاحول عن أبى العالية وآتوا حقه يوم حصاده قال كانوا يعطون يوم الحصاد شيأ سوى الزكاة ثم مار وافيه وأسرفوا فقال الله ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا معتمر بن سليمان عن عاصم الاحول عن أبى العالية وآتوا حقه يوم حصاده قال كانوا يعطون يوم الحصاد شيأ ثم تسارفوا فقال الله ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال نزلت فى ثابت بن قيس بن شماس جذ نخلا فقال لا يأتين اليوم أحد الا أطعمته فاطعم حتى أمسى وليست له ثمرة فقال الله ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن بكر عن ابن جريج قال قلت لعطاء ولا تسرفوا يقول لا تسرفوا فيما يؤتى يوم الحصاد أم فى كل شئ قال بلى فى كل شئ ينهى عن السرف قال ثم عاودته بعد حين فقلت ما قوله ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين قال ينهى عن السرف فى كل شئ ثم تلا ولم يسرفوا ولم يقتروا حدثنا عمرو بن على قال ثنا يزيد بن هرون قال أخبرنا سفيان بن حسين عن أبى بشر قال أطاف الناس باياس بن معاوية بالكوفة فسألوه ما السرف فقال ما تجاوز أمر الله فهو سرف حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى ولا تسرفوا لا تعطوا أموالكم فتغدوا فقراء وقال آخرون الاسراف الذى نهى الله عنه فى هذا الموضع منع الصدقة والحق الذى أمر الله رب المال بايتائه أهله بقوله وآتوا حقه يوم حصاده ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن بكر عن ابن جريج قال أخبرنى أبو بكر بن عبد الله عن عمرو بن سليم وغيره عن سعيد بن المسيب فى قوله ولا تسرفوا قال لا تمنعوا الصدقة فتعصوا حدثنا عمرو بن على قال ثنا محمد بن الزبرقان قال ثنا محمد بن عبيدة عن محمد بن كعب ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين والسرف لا يعطى فى حق وقال آخرون انما خوطب بهذا السلطان نهى ان يأخذ من رب المال فوق الذى ألزم الله ماله ذكر من قال ذلك حدثنا يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولا تسرفوا قال قال للسلطان لا تسرفوا الا تأخذوا بغير حق فكانت هذه الآية بين السلطان وبين الناس يعنى قوله كلوا من ثمره اذا أثمر الآية * والصواب من القول فى ذلك عندى ان يقال ان الله تعالى ذكره نهى بقوله ولا تسرفوا عن جميع معانى الاسراف ولم يخصص منها معنى دون معنى واذ كان ذلك كذلك وكان الاسراف فى كلام العرب الاخطاء باصابة الحق فى العطية اما بتجاوز حده فى الزيادة واما بتقصير عن حده الواجب كان معلوما ان المفرق ماله مباراة والباذله للناس حتى أجحفت به عطيته مسرف بتجاوزه حد الله الى ما ليس له وكذلك المقصر فى بذله فيما ألزمه الله بذله فيه وذلك كمنعه ما ألزمه اياه منه أهل سهمان الصدقة اذا وجبت فيه أو منعه من ألزمه الله نفقته من أهله وعياله ما ألزمه منها وكذلك السلطان فى أخذه من رعيته ما لم يأذن الله بأخذه كل

البالغة لانه أزال الاعذار بالتمكين والاقدار فلم يبق لكم على الله حجة وانما الحجة البالغة له عليكم وذلك انكم تقولون لو أتينا بعمل على خلاف مشيئة الله لزم ان يكون الاله عاجزا مغلوبا وهذا الكلام غير لازم لان الله قادر على أن يحملكم على الايمان والطاعة على سبيل القهر والالجاء الا ان ذلك يبطل الحكمة المطلوبة من التكليف وهذا هو المراد من قوله فلو شاء لهداكم أجمعين وبوجه آخر ان كان الامر كما زعمتم ان ما أنتم عليه بمشيئة الله فثمة الحجة الكاملة عليكم (٤٢) فان تعليقكم دينكم بمشيئة الله يقتضى ان تعلقوا دين من يخالفكم أيضا بمشيئته فتوالوا جميع أهل الاديان ولا تعادوهم أجابت الاشاعرة بانا قد بينا بالدلائل القاطعة من أول القرآن الى ههنا صحة مذهبنا فوجب تأويل هذه الآية دفعا للتناقض فنقول ان القوم كانوا يتمسكون بمشيئة الله تعالى فى ابطال دعوة الانبياء وفى ان التكليف عبث فبين الله تعالى ان ذلك من تكذيبهم وأكاذيبهم وان التشبث بهذا العذر لا يفيدهم لانه له يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا اعتراض لاحد عليه شاء الكفر من الكافر ومع ذلك بعث الانبياء وأمر بالايمان وورود الامر على خلاف الارادة غير ممتنع ويؤيد ذلك ما روى عن ابن عباس أول ما خلق الله القلم فقال اكتب القدر فجرى بما يكون الى قيام الساعة وقال رسول الله صلى الله عليه وآله المكذبون بالقدر مجوس هذه الامة ثم ان ظاهر آخر الآية معناه وهو قوله فلو شاء لهداكم أجمعين وحمل المشيئة على مشيئة الالجاء والقسر تعسف والله أعلم ثم لما أبطل جميع حجج الكفار بين انه ليس لهم على قولهم شهود فقال قل هلم ومعناه اذا كان لازما أقبل واذا كان متعديا أحضر قال الخليل أصله ها لم من قولهم لم الله شعثه أى جمعه كانه قال لم نفسك الينا أى اقرب والهاء للتنبيه واستنظام الامور ثم حذفت ألفها لكثرة الاستعمال وجعلا اسما واحدا يستوى فيه الواحد والجمع والتذكير والتأنيث فى لغة أهل الحجاز وأهل نجد يصرفونها هلما هلموا هؤلاء
هلمى هلممن والاول أفصح وقد يوصل باللى كقوله تعالى والقائلين لاخوانهم هلم الينا وقال الفراء أصلها هل أم أرادوا بهل حرف الاستفهام وبمعنى أم أقصد وقيل ان أصل استعماله ان قالوا هل لك فى الطعام أم أى قصد ثم شاع فى الكل أمر الله تعالى نبيه باستدعاء اقامة الشهداء من الكافرين ليظهر ان لا شاهد لهم على تحريم ما حرموه وهو انما لم يقل شهداء يشهدون لانه ليس الغرض احضار أناس يشهدون بالتحريم وانما

هؤلاء فيما فعلوا من ذلك مسرفون داخلون في معنى من أتى ما نهى الله عنه من الاسراف بقوله ولا تسرفوا في عطيتكم من أموالكم ما يجحف بكم إذ كان ما قبله من الكلام أمرا من الله ثابتا بالواجب فيه أهله يوم حصاده فان الآية قد كانت تنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب خاص من الامور والحكم بها على العام بل عامة آي القرآن كذلك فكذلك قوله ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين ومن الدليل على صحة ما قلنا من معنى الاسراف انه على ما قلنا قول الشاعر

أعطوا هنيدة يحدوها ثمانية * ما في عطائهم من ولا سرف

يعني بالسرف الخطأ في العطية ۞ القول في تأويل قوله (ومن الانعام حمولة وفرشا) يقول تعالى ذكره وأنشأ من الانعام حمولة وفرشا مع ما أنشأ من الجنات المعروشات وغير المعروشات والحمولة ما حمل عليه من الابل وغيرها والفرش صغار الابل التي لم تدرك أن يحمل عليها واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم الحمولة ما حمل عليه من كبار الابل ومسانها والفرش صغارها التي لا يحمل عليها لصغرها ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن أبي اسحق عن أبي الاحوص عن عبد الله في قوله حمولة وفرشا قال الحمولة الكبار من الابل وفرشا الصغار من الابل قال ثنا أبي عن أبي بكر الهذلي عن عكرمة عن ابن عباس الحمولة هي الكبار والفرش الصغار من الابل حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبيد الله عن اسرائيل عن أبي يحيى عن مجاهد قال الحمولة ما حمل من الابل والفرش ما لم يحمل وبه عن اسرائيل عن خصيف عن مجاهد الحمولة ما حمل من الابل والفرش ما لم يحمل حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله وفرشا قال صغار الابل حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبي اسحق عن أبي الاحوص عن عبد الله في قوله حمولة وفرشا قال الحمولة الكبار والفرش الصغار حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنا سفيان عن أبي اسحق عن أبي الاحوص عن ابن مسعود في قوله حمولة وفرشا الحمولة ما حمل من الابل والفرش هن الصغار حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي اسحق عن الاحوص عن عبد الله انه قال في هذه الآية حمولة وفرشا قال الحمولة ما حمل عليه من الابل والفرش الصغار قال ابن المثنى قال محمد قال شعبة انما كان ثني سفيان عن أبي اسحق حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه قال قال الحسن الحمولة من الابل والبقر وقال بعضهم الحمولة من الابل وما لم يكن من الحمولة فهو الفرش حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة عن الحسن حمولة وفرشا قال الحمولة ما حمل عليه والفرش حواشيها يعني صغارها حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ومن الانعام حمولة وفرشا فالحمولة ما حمل من الابل والفرش صغار الابل الفصيل وما دون ذلك مما لا يحمل ويقال الحمولة من البقر والابل والفرش الغنم وقال آخرون الحمولة ما حمل عليه من الابل والخيل والبغال وغير ذلك والفرش الغنم ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ومن الانعام حمولة وفرشا فأما الحمولة فالابل والخيل والبغال والحمير وكل شئ

المراد احضار شهدائهم الموسومين بالشهادة لهم المعروفين بنصرة مذهبهم ولهذا قال فان شهدوا أي فان وقعت شهادتهم فلا تشهد معهم أي لا تسلم لهم ما شهدوا به ولا تصدقهم لان شهادتهم محض الهوى والتعصب لاجل ذلك قال أيضا ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا فوضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا عليهم بالتكذيب وليرتب عليه باقي الآية فيعلم ان المتصف بهذه الصفات لا تكون شهادتهم عند العقلاء مقبولة * التأويل وهو الذي أنشأ جنات في القلوب معروشات من شجرة الاسلام والايمان والاحسان وغير معروشات هي الصفات الروحانية التي جبلت القلوب عليها كالسخاء والحياء والوفاء والمودة والفتوة والشفقة والعفة والعلم والحلم والعقل والشجاعة والقناعة ونخل الايمان وزرع الاعمال الصالحة وزيتون الاخلاق الحميدة ورمان الاخلاص بالشواهد والاحوال متشابها أعمالها وغير متشابه أحوالها كلوا من ثمره انتفعوا من ثمار الايمان والاعمال والاخلاص بالشواهد والاحوال لا بالدعاوى والقيل والقال وآتوا حقه وحقه دعوة الخلق وتربيتهم بالحكمة والموعظة الحسنة ويوم حصاده أوان بلوغ السالك مبلغ الرجال البالغين عند ادراك ثمرة الكمال للواصلين دون السالك الذي يتردد بعد بين المنازل والمراحل ولا تسرفوا بالشروع في الكلام في غير وقته والحرص على الدعوة قبل أوانها ومن الانعام أي ومن الصفات الحيوانية التي هي مركوزة في الانسان ما هو مستعد لحمل الامانة وتكاليف الشرع ومنها ما هو مستعد للاكل والشرب لصلاح القالب وقيام البشرية كلوا مما رزقكم الله فرزق القلب هو التحقيق من حيث البرهان ورزق الروح هو المحبة بصدق التنزه عن الاكوان ورزق السر هو شهود العرفان بلحظ العيان فانتفعوا من هذه الارزاق بقدر ما ينبغي انه لكم عدو مبين يخرجكم بالتفريط والافراط الى ضد المقصود ثم ان الصفات الحيوانية ثمان بعضها ذكور وبعضها اناث يتولد منهما صفات أخر كلها محمودة اذا استعملت في محالها وبمقدار ما ينبغي من الضأن اثنين ومن المعز اثنين والضأن والمعز من جنس الفرشية كما أن الابل والبقر من جنس الحمولية والذكر من الضأن والمعز هما صفة شهوة البطن والفرج والانثى منهما صفة حسن الخلق عند الاجتماع معهما وصفة التسليم عند تحمل الاذى والذكر من الابل والبقر صفة الظلومية والجهولية وأنثاهما الحمولية والاستسلام للاستعمال فهذه الصفات

الثمانية صار الانسان حامل اعباء الامانة التى أبت المكونات عن حملها وبين أيضا حمله عرش القلب فافهم وقد أحل الله تعالى استعمالها
واستعمال المتولد منها على قانون الشريعة والطريقة ومن زعم انه يجب تركها وفصلها بالكلية فقد افترى لو شاء الله ما أشركنا الكلام فى
نفسه حق وصدق الا أنهم لما ذكروه فى معرض الالزام دفعا للاذية والا لام كذبوا فيما قالوا والله سبحانه أعلم بالصواب (قل تعالوا أتل
ماحرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيأ وبالوالدين

احسانا ولا تقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم ولا تقربوا الفواحش
ماظهر منها ومابطن ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم لعلكم تعقلون ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا الا وسعها واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذى أحسن وتفصيلا لكل شئ وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون أن تقولوا انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وان كنا عن دراستهم لغافلين أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة أو يأتى ربك أو يأتى بعض آيات ربك يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا قل انتظروا انا منتظرون ان الذين فرقوا دينهم
وكانوا شيعا لست منهم فى شئ انما أمرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها
ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون قل اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين قل
ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين قل أغير الله أبغى ربا وهو رب كل شئ ولا تكسب
كل نفس الا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون وهو الذى جعلكم خلائف الارض ورفع

يحمل عليه وأما الفرش الغنم **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عبيد الله عن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس الحمولة من الابل والبقر وفرشا المعز والضأن **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومن الانعام حمولة وفرشا قال اما الحمولة فالابل والبقر قال وأما الفرش فالغنم **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة كان غير الحسن يقول الحمولة الابل والبقر والفرش الغنم **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ومن الانعام حمولة وفرشا اما الحمولة فالابل وأما الفرش فالفصلان والعجاجيل والغنم وما حمل عليه فهو حمولة **حدثت** عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله حمولة وفرشا الحمولة الابل والفرش الغنم **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن أبى بكر الهذلى عن الحسن وفرشا قال الفرش الغنم **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله حمولة وفرشا قال الحمولة ما تركبون والفرش ما تأكلون وتحلبون شاة لا تحمل تأكلون لحمها وتتخذون من أصوافها لحافا وفرشا * والصواب من القول فى ذلك عندى ان يقال ان الحمولة هى ما حمل من الانعام لان ذلك من صفتها اذا حملت لانه اسم لها كالابل والخيل والبغال فاذا كانت انما سميت حمولة لانها تحمل فالواجب ان يكون كل ما حمل على ظهره من الانعام فحمولة وهى جمع لا واحد لها من لفظها كالركوبة والجزورة وكذلك الفرش انما هو صفة لما لطف فقرب من الارض جسمه ويقال له الفرش واحدها وجمعها سميت بذلك تمثيلا لها فى استواء أسنانها ولطفها بالفرش من الارض وهى الارض المستوية التى تتوطؤها الناس فاما الحمولة بضم الحاء فانها الاحمال وهى الحمول أيضا بضم الحاء ۞ القول فى تأويل قوله (كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين) يقول جل ثناؤه كلوا مما رزقكم الله أيها المؤمنون فاحل لكم ثمرات حروثكم وغروسكم ولحوم انعامكم اذ حرم بعض ذلك على أنفسهم المشركون بالله فجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا وللشيطان مثله فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا ولا تتبعوا خطوات الشيطان كما اتبعها بحيرة والسائبة والوصيلة فتحرموا على أنفسكم من طيب رزق الله الذى رزقكم ما حرموه فتطيعوا بذلك الشيطان وتعصوا به الرحمن كما **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولا تتبعوا خطوات الشيطان لا تتبعوا طاعته هى ذنوب لكم وهى طاعة للخبيث ان الشيطان لكم عدو يبغى هلاككم وصدكم عن سبيل ربكم مبين قد أبان لكم عداوته بمناصبته أباكم بالعداوة حتى أخرجه من الجنة بكيده وخدعه وحسدا منه له وبغيا عليه ۞ القول فى تأويل قوله (ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين قل آلذكرين حرم أم الانثيين اما اشتملت عليه أرحام الانثيين نبئونى بعلم ان كنتم صادقين) وهذا تقريع من الله جل ثناؤه العادلين به الاوثان من عبدة الاصنام الذين بحروا البحائر وسيبوا السوائب ووصلوا الوصائل وتعليم منه نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به الحجة عليهم فى تحريمهم ما حرموا من ذلك فقال للمؤمنين به وبرسوله وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات ومن الانعام أنشأ حمولة وفرشا ثم بين جل ثناؤه الحمولة والفرش فقال ثمانية أزواج وانما نصب الثمانية لانها ترجمة عن الحمولة والفرش وبدل منها كان

معنى الكلام ومن الانعام انشأ ثمانية أزواج فلما قدم قبل الثمانية الحمولة والفرش بين ذلك بعد فقال ثمانية أزواج على ذلك المعنى من الضأن اثنين ومن المعز اثنين فذلك أربعة لان كل واحد من الاثنين من الضأن زوج فالانثى منه زوج الذكر والذكر منه زوج الانثى وكذلك ذلك من المعز ومن سائر الحيوان فلذلك قال جل ثناؤه ثمانية أزواج كما قال ومن كل شئ خلقنا زوجين لان الذكر زوج الانثى والانثى زوج الذكر فهما وان كانا اثنين فهما زوجان كما قال جل ثناؤه وجعل منها زوجها ليسكن اليها وكما قال امسك عليك زوجك وكما حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية عن جويبر عن الضحاك من الضأن اثنين ذكر وأنثى ومن البقر اثنين ذكر وأنثى ومن الابل اثنين ذكر وأنثى ويقال للاثنين هما زوج كما قال لبيد

من كل محفوف نظل عصيه * زوج عليه كلة وقرامها

ثم قال لهم كلوا مما رزقكم الله من هذه الثمار واللحوم واركبوا هذه الحمولة أيها المؤمنون فلا تتبعوا خطوات الشيطان في تحريم ما حرم هؤلاء الجهلة بغير أمري اياهم بذلك قال لهؤلاء الذين حرموا ما حرموا من الحرث والانعام اتباعا للشيطان من عبدة الاوثان والاصنام يا محمد الذين زعموا ان الله حرم عليهم ما هم محرمون من ذلك آلذكرين حرم ربكم أيها الكذبة على الله من الضأن والمعز فانهم ان ادعوا ذلك وأقروا به كذبوا أنفسهم وأبانوا جهلهم لانهم اذا قالوا يحرم الذكرين من ذلك أوجبوا تحريم كل ذكر من ولد الضأن والمعز وهم يستمتعون بلحوم الذكران منها وظهورها وفي ذلك فساد دعواهم وتكذيب قولهم أم الانثيين فانهم ان قالوا حرم ربنا الانثيين أوجبوا تحريم لحوم كل أنثى من ولد الضأن والمعز على أنفسهم وظهورها وفي ذلك أيضا تكذيب لهم ودحض دعواهم ان ربهم حرم ذلك عليهم اذ كانوا يستمتعون بلحوم بعض ذلك وظهوره أما اشتملت عليه أرحام الانثيين يقول أم حرم ما اشتملت عليه أرحام الانثيين يعني أرحام أنثى الضأن وأنثى المعز فلذلك قال أرحام الانثيين وفي ذلك أيضا لو أقروا به فقالوا حرم علينا ما اشتملت عليه أرحام الانثيين بطول قولهم وبيان كذبهم لانهم كانوا يقرون باقرارهم بذلك ان الله حرم عليهم ذكور الضأن والمعز واناثها ان يأكلوا لحومها أو يركبوا ظهورها وقد كانوا يستمتعون ببعض ذكورها واناثها وما التي في قوله اما اشتملت عليه أرحام الانثيين نصب عطفا بها على الانثيين نبؤني بعلم يقول قل لهم خبروني بعلم ذلك على صحته أي ذلك حرم ربكم عليكم وكيف حرم ان كنتم صادقين فيما تنحلونه ربكم من دعواكم وتضيفونه اليكم من تحريمكم وانما هذا اعلام من الله جل ثناؤه نبيه ان كل ما قاله هؤلاء المشركون في ذلك وأضافوه الى الله فهو كذب على الله وانه لم يحرم شيأ من ذلك وانهم انما اتبعوا في ذلك خطوات الشيطان وخالفوا أمره وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين الآية ان كل هذا لم أحرم منه قليلا ولا كثيرا ذكرا ولا أنثى حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة من الضأن اثنين ومن المعز اثنين قال سلهم آلذكرين حرم أم الانثيين أما اشتملت عليه أرحام الانثيين لم أحرم من هذا شيأ نبؤني بعلم ان كنتم صادقين فذكر من الابل والبقر نحو ذلك حدثنا

بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم) القرا آت تذكرون بتخفيف الذال حيث كان حمزة وعلي وخلف وعاصم غير أبي بكر وحماد فحذفوا احدى التاءين الباقون بالتشديد لاجل ادغام تاء التفعل في الذال وان هذا بسكون النون ابن عامر ويعقوب وان هذا بكسر الهمزة وتشديد النون حمزة وعلي وخلف الباقون وان بالفتح والتشديد صراطي بفتح الياء ابن عامر والاعشى والبرجمي فتفرق بتشديد التاء البزي وابن فليح ان يأتيهم بالياء التحتانية وكذلك في النحل على (٤٥) وحمزة وخلف الباقون بالتاء الفوقانية فارقوا وكذلك في الروم حمزة وعلي الباقون فرقوا بالتشديد عشر بالتنوين أمثالها بالرفع يعقوب الباقون بالاضافة ربي الى بفتح ياء المتكلم أبو عمرو وأبو جعفر ونافع قيما بكسر القاف وفتح الياء ابن عامر وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير المفضل الباقون بالعكس مع تشديد الياء محياي بالسكون مماتي بالفتح أبو جعفر ونافع الباقون بالعكس وأنا أول بالمد نافع وأبو جعفر *الوقوف شيأ ط للحذف أي وأحسنوا بالوالدين احسانا ج لابتداء النهي مع احتمال العطف أي وان لا تصلوا من املاق ط واياهم ج للعطف مع العارض ما بطن ط للفصل بين الحكمين المعظمين مع اتفاق الجملتين بالحق ط لانتهاء بيان الاحكام الى توكيد الايصاء للاحكام تعقلون ه أشده ج للفصل بين الحكمين بالقسط ط لاحتمال ما بعده الحال أو الاستئناف ذا قربى ج لتناهي جواب اذا وتقدم مفعول أوفوا تذكرون ه لا لمن قرأ وان هذا بالكسر فاتبعوه ج للفصل بين النقيضين معنى مع الاتفاق نظما عن سبيله ط تتقون ه يؤمنون ه ترحمون ه لا لان التقدير فاتبعوه لئلا يقولوا من قبلنا ص لغافلين ه لا للعطف أهدى منهم ج للفاء مع ان قد لتوكيد الابتداء ورحمة ج للاستفهام مع الفاء وصدف عنها ط يصدفون ه بعض آيات ربك ط خيرا ط منتظرون ه في شئ ط يفعلون ه أمثالها ج لابتداء شرط آخر مع العطف لا يظلمون ه مستقيم ج لاحتمال ان دينا نصب على البدل من محل الى صراط أو على الاغراء أي الزموا حنيفا ج لابتداء النفي مع اتحاد المعنى المشركين ه العالمين ه لا شريك له ج المسلمين ه كل شئ ط لانتهاء الاستفهام الى الاخبار الا عليها ج لتفصيل الامر عن النهي بل مع اتفاق الجملتين أخرى ج لان ثم لترتيب الاخبار مع اتحاد المقصود تختلفون ه

آتنا كما العقاب ز للتفصيل بين تحذير وتبشير والوصل للعطف أوضح رحيم ٥ * التفسير لما بين فساد ما يقوله الكفار في باب التحليل والتحريم اتبعه البيان الشافي في الباب فقال قل تعالوا وهو الخاص الذي صار عاما لان أصله ان يقوله من كان في مكان عال لمن هو أسفل منه وما في قوله ما حرم اما منصوب بفعل التلاوة أي أتل الذي حرمه ربكم فالعائد محذوف وقوله عليكم يكون متعلقا باتل أو بحرم واما منصوب بحرم على ان ما استفهامية فلا راجع والمعنى أتل (٤٦) أي شئ حرم لان التلاوة نوع من القول وتقديم المفعول للتخصيص فان قيل قوله أن لا تشركوا به شيأ وبالوالدين احسانا كالتفصيل لما أجمله في قوله ما حرم فيلزم ان يكون ترك الشرك والاحسان الى الوالدين محرما فالجواب ان المراد من التحريم البيان المضبوط أو الكلام تم عند قوله ما حرم ربكم ثم ابتدأ فقال عليكم أن لا تشركوا أو أن مفسرة أي ذلك التحريم هو قوله لا تشركوا وهذا في النواهي واضح وأما الاوامر فيعلم بالقرينة ان التحريم راجع الى اضدادها وهي الاساءة الى الوالدين وبخس الكيل والميزان وترك العدل في القول ونكث عهد الله ولا يجوز ان يجعل ان ناصبة والا لزم عطف الطلب أعني الامر على الخبر واعلم انه سبحانه بين فرق المشركين في هذه السورة أحسن بيان وذلك ان منهم من يجعل الاصنام شركاء لله تعالى فاشار اليهم بقوله واذ قال ابراهيم لابيه آزر أتتخذ أصناما آلهة ومنهم عبدة الكواكب الذين أبطل قولهم بقوله لا أحب الآفلين ومنهم القائلون بيزدان واهرمن ومنهم الذين يقولون الملائكة بنات الله والمسيح ابن الله وزيف معتقدهم بقوله وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم ثم عمم النهي بقوله لا تشركوا به شيأ ثم حث على احسان الوالدين وكفى به خصلة شريفة ان جعله تاليا لتوحيده ثم أوجب رعاية حقوق الاولاد بعد رعاية حقوق الوالدين ومعنى من املاق أي من خوف الفقر كما صرح بذلك في الآية الاخرى ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق كانوا يدفنون البنات أحياء بعضهم للغيرة وبعضهم لخوف الاملاق وهو السبب الغالب فلذلك أزيل ذلك الوهم بقوله نحن نرزقكم واياهم فكما يجب على الوالد الاتكال في رزق نفسه على الله فكذا القول في حال الولد قال شمر أملق لازم ومتعد أملق الرجل اذا افتقر وأملق الدهر ما عنده اذا أفسده وانما قال ههنا نحن نرزقكم واياهم وقال في سبحان بالعكس لان التقدير في الآية من املاق بكم نحن

محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله ثمانية أزواج في شأن ما نهى الله عنه من البحيرة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله ثمانية أزواج قال هذا في شأن ما نهى الله عنه من البحائر والسيب قال ابن جريج يقول من أين حرمت هذا من قبل الذكرين أم من قبل الانثيين أما اشتملت عليه أرحام الانثيين وانها لا تشتمل الا على ذكر أو أنثى فمن أين جاء التحريم فاجابوا هم وجدنا آباءنا كذلك يفعلون حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن البقر اثنين ومن الابل اثنين يقول أنزلت لكم ثمانية أزواج من هذا الذي عددت ذكر وأنثى فالذكرين حرمت عليكم أم الانثيين أما اشتملت عليه أرحام الانثيين يقول أي ما اشتملت عليه أرحام الانثيين ما تشتمل الا على ذكر أو أنثى فما حرمت عليكم ذكرا ولا أنثى من الثمانية انما ذكر هذا من أجل ما حرموا من الانعام حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن أبي رجاء عن الحسن أما اشتملت عليه أرحام الانثيين قال ما حملت الرحم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله قل آلذكرين حرم أم الانثيين قال هذا كقولهم ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا قال وقال ابن زيد في قوله ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين قال الانعام هي الابل والبقر والضأن والمعز هذه الانعام التي قال الله ثمانية أزواج قال وقال في قوله هذه أنعام وحرث حجر نحجرها على من نريد وعمن نريد وقوله وانعام حرمت ظهورها قال لا يركبها أحد وانعام لا يذكرون اسم الله عليها فقال آلذكرين حرم أم الانثيين أي هذين حرم على هؤلاء أي ان تكون لهؤلاء حل وعلى هؤلاء حرام حدثني المثنى قال ثنا عبد الله ابن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين قل آلذكرين حرم أم الانثيين أما اشتملت عليه أرحام الانثيين يعني هل تشتمل الرحم الا على ذكر أو أنثى فهل يحرمون بعضا ويحلون بعضا حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين فهذه أربعة أزواج ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكر حرم أم الانثيين يقول لم أحرم شيأ من ذلك نبؤني بعلم ان كنتم صادقين يقول كله حلال والضأن جمع لا واحد له من لفظه وقد يجمع الضأن الضئين والضأن مثل الشعر والشعير كما يجمع العبد على عبد وعبيد وأما الواحد من ذكوره فضائن والانثى ضائنة وجمع الضائنة ضوائن وكذلك المعز جمع على غير واحد وكذلك المعزى وأما الماعز فجمعه مواعز ۞ القول في تأويل قوله (ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم أم الانثيين أما اشتملت عليه أرحام الانثيين أم كنتم شهداء اذ وصاكم الله بهذا فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين) وتأويل قوله ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكر حرم أم الانثيين أما اشتملت عليه أرحام الانثيين نحو تأويل قوله من الضأن اثنين ومن المعز اثنين وهذه أربعة أزواج على نحو ما بينا من الازواج الاربعة قبل من الضأن والمعز فذلك ثمانية أزواج كما وصف جل ثناؤه وأما قوله أم كنتم شهداء اذ وصاكم الله بهذا فمن

اظلم

أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم فانه أمر من الله جل ثناؤه نبيه صلى الله عليه وسلم ان يقول لهؤلاء الجهلة من المشركين الذين قص قصصهم في هذه الآيات التي مضت يقول له عز ذكره قل لهم يا محمد أي هذه سألتكم عن تحريمه حرم ربكم عليكم من هذه الازواج الثمانية فان أجابوك عن شيء مما سألتهم عنه من ذلك فقل لهم أخبرا قلتم ان الله حرم عليكم أخبركم به رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ربكم أم شهدتم ربكم فرأيتموه فوصاكم بهذا الذي تقولون وتروون على الله فان هذا الذي تقولون من اخباركم عن الله انه حرام بما تزعمون على ما تزعمون لا يعلم الا بوحي من عنده مع رسول يرسله الى خلقه أو بسماع منه فبأي هذين الوجهين علمتم ان الله حرم ذلك كذلك برسول أرسله اليكم فانبؤني بعلم ان كنتم صادقين أم شهدتم ربكم فاوصاكم بذلك وقال لكم حرمت ذلك عليكم فسمعتم تحريمه منه وعهده اليكم بذلك فانه لم يكن واحد من هذين الامرين يقول جل ثناؤه فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم يقول فمن أشد ظلما لنفسه وأبعد عن الحق ممن تخرص على الله قيل الكذب وأضاف اليه تحريم ما لم يحرم وتحليل ما لم يحلل ليضل الناس بغير علم يقول ليصدهم عن سبيله ان الله لا يهدي القوم الظالمين يقول لا يوفق الله للرشد من افترى على الله وقال عليه الزور والكذب وأضاف اليه تحريم ما لم يحرم كفرا بالله وجحودا النبوة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم كالذي حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أم كنتم شهداء اذ وصاكم الله بهذا الذي تقولون حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي قال كانوا يقولون يعني الذين كانوا يتخذون البحائر والسوائب ان الله أمر بهذا فقال الله فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم ۞ القول في تأويل قوله (قل لا أجد فيما أوحي الى محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فانه رجس أو فسقا أهل لغير الله به) يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء الذين جعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا ولشركائهم من الآلهة والانداد مثله والقائلين هذه انعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم والمحرمين من انعام أخر ظهورها والتاركين ذكر اسم الله على آخر منها والمحرمين بعض ما في بطون بعض انعامهم على اناثهم وأزواجهم ومحليه لذكورهم المحرمين ما رزقهم الله افتراء على الله واضافة منهم ما يحرمون من ذلك الى ان الله هو الذي حرمه عليهم أجاءكم من الله رسول بتحريمه ذلك عليكم فانبؤنا به أم وصاكم الله بتحريمه مشاهدة منكم له فسمعتم منه تحريمه ذلك عليكم فحرمتموه فانكم كذبة ان ادعيتم ذلك ولا يمكنكم دعواه لانكم اذا ادعيتموه علم الناس كذبكم فاني لا أجد فيما أوحي الى من كتابه وآي تنزيله شيئا محرما على آكل يأكله مما تذكرون انه حرمه من هذه الانعام التي تصفون تحريم ما حرم عليكم منها بزعمكم الا ان يكون ميتة قد ماتت بغير تذكية أو دما مسفوحا وهو المنصب أو الا ان يكون لحم خنزير فانه رجس أو فسقا يقول أو الا ان يكون فسقا يعني بذلك أو الا ان يكون مذبوحا ذبحه ذابح من المشركين من عبدة الاوثان لصنمه وآلهته فذكر عليه اسم وثنه فان ذلك الذبح فسق نهى الله عنه وحرمه ونهى من آمن به عن أكل ما ذبح كذلك لانه ميتة وهذا اعلام من الله جل ثناؤه للمشركين الذين جادلوا نبي الله وأصحابه في تحريم الميتة بما جادلوهم به ان الذي جادلوهم فيه

نرزقكم واياهم وهناك زيدت الخشية التي تتعلق بالمستقبل فالتقدير خشية املاق يقع بهم نحن نرزقهم واياكم ثم نهى عن قربان الفواحش كلها ومعنى ما ظهر منها وما بطن كما مر في قوله وذروا ظاهر الاثم وباطنه وقيه ان الانسان اذا احترز عن المعصية في الظاهر ولم يحترز عنها في الباطن دل على ان احترازه عنها ليس لاجل عبودية الله تعالى وامتثال أمره ولكن لاجل الخوف من مذمة الناس ثم أفرز من جملة الفواحش قتل النفس المحرمة تنبيها على فظاعتها ولما نيط بها من الاستثناء وهو قوله الا بالحق (٤٧) وذلك ان قتل النفس المحرمة قد يكون حقا لجرم صدر عنها كما جاء في الحديث لا يحل دم امرئ مسلم الا لاحدى ثلاث كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان وقتل نفس بغير حق وينخرط في سلكه جزاء قاطع الطريق والحاصل ان الاصل في قتل النفس هو الحرمة وحله لا يثبت الا لامر منفصل ثم لما بين النواهي الخمسة اتبعه الكلام الذي يقرب الى القلوب القبول فقال ذلكم وصاكم لما في لفظ التوصية من الرأفة والاستعطاف ومعنى لعلكم تعقلون لكي تعقلوا فوائد هذه التكاليف ومنافعها في الدين والدنيا ثم ذكر أربعة أنواع أخر من التكاليف وذلك قوله ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي أي بالخصلة أو الطريقة التي هي أحسن وهي السعي في تثميره وانمائه ورعاية وجوه الغبطة لاجله كما مر في أول سورة النساء حتى يبلغ أشده أي احفظوا ماله الى هذه الغاية أي أوان الاحتلام ولكن بشرط ان يؤنس منه الرشد قال الفراء واحد الاشد في القياس أوشد ولم يسمع وقال أبو الهيثم الواحد شدة كأنعم في نعمة والشدة القوة ومنه قولهم بلغ الغلام شدته وقيل انه واحد جاء على بناء الجمع كآنك ولا نظير لهما وأوفوا الكيل والميزان بالقسط بالعدل والسوية وايفاء الكيل اتمامه خلاف البخس وقوله والميزان أي الوزن بالميزان فان قيل ايفاء الكيل والوزن هو عين القسط فما فائدة التكرار قلنا أمر الله المعطي بايفاء ذي الحق حقه من غير نقصان وأمر صاحب الحق بأخذ حقه من غير طلب الزيادة ثم قال لا نكلف نفسا الا وسعها ليعلم ان الواجب هو القدر الممكن من العدالة والسوية لا التحقيق المؤدي الى الحرج والعسر وزعمت المعتزلة ههنا ان هذا القدر من التضييق حين لم يجوزه الله تعالى فكيف يكلف الكافر الايمان مع انه لا قدرة له عليه أو يخلق القدرة الموجبة للكفر والداعية المقتضية له ثم ينهاه عنه وعورض بالعلم والداعي كما تقدم مرارا واذا قلتم فاعدلوا ولو كان القول له أو عليه

قربى حمله المفسرون على اداء الشهادة وعلى الامر والنهي والاولى ان يحمل على الاقوال كلها و يدخل فيه قول الرجل في الدعاء الى الدين وتقرير الدلائل عليه بان يذكر الدليل مخلصا عن الحشو ومبرأ عن النقص ومجردا عن العصبية والجدال على مقتضى الهوى والتشهي وكذا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وكذا الحكاية والرواية والرسالة وحكم الحاكم بحيث يسوي فيه بين القريب والبعيد ولا ينظر الا رضا الله وختم الاوامر بقوله و بعهد الله أوفوا كما قال (٤٨) أوفوا بالعقود و يندرج في هذه الخاتمة بالحقيقة جميع الانواع المذكورة وان هذا صراطي من قرأ بالفتح والتخفيف فباعماله في ضمير الشأن والتقدير تعالوا اتل ما حرم واتل انه هذا صراطي وكذا فيمن قرأ بالتشديد و بالفتح الا أن ضمير الشأن لا يقدر وان شئت جعلتها خفضا متعلقا بما قبله أي ذلكم وصاكم به وبان هذا و بما بعده والتقدير وبان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ومن كسر فلان التلاوة في معنى القول أو على الاستئناف والمعنى اتبعوا صراطي انه مستقيم ولا تتبعوا السبل المختلفة في الدين من اليهودية والنصرانية والمجوسية وسائر البدع والضلالات فتفرق بكم الباء للتعدية أي فيفرقكم ذلك الاتباع عن سبيله المستقيم وهو دين الاسلام وعن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله انه خط خطا ثم قال هذا سبيل الرشد ثم خط عن يمينه وعن شماله خطوطا ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم تلا هذه الآية فهذه الآية بالحقيقة اجمال لما في الآيتين المتقدمتين ولهذا ختمها بالتقوى التي هي ملاك العمل وخير الزاد وختم الاولى بقوله لعلكم تعقلون لانها أمور ظاهرة جلية يكفي في تعقلها أدنى مسكة وعقل وختم الثانية بقوله لعلكم تذكرون لان المذكور فيها أمور خفية تحتاج الى التدبر والتذكر حتى يقف فيها على موضع الاعتدال أو نقول الامور الخمسة المذكورة في الآية الاولى كلها عظام جسام وكانت الوصية بها من أبلغ الوصايا فختم الآية بما في الانسان من أشرف السجايا وهو العقل الذي امتاز به الانسان عن سائر الحيوان وأما المذكورة في الثانية فاشياء يقبح تعاطيها وارتكابها وكانت الوصية بها تجري مجرى الزجر والوعظ فختمها بقوله تذكرون أي تتعظون بمواعظ الله تعالى قوله ثم آتينا موسى الكتاب معطوف على وصاكم فسئل كيف صح عطفه عليه بثم والايتاء قبل الوصية بدهر طويل وأجيب بان التكاليف التسعة المذكورة تكاليف لا تختلف

من ذلك هو الحرام الذي حرمه الله وان الذي زعموا ان الله حرمه حلال قد أحله الله وانهم كذبة في اضافتهم تحريمه الى الله وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه في قوله قل لا أجد فيما أوحي الي محرما قال كان أهل الجاهلية يحرمون أشياء ويحلون أشياء فقال قل لا أجد فيما كنتم تحرمون وتستحلون الا هذا الا ان يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فانه رجس أو فسقا أهل لغير الله به حدثني المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه في قوله قل لا أجد فيما أوحي الي محرما الآية قال كان أهل الجاهلية يستحلون أشياء ويحرمون أشياء فقال الله لنبيه قل لا أجد فيما أوحي الي محرما مما كنتم تستحلون الا هذا وكانت أشياء يحرمونها فهي حرام الآن حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن ابن طاوس عن أبيه قل لا أجد فيما أوحي الي محرما على طاعم يطعمه قال ما يؤكل قلت في الجاهلية قال نعم وكذلك كان يقول الا ان يكون ميتة أو دما مسفوحا قال ابن جريج وأخبرني ابراهيم بن أبي بكر عن مجاهد قل لا أجد فيما أوحي الي محرما قال مما كان في الجاهلية يأكلون لا أجد محرما من ذلك على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة أو دما مسفوحا وأما قوله أو دما مسفوحا فان معناه أو دما مسالا مهراقا يقال منه سفحت دمه اذا أرقته أسفحه سفحا فهو دم مسفوح كما قال طرفة بن العبد

اني وجدك ما هجوتك * والانصاب يسفح فوقهن دم

وكما قال عبيد بن الابرص

اذا ما عاده منها نساء * سفحن الدمع من بعد الرنين

يعني صببن وأسلن الدمع وفي اشتراطه جل ثناؤه في الدم عند اعلامه عباده تحريمه اياه المسفوح منه دون غيره الدليل الواضح ان ما لم يكن منه مسفوحا فحلال غير نجس وذلك كالذي حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن عمرو عن عكرمة أو دما مسفوحا قال لولا هذه الآية لتتبع المسلمون من العروق ما تتبعت اليهود حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة بنحوه الا انه قال لاتبع المسلمون حدثني المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة بنحوه حدثنا أبو كريب قال أخبرنا وكيع عن عمران بن حدير عن أبي مجلز في القدر يعلوها الحمرة من الدم قال انما حرم الله الدم المسفوح حدثني المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا حماد عن عمران بن حدير عن أبي مجلز قال سألته عن الدم وما يتلطخ بالمذبح من الرأس وعن القدر يرى فيها الحمرة قال انما نهى الله عن الدم المسفوح حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة أو دما مسفوحا قال حرم الدم ما كان مسفوحا وأما لحم خالطه دم فلا بأس به حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية ابن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله قل لا أجد فيما أوحي الي محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا يعني مهراقا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد أخبرني ابن دينار عن عكرمة أو دما مسفوحا قال لولا هذه الآية لتتبع المسلمون

عروق اللحم كما تتبعها اليهود حدثني المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا حماد عن يحيى بن سعيد عن القاسم بن محمد عن عائشة انها كانت لا ترى بلحوم السباع بأسا والحمرة والدم يكونان على القدر بأسا وقرأت هذه الآية قل لا أجد فيما أوحي الى محرما على طاعم يطعمه الآية حدثني المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن يحيى بن سعيد قال ثنى القاسم بن محمد عن عائشة قالت وذكرت هذه الآية أو دما مسفوحا قلت وان البرمة ليرى في مائها الصفرة وقد بينا معنى الرجس فيما مضى من كتابنا هذا وانه النجس والنتن وما يعصى الله به بشواهده فاغنى عن اعادته في هذا الموضع وكذلك القول في معنى الفسق وفي قوله أهل لغير الله به قد مضى ذلك كله بشواهده الكافية ومن وفق لفهمه عن تكراره واعادته واختلفت القراء في قراءة قوله الا أن يكون ميتة فقرأ ذلك بعض قراء أهل المدينة والكوفة والبصرة الا أن يكون بالياء ميتة مخففة الياء منصوبة على ان في يكون مجهولا والميتة فعل له فنصبت على انها فعل يكون وذكروا يكون لتذكير المضمر في يكون وقرأ ذلك بعض قراء أهل مكة والكوفة الا أن تكون بالتاء ميتة بتخفيف الياء من الميتة ونصبها وكان معنى نصبهم الميتة معنى الاولين وأنثوا تكون لتأنيث الميتة كما يقال انها قائمة جاريتك وانه قائم جاريتك فيذكر المجهول مرة ويؤنث أخرى لتأنيث الاسم الذي بعده وقرأ ذلك بعض المدنيين الا أن تكون ميتة بالتاء في تكون وتشديد الياء من ميتة ورفعها فجعل الميتة اسم تكون وأنث تكون لتأنيث الميتة وجعل تكون مكتفية بالاسم دون الفعل لان قوله الا أن يكون ميتة استثناء والعرب تكتفي في الاستثناء بالاسماء عن الافعال فيقولون قام الناس الا ان يكون أخاك والا ان يكون أخوك فلا تأتي لتكون بفعل وتجعلها مستغنية بالاسم كما يقال قام القوم الا أخاك والا أخوك فلا يعتد الاسم الذي بعد حرف الاستثناء نفلا ٧ ✻ والصواب من القراءة في ذلك عندي الا ان يكون بالياء ميتة بتخفيف الياء ونصب الميتة لان الذي في يكون من المكنى من ذكر المذكر وانما هو قل لا أجد فيما أوحي الى محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ذلك ميتة أو دما مسفوحا فاما قراءة ميتة بالرفع فانه وان كان في العربية غير خطا فانه في القراءة في هذا الموضع غير صواب لان الله يقول أو دما مسفوحا فلا خلاف بين الجميع في قراءة الدم بالنصب وكذلك هو في مصاحف المسلمين وهو عطف على الميتة فاذ كان ذلك كذلك فمعلوم أن الميتة لو كانت مرفوعة لكان الدم وقوله أو فسقا مرفوعين ولكنها منصوبة فيعطف بهما عليها بالنصب ۞ القول في تأويل قوله (فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان ربك غفور رحيم) وقد ذكرنا اختلاف أهل التأويل في تأويل قوله فمن اضطر غير باغ ولا عاد والصواب من القول فيه عندنا فيما مضى من كتابنا هذا في سورة البقرة بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وان معناه فمن اضطر الى أكل ما حرم الله من أكل الميتة والدم المسفوح أو لحم الخنزير أو ما أهل لغير الله به غير باغ في أكله اياه تلذذا لا لضرورة حالة من الجوع ولا عاد في أكله بتجاوزه ما حده الله وأباحه من أكله وذلك ان يأكل منه ما يدفع عنه الخوف على نفسه بترك أكله من الهلاك لم يتجاوز ذلك الى أكثر منه فلا حرج عليه في أكله ما أكل من ذلك فان الله غفور رحيم فيما فعل من ذلك فساتر عليه بتركه عقوبته عليه ولو شاء عاقبه عليه باباحته اياه أكل ذلك عند حاجته اليه ولو شاء حرمه عليه ومنعه منه ۞ القول في تأويل

بحسب اختلاف الشرائع كما روى عن ابن عباس ان هذه الآيات محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب وقيل انهن أم الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار وعن كعب الاحبار والذي نفس كعب بيده ان هذه الآيات لاول شيء في التوراة واما الشرائع التي كانت التوراة مختصة بها فهي انما حدثت بعد تلك التكاليف التسعة فكأنه قيل ذلكم وصاكم به يا بني آدم قديما وحديثا ثم أعظم من ذلك انا آتينا موسى الكتاب وأنزلنا هذا الكتاب المبارك وقيل ان في الآية حذفا تقديره (٤٩) ثم قل يا محمد صلى الله عليه وآله انا آتينا والمعنى اتل ما أوحي اليك ثم اتل عليهم خبر ما آتينا موسى وقيل هو معطوف على ما تقدم قبل شطر السورة من قوله ووهبنا له اسحق ويعقوب وقوله تماما على الذي أحسن مفعول له أي لنتم نعمتنا على الذي أحسن أي على من كان محسنا صالحا أو المراد اتماما للنعمة والكرامة على العبد الذي أحسن الطاعة في التبليغ وكل ما أمر به أو تماما على الذي أحسن موسى من العلم والشرائع من أحسن الشيء اذا أجاد معرفته أي زيادة على علمه وقرأ أحسن بالرفع على الدين الذي هو أحسن دين وأرضاه وتفصيلا لكل شيء فيدخل في ذلك بيان نبوة رسولنا صلى الله عليه وآله وصحة دينه وشرعه وهدى دلالة ورحمة لكي يؤمنوا بلقاء ما وعدهم ربهم به من ثواب وعقاب وهذا كتاب أنزلناه لا شك انه القرآن مبارك كثير الخير والنفع أو ثابت لا يتطرق اليه النسخ كما في الكتابين فاتبعوه واتقوا لكي ترحموا لان الغرض من التقوى رحمة الله تعالى أو اتقوا لترحموا جزاء على التقوى أو اتقوا مخالفته على رجاء الرحمة قال الفراء قوله ان تقولوا مفعول له واتقوا وقال الكسائي التقدير انا أنزلناه لئلا تقولوا وقال البصريون انا أنزلناه كراهة ان تقولوا والخطاب لاهل مكة انما أنزل الكتاب أي التوراة والانجيل على طائفتين من قبلنا اليهود والنصارى وان كنا هي المخففة من الثقيلة واللام في لغافلين هي الفارقة بينها وبين النافية والاصل وانه كنا ومعنى الدراسة القراءة وعاقلوا الكتاب أهدى منهم لحدة اذهانهم وكثرة حفظهم لايام العرب ووقائعها وخطبها واشعارها وأمثالها مع كونهم أميين قطع الله معذرتهم بانزال القرآن عليهم ثم قال فقد جاءكم أي ان صدقتم فيما كنتم تعدون من انفسكم انه لو أنزل عليكم الكتاب لكنتم أهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم فيما اعلم سمعا وعقلا

قوله (وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر) يقول تعالى ذكره وحرمنا على اليهود كل ذى ظفر وهو من البهائم والطير مالم يكن مشقوق الاصابع كالابل والنعام والاوز والبط وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى وعلى بن داود قالا ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر وهو البعير والنعامة حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر قال البعير والنعامة ونحو ذلك من الدواب حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن شريك عن عطاء عن سعيد وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر قال هو الذى ليس بمنفرج الاصابع حدثنى على بن الحسين الازدى قال ثنا يحيى بن يمان عن شريك عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير فى قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر قال كل شئ متفرق الاصابع ومنه الديك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال كل ذى ظفر النعامة والبعير حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح مثله حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر فكان يقال البعير والنعامة واشباهه من الطير والحيتان حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور قال ثنا معمر عن قتادة كل ذى ظفر قال الابل والنعام ظفر يد البعير ورجله والنعام أيضا كذلك وحرم عليهم أيضا من الطير البط وشبهه وكل شئ ليس بمشقوق الاصابع حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى أما كل ذى ظفر فالابل والنعام حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا شيخ عن مجاهد فى قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر قال النعامة والبعير شقا شقا قال قلت ما شقا شقا قال كل مالم تفرج قوائمه لم يأكله اليهود البعير والنعامة والدجاج والعصافير تأكلها اليهود لانها قد فرجت حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد كل ذى ظفر قال النعامة والبعير شقا شقا قلت للقاسم بن أبى بزة وحدثنيه ما شقا شقا قال كل شئ لم يفرج من قوائم البهائم قال وما انفرج أكلته اليهود قال انفرجت قوائم الدجاج والعصافير فيهود تأكلها قال ولم تنفرج قائمة البعير خفه ولا خف النعامة ولا قائمة الوزينة فلا تأكل اليهود الابل ولا النعام ولا الوزين ولا كل شئ لم تنفرج قائمته وكذلك لا تأكل حمار وحش وكان ابن زيد يقول فى ذلك بما حدثنى به يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الابل فقط وأولى القولين فى ذلك بالصواب القول الذى ذكرنا عن ابن عباس ومن قال بمثل مقالته لان الله جل ثناؤه أخبر انه حرم على اليهود كل ذى ظفر فغير جائز اخراج شئ من عموم هذا الخبر الا ما أجمع أهل العلم انه خارج منه واذ كان ذلك كذلك وكان النعام وكل مالم يكن من البهائم والطير مماله ظفر غير منفرج الاصابع داخلا فى ظاهر التنزيل وجب ان يحكم له بانه داخل فى الخبر اذ لم يات بان بعض ذلك غير داخل فى الآية خبر عن الله ولا عن رسوله وكانت الامة أكثرها مجمع على انه فيه داخل ۞ القول فى تاويل قوله (ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت ظهورهما)

فيما يعلم سمعا وعقلا ورحمة من الله فى صلاح المعاش والمعاد فمن أظلم بعد هذه المعجزات والبينات ممن كذب بآيات الله وصدف عنها أى منع غيره منها لان الاول ضلال والثانى اضلال ثم ختم الآية باشد الوعيد وأبلغ التهديد ثم ذكر انهم بعد نصب الادلة وازاحة العذر لا يؤمنون البتة وشرح أحوالا توجب المبادرة الى الايمان والتوبة فقال هل ينظرون أى ينتظرون ومعنى الاستفهام النفى وتقدير الآية انهم لا يؤمنون بك الا عند مجئ أحد هذه الامور مجئ الملائكة أو مجئ الرب ويعنى به عذابه وبأسه كما سلف فى البقرة أو مجئ المعجزات القاهرة قال فى الكشاف الملائكة ملائكة الموت أو ملائكة العذاب ومجئ الرب مجئ كل آية ثم قال يوم يأتى بعض آيات ربك وأجمعوا على ان المراد بهذه الآيات علامات القيامة عن البراء بن عازب قال كنا نتذاكر أمر الساعة اذ أشرف النبى صلى الله عليه وآله فقال أتتذاكرون الساعة انها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات الدخان ودابة الارض وخسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى ونارا تخرج من عدن والمراد انه اذا بدت اشراط الساعة ذهب أوان التكليف عندها فلم ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل ايمانها ولا نفسا ما كسبت فى ايمانها خيرا ثم أوعدهم بقوله قل انتظروا انا منتظرون ثم سلى رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله ان الذين فارقوا دينهم أو فرقوا ومعنى القراءتين فى الحقيقة واحد لان الذى فرق دينه بمعنى انه أقر ببعض وكفر ببعض فقد فارقه أى تركه قال ابن عباس يريد ان المشركين بعضهم يعبدون الملائكة ويقولون انهم بنات الله وبعضهم يعبدون الاصنام ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله فصاروا شيعا أى فرقا واخوانا فى الضلالة والشيعة كل فرقة تشيع اماما لها وقال مجاهد وقتادة هم اليهود والنصارى تفرقوا فرقا وكفر بعضهم بعضا وأخذوا بعضا وتركوا بعضا كقوله أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض وعن مجاهد أيضا انهم من هذه الامة وهم أهل البدع والشبهات وفى الحديث افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة كلها فى الهاوية الا واحدة وهى الناجية وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة كلها فى الهاوية الا واحدة وتفترق أمتى على ثلاث وسبعين كلها فى الهاوية الا واحدة لست منهم فى شئ أى انك بعيد من أقوالهم ومذاهبهم والعقاب اللازم على تلك الاباطيل

اختلاف

اختلف أهل التأويل في الشحوم التي أخبر الله تعالى أنه حرمها على اليهود من البقر والغنم فقال بعضهم هي شحوم الثروب خاصة ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الثروب ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول قاتل الله اليهود حرم الله عليهم الثروب ثم أكلوا أثمانها وقال آخرون بل ذلك كان كل شحم لم يكن مختلطا بعظم ولا على عظم ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قوله حرمنا عليهم شحومهما قال انما حرم عليهم الثرب وكل شحم كان كذلك ليس في عظم وقال آخرون بل ذلك شحم الثرب والكلى ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدي قوله حرمنا عليهم شحومهما قال الثرب وشحم الكليتين وكانت اليهود تقول انما حرمه اسرائيل فنحن نحرمه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله حرمنا عليهم شحومهما قال انما حرم عليهم الثروب والكليتين هكذا هو في كتابي عن يونس وأنا أحسب انه الكلى * والصواب في ذلك من القول أن يقال ان الله أخبر انه كان حرم على اليهود من البقر والغنم شحومهما الا ما استثناه منها مما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم فكل شحم سوى ما استثناه الله في كتابه من البقر والغنم فانه كان محرما عليهم وبنحو ذلك من القول تظاهرت الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك قوله قاتل الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجملوها ثم باعوها وأكلوا أثمانها وأما قوله الا ما حملت ظهورهما فانه يعني الا شحوم الجنب وما علق بالظهر فانها لم تحرم عليهم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن ابن عباس الا ما حملت ظهورهما يعني ما علق بالظهر من الشحوم حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدي اما ما حملت ظهورهما فالاليات حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو اسامة عن اسمعيل عن أبي صالح قال الالية مما حملت ظهورهما ۞ القول في تأويل قوله (أو الحوايا) قال أبو جعفر والحوايا جمع واحدها حاوياء وحاوية وحوية وهي ما تحوى من البطن فاجتمع واستدار وهي بنات اللبن وهي المباعر وتسمى المرابض وفيها الامعاء ومعنى الكلام ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت ظهورهما أو ما حملت الحوايا فالحوايا رفع عطفا على الظهور وما التي بعد الا نصب على الاستثناء من الشحوم وبمثل ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أو الحوايا وهي المبعر حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله أو الحوايا قال المبعر حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد الحوايا المبعر والمربض حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو اسامة عن شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أو الحوايا قال المبعر حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن يمان عن سفيان عن عطاء عن سعيد بن جبير أو الحوايا قال المباعر حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن شريك عن عطاء عن سعيد بن جبير أو الحوايا قال المباعر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أو

مقصور عليهم لا يتعداهم اليك وقال السدي معناه لم تؤمر بقتالهم فلما أمر بقتالهم نسخ ويحتمل ان يقال ان النهي عن القتال في وقت لا ينافي الامر في وقت آخر فلا نسخ انما أمرهم الى الله بالاستئصال والاهلاك ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون وفيه من الوعيد ما فيه وفي الآية حث على ان كلمة المسلمين يجب ان تكون واحدة ليسوا أهلا للثواب الجزيل كما قال من جاء بالحسنة هي لا اله الا الله والسيئة الشرك والاولى حملها على العموم فله عشر أمثالها أقام صفة الجنس المميز مقام الموصوف تقديره عشر حسنات أمثالها (٥١) كقراءة من عشر أمثالها بالرفع والتنوين قيل هذا أقل الموعود وقد وعد سبعمائة وبغير حساب وقيل ليس المراد التحديد بل أراد الاضعاف مطلقا كقول القائل لئن أسديت الى معروفا لاكافئنك بعشرة أمثاله وفي الوعيد لئن كلمتني واحدة لاكلمنك عشرا روى أبو ذر ان النبي صلى الله عليه وآله قال عن الله تعالى الحسنة عشر أو أزيد والسيئة واحدة أو أغفر فالويل لمن غلبت آحاده اعشاره وقال صلى الله عليه وآله يقول الله تعالى اذا هم عبدي بحسنة فاكتبوها له حسنة وان هم بسيئة فلا تكتبوها فان عملها فسيئة وهم لا يظلمون أي لا ينقص من ثواب طاعاتهم ولا يزاد على عقاب سيآتهم أسولة ما الحكمة في الاضعاف جوابه كان للامم أعمار طويلة وطاعات كثيرة فوضع الله لهذه الامة ليلة القدر خيرا من ألف شهر واضعاف الاعمال من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب وأيضا لوان الخصماء يتعلقون بهم يوم القيامة فيذهبون باعمالهم الى أن تبقى الاضعاف فيقول الله اضعافه ليس من فعلهم هو من رحمتي فلا أقبض منهم أبدا آخر كيف يوجب الكفر عقاب الابد جوابه ان الكافر كان على عزم الكفر لو عاش أبدا فاستحق العقاب الابدي بناء على ذلك الاعتقاد بخلاف المسلم المذنب فانه يكون على عزم الاقلاع فلا جرم تكون عقوبته منقطعة وأيضا الذي جهله الكافر وهو ذات القديم سبحانه وصفاته شيء لا نهاية له فيكون جهله لا يتناهى فكذا عقابه آخر اعتاق الرقبة الواحدة تارة جعل بدلا عن صيام ستين يوما وهو في كفارة الظهار وتارة بدلا عن صيام أيام قلائل آخر احدث في رأس انسان موضحتين فوجب ارشان فان عاد ورفع الحاجز بينهما صار الواجب أرش موضحة واحدة فههنا ازدادت الجناية وقل العقاب آخر قد يجمع بسببها أطراف تبين ولطائف

تزال ديات متعددة اذا حصل الاندمال وقد يرتقي الى نيف وعشرين الاذنان أو ابطال حسهما العينان أو البصر الاجفان المارن الشفتان اللسان أو النطق الاسنان اللحيان اليدان الذكر والانثيان أو الجلمتان الحلمتان والشفران والاليتان الرجلان العقل السمع الشم الصوت الذوق الامناء أو الاحبال ابطال لذة الجماع ابطال لذة الطعام الانضاء البطش المشي وقد تضاف اليها موجبات الجوائف والمواضح وسائر الشجات فان عاد الجاني قبل الاندمال وحز الرقبة أو قده بنصفين لم يجب الا دية النفس وكل ذلك يدل على ان رعاية المماثلة غير معتبرة في الشرع والجواب عن الاسئلة الثلاثة ان هذه الامور من تعبدات الشرع المطهر وتحكماته فلا سبيل بعقولنا اليها ويمكن ان يجاب عن الثالث بان بدل الاطراف لما لم يستقر بالاندمال دخل في دية النفس لعسر ضبط ذلك والجزاء الحقيقي موكول الى يوم الجزاء والله أعلم قال أهل السنة كل الثواب تفضل من الله تعالى فلا اشكال وقالت المعتزلة ان بين الثواب والتفضل فرقا لان الثواب هو المنفعة المستحقة والتفضل هو المنفعة التي لا تكون مستحقة ثم اختلفوا فقال الجبائي العشرة تفضل والثواب غيرها اذ لو كان الواحد ثوابا والتسعة تفضلا لزم ان يكون الثواب دون التفضل فلا يكون للتكليف فائدة وقال آخرون لا يبعد ان يكون الواحد ثوابا الا أنه يكون أعلى شانا من التسعة الباقية ثم لما علم رسوله صلى الله عليه وآله أنواع الدلائل والرد على أصناف المشركين وبالغ في تقرير اثبات القضاء والقدر ورد على أهل الجاهلية أباطيلهم أمره بان يقول انني هداني ربي ليعلم ان الهداية لا تحصل الا بالله عز وجل وقيما فيعل من قام كسيد من ساد ومن قرأ قيما فعلى انه مصدر بمعنى القيام كالصغر والكبر وصف به للمبالغة وملة ابراهيم عطف بيان وحنيفا من ابراهيم أو من الملة والمعنى هداني وعرفني ملة ابراهيم حال كونه أو كونها موصوفا بالحنيفية ثم قال في صفة ابراهيم وما كان من المشركين ردا على من زعم عليه شيأ من ذلك ثم كما عرفه الدين القويم والطريق المستقيم علمه كيف يصنع به ويؤديه فقال قل ان صلاتي ونسكي أي عبادتي وتقربي اليه كما روى ثعلب عن ابن الاعرابي انه قال النسك سبائك الفضة كل سبيكة منها نسيكة وقيل للمتعبد ناسك لانه خلص نفسه من دنس الآثام وصفاها كالسبيكة المخلصة من الخبث وقيل المراد بالنسك ههنا الذبائح جمع بين الصلاة والذبح كما في

عيسى

الحوايا قال المبعر حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة أو الحوايا قال المبعر حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو اسامة والمحاربي عن جويبر عن الضحاك قال المبعر حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله أو الحوايا يعني البطون غير الثروب حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله أو الحوايا هو المبعر حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي أو الحوايا قال المباعر وقال ابن زيد في ذلك ما حدثني به يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أو الحوايا قال الحوايا المرابض التي تكون فيها الامعاء تكون وسطها وهي بنات اللبن وهي في كلام العرب تدعى المرابض ۞ القول في تأويل قوله (أو ما اختلط بعظم) يقول تعالى ذكره ومن البقر والغنم حرمنا على الذين هادوا شحومهما سوى ما حملت ظهورهما أو ما حملت حواياهما فانا أحللنا ذلك لهم والا ما اختلط بعظم فهو لهم أيضا حلال فرد قوله أو ما اختلط بعظم على قوله الا ما حملت ظهورهما فما التي في قوله أو ما اختلط بعظم في موضع نصب عطفا على ما التي في قوله الا ما حملت ظهورهما وعني بقوله أو ما اختلط بعظم شحم الالية والجنب وما أشبه ذلك كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج أو ما اختلط بعظم قال شحم الالية بالعصعص فهو حلال وكل شيء في القوائم والجنب والرأس والعين وما اختلط بعظم فهو حلال حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي أو ما اختلط بعظم مما كان من شحم على عظم ۞ القول في تأويل قوله (ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون) يقول تعالى ذكره فهذا الذي حرمنا على الذين هادوا من الانعام والطير ذوات الاظافير غير المنفرجة ومن البقر والغنم ما حرمنا عليهم من شحومهما الذي ذكرنا في هذه الآية حرمناه عليهم عقوبة منا لهم وثوابا على أعمالهم السيئة وبغيهم على ربهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون انما حرم ذلك عليهم عقوبة ببغيهم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ذلك جزيناهم ببغيهم فعلنا ذلك بهم ببغيهم وقوله وانا لصادقون يقول وانا لصادقون في خبرنا هذا عن هؤلاء اليهود عما حرمنا عليهم من الشحوم ولحوم الانعام والطير التي ذكرنا انا حرمنا عليهم وفي غير ذلك من أخبارنا وهم الكاذبون في زعمهم ذلك انما حرمه اسرائيل على نفسه وهم انما حرموه لتحريم اسرائيل اياه على نفسه ۞ القول في تأويل قوله (فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين) يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فان كذبوك يا محمد هؤلاء اليهود فيما أخبرناك انا حرمنا عليهم وحللنا لهم كما بينا في هذه الآية فقل ربكم ذو رحمة بنا وبمن كان به مؤمنا من عباده وبغيرهم من خلقه واسعة تسع جميع خلقه المحسن والمسيء لا يعاجل من كفر به بالعقوبة ولا من عصاه بالنقمة ولا يدع كرامة من آمن به وأطاعه ولا يحرمه ثواب عمله رحمة منه بكلا الفريقين ولكن بأسه وذلك سطوته وعذابه لا يرده اذا أحله عند غضبه على المجرمين بهم عنهم شيء والمجرمون هم الذين أجرموا فاكتسبوا الذنوب واجترحوا السيئات وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا

عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فان كذبوك اليهود **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فان كذبوك اليهود فقل ربكم ذو رحمة واسعة **حدثني** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي قال كانت اليهود يقولون انما حرمه اسرائيل يعني الثرب وشحم الكليتين فنحن نحرمه فذلك قوله فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين ۞ القول في تأويل قوله (سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شئ كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا) يقول جل ثناؤه سيقول الذين أشركوا وهم العادلون بالله الاوثان والاصنام من مشركي قريش لو شاء الله ما أشركنا يقول قالوا احتجاجا من الاذعان للحق بالباطل من الحجة لما تبين لهم الحق وعلموا باطل ما كانوا عليه مقيمين من شركهم وتحريمهم ما كانوا يحرمون من الحروث والانعام على ما قد بين تعالى ذكره في الآيات الماضية قبل ذلك وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا وما بعد ذلك لو أراد الله منا الايمان به وافراده بالعبادة دون الاوثان والآلهة وتحليل ما حرم من البحائر والسوائب وغير ذلك من أموالنا ما جعلنا لله شريكا ولا جعل ذلك له آباؤنا من قبلنا ولا حرمنا ما نحرمه من هذه الاشياء التي نحن على تحريمها مقيمون لانه قادر ان يحول بيننا وبين ذلك حتى لا يكون لنا الى فعل شئ من ذلك سبيل اما بان يضطرنا الى الايمان وترك الشرك به والى القول بتحليل ما حرمه واما بان يلطف بنا بتوفيقه فنصير الى الاقرار بوحدانيته وترك عبادة ما دونه من الانداد والاصنام والى تحليل ما حرم ولكنه رضي منا ما نحن عليه من عبادة الاوثان والاصنام واتخاذ الشريك له في العبادة والانداد وأراد ما نحرم من الحروث والانعام فلم يحل بيننا وبين ما نحن عليه من ذلك قال الله مكذبا لهم في قيلهم ان الله رضي منا ما نحن عليه من الشرك وتحريم ما نحرم ورادا عليهم باطل ما احتجوا به من حجتهم في ذلك كذلك كذب الذين من قبلهم يقول كما كذب هؤلاء المشركون يا محمد ما جئتهم به من الحق والبيان كذب من قبلهم من فسقة الامم الذين طغوا على ربهم ما جاءتهم به أنبياؤهم من آيات الله وواضح حججه وردوا عليهم نصائحهم حتى ذاقوا بأسنا يقول حتى أسخطونا فغضبنا عليهم فاحللنا بهم بأسنا فذاقوه فعطبوا بذوقهم اياه فخابوا وخسروا الدنيا والآخرة يقول وهؤلاء الآخرون مسلوك بهم سبيلهم ان هم لم ينيبوا فيؤمنوا ويصدقوا بما جئتهم به من عند ربهم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا وقال كذلك كذب الذين من قبلهم ثم قال ولو شاء الله ما أشركوا فانهم قالوا عبادتنا الآلهة تقربنا الى الله زلفى فاخبرهم الله انها لا تقربهم وقوله ولو شاء الله ما أشركوا يقول الله سبحانه لو شئت لجمعتهم على الهدى أجمعين **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولا حرمنا من شئ قال قول قريش يعني ان الله حرم هذه البحيرة والسائبة **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولا حرمنا من شئ قول قريش بغير يعني ان الله حرم هذه البحيرة والسائبة فان قال قائل وما برهانك على ان الله تعالى انما كذب من قبل هؤلاء المشركين قولهم رضي الله منا عبادة الاوثان وأراد منا تحريم ما حرمنا من الحروث والانعام دون

قوله فصل لربك وانحر وقيل صلاتي وحجي أخذا من مناسك الحج ومحياي ومماتي أي حياتي وموتي مصدران ميميان وقال في الكشاف المراد وما آتيه في حياتي وأموت عليه من الايمان والعمل الصالح وفيه انه لا يكفي في العبادات ان يؤتى بها كيف كانت بل لابد ان يكون جميع حركات المرء وسكناته لله رب العالمين وبذلك من الاخلاص أمرت وأنا أول المسلمين لان اسلام كل نبي متقدم على اسلام امته وقال في التفسير الكبير انه تعالى أمر رسوله ان يبين ان صلاته وسائر عباداته وحياته ومماته كلها واقعة بخلق الله تعالى وتقديره وقضائه وحكمه وذلك ان المحيا والممات بخلق الله فكذا الصلاة والنسك وبذلك من التوحيد أمرت ثم لما أمر نبيه بالتوحيد المحض أمر ان يذكر ما يجري مجرى الدليل عليه فقال قل أغير الله ابغي ربا وتقريره ان طوائف المشركين من عبدة الاصنام والكواكب ومن اليهود والنصارى والثنوية كلهم معترفون بان الله تعالى خالق الكل فكانه سبحانه قال قل يا محمد منكرا أغير الله اطلب ربا مع ان هؤلاء الذين اتخذوا من دونه آلهة مقرون بانه خالق تلك الاشياء ولا يدخل في العقل جعل المربوب والعبد شريكا للرب والمولى وبوجه آخر الموجود اما واجب لذاته أو ممكن لذاته وقد ثبت ان الواجب لذاته واحد وما سواه ممكن لذاته والممكن لذاته لا يوجد الا بايجاد الواجب لذاته فهو اذن رب كل شئ وصريح العقل شاهد بان المربوب لا يكون شريكا للرب فلا يختص اذن بالربوبية غيره ثم لما بين الدليل القاطع على التوحيد ذكر انه لا يرجع اليهم من كفرهم وشركهم ذم ولا عقاب فقال ولا تكسب كل نفس الا عليها ومعناه ان اثم الجاني عليه لا على غيره ولا تزر وازرة وزر أخرى أي لا تؤخذ نفس آثمة باثم نفس أخرى وهذا كالرد لقولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم ثم بين ان رجوع هؤلاء المشركين الى موضع لا حاكم هنالك الا الله تعالى فقال ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ثم ختم السورة ببيان حال المبدأ أو الوسط والمعاد على سبيل الاجمال فقال وهو الذي جعلكم خلائف الارض قيل الخطاب لبني آدم لانه جعلهم بحيث يخلف بعضهم بعضا وقيل لامة محمد صلى الله عليه وآله لانه خاتم النبيين فخلفت أمته سائر الامم وقيل لخواص الامة الذين هم خلفاء الله في أرضه يملكونها ويتصرفون فيها بالحق كقوله يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس ورفع بعضكم فوق بعض درجات في الشرف والعقل

ان يكون تكذيبه اياهم كان على قولهم لوشاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شئ وعلى وصفهم اياه بانه قد شاء شركهم وشرك آبائهم وتحريمهم ما كانوا يحرمون قيل له الدلالة على ذلك قوله كذلك كذب الذين من قبلهم فاخبر جل ثناؤه عنهم انهم سلكوا فى تكذيبهم نبيهم محمدا صلى الله عليه وسلم فيما آتاهم به من عند الله من النهى عن عبادة شئ غير الله تعالى وتحريم غير ما حرم الله فى كتابه وعلى لسان رسوله مسلك أسلافهم من الامم الخالية المكذبة الله ورسوله والتكذيب منهم انما كان لكذب ولو كان ذلك خبرا من الله عن كذبهم فى قيلهم لوشاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا لقال كذلك كذب الذين من قبلهم بتخفيف الذال وكان ينسبهم فى قيلهم ذلك الى الكذب على الله لا الى التكذيب مع علل كثيرة يطول بذكرها الكتاب وفيما ذكرنا كفاية لمن وفق لفهمه ۞ القول فى تأويل قوله (قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان أنتم الا تخرصون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الاوثان والاصنام المحرمين ما هم له محرمون من الحروث والانعام القائلين لوشاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شئ ولكنه رضى منا ما نحن عليه من الشرك وتحريم ما نحرم هل عندكم بدعواكم ما تدعون على الله من رضاه باشراككم فى عبادته ما تشركون وتحريمكم من أموالكم ما تحرمون علم يقين من خبر من يقطع خبره العذر أو حجة توجب لنا اليقين من العلم فتخرجوه لنا يقول فتظهروا ذلك لنا وتبينوه كما بينا لكم مواضع خطا قولكم وفعلكم وتناقض ذلك واستحالته فى المعقول والمسموع ان تتبعون الا الظن يقول له قل لهم ان تقولون ما تقولون أيها المشركون وتعبدون من الاوثان والاصنام ما تعبدون وتحرمون من الحروث والانعام ما تحرمون الا ظنا وحسبانا انه حق وانكم على حق وهو باطل وأنتم على باطل وان أنتم الا تخرصون يقول وان أنتم وما أنتم فى ذلك كله الا تخرصون يقول الا تتقولون الباطل على الله ظنا بغير يقين علم ولا برهان واضح ۞ القول فى تأويل قوله (قل فلله الحجة البالغة فلوشاء لهداكم أجمعين) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الاوثان والاصنام القائلين على ربهم الكذب فى تحريمهم ما حرموا من الحروث والانعام ان عجزوا عن اقامة الحجة عند قيلك لهم هل عندكم من علم بما تدعون على ربكم فتخرجوه لنا وعن اخراج علم ذلك لك واظهاره وهم لا شك عن ذلك عجزة وعن اظهاره مقصرة لانه باطل لا حقيقة له فلله الذى حرم عليكم ان تشركوا به شيأ وان تتبعوا خطوات الشيطان فى أموالكم من الحروث والانعام الحجة البالغة دونكم أيها المشركون ويعنى بالبالغة انها تبلغ مراده فى ثبوتها على من احتج بها عليه من خلقه وقطع عذره اذا انتهت اليه فيما جعلت حجة فيه فلوشاء لهداكم أجمعين يقول فلوشاء ربكم لوفقكم أجمعين للاجماع على افراده بالعبادة والبراءة من الانداد والآلهة والدينونة بتحريم ما حرم الله وتحليل ما حلله الله وترك اتباع خطوات الشيطان وغير ذلك من طاعاته ولكنه لم يشأ ذلك فخالف بين خلقه فيما شاء منهم فمنهم كافر ومنهم مؤمن وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس قال لا حجة لاحد عصى الله ولكن لله الحجة البالغة على عباده وقال ولوشاء لهداكم أجمعين قال لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ۞ القول

والجاه والمال والرزق لا للعجز والبخل ولكن لاجل شبه الابتلاء والامتحان وليظهر الموفر من المقصر ويميز المطيع من العاصى حسب ما تقتضيه الحكمة والعدالة والتدبير والتقدير ثم وصف نفسه بالقدرة الكاملة على ايصال العقاب وايفاء الثواب فقال ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم فادخل اللام فى قرينة الترغيب واسقطها عن قرينة الترهيب ترجيحا لجانب الرحمة والغفران فان اللطف والرحمة تفيض عنه بالذات والقهر والتعذيب يصدر عنه بالعرض لان ذلك من ضروريات الملك ولهذا قال سبقت رحمتى غضبى وانما وصف العقاب بالسرعة لان كل ما هو آت قريب وانما لم يسقط اللام عن قرينة العقاب فى سورة الاعراف فى قصة أصحاب السبت لان ذلك قد ورد عقيب ذكر المسخ فناسب التأكيد باللام وانما أخر قرينة الرحمة فى الموضعين ليقع ختم الكلام على المغفرة والرحمة فيكون أدل على كمال رأفته ووفور احسانه * التأويل من املاق فيه ترك التوكل على الله وعدم الثقة بالله وأوفوا الكيل أوفوا بكيل العمر وميزان الشرع حقوق الربوبية واستوفوا بكيل الاجتهاد وميزان الاقتصاد حظوظ العبودية من الالوهية وبعهد الله أوفوا بان لا تعبدوا ولا تحبوا ولا تروا الا اياه وان هذا صراطى مستقيما اشارة الى ان الصراط المستقيم الحقيقى الى الله تعالى هو صراط محمد صلى الله عليه وسلم تماما على الذى أحسن أى على من أحسن من أمتك اسلامه وفيه ان الكتب المنزلة كلها وشرائع الانبياء كانت تتمة للدين الحنيفى الذى هو الاسلام ولهذا أمر بان يقتدى بالانبياء ليجمع بين هداه وهداهم ويحتمل ان يراد بالذى أحسن النبى صلى الله عليه وآله والاحسان ان تعبد الله كانك تراه أنزلناه مبارك وبركته انه أنزل على قلبه فكان خلقه القرآن فقد جاءكم بينة ما يبين لكم طريق السير الى الله وهدى ما يهديكم الى الله أتم وأكمل مما جاء فى الكتابين فلا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة فى عيانا وتسوقهم الى الله قهرا والجاء أو يأتى ربك اليهم اذلم يأتوا اليه فى متابعتك قل انتظروا المستحيلات انا منتظرون الميعاد فى المعاد ان الذين فارقوا الدين الحقيقى الذى فيه كمالية الانسان وكانوا شيعا فرقا مختلفة من المبتدعة والزنادقة والمتزهدة رياء وسمعة وعلماء السوء والجهلة المتفلسفة لست منهم فى شئ لانك على الحق وهم على الباطل وبينهما تضاد انما أمرهم الى الله فى بدء الخلقة وقسم الاستعداد كما شاء ثم ينبئهم

يوم الجزاء بما يستحقه كل منهم من جاء بالحسنة فله عشر امثالها فيسل ذلك حتى يقدر على الاتيان بتلك الحسنة وهي حسنة الايجاد من العدم وحسنة الاستعداد حيث خلقه في أحسن تقويم وحسنة التربية وحسنة الرزق وحسنة بعثة الرسل وحسنة انزال الكتب وحسنة تبيين الحسنات من السيآت وحسنة التوفيق للحسنة وحسنة الاخلاص في الاحسان وحسنة قبول الحسنات ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها لان السيئة بذر يزرع في أرض النفس والنفس خبيثة لانها تارة بالسوء والحسنة بذر يزرع في أرض القلب والقلب طيب والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذى خبث لا يخرج الا نكدا والتحقيق انه كما للاعداد ثلاث مراتب الآحاد والعشرات والمآت وبعد ذلك تكون الالوف الى حيث لا يتناهى فكذلك للانسان أربع مراتب النفس والقلب والروح والسر فالعمل الواحد في مرتبة النفس أى اذا صدرت عنها يكون واحدا وفي مرتبة القلب يكون بعشر أمثالها وفي مرتبة الروح يكون بمائة وفي مرتبة السر يكون بالف الى أضعاف كثيرة بقدر صفاء السر وخلوص النية الى ما لا يتناهى وهذا سر ما جاء في القرآن والحديث من تفاوت جزاء الحسنات والله تعالى أعلم ورسوله قل انني هدانى ربى من أسفل سافلين القالب بجذبة العناية الازلية ونسكى أى سرى على منهاج الصلاة معراج المؤمن ومحياى أى حياة قلبى وروحى ومماتى أى موت نفسى لطلب رب العالمين والوصول اليه وأنا أول المستسلمين عند الايجاد لامر كن كما قال أول ما خلق الله نورى قل أغير الله كيف اطلب غير الله وهو حبيبى والحب لا يطلب الا الحبيب واذا هو رب كل شئ فيكون ماله لى وان طلبت غيره دونه يكون ذلك الغير على لا لى كما قال ولا تكسب كل نفس الا عليها لان النفس أمارة بالسوء والسوء عليها لا لها ولا تزر وازرة وزر أخرى فان كان القلب سليما من كدورات صفات النفس باقيا على ما جبل عليه من حب الله تعالى وطلبه لا يؤاخذ بمعاملة النفس ولا يتألم بعذابها وانما يكون النفس فقط مأخوذة بوزرها معاقبة بما هى أهله وان كان القلب منقلب الحال وأزاغه الله تعالى باصبع القهر الى محاذاة النفس فتصدأ مرآة القلب لصفات النفس وأخلاقها فيتبع النفس وهواها فيزول عنه الصفاء والطهارة والسلامة والذكر والفكر والتوحيد والايمان والتوكل والصدق والاخلاص ورعاية حقوق العبودية فيكون مأخوذا بوزره لا بوزر غيره وهو

في تأويل قوله (قل هلم شهداءكم الذين يشهدون ان الله حرم هذا فان شهدوا فلا تشهد معهم ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المفترين على ربهم من عبدة الاوثان الزاعمين ان الله حرم عليهم ما هم محرموه من حروثهم وانعامهم هلم شهداءكم يقول هاتوا شهداءكم الذين يشهدون على الله انه حرم عليكم ما تزعمون انه حرمه عليكم وأهل العالية من تهامة توحدها في الواحد والاثنين والجمع وتذكر في المؤنث والمذكر فتقول للواحد هلم يا فلان وللاثنين والجمع كذلك وللانثى مثله ومنه قول الاعشى

وكان دعا قومه دعوة * هلم الى أمركم قد صرم

ينشد هلم وهلموا وأما أهل السافلة من نجد فانهم يوحدون للواحد ويثنون للاثنين ويجمعون للجميع فيقال للواحد من الرجال هلم وللواحدة من النساء هلمى وللاثنين هلما وللجماعة من الرجال هلموا وللنساء هلممن قال الله لنبيه فان شهدوا يا محمد يقول فان جاؤك بشهداء يشهدون ان الله حرم ما يزعمون ان الله حرمه عليهم فلا تشهد معهم فانهم كذبة وشهود زور في شهادتهم بما شهدوا به من ذلك على الله وخاطب بذلك جل ثناؤه نبيه صلى الله عليه وسلم والمراد به أصحابه والمؤمنون به ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا يقول ولا تتابعهم على ما هم عليه من التكذيب بوحى الله وتنزيله في تحريم ما حرم وتحليل ما أحل لهم ولكن اتبع ما أوحى اليك من كتاب ربك الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والذين لا يؤمنون بالآخرة يقول ولا تتبع أهواء الذين لا يؤمنون بالآخرة فتكذب بما هم به مكذبون من احياء الله خلقه بعد مماتهم ونشره اياهم بعد فنائهم وهم بربهم يعدلون يقول وهم مع تكذيبهم بالبعث بعد الممات وجحودهم قيام الساعة بالله يعدلون الاوثان والاصنام فيجعلونها له عدلا ويتخذونها له ندا يعبدونها من دونه وبنحو الذى قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى قوله هلم شهداءكم الذين يشهدون ان الله حرم هذا يقول أرونى الذين يشهدون ان الله حرم هذا مما حرمت العرب وقالوا أمرنا الله به قال الله لرسوله فان شهدوا فلا تشهد معهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله هلم شهداءكم الذين يشهدون ان الله حرم هذا قال البحائر والسيب ۞ القول في تأويل قوله (قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيأ وبالوالدين احسانا) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الاوثان والاصنام الزاعمين ان الله حرم عليهم ما هم محرموه من حروثهم وانعامهم على ما ذكرت لك في تنزيلى عليك تعالوا أيها القوم أقرأ عليكم ما حرم ربكم حقا يقينا لا الباطل تخرصا تخرصكم على الله الكذب والفرية ظنا ولكن وحيا من الله أوحاه الى وتنزيلا أنزله على ألا تشركوا بالله شيأ من خلقه ولا تعدلوا به الاوثان والاصنام ولا تعبدوا شيأ سواه وبالوالدين احسانا يقول وأوصى بالوالدين احسانا وحذف أوصى وأمر لدلالة الكلام عليه ومعرفة السامع بمعناه وقد بينا ذلك بشواهده فيما مضى من الكتاب واما أن في قوله ألا تشركوا به شيأ فرفع لان معنى الكلام قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيأ ٧ واذا كان ذلك معناه كان في قوله تشركوا وجهان الجزم بالنهى وتوجيهه الى معنى النهى

الذي جعل كل واحد من بني آدم وقته وخليفة ربه في الارض وسر الخلافة ان صورة على صفات نفسه حيا قيوما سميعا بصيرا عالما قادرا مريدا متكلما ورفع بعضكم فوق بعض درجات في استعداد الخلافة ليبلوكم ليظهر من المتخلق باخلاقه منكم القائم به وباوامره في العباد والبلاد ومن الذي رجع القهقرى الى صفات البهائم وأبطل الاستعداد للخلافة بالختم والطبع والحبس في سجين الطبيعة غفور رحيم لمن وفقه لمرضاته ورفع درجاته الله حسبي سورة الاعراف (٥٦) مكية الاخمس آيات واسألهم عن القرية الى قوله وقطعناهم حروفها ١٤٢١٠ كلمها ٣٣٢٥ آياتها مائتان وست

(تفسير سورة الاعراف)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(المص كتاب أنزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتا أوهم قائلون فما كان دعواهم اذ جاءهم بأسنا الا أن قالوا انا كنا ظالمين فلنسئلن الذين أرسل اليهم ولنسئلن المرسلين فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون ولقد مكناكم في الارض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون) القراآت يتذكرون بياء الغيبة ثم تاء التفعل ابن عامر والباقون كما مر في آخر الانعام * الوقوف المص ه كوفي للمؤمنين ه أولياء ط تذكرون ه قائلون ه نصف الجزء والربع الثاني من القرآن ظالمين ه المرسلين ه لا للعطف غائبين ه الحق ج لابتداء الشرط مع فاء التعقيب المفلحون ه يظلمون ه معايش ط تشكرون ه * التفسير قد تقدم في أول الكتاب مباحث هذه المقطعة على سبيل العموم وعن ابن عباس معنى المص انا الله أعلم وأفصل وقال السدي معناه انا المصور وقيل معناه ألم نشرح لك يعني صدرك بدليل فلا يكن في صدرك حرج منه كما زاد في الرعد راء لقوله بعد رفع السموات ثم ان جعلناها هذه الحروف بدل جملة فلا محل لها من الاعراب وان كانت اسما للسورة فجاز أن يكون المص مبتدأ أو كتاب يعني به السورة خبره والجملة بعده صفة له وجاز أن يكون المص خبر مبتدأ محذوف وكذا كتاب أي هذه المص هو كتاب أنزل عليك والدليل على أنه منزل من الله تعالى هو أنه ما تلمذ أستاذا ولا تعلم من معلم ولا طالع

والنصب على توجيه الكلام الى الخبر ونصب تشركوا بالا كما يقال أمرتك أن لا تقوم وان شئت جعلت ان في موضع نصب ردا على ما وبيانا عنها ويكون في قوله تشركوا أيضا من وجهي الاعراب على نحو ما كان فيه منه وان في موضع رفع ويكون تأويل الكلام حينئذ قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيأ فان قال قائل وكيف يجوز أن يكون قوله تشركوا نصبا بالا أم كيف يجوز توجيه قوله ألا تشركوا به على معنى الخبر وقد عطف عليه بقوله ولا تقتلوا أولادكم من املاق وما بعد ذلك من جزم النهي قيل جاز ذلك كما قال تعالى ذكره قل انى أمرت ان أكون أول من أسلم فجعل ان أكون خبرا وان اسما ثم عطف عليه وكما قال الشاعر

حج وأوصى بسليمى الاعبدا * ألا ترى ولا تكلم أحدا * ولا تزل شربها مبردا

فجعل قوله ألا ترى خبرا ثم عطف بالنهي فقال ولا تكلم ولا تزل ۞ القول في تأويل قوله (ولا تقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم) يعني تعالى ذكره بقوله ولا تقتلوا أولادكم من املاق فتقتلوهم من خشية الفقر على أنفسكم بنفقاتهم فان الله هو رازقكم واياهم ليس عليكم رزقكم فتخافوا بحياتهم على أنفسكم العجز عن أرزاقهم وأقواتهم والاملاق مصدر من قول القائل أملقت من الزاد فانا أملق املاقا وذلك اذا فني زاده وذهب ماله وأفلس وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ولا تقتلوا أولادكم من املاق الاملاق الفقر قتلوا أولادهم خشية الفقر حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة في قوله ولا تقتلوا أولادكم من املاق أي خشية الفاقة حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي ولا تقتلوا أولادكم من املاق قال الاملاق الفقر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قوله من املاق قال شياطينهم يأمرونهم ان يئدوا أولادهم خيفة العيلة حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمان عن الضحاك في قوله من املاق يعني من خشية فقر ۞ القول في تأويل قوله (ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن) يقول تعالى ذكره ولا تقربوا الظاهر من الاشياء المحرمة عليكم التي هي علانية بينكم لا تناكرون ركوبها والباطن منها الذي تأتونه سرا في خفاء لا تجاهرون به فان كل ذلك حرام وقد قيل انما قيل لا تقربوا ما ظهر من الفواحش وما بطن لانهم كانوا يستقبحون من معاني الزنا بعضا وليس ما قالوا من ذلك بمدفوع غير ان دليل الظاهر من التنزيل على النهي عن ظاهر كل فاحشة ظاهرها وباطنها ولا خبر يقطع العذر بانه عني به بعض دون جميع وغير جائز احالة ظاهر كتاب الله الى باطن الا بحجة يجب التسليم لها ذكر من قال ما ذكرنا من قول من قال الآية خاص المعنى حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن أما ما ظهر منها فزواني الحوانيت وأما ما بطن فما خفي حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد ابن سليمان عن الضحاك قوله ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن كان أهل الجاهلية يستترون بالزنا ويرون ذلك حلالا ما كان سرا فحرم الله السر منه والعلانية ما ظهر منها يعني العلانية وما بطن

يعني السر حدثني المثنى قال ثنا عبدالله بن صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن قال كانوا في الجاهلية لا يرون بالزنا بأسا في السر ويستقبحونه في العلانية فحرم الله الزنا في السر والعلانية وقال آخرون في ذلك بمثل الذي قلنا فيه ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن سرها وعلانيتها حدثني محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة نحوه وقال آخرون ما ظهر نكاح الامهات وحلائل الآباء وما بطن الزنا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن أبيه عن خصيف عن مجاهد ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن قال ما ظهر جمع بين الاختين وتزويج الرجل امرأة أبيه من بعده وما بطن الزنا وقال آخرون في ذلك بما حدثني اسحق بن زياد العطار البصري قال ثنا محمد بن اسحق البلخي قال ثنا تميم بن شاكر الباهلي عن عيسى بن أبي حفصة قال سمعت الضحاك يقول في قوله ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن قال ما ظهر الخمر وما بطن الزنا ۞ القول في تأويل قوله (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون) يقول تعالى ذكره قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيأ ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق يعني بالنفس التي حرم الله قتلها نفس مؤمن ومعاهد وقوله الا بالحق يعني بما أباح قتلها به من ان تقتل نفسا فتقتل قودا بها أو تزني وهي محصنة فترجم أو ترتد عن دينها الحق فتبدل فذلك الحق الذي أباح الله جل ثناؤه قتل النفس التي حرم على المؤمنين قتلها به ذلكم يعني هذه الامور والتي عهد الينا فيها ربنا أن لا نأتيه وأن لا ندعه هي الامور التي وصانا والكافرين بها ان نعمل جميعا به لعلكم تعقلون يقول وصاكم بذلك لتعقلوا ما وصاكم به ربكم ۞ القول في تأويل قوله (ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده) يعني جل ثناؤه بقوله ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي أحسن ولا تقربوا ماله الا بما فيه صلاحه وتثميره كما حدثني المثنى قال ثنا الحماني قال ثنا شريك عن ليث عن مجاهد ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي أحسن قال التجارة فيه حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي أحسن فليثمر ماله حدثني الحرث قال ثنا عبدالعزيز قال ثنا فضيل بن مرزوق العنزي عن سليط بن بلال عن الضحاك بن مزاحم في قوله ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي أحسن قال يبتغي له فيه ولا يأخذ من ربحه شيأ حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي أحسن قال التي هي أحسن ان يأكل بالمعروف ان افتقر وان استغنى فلا يأكل قال الله ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف قال وسئل عن الكسوة فقال لم يذكر الله الكسوة انما ذكر الاكل وأما قوله حتى يبلغ أشده فان الاشد جمع شد كالاضر جمع ضر وكالاشر جمع شر والشد القوة وهو استحكام قوة شبابه وسنه كشد النهار ارتفاعه وامتداده يقال أتيته شد النهار ومد النهار وذلك حين امتداده وارتفاعه وكان المفضل فيما بلغني ينشد بيت عنترة

عهدي به شد النهار كأنما * خضب اللبان ورأسه بالعظلم

كنا ولم يخالط أهل الاخبار والاشعار وقد مضى على ذلك أربعون سنة ثم ظهر عليه هذا الكتاب اشتمل على علوم الاولين والآخرين فلن تبقى شبهة في انه مستفاد بطريق الوحي القائلون بخلق القرآن زعموا ان الانزال يقتضي الانتقال من حال الى حال وهذا من سمات المحدثات وأجيب بان الموصوف بالانزال والتنزيل على سبيل المجاز هو الحروف والالفاظ ولا نزاع في كونها محدثة مخلوقة فان قيل الحروف اعراض غير باقية بدليل انه لا يمكن الاتيان بها الا على سبيل التوالي وعدم الاستقرار فكيف يعقل وصفها بالنزول أجيب بانه تعالى أحدث هذه الرقوم في اللوح المحفوظ ثم ان الملك طالع تلك النقوش وحفظها ونزل فعلمها محمدا صلى الله عليه وآله ثم قال فلا يكن في صدرك حرج أي شك وسمي الشك حرجا لان الشاك ضيق الصدر حرج كما ان المتيقن منفسح الصدر منشرح ومعنى منه أي من شأن الكتاب أي لا يشك في انه منزل من عندالله أو من تبليغه أي لا يضيق صدرك من الاداء وتوجه النهي الى الحرج كقولهم لا أرينك ههنا والمراد نهيه عن الكون بحضرته فان ذلك سبب رؤيته ومثله قوله تعالى وليجدوا فيكم غلظة ظاهره أمر للمشركين وانه في الحقيقة أمر للمؤمنين بان يغلظوا على المشركين وفي متعلق قوله لتنذر أقوال قال الفراء انه متعلق بانزل وفي الكلام تقديم وتأخير أي أنزل اليك لتنذر به فلا يكن في صدرك حرج وفائدة التقديم والتأخير ان الاقدام على الانذار والتبليغ لا يتم ولا يكمل الا عند زوال الحرج عن الصدر وقال ابن الانباري انه متعلق بالنهي واللام بمعنى كي والتقدير فلا يكن في صدرك شك كي تقدر على انذار غيرك لانه اذا لم يخفهم أنذرهم وكذلك اذا أيقن انه من عندالله شجعه اليقين على الانذار لان صاحب اليقين جسور لتوكله على ربه وثقته بعصمته وقال صاحب النظم اللام بمعنى ان كقوله يريدون أن يطفؤا وفي موضع آخر ليطفؤا والتقدير لا يضيق صدرك ولا تضعف عن ان تنذر به وقيل ان تقدير الكلام هذا الكتاب أنزله الله عليك واذا علمت انه تنزيل الله تعالى فاعلم ان عناية الله معك واذا علمت هذا فلا يكن في صدرك حرج لان من كان الله له حافظا وناصرا لم يخف أحدا واذا زال الخوف والضيق عن القلب فاشتغل بالابلاغ والانذار واشتغال الرجال الابطال ولا تبال بأحد من أهل الضلال والابطال ثم قال وذكرى للمؤمنين قال ابن عباس يريد مواعظ

(ومنه قول الآخر)

يطيف به شد النهار ظعينة * طويلة انقاء اليدين سحوق

وكان بعض البصريين يزعم ان الاشد اسم مثل الآنك فاما أهل التأويل فانهم مختلفون في الحين الذي اذا بلغه الانسان قيل بلغ أشده فقال بعضهم يقال ذلك له اذا بلغ الحلم ذكر من قال ذلك حدثني أحمد بن عبد الرحمن قال ثنا عمي قال أخبرني يحيى بن أيوب عن عمرو بن الحرث عن ربيعة في قوله حتى يبلغ أشده قال الحلم حدثني أحمد بن عبد الرحمن قال ثنا عمي قال ثني عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه مثله قال ابن وهب وقال لي مالك مثله حدثت عن الحماني قال ثنا هشيم عن مجاهد عن عامر حتى يبلغ أشده قال الاشد الحلم حيث تكتب له الحسنات وتكتب عليه السيا آت وقال آخرون انما يقال ذلك له اذا بلغ ثلاثين سنة ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي حتى يبلغ أشده قال أما أشده فثلاثون سنة ثم جاء بعدها حتى اذا بلغوا النكاح وفي الكلام محذوف ترك ذكره اكتفاء بدلالة ما ظهر عما حذف وذلك ان معنى الكلام ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده فاذا بلغ أشده فآنستم منه رشدا فادفعوا اليه ماله لانه جل ثناؤه لم ينه ان يقرب مال اليتيم في حال يتمه الا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده ولا يحل لوليه بعد بلوغه أشده ان يقربه بالتي هي أسوأ ولكنه نهاهم ان يقربوا احياطة منهم له وحفظا عليه ليسلموه اليه اذا بلغ أشده ۞ القول في تأويل قوله (وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا الا وسعها) يقول تعالى ذكره قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيأ وأن أوفوا الكيل والميزان يقول لا تبخسوا الناس الكيل اذا كلتموهم والوزن اذا وزنتموهم ولكن أوفوهم حقوقهم وايفاؤهم ذلك اعطاؤهم حقوقهم تامة بالقسط يعني بالعدل كما حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بالقسط بالعدل وقد بينا معنى القسط بشواهده فيما مضى وكرهنا اعادته وأما قوله لا نكلف نفسا الا وسعها فانه يقول لا نكلف نفسا من ايفاء الكيل والوزن الا ما يسعها فيحل لها ولا تحرج فيه وذلك ان الله جل ثناؤه علم من عباده ان كثيرا منهم تضيق نفسه عن ان تطيب لغيره بما لا يجب عليها له فامر المعطي بايفاء رب الحق حقه الذي هو له ولم يكلفه الزيادة لما في الزيادة عليه من ضيق نفسه بها وأمر الذي له الحق باخذ حقه ولم يكلفه الرضا باقل منه لما في النقصان عنه من ضيق نفسه فلم يكلف نفسا منهما الا ما لا حرج فيه ولا ضيق فلذلك قال لا يكلف الله نفسا الا وسعها وقد استقصينا بيان ذلك بشواهده في موضع غير هذا الموضع بما أغنى عن اعادته ۞ القول في تأويل قوله (واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون) يعني تعالى ذكره بقوله واذا قلتم فاعدلوا واذا حكمتم بين الناس فتكلمتم فقولوا الحق بينهم واعدلوا وانصفوا ولا تجوروا ولو كان الذي يتوجه الحق عليه والحكم ذا قرابة لكم ولا يحملنكم قرابة قريب أو صداقة صديق حكمتم بينه وبين غيره ان تقولوا غير الحق فيما احتكم اليكم فيه وبعهد الله أوفوا يقول وبوصية الله التي أوصاكم بها فاوفوا وايفاء ذلك ان يطيعوه فيما أمرهم به ونهاهم وان يعملوا بكتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وذلك هو الوفاء بعهد الله وأما قوله ذلكم

المصدقين وقال الزجاج هو اسم في موضع المصدر قال الليث الذكرى اسم للتذكرة وقال صاحب الكشاف محل ذكرى يحتمل النصب باضمار فعلها كانه قيل لتنذر به وتذكر تذكيرا والرفع عطفا على كتاب أو بانه خبر مبتدأ محذوف والجر للعطف على محل ان تنذر أي للانذار وللذكرى وانما لم نقل على محل لتنذر لان المفعول له يجب ان يكون فاعله وفاعل الفعل المعلل واحدا ولو صح ذلك لكان محله النصب لا الجر وخص الذكرى بالمؤمنين كقوله هدى للمتقين والتحقيق فيه ان النفوس البشرية منها بليدة بعيدة عن عالم الغيب غريقة في بحر اللذات الجسمانية فتحتاج الى زاجر قوي ومنها مشرقة بالانوار الالهية مستعدة للانجذاب الى عالم القدس الا أنه ربما غشيتها غواش من عالم الجسم فيعرض لها نوع ذهول وغفلة فالصنف الاول يحتاج الى انذار وتخويف واما الصنف الثاني فاذا سمعت دعوة الانبياء واتصل بها أنوار ارواح رسل الله تعالى تذكرت معدنها وأبصرت مركزها واشتاقت الى ما هنالك من الروح والراحة والريحان فلم تحتج الا الى تذكرة وتنبيه فثبت انه سبحانه أنزل هذا الكتاب على رسوله ليكون انذارا في حق طائفة وذكرى في شأن طائفة ثم كما أمر الرسول بالتبليغ والانذار مع قلب قوي وعزم صحيح أمر المرسل اليهم وهم الامة بالمتابعة فقال اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ومعنى كونه منزلا اليهم انهم مخاطبون بذلك مكلفون به والا فهو بالحقيقة منزل على الرسول قالت العلماء المنزل متناول للقرآن والسنة جميعا عن الحسن يا ابن آدم أمرت باتباع كتاب الله وسنة رسوله وفي الآية دلالة على ان تخصيص عموم القرآن بالقياس غير جائز لان متابعة المنزل واجبة فلو عمل بالقياس لزم التناقض فان قيل العمل بالقياس لكونه مستفادا من القرآن وهو قوله فاعتبروا عمل بالقرآن أيضا قلنا بعد التسليم ان الترجيح معنا لان العمل بالمنزل اولى من العمل بالمنزل بواسطة ثم أكد الامر المذكور بقوله ولا تتبعوا من دونه أي لا تتخذوا من دون الله أولياء من شياطين الجن والانس فيحملوكم على عبادة الاوثان والاهواء والبدع ويجوز ان يكون الضمير في من دونه لما أنزل أي لا تتبعوا من دون دين الله أولياء احتج نفاة القياس بان الآية دلت على انه لا يجوز متابعة غير ما أنزل الله تعالى والعمل بالقياس متابعة غير ما أنزله فلا يجوز ولا يقال العمل بالقياس عمل بالمنزل لقوله فاعتبروا والا انا نقول لو كان الامر كذلك لكان تارك

وصاكم به يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل للعادلين بالله الاوثان والاصنام من قومك هذه الامور التى ذكرت لكم فى هاتين الآيتين هى الاشياء التى عهد الينا ربنا ووصاكم بها ربكم وأمركم بالعمل بها لا بالبحائر والسوائب والوصائل والحام وقتل الاولاد ووأد البنات واتباع خطوات الشيطان لعلكم تذكرون يقول أمركم بهذه الامور التى أمركم بها فى هاتين الآيتين ووصاكم بها وعهد اليكم فيها لتتذكروا عواقب أمركم وخطأ ما أنتم عليه مقيمون فتنزجروا عنها وترتدعوا وتنيبوا الى طاعة ربكم وكان ابن عباس يقول هذه الآيات هن الآيات المحكمات **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن على بن أبى صالح عن أبى اسحق عن عبد الله بن قيس عن ابن عباس قال هن الآيات المحكمات قوله قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيأ **حدثنا** محمد بن المثنى ومحمد بن بشار قالا ثنا وهب بن جرير قال ثنا أبى قال سمعت يحيى بن أيوب يحدث عن يزيد بن أبى حبيب عن يزيد بن عبد الله عن عبيد الله بن عدى بن الخيار قال سمع كعب الاحبار رجلا يقرأ قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم فقال والذى نفس كعب بيده ان هذا الاول شئ فى التوراة بسم الله الرحمن الرحيم قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن أبيه عن سعيد بن مسروق عن رجل عن الربيع بن خيثم انه قال لرجل هل لك فى صحيفة عليها خاتم محمد ثم قرأ هؤلاء الآيات قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيأ **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا اسحق الرازى عن أبى سنان عن عمرو بن مرة قال قال الربيع ألا أقرأ عليكم صحيفة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفك خاتمها فقرأ هذه الآيات قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا جرير عن الاعمش عن ابراهيم عن علقمة قال جاء اليه نفر فقالوا قد جالست أصحاب محمد فحدثنا عن الوحى فقرأ عليهم هذه الآيات من الانعام قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيأ قالوا ليس عن هذا نسألك قال فما عندنا وحى غيره **حدثنا** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى قال هؤلاء الآيات التى أوصى بها من محكم القرآن **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله واذا قلتم فاعدلوا قال قولوا الحق ۞ القول فى تأويل قوله (وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) يقول تعالى ذكره وهذا الذى وصاكم به ربكم أيها الناس فى هاتين الآيتين من قوله قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم وأمركم بالوفاء به هو صراطه يعنى طريقه ودينه الذى ارتضاه لعباده مستقيما يعنى قويما لا اعوجاج به عن الحق فاتبعوه يقول فاعملوا به واجعلوه لانفسكم منهاجا تسلكونه فاتبعوه ولا تتبعوا السبل يقول ولا تسلكوا طريقا سواه ولا تركبوا منهجا غيره ولا تبغوا دينا خلافه من اليهودية والنصرانية والمجوسية وعبادة الاوثان وغير ذلك من الملل فانها بدع وضلالات فتفرق بكم عن سبيله يقول فتشتت بكم ان اتبعتم السبل المحدثة التى ليست لله بسبل ولا طرق ولا أديان اتباعكم اياها عن سبيله يعنى عن طريقه ودينه الذى شرعه لكم وارتضاه وهو الاسلام الذى وصى به الانبياء وأمر به الامم قبلكم ذلكم وصاكم به يقول تعالى ذكره هذا الذى وصاكم به ربكم من قوله لكم ان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل وصاكم به لعلكم تتقون يقول لتتقوا الله فى أنفسكم

العمل بمقتضى القياس كافر لقوله ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون وقد اجمعت الامة على عدم تكفيره أجاب مثبتو القياس بان كون القياس حجة ثبت باجماع الصحابة والاجماع دليل قاطع وظاهر العموم دليل مظنون فلا يعارض القاطع وزيف بانكم اثبتم ان الاجماع حجة بعموم قوله و يتبع غير سبيل المؤمنين تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وبعموم قوله صلى الله عليه وآله لا تجتمع أمتى على الضلالة والفرع لا يكون أقوى من الاصل أجاب المثبتون بان الآيات والاحاديث والاجماع لما تعاضدت فى اثبات القياس قوى الظن وحصل الترجيح ومن الحشوية من أنكر النظر فى البراهين العقلية تمسكا بالآية وأجيب بان العلم بكون القرآن حجة موقوف على صحة التمسك بالدلائل العقلية فكيف تنكر ثم ختم المخاطبة بنوع معاتبة فقال قليلا ما تذكرون أى تذكرون تذكرا قليلا وما مزيدة لتوكيد القلة ثم ذكر ما فى ترك المتابعة من الوعيد فقال وكم من قرية فموضع كم رفع بالابتداء ومن مزيدة للتأكيد والبيان أى كثير من القرى أهلكناها مثل زيد ضربته وتقدير النصب أيضا عربى جيد وفى الآية حذف لا لقرينة الاهلاك فقط فان القرى تهلك بالهدم والخسف كما تهلك أهلها ولكنه يقال التقدير وكم من أهل قرية لقوله فجاءها بأسنا والبأس بالاهل أنسب ولقوله أو هم قائلون ولان الزجر والتحذير لا يقع للمكلفين الا باهلاكهم ولان معنى البيات والقيلولة لا يصح الا فيهم وانما قال فجاءها ورد الكلام على اللفظ أو كما يقال الرجال فعلت وهنا سؤال وهو ان قوله فجاءها بأسنا يقتضى ان يكون الهلاك متقدما على مجىء البأس ولكن الامر بالعكس والعلماء أجابوا بوجوه منها ان المراد حكمنا بهلاكها وأردنا اهلاكها فجاءها كقوله اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا ومنها ان معنى الاهلاك ومعنى مجىء البأس واحد فكأنه قيل وكم من قرية أهلكناها جاءهم اهلاكنا وهذا كلام صحيح فان قيل كيف يصح والعطف يوجب المغايرة فالجواب ان الفاء قد تجىء للتفسير كقوله صلى الله عليه وآله لا يقبل الله صلاة أحدكم حتى يضع الطهور مواضعه فيغسل وجهه ويديه فان غسل الوجه واليدين كالتفسير لوضع الطهور مواضعه فكذا ههنا مجىء البأس جار مجرى التفسير للاهلاك لان الاهلاك قد يكون بالموت المعتاد وقد يكون بتسليط البأس والبلاء عليهم وقريب منه قول الفراء لا يبعد أن يقال البأس والهلاك يقعان معا

كما يقال أعطيتني فأحسنت وما كان الاحسان بعد الاعطاء ولا قبله وانما وقعا معا أو منها ان ذلك محمول على حذف المعطوف والتقدير أهلكناهم فكم يجيء البأس كان الاهلاك امارة الحكم بوصول مجيء البأس ومنها انه من باب القلب الذي يشجع عليه أمن الالباس كقولهم عرضت الناقة على الحوض وقوله بياتا قال الجوهري بيت العدو أي أوقع بهم ليلا والاسم البيات وفي الكشاف انه مصدر بات الرجل بياتا حسنا وعلى القولين فانه وقع موقع الحال بمعنى بائتين أو

مبيتين ثم قال أو هم قائلون والجملة حال معطوفة على بياتا كأنه قيل فجاءها بأسنا مبيتين أو بائتين أو قائلين وانما حسن ترك الواو ههنا من الجملة الاسمية الواقعة حالا لان واو الحال قريب من واو العطف لاسيما استعيرت منها الوصل فالجمع بين حرف العطف و بينه جمع بين المثلين وذلك مستثقل في قولك جاءني زيد راجلا أو هو فارس كلام فصيح ولو قلت جاءني زيد هو فارس كان ضعيفا وقال بعض النحويين الواو محذوفة مقدرة ورده الزجاج لما قلنا اما معنى القيلولة فالمشهور انها نومة الظهيرة وقال الازهري هي الاستراحة نصف النهار وان لم يكن نوم لقوله تعالى أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا والجنة لا نوم فيها وانما خص وقتا البيات والقيلولة لانهما وقتا الغفلة والدعة فيكون نزول العذاب فيهما أشد وأفظع وكأنه قيل للكفار لا تغتروا بالفراغ والرفاغ والامن والسكون فان عذاب الله انما يجيء دفعة من غير سبق امارة

أبا راقد الليل مسرورا باوله
ان الحوادث قد يطرقن أسحارا

فقوم لوط هلكوا وقت السحر وقوم شعيب وقت القيلولة ثم قرر حالهم عند مجيء البأس فقال فما كان دعواهم أي ما كانوا يدعونه من قبل دينهم و ينتحلونه من مذهبهم الا اعترافهم ببطلانه وفساده والاقرار بالاساءة والظلم على أنفسهم وقال ابن عباس فما كان تضرعهم واستغاثتهم الا قولهم هذا وذلك اقرار منهم على أنفسهم بالشرك وقال أهل اللغة الدعوى البصري اسم يقوم مقام الدعاء حكى سيبويه اللهم أشركنا في صالح دعاء المسلمين ودعوى المسلمين أي فما كان دعاؤهم ربهم الا اعترافهم بعلمهم ان الدعاء لا ينفعهم فلا يزيدون على ذم أنفسهم وتحسرهم على ما فرط منهم وفرطوا فيه ويحل دعواهم وعلى عكسه يحل ان قالوا ويجوز ان يكون نصبا أو رفعا كما سبق في اعراب قوله فلم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ثم كر على ترك القبول والمتابعة وعيدا آجلا فقال فلنسألن الذين أرسل اليهم نسألن

فلا تهلكوها وتحذروا ربكم فيها فلا تسخطوه عليها فيحل بكم نقمته وعذابه وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله قال البدع والشبهات حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو اسامة عن شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولا تتبعوا السبل البدع والشبهات حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنا معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله وقوله وأقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ونحو هذا في القرآن قال أمر الله المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والفرقة وأخبرهم انه انما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله يقول لا تتبعوا الضلالات حدثني المثنى قال ثنا الحماني قال ثنا حماد عن عاصم عن أبي وائل عن عبد الله قال خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما خطا فقال هذا سبيل الله ثم خط عن يمين ذلك الخط وعن شماله خطوطا فقال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليها ثم قرأ هذه الآية وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله قال سبيله الاسلام وصراطه الاسلام نهاهم ان يتبعوا السبل سواه فتفرق بكم عن سبيله عن الاسلام حدثني محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن أبان ان رجلا قال لابن مسعود ما الصراط المستقيم قال تركنا محمد صلى الله عليه وسلم في أدناه وطرفه في الجنة وعن يمينه جواد وعن يساره جواد وثم رجال يدعون من مر بهم فمن أخذ في تلك الجواد انتهت به الى النار ومن أخذ على الصراط انتهى به الى الجنة ثم قرأ ابن مسعود وان هذا صراطي مستقيما الآية * واختلفت القراء في قراءة قوله وان هذا صراطي مستقيما فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين وأن بفتح الالف من ان وتشديد النون ردا على قوله ألا تشركوا به شيأ بمعنى قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيأ وان هذا صراطي مستقيما وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين وان بكسر الالف من ان وتشديد النون منها على الابتداء وانقطاعها عن الاول اذ كان الكلام قد انتهى بالخبر عن الوصية التي أوصى الله بها عباده دونه عندهم والصواب من القول في ذلك عندي انهما قراءتان مستفيضتان في قراءة الامصار وعوام المسلمين صحيح معنياهما فبأي القراءتين قرأ القارئ فهو مصيب الحق في قراءته وذلك ان الله تعالى ذكره قد أمر باتباع سبيله كما أمر عباده بالاشياء وان أدخل ذلك مدخل فيما أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان يقول للمشركين تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم وما أمركم به ففتح على ذلك أن فمصيب وان كسرها اذ كانت التلاوة قولا وان كان بغير لفظ القول لبعدها من قوله أتل وهو يريد اعمال ذلك فيه فمصيب وان كسرها بمعنى ابتداء وانقطاع عن الاول والتلاوة وان ما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بتلاوته على من أمر بتلاوة ذلك عليهم قد انتهى دون ذلك فمصيب وقد قرأ ذلك عبد الله بن أبي اسحق

البصرى وان بفتح الالف من ان وتخفيف النون منها بمعنى قل تعالوا أتل ماحرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيأ وان هذا صراطى بخففها اذ كانت ان فى قوله ألا تشركوا به شيأ مخففة وكانت ان من قوله وان هذا صراطى معطوفة عليها فجعلها نظيرة ما عطفت عليه وذلك وان كان مذهبا فلا أحب القراءة به لشذوذها عن قراءة الامصار وخلاف ماهم عليه فى أمصارهم ۞ القول فى تأويل قوله (ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذى أحسن وتفصيلا لكل شئ) يعنى جل ثناؤه بقوله ثم آتينا موسى الكتاب ثم قل بعد ذلك يا محمد أتى ربك موسى الكتاب فترك ذكر قل اذ كان قد تقدم فى أول القصة مايدل على انه مراد فيها وذلك قوله قل تعالوا أتل ماحرم ربكم عليكم فقص ماحرم عليهم وأحل ثم قال ثم قل آتينا موسى فحذف قل لدلالة قوله قل عليه وانه مراد فى الكلام وانما قلنا ذلك مراد فى الكلام لان محمدا صلى الله عليه وسلم لاشك انه بعث بعد موسى بدهر طويل وأنه انما أمر بتلاوة هذه الآيات على من أمر بتلاوتها عليه بعد مبعثه ومعلوم ان موسى أوتى الكتاب من قبل أمر الله محمدا بتلاوة هذه الآيات على من أمر بتلاوتها عليه وثم فى كلام العرب حرف يدل على ان مابعده من الكلام والخبر بعد الذى قبلها ثم اختلف أهل التاويل فى معنى قوله تماما على الذى أحسن فقال بعضهم معناه تماما على المحسنين ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد تماما على الذى أحسن قال المؤمنين حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد تماما على الذى أحسن المؤمنين والمحسنين وكأن مجاهدا وجه تاويل الكلام ومعناه الى ان الله جل ثناؤه أخبر عن موسى انه آتاه الكتاب فضيلة على ما آتى المحسنين من عباده فان قال قائل فكيف جاز ان يقال على الذى أحسن فيوحد الذى والتاويل على الذين أحسنوا قيل ان العرب تفعل ذلك خاصة فى الذى وفى الالف واللام اذا أرادت به الكل والجميع كما قال جل ثناؤه والعصر ان الانسان لفى خسر وكما قالوا أكثر الذى هم فيه فى أيدى الناس وقد ذكر عن عبد الله بن مسعود انه كان يقرأ ذلك تماما على الذين أحسنوا وذلك من قرأبه كذلك يؤيد قول مجاهد واذا كان المعنى كذلك كان قوله أحسن فعلا ماضيا فيكون نصبه لذلك وقد يجوز ان يكون أحسن فى موضع خفض غير انه نصب اذ كان افعل وافعل لايجرى فى كلامها فان قيل فبأى شئ خفض قيل ردا على الذى اذ لم يظهر له مايرفعه فيكون تاويل الكلام حينئذ ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذى هو أحسن ثم حذف هو وجاور أحسن الذى فعرف بتعريفه اذ كان كالمعرفة من أجل ان الالف واللام لايدخلانه والذى مثله كما تقول العرب مررت بالذى خير منك وشر منك وكما قال الراجز

ان الزبيرى الذى مثل الحلم * مشى بأسلافكم أهل العلم

فاتبع مثل الذى فى الاعراب ومن قال ذلك لم يقل مررت بالذى عالم لان عالما نكرة والذى معرفة ولا تتبع نكرة معرفة وقال آخرون معنى ذلك تماما على الذى أحسن موسى فيما امتحنه الله به فى الدنيا من أمره ونهيه ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذى أحسن فيما أعطاه الله حدثنى محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذى

المرسل اليهم عما أجابوا به رسلهم كقوله ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين ولنسئلن المرسلين عما أجيبوا به كما قال يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم ثم قال فلنقصن عليهم أى على الرسل والمرسل اليهم ما كان منهم بعلم عالمين بأحوالهم الظاهرة والباطنة وأقوالهم وأفعالهم وما كنا غائبين عنهم وعما وجد منهم فان قيل ما الفائدة فى سؤال المرسل اليهم بعدما أخبر عنهم أنهم اعترفوا بذنوبهم فالجواب انهم لما أقروا بانهم كانوا ظالمين مقصرين سئلوا بعد ذلك عن سبب الظلم والتقصير تقريعا وتوبيخا (٦١) فان قيل ما الفائدة فى سؤال الرسل مع العلم بانه لم يصدر عنهم تقصير البتة قلنا ليلحق كل التقصير بالامة فيتضاعف اكرام الله تعالى فى حق الرسل لظهور براءتهم عن جميع مواجب التقصير ويتضاعف أسباب الخزى والاهانة فى حق الكفار فان قلت كيف الجمع بين قوله فلنسئلن وبين قوله فيومئذ لايسأل عن ذنبه انس ولا جان فالجواب بعد تسليم اتحاد الزمان والمكان ان القوم لعلهم لايسألون عن الاعمال لان الكتب مشتملة عليها ولكنهم يسألون عن الدواعى التى دعتهم اليها وعن الصوارف التى صرفتهم عنها أو المراد نفى سؤال الاستفادة والاسترشاد واثبات سؤال التوبيخ والاهانة فلا تناقض وفى الآية ابطال قول من زعم انه لاحساب على الانبياء ولا على الكفار وفيها انه سبحانه عالم بالكليات وبالجزئيات ولا يعزب عن علمه شئ فى الارض ولا فى السموات فالالهية لا تكمل الا بذلك وفيها انه غير مختص بشئ من الاحياز والجهات والا كان غائبا عن غيره ثم بين ان من جملة أحوال يوم القيامة وزن الاعمال فقال والوزن وهو مبتدأ خبره يومئذ وقوله الحق صفة المبتدأ أى الوزن العدل يوم يسأل الله الامم ورسلهم وقيل لايجوز الاخبار عن شئ وقد بقيت منه بقية فيجب على هذا ان يكون الحق خبرا ويومئذ ظرفا للوزن ومعنى الحق انه كائن لامحالة وفى كيفية الميزان قولان الاول ماجاء فى الخبر انه تعالى ينصب ميزانا له لسان وكفتان يوم القيامة يوزن به أعمال العباد خيرها وشرها وكيف يوزن فيه وجهان أحدهما ان المؤمن تتصور أعماله بصورة حسنة وأعمال الكافر بصورة قبيحة فتوزن تلك الصورة ذكره ابن عباس وثانيهما ان الوزن يعود الى الصحف التى تكون فيها أعمال العباد يروى ان رسول الله صلى الله عليه وآله سئل عما يوزن يوم القيامة فقال الصحف وعن عبد الله بن سلام ان ميزان رب العالمين ينصب بين الجن والانس يستقبل به العرش احدى كفتى الميزان

على الجنة والاخرى على جهنم ولو وضعت السموات والارض فى احداهما لوسعتهن وجبريل اخذ بعموده ناظر الى لسانه وعن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى برجل يوم القيامة الى الميزان و يؤتى له بتسعة وتسعين سجلا كل سجل مد البصر فيها خطاياه وذنوبه فيوضع فى كفة الميزان ثم يخرج له قرطاس كالانملة فيه شهادة أن لا اله الا الله وان محمدا صلى الله عليه وآله عبده ورسوله فيوضع فى الآخرة فترجح قال القاضي يجب ان يحمل هذا على انه يأتى بالشهادتين بحقهما من العبادات والا كان اغراء على المعصية ورد بانه خلاف الظاهر وبانه لا يبعد ان يكون ثواب كلمة الشهادة أوفى وأوفر من سائر الاعمال لان معرفة الله تعالى أشرف العقائد والاعمال وروى الواحدى فى البسيط انه اذا خف حسنات المؤمن أخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من حجزته بطاقة كالانملة فيلقيها فى كفة الميزان اليمنى التى فيها حسناته فترجح الحسنات فيقول ذلك العبد المؤمن للنبى صلى الله عليه وسلم بأبى أنت وأمى ما أحسن وجهك وخلقك فيقول انا نبيك وهذه صلواتك التى كنت تصليها على قد وافتك أحوج ما تكون اليها القول الثانى قول مجاهد والضحاك والاعمش وكثير من المتأخرين ان المراد من الميزان العدل لان العدل فى الاخذ والاعطاء لا يظهر الا بالوزن والكيل فلا يبعد جعل الوزن مجازا عن العدل ومما يؤكد ذلك ان أعمال العباد اعراض وانها قد فنيت وعدمت ووزن المعدوم محال وكذا لو قدر بقاؤها واما قولهم الموزون صحائف الاعمال أو صور مخلوقة على حسب مقادير الاعمال فنقول المكلف يوم القيامة اما أن يكون مقرا بانه تعالى عادل حكيم وحينئذ يكفيه حكم الله تعالى بمقادير الثواب والعقاب فى علمه بانه عدل وصواب واما أن لا يكون مقرا فلا يعرف من رجحان الحسنات على السيئات و بالعكس حقية الرجحان أجاب الاولون بان جميع المكلفين يعترفون يوم القيامة انه تعالى منزه عن الظلم والجور لكن الفائدة فى وضع الميزان ظهور الرجحان لاهل الموقف وازدياد الفرح والسرور للمؤمن و بالضد للكافر واختلف العلماء أيضا فى كيفية الرجحان فقال بعضهم يظهر هنالك نور فى رجحان الحسنات وظلمة فى رجحان السيآت وقال آخرون بل يظهر الرجحان فى الكفة واختلف أيضا فى الموازين فقيل انها جمع موزون وأراد الاعمال الموزونة والميزان المنصوب واحد ولئن سلم انها جمع الميزان فالعرب ومنهم

أحسن قال من أحسن فى الدنيا تمم له ذلك فى الآخرة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذى أحسن يقول من أحسن فى الدنيا تمت عليه كرامة الله فى الآخرة وعلى هذا التأويل الذى تأوله الربيع يكون أحسن نصبا لانه فعل ماض والذى بمعنى ما وكان الكلام حينئذ ثم آتينا موسى الكتاب تماما على ما أحسن موسى أى آتيناه الكتاب لاتمم له كرامتى فى الآخرة تماما على احسانه فى الدنيا فى عبادة الله والقيام بما كلفه به من طاعته وقال آخرون فى ذلك معناه ثم آتينا موسى الكتاب تماما على احسان الله الى أنبيائه وأياديه عندهم ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذى أحسن قال تماما من الله واحسانه اليهم أحسن اليهم وهداهم للاسلام وآتاهم ذلك الكتاب تماما لنعمته عليهم واحسانه وأحسن على هذا التأويل أيضا فى موضع نصب على انه فعل ماض والذى على هذا القول والقول الذى قاله الربيع بمعنى ما وذكر عن يحيى بن يعمر انه كان يقرأ ذلك تماما على الذى أحسن رفعا بتأويل على الذى هو أحسن حدثنى بذلك أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم بن سلام قال ثنا حجاج عن هرون عن أبى عمرو بن العلاء عن يحيى بن يعمر * قال أبو جعفر وهذه قراءة لا أستجيز القراءة بها وان كان لها فى العربية وجه صحيح لخلافها ما عليه الحجة مجمعة من قراءة الامصار وأولى هذه الاقوال عندى بالصواب قول من قال معناه ثم آتينا موسى الكتاب تماما لنعمنا عنده على الذى أحسن موسى فى قيامه بأمرنا ونهينا لان ذلك أظهر معانيه فى الكلام وان ايتاء موسى كتابه نعمة من الله عليه ومنة عظيمة فاخبر جل ثناؤه انه أنعم بذلك عليه لما سلف له من صالح عمل وحسن طاعة ولو كان التأويل على ما قاله ابن زيد كان الكلام ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذى أحسنا أو ثم أتى الله موسى الكتاب تماما على الذى أحسن وفى وصفه جل ثناؤه نفسه بايتائه الكتاب ثم صرفه الخبر بقوله أحسن الى غير المخبر عن نفسه بقرب ما بين الخبرين الدليل الواضح على أن القول غير القول الذى قاله ابن زيد واما ما ذكر عن مجاهد من توجيهه الذى الى معنى الجميع فلا دليل فى الكلام يدل على صحة ما قال من ذلك بل ظاهر الكلام بالذى اخترنا من القول أشبه واذا تنوزع فى تأويل الكلام كان أولى معانيه به أغلبه على الظاهر الا أن يكون من العقل أو الخبر دليل واضح على انه معنى به غير ذلك واما قوله وتفصيلا لكل شئ فانه يعنى وتبيينا لكل شئ من أمر الدين الذى أمروا به فتأويل الكلام اذا ثم آتينا موسى التوراة تماما لنعمنا عنده وأيادينا قبله تتم به كرامتنا عليه على احسانه وطاعته ربه وقيامه بما كلفه من شرائع دينه وتبيينا لكل ما لقومه واتباعه اليه الحاجة من أمر دينهم كما حدثنى بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وتفصيلا لكل شئ فيه حلاله وحرامه ۞ القول فى تأويل قوله (وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون) يقول تعالى ذكره آتينا موسى الكتاب تماما وتفصيلا لكل شئ وهدى يعنى بقوله وهدى تقويما لهم على الطريق المستقيم وبيانا لهم سبل الرشاد لئلا يضلوا ورحمة يقول ورحمة منا بهم ورأفة لننجيهم من الضلالة وعمى الحيرة واما قوله لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون كأنه يعنى ايتاى موسى الكتاب تماما لكرامة الله موسى على احسان موسى وتفصيلا لشرائع دينه وهدى لمن اتبعه ورحمة لمن كان

قد توقع لفظ الجمع على الواحد فتقول خرج فلان الى مكة على الافراس والبغال قاله الزجاج وقال الاكثرون كما لا يمتنع اثبات ميزان له لسان وكفتان فكذلك لا يمتنع اثبات موازين بهذه الصفة فما الموجب لترك الظاهر والمصير الى التأويل قال عز من قائل ونضع الموازين القسط ليوم القيامة وأيضا لا يبعد ان يكون لافعال القلوب ميزان ولافعال الجوارح ميزان ولما يتعلق بالقول ميزان آخر ثم ان المرجئة الذين يقولون المعصية لا تضر مع الايمان قالوا ان الله حصر أهل الموقف فى قسمين منهم من تزيد حسناته على سيآته ومنهم من على العكس ولا ريب ان هذا القسم أهل الكفر لانه حكم عليهم بانهم الذين خسروا أنفسهم بسبب الظلم بآيات الله أى التكذيب بها وهذا لا يليق الا بالكافر ولئن سلم ان العاصى معاقب لكنه يعاقب أياما ثم يعفى عنه و يتخلص الى رحمة الله تعالى فهو بالحقيقة ما خسر نفسه بل فاز برحمة الله أبد الآباد من غير زوال ولا انقطاع قيل فى الآية دلالة على ان الذى تكون حسناته وسيآته متعادلتين متساويتين غير موجود والله أعلم ثم لما فرغ من التخويف بالعذاب الآجل رغب الخلائق فى قبول دعوة الانبياء بطريق آخر وهو تذكر النعم فان ذلك يوجب الطاعة فقال ولقد مكناكم فى الارض أقدرناكم على التصرف فيها وجعلنا لكم فيها معايش هى جمع معيشة وهى ما يعاش به من المطاعم والمشارب وغيرها أو ما يتوصل به الى ذلك وبالجملة وجوه المنافع التى تحصل بتخليق الله تعالى ابتداء كالاثمار أو بواسطة كالاكتساب والوجه فى معايش تصريح الياء لانها أصلية لا زائدة كصحائف بالهمز فى صحيفة وعن ابن عامر أو نافع فى بعض الروايات الهمز تشبيها بصحائف واستبعده النحويون البصريون ثم عاتب المكلفين بانهم لا يقومون بشكر نعمه كما ينبغى فقال قليلا ما تشكرون وفيه اشارة الى أنهم قد يشكرون وقليل من عبادى الشكور * التأويل المص هو الله من لطفه أفرد عباده للمحبة وللمعرفة وأنعم عليهم بالصدق والصبر لقبول كمالية المعرفة والمحبة بواسطة كتاب أنزل على قلبك فانفسح له صدرك وانشرح فلم يبق فيه ضيق وحرج بخلاف ما أنزل من الكتب فى الالواح والصحف فقد عرض لبعضهم ضيق عطن فالقى الالواح وكما شرف نبيه بالكتاب المنزل على قلبه حتى صار خلقه القرآن شرف أمته بأن أمرهم باتباع ما أنزل اليهم ليتخلقوا بأخلاق الله وكم من قرية قلب أفسدناها باستعدادها فجاءهم بأسنا أى ازاغة قلوبهم بأصبع

منهم ضالا لينجيه الله به من الضلالة وليؤمن بلقاء ربه اذا سمع مواعظ الله التى وعظ بها خلقه فيه فيرتدع عما هو عليه مقيم من الكفر به و بلقائه بعد مماته فيطيع ربه و يصدق بما جاءه به نبيه موسى صلى الله عليه وسلم ۞ القول فى تأويل قوله (وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون) يعنى جل ثناؤه بقوله وهذا كتاب أنزلناه مبارك وهذا القرآن الذى أنزلناه الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه يقول فاجعلوه اماما تتبعونه وتعملون بما فيه أيها الناس واتقوا يقول واحذروا الله فى أنفسكم ان تضيعوا العمل بما فيه و تتعدوا حدوده وتستحلوا محارمه كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وهذا كتاب أنزلناه مبارك وهو القرآن الذى أنزله الله على محمد عليه السلام فاتبعوه يقول فاتبعوا حلاله وحرموا حرامه وقوله لعلكم ترحمون يقول لترحموا فتنجوا من عذاب الله وأليم عقابه ۞ القول فى تأويل قوله (ان تقولوا انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وان كنا عن دراستهم لغافلين) اختلف أهل العربية فى العامل فى ان التى فى قوله ان تقولوا وفى معنى هذا الكلام فقال بعض نحويى البصرة معنى ذلك ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذى أحسن كراهية ان تقولوا انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وقال بعض نحويى الكوفة بل ذلك فى موضع نصب بفعل مضمر قال ومعنى الكلام فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون اتقوا ان تقولوا قال ومثله يقول الله ان تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون وقال آخرون منهم هو فى موضع نصب قال ونصبه من مكانين أحدهما أنزلناه لئلا يقولوا انما أنزل الكتاب على والآخر من قوله اتقوا قال ولا يصلح فى موضع ان كقوله يبين الله لكم أن تضلوا * وأولى هذه الاقوال عندى بالصواب قول من قال نصب ان لتعلقها بالانزال لان معنى الكلام وهذا كتاب أنزلناه مبارك لئلا تقولوا انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا فاما الطائفتان اللتان ذكرهما الله وأخبر انه انما أنزل كتابه على نبيه محمد لئلا يقول المشركون لم ينزل علينا كتاب فنتبعه ولم نؤمر ولم ننه فليس علينا حجة فيما نأتى ونذر اذ لم يأت من الله كتاب ولا رسول وانما الحجة على الطائفتين اللتين أنزل عليهما الكتاب من قبلنا فانهما اليهود والنصارى وكذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله أن تقولوا انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وهم اليهود والنصارى حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ان تقولوا انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا اليهود والنصارى نخاف ان تقوله قريش حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ان تقولوا انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا قال اليهود والنصارى قال ان تقول قريش حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان تقولوا انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وهم اليهود والنصارى حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا أما الطائفتان فاليهود والنصارى وأما وان كنا عن دراستهم لغافلين فانه يعنى ان تقولوا وقد كنا عن تلاوة الطائفتين الكتاب الذى أنزلت عليهم غافلين لا ندرى ما هى ولا نعلم ما يقرؤن وما يقولون وما أنزل اليهم فى كتابهم لانهم

كانوا أهله دوننا ولم نعن به ولم نؤمر بما فيه ولا هو بلساننا فيتخذوا ذلك حجة فقطع الله بانزاله القرآن على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم حجتهم ذلك وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس وان كنا عن دراستهم لغافلين يقول ان كنا عن تلاوتهم لغافلين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وان كنا عن دراستهم لغافلين أى عن قراءتهم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وان كنا عن دراستهم لغافلين قال الدراسة القراءة والعلم وقرأ ودرسوا ما فيه قال علموا ما فيه لم يأتوه بجهالة حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى وان كنا عن دراستهم لغافلين يقول وان كنا عن قراءتهم لغافلين لا نعلم ما هى

القول فى تاويل قوله (أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة) يقول تعالى ذكره وهذا كتاب أنزلناه مبارك لئلا يقول المشركون من عبدة الاوثان من قريش انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا أو لئلا يقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب كما أنزل على هاتين الطائفتين من قبلنا فأمرنا فيه ونهينا وبين لنا فيه خطأ ما نحن فيه من صوابه لكنا أهدى منهم أى لكنا أشد استقامة على طريقة الحق واتباع للكتاب وأحسن عملا بما فيه من الطائفتين اللتين أنزل عليهما الكتاب من قبلنا يقول الله فقد جاءكم بينة من ربكم يقول فقد جاءكم كتاب بلسانكم عربى مبين حجة عليكم واضحة بينة من ربكم وهدى يقول وبيان للحق وفرقان بين الصواب والخطأ ورحمة لمن عمل به واتبعه كما حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم يقول قد جاءكم بينة لسان عربى مبين حين لم تعرفوا دراسة الطائفتين وحين قلتم لو جاءنا كتاب لكنا أهدى منهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم فهذا قول كفار العرب فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة

القول فى تاويل قوله (فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون) يقول جل ثناؤه فمن أخطأ فعلا وأشد عدوانا منكم أيها المشركون المكذبون بحجج الله وأدلته وهى آياته وصدف عنها يقول واعرض عنها بعدما أتته فلم يؤمن بها ولم يصدق بحقيقتها وأخرج جل ثناؤه الخبر بقوله فمن أظلم ممن كذب بآيات الله مخرج الخبر عن الغائب والمعنى به المخاطبون به من مشركى قريش وبنحو الذى قلنا فى تاويل قوله وصدف عنها قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله وصدف عنها يقول أعرض عنها حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد يصدفون عن آياتنا يعرضون عنها والصدف الاعراض حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وصدف عنها أعرض عنها سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون أى يعرضون حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى وصدف عنها فصد عنها وقوله سنجزى الذين يصدفون عن

آياتنا

القهارية وأهلها نائمون على فراش الحسبان قائلون فى نهار الخذلان فما كان ادعاؤهم الآن قالوا من قصر نظرهم لا من طريق الادب انا كنا ظالمين فنسبوا التصرف الى أنفسهم ولم يعلموا ان الله تعالى مقلب أفئدتهم وأبصارهم فلنسئلن الذين أرسل اليهم وهم عامة الخلائق هل قبلتم الدعوة وعملتم بما أمرتم أم لا فيكون السؤال سؤال تعنيف وتعذيب أوهم الذين قبلوا الدعوة فيكون السؤال سؤال تشريف وتقريب ولنسئلن المرسلين سؤال انعام والزام هل بلغتم وهل وجدتم أمما قابلى الدعوة فلنقصن عليهم بعلم فليعلمن انا ما أرسلنا الرسل اليهم عبثا وانما أرسلناهم لامر عظيم وخطب جسيم وما كنا غائبين عن الرسل بالنصر والمعونة وعن المرسل اليهم بالتوفيق والعناية والوزن يومئذ لاهل الحق لا الباطل فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا وروى انه يوم القيامة يؤتى بالرجل العظيم الطويل الاكول الشروب فلا يوزن جناح بعوضة فمن ثقلت موازينه بالاعمال الصالحة والاخلاق الفاضلة والاحوال الكاملة فأولئك هم المفلحون من شر أنانيتهم وانما جمع الموازين لان لبدن كل مكلف ميزانا يوزن به أعماله ولنفسه ميزانا يوزن به صفاتها ولقلبه ميزانا يوزن به أوصافه ولروحه ميزانا يوزن به نعوته ولسره ميزانا يوزن به أحواله ولخفيه ميزانا يوزن به أخلاقه والخفى لطيفة روحانية قابلة لفيض الاخلاق الربانية ولهذا قال صلى الله عليه وآله ما وضع فى الميزان شئ أثقل من حسن الخلق وذلك انه ليس من نعوت المخلوقين وانما هو خلق رب العالمين والعباد مامورون بالتخلق باخلاقه خسروا أنفسهم أفسدوا استعدادها ولقد مكناكم هيأنا لكم خلافة الارض دون غيركم من الحيوانات والملك وجعلنا لكم خاصة معايش ولكل صنف من الملك والحيوانات معيشة واحدة وذلك ان الانسان مجموع من الملكية والحيوانية والشيطانية والانسانية فمعيشة الملك هى معيشة روحه ومعيشة الحيوان هى معيشة بدنه ومعيشة الشيطان هى معيشة نفسه الامارة بالسوء وقد حصل للانسان بهذا التركيب مراتب الانسانية وانها لم تكن لكل واحد من الملك والحيوان والشيطان وهى القلب والسر والخفى فمعيشة قلبه هى الشهود ومعيشة سره هى الكشوف ومعيشة خفيه هى الوصال والوصول (ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين قال ما منعك ألا تسجد اذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتنى

من نار وخلقته من طين قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج انك من الصاغرين قال أنظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين
قال فبما أغويتني لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم
شاكرين قال اخرج منها مذؤما مدحورا لمن تبعك منهم لاملأن جهنم منكم أجمعين ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث
شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما (٦٥) ما ووري عنهما من سوآتهما وقال ما نهاكما
ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا
ملكين أو تكونا من الخالدين
وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين
فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة
بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان
عليهما من ورق الجنة وناداهما
ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة
وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو
مبين قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم
تغفر لنا وترحمنا لنكونن من
الخاسرين قال اهبطوا بعضكم
لبعض عدو ولكم في الارض مستقر
ومتاع الى حين قال فيها تحيون وفيها
تموتون ومنها تخرجون) القراآت
لاملأن بتليين الهمزة الثانية
حيث كان الاصبهاني عن ورش
وحمزة في الوقف يخرجون من
الخروج حمزة وعلي وخلف وسهل
ويعقوب وابن ذكوان الباقون
مبنيا للمفعول من الاخراج والله
أعلم * الوقوف الا ابليس ط لانه
معرفة فلا تصلح الجملة صفة له
الساجدين ○ اذ أمرتك ط
منه ج لانقطاع النظم مع اتحاد
المقول طين ○ الصاغرين ○
يبعثون ○ المنظرين ○ المستقيم
○ لا للعطف شمائلهم ط شاكرين ○
مدحورا ط لان ما بعده ابتداء
قسم محذوف أجمعين ○ الظالمين
○ الخالدين ○ الناصحين ○
لا بغرور ج لان جواب لما منتظر
مع الفاء ورق الجنة ط لان الواو
للاستئناف مبين ○ أنفسنا سكته للأدب اعلاما بانقطاع الحجة قبل ابتداء الحاجة
الخاسرين ○ عدو ط لعطف المتفقين الى حين ○ تخرجون ○ * التفسير من جملة نعم الله تعالى علينا ان خلق أبانا آدم فجعله مسجودا
للملائكة فلذلك ذكر تلك القصة عقيب تذكر النعم ونظير هذه الآيات ما سبق في سورة البقرة كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم
منع من المعصية بقوله كيف تكفرون ثم علل ذلك المنع بكثرة نعمه على المكلفين وهو أنهم كانوا أمواتا فأحياهم ثم خلق لهم ما في الارض جميعا

آياتنا سوء العذاب يقول سيثيب الله الذين يعرضون عن آياته وحججه ولا يتدبرونها ولا يتعرفون
حقيقتها فيؤمنوا بما دلتهم عليه من توحيد الله وحقية نبوة نبيه وصدق ما جاءهم به من عند ربهم
سوء العذاب يقول شديد العقاب وذلك عذاب النار التي أعدها الله لكفرة خلقه به بما كانوا يصدفون
يقول يفعل الله ذلك بهم جزاء بما كانوا يعرضون عن آياته في الدنيا فلا يقبلون ما جاءهم به نبيهم محمد
صلى الله عليه وسلم ❁ القول في تأويل قوله (هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو
يأتي بعض آيات ربك) يقول جل ثناؤه هل ينتظر هؤلاء العادلون بربهم الاوثان والاصنام الا أن
تأتيهم الملائكة بالموت فتقبض أرواحهم أو أن يأتيهم ربك يا محمد بين خلقه في موقف القيامة أو يأتي
بعض آيات ربك يقول أو أن يأتيهم بعض آيات ربك وذلك فيما قال أهل التأويل طلوع الشمس من
مغربها ذكر من قال من أهل التأويل ذلك **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل
عن ابن أبي نجيح عن مجاهد الا أن تأتيهم الملائكة يقول عند الموت حين توفاهم أو يأتي ربك ذلك يوم
القيامة أو يأتي بعض آيات ربك طلوع الشمس من مغربها **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا
محمد بن ثور عن معمر عن قتادة الا أن تأتيهم الملائكة بالموت أو يأتي ربك يوم القيامة أو يأتي بعض
آيات ربك قال آية موجبة طلوع الشمس من مغربها أو ما شاء الله **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال
ثنا سعيد عن قتادة قوله هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة يقول بالموت أو يأتي ربك وذلك يوم
القيامة أو يأتي بعض آيات ربك **حدثني** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا
أسباط عن السدي هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة عند الموت أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات
ربك يقول طلوع الشمس من مغربها **حدثنا** ابن وكيع وابن حميد قالا ثنا جرير عن منصور
عن أبي الضحى عن مسروق قال قال عبد الله في قوله هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك
أو يأتي بعض آيات ربك قال يصبحون والشمس والقمر من ههنا من قبل المغرب كالبعيرين المقترنين
زاد ابن حميد في حديثه فذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها
خيرا وقال كالبعيرين المقترنين **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج
قوله هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة تقبض الانفس بالموت أو يأتي ربك يوم القيامة أو يأتي بعض
آيات ربك ❁ القول في تأويل قوله (يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن
آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيرا) يقول تعالى ذكره يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع من
كان قبل ذلك مشركا بالله أن يؤمن بعد مجيء تلك الآية وقيل ان تلك الآية التي أخبر الله جل ثناؤه
ان الكافر لا ينفعه ايمانه عند مجيئها طلوع الشمس من مغربها ذكر من قال ذلك وما ذكر فيه عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم **حدثني** عيسى بن عثمان الرملي قال ثنا يحيى بن عيسى عن ابن أبي
ليلى عن عطية عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم يأتي بعض آيات ربك
لا ينفع نفسا ايمانها قال طلوع الشمس من مغربها **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن ابن أبي ليلى
عن عطية عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا محمد بن فضيل
وجرير بن عمارة عن أبي زرعة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى

من المنافع ثم ختم ذلك بقصة جعل آدم خليفة فى الارض مسجود الملائكة والغرض من الكل ان التمرد والجحود لا يليق بازاء هذه النعم الجسام وقصة آدم وماجرى له مع ابليس ذكرها الله فى سبعة مواضع فى البقرة وههنا وفى الحجر وفى سبحان وفى الكهف وفى طه وفى ص ونبين بعض حكمة اختلاف العبارات بقدر الفهم ان شاء الله تعالى وههنا سؤال وهو ان قوله ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا يقتضى ان أمر الملائكة بالسجود لآدم وقع بعد خلقنا وتصويرنا والامر فى الواقع بالعكس وأجاب المفسرون بوجوه منها ان المضاف محذوف أى خلقنا أباكم آدم طينا غير مصور ثم صورنا أباكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا وانما حسن هذه الكناية لان آدم عليه السلام أصل البشر نظيره قوله لبنى اسرائيل المعاصرين واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور أى ميثاق اسلافكم وقال صلى الله عليه وسلم ثم أنتم ياخزاعة قد قتلتم هذا القتيل وانما قتله أحدهم ومنها ان المراد خلقناكم من آدم ثم صورناكم أى صورنا ذرية آدم فى ظهره فى صورة الذر ثم قلنا للملائكة وهذا قول مجاهد ومنها خلقناكم ثم صورناكم ثم نخبركم انا قلنا للملائكة ومنها ان الخلق فى اللغة التقدير وتقدير الله تعالى عبارة عن علمه بالاشياء ومشيئته بتخصيص كل شئ بمقداره المعين له فقوله خلقناكم اشارة الى حكم الله وتقديره لاحداث البشر فى هذا العالم وقوله صورناكم اشارة الى انه تعالى أثبت فى اللوح المحفوظ صورهم كما انه أثبت صور كل كائن كما جاء فى الخبر اكتب ماهو كائن الى يوم القيامة ثم بعد هذين الامرين أحدث الله تعالى آدم وأمر الملائكة بالسجود له قال الامام فخر الدين رضى الله عنه وهذا التأويل عندى أقرب الوجوه وتأويل هذه السجدة وان ابليس هل هو من الملائكة أم لا قد تقدم فى أوائل سورة البقرة فلا وجه لاعادته أما قوله سبحانه مامنعك أن لا تسجد فظاهره يقتضى انه تعالى طلب من ابليس مامنعه من ترك السجود وليس الامر كذلك فان المقصود طلب العمل مامنعه من السجود كما قال فى سورة ص مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدى فلهذا الاشكال حصل للمفسرين رضى الله عنهم أقوال أولها وهو الاشهر ان لا صلة زائدة كما فى لا أقسم وكما فى قوله لئلا يعلم أهل الكتاب أى ليعلم وهذا قول الكسائى والفراء والزجاج والاكثرين قال فى الكشاف وفائدة زيادتها توكيد معنى الفعل الذى يدخل عليه وتحقيقه كانه قيل فى لئلا يعلم ليتحقق علم أهل الكتاب وفى مامنعك أن لا تسجد مامنعك ان

تطلع الشمس من مغربها قال فاذا رآها الناس آمن من عليها فتلك حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا حدثنا عبد الحميد بن بيان اليشكرى واسحق بن شاهين قالا أخبرنا خالد بن عبد الله الطحان عن يونس عن ابراهيم التيمى عن أبيه عن أبى ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما أتدرون أين تذهب هذه الشمس قالوا الله ورسوله أعلم قال انها تذهب الى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال لها ارتفعى من حيث شئت فتصبح طالعة من مطلعها ثم تجرى الى ان تنتهى الى مستقر لها تحت العرش فتخر ساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال لها ارتفعى من حيث شئت فتصبح طالعة من مطلعها ثم تجرى لا تنكر الناس منها شيأ حتى تنتهى فتخر ساجدة فى مستقر لها تحت العرش فتصبح الناس لا ينكرون منها شيأ فيقال لها اطلعى من مغربك فتصبح طالعة من مغربها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدرون أى يوم ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال ذاك يوم لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا حدثنا مؤمل بن هشام ويعقوب بن ابراهيم قالا ثنا ابن علية عن يونس عن ابراهيم بن يزيد التيمى عن أبيه عن أبى ذر عن النبى صلى الله عليه وسلم نحوه حدثنا أبو كريب قال ثنا عبيد الله عن اسرائيل عن عاصم عن زر عن صفوان بن عسال قال ثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من قبل مغرب الشمس بابا مفتوحا للتوبة حتى تطلع الشمس من نحوه فاذا طلعت الشمس من نحوه لم ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا حدثنا المفضل بن اسحق قال ثنا أشعث بن عبد الرحمن ابن رشد الايامى عن أبيه عن زبيد عن زر بن حبيش عن صفوان بن عسال المرادى قال ذكرت التوبة فقال النبى صلى الله عليه وسلم للتوبة باب بالمغرب مسيرة سبعين عاما أو أربعين عاما فلا يزال كذلك حتى يأتى بعض آيات ربك حدثنى محمد بن عمارة قال ثنا سهل بن عامر قال ثنا مالك عن أبى النجود عن زر بن حبيش عن صفوان بن عسال انه قال ان بالمشرق بابا مفتوحا للتوبة مسيرة سبعين عاما فاذا طلعت الشمس من مغربها لم ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن فضيل عن عمارة بن القعقاع عن أبى زرعة عن أبى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت ورآها الناس آمن من عليها فذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل حدثنا أبو كريب قال ثنا خالد بن مخلد قال ثنا محمد بن جعفر عن العلاء عن أبيه عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فيومئذ يؤمن الناس كلهم أجمعون وذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن أبى عون عن ابن سيرين عن أبى هريرة قال التوبة مقبولة مالم تطلع الشمس من مغربها حدثنا أحمد بن الحسن الترمذى قال ثنا سليمان بن عبد الرحمن قال ثنا ابن عياش قال ثنا ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن مالك بن يخامر عن معاوية بن أبى سفيان وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن عمرو بن العاص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت طبع على كل قلب بما فيه وكفى الناس

العمل حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو اسامة وجعفر بن عون بنحوه حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن أبي حيان التيمي عن أبي زرعة قال جلس ثلاثة من المسلمين الى مروان بن الحكم بالمدينة فسمعوه وهو يحدث عن الآيات ان أولها خروجا الدجال فانصرف القوم الى عبد الله بن عمرو فحدثوه بذلك فقال لم يقل مروان شيأ قد حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك شيأ لم أنسه لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها أو خروج الدابة على الناس ضحى أيتهما كانت قبل صاحبتها فالاخرى على أثرها قريبا ثم قال عبد الله بن عمرو وكان يقرأ الكتب أظن أولهما خروجا طلوع الشمس من مغربها وذلك انها كلما غربت أتت تحت العرش فسجدت واستأذنت في الرجوع فلم يرد عليها شيأ فتفعل ذلك ثلاث مرات لا يرد عليها بشئ حتى اذا ذهب من الليل ما شاء الله ان يذهب وعرفت ان لو أذن لها لم تدرك المشرق قالت ما أبعد المشرق رب من لي بالناس حتى اذا صار الافق كأنه طوق استأذنت في الرجوع فقيل لها اطلعي من مكانك فتطلع من مغربها ثم قرأ يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها الى آخر الآية حدثني المثنى قال ثنا أبو ربيعة فهد قال ثنا حماد عن يحيى بن سعيد عن أبي حيان عن الشعبي ان ثلاثة نفر دخلوا على مروان بن الحكم فذكر نحوه عن عبد الله بن عمرو حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر قال سمعت عاصم بن أبي النجود يحدث عن زر بن حبيش عن صفوان بن عسال قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بالمغرب بابا مفتوحا للتوبة مسيرة سبعين عاما لا يغلق حتى تطلع الشمس من نحوه حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو خالد عن حجاج عن عاصم عن زر بن حبيش عن صفوان بن عسال قال اذا طلعت الشمس من مغربها فيومئذ لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل حدثني المثنى قال ثنا أبو ربيعة فهد قال ثنا عاصم ابن بهدلة عن زر بن حبيش قال غدونا الى صفوان بن عسال فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان باب التوبة مفتوح من قبل المغرب عرضه مسيرة سبعين عاما فلا يزال مفتوحا حتى تطلع الشمس ثم قرأ هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك الى خيرا حدثني الربيع بن سليمان قال ثنا شعيب بن الليث قال ثنا الليث عن جعفر بن ربيعة عن عبد الرحمن ابن هرمز انه قال قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من المغرب قال فاذا طلعت الشمس من المغرب آمن الناس كلهم وذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيرا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أيوب عن ابن سيرين عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها قبل منه حدثني المثنى قال ثنا فهد قال ثنا حماد عن يوسف بن عبيد عن ابراهيم بن يزيد التيمي عن أبي ذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الشمس اذا غربت أتت تحت العرش فسجدت فيقال لها اطلعي من حيث غربت ثم قرأ هذه الآية هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة الى آخر الآية حدثني المثنى قال ثنا يزيد بن هرون عن سفيان بن حسين عن الحكم عن ابراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر قال كنت ردف النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم على

تحقق السجود وتلزمه نفسك قلت لعله أراد ان زيادة لا اشارة الى نفي ما عدا المذكور ليلزم منه تحقق المذكور وثانيها ان اثبات الزيادة في كلام الله تعالى خارج عن الادب وان الاستفهام للانكار أي لم منعك من ترك السجود شئ كقول القائل لمن ضربه ظلما ما الذي منعك من ضربي أدينك أم عقلك أم حياؤك والمعنى انه لم يوجد أحد هذه فما امتنعت من ضربي وثالثها قال القاضي ذكر الله تعالى المنع وأراد الداعي وكأنه قال ما دعاك الى أن لا تسجد لان مخالفة أمر الله تعالى حالة يتعجب منها ويسئل عن الداعي اليها وقيل الممنوع من الشئ مضطر الى خلاف ما منع منه وقيل معناه ما الذي جعلك في منعة من عذابي وقيل معناه من قال لك لا تسجد وأقول يمكن ان لا يتعلق قوله أن لا تسجد بقوله ما منعك وانما يكون متعلقه محذوفا التقدير ما منعك من السجود أن لا تسجد أي لان لا تسجد توجه عليك هذا السؤال والحاصل ان عدم سجودك ما سببه اذ أمرتك أمر ايجاب وفائدة هذا السؤال من علام الغيوب توبيخه وافشاء معاندته وجحوده واستدل العلماء بالآية على ان مجرد الامر يقتضي الوجوب والاثم يترتب الذم عليه وان الامر يقتضي الفور والاثم يستوجب الذم بترك السجود في الحال ثم استأنف اللعين قصة أخبر فيها عن نفسه بالفضل على آدم زعما منه ان مثله مستبعد ان يؤمر بما أمر به وتلك الخيرية تقتضي انه منعه عن السجود فقال أنا خير منه ثم بين هذه المقدمة بقوله خلقتني من نار وخلقته من طين والنار أفضل من الطين لان النار جوهر مشرق علوي لطيف خفيف حار يابس مجاور لجواهر السموات ملاصق لها والطين مظلم سفلي كثيف ثقيل بارد يابس بعيد عن الاجرام الطيفة كلها وأيضا النار قوية التأثير والفعل والارض ليس فيها الا القبول والانفعال والفعل أشرف من الانفعال وأيضا النار مناسبة للحرارة وهي مادة الحياة والنضج وأما الارضية فللبرد واليبس مناسب الموت والحياة أشرف من الموت وأيضا سن التمييز والشباب لما كانت وقت كمال الحرارة كانت أفضل أوقات عمر الحيوان بخلاف وقت الشيخوخة لغلبة البرد واليبس المناسب للارضية والمخلوق من الافضل أفضل لان شرف الاصل يوجب شرف الفرع وأما ان الاشرف لا يجوز ان يؤمر بخدمة الادون فمما قد تقرر في العقول فهذه شبهة ابليس والمقدمات بأسرها ممنوعة أما ان النار أفضل من الارض فممنوع لان كل عنصر من العناصر الاربعة يختص بفوائد ليست لغيره وكل منها ضروري في الوجود في

حمار فنظر الى الشمس حين غربت فقال انها تغرب فى عين حمئة تنطلق حتى تخر لربها ساجدة تحت العرش حتى يأذن لها فاذا أراد أن يطلعها من مغربها حبسها فتقول يارب ان مسيرى بعيد فيقول لها اطلعى من حيث غربت فذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبدة عن موسى بن المسيب عن ابراهيم التيمى عن أبيه عن أبى ذر قال نظر النبى صلى الله عليه وسلم يوما الى الشمس فقال يوشك ان تجىء حتى تقف بين يدى الله فيقول ارجعى من حيث جئت فعند ذلك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا فهو انه لا ينفع مشركا ايمانه عند الآيات وينفع أهل الايمان عند الآيات ان كانوا اكتسبوا خيرا قبل ذلك قال ابن عباس خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية من العشيات فقال لهم يا عباد الله توبوا الى الله فانكم توشكون ان تروا الشمس من قبل المغرب فاذا فعلت ذلك حبست التوبة وطوى العمل وختم العمل فقال الناس هل لذلك من آية يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان آية تلكم الليلة ان تطول كقدر ثلاث ليال فيستيقظ الذين يخشون ربهم فيصلون له ثم يقضون صلاتهم والليل مكانه ثم يأتون مضاجعهم فينامون حتى اذا استيقظوا والليل مكانه فاذا رأوا ذلك خافوا ان يكون بين يدى أمر عظيم فاذا أصبحوا وطال عليهم طلوع الشمس فبيناهم ينتظرونها اذ طلعت عليهم من قبل المغرب فاذا فعلت ذلك لم ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن صالح مولى التوأمة عن أبى هريرة انه سمعه يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت ورآها الناس آمنوا كلهم أجمعون فيومئذ لا ينفع نفسا ايمانها الآية وبه قال حدثنى حجاج قال قال ابن جريج أخبرنى ابن أبى عتيق انه سمع عبيد بن عمير يتلو يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها قال يقول نحدث والله أعلم انها الشمس تطلع من مغربها قال ابن جريج وأخبرنى عمرو بن دينار انه سمع عبيد بن عمير يقول ذلك قال ابن جريج وأخبرنى عبد الله بن أبى مليكة انه سمع عبد الله بن عمرو يقول ان الآية التى لا ينفع نفسا ايمانها اذا طلعت الشمس من مغربها قال ابن جريج وقال مجاهد ذلك أيضا حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن شعبة عن قتادة عن زرارة بن أبى أوفى عن ابن مسعود يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها قال طلوع الشمس من مغربها حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثنى قالا ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة قال سمعت قتادة يحدث عن زرارة بن أبى أوفى عن عبد الله بن مسعود فى هذه الآية يوم يأتى بعض آيات ربك قال طلوع الشمس من مغربها حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبى عدى وعبد الوهاب بن عوف عن ابن سيرين قال ثنى أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود قال كان عبد الله بن مسعود يقول ما ذكر من الآيات فقد مضين غير أربع طلوع الشمس من مغربها ودابة الارض والدجال وخروج يأجوج ومأجوج والآية التى تختم بها الاعمال طلوع الشمس من مغربها ألم تر أن الله قال يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو

لكم الارض فراشا وقف على بعض منافعها وعلم ان طعن اللعين مردود جدا ولو لم يكن فى النار الا الخفة المقتضية للطيش والاستكبار والترفع وفى الارض الرزانة الموجبة للحلم والوقار والتواضع لكفى به ردا لكلامه وأما ان المخلوق من الافضل أفضل فهو محل البحث والنزاع لان الفضيلة عطية من الله تعالى ابتداء ولا يلزم من فضيلة المادة فضيلة الصورة فقد يخرج الكافر من المؤمن ويحصل الدخان والتكليف يتناول الحى بعد انتهائه الى حد كمال العقل فالاعتبار بما انتهى اليه لا بما خلق منه وقد قال صلى الله عليه وسلم ائتونى بأعمالكم ولا تأتونى بأنسابكم ان أكرمكم عند الله أتقاكم وفى كلام الحكماء العاقل من يفتخر بالهمم العالية لا بالرمم البالية فثبت ان دعوى اللعين فى قوله أنا خير منه باطلة ولئن سلم فلم لا يجوز خدمة الفاضل للمفضول تواضعا واسقاطا لحق النفس ولم لا يجوز الامر بذلك لغرض الطاعة والامتثال أو تشريف المفضول والرفع من مقداره قالت العلماء ههنا ان قوله تعالى للملائكة اسجدوا لآدم خطاب عام يتناول جميع الملائكة ثم ابليس أخرج نفسه من هذا العموم بالقياس فاستوجب الذم والتعنيف والدخول فى جملة المتكبرين على الله فدل ذلك على انه لا يجوز تخصيص عموم النص بالقياس ويؤيد ذلك ما روى عن ابن عباس انه كانت الطاعة بابليس أولى من القياس فعصى وقاس وأول من قاس ابليس فكفر بقياسه فمن قاس الدين بشىء من رأيه قرنه الله تعالى مع ابليس ويمكن ان يجاب بانه انما استحق الذم لان قياسه كان مبطلا للنص بالكلية لا مخصصا وتقريره انه لو قبح أمر من كان مخلوقا من النار بسجوده لمن كان مخلوقا من الارض لكان قبح من كان مخلوقا من النور المحض بسجوده لمن هو مخلوق من الارض أولى ويحتمل ان يزيف هذا الجواب بان التشريف اذا رضى بتلك الخدمة فلا اعتراض عليه وحينئذ لا يقبح أمره بذلك ثم ان الملائكة رضوا بذلك فلا بأس وأما ابليس فانه لم يرض باسقاط هذا الحق فقبح أمره بالسجود فقياسه يوجب تخصيص النص لا رفعه بالكلية فعلمنا ان استحقاق الذم انما كان لتخصيص النص بالقياس كما ادعينا قال أى الله تعالى كلام تعنيف وتعذيبا لا كرامة وتشريفا أو قال على لسان بعض ملائكته فاهبط يعنى اذا لم تمتثل أمرى فاهبط منها قال

كسبت

ابن عباس يريد من الجنة وكانوا في جنة عدن وفيها خلق آدم وقال بعض المعتزلة أمر بالهبوط من السماء التي هي مكان المطيعين المتواضعين من الملائكة الى الارض التي هي مقر العاصين المتكبرين من الثقلين فما يكون فما يصح لك أن تتكبر فيها وتعصى فاخرج انك من الصاغرين من أهل الصغار والهوان يقال للرجل قم صاغرا اذا أهين وفي ضده قم راشدا قال الزجاج ان ابليس طلب التكبر فابتلاه الله بالذلة والصغار قال النبي صلى الله عليه وآله من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله قال انظرني الى يوم (٦٩) يبعثون طلب الانظار من الله تعالى الى وقت البعث وهو وقت النفخة الثانية حين يقوم الناس لرب العالمين ومقصوده انه لا يذوق الموت فلم يعطه الله تعالى ذلك بل قال مطلقا انك من المنظرين قيل ان هذا المطلق مقيد بقوله في موضع آخر الى يوم الوقت المعلوم أي اليوم الذي يموت الاحياء كلهم فيه وهو وقت النفخة الاولى وقال آخرون لم يوقت الله تعالى له أجلا والمراد الوقت المعلوم في علم الله تعالى والدليل على ذلك ان ابليس كان مكلفا والمكلف لا يجوز ان يعلم أجله لانه يقدم على المعصية بقلب فارغ حتى اذا قرب أجله تاب فيقبل توبته وهذا كاغراء على المعاصي فيكون قبيحا أجاب الاولون بان من علم الله تعالى من حاله انه يموت على الطهارة والعصمة كالانبياء أو على الكفر والمعاصي كابليس فان اعلامه بوقت أجله لا يكون اغراء على المعصية لانه لا يتفاوت حاله بسبب ذلك التعريف والاعلام قال فبما أغويتني الاغواء ضد الارشاد وأصل الغي الفساد ومنه غوى الفصيل اذا بشم والبشم فساد يعرض في جوفه من كثرة شرب اللبن ولا يمكن ان يتعلق الباء بقوله لاقعدن لان لام القسم تابى ذلك لا يقال والله بزيد لامرن لان حكم القسم وما يتلوه حكم همزة الاستفهام وحرف النفي الذي هو ما وهي تعمل من حيث المعنى لا من حيث اللفظ فكأنها عوامل ضعيفة فلم يتقدم عليها شيء من معمولاتها لضعفها وانما يتعلق بفعل القسم المحذوف وما مصدرية تقديره فبما أغويتني أي فبسبب اغوائك اياي أقسم ويجوز ان تكون الباء للقسم أي فأقسم باغوائك لاقعدن بمعنى القسم بالاغواء من جملة آثار القدرة أي بقدرتك علي ونفاذ سلطانك في لاقعدن وقال في الكشاف ان الامر بالسجود كان سبب اغوائه وهو تكليف والتكليف من أحسن أفعال الله لكونه تعريضا لسعادة الابد فكان جديرا بان يقسم به وهذا يناسب أصول الاعتزال قال مشايخ العراق الحلف بصفات الذات

كسبت في ايمانها خيرا قال طلوع الشمس من مغربها حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبي عدي عن شعبة عن سليمان عن أبي الضحى عن مسروق قال قال عبد الله يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها قال طلوع الشمس من مغربها مع القمر كأنهما بعيران مقرونان قال شعبة وحدثنا قتادة عن زرارة عن عبد الله بن مسعود يوم يأتي بعض آيات ربك قال طلوع الشمس من مغربها حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن الاعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله بن مسعود يوم يأتي بعض آيات ربك قال طلوع الشمس من مغربها مع القمر كالبعيرين المقترنين حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن منصور والاعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها قال طلوع الشمس من مغربها مع القمر كالبعيرين القرينين قال ثنا أبي عن اسرائيل وأبيه عن أشعث بن أبي الشعثاء عن أبيه عن عبد الله قال التوبة مبسوطة ما لم تطلع الشمس من مغربها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا ان ابن أم عبد كان يقول لا يزال باب التوبة مفتوحا حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا رأى الناس ذلك آمنوا وذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيرا حدثنا بشر قال ثنا عبد الله بن جعفر قال ثنا العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت آمن الناس كلهم فيومئذ لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيرا حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عبيد بن عمير يوم يأتي بعض آيات ربك قال طلوع الشمس من مغربها قال حدثنا أبي عن الحسن بن عقبة أبي كبران عن الضحاك يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها قال طلوع الشمس من مغربها حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا اسرائيل قال أخبرني أشعث بن أبي الشعثاء عن أبيه عن ابن مسعود في قوله لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل قال لا تزال التوبة مبسوطة ما لم تطلع الشمس من مغربها حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله يوم يأتي بعض آيات ربك قال طلوع الشمس من مغربها حدثني يونس ابن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني أبو صخر عن القرظي انه كان يقول في هذه الآية يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل يقول اذا جاءت الآيات لم ينفع نفسا ايمانها يقول طلوع الشمس من مغربها حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان الثوري عن عاصم بن أبي النجود عن زر بن حبيش عن صفوان بن عسال يوم يأتي بعض آيات ربك قال طلوع الشمس من مغربها حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا اسرائيل عن أبي اسحق عن وهب بن جابر عن عبد الله بن عمرو يوم يأتي بعض آيات ربك قال طلوع الشمس من مغربها * وقال آخرون بل ذلك بعض الآيات الثلاث الدابة ويأجوج ومأجوج وطلوع الشمس من مغربها ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا جعفر بن عون عن المسعودي عن القاسم قال قال عبد الله التوبة معروضة على ابن آدم ان قبلها ما لم تخرج احدى ثلاث ما لم تطلع

الشمس من مغربها أو الدابة أو فتح يأجوج ومأجوج **حدثني** يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا المسعودي عن القاسم بن عبد الرحمن قال قال عبد الله التوبة معروضة على ابن آدم ان قبلها مالم تخرج احدى ثلاث الدابة وطلوع الشمس من مغربها وخروج يأجوج ومأجوج **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن منصور عن عامر عن عائشة قالت اذا خرجت أول الآيات طرحت الاقلام وحبست الحفظة وشهدت الاجساد على الاعمال **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن فضيل عن أبيه عن أبي حازم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث اذا خرجت لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيرا طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الارض **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا معاوية بن عبد الكريم قال ثنا الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بادروا بالاعمال ستا طلوع الشمس من مغربها والدجال والدخان ودابة الارض وخويصة أحدكم وأمر العامة **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر ان نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول فذكر نحوه * وأولى الاقوال بالصواب في ذلك ما تظاهرت به الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ذلك حين تطلع الشمس من مغربها وأما قوله أو كسبت في ايمانها خيرا فانه يعني أو عملت في تصديقها بالله خيرا من عمل صالح تصدق قيله وتحققه من قبل طلوع الشمس من مغربها لا ينفع كافرا لم يكن آمن بالله قبل طلوعها كذلك ايمانه بالله ان آمن وصدق بالله ورسله لانها حالة لا تمتنع نفس من الاقرار بالله لعظيم الهول الوارد عليهم من أمر الله فحكم ايمانهم كحكم ايمانهم عند قيام الساعة وتلك حال لا تمتنع الخلق من الاقرار بوحدانية الله لمعاينتهم من أهوال ذلك اليوم ما ترتفع معه حاجتهم الى الفكر والاستدلال والبحث والاعتبار ولا ينفع من كان بالله وبرسله مصدقا ولفرائض الله مضيعا غير مكتسب بجوارحه لله طاعة اذا هي طلعت من مغربها أعماله ان عمل وكسبه ان اكتسب لتفريطه الذي سلف قبل طلوعها في ذلك كما **حدثني** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيرا يقول كسبت في تصديقها خيرا عملا صالحا فهؤلاء أهل القبلة وان كانت مصدقة ولم تعمل قبل ذلك خيرا فعملت بعد ان رأت الآية لم يقبل منها وان عملت قبل الآية خيرا ثم عملت بعد الآية خيرا قبل منها **حدثت** عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها قال من أدركه بعض الآيات وهو على عمل صالح مع ايمانه قبل الله منه العمل بعد نزول الآية كما قبل منه قبل ذلك ۞ القول في تأويل قوله (قل انتظروا انا منتظرون) يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الاوثان والاصنام انتظروا ان تأتيكم الملائكة بالموت فتقبض أرواحكم أو ان يأتي ربكم لفصل القضاء بيننا وبينكم في موقف القيامة أو ان يأتيكم طلوع الشمس من مغربها فتطوى صحف الاعمال ولا ينفعكم ايمانكم حينئذ ان آمنتم حتى تعلموا حينئذ المحق منا من المبطل والمسيء من المحسن والصادق من الكاذب وتتبينوا عند ذلك بمن يحيق عذاب الله وأليم نكاله ومن الناجي منا ومنكم من الهالك انا منتظرو ذلك ليجزل

كالقدرة والعظمة والجلال والعزة يمين والحلف بصفات الفعل كالرحمة والغضب لا يكون يمينا ويعني بصفات الفعل ما يجوز ان يوصف بضده فيقال رحم فلانا ولم يرحم فلانا وغضب ولم يغضب وقال بعضهم ما للاستفهام كانه قيل بأي شيء أغويتني ثم ابتدأ فقال لاقعدن ويرد على هذا القول ان اثبات الالف اذا أدخل حرف الجر على ما الاستفهامية قليل قيل ان ابليس أضاف الاغواء ههنا الى الله وفي قوله فبعزتك لاغوينهم أضاف الاغواء الى نفسه والاول يدل على الجبر والثاني على القدر وهذا دليل على انه كان متحيرا في هذه المسئلة أجابت المعتزلة عن قوله فبما أغويتني بان قول ابليس واعتقاده ليس بحجة أو ان ارادانه تعالى لما أمره بالسجود لآدم فعند ذلك ظهر منه كفر فلهذا المعنى أضاف الغي الى الله وقد يقال لا تحملني على ضربك أي لا تفعل ما أضربك عنده أو المراد بالاغواء الاهلاك واللعن وقالت الاشاعرة نحن لا نبالغ في ان المراد بالاغواء ههنا هو الاضلال لان حاصله كيفما كان يرجع على حكاية قول ابليس وهو ليس بحجة الا انا نقطع بان الغاوي لا بد له من مغو وليس ذلك نفسه لان العاقل لا يختار الغواية مع العلم بكونها غواية والدور أو التسلسل محال فلا بد ان ينتهي الى خالق الكل وهو المقصود وأما قوله لاقعدن لهم صراطك فانتصابه على الظرف كقوله

لدن بهز الكف يعسل متنه
فيه كما عسل الطريق الثعلب

قال الزجاج هو كقولهم ضرب زيدا الظهر والبطن أي على الظهر والبطن والمراد لاعترضن لهم أي لبني آدم المذكورين في قوله ولقد خلقناكم ثم صورناكم على طريق الاسلام كما يعترض العدو على الطريق ليقطعه على السابلة والحاصل انه يواظب على الافساد بالوسوسة مواظبة لا يفتر عنه ولهذا ذكر القعود لان من أراد المبالغة في تكميل أمر من الامور قعد حتى يصير فارغ البال فيمكنه اتمام المقصود واعلم ان العلماء اختلفوا في ان كفر ابليس كفر عناد أو كفر جهل فمن قائل بالاول لقوله الله
صراطك المستقيم وصراط الله المستقيم هو دينه الحق ومن قائل بالثاني لقوله فبما أغويتني فدل ذلك على انه اعتقد ان الذي هو عليه محض الغواية وانما وصف الصراط بالمستقيم بناء على زعم الخصم واعتقاده ودبانه متى علم ان مذهبه ضلال وغواية فقد علم ان ضده هو الحق فكان انكاره انكارا باللسان لا بالقلب وهو المعني بكفر العناد ويمكن ان يجاب بانه أراد بالاغواء أيضا الاغواء بزعم الخصم قالت الاشاعرة في الآية دلالة

الله لنا ثوابه على طاعتنا اياه واخلاصنا العبادة له وافرادناه بالربوبية دون ما سواه ويفصل بيننا وبينكم بالحق وهو خير الفاصلين ۞ القول في تأويل قوله (ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء انما أمرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون) اختلف القراء في قراءة قوله فرقوا فروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ما حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن أبي اسحق عن عمرو بن دينار ان عليا رضي الله عنه قرأ ان الذين فارقوا دينهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير قال قال حمزة الزيات قرأها علي رضي الله عنه فارقوا دينهم قال ثنا حسن بن علي عن سفيان عن قتادة فارقوا دينهم وكأن عليا ذهب بقوله فارقوا دينهم خرجوا فارتدوا عنه من المفارقة وقرأ ذلك عبد الله بن مسعود كما حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن رافع عن زهير قال ثنا أبو اسحق ان عبد الله كان يقرؤها فرقوا دينهم وعلى هذه القراءة أعني قراءة عبد الله قراء المدينة والبصرة وعامة قراء الكوفيين وكأن عبد الله تأول بقراءته ذلك كذلك ان دين الله واحد وهو دين ابراهيم الحنيفية المسلمة ففرق ذلك اليهود والنصارى فتهود قوم وتنصر آخرون فجعلوه شيعا متفرقة * والصواب من القول في ذلك ان يقال انهما قراءتان معروفتان قد قرأت بكل واحدة منهما أئمة من القراء وهما متفقتا المعنى غير مختلفيه وذلك ان كل ضال فلدينه مفارق وقد فرق الاحزاب دين الله الذي ارتضاه لعباده فتهود بعض وتنصر آخرون وتمجس بعض وذلك هو التفريق بعينه ومصير أهله شيعا متفرقين غير مجتمعين فهم لدين الله الحق مفارقون وله مفرقون فبأي ذلك قرأ القارئ فهو للحق مصيب غير اني اختار القراءة بالذي عليه عظم القراء وذلك تشديد الراء من فرقوا ثم اختلف أهل التأويل في المعنيين بقوله ان الذين فارقوا دينهم فقال بعضهم عنى بذلك اليهود والنصارى ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله وكانوا شيعا قال يهود حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله وكانوا شيعا قال يهود حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بنحوه حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة فرقوا دينهم قال هم اليهود والنصارى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا من اليهود والنصارى حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء هؤلاء اليهود والنصارى واما قوله فرقوا دينهم فيقول تركوا دينهم وكانوا شيعا حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا وذلك ان اليهود والنصارى اختلفوا قبل أن يبعث محمد فتفرقوا فلما بعث محمد أنزل الله ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد ابن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا يعني اليهود والنصارى حدثنا ابن وكيع قال ثنا حسين بن علي عن شيبان عن قتادة فارقوا دينهم قال هم اليهود والنصارى وقال آخرون عنى بذلك أهل البدع من هذه الامة الذين اتبعوا متشابه القرآن

على انه لا يجب على الله رعاية مصالح العبد في دينه ولا في دنياه والا لم يمهل ابليس حين استمهله مع علمه بالمفاسد والغوائل المترتبة على ذلك ومما يؤيد ذلك انه بعث الانبياء دعاة للخلق الى الحق وعلم من حال ابليس انه لا يدعو الا الى الكفر والضلال ثم انه أمات الانبياء وأبقى ابليس ومن كان يريد مصالح العباد امتنع منه ان يفعل ذلك قال الجبائي في دفع هذا الاعتراض انه لا يختلف الحال بسبب وجوده وعدمه ولا يضل بقوله أحد بل انما يضل من لو فرضنا عدم ابليس لكان يضل أيضا بدليل قوله تعالى ثم انكم وما تعبدون (٧١) ما أنتم عليه بفاتنين الا من هو صال الجحيم ولانه لو ضل به أحد لكان بقاؤه مفسدة وقال أبو هاشم يجوز ان يضل به قوم ويكون خلقه جاريا مجرى زيادة الشهوة فان هذه الزيادة من المشقة توجب الزيادة في الثواب وضعف قول الجبائي بانا نعلم بالضرورة ان الانسان اذا جلس عنده جلساء السوء وحسنوا في عينه أمرا من الامور مرة بعد أخرى فانه لا يكون حاله في الاقدام على ذلك الفعل كحاله اذا لم يوجد هذا التحسين فكذا الشيطان المزين للقبائح في قلوب الكفار والفساق وزيف قول أبي هاشم بان خلق الزيادة في الشهوة حجة أخرى لنا في انه تعالى لا يراعي المصلحة وتقرير الحجة ان خلق تلك الزيادة يوقع في الكفر وعقاب الابد ولو احترز عن تلك الشهوة فغايته ان يزداد ثوابه وحصول هذه الزيادة شيء لا حاجة اليه والاهم رفع العقاب لا تحصيل زيادة الثواب فلو كان الله تعالى مراعيا لمصالح العباد لم يهمل الاهم لطلب الزيادة التي لا ضرورة اليها أما ذكر الجهات الاربع ففيه وجوه أحدها من بين أيديهم أي أشككهم في صحة البعث والقيامة ومن خلفهم ألقي اليهم ان الدنيا قديمة أزلية وثانيها من بين أيديهم أنفرهم عن الرغبة في سعادات الآخرة ومن خلفهم أقوي رغبتهم في لذات الدنيا وطيباتها فالآخرة بين أيديهم لانهم يردون اليها ويصلون اليها والدنيا خلفهم لانهم يخلفونها وثالثها قول الحكم والسدي من بين أيديهم يعني الدنيا لانها بين يدي الانسان وانه يشاهدها ومن خلفهم الآخرة لانها تأتي بعد ذلك ورابعها قوله وعن أيمانهم وعن شمائلهم فقيل عن أيمانهم في الكفر والبدعة وعن شمائلهم في أنواع المعاصي وقيل عن أيمانهم في الصرف عن الحق وعن شمائلهم في الترغيب في الباطل وقيل عن أيمانهم افترهم عن الحسنات وعن شمائلهم أقوي دواعيهم الى السيآت قال ابن الانباري وهذا قول حسن لان العرب تقول اجعلني في يمينك أي من المقدمين

دون حكمه ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ليث عن طاوس عن أبي هريرة قال ان الذين فرقوا دينهم قال نزلت في هذه الامة أو في هذه الامة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن ليث عن طاوس عن أبي هريرة ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا قال هم أهل الضلالة حدثني سعيد بن عمرو السكوني قال ثنا بقية بن الوليد قال كتب الي عباد بن كثير قال ثني ليث عن طاوس عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الآية ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء وليسوا منك هم أهل البدع وأهل الشبهات وأهل الضلالة من هذه الامة * والصواب من القول في ذلك عندي ان يقال ان الله أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم انه بريء ممن فارق دينه الحق وفرقه وكانوا فرقا فيه وأحزابا شيعا وأنه ليس منهم ولاهم منه لان دينه الذي بعثه الله به هو الاسلام دين ابراهيم الحنيفية كما قال له ربه وأمره ان يقول قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين فكان من فارق دينه الذي بعث به صلى الله عليه وسلم من مشرك ووثني ويهودي ونصراني ومتحنف مبتدع قد ابتدع في الدين ما ضل به عن الصراط المستقيم والدين القيم ملة ابراهيم المسلم فهو بريء من محمد صلى الله عليه وسلم ومحمد منه بريء وهو داخل في عموم قوله ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء واما قوله لست منهم في شيء انما أمرهم الى الله فان أهل التأويل اختلفوا في تأويله فقال بعضهم نزلت هذه الآية على نبي الله بالامر بترك قتال المشركين قبل وجوب فرض قتالهم ثم نسخها الامر بقتالهم في سورة براءة وذلك قوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قوله لست منهم في شيء انما أمرهم الى الله لم يؤمر بقتالهم ثم نسخت فامر بقتالهم في سورة براءة وقال آخرون بل نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم اعلاما من الله له ان من أمته من يحدث بعده في دينه وليست بمنسوخة لانها خبر لا أمر والنسخ انما يكون في الامر والنهي ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال أخبرنا مالك بن مغول عن علي بن الاقمر عن أبي الاحوص انه تلا هذه الآية ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء ثم يقول بريء نبيكم صلى الله عليه وسلم منهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي وابن ادريس وأبو اسامة ويحيى بن آدم عن مالك بن مغول بنحوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا شجاع أبو بدر عن عمرو بن قيس الملائي قال قالت أم سلمة ليتق امرؤ أن لا يكون من رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيء ثم قرأت ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء قال عمرو بن قيس قالها مرة الطيب وتلا هذه الآية * والصواب من القول في ذلك أن يقال ان قوله لست منهم في شيء اعلام من الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم انه من مبتدعة أمته الملحدة في دينه بريء ومن الاحزاب من مشركي قومه ومن اليهود والنصارى وليس في اعلامه ذلك ما أوجب ان يكون نهاه عن قتالهم لانه غير محال ان يقال في الكلام لست من دين اليهود والنصارى في شيء فقاتلهم فان أمرهم الى الله في أن يتفضل على من شاء منهم فيتوب عليه ويهلك من أراد اهلاكه منهم كافرا فيقبض روحه أو يقتله بيدك على كفره ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون عند

ولا تجعلني في شمالك أي من المؤخرين وعن الاصمعي هو عندنا باليمين أي بمنزلة حسنة وبالشمال بالعكس وقال حكماء الاسلام ان في البدن قوى أربعا هي الموجبة لفوات السعادات الروحانية أحدها القوة الخيالية التي يجتمع فيها مثل المحسوسات وموضعها البطن المقدم من الدماغ واليها الاشارة بقوله من بين أيديهم وثانيها القوة الوهمية التي تحكم في غير المحسوسات بالاحكام المناسبة للمحسوسات ومحلها البطن المؤخر من الدماغ وهو قوله ومن خلفهم وثالثها الشهوة ومحلها الكبد التي عن يمين البدن ورابعها الغضب ومنشؤه القلب الذي هو في الشق الايسر فالشياطين الخارجة ما لم تستعن بشيء من هذه القوى الاربع لم تقدر على القاء الوسوسة وقيل من بين أيديهم الشبهات المبنية على التشبيه اما في الذات أو في الصفات كشبهة المجسمة واما في الافعال كشبهة المعتزلة في التعديل والتجويز والتحسين والتقبيح لان الانسان يشاهد هذه الجسمانيات فهي بين يديه ويحضر منه فيعتقد ان الغائب مثل الشاهد ومن خلفهم شبهات أهل التعطيل لان هذه بازاء الاولى وعن أيمانهم الترغيب في ترك المأمورات وعن شمائلهم الترغيب في فعل المنهيات وعن شقيق رضي الله عنه ما من صباح الا ويأتيني الشيطان من الجهات الاربع اما من بين يدي فيقول لا تخف ان الله غفور رحيم فاقرأ واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا واما من خلفي فيخوفني من وقوع أولادي في الفقر فأقرأ وما من دابة في الارض الا على الله رزقها واما من يميني فيأتيني من قبل النساء فاقرأ والعاقبة للمتقين واما من شمالي فيأتيني من قبل الشهوات فاقرأ وحيل بينهم وبين ما يشتهون وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان قعد لابن آدم باطرقه فقعد له بطريق الاسلام فقال له تدع دين آبائك فعصاه فاسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال له تدع ديارك وتغرب فعصاه فهاجر فقعد له بطريق الجهاد فقال له تقاتل فتقتل فتقسم مالك وتنكح امرأتك فعصاه فقاتل وعلى هذا فالقعود في الطريق والرصد من الجهات مثل الوسوسة اليهم وتسويله بكل ما يمكنه ويتيسر له كقوله واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك بقي ههنا بحث وهو انه كيف قال من بين أيديهم ومن خلفهم بحرف الابتداء وعن أيمانهم وعن شمائلهم بحرف المجاوزة قال في الكشاف وقد يختلف حروف الظروف كما تختلف حروف التعدية على حسب السماع يقال جلس عن يمينه وعلى يمينه وعلى

مقدمهم

مقدمهم عليه واذ كان غير مستحيل اجتماع الامر بقتالهم وقوله لست منهم في شيء انما أمرهم الى الله ولم يكن في الآية دليل واضح على انها منسوخة ولا ورد بانها منسوخة عن الرسول خبر كان غير جائز ان يقضى عليها بانها منسوخة حتى تقوم حجة موجبة صحة القول بذلك لما قد بينا من ان المنسوخ هو ما لم يجز اجتماعه وناسخه في حال واحدة في كتابنا كتاب اللطيف عن أصول الاحكام واما قوله انما أمرهم الى الله فانه يقول انا الذي الى أمر هؤلاء المشركين الذين فارقوا دينهم وكانوا شيعا والمبتدعة من أمتك الذين ضلوا عن سبيلك دونك ودون كل أحد اما بالعقوبة ان أقاموا على ضلالتهم وفرقوا دينهم فاهلكهم بها واما بالعفو عنهم بالتوبة عليهم والتفضل مني عليهم ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون يقول ثم أخبرهم في الآخرة عند ورودهم على القيامة بما كانوا يفعلون فاجازي كلا منهم بما كانوا في الدنيا يفعلون المحسن منهم بالاحسان والمسيء بالاساءة ثم أخبر جل ثناؤه ما مبلغ جزائه من جازى منهم بالاحسان أو بالاساءة فقال من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون ۞ القول في تأويل قوله (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون) يقول تعالى ذكره من وافى ربه يوم القيامة في موقف الحساب من هؤلاء الذين فارقوا دينهم وكانوا شيعا بالتوبة والايمان والاقلاع عما هو عليه مقيم من ضلالته وهو الحسنة التي ذكرها الله فقال من جاء بها فله عشر أمثالها ويعني بقوله فله عشر أمثالها فله عشر حسنات أمثال حسنته التي جاء بها ومن جاء بالسيئة يقول ومن وافى يوم القيامة منهم بفراق الدين الحق والكفر بالله فلا يجزى الا ما ساءه من الجزاء كما وافى الله به من عمله السيء وهم لا يظلمون يقول ولا يظلم الله الفريقين لا فريق الاحسان ولا فريق الاساءة بان يجازي المحسنين بالاساءة والمسيء بالاحسان ولكنه يجازي كلا الفريقين من الجزاء ما هو له لانه جل ثناؤه حكيم لا يضع شيأ الا في موضعه الذي يستحق ان يضعه فيه ولا يجازي أحدا الا بما يستحق من الجزاء وقد دللنا فيما مضى على ان معنى الظلم وضع الشيء في غير موضعه بشواهده المغنية عن اعادتها في هذا الموضع فان قال قائل فان كان الامر كما ذكرت من ان معنى الحسنة في هذا الموضع الايمان بالله والاقرار بوحدانيته والتصديق لرسوله والسيئة فيه الشرك به والتكذيب لرسوله فللايمان أمثال فيجازي بها المؤمن ان كان له مثل فكيف يجازي به والايمان انما هو عندك قول وعمل والجزاء من الله لعباده عليه الكرامة في الآخرة والانعام عليه بما أعد لاهل كرامته من النعيم في دار الخلود وذلك أعيان ترى وتعاين وتحس ويلتذ بها لا قول يسمع ولا كسب جوارح قيل ان معنى ذلك غير الذي ذهبت اليه وانما معناه من جاء بالحسنة فوافى الله بها له مطيعا فان له من الثواب ثواب عشر حسنات أمثالها فان قلت فهل لقول لا اله الا الله من الحسنات مثل قيل له مثل هو غيره ولكن له مثل هو قول لا اله الا الله وذلك هو الذي وعد الله جل ثناؤه من أتاه به ان يجازيه عليه من الثواب بمثل عشرة أضعاف ما يستحقه قائله وكذلك ذلك فيمن جاء بالسيئة التي هي الشرك الا أنه لا يجازي صاحبها عليها الا ما يستحقه عليها من غير اضعافه عليه وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب القمي عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير قال لما نزلت من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها قال رجل من القوم فان لا اله الا الله

انه تمكن من جهة اليمين تمكن المستعلي من المستعلى عليه ومعنى عن انه جالس متجافيا عن صاحب اليمين منحرفا عنه غير ملاصق له ثم كثر حتى استعمل في المتجافي وغيره ونظيره في المفعول به رميت السهم عن القوس وعلى القوس ومن القوس لان السهم يبعد عنها او يستعليها اذا وضع على كبدها للرمي ويبتدئ الرمي منها وكذلك قالوا اجلس بين يديه وخلفه بمعنى في لانهما ظرفان للفعل ومن بين يديه ومن خلفه لان الفعل يقع في بعض الجهتين كما يقول جئته من الليل يريد بعض الليل وقال بعض المفسرين (٧٣) خص اليمين والشمال بكلمة عن لانها تفيد البعد والمباينة وعلى جهتي اليمين والشمال ملكان لقوله عن اليمين وعن الشمال قعيد والشيطان لابد أن يتباعد عن الملك ولا كذلك حال القدام والخلف وقالت الحكماء من بين أيديهم ومن خلفهم هما الوهم والخيال كما مر والناشئ منهما العقائد الباطلة والكفر وعن ايمانهم وعن شمائلهم الشهوة والغضب والناشئ منهما الافعال الشهوية والغضبية وضرر الكفر لازم لان عقابه دائم وضرر المعاصي مفارق لان عذابها منقطع فلهذا السبب خص هذين القسمين بكلمة عن تنبيها على انهما في اللزوم والاتصال دون القسم الاول وانما اقتصر على الجهات الاربع ولم يذكر الفوق والتحت لان القوى التي منها يتولد ما يوجب تفويت السعادات الروحانية هي هذه الموضوعة في الجوانب الاربعة من البدن واما في الظاهر فقد روي ان الشيطان لما قال هذا الكلام رقت قلوب الملائكة على البشر فقالوا يا الهنا كيف يتخلص الانسان من الشيطان مع استيلائه عليهم من الجهات فاوحى الله تعالى اليهم انه قد بقي للانسان جهة الفوق والتحت فاذا رفع يديه الى فوق بالدعاء على سبيل الخضوع أو وضع جبهته على الارض على طريق الخشوع غفرت له ذنب سبعين سنة قال القاضي هذا القول من ابليس كالدلالة على انه لا يمكنه أن يدخل في بدن ابن آدم ويخالطه نه لو أمكنه ذلك لكان بان يذكره في باب المبالغة أحق قلت هذا مناف لما في الحديث ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم اما قوله ولا تجد اكثرهم شاكرين فسئل انه من باب الغيب فكيف عرفه وأجاب بعضهم بانه كان قد رآه في اللوح المحفوظ فقاله على سبيل القطع واليقين وقال آخرون انه قاله على سبيل الظن لانه كان عازما على المبالغة في تزيين الشهوات وتحسين الطيبات فغلب على ظنه انهم يقبلون قوله ولقد

صدقه الله تعالى في ذلك الظن حيث قال ولقد صدق عليهم ابليس ظنه وقليل من عبادي الشكور وقيل ان للنفس تسع عشرة قوة الحواس الظاهرة والباطنة والشهوة والغضب والقوى السبع النباتية الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة والغاذية والنامية والمولدة وهي باسرها تدعو النفس الى عالم الجسم وأما التي تدعوها الى عالم الارواح فقوة واحدة وهي العقل ولا شك ان استيلاء تسع عشر قوة أكثر من استيلاء واحدة لا سيما وهن في أول الخلقة تكن قوية (٧٤) والعقل يكون ضعيفا وهو بعد قوتها يعسر جعلها ضعيفة مرجوحة فذلك قطع بقوله ولا تجد أكثرهم شاكرين قال الله تعالى في جوابه اذا كان هذا عزمك فاخرج منها مذؤما مدحورا الذأم العيب والذام بهمز ولا بهمز والدحر الطرد والابعاد وفي المثل لا تعدم الحسناء ذاما واللام في لمن تبعك موطئة للقسم ولأملأن جوابه وهو ساد مسد جواب الشرط وعن عاصم لمن تبعك بكسر اللام بمعنى لمن تبعك منهم هذا الوعيد وهو قوله لأملأن جهنم فغلب ضمير المخاطب كما في قوله انكم قوم تجهلون أي انكم وانهم على هذا فقوله لأملأن في محل الابتداء وان تبعك خبره قال القاضي كما ان الكافر يتبعه كذلك الفاسق يتبعه فكذلك يجب القطع بدخول الفاسق النار وأجيب بشرط عدم العفو قوله ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة الآية فيها من المسائل ان تقول اسكن أمر تعبد أو أمر اباحة من حيث انه لا مشقة فيه فلا يتعلق به التكليف وأن زوج آدم هي حواء وان تلك الجنة كانت جنة الخلد أو جنة من جنات السماء أو جنة من جنان الارض وان قوله وكلا أمر اباحة لا أمر تكليف وان قوله لا تقربا نهي تنزيه أو نهي تحريم وان الشجرة المشار اليها شجرة واحدة بالشخص أو بالنوع وانها أي شجرة كانت وان ذلك الذنب كان صغيرا أو كبيرا وان الظلم في قوله فتكونا من الظالمين بأي معنى هو وان هذه الواقعة وقعت قبل نبوة آدم أو بعدها ونحن قد قضينا به الوطر عن جميعها في سورة البقرة فلا حاجة الى الاعادة فوسوس لهما الشيطان الوسوسة حديث النفس وهو فعل غير متعد كولولت المرأة ووعوع الذئب والمصدر الوسواس أيضا بكسر الواو والوسواس بالفتح الاسم كالزلزال ويوصل الى المفعول باللام وبالى فمعنى وسوس له فعل الوسوسة لاجله ومعنى وسوس اليه ألقاها اليه أي تكلم معه كلاما خفيا يكرره ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما في اللام لام العاقبة

حسنة قال نعم أفضل الحسنات حدثنا ابن وكيع قال ثنا حفص بن غياث عن الاعمش والحسن ابن عبيد الله عن جامع بن شداد عن الاسود بن هلال عن عبد الله من جاء بالحسنة لا اله الا الله حدثنا يعقوب بن ابراهيم قال ثنا حفص قال ثنا الاعمش والحسن بن عبيد الله عن جامع بن شداد عن الاسود بن هلال عن عبد الله قال من جاء بالحسنة قال من جاء بلا اله الا الله قال ومن جاء بالسيئة قال الشرك حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن فضيل عن الحسن بن عبيد الله عن جامع بن شداد عن الاسود بن هلال عن عبد الله من جاء بالحسنة قال لا اله الا الله حدثنا ابن وكيع قال ثنا معاوية ابن عمرو والمغني عن زائدة عن عاصم عن شقيق من جاء بالحسنة قال لا اله الا الله كلمة الاخلاص ومن جاء بالسيئة قال الشرك حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيان عن أشعث عن جعفر عن سعيد وعن عثمان بن الاسود عن مجاهد والقاسم بن أبي بزة من جاء بالحسنة قالوا لا اله الا الله كلمة الاخلاص ومن جاء بالسيئة قالوا الشرك والكفر حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير وابن فضيل عن عبد الملك عن عطاء من جاء بالحسنة قال لا اله الا الله ومن جاء بالسيئة قال الشرك حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح قال ثنا موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها قال لا اله الا الله حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبي محجل عن ابراهيم من جاء بالحسنة قال لا اله الا الله ومن جاء بالسيئة قال الشرك حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد الزبيري قال ثنا سفيان عن أبي المحجل عن أبي معشر عن ابراهيم مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن أبي المحجل عن ابراهيم مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن أبي المحجل عن أبي معشر قال كان ابراهيم يحلف بالله ما يستثني ان من جاء بالحسنة لا اله الا الله ومن جاء بالسيئة من جاء بالشرك حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا عبد الملك عن عطاء في قوله من جاء بالحسنة قال كلمة الاخلاص لا اله الا الله ومن جاء بالسيئة قال بالشرك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي وحدثنا المثنى بن ابراهيم قال ثنا أبو نعيم جميعا عن سفيان عن الاعمش عن أبي صالح من جاء بالحسنة قال لا اله الا الله ومن جاء بالسيئة قال الشرك حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن عثمان بن الاسود عن القاسم بن أبي بزة من جاء بالحسنة قال كلمة الاخلاص ومن جاء بالسيئة قال الكفر حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سلمة عن الضحاك من جاء بالحسنة قال لا اله الا الله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو خالد الاحمر عن أشعث عن الحسن من جاء بالحسنة قال لا اله الا الله حدثني المثنى قال ثنا الحماني قال ثنا شريك عن سالم عن سعيد من جاء بالحسنة قال لا اله الا الله حدثني المثنى قال ثنا الحماني قال ثنا شريك عن ليث عن مجاهد مثله حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله من جاء بالحسنة يقول من جاء بلا اله الا الله ومن جاء بالسيئة قال الشرك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول الاعمال ستة موجبة وموجبة ومضعفة ومضعفة ومثل ومثل فاما الموجبتان فمن لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة ومن لقي الله مشركا

به دخل النار والمضعف فنفقة المؤمن في سبيل الله سبعمائة ضعف ونفقته على أهل بيته عشر أمثالها وامامثل ومثل فاذاهم العبد بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة واذاهم بسيئة ثم عملها كتبت عليه سيئة حدثنا المثنى قال ثنا أبونعيم قال ثنا الاعمش عن شمر بن عطية عن شيخ من التيم عن أبي ذر قال قلت يارسول الله علمني عملا يقربني الى الجنة و يباعدني من النار قال اذا عملت سيئة فاعمل حسنة فانه عشر أمثالها قال قلت يارسول الله لااله الا الله من الحسنات قال هي أحسن الحسنات وقال قوم عني بهذه الآية الاعراب فاما المهاجرون فان حسناتهم سبعمائة ضعف أوأكثر ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا معاذ بن هشام قال ثنا أبي عن قتادة عن أبي الصديق الناجي عن أبي سعيد الخدري في قوله من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها قال هذه للاعراب وللمهاجرين سبعمائة حدثنا محمد بن نشيط بن هرون الحربي قال ثنا يحيي بن أبي بكر قال ثنا فضيل بن مرزوق عن عطية العوفي عن عبدالله بن عمر قال نزلت هذه الآية في الاعراب من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها قال قال رجل فما للمهاجرين قال ماهو أعظم من ذلك ان الله لايظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها و يؤت من لدنه أجرا عظيما واذا قال الله لشئ عظيم فهو عظيم حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبدالرحمن بن سعد قال ثنا أبوجعفر عن الربيع قال نزلت هذه الآية من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وهم يصومون ثلاثة أيام من الشهر و يؤدون عشر أموالهم ثم نزلت الفرائض بعد ذلك صوم رمضان والزكاة فان قال قائل وكيف قيل عشر أمثالها فاضيف العشر الى الامثال وهي الامثال وهل يضاف الشئ الى نفسه قيل أضيفت اليها لانه مراد بها فله عشر حسنات أمثالها فالامثال حلت على المفسر وأضيف العشر اليها كما يقال عندي عشر نسوة فلانه أريد بالامثال مقامها فقيل عشر أمثالها فاخرج العشر مخرج عدد الآيات والمثل مذكر لامؤنث ولكنها لما وضعت موضع الآيات وكان المثل يقع للمذكر والمؤنث فجعلت خلفا منها فعل بها ما ذكرت ومن قال عندي عشر أمثالها لم يقل عندي عشر صالحات لان الصالحات فعل لايعد وانما يعد الاسماء والمثل اسم ولذلك جاز العدد به وقد ذكر عن الحسن البصري انه كان يقرأ ذلك فله عشر أمثالها بالتنوين أمثالها بالرفع وذلك وجه صحيح في العربية غيران القراء في الامصار على خلافها فلا نستجيز خلافها فيما هي عليه مجتمعة

۞ القول في تاويل قوله (قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يامحمد لهؤلاء العادلين بربهم الاوثان والاصنام انني هداني ربي الى صراط مستقيم يقول قل لهم انني أرشدني ربي الى الطريق القويم هو دين الله الذي ابتعثني به وذلك الحنيفية المسلمة فوفقني له دينا قيما يقول مستقيما ملة ابراهيم يقول دين ابراهيم حنيفا يقول مستقيما وما كان من المشركين يقول وما كان ابراهيم من المشركين بالله يعني ابراهيم صلوات الله عليه لانه لم يكن ممن يعبد الاصنام واختلفت القراء في قراءة قوله دينا قيما فقرأ ذلك عامة قراء المدينة و بعض البصريين دينا قيما بفتح القاف وتشديد الياء الحاقا منهم ذلك بقول الله ذلك الدين القيم و بقوله ذلك دين القيمة وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين دينا قيما بكسر القاف وفتح الياء وتخفيفها وقالوا القيم والقيم بمعنى واحد وهما لغتان معناهما الدين المستقيم

لان الشيطان لم يقصد بالوسوسة ظهور عورتهما وانما آل أمرهما الى ذلك وقيل لام الغرض و بدو العورة كناية عن زوال الحرمة وسقوط الجاه الذي كان غرضه أولعله رأى في اللوح المحفوظ أوسمع من الملائكة انه اذا أكل من الشجرة بدت عورته وفي ذلك سقوط حشمته وقوله وورى أي ستر والسوءة فرج الرجل والمرأة بين وسوسة ابليس بانه قال مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا الا كراهة أن تكونا ملكين الى قوله اني لكما لمن الناصحين سؤال كيف يطمع ابليس آدم في ان يكون ملكا عند الاكل من الشجرة مع انه شاهد الملائكة ساجدين معترفين بفضله والجواب بعد تسليم ان هذه الواقعة كانت بعد النبوة و بعد سجود الملائكة له ان هذا أحد ما يدل على ان الملائكة الذين سجدوا لآدم هم ملائكة الارض أما ملائكة السموات وملائكة العرش والكرسي والملائكة المقربون فما سجدوا ألبتة لآدم والا كان هذا التطميع فاسدا وربما يجاب بانه أراد انه يصير مثل الملك في البقاء والدوام و زيف بلزوم التكرار من قوله أوتكونا من الخالدين قال الواحدي كان ابن عباس يقرأ ملكين بكسر اللام كأن الملعون أتاهما من جهة الملك كقوله هل أدلك على شجرة الخلد وملك لايبلى واعترض بانه لانزاع في هذه القراءة الشاذة وانما النزاع في القراءة المشهورة و يمكن ان يجاب بان آدم لعله رغب في ان يصير من الملائكة في القدرة والقوة والبطش والخلقة بان يصير جرما جوهرا نورانيا مقره العرش والكرسي نقل ان عمرو بن عبيد قال للحسن ان آدم وحواء هل صدقاه في قوله فقال الحسن معاذ الله لو صدقاه لكانا من الكافرين أراد الحسن ان تصديق الخلود يوجب انكار البعث والقيامة وانه كفر و يمكن ان يقال لو أراد بالخلود طول المكث لم يلزم التكفير ولو سلم ان الخلود مفسر بالدوام فلا نسلم ان اعتقاد الدوام من آدم يوجب الكفر لان العلم بالموت ثم البعث يتوقف على السمع ولعل ذلك الدليل السمعي لم يصل الى آدم وقت ذ ثم ان المحققين اتفقوا على ان التصديق لم يوجد من آدم لاقطعا ولاظنا وانما أقدما على الاكل لغلبة الشهوة كما نجد من أنفسنا عند الشهوة انه تقدم على الفعل اذا زين لنا الغير ما نشتهيه وان لم نعتقد ان الامر كما قال ثم ان بعضهم زعم ان الترغيب كان في مجموع الامرين كونهما ملكين وكونهما خالدين والظاهر انه على طريقة التخيير سؤال لم قال من الباقين فكيف يصح والتقاسم بين آدم وابليس والجواب كانه قال لهما أقسم بالله اني لكما

*والصواب من القول فى ذلك عندى انهما قراءتان مشهورتان فى قراءة الامصار متفقتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فهو للصواب مصيب غير ان فتح القاف وتشديد الياء أعجب الى لانه أفصح اللغتين وأشهرهما ونصب قوله دينا على المصدر من معنى قوله اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم وذلك ان المعنى هدانى ربى الى دين قويم فاهتديت له قيما فالدين منصوب من المحذوف الذى هو اهتديت الذى ناب عنه قوله اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم وقال نحوى البصرة انما نصب ذلك لانه لما قال هدانى ربى الى صراط مستقيم قد أخبر انه عرف شيأ فقال دينا قيما كانه قال عرفت دينا قيما ملة ابراهيم واما معنى الحنيف فقد بينته فى مكانه فى سورة البقرة بشواهده بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع

۞ القول فى تاويل قوله (قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الاوثان والاصنام الذين يسألونك ان تتبع أهواءهم على الباطل من عبادة الآلهة والاوثان ان صلاتى ونسكى يقول وذبحى ومحياى يقول وحياتى ومماتى يقول ووفاتى لله رب العالمين يعنى ان ذلك كله له خالصا دون ما أشركتم به أيها المشركون من الاوثان لا شريك له فى شئ من ذلك من خلقه ولا لشئ منهم فيه نصيب لانه لا ينبغى ان يكون ذلك الا له خالصا وبذلك أمرت يقول وبذلك أمرنى ربى وأنا أول المسلمين يقول وأنا أول من أقر وأذعن وخضع من هذه الامة لربه بان ذلك كذلك وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال النسك فى هذا الموضع الذبح حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد ان صلاتى ونسكى قال النسك الذبائح فى الحج والعمرة حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله ونسكى قال ذبحى فى الحج والعمرة حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ونسكى ذبيحتى فى الحج والعمرة حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن اسمعيل وليس بابن أبى خالد عن سعيد بن جبير فى قوله صلاتى ونسكى قال ذبحى حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن اسمعيل عن سعيد بن جبير فى قوله صلاتى ونسكى قال ذبيحتى حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الرحمن بن مهدى عن سفيان عن اسمعيل عن سعيد بن جبير قال ابن مهدى لا أدرى من اسمعيل هذا صلاتى ونسكى قال صلاتى وذبيحتى حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرزاق قال ثنا الثورى عن اسمعيل بن أبى خالد عن سعيد بن جبير فى قوله صلاتى ونسكى قال وذبيحتى حدثنا محمد ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ونسكى قال ذبحى حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قوله ونسكى قال ذبيحتى حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربى عن جويبر عن الضحاك صلاتى ونسكى قال الصلاة الصلاة والنسك الذبح واما قوله وأنا أول المسلمين فان محمد بن عبد الاعلى حدثنا قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وأنا أول المسلمين قال أول المسلمين من هذه الامة

۞ القول فى تاويل قوله (قل أغير الله أبغى ربا وهو رب كل شئ ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى) يقول تعالى ذكره لنبيه

ناصح وقاله نقسم بالله انك ناصح أو اقسم لهما بالنصيحة واقسما له بقبولها أو اخرج قسم ابليس على زنة المفاعلة لانه اجتهد فيها اجتهاد المقاسم فدلاهما بغرور أى أوقعه فيما أراد من تغريرو أصله ان الرجل العطشان يدلى رجليه فى البئر ليأخذ الماء فلا يجد فيها ماء فوضعت التدلية موضع الطمع فيما لا فائدة فيه قيل أى جرأهما على أكل الشجرة من قولهم فلان يدل على أقرانه فى الحرب كالبازى يدل على صيده قال ابن عباس غرهما باليمين وكان آدم يظن ان لا يحلف (٧٦) أحد بالله كاذبا وعن ابن عمر انه كان اذا رأى من بعض عبيده طاعة وحسن صلاة أعتقه فكان عبيده يفعلون ذلك طلبا للعتق فقيل انهم يخدعونك فقال من خدعنا بالله انخدعنا له فلما ذاقا الشجرة فيه دلالة على انهما قصدا الى معرفة طعمه ولولا انه ذكر فى آية أخرى فكلا منها لم يدل على الاكل لان الذوق قد يكون من غير أكل بدت لهما سوآتهما ظهرت عوراتهما أى عورتاهما مثل صغت قلوبكما وكانت قلبا كما وطفقا يخصفان أخذا فى الفعل وهو الخصف ويستعمل طفق بمعنى كاد قال الزجاج أى يجعلان ورقة على ورقة ليسترا بهما كما يخصف النعل طرقة على طرقة وتوثق بالسيور والورق ورق التين وفيه دليل على ان كشف العورة قبيح من لدن آدم ألا ترى انهما كيف بادرا الى الستر لما تقرر فى عقلهما من قبح كشف العورة ألم أنهكما عتاب من الله وتوبيخ وباقى الآيات مفسر فى سورة البقرة عن ثابت البنانى لما أهبط آدم وحضرته الوفاة أحاطت به الملائكة فجعلت حواء تدور حولهم فقال لها خلى ملائكة ربى فانما أصابنى الذى أصابنى فيك فلما توفى غسلته الملائكة بماء وسدر وترا وحنطته وكفنته فى وتر من الثياب وحفروا له ولحدوا ودفنوه بسرنديب بارض الهند وقالوا لبنيه هذه سنتكم بعده وقد بقى علينا من التفسير أسرار المتشابهات الواقعة فى هذه القصة فلنفرغ لها قوله ما منعك وفى ص يا ابليس ما منعك وفى الحجر يا ابليس مالك حذف المنادى فى هذه السورة لان مضى ذكره هنا أقرب فلم يحتج الى اعادة اسم العين بالنداء قوله ما منعك أن لا تسجد وفى ص ما منعك أن تسجد جمع بين لفظ المنع ولفظ لا فى السورة لانه لما حذف النداء زاد لفظة لا زيادة فى النفى واعلاما بان المخاطب ابليس وان شئت قلت جمع فى السورة بين ما فى ص وما فى الحجر فقال ما منعك أن تسجد ومالك أن لا تسجد وحذف أن تسجد فى مالك لدلالة الحال ودلالة السورتين محمد

محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الاوثان الداعيك الى عبادة الاصنام واتباع خطوات الشيطان أغير الله أبغي ربا يقول أسوى الله اطلب سيدا يسودني وهو رب كل شئ يقول وهو سيد كل شئ دونه ومدبره ومصلحه ولا تكسب كل نفس الا عليها يقول ولا تجترح نفس اثما الا عليها أى لا تؤخذ بما أتت من معصية الله تبارك وتعالى وركبت من الخطيئة سواها بل كل ذى اثم فهو المعاقب باثمه والمأخوذ بذنبه ولا تزر وازرة وزر أخرى يقول ولا تأثم نفس آثمة باثم نفس أخرى غيرها ولكنها تأثم باثمها وعليه تعاقب دون اثم أخرى غيرها وانما يعنى بذلك المشركين الذين أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان يقول هذا القول لهم يقول قل لهم انا لسنا مأخوذين بآثامكم ولا معاقبين باجرامكم وعليكم عقوبة اجرامكم ولنا جزاء أعمالنا وهذا كما أمره الله جل ثناؤه فى موضع آخر ان يقول لهم لكم دينكم ولى دين وذلك كما حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قال كان فى ذلك الزمان لا مخرج للعلماء العابدين الا احدى خلتين أحدهما أفضل من صاحبتها اما أمر ودعاء الى الحق أو الاعتزال فلا تشارك أهل الباطل فى عملهم وتؤدى الفرائض فيما بينك وبين ربك وتحب لله وتبغض لله ولا تشارك أحدا فى اثم قال وقد أنزل فى ذلك آية محكمة قل أغير الله أبغى ربا وهو رب كل شئ الى قوله فيه تختلفون وفى ذلك قال وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة يقال من الوزر وزر يزر وزر وزر وزر وزرا فهو وزير وهو موزور ❁ القول فى تأويل قوله (ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهؤلاء العادلين بربهم الاوثان كل عامل منا ومنكم فله ثواب عمله وعليه وزره فاعملوا ما أنتم عاملوه ثم الى ربكم أيها الناس مرجعكم يقول ثم اليه مصيركم ومنقلبكم فينبئكم بما كنتم فيه فى الدنيا تختلفون من الاديان والملل اذ كان بعضكم يدين باليهودية وبعض بالنصرانية وبعض بالمجوسية وبعض بعبادة الاصنام وادعاء الشركاء مع الله والانداد ثم يجازى جميعكم بما كان يعمل فى الدنيا من خير أو شر فتعلموا حينئذ من المحسن منا والمسئ ❁ القول فى تأويل قوله (وهو الذى جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأمته والله الذى جعلكم أيها الناس خلائف الارض بان أهلك من كان قبلكم من القرون والامم الخالية واستخلفكم فجعلكم خلائف منهم فى الارض تخلفونهم فيها وتعمرونها بعدهم والخلائف جمع خليفة كما الوصائف جمع وصيفة وهى من قول القائل خلف فلان فلانا فى داره يخلفه خلافة فهو خليفة فيها كما قال الشماخ

تصيبهم وتخطيني المنايا * واخلف فى ربوع عن ربوع

وذلك كما حدثنى الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وهو الذى جعلكم خلائف الارض فاهلك القرون واستخلفنا فيها بعدهم واما قوله ورفع بعضكم فوق بعض درجات فانه يقول وخالف بين أحوالكم فجعل بعضكم فوق بعض بان رفع هذا على هذا بما بسط لهذا من الرزق ففضله بما أعطاه من المال والغنى على هذا الفقير فيما خوله من أسباب الدنيا وهذا على هذا بما أعطاه من الايدى والقوة على هذا الضعيف الواهن القوى فخالف بينهم بان رفع من درجة هذا

عليه فبقى ما منعك أن لا تسجد قوله أنا خير منه الآية فى ص مثله كلاهما فى جواب ما منعك ظاهر الآية مراد فى الحجر لفظ ان يكون فقال لم أكن لاسجد ليكون مطابقا للسؤال حيث قيل مالك ألا تكون مع الساجدين قوله انظرنى الى يوم يبعثون وفى ص وفى الحجرات فانظرنى لانه لما اقتصر فى السؤال على الخطاب دون صريح الاسم اقتصر ههنا أيضا على الخطاب دون المنادى بخلاف السورتين وأما زيادة الفاء فى السورتين دون هذه السورة فلان داعية الفاء ما تضمنه النداء من ادعو وأنادى نحو قوله ربنا فاغفر أى (٧٧) أدعوك فاعرض فلما حذف النداء فى هذه السورة تركت الفاء وكذلك قوله من المنظرين ليطابق الجواب السؤال قوله فبما أغويتنى وفى الحجر بما أغويتنى بزيادة النداء ليوافق ما قبله وزاد فى هذه الفاء وكذا فى ص فبعزتك لاغوينهم لزيادة الربط ولم يمكن دخول الفاء فى رب لامتناع النداء منه لان ذلك يقع مع السؤال والطلب قال اخرج منها مذؤما ليس فى القرآن غيره وانما اختص الموضع بذلك لان اللعين بالغ فى العزم على الاغواء فقال لاقعدن لهم الى آخره فبالغ الله جل وعلا فى ذمه اذ الذام أشد الذم قوله فكلا بالفاء وفى البقرة وكلا لان اسكن ههنا من السكنى التى معناها اتخاذ المواضع مسكنا وهذا لا يستدعى زمانا ممتدا يمكن الجمع بين الاتخاذ والاكل فيه بل يقع الاكل عقيبه وفى البقرة من السكون الذى يراد به الاقامة فلم يصلح الا بالواو فان المعنى جمعا بين الاقامة فيها والاكل من ثمارها ولو كان بالفاء لوجب تأخير الاكل الى الفراغ من الاقامة وانما زاد فى البقرة رغدا لما زاد فى الخبر تعظيما بقوله وقلنا قال بعض الافاضل فى جواب وهذه المسائل ان اقتصاص ما مضى اذا لم يقصد به أداء الالفاظ باعيانها كان اختلافها واتفاقها سواء اذا أدى المعنى المقصود وهذا جواب حسن ان رضيت به كفيت مؤنة السهر الى السحر والله أعلم * التأويل ولقد خلقناكم ثم صورناكم أى خلقنا الارواح ثم صورنا أجسادا كما جاء فى الحديث ان الله خلق الارواح قبل الاجساد بالفى ألف عام ولتصوير الاجساد بداية وهى قوله واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم فان لفظ الذرية يقع على المصورين ووسط يصوركم فى الارحام كيف يشاء ونهاية وهى حالة الكهولية فى الاغلب ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم وأنتم فى صلبه وهذا من التمكين أيضا فسجدوا لاستعدادهم الفطرى للسجود ولاتشمارهم لامر الله الا ابليس لم يكن من الساجدين للسجود لما فيه من الاستكبار والنارية قال ما منعك خطاب

الامتحان لجرم ابليس ليظهر به استحقاقه اللعن فانه لو كان ذا بصيرة لقال فى الجواب معنى تقدس ربك وفضلك ولكنه كان اعور العين اعمى
بصيرا بالعين التى رأى بها أنانيته فقال أنا خير منه أرى منعنى خيريتى منه أن اسجد لمن هو دونى واستدل على خيريته بانه خلق من نار وهى
علوية نورانية لطيفة وآدم خلق من طين سفلى ظلمانى كثيف وهذا القياس معارض بان النار من خاصيتها الاحراق والفناء والطين من
خواصه النشو والانماء والاستمساك الذى (٧٨) بقوته يصير الانسان مستمسكا للفيض الالهى ونفخ الروح فيه فاستحق سجود
الملائكة لانه صار كعبة حقيقة فلما
ابتلى ابليس بالصغار وطرد من
الجوار أخذ فى النوح وأيس من
الروح ورضى بالفناء واطمأن
بالحياة فقال انظرنى فاجيب الى
ما سئل ليكون وبالا عليه ويزيد فى
شقوته ولكن لم يجبه بان لا يذيقه ألم
الموت لقوله فى موضع آخر الى يوم
الوقت المعلوم قال فبما أغويتنى لم
يكن حوالته الاغواء الى الله منه
من نظر التوحيد وانما كان
للمعارضة والمعاندة لقوله لاغوينهم
لاقعدن ثم لآتينهم من الجهات التى
فيها حظوظ النفس من بين أيديهم
من قبل الحسد على الاكابر من
المشايخ والعلماء المعاصرين ومن
خلفهم من قبل الطعن فى الاكابر
الاقدمين والسلف الصالحين وعن
ايمانهم من قبل افساد ذات البين
والقاء العداوة والبغضاء بين الاخوان
وعن شمائلهم من جهة ترك
النصيحة مع أهاليهم وأقاربهم
وترك الامر بالمعروف مع عامة
المسلمين أو المراد من بين أيديهم من
قبل الرياء والعجب ومن خلفهم من
قبل الصلف والفخر وعن ايمانهم
من قبل الادعاء واظهار المواعيد
والمواجيد وعن شمائلهم من قبل
الافتراء على أنفسهم ما ليس فيها
من الكشوف والاحوال أو من
بين أيديهم من قبل الاعتراض على
الشيخ ومن خلفهم من قبل التفريق
والاخراج عن صحبة الشيخ وعن ايمانهم من قبل ترك حشمة المشايخ وعن شمائلهم من قبل مخالفة الشيخ والرد
من
بعد القبول أو من بين أيديهم أثروا عليهم أهاليهم وأولادهم ليمنعوهم عن طلب الحق ومن خلفهم أثروا عليهم آباءهم وأمهاتهم وعن ايمانهم
أثروا عليهم أحبابهم وعن شمائلهم أثروا عليهم أعداءهم وحسادهم ولا تقربا هذه الشجرة يعنى شجرة المحبة فان المحبة مطية المحنة فتكونا
من الظالمين على أنفسكما ان للمحبة نارا ونورا فمن يرد نارها يجد نورها ومن يرد نارها احترقت أنانيته فيبقى بلا هو يتنفسه مع هو يتربه فهما

على درجة هذا وخفض من درجة هذا عن درجة هذا وذلك كالذى حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ورفع بعضكم فوق بعض درجات يقول فى الرزق وأما قوله ليبلوكم فيما آتاكم فانه يعنى ليختبركم فيما خولكم من فضله ومنحكم من رزقه فيعلم المطيع له منكم فيما أمره به ونهاه عنه والعاصى ومن المؤدى مما آتاه الحق الذى أمره باداثه منه والمفرط فى أدائه ۞ القول فى تاويل قوله (ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم) يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ان ربك يا محمد لسريع العقاب لمن أسخطه بارتكابه معاصيه وخلافه أمره فيما أمره به ونهاه ولمن ابتلى منه فيما منحه من فضله وطوله توليا وادبارا عنه مع انعامه عليه وتمكينه اياه فى الارض كما فعل بالقرون السالفة وانه لغفور يقول وانه لساتر ذنوب من ابتلى منه اقبالا اليه بالطاعة عند ابتلائه اياه بنعمته واختباره اياه بامره ونهيه فغطى عليه فيها وتارك فضيحته بها فى موقف الحساب رحيم بتركه عقوبته على سالف ذنوبه التى سلفت بينه وبينه اذ تاب وأناب اليه قبل لقائه ومصيره اليه

(تفسير السورة التى يذكر فيها الاعراف)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

۞ القول فى تاويل قوله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه (المص) قال أبو جعفر اختلف أهل التأويل فى تاويل قول الله تعالى المص فقال بعضهم معناه انا الله أفصل ذكر من قال ذلك حدثنا سفيان قال ثنا أبى عن شريك عن عطاء بن السائب عن أبى الضحى عن ابن عباس المص انا الله أفصل حدثنى الحرث قال ثنا القاسم بن سلام قال ثنا عمار بن محمد عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير فى قوله المص انا الله أفصل وقال آخرون هو هجاء حروف اسم الله تعالى الذى هو المصور ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى المص قال هى هجاء المصور وقال آخرون هى اسم من أسماء الله أقسم ربنا به ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله المص قسم أقسمه الله وهو من أسماء الله وقال آخرون هو اسم من أسماء القرآن ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة المص قال اسم من أسماء القرآن حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله وقال آخرون هجاء حروف مقطعة وقال آخرون هى من حساب الجمل وقال آخرون هى حروف تحوى معانى كثيرة دل الله بها خلقه على مراده من كل ذلك وقال آخرون هى حروف اسم الله الاعظم وقد ذكرنا كل ذلك بالرواية فيه وتعليل كل فريق قال فيه قولا وما الصواب من القول عندنا فى ذلك بشواهده وأدلته فيما مضى بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع ۞ القول فى تأويل قول الله تعالى ذكره (كتاب أنزل اليك) قال أبو جعفر يعنى تعالى ذكره هذا القرآن يا محمد كتاب أنزله الله اليك ورفع الكتاب بتأويل هذا كتاب ۞ القول فى تاويل قوله (فلا يكن فى صدرك حرج منه) يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فلا يضق صدرك يا محمد

من الانذار به من أرسلتك لانذاره به واعلامه من أمرتك بابلاغه اياه ولا تشك فى انه من عندى واصبر بالمضى لامر الله واتباع طاعته فيما كلفك وحملك من عبء أثقال النبوة كما صبر أولو العزم من الرسل فان الله معك والحرج هو الضيق فى كلام العرب وقد بينا معنى ذلك بشواهده وأدلته فى قوله ضيقا حرجا بما أغنى عن اعادته وقال أهل التأويل فى ذلك ما **حدثنى** به محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فى قوله فلا يكن فى صدرك حرج منه قال لا تكن فى شك منه **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله فلا يكن فى صدرك حرج منه قال شك **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور قال ثنا معمر عن قتادة فلا يكن فى صدرك حرج منه شك منه **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة مثله **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فلا يكن فى صدرك حرج منه قال اما الحرج فشك **حدثنا** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد المدنى قال سمعت مجاهدا فى قوله فلا يكن فى صدرك حرج منه قال شك من القرآن قال أبو جعفر وهذا الذى ذكرته من التأويل هو معنى ما قلنا فى الحرج لان الشك فيه لا يكون الا من ضيق الصدر به وقلة الاتساع لتوجيهه وجهته التى هى وجهته الصحيحة وانما اخترنا العبارة عنه بمعنى الضيق لان ذلك هو الغالب عليه من معناه فى كلام العرب كما قد بيناه قبل ۞ القول فى تأويل قوله (لتنذر به وذكرى للمؤمنين) يعنى بذلك تعالى ذكره هذا كتاب أنزلناه اليك يا محمد لتنذر به من أمرتك بانذاره وذكرى للمؤمنين وهو من المؤخر الذى معناه التقديم ومعناه كتاب أنزل اليك لتنذر به وذكرى للمؤمنين فلا يكن فى صدرك حرج منه واذا كان ذلك معناه كان موضع قوله وذكرى نصبا بمعنى أنزلنا اليك هذا الكتاب لتنذر به وتذكر به المؤمنين ولو قيل معنى ذلك هذا كتاب أنزل اليك فلا يكن فى صدرك حرج منه ان تنذر به وتذكر به المؤمنين كان قولا غير مدفوعة صحته واذا وجه معنى الكلام الى هذا الوجه كان فى قوله وذكرى من الاعراب وجهان أحدهما النصب بالرد على موضع لتنذر به والآخر الرفع عطفا على الكتاب كانه قيل المص كتاب أنزل اليك وذكرى للمؤمنين ۞ القول فى تأويل قوله (اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون) يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك الذين يعبدون الاوثان والاصنام اتبعوا أيها الناس ما جاءكم من عند ربكم بالبينات والهدى واعملوا بما أمركم به ربكم ولا تتبعوا شيأ من دونه يعنى شيأ غير ما أنزل اليكم ربكم يقول لا تتبعوا أمر أوليائكم الذين يأمرونكم بالشرك بالله وعبادة الاوثان فانهم يضلونكم ولا يهدونكم فان قال قائل وكيف قلت معنى الكلام قل اتبعوا وليس فى الكلام موجودا ذكر القول قيل انه وان لم يكن مذكورا صريحا فان فى الكلام دلالة عليه وذلك قوله فلا يكن فى صدرك حرج منه لتنذر به ففى قوله لتنذر به الامر بالانذار وفى الامر بالانذار الامر بالقول لان الانذار قول فكان معنى الكلام أنذر القوم وقل لهم اتبعوا ما أنزل الله اليكم من ربكم ولو قيل معناه لتنذر به وتذكر به المؤمنين فتقول لهم

تجد نور المحبة وتتنور به كقوله يحبهم ويحبونه فشجرة المحبة شجرة غرسها الرحمن بيده لاجل آدم كما خمر طينة آدم بيده لاجل هذه الشجرة وان منعه منها كان تحريضا له على تناولها فان الانسان حريص على ما منع ولم تكن الشجرة طعمة لغير آدم وأولاده الا أن تكونا ملكين أى من أهل السلو كملكين فى زوايا الجنة أو تكونا من الخالدين فى الجنة كالحور والرضوان فسقاهما ابليس فى كاس القسم شراب ذكر الحبيب وقاسمهما فلما غرقا فى لجة المحنة وذاقا شجرة المحبة بدت لهما سوأة نار المحبة قبل نورها وهى نار فرقة الاحبة فى البداية وطفقا لاشتغال نائرة المحبة يجعلان كل نعيم الجنة على نارهما فلما التهبت احترقت بلظا نارا حبة الواصلة ونعب غراب البين بالفرقة

فبينا نحن فى لهو وفى طرب
بدا سحاب فراق صوبه هطل
ومن كنت مشغوفا بطلعته مضى
وأقفر منه الرسم والطلل
فالصبر مرتحل والوجد متصل
والدمع منهمل والقلب مشتعل

وناداهما ربهما نداء العزة والكبرياء ألم أنهكما عن تلكما الشجرة فانها تذل العزيز وتزيل النعيم وتذهب الطرب وتورث التعب والنصب ان الشيطان لكما عدو مبين ولكن فى عداوته صداقة مخفية تظهر ولو بعد حين

واخجلتا من وقوفى باب دارهم
لو قيل لى مغضبا من أنت يا رجل

فانغسل بماء الخجل منهما رعونات البشرية وتلوث الحجب الانانية فرجعا عما طمعا فيه ووقفا لربه وعلما أن لا منجا ولا ملجأ منه الا اليه فقالا ربنا ظلمنا أنفسنا بان أوقعناها فى شبكة المحبة لا المحبة تعفينا ولا المحنة تغنينا بالزوال وان لم تغفر لنا بنوال الوصال وترحمنا على الجمال لنكونن من الخاسرين الذين خسروا الدنيا والعقبى ولم يظفروا بالمولى فامرا بالصبر على الهجر وقيل اهبطوا بعضكم لبعض عدو النفس عدو القلب والروح والقلب عدو لما سوى الله ولكم للنفس والقلب والروح فى أرض البدن مقام وتمتع فى الشريعة باستعمال الطريقة للوصول الى الحقيقة الى حين تصير النفس مطمئنة تستحق الخطاب براجعى من الهبوط وارفعى بعد السقوط

ان الامور اذا انسدت مسالكها * فالصبر يفتح منها كل ما ارتتجا
لا تيأسن وان طالت مطالبة * اذا استعنت بصبر أن ترى فرجا
أخلق بذى الصبر أن يحظى بحاجته * ومدمن القرع للابواب أن يلجا

قال فيها أى فى المحبة تحيون بصدق الهمة وقرع باب العزة وفيها تموتون بطلب الحق على جادة الشريعة باقدام الطريقة ومنها تخرجون الى

عالم الحقيقة (يابنى آدم قدأنزلناعليكم لباسا يوارى سوآ تكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذ كرون يابنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما انه يريكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل ان الله لا يامر بالفحشاء أتقولون على الله مالا تعلمون قل أمر ربى بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل (٨٠) مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة انهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون انهم مهتدون يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون قل انما حرم ربى الفواحش ماظهر منها ومابطن والاثم والبغى بغير الحق وان تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله مالا تعلمون ولكل أمة أجل فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) القراآت وريائا أبو زيد عن المفضل الباقون ريشا ولباس بالنصب أبو جعفر ونافع وابن عامر وعلى الباقون بالرفع خالصة بالرفع نافع الآخرون بالنصب ربى الفواحش مرسلة الياء حمزة * الوقوف وريشا ط لمن قرأ ولباس مرفوعا ومن قرأ بالنصب وقف على التقوى خير ط تذكرون ه سوآتهما ط لا يؤمنون ه أمرنا بها ط بالفحشاء ط مالا تعلمون ه الدين ط تعودون ه على جواز الوصل لرد النهاية الى البداية الضلالة مهتدون ه ولا تسرفوا ج لاحتمال الفاء فيها ولا يستقدمون ه * التفسير لما ذكر ان الارض مستقر لبنى آدم ذكر انه أنزل كل ما يحتاجون اليه فى الدين والدنيا فقال يابنى آدم قد أنزلنا وأيضا لما ذكر واقعة آدم فى انكشاف العورة انه كان صحيحا يخصف عليها اتبعه ذكر اللباس الساتر للعورة اظهارا للمنة واشعارا بان التستر باب من أبواب التقوى ومعنى انزال اللباس انه قضى ثمة وكتب أو انه حاصل بالمطر المنزل من السماء ومثله وأنزل لكم من الانعام ثمانية أزواج وأنزلنا الحديد والريش لباس الزينة استعير من ريش الطير لانه لباسه وزينته أى أنزلنا عليكم لباسين لباسا يوارى سوآتكم ولباسا لزينتكم لان الزينة غرض صحيح كما قال لتركبوها وزينة ولكم فيها جمال

اتبعوا ما أنزل اليكم كان غير مدفوع وقد كان بعض أهل العربية يقول قوله اتبعوا خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم ومعناه اتبع ما أنزل اليك فلا يكن فى صدرك حرج منه اتبع ما أنزل اليك من ربك ويرى ان ذلك نظير قول الله يا أيها النبى اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن اذ ابتدأ خطاب النبى صلى الله عليه وسلم ثم جعل الفعل للجميع اذ كان أمر الله نبيه بامر أمرا منه لجميع أمته كما يقال للرجل يفرد بالخطاب والمراد به هو وجماعة أتباعه أو عشيرته وقبيلته اما تتقون الله اما تستحيون من الله ونحو ذلك من الكلام وذلك وان كان وجها غير مدفوع فالقول الذى اخترناه أولى بمعنى الكلام لدلالة الظاهر الذى وصفنا عليه وقوله قليلا ما تذكرون يقول قليلا ما تتعظون وتعتبرون فتراجعون الحق ۞ القول فى تاويل قوله (وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتا أو هم قائلون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم حذر هؤلاء العادلين غيرى والعادلين بى الآلهة والاوثان سخطى لا أحل بهم عقوبتى فاهلكهم كما أهلكت من سلك سبيلهم من الامم قبلهم فكثيرا ما أهلكت قبلهم من أهل قرى عصونى وكذبوا رسلى وعبدوا غيرى فجاءهم بأسنا بياتا يقول فجاءهم عقوبتنا ونقمتنا ليلا قبل أن يصبحوا أو جاءتهم قائلين يعنى نهارا فى وقت القائلة وقيل وكم لان المراد بالكلام ما وصفت من الخبر عن كثرة ما قد أصاب الامم السالفة من المثلات بتكذيبهم رسله وخلافهم عليه وكذلك تفعل العرب اذا أرادوا الخبر عن كثرة العدد كما قال الفرزدق

كم عمة لك يا جرير وخالة * فدعاء قد حلبت على عشارى

فان قال قائل فان الله تعالى ذكره انما أخبر انه أهلك قرى فما فى خبره عن اهلاكه القرى من الدليل على اهلاكه أهلها قيل ان القرى لا تسمى قرى ولا القرية قرية الا وفيها مساكن لاهلها وسكان منهم ففى اهلاكها اهلاك من فيها من أهلها وقد كان بعض أهل العربية يرى ان الكلام خرج مخرج الخبر عن القرية والمراد به أهلها والذى قلنا فى ذلك أولى بالحق لموافقته ظاهر التنزيل المتلو فان قال قائل وكيف قيل وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتا أو هم قائلون وهل هلكت قرية الا بمجىء بأس الله وحلول نقمته وسخطه بها فكيف قيل أهلكناها فجاءها وان كان مجىء بأس الله اياها بعد هلاكها فما وجه مجىء ذلك قوما قد هلكوا وبادوا ولا يشعرون بما ينزل بهم ولا بمساكنهم قيل ان لذلك من التأويل وجهين كلاهما صحيح واضح منهجه أحدهما ان يكون معناه وكم من قرية أهلكناها بخذلاننا اياها عن اتباع ما أنزلنا اليها من البينات والهدى واختيارها اتباع أمر أوليائها المغوين لها عن طاعة ربها فجاءها بأسنا اذ فعلت ذلك بياتا أو هم قائلون فيكون اهلاك الله اياها خذلانه لها عن طاعته ويكون مجىء بأس الله اياهم جزاء لمعصيتهم ربهم بخذلانه اياهم والآخر منهما ان يكون الاهلاك هو البأس بعينه فيكون فى ذكر الاهلاك الدلالة على ذكر مجىء البأس وفى ذكر مجىء البأس الدلالة على ذكر الاهلاك واذا كان ذلك كذلك كان سواء عند العرب بدئ بالاهلاك ثم عطف عليه بالبأس أو بدئ بالبأس ثم عطف عليه بالاهلاك وذلك كقولهم زرتنى فاكرمتنى اذا كانت الزيارة هى الكرامة فسواء عندهم قدم الزيارة وأخر الكرامة أو قدم الكرامة وأخر الزيارة فقال أكرمتنى فزرتنى وكان بعض أهل العربية يزعم ان فى الكلام محذوفا ولولا ذلك لم يكن الكلام

صحيحا وان معنى ذلك وكم من قرية أهلكناها فكان مجيء بأسنا اياها قبل اهلاكنا وهذا قول لا دلالة على صحته من ظاهر التنزيل ولا من خبر يجب التسليم له واذا خلا القول من دلالة على صحته من بعض الوجوه التي يجب التسليم لها كان بينا فساده وقال آخرون منهم أيضا معنى الفاء في هذا الموضع معنى الواو وقال تأويل الكلام وكم من قرية أهلكناها وجاءها بأسنا بياتا وهذا قول لا معنى له اذ كان للفاء عند العرب من الحكم ما ليس للواو في الكلام فصرفها الى الاغلب من معناها عندهم ما وجد الى ذلك سبيل أولى من صرفها الى غيره فان قال وكيف قيل فجاءها بأسنا بياتا أو هم قائلون وقد علمت ان الاغلب من شأن أو في الكلام اجتلاب الشك وغير جائز أن يكون في خبر الله شك قيل ان تأويل ذلك خلاف ما اليه ذهبت وانما معنى الكلام وكم من قرية أهلكناها فجاء بعضها بأسنا بياتا أو بعضها وهم قائلون ولو جعل مكان أو في هذا الموضع الواو لكان الكلام كالمحال ولصار الاغلب من معنى الكلام ان القرية التي أهلكها الله جاءها بأسه بياتا وفي وقت القائلة وذلك خبر عن البأس انه أهلك من قد هلك وأفنى من قد فني وذلك من الكلام خلف ولكن الصحيح من الكلام هو ما جاء به التنزيل اذ لم يفصل القرى التي جاءها البأس بياتا من القرى التي جاءها ذلك قائلة ولو فصلت لم يخبر عنها الا بالواو وقيل فجاءها بأسنا خبرا عن القرية ان البأس أتاها وأجرى الكلام على ما ابتدئ به في أول الآية ولو قيل فجاءهم بأسنا بياتا لكان صحيحا فصيحا ردا للكلام الى معناه اذ كان البأس انما قصد به سكان القرية دون بنيانها وان كان قد نال بنيانها ومساكنها من البأس بالخراب نحو من الذي نال سكانها وقد رجع في قوله أو هم قائلون الى خصوص الخبر عن سكانها دون مساكنها لما وصفنا من ان المقصود بالبأس كان السكان وان كان في هلاكهم هلاك مساكنهم وخرابها ولو قيل أو هي قائلة كان صحيحا اذ كان السامعون قد فهموا المراد من الكلام فان قال قائل أوليس قوله أو هم قائلون خبرا عن الوقت الذي أتاهم فيه بأس الله من النهار قيل بلى فان قال أوليس المواقيت في مثل هذا تكون في كلام العرب بالواو الدال على الوقت قيل ان ذلك وان كان كذلك فانهم قد يحذفون من مثل هذا الموضع استثقالا للجمع بين حرفي عطف اذ كان أو عندهم من حروف العطف وكذلك الواو فيقولون لقيتني مملقا أو أنا مسافر بمعنى أو وأنا مسافر فيحذفون الواو وهم مريدوها في الكلام لما وصفت ۞ القول في تأويل قوله (فما كان دعواهم اذ جاءهم بأسنا الا أن قالوا انا كنا ظالمين) يقول تعالى ذكره فلم يكن دعوى أهل القرية التي أهلكناها اذ جاءهم بأسنا وسطوتنا بياتا أو هم قائلون الا اعترافهم على أنفسهم بأنهم كانوا الى أنفسهم مسيئين وبربهم آثمين ولأمره ونهيه مخالفين وعنى بقوله جل ثناؤه دعواهم في هذا الموضع دعاءهم وللدعوى في كلام العرب وجهان أحدهما الدعاء والآخر الادعاء للحق ومن الدعوى التي معناها الدعاء قول الله تبارك وتعالى فما زالت تلك دعواهم ومنه قول الشاعر

وان مذلت رجلي دعوتك أشتفي * بدعواك من مذل بها فيهون

وقد بينا فيما مضى قبل ان البأس والبأساء الشدة بشواهد ذلك الدالة على صحته بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وفي هذه الآية الدلالة الواضحة على صحة ما جاءت به الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله ما هلك قوم حتى يعذروا من أنفسهم وقد تأول ذلك كذلك بعضهم حدثنا ابن حميد قال

ومن قرأ رياشا فقيل انه جمع ريش ... قال الجوهري الريش والرياش بمعنى ... اللباس وهو لباس الفاخر ويقال الريش والرياش المال والخصب والمعاش وبالجملة كل شيء يعيش به الانسان ومنه قولهم رشت فلانا أصلحت حاله وقال ابن السكيت الرياش مختص بالثياب والاثاث والريش قد يطلق على سائر الاموال أما قوله ولباس التقوى فمن قرأ بالنصب فعلى المنصوب قبله عطف ومن رفع فعلى الابتداء وخبره اما الجملة التي هي ذلك خير كانه قيل ولباس التقوى هو خير لان أسماء الاشارة كالضمائر في صلاح العود بسببها واما المفرد الذي هو خير وذلك بدل أو عطف بيان أو صفة بتأويل ولباس التقوى المشار اليه خير والعدول الى الاشارة اما التعظيم لباس التقوى واما ان يكون المراد بلباس التقوى تفضيلا له على لباس الزينة ثم من المفسرين من حمل لباس التقوى على نفس الملبوس أي اللباس الذي أنزله الله تعالى ليواري به السوأة هو لباس التقوى لان قوما من أهل الجاهلية كانوا يتعبدون بالتعري وخلع الثياب ويطوفون بالبيت عراة فيكون كقول القائل قد عرفتك الصدق في أبواب البر والصدق خير لك من غيره فتعبد به أو المراد به ما لبس من الدروع والجواشن والمغافر وغيرها في الحروب أو يراد الملبوسات المعدة لاجل اقامة الصلاة ومنهم من حمله على لباس التقوى مجازا فقال قتادة والسدي وابن جريج انه الايمان وقال ابن عباس هو العمل الصالح وقيل هو السمت الحسن وقيل هو العفاف والتوحيد لان المؤمن لا تبدو عورته وان كان عاريا عن الثياب والفاجر لا تزال عورته مكشوفة وان كان كاسيا وقال معبد هو الحياء وقيل هو ما أظهر على الانسان من السكينة والاخبات والاعمال الصالحات وعلى هذا فمعنى الآية ان لباس التقوى خير لصاحبه اذا أخذ به وقربه الى الله تعالى مما خلق من اللباس والرياش الذي يتجمل به فاضافة اللباس الى التقوى كما أضيف الى الجوع والخوف في قوله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف ذلك من آيات الله الدالة على فضله ورحمته على عباده لعلهم يذكرون فيعرفون عظيم النعمة فيه ثم حذر أولاد آدم من قبول وسوسة الشيطان لان المقصود من قصص الانبياء عليهم السلام ان يكون عبرة لمن يسمعها فقال يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان الفتنة الامتحان تقول فتنت الذهب اذا أدخلته النار لتنظر ما جودته وقال الخليل الفتن الاحراق ... وفتنتني أي

فضة مصرة قال الله تعالى يومهم على النار يفتنون من قدر على اخراج الاب من الجنة مع كمال قوته وقرب عهده من فيضان ربه فهو على أولاده
على ان لا يدخلوا الجنة أقدر ومحل كما أخرج نصب على المصدر أي فتنة مثل اخراج أبويكم لان هذا الاخراج نوع من الفتنة في أولاده ومحل ينزع
عنهما لباسهما حال أي أخرجهما نازعا لباسهما بان كان سببا في ان نزع عنهما واللام في ليريهما سوآتهما لام العاقبة أو لام الغرض كما تقدم
في قوله ليبدي لهما قال ابن عباس يرى آدم (٨٢) سوأة حواء ويرى حواء سوأة آدم وكانا لا يريانها من أنفسهما ولا أحدهما من الآخر وعن

ثنا جرير عن أبي سنان عن عبد الملك بن ميسرة الزراد قال قال عبد الله بن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هلك قوم حتى يعذروا من أنفسهم قال قلت لعبد الملك كيف يكون ذلك قال تقرأ هذه الآية فما كان دعواهم اذ جاءهم بأسنا الآية فان قال قائل وكيف قيل فما كان دعواهم اذ جاءهم بأسنا الا أن قالوا انا كنا ظالمين وكيف أمكنتهم الدعوى بذلك وقد جاءهم بأس الله بالهلاك أقالوا ذلك قبل الهلاك فان كانوا قالوه قبل الهلاك فانهم قالوا قبل مجيء البأس والله يخبر عنهم انهم قالوه حين جاءهم لا قبل ذلك أو قالوه بعدما جاءهم فتلك حالة قد هلكوا فيها فكيف يجوز وصفهم بقيل ذلك اذا عاينوا بأس الله وحقيقة ما كانت الرسل تعدهم من سطوة الله قيل ليس كل الامم كان هلاكها في لحظة ليس بين أوله وآخره مهل بل كان منهم من غرق بالطوفان فكان بين أول ظهور السبب الذي علموا انهم به هالكون وبين آخره الذي عم جميعهم هلاكه المدة التي لا خفاء بها على ذي عقل ومنهم من متع بالحياة بعد ظهور علامة الهلاك لاعينهم أياما ثلاثة كقوم صالح وأشباههم فحينئذ لما عاينوا أوائل بأس الله الذي كانت رسل الله تتوعدهم به وأيقنوا حقيقة نزول سطوة الله بهم دعوا يا ويلنا انا كنا ظالمين فلم يك ينفعهم ايمانهم مع مجيء وعيد الله وحلول نقمته بساحتهم فحذر ربنا جل ثناؤه الذين أرسل اليهم نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم من سطوته وعقابه على كفرهم به وتكذيبهم رسوله ما حل بمن كان قبلهم من الامم اذ عصوا رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد ۞ القول في تأويل قوله (فلنسألن الذين أرسل اليهم ولنسألن المرسلين) يقول تعالى ذكره لنسألن الامم الذين أرسلت اليهم رسلي ماذا عملت فيما جاءتهم به الرسل من عندي من أمري ونهيي هل عملوا بما أمرتهم به وانتهوا عما نهيتهم به وأطاعوا أمري أم عصوني فخالفوا ذلك ولنسألن المرسلين يقول ولنسألن الرسل الذين أرسلتهم الى الامم هل بلغتهم رسالاتي وأدت اليهم ما أمرتهم بادائه اليهم أم قصروا في ذلك ففرطوا ولم يبلغوهم وكذلك كان أهل التأويل يتأولونه ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله فلنسألن الذين أرسل اليهم ولنسألن المرسلين قال يسأل الله الناس عما أجابوا المرسلين ويسأل المرسلين عما بلغوا حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله فلنسألن الذين أرسل اليهم الى قوله غائبين قال يوضع الكتاب يوم القيامة فيتكلم بما كانوا يعملون حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي فلنسألن الذين أرسل اليهم ولنسألن المرسلين يقول فلنسألن الامم ما عملوا فيما جاءت به الرسل ولنسألن الرسل هل بلغوا ما أرسلوا به حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد المدني قال قال مجاهد ولنسألن الذين أرسل اليهم الامم ولنسألن الذين أرسلنا اليهم عما ائتمناهم عليه هل بلغوا ۞ القول في تأويل قوله (فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين) يقول تعالى ذكره فلنخبرن الرسل ومن أرسلتهم اليه بيقين علم بما عملوا في الدنيا فيما كنت أمرتهم به وبما كنت نهيتهم عنه وما كنا غائبين عنهم وعن أفعالهم التي كانوا يفعلونها فان قال قائل وكيف تسأل الرسل والمرسل اليهم وهو يخبر انه يقص عليهم بعلم بأعمالهم وأفعالهم في ذلك قيل ان ذلك منه تعالى ذكره ليس بمسألة

عائشة رضي الله عنها ما رأيت منه ولا رأى مني وحمله العلماء على الكراهية لا على التحريم واختلفوا في لباس نزع عنهما فقيل الثوب الحائل بينهما وبين النظر وعن سعيد بن جبير كان لباسهما من جنس الاظفار وقيل اللباس الذي هو ثياب الجنة قال الكعبي في الآية دلالة على ان المعاصي والفتن كلها منسوبة الى الشيطان وأجيب بانه لا بد من الانتهاء الى خالق الكل وموجد القدر والدواعي ثم علل النهي وأكد التحذير بقوله انه يراكم هو وقبيله أي جماعته الثلاثة فصاعدا والقبيل بنو أب واحد وقال ابن قتيبة أي أصحابه وجنده وقال الليث أي هو وقبيله وجماعته من حيث لا ترونهم أي يكيدون ويغتالون من حيث لا تشعرون قال بعض المتكلمين ومنهم المعتزلة الوجه في ان الانس لا يرون الجن رقة أجسام الجن ولطافتها والوجه في رؤية الجن الانس كثافة أجسام الانس والوجه في رؤية الجن بعضهم بعضا ان الله تعالى يقوي أبصار الجن ويزيد فيه ولو زاد الله في قوة أبصارنا لرأيناهم كما يرى بعضنا بعضا ولو انه تعالى كثف أجسامهم وبقيت أبصارنا على هذه الحالة لرأيناهم وقال أهل السنة انهم يرون الانسان لانه تعالى خلق في عيونهم ادراكا والانس لا يرونهم لانه تعالى لم يخلق هذا الادراك في عيون الانس قال بعض العلماء من حيث لا ترونهم يتناول أوقات الاستقبال من غير تخصيص ففيه دليل على ان الجن لا يرون ولا يظهرون للانس وان اظهارهم أنفسهم ليس في استطاعتهم وان زعم من يدعي رؤيتهم زور ومخرقة ولو قدر الجن على تغيير صورهم وأنفسهم بأي صورة شاؤا لارتفع الوثوق عن الناس حتى الزوجة والولد ولو كانوا قادرين على تخبيط الناس وازالة العقل عنهم لكان أولى الناس بذلك العلماء والمشايخ لان العداوة بينهم وبين خواص الانس أشد وعن مجاهد قال ابليس أعطي

استرشاد

استرشاد ولا مسألة تعرف منهم ما هو به غير عالم وإنما هو مسألة توبيخ وتعذير ومعناها الخبر كما يقول الرجل للرجل ألم أحسن إليك فأسأت وألم أصلك فقطعت فكذلك مسألة الله المرسل إليهم بأن يقول لهم ألم يأتكم رسلي بالبينات ألم أبعث إليكم النذر فتنذركم عذابي وعقابي في هذا اليوم من كفر بي وعبد غيري كما أخبر جل ثناؤه انه قائل لهم يومئذ ألم أعهد إليكم يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم ونحو ذلك من القول الذي ظاهره ظاهر مسألة ومعناه الخبر والقصص وهو بعد توبيخ وتعذير وأما مسألة الرسل الذي هو قصص وخبر فان الامم المشركة لما سئلت في القيامة قيل لها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم أنكر ذلك كثير منهم وقالوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقيل للرسل هل بلغتم ما أرسلتم به أو قيل لهم لم تبلغوا إلى هؤلاء ما أرسلتم به كما جاء الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكما قال جل ثناؤه لامة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا فكل ذلك من الله مسألة للرسل على وجه الاستشهاد لهم على من أرسلوا إليه من الامم وللرسل على وجه التقرير والتوبيخ وكل ذلك بمعنى القصص والخبر فاما الذي هو عن الله منفي من مسألته خلقه فالمسألة التي هي مسألة استرشاد واستثبات فيما لا يعلمه السائل عنها ويعلمه المسؤل ليعلم السائل علم ذلك من قبله فذلك غير جائز ان يوصف الله به لانه العالم بالاشياء قبل كونها وفي حال كونها وبعد كونها وهي المسألة التي نفاها جل ثناؤه عن نفسه بقوله فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان وبقوله ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون يعني لا يسأل عن ذلك أحدا منهم علم مستثبت ليعلم علم ذلك من قبل من سأل منه لانه العالم بذلك كله وبكل شيء غيره وقد ذكرنا ما روي في معنى ذلك من الخبر في غير هذا الموضع فكرهنا اعادته وقد روي عن ابن عباس انه كان يقول في معنى قوله فلنقصن عليهم بعلم انه ينطق لهم كتاب عملهم عليهم بأعمالهم وهذا قول غير بعيد من الحق غير ان الصحيح من الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما منكم من أحد الا سيكلمه ربه يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان فيقول له أتذكر يوم فعلت كذا وفعلت كذا حتى يذكره ما فعل في الدنيا والتسليم لخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى من التسليم لغيره ۞ القول في تأويل قوله (والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون) الوزن مصدر من قول القائل وزنت كذا وكذا أزنه وزنا وزنة مثل وعدته أعده وعدا وعدة وهو مرفوع بالحق والحق به ومعنى الكلام والوزن يوم نسأل الذين أرسل إليهم والمرسلين الحق ويعني بالحق العدل وكان مجاهد يقول الوزن في هذا الموضع القضاء حدثنا المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد والوزن يومئذ القضاء وكان يقول أيضا معنى الحق ههنا العدل ذكر الرواية بذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن الاعمش عن مجاهد والوزن يومئذ الحق قال العدل وقال آخرون معنى قوله والوزن يومئذ الحق وزن الاعمال ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي قوله والوزن يومئذ الحق توزن الاعمال حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله والوزن يومئذ الحق قال قال عبيد بن عمير يؤتى بالرجل العظيم

أربع خصال نرى ولا نرى ونخرج من تحت الثرى ويعود شيخنا في والضمير في انه للشان وهو تأكيد ليصح العطف على المرفوع المتصل ثم قال انا جعلنا الشياطين الآية واحتج أهل السنة على انه تعالى هو الذي سلط الشيطان عليهم حتى أضلهم وأغواهم ويتأكد هذا النص بقوله انا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا اعتذر القاضي بان المراد من الجعل الحكم بان الشيطان ولي لمن لا يؤمن أو المراد التخلية بينهم وبينهم كمن يربط الكلاب في داره ولا يمنعه من التوثب على الداخل وأجيب بان حمل الجعل على الحكم خلاف الظاهر وهب انه حكم ذلك فهل يمكن مخالفة حكم الله وبان الارسال انما يصدق على التسليط لا على التخلية المجردة قوله واذا فعلوا فاحشة قال بعضهم نزلت في اتخاذهم البحائر والسوائب وقيل في الطواف بالبيت عراة والاولى التعميم والفحشاء الخصلة المتزايدة في القبح أعني الكبيرة والمراد انهم كانوا يفعلون أشياء هي في أنفسها فواحش ويعتقدون انها طاعات فوبخوا على ذلك لينتهوا عنها ثم انه حكى عنهم حجتين الاولى التقليد ولم يذكر جوابها لظهور بطلانها عند كل عاقل والثانية ان الله أمرهم بذلك فاجاب عنها بقوله قل ان الله لا يأمر بالفحشاء وللمعتزلة ان يحتجوا به على ان الشيء انما يقبح لوجه عائد اليه وان كونه في نفسه من الفحشاء مغاير لتعلق الامر والنهي ولهذا أكد هذا المعنى بقوله أتقولون على الله ما لا تعلمون والجواب ان عدم الامر بالفحشاء لا ينافي ارادة الفحشاء ومشيئتها ونحن لا ندعي الا انه تعالى مريد لجميع الكائنات وان شيأ منها لا يخرج عن حكمه وارادته وتقديره مع انه لا يأمر الا بالعدل والصواب كما قال قل أمر ربي بالقسط قال عطاء والسدي أي بالعدل وبما ظهر في العقول كونه حسنا وعن ابن عباس هو قول لا اله الا الله ويندرج فيه معرفة الله تعالى بذاته وأفعاله وأحكامه ما قوله وأقيموا فلبس من باب عطف الطلب على الخبر وانما التقدير وقل أقيموا وجوهكم أي استقبلوا القبلة واستقيموا واخلصوا عند كل مسجد في كل وقت سجود كأن المعنى وجهوا وجوهكم حيثما كنتم في الصلاة الى الكعبة وقال ابن عباس المراد انه اذا حضرت الصلاة وأنتم عند مسجد فصلوا فيه ولا يقولن أحد اني لا أصلي الا في مسجد قومي ثم لما أمر بالتوجه الى القبلة أمر بعده بالدعاء والاظهر ان المراد به أعمال الصلاة سميت دعاء لان أشرف أجزاء الصلاة هو الدعاء والذكر ويمكن ان يقال الدعاء بمعنى العبادة فيكون كقوله وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له

الطويل الاكول الشروب فلا يزن جناح بعوضة حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد والوزن يومئذ الحق قال قال عبيد بن عمير يؤتى بالرجل الطويل العظيم فلا يزن جناح بعوضة حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا يوسف بن صهيب عن موسى عن بلال بن يحيى عن حذيفة قال صاحب الموازين يوم القيامة جبريل عليه السلام قال يا جبريل زن بينهم فرد من بعض على بعض قال وليس ثم ذهب ولا فضة قال فان كان للظالم حسنات أخذ من حسناته فرد على المظلوم وان لم يكن له حسنات حمل عليه من سيآت صاحبه فيرجع الرجل وعليه مثل الجبال فذلك قوله والوزن يومئذ الحق واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله فمن ثقلت موازينه فقال بعضهم معناه فمن كثرت حسناته ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن الاعمش عن مجاهد فمن ثقلت موازينه قال حسناته وقال آخرون معنى ذلك فمن ثقلت موازينه التى توزن بها حسناته وسيآته قالوا وذلك هو الميزان الذى تعرفه الناس له لسان وكفتان ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قال لى عمرو بن دينار قوله والوزن يومئذ الحق قال انا نرى ميزانا وكفتين سمعت عبيد بن عمير يقول يجعل الرجل العظيم الطويل فى الميزان ثم لا يقوم بجناح ذباب * قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك عندى القول الذى ذكرناه عن عمرو بن دينار من ان ذلك هو الميزان المعروف الذى يوزن به وان الله جل ثناؤه يزن أعمال خلقه الحسنات منها والسيآت كما قال جل ثناؤه فمن ثقلت موازينه موازين عمله الصالح فاولئك هم المفلحون يقول فاولئك هم الذين ظفروا بالنجاح وأدركوا الفوز بالطلبات والخلود والبقاء فى الجنات لتظاهر الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله ما وضع فى الميزان شئ أثقل من حسن الخلق ونحو ذلك من الاخبار التى تحقق ان ذلك ميزان يوزن به الاعمال على ما وصفت فان أنكر ذلك جاهل بتوجيه معنى خبر الله عن الميزان وخبر رسوله صلى الله عليه وسلم عنه وجهته وقال أو بالله حاجة الى وزن الاشياء وهو العالم بمقدار كل شئ قبل خلقه اياه وبعده وفى كل حال أو قال وكيف توزن الاعمال والاعمال ليست باجسام توصف بالثقل والخفة وانما توزن الاشياء ليعرف ثقلها من خفتها او كثرتها من قلتها وذلك لا يجوز الا على الاشياء التى توصف بالثقل والخفة والكثرة والقلة قيل له فى قوله وما وجه وزن الله الاعمال وهو العالم بمقاديرها قبل كونها قيل وزنه ذلك نظير اثباته اياه فى أم الكتاب واستنساخه ذلك فى الكتاب من غير حاجة به اليه ومن غير خوف من نسيانه وهو العالم بكل ذلك فى كل حال ووقت قبل كونه وبعد وجوده بل ليكون ذلك حجة على خلقه كما قال جل ثناؤه فى تنزيله كل أمة تدعى الى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق الآية فكذلك وزنه تعالى أعمال خلقه بالميزان حجة عليهم ولهم اما بالتقصير فى طاعته والتضييع واما بالتكميل والتتميم واما وجه جواز ذلك فانه كما حدثنى موسى بن عبد الرحمن المسروقى قال ثنا جعفر بن عون قال ثنا عبد الرحمن بن زياد الافريقى عن عبد الله بن يزيد عن عبد الله بن عمر قال يؤتى بالرجل يوم القيامة الى الميزان فيوضع فى الكفة فيخرج له تسعة وتسعون سجلا فيها خطاياه وذنوبه قال ثم يخرج له كتاب مثل الانملة فيها شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم قال فتوضع فى الكفة

الدين ثم برهن على المعاد ليتحقق الجزاء فقال كما بدأكم تعودون قال الحسن ومجاهد كما بدأ خلقكم فى الدنيا ولم تكونوا شيأ كذلك تعودون احياء وعن ابن عباس المراد كما بدأ خلقكم مؤمنا أو كافرا تعودون فيبعث المؤمن مؤمنا والكافر كافرا فان من خلقه الله تعالى فى أول الامر للشقاوة يعمل بعمل أهل الشقاوة وكانت عاقبته ذلك ومن خلقه للسعادة فانه يعمل عمل أهل السعادة وكانت عاقبته السعادة ويؤيد هذا التفسير قوله عقيب ذلك فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة وانتصاب فريقا الثانى بفعل مضمر يفسره ما بعده أى وخذل أو أضل فريقا حق عليهم الضلالة كقولك زيدا مررت به قال القاضى المعنى فريقا هدى الى الجنة والثواب وفريقا حق عليهم الضلالة أى العذاب والصرف عن طريق الثواب لان هذا هو الذى يحق عليهم دون غيره اذ العبد لا يستحق أن يضل عن الدين اذ لو استحق ذلك لجاز ان يأمر أنبياءه باضلالهم عن الدين كما أمرهم باقامة الحدود المستحقة وأجيب بان قوله هدى وحق ماض وحمله على المستقبل خلاف الظاهر وبان الهدى الى الجنة أو الضلال عنها لا بد ان يكون محكوما فى الازل وخلاف حكمه محال ثم بين ما لاجله حقت على هذه الفرقة الضلالة أعنى السبب القريب والا فانتهاء الكل الى مسبب الاسباب فقال انهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله فقبلوا دعوتهم دون دعوته ولم يتأملوا فى التمييز بين الحق والباطل ثم عين ان جهلهم مركب لا بسيط فقال ويحسبون أنهم مهتدون وفيه ان مجرد الظن والحسبان لا يكفى فى أصول الدين بل لا بد فيه من القطع واليقين ثم لما أمر بالقسط وكان من جملته أمر اللباس والمأكول والمشروب وأيضا أمر باقامة الصلاة وكان ستر العورة شرطا لصحتها فلا جرم قال يا بنى آدم خذوا زينتكم عن ابن عباس قال كان أناس من الاعراب يطوفون بالبيت عراة حتى كانت المرأة تطوف بالبيت وهى عريانة فتعلق على سفلها سيورا مثل هذه السيور التى تكون على وجه الحمر من الذباب وهى تقول اليوم يبدو بعضه أو كله * وما بدا منه فلا أحله وعن طاوس لم يأمرهم بالحرير والديباج وانما كان أحدهم يطوف عريانا ويدع ثيابه وراء المسجد وان طاف وهى عليه ضرب وانتزعت منه لانهم قالوا لا نعبد الله فى ثياب أذنبنا فيها وقيل كانوا يفعلون ذلك تفاؤلا ليعروا من الذنوب كما يعروا من الثياب وقال الكلبى كان أهل الجاهلية لا يأكلون من الطعام الا قوتا ولا يأكلون

فخرج

فتريح بخطاياه وذنوبه فكذلك وزن الله أعمال خلقه بان يوضع العبد وكتب حسناته في كفة من كفتي الميزان وكتب سيآ ته في الكفة الاخرى ويحدث الله تبارك وتعالى ثقلا وخفة في الكفة التي الموزون بها أولى احتجاجا من الله بذلك على خلقه كفعله بكثير منهم من استنطاق أيديهم وأرجلهم استشهادا بذلك عليهم وما أشبه ذلك من حججه ويسأل من أنكر ذلك فيقال له ان الله أخبرنا تعالى ذكره انه يثقل موازين قوم في القيامة ويخفف موازين آخرين وتظاهرت الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتحقيق ذلك فما الذي أوجب لك انكار الميزان ان يكون هو الميزان الذي وصفنا صفته الذي يتعارفه الناس أحجة عقل فقد يقال وجه صحته من جهة العقل وليس في وزن الله جل ثناؤه خلقه وكتب أعمالهم لتعريفهم أثقل القسمين منها بالميزان خروج من حكمه ولا دخول في جور في قضية فما الذي أحال ذلك عندك من حجة أعقل أو خبر اذ كان لا سبيل الى حقيقة القول بافساد ما لا يدفعه العقل الا من أحد الوجهين اللذين ذكرت ولا سبيل الى ذلك وفي عدم البرهان وضوح فساد قوله وصحة ما قاله أهل الحق في ذلك وليس هذا الموضع من مواضع الاكثار في هذا المعنى على من أنكر الميزان الذي وصفنا صفته اذ كان قصدنا في هذا الكتاب البيان عن تأويل القرآن دون غيره ولولا ذلك لقرنا الى ما ذكرنا نظائره وفي الذي ذكرنا من ذلك كفاية لمن وفق لفهمه ان شاء الله ۞ القول في تأويل قوله (ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون) يقول جل ثناؤه ومن خفت موازين أعماله الصالحة فلم تثقل باقراره بتوحيد الله والايمان به وبرسوله واتباع أمره ونهيه فاولئك الذين غبنوا أنفسهم حظوظها من جزيل ثواب الله وكرامته بما كانوا بآياتنا يظلمون يقول بما كانوا بحجج الله وأدلته يجحدون فلا يقرون بصحتها ولا يوقنون بحقيقتها كالذي **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا جرير عن الاعمش عن مجاهد ومن خفت موازينه قال سيئاته وقيل فاولئك ومن في لفظ الواحد لان معناه الجمع ولو جاء موحدا كان صوابا فصيحا ۞ القول في تأويل قوله (ولقد مكناكم في الارض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون) يقول تعالى ذكره ولقد وطأنا لكم أيها الناس في الارض وجعلناها لكم قرارا تستقرون فيها ومهادا تمهدونها وفراشا تفترشونها وجعلنا لكم فيها معايش تعيشون بها أيام حياتكم من مطاعم ومشارب نعمة مني عليكم واحسانا مني اليكم قليلا ما تشكرون يقول وأنتم قليل شكركم على هذه النعم التي أنعمتها عليكم لعبادتكم غيري واتخاذكم الهاسواي والمعايش جمع معيشة واختلفت القراء في قراءتها فقرأ ذلك عامة قراء الامصار معايش بغير همز وقرأه عبد الرحمن الاعرج معائش بالهمز والصواب من القراءة في ذلك عندنا معايش بغير همز لانها مفاعل من قول القائل عشت بعيش فالميم فيها زائدة والياء في الحكم متحركة لان واحدها مفعلة معيشة متحركة الياء فقلبت حركة الياء منها الى العين في واحدها فلما جمعت ردت حركتها اليها لسكون ما قبلها وتحركها وكذلك تفعل العرب بالياء والواو اذا سكن ما قبلهما وتحركتا في نظائر ما وصفنا من الجمع الذي يأتي على مثال مفاعل وذلك مخالف لما جاء من الجمع على مثال فعائل التي تكون الياء فيها زائدة ليست بأصل فان ما جاء من الجمع على هذا المثال فالعرب تهمزه كقولهم هذه مدائن وصحائف ونظائر لان مدائن جمع مدينة والمدينة فعيلة من قولهم مدنت

دمهم ... في ايام حجهم يعظمون بذلك حجهم [illegible] المراد من الزينة لبس الثياب لقوله تعالى لا يبدين زينتهن يعني الثياب وأيضا الزينة لا تحصل الا بالستر التام للعورات ولانه يناسب ما تقدم من ذكر اللباس والرياش ولان ظاهر الامر الوجوب وكل ما سوى اللبس غير واجب فوجب حمل الزينة على اللبس عملا بالنص بقدر الامكان والسنة ان يأخذ الرجل أحسن هيئة للصلاة وقيل الزينة المشط وقيل الطيب ثم ان العبرة بعموم اللفظ

لا بخصوص السبب فالآية تقتضي وجوب اللبس التام عند كل صلاة ترك العمل به في القدر الذي لا يجب ستره من الاعضاء اجماعا بقي الباقي داخلا تحت اللفظ فاذن ستر العورة واجب في الصلاة والا فسدت صلاته قال أصحاب أبي حنيفة لبس الثوب المغسول بماء الورد على أقصى وجوه النظافة أخذ الزينة فيكفي في صحة الصلاة وأجيب بان اللام في قوله وأقيموا الصلاة تنصرف الى المعهود السابق وهو صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم قلتم انه يصلي في الثوب المغسول بماء الورد أما قوله وكلوا أي اللحم والدسم واشربوا فقد قيل انهما أمر اباحة بالاتفاق فوجب ان يكون أخذ الزينة أيضا على الاباحة وأجيب بانه لا يلزم من ترك الظاهر في المعطوف تركه في المعطوف عليه مع ان الاكل والشرب قد يكونان واجبين أيضا في الجملة وهما يشملان جميع المطعومات والمشروبات ويتناولان الاحوال والاوقات الا ما خصه الدليل المنفصل والعقل أيضا مؤكد لهذا المعنى لان الاصل في المنافع الحل والاباحة وفي قوله ولا تسرفوا وجهان الاول انه يأكل ويشرب بحيث لا يتعدى الى الحرام ولا يكثر الانفاق المستقبح ولا يتناول مقدارا كثيرا يضره ولا يحتاج اليه الثاني وهو قول أبي بكر الاصم ان المراد من الاسراف قولهم بتحريم البحيرة والسائبة فانهم أخرجوها عن ملكهم وتركوا الانتفاع بها وأيضا انهم حرموا على أنفسهم في وقت الحج ما أحلها الله تعالى لهم قال بعض العلماء ان حمل الاسراف على الاستكثار مما لا ينبغي أولى من حمله على المنع مما يجوز وينبغي عن ابن عباس كل ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك خصلتان سرف ومخيلة يحكى ان الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق فقال لعلي بن الحسين بن واقد صاحب المغازي ليس في كتابكم من علم الطب شيء والعلم علمان علم الابدان وعلم الاديان فقال له قد جمع الله الطب كله في نصف آية من كتابه

قال وماهى قال قوله كانوا واشربوا ولا تسرفوا فقال النصرانى ولا يؤثر عن رسولكم شئ فى الطب فقال قد جمع رسولنا صلى الله عليه وسلم الطب فى ألفاظ يسيرة قال وماهى قال قوله المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء واعط كل بدن ما عودته فقال النصرانى ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبا وقيل كانوا اذا أحرموا حرموا الشاة وما يخرج منها من لحمها وشحمها ولبنها فانكر ذلك عليهم بقوله قل من حرم زينة الله قال ابن عباس وأكثر المفسرين هى اللباس الساتر للعورة وقال آخرون انها تتناول جميع أنواع الزينة من الملابس والمراكب والحلى وكذا كل ما يستطاب ويستلذ من المآكل والمشارب والنساء والطيب عن عثمان بن مظعون انه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال غلبنى حديث النفس عزمت على ان اختصى فقال مهلا يا عثمان فان خصاء أمتى الصيام قال فان نفسى تحدثنى بالترهب فقال ان ترهب أمتى القعود فى المساجد لانتظار الصلوات فقال تحدثنى نفسى بالسياحة قال سياحة أمتى الغزو والحج والعمرة فقال ان نفسى تحدثنى ان أخرج مما أملك فقال الاولى ان تكفى نفسك وعيالك وان ترحم المسكين واليتيم وتعطيه أفضل من ذلك فقال نفسى تحدثنى ان أطلق خولة فقال ان الهجرة فى أمتى هجرة ما حرم الله تعالى قال فان نفسى تحدثنى ان لا أغشاها فقال ان المسلم اذا غشى أهله وما ملكت يمينه فان لم يصب من وقعته تلك ولدا كان له وصيف فى الجنة وان كان له ولد مات قبله أو بعده كان له قرة عين وفرح يوم القيامة وان مات قبل أن يبلغ الحنث كان له شفيعا ورحمة يوم القيامة قال فان نفسى تحدثنى ان لا آكل اللحم قال مهلا فان جبريل يامرنى بالطيب وقال لا تتركه يوم الجمعة ثم قال يا عثمان لا ترغب عن سنتى فانه من رغب عن سنتى ومات فليس منى ولو مات قبل أن يتوب ضربت الملائكة وجهه عن حوضى واعلم ان كل واقعة تقع فاما أن لا يكون فيها نفع ولا ضر أو يتساوى ضرها ونفعها فوجب الحكم فى القسمين ببقاءما كان على ما كان وان كان النفع خالصا وجب لاطلاق الآية وان كان الضرر خالصا وكان تركه خالص النفع فيلتحق بالقسم المتقدم وان كان النفع راجحا والضرر مرجوحا تقابل المثل بالمثل وبقى القدر الزائد نفعا خالصا وان كان الضرر راجحا بقى القدر الزائد ضررا خالصا وكان تركه نفعا خالصا فبهذا الطريق صارت هذه الآية دالة على الاحكام التى لانهاية لها فى الحل والحرمة الا أن تجد نصا خاصا فى

الرحال

المدينة وكذلك صحائف جمع صحيفة والصحيفة فعيلة من قولك صحفت الصحيفة فالياء فى واحدها زائدة ساكنة فاذا جمعت همزت بخلافها فى الجمع ٧ الياء التى كانت فى واحدها وذلك انها كانت فى واحدها ساكنة وهى فى الجميع متحركة ولو جعلت مدينة مفعلة من دان يدين وجمعت على مفاعل كان الفصيح ترك الهمز فيها وتحريك الياء وربما همزت العرب جمع مفعلة فى ذوات الياء والواو وان كان الفصيح من كلامها ترك الهمز فيها اذا جاءت على مفاعل تشبيها منهم جمعها بجمع فعيلة كما تشبه مفعلا بفعيل فتقول مسيل الماء من سال يسيل ثم تجمعها جمع فعيل فتقول هى أمسلة فى الجمع تشبيها منهم لها بجمع بعير وهو فعيل اذ تجمعه أبعرة وكذلك يجمع المصير وهو مفعل مصران تشبيها له بجمع بعير وهو فعيل اذ تجمعه بعران وعلى هذا همز الاعرج معائش وذلك ليس بالفصيح فى كلامها وأولى ما قرئ به كتاب الله من الالسن أفصحها وأعرفها دون أنكرها وأشذها ۞ القول فى تأويل قوله (ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين) اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم تأويل ذلك ولقد خلقناكم فى ظهر آدم أيها الناس ثم صورناكم فى أرحام النساء خلقا مخلوقا ومثالا ممثلا فى صورة آدم ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله ولقد خلقناكم ثم صورناكم قوله خلقناكم يعنى آدم وأما صورناكم فذريته حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ولقد خلقناكم ثم صورناكم الآية قال أما خلقناكم فآدم وأما صورناكم فذرية آدم من بعده حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن أبى جعفر عن الربيع ولقد خلقناكم يعنى آدم ثم صورناكم يعنى فى الارحام حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن سعد قال أخبرنا أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس فى قوله ولقد خلقناكم ثم صورناكم يقول خلقناكم خلق آدم ثم صورناكم فى بطون أمهاتكم حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى ولقد خلقناكم ثم صورناكم يقول خلقنا آدم ثم صورنا الذرية فى الارحام حدثنا بشر بن آدم قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة ولقد خلقناكم ثم صورناكم قال خلق الله آدم من طين ثم صورناكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق علقة ثم مضغة ثم عظاما ثم كسى العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال خلق الله آدم ثم صور ذريته من بعده حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمر بن هرون عن نصر بن مشاوش عن الضحاك خلقناكم ثم صورناكم قال ذريته حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمان عن الضحاك قوله ولقد خلقناكم يعنى آدم ثم صورناكم يعنى ذريته وقال آخرون بل معنى ذلك ولقد خلقناكم فى أصلاب آبائكم ثم صورناكم فى بطون أمهاتكم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن شريك عن سماك عن عكرمة ولقد خلقناكم ثم صورناكم قال خلقناكم فى أصلاب

---

٧ هكذا هذه العبارة بالنسخ التى بايدينا ولا يخفى مافيها والقصد أن الياء اذا كانت فى المفرد أصلية لا تقلب همزة فى الجمع على مفاعل بخلاف الزائدة فانها تقلب همزة اه مصححه

الرجال وصورناكم في أرحام النساء **حدثني** المثنى قال ثنا الحماني قال ثنا شريك عن سماك عن عكرمة مثله **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان قال سمعت الاعمش يقرأ ولقد خلقناكم ثم صورناكم قال خلقناكم في أصلاب الرجال ثم صورناكم في أرحام النساء وقال آخرون بل معنى ذلك خلقناكم يعني آدم ثم صورناكم يعني في ظهره *ذكر من قال ذلك* **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله ولقد خلقناكم قال آدم ثم صورناكم قال في ظهر آدم **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولقد خلقناكم ثم صورناكم في ظهر آدم **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله ولقد خلقناكم ثم صورناكم قال صورناكم في ظهر آدم **حدثني** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعيد المدني قال سمعت مجاهدا في قوله ولقد خلقناكم ثم صورناكم قال في ظهر آدم لما تصيرون اليه من الثواب في الآخرة * وقال آخرون معنى ذلك ولقد خلقناكم في بطون أمهاتكم ثم صورناكم فيها *ذكر من قال ذلك* **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عمن ذكره قال خلقناكم ثم صورناكم قال خلق الله الانسان في الرحم ثم صوره فشق سمعه وبصره وأصابعه * قال أبو جعفر وأولى الاقوال بالصواب قول من قال تأويله ولقد خلقناكم آدم ثم صورناكم بتصويرنا آدم كما قد بينا فيما مضى من خطاب العرب الرجل بالافعال تضيفه اليه والمعنى في ذلك سلفه وكما قال جل ثناؤه لمن بين أظهر المؤمنين من اليهود على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة وما أشبه ذلك من الخطاب الموجه الى الحي الموجود والمراد به السلف المعدوم فكذلك ذلك في قوله ولقد خلقناكم ثم صورناكم معناه ولقد خلقنا أباكم آدم ثم صورناه وانما قلنا هذا القول أولى الاقوال في ذلك بالصواب لان الذي يتلو ذلك قوله ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ومعلوم ان الله تبارك وتعالى قد أمر الملائكة بالسجود لآدم قبل ان يصور ذريته في بطون أمهاتهم بل قبل ان يخلق أمهاتهم وثم في كلام العرب لا تأتي الا بايذان انقطاع ما بعدها عما قبلها وذلك كقول القائل قمت ثم قعدت لا يكون القعود اذ عطف به بثم على قوله قمت الا بعد القيام وكذلك ذلك في جميع الكلام ولو كان العطف في ذلك بالواو جاز ان يكون الذي بعدها قد كان قبل الذي قبلها وذلك كقول القائل قمت وقعدت فجائز أن يكون القعود في هذا الكلام قد كان قبل القيام لان الواو تدخل في الكلام اذا كانت عطفا لتوجب للذي بعدها من المعنى ما وجب للذي قبلها من غير دلالة منها بنفسها على ان ذلك كان في وقت واحد أو وقتين مختلفين أو ان كان في وقتين أيهما المتقدم وأيهما المتأخر فلما وصفنا قلنا ان قوله ولقد خلقناكم ثم صورناكم لا يصح تأويله الا على ما ذكرنا فان ظن ظان ان العرب اذ كانت ربما نطقت بثم في موضع الواو في ضرورة شعر كما قال بعضهم

سألت ربيعة من خيرها * أبا ثم أما فقالت لمه

بمعنى أبا وأما فان ذلك جائز ان يكون نظيره فان ذلك بخلاف ما ظن وذلك ان كتاب الله جل ثناؤه نزل بأفصح لغات العرب وغير جائز توجيه شيء منه الى الشاذ من لغاتها وله في الافصح الاشهر معنى مفهوم ووجه معروف وقد وجه بعض من ضعفت معرفته بكلام العرب ذلك الى انه من المؤخر الذي معناه التقديم وزعم ان معنى ذلك ولقد خلقناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ثم صورناكم

الواقعة فتقتضي به تقديم الخاص على العام قال نفاة القياس لو تعبدنا الله تعالى بالقياس لكان حكم ذلك القياس اما أن يكون موافقا لحكم هذا النص العام وحينئذ يكون ضائعا لان هذا النص مستقل به وان كان مخالفا كان ذلك القياس تخصيصا لعموم هذا النص فيكون مردودا لان العمل بالنص أولى من العمل بالقياس فاذن القرآن واف بجميع الاحكام الشرعية والله تعالى أعلم ثم بين ان الزينة والطيبات خلقت في الحياة الدنيا لاجل المؤمنين بالاصالة والكفرة بالتبعية كقوله ومن كفر فامتعه قليلا (٨٧) واما في الآخرة فانها خالصة لهم فقال قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة من قرأ بالرفع فلانه خبر بعد خبر قال أبو علي أو على الخبر وللذين آمنوا متعلق به والتقدير هي خالصة للذين آمنوا في الحياة الدنيا يوم القيامة وعلى هذا يكون في الحياة ظرفا لخالصة ويفهم من ذلك انها في غير يوم القيامة غير خالصة لهم لانها تكون مشوبة بزحمة الكفار وعلى الاول يكون في الحياة ظرفا لمحذوف أي هي للذين آمنوا غير خالصة في الحياة الدنيا وهي لهم خالصة يوم القيامة ومن قرأ بالنصب فعلى الحال وباقي التقدير كما ذكرنا نفصل الآيات لقوم يعلمون أي لقوم يمكنهم النظر والاستدلال حتى يتوصلوا به الى تحصيل العلوم النظرية ثم بين أصول الافعال المحرمة وحصرها في ستة أنواع لان الجناية اما على الفروج واليها الاشارة بقوله قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن واما أن تكون على العقول وهي شرب الخمر واليها الاشارة بقوله والاثم وقيل الفواحش الكبائر والاثم الصغائر وقيل الفواحش كل ما تزايد قبحه وتبالغ والاثم عام لكل ذنب كأنه خصص أولا ثم عمم واما أن تكون الجناية على النفوس والاموال والاعراض واليهن الاشارة بقوله والبغي بغير الحق ومعنى بغير الحق ان لا يقدموا على ايذاء الناس بالقتل والقهر الا أن يكون لهم فيه حق فحينئذ يخرج عن ان يكون بغيا واما أن تكون الجناية على الاديان اما بالطعن في التوحيد واليه أشار بقوله وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا أي لا سلطان حتى ينزل واما بالافتراء على الله وذلك قوله وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون فان قيل الفاحشة وغيرها هي التي نهى الله تعالى عنها فيصير تقدير الآية انما حرم ربي محرمات وهذا كلام خال عن الفائدة فالجواب ان كون الفعل فاحشة عبارة عن اشتماله في ذاته على أمور باعتبارها يجب النهي عنه فيزول الاشكال ثم شدد أمر التمسك بالآجال المحدودة والانفاس المعدودة فقال ولكل أمة أجل

أهل مكة وقيل معناه ان أجل العمر لا يتقدم ولا يتأخر سواء الهالك والمقتول وأورد على القول الأول انه ليس لكل أمة من الأمم وقت معين لا يعذبهم في نزول عذاب الاستئصال وعلى الثاني انه كان ينبغي ان يقال ولكل انسان أو أحد أجل ويمكن ان يقال الامة هي الجماعة في كل زمان والمعلوم من حالها التفاوت في الآجال فزال السؤال وليس المراد انه تعالى لا يقدر على تبقيته أزيد من ذلك ولا أنقص ولا يقدر على أن يميته الا في ذلك الوقت لان هذا يقتضي خروجه سبحانه وتعالى عن كونه قادرا مختارا أو صيرورته كالموجب لذاته بل المراد انه تعالى اختار ان الامر يقع على هذا الوجه وانما ذكر الساعة لان هذا الجزء من الزمان أقل ما يستعمل في تقليل الاوقات عرفا والساعة في اصطلاح أهل التنجيم جزء من أربعة وعشرين جزأ من يوم بليلته قيل ان عند حضور الاجل يمتنع عقلا وقوع ذلك الاجل في وقت المتقدم فما معنى قوله ولا يستقدمون وأجيب بأن مجيء الاجل محمول على قرب حضور الاجل لقول العرب جاء الشتاء اذا قارب وقته ومع مقاربة الاجل يصح التقدم على ذلك الوقت تارة والتأخر عنه أخرى * التأويل قد أنزلنا عليكم لباسا هو لباس الشريعة يواري سوآت الافعال القبيحة في الظاهر وسوآت الصفات الذميمة والنفسانية والحيوانية بآداب الطريقة في الباطن وريشا زينة وجمالا في الظاهر والباطن ولباس التقوى وهو لباس القلب والروح والسر الخفي فلباس القلب من التقوى هو الصدق في طلب المولى يتوارى به سوآت الطمع في الدنيا وما فيها ولباس الروح من التقوى هو محبة المولى فتوارى به سوآت التعلق بغير المولى ولباس السر من التقوى هو رؤية المولى يتوارى بها رؤية غير المولى ولباس الخفي من التقى بقاؤه بهوية المولى فيوارى بها هوية غير المولى ذلك خير لان لباس البدن بالفتوى وهو الشريعة ولباس القلب بالتقوى هو الحقيقة ذلك من آيات الله أي انزال الشريعة والحقيقة مما يدل على المولى لا يفتننكم الشيطان بالدنيا وما فيها ومتابعة الهوى فيخرجكم عن جنة الصدق في طلب الحق كما أخرج أبويكم من الجنة جوار الحق ينزع عنهما لباسهما من الشرع وذلك بنهيهما عن شجرة المحبة ليريهما سوآتهما من مخالفة

وذلك غير جائز في كلام العرب لانها لا تدخل ثم في الكلام وهي مراد بها التقديم على ما قبلها من الخبر وان كان قد يقدم بها في الكلام اذا كان فيه دليل على ان معناها التأخير وذلك كقولهم قام عبد الله ثم عمرو فأما اذا قيل قام عبد الله ثم قعد عمرو فغير جائز ان يكون قعود عمرو كان الا بعد قيام عبد الله اذا كان الخبر صدقا فقول الله تبارك وتعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا نظير قول القائل قام عبد الله ثم قعد عمرو في انه غير جائز ان يكون أمر الله الملائكة بالسجود لآدم كان الا بعد الخلق والتصوير لما وصفنا قبل وأما قوله للملائكة اسجدوا لآدم فانه يقول جل ثناؤه فلما صورنا آدم وجعلناه خلقا سويا ونفخنا فيه من روحنا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ابتلاء منا واختبارا لهم بالامر ليعلم الطائع منهم من العاصي فسجدوا يقول فسجد الملائكة الا ابليس لانه لم يكن من الساجدين لآدم حين أمره الله مع من أمر من سائر الملائكة غيره بالسجود وقد بينا فيما مضى المعنى الذي من أجله امتحن جل جلاله ملائكته بالسجود لآدم فأمر ابليس وقصصه بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع ۞ القول في تأويل قوله (قال ما منعك ألا تسجد اذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين) وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن قيله لابليس اذ عصاه فلم يسجد لآدم اذ أمره بالسجود له يقول قال الله لابليس ما منعك أي شيء منعك ألا تسجد ان تدع السجود لآدم اذ أمرتك أن تسجد قال أنا خير منه يقول قال ابليس أنا خير منه من آدم خلقتني من نار وخلقته من طين فان قال قائل أخبرنا عن ابليس ألحقته الملامة على السجود أم على ترك السجود فان تكن لحقته الملامة على ترك السجود فكيف قيل له ما منعك ألا تسجد اذ أمرتك وان كان التكبر عن السجود فذلك خلاف ما جاء به التنزيل في سائر القرآن وخلاف ما تعرفه المسلمون قيل ان الملامة لم تلحق ابليس الا على معصيته ربه بتركه السجود لآدم اذ أمره بالسجود له غير ان في تأويل قوله ما منعك ألا تسجد اذ أمرتك بين أهل المعرفة بكلام العرب اختلافا أبدأ بذكر ما قالوا ثم اذكر الذي هو أولى ذلك بالصواب فقال بعض نحويي البصرة معنى ذلك ما منعك أن تسجد ولا ههنا زائدة كما قال الشاعر

أبا جوده لا البخل واستعجلت به * نعم من فتى لا يمنع الجوع قاتله

وقال فسرته العرب أبى جوده البخل وجعلوا لا زائدة حشوا ههنا وصلوا بها الكلام قال وزعم يونس ان أبا عمرو كان يجر البخل ويجعل لا مضافة اليه أراد أبا جوده لا التي هي البخل ويجعل لا مضافة لان لا قد تكون للجود والبخل لانه لو قال له امنع الحق ولا تعط المسكين فقال لا كان هذا جودا منه وقال بعض نحويي الكوفة نحو القول الذي ذكرناه عن البصريين في معناه وتأويله غير انه زعم ان العلة في دخول لا في قوله أن لا تسجد ان في أول الكلام جحدا يعني بذلك قوله لم يكن من الساجدين فان العرب ربما أعادوا في الكلام الذي فيه جحد الجحد كالاستئناف والتوكيد له قال وذلك كقولهم

ما ان رأينا مثلهن لمعشر * سود الرؤس فوالج وفيول

فأعاد على الجحد الذي هو ما جحدا وهو قوله ان فجمعهما للتوكيد وقال آخر منهم ليست لا بحشو في هذا الموضع ولا صلة ولكن المنع ههنا بمعنى القول وانما تأويل الكلام من قال لك لا تسجد اذ أمرتك بالسجود ولكن دخل في الكلام ان اذ كان المنع بمعنى القول لا في لفظه كما يفعل ذلك في سائر الكلام

الذي يضارع القول وهو له في اللفظ مخالف كقولهم ناديت أن لا تقم وحلفت أن لا تجلس وما أشبه ذلك من الكلام وقال بعضهم من روى أبى جوده لا البخل بمعنى كلمة البخل لان لا هي كلمة البخل فكأنه قال كلمة البخل وقال بعضهم معنى المنع الحول بين المرء وما يريده قال والممنوع مضطر به الى خلاف ما منع منه كالممنوع من القيام وهو يريده فهو مضطر من الفعل الى ما كان خلافا للقيام اذ كان المختار للفعل هو الذي له السبيل اليه والى خلافه فيؤثر أحدهما على الآخر فيفعله قال فلما كانت صفة المنع ذلك فخوطب ابليس بالمنع فقيل له ما منعك ألا تسجد كان معناه كأنه قيل له أي شيء اضطرك الى ألا تسجد * قال أبو جعفر والصواب عندي من القول في ذلك أن يقال ان في الكلام محذوفا قد كفى دليل الظاهر منه وهو أن معناه ما منعك من السجود فأحوجك ألا تسجد فترك ذكر أحوجك استغناء بمعرفة السامعين قوله الا ابليس لم يكن من الساجدين أن ذلك معنى الكلام من ذكره ثم عمل قوله ما منعك في أن ما كان عاملا فيه قبل أحوجك لو ظهر اذ كان قد ناب عنه وانما قلنا ان هذا القول أولى بالصواب لما قد مضى من دلالتنا قبل على انه غير جائز ان يكون في كتاب الله شيء لا معنى له وان لكل كلمة معنى صحيحا فتبين بذلك فساد قول من قال لا في الكلام حشو لا معنى لها وأما قول من قال معنى المنع ههنا القول فلذلك دخلت لا مع أن فان المنع وان كان قد يكون قولا وفعلا فليس المعروف في الناس استعمال المنع في الامر بترك الشيء لان المأمور بترك الفعل اذا كان قادرا على فعله وتركه ففعله لا يقال فعله وهو ممنوع من فعله الا على استكراه للكلام وذلك ان المنع من الفعل حول بينه وبينه فغير جائز أن يكون وهو محول بينه وبينه فاعلا له لانه ان جاز ذلك وجب أن يكون محولا بينه وبينه لا محولا وممنوعا لا ممنوعا وبعد فان ابليس لم يأتمر لامر الله تعالى بالسجود لآدم كبرا فكيف كان يأتمر لغيره في ترك أمر الله وطاعته بترك السجود لآدم فيجوز أن يقال له اى شيء قال لك لا تسجد ثني يقول اذا أمرتك بالسجود له ولكن معناه ان شاء الله ما قلت ما منعك من السجود له فأحوجك أو فأخرجك أو فاضطرك الى أن لا تسجد له على ما بينت وأما قوله أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين فانه خبر اذا من الله جل ثناؤه عن جواب ابليس اياه اذ سأله ما الذي منعك من السجود لآدم فأحوجه الى أن لا يسجد له واضطره الى خلافه أمره به وتركه طاعته ان المانع كان له من السجود والداعي له الى خلافه أمر ربه في ذلك انه أشد منه أيدا وأقوى منه قوة وأفضل منه فضلا لفضل الجنس الذي منه خلق وهو النار من الذي خلق منه آدم وهو الطين فجهل عدو الله وجه الحق وأخطأ سبيل الصواب اذ كان معلوما ان من جوهر النار الخفة والطيش والاضطراب والارتفاع علوا والذي في جوهرها من ذلك هو الذي حمل الخبيث بعد الشقاء الذي سبق له من الله في الكتاب السابق على الاستكبار عن السجود لآدم والاستخفاف بامر ربه فأورثه العطب والهلاك وكان معلوما ان جوهر الطين الرزانة والاناة والحلم والحياء والتثبت وذلك هو الذي من جوهره من ذلك كان الداعي لآدم بعد السعادة التي كانت سبقت له من ربه في الكتاب السابق الى التوبة من خطيئته ومسئلته ربه العفو عنه والمغفرة ولذلك كان الحسن وابن سيرين يقولان أول من قاس ابليس يعنيان بذلك القياس الخطا وهو هذا الذي ذكرنا من خطأ قوله وبعده من اصابة الحق في الفضل الذي خص الله به آدم على سائر خلقه من خلقه اياه بيده

من الروحانيين الذين لا صورة لهم في الظاهر فانهم يرون بنظر الملكوت الروحاني من الانسان بعض الافعال التي تتولد عن الاوصاف البشرية كما رأوا في آدم وقالوا أتجعل فيها من يفسد فيها من حيث لا ترونهم أي انما يرونكم من حيث البشرية التي منشؤها الصفات الحيوانية فانكم محجوبون بهذه الصفات عن رؤيتهم لا من حيث الروحانية التي هي منشأ علوم الاسماء والمعرفة فانهم لا يرونكم في هذا المقام وأنتم ترونهم بالنظر الروحاني بل بالنور الرباني انا جعلنا الشياطين أولياء خلقناهم مستعدين لتولية أمور أهل الغفلة والطبيعة واذا فعلوا فاحشة هي طلب الدنيا وحبها قالوا انا وجدنا آباءنا على محبة الدنيا وشهواتها والله أمرنا بطلب الكسب الحلال قل ان الله لا يأمر بالفحشاء وانما يأمر بالكسب الحلال بقدر الحاجة الضرورية لقوام القالب بالقوت واللباس ليقوم باداء حق العبودية وذلك قوله قل أمر ربي بالقسط كما بدأكم لطفا أو قهرا تعودون اليه فاهل اللطف يعودون اليه بالاخلاص والطاعة وأهل القهر الذين حقت عليهم الضلالة يعودون اليه جبرا حتى اذا فيسحبون في النار على وسعها منذوا زينتكم فزينة الانهار والخضوع وزينة هدانا الله لسار والخشوع وزينة نفوس العابدين آثار السجود وزينة قلوب العارفين أنوار الوجود فالعابد على الباب بنعت العبودية والعارف على البساط بحكم الحرية وكلوا واشربوا في مقام العبدية كما قال أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني ولا تسرفوا بالافراط فوق الحاجة الضرورية والتفريط في حفظ القوة بحيث يضيع حقوق العبودية زينة الله فزين الابدان بالشرائع وآثارها وزين النفوس بالآداب واقدارها وزين القلوب بالشواهد وأنوارها وزين الارواح بالمعارف واسرارها وزين الاسرار بالطوالع وآثارها فمن تصدى لطلب هذه المقامات وهي مباحة له من غير تأخير وقصور وحظر ومنع والطيبات من الرزق ما لم يكن مشوبا بحظوظ النفس فهذه الكرامات والمقامات لهؤلاء السادة في الدنيا مشوبة بشواهد الآفات النفسانية وكدورات الصفات الحيوانية خالصة يوم القيامة من هذه الآفات والكدورات كما قال ونزعنا ما في صدورهم من غل

الخواص ماظهر منها تابع مالانفسهم نصيب منه ولو ندرة ومابطن الصبر على المحبوب ولو بلحظة وفاحشة الاخص ماظهر منها ترك أدب من الآداب أو التعلق بسبب من الاسباب ومابطن الركون الى شئ فى الدارين والالتفات الى غير الله من العالمين والاثم الاعراض عن الله ولو طرفة عين والبغى وهو حب غير الله فانه وضع فى غير موضوعه وأن يستغيثوا بغير الله مالم يكن فيه رخصة وحجة من الشريعة وان تقولوا بهوى النفس وهواها أو بنظر العقل على الله مالا تعلمون حقيقتها أو تقولوا فى معرفة الله وبيان أحوال السائرين مالستم به عارفين ولكل أمة من السائرين الى الله أو الى الجنة مدة مضروبة فى الازل وفيه وعد للاولياء واستمالة لقلوبهم ووعيد للاعداء وسياسة لنفوسهم (يابنى آدم اما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا أينما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين قال ادخلوا فى أمم قد خلت من قبلكم من الجن والانس فى النار كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى اذا اداركوا فيها جميعا قالت أخراهم لاولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لاتعلمون وقالت أولاهم لاخراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لاتفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط وكذلك نجزى المجرمين لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزى الظالمين والذين آمنوا وعملوا الصالحات لانكلف نفسا الا وسعها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ونزعنا مافى صدورهم من غل تجرى من تحتهم الانهار وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون) القراآت حتى اذا اداركوا كان يعقوب اذا وقف على اذا يبتدئ تداركوا بالتاء سهل بخير وكذلك قوله تعالى اذا قلتم وقالوا اطيرنا

ونفخه فيه من روحه واسجاده له الملائكة وتعليمه أسماء كل شئ مع سائر ماخصه به من كرامته فضرب عن ذلك كله الجاهل صفحا وقصد الى الاحتجاج بانه خلق من نار وخلق آدم من طين وهو فى ذلك أيضا له غير كفؤ لو لم يكن لآدم من الله جل ذكره تكرمة شئ غيره فكيف والذى خص به من كرامته يكثر تعداده ويمل احصاؤه **حدثنى** عمرو بن مالك قال ثنا يحيى بن سليم الطائفى عن هشام عن ابن سيرين قال أول من قاس ابليس وما عبدت الشمس والقمر الا بالمقاييس **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا محمد بن كثير عن ابن شوذب عن مطر الوراق عن الحسن قوله خلقتنى من نار وخلقته من طين قال قاس ابليس وهو أول من قاس و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** أبو كريب قال ثنا عثمان بن سعيد قال ثنا بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس قال لما خلق الله آدم قال للملائكة الذين كانوا مع ابليس خاصة دون الملائكة الذين فى السموات اسجدوا لآدم فسجدوا كلهم أجمعون الا ابليس استكبر لما كان حدث نفسه من كبره واغتراره فقال لاأسجد له وأنا خير منه وأكبر سنا وأقوى خلقا خلقتنى من نار وخلقته من طين يقول ان النار أقوى من الطين **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله خلقتنى من نار قال ثم جعل ذريته من ماء قال أبو جعفر وهذا الذى قاله عدو الله ابليس لما سأله عنه بجواب وذلك ان الله تعالى ذكره قال له مامنعك من السجود فلم يجب بان الذى منعه من السجود انه خلقه من نار وخلق آدم من طين ولكنه ابتدأ خبرا عن نفسه فيه دليل على موضع الجواب على ترك السجود منه خلقتنى من نار وخلقته من طين ۞ القول فى تأويل قوله (قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج انك من الصاغرين) يعنى بذلك جل ثناؤه قال الله لابليس عند ذلك فاهبط منها وقد بينا معنى الهبوط فيما مضى قبل بما أغنى عن اعادته فما يكون لك أن تتكبر فيها أمقول تعالى ذكره فقال الله له اهبط منها يعنى من الجنة فما يكون لك يقول فليس لك ان تستكبر فى الجنة عن طاعتى وأمرى فان قال قائل هل لاحد ان يتكبر فى الجنة قيل ان معنى ذلك بخلاف ما اليه ذهبت وانما معنى ذلك فاهبط من الجنة فانه لا يسكن الجنة متكبر عن أمر الله فاما غيرها فانه قد يسكنها المستكبر عن أمر الله والمستكبر لطاعته وقوله فاخرج انك من الصاغرين يقول فاخرج من الجنة انك من الذين قد نالهم من الله الصغار والذل والمهانة يقال منه صغر يصغر صغرا وصغارا وصغرانا وقد قيل صغر يصغر صغارا وصغارة و بنحو الذى قلنا قال السدى **حدثنا** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى فاخرج انك من الصاغرين والصغار هو الذل ۞ القول فى تأويل قوله (قال انظرنى الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين) وهذه أيضا جهلة أخرى من جهلاته الخبيثة سأل ربه ماقد علم انه لاسبيل لاحد من خلق الله اليه وذلك انه سأل النظرة الى قيام الساعة وذلك هو يوم يبعث فيه الخلق ولو أعطى ماسأل من النظرة كان قد أعطى الخلود وبقاء لافناء معه وذلك انه لاموت بعد البعث فقال جل ثناؤه له انك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم وذلك الى اليوم الذى قد كتب الله عليه فيه الهلاك والموت والفناء لانه لاشئ يبقى فلا يفنى غير ربنا الحى الذى لايموت يقول الله تعالى ذكره كل نفس ذائقة الموت والانظار فى كلام العرب التأخير يقال منه أنظرته بحقى عليه أنظره به انظارا فان قال

قائل

قائل فان الله قد قال له اذ سأله الانظار الى يوم يبعثون انك من المنظرين فى هـذا الموضع فقد أجابه الى ماسأل قيل له ليس الامر كذلك وانما كان مجيباله الى ماسأل لو كان قال له انك من المنظرين الى الوقت الذى سألت أو الى يوم البعث أو الى يوم يبعثون أو ما أشـبه ذلك مما يدل عـلى اجابته الى ماسأل من النظرة وأما قوله فانك من المنظرين فلا دليل فيه لولا الآية الاخرى التى قد بين فيها مدة انظاره اياه اليها وذلك قوله انك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم على المدة التى أنظره اليها لانه اذا أنظره يوما واحدا أو أقل منه أو أكثر فقد دخـل فى عداد المنظرين وتم فيه وعد الله الصادق ولـكنه قد بين قدر مدة ذلك بالذى ذكرناه فعلم بذلك الوقت الذى أنظر اليه وبنحو ذلك كان السدى يقول **حدثنى** يونس بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السـدى قال رب انظرنى الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعـلوم وهو يوم ينفخ فى الصور النفخة الاولى فصـعق من فى السموات ومن فى الارض فمات فتأويل الـكلام قال ابليس لربه انظرنى أى أخرنى وأجلنى وانسئ فى أجـلى ولا تمتنى الى يوم يبعثون يقول الى يوم يبعث الخلق فقال تعالى ذكره انك من المنظرين الى يوم ينفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله فان قال قائل فهل أحد منتظر الى ذلك اليوم سوى ابليس فيقال له انك منهم قيل نعم من لم يقبض الله روحه من خلقه الى ذلك اليوم ممن تقوم عليه الساعة فهو من المنظرين بآجالهم اليه ولذلك قيل لابليس انك من المنظرين بمعنى انك ممن لا يميته الله الا ذلك اليوم

القول فى تأويل قوله (قال فبما أغويتنى لاقعدن لهم صراطك المستقيم) يقول جـل ثناؤه قال ابليس لربه فبما أغويتنى يقول فبما أضللتنى كما **حدثنى** المثـنى قال ثنا عبـد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن عـلى بن أبى طلحـة عن ابن عباس قوله فبما أغويتنى يقول أضللتنى **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فبما أغويتنى قال فبما أضللتنى وكان بعضهم يتأول قوله فبما أغويتنى بما أهلكتنى من قولهم غوى الفصـيل يغوى غوى وذلك اذا فقد اللبن فمات من قول الشاعر

معطفة الاثناء ليس فصيلها * براد ٧ بها درا ولا ميت غوى

وأصل الاغواء فى كلام العرب تزيين الرجل للرجل الشئ حتى يحسنه عنده غارا له وقد حكى عن بعض قبائل طيئ انها تقول أصبح فلان غاويا أى أصبح مريضا وكان بعضهم يتأول ذلك انه بمعنى القسم كان معناه عنده فباغوائك اياى لاقعدن لهم صراطك المستقيم كما يقال بالله لافعلن كذا وكان بعضهم يتأول ذلك بمعنى المجازاة كأن معناه عنده فلانك أغويتنى أو فبانك أغويتنى لاقعدن لهم صراطك المستقيم وفى هذا بيان واضح عـلى فساد ما يقول القـدرية من ان كل من كفر أو آمن فبتفويض الله أسباب ذلك اليه وان السبب الذى به يصل المؤمن الى الايمان هو السبب الذى به يصل الـكافر الى الـكفر وذلك ان ذلك لو كان كما قالوا لـكان الخبيث قد قال بقوله فبما أغويتنى فبما أصلحتنى اذ كان سبب الاغواء هو سبب الاصلاح وكان فى اخباره عن الاغواء اخبار عن الاصـلاح ولـكن لما كان سبباهما مختلفين وكان السبب الذى به غوى وهلك من عند الله أضاف ذلك اليـه فقال فبما أغويتنى وكذلك

وافق الـكسائى فى تثاقلتم أخراهم لاولاهم بالامالة الشديدة ابراهيم بن حـماد وحمزة وعـلى وخلف وقرأ أبو عمرو وغير ابراهيم بن حماد أولاهـم بالامالة اللطيفة أخراهم بالامالة الشديدة ووافق ورش من طريق النجارى والخزاز عن هبـيرة فى أخراهم بالامالة الشديدة فأتهم بضم الهاء يرد تلين وكذلك كل كلمة سقطت الياء لعلة الا قوله ومن يولهم لا يعلمون بياء الغيبـة أبو بكر وحماد لا تفتح لهم بتاء التأنيث والتخفيف أبو عمرو قرأ حمزة وعلى وخلف بفتح ياء تحتانية و بالتخفيف الباقون بتاء التأنيث والتشديد غواشى بالياء فى الوقف يعقوب وكذلك كل كلمة سقطت الياء لاجل التنوين أو لاجتماع الساكنين وهو مذهب سهل من طريق ابن دريد ما كنا بغير واو العطف ابن عامر الآخرون بالواو أورثتموها وبابه بادغام التاء أبو عمرو وحمزة وعـلى وهشام * الوقوف آياتى ط لان الفاء بعده لجواب الشرط ولا هم يحزنون ه النار ط خالدون ه بآياته ط من الـكتب ط يتوفونهـم ط لان ما بعده جواب اذا من دون الله ط كافرين ه فى النار ط أختها ط جميعا ط لما قلنا من النار ط لا يعلمون ه يكسبون ه الخياط المجرمـين ه غواش ج الظالمين ه وسعها ط وجعل أولئك خبر الموصول أوجه بناء عـلى ان قوله لا نكلف نفسا الا وسعها معترضة الجنة ط خالدون ه الانهار لا للعطف مـع العارض هدانا الله ج لانقطاع النظم مع اتفاق المعنى بالحق ط لابتـداء النداء بانها جرى ٧ بعد انتهاء الحمد والثناء على انها عطاء تعملون ه * التفسير لما بين أحوال التكليف وان لـكل أحد أجلا معينا لا يتقدم ولا يتأخر بين انهم بعـد الموت ان كانوا قد قبـلوا الشرائع الحقة فلا خوف عليهـم ولا حزن وان كانوا متمردين وقعوا فى أشـد العـذاب فقال يا بنى آدم اما يأتينكم واعرابه مثـل ما مر فى سـورة البقرة فاما يأتينكم منى هدى والراجـع محذوف أى فمن اتقى وأصلح منكم وانما قال رسـل منكم لان ذلك يكون أقطع لعذرهم وأقرب الى الفهم والانس ومعنى آياتى أحكامى وشرائعى الدالة عـلى صحة المبدإ والمعاد ثم فظع شأن الجاحـدين بقوله فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته والاول الحكم بوجود ما لم يوجد كاقوال أصناف المشركين وطوائف المبتدعة والثانى انكار حكم وجد من نبى أو كتاب ثم عن عاقبة أمرهم فقال أولئك ينالهم نصيبهم من الـكتاب قيل أى العذاب المعين من سواد الوجه وزرقة العين وقال الزجاج أى أنواع البلايا المعدة لكل صنف منهم من

قال محمد بن كعب القرظي فيما حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي قال ثنا زيد بن الحباب قال ثنا أبو مودود سمعت محمد بن كعب القرظي يقول قاتل الله القدرية لابليس أعلم بالله منهم وأما قوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم فانه يقول لاجلسن لبني آدم صراطك المستقيم يعني طريقك القويم وذلك دين الله الحق وهو الاسلام وشرائعه وانما معنى الكلام لاصدن بني آدم عن عبادتك وطاعتك ولاغوينهم كما أغويتني ولاضلنهم كما أضللتني وذلك كما روي عن سبرة بن أبي الفاكه انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان الشيطان قعد لابن آدم باطرقه فقعد له بطريق الاسلام فقال أتسلم وتذر دينك ودين آبائك فعصاه فاسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال أتهاجر وتذر أرضك وسماءك وانما مثل المهاجر كالفرس في الطول فعصاه وهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد وهو جهد النفس والمال فقال أتقاتل فتقتل فتنكح المرأة ويقسم المال قال فعصاه فجاهد وروي عن عون بن عبد الله في ذلك ما حدثنا ابن وكيع قال ثنا حيوة أبو يزيد عن عبد الله بن بكير عن محمد بن سوقة عن عون بن عبد الله لاقعدن لهم صراطك المستقيم قال طريق مكة والذي قاله عون وان كان من صراط الله المستقيم فليس هو الصراط كله وانما أخبر عدو الله انه يقعد لهم صراط الله المستقيم ولم يخصص منه شيأ دون شئ فالذي روي في ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أشبه بظاهر التنزيل وأولى بالتأويل لان الخبيث لايالو عباد الله الصد عن كل ما كان لهم قربة الى الله وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل في معنى المستقيم في هذا الموضع ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد صراطك المستقيم قال الحق حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعيد المدني قال سمعت مجاهدا يقول لاقعدن لهم صراطك المستقيم قال سبيل الحق فلاضلنهم الاقليلا واختلف أهل العربية في ذلك فقال بعض نحويي البصرة معناه لاقعدن لهم على صراطك المستقيم كما يقال توجه مكة أو الى مكة وكما قال الشاعر

كانى اذ أسعى لاظفر طائرا ❊ مع النجم في جو السماء يصوب

بمعنى لاظفر بطائر فالقى الباء وكما قال أعجلتم أمر ربكم بمعنى أعجلتم عن أمر ربكم وقال بعض نحويي الكوفة المعنى والله أعلم لاقعدن لهم على طريقهم وفي طريقهم قال والقاء الصفة من هذا جائز كما تقول قعدت لك وجه الطريق وعلى وجه الطريق لان الطريق صفة في المعنى مايحتمله اليوم والليلة والعام اذ قيل آتيك غدا وآتيك في غد ❊ وهذا القول هو أولى القولين في ذلك عندي بالصواب لان القعود مقتض مكانا يقعد فيه فكما يقال قعدت في مكانك يقال قعدت على صراطك وفي صراطك كما قال الشاعر

لدن بهز الكف يعسل متنه ❊ فيه كما عسل الطريق الثعلب

فلا تكاد العرب تقول ذلك في أسماء البلدان لايكادون يقولون جلست مكة وقمت بغداد ۞ القول في تأويل قوله (ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولاتجد أكثرهم شاكرين) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم معنى قوله لآتينهم من بين أيديهم

منهم فذلك معنى النصيب وعن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبيران النصيب هو ماسبق لهم في حكم الله تعالى ومشيئته من الشقاوة والسعادة والختم على الكفر والشرك أو على الايمان والتوحيد وقال الربيع وابن زيد يعني ما كتب لهم من الارزاق والاعمال والاعمار كانه سبحانه بين انهم وان بلغوا في الكفر ذلك المبلغ العظيم الاان ذلك ليس بمانع من أن ينالهم ماقدر لهم من رزق وعمر تفضلا من الله تعالى لكي يصلحوا ويتوبوا يؤكد هذا التفسير قوله عقيب ذلك حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم وذلك ان حتى هي التي يبتدأ بعدها الكلام وانه ههنا جملة شرطية فدل على ان مجيء الرسل المتوفين كالغاية لحصول ذلك النصيب يكون مقدما على حصول الوفاة وليس ذلك الا العمر والرزق ومحل يتوفونهم نصب على الحال من الرسل قال ابن عباس هم ملك الموت وأعوانه وانهم يطالبون الكفار بهذه الاشياء عند الموت على سبيل الزجر والتوبيخ وقال الحسن والزجاج ان هذا يكون في الآخرة والرسل ملائكة العذاب يتوفون عدتهم عند حشرهم الى النار أي يستكملون عدتهم حتى لاينفلت منهم أحد في الكشاف ماوقعت موصولة بأين في خط المصحف قلت لكني رأيت النقل على العكس كما ذكرته في المقدمة السابقة من مقدمات الكتاب ومعنى الآية أين الآلهة التي تدعون أي تعبدونهم وتدعونهم في الشدائد قالوا على سبيل الاعتراف والعود الى الانصاف ضلوا عنا أي غابوا وذهبوا ولم ننتفع بهم وشهدوا على أنفسهم بالاعتراف أو بشهادة الجوارح عند معاينة الموت انهم كانوا كافرين ثم شرح بقية أحوال الكفار وذلك قوله قال أي الله وعن مقاتل هو من كلام خازن النار وهذا مبني على انه سبحانه لايجوز أن يكلم الكفار وان كان كلام سخط ادخلوا في أمم قيل أي ادخلوا من
في النار مع أمم والاولى ان لا يلتزم الاضمار والمجاز والمعنى ادخلوا كائنين في جملة أمم تقدم زمانهم زمانكم في النار وفيه دليل على ان أصحاب النار لايدخلون النار دفعة واحدة ولكن فيهم سابق ومسبوق كلما دخلت أمة لعنت أختها في الدين والعقيدة فالمشرك يلعن المشرك واليهودي يلعن اليهودي والنصراني يلعن النصراني وكذا المجوس وسائر أديان الضلالة نظيرها فلأن يلعن غيرها أولى حتى اذا اداركوا بمعنى تلاحقوا

من قبل الآخرة ومن خلفهم من قبل الدنيا وعن ايمانهم من قبل الحق وعن شمائلهم من قبل الباطل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبدالله بن صالح قال ثنى معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ثم لآتينهم من بين أيديهم يقول أشككهم في آخرتهم ومن خلفهم أرغبهم في دنياهم وعن ايمانهم أشبه عليهم أمر دينهم وعن شمائلهم أشهي لهم المعاصي وقد روي عن ابن عباس بهذا الاسناد في تأويل ذلك خلاف هذا التأويل وذلك ما حدثني المثنى قال ثنا عبدالله بن صالح قال ثنى معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ثم لآتينهم من بين أيديهم يعني من الدنيا ومن خلفهم من الآخرة وعن ايمانهم من قبل حسناتهم وعن شمائلهم من قبل سيآتهم وتحقق هذه الرواية الاخرى التي حدثني بها محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم قال اما بين أيديهم فمن قبلهم واما من خلفهم فامر آخرتهم واما عن ايمانهم فمن قبل حسناتهم واما عن شمائلهم فمن قبل سيآتهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ثم لآتينهم من بين أيديهم الآية أتاهم من بين أيديهم فاخبرهم انه لا بعث ولا جنة ولا نار ومن خلفهم من أمر الدنيا فزينها لهم ودعاهم اليها وعن ايمانهم من قبل حسناتهم بطأهم عنها وعن شمائلهم زين لهم السيآت والمعاصي ودعاهم اليها وأمرهم بها أتاك يا ابن آدم من كل وجه غير انه لم يأتك من فوقك لم يستطع أن يحول بينك وبين رحمة الله وقال آخرون بل معنى قوله من بين أيديهم من قبل دنياهم ومن خلفهم من قبل آخرتهم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم في قوله ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم قال من بين أيديهم من قبل دنياهم ومن خلفهم من قبل آخرتهم وعن ايمانهم من قبل حسناتهم وعن شمائلهم من قبل سيآتهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن منصور عن الحكم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم قال من بين أيديهم من دنياهم ومن خلفهم من آخرتهم وعن ايمانهم عن حسناتهم وعن شمائلهم من قبل سيآتهم حدثنا سفيان قال ثنا جرير عن منصور عن الحكم ثم لآتينهم من بين أيديهم قال من قبل الدنيا يزينها لهم ومن خلفهم من قبل الآخرة يبطئهم عنها وعن ايمانهم من قبل الحق يصدهم عنه وعن شمائلهم من قبل الباطل يرغبهم فيه ويزينه لهم حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم اما من بين أيديهم فالدنيا دعاهم اليها وأرغبهم فيها ومن خلفهم فمن الآخرة أشككهم فيها وأبعدها عليهم وعن ايمانهم يعني الحق فاشككهم فيه وعن شمائلهم يعني الباطل أخفه عليهم وأرغبهم فيه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قوله من بين أيديهم من دنياهم أرغبهم فيها ومن خلفهم آخرتهم أكفرهم بها وأزهدهم فيها وعن ايمانهم حسناتهم أزهدهم فيها وعن شمائلهم مساوي أعمالهم حسنها اليهم وقال آخرون معنى ذلك من حيث يبصرون ومن حيث لا يبصرون ذكر من قال ذلك ثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن

واجتمعوا في النار وأدرك بعضهم بعضا واستقر معه قالت أخراهم دخولا في النار لأولاهم دخولا فيها أو أتباعهم وسفلتهم لرؤسائهم وقادتهم والمعنيان متلازمان عندي لان المضل لابد ان يكون مقدما على الضال في دخول النار واللام بمعنى لاجل أولاهم وذلك لان خطابهم مع الله لا معهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم البغاء للجزاء عذابا ضعفا أي مضاعفا وذلك عذاب الضلال وعذاب الاضلال بالدعوة الى الباطل وتزيينه في أعينهم والسعي في اخفاء الدلائل قال أبو عبيدة الضعف مثل الشيء مرة واحدة وهو قول (٩٣) الشافعي في رجل أوصى فقال اعطوا فلانا ضعف نصيب ولدي يعطى مثل نصيبه مرتين وقال الزهري العرب تريد بالضعف المثل الى ما زاد وليس بمقصور على المثلين بدليل قوله عز من قائل فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وأقل ذلك عشرة لقوله من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وانما قال الشافعي ما قال لان ذلك متيقن وما فوقه مشكوك قال الله أو خازن النار لكل من القادة والاتباع ضعف اما للقادة فلما قلنا واما للاتباع فلانهم عظموهم وقلدوهم وروجوا أمرهم سئل ههنا ان تضعيف العذاب الذي يستحقه الشخص ظلم وأجيب في التفسير الكبير بان عذاب الكفار مؤبد فكل ألم يحصل فانه يعقبه حصول ألم آخر الى غير النهاية قلت وهذا لا يختص بصنف من الكفار دون صنف ولا بشخص دون شخص فلا يصلح للجواب والصواب ان يقال معنى تضعيف عذاب التابع والمتبوع ان ذلك العذاب زائد على مقدار ما تستحقه تلك العقيدة لو حصلت لا من جهته لان الاسم الظاهر يعود الضمير اليه على الغيبة ومن قرأ على الخطاب فالمعنى لا تعلمون أيها المخاطبون ما لكل منكم من العذاب أو لا تعلمون يا أهل الدنيا ما مقدار ذلك وقالت أولاهم لاخراهم اذا قد حكم الله بان لكل منا ضعفا فما كان أي فما ثبت لكم علينا من فضل لانكم مؤاخذون بالاتباع كما نحن مؤاخذون بالاستتباع فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون يحتمل ان يكون من قول القادة وان يكون من قول الله تعالى فيهم قال في التفسير الكبير قول القادة ليس لكم علينا فضل كذب لان الرؤساء لهم عذاب الضلال وعذاب الاضلال والاتباع لهم عذاب الضلال فقط لكنه حكاية قول الكفار يوم القيامة والكذب عليهم جائز عندنا كقولهم والله ربنا ما كنا مشركين قلت ان سلمنا ان الكذب يجوز ان يصدر عنهم يوم القيامة الا ان هذا الكلام لا يجوز ان يكون كذبا لانهم

مجاهد قول الله من بين أيديهم وعن أيمانهم قال حيث يبصرون وعن شمائلهم حيث لا يبصرون حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا ابن وكيع وابن حميد قالا ثنا جرير عن منصور قال تذاكرنا عند مجاهد قوله ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم فقال مجاهد هو كما قال يأتيهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم زاد ابن حميد قال يأتيهم من ثم حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد المدني قال قال مجاهد فذكر نحو حديث محمد بن عمرو عن أبي عاصم * قال أبو جعفر وأولى هذه الاقوال عندي بالصواب قول من قال معناه ثم لآتينهم من جميع وجوه الحق والباطل فاصدهم عن الحق وأحسن لهم الباطل وذلك ان ذلك عقيب قوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم فاخبر انه يقعد لبني آدم على الطريق الذي أمرهم الله ان يسلكوه وهو ما وصفنا من دين الله دين الحق فيأتيهم في ذلك من كل وجوهه من الوجه الذي أمرهم الله به فيصدهم عنه وذلك من بين أيديهم وعن أيمانهم ومن الوجه الذي نهاهم الله عنه فيزينه لهم ويدعوهم اليه وذلك من خلفهم وعن شمائلهم وقيل ولم يقل من فوقهم لان رحمة الله تنزل على عباده من فوقهم ذكر من قال ذلك حدثنا سعد بن عبد الله بن عبد الحكم المصري قال ثنا حفص بن عمر قال ثنا الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس في قوله ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولم يقل من فوقهم لان الرحمة تنزل من فوقهم واما قوله ولا تجد أكثرهم شاكرين فانه يقول ولا تجد رب أكثر بني آدم شاكرين لك نعمتك التي أنعمت عليهم كتكرمتك أباهم آدم بما أكرمته به من اسجادك له ملائكتك وتفضيلك اياه علي وشكرهم اياه طاعتهم له بالاقرار بتوحيده واتباع أمره ونهيه وكان ابن عباس يقول في ذلك بما حدثني به المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ولا تجد أكثرهم شاكرين يقول موحدين ۞ القول في تأويل قوله (قال اخرج منها مذؤما مدحورا) وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن احلاله بالخبيث عدو الله ما أحل به من نقمته ولعنته وطرده اياه عن جنته اذ عصاه وخالف أمره وراجعه من الجواب بما لم يكن له مراجعته به يقول قال الله له عند ذلك اخرج منها أي من الجنة مذؤما مدحورا يقول معيبا والذأم العيب يقال منه ذأمه يذأمه ذأما فهو مذؤم ويتركون الهمز فيقولون ذمته اذيمه ذيما وذاما والذام والذائم أبلغ في العيب من الذم وقد أنشد بعضهم هذا البيت

صحبتك اذ عيني عليها غشاوة * فلما انجلت قطعت نفسي أذيمها

وأكثر الرواة على انشادها ألومها وأما المدحور فهو المقصى يقال دحره يدحره دحرا ودحورا اذا أقصاه وأخرجه ومنه قولهم أدحر عنك الشيطان وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله اخرج منها مذؤما مدحورا أخرج منها لعينا منفيا حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس مذؤما ممقوتا حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله قال أخرج منها مذؤما يقول صغيرا منفيا حدثني محمد بن الحسين قال

ثنا

الذات والصفات والنبوات والمعاد واستكبروا عنها أي ترفعوا عن قبولها لا تفتح لهم أبواب السماء قال ابن عباس أي لا تفتح لاعمالهم ولا لدعائهم ولا لشيء مما يريدون به طاعة الله تعالى من قوله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ومن قوله ان كتاب الابرار لفي عليين وقال السدي وغيره لا تفتح لارواحهم أبواب السماء التي هي موضع بهجة الارواح وأماكن سعاداتها كما جاء في الحديث ان روح المؤمن يعرج بها الى السماء فيستفتح لها فيقال مرحبا بالنفس الطيبة التي كانت في الجسد الطيب ويقال لها ذلك حتى تنتهي الى السماء السابعة ويستفتح لروح الكافر فيقال لها ارجعي ذميمة فانه لا تفتح لك أبواب السماء وقيل بناء على ان الجنة في السماء معناه ولا يؤذن لهم في الصعود الى السماء ولا تطرق لهم اليها حتى يدخلوا الجنة وقيل أي لا تنزل عليهم البركة والخير من قوله تعالى ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط الولوج الدخول وسئل ابن مسعود عن الجمل فقال زوج الناقة استجهالا للسائل واشارة الى ان طلب معنى آخر تكلف والسم بالحركات الثلاثة وقد قرئ بها ثقب الابرة وكل ثقب في البدن لطيف ومنه السم القاتل لنفوذه بلطفه في مسام البدن حتى يصل الى القلب والخياط ما يخاط به قال الفراء خياط ومخيط كازار ومئزر ولحاف وملحف وقناع ومقنع ولما كان جسم الجمل أعظم الاجسام المشهورة عند العرب كما قال

لا عيب بالقوم من طول ومن عظم * جسم الجمال وأحلام العصافير

وكان سم الابرة مثلا في ضيق المسلك حتى قيل أضيق من خرت الابرة قالوا للدليل الماهر خريت لاهتدائه في المضايق المشبهة بأخرات الابر وقف الله تعالى دخولهم الجنة على حصول هذا الشرط المحال ليلزم يأسهم من دخول الجنة قطعا فان الموقوف على المحال محال ومثله قول العرب لا أفعل كذا حتى يشيب الغراب ويبيض القار وقرئ الجمل وزن القمل وكذا الجمل بوزن الجبل ومعناه لانه القلس وانه الحبل مناسب للخيط الذي يسلك في سم الابرة والبعير لا يناسبه وأهل التناسخ أولوا الآية بأن الارواح كانت في الابدان البشرية لما عصت وأذنبت فانها بعد موت الابدان تردد من بدن الى بدن ولا تزال تبقى في التعذيب حتى تنتقل من بدن

ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قوله أخرج منها مذؤما مدحورا اما مذؤما فمنفيا واما مدحورا فمطرودا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مذؤما قال منفيا مدحورا قال مطرودا حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله أخرج منها مذؤما قال منفيا والمدحور قال المصغر حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير عن ابن عيينة عن يونس واسرائيل عن أبي اسحق عن التميمي عن ابن عباس أخرج منها مذؤما قال منفيا حدثني أبو عمرو القرقسانى عثمان ابن يحيى قال ثنا سفيان عن أبي اسحق عن التميمي سأل ابن عباس ما أخرج منها مذؤما مدحورا قال مقيتا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أخرج منها مذؤما مدحورا فقال ما نعرف المذؤم والمذموم الا واحدا ولكن يكون منتقصه وقال العرب لعامر يا عام وللحارث يا حار وانما أنزل القرآن على كلام العرب ۞ القول في تاويل قوله (لمن تبعك منهم لاملأن جهنم منكم أجمعين) وهذا قسم من الله جل ثناؤه أقسم ان من اتبع من بني آدم عدو الله ابليس وأطاعه وصدق ظنه عليه ان يملأ من جميعهم يعني من كفرة بني آدم وتباع ابليس وذريته جهنم فرحم الله امرأ كذب ظن عدو الله في نفسه وخيب فيها أمله وأمنيته ولم يكن ممن طمع فيها عدوه واستغشه ولم يستنصحه وان الله تعالى ذكره انما نبه بهذه الآيات عباده على قدم عداوة عدوه وعدوهم ابليس لهم وسالف ما سلف من حسده لابيهم وبغيه عليه وعليهم وعرفهم مواقع نعمه عليهم قديما في أنفسهم ووالدهم ليدبروا آياته وليتذكر أولو الالباب فينزجروا عن طاعة عدوه وعدوهم الى طاعته وينيبوا اليها ۞ القول في تاويل قوله (ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين) يقول الله تعالى ذكره وقال الله لآدم يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما فاسكن جل ثناؤه آدم وزوجته الجنة بعد أن اهبط منها ابليس وأخرجه منها وأباح لهما ان يأكلا من ثمارها من أي مكان شاآ منها ونهاهما ان يقربا ثمر شجرة بعينها وقد ذكرنا اختلاف أهل التأويل في ذلك وما نرى من القول فيه صوابا في غير هذا الموضع فكرهنا اعادته فتكونا من الظالمين يقول فتكونا من خالف أمر ربه وفعل ما ليس له فعله ۞ القول في تاويل قوله (فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ما ووري عنهما من سوآتهما) يعني جل ثناؤه بقوله فوسوس لهما فوسوس اليهما وتلك الوسوسة كانت قوله لهما ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين واقسامه لهما على ذلك وقيل وسوس لهما والمعنى ما ذكرت كما قيل عرضت له بمعنى استبنت اليه وانما يعني عرضت من هؤلاء اليه فكذلك معنى ذلك فوسوس من نفسه اليهما الشيطان بالكذب من القيل ليبدى لهما ما ووري عنهما من سوآتهما كما قاله رؤبة * ووسوس يدعو مخلصا رب الفلق * ومعنى الكلام فجذب ابليس الى آدم حواء وألقى اليهما ما نهاكما ربكما عن أكل ثمر هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين ليبدى لهما ما واراه الله عنهما من عورتهما فغطاه بستره الذي ستره عليهما وكان وهب بن منبه يقول في الستر الذي كان الله سترهما به ما حدثني به

الفظيع نجزى المجرمين قيل هم الكافرون المكذبون المستكبرون المارذ كرهم وقيل يدخل فيه الفساق بشرط عدم التوبة عند المعتزلة و بشرط عدم العفو عند الاشاعرة ثم لما بين انهم لا يدخلون الجنة ذكر انهم يدخلون النار فقال لهم من جهنم مهاد أي فراش ومن فوقهم غواش هي جمع غاشية وهي كل ما يغشاك أي يجللك والمراد الاخبار عن احاطة النار بهم (٩٥) من كل جانب فلهم منها غطاء ووطاء وفراش ولحاف والتنوين في غواش مثلها في جوار أعني انه للتمكن عند بعض لانه بعد حذف يائه لم يبق على زنة مساجد والعوض عند بعض اما عن الياء أو عن اسكان الياء وكذلك نجزى الظالمين هم المشركون أو الفسقة الذين ظلموا أنفسهم ثم عقب الوعيد بالوعد فقال والذين آمنوا وعملوا الصالحات الآية وقوله لا نكلف نفسا الا وسعها وقد مر تفسيره في آخر سورة البقرة اعتراض بين المبتدأ وخبره وليس باجنبي والا لم يحسن وفيه تنبيه للمقصرين على ان الجنة مع عظم قدرها تحصل بالعمل السهل من غير ما حرج وصعوبة فبعدا لمن فاته وسحقا ومن جعله خبرا فالعائد محذوف أي لا نكلف نفسا منهم ثم وصف أخلاق أهل الجنة فقال ونزعنا ما في صدورهم من غل نزع الشئ قلعه من مكانه والغل الحقد والتركيب يدور على الاخفاء ومنه الغلول كما مر في تفسير قوله وما كان لنبي أن يغل وللآية تفسيران الاول أزلنا الاحقاد التي كانت لبعضهم على بعض في دار الدنيا بتصفية الطباع واسقاط الوساوس ومنعه من أن يرد على القلوب فان الشيطان مشغول بالعذاب فلا يتفرغ لالقاء الوسواس فلم يكن بينهم الا التواد والتعاطف عن علي كرم الله وجهه اني لارجو أن أكون أنا وعثمان والزبير منهم الثاني ان درجات أهل الجنة متفاوتة بحسب الكمال والنقص فالله تعالى أزال الحسد عن قلوبهم حتى ان صاحب الدرجة الناقصة لا يحسد صاحب الدرجة الكاملة فيكون هذا في مقابلة ما ذكره الله تعالى من تبرئ بعض أهل النار من بعض ولعن بعضهم بعضا وليس هذا ببديع ولا بعيد من حال أهل الجنة فان أولياء الله تعالى في دار الدنيا أيضا بهذه المثابة بحسن توفيق الله تعالى ونور رعايته وهداية كل منهم قد قنع بما حصل له من نعيم الدنيا وطيباتها الاثيل وابعده الى وجهه كل همه انحصه ملكة الرضا بالقضاء والتسليم لامر رب الارض والسماء

ان أخوى على ظاهره ومن جملة السعادات الروحانية ان أربابها أنواع المكاشفات وأصناف التجليات وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا النعيم المقيم والفوز العظيم بان يسر الاسباب وخلق الدواعى ومنع الصوارف أو بان أعطى العقل ونصب الادلة وأزاح العلة وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله من قرأ بواو العطف فظاهر ومن (٩٦) حذف الواو فلانها جملة يقرب معناها من معنى الاولى وكانها تفسرها فلا حاجة الى العطف المؤذن بالتغاير ثم حكى عنهم سبب الاهتداء وذلك قوله لقد جاءت رسل ربنا بالحق فجعله واسطة لهدايتنا أو لطفا وتنبيها يقولون ذلك فيما بينهم سرورا أو اغتباطا بما نالوا وتلذذا بالتكلم به لا تقربا وتعبدا فان الجنة ليست دار التكليف ونودوا ان تلكم بانه تلكم الجنة والضمير للشأن والحديث ويجوز كونه بمعنى أى لان النداء فى معنى القول وانما قيل تلكم لانهم وعدوا بها فى الدنيا وكانه قيل لهم هذه تلكم التى وعدتم بها ويجوز ان يكون التقييد للتعظيم ومعنى أورثتموها صارت اليكم ميراثا كما يصير الميراث الى أهله قد يستعمل الارث ولا يراد به زوال الملك عن الميت الى الحى كما يقال هذا الفعل يورثك الشرف أو العار وقيل اعطوا تلك المنازل من غير تعب فى الحال فصار شبيها بالميراث وقيل ان أهل الجنة يرثون منازل أهل النار لما روى أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال ليس من مؤمن ولا كافر الا له فى الجنة والنار منزل فاذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار رفعت الجنة لاهل النار فنظروا الى منازلهم فيها فقيل لهم هذه منازلكم لو عملتم بطاعة الله ثم يقال يا أهل الجنة رثوهم بما كنتم تعملون فيقسم بين أهل الجنة منازلهم قالت المعتزلة قوله بما كنتم تعملون يدل على ان الموجب للجزاء هو العمل لا التفضل وقال غيرهم لما كان الموفق للعمل الصالح هو الله تعالى كان دخول اعراهما الجنة بفضله وجعل العمل أمارة على ذلك والمنادى هو الله جل وعلا أو الملك الموكل بذلك والله تعالى أعلم * التأويل يا بنى آدم اما يأتينكم رسل الهامات من أنفسكم من طريق قلوبكم وأسراركم وفيه ان بنى آدم كلهم مستعدون لاشارات الحق والهاماته افترى على الله كذبا بان يقول أكرمنى الله بالكرامات والمقامات ولم يعط أو كذب بمقامات اعطاها بعض أوليائه أولئك ينالهم نصيبهم من الشقاء الذى كتب لهم حتى اذا

خوثرة بن محمد المنقرى قال ثنا سفيان بن عيينة عن عمرو عن أبيه منبه فى قوله فبدت لهما سوآتهما قال كان عليهما نور لا ترى سوآتهما ۞ القول فى تأويل قوله (وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين) يقول جل ثناؤه وقال الشيطان لآدم وزوجته حواء ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة ان تأكلا ثمرها الا لئلا تكونا ملكين وأسقطت لا من الكلام لدلالة ما ظهر عليها كما أسقطت من قوله يبين الله لكم ان تضلوا والمعنى يبين الله لكم أن لا تضلوا وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يزعم ان معنى الكلام ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا كراهة ان تكونا ملكين كما يقال اياك ان تفعل كراهة ان تفعل أو تكونا من الخالدين فى الجنة الماكثين فيها أبدا فلا تموتا والقراءة على فتح اللام بمعنى ملكين من الملائكة وروى عن ابن عباس ما حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى حماد قال ثنا عيسى الاعمى عن السدى قال كان ابن عباس يقرأ الا أن تكونا ملكين بكسر اللام وعن يحيى بن أبى كثير قال ثنى أحمد بن يوسف قال ثنى القاسم بن سلام قال ثنا حجاج عن هرون قال ثنا يعلى بن حكيم عن يحيى بن أبى كثير انه قرأها ملكين بكسر اللام وكأن ابن عباس ويحيى وجها تأويل الكلام الى ان الشيطان قال لهما ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين من الملوك وانهما تأولا فى ذلك قول الله فى موضع آخر قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى * قال أبو جعفر والقراءة التى لا أستجيز القراءة فى ذلك بغيرها القراءة التى عليها قراء الامصار وهى فتح اللام من ملكين بمعنى ملكين من الملائكة لما قد تقدم بياننا فى ان كل ما كان مستفيضا فى قراءة الاسلام من القراءة فهو الصواب الذى لا يجوز خلافه ۞ القول فى تأويل قوله (وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين) يعنى جل ثناؤه بقوله وقاسمهما وحلف لهما كما قال فى موضع آخر تقاسموا بالله لنبيتنه بمعنى تحالفوا بالله وكما قال خالد بن زهير عم أبى ذويب

وقاسمهما بالله جهدا لانتم * ألذ من السلوى اذا ما نشورها

بمعنى وحالفهما بالله وكما قال أعشى بنى ثعلبة

رضيعى لبان ثدى أم تقاسما * باسحم داج عوض لا نتفرق

بمعنى تحالفا وقوله انى لكما لمن الناصحين أى لمن ينصح لكما فى مشورته لكما وأمره اياكما بأكل ثمر الشجرة التى نهيتما عن أكل ثمرها وفى خبرى اياكما بما أخبركما به من انكما ان أكلتماه كنتما ملكين أو كنتما من الخالدين كما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين فحلف لهما بالله حتى خدعهما وقد يخدع المؤمن بالله فقال انى خلقت قبلكما وأنا أعلم منكما فاتبعانى أرشدكما وكان بعض أهل العلم يقول من خادعنا بالله خدعنا ۞ القول فى تأويل قوله (فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة) يعنى جل ثناؤه بقوله فدلاهما بغرور فخدعهما بغرور يقال منه ما زال فلان يدلى فلانا بغرور بمعنى ما زال يخدعه بغرور ويكلمه بزخرف من القول باطل فلما ذاقا الشجرة يقول فلما ذاق آدم وحواء ثمر الشجرة يقول طعماه بدت لهما سوآتهما يقول انكشفت لهما سوآتهما لان الله

جاءتهم رسل الالهامات الالهية والواردات الربانية بعد ان كان هائما في تيه البشرية يتوفونهم بجذبات الالطاف الالهية عن الاوصاف البشرية قالوا أينما كنتم تدعون من دون الله من الدنيا وشهواتها وشهدوا هؤلاء المجرمون المحرومون انهم كانوا ساترين الحق بالباطل فهداهم الله تعالى ثم قال لاهل الخذلان ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والانس وقدم الجن لان الله تعالى خلق أولا بني الجان منهم مؤمن ومنهم كافر فلما استولى أهل الكفر منهم بعث اليهم جندا من الملائكة وقيل رئيسهم ابليس (٩٧) فاستأصلوهم ثم خلق آدم وذريته منهم مؤمن

أعراهما من الكسوة التي كان كساهما قبل الذنب والخطيئة فسلبهما ذلك بالخطيئة التي أخطآ أو المعصية التي ركبا وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة يقول أقبلا وجعلا يشدان عليهما من ورق الجنة ليواريا سوآتهما كما حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة قال جعلا يأخذان من ورق الجنة فيجعلان على سوآتهما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي بكر عن الحسن عن أبي ابن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان آدم كأنه نخلة سحوق كثير شعر الرأس فلما وقع بالخطيئة بدت له عورته وكان لا يراها فانطلق فاراً فتعرضت له شجرة فحبسته بشعره فقال لها ارسليني فقالت لست بمرسلتك فناداه ربه يا آدم أمني تفر قال لا ولكني استحييتك حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا سفيان بن عيينة وابن مبارك عن الحسن بن عمارة عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كانت الشجرة التي نهى الله عنها آدم وزوجته السنبلة فلما أكلا منها بدت لهما سوآتهما وكان الذي وارى عنهما من سوآتهما أظفارهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ورق التين يلصقان بعضها الى بعض فانطلق آدم موليا في الجنة فأخذت برأسه شجرة من الجنة فناداه أمني تفر قال لا ولكني استحييتك يارب قال أما كان لك فيما منحتك من الجنة وأبحتك منها مندوحة عما حرمت عليك قال بلى يارب ولكن وعزتك ما حسبت ان أحدا يحلف بك كاذبا قال وهو قول الله وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين قال فبعزتي لأهبطنك الى الارض ثم لا تنال العيش الا كدا قال فاهبط من الجنة وكانا يأكلان فيها رغدا فاهبط الى غير رغد من طعام وشراب فعلم صنعة الحديد وأمر بالحرث فحرث وزرع ثم سقى حتى اذا بلغ حصد ثم داسه ثم ذراه ثم طحنه ثم عجنه ثم خبزه ثم أكله فلم يبلغه حتى بلغ منه ما شاء الله أن يبلغ حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله يخصفان قال يرقعان كهيئة الثوب حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد يخصفان عليهما من الورق كهيئة الثوب حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وكانا قبل ذلك لا يريانها وطفقا يخصفان الآية قال ثنا سعيد عن قتادة قال ثنا الحسن عن أبي بن كعب ان آدم عليه السلام كان رجلا طوالا كأنه نخلة سحوق كثير شعر الرأس فلما وقع بما وقع من الخطيئة بدت له عورته عند ذلك وكان لا يراها فانطلق هاربا في الجنة فعلقت برأسه شجرة من شجر الجنة فقال لها ارسليني قالت اني غير مرسلتك فناداه ربه يا آدم أمني تفر قال رب اني استحييتك حدثنا ابن وكيع قال ثنا جعفر بن عون عن سفيان الثوري عن ابن أبي ليلى عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة قال ورق التين حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن شريك عن ابن أبي ليلى عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة قال ورق التين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن حسام بن مصك عن قتادة وأبي بكر عن غير قتادة قال كان لباس آدم في الجنة ظفرا كله فلما وقع بالذنب كشط عنه وبدت سوآته قال أبو جعفر

ومنهم كافر كما دخلت أمة في أعمال أهل النار لعنت أختها المتقدمة في تلك الاعمال لانهم سبقوها حتى اذا اداركوا الكل في الاعمال الموجبة النار عذابا ضعفا لان من سن سنة فله وزرها ووزر من عمل بها الكل ضعف لان المتأخر أيضا متقدم الذي يتلوه ويستن بسنته ولكن لا تعلمون انكم متقدمون لمتأخريكم فما كان لكم علينا من فضل لانكم سننتم لمتأخريكم كما سننا لكم لا تفتح لهم أبواب سماء القلوب الى الحضرة ولا يدخلون جنة القربة والوصلة حتى يدخل جمل النفس المتكبرة في سم خياط أحكام الشريعة وآداب الطريقة وحتى تصير بالتربية في ازالة الصفات الذميمة وقطع تعلقات ماسوى الله أدق من الشعر بالغ مرة فيلج في سم خياط الفناء فيدخل جنة البقاء وكذلك نجزي المجرمين الذين صارت أنفسهم في جمل الاولى كالجمل لهم من جهنم المجاهدة والرياضة فراش ومن فوقهم من مخالفات النفس وقمع الهوى لحاف فتذهبهم وتحرق انانيتهم لا نكلف نفسا الا وسعها فيرفع عن ظاهرهم وباطنهم كلفة الايمان والعمل حتى تيسر عليهم العبودية بحسن التوفيق (ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة كافرون وبينهما حجاب وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون واذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ونادى أصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن

أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم
كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون هل ينظرون الا تأويله يوم
يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل قد خسروا
أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون) (٩٨) القراآت نعم بكسر العين حيث كان على الباقون بالفتح مؤذن بغير همز النجارى عن ورش

ويزيد والشموني وحمزة في الوقف
ان مخففة لعنة الله بالرفع عاصم وأبو
عمرو وأبو جعفر ونافع وسهل
ويعقوب وابن مجاهد وأبو عون عن
قنبل الباقون مشددة وبالنصب
* الوقوف حقا ج لانتهاء الاستفهام
نعم لا للعطف مع الابتداء بالتأذين
على التعظيم الظالمين ه لا لان
الذين صفتهم عوجا لا لاحتمال
الواو الاستئناف أو الحال كافرون
ه لان ما بعده لم يدخل في التأذين
ولم يجز أن يكون حالا لتناهي حال
الفئتين واتفاق الجملتين بسيماهم
ط يطمعون ه أصحاب النار
ج لان بعده جواب اذا الظالمين ه
تستكبرون ه برحمة ط لتناهي
الاستفهام والاقسام يحزنون ه
رزقكم الله ط الكافرين ه
الحياة الدنيا ج للابتداء مع فاء
التعقيب هذا ط وما مصدرية كما
في كما نسوا والتقدير ننساهم نسيانهم
وجحودهم يجحدون ه يؤمنون
ه الا تأويله ط بالحق ج لابتداء
الاستفهام مع الفاء للتعقيب كنا
نعمل ط يفترون ه * التفسير
ولما شرح وعيد الكفار وثواب
الابرار اتبعه المناظرات التي تدور
بين الفريقين فقال ونادى وانما
ذكره بلفظ الماضي لان المستقبل
الذي يخبر الله تعالى عنه موجب
لتحقق وقوعه كالماضي والظاهر
ان هذا النداء انما يكون بعد
الاستقرار في الجنة لانه ورد بعد قوله ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها قيل الجنة في أعلى السموات والنار في
أسفل الارض ومع هذا البعد الشديد كيف يصح هذا النداء وأجيب بان البعد الشديد والقرب القريب عندنا ليس من موانع الادراك ولو سلم
المنع في الشاهد فلم نسلم في الغائب وهذا النداء يقع من كل أهل الجنة لكل أهل النار لان أصحاب الجنة وأصحاب النار يفيد العموم لكن الجمع
اذا قرن بالجمع يوزع الفرد على الفرد فكل فريق من أهل الجنة ينادي من كان يعرفه من الكفار وان في ان وجدنا مخففة من الثقيلة كما في

قال غير قتادة فطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة قال ورق التين حدثنا الحسن بن يحيى قال
أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله بدت لهما سوآتهما قال كانا لا يريان سوآتهما
حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير عن ابن عيينة قال ثنا عمرو قال
سمعت وهب بن منبه يقول ينزع عنهما لباسهما قال كان لباس آدم وحواء عليهما السلام نورا على
فروجهما لا يرى هذا عورة هذه ولا هذه عورة هذا فلما أصابا الخطيئة بدت لهما سوآتهما
﴿ القول في تأويل قوله (وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما ان الشيطان
لكما عدو مبين) يقول تعالى ذكره ونادى آدم وحواء ربهما ألم أنهكما عن أكل ثمرة الشجرة التي
أكلتما ثمرها وأعلمكما ان ابليس لكما عدو مبين يقول قد أبان عداوته لكما بترك السجود لآدم
حسدا وبغيا كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي معشر عن محمد بن قيس
قوله وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين لم أكلتها وقد
نهيتك عنها قال يا رب أطعمتني حواء قال لحواء لم أطعمته قالت أمرتني الحية قال للحية لم أمرتها
قالت أمرني ابليس قال ملعون مدحور وأما أنت يا حواء فكما دميت الشجرة تدمين كل شهر وأما أنت
يا حية فاقطع قوائمك فتمشين على وجهك وسيشدخ رأسك من لقيك اهبطوا بعضكم لبعض عدو
حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عباد بن العوام عن سفيان بن حسين عن يعلى بن مسلم عن سعيد
ابن جبير عن ابن عباس قال لما أكل آدم من الشجرة قيل له لم أكلت من الشجرة التي نهيتك عنها قال
حواء أمرتني قال فاني قد أعقبتها أن لا تحمل الا كرها ولا تضع الا كرها قال فرنت حواء عند ذلك فقيل
لها الرنة عليك وعلى ولدك ﴿ القول في تأويل قوله (قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن
من الخاسرين) وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن آدم وحواء فيما أجاباه به واعترافهما على أنفسهما
بالذنب ومسئلتهما اياه المغفرة منه والرحمة خلاف جواب اللعين اياه ابليس ومعنى قوله قالا ربنا ظلمنا
أنفسنا قال آدم وحواء لربهما يا ربنا فعلنا بانفسنا من الاساءة اليها بمعصيتك وخلاف أمرك
وبطاعتنا عدونا وعدوك فيما لم يكن لنا أن نطيعه فيه من أكل الشجرة التي نهيتنا عن أكلها وان لم
تغفر لنا يقول وان أنت لم تستر علينا ذنبنا فتغطيه علينا وتترك فضيحتنا به بعفوك تسك ايانا عليه
وترحمنا بتعطفك علينا وتركك أخذنا به لنكونن من الخاسرين يعني لنكونن من الهالكين وقد
بينا معنى الخاسر فيما مضى بشواهده والرواية فيه بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع حدثنا
الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال قال آدم عليه السلام يا رب
أرأيت ان تبت واستغفرتك قال اذا أدخلك الجنة وأما ابليس فلم يسأله التوبة وسأل النظرة فأعطى
كل واحد منهما ما سأل حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن
الضحاك في قوله ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا الآية قال هي الكلمات التي تلقاها آدم من ربه
﴿ القول في تأويل قوله (قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين)
وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن فعله بابليس وذريته وآدم وولده والحية يقول تعالى ذكره لآدم
وحواء وابليس والحية اهبطوا من السماء الى الارض بعضكم لبعض عدو كما حدثنا ابن وكيع

قال

قوله ان تلكم الجنة وكذا قوله ان لعنة الله لان النداء والتأذين في معنى القول قال ابن عباس وجدنا ما وعدنا ربنا في الدنيا من الثواب حقا صدقا مطابقا للواقع فهل وجدتم ما وعد ربكم من العقاب حقا والغرض من هذا الاستفهام اظهار البشاشة والاغتباط وايقاع الحزن في قلب العدو وفي هذه الحكاية لطف للمؤمنين وترغيب كما في سائر الاخبار وانما حذف المفعول في وعد ربكم لدلالة المفعول في وعدنا عليه ولان كونهم مخاطبين من قبل الله تعالى بهذا الوعد يوجب مزيد التشريف وانه لا يليق الا بحال المؤمنين (٩٩) ويحتمل ان يكون الاطلاق ليتناول كل

قال ثنا عمرو بن طلحة عن أسباط عن السدى اهبطوا بعضكم لبعض عدو قال فلعن الحية وقطع قوائمها وتركها تمشي على بطنها وجعل رزقها من التراب واهبطوا الى الارض آدم وحواء وابليس والحية حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو اسامة عن أبي عوانة عن اسمعيل بن سالم عن أبي صالح اهبطوا بعضكم لبعض عدو قال آدم وحواء والحية وقوله ولكم في الارض مستقر يقول ولكم يا آدم وحواء وابليس والحية في الارض قرار تستقرونه وفراش تمهدونه كما حدثني المثنى قال ثنا آدم العسقلاني قال ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية في قوله ولكم في الارض مستقر قال هو قوله هو الذي جعل لكم الارض فراشا وروى عن ابن عباس في ذلك ما حدثت عن عبيد الله عن اسرائيل عن السدى عمن حدثه عن ابن عباس قوله ولكم في الارض مستقر قال القبور * قال أبو جعفر والصواب من القول في ذلك ان يقال ان الله تعالى ذكره أخبر آدم وحواء وابليس والحية اذ اهبطوا الى الارض انهم عدو بعضهم لبعض وان لهم مستقرا يستقرون فيه ولم يخصصها بان لهم فيها مستقرا في حال حياتهم دون حال موتهم بل عم الخبر عنها بان لهم فيها مستقرا فذلك على عمومه كما عم خبر الله لهم فيها مستقر في حياتهم على ظهرها وبعد وفاتهم في بطنها كما قال جل ثناؤه ألم نجعل الارض كفاتا أحياء وأمواتا وأما قوله ومتاع الى حين فانه يقول جل ثناؤه ولكم فيها متاع تستمتعون به الى انقطاع الدنيا وذلك هو الحين الذي ذكره كما حدثت عن عبيد الله بن موسى قال أخبرنا اسرائيل عن السدى عمن حدثه عن ابن عباس ومتاع الى حين قال الى يوم القيامة والى انقطاع الدنيا والحين نفسه الوقت غير انه مجهول القدر يدل على ذلك قول الشاعر

وما مراحك بعد الحلم والدين * وقد علاك مشيب حين لا حين

أي وقت لا وقت ❁ القول في تأويل قوله (قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون) يقول تعالى ذكره قال الله للذين أهبطهم من سمواته الى أرضه فيها تحيون يقول في الارض تحيون يقول تكونون فيها أيام حياتكم وفيها تموتون يقول في الارض يكون وفاتكم ومنها تخرجون يقول ومن الارض يخرجكم ربكم ويحشركم اليه لبعث القيامة ❁ القول في تأويل قوله (يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم) يقول جل ثناؤه للجهلة من العرب الذين كانوا يتعرون للطواف اتباعا منهم أمر الشيطان وتركا منهم طاعة الله فعرفهم انخداعهم بغروره لهم حتى تمكن منهم فسلبهم من ستر الله الذي أنعم به عليهم حتى أبدى سوآتهم وأظهرها من بعضهم لبعض مع تفضل الله عليهم بتمكينهم مما يسترونها به وانهم قد سار بهم سيرته في أبويهم آدم وحواء اللذين دلاهما بغرور حتى سلبهما ستر الله الذي كان أنعم به عليهما حتى أبدى لهما سوآتهما بغرارهما منه يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى يعني بانزاله عليهم ذلك خلقه لهم ورزقه اياهم واللباس ما يلبسون من الثياب يوارى سوآتكم يقول يستر عوراتكم عن أعينكم وكني بالسوآت عن العورات واحدتها سوأة وهي فعلة من السوء وانما سميت سوأة لانه يسوء صاحبها انكشافها من جسده كما قال الشاعر

خرقوا جيب فتاتهم * لم يبالوا سوأة الرجله

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو

ما وعد الله من البعث والحساب والثواب والعقاب وسائر أحوال القيامة فالوا نعم قال سيبويه نعم عدة وتصديق أي تستعمل تارة تصديقا فاذا قال قد كان كذا وكذا فقلت نعم فقد صدقت والحاصل ان نعم للتصديق في الخبر والتحقيق في الاستفهام مثبتين كانا أو منفيين ولو قيل قام زيد أو أقام زيد فيقول نعم كان معناه نعم قام زيد أو ألم يقم زيد فقلت نعم كان المعنى ما قام زيد مصدقا أو محققا ومن ثم قال ابن العباس لو قالوا في جواب ألست بربكم نعم لكان كفرا هذا من حيث اللغة وقد يكون العرف على خلاف ذلك كقول الفقهاء لو قيل أليس لي عليك دين فقلت نعم التزمت الدين بناء على العرف الطارئ بعد الوضع وكنانة تكسر العين من نعم وروى عن عمر انه سأل قوما عن شئ فقالوا نعم فقال عمر أما النعم فالابل قولوا نعم وأنكر هذه الرواية أبو عبيد فاذن مؤذن قال ابن عباس هو الملك صاحب صور يأمره الله فينادي نداء يسمع أهل الجنة وأهل النار ومعنى التأذين بالنداء التصويت للاعلام بالصلاة ونحوها والظالمون في الآية قيل عام للكافر والفاسق والظاهر انهم الكفار لان الصد عن سبيل الله أي المنع عن قبول الدين الحق بالقهر أو بالحيلة والقاء الشكوك والشبهات في الدلائل وهو المراد بقوله ويبغونها عوجا وقد مر في آل عمران والكفر بالآخرة كلاهما من أوصاف الكفرة وانما قدم بالآخرة تصحيحا للفواصل الآي ولم يرد لفظة هم هنا على القياس وأما في سورة هود فلما تقدم هؤلاء الذين كذبوا على ربهم قال ألا لعنة الله على الظالمين ولم يقل عليهم والقياس ذلك التبس انهم هم أم غيرهم فكرر ليعلم انهم هم المذكورون لا غيرهم ثم وصف أهل الجنة والنار فقال وبينهما يعني بين الجنة والنار أو بين الفريقين حجاب وهو السور المذكور في قوله فضرب بينهم بسور له باب قيل أي حاجة الى ضرب هذا السور والجنة

فوق السموات والجحيم في أسفل سافلين وأجيب بأن بعد أحدهما عن الآخر لا يمنع أن يكون بينهما سور وحجاب والأعراف لغة جمع عرف بالضم وهو الرمل المرتفع ومنه عرف الفرس وعرف الديك وكل مرتفع من الأرض عرف لأنه بسبب ارتفاعه يصير أعرف مما انخفض منه والأعراف في الآية يفسر بالمكان تارة وبغيره أخرى أما الذين فسروه بالمكان وهم الأكثرون فقالوا إن الأعراف أعلى عالي السور المضروب بين الجنة والنار وروي عن ابن عباس وعنه أيضا أن الأعراف شرف الصراط وعلى هذا التفسير فالذين هم على الأعراف من هم فيه

عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله لباسا يواري سوآتكم قال كان ناس من العرب يطوفون بالبيت عراة ولا يلبس أحدهم ثوبا طاف به حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بنحوه حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعيد المصري قال سمعت مجاهدا يقول في قوله يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا قال أربع آيات نزلت في قريش كانوا في الجاهلية لا يطوفون بالبيت إلا عراة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو اسامة عن عوف قال سمعت معبدا الجهني يقول في قوله يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا قال اللباس الذي يلبسون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم قال كانت قريش تطوف عراة لا يلبس أحدهم ثوبا طاف فيه وقد كان ناس من العرب يطوفون بالبيت عراة حدثنا محمد بن بشار قال ثنا محمد بن جعفر وشريك بن يوسف عن عوف عن معبد الجهني يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم هو لبوسكم هذه حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي لباسا يواري سوآتكم قال هي الثياب حدثنا الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعيد قال ثني من سمع عروة بن الزبير يقول اللباس الثياب حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم قال يعني ثياب الرجل التي يلبسها ۞ القول في تأويل قوله (وريشا) اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الأمصار وريشا بغير ألف وذكر عن زر بن حبيش والحسن البصري أنهما كانا يقرآنه ورياشا حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث عن أبان العطار قال حدثنا أن زر بن حبيش قرأها وريشا * قال أبو جعفر والصواب من القراءة في ذلك قراءة من قرأ وريشا بغير ألف لإجماع الحجة من القراء عليها وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم خبر في إسناده نظر أنه قرأه ورياشا فمن قرأ ذلك ورياشا فإنه يحتمل أن يكون أراد به جمع الريش كما تجمع الذئب ذئابا والبئر بئارا ويحتمل أن يكون أراد به مصدرا من قول القائل راشه الله يريشه رياشا وريشا كما يقال لبسه يلبسه لباسا ولبسا وقد أنشد بعضهم

فلما كشفنا اللبس عنه مسحنه * بأطراف طفل زان غيلا موشما

بكسر اللام من اللبس والرياش في كلام العرب الأثاث وما ظهر من الثياب من المتاع مما يلبس أو يحشى من فراش أو دثار والريش إنما هو المتاع والأموال عندهم وربما استعملوه في الثياب والكسوة دون سائر المال يقولون أعطاه سرجا بريشه ورحلا بريشه أي بكسوته وجهازه ويقولون إنه لحسن ريش الثياب وقد تستعمل الرياش في الخصب ورفاهة العيش وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال الرياش المال حدثني المثنى قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله وريشا يقول مالا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وريشا قال المال حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل

قولان أحدهما أنهم أقوام يكونون في الدرجة العليا من الثواب وثانيهما أنهم في الدرجة النازلة وعلى الأول فيه وجوه وقال أبو مجلز هم ملائكة يعرفون أهل الجنة وأهل النار فقيل له يقول الله تعالى وعلى الأعراف رجال وأنت تقول إنهم ملائكة فقال الملائكة ذكور لا إناث ورد عليه أن الرجل لغة يطلق على من يصلح أن يكون من نوعه أنثى بل يطلق على الذكر من بني آدم وقيل إنهم الأنبياء عليهم السلام أجلسهم الله تعالى على ذلك المكان العالي إظهارا لشرفهم وليكونوا مشرفين على الفريقين مطلعين على أحوالهم ومقادير ثوابهم وعقابهم وقيل إنهم الشهداء وعلى القول الثاني قيل إنهم قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم أوقفهم الله على هذه الأعراف لأنها درجة متوسطة بين الجنة والنار ثم تؤول عاقبة أمرهم إلى الجنة برحمة من الله وفضل قاله حذيفة وابن مسعود واختاره الفراء وخصصه بعضهم فقال هم قوم خرجوا إلى الغزو بغير إذن أمامهم فاستشهدوا فساوت معصيتهم طاعتهم وفي هذا التخصيص نظر وقال عبد الله بن الحرث إنهم مساكين أهل الجنة وقال قوم هم الفساق من أهل الصلاة يعفو الله عنهم ويسكنهم الأعراف وأما الذين فسروه بغير المكان وهو قول الحسن والزجاج فقد قالوا إن المعنى وعلى معرفة أهل الجنة والنار رجال يميزون البعض من البعض إما بالإلهام أو بتعريف الملائكة قال الحسن والله لا أدري أول بعضهم الأعمة وعلى جميع التفاسير فهم يعرفون أهل الجنة وأهل النار قال قوم يعرفون أهل الجنة بكون وجوههم ضاحكة مستبشرة ويعرفون أهل النار بسواد وجوههم وزرقة عيونهم وزيف بأن هذا النوع من المعرفة عام لأهل المحشر فلا وجه لتخصيص أصحاب الأعراف بذلك ويمكن أن يقال إن معرفتهم لكونهم على الأمكنة المرتفعة آمنين وقال المحققون إنهم كانوا

المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قال امار ياشافرياش المال حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعيد المدنى قال من سمع عروة بن الزبير يقول الرياش المال حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال عبيد بن سليمان عن الضحاك قوله ورياشا يعنى المال ذكر من قال هو اللباس ورفاهة العيش حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وريشا قال الرياش اللباس والعيش والنعيم حدثنا محمد بن بشار قال ثنا محمد بن جعفر وسهل بن يوسف عن عوف عن معبد الجهنى ورياشا قال الرياش المعاش حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال أخبرنا عوف قال قال معبد الجهنى ورياشا قال هو المعاش وقال آخرون الريش الجمال ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ورياشا قال الريش الجمال ۞ القول فى تأويل قوله (ولباس التقوى ذلك خير) اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم لباس التقوى هو الايمان ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولباس التقوى هو الايمان حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ولباس التقوى الايمان حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال أخبرنى حجاج عن ابن جريج ولباس التقوى الايمان وقال آخرون هو الحياء ذكر من قال ذلك حدثنا محمد ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر وسهل بن يوسف عن عوف الجهنى فى قوله ولباس التقوى الذى ذكر الله فى القرآن هو الحياء حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال أخبرنا عوف قال قال معبد الجهنى فذكر مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو اسامة عن عوف عن معبد بنحوه وقال آخرون هو العمل الصالح ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس ولباس التقوى ذلك خير قال لباس التقوى العمل الصالح وقال آخرون بل ذلك هو السمت الحسن حدثنى زكريا بن يحيى بن أبى زائدة قال ثنا عبد الله بن داود عن محمد بن موسى عن الذيال بن عمرو عن ابن عباس ولباس التقوى قال السمت الحسن فى الوجه حدثنى المثنى قال ثنا اسحق بن الحجاج قال ثنا ابن اسمعيل عن سليمان بن أرقم عن الحسن قال رأيت عثمان بن عفان على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه قميص محلول الزر وسمعته يأمر بقتل الكلاب وينهى عن اللعب بالحمام ثم قال يا أيها الناس اتقوا الله فى هذه السرائر فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والذى نفس محمد بيده ما عمل أحد قط سرا الا ألبسه الله رداءه علانية ان خيرا فخير وان شرا فشر ثم تلا هذه الآية وريشا ولم يقرأها ورياشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله قال السمت الحسن وقال آخرون هو خشية الله ذكر من قال ذلك حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعيد المدنى قال ثنى من سمع عروة بن الزبير يقول لباس التقوى خشية الله * وقال آخرون لباس التقوى فى هذه المواضع ستر العورة ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولباس التقوى يتقى الله فيوارى عورته ذلك لباس التقوى * واختلفت القراء فى

يعرفون أهل الخير والايمان والصلاة وأهل الشر والكفر والافساد وهم كانوا فى الدنيا شهداء الله على أهل الايمان والطاعة وعلى أهل الكفر والمعصية فهو تعالى يجلسهم على الاعراف ليكونوا مطلعين على الكل يشهدون على كل أحد بما يليق به ثم قال ونادوا أصحاب الجنة ان سلام عليكم أى انهم اذا نظروا الى الجنة سلموا على أهلها ثم أخبر على سبيل الاستئناف ان أهل الاعراف لم يدخلوا الجنة وهم يطمعون كان سائلا عن حالهم أو على انه صفة أخرى لرجال فان قلنا ان أصحاب الاعراف هم الاشراف فيكون الله تعالى أخر ادخالهم الجنة ليطلعوا على أحوال الجنة والنار ثم انه تعالى ينقلهم الى الدرجات العلى فى الجنة كما روى عن النبى صلى الله عليه وآله انه قال ان أهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون الكوكب الدرى فى وسط السماء وان أبا بكر وعمر منهم ومعنى يطمعون على هذا يتيقنون كقول ابراهيم والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين ولا يخفى ما فى هذه العبارة من حسن الادب وان قلنا أصحاب الاعراف هم الاوساط فلا اشكال لانهم يطمعون من فضل الله واحسانه ان ينقلهم من ذلك الموضع الى الجنة واذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قال الواحدى التلقاء جهة اللقاء وهى جهة المقابلة وهو فى الاصل مصدر استعمل ظرفا ولم يأت من المصادر على تفعال بالكسر الا حرفان تبيان وتلقاء وانه فى الاسم كثير كتمثال وتقصار والمعنى انه كلما وقعت أبصار أصحاب الاعراف على أهل النار تضرعوا الى الله تعالى انه لا يجعلهم من زمرتهم وفى بناء الفعل للمفعول وان لم يقل واذا أبصروا فائدة هى أن صارفا يصرف أبصارهم لينظروا فيستعيذوا ويتحوا ثم بين ان أصحاب الاعراف ينادون رجالا من أكابر أهل واستغنى عن التصريح بهم بما لا يليق الا بهم فقال أصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم المال أو كثرتكم واجتماعكم وما كنتم تستكبرون عن الحق وعلى وفيه تبكيت للمخاطبين وشماتة بهم ثم زادوا فى التبكيت مشيرين الى فريق من أهل الجنة كانوا يستضعفونهم ويستحقرون أحوالهم وربما استهزؤا بهم وانفوا من مشاركتهم فى دينهم لقلة حظوظهم من الدنيا فقالوا أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة ثم قوله ادخلوا الجنة الى آخر الآية فمن قول الله تعالى لاصحاب الاعراف أو من قول الملائكة لهم بأمره أو من قول بعضهم لبعض وذلك بعد ان حبسوا وتحاجوا وتقولوا اقوال

قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المكيين والكوفيين والبصريين ولباس التقوى ذلك خير برفع ولباس وقرأ ذلك عامة قراء المدينة ولباس التقوى بنصب اللباس وهى قراءة بعض قراء الكوفيين فمن نصب ولباس فانه نصبه عطفا على الريش بمعنى قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم وريشا وأنزلنا اللباس التقوى وأما الرفع فان أهل العربية مختلفون فى المعنى الذى ارتفع به اللباس فكان بعض نحوى البصرة يقول هو مرفوع على الابتداء وخبره فى قوله ذلك خير وقد استخطأه بعض أهل العربية فى ذلك وقال هذا غلط لانه لم يعد على اللباس فى الجملة عائد فيكون اللباس اذا رفع على الابتداء وجعل ذلك خير خبرا * وقال بعض نحوى الكوفة ولباس يرفع بقوله ولباس التقوى خير ويجعل ذلك من نعته وهذا القول عندى أولى بالصواب فى رافع اللباس لانه لاوجه للرفع الا أن يكون مرفوعا بخير واذا رفع بخير لم يكن فى ذلك وجه الا أن يجعل اللباس نعتا لا انه عائد على اللباس من ذكره فى قوله ذلك خير فيكون خير مرفوعا بذلك وذلك به فاذ كان ذلك كذلك فتأويل الكلام اذا رفع لباس التقوى ولباس التقوى ذلك الذى قد علمتموه خير لكم يابنى آدم من لباس الثياب التى توارى سوآتكم ومن الرياش التى أنزلناها اليكم فالبسوه وأما تأويل من قرأه نصبا فانه يابنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم وريشا ولباس التقوى هذا الذى أنزلنا عليكم من اللباس الذى يوارى سوآتكم والريش ولباس التقوى خير لكم من التعرى والتجرد من الثياب فى طوافكم بالبيت فاتقوا الله والبسوا ما رزقكم الله من الرياش ولا تطيعوا الشيطان بالتجرد والتعرى من الثياب فان ذلك سخرية منه بكم وخدعة كما فعل بأبيكم آدم وحواء فخدعهما حتى جردهما من لباس الله الذى ألبسهما بطاعتهما له فى أكل ما كان الله نهاهما عن أكله من ثمر الشجرة التى عصياه بأكلها وهذه القراءة أولى القراءتين فى ذلك عندى بالصواب أعنى نصب قوله ولباس التقوى لصحة معناه فى التأويل على ما بينت وان الله انما ابتدأ الخبر عن انزاله اللباس الذى يوارى سوآتنا والرياش توبيخا للمشركين الذين كانوا يتجردون فى حال طوافهم بالبيت ويأمرهم بأخذ ثيابهم والاستتار بها فى كل حال مع الايمان به واتباع طاعته ويعلمهم ان كل ذلك خير من كل ما هم عليه مقيمون من كفرهم بالله وتعريهم لانه أعلمهم ان بعض ما أنزل اليهم خير من بعض ومما يدل على صحة ما قلنا فى ذلك الآيات التى بعد هذه الآية وذلك قوله يابنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما وما بعد ذلك من الآيات الى قوله وان تقولوا على الله ما لا تعلمون فانه جل ثناؤه يأمر فى كل ذلك بأخذ الزينة من الثياب واستعمال اللباس وترك التجرد والتعرى وبالايمان به واتباع أمره والعمل بطاعته وينهى عن الشرك به واتباع أمر الشيطان مؤكدا فى كل ذلك ما قد أجمله فى قوله يابنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير * وأولى الاقوال بالصحة فى تأويل قوله ولباس التقوى استشعار النفوس تقوى الله فى الانتهاء عما نهى الله عنه من معاصيه والعمل بما أمر به من طاعته وذلك يجمع الايمان والعمل الصالح والحياء وخشية الله والسمت الحسن لان من اتقى الله كان به مؤمنا وبما أمره به عاملا ومنه خائفا وله مراقبا ومن أن يرى عندما يكرهه من عباده مستحيا ومن كان كذلك ظهرت آثار الخير فيه فحسن سمته وهديه ورؤيت عليه بهجة الايمان

وأمثالهم يدخلهم الله الجنة ويدخلنا النار كلا والله ان الله لا يفضل علينا أحدمنا ورعاتنا أقسم وان لا يخصهم بفضل دوننا فناداهم أصحاب الاعراف ثم ختم المناظرين بقوله ونادى أصحاب النار قال ابن عباس لما صار أصحاب الاعراف الى الجنة طمع أهل النار بفرج بعد اليأس فقالوا ربنا ان لنا قرابات من أهل الجنة فأذن لنا حتى نراهم ونكلمهم فأمر الله بالجنة فزخرفت ثم نظر أهل جهنم الى قراباتهم فى الجنة وما هم فيه من النعيم فعرفوهم فنظر أهل الجنة الى قراباتهم من أهل جهنم فلم يعرفوهم قد اسودت وجوههم وصاروا خلقا آخر فنادى أصحاب النار أصحاب الجنة بأسمائهم وقالوا أفيضوا علينا من الماء طلبوا الماء أولا لما فى بواطنهم من الاحتراق الشديد وفى الافاضة نوع دلالة على ان أهل الجنة أعلى مكانا من أهل النار قال بعض العلماء انهم سألوا ذلك مع جواز الحصول وقال آخرون بل مع اليأس لانهم عرفوا دوام عقابهم ولكن الآيس من الشئ قد يطلبه كما يقال فى المثل الغريق يتعلق بالزبد وان علم انه لا يغنيه قوله أو مما رزقكم الله قيل أى سائر الاشربة لدخوله فى حكم الافاضة وقيل أى من الثمار أو الطعام والمراد وألقوا علينا من الطعام والفاكهة كقوله علفتها تبنا وماء باردا * فيكون فى الآية دليل على نهاية عطشهم وشدة جوعهم ثم كان لسائل ان يسأل فيما ذا أجابهم أهل الجنة فقيل قالوا ان الله حرمهما على الكافرين أى منعهم شراب الجنة وطعامها كما يمنع المكلف ما يحرم عليه وهذه نهاية الحسرة والخيبة نعوذ بالله منهما ثم وصف هؤلاء الكافرين بأنهم الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياة وقد مر تفسير الوصفين فى أوسط سورة الانعام قال ابن عباس يريد المستهزئين المقتسمين وجملة الامر ان الانسان يطمع فى طول العمر وحسن العيش وكثرة المال وقوة الجاه فلشدة رغبته فى هذه الاشياء يصير محجوبا عن طلب الدين غريقا فى بحر الدنيا ومشتهياتها ثم ذكر جزاءهم يوم القيامة على سبيل الحكاية فقال فاليوم ننساهم أى نتركهم فى عذابهم كما تركوا العمل للقاء يومهم هذا قال الحسن ومجاهد والسدى والاكثرون وقيل نعاملهم معاملة من نسى بتركهم فى النار كما فعلوا هم فى الاعراض عن آياتنا فسمى جزاء النسيان نسيانا كقوله وجزاء سيئة سيئة والحاصل انه

ونوره وانما قلنا عنى بلباس التقوى استشعار النفس والقلب ذلك لان اللباس انما هو ادراع ما يلبس واجتياب ما يكسى أو تغطية بدنه أو بعضه به فكل من ادرع شيأ واجتابه حتى يرى هو أو أثره عليه فهو له لابس ولذلك جعل جل ثناؤه الرجال للنساء لباسا وهن لهم لباسا وجعل الليل لعباده لباسا

ذكر من تأول ذلك بالمعنى الذى ذكرنا من تأويله اذا قرئ قوله ولباس التقوى رفعا حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى ولباس التقوى الايمان ذلك خير يقول ذلك من الرياش واللباس يوارى سوآتكم حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولباس التقوى قال لباس التقوى خير وهو الايمان ۞ القول فى تأويل قوله (ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون) يقول تعالى ذكره ذلك الذى ذكرت لكم أى أنزلته اليكم أيها الناس من اللباس والرياش من حجج الله وأدلته التى يعلم بها من كفر صحة توحيد الله وخطأ ما هم عليه مقيمون من الضلالة لعلهم يذكرون يقول جل ثناؤه جعلت ذلك لهم دليلا على ما وصفت ليذكروا فيعتبروا وينيبوا الى الحق وترك الباطل رحمة منى بعبادى ۞ القول فى تأويل قوله (يابنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما) يقول تعالى ذكره يابنى آدم لا يخدعنكم الشيطان فيبدى سوآتكم للناس بطاعتكم اياه عند اختباره لكم كما فعل بأبويكم آدم وحواء عند اختباره اياهما فأطاعاه وعصيا ربهما فأخرجهما بما سبب لهما من مكره وخدعه من الجنة ونزع عنهما ما كان ألبسهما من اللباس ليريهما سوآتهما بكشف عورتهما واظهارها لاعينهما بعد اذ كانت مستترة وقد بينا فيما مضى ان معنى الفتنة الاختبار والابتلاء بما أغنى عن اعادته وقد اختلف أهل التأويل فى صفة اللباس الذى أخبر الله جل ثناؤه انه نزعه عن أبوينا وما كان فقال بعضهم كان ذلك اظفارا ذكر من لم يذكر قوله فيما مضى من كتابنا هذا فى ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن شريك عن عكرمة ينزع عنهما لباسهما قال لباس كل دابة منها ولباس الانسان الظفر فادركت آدم التوبة عند ظفره أو قال اظفاره حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الحميد الحمانى عن نصر أبى عمر عن عكرمة عن ابن عباس قال تركت أظفاره عليه زينة ومنافع فى قوله ينزع عنهما لباسهما حدثنى أحمد بن الوليد القرشى قال ثنا ابراهيم بن أبى الوزير قال أخبرنا مخلد بن الحسين عن عمرو بن مالك عن أبى الجوزاء عن ابن عباس فى قوله ينزع عنهما لباسهما قال كان لباسهما الظفر فلما أصابا الخطيئة نزع عنهما وتركت الاظفار تذكرة وزينة حدثنى المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا شريك عن سماك عن عكرمة فى قوله ينزع عنهما لباسهما قال كان لباسه الظفر فانتهت توبته الى ظفاره وقال آخرون كان لباسهما نورا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن عمرو عن وهب بن منبه ينزع عنهما لباسهما النور حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير عن ابن عيينة قال ثنا عمرو قال سمعت وهب بن منبه يقول فى قوله ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما قال كان لباس آدم وحواء نورا على فروجهما لا يرى هذا عورة هذه ولا هذه عورة هذا وقال آخرون انما عنى الله بقوله ينزع عنهما لباسهما تقوى الله ذكر من قال ذلك

لا يجيب دعاءهم ولا يرحم ضعفهم وذلهم عن أبى الدرداء ان الله تعالى يرسل على أهل النار الجوع حتى يعدل عذابهم فيستغيثون فيغاثون بالضريع الذى لا يسمن ولا يغنى من جوع ثم يستغيثون فيغاثون بطعام ذى غصة ثم يذكرون الشراب فيستغيثون الى أهل الجنة كما فى هذه الآية فتقول أهل الجنة ان الله حرمهما على الكافرين ويقولون لمالك ليقض علينا ربك فيجيبهم على ما قيل بعد ألف عام انكم ماكثون ويقولون ربنا أخرجنا منها فيجيبهم أخسؤا فيها ولا تكلمون فعند ذلك ييأسون من كل خير ويأخذون فى زفير وشهيق وعن ابن عباس فى صفة أهل الجنة انهم يرون الله عز وجل فى كل جمعة وبمنزل كل واحد منهم ألف باب فاذا رأوا الله تعالى دخل من كل باب ملك معهم الهدايا الشريفة وقال ان نخل الجنة جذوعها الزمرد وقوائمها الذهب الاحمر وسعفها حلل وكسوة لاهل الجنة وثمرتها أمثال القلال أشد بياضا من الفضة وألين من الزبد وأحلى من العسل لا عجم فيها فهذه صفة الفريقين من القرآن والحديث فتأهب لايهما شئت والله الموفق ولما شرح الله تعالى حال الطائفتين والمناظرات الجارية بينهم لتكون حاملا للمكلف على الحذر من مواجب النار وعلى الرغبة فى مستتبعات الجنة بين شرف هذا الكتاب الكريم وغاية منافعه الجليلة فقال جئناهم بكتاب فصلناه ميزنا بعضه عن بعض تمييزا يهدى الى الرشاد ويؤمن من الغلط والتخليط وانما فعلنا ذلك لا كيف ما اتفق بل على علم بما فى كل فصل من تلك الفصول من الفوائد الكثيرة والمنافع العزيزة حتى جاء بريئا من كل خلل وقدح ومعجزا باقيا على وجه الدهر وقوله هدى ورحمة حالان أو منصوب فصلناه كما ان على علم مرفوعة ويحتمل ان يكونا لهما القوم يؤمنون لان نعود اليهم ثم لما بين ازاحة بسبب انزال هذا الكتاب المفصل الموجب للهداية والرحمة بين بعده حال من كذب فقال هل ينظرون الا تأويله والنظر ههنا بمعنى والتوقع وكيف ينتظرون مع جحدهم وانكارهم الجواب لعلهم أقوام اشتكوا وتوقفوا لهذا السبب انتظروه وأيضا انهم كانوا جاه... الا أنهم بمنزلة المنتظر من حيث ان تلك الاحوال تأتيهم لا محالة قال الفراء الضمير فى تأويله للكتاب أى الا عاقبة أمره وما يؤول اليه من صدقه وظهور صحة ما نطق به من الوعد والوعيد أو عاقبة ما وعدوا به على ألسنة الرسل من الثواب والعقاب والتأويل مرجع الشئ ومصيره

حدثنا ابن وكيع قال ثنا مطلب بن زياد عن ليث عن مجاهد ينزع عنهما لباسهما قال التقوى حدثنى المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا شريك عن ليث عن مجاهد مثله * قال أبو جعفر والصواب من القول فى تأويل ذلك عندى ان يقال ان الله تعالى حذر عباده ان يفتنهم الشيطان كما فتن أبويهم آدم وحواء وان يجردهم من لباس الله الذى أنزله اليهم كما نزع عن أبويهم لباسهما واللباس المطلق من الكلام بغير اضافة الى شئ فى متعارف الناس هو ما اختار فيه اللباس من أنواع الكساء أو غطى بدنه أو بعضه واذ كان ذلك كذلك فالحق ان يقال ان الذى أخبر الله عن آدم وحواء من لباسهما الذى نزعه عنهما الشيطان هو بعض ما كانا يواريان به أبدانهما وعورتهما وقد يجوز ان يكون ذلك كان ظفرا ويجوز ان يكون كان ذلك نورا ويجوز ان يكون غير ذلك ولا خبر عندنا بأى ذلك تثبت به الحجة فلا قول فى ذلك أصوب ان يقال كما قال جل ثناؤه ينزع عنهما لباسهما وأضاف جل ثناؤه الى ابليس اخراج آدم وحواء من الجنة ونزع ما كان عليهما من اللباس عنهما وان كان الله جل ثناؤه هو الفاعل ذلك بهما عقوبة على معصيتهما اياه اذ كان الذى كان منهما فى ذلك عن تسبيبه ذلك لهما بمكره وخداعه فأضيف اليه احيانا بذلك المعنى والى الله احيانا بفعله ذلك بهما ۞ القول فى تأويل قوله (انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون) يعنى جل ثناؤه بذلك ان الشيطان يراكم هو والهاء فى انه عائدة على الشيطان وقبيله يعنى وصنفه وجنسه الذى هو منه واحد جمعه قبل وهم الجن كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله انه يراكم هو وقبيله قال الجن والشياطين حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله انه يراكم هو وقبيله قال قبيله نسله وقوله من حيث لا ترونهم يقول من حيث لا ترون أنتم أيها الناس الشيطان وقبيله انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون يقول جعلنا الشياطين نصراء الكفار الذين لا يوحدون الله ولا يصدقون رسله ۞ القول فى تأويل قوله (واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل ان الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون) ذكر ان معنى الفاحشة فى هذا الموضع ما حدثنى على بن سعيد بن مسروق الكندى قال ثنا أبو محياة عن منصور عن مجاهد واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قال كانوا يطوفون بالبيت عراة يقولون نطوف كما ولدتنا أمهاتنا فتضع المرأة على قبلها النسعة أو الشئ فتقول

اليوم يبدو بعضه أو كله * فما بدا منه فلا أحله

حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد فى قوله واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا فاحشتهم انهم كانوا يطوفون بالبيت عراة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن مفضل عن منصور عن مجاهد مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمران بن عيينة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير والشعبى واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا قال كانوا يطوفون بالبيت عراة حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قال كان قبيلة من العرب من أهل اليمن يطوفون بالبيت عراة فاذا قيل لهم تفعلون ذلك قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها حدثنى الحرث قال ثنا

قولهم آل الشئ يؤل يوم يأتى يريد يوم القيامة وانتصابه على انه ظرف يقول ومعنى نسوه تركوا العمل به والايمان أو انهم صاروا فى الاعراض عنه بمنزلة من نسيه قد جاءت رسل ربنا بالحق أى متلبسين بما هو الحق أو الباء للتعدية والمراد اعترافهم بثبوت الحشر وأحوال القيامة وأهوالها اذا عاينوها فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا منصوب باضمار ان بعد الفاء والتقدير هل يثبت لنا شفيع فيشفع أو هل نرد فنعمل غير الذى كنا نعمل فنوحد الله تعالى بدلا عن الشرك ونطيعه بدلا عن المعصية وفيه دليل على ان أهل الآخرة لا تكليف لهم خلافا للنجار ومن يتبعه والا لم يسألوا الرد الى دار التكليف ولم يتمنوه بل كانوا يتوبون فى الحال ثم يحكم بان ذلك التمنى لا يفيدهم شيأ وان مطلوبهم لا يكون البتة قال قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون أى لا ينتفعون بالاصنام التى عبدوها فى الدنيا وليس تفيدهم نصرة الاوثان وان بالغوا فى نصرها * التأويل نادى أهل الجنة أهل القطيعة ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا يعنى قوله الا من طلبنى وجدنى فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا وهو قوله ومن طلب غيرى لم يجدنى فاذن مؤذن العزة والعظمة على الظالمين الذين وضعوا استعداد الطلب فى غير موضع مطلوبه الذين يصدون القلب والروح عن سبيل الله وطلبه ويطلبون صرف وجوههم الى الدنيا وما فيها وما بينهما حجاب من الاوصاف البشرية والاخلاق الذميمة النفسانية فلا يرى أهل النار أهل الجنة وكذا بين أهل الجنة وأهل الله وهم أصحاب الاعراف حجاب من الاوصاف الخلقية والاخلاق الحميدة الروحانية وسميت اعرافا لانها موطن أهل المعرفة وسموا رجالا لانهم بالرجولية يتصرفون فيما سوى الله تصرف الرجال فى ... ولا يتصرف فيهم شئ منه ... مرتبة فوق الجنان فى ... مقعد عند الرحمن يعرفون ... الجنة وأهل النيران بسيماهم من آثار نور القلب وظلمته ونادوا أصحاب الجنة ان سلام عليكم ... عبد ... كما أنتم فيه من النعيم والحور والقصور ثم أخبر عن همة أهل الاعراف فقال لم يدخلوها أى الجنة ونعيمها ولم يلتفتوا الى غير المولى ... يطمعون فى الوصول الى الحق سبحانه واذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار ابتلاء ليعرفوا انه تعالى من أى دركة خلصهم وبأى كرامة ... ومن هذا القبيل يكون ما يسنح لارباب الكمالات من الخواطر النفسانية يعرفونهم بسيماهم يعنى أهل الجنة وأهل النار ما أغنى

عبد العزيز قال ثنا اسرائيل عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس واذا فعلوا فاحشة قال طوافهم بالبيت عراة حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعيد عن مجاهد واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا قال في طواف الحمس في الثياب وغيرهم عراة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا قال كان نساؤهم يطفن بالبيت عراة فتلك الفاحشة التي وجدوا عليها آباءهم قل ان الله لا يأمر بالفحشاء الآية فتأويل الكلام اذا واذا فعل الذين لا يؤمنون بالله الذين جعل الله الشياطين لهم أولياء قبيحا من الفعل وهو الفاحشة وذلك تعريهم للطواف بالبيت وتجردهم له فعذلوا على ما أتوا من قبيح فعلهم وعوتبوا عليه قالوا وجدنا على مثل ما نفعل آباءنا فنحن نفعل مثل ما كانوا يفعلون ونقتدي بهديهم ونستن بسنتهم والله أمرنا به فنحن نتبع أمره فيه يقول الله جل ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهم ان الله لا يأمر بالفحشاء يقول لا يأمر خلقه بقبائح الافعال ومساويها أتقولون أيها الناس على الله ما لا تعلمون يقول أتروون على الله انه أمركم بالتعري والتجرد من الثياب واللباس للطواف وأنتم لا تعلمون انه أمركم بذلك ۞ القول في تأويل قوله (قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين) يقول تعالى ذكره لنبيه قل يا محمد لهؤلاء الذين يزعمون ان الله أمرهم بالفحشاء كذبا على الله ما أمرني بما تقولون بل أمرني بالقسط يعني بالعدل كما حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قل أمر ربي بالقسط بالعدل حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي قل أمر ربي بالقسط والقسط العدل وأما قوله وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد فان أهل التأويل اختلفوا في تأويله فقال بعضهم معناه وجهوا وجوهكم حيث كنتم في الصلاة الى الكعبة ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد الى الكعبة حيث ما صليتم في الكنيسة وغيرها حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد قال اذا صليتم فاستقبلوا الكعبة في كنائسكم وغيرها حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد هو المسجد الكعبة حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا خالد بن عبد الرحمن عن عمر بن ذر عن مجاهد في قوله وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد قال أقيموها للقبلة هذه القبلة التي أمركم الله بها * وقال آخرون بل عنى بذلك واجعلوا سجودكم لله خالصا دون ما سواه من الآلهة والانداد ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد قال في الاخلاص أن لا تدعوا غيره وان تخلصوا له الدين * قال أبو جعفر وأولى هذين التأويلين بتأويل الآية ما قاله الربيع وهو ان القوم أمروا أن يتوجهوا بصلاتهم الى ربهم لا الى ما سواه من الاوثان والاصنام وان يجعلوا دعاءهم لله خالصا لا مكاء ولا تصدية وانما قلنا ذلك أولى التأويلين بالآية لان الله انما خاطب بهذه الآية قوما من مشركي العرب لم يكونوا أهل كنائس وبيع

منكم جمعكم يا أهل الجنة وأهل الله من الطاعات ويا أهل النار من الدنيا والشهوات وما كنتم تستكبرون عن السير في حقيقة لا اله الا الله أهؤلاء الذين أقسمتم يعني ان من المؤمنين والعلماء بعلم الظاهر في بعض الاوقات من يقول الدناءة حية لاهل المحبة والمعرفة لا ينالهم الله برحمة الوصول ادخلوا الجنة يعني الجنة المضافة اليه في قوله ادخلي جنتي في حظائر القدس وعالم الجبروت لا خوف عليكم من الخروج ولا أنتم تحزنون على ما فاتكم من نعيم الجنة اذ فزتم بشهود جمالنا في حظائر القدس وسرادق العزة وانقطع عنهم نظرهم ونظر الملائكة المقربين فافهم يحكى عن بابا جعفر الابهري انه دخل على بابا طاهر الهمداني فقال أين كنت فاني حضرت البارحة مع الخواص على باب الله فما رأيتك ثمة فقال بابا طاهر صدقت كنت على الباب مع الخواص وكنت داخلا مع الاخص فما رأيتني أفيضوا علينا من الماء كانوا في الدنيا عبيد البطون حراصا على الطعام والشراب فماتوا على ما عاشوا وحشروا على ما ماتوا ان أهل الجنة لما جوعوا بطونهم لوليمة الفردوس كان اشتغالهم في الجنة بشهوات النفس والمضايقة فقالوا ان الله حرمهما على الكافرين وفي الحقيقة انما حرمهما عليهم في الازل فلم يوفقوا المعاملات تورث الجنة هل ينظرون الا تأويله أي ما يؤل اليه عاقبته في شأنهم فللمؤمنين كشف الغطاء وسبوغ العطاء ولاهل الجحود الفرقة والافتقار وعذاب النار أعاذنا الله تعالى منها (ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره ألا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها وادعوه خوفا وطمعا ان رحمة الله قريب من المحسنين وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى اذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فانزلنا به الماء فاخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون) القراآت يغشي بالتشديد حيث كان حمزة وعلي وخلف وسهل ويعقوب غير روح والشمس والقمر والنجوم مسخرات كلها بالرفع ابن عامر الآخرون بالنصب الريح على التوحيد ابن كثير وحمزة وعلي وخلف نشرا بالنون وسكون

الشين حمزة وعلي وخلف وأبو زيد عن المفضل و بضم الباء الموحدة والشين الساكنة عاصم غير أبي زيد الباقون بضم النون والشين مبيت بالتشديد يدأبو جعفر ونافع وحمزة وعلي وخلف وحفص والمفضل نكدا بفتح الكاف يزيد الآخرون بكسرها * الوقوف حثيثا لمن قرأ والشمس وما بعده مرفوعات بامره ه والامر ط العالمين (١٠٦) ه وخفية ط المعتدين ه لا للعطف مع الآية وطمعا ط المحسنين ه

وانما كانت الكنائس والبيع لاهل الكتابين فغير معقول ان يقال لمن لا يصلى فى كنيسة ولا بيعة وجه وجهك الى الكعبة فى كنيسة أو بيعة وأما قوله وادعوه مخلصين له الدين فانه يقول واعملوا لربكم مخلصا له الدين والطاعة لا تخلطوا ذلك بشرك ولا تجعلوا فى شىء مما تعملون به شريكا كما حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع وادعوه مخلصين له الدين قال ان تخلصوا له الدين والدعوة والعمل ثم توجهون الى البيت الحرام ۞ القول فى تاويل قوله (كما بدأكم تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة) اختلف أهل التأويل فى تاويل قوله كما بدأكم تعودون فقال بعضهم تاويله كما بدأكم أشقياء وسعداء كذلك تبعثون يوم القيامة ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله كما بدأكم تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة قال ان الله سبحانه بدأ خلق ابن آدم مؤمنا وكافرا كما قال جل ثناؤه هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن ثم يعيدهم يوم القيامة كما بدأ خلقهم مؤمنا وكافرا حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن منصور قال ثنا أصحابنا عن ابن عباس كما بدأكم تعودون قال يبعث المؤمن مؤمنا والكافر كافرا حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا يحيى بن الضريس عن أبي جعفر عن الربيع عن رجل عن جابر قال يبعثون على ما كانوا عليه المؤمن على ايمانه والمنافق على نفاقه حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن أبي جعفر الرازى عن الربيع عن أبي العالية قال عادوا الى علمه فيهم ألم تسمع الى قول الله فيهم كما بدأكم تعودون ألم تسمع قوله فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبيد الله عن أبي جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبي العالية كما بدأكم تعودون قال ردوا الى علمه فيهم حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو همام الاهوازى قال ثنا موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب فى قوله كما بدأكم تعودون قال من ابتدأ الله خلقه على الشقوة صار الى ما ابتدأ الله خلقه عليه وان عمل باعمال أهل السعادة كما ان ابليس عمل باعمال أهل السعادة ثم صار الى ما ابتدئ عليه خلقه ومن ابتدئ خلقه على السعادة صار الى ما ابتدئ خلقه وان عمل باعمال أهل الشقاء كما ان السحرة عملت باعمال أهل الشقاء ثم صاروا الى ما ابتدئ عليه خلقهم حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ورقاء بن اياس أبي يزيد عن مجاهد كما بدأكم تعودون قال يبعث المسلم مسلما والكافر كافرا حدثنى المثنى قال ثنا أبو دكين قال ثنا سفيان عن أبي يزيد عن مجاهد كما بدأكم تعودون قال يبعث المسلم مسلما والكافر كافرا حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا محمد بن أبي الوضاح عن سالم الافطس عن سعيد بن جبير كما بدأكم تعودون قال كما كتب عليكم تكونون حدثنى المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا شريك عن سالم عن سعيد مثله حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى كما بدأكم تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة يقول كما بدأكم تعودون كما خلقناكم فريق مهتدون وفريق ضال كذلك تعودون وتخرجون من بطون أمهاتكم حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الاعمش عن سفيان عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال تبعث كل نفس على ما كانت عليه حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو داود الحفرى عن شريك عن سالم عن سعيد بن جبير كما بدأكم تعودون قال كما كتب عليكم تكونون حدثنى المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا حماد بن زيد عن ليث

ورحمته ط الثمرات ط تذكرون ه باذن ربه ج للابتداء مع العطف نكدا ه ط يشكرون ه * التفسير لما بالغ سبحانه فى تقرير أمر المعاد عاد على عادته الى بيان المبدأ وهو ذكر الدلائل الدالة على التوحيد وكمال القدرة والعلم تاكيدا للمعاد والمعنى ان الذى يربيكم ويصلح شأنكم ويوصل اليكم الخيرات ويرفع عنكم المكاره هو الذى بلغ كمال قدرته وعلمه وحكمته ورحمته الى حيث خلق هذه الاجسام الجسام وأودع فيها أنواع المنافع وأصناف الفوائد وكيف يليق ان يرجع الى غيره فى طلب الخيرات ويعول على غيره فى تحصيل السعادات قال علماء الادب أصل ست سدس بدليل سديس واسداس ثم ان العرب كانوا يخاطبون اليهود فالظاهر انهم سمعوا بعض أوصاف الخالق منهم فكانه سبحانه يقول لا تشتغلوا بعبادة الاوثان والاصنام فان ربكم هو الذى أسمعكم من عقلاء الناس انه هو الذى خلق السموات والارض على غاية عظمتها ونهاية جلالتها فى ستة أيام قيل انه تعالى كان قادرا على ايجادها دفعة واحدة فما الفائدة فى ذكر انه خلقها فى ستة أيام فى أثناء ذكر ما يدل على وجود الصانع وأجيب بانه أراد ان يعلم عباده الرفق والتأنى فى الامور والصبر فيها كيلا يحمل المكلف تأخير الثواب والعقاب على التعطيل من العلماء من قال ان الشىء اذا حدث دفعة واحدة ثم انقطع الاحداث فلعله يخطر ببال بعضهم ان ذلك انما وقع على سبيل الاتفاق أما اذا أحدثت الاشياء على التعاقب والتواصل مع كونها مطابقة للحكمة والمصلحة كان ذلك أقوى فى الدلالة على كونها واقعة باحداث محدث حكيم عليم قادر حيم وأيضا ثبت بالدليل انه تعالى يخلق العاقل أولا ثم يخلق السموات والارض بعده لانه لو خلق ما لا ينتفع فى الحال يجر الى العبث ثم ان ذلك

العاقل ملكا كان أوجنيا اذا شاهد فى كل ساعة وحين حدوث شئ آخر على سبيل التعاقب والتوالى كان ذلك أقوى فى افادة اليقين لانه يتكرر على عقله ظهور هذه الدلائل لحظة فلحظة وأما تقدير المدة بستة أيام فلا يرد عليه اشكال لان السؤال يعود على أى مقدار فرض وقيل ان لعدد السبعة شرفا عظيما ولهذا خصت ليلة القدر بالسابع والعشرين فالايام الستة لتخليق العالم والسابع لتحصيل كمال الملك

عن مجاهد قال يبعث المؤمن مؤمنا والكافر كافرا حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد كما بدأكم تعودون شقيا وسعيدا حدثنى المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك قرأه عن مجاهد مثله * وقال آخرون معنى ذلك كما خلقكم ولم تكونوا شيأ تعودون بعد الفناء ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا غندر عن عوف عن الحسن كما بدأكم تعودون قال كما بدأكم ولم تكونوا شيأ فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم يوم القيامة حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الاعلى عن عوف عن الحسن كما بدأكم تعودون قال كما بدأكم فى الدنيا كذلك تعودون يوم القيامة أحياء حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة كما بدأكم تعودون قال بدأ خلقهم ولم يكونوا شيأ ثم ذهبوا ثم يعيدهم حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله كما بدأكم تعودون فريقا هدى يقول كما خلقنا كم أول مرة كذلك تعودون حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله كما بدأكم تعودون يحييكم بعد موتكم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله كما بدأكم تعودون قال كما خلقهم أولا كذلك يعيدهم آخرا * قال أبو جعفر وأولى الاقوال فى تأويل ذلك بالصواب القول الذى قاله من قال معناه كما بدأكم الله خلقا بعد ان لم تكونوا شيأ تعودون بعد فنائكم خلقا مثله يحشركم الى يوم القيامة لان الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم ان يعلم بما فى هذه الآية قوما مشركين أهل جاهلية لا يؤمنون بالمعاد ولا يصدقون بالقيامة فأمرهم ان يدعوهم الى الاقرار بان الله باعثهم يوم القيامة ومثيب من أطاعه ومعاقب من عصاه فقال لهم قل أمر ربى بالقسط وأن أقيموا وجوهكم عند كل مسجد وأن ادعوه مخلصين له الدين وان أقروا بأن كما بدأكم تعودون فترك ذكر وان أقروا بأن كما ترك ذكر ان مع أقيموا اذ كان فيما ذكر دلالة على ما حذف منه واذ كان ذلك كذلك فلا وجه لان يؤمر بدعاء من كان جاحدا النشور بعد الممات الى الاقرار بالصفة التى عليها ينشر من نشر وانما يؤمر بالدعاء الى ذلك من كان بالبعث مصدقا فأما من كان له جاحدا فانما يدعى الى الاقرار به ثم يعرف كيف شرائط البعث على ان فى الخبر الذى روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى حدثناه محمد بن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد قال ثنا سفيان قال ثنى المغيرة بن النعمان عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يحشر الناس عراة غرلا وأول من يكسى ابراهيم صلى الله عليه وسلم ثم قرأ كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين حدثنا ابن بشار قال ثنا اسحق بن يوسف قال ثنا سفيان عن المغيرة بن النعمان عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم بنحوه حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن المغيرة بن النعمان عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال يا أيها الناس انكم تحشرون الى الله حفاة غرلا كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين ما يبين صحة القول الذى قلنا فى ذلك من ان معناه ان الخلق يعودون الى الله يوم القيامة خلقا أحياء كما بدأهم فى الدنيا خلقا أحياء يقال منه بدأ الله الخلق يبدؤهم وأبداهم يبديهم ابداء بمعنى خلقهم لغتان فصيحتان ثم ابتدأ الخبر جل ثناؤه عما سبق من علمه فى خلقه وجرى به فيهم قضاؤه فقال هدى الله منهم فريقا فوفقهم لصالح الاعمال فهم مهتدون وحق على فريق منهم الضلالة عن الهدى والرشاد باتخاذهم الشيطان من دون الله وليا واذا كان التأويل

والملكوت فان قيل كيف يعقل حصول الايام قبل خلق الشمس التى نيط تقدير الازمنة بطلوعها وغروبها فالجواب ان المراد خلق السموات والارض فى مقدار ستة أيام كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا والمراد مقدار البكرة والعشى فى الدنيا لانه لا صباح عند الله ولا مساء وعن ابن عباس ان هذه الايام أيام الآخرة كل يوم ألف سنة مما تعدون والاكثرون على انها أيام الدنيا لان التعريف بها يقع والظاهر انها الايام بلياليها لا النهار ونقول يمكن ان تحمل الايام الستة على الاطوار الستة التى للاجسام الهيولى والصورة والجسم البسيط ثم المركب المعدنى والنباتى والحيوانى والله تعالى أعلم بمراده أما قوله سبحانه ثم استوى على العرش فحمل بعضهم الاستواء على الاستقرار وزيف بوجوه عقلية ونقلية منها ان استقراره على العرش يستلزم تناهيه من الجانب الذى يلى العرش وكل ما هو متناه فاختصاصه بذلك الحد المعين يستند لا محالة الى محدث مخصص فلا يكون واجبا ولقائل ان يقول لم لا يجوز أن يكون الاله تعالى نورا غير متناه ويراد استقراره على العرش بلا تناهيه احاطته به من الجوانب ونفوذه فى الكل لا كاحاطة الفلك الحاوى بالمحوى ولا كنفوذ النور المحسوس فى المشف بل على نحو آخر تعوزه العبارة ومنها انه تعالى لو كان فى مكان وجهة لكان اما أن يكون غير متناه من كل الجهات أو متناهيا من بعضها دون بعض وعلى الاول يلزم اختلاطه بجميع الاجسام حتى القاذورات ومع ذلك فالشئ الذى محل السموات اما أن يكون عين الشئ الذى هو محل الارض أو غيره وعلى الاول يلزم ان يكون السماء والارض حالين فى محل واحد فيهما شئ واحد لا شيئان وعلى الثانى يلزم التركيب والتجزئة فى ذاته تعالى وأما اذا كان متناهيا من الجهات فلو حصل فى جميع الاحياز

هذا كان الفريق الاول منصوبا باعمال هدى فيه والفريق الثاني بوقوع قوله حق على عائد ذكره في عليهم كما قال جل ثناؤه يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهم عذابا أليما ومن وجه تأويل ذلك الى انه كما بدأكم في الدنيا صنفين كافرا ومؤمنا كذلك تعودون في الآخرة فريقين فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة نصب فريقا الاول بقوله تعودون وجعل الثاني عطفا عليه وقد بينا الصواب عندنا من القول فيه ❁ القول في تأويل قوله (انهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون انهم مهتدون) يقول تعالى ذكره ان الفريق الذي حق عليهم الضلالة انما ضلوا عن سبيل الله وجاروا عن قصد المحجة باتخاذهم الشياطين نصراء من دون الله وظهراء جهلا منهم بخطأ ما هم عليه من ذلك بل فعلوا ذلك وهم يظنون انهم على هدى وحق وان الصواب ما أتوه وركبوا وهذا من أبين الدلالة على خطأ قول من زعم ان الله لا يعذب أحدا على معصية ركبها أو ضلالة اعتقدها الا أن يأتيها بعد علم منه بصواب وجهها فيركبها عنادا منه لربه فيها لان ذلك لو كان كذلك لم يكن بين فريق الضلالة الذي ضل وهو يحسب انه هاد وفريق الهدى فرق وقد فرق الله بين أسمائهما وأحكامهما في هذه الآية ❁ القول في تأويل قوله (يابني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين) يقول تعالى ذكره لهؤلاء الذين يتعرون عند طوافهم ببيته الحرام ويبدون عوراتهم هنالك من مشركي العرب والمحرمين منهم أكل ما لم يحرمه الله عليهم من حلال رزقه تبررا عند نفسه لربه يابني آدم خذوا زينتكم من الكساء واللباس عند كل مسجد وكلوا من طيبات ما رزقتكم وحللته لكم واشربوا من حلال الاشربة ولا تحرموا الا ما حرمت عليكم في كتابي أو على لسان رسولي محمد صلى الله عليه وسلم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا يحيى بن حبيب بن عربي قال ثنا خالد بن الحرث قال ثنا شعبة عن سلمة عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان النساء كن يطفن بالبيت عراة وقال في موضع آخر بغير ثياب الا أن تجعل المرأة على فرجها خرقة فيما وصف ان شاء الله وتقول

اليوم يبدو بعضه أو كله ❁ فما بدا منه فلا أحله

قال فنزلت هذه الآية خذوا زينتكم عند كل مسجد حدثنا عمرو بن علي قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن سلمة بن كهيل عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كانوا يطوفون عراة الرجال بالنهار والنساء بالليل وكانت المرأة تقول

اليوم يبدو بعضه أو كله ❁ فما بدا منه فلا أحله

فقال الله خذوا زينتكم حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن عمرو عن ابن عباس خذوا زينتكم عند كل مسجد قال الثياب حدثنا ابن وكيع قال ثنا غندر ووهب بن جرير عن شعبة عن سلمة بن كهيل قال سمعت مسلما البطين يحدث عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كانت المرأة تطوف بالبيت عريانة قال غندر وهي عريانة قال وهب كانت المرأة تطوف بالبيت وقد أخرجت صدرها وما هنالك قال غندر وتقول من يعيرني تطوافا تجعله على فرجها وتقول

اليوم يبدو بعضه أو كله ❁ وما بدا منه فلا أحله

فانزل الله يابني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله يابني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد قال كانوا

يطوفون

فهو محال بالبديهة وان حصل في حيز واحد فلو كان جوهرا فردا لزم ان يكون واجب الوجود احقر الاشياء والا لزم التبعيض لان جهة الفوق منه تكون مغايرة لمقابلها وكذا الكلام فيه ان كان متناهيا من بعض الجهات ولو جاز ان يكون الشيء المحدود من جانب أو جوانب قديما أزليا فاعلا للعالم فلم لا يجوز ان يقال فاعل العالم هو (١٠٨) الشمس والقمر أو كوكب آخر وأيضا يصح على الشق المتناهي ان يكون غير متناه وعلى غير المتناهي ان يكون متناهيا لان الاشياء المتساوية في تمام الماهية كل ما صح على واحد منها صح على الباقي فيصح النمو والذبول والزيادة والنقصان والتفريق والتمزق على ذاته تعالى فيكون ممكنا محدثا لا واجبا قديما ولقائل ان يقول انه غير متناه ولا يلزم من ذلك ان يكون محلا للعالم ولا حالا فيه واستصحاب الشيء للمحل غير كونه نفس المحل أو مفتقرا الى المحل وحديث اختلاطه بالقاذورات تخييل لا أصل له عند الرجل البرهاني ومنها انه لو كان الباري تعالى أزليا ومحال ان يكون ماسوى الواجب أزليا وان لم يكن موجودا لزم كون العدم المحض ظرفا لغيره ومشارا اليه بالحس وذلك باطل واعترض بان ذلك أيضا وارد عليكم في قولكم الجسم حاصل في الحيز والجهة وأجيب بان مكان الجسم عندنا عبارة عن السطح الظاهر من الجسم المحوي وهذا المعنى بالاتفاق في حق الله محال فسقط الاعتراض ولقائل ان يقول الجهة مقطع الاشارة الحسية وهذا في حقه محال لعدم تناهيه ولم لا يجوز ان يكون المكان خلاء فلا يلزم تداخل البعدين ولو لزم هنالك لزم في الاجسام أيضا بل لا بعد هنالك ولا امتداد ولو فرض فلا يلزم منه الانقسام في الخارج ومنها انه لو امتنع وجود الباري تعالى بحيث لا يكون مختصا بالحيز والجهة لكانت ذاته مفتقرة في تحققها ووجودها الى غيره فيكون ممكنا والجواب ما مر من أن استصحاب المكان لا يوجب الافتقار اليه ومنها ان الحيز والجهة لا معنى له الا الفراغ المحض ولان هذا المفهوم واحد فالاحياز بأسرها متساوية في تمام الماهية فلو اختص ذاته تعالى بحيز معين لكان اختصاصه به لمخصص مختار وكل ما كان فعل الفاعل المختار فهو محدث وكل ما لا يخلو عن الحادث فهو أولى بالحدوث فالواجب محدث هذا خلف ولقائل ان يقول لما لا يتناهى

يطوفون بالبيت عراة فأمرهم الله أن يلبسوا ثيابهم ولا يتعروا حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله خذوا زينتكم عند كل مسجد الآية قال كان رجال يطوفون بالبيت عراة فأمرهم الله بالزينة والزينة اللباس وهو ما يوارى السوأة وما سوى ذلك من جيد البز والمتاع فأمروا أن يأخذوا زينتهم عند كل مسجد حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربي وابن فضيل عن عبد الملك عن عطاء خذوا زينتكم قال كانوا يطوفون بالبيت عراة فأمروا أن يلبسوا ثيابهم حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم عن عبد الملك عن عطاء بنحوه حدثني عمرو قال ثنا يحيى قال ثنا عبد الملك عن عطاء في قوله خذوا زينتكم عند كل مسجد البسوا ثيابكم حدثنا يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن ابراهيم في قوله خذوا زينتكم عند كل مسجد قال كان ناس يطوفون بالبيت عراة فنهوا عن ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن مغيرة عن ابراهيم خذوا زينتكم عند كل مسجد قال كانوا يطوفون بالبيت عراة فأمروا أن يلبسوا الثياب حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن يمان عن عثمان بن الاسود عن مجاهد خذوا زينتكم عند كل مسجد قال ما وارى العورة ولو عباءة حدثنا عمرو قال ثنا يحيى بن سعيد وأبو عاصم وعبد الله عن داود عن عثمان بن الاسود عن مجاهد في قوله خذوا زينتكم عند كل مسجد قال ما يوارى عورتك ولو عباءة حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله خذوا زينتكم عند كل مسجد في قريش لتركهم الثياب في الطواف حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بنحوه حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي قال ثنا سفيان عن سالم عن سعيد بن جبير خذوا زينتكم عند كل مسجد قال الثياب حدثنا ابن وكيع قال ثنا زيد بن حباب عن ابراهيم عن نافع عن ابن طاوس عن أبيه خذوا زينتكم عند كل مسجد قال الشملة من الزينة حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن عمرو عن طاوس خذوا زينتكم عند كل مسجد قال الثياب حدثنا ابن وكيع قال ثنا سويد وأبو اسامة عن حماد بن زيد عن أيوب عن سعيد بن جبير قال كانوا يطوفون بالبيت عراة فطافت امرأة بالبيت وهي عريانة فقالت

اليوم يبدو بعضه أو كله * فما بدا منه فلا أحله

حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله خذوا زينتكم عند كل مسجد قال كان حي من أهل اليمن كان أحدهم اذا قدم حاجا أو معتمرا يقول لا ينبغي أن أطوف في ثوب قد دنست فيه فيقول من يعيرني مئزرا فان قدر على ذلك والا طاف عريانا فأنزل الله فيه ما تسمعون خذوا زينتكم عند كل مسجد حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي قال الله يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد يقول ما يوارى العورة عند كل مسجد حدثني محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الزهري أن العرب كانت تطوف بالبيت عراة الا الحمس قريش وأحلافهم فمن جاء من غيرهم وضع ثيابه وطاف في ثياب أحمس فانه لا يحل له أن يلبس ثيابه فان لم يجد من يعيره من الحمس فانه يلقي ثيابه ويطوف عريانا وان طاف في ثياب نفسه ألقاها اذا قضى طوافه يحرمها فيجعلها حراما عليه فلذلك قال الله خذوا زينتكم عند كل مسجد وبه عن معمر قال قال ابن طاوس عن أبيه الشملة من الزينة حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت

لا يعقل له حيز معين ولو فرض لا تناهي الاحياز أيضا فافتقاره اليها نوع وكيف يفتقر الشيء الى ما تأخر وجوده عن وجوده فان الشيء والمعية بعد ذلك لا تضر ومنها لو كان في الحيز والجهة لكان مشارا اليه بالحس ثم ان كان قابلا للقسمة لزم التجزي والا لكان نقطة أو جوهرا فردا فلا يبعد أن يقال ان اله العالم جزء من ألف جزء من رأس ابرة ملتصقة بذنب قملة أو نملة ولقائل (١٠٩) أن يقول لا نسلم أن كونه مع الحيز من جميع الجهات المفروضة يستلزم كونه مشارا اليه حسا فان العقل يعجز عن ادراكه فضلا عن الحس وباقي الكلام لا يستحق الجواب ومنها كل ذات قائمة بالنفس يشار اليها بحسب الحس فلا بد أن يكون جانب يمينه مغايرا لجانب شماله فيكون منقسما وكل منقسم مفتقر ممكن قالوا هذا الدليل مبني على نفي الجوهر الفرد ومنها لو كان في حيز لكان اما أعظم من العرش أو مساويا أو أصغر منه والثالث باطل بالاجماع والاولان يستلزمان الانقسام لان المساوي للمنقسم منقسم وكذا الزائد عليه لان القدر الذي فضل عليه مغاير لما ساواه ولقائل أن يقول لا نسبة بين الجسم وبين نور الانوار وتحصيل هذه التقادير ومنها انه لو فرض كونه تعالى غير متناه من جميع الجهات كما زعمه الخصم لزم لا تناهي الابعاد وانه محال ببرهان تناهي الابعاد ولقائل أن يقول ان براهين تناهي الابعاد لا نسلم ولو سلم فلا بعد فيما وراء العالم الجسماني ولا امتداد ومنها انه سبحانه لو كان حاصلا في الحيز وكونه هنالك اما أن يمنع من حصول جسم آخر فيه أو لم يمنع وعلى الاول كان تعالى مساويا لجميع الاجسام في هذا المعنى ثم انه ان لم يحصل بينه وبينها مخالفة بوجه آخر صح عليه التغيرات وانه محال وان حصل بينه وبينها مخالفة من سائر الوجوه كان ما به المشاركة مغايرا لما به المخالفة فيكون الواجب مركبا بل ممكنا وأيضا ان ما به المشاركة وهو طبيعة البعد والامتداد اما أن يكون محلا لما به المخالفة أو حالا فيه أو لا هذا ولا ذاك فان كان محلا له كان البعد جوهرا قائما بنفسه والامور التي بها حصلت المغايرة أعراضا وصفات واذا كانت الذوات متساوية في تمام الماهية وكل ما يصح على بعضها يصح على البواقي وكل ما يصح على بعض الاجسام من التفرق والتمزق والذبول والعفونة والفساد يصح على ذاته تعالى

أبامعاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله خذوا زينتكم عند كل مسجد الآية كان ناس من أهل اليمن والاعراب اذا حجوا البيت يطوفون به عراة ليلا فأمرهم الله ان يلبسوا ثيابهم ولا يتعروا في المسجد حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد خذوا زينتكم قال زينتهم ثيابهم التي كانوا يطرحونها عند البيت ويتعرون وحدثني به مرة أخرى باسناده عن ابن زيد في قوله قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قال كانوا اذا جاؤا البيت فطافوا به حرمت عليهم ثيابهم التي طافوا فيها فان وجدوا من يعيرهم ثيابا والا طافوا بالبيت عراة فقال من حرم زينة الله قال ثياب الله التي أخرج لعباده الآية وكالذي قلنا أيضا قالوا في تأويل قوله وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس قال أحل الله الاكل والشرب مالم يكن سرفا أو مخيلة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس قوله وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين في الطعام والشراب حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي قال كان الذين يطوفون بالبيت عراة يحرمون عليهم الودك ما أقاموا بالموسم فقال الله لهم كلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين يقول لا تسرفوا في التحريم حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعيد قال سمعت مجاهدا يقول في قوله وكلوا واشربوا ولا تسرفوا قال أمرهم ان يأكلوا ويشربوا مما رزقهم الله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولا تسرفوا قال لا تأكلوا حراما ذلك الاسراف وقوله انه لا يحب المسرفين يقول ان الله لا يحب المعتدين حده في حلال أو حرام الغالين فيما أحل الله أو حرم باحلال الحرام وبتحريم الحلال ولكنه يحب ان يحلل ما أحل ويحرم ما حرم وذلك العدل الذي أمر به ۞ القول في تأويل قوله (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء الجهلة من العرب الذين يتعرون عند طوافهم بالبيت ويحرمون على أنفسهم ما أحللت لهم من طيبات الرزق من حرم أيها القوم عليكم زينة الله التي خلقها لعباده ان يتزينوا بها ويتجملوا بلباسها والحلال من رزق الله الذي رزق خلقه لمطاعمهم ومشاربهم * واختلف أهل التأويل في المعني بالطيبات من الرزق بعد اجماعهم على ان الزينة ما قلنا فقال بعضهم الطيبات من الرزق في هذا الموضع اللحم وذلك انهم كانوا لا يأكلونه في حال احرامهم ذكر من قال ذلك منهم حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي في قوله قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق وهو الودك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق الذي حرموا على أنفسهم قال كانوا اذا حجوا واعتمروا حرموا الشاة عليهم وما يخرج منها وحدثني به يونس مرة أخرى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله قل من حرم زينة الله الى آخر الآية قال كان قوم يحرمون ما يخرج من الشاة لبنها وسمنها ولحمها فقال الله قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قال والزينة من الثياب حدثني المثنى قال ثنا حبان بن موسى قال أخبرنا ابن المبارك عن سفيان عن رجل عن الحسن قال لما بعث الله محمدا فقال هذا نبيي هذا خياري استنوا به خذوا في سنته وسبيله لم

وان كان ما به المخالفة محلا وذوات وما به المشاركة حالا وصفة فذلك المحل ان كان له أيضا اختصاص بحيز وجهة فيجب افتقاره الى محل آخر لا الى نهاية والا كان موجودا مجردا فلا يكون بعدا وامتدادا هذا خلف وان لم يكن حالا ولا محلا كان أجنبيا مباينا فتكون ذات الله تعالى مساويا لتمام الاجسام في الماهية ويصح عليها هذا (١١٠) محال وعلى التقدير الثاني وهو ان ذاته تعالى لا يمنع من حصول جسم آخر في حيزه ان سريانه في ذلك الجسم وتداخل البعدين كما مر والكل محال فالمقدم وهو كونه تعالى في حيز محال ولقائل ان يقول كون البارئ تعالى مع الحيز مغاير لكون الجسم في الحيز فاين الاشتراك ولو سلم فالاشتراك في اللوازم لا يوجب الاشتراك في الملزومات فمن أين يلزم التركيب قوله فان كان محلا له كان البعد جوهرا قائما بنفسه قلنا كون البعد جوهرا قائما بنفسه حق ولكن الملازمة ممنوعة وكذا قوله الامور التي بها حصلت المخالفة اعراض وصفات لجواز قيام العرض بالعرض كالبطء والسرعة القائمين بالحركة قوله والا كان موجودا مجردا فلا يكون بعدا ممنوع لما قلنا من احتمال وجود بعد مجرد بلا وجوبه والكلام في سريانه في الموجودات قدمر ومنها لو انه كان في حيز فان أمكنه التحرك منه بعد سكونه فيه كان المؤثر في حركته وسكونه فاعلا مختارا وكل فعل للفاعل مختار فهو محدث ومالا يخلو عن المحدث أولى بان يكون محدثا وان لم يمكنه التحرك منه كان كالزمن المقعد العاجز وذلك محال وأيضا لا يبعد فرض أجسام أخرى مختصة باحياز معينة بحيث يمتنع خروجها عنها فلا يمكن اثبات حدوث الاجسام بدليل الحركة والسكون والكرامية يساعدون على انه كفر ولقائل ان يقول ان الحركة والسكون من خواص الاجسام المفتقرة الى احياز فاما النور المجرد فلا يوصف بالحركة والسكون وان كان مع الحيز والتحيز سلمنا وجوب اتصافه باحدهما لكنه لا يجوز ان لا يمكنه التحرك لا لكونه زمنا مقعدا ولكن لانه نور غير متناه لا يصح وصفه بالتخلخل ونحو ذلك فتستحيل عليه الحركة لانها موقوفة على شغل حيز وتفريغ حيز آخر ولان العالم النوراني الذي لا نهاية له مملوء منه فكيف يتصور خلوه عنه ومنها انه لو كان

تغلق دونه الابواب ولم تقم دونه الحجبة ولم يغد عليه بالجفان ولم يرجع عليه بها وكان يجلس بالارض ويأكل طعامه بالارض ويلعق يده ويلبس الغليظ ويركب الحمار ويردف عبده وكان يقول من رغب عن سنتي فليس مني قال الحسن فما أكثر الراغبين عن سنته التاركين لها ثم ان علوجا فساقا أكلة الربا والغلول قد سفههم ربي ومقتهم زعموا ان لا بأس عليهم فيما أكلوا وشربوا وزخرفوا هذه البيوت يتأولون هذه الآية قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق وانما جعل ذلك لاولياء الشيطان قد جعلها ملاعب لبطنه وفرجه من كلام لم يحفظه سفيان * وقال آخرون بل عنى بذلك ما كانت الجاهلية تحرم من البحائر والسوائب ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق وهو ما حرم أهل الجاهلية عليهم من أموالهم البحيرة والسائبة والوصيلة والحام حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي عن ابن عباس قوله قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قال ان الجاهلية كانوا يحرمون أشياء أحلها الله من الرزق وغيرها وهو قول الله قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا وهو هذا فأنزل الله قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ۞ القول في تأويل قوله (قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة) يقول الله تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء الذين أمرتك أن تقول لهم من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق اذ عيوا بالجواب فلم يدروا ما يجيبونك زينة الله التي أخرج لعباده وطيبات رزقه للذين صدقوا الله ورسوله واتبعوا ما أنزل اليك من ربك في الدنيا وقد شركهم في ذلك فيها من كفر بالله ورسوله وخالف أمر ربه وهي للذين آمنوا بالله ورسوله خالصة يوم القيامة لا يشركهم في ذلك يومئذ أحد كفر بالله ورسوله وخالف أمر ربه وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة يقول شارك المسلمين الكفار في الطيبات فأكلوا من طيبات طعامها ولبسوا من خيار ثيابها ونكحوا من صالح نسائها وخلصوا بها يوم القيامة وحدثني به المثنى مرة أخرى بهذا الاسناد بعينه عن ابن عباس فقال قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا يعني يشارك المسلمون المشركين في الطيبات في الحياة الدنيا ثم يخلص الله الطيبات في الآخرة للذين آمنوا وليس للمشركين فيها شيء حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قال قال الله لمحمد صلى الله عليه وسلم قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة يقول قل هي في الآخرة خالصة لمن آمن بي في الدنيا لا يشركهم فيها أحد وذلك ان الزينة في الدنيا لكل بني آدم فجعلها الله خالصة لاوليائه في الآخرة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سلمة بن نبيط عن الضحاك قل هي للذين آمنوا خالصة يوم القيامة قال اليهود والنصارى يشركونكم فيها في الدنيا وهي للذين آمنوا خالصة يوم القيامة حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة خالصة للمؤمنين في الآخرة لا يشاركهم فيها الكفار فأما في الدنيا فقد شاركوهم حدثنا بشر بن معاذ

مختصا بحيز فان كان لطيفا كالماء والهواء كان قابلا للتفرق والتمزق وان كان صلبا كان اله العالم جبلا واقفا في الحيز العالي وان كان نورا محضا جاز أن تغرض هذه الانوار التي تشرق على الجدران الها وأيضا ان كان له طرف وحد فان كان ذا عمق وثخن كان باطنه غير ظاهره والا كان سطحا في غاية الرقة مثل قشرة الثوم بل أرق منه ألف ألف مرة قلت ان أمثال هذه الكلمات لا تصدر الا عمن لا يفرق بين النور المعقول والنور المحسوس والجوهر المجرد والجوهر المادي والشيء القائم بذاته والمفتقر الى غيره ومن العجب العجاب ان هذا المستدل قد سمع من جمهور العقلاء ان الاجرام الفلكية لا تطلق عليها الصلابة واذا جاز أن يكون في أنواع الاجسام نوع لا يمكن ان يتصف بهذين المتقابلين لان ذلك الموضع أجل وأشرف من ان يتصف بأحدهما فلم لا يجوز أن يكون فيما هو أشرف من ذلك النوع شيء لا يتصف بهما ومنها لو كان اله العالم فوق العرش لكان مماسا للعرش أو مباينا له ببعد متناه أو غير متناه وعلى الاول فان لم يكن له ثخن فالمماس مغاير لغير المماس ويلزم تركيبه وان كان مباينا ببعد متناه فلا يمتنع أن يرتفع العالم من حيزه الى أين ينتهي ويعود الالزام المذكور وان كان مباينا ببعد غير متناه لزم أن يكون غير المتناهي محصورا بين الحاصرين وللقائل ان يقول المباينة والمماسة من خواص الاجسام وانه تعالى نور مجرد محض فلا يصلح عليه الاتصال والانفصال والتماس والتباين والتداخل وأشباه ذلك ومنها ان الاستقراء قد دل على ان الجرمية كلما كانت أقوى كانت الفاعلية والتأثير أضعف وبالعكس ولهذا كان تأثير الارض أقل من تأثير الماء وتأثير الماء من تأثير الهواء وتأثير الهواء من تأثير النار بالاحراق والطبخ وتأثير النار من تأثير الافلاك المؤثرة في العنصريات ثم انه لا قدرة ولا قوة أشد من قدرة الواجب لذاته فيكون بريا من الجسم والجرم والكثافة والرزانة قلت في الاستقراء نزاع انه صحيح تام أولا ولكن لا نزاع في أن واجب الوجود تعالى شأنه بريء عن الجسمية والكثافة وعن كل شيء يقدح في قيوميته وهذه حجج قد أوردت في سورة الانعام في تفسير قوله سبحانه وهو القاهر فوق عباده وقد عرفت ما عليها فهذه حجج عقلية تمسك بها الامام فخر الدين الرازي رضي

الله عنه فى تفسيره الكبير وقد أوردنا عليها ما كانت ترد من المنوع والاعتراضات لا لاعتقاد التشبيه والتجسيم أو تقليد الاولين الاقوام بل تشحيذا للذهن وتقربا الى المعارف والحقائق وجذبا بالضبع المتأمل فى المضايق والمزالق فليختر المنصف ما أراد والله الموفق للرشاد ولعل هذا المقام مما لا يكشف المقال عنها غير الخيال والله أعلم (١١٢) بحقيقة الحال ثم قال رضى الله عنه وأما الدلائل السمعية فكثيرة منها قوله تعالى

قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة من عمل بالايمان فى الدنيا خلصت له كرامة الله يوم القيامة ومن ترك الايمان فى الدنيا قدم على ربه لا عذر له حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا يشترك فيها معهم المشركون خالصة يوم القيامة للذين آمنوا حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة يقول المشركون يشاركون المؤمنين فى الدنيا فى اللباس والطعام والشراب ويوم القيامة يخلص اللباس والطعام والشراب للمؤمنين وليس للمشركين فى شئ من ذلك نصيب حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال الدنيا يصيب منها المؤمن والكافر ويخلص خير الآخرة للمؤمنين وليس للكافر فيها نصيب حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة قال هذه يوم القيامة للذين آمنوا لا يشركهم فيها أهل الكفر ويشركونهم فيها فى الدنيا واذا كان يوم القيامة فليس لهم فيها قليل ولا كثير وقال سعيد بن جبير فى ذلك بما حدثنا ابن وكيع قال ثنا اسمعيل بن أبان وحوبة الرازى أبو يزيد عن يعقوب القمى عن سعيد بن جبير قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة قال ينتفعون بها فى الدنيا ولا يتبعهم اثمها واختلفت القراء فى قراءة قوله خالصة فقرأ ذلك بعض قراء المدينة خالصة برفعها بمعنى قل هى خالصة للذين آمنوا وقرأه سائر قراء الامصار خالصة بنصبها على الحال من لهم وقد ترك ذكرها من الكلام اكتفاء منها بدلالة الظاهر عليها على ما قد وصفت فى تأويل الكلام ان معنى الكلام قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا مشتركة وهى لهم فى الآخرة خالصة ومن قال ذلك بالنصب جعل خبر هى فى قوله للذين آمنوا قال أبو جعفر وأولى القراءتين عندى بالصحة قراءة من قرأ نصبا لايثار العرب النصب فى الفعل اذا تأخر بعد الاسم والصفة وان كان الرفع جائزا غير ان ذلك أكثر فى كلامهم ۞ القول فى تأويل قوله (كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون) يقول تعالى ذكره كما بينت لكم الواجب عليكم فى اللباس والزينة والحلال من المطاعم والمشارب والحرام منها وميزت بين ذلك لكم أيها الناس كذلك أبين جميع أدلتى وحججى وأعلام حلالى وحرامى وأحكامى لقوم يعلمون ما تبين لهم ويفقهون ما تميز لهم ۞ القول فى تأويل قوله (قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحق) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يتجردون من ثيابهم للطواف بالبيت ويحرمون أكل طيبات ما أحل الله لهم من رزقه أيها القوم ان الله لم يحرم ما تحرمونه بل أحل ذلك لعباده المؤمنين وطيبه لهم وانما حرم ربى القبائح من الاشياء وهى الفواحش ما ظهر منها فكان علانية وما بطن منها فكان سرا فى خفاء وقد روى عن مجاهد فى ذلك ما حدثنى الحرث قال ثنى عبد العزيز قال ثنا أبو سعيد قال سمعت مجاهدا يقول فى قوله ما ظهر منها وما بطن قال ما ظهر منها طواف أهل الجاهلية عراة وما بطن الزنا وقد ذكرت اختلاف أهل التأويل فى تأويل ذلك بالروايات فيما مضى فكرهت اعادته وأما الاثم فانه المعصية والبغى الاستطالة على الناس يقول تعالى ذكره انما حرم ربى الفواحش مع الاثم والبغى على الناس وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن

الحسين

قل هو الله أحد والاحد مبالغة فى كونه واحدا والذى يمتلئ منه العرش ويفضل العرش يكون مركبا من أجزاء وذلك ينافى كونه أحدا وأجيب بأنه ذات واحدة حصلت فى كل الاحياز دفعة واحدة وزيف من هذا المعلوم الفساد بالضرورة ولو جاز ذلك فلم لا يجوز ان يقال جميع الارض الى ما تحت الثرى جوهر واحد وموجود واحد الا أن ذلك الجزء الذى لا يتجزأ حصل فى جملة الاحياز فظن أنه أشياء كثيرة قلت وهذه مغالطة فان هذا الجزء الذى لا يتجزأ لصغره غير الشئ الذى لا يقبل التجزئة والانقسام لذاته وأيضا المتحيز الذى له مقدار ذراع لا يشغل بالبديهة حيزين كل منهما ذراع فى ذراع فلزم منه ان لا يشتغل ذينك الحيزين متحيز مقداره ضعف ذلك على ان الحق ما عرفت مرارا ان نور الانوار قيوم فى ذاته حاصل فى جميع الاشياء لا منفصل عنها انفصال المحيط عن المحاط ولا متصل بها اتصال العرض السارى فى الاجسام ولهذا لا يلزمه بانقسامها الانقسام ومنها قوله ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ويلزم منه ان يكون حامل العرش حاملا للاله والجواب أنك ان سميت المعية حملا فلا نزاع ومنها قوله والله الغنى فوجب ان يكون غير مفتقر الى المكان والجهة والجواب ان الاستصحاب غير الافتقار ومنها ان فرعون طلب حقيقة الاله فى قوله وما رب العالمين ولم يزد موسى على ذكر الاوصاف وأما فرعون فقد طلب الاله فى السماء قوله فاطلع الى اله موسى فعلمنا ان التنزيه دين موسى ووصفه بالمكان والحيز دين فرعون والجواب لا نزاع فى ان حقيقة ذاته كما هى لا يعلمها الا هو والبسائط المحضة لا تعرف الا بلوازمها وطلب فرعون انما كان مذموما لانه تصور ان يكون الاله شخصا مثله على تقدير وجوده لقوله ما علمت لكم

الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى والاثم والبغى اما الاثم فالمعصية والبغى أن يبغى على الناس بغير الحق حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعيد قال سمعت مجاهدا فى قوله ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى قال نهى عن الاثم وهى المعاصى كلها وأخبر ان الباغى بغيه كائن على نفسه

۞ القول فى تأويل قوله (وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله ما لا تعلمون) يقول جل ثناؤه انما حرم ربى الفواحش والشرك به ان تعبدوا مع الله الها غيره ما لم ينزل به سلطانا يقول حرم ربكم عليكم ان تجعلوا معه فى عبادته شركاء لشئ لم يجعل لكم فى اشراككم اياه فى عبادته حجة ولا برهانا وهو السلطان وان تقولوا على الله ما لا تعلمون يقول وان تقولوا ان الله أمركم بالتعرى والتجرد للطواف بالبيت وحرم علينا أكل هذه الانعام التى حرمتموها وسيبتموها وجعلتموها وصائل وحوام وغير ذلك مما لا تعلمون ان الله حرمه أو أمر به أو أباحه فتضيفوا الى الله تحريمه وحظره والامر به فان ذلك هو الذى حرمه الله عليكم دون ما تزعمون ان الله حرمه أو تقولون ان الله أمركم به جهلا منكم بحقيقة ما تقولون وتضيفونه الى الله

۞ القول فى تأويل قوله (ولكل أمة أجل فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) يقول تعالى ذكره تهددا للمشركين الذين أخبر جل ثناؤه عنهم انهم كانوا اذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها ووعيدا منه لهم على كذبهم عليه وعلى اصرارهم على الشرك به والمقام على كفرهم ومذكرا لهم ما أحل بامثالهم من الامم الذين كانوا قبلهم ولكل أمة أجل يقول ولكل جماعة اجتمعت على تكذيب رسل الله ورد نصائحهم والشرك بالله مع متابعة ربهم حججه عليهم أجل يعنى وقت لحلول العقوبات بساحتهم ونزول المثلات بهم على شركهم فاذا جاء أجلهم يقول فاذا جاء الوقت الذى وقته الله لهلاكهم وحلول العقاب بهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون يقول لا يتأخرون بالبقاء فى الدنيا ولا يمتعون بالحياة فيها عن وقت هلاكهم وحين حلول أجل فنائهم ساعة من ساعات الزمان ولا يستقدمون يقول ولا يتقدمون بذلك أيضا عن الوقت الذى جعله الله لهم وقتا للهلاك

۞ القول فى تأويل قوله (يا بنى آدم اما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) يقول تعالى ذكره معرفا خلقه ما أعد لحزبه وأهل طاعته والايمان به وبرسوله وما أعد لحزب الشيطان وأوليائه والكافرين به وبرسله يا بنى آدم اما يأتينكم رسل منكم يقول ان يجئكم رسلى الذين أرسلهم اليكم بدعائكم الى طاعتى والانتهاء الى أمرى ونهيى منكم يعنى من أنفسكم ومن عشائركم وقبائلكم يقصون عليكم آياتى يقول يتلون عليكم آيات كتابى و يعرفونكم أدلتى واعلامى على صدق ما جاؤكم به من عندى وحقيقة ما دعوكم اليه من توحيدى فمن اتقى وأصلح يقول فمن آمن منكم بما أتاه به رسلى مما قص عليه من آياتى وصدق واتقى الله فخافه بالعمل بما أمره به والانتهاء عما نهاه عنه على لسان رسوله وأصلح يقول وأصلح أعماله التى كان لها مفسدا قبل ذلك من معاصى الله بالتوب منها يقول فلا خوف عليهم يوم القيامة من عقاب الله اذا وردوا عليه ولا هم يحزنون على ما فاتهم من دنياهم التى تركوها وشهواتهم التى تجنبوها اتباعا منهم لنهى الله عنها اذا عاينوا من كرامة الله ما عاينوا هنالك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا هشام أبو عبد الله قال ثنا هياج قال ثنا عبد الرحمن بن زياد عن أبى سيار السلمى قال ان الله جعل آدم وذريته فى كفه فقال يا بنى آدم اما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى فمن اتقى وأصلح فلا

* من الغيرى ومنها هذه الآية لانها تدل على انه استقر على العرش بعد تخليق السموات والارض وكان قبل ذلك مضطربا والجواب المراد بالاستقرار انه كان ولم يكن معه شئ فاذا خلق ما خلق من عالم الاجسام والاختلاط بقى ماوراءه نورا محضا ومنها قصة ابراهيم وتبريه من الآفلين ولو كان جسما لكان آفلا فى أفق الامكان والجواب ان نور الانوار جل من ذلك ولا يلزم من كونه مع جميع الاحياز ومع ما سواها ان يكون فى مرتبة الاجسام بل النفوس والعقول ومنها ان أول الآية أعنى قوله ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض يدل على قدرته وحكمته وكذا قوله يغشى الليل والنهار الى آخر الآية فلو كان المراد من الاستواء هو الاستقرار كان أجنبيا عما قبله وعما بعده لانه ليس من صفات المدح اذ لو استقر عليه بق و بعوض صدق عليه انه استقر على العرش فاذن المراد بالاستواء كمال قدرته بزاء الملك والملكوت حتى تصير هذه الكلمة مناسبة لما قبلها ولما بعدها والجواب ان الاستقرار بالتفسير الذى ذكرناه أدل شئ على المدح والثناء وحديث البق والبعوض خراف وهل هو الا كقول القائل لو كان واجب الوجود بقا أو بعوضا صدق عليه انه اله فلا يكون الاله دالا على المدح ومنها انه سبحانه حكم فى آيات كثيرة بانه سماء لساكنى العرش لان السماء عبارة عن كل ما علا وسما ومن هذا قد يسمى السحاب سماء فيلزم ان يكون خالقا لنفسه والجواب بعد تسليم ان كل ما سما وارتفع فهو سماء من غير اعتبار انه نور أو جسم ان ذاته سبحانه مخصوصة بدليل منفصل كقوله الله خالق كل شئ هذا ولغير الموسومين بالمجسمة والمشبهة فى الآية قولان الاول القطع بكونه متعاليا عن المكان والجهة ثم الوقوف عن تأويل الآية وتفويض علمها الى الله والثانى الخوض فى التأويل وذلك من وجوه أحدها تفسير العرش بالملك والاستواء بالاستعلاء أى استعلى على الملك وثانيها ان استوى بمعنى استولى كقول الشاعر

قد استوى بشر على العراق * من غير سيف ودم مهراق

وثالثها ان العرش فى كلامهم هو السرير الذى يجلس عليه الملوك ثم جعل العرش كناية عن نفس الملك

خوف عليهم ولاهم يحزنون ثم نظر الى الرسل فقال يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا انى بما تعملون عليم وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون ثم نبهم فان قال قائل ماجواب قوله اما يأتينكم رسل منكم قيل قد اختلف أهل العربية فى ذلك فقال بعضهم فى ذلك الجواب مضمر يدل عليه ما ظهر من الكلام وذلك قوله فمن اتقى وأصلح وذلك لانه حين قال فمن اتقى وأصلح كانه قال فاطيعوهم وقال آخرون منهم الجواب فمن اتقى لان معناه فمن اتقى منكم وأصلح قال ويدل على ان ذلك كذلك تبعيضه الكلام فكان فى التبعيض اكتفاء من ذكر منكم ۞ القول فى تأويل قوله (والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) يقول جل ثناؤه واما من كذب بانباء رسلى التى أرسلتها اليه وجحد توحيدى وكفر بما جاء به رسلى واستكبر عن تصديق حججى وأدلتى فاولئك أصحاب النار هم فيها خالدون يقول هم فى نار جهنم ماكثون لايخرجون منها أبدا ۞ القول فى تأويل قوله (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أوكذب بآياته أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب) يقول تعالى ذكره فمن أخطأ فعلا وأجهل قولا وأبعد ذهابا عن الحق والصواب ممن افترى على الله كذبا يقول ممن اختلق على الله زورا من القول فقال اذا فعل فاحشة ان الله أمرنا بها أوكذب بآياته يقول أوكذب بادلته واعلامه الدالة على وحدانيته ونبوة أنبيائه فجحد حقيقتها ودافع صحتها أولئك يقول من فعل ذلك فافترى على الله الكذب وكذب بآياته أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب يقول يصل اليهم حظهم مما كتب الله لهم فى اللوح المحفوظ ثم اختلف أهل التأويل فى صفة ذلك النصيب الذى لهم فى الكتاب وما هو فقال بعضهم هو عذاب الله الذى أعده لاهل الكفر به ذكر من قال ذلك حدثنا يعقوب بن ابراهيم قال ثنا مروان عن اسمعيل بن أبى خالد عن أبى صالح قوله أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب أى من العذاب حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو اسامة عن اسمعيل ابن أبى صالح مثله حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب يقول ما كتب لهم من العذاب حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن كثير بن زياد عن الحسن فى قوله أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب قال من العذاب حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية عن جويبر عن أبى سهل عن الحسن قال من العذاب حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربى عن جويبر عن رجل عن الحسن قال من العذاب وقال آخرون معنى ذلك أولئك ينالهم نصيبهم مما سبق لهم من الشقاء والسعادة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن شريك عن سعيد أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب قال من الشقوة والسعادة حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب كشقى وسعيد حدثنا واصل بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن فضيل عن الحسن بن عمرو الفقمى عن الحكم قال سمعت مجاهدا يقول أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب قال هو ما سبق حدثنا المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب ما كتب لهم من الشقاوة والسعادة حدثنى المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ينالهم نصيبهم من الكتاب ما كتب عليهم من الشقاوة والسعادة كشقى وسعيد قال حدثنا ابن المبارك عن شريك عن جابر عن مجاهد عن ابن عباس

ويقال استوى على سرير ملكه اذا استقام له أمره واطرد وفى ضده خلا عرشه أى انتقص ملكه وفسد فالله تعالى دل على ذاته وصفاته وكيفية تدبيره للعالم بالوجه الذى ألفوه من ملوكهم ورؤسائهم استقرت عظمة الله تعالى فى قلوبهم الا ان ذلك مشروط بنفى التشبيه فاذا قال انه عالم فهموا منه انه تعالى لايخفى عليه شئ ثم علموا بعقولهم انه لم يحصل ذلك العلم بفكرة ورؤية ولا باشتغال خاصة واذا قال قادر علموا انه متمكن من ايجاد الكائنات وتكوين الممكنات ثم عرفوا انه غنى فى ذلك الايجاد والتكوين عن الآلات والادوات وسبق المادة والمدة والفكرة والروية وكذا القول فى كل من صفاته واذا أخبر ان له بيتا يجب على عباده حجه فهموا منه انه نصب موضعا يقصدونه لمآربهم وحوائجهم كما يقصدون بيوت الملوك والرؤساء لهذا المطلوب ثم علموا بعقولهم نفى التشبيه وانه لم يجعل ذلك البيت مسكنا لنفسه ولم ينتفع به لدفع الحر والبرد واذا أمرهم بتحميده وتمجيده فهموا منه انه أمرهم بنهاية تعظيمه ثم علموا انه لا يفرح بذلك التحميد والتمجيد ولايحزن بتركه والاعراض عنه واذا أخبر انه خلق السموات والارض ثم استوى على العرش فهموا منه انه بعد ان خلقها استوى على عرش الملك والجلال ومعنى التراخى انه يظهر تصرفه فى هذه الاشياء وتدبيره لها بعد خلقها لان تأثير الفاعل لا يظهر الا فى القابل وقال أبو مسلم العرش لغة هو البناء والعارش البانى قال تعالى ومن الشجر ومما يعرشون فالمراد انه بعد ان خلقها قصد الى تعريشها وتسطيحها وتشكيلها بالاشكال الموافقة لها قوله سبحانه يغشى الليل النهار قال صاحب الكشاف يلحق الليل بالنهار والنهار بالليل يحتملهما اللفظ جميعا وقال القفال لما أخبر بالاستواء على العرش وان أمر المخلوقات منوط بتدبيره ومشيئته أراهم ذلك عيانا فيما يشاهدونه لينضم العيان الى الخبر وقدم ذكر الليل والنهار لما فى تعاقبهما من المنافع الجليلة فبهما يتم أمر الحياة ثم وصف الحركة التى يحصلان منها بالسرعة حتى انها فى مقدار ما يقول واحد واحد يتحرك ألفا وسبعمائة واثنين وثلاثين فرسخا من مقعر فلكه والله أعلم بتحرك محدبه فان قيل ما محل الجملتين قلت اما

الاولى فستأنفة كأنه قيل فماذا يفعل بعد خلق السموات والارض فأجيب يغشي الليل النهار وعلى قول من يفسر الاستواء بالتدبير والتصرف
يحتمل ان تكون هذه الجملة مبينة واما الثانية ففي محل النصب على الحال من الملحق كان حثيثا منصوب على الحال من الطالب وهو الملحق بعينه
ثم قال والشمس والقمر والنجوم مسخرات من قرأها مرفوعات فعلى الابتداء والخبر وكلتا القراءتين حسنة لانك اذا قلت ضربت

أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب من الشقاوة والسعادة حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير وابن ادريس عن الحسن بن عمرو عن الحكم عن مجاهد أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب قال ماقد سبق من الكتاب حدثنا ابن وكيع قال ثنا حميد بن عبد الرحمن عن فضيل بن مرزوق عن عطية أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب قال ما سبق لهم في الكتاب قال ثنا سويد بن عمرو ويحيى بن آدم عن شريك عن سالم عن سعيد أولئك ينالهم نصيبهم قال من الشقاوة والسعادة قال حدثنا أبو معاوية عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال ما قضى أو قدر عليهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس ينالهم نصيبهم من الكتاب ينالهم الذي كتب عليهم من الاعمال حدثني عمرو بن عبد الحميد قال ثنا مروان بن معاوية عن اسمعيل بن سميع عن بكر الطويل عن مجاهد في قول الله أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب قال قوم يعملون أعمالا لا بد لهم ان يعملوها وقال آخرون معنى ذلك أولئك ينالهم نصيبهم من كتابهم الذي كتب لهم أو عليهم بأعمالهم التي عملوها في الدنيا من خير وشر ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب يقول نصيبهم من الاعمال من عمل خيرا جزي به ومن عمل شرا جزي به حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب قال من أحكام الكتاب على قدر أعمالهم حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب قال ينالهم نصيبهم في الآخرة من أعمالهم التي عملوا وسلفوا حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد عن سعيد عن قتادة قوله أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب أي أعمالهم أعمال السوء التي عملوها وسلفوها حدثني أحمد بن المقدام قال ثنا المعتمر قال قال أبي أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب زعم قتادة من أعمالهم التي عملوا حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمان عن الضحاك قوله أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب يقول ينالهم نصيبهم من العمل يقول ان عمل من ذلك نصيب خير جزي خيرا وان عمل شرا جزي مثله وقال آخرون معنى ذلك ينالهم نصيبهم مما وعدوا في الكتاب من خير أو شر ذكر من قال ذلك حدثنا علي بن سهل قال ثنا زيد بن أبي الزرقاء عن سفيان عن جابر عن مجاهد عن ابن عباس في هذه الآية أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب قال من الخير والشر قال حدثنا زيد عن سفيان عن منصور عن مجاهد قال ما وعدوا حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب قال ما وعدوا حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن سفيان عن منصور عن مجاهد أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب قال ما وعدوا فيه من خير أو شر قال حدثنا أبي سفيان عن جابر عن مجاهد عن ليث عن ابن عباس أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب قال ما وعدوا وامثاله حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربي عن جويبر عن الضحاك قال ما وعدوا فيه من خير أو شر حدثني المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب ما وعدوا ه حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد في قوله أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب قال ما وعدوا من خير أو شر حدثنا عمرو بن عبد الحميد قال ثنا مروان بن معاوية عن الحسن بن عمرو عن الحكم عن

زيدا استقام ان يقال زيد مضروب وقوله بامره متعلق بمسخرات أي خلقهن جاريات بمقتضى حكمته وتدبيره قال في الكشاف سمي ذلك أمرا على التشبيه كأنهن مأمورات بذلك ومنهم من حمل هذا الامر على الامر الذي هو الكلام وعلى هذا لا يبعد ان يكون بامره متعلقا بخلق بدأ بالشمس لانه سلطان الكواكب وثنى بالقمر لانه كالنائب وثلث بسائر النجوم لانها كالخدم فالشمس سلطان النهار والقمر سلطان الليل والشمس تأثيرها بالتسخين والقمر تأثيره في الترطيب وتوليده بخاصية عجيبة وتأثير غريب لا يعلمه بتمامه الا مبدعه وخالقه واعلم ان الاجسام متماثلة في الجسمية فاختصاص جرم الشمس بالنور القاهر والتسخين الشديد والتدبيرات العجيبة في العالم العلوي والسفلي وكذا تخصيص كل واحد من سائر السيارات والثوابت بقوة أخرى لا بد ان يستند الى فاعل حكيم قدير عليم فلهذا قال مسخرات بامره وأيضا ان لكل واحد من اجرام الشمس والقمر والكواكب سيرا خاصا من المشرق والمغرب وسيرا آخر قسريا بسبب حركة الفلك الاعظم فقوله يغشي الليل النهار تنبيه على ان حدوث الليل والنهار انما هو بحركة الفلك الاعظم المسمى بالعرش أودع في جرمه قوة قاهرة قاسرة باعتبارها قويت على تحريك ما دونه على خلاف طبعها من المشرق الى المغرب وأيضا ان أقسام الاجسام ثلاثة متحرك الى الوسط وهما العنصران الثقيلان ومتحرك عن الوسط وهما الخفيفان ومتحرك على الوسط وهي الاجرام الفلكية فكون الافلاك والكواكب متحركة بالاستدارة لا الى المركز ولا عن المركز لا يكون الا بتسخير الله تعالى ولاسيما أكثر الله سبحانه في كتابه الكريم من الاستدلال على العلم والقدرة والحكمة بأحوال السموات والارض وتعاقب الليل والنهار

مجاهد فى قول الله أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب قال ينالهم ما سبق لهم من الكتاب وقال آخرون معنى ذلك أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب الذى كتبه الله على من افترى عليه ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب يقول ينالهم ما كتب عليهم يقول قد كتب لمن يفترى على الله ان وجهه مسود وقال آخرون معنى ذلك أولئك ينالهم نصيبهم مما كتب لهم من الرزق والعمر والعمل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن سعد قال ثنا أبو جعفر عن الربيع بن أنس أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب مما كتب لهم من الرزق قال ثنا اسحق قال ثنا محمد بن حرب عن ابن لهيعة عن أبى صخر عن القرظى أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب قال عمله ورزقه وعمره حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب قال من الاعمال والارزاق والاعمار فاذا فنى هذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم وقد فرغوا من هذه الاشياء كلها * قال أبو جعفر وأولى هذه الاقوال عندى بالصواب قول من قال معنى ذلك أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب مما كتب لهم من خير وشر فى الدنيا ورزق وعمل وأجل وذلك ان الله جل ثناؤه اتبع ذلك قوله حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا أينما كنتم تدعون من دون الله فابان باتباعه ذلك قوله أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب ان الذى ينالهم من ذلك انما هو ما كان مقضيا عليهم فى الدنيا ان ينالهم لانه قد اخبر ان ذلك ينالهم الى وقت مجيئهم رسله لتقبض أرواحهم ولو كان ذلك نصيبهم من الكتاب أو مما قد أعد لهم فى الآخرة لم يكن محدودا بانه ينالهم الى مجيء رسل الله لوفاتهم لان رسل الله لا تجيئهم فى الوفاة فى الآخرة وان عذابهم فى الآخرة لا آخر له ولا انقضاء بان الله قد قضى عليهم بالخلود فيه فبين بذلك ان معناه ما اخترنا من القول فيه ۞ القول فى تاويل قوله (حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا أينما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا وشهدوا على أنفسهم انهم كانوا كافرين) يعنى جل ثناؤه بقوله حتى اذا جاءتهم رسلنا يقول جل ثناؤه وهؤلاء الذين افتروا على الله الكذب أو كذبوا بآيات ربهم ينالهم حظوظهم التى كتب الله لهم وسبق فى علمه لهم من رزق وعمل وأجل وخير وشر فى الدنيا الى أن تأتيهم رسلنا لقبض أرواحهم فاذا جاءتهم رسلنا يعنى ملك الموت وجنده يتوفونهم يقول يستوفون عددهم من الدنيا الى الآخرة قالوا أينما كنتم تدعون من دون الله يقول قالت الرسل أين الذين كنتم تدعونهم أولياء من دون الله وتعبدونهم لا يدفعون عنكم ما قد جاءكم من أمر الله الذى هو خالقكم وخالقهم وما قد نزل بساحتكم من عظيم البلاء وهلا يغيثونكم من كرب ما أنتم فيه فينقذونكم منه فاجابهم الاشقياء فقالوا ضل عنا أولياؤنا الذين كنا ندعو من دون الله يعنى بقوله ضلوا جاروا وأخذوا غير طريقنا وتركونا عند حاجتنا اليهم فلم ينفعونا يقول الله جل ثناؤه وشهد القوم حينئذ على أنفسهم انهم كانوا كافرين بالله جاحدين وحدانيته ۞ القول فى تاويل قوله (قال ادخلوا فى أمم قد خلت من قبلكم من الجن والانس فى النار كلما دخلت أمة لعنت أختها) وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن قيله لهؤلاء المفترين عليه المكذبين آياته يوم القيامة يقول تعالى ذكره قال لهم حين وردوا عليه يوم القيامة ادخلوا أيها المفترون على ربكم المكذبون رسله فى جماعات من ضربائكم قد خلت من قبلكم يقول قد سلفت من قبلكم من الجن والانس فى النار ومعنى ذلك ادخلوا فى أمم هى فى النار قد خلت من قبلكم من الجن

والانس

وكيفية تبدل الضياء بالظلام وبالعكس وأحوال الشمس والقمر والنجوم وأمر بالنظر فى ملكوت السماء والغبراء بالتفكر فيها قائلا أولم ينظروا فى ملكوت السموات والارض أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها أولم يتفكروا فى أنفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق وان من صنف كتابا شريفا مشتملا على دقائق العلوم العقلية والنقلية فالمعتقدون فى شرفه وفضيلته فريقان منهم من اعتقد كونه كذلك على الاجمال ومنهم من وقف على دقائقها على سبيل التفصيل والكمال ولا ريب ان اعتقاد الفريق الثانى يكون أكمل وأقوى اذا ثبت هذا فنقول من اعتقد ان جملة هذا العالم محدث وكل محدث فله محدث حصل له بهذا الطريق اثبات الصانع اما الذى ضم الى هذه المعرفة البحث عن أحوال العالم العلوى والعالم السفلى على التفصيل الممكن لا يزال ينتقل من برهان الى برهان ومن دليل الى دليل فان يقينه يتزايد وبصيرته تتكامل الى أن تصير عالمه معقولا مضاهيا لما عليه الموجود ولمثل هذه الفوائد والاغراض والغايات أنزل هذا الكتاب الكريم لا لتكثير وجوه الاعراب والاشتقاقات المؤدية الى الاطناب والاسهاب واما قوله عز من قائل ألا له الخلق فالخلق عبارة عن التقدير ويختص بكل ما هو جسم وجسمانى لانه مخصص بمقدار معين فكل ما كان بريئا عن الحجم والمقدار فهو من عالم الارواح وعالم الامر لانه أوجد بامر كن من غير سبق مادة ومدة فعالم الخلق فى تسخيره وعالم الامر فى تدبيره واستيلاء الروحانيات على الجسمانيات بتقديره وههنا مسائل ذكرها العلماء الاولى انه تعالى متكلم آمر ناه مخبر مستخبر لان قوله ألا له الخلق والامر دل على ان له الامر فوجب ان يكون له النهى وسائر أنواع الكلام ضرورة انه لا قائل بالفرق الثانية لا خالق الا هو لان قوله ألا له الخلق بتقديم الخبر يفيد الحصر ولو سلم انه لا يفيده فلا أقل من افادة انه خالق بعض الاشياء وحينئذ يثبت المطلوب لان افتقار المخلوق الى الخالق لامكانه والامكان مفهوم واحد فى الممكنات وانه علة للحاجة الى موجود معين فجميع الممكنات محتاجة الى ذلك المعين فالذى يكون مؤثرا فى جميع الممكنات لا يحتاج الى

والانس وانما يعنى بالامم الاحزاب وأهل الملل الكافرة كلما دخلت أمة لعنت أختها يقول جل ثناؤه كلما دخلت النار جماعة من أهل ملة لعنت أختها يقول شتمت الجماعة الاخرى من أهل ملتها تبريا منها وانما عنى بالاخت الاخوة فى الدين والملة وقيل أختها ولم يقل أخاها لانه عنى بها أمة وجماعة أخرى كأنه قيل كلما دخلت أمة لعنت أمة أخرى من أهل ملتها ودينها وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى كلما دخلت أمة لعنت أختها يقول كلما دخلت أهل ملة لعنوا أصحابهم على ذلك الدين يلعن المشركون المشركين واليهود اليهود والنصارى النصارى والصابئون الصابئين والمجوس المجوس تلعن الآخرة الاولى ۞ القول فى تأويل قوله (حتى اذا اداركوا فيها جميعا) يقول تعالى ذكره حتى اذا تداركت الامم فى النار جميعا يعنى اجتمعت فيها يقال قد اداركوا وتداركوا اذا اجتمعوا يقال اجتمع فيها الاولون من أهل الملل الكافرة والآخرون منهم ۞ القول فى تأويل قوله (قالت أخراهم لاولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون) وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن محاورة الاحزاب من أهل الملل الكافرة فى النار يوم القيامة يقول الله تعالى ذكره فاذا اجتمع أهل الملل الكافرة فى النار فاداركوا قالت أخرى أهل كل ملة دخلت النار الذين كانوا فى الدنيا بعد أولى منهم تقدمتها وكانت لها سلفا واماما فى الضلالة والكفر لاولاها الذين كانوا قبلهم فى الدنيا ربنا هؤلاء أضلونا عن سبيلك ودعونا الى عبادة غيرك وزينوا لنا طاعة الشيطان فآتهم اليوم من عذابك الضعف على عذابنا كما حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد ابن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى قالت أخراهم الذين كانوا فى آخر الزمان لاولاهم الذين شرعوا لهم ذلك الدين ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار واما قوله قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون فانه خبر من الله عن جوابه لهم يقول قال الله للذين يدعونه فيقولون ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار لكلكم أولكم وآخركم وتابعوكم ومتبوعكم ضعف يقول مكرر عليه العذاب وضعف الشئ مثله مرة وكان مجاهد يقول فى ذلك ما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف مضعف حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قال الله لكل ضعف للاولى والآخرة ضعف حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان قال ثنى غير واحد عن السدى عن مرة عن عبد الله ضعفا من النار قال أفاعى حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان عن السدى عن مرة عن عبد الله فآتهم عذابا ضعفا من النار قال حيات وأفاعى وقيل ان الضعف فى كلام العرب ما كان ضعفين والمضاعف ما كان أكثر من ذلك وقوله ولكن لا تعلمون يقول ولكنكم يا معشر أهل النار لا تعلمون ما قدر ما أعد الله لكم من العذاب فلذلك تسأل الضعف منه الامة الكافرة الاخرى لاختها الاولى ۞ القول فى تأويل قوله (وقالت أولاهم لاخراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون) يقول جل ثناؤه وقالت أولى كل أمة وملة سبقت فى الدنيا لاخراها الذين جاؤا من بعدهم وحدثوا بعد زمانهم فيها فسلكوا سبيلهم واستنوا سنتهم فما كان لكم

[illegible] الخلق والامر ويتفرع على هذا انه لا اله الا الله والا كان الثانى مدبرا وخالقا وانه لا تأثير للكواكب فى أحوال هذا العالم وان القول بالطبائع والعقول والنفوس على ما يزعم الفلاسفة وأصحاب الطلسمات باطل وان خالق أعمال العباد هو الله تعالى والقول بان العلم يوجب العالمية والقدرة توجب القادرية باطل كل ذلك لئلا يلزم خالق ومؤثر غير الله تعالى الرابعة كلام الله تعالى قديم لانه ميز بين الخلق وبين الامر ولو كان كلام الله مخلوقا لما صح هذا التمييز أجاب الجبائى بانه لا يلزم من افراد الامر بالذكر عقيب الخلق ان لا يكون الامر داخلا فى الخلق كقوله وملائكته ورسله وجبريل وميكال وعارض الكعبى بقوله فآمنوا بالله ورسوله النبى الامى الذى يؤمن بالله وكلماته فانه لو وجب مغايرة المعطوف للمعطوف عليه لزم ان تكون الكلمات غير الله تعالى وكل ما كان غير الله تعالى فانه محدث ومخلوق وكلمات الله مخلوقة وقال القاضى اتفق المفسرون على انه ليس المراد بهذا الامر كلام الله تعالى بل المراد نفاذ ارادته واظهار قدرته وقال قوم لا يبعد ان يقال الامر داخل فى الخلق ولكنه من حيث كونه أمرا يدل على نوع آخر من الكمال والجلال والمعنى له الخلق والايجاد فى المرتبة الاولى ثم بعد الايجاد والتكوين له الامر والتكليف فى المرتبة الثانية وقال آخرون معنى قوله ألا له الخلق انه ان شاء خلق وان شاء لم يخلق فقوله والامر يجب ان يكون معناه ان شاء أمر وان شاء لم يأمر ويلزم منه ان يكون الامر محدثا مخلوقا لانه لو كان قديما لم يكن ذلك الامر بحسب مشيئته بل كان من لوازم ذاته فلا يصدق انه ان شاء أمر وان شاء لم يأمر هذا حاصل وأجيب بانه لو كان الامر داخلا تحت الخلق لزم التكرار والاصل عدمه ولا يصار اليه الا للضرورة ولا ضرورة ههنا الخامسة فى الآية دلالة على انه ليس لاحد ان يلزم غيره شيئا الا الله ففعل الطاعة لا يوجب الثواب وفعل المعصية لا يوجب العقاب وايصال الالم لا يوجب العوض السادسة دلت الآية على ان القبيح لا يجوز ان يقبح لوجه عائد اليه والا لم يكن الامر الا حاصلا فيه وجه القبح فلا يكون

متمكنا من الامر والنهي كيف شاء وأراد هذا خلف السابعة أطلق الخلق والامر فيعلم انه لو أراد خلق ألف عالم بما فيه من العرش والكرسي والكواكب في أقل من لحظة لقدر عليه لان هذه الماهيات ممكنة والحق قادر على كل الممكنات الثامنة قال قوم الخلق صفة من صفات الله تعالى وهو غير المخلوق لان أهل السنة يقولون معنى قوله الامر صفة له فكذا الخلق صفة قائمة بذاته فلا يكون مخلوقا وأجيب بان الخلق لو كان غير المخلوق فاما ان يكون قديما ويلزم من قدمه قدم المخلوق واما أن يكون حادثا فيفتقر الى خلق آخر ويتسلسل ويمكن ان يقال الصفة قديمة والتعلق حادث التاسعة له الامر يقتضي ان لا أمر الا لله وقول النبي صلى الله عليه وآله اذا أمرتكم بشئ فاتوا منه ما استطعتم لا ينافي ذلك لان الموجب لامره في الحقيقة هو أمر الله تعالى العاشرة في الآية دلالة على ان الله تعالى أمر ونهيا على عباده والخلاف مع نفاة التكليف قالوا ان كان التكليف معلوم الوقوع لكان واجب الوقوع والا فلا فائدة في الامر به وأيضا الكافر والفاسق لا يستفيد بالتكليف الا الضرر المحض لانه تعالى يعلم أنه لا يؤمن ولا يطيع وخلاف علم الله محال فلا يحصل من الامر الا مجرد استحقاق العذاب وهذا لا يليق بالرحيم الحليم وأيضا التكليف ان لم يكن لفائدة في الامر فهو عبث وان كان لفائدة ولا بد ان يعود الى المكلف لانه سبحانه غني بجميع الفوائد منحصرة في تحصيل نفع أو دفع ضر والله تعالى قادر على تحصيلها للمكلف من غير واسطة التكليف فكان توسيط التكليف اضرارا محضا والجواب ان أول الآية دل على انه تعالى هو الخالق لكل العبيد واذا كان خالقا لهم كان مالكا لهم وتصرف المالك في ملك نفسه كيف شاء مستحسن ويحسن منه تعالى ان يأمر عباده بما شاء بمجرد كونه خالقا لا لما يقوله المعتزلة من كون ذلك الفعل صلاحا أو من كونه موجب عوض أو ثواب ولما بين ان له الامر والنهي والحكمة والتكليف ذكر انه يستحق الثناء والتقديس فقال تبارك الله رب العالمين وللبركة تفسيران أحدهما الثبات والدوام ولا ريب انه الواجب لذاته الدائم القائم بذاته الغني بذاته

علينا من فضل وقد علمتم ما حل بنا من عقوبة الله بمعصيتنا اياه وكفرنا به وجاءتنا وجاءتكم بذلك الرسل والنذر هل انتهيتم الى طاعة الله وارتدعتم عن غوايتكم وضلالتكم فانقضت حجة القوم وخصموا ولم يطيقوا جوابا بان يقولوا فضلنا عليكم اذا اعتبرنا بكم فآمنا بالله وصدقنا رسله قال الله لجميعهم فذوقوا جميعكم أيها الكفرة عذاب جهنم بما كنتم في الدنيا تكسبون من الآثام والمعاصي وتجترحون من الذنوب والاجرام وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر قال سمعت عمران عن أبي مجلز وقالت أولاهم لاخراهم فما كان لكم علينا من فضل افذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون قال يقول فما فضلكم علينا وقد بين لكم ما صنع بنا وحذرتم **حدثني** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي وقالت أولاهم لاخراهم فما كان لكم علينا من فضل فقد ضللتم كما ضللنا وكان مجاهد يقول في هذا بما **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فما كان لكم علينا من فضل قال من التخفيف من العذاب **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فما كان لكم علينا من فضل قال من تخفيف وهذا القول الذي ذكرناه عن مجاهد قول لا معنى له لان قول القائلين فما كان لكم علينا من فضل لمن قالوا ذلك انما هو توبيخ منهم على ما سلف منهم قبل تلك الحال يدل على ذلك دخول كان في الكلام ولو كان ذلك منهم توبيخا لهم على قيلهم الذي قالوا لربهم آتهم عذابا ضعفا من النار لكان التوبيخ ان يقال فما لكم علينا من فضل في تخفيف العذاب عنكم وقد نالكم من العذاب ما قد نالنا ولم يقل فما كان لكم علينا من فضل ۞ القول في تأويل قوله (ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء) يقول تعالى ذكره ان الذين كذبوا بحججنا وأدلتنا فلم يصدقوا بها ولم يتبعوا رسلنا واستكبروا عنها يقول وتكبروا عن التصديق بها وأنفوا من اتباعها والانقياد لها تكبرا لا تفتح لهم لارواحهم اذا خرجت من أجسادهم أبواب السماء ولا يصعد لهم في حياتهم الى الله قول ولا عمل لان أعمالهم خبيثة وانما يرفع الكلم الطيب والعمل الصالح كما قال جل ثناؤه اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ثم اختلف أهل التأويل في تأويل قوله لا تفتح لهم أبواب السماء فقال بعضهم معناه لا تفتح لارواح هؤلاء الكفار أبواب السماء ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا يعلى عن أبي سنان عن الضحاك عن ابن عباس لا تفتح لهم أبواب السماء قال عنى بها الكفار ان السماء لا تفتح لارواحهم وتفتح لارواح المؤمنين **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية عن أبي سنان عن الضحاك قال قال ابن عباس تفتح السماء لروح المؤمن ولا تفتح لروح الكافر **حدثنا** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي لا تفتح لهم أبواب السماء قال ان الكافر اذا أخذ روحه ضربته ملائكة الارض حتى يرتفع الى السماء فاذا بلغ السماء الدنيا ضربته ملائكة السماء فهبط فضربته ملائكة الارض فارتفع فاذا بلغ السماء الدنيا ضربته ملائكة السماء الدنيا فهبط الى أسفل الارض واذا كان مؤمنا أخذ روحه وفتحت له أبواب السماء ولا يمر بملك الا حياه وسلم عليه حتى ينتهي الى الله فيعطيه حاجته ثم يقول الله ردوا روح عبدي فيه الى الارض فاني قبضته من التراب خلقته والى التراب يعود ومنه يخرج * وقال آخرون معنى ذلك انه لا يصعد لهم عمل صالح ولا دعاء الى الله ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عبيد الله عن سفيان عن ليث عن عطاء عن ابن

عباس

وصفاته وأفعاله وأحكامه عن كل ماسواه وثانيهما كثرة الآثار الفاضلة ولاشك ان كل الخيرات والكمالات فائضة من جوده واحسانه بل جميع الممكنات رشحة من بحار فضله وامتنانه ثم لما بين كمال قدرته وحكمته وأرشد الى التكاليف الموصل الى سعادة الدارين اتبعه ذكر ما يستعان به على تحصيل المطالب والمآرب الدينية والدنيوية فقال أدعوا (١١٩) ربكم تضرعا وخفية قال في الكشاف نصب على الحال أى ذوى تضرع وخفية وكذلك خوفا وطمعا قلت ويحتمل الانتصاب على المصدر مثل رجع القهقرى والتضرع التذلل وهو اظهار ذل النفس والخفية بالضم أو الكسر ضد العلانية قال بعض العلماء الدعاء ههنا بمعنى العبادة لئلا يلزم التكرار وعطف الشئ على نفسه فى قوله وادعوه خوفا وطمعا والاظهر انه على الاصل ومن أنكر الدعاء قال لان المطلوب بالدعاء ان كان معلوم الوقوع أو كان مرادا فى الازل أو كان على وفق الحكمة والمصلحة وقع لامحالة والا فلافائدة فيه وأيضا انه نوع من سوء الادب وعدم الرضا بالقضاء وقد يطلب ماليس بنافع وفيه من الاشتغال بغير الله وعدم التوكل عليه مالايخفى والحق ان الدعاء نوع من أنواع العبادة ورفضه يستدعى رفض كثير من الوسائط والروابط ولو لم يكن فيه الامعرفة ذلة العبودية وعزة الربوبية لكفى بذلك فائدة ولهذا روى عنه صلى الله عليه وآله ما من شئ أكرم على الله سبحانه من الدعاء الا أنه لابد فيه من الاخلاص والصون عن الرياء والى هذا أشار بقوله تضرعا وخفية ونحن قد أطنبنا فى تحقيق الدعاء وشرائطه فى سورة البقرة فى تفسير قوله واذا سألك عبادى عنى ثم ختم الآية بقوله انه لايحب المعتدين وللمسلمين اتفاق على انه ليس المحبة عند اطلاقها على الله شهوة النفس وميل الطبع ولكنها عبارة عن ايصال الثواب أو ارادة الايصال لكنا لانعرف تلك المحبة ماهى وكيف هى الا ان عدم العلم بالشئ لايوجب العلم بعدم ذلك الشئ نظيره ذلك ان أهل السنة يثبتون كونه مرئيا ثم يقولون ان تلك الرؤية لا كرؤية الاجسام والالوان ويعنى بالمعتدين المجاوزين ما أمروا به فيشمل كل من خالف أمر الله ونهيه وقال الكلبى وابن جريج من الاعتداء رفع الصوت فى الدعاء ويؤيده انه أمر بالدعاء مقرونا بالاخفاء

عباس لاتفتح لهم أبواب السماء ولايصعد لهم قول ولاعمل حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لاتفتح لهم أبواب السماء يعنى لايصعد الى الله من عملهم شئ حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس لاتفتح لهم ابواب السماء يقول لاتفتح لخير يعملون حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن منصور عن مجاهد لاتفتح لهم أبواب السماء قال لايصعد لهم كلام ولاعمل حدثنا مطر بن محمد الضبى قال ثنا عبد الله بن داود قال ثنا شريك عن منصور عن ابراهيم فى قوله لاتفتح لهم أبواب السماء قال لايرتفع لهم عمل ولا دعاء حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن شريك عن سالم عن سعيد لاتفتح لهم أبواب السماء قال لايرتفع لهم عمل ولادعاء حدثنى المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا شريك عن سعيد لاتفتح لهم أبواب السماء قال لم يرفع لهم عمل صالح ولادعاء * وقال آخرون معنى ذلك لاتفتح أبواب السماء لارواحهم ولا لاعمالهم ذكر من قال ذلك حدثنى القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج لاتفتح لهم أبواب السماء قال لارواحهم ولا لاعمالهم * قال أبو جعفر وانما اخترنا فى تأويل ذلك ما اخترنا من القول لعموم خبر الله جل ثناؤه ان أبواب السماء لاتفتح لهم ولم يخصص الخبر بانه يفتح لهم فى شئ فذلك على ماعمه خبر الله تعالى بانها لاتفتح لهم فى شئ مع تأييد الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ماقلنا فى ذلك وذلك ما حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو بكر بن عياش عن الاعمش عن المنهال عن زاذان عن البراء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر قبض روح الفاجر وانه يصعد بها الى السماء قال فيصعدون بها فلا يمرون على ملأ من الملائكة الا قالوا ماهذا الروح الخبيث فيقولون فلان باقبح أسمائه التى كان يدعى بها فى الدنيا حتى ينتهوا بها الى السماء فيستفتحون له فلا يفتح له ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتفتح لهم أبواب السماء ولايدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط حدثنا أبو كريب قال ثنا عثمان بن عبد الرحمن عن ابن أبى ذئب عن محمد بن عمرو بن عطاء عن سعيد بن يسار عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الميت تحضره الملائكة فاذا كان الرجل الصالح قالوا أخرجى أيتها النفس المطمئنة كانت فى الجسد الطيب اخرجى حميدة وابشرى بروح الله وريحان ورب غير غضبان قال فيقولون ذلك حتى يعرج بها الى السماء فيستفتح لها فيقال من هذا فيقول فلان فيقال مرحبا بالنفس الطيبة التى كانت فى الجسد الطيب أدخلى حميدة وابشرى بروح وريحان ورب غير غضبان فيقال لها ذلك حتى تنتهى الى السماء التى فيها الله واذا كان الرجل السوء قال أخرجى أيتها النفس الخبيثة كانت فى الرجل الخبيث أخرجى ذميمة وابشرى بحميم وغساق وآخر من شكله أزواج فيقولون ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها الى السماء فيستفتح لها فيقال من هذا فيقولون فلان فيقولون لامرحبا بالنفس الخبيثة كانت فى الجسد الخبيث ارجعى ذميمة فانه لم يفتح أبواب السماء فترسل بين السماء والارض فتصير الى القبر حدثنى محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ثنا ابن أبى فديك قال ثنى ابن أبى ذئب عن محمد بن عمرو بن عطاء عن سعيد بن يسار عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم بنحوه * واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الكوفة لايفتح لهم أبواب السماء بالياء من يفتح وتخفيف التاء منها بمعنى لايفتح لهم جميعها بمرة واحدة وفتحة واحدة وقرأ ذلك بعض المدنيين وبعض الكوفيين لاتفتح بالتاء وتشديد

التاء الثانية بمعنى لا يفتح لهم باب بعد باب وشئ بعد شئ * قال أبو جعفر والصواب في ذلك عندي من القول ان يقال انهما قراءتان مشهورتان صحيحتا المعنى وذلك ان أرواح الكفار لا تفتح لها ولا لاعمالهم الخبيثة أبواب السماء بمرة واحدة ولا مرة بعد مرة وباب بعد باب فكلا المعنيين في ذلك صحيح وكذلك الياء والتاء في يفتح وتفتح لان الياء بناء على فعل الواحد للتوحيد والتاء لان الابواب جماعة فيخبر عنها خبر الجماعة ۞ القول في تاويل قوله (ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين) يقول جل ثناؤه ولا يدخل هؤلاء الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها الجنة التي أعدها الله لاوليائه المؤمنين أبدا كما لا يلج الجمل في سم الخياط أبدا وذلك ثقب الابرة وكل ثقب في عين أو أنف أو غير ذلك فان العرب تسميه سما وتجمعه سموما وسماما والسمام في جمع السم القاتل أشهر وأفصح من السموم وهو في جمع السم الذي هو بمعنى الثقب أفصح وكلاهما في العرب مستفيض وقد يقال لواحد السموم التي هي الثقوب سم وسم بفتح السين وضمها ومن السم الذي بمعنى الثقب قول الفرزدق

فنفست عن سميه حتى تنفسا * وقلت له لا تخش شيأ ورائنا

يعني بسميه ثقبي أنفه وأما الخياط فانه المخيط وهي الابرة قيل لها خياط ومخيط كما قيل قناع ومقنع وازار ومئزر وقرام ومقرم ولحاف وملحف وأما القراء من جميع الامصار فانها قرأت قوله في سم الخياط بفتح السين وأجمعت على قراءة الجمل بفتح الجيم والميم وتخفيف ذلك وأما ابن عباس وعكرمة وسعيد ابن جبير فانه حكى عنهم انهم كانوا يقرؤن ذلك الجمل بضم الجيم وتشديد الميم على اختلاف في ذلك عن سعيد وابن عباس فاما الذين قرؤه بالفتح من الحرفين والتخفيف فانهم وجهوا تاويله الى الجمل المعروف وكذلك فسروه ذكر من قال ذلك حدثنا يحيى بن طلحة اليربوعي قال ثنا فضيل بن عياض عن مغيرة عن ابراهيم عن عبد الله في قوله حتى يلج الجمل في سم الخياط قال الجمل ابن الناقة أو زوج الناقة حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبي حصين عن ابراهيم عن عبد الله حتى يلج الجمل في سم الخياط قال الجمل زوج الناقة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن أبي حصين عن ابراهيم عن عبد الله مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن مهدي عن هشيم عن مغيرة عن ابراهيم عن عبد الله قال الجمل زوج الناقة حدثني المثنى قال ثنا عمرو ابن عون قال أخبرنا هشيم عن مغيرة عن ابراهيم عن عبد الله مثله حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا قرة قال سمعت الحسن يقول الجمل الذي يقوم في المربد حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن حتى يلج الجمل في سم الخياط قال يدخل البعير في خرق الابرة حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن مهدي عن هشيم عن عباد بن راشد عن الحسن قال هو الجمل فلما أكثروا عليه قال هو الاشتر حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال ثنا هشيم عن عباد بن راشد عن الحسن مثله حدثني المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا حماد عن يحيى قال كان الحسن يقرؤها حتى يلج الجمل في سم الخياط قال فذهب بعضهم يستفهمه قال أشتر أشتر حدثني المثنى قال ثنا أبو النعمان عارم قال ثنا حماد بن زيد عن شعيب بن الحباب عن أبي العالية حتى يلج الجمل قال الجمل الذي له أربع قوائم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن أبي حصين أو حصين عن ابراهيم عن ابن مسعود في قوله حتى يلج الجمل

وعنه صلى الله عليه وسلم خير الذكر الخفي وخير الرزق ما يكفي وعنه صلى الله عليه وآله سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء ان يقول اللهم اني أسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرأ قوله انه لا يحب المعتدين ومن هنا اختلف أرباب الطريقة ان الاولى في العبادات الاخفاء أم الاظهار فقيل الاولى الاخفاء صونا لها عن الرياء وقيل الاولى الاظهار ليرغب غيره في الاقتداء وتوسط الشيخ محمد بن علي الحكيم الترمذي فقال ان كان خائفا على نفسه من الرياء فالاولى في حقه الاخفاء وان بلغ في الصفاء وقوة اليقين الى حيث صار آمنا من شائبة الرياء فالاولى في حقه الاظهار ليحصل فائدة الاقتداء قال الشافعي اظهار التأمين أفضل وقال أبو حنيفة الاخفاء أفضل لانه ان كان دعاء وجب اخفاؤه لقوله ادعوا ربكم تضرعا وخفية وان كان اسما من أسماء الله تعالى على ما قيل فكذلك لقوله تعالى واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة فان لم يثبت الوجوب فلا أقل من الندبية ثم نهى عن مجامع المفاسد والمضار بقوله ولا تفسدوا في الارض فيدخل فيه خمسة أشياء المنع من افساد النفوس بالقتل ومن افساد الاموال بقطع الطريق والسرقة وافساد الانساب بالزنا واللواط والقذف وافساد العقول بشرب المسكرات وافساد الاديان بالكفر والبدعة وذلك ان قوله لا تفسدوا منع عن ادخال ماهية الفساد في الوجود والمنع عن الماهية يقتضي المنع من جميع أنواعه ومعنى بعد اصلاحها بعد ان أصلح خلق الارض على الوجه المطابق لمنافع الخلق الموافق لمصالح المكلفين أو المراد اصلاح الارض بسبب ارسال الانبياء وانزال الكتب وتفصيل الشرائع فان الاقدام على تكذيب الرسل وانكار الكتب والتمرد عن قبول الشرائع يقتضي وقوع الهرج والمرج وحدوث الفتن في الارض وفي الآية دلالة على ان الاصل في المضار الحرمة فان وجدنا نصا خاصا على جواز الاقدام على بعض المضار قضينا به تقديما للخاص على العام وفيها أيضا دلالة على ان كل عقد وقع التراضي به بين

في سم الخياط قال الزوج الناقة يعني الجمل حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبيد بن سليمان عن الضحاك انه كان يقرأ الجمل وهو الذي له أربع قوائم حدثنا ابن وكيع قال ثنا زيد بن الحباب عن قرة عن الحسن حتى يلج الجمل قال الذي بالمربد حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن مسعود انه كان يقرأ حتى يلج الجمل الاصفر حدثنا نصر بن علي قال ثنا يحيى بن سليم قال ثنا عبد الكريم بن أبي المخارق عن الحسن في قوله حتى يلج الجمل في سم الخياط قال الجمل ابن الناقة أو بعل الناقة وأما الذين خالفوا هذه القراءة فانهم اختلفوا فروي عن ابن عباس في ذلك روايتان احداهما الموافقة لهذه القراءة وهذا التأويل ذكر الرواية بذلك عنه حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس حتى يلج الجمل في سم الخياط والجمل ذو القوائم وذكر ان ابن مسعود قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس حتى يلج الجمل في سم الخياط وهو الجمل العظيم لا يدخل في خرق الابرة من أجل انه أعظم منها والرواية الاخرى ما حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي قال ثنا فضيل بن عياض عن منصور عن مجاهد عن ابن عباس في قوله حتى يلج الجمل في سم الخياط قال هو قلس السفينة حدثني عبد الاعلى بن واصل قال ثنا أبو غسان مالك بن اسمعيل عن خالد بن عبد الله الواسطي عن حنظلة السدوسي عن عكرمة عن ابن عباس انه كان يقرأ حتى يلج الجمل في سم الخياط يعني الحبل الغليظ فذكرت ذلك للحسن فقال حتى يلج الجمل قال عبد الاعلى قال أبو غسان قال خالد يعني البعير حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو اسامة عن مفضل عن مغيرة عن مجاهد عن ابن عباس انه قرأ الجمل مثقلة قال هو حبل السفينة حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن مهدي عن هشيم عن مغيرة عن مجاهد عن ابن عباس قال الجمل حبال السفن حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن ابن مبارك عن حنظلة عن عكرمة عن ابن عباس حتى يلج الجمل في سم الخياط قال الحبل الغليظ حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن مجاهد عن ابن عباس حتى يلج الجمل في سم الخياط قال هو الحبل الذي يكون على السفينة * واختلف عن سعيد بن جبير أيضا في ذلك فروي عنه روايتان احداهما مثل الذي ذكرنا عن ابن عباس بضم الجيم وتثقيل الميم ذكر الرواية بذلك عنه حدثنا عمران بن موسى القزاز قال ثنا عبد الوارث بن سعيد قال ثنا حسين المعلم عن أبي بشر عن سعيد بن جبير انه قرأها حتى يلج الجمل يعني قلوس السفن يعني الحبال الغلاظ والاخرى منهما بضم الجيم وتخفيف الميم ذكر الرواية بذلك عنه حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عمرو بن سالم بن عجلان الافطس قال قرأت على أبي حتى يلج الجمل خفيفة وهو حبل السفينة هكذا أقرأنيها سعيد بن جبير وأما عكرمة فانه كان يقرأ ذلك الجمل بضم الجيم وتشديد الميم ويتأوله كما حدثني ابن وكيع قال ثنا أبو تميلة عن عيسى بن عبيد قال سمعت عكرمة يقرأ الجمل مثقلة ويقول هو الحبل الذي يصعد به الى النخل حدثنا محمد بن بشار قال ثنا مسلم بن ابراهيم قال ثنا كعب بن فروخ قال ثنا قتادة عن عكرمة في قوله حتى يلج الجمل في سم الخياط قال الحبل الغليظ في خرق الابرة حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله حتى يلج الجمل في سم الخياط قال حبل السفينة في سم الخياط حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال عبد الله بن كثير سمعت

الحصين فانه منعقد صحيح لان دفعه بعد ثبوته يكون افسادا بعد الاصلاح فان وجدنا نصا يدل على عدم صحة بعض تلك العقود قضينا فيه بالبطلان عملا بالاخص بجميع أحكام الله تعالى داخلة تحت عموم هذه الآية الدالة على ان الاصل في المضار والآلام الحرمة كما كانت داخلة تحت عموم قوله قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق بانها كانت (١٢١) تدل على ان الاصل في المنافع واللذات الاباحة والحل ففي كل واحدة من الآيتين مطابقة ومؤكدة للاخرى ثم لما بين ان الدعاء لا بدان يكون مقرونا بالتضرع والاخفاء وبعدم المنافي وهو الافساد بالوجوه الخمسة ذكر ان فائدة الدعاء والباعث عليه أحد الامرين الخوف من العقاب والطمع في الثواب واعترض عليه بان أهل السنة يقولون التكاليف انما وردت بمقتضى الالهية والعبودية أي كونه الهنا وكوننا عبيدا له اقتضى أن يحسن منه ان يأمر عبيده بما شاء كيف شاء ولا يعتبر فيه كونه في نفسه صلاحا وحسنا والمعتزلة يقولون انها وردت لانها في نفسها مصالح فعلى القولين من أتى بها للخوف من العقاب والطمع في الثواب لم يأت بها على الوجه وجوبها فوجب ان لا يصح وأجيب بان المراد من الآية ادعوه مع الخوف من وقوع التقصير في بعض الشرائط المعتبرة في قبول ذلك الدعاء ومع الطمع في حصول تلك الشرائط باسرها أي كونوا جامعين في نفوسكم بين الخوف والرجاء في جميع أعمالكم ولا تقطعوا انكم وان اجتهدتم انكم أديتم حق ربكم كقوله والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة والجواب الصحيح عندي ان غاية التكليف من الآمر غير غايته من المأمور واذا ذهب ان الغاية الاولى هي المصلحة أو الالهية والعبودية فلم لا يجوز ان تكون الغاية الثانية الخلاص من العذاب والوصول الى الثواب ثم ختم الآية بقوله ان رحمة الله قريب من المحسنين ظاهره ان يقال قريبة وذكروا في حذف علامة التانيث وجوها فقيل لان تانيث الرحمة غير حقيقي وقال الزجاج لان الرحمة والغفران والعفو والانعام بمعنى واحد أو لان المراد بالرحمة الترحم والرحم وقيل انه صفة موصوف محذوف أي شيء قريب أو شبه بفعيل الذي بمعنى مفعول كما شبه ذلك به فقيل

مجاهدا يقول الحبل من حبال السفن وكان من قرأ ذلك بتخفيف الميم وضم الجيم على ماذكرنا عن سعيد بن جبير على مثال الصرد والجعل وجهه الى جماع جملة من الحبال جمعت جملا كما تجمع الظلمة ظلما والخربة خربا * وكان بعض أهل العربية ينكر التشديد فى الميم ويقول انما أراد الراوى الجمل بالتخفيف فلم يفهم ذلك منه مشددة وحدثت عن الفراء عن الكسائى انه قال الذى رواه عن ابن عباس كان أعجميا وأما من شدد الميم وضم الجيم فانه وجهه الى انه اسم واحد وهو الحبل أو الخيط الغليظ * قال أبو جعفر والصواب من القراءة فى ذلك عندنا ما عليه قراء الامصار وهو حتى يلج الجمل فى سم الخياط بفتح الجيم والميم من الجمل وتخفيفها وفتح السين من السم لانها القراءة المستفيضة فى قراء الامصار وغير جائز مخالفة ما جاءت به الحجة متفقة عليه من القراء وكذلك ذلك فى فتح السين من قوله سم الخياط واذا كان الصواب من القراءة ذلك فتأويل الكلام ولا يدخلون الجنة حتى يلج والولوج الدخول من قولهم ولج فلان الدار يلج ولوجا بمعنى دخل الجمل فى ثقب الابرة وهو سمها وكذلك نجزى المجرمين يقول وكذلك نثيب الذين أجرموا فى الدنيا ما استحقوا به من الله العذاب الاليم فى الآخرة وبمثل الذى قلنا فى تأويل قوله سم الخياط قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو اسامة وابن مهدى وسويد الكلبى عن حماد بن زيد عن يحيى بن عتيق قال سألت الحسن عن قوله حتى يلج الجمل فى سم الخياط قال ثقب الابرة حدثنا ابن بشار قال ثنا مسلم بن ابراهيم قال ثنا كعب بن فروخ قال ثنا قتادة عن عكرمة فى سم الخياط قال ثقب الابرة حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن مثله حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى فى سم الخياط قال جحر الابرة حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى سم الخياط يقول جحر الابرة حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنى عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى سم الخياط قال فى ثقبه ۞ القول فى تأويل قوله (لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزى الظالمين) يقول جل ثناؤه لهؤلاء الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها من جهنم مهاد وهو ما امتهدوه مما يقعد عليه ويضطجع كالفراش الذى يفترش والبساط الذى يبسط ومن فوقهم غواش وهو جمع غاشية فذلك ما غشاهم فغطاهم من فوقهم وانما معنى الكلام لهم من جهنم مهاد من تحتهم فرش ومن فوقهم منها لحف وانهم بين ذلك وبنحو ذلك قال أهل التأويل فى ذلك ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب لهم من جهنم مهاد قال الفراش ومن فوقهم غواش قال اللحف حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح عن أبى روق عن الضحاك لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش قال المهاد الفرش والغواشى اللحف حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدى لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش تغشاهم أما المهاد لهم كهيئة الفراش والغواشى تغشاهم من فوقهم وأما قوله وكذلك نجزى الظالمين فانه يقول وكذلك نثيب ونكافئ من ظلم نفسه فاكسبها من غضب الله ما لا قبل لها به بكفره بربه وتكذيبه أنبياءه ۞ القول فى تأويل قوله (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) يقول جل ثناؤه والذين صدقوا الله ورسوله وأقروا بما جاءهم به من وحى الله وتنزيله وشرائع دينه وعملوا ما أمرهم الله به فأطاعوه وتجنبوا ما نهاهم عنه لا نكلف نفسا الا وسعها يقول لا نكلف نفسا من الاعمال الا ما يسعها فلا تحرج فيه أولئك يقول هؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات أصحاب الجنة يقول هم أهل الجنة الذين هم أهلها

قبلاء وأسراء وقيل لانه يريد المصدر كالنقيض صوت العقبان أو الزجاجة والضعيف صوت الارنب وقيل المراد ذات مكان قريب كلابن وتامر وروى الواحدى باسناده عن ابن السكيت تقول العرب هو قريب منى وهما قريب منى وهى قريب لانه فى تأويل هو فى مكان قريب منى قال بعض المفسرين معنى هذا القرب ان الانسان يزداد بعدا عن الماضى وقربا من المستقبل أى الآخرة التى هى مقام رحمة الله ويمكن ان يقال المراد به قرب الحصول سواء كان فى الدنيا أو فى الآخرة كقوله ألا ان نصر الله قريب قالت المعتزلة ان ماهية الرحمة لما كانت حصة المحسنين وجب ان لا يحصل للكافر والفاسق منها شئ والغرض ان صاحب الكبيرة لا يكون له نصيب من العفو وأجيب بان المحسن من صدر عنه الاحسان ولو من بعض الوجوه فكل من آمن بالله تعالى وأقر بالتوحيد والنبوة فقد أحسن والدليل عليه الاجماع على ان الصبى اذا بلغ وقت الضحوة وآمن بالله ورسوله واليوم الآخر ومات قبل الوصول الى الظهر فانه يسمى مؤمنا محسنا على ان قوله ماهية الرحمة نصيب المحسنين ممنوع لان الكافر أيضا فى رحمة الله ونعمته فى الدنيا بدليل قوله ومن كفر فأمتعه ثم انه سبحانه لما ذكر دلائل الالهية وكمال العلم والقدرة من العالم العلوى اتبعه ذكر الدلائل من أحوال هذا العالم وهى الآثار العلوية المعادن والنبات والحيوان ومن جملتها أحوال الرياح والسحب والامطار ولما أقام الدلالة فى الآية الاولى على وجود الاله القادر العليم الحكيم الرحيم أقام الدلالة فى هذه الآية على صحة القول بالحشر والنشر بالآيتين تقريرا للمبدأ والمعاد فقال (وهو الذى يرسل الرياح) الريح هواء متحرك وتحركه ليس لذاته ولا للوازم ذاته والا دام بدوام الذات فهو بتحريك الفاعل المختار دون

قالت الحكماء من أسباب الريح أن يرتفع من الارض أجزاء أرضية تسخنت تسخينا شديدا فبسبب تلك السخونة ترتفع وتتصاعد فاذا وصلت الى

قريب من الفلك فإن الهواء المتصل بمقعر الفلك يمنع هذه الأدخنة من الصعود بل يردها عن سمت حركتها لتحرك تلك الطبقة على الاستدارة
تبعا للفلك فحينئذ ترجع الأدخنة وتتفرق في الجوانب وبسبب تفرقها تحصل الرياح وكلما كانت تلك الأدخنة أكثر وكان

دون غيرهم من كفر بالله وعمل بسيآتهم فيها خالدون يقول هم في الجنة ماكثون دائم فيها مكثهم لا يخرجون منها ولا يسلبون نعيمهم ۞ القول في تأويل قوله (ونزعنا ما في صدورهم من غل تجري من تحتهم الأنهار) يقول تعالى ذكره وأذهبنا من صدور هؤلاء الذين وصفت صفتهم وأخبرت أنهم أصحاب الجنة ما فيها من حقد وغمر وعداوة كان من بعضهم في الدنيا على بعض فجعلهم في الجنة إذا أدخلوهموها على سرر متقابلين لا يحسد بعضهم بعضا على شيء خص الله به بعضهم وفضله من كرامته عليه تجري من تحتهم أنهار الجنة * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو خالد الأحمر عن جويبر عن الضحاك ونزعنا ما في صدورهم من غل قال العداوة حدثنا ابن وكيع قال ثنا حميد بن عبد الرحمن عن سعيد بن بشير عن قتادة ونزعنا ما في صدورهم من غل قال هي الإحن حدثنا ابن حميد قال ثنا ابن المبارك عن ابن عيينة عن إسرائيل أبي موسى عن الحسن عن علي قال فينا والله أهل بدر نزلت ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن إسرائيل قال سمعته يقول قال علي عليه السلام فينا والله أهل بدر نزلت ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال قال علي رضي الله عنه إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير من الذين قال الله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل رضوان الله عليهم حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ونزعنا ما في صدورهم من غل تجري من تحتهم الأنهار قال إن أهل الجنة إذا سيقوا إلى الجنة فبلغوا وجدوا عند بابها شجرة في أصل ساقها عينان فيشربون من إحداهما فينزع ما في صدورهم من غل فهو الشراب الطهور واغتسلوا من الأخرى فجرت عليهم نضرة النعيم فلم يشعثوا ولم يتسخوا بعدها أبدا حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ثنا ابن علية عن الجريري عن أبي نضرة قال تحبس أهل الجنة دون الجنة حتى يقضى لبعضهم من بعض حتى يدخلوا الجنة حين يدخلونها ولا يطلب أحد منهم أحدا بقلامة ظفر ظلمها إياه وتحبس أهل النار دون النار حتى يقضى لبعضهم من بعض فيدخلوا النار ولا يطلب أحد منهم أحدا بقلامة ظفر ظلمها إياه ۞ القول في تأويل قوله (وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله) يقول تعالى ذكره وقال هؤلاء الذين وصف جل ثناؤه وهم الذين آمنوا وعملوا الصالحات حين أدخلوا الجنة ورأوا ما أكرمهم الله به من كرامته وما صرف عنهم من العذاب المهين الذي ابتلي به أهل النار بكفرهم بربهم وتكذيبهم رسله الحمد لله الذي هدانا لهذا يقول الحمد لله الذي وفقنا للعمل الذي أكسبنا هذا الذي نحن فيه من كرامة الله وفضله وصرف عذابه عنا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله يقول وما كنا لنرشد لذلك لولا أن أرشدنا الله له ووفقنا بمنه وطوله كما حدثنا أبو هشام الرفاعي قال ثنا أبو بكر بن عياش قال ثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل أهل النار يرى منزله من الجنة فيقولون لو هدانا الله فتكون عليهم حسرة وكل أهل الجنة يرى منزله من النار فيقولون لولا أن هدانا الله فهذا شكرهم حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة قال سمعت أبا إسحاق يحدث عن عاصم بن ضمرة عن علي قال ذكر عمر لشيء لا أحفظه ثم ذكر الجنة فقال يدخلون فإذا شجرة يخرج من تحت ساقها عينان قال فيغتسلون من إحداهما فتجري عليهم نضرة النعيم فلا تشعث أشعارهم ولا تغبر أبشارهم ويشربون من الأخرى فيخرج كل قذى وقذر أو شيء في بطونهم قال ثم يفتح لهم باب الجنة فيقال لهم سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين قال فتستقبلهم الولدان فيحفون بهم

صعودها أقوى كان رجوعها أيضا أشد فكانت الرياح وزيف بأن صعود تلك الأجزاء الأرضية إنما يكون لأجل شدة تسخينها بالعرض فإذا تصاعدت ووصلت إلى الطبقة الباردة بردت فامتنع صعودها إلى الطبقة العليا المتحركة بحركة الفلك سلمنا أنها تصعد إلى الطبقة المتحركة بالاستدارة لكن رجوعها يجب أن يكون على الاستقامة كما هو مقتضى طبيعة الأرض لكنها تتحرك يمنة ويسرة وأيضا إن حركة تلك الأجزاء لا تكون قاهرة فإن الرياح إذا أصعدت الغبار الكثير ثم عاد ذلك الغبار ونزل على السطوح لم يحس أحد بنزولها ونحن نرى هذه الرياح تقلع الأشجار وتهدم الجبال وتموج البحار وأيضا لو كان الأمر على ما قالوا لكانت الرياح كلما كانت أشد وجب أن يكون حصول الأجزاء الغبارية الأرضية أكثر وليس كذلك لأنه قد توجد الرياح العاصفة في وجه البحر وليس فيها شيء من الغبار ويمكن أن يجاب بأن الحكم بامتناع الصعود استبعاد محض وحديث الرجوع على الاستقامة مبني على أن الريح هي تلك الأجزاء الراجعة فقط وليس كذلك فإن الراجع إذا خرق الهواء حدث فيما يجاوره من الهواء تحرك واضطراب وتموج شبيه ما يحدث في الماء إذا ألقي فيه حجر وكذا الكلام في الوجهين الباقيين وقال المنجمون قد يحدث بسبب وصول كوكب معين إلى موضع معين من البروج ريح عاصفة
وزيف بأنه لو كان كذلك لزم تحرك كل الهواء والجواب أن وصول الكوكب إلى الموضع الفلاني إنما يوجب تحرك الهواء بتسخين أو تلطيف أو تكثيف يحدث في بعض المواد المستعدة لذلك فيطلب ذلك التخلخل مكانا أكثر أو أقل مما كان عليه فيلزم من ذلك تحرك الهواء المجاور له

كما تحف الولدان بالحميم اذا جاء من غيبته ثم يأتون فيبشرون أزواجهم فيسمونهم باسمائهم وأسماء آبائهم فيقلن أنت رأيته قال فيستخفهن الفرح قال فيجئن حتى يقفن على أسكفة الباب قال فيجيئون فيدخلون فاذا أس بيوتهم بجندل اللؤلؤ واذا صرح صفر وخضر وحمر ومن كل لون وسرر مرفوعة وأكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة فلولا ان الله قدرها لهم لالتمعت أبصارهم مما يرون فيها فيعانقون الازواج ويقعدون على السرر ويقولون الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق الآية ۞ القول في تأويل قوله (لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا أن تلكموا الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون) يقول تعالى ذكره مخبرا عن هؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات انهم يقولون عند دخولهم الجنة ورؤيتهم كرامة الله التي أكرمهم بها وهوان أعداء الله في النار والله لقد جاءتنا في الدنيا وهؤلاء الذين في النار رسل ربنا بالحق من الاخبار عن وعد الله أهل طاعته والايمان به وبرسله ووعيده أهل معاصيه والكفر به وأما قوله ونودوا أن تلكموا الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون فان معناه ونادى مناد هؤلاء الذين وصف الله صفتهم وأخبر عما أعد لهم من كرامته ان يا هؤلاء هذه تلكم الجنة التي كانت رسلي في الدنيا تخبركم عنها أورثكموها الله عن الذين كذبوا رسله لتصديقكم اياهم وطاعتكم ربكم وذلك هو معنى قوله بما كنتم تعملون وبنحو ما قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي ونودوا أن تلكمو الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون قال ليس من كافر ولا مؤمن الا وله في الجنة والنار منزل فاذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار فدخلوا منازلهم رفعت الجنة لاهل النار فنظروا الى منازلهم فيها فقيل لهم هذه منازلكم لو عملتم بطاعة الله ثم يقال يا أهل الجنة رثوهم بما كنتم تعملون فيقسم بين أهل الجنة منازلهم **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عمر بن سعد أبو داود الحفري عن سعيد بن بكر عن سفيان الثوري عن أبي اسحق عن الاغر ونودوا أن تلكموا الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون قال نودوا أن صحوا فلا تسقموا واخلدوا فلا تموتوا وانعموا فلا تبأسوا **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا قبيصة عن سفيان عن أبي اسحق عن الاغر عن أبي سعيد ونودوا أن تلكمو الجنة الآية قال ينادي مناد أن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا * واختلف أهل العربية في أن التي مع تلكم فقال بعض نحويي البصرة هي ان الثقيلة خففت وأضمر فيها ولا يستقيم ان تجعلها الخفيفة لان بعدها اسما والخفيفة لا تليها الاسماء وقد قال الشاعر

في فتية كسيوف الهند قد علموا * ان هالك كل من يحفى وينتعل

(وقال آخر) أكاسرة فاعلم ان كلانا * على ما شاء صاحبه حريص

قال فمعناه انه كلانا قال ويكون كقوله ان قد وجدنا في موضع أي وقوله ان أقيموا ولا تكون ان التي تعمل في الافعال لانك تقول غاظني ان قام وان ذهب فتقع على الافعال وان كانت لا تعمل فيها وفي كتاب الله وانطلق الملأ منهم أن امشوا أي امشوا وأنكر ذلك من قوله هذا بعض أهل الكوفة فقال غير جائز أن يكون مع ان في هذا الموضع هاء مضمرة لان ان دخلت في الكلام لتقي ما بعدها قال وان هذه التي مع تلكم هي الدائرة التي يقع فيها ضارع الحكاية وليس بلفظ الحكاية ناديت انك قائم وان زيد قائم وان قمت فتلي كل الكلام وجعلت ان وقاية لان النداء يقع على ما بعده وسلم ما بعد ان كما سلم القول ألا ترى انك تقول قلت زيد قائم وقلت قام فتليها ما شئت من الكلام فلما كان النداء بمعنى الظن وما أشبهه من القول سلم ما بعد ان ودخلت ان وقاية قال وأما أي فلا تكون

لانفساله التداخل والخلاء لا يتدافع الى أن يحرك جميع كرة الهواء بل يتموج بعض أجزاء الهواء ثم يستقر كل في موضعه ويختلف مقدار ذلك بحسب المؤثر والمتأثر والكل يستند الى تدبير الله سبحانه وتقديره وانما قال في هذه السورة يرسل الرياح بلفظ المستقبل وكذا في الروم لان ما قبله ههنا ذكر الخوف والطمع وانهما يناسبان المستقبل واما في الروم فليناسب ما قبله ومن آياته أن يرسل وقال في الفرقان أرسل الرياح بلفظ الماضي ليناسب ما قبله كيف مد الظل وما قبله وهو الذي جعل وكذا في فاطر مبني على أول السورة فاطر السموات والارض جاعل الملائكة وهما بمعنى الماضي والله تعالى أعلم اما قوله نشرا بنون مفتوحة وشين ساكنة فانه مصدر نشر وانتصابه اما على الحال بمعنى منتشرات واما لان أرسل ونشر متقاربان كانه قيل نشرها نشرا ومن قرأ نشرا بضمتين فلانه جمع نشور كرسول ورسل وقد تخفف كرسل ومن قرأ بشرا بضم الباء الموحدة وسكون الشين فلانه مخفف بشر جمع بشير ومعنى بين يدي رحمته امام نعمته وهي الغيث الذي هو من أجل النعم وأحسنها وهذا بحسب الاغلب فان المطر قلما لا يتقدمه رياح يسلطها الله تعالى على السحاب والعرب تستعمل اليدين بدل قدام وامام مجازا لان اليدين من الحيوان متقدمان على الرجلين حتى اذا أقلت حملت ورفعت واشتقاقه من القلة لان الرافع الذي يقدر على حمل الثقيل يزعم ان ما يرفعه قليل سحابا جمع سحابة ولهذا قال ثقالا على الجمع جمع ثقيلة والضمير في سقناه يعود الى السحاب على لفظه وضمير المتكلم في سقناه على أصله اما الذي في قوله وهو الذي فعلى طريقة الالتفات والا فالظاهران يقال نحن أرسلنا واعلم ان السحاب المستمطر للمياه العظيمة انما يبقى معلقا في الهواء لانه تعالى دبر بحكمته ان يحرك الرياح تحريكا شديدا ولتلك التحركات فوائد منها ان أجزاء السحاب ينضم بعضها الى بعض ويتراكم وينعقد السحاب الكثيف

على أن لا يكون أى جواب الكلام وان تكتفى من الاسم ٧ ۞ القول فى تاويل قوله (ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فاذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين) يقول تعالى ذكره ونادى أهل الجنة أهل النار بعد دخولهموها يا أهل النار قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فى الدنيا على ألسن رسله من الثواب على الايمان به وبهم وعلى طاعته فهل وجدتم ما وعد ربكم على ألسنتهم على الكفر به وعلى معاصيه من العقاب فاجابهم أهل النار بان نعم قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا كالذى حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم وجد أهل الجنة ما وعدوا من ثواب وأهل النار ما وعدوا من عقاب حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا وذلك ان الله وعد أهل الجنة النعيم والكرامة وكل خير علمه الناس أولم يعلموه ووعد أهل النار كل خزى وعذاب علمه الناس أولم يعلموه فذلك قوله وآخر من شكله أزواج قال فنادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم يقول من الخزى والهوان والعذاب قال أهل الجنة فانا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا من النعيم والكرامة فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين واختلفت القراء فى قراءة قوله قالوا نعم فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة والكوفة والبصرة قالوا نعم بفتح العين من نعم وروى عن بعض الكوفيين انه قرأ قالوا نعم بكسر العين وقد أنشد بيتا لبنى كلب

نعم اذا قالها منه محققة * ولا تخيب عسى منه ولا قمن

قال أبو جعفر والصواب من القراءة عندنا نعم بفتح العين لانها القراءة المستفيضة فى قراء الامصار واللغة المشهورة فى العرب واما قوله فاذن مؤذن بينهم يقول فنادى مناد واعلم معلم بينهم ان لعنة الله على الظالمين يقول غضب الله وسخطه وعقوبته على من كفر به وقد بينا القول فى ان اذا صحبت من الكلام ما ضارع الحكاية وليس بصريح الحكاية بانها تشددها العرب أحيانا وتوقع الفعل عليها فتفتحها وتخففها أحيانا وتعمل الفعل فيها فتنصبها به وتبطل عملها عن الاسم الذى يليها بما مضى بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع واذ كان ذلك كذلك فسواء شددت ان أو خففت فى القراءة اذ كان معنى الكلام باى ذلك قرأ القارئ واحدا وكانتا قراءتين مشهورتين فى قراءة الامصار ۞ القول فى تاويل قوله (الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة كافرون) يقول جل ثناؤه ان المؤذن بين أهل الجنة والنار يقول ان لعنة الله على الظالمين الذين كفروا بالله وصدوا عن سبيله ويبغونها عوجا يقول حاولوا سبيل الله وهو دينه ان يغيروه ويبدلوها عما جعله الله له من استقامته وهم بالآخرة كافرون يقول وهم لقيام الساعة والبعث فى الآخرة والثواب والعقاب فيها جاحدون والعرب تقول للميل فى الدين والطريق عوج بكسر العين وفى ميل الرجل على الشئ والعطف عليه عاج اليه يعوج عياجا وعياجا وعوجا بالكسر من العين والفتح كما قال الشاعر

قفا نبك منازل آل ليلى * على عوج اليها وانثناء

ذكر الفراء ان أبا الجراح أنشده اياه بكسر العين من عوج فاما ما كان خلقة فى الانسان فانه يقال

---

٧ هكذا هذه العبارة النحوية بالاصول بعد امعان النظر فيها وتصليح السقيم منها ونبهنا عليها ليعلم القارئ ان ما فيها من تحريف الاصول اه مصححه

المناطر ثم تصير متفرقة ومنها ان تحرك الرياح عنة ويسرة فيمنع الاجزاء المائية الرشية عن النزول فيبقى معلقا فى الهواء ومنها ان يساق السحاب الى موضع علم الله احتياجهم الى نزول الامطار ومن الرياح مقوية للزروع والاشجار ومكملة لما فيهما من النشو والنماء وهى اللواقح ومنها مبطلة لها كما فى الخريف ومنها طيبة لذيذة موافقة للابدان ومنها مهلكة للحر الشديد كالسموم أو البرد الشديد مشرقية ومغربية وشمالية وجنوبية وبالحقيقة تهب الرياح من كل جانب ولكنها ضبطت كذلك وقد يصعد الريح من قعر الارض فقد يشاهد غليان شديد فى البحر بسبب تولد الرياح فى قعره ثم لا يزال يتزايد ذلك الغليان الى أن ينفصل الريح الى ما فوق البحر وحينئذ يعظم هبوب الرياح فى وجه البحر وعن أبى عمرو الرياح ثمان أربع منها عذاب وهو العاصف والقاصف والصرصر والعقيم وأربع منها رحمة الناشرات والمبشرات والمرسلات والذاريات وعن النبى صلى الله عليه وآله نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور والجنوب وعن كعب لو حبس الله الريح عن عباده ثلاثة أيام لانتن أكثر الارض وعن السدى انه تعالى يرسل الرياح فتأتى بالسحاب ثم انه تعالى يبسطه فى السماء فينزل الماء على السحاب ثم تمطر السحاب بعد ذلك وجمعه وهى المطر ومعنى لبلد ميت أى لاجل بلد ميت ليس فيه نبات ولا زرع والبلد كل موضع من الارض عامر أو غير عامر خال أو مسكون فانزلنا به الماء قال الزجاج وابن الانبارى أى بالبلد وجاز أن يراد بالسحاب أو بالسوق فالباء للسببية فاخرجنا به قال الزجاج أى بالبلد من كل الثمرات ويجوز أن يراد أى بالماء قال جمهور الحكماء انه تعالى أودع فى الماء قوة وطبيعة توجب حدوث الاحوال المخصوصة عند امتزاج الماء بالتراب وقال أكثر المتكلمين ان الثمار ليست متولدة من الماء وانما أجرى الله تعالى عادته بخلق النبات ابتداء عقيب اختلاط الماء والتراب كذلك مثل ذلك الاخراج وهو اخراج الثمرات نخرج الموتى فالتشبيه انما

فيه عوج ساقه فتح العين ۞ القول في تأويل قوله (وبينهما حجاب وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم) يعني جل ثناؤه بقوله وبينهما حجاب وبين الجنة والنار حجاب يقول حاجز وهو السور الذي ذكره الله تعالى فقال فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب وهو الاعراف التي يقول الله فيها وعلى الاعراف رجال كذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الله بن رجاء عن ابن جريج قال بلغني عن مجاهد قال الاعراف حجاب بين الجنة والنار حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي وبينهما حجاب وهو السور وهو الاعراف وأما قوله وعلى الاعراف رجال فان الاعراف جمع واحدها عرف وكل مرتفع من الارض عند العرب فهو عرف وانما قيل لعرف الديك عرف لارتفاعه على ما سواه من جسده ومنه قول الشماخ بن ضرار

وظلت باعراف تعالت كأنها * رماح وجهها راكز

يعني بقوله باعراف بنشوز من الارض ومنه قول الآخر

كل كناز لحمه تناف * كالعلم الموفي على الاعراف

وكان السدي يقول انما سمي الاعراف اعرافا لان أصحابه يعرفون الناس حدثني بذلك محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا سفيان بن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن عبيد الله بن أبي يزيد سمع ابن عباس يقول الاعراف هو الشئ المشرف حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن عبيد الله بن يزيد قال سمعت ابن عباس يقول مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن جابر عن مجاهد عن ابن عباس قال الاعراف سور كعرف الديك حدثني المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن جابر عن مجاهد عن ابن عباس مثله حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد الاعراف قال حجاب بين الجنة والنار سور له باب قال أبو موسى وحدثني عبيد الله بن أبي يزيد انه سمع ابن عباس يقول ان الاعراف تل بين الجنة والنار حبس عليه ناس من أهل الذنوب بين الجنة والنار حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد الاعراف حجاب بين الجنة والنار سور له باب حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن منصور عن حبيب بن أبي ثابت عن عبد الله بن الحرث عن ابن عباس قال الاعراف سور بين الجنة والنار حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قال الاعراف سور بين الجنة والنار حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وعلى الاعراف رجال يعني بالاعراف السور الذي ذكر الله في القرآن وهو بين الجنة والنار حدثنا الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا اسرائيل عن جابر عن مجاهد عن ابن عباس قال الاعراف سور له عرف كعرف الديك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن اسرائيل عن جابر عن أبي جعفر قال الاعراف سور بين الجنة والنار حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثني عبيد الله بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول الاعراف السور الذي بين الجنة والنار * اختلف أهل التأويل في صفة الرجال الذين أخبر الله جل ثناؤه عنهم انهم على الاعراف وما السبب الذي من أجله صاروا هنالك فقال بعضهم هم قوم من بني آدم استوت حسناتهم وسيآتهم فجعلوا هنالك الى أن يقضي الله فيهم ما يشاء ثم يدخلهم الجنة بفضل رحمته اياهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا يونس بن أبي اسحق قال قال الشعبي أرسل الى عبد الحميد بن عبد الرحمن وعنده أبو

وقع في أصل الاحياء أي كما أحيا هذا البلد وأنبت فيه الشجر وجعل فيه الثمر كذلك يحيي الموتى بعد ان كانوا ترابا لان من يقدر على احداث الجسم وخلق الرطوبة والطعم فيه كان قادرا على احداث الحياة في بدن الميت قال كثير من المفسرين المراد انه تعالى كما يخلق النبات بواسطة انزال المطر على البلد الميت يحيي الموتى بواسطة انزال مطر على الاجساد الرميمة يروى انه يمطر على أجساد الموتى فيما بين النفختين مطر كالمني أربعين يوما فينبتون عند ذلك احياء وعن مجاهد يمطر السماء عليهم حتى ينشق عنهم الارض كما ينشق الشجر عن النور والثمر ثم يرسل الارواح فتعود كل روح الى جسدها قال العلماء ان هؤلاء المفسرين ذهبوا الى هذا بناء على النقل وعلى اجراء العادة والا فانه تعالى قادر على خلق الحياة في الجسم ابتداء من غير واسطة المطر كما انه يجمع بقدرته الاجزاء المتفرقة والممزقة غاية التفرق والتمزق ولهذا ختم الآية بقوله لعلكم تذكرون والمعنى انكم لما شاهدتم ان الارض كانت مزينة وقت الربيع والصيف والخريف بالازهار والثمار والاشجار ثم صارت وقت الشتاء ميتة عارية عن تلك الزينة ثم أحياها مرة أخرى فالقادر على احيائها قادر على احياء الاجساد بعد موتها ثم ضرب الله سبحانه مثلا للمؤمن والكافر وشبه القرآن بالمطر وذلك ان الارض الحرة اذا أنزل بها المطر حصل فيها أنواع الازهار والثمار والارض السبخة بعد نزول المطر لا يخرج منها الا النزر القليل من النبات فكذلك النفس الطاهرة النقية من الاخلاق الذميمة اذا اتصل بها أنوار القرآن ظهرت عليه أنواع المعارف والاخلاق الفاضلة والنفس الخبيثة لا يرجع من ذلك الا بخفي حنين وقيل ليس المراد من الآية تمثيل المؤمن والكافر وانما المراد ان الارض السبخة يقل نفعها وثمرتها ومع ذلك فان صاحبها لا يهمل أمرها بل يتعب نفسه في اصلاحها طمعا منه في تحصيل ما يليق بها من المنفعة فمن يطلب هذا النفع اليسير فلان يطلب النفع

الزناد عبد الله بن ذكوان مولى قريش واذاهما قد ذكرا من أصحاب الاعراف ذكرا ليس كما ذكرا فقلت لهما ان شئتما أنبأتكما بما ذكر حذيفة فقالا هات فقلت ان حذيفة ذكر أصحاب الاعراف فقال هم قوم تجاوزت بهم حسناتهم النار وقصرت بهم سيآتهم عن الجنة فاذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين فبيناهم كذلك اطلع اليهم ربك تبارك وتعالى فقال اذهبوا وادخلوا الجنة فانى قد غفرت لكم **حدثنى** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن الشعبي عن حذيفة انه سئل عن أصحاب الاعراف قال فقال هم قوم استوت حسناتهم وسيآتهم فقصرت بهم سيآتهم عن الجنة وخلفت بهم حسناتهم عن النار قال فوقفوا هنالك على السور حتى يقضى الله فيهم **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا جرير وعمران بن عيينة عن حصين عن عامر عن حذيفة قال أصحاب الاعراف قوم كانت لهم ذنوب وحسنات فقصرت بهم عن الجنة وتجاوزت بهم حسناتهم عن النار فهم كذلك حتى يقضى الله بين خلقه فينفذ فيهم أمره **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا يحيى بن يمان عن سفيان عن جابر عن الشعبي عن حذيفة قال أصحاب الاعراف قوم استوت حسناتهم وسيآتهم فيقول ادخلوا الجنة بفضلى ومغفرتى لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن يونس بن أبى اسحق عن عامر عن حذيفة قال أصحاب الاعراف قوم تجاوزت بهم حسناتهم النار وقصرت بهم سيآتهم عن الجنة **حدثنا** المثنى قال ثنا سويد ابن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن أبى بكر الهذلى قال قال سعيد بن جبير وهو يحدث ذلك عن ابن مسعود قال يحاسب الناس يوم القيامة فمن كانت حسناته أكثر من سيآته بواحدة دخل الجنة ومن كانت سيآته أكثر بواحدة دخل النار ثم قرأ قول الله فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم ثم قال ان الميزان يخف بمثقال حبة ويرجح قال فمن استوت حسناته وسيآته كان من أصحاب الاعراف فوقفوا على الصراط ثم عرفوا أهل الجنة وأهل النار فاذا نظروا الى أهل الجنة نادوا سلام الله عليكم واذا صرفوا أبصارهم الى يسارهم أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين فيتعوذون بالله من منازلهم قال فأما أصحاب الحسنات فانهم يعطون نورا فيمشون به بين أيديهم وبأيمانهم ويعطى كل عبد يومئذ نورا وكل أمة نورا فاذا أتوا على الصراط سلب الله نور كل منافق ومنافقة فلما رأوا أهل الجنة ما لقى المنافقون قالوا ربنا أتمم لنا نورنا وأما أصحاب الاعراف فان النور كان فى أيديهم ولم ينزع من أيديهم فهنالك يقول الله لم يدخلوها وهم يطمعون فكان الطمع دخولا قال فقال ابن مسعود على ان العبد اذا عمل حسنة كتب له بها عشر واذا عمل سيئة لم تكتب الا واحدة ثم يقول هلك من غلب وحدانه اعشاره **حدثنا** أبو همام الوليد ابن شجاع قال أخبرنى ابن وهب قال أخبرنى عيسى الخياط عن الشعبي عن حذيفة قال أصحاب الاعراف قوم كانت لهم أعمال أنجاهم الله بها من النار وهم آخر من يدخل الجنة قد عرفوا أهل الجنة وأهل النار **حدثنا** ابن بشار قال ثنا أبو داود قال ثنا همام عن قتادة قال قال ابن عباس أصحاب الاعراف قوم استوت حسناتهم وسيآتهم فلم تزد حسناتهم على سيآتهم ولا سيآتهم على حسناتهم **حدثنا** ابن وكيع وابن حميد قالا ثنا جرير عن منصور عن حبيب بن أبى ثابت عن عبد الله بن الحرث عن ابن عباس قال الاعراف سور بين الجنة والنار وأصحاب الاعراف بذلك المكان حتى اذا بدا لله ان يعافيهم انطلق بهم الى نهر يقال له الحياة حافتاه قضب الذهب مكلل باللؤلؤ ترابه المسك فألقوا فيه حتى تصلح ألوانهم ويبدو فى نحورهم شامة بيضاء يعرفون بها حتى اذا صلحت ألوانهم أتى بهم الرحمن فقال تمنوا ما شئتم قال فيتمنون حتى اذا انقطعت أمنيتهم قال لهم لكم الذى

العظيم الموعود به فى الدار الآخرة بالمشقة التى لا بد منها ومن تحملها أداء للطاعات كان أولى وفى الآية دلالة على ان السعيد لا ينقلب شقيا وبالعكس لانها دلت على ان الارواح قسمان منها ما تكون فى أصل جوهرها طاهرة نقية مستعدة لان تعرف الحق بذاته والخير لاجل العمل به ومنها ما يكون بالضد لا يقبل المعارف الحقيقية والاخلاق الفاضلة كالارض السبخة التى لا يتولد فيها الاشجار والانهار والثمار ومما يقوى هذا الكلام ان النفوس نراها مختلفة فى سبيل الله فمنها قاسية قلوبهم كالحجارة أو أشد قوة ومنها مائلة الى الشهوة دون الغضب ومنها على العكس ومنها راغبة فى المال دون الجاه ومنها بالخلاف ومن الراغبين فى المال من يرغب فى العقار دون الاثمان والنقود ومنهم من هو بالعكس ومما يؤكد هذه المعانى قوله سبحانه وتعالى باذن ربه أى بتيسيره وهو فى موضع الحال كأنه قيل يخرج نباته حسنا كاملا لوقوعه فى طباق نكدا والنكد الذى لا خير فيه وتقدير الآية ونبات البلد الخبيث لا يخرج أو البلد الخبيث لا يخرج نباته الا نكدا فحذف المضاف الذى هو النبات وأقيم المضاف اليه وهو الضمير الراجع الى البلد مقامه فانقلب مرفوعا مستكنا بعد ان كان مجرورا بارزا من قرأ نكدا بفتح الكاف فعلى المصدر أى ذا نكد كذلك مثل ذلك التصريف نردد الآيات ونكررها لقوم يشكرون نعمة الله لان فائدة التصريف تعود عليهم وانما ختم الآية بالحث على الشكر لان الذى سبق ذكره هو ان الله تعالى يرسل الرياح النافعة فيجعلها سببا للمطر الذى هو سبب اللذات والطيبات فهذا يدل من أحد الوجهين على وجود الصانع وقدرته ومن الوجه الثانى على عظيم نعمته وقدرته فوجب من هذا الوجه مقابلتها بالشكر والله أعلم ❊ التأويل عرف ذاته للخلق بصفات الهوية والالوهية والقاهرية والخالقية والمدبرية والحكمية والاستوائية فقال ان ربكم الله الآية وانما خص ستة أيام لان انواع المخلوقات ستة الاولى الارواح

تمنيتم ومثله سبعون مرة فيدخلون الجنة وفي نحورهم شامة بيضاء يعرفون بها يسمون مساكين الجنة **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن حبيب عن مجاهد عن عبد الله بن الحرث قال أصحاب الاعراف يؤمر بهم الى نهر يقال له الحياة ترابه الورس والزعفران وحافتاه قضب اللؤلؤ قال وأحسبه قال مكلل باللؤلؤ قال فيغتسلون فيه فتبدو في نحورهم شامة بيضاء فيقال لهم تمنوا فيقال لهم لكم ما تمنيتم وسبعون ضعفا وانهم مساكين أهل الجنة قال حبيب **وحدثني** رجل انهم استوت حسناتهم وسيئاتهم **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن مجاهد عن عبد الله بن الحرث قال أصحاب الاعراف ينتهى بهم الى نهر يقال له الحياة حافتاه قضب من ذهب قال سفيان أراه قال مكلل باللؤلؤ قال فيغتسلون منه اغتسالة فتبدو في نحورهم شامة بيضاء ثم يعودون فيغتسلون فيزدادون فكلما اغتسلوا ازدادت بياضا فيقال لهم تمنوا ما شئتم فيتمنون ما شاؤا فيقال لهم لكم ما تمنيتم وسبعون ضعفا قال فهم مساكين أهل الجنة **حدثنا** الحسن ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن حصين عن الشعبي عن حذيفة قال أصحاب الاعراف قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فهم على سور بين الجنة والنار لم يدخلوها وهم يطمعون **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال كان ابن عباس يقول الاعراف بين الجنة والنار حبس عليه أقوام بأعمالهم وكان يقول قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فلم تزد حسناتهم على سيئاتهم ولا سيئاتهم على حسناتهم **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال قال ابن عباس أهل الاعراف قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم قال ثنا يحيى بن يمان عن شريك عن منصور عن سعيد بن جبير قال أصحاب الاعراف استوت أعمالهم **حدثني** المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال أصحاب الاعراف قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فوقفوا هنالك على السور **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن حبيب بن أبي ثابت عن شفيع أو سميع قال أبو جعفر كذا وجدت في كتاب شفيع عن أبي علقمة قال أصحاب الاعراف قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم وقال آخرون كانوا قتلوا في سبيل الله عصاة لآبائهم في الدنيا ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا يحيى بن يمان عن أبي مسعر عن شرحبيل بن سعد قال هم خرجوا في الغزو بغير اذن آبائهم **حدثني** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني الليث قال ثني خالد عن سعيد عن يحيى بن شبل ان رجلا من بني النضير أخبره عن رجل من بني هلال ان أباه أخبره انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصحاب الاعراف فقال هم قوم غزوا في سبيل الله عصاة لآبائهم فقتلوا فأعتقهم الله من النار بقتلهم في سبيله وحبسوا عن الجنة بمعصية فهم آخر من يدخل الجنة **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا يزيد بن هرون عن أبي معشر عن يحيى بن شبل مولى بني هاشم عن محمد بن عبد الرحمن عن أبيه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصحاب الاعراف فقال قوم قتلوا في سبيل الله بمعصية آبائهم فمنعهم قتلهم في سبيل الله عن النار ومنعتهم معصية آبائهم ان يدخلوا الجنة وقال آخرون هم قوم صالحون فقهاء علماء ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن خصيف عن مجاهد قال أصحاب الاعراف قوم صالحون فقهاء علماء وقال آخرون بل هم ملائكة وليسوا ببني آدم ذكر من قال ذلك **حدثني** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن أبي مجلز قوله وبينهما حجاب وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم قال هم رجال من الملائكة يعرفون أهل الجنة وأهل النار قال ونادوا أصحاب الجنة ان سلام عليكم الى قوله ربنا لاتجعلنا مع القوم الظالمين

العناصر و الاجسام الكثيفة المركبة من العناصر فلما خلق الانواع الستة استوى على العرش بعد الفراغ من خلقها استواء التصرف في العالم ومافيه وخص العرش بالاستواء لانه مبدأ الاجسام اللطيفة القابلة للفيض الرحماني والاستواء كالعلم صفة من صفاته لايشبه استواء المخلوقين كما ان علمه لايشبه علم المخلوقين ومن أسرار الخلافة الروح تتصرف في النطفة أيام الحمل فتجعلها عالما صغيرا فبدنه كالارض ورأسه كالسماء والقلب كالعرش والسر كالكرسي والقالب يقسم فيض الروح الى القالب كما ان العرش يقسم فيض الاله الى سائر المخلوقات يغشى أي استولى ليل ظلمات النفس وصفاتها على نهار أنوار القلب وبالعكس ألا له الخلق بواسطة والامر بلا واسطة ادعوا ربكم تضرعا بالجوارح وخفية بالقلوب أو تضرعا باداء حق العبودية وخفية بمطالب حق الربوبية انه لايحب المعتدين الذين يطلبون منه سواه ولا تفسدوا في أرض القلوب بعد ان أصلحها الله برفع الوسائط وادعوه خوفا من الانقطاع وطمعا في الاصطناع أو خوفا من الاثنينية وطمعا في الوحدة أو خوفا من الانفصال وطمعا في الوصال من المحسنين الذين لايرون سواه يرسل رياح العناية فينشر سحاب الهداية حتى اذا أقلت سحابا ثقالا بأمطار المحبة سقناه لكل قلب ميت فأنزلنا به ماء المحبة فأخرجنا به ثمرات المكاشفات والمشاهدات كذلك نخرج موتى القلوب من قبور الصدور ولعلكم تذكرون أيام حياتكم في عالم الارواح اذ كنتم في رياض القدس وحياض الانس والبلد الطيب القلب الحي يخرج نباته باخلاقه الحميدة كذلك نصرف الآيات الى النفوس وصفاتها الخ

الظالمين قال فنادى أصحاب الاعراف رجالا فى النار يعرفونهم بسيماهم ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة قال فهذا حين دخل أهل الجنة الجنة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر قال سمعت عمران قال قلت لابى مجلز يقول الله وعلى الاعراف رجال وتزعم أنت انهم الملائكة قال فقال انهم ذكور وليسوا باناث حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن سليمان التيمى عن أبى مجلز وعلى الاعراف رجال قال رجال من الملائكة يعرفون الفريقين جميعا بسيماهم أهل النار وأهل الجنة وهذا قبل أن يدخل أهل الجنة الجنة حدثنى ابن وكيع قال ثنا محمد بن أبى عدى عن التيمى عن أبى مجلز بنحوه قال ثنا يحيى بن يمان عن سفيان عن التيمى عن أبى مجلز قال أصحاب الاعراف الملائكة حدثنا المثنى قال ثنا يعلى بن أسد قال ثنا خالد قال أخبرنا التيمى عن أبى مجلز وعلى الاعراف رجال قال هم الملائكة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن عمران بن حدير عن أبى مجلز وعلى الاعراف رجال قال هم الملائكة قلت يا أبا مجلز يقول الله تبارك وتعالى رجال وأنت تقول ملائكة قال انهم ذكران ليسوا باناث حدثنى المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا حماد عن عمران بن حدير عن أبى مجلز فى قوله وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم قال الملائكة قال قلت يقول الله رجال قال الملائكة

* قال أبو جعفر والصواب من القول فى أصحاب الاعراف ان يقال كما قال الله جل ثناؤه فيهم هم رجال يعرفون كلا من أهل الجنة وأهل النار بسيماهم ولا خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يصح سنده ولا انه متفق على تأويلها ولا اجماع من الامة على انهم ملائكة فاذ كان ذلك كذلك وكان ذلك لا يدرك قياسا وكان المتعارف بين أهل لسان العرب ان الرجال اسم يجمع ذكور بنى آدم دون اناثهم ودون سائر الخلق غيرهم كان بينا ان ما قاله أبو مجلز من انهم ملائكة قول لا معنى له وان الصحيح من القول فى ذلك ما قاله سائر أهل التأويل غيره هذا مع من قال بخلافه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك من الاخبار وان كان فى أسانيدها ما فيها وقد حدثنى القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى جرير عن عمارة بن القعقاع عن أبى زرعة عن عمرو بن جرير قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصحاب الاعراف فقال آخرهم من يفصل بينهم من العباد واذا فرغ رب العالمين من فصله بين العباد قال أنتم قوم أخرجتكم حسناتكم من النار ولم تدخلكم الجنة وأنتم عتقائى فارعوا من الجنة حيث شئتم ۞ القول فى تأويل قوله (يعرفون كلا بسيماهم ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون) يقول تعالى ذكره وعلى الاعراف رجال يعرفون أهل الجنة بسيماهم وذلك بياض وجوههم ونضرة النعيم عليها ويعرفون أهل النار كذلك بسيماهم وذلك سواد وجوههم وزرقة أعينهم فاذا رأوا أهل الجنة نادوهم سلام عليكم وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم قال يعرفون أهل النار بسواد الوجوه وأهل الجنة ببياض الوجوه حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم قال أنزلهم الله بتلك المنزلة ليعرفوا أهل الجنة والنار وليعرفوا أهل النار بسواد الوجوه ويتعوذوا بالله ان يجعلهم مع القوم الظالمين وهم فى ذلك يحيون أهل الجنة بالسلام لم يدخلوها وهم يطمعون ان يدخلوها وهم داخلوها ان شاء الله حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بسيماهم قال بسواد الوجوه وزرقة

أوصاف القلب وأخلاقه (لقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم قال الملأ من قومه انا لنريك فى ضلال مبين قال يا قوم ليس بى ضلالة ولكنى رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربى وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون أوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون فكذبوه فأنجيناه والذين معه فى الفلك وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوما عمين والى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره أفلا تتقون قال الملأ الذين كفروا من قومه انا لنريك فى سفاهة وانا لنظنك من الكاذبين قال يا قوم ليس بى سفاهة ولكنى رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربى وأنا لكم ناصح أمين أوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم فى الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب أتجادلوننى فى أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان فانتظروا انى معكم من المنتظرين فأنجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين) القراآت اله غيره بالجر على الوصف حيث كان يزيد وعلى الباقون بالرفع حملا على محل من اله انى أخاف بفتح الياء أبو عمرو وأبو جعفر ونافع وابن كثير أبلغكم بالتخفيف حيث كان أبو عمرو والباقون بالتشديد عباس بالاختلاس بصطة بالصاد أبو جعفر ونافع وابن كثير غير ابن مجاهد وأبى عون عن قنبل وعاصم وعلى وسهل وشجاع وابن الاخرم عن ابن ذكوان الحلوانى عن قالون مخيرا * الوقوف غيره ط عظيم ه مبين ه العالمين ه لا يعلمون ه ترحمون ه بآياتنا ط عمين ه هودا ط

العيون حدثني المثنى قال ثنا أبوحذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم الكفار بسواد الوجوه وزرقة العيون وسيما أهل الجنة مبيضة وجوههم حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال ثنا هشيم عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال أصحاب الاعراف اذا رأوا أصحاب الجنة عرفوهم ببياض الوجوه واذا رأوا أصحاب النار عرفوهم بسواد الوجوه حدثني المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال ان أصحاب الاعراف رجال كانت لهم ذنوب عظام وكان حسم أمرهم لله فاقيموا ذلك المقام اذا نظروا الى أهل النار عرفوهم بسواد الوجوه فقالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين واذا نظروا الى أهل الجنة عرفوهم ببياض الوجوه فذلك قوله ونادوا أصحاب الجنة ان سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك في قوله وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم زعموا ان أصحاب الاعراف رجال من أهل الذنوب أصابوا ذنوبا واذا نظروا الى أهل الجنة نادوهم ان سلام عليكم قال الله لم يدخلوها وهم يطمعون قال وهذا قول ابن عباس حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي يعرفون كلا بسيماهم يعرفون الناس بسيماهم يعرفون أهل النار بسواد وجوههم وأهل الجنة ببياض وجوههم حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يعرفون كلا بسيماهم يعرفون أهل النار بسواد وجوههم وأهل الجنة ببياض وجوههم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم قال أهل الجنة بسيماهم بيض الوجوه وأهل النار بسيماهم سود الوجوه قال وقوله يعرفون كلا بسيماهم قال أصحاب الجنة وأصحاب النار ونادوا أصحاب الجنة قال حين رأوا وجوههم قد ابيضت حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربي عن جويبر عن الضحاك يعرفون كلا بسيماهم قال بسواد الوجوه حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن يمان عن مبارك عن الحسن بسيماهم قال بسواد الوجوه وزرقة العيون والسيماء العلامة الدالة على الشيء في كلام العرب وأصله من السمة نقلت واوها التي هي فاء الفعل الى موضع العين كما يقال اضمحل وامضحل وذكر سماعا عن بعض بني عقيل هي أرض خامة يعني وخيمة ومنه قولهم له جاه عند الناس يعني وجه نقلت واوه الى موضع عين الفعل وفيها لغات ثلاث سيما مقصورة وسيماء ممدودة وسيمياء بزيادة ياء أخرى بعد الميم فيها ومدها على مثال الكبرياء كما قال الشاعر

غلام رماه الله بالحسن اذ رمى * له سيمياء لا تشق على البصر

وأما قوله ونادوا أصحاب الجنة ان سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون أي حلت عليكم أمنة الله من عقابه وأليم عذابه واختلف أهل التأويل في المعنى بقوله لم يدخلوها وهم يطمعون فقال بعضهم هذا خبر من الله عن أهل الاعراف انهم قالوا لاهل الجنة ما قالوا قبل دخول أصحاب الاعراف غير انهم قالوه وهم يطمعون في دخولها ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي قال أهل الاعراف يعرفون الناس فاذا مروا عليهم بزمرة يذهب بهم الى الجنة قالوا سلام عليكم يقول الله لاهل الاعراف لم يدخلوها وهم يطمعون ان يدخلوها حدثني محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال تلا الحسن لم يدخلوها وهم يطمعون قال والله ما جعل ذلك الطمع في قلوبهم الا كرامة يريدها بهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لم يدخلوها وهم يطمعون قد أنبأكم الله بمكانهم من الطمع

حدثني

غيره ط تتقون ه الكاذبين ه الغللين ه أمين ه لينذركم ط لتناهي الاستفهام بسطة ج تنبيها على الانعام العام بعد ذكر انعام خاص مع اتفاق الجملتين تفلحون ه آباؤنا ج للعدول مع فاء التعقيب الصادقين ه وغضب ط من سلطان ج لانتهاء الاستفهام الى أمر التهديد المنتظرين ه مؤمنين ه * التفسير لما ذكر في تقرير المبدأ والمعاد دلائل قاهرة وبينات باهرة شرع في قصص الانبياء وفي ذلك فوائد منها التنبيه على ان اعراض الناس عن قبول الدلائل عادة معتادة فيكون فيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومنها بيان سوء عاقبة المستكبرين وحسن عقبى المطيعين وفي ذلك تقوية قلوب المحقين وكسر قلوب المبطلين ومنها التنبيه على ان الله سبحانه لا يهمل المبطلين وان كان يمهلهم ومنها العظة والاعتبار لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب ومنها الدلالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من حيث انه اخبار بالغيب لانه لم يقرأ الكتب فيكون قد عرف ذلك بالوحي لا محالة فمن القصص أولاها قصة آدم قد مرت في أول السورة * الثانية قصة نوح وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ وأخنوخ اسم ادريس قيل كان اسمه يشكر فسمي نوحا لكثرة ما ناح على نفسه حين دعا على قومه فاهلكوا فندم أو حين راجع ربه في شان ابنه أو حين مر بكلب مجذوم فقال له اخسأ يا قبيح فعوتب على ذلك قال الله أعبتني اذ خلقته أم عبت الكلب وهذه الوجوه متكلفة لان الاعلام لا تفيد صفة في المسمى والصحيح انه اسم أعجمي قال ابن عباس معنى أرسلنا بعثنا * وقال آخرون معناه انه تعالى حمله رسالة يؤديها فالرسالة على هذا التقدير تكون متضمنة للبعث فيكون البعث كالتابع لانه أصل قال في التفسير الكبير وهذا البحث مبني على مسئلة أصولية هي ان الرسول أرسل الى قوم يعرفهم أحكاما لا سبيل لهم الى معرفتها بعقولهم أو الغرض من بعثته مجرد تأكيد ما في العقول وهذا الاختلاف يتفرع على تفاريع المعتزلة أليق أصولهم

حدثني المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن أبي بكر الهذلي قال قال سعيد بن جبير وهو يحدث ذلك عن ابن مسعود قال اما أصحاب الاعراف فان النور كان في أيديهم فانتزع من أيديهم يقول الله لم يدخلوها وهم يطمعون قال في دخولها قال ابن عباس فادخل الله أصحاب الاعراف الجنة حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا اسرائيل عن جابر عن عكرمة وعطاء لم يدخلوها وهم يطمعون قالا في دخولها وقال آخرون انما عنى بذلك أهل الجنة وان أصحاب الاعراف يقولون لهم قبل ان يدخلوا الجنة سلام عليكم وأهل الجنة يطمعون ان يدخلوها ولم يدخلوها بعد ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا وكيع قال ثنا جرير عن سليمان التيمي عن أبي مجلز ونادوا أصحاب الجنة ان سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون قال الملائكة يعرفون الفريقين جميعا بسيماهم وهذا قبل أن يدخل أهل الجنة الجنة أصحاب الاعراف ينادون أصحاب الجنة ان سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون في دخولها ۞ القول في تأويل قوله (واذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين) يقول تعالى ذكره واذا صرفت أبصار أصحاب الاعراف تلقاء أصحاب النار يعني حيالهم ووجاههم فنظروا الى تشويه الله بهم قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين الذين ظلموا أنفسهم فاكسبوها من سخطك ما أورثهم من عذابك ماهم فيه حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قال واذا مروا بهم يعني باصحاب الاعراف زمرة يذهب بها الى النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين حدثني المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال ان أصحاب الاعراف اذا نظروا الى أهل النار وعرفوهم قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن أبي مكين عن أخيه عن عكرمة واذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قال تجدد وجوههم للنار فاذا رأوا أهل الجنة ذهب ذلك عنهم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله واذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار فرأوا وجوههم مسودة وأعينهم مزرقة قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ۞ القول في تأويل قوله (ونادى أصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون) يقول جل ثناؤه ونادى أصحاب الاعراف رجالا من أهل الارض يعرفونهم بسيماهم سيما أهل النار قالوا ما أغنى عنكم جمعكم ما كنتم تجمعون من الاموال والعدد في الدنيا وما كنتم تستكبرون يقول وتكبركم الذي كنتم تتكبرون فيها كما حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قال فمر بهم يعني باصحاب الاعراف ناس من الجبارين عرفوهم بسيماهم قال يقول قال أصحاب الاعراف ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ونادى أصحاب الاعراف رجالا في النار يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وتكبركم وما كنتم تستكبرون حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن سليمان التيمي عن أبي مجلز ونادى أصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون قال هذا حين دخل أهل الجنة الجنة أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة الآية قلت لابي مجلز عن ابن عباس قال لا بل عن غيره حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن سليمان التيمي عن أبي مجلز ونادى أصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قال نادت الملائكة رجالا في النار يعرفونهم بسيماهم ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة قال هذا حين دخل أهل الجنة ادخلوا

نوح بعبادة الله ثم حكم بانه لا اله الا الله ثم حذرهم عذاب يوم عظيم هو القيامة أو الطوفان ولم يذكر دليلا على هذه الدعاوى الثلاث لان قول النبي صلى الله عليه وسلم بعد ظهور المعجزة حجة أو لعله قد ذكر الحجج وما حكاها الله تعالى لانه قد علم من القرآن ذم التقليد في مواضع كثيرة فيعلم ان نبي الله لا يأمر قومه بالتقليد المحض وأيضا قدم دلائل التوحيد والنبوة وصحة القرآن من أول سورة البقرة الى ههنا غير مرة فوقع التعويل على ذلك هذا مع ان الحكم الثاني كالعلة للاول لانه اذا لم يكن لهم اله غيره كان كل ما حصل عندهم من وجوه النفع والاحسان والبر واللطف حاصلا منه ونهاية الانعام توجب غاية التعظيم ومن هنا قال بعض العلماء لا يحسن منا عبادة الله تعالى قبل العلم بانه واحد لانا اذا جوزنا التعدد لم يتعين المنعم فتقع العبادة ضائعة والاله معناه المستحق للعبادة والا فهو في الازل غير معبود ومعنى الخوف في الآية قال بعضهم الجزم واليقين فانه كان جازما بنزول العذاب بهم عاجلا وآجلا * وقال آخرون الشك لانه كان يجوز ايمانهم ومع هذا التجويز كيف يجزم بالعذاب أو لعل السمع لم يرد بعد فلهذا كان متوقفا أو لعله وصف العذاب على جوازم انه تردد في وصف العذاب بالعظم لا في نفس العذاب وقيل المراد من الخوف التحذير وجملة قوله اني أخاف بيان للداعي الى عبادته لانه هو المحذور عقابه دون الاصنام فقال الملأ من قومه أي الاشراف وصدور المجالس الذين هم بعض قومه في جواب نوح انا لنريك في ضلال في ذهاب عن طريق الحق والصواب مبين بين والرؤية رؤية القلب بمعنى الاعتقاد والظن دون المشاهدة والبديهة نسبوه الى الضلال فيما ادعاه من التكليف والتوحيد والنبوة والمعاد قال يا قوم ليس بي ضلالة لم يقل ضلال ليكون أبلغ لعموم السلب كانه قال ليس بي نوع من أنواع الضلال ثم لما نفى عن نفسه العيب الذي نسب اليه ووصف نفسه باشرف الصفات وأجلها فاستدرك قائلا ولكني رسول من رب العالمين وهذا الاستدراك يسمى في علم

لاخوف عليكم ولا أنتم تحزنون حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ونادى أصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم فالرجال عظماء من أهل الدنيا قال فبهذه الصفة عرف أهل الاعراف أهل الجنة من أهل النار وانما ذكر هذا حين يذهب رئيس أهل الخير و رئيس أهل الشر يوم القيامة قال وقال ابن زيد فى قوله ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون قال عن أهل طاعة الله ۞ القول فى تاويل قوله (أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة لاخوف عليكم ولا أنتم تحزنون) اختلف أهل التأويل فى المعنيين بهذا الكلام فقال بعضهم هذا قيل الله لاهل النار توبيخا لهم على ما كان من قيلهم فى الدنيا لاهل الاعراف عند ادخاله أصحاب الاعراف الجنة ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قال أصحاب الاعراف رجال كانت لهم ذنوب عظام وكان حسم أمرهم لله يقومون على الاعراف فاذا نظروا الى أهل الجنة طمعوا ان يدخلوها واذا نظروا الى أهل النار تعوذوا بالله منها فادخلوا الجنة فذلك قوله أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة يعنى أصحاب الاعراف ادخلوا الجنة لاخوف عليكم ولا أنتم تحزنون حدثنى المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال قال ابن عباس ان الله أدخل أصحاب الاعراف الجنة لقوله ادخلوا الجنة لاخوف عليكم ولا أنتم تحزنون حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال ثنى قال الله لاهل التكبر والاموال أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة يعنى أصحاب الاعراف ادخلوا الجنة لاخوف عليكم ولا أنتم تحزنون حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى أهؤلاء الضعفاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة لاخوف عليكم ولا أنتم تحزنون قال فقال حذيفة أصحاب الاعراف قوم تكافأت أعمالهم فقصرت حسناتهم عن الجنة وقصرت سيآتهم عن النار فجعلوا على الاعراف يعرفون الناس بسيماهم فلما قضى بين العباد أذن لهم فى طلب الشفاعة فأتوا آدم عليه السلام فقالوا يا آدم أنت أبونا فاشفع لنا عند ربك فقال هل تعلمون أحدا خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وسبقت اليه رحمته غضبه وسجدت له الملائكة غيرى فيقولون لا قال فيقول ما علمت كنه ما أستطيع أن أشفع لكم ولكن ائتوا ابنى ابراهيم قال فيأتون ابراهيم عليه السلام فيسألونه أن يشفع لهم عند ربه فيقول هل تعلمون من أحد اتخذه الله خليلا هل تعلمون أحدا احرقه قومه فى النار فى الله غيرى فيقولون لا فيقول ما علمت كنه ما أستطيع أن أشفع لكم ولكن ائتوا ابنى موسى فيأتون موسى عليه السلام فيقول هل تعلمون من أحد كلمه الله تكليما وقربه نجيا غيرى فيقولون لا فيقول ما علمت كنه ما أستطيع أن أشفع لكم ولكن ائتوا عيسى فيأتونه فيقولون اشفع لنا عند ربك فيقول هل تعلمون أحدا خلقه الله من غير أب غيرى فيقولون لا فيقول هل تعلمون من أحد كان يبرئ الاكمه والابرص ويحيى الموتى باذن الله غيرى قال فيقولون لا قال فيقول انا حجيج نفسى ما علمت كنه ما أستطيع أن أشفع لكم ولكن ائتوا محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأتونى فاضرب بيدى على صدرى ثم أقول أنا لها ثم أمشى حتى أقف بين يدى العرش فآتى على ربى فيفتح لى من الثناء ما لم يسمع السامعون بمثله قط ثم اسجد فيقال لى يا محمد ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع فارفع رأسى فاقول رب أمتى فيقال هم لك فلا يبقى نبى مرسل ولا ملك مقرب الا غبطنى يومئذ بذلك المقام وهو المقام المحمود قال فآتى بهم باب الجنة فاستفتح فيفتح لى ولهم فيذهب بهم الى نهر يقال له نهر الحياة حافتاه قضب من ذهب مكلل باللؤلؤ

ترابه

البيان تأكيد المدح بما يشبه الذم وفى ذلك بيان فرط جهالتهم وعتوهم حيث وصفوا من هو بهذه المنزلة من الهدى بالضلال الظاهر الذى لا ضلال بعده وفيه ان مدح الانسان نفسه اذا كان فى موضع الضرورة جائز ثم ذكر ما هو المقصود من البعثة وهو أمران الاول تبليغ الرسالة والثانى تقرير النصيحة فقال أبلغكم الآية الجملة استئناف بيان لكونه رسولا من رب العالمين أو صفة لرسول وانما جاز ان تكون صفة ولفظ الرسول غائب نظرا الى المعنى كقوله

* أنا الذى سمتنى أمى حيدره *

رسالات ربى ما أوحى الى فى الاوقات المتطاولة أو ما أوحى الى فى المعانى المختلفة من الاوامر والنواهى وشرح مقاديره وان كان جائزا ولكن يقول نصحت لك قال فى الكشاف وفى زيادة اللام مبالغة ودلالة على امحاض النصيحة وحقيقة النصح الارشاد الى المصلحة مع خلوص النية من شوائب المكروه ومعنى الآية وأبلغكم تكاليف الله ثم أرشدكم الى الاصلح الاصوب وأدعوكم الى ما دعانى الله تعالى وأحب لكم ما أحب لنفسى وأعلم من الله ما لا تعلمون أى أعلم انكم ان عصيتم أمره عاقبكم بالطوفان وذلك انهم لم يسمعوا بقوم حل بهم العذاب قبلهم أو أعلم ان الله يعاقبكم فى الآخرة عقابا أو أعلم من توحيد الله من صفات جلاله ما لا تعلمون ويكون المقصود حمل القوم على ان يرجعوا اليه فى طلب تلك العلوم أوعجبتم الهمزة للانكار والمعطوف محذوف والتقدير أكذبتم وعجبتم من ان جاءكم ذكر من ربكم قال الحسن يعنى الوحى الذى جاءهم به وقال آخرون الذكر المعجز كتابا أو غير كتاب وقيل هو الموعظة على رجل أى على لسانه قاله ابن قتيبة ونظيره آتنا ما وعدتنا على رسلك وقال الفراء على بمعنى مع تقول جاءنا الخبر على وجهك ومع وجهك كلاهما جائز وقيل أى منزل على رجل ومعنى منكم من بنى نوعكم كأنهم استبعدوا ان يكون لله رسول الى خلقه لاعتقادهم ان المقصود من الارسال التكليف وان التكليف لا منفعة للمعبود

ترابه المسك وحصباؤه الياقوت فيغتسلون منه فتعود اليهم ألوان أهل الجنة وريحهم ويصيرون كأنهم الكواكب الدرية ويبقى في صدورهم شامات بيض يعرفون بها يقال لهم مساكين أهل الجنة **حدثت** عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك قال ان الله أدخل بعد أصحاب الجنة وهو قوله أدخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون يعني أصحاب الاعراف وهذا قول ابن عباس فتأويل الكلام على هذا التأويل الذي ذكرنا عن ابن عباس ومن ذكرنا قوله فيه قال الله لاهل التكبر عن الاقرار بوحدانية الله والاذعان لطاعته وطاعة رسله الجامعين في الدنيا الاموال مكاثرة ورياء أيها الجبابرة الذين كانوا في الدنيا أهؤلاء الضعفاء الذين كنتم في الدنيا أقسمتم لا ينالهم الله برحمة قال قد غفرت لهم ورحمتهم بفضلي ورحمتي ادخلوا يا أصحاب الاعراف الجنة لا خوف عليكم بعدها من عقوبة تعاقبون بها على ما سلف منكم في الدنيا من الآثام والاجرام ولا أنتم تحزنون على شئ فاتكم في دنياكم وقال أبو مجلز بل هذا القول خبر من الله عن قيل الملائكة لاهل النار بعد ما دخلوا النار وتعييرا منهم لهم على ما كانوا يقولون في الدنيا للمؤمنين الذين أدخلهم الله يوم القيامة جنته وأما قوله ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون فخبر من الله عن أمره أهل الجنة بدخولها **حدثني** يعقوب قال ثنا ابن علية عن سليمان التيمي عن أبي مجلز قال نادت الملائكة رجالا في النار يعرفونهم بسيماهم ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة قال فهذا حين دخل أهل الجنة الجنة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون ۞ القول في تأويل قوله (ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين) وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن استغاثة أهل النار بأهل الجنة عند نزول عظيم البلاء بهم من شدة العطش والجوع عقوبة من الله لهم على ما سلف منهم في الدنيا من ترك طاعة الله في أداء ما كان فرض عليهم فيها في أموالهم من حقوق المساكين من الزكاة والصدقة يقول تعالى ذكره ونادى أصحاب النار بعد ما دخلوها أصحاب الجنة بعد ما سكنوها أن يا أهل الجنة أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله أي اطعمونا مما رزقكم الله من الطعام كما **حدثني** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قال من الطعام **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قال يستطعمونهم ويستسقونهم فاجابهم أهل الجنة ان الله حرم الماء والطعام على الذين جحدوا توحيده وكذبوا في الدنيا رسله والهاء والميم في قوله ان الله حرمهما عائدتان على الماء وعلى ما التي في قوله أو مما رزقكم الله * وبنحو ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن عثمان الثقفي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قال ينادي الرجل أخاه أو أباه فيقول قد احترقت أفض علي من الماء فيقال لهم أجيبوهم فيقولون ان الله حرمهما على الكافرين **وحدثني** المثنى قال ثنا ابن دكين قال ثنا سفيان عن عثمان عن سعيد بن جبير ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قال ينادي الرجل أخاه يا أخي قد احترقت فاغثني فيقول ان الله حرمهما على الكافرين **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين قال طعام أهل الجنة وشرابها ۞ القول في تأويل قوله (الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما

لتعاليه ولا للعابد لتضرره في الحال وأما في المآل فالله تعالى قادر على تحصيله بدون واسطة التكليف وأيضا ان العقل كاف في معرفة الحسن والقبيح وما لا يعلم حسنه ولا قبحه فان كان المكلف مضطرا فعل لانه تعالى لا يكلف ما لا يطاق وان لم يكن مضطرا اليه ترك حذرا عن الخطر وبتقدير انه لا بد من الرسول فان ارسال الملائكة أولى لشدة بطشهم وقوة عصمتهم وطهارتهم واستغنائهم عن الاكل والشرب والنكاح وبتقدير جواز كون النبي من البشر فلعلهم اعتقدوا ان من كان فقيرا خاملا لا يصلح للنبوة فانكر نوح عليه السلام كل هذه الاشياء لانه تعالى خالق الخلق فله بحكم الالهية ان يأمر عباده ببعض الاشياء وينهاهم عن بعضها ولا يجوز ان يخاطبهم بتلك التكاليف من غير واسطة لان ذلك ينتهي الى حد الالجاء المنافي للتكليف ولا يجوز ان يكون ذلك الرسول ملكا لان الجنس الى الجنس أسكن وقد مر في أول الانعام ثم بين ما لاجله يبعث الرسول فقال لينذركم الآية وانه ترتيب أنيق لان المقصود من البعثة الانذار ومن الانذار التقوى ومن التقوى الفوز برحمة الله قال الجبائي والكعبي في الآية دلالة على انه تعالى لم يرد من المبعوث اليهم الا التقوى ومن التقوى الجنة دون الكفر والعذاب وعورض بالعلم والداعي كما مر مرارا فكذبوه في ادعاء النبوة وتبليغ التكاليف وأصروا قال بعض العلماء ما في حق العقلاء من التكذيب فبغير الباء نحو كذبوا رسلي وكذبوه وما في حق غيرهم فبالباء نحو كذبوا بآياتنا والتحقيق ان المراد كذبوا رسلنا بردّ آياتنا فانجيناه والذين استقروا معه في الفلك وأنجيناهم في السفينة من الطوفان قيل كانوا أربعين رجلا وامرأة وقيل كانوا تسعة بنوه سام وحام ويافث وستة ممن آمن وانما قال في سورة يونس فنجيناه ومن معه في الفلك لان التشديد للتكثير ولفظة من أدل على العموم ولهذا يقع على الواحد والتثنية والجمع والمذكر والمؤنث بخلاف الذين انهم كانوا قوما عمين قال ابن عباس عميت قلوبهم

كانوا بآ ياتنا يجحدون) وهذا خبر من الله عن قيل أهل الجنة للكافرين يقول تعالى ذكره فاجاب أهل الجنة أهل النار ان الله حرمهما على الكافرين الذين كفروا بالله ورسله الذين اتخذوا دينهم الذى أمرهم الله به لهوا ولعبا يقول سخرية ولعبا وروى عن ابن عباس فى ذلك ما حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا الآية * قال أبو جعفر وذلك انهم كانوا اذا دعوا الى الايمان سخروا ممن دعاهم اليه وهزئوا به اغترارا بالله وغرتهم الحياة الدنيا يقول وخدعهم عاجل ماهم فيه من العيش والخفض والدعة عن الاخذ بنصيبهم من الآخرة حتى أتتهم المنية يقول الله جل ثناؤه فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا أى ففى هذا اليوم وذلك يوم القيامة ننساهم يقول نتركهم فى العذاب المبين جياعا عطاشا بغير طعام ولا شراب كما تركوا العمل للقاء يومهم هذا ورفضوا الاستعداد له باتعاب أبدانهم فى طاعة الله وقد بينا معنى قوله ننساهم بشواهده فيما مضى بما أغنى عن اعادته * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن جابر عن مجاهد فاليوم ننساهم قال نسوا فى العذاب حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فاليوم ننساهم قال نتركهم كما تركوا لقاء يومهم هذا حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله ننساهم قال نتركهم فى النار حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا قال نتركهم من الرحمة كما تركوا ان يعملوا للقاء يومهم هذا حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا الآية يقول نسيهم الله من الخير ولم ينسهم من الشر حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد قال سمعت مجاهدا فى قوله فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا قال يؤخرهم فى النار وأما قوله وما كانوا بآ ياتنا يجحدون فان معناه اليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وكما كانوا بآ ياتنا يجحدون فما التى فى قوله وما كانوا معطوفة على ما التى فى قوله كما نسوا وتأويل الكلام فاليوم نتركهم فى العذاب كما تركوا العمل فى الدنيا للقاء الله يوم القيامة وكما كانوا بآيات الله يجحدون وهى حججه التى احتج بها عليهم من الانبياء والرسل والكتب وغير ذلك يجحدون يكذبون ولا يصدقون بشئ من ذلك ۞ القول فى تأويل قوله (ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون) يقول تعالى ذكره أقسم يا محمد لقد جئنا هؤلاء الكفرة بكتاب يعنى القرآن الذى أنزله اليه يقول لقد أنزلنا اليهم هذا القرآن مفصلا مبينا فيه الحق من الباطل على علم يقول على علم منا بحق ما فصل فيه من الباطل الذى ميز فيه بينه وبين الحق هدى ورحمة يقول بيناه ليهتدى ويرحم به قوم يصدقون به وبما فيه من أمر الله ونهيه واخباره ووعده ووعيده فينقذهم به من الضلالة الى الهدى وهذه الآية مردودة على قوله كتاب أنزلناه اليك فلا يكن فى صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم والهدى فى موضع نصب على القطع من الهاء التى فى قوله فصلناه ولو نصب على فعل فصلناه فيكون المعنى فصلنا الكتاب كذلك كان صحيحا ولو كان قرئ هدى ورحمة كان فى الاعراب فصيحا وكان خفض ذلك بالرد على الكتاب ۞ القول فى تأويل قوله (هل ينظرون الا تأويله يوم يأتى تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق) يقول تعالى ذكره هل ينظرون الا تأويله هل ينظرون هؤلاء المشركون الذين يكذبون بآيات الله ويجحدون لقاءه الا تأويله يقول الا ما يؤول اليه أمرهم من ورودهم على عذاب الله وصليهم جحيمه وأشباه هذا

عن معرفة التوحيد والنبوة والمعاد وقال أهل اللغة يقال الرجل عمى فى البصيرة وأعمى فى البصر العمى يدل على عمى ثابت على عمى حادث * القصة الثالثة قصة هود وذلك قوله سبحانه والى عاد أخاهم هودا والتقدير لقد أرسلنا نوحا الى قومه وأرسلنا الى عاد أخاهم هودا واتفقوا على ان هودا ما كان أخاهم فى الدين ثم قال الزجاج معناه انه كان من آدم ومن جنسهم لا من جنس الملائكة والجن وقيل أرادوا احدا منهم قاله الكلبى وهو من قولك يا أخا العرب لواحد منهم وقيل خص واحدا منهم بالارسال اليهم ليكونوا أعرف بحاله فى صدقه وأمانته وقيل معناه صاحبهم ونسبه هود بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح وهودا عطف بيان لأخاهم وأما عاد فهم كانوا باليمن بالاحقاف قال ابن اسحق والاحقاف الرمل الذى بين عمان الى حضرموت واعلم ان ألفاظ هذه القصة بعضها يوافق الالفاظ المذكورة فى قصة نوح وبعضها يخالفها فلنبين أسرارها عند الجواب عن شبهاتهم دفعة واحدة وأما هو دفما كان حده الى هذا الحد فلاجرم جاء بالتعقيب فى قصة نوح دون قصة هود وواقعة هود كانت مسبوقة بواقعة نوح فوقع الاقتصار على ذلك أى لعلكم تحذرون مثل ذلك العذاب العظيم الذى اشتهر خبره فى الدنيا ومنها قال الملأ من قومه ويمكن أن يقال لما أضمر أرسلنا أضمر الفاء لان الداعى الى لفظ أرسلنا وفى الكشاف ان هذا وارد على سبيل استئناف قصة هود قال الملأ الذين كفروا من قومه أما ان هذا وصف وارد للذم لا غير وأما انه لم يكن فى أشراف قوم نوح من يؤمن وكان فى أشراف قوم هود من آمن به منهم مرثد بن سعد الذى كان يكتم اسلامه فاريد التفرقة بالوصف ومنها ان قوم نوح قالوا انا لنراك فى ضلال مبين وقوم هود قالوا انا لنراك فى سفاهة أى متمكنا منها تمكن المظروف من الظرف وفيه ان نوحا كان يخوفهم بالطوفان العام وكان يشتغل باعداد السفينة فنطويه فوصفوه بضعف الرأى والبعد عن السداد وأما هود فلما

مما

مما أوعدهم الله به وقد بينا معنى التأويل فيما مضى بشواهده بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله هل ينظرون الا تأويله أى ثوابه يوم يأتى تأويله أى ثوابه حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور قال ثنا معمر عن قتادة هل ينظرون الا تأويله يوم يأتى تأويله عاقبته حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو اسامة عن شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد هل ينظرون الا تأويله قال جزاءه يوم يأتى تأويله قال جزاؤه حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن أبى زائدة عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى هل ينظرون الا تأويله أما تأويله عواقبه مثل وقعة بدر والقيامة وما وعد فيها من موعد حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس فى قوله هل ينظرون الا تأويله يوم يأتى تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فلا يزال يقع تأويله أمر ابعد أمر حتى يأتى تأويله يوم القيامة وفى ذلك أنزل هل ينظرون الا تأويله حيث أثاب الله تبارك وتعالى أولياءه وأعداءه ثواب أعمالهم يقول يومئذ الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق الآية حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله هل ينظرون الا تأويله يوم يأتى تأويله فهو يوم القيامة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله يوم يأتى تأويله قال يوم يأتى حقيقته وقرأ قول الله تعالى هذا تأويل رؤياى من قبل قال هذا تحقيقها وقرأ قول الله وما يعلم تأويله الا الله قال ما يعلم حقيقته ومتى يأتى الا الله تعالى وأما قوله يوم يأتى تأويله يقول الذين نسوه من قبل فان معناه يوم يجىء ما يؤل اليه أمرهم من عقاب الله يقول الذين نسوه من قبل أى يقول الذين ضيعوا وتركوا ما أمروا به من العمل المنجيهم مما آل اليه أمرهم يومئذ من العذاب من قبل ذلك فى الدنيا لقد جاءت رسل ربنا بالحق أقسم المساكين حين عاينوا البلاء وحل بهم العقاب أن رسل الله التى أتتهم بالنذارة وبلغتهم عن الله الرسالة قد كانت نصحت لهم وصدقتهم عن الله وذلك حين لا ينفعهم التصديق ولا ينجيهم من سخط الله وأليم عقابه كثرة القال والقيل * وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق أما الذين نسوه فتركوه فلما رأوا ما وعدهم أنبياؤهم استيقنوا فقالوا قد جاءت رسل ربنا بالحق حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد يقول الذين نسوه أعرضوا عنه حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد يقول الذين نسوه من قبل أعرضوا عنه حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله ۞ القول فى تأويل قوله (فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذى كنا نعمل قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون) وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن هؤلاء المشركين الذين وصفت صفتهم انهم يقولون عند حلول سخط الله بهم وورودهم أليم عذابه ومعاينتهم تأويل ما كانت رسل الله تعدهم هل لنا من أصدقاء وأولياء اليوم قد شفعوا لنا عند ربنا فتنجينا شفاعتهم عنده مما قد حل بنا من سوء فعالنا فى الدنيا أو نرد الى الدنيا مرة أخرى فنعمل فيها بما يرضيه ويعتبه من أنفسنا قال هذا القول المساكين هنالك لانهم كانوا عهدوا فى الدنيا أنفسهم لها شفعاء تشفع لهم فى حاجاتهم فيذكروا ذلك فى وقت لا خلة فيه لهم ولا شفاعة يقول الله جل ثناؤه قد خسروا أنفسهم يقول جل ثناؤه وتقدست أسماؤه قد خسروا

ذكر شيأ الا معتقدهم فى عبادة الاصنام وطعن فيها فقابلوه بمثله ونسبوه الى السفاهة وخفة العقل حيث فارق دين قومه ثم قالوا وانا لنظنك من الكاذبين فى ادعاء الرسالة قيل الظن بمعنى الجزم واليقين كقوله الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم قال الحسن والزجاج كانوا شاكين فيعلم منه ان الشك والتجويز فى أصول الدين يوجب الكفر ومنها قول نوح وأنصح لكم وقال هود وأنا لكم ناصح وذلك لانه كان من عادة نوح عليه السلام العود الى تجديد تلك الدعوة فى كل يوم وفى كل ساعة وصيغة الفعل دالة على التجدد المستمر ولهذا قال رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا الى آخر الآيات وأما هود فكان ثابتا على النصح غير مجدد اياه لحظة فلحظة كما كان يفعل نوح ثم ان نوحا عليه السلام قال أعلم من الله ما لا تعلمون لانه كان يعلم من أسرار الله تعالى ما لم يصل اليه هود فلا جرم أمسك هود لسانه واقتصر على وصف نفسه بكونه أمينا ثقة أى عرفت فيما بينكم بالنصح والامانة فليس من حقى ان آتى بالكذب والغش أو المراد تقرير الرسالة فانها تدور على الامانة أى أنا لكم ناصح فيما أدعوكم اليه أمين على ما أقول لكم لا أكذب فيه وفى هذين الجوابين عن مثل ذينك الشخصين مع جلالة قدرهما دليل على ان الحكيم يجب ان لا يقابل السفهاء الا بالكلام المبنى على الحلم والاغضاء ومنها ان هودا اقتصر على قوله لينذركم لما مر فى قصة نوح ان فائدة الانذار هى حصول التقوى الموجبة للرحمة فلم يكن حاجة الى الاعادة ولكنه ضم الى ذلك آخر يختص بهم فقال واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح أى خلفتموهم فى الارض أو جعلكم ملوكا فقد استخلفكم فيها بعدهم وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأملاكهم وما يتصل بها من المنافع واذ مفعول به لا ظرف أى اذكروا وقت جعلكم وزادكم فى الخلق بسطة فالخلق التقدير وقلما يطلق الاعلى الشئ الذى له مقدار وجسمية والمراد حصول الزيادة فى أجسامهم زيادة خارقة للعادة والا لم تذكر فى معرض الامتنان قال الكلبى كان

أنفسهم يقول غبنوا أنفسهم حظوظها ببيعهم مالا خطر له من نعيم الآخرة الدائم بالخسيس من عرض الدنيا الزائل وضل عنهم ما كانوا يفترون يقول وأسلمهم لعذاب الله وحاد عنهم أولياؤهم الذين كانوا يعبدونهم من دون الله ويزعمون كذبا وافتراء أنهم أربابهم من دون الله حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي قوله قد خسروا أنفسهم يقول شروها بالخسران وانما رفع قوله أو نرد ولم ينصب عطفا على قوله فيشفعوا لنا لان المعنى هل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو هل نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل ولم يرد به العطف على قوله فيشفعوا لنا

❁ القول في تأويل قوله (ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا) يقول تعالى ذكره ان سيدكم ومصلح أموركم أيها الناس هو المعبود الذي له العبادة من كل شئ الذي خلق السموات والارض في ستة أيام وذلك يوم الاحد والاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس والجمعة كما حدثني المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن مجاهد قال بدء الخلق العرش والماء والهواء وخلقت الارض من الماء وبدء الخلق يوم الاحد والاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس وجمع الخلق في يوم الجمعة وتهودت اليهود يوم السبت ويوم من الستة الايام كالف سنة مما تعدون ثم استوى على العرش وقد ذكرنا معنى الاستواء واختلاف الناس فيه فيما مضى قبل بما أغنى عن اعادته وأما قوله يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا فانه يقول يورد الليل على النهار فيلبسه اياه حتى يذهب نضرته ونوره يطلبه يقول يطلب الليل النهار حثيثا يعني سريعا * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يطلبه حثيثا يقول سريعا حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا قال يغشي النهار فيذهب بضوئه ويطلبه سريعا حتى يدركه

❁ القول في تأويل قوله (والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره ألا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين) يقول تعالى ذكره ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض والشمس والقمر والنجوم كل ذلك بامره أمرهن الله فاطعن أمره ألا لله الخلق كله والامر الذي لا يخالف ولا يرد أمره دون ما سواه من الاشياء كلها ودون ما عبده المشركون من الآلهة والاوثان التي لا تضر ولا تنفع ولا تخلق ولا تأمر تبارك معبودنا الذي له عبادة كل شئ رب العالمين حدثني المثنى قال ثنا هشام قال ثنا اسحق أبو عبد الرحمن قال ثنا بقية بن الوليد قال ثني عبد الغفار الانصاري عن عبد العزيز الشامي عن أبيه وكانت له صحبة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يحمد الله على ما عمل من عمل صالح وحمد نفسه قل شكره وحبط عمله ومن زعم ان الله جعل للعباد من الامر شيأ فقد كفر بما أنزل الله على أنبيائه بقوله ألا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين

❁ القول في تأويل قوله (ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين) يقول تعالى ذكره ادعوا أيها الناس ربكم وحده فاخلصوا له الدعاء دون ما تدعون من دونه من الآلهة والاصنام تضرعا يقول تذللا واستكانة لطاعته وخفية يقول بخشوع قلوبكم وصحة اليقين منكم بوحدانيته فيما بينكم وبينه لا جهارا مراآة وقلوبكم غير موقنة بوحدانيته وربوبيته فعل أهل النفاق والخداع لله ولرسوله كما حدثني المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن فضالة عن الحسن قال ان كان الرجل لقد جمع القرآن وما يشعر جاره وان كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير وما يشعر به الناس وان كان الرجل ليصلي الصلاة الطويلة

بهذا القدر ومنهم من حمل اللفظ على الزيادة في القوة ومنهم من قال الخلق الخليقة وبسطتهم فيهم كونهم من قبيلة واحدة متشاركين في القوة والشدة والجلادة متناصرين متوادين فاذكروا آلاء الله في استخلافكم وبسطة اجرامكم وفيما سواهما من عطاياه والآلاء النعم واحدها ألى ونحوه ني وآناء كعنب وأعناب قال ابن الجوهري واحدها الى بالفتح وقد يكسر ويكتب الياء استدل الطاعنون في وجوب الاعمال الظاهرة بالآية قالوا انه تعالى رتب حصول الفلاح على مجرد التذكير وأجيب بان الآيات الدالة على وجوب العمل مخصصة أو مقيدة والتقدير فاذكروا آلاء الله واعملوا عملا يليق بذلك الانعام لعلكم تفلحون ذكرهم نبيهم نعم الله عليهم ليرجعوا الى عقولهم فيعلموا ان العبادة نهاية التعظيم ولا يليق الا لمن صدر عنه نهاية الانعام وليس للاصنام على الخلق شئ من النعم لانها جماد والجماد لا قدرة له أصلا فلم يكن للقوم جواب عن هذه الحجة الا التمسك بطريقة التقليد وذلك قولهم أجئتنا لنعبد الله وحده الهمزة لانكار اختصاص الله وحده بالعبادة وفي المجيء أوجه منها ان يكون لهود معتزل يتحنث فيه أي يتعبد كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بحراء قبل المبعث فلما أوحى اليه جاء قومه يدعوهم ومنها الاستهزاء اعتقادا منهم ان الله لا يرسل الا ملكا فكأنهم قالوا أجئتنا من السماء كما يجئ الملك ومنها ان يراد به القصد كما يقال ذهب يشتمني ولا يراد حقيقة الذهاب كأنهم قالوا أتعرضت لنا بتكليف عبادة الله وحده أي منفردا عن الاصنام وهو من المعارف التي وقعت حالا بتأويل ولا يمكن ان يكون وحده ههنا اعترافا في كما يقول الموحد لا اله الا الله وقال الله وحده ولان الغرض انهم مشركون ثم ان قول هود فيما قبل أفلا تتقون كان مشعرا بالتهديد والوعيد فلهذا

في بيته وعنده السمر وما يشعرون به ولقد أدركنا أقواما ما كان على الارض من عمل يقدرون على ان يعملوه في السر فيكون علانية أبدا ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يسمع لهم صوت ان كان الا همسا بينهم وبين ربهم وذلك ان الله يقول ادعوا ربكم تضرعا وخفية وذلك ان الله ذكر عبدا صالحا ورضي فعله فقال اذ نادى ربه نداء خفيا **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن عاصم الاحول عن أبي عثمان النهدي عن أبي موسى قال كان النبي صلى الله عليه وسلم في غزاة فأشرفوا على واد يكبرون ويهللون ويرفعون أصواتهم فقال أيها الناس اربعوا على أنفسكم انكم لا تدعون أصم ولا غائبا انكم تدعون سميعا قريبا معكم **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس قوله ادعوا ربكم تضرعا وخفية قال السر واما قوله انه لا يحب المعتدين فان معناه ان ربكم لا يحب من اعتدى فتجاوز حده الذي حده لعباده في دعائه ومسألته ربه ورفعه صوته فوق الحد الذي حد لهم في دعائهم اياه ومسألتهم وفي غير ذلك من الامور كما **حدثني** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا معتمر بن سليمان قال أنبأنا اسمعيل بن حماد بن أبي سليمان عن عباد بن عباد عن علقمة عن أبي مجلز ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين قال لا يسأل منازل الانبياء عليهم السلام **حدثني** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس انه لا يحب المعتدين في الدعاء ولا في غيره قال ابن جريج من الدعاء اعتداء يكره رفع الصوت والنداء والصياح بالدعاء ويؤمر بالتضرع والاستكانة ۞ القول في تأويل قوله (ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها وادعوه خوفا وطمعا ان رحمة الله قريب من المحسنين) يعني تعالى ذكره بقوله ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها لا تشركوا بالله في الارض ولا تعصوه فيها وذلك هو الفساد فيها وقد ذكرنا الرواية في ذلك فيما مضى وبينا معناه بشواهده بعد اصلاحها يقول بعد اصلاح الله اياها لاهل طاعته بابتعاثه فيهم الرسل دعاة الى الحق وايضاحه حججه لهم وادعوه خوفا وطمعا يقول واخلصوا له الدعاء والعمل ولا تشركوا في عملكم له شيأ غيره من الآلهة والاصنام وغير ذلك وليكن ما يكون منكم في ذلك خوفا من عقابه وطمعا في ثوابه وان من كان دعاؤه اياه على غير ذلك فهو بالآخرة من المكذبين لان من لم يخف عقاب الله ولم يرج ثوابه لم يبال ما ركب من أمر يسخطه الله ولا يرضاه ان رحمة الله قريب من المحسنين يقول تعالى ذكره ان ثواب الله الذي وعد المحسنين على احسانهم في الدنيا قريب منهم وذلك هو رحمته لانه ليس بينهم وبين أن يصيروا الى ذلك من رحمته وما أعد لهم من كرامته الا أن تفارق أرواحهم أجسادهم ولذلك من المعنى ذكر قوله قريب وهو من خبر الرحمة والرحمة مؤنثة لانه أريد به القرب في الوقت لا في النسب والاوقات بذلك المعنى اذا رفعت أخبارا للاسماء أجرتها العرب مجرى الحال فوحدتها مع الواحد والاثنين والجميع وذكرتها مع المؤنث فقالوا كرامة الله فلانة بعيد من فلان وهي قريب من فلان كما يقولون هند قريب منا والهندان منا قريب والهندات منا قريب لان معنى ذلك هي في مكان قريب منا فاذا حذفوا المكان وجعلوا القريب خلفا منه ذكروه ووحدوه في الجمع كما كان المكان مذكرا وموحدا في الجمع واما اذا أنثوه أخرجوه مثنى مع الاثنين ومجموعا مع الجميع فقالوا هي قريبة منا وهما منا قريبتان كما قال عروة بن الورد

عشية لا عفراء منك قريبة ۞ فتدنو ولا عفراء منك بعيد

فأنث قريبة وذكر بعيدا على ما وصفت ولو كان القريب من القرابة في النسب لم يكن مع المؤنث الا مؤنثا ومع الجمع الا مجموعا وكان بعض نحويي البصرة يقول ذكر قريب وهو صفة للرحمة وذلك

استعجل العذاب زعما منهم انه كاذب وذلك قولهم فأتنا بما تعدنا فأجابهم هود بقوله قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب ولابد أن يحملا على معنيين متغايرين لمكان العطف أما الغضب في حقه تعالى فارادة ايقاع السوء كما سبق مرارا وأما الرجس ضد التطهير كما قال سبحانه في صفة أهل البيت انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا وقال القفال الرجس هو الازدياد في الكفر بالرين على القلوب كما قال فزادتهم رجسا الى رجسهم وهذا التفسير أخص أما قوله قد وقع ولا يقع العذاب بعد ففيه وجوه قال بعض من يقول بان ارادة الله تعالى حادثة معناه انه تعالى أحدث ارادة في ذلك الوقت وقيل أراد هود انه أخبر بنزول العذاب وقيل جعل المتوقع الذي لا شك فيه بمنزلة الواقع كقولك لمن طلب منك حاجة قد كان ذلك تريد انها ستكون البتة وعن حسان ان ابنه عبد الرحمن لسعه زنبور وهو طفل فجاء أباه يبكي فقال له يا بني مالك فقال لسعني طوير كأنه ملتف في بردي حبرة فضمه الى صدره وقال يا بني قد قلت الشعر ثم أنكر عليهم قبيح فعالهم فقال أتجادلونني في أسماء تناظرونني في شأن آلهة أشياء ما هي الا أسماء سميتموها أحدثتموها أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان أي لا حجة على حقيقتها فتنزل والحاصل انها أسماء بلا مسميات لانكم تسمونها آلهة ومعنى الالهية فيها معدوم محال سموا واحدا بالعزى مشتقا من العز وما أعطاه الله تعالى عزا أصلا وسموا آخر منها باللات من الالهية وماله من الالهية أثر وانما قال في هذه السورة نزل وفي غيرها سيجيء أنزل لان نزل للتكثير فيكون للمبالغة ويجري ما بعده مجرى التفصيل للجملة أو أنواع للجنس والله أعلم ثم انه ذكرهم وعيدا مجددا فقال فانتظروا ... فأنجيناه والذين معه برحمة بسبب رحمة كانوا يستحقونها منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا أي استأصلناهم عن آخرهم وقدم مثله في

كقول العرب ريح حريق وماحقة حديد بشاة سديس قال وان شئت قلت تفسير الرحمة ههنا المطر ونحوه فلذلك ذكر كما قال وان كان طائفة منكم آمنوا فذكر لانه أراد الناس وان شئت جعلته كبعض مايذكرون من المؤنث كقول الشاعر * ولا أرض أبقل ابقالها * وقد أنكر ذلك من قيله بعض أهل العربية ورأى انه يلزمه ان جاء ان يذكر قريبا توجيهامنه للرحمة لى معنى المطر ان يقول هند قام توجيهامنه لهند وهي امرأة الى معنى انسان ورأى ان ماشبه به قوله ان رحمة الله قريب من المحسنين بقوله وان كان طائفة منكم آمنوا غير مشبهه وذلك ان الطائفة فيمازعم مصدر بمعنى الطيف كما الصيحة والصياح بمعنى ولذلك قيل وأخذ الذين ظلموا الصيحة ۞ القول في تاويل قوله (وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته حتى اذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فانزلنا به الماء فاخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون) يقول تعالى ذكره ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره هو الذى يرسل الرياح نشرا بين يدى رحمته والنشر بفتح النون وسكون الشين فى كلام العرب من الرياح الطيبة اللينة الهبوب التى تنشئ السحاب وكذلك كل ريح طيبة عندهم فهو نشر ومنه قول امرئ القيس

كان المدام وصوب الغمام * وريح الخزامى ونشر العطر

وبهذه القراءة قرأ ذلك عامة قراء الكوفيين خلا عاصم بن أبي النجود فانه كان يقرأه بشرا على اختلاف عنه فيه فروى ذلك بعضهم عنه بشرا بالباء وضمها وسكون الشين وبعضهم بالباء وضمها وضم الشين وكان يتأول فى قراءته ذلك كذلك قوله ومن آياته ان يرسل الرياح مبشرات وانه جمع بشير يبشر بالمطر بشيرا كما يجمع النذير نذرا واما قراء المدينة وعامة المكيين والبصريين فانهم قرؤا ذلك وهو الذى يرسل الرياح نشرا بضم النون والشين بمعنى جمع نشور جمع نشرا كما يجمع الصبور صبرا والشكور شكرا وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يقول معناها اذا قرئت كذلك انها الريح التى تهب من كل ناحية وتجىء من كل وجه وكان بعضهم يقول اذا قرئت بضم النون فينبغى ان تسكن شينها لان ذلك لغة بمعنى النشر ٧ بالفتح وقال العرب تضم النون من النشر أحيانا وتفتح أحيانا بمعنى واحد قال فاختلاف القراء فى ذلك على ماقدر اختلافها فى لغتها فيه وكان يقول هو نظير الخسف والخسف بفتح الخاء وضمها * والصواب من القراءة فى ذلك ان يقال ان قراءة من قرأ ذلك نشرا ونشرا بفتح النون وسكون الشين وبضم النون والشين قراءتان مشهورتان فى قراءة الامصار فلا أحب القراءة بها وان كان لها معنى صحيح ووجه مفهوم فى المعنى والاعراب لما ذكرنا من العلة ٩ واما قوله بين يدى رحمته فانه يقول قدام رحمته وامامها والعرب كذلك تقول لكل شئ حدث قدام شئ وامامه جاء بين يديه لان ذلك من كلامهم جرى فى أخبارهم عن بنى آدم وكثر استعمالهم فيهم حتى قالوا ذلك فى غير ابن آدم ومالا يد له والرحمة التى ذكرها جل ثناؤه فى هذا الموضع المطر فمعنى الكلام اذا والله الذى يرسل الرياح لينا هبوبها طيبا نسيمها امام غيثه الذى يسوقه بها الى خلقه فينشئ بها سحابا ثقالا حتى اذا أقلتها والاقلال بها حملها كما يقال استقل البعير بحمله وأقله اذا حمله فقام به ساقه الله لاحياء بلد ميت تعفت مزارعه ودرست مشاربه وأجدب أهله فانزل به المطر وأخرج به من كل الثمرات وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وهو الذى يرسل الرياح نشرا بين يدى رحمته الى قوله تذكرون قال ان الله يرسل الريح فتأتى بالسحاب من بين الخافقين طرف السماء والارض حيث يلتقيان فتخرجه من ثم ثم تنشره فيبسطه فى السماء كيف يشاء ثم يفتح أبواب السماء فيسيل الماء على

٩ هكذا هذه العبارة بالاصول ولعل هنا سقطا الذى بين ماء والصواب من القراءة تامل اه مصححه

الانعام وفائدة نفى الايمان عنهم فى قوله وما كانوا مؤمنين مع اثبات التكذيب بآيات ربهم ان يكون تعريضا بمن آمن منهم كمرثد بن سعد وغيره كانه قيل ولقد قطعنا دابر الذين كذبوا ولم يكونوا مثل من آمن منهم أو معنى وما كانوا مؤمنين فى علم الله تعالى أى لم يكونوا يعنى من المكذبين ٧ أو لو بقوا لآمنوا قال فى الكشاف وان عادا قد تبسطوا فى البلاد مابين عمان وحضرموت وكانت لهم أصنام يعبدونها صداء وصمودا والهبا فبعث الله هودا نبيا وكان من أوسطهم وأشرفهم وأفضلهم حسبا فكذبوه وازدادوا عتوا وتجبرا فامسك الله عنهم القطر ثلاث سنين حتى جهدوا وان الناس كانوا اذا نزل بهم بلاء طلبوا الى الله الفرج من ذلك عند بيته الحرام مسلمهم ومشركهم وأهل مكة اذ ذاك العماليق أولاد عمليق ابن لاود بن سام بن نوح وسيدهم معاوية بن بكر فجهزت عاد الى مكة من أماثلهم سبعين رجلا منهم قيل ابن عنز ومرثد بن سعد الذى كان يكتم اسلامه فلما نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا من الحرم أنزلهم وأكرمهم وكانوا أخواله وأصهاره فاقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان كانتا لمعاوية احداهما وردة والاخرى جرادة ولما رأى طول مقامهم وذهولهم باللهو عما قدموا لاجله أهمه ذلك وقال قد هلك أخوالى وأصهارى وهؤلاء على ماهم عليه وكان يستحى ان يكلمهم خيفة ان يظنوا به ثقل مقامهم عليه فذكر ذلك للقينتين فقالتا قل شعرا نغنيهم به لا يدرون من قاله فقال معاوية

ألا ياقيل ويحك قم فهينم * لعل الله يسقينا غماما

ويسقى أرض عاد ان عادا * قد أمسوا ما يبينون الكلاما

الهينمة اخفاء الكلام فى الدعاء وغيره ومعنى يسقينا يجعله ساقيا الناو قوله لا يبينون الكلام أى لا يكادون يفقهون قولا من ضعفهم وسوء حالهم فلما غنتا به قالوا ان قومكم يتغوثون من السحاب

السحاب ثم عطر السحاب بعد ذلك وامارحمته فهو المطر واما قوله كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون فانه يقول تعالى ذكره كما يحيي هذا البلد الميت بما ينزل به من الماء الذي ينزله من السحاب فيخرج به من الثمرات بعد موته وجدوبته وقحوط أهله كذلك نخرج الموتى من قبورهم احياء بعد فنائهم ودروس آثارهم لعلكم تذكرون يقول تعالى ذكره للمشركين به من عبدة الاصنام المكذبين بالبعث بعد الممات المنكرين للثواب والعقاب ضربت لكم أيها القوم هذا المثل الذي ذكرت لكم من أخبار البلد الميت بقطر المطر الذي يأتي به السحاب الذي تنشره الرياح التي وصفت صفتها لتعتبروا فتذكروا وتعلموا ان من كان ذلك من قدرته فيسير في قدرته احياء الموتى بعد فنائها واعادتها خلقا سويا بعد دروسها وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي قوله كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون وكذلك النشور كما نخرج الزرع بالماء وقال أبو هريرة ان الناس اذا ماتوا في النفخة الاولى أمطر عليهم من ماء تحت العرش يدعى ماء الحيوان أربعين سنة فينبتون كما ينبت الزرع من الماء حتى اذا استكملت أجسادهم نفخ فيهم الروح ثم يلقى عليهم نومة فينامون في قبورهم فاذا نفخ في الصور الثانية عاشوا وهم يجدون طعم النوم في رؤسهم وأعينهم كما يجد النائم حين يستيقظ من نومه فعند ذلك يقولون يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا فناداهم المنادي هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله كذلك نخرج الموتى قال اذا أراد الله ان يخرج الموتى أمطر السماء حتى تنشق عنهم الارض ثم يرسل الارواح فيعود كل روح الى جسدها فكذلك يحيي الموتى بالمطر كاحيائه الارض ❁ القول في تأويل قوله (والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا كذلك نفصل الآيات لقوم يشكرون) يقول تعالى ذكره والبلد الطيبة تربته العذبة مشاربه يخرج نباته اذا أنزل الله الغيث وأرسل عليه الحيا باذنه طيبا ثمره في حينه ووقته والذي خبث فردأت تربته وملحت مشاربه لا يخرج نباته الا نكدا يقول الا عسرا في شدة كما قال الشاعر

لا تنجز الوعد ان وعدت وان ❊ أعطيت أعطيت تافها نكدا

يعني بالتافه القليل وبالنكد العسير يقال منه نكد ينكد نكدا ونكدا فهو نكد ونكد والنكد المصدر ومن أمثالهم نكدا وجحدا والجحد الشدة والضيق ويقال اذا شفه وسيل ٧ وقد نكدوه ينكدوه نكدا كما قال الشاعر

وأعط ما أعطيته طيبا ❊ لا خير في المنكود والناكد

واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأه بعض أهل المدينة الا نكدا بفتح الكاف وقرأه بعض الكوفيين بسكون الكاف نكدا وخالفهما بعد سائر القراء في الامصار فقرؤه الا نكدا بكسر الكاف كان من قرأه نكدا بنصب الكاف أراد المصدر وكان من قرأه بسكون الكاف أراد كسرها فسكنها على لغة من قال هذه فخذ وكتد وكان الذي يجب عليه اذا أراد ذلك ان يكسر النون من نكد حتى يكون قد أصاب القياس ❊ قال أبو جعفر والصواب من القراءة في ذلك عندنا قراءة من قرأه نكدا بفتح النون وكسر الكاف لاجماع الحجة من قراء الامصار عليه وقوله كذلك نفصل الآيات لقوم يشكرون يقول كذلك نبين لهم آية بعد آية وندل بحجة بعد حجة ونضرب مثلا بعد مثل لقوم يشكرون الله على انعامه عليهم بالهداية وتبصيره اياهم سبيل أهل الضلالة باتباعهم ما أمرهم

البلاء الذي نزل بهم وقد أبطأ عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا القوم لكم فقال لهم مرثد بن سعد والله لا يسقون بدعائكم ولكن ان أطعتم نبيكم وتبتم الى ربكم سقيتم وأظهر اسلامه فقالوا لمعاوية احبس عنا مرثدا لا يقدمن معنا مكة فانه قد اتبع دين هود ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فانها أكثرهن ماء فخرجت على عاد من واد لهم يقال له المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه فاتوا مكة فتعبدوا الله فيها حتى ماتوا ❊ التأويل لقد أرسلنا نوح الروح الى قومه بلاد القوالب وهم القلب وصفاته والنفس وصفاتها ومن صفة الروح العبودية والطاعة دعوة القلب والنفس وصفاتها الى الله وعبوديته ومن صفات النفس تكذيب الروح ومخالفته والاباء عن نصحه والتعجب فكذبوا يعني النفس وصفاتها نوح الروح فانجيناه والذين معه في الفلك الشرع وأغرقنا النفس وصفاتها في البحر الدنيا وشهواتها انهم كانوا قوما عمين عن رؤية الله والوصول اليه وزادكم في الخلق بسطة كما أوقع التفاوت بين الشخص والشخص فيما يعود الى المباني أوقع التباين بين قوم وقوم فيما يرجع الى المعاني قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب أي مقالتكم تدل على حالتكم انه أصابكم سطوات العذاب فمن أمارات الاعراض رد العبد الى شهود الاغيار وتغريقه اياه في بحار الظنون والاوهام والجلال (والى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الارض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الارض مفسدين قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحا مرسل

باتباعه وتجنبهم ما أمرهم بتجنبه من سبل الضلالة وهذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر فالبلد الطيب الذي يخرج نباته باذن ربه مثل للمؤمن والذي خبث فلا يخرج نباته الا نكدا مثل للكافر وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله ابن صالح عن علي عن ابن عباس قوله والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا فهذا مثل ضربه الله للمؤمن يقول هو طيب وعمله طيب كما البلد الطيب ثمره طيب ثم ضرب مثل الكافر كالبلدة السبخة المالحة التي تخرج منها البركة فالكافر هو الخبيث وعمله خبيث حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله والبلد الطيب والذي خبث كل ذلك من الارض السباخ وغيرها مثل آدم وذريته كلهم خبيث وطيب حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بنحوه حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا قال هذا مثل ضربه الله في الكافر والمؤمن حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد يعني ابن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث هي السبخة لا يخرج نباتها الا نكدا والنكد الشئ القليل الذي لا ينفع فكذلك القلوب لما نزل القرآن فالقلب المؤمن لما دخله القرآن آمن به وثبت الايمان في قلبه والقلب الكافر لما دخله القرآن لم يتعلق منه بشئ ينفعه ولم يثبت فيه من الايمان شئ الا ما لا ينفع كما لم يخرج هذا البلد الا ما لا ينفع من النبات حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعيد عن مجاهد والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا قال الطيب ينفعه المطر فينبت والذي خبث السباخ لا ينفعه المطر لا يخرج نباته الا نكدا قال هذا مثل ضربه الله لآدم وذريته كلهم انما خلقوا من نفس واحدة فمنهم من آمن بالله وكتابه فطاب ومنهم من كفر بالله وكتابه فخبث ۞ القول في تاويل قوله (لقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره اني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) أقسم ربنا جل ثناؤه للمخاطبين بهذه الآية انه أرسل نوحا الى قومه منذرهم بأسه ومخوفهم سخطه على عبادتهم غيره فقال لمن كفر منهم يا قوم اعبدوا الله الذي له العبادة وذلوا له بالطاعة واخضعوا له بالاستكانة ودعوا عبادة ما سواه من الانداد والآلهة فانه ليس لكم معبود يستوجب عليكم العبادة غيره فاني أخاف عليكم ان تفعلوا ذلك عذاب يوم عظيم يعني عذاب يوم يعظم فيه بلاؤكم بمجيئه اياكم بسخط ربكم وقد اختلفت القراء في قراءة قوله غيره فقرأ ذلك بعض أهل المدينة والكوفة ما لكم من اله غيره بخفض غير على النعت للاله وقرأ جماعة من أهل المدينة والبصرة والكوفة ما لكم من اله غيره برفع غير ردا لها على موضع من لان موضعها رفع لو نزعت من الكلام لكان الكلام رفعا وقيل ما لكم اله غير الله فالعرب لما وصفت من ان المعلوم بالكلام أدخلت من فيه أو أخرجت وانها تدخلها أحيانا في مثل هذا من الكلام وتخرجها منه أحيانا تردما نعتت به الاسم الذي عملت فيه على لفظه اذا خفضت فعلى كلام واحد لانها نعت للاله واما اذا رفعت فعلى كلامين ما لكم من اله غيره وهذا قول يستضعفه أهل العربية٧ ۞ القول في تأويل قوله (قال الملأ من قومه انا لنراك في ضلال مبين) وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن جواب مشركي قوم نوح لنوح وهم الملأ والملأ الجماعة من الرجال لا امرأة فيهم انهم قالوا له حين دعاهم الى عبادة الله وحده لا شريك له انا لنراك يا نوح في ضلال مبين يعنون في أمر زائل عن الحق مبين زواله عن قصد الحق لمن تأمله ۞ القول في تاويل قوله (قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين) يقول تعالى ذكره قال نوح لقومه مجيبا لهم يا قوم لم آمركم بما أمرتكم به من اخلاص التوحيد لله وافراده بالطاعة دون الانداد والآلهة زوالا مني عن محجة الحق وضلالا لسبيل الصواب وما بي ما تظنون من

٧ هكذا هذه العبارة بالاصول ولعل فيها تحريفا أوجب عدم اتضاحها فليتأمل اه مصححه

من ربه قالوا انا بما أرسل به مؤمنون قال يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين ولوطا اذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين انكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون وما كان جواب قومه الا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم انهم أناس يتطهرون فأنجيناه وأهله الا امرأته كانت من الغابرين وأمطرنا عليهم مطرا فانظر كيف كان عاقبة المجرمين)

القراآت وقال الملأ بالواو ابن عامر انكم بحذف همزة الاستفهام أبو جعفر ونافع وحفص وسهل أئنكم بهمزتين ابن عامر وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص وهشام يدخل بينهما مدة آئنكم بالمد وبالياء أبو عمرو وزيد أينكم بالهمزة والياء ابن كثير ويعقوب غير زيد * الوقوف صالحا ۵ لئلا يظن ان صالحا صفة لاعلم فالجملة بعده نعت له وهذا بخلاف اسم شعيب وغيره من الاعلام العربية غيره ط من ربكم ط أليم بيوتا ط لما مر في قصة هود مفسدين من ربه ج مؤمنون ۵ كافرون ۵ المرسلين ۵ جاثمين ۵ ناصحين ۵ من العالمين ۵ من دون النساء ط لمكان الاضراب مسرفون ۵ من قريتكم ج لاحتمال التعليل استهزاء الا امرأته ز لاحتمال الاستئناف والاشبه انها حال المرأة من الغابرين ۵ مطرا ط المجرمين ۵ * التفسير القصة الرابعة قصة صالح مع قومه ثمود قال أبو عمرو بن العلاء سميت ثمود لقلة

الضلال ولكنى رسول اليكم من رب العالمين بما أمرتكم به من افراده بالطاعة والاقرار له بالوحدانية والبراءة من الانداد والآلهة ﴿ القول فى تأويل قوله (أبلغكم رسالات ربى وأنصح لكم واعلم من الله مالا تعلمون) وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن نبيه نوح عليه السلام انه قال لقومه الذين كفروا بالله وكذبوه ولكنى رسول من رب العالمين أرسلنى اليكم فانا أبلغكم رسالات ربى وأنصح لكم فى تحذيرى اياكم عقاب الله على كفركم به وتكذيبكم اياى وردكم نصيحتى واعلم من الله مالا تعلمون من ان عقابه لا يرد عن القوم المجرمين ﴿ القول فى تأويل قوله (أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون) وهذا أيضا خبر من الله عز ذكره عن قيل نوح لقومه انه قال لهم اذ ردوا عليه النصيحة فى الله وأنكروا ان يكون الله بعثه نبيا وقالوا له ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا بادى الرأى وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم تذكير من الله وعظة يذكركم بما أنزل ربكم على رجل منكم قيل معنى قوله على رجل منكم مع رجل منكم لينذركم يقول لينذركم بأس الله ويخوفكم عقابه على كفركم به ولتتقوا يقول وكى تتقوا عقاب الله وبأسه بتوحيده واخلاص الايمان به والعمل بطاعته ولعلكم ترحمون يقول وليرحمكم ربكم ان اتقيتم الله وخفتموه وحذرتم بأسه وفتحت الواو من قوله أوعجبتم لانها واو عطف دخلت عليها ألف استفهام ﴿ القول فى تأويل قوله (فكذبوه فانجيناه والذين معه فى الفلك وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوما عمين) يقول تعالى ذكره فكذب نوحا قومه اذ أخبرهم انه لله رسول اليهم يأمرهم بخلع الانداد والاقرار بوحدانية لله والعمل بطاعته وخالفوا أمر ربهم ولجوا فى طغيانهم يعمهون فانجاه الله فى الفلك والذين معه من المؤمنين به وكانوا بنو نوح عليه السلام أنفسا عشرة فيما حدثنى به ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق نوح وبنوه الثلاثة سام وحام ويافث وأزواجهم وستة أناسى ممن كان آمن به وكان حمل معه فى الفلك من كل زوجين اثنين كما قال تبارك وتعالى ومن آمن وما آمن معه الا قليل والفلك هو السفينة وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا يقول وأغرق الله الذين كذبوا بحججه ولم يتبعوا رسله ولم يقبلوا نصيحته اياهم فى الله بالطوفان انهم كانوا قوما عمين يقول عمين عن الحق كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله عمين عن الحق حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله قوما عمين قال العمى العامى عن الحق ﴿ القول فى تأويل قوله (والى عاد أخاهم هودا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره أفلا تتقون) يقول تعالى ذكره ولقد أرسلنا الى عاد أخاهم هودا ولذلك نصب هودا لانه معطوف به على نوح عليهما السلام قال هود ياقوم اعبدوا الله فافردوا له العبادة ولا تجعلوا معه الها غيره فانه ليس لكم اله غيره أفلا تتقون ربكم فتحذرونه وتخافون عقابه بعبادتكم غيره وهو خالقكم ورازقكم دون كل ما سواه ﴿ القول فى تأويل قوله (قال الملأ الذين كفروا من قومه انا لنراك فى سفاهة وانا لنظنك من الكاذبين قال ياقوم ليس بى سفاهة ولكنى رسول من رب العالمين) يقول تعالى ذكره مخبرا عما أجاب هودا به قومه الذين كفروا بالله قال الملأ الذين كفروا يعنى الذين جحدوا توحيد الله وأنكروا رسالة الله هودا اليهم انا لنراك ياهود فى سفاهة يعنون فى ضلالة عن الحق والصواب بترك دينناوعبادة آلهتنا وانا لنظنك من الكاذبين فى قيلك انى رسول من رب العالمين قال ياقوم ليس بى سفاهة يقول أى ضلالة عن الحق والصواب ولكنى رسول من رب العالمين أرسلنى فانا أبلغكم رسالات ربى وأؤديها اليكم كما أمرنى ان أؤديها ﴿ القول فى تأويل قوله (أبلغكم رسالات ربى وانا لكم ناصح أمين أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم فى الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون) يعنى بقوله

مائها من الثمد وهو الماء القليل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادى القرى وانه لا ينصرف تارة بتأويل القبيلة وينصرف أخرى بتأويل الحى أو باعتبار الاصل لانه اسم أبيهم الاكبر وهو ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح وقيل ان ثمود أخو جديس وطسم وقد ورد القرآن بالصرف وبمنعه جميعا قال تعالى ألا ان ثمودا كفروا ربهم ألا بعدا لثمود قد جاءتكم بينة آية ظاهرة دالة على صدقى وكأنه قيل ما تلك البينة فقال هذه ناقة الله لكم آية وانتصابها على الحال والعامل فيها ما فى اسم الاشارة أو حرف التنبيه من معنى الفعل أى أشير اليها أو أنبه عليها آية ولكم بيان لمن هى له آية موجبة للايمان وهم ثمود وسبب تخصيص أولئك الاقوام بها مع انها آية لكل أحد انهم عاينوها وغيرهم أخبروا بها وليس الخبر كالمعاينة أو لعله سبقت سائر المعجزات الا أن القوم التمسوا هذه المعجزة بعينها على سبيل الاقتراح فاظهرها الله تعالى لهم فلهذا حسن التخصيص وانما أضيفت الى اسم الله تعظيما لها وتفخيما لشأنها حيث جاءت مكونة من عنده من غير فحل وطروقة آية من آياته كما يقول آية الله وبيت الله وبالحقيقة هى آية تشتمل على آيات خروجها من الجبل آية وكونها لا من ذكر وأنثى آية وكمال خلقها من غير تدريج ومهل آية وان لها شرب يوم ولجميع ثمود شرب يوم آية وكذا الكلام فى قوتها المناسبة للماء وفى غزارة لبنها وأنكر الحسن فقال انها لم تحلب قطرة لبن قط ويروى ان جميع الحيوانات كانت تمتنع عن الورود فى يوم شربها وقيل سميت ناقة الله لانه لا مالك لها سوى الله تعالى وقيل لانها حجة الله

أبلغكم رسالات ربي أؤدي ذلك اليكم أيها القوم وأنا لكم ناصح يقول وأنا لكم ناصح في أمري اياكم بعبادة الله دون ماسواه من الانداد والآلهة ودعائكم الى تصديقي فيما جئتكم به من عند الله ناصح فاقبلوا نصيحتي فاني أمين على وحي الله وعلى ما ائتمنني الله عليه من الرسالة لا اكذب فيه ولا أزيد ولا أبدل لي أبلغ ما أمرت به كما أمرت أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم يقول أوعجبتم ان أنزل الله وحيه بتذكيركم وعظتكم على ما أنتم عليه مقيمون من الضلالة على رجل منكم لينذركم بأس الله ويخوفكم عقابه واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح يقول فاتقوا الله في أنفسكم واذكروا ما أحل بقوم نوح من العذاب اذ عصوا رسولهم وكذبوا بربهم فانكم انما جعلكم ربكم خلفاء في الارض منهم لما أهلكهم أبدلكم منهم فيها فاتقوا الله أن يحل بكم نظير ما حل بهم من العقوبة فيهلككم ويبدل منكم غيركم سنته في قوم نوح قبلكم على معصيتكم اياه وكفركم به وزادكم في الخلق بسطة زاد في أجسامكم طولا وعظما على أجسام قوم نوح وفي قوامكم على قوامهم نعمة منه بذلك عليكم وفضله الذي فضلكم به عليهم في أجسامكم وقوامكم واشكروا الله على ذلك باخلاص العبادة له وترك الاشراك به وهجر الاوثان والانداد لعلكم تفلحون يقول كي تفلحوا فتدركوا الخلود والبقاء في النعيم في الآخرة وتنجحوا في طلباتكم عنده وبنحو الذي قلنا في ذلك في قوله اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح يقول ذهب بقوم نوح واستخلفكم من بعدهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح أي ساكني الارض بعد قوم نوح وبنحو الذي قلنا أيضا قالوا في تأويل قوله بسطة ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي وزادكم في الخلق بسطة قال ما لقوه قوم عاد واما الآلاء فانها جمع واحدها الا بكسر الالف في تقدير معي ويقال الا في تقدير قفا بفتح الالف وقد حكي سماعا من العرب الى مثل حشي والآلاء النعم وكذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذكروا آلاء الله أي نعم الله حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي اما آلاء الله فنعم الله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله واذكروا آلاء الله قال ألاؤه نعمه قال أبو جعفر وعاد هؤلاء القوم الذين وصف الله صفتهم وبعث اليهم هودا يدعوهم الى توحيد الله واتباع ما آتاهم به من عنده هم فيما حدثنا به ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ولد عاد بن ارم بن عوص بن سام بن نوح وكانت مساكنهم الشحر من أرض اليمن وما والى بلاد حضرموت الى عمان كما حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ان عادا قوم كانوا باليمن بالاحقاف حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنا ابن اسحق عن محمد بن عبد الله بن أبي سعيد الخزاعي عن أبي الطفيل عامر بن واثلة قال سمعت علي بن أبي طالب عليه السلام يقول لرجل من حضرموت هل رأيت كثيبا أحمر تخالطه مدرة حمراء ذا أراك وسدر كثير بناحية كذا وكذا من أرض حضرموت فقال هل رأيته قال نعم يا أمير المؤمنين والله انك لتنعته نعت رجل قد رآه قال لا ولكني قد حدثت عنه فقال الحضرمي وما شأنه يا أمير المؤمنين قال فيه قبر هود صلوات الله عليه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال كانت منازل عاد وجماعتهم حين بعث الله فيهم هودا الاحقاف قال والاحقاف الرمل فيما بين عمان الى حضرموت فاليمن كله وكانوا مع ذلك قد فشوا في الارض كلها وقهروا أهلها بفضل قوتهم التي آتاهم الله وكانوا أصحاب أوثان يعبدونها من دون الله صنم يقال له صدا وصنم يقال له صمود وصنم يقال له الهبا فبعث الله هودا وهو

عقلي القوم فذروها تأكل في أرض الله أي الناقة ناقة الله والارض أرض الله فدعوها تأكل في أرض ربها ومما انبتت منها ولا تمسوها بسوء من الضرب والطرد وسائر أنواع الاذى اكراما لآية الله فيأخذكم عذاب أليم يعني أخذ الاستئصال والاستئصال واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد تفسيره كما في قصة هود وبوأكم في الارض أنزلكم فيها والمباءة المنزل والارض أرض الحجر تتخذون من سهولها أي تبنون من سهولة الارض قصورا بما تعملون من الاراضي السهلة لبنا وآجرا ودهصا وانتصاب بيوتا على الحال المقدرة كما تقول خط هذا الثوب قميصا لان الجبل لا يكون بيتا في حال النحت ولا الثوب قميصا في حال الخياطة ويجوز أن تكون من مقدرة اكتفاء بقوله من سهولها كما جاءت في موضع آخر تنحتون من الجبال بيوتا فارهين فيكون منصوبا على انه مفعول به وقيل المراد انهم كانوا يسكنون السهول في الصيف والجبال في الشتاء فاذكروا آلاء الله يعني اني قد ذكرت لكم بعض نعم ربكم فاذكروا أنتم تمامها ولا تعثوا في الارض مفسدين قيل نهي عن عقر الناقة والاولى حمله على العموم واعرابه قد مر في أوائل سورة البقرة قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا أي المساكين الذين استحقرهم رؤساء الكفار وقوله لمن آمن منهم بدل من قوله للذين استضعفوا بتكرار الجار لشدة الاتصال والضمير في منهم اما أن يرجع الى الذين استضعفوا فيكون البدل بدل البعض ودل على أن المستضعفين فرقتان مؤمنون وكافرون واما أن يرجع الى قومه فيكون البدل بدل الكل ودل على

من أوسطهم نسبا وأفضلهم موضعا فأمرهم ان يوحدوا الله ولا يجعلوا معه الها غيره وان يكفوا عن ظلم الناس لم يأمرهم فيما يذكر والله أعلم بغير ذلك فأبوا عليه وكذبوه وقالوا من أشد منا قوة واتبعه منهم ناس وهم يسير مكتتمون بايمانهم وكان ممن آمن به وصدقه رجل من عاد يقال له مرثد بن سعد بن عفر وكان يكتم ايمانه فلما عتوا على الله وكذبوا نبيهم وأكثروا في الارض الفساد وتجبروا وبنوا بكل ريع آية عبثا بغير نفع كلمهم هود فقال أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون واذا بطشتم بطشتم جبارين فاتقوا الله وأطيعون قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء أي ما هذا الذي جئتنا به الا جنون أصابك به بعض آلهتنا هذه التي تعيب قال اني أشهد الله واشهدوا اني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون الى قوله صراط مستقيم فلما فعلوا ذلك أمسك الله عنهم المطر من السماء ثلاث سنين فيما يزعمون حتى جهدهم ذلك وكان الناس في ذلك الزمان اذا نزل بهم بلاء أو جهد فطلبوا الى الله الفرج منه كانت طلبتهم الى الله عند بيته الحرام بمكة مسلمهم ومشركهم فيجتمع بمكة ناس كثير شتى مختلفة أديانهم وكلهم معظم لمكة يعرف حرمتها ومكانها من الله قال ابن اسحق وكان البيت في زمان معروفا مكانه والحرم قائم فيما يذكرون وأهل مكة يومئذ العماليق وانما سموا العماليق لان أباهم عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح وكان سيد العماليق اذ ذاك بمكة فيما يزعمون رجلا يقال له معاوية بن بكر وكان أبوه حيا في ذلك الزمان ولكنه كان قد كبر وكان ابنه يرأس قومه وكان السؤدد والشرف من العماليق فيما يزعمون في أهل ذلك البيت وكانت أم معاوية بن بكر كلهدة ابنة الخيبري رجل من عاد فلما قحط المطر عن عاد وجهدوا قالوا جهزوا منكم وفدا الى مكة فيستسقوا لكم فانكم قد هلكتم فبعثوا قيل بن عنتر ولقيم بن هزال بن هذيل وعتيل بن صد بن عاد الاكبر ومرثد بن سعد بن عفير وكان مسلما يكتم اسلامه وجلهمة بن الخيبري خال معاوية بن بكر أخو أمه ثم بعثوا لقمان بن عاد بن فلان بن فلان بن صد بن عاد الاكبر فانطلق كل رجل من هؤلاء القوم معه رهط من قومه حتى بلغ عدة وفدهم سبعين رجلا فلما قدموا مكة نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا من الحرم فأنزلهم وأكرمهم وكانوا أخواله وصهره فلما نزل وفد عاد على معاوية بن بكر أقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان لمعاوية بن بكر وكان مسيرهم شهرا ومقامهم شهرا فلما رأى معاوية بن بكر طول مقامهم وقد بعثهم قومهم يتغوثون بهم من البلاء الذي أصابهم شق ذلك عليه فقال هلك أخوالي وأصهاري وهؤلاء مقيمون عندي وهم ضيفي نازلون علي والله ما أدري كيف أصنع بهم ان أمرتهم بالخروج الى ما بعثوا له فيظنوا انه ضيق مني بمقامهم عندي وقد هلك من وراءهم من قومهم جهدا وعطشا أو كما قال فشكا ذلك من أمرهم الى قينتيه الجرادتين فقالتا قل شعرا نغنيهم به لا يدرون من قاله لعل ذلك أن يحركهم فقال معاوية بن بكر حين أشارتا عليه بذلك

ألا يا قيل ويحك قم فهينم * لعل الله يصبحنا غماما

فيسقي أرض عاد ان عادا * قد امسوا لا يبينون الكلاما

من العطش الشديد فليس نرجو * به الشيخ الكبير ولا الغلاما

وقد كانت نساؤهم بخير * فقد أمست نساؤهم عياما

وان الوحش تأتيهم جهارا * ولا تخشى لعادي سهاما

وأنتم ههنا فيما اشتهيتم * نهاركم وليلكم التماما

فقبح وفدكم من وفد قوم * ولا لقوا التحية والسلاما

فلما قال معاوية ذلك الشعر غنتهم به الجرادتان فلما سمع القوم ما غنتا به قال بعضهم لبعض يا قوم

أن الاستضعاف من شأن أهل الايمان يستسخرهم المستكبرون ولا يكون صفة ذم في حقهم وانما الذم يعود الى المستحقرين وفي الآية دلالة على ان الفقر خير من الغنى لان الاستكبار يتولد من كثرة المال والجاه والتصديق والانقياد ينشأ من قلتهما أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه قالوه على سبيل التهكم والسخرية لا للاستعلام والاسترشاد قالوا انا بما أرسل به مؤمنون جعلوا ارساله أمرا بينا مكشوفا مسلما لا يدخله ريب وانما الكلام في وجود الايمان فنخبركم انا به مؤمنون ولذلك قال الذين استكبروا في جوابهم انا بالذي آمنتم به كافرون فعقروا الناقة قال الازهري العقر عند العرب كشف عرقوب البعير ثم أطلق على النحر اطلاقا لاسم السبب على المسبب وأسند العقر الى جميعهم لانه كان برضاهم مع انه ما باشره الا بعضهم وقد يقال للقبيلة العظيمة أنتم فعلتم كذا ولعله لم يفعله الا واحد منهم كقوله واذ قتلتم وعتوا عن أمر ربهم استكبروا عن امتثاله قال مجاهد العتو الغلو في الباطل وأمر ربهم شأنه أي دينه المراد ما أمر به صالح من قوله فذروها ولا تمسوها والمعنى أمر ربهم بتركها كان هو السبب في عتوهم فان الانسان حريص على ما منع وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين أطلقوا الوعد وأرادوا ما وعدهم من العذاب الاليم واستعجالهم العذاب انما كان لاجل تكذيبهم لكل ما أخبر عنه من الوعد والوعيد ولذلك علقوه بما كانوا ينكرونه وهو كونه من المرسلين فأخذتهم الرجفة قال الفراء والزجاج هي الزلزلة الشديدة قال تعالى يوم ترجف الارض والجبال قال الليث هي

انما بعثكم قومكم يتعوذون بكم من هذا البلاء الذي نزل بهم وقد أبطأتم عليهم فادخلوا هذا الحرم واستسقوا لقومكم فقال مرثد بن سعد بن عفير انكم والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان أطعتم نبيكم وأنبتم اليه سقيتم فاظهر اسلامه عند ذلك فقال لهم جلهمة بن الخيبري خال معاوية بن بكر حين سمع قوله وعرف انه قد اتبع دين هود وآمن به

أبا سعد فانك من قبيل * ذوي كرم وأمك من ثمود
فانا لن نطيعك ما بقينا * ولسنا فاعلين لما تريد
أتأمرنا بترك دين رفد * ورمل وآل صد والعبود
ونترك دين آباء كرام * ذوي رأي ونتبع دين هود

ثم قالوا لمعاوية بن بكر وأبيه بكر احبسا عنا مرثد بن سعد فلا يقدمن معنا مكة فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم خرجوا الى مكة يستسقون بها لعاد فلما ولوا مكة خرج مرثد بن سعد من منزل معاوية ابن بكر حتى أدركهم بها قبل أن يدعوا الله بشيء مما خرجوا له فلما انتهى قام يدعو الله بمكة وبها وفد عاد قد اجتمعوا يدعون يقول اللهم اعطني سؤلي وحدي ولا تدخلني في شيء مما يدعوك به وفد عاد وكان قيل بن عنز رأس وفد عاد وقال وفد عاد اللهم اعط قيلا ما سألك واجعل سؤلنا مع سؤله وكان قد تخلف عن وفد عاد حين دعا لقمان بن عاد وكان سيد عاد حتى اذا فرغوا من دعوتهم قام فقال اللهم اني جئتك وحدي في حاجتي فاعطني سؤلي وقال قيل بن عنز حين دعا يا الهنا ان كان هود صادقا فاسقنا فانا قد هلكنا فانشأ الله سحائب ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السحاب يا قيل اختر لنفسك وقومك من هذا السحاب فقال قيل اخترت السحابة السوداء فانها أكثر السحاب ماء فناداه مناد

اخترت منها رمادا رمدا * لا تبقي من عاد أحدا
لا والدا تترك ولا ولدا * الا جعلته همدا
* الا بني اللوذية المهدا *

وبنو اللوذية بنو لقيم بن هزال بن هزيلة بن بكر وكانوا سكانا بمكة مع أخوالهم لم يكونوا مع عاد بأرضهم فهم عاد الآخرة ومن كان من نسلهم الذين بقوا من عاد وساق الله السحابة السوداء فيما يذكرون التي اختارها قيل بن عنز بما فيها من النقمة الى عاد حتى تخرج عليهم من واد يقال له المغيث فلما رأوها استبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا يقول الله بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شيء بأمر ربها أي كل شيء أمرت به وكان أول من أبصر ما فيها وعرف انها ريح فيما يذكرون امرأة من عاد يقال لها مهد فلما تيقنت ما فيها صاحت ثم صعقت فلما أفاقت قالوا ما ذا رأيت يا مهد قالت رأيت ريحا فيها كشهب النار أمامها رجال يقودونها فسخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما كما قال الله والحسوم الدائمة فلما تدع من عاد أحدا الا هلك فاعتزل هود فيما ذكر لي ومن معه من المؤمنين في حظيرة ما يصيبه ومن معه الا ما تلين عليه الجلود وتلتذ الانفس وانها لتمر من عاد بالظعن ما بين السماء والارض وتدمغهم بالحجارة وخرج وفد عاد من مكة حتى مروا بمعاوية بن بكر وابنه فنزلوا عليه فبيناهم عنده اذ أقبل رجل على ناقته في ليلة مقمرة مساء ثالثة من مصاب عاد فاخبرهم الخبر فقالوا له فاين فارقت هودا وأصحابه قال فارقتهم بساحل البحر فكأنهم شكوا فيما حدثهم به فقالت هزيلة بنت بكر صدق ورب الكعبة حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو بكر بن عياش قال ثنا عاصم عن الحرث بن حسان البكري قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فمررت على امرأة بالربذة فقالت هل أنت حاملي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت نعم فحملتها حتى قدمت المدينة فدخلت المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر واذا بلال متقلد السيف واذا رايات سود فقال قلت ما هذا قال عمرو بن العاص قدم من غزوته فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم من على منبره أتيته

كرجفان البعير تحت الرحل وكما ترجف الشجرة اذا رجفتها الريح وهذا لا يناقض ما ورد في موضع آخر انهم أهلكوا بالطاغية وفي آخر انهم أهلكوا بالصيحة لان الطغيان مجاوزة الحد قال تعالى انا لما طغى الماء حملنا كم والزلزلة هي الحركة الخارجة عن الحد المعتاد والغالب ان الزلزلة لا تنفك عن الصيحة الهائلة فاصبحوا في دارهم أي في بلدهم كقولك دار الحرب ودار الاسلام وقد جمع في آية أخرى فقال في ديارهم لانه أراد بالدار ما لكل واحد من منزله الخاص الا انه حيث ذكر الرجفة وحد وحيث ذكر الصيحة جمع لان الصيحة كانها من السماء فبلوغها أكثر وأبلغ من الزلزلة ومعنى جاثمين موتى لا حراك بهم قال أبو عبيد الجثوم للناس والطير بمنزلة البروك للابل فجثوم الطير هو وقوعه لاطئا بالارض في حال سكونه بالليل ومنه المجثمة التي جاء النهي عنها وهي البهيمة تربط وتجمع قوائمها لترمى فتول عنهم الفاء للتعقيب فالظاهر انه أدبر عنهم بعدما أبصرهم جاثمين تولي مغتم متحسر على ما فاته من ايمانهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي وحد الرسالة بخلاف ما مر في قصتي نوح وهود لان المراد هنالك أشياء كانا يأمران بها قومهما بعد الايمان بانه وههنا وقع في آخر القصة فاراد بها مجموع ما أدى من الرسالة أو أراد بذلك أداء حديث الناقة فقط ونصحت لكم آل جهدا في النصيحة ولكن لا تحبون الناصحين حكاية حال ماضية واعترض على هذا التفسير بانه كيف يصح خطاب الموتى وأجيب بانه قد يقول الرجل لصاحبه وهو ميت وكان قد نصحه فلم يصغ اليه يا أخي كم نصحتك وكم قلت فلم تقبل مني

فاستاذنت

فاستأذنت فاذن لى فقلت يارسول الله ان بالباب امرأة من بنى تميم وقد سالتنى ان أحملها اليك قال يابلال ائذن لها قال فدخلت فلما جلست قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم هل بينكم وبين تميم شئ قلت نعم وكانت الدائرة عليهم فان كانت ان يجعل الدهناء بيننا وبينهم فعلت قال تقول المرأة فاين يضطر مضرك يارسول الله قال قلت مثلى مثل معزى حملت حتفا قال قلت وحملتك تكونين على خصما أعوذ بالله أن أكون كوافد عاد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما وافد عاد قال قلت على الخبير سقطت ان عادا قحطت فبعثت من يستسقى لها فبعثوا رجالا فمروا على بكر بن معاوية فسقاهم الخمر وتغنتهم الجرادتان شهرا ثم فصلوا من عنده حتى أتوا جبال مهرة فدعوا فجاءت سحابات قال وكلما جاءت سحابة قال اذهبي الى كذا حتى جاءت سحابة فنودى منها

خذها رمادا رمددا * لا تدع من عاد أحدا

قال فسمعه وكاتمهم حتى جاء العذاب قال أبو كريب قال أبو بكر بعد ذلك فى حديث عاد قال فاقبل الذين أتاهم فاتى جبال مهرة فقال اللهم انى لم أجئك لاسير فافاديه ولا لمريض أشفيه فاسق عادا ما كنت مسقيه قال فرفعت له سحابات قال فنودى منها اختر قال فجعل يقول اذهبي الى بنى فلان اذهبي الى بنى فلان قال فمرت آخرها سحابة سوداء قال اذهبي الى عاد فنودى منها

خذها رمادا رمددا * لا تدع من عاد أحدا

قال وكاتمهم والقوم عند بكر بن معاوية يشربون قال وكره بكر بن معاوية ان يقول لهم من أجل انهم عنده وانهم فى طعامه قال فاخذ فى الغناء وذكرهم حدثنا أبو كريب قال ثنا زيد بن الحباب قال ثنا سلام أبو المنذر النحوى قال ثنا عاصم عن أبى وائل عن الحرث بن يزيد البكرى قال خرجت لاشكو العلاء بن الحضرمى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فمررت بالربذة فاذا عجوز منقطع بها من بنى تميم فقالت يا عبد الله ان لى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجة فهل أنت مبلغى اليه قال فحملتها فقدمت المدينة قال فاذا رايات قلت ما شأن الناس قالوا يريد أن يبعث بعمرو بن العاص وجها قال فجلست حتى فرغ قال فدخل منزله أو قال رحله فاستأذنت عليه فاذن لى فدخلت فقعدت فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم هل كان بينكم وبين تميم شئ قال قلت نعم وكانت الدائرة عليهم وقد مررت بالربذة فاذا عجوز منهم منقطع بها فسألتنى ان أحملها اليك وها هى بالباب فاذن لها رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلت فقلت يارسول الله اجعل بيننا وبين تميم الدهناء حاجزا فحميت العجوز واستوفزت وقالت فاين يضطر مضرك يارسول الله قال قلت أنا كما قال معزى حملت حتفا حملت هذه ولا أشعر انها كانت لى خصما أعوذ بالله ورسوله ان أكون كوافد عاد قال وما وافد عاد قال على الخبير سقطت قال وهو يستطعمنى الحديث قلت ان عادا قحطوا فبعثوا قيلا وافدا فنزل على بكر فسقاه الخمر شهرا وتغنته جاريتان يقال لهما الجرادتان فخرج الى جبال مهرة فنادى انى لم أجئ لمريض فاداويه ولا لاسير فافاديه اللهم اسق عادا ما كنت مسقيه فمرت به سحابات سود فنودى منها

خذها رمادا رمددا * لا تبق من عاد أحدا

قال فكانت المرأة تقول لا تكن كوافد عاد فيما بلغنى انه أرسل عليهم من الريح يارسول الله الا قدر ما يجرى فى خاتمى * قال أبو وائل فكذلك بلغنى حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى والى عاد أخاهم هودا قال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ان عادا أتاهم هود فوعظهم وذكرهم بما قص الله فى القرآن فكذبوه وكفروا وسألوه أن يأتيهم بالعذاب فقال لهم انما العلم عند الله وأبلغكم ما أرسلت به وان عادا أصابهم حين كفروا قحوط المطر حتى جهدوا لذلك جهدا شديدا وذلك ان هودا دعا عليهم فبعث الله عليهم الريح العقيم وهى

حتى ألقيت بنفسك الى التهلكة والفائدة فى مثل هذا الكلام ان يسمعه بعض الاحياء فيعتبر به ولعل القائل أيضا يتسلى بذلك وتزول بعض الغصة عن قلبه ويخف عليه ما نزل به وان رسول الله صلى الله عليه وآله وقف على قليب قتلى بدر وقال يا فلان ويا فلان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا فقيل له كيف تتكلم مع هؤلاء الجيف فقال ما أنتم باسمع منهم ولكنهم لا يقدرون على الجواب وتفسير آخر وهو ان يكون تولى عنهم تولى ذاهب عنهم منكرا لاصرارهم حين رأى العلامات قبل نزول العذاب وجملة قصتهم ما روى ان عادا لما أهلكت عمرت ثمود بلادها وخلفوهم فى الارض فكثروا وعمروا أعمارا طوالا حتى ان الرجل كان يبنى المسكن المحكم فينهدم فى حياته فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا فى سعة ورخاء من العيش فعتوا عن أمر الله وافسدوا فى الارض وعبدوا الاوثان فبعث الله اليهم صالحا وكانوا قوما عربا وصالح من أوسطهم نسبا فدعاهم الى الله فلم يتبعه الا قليل منهم مستضعفون فحذرهم وانذرهم فسألوا آية فقال أية آية تريدون قالوا تخرج معنا الى عيدنا فى يوم معلوم لهم من السنة فندعو آلهتنا وتدعو الهك فان استجيب لك اتبعناك وان استجيب لنا اتبعتنا فقال صالح نعم فخرج معهم ودعوا أوثانهم وسألوها الاستجابة فلم تجبهم ثم قال سيدهم جندع بن عمرو وأشار الى صخرة منفردة فى ناحية الجبل يقال لها الكاثبة

الريح التي لا تلقح الشجر فلما نظروا اليها قالوا هذا عارض ممطرنا فلما دنت منهم نظروا الى الابل والرجال تطير بهم الريح بين السماء والارض فلما رأوها تنادوا البيوت فلما دخلوا البيوت دخلت عليهم فاهلكتهم فيها ثم أخرجتهم من البيوت فاصابتهم في يوم نحس والنحس هو الشؤم ومستمر استمر عليهم العذاب سبع ليال وثمانية أيام حسوما حسمت كل شيء مرت به فلما أخرجتهم من البيوت قال الله تنزع الناس من البيوت كأنهم أعجاز نخل منقعر انقعر من أصوله خاو يقخوت فسقطت فلما أهلكهم الله أرسل اليهم طيرا سودا نقلتهم الى البحر فالقتهم فيه فذلك قوله فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم ولم تخرج ريح قط الا بمكيال الا يومئذ فانها عتت على الخزنة فغلبتهم فلم يعلموا كم كان مكيالها وذلك قوله فاهلكوا بريح صرصر عاتية والصرصر ذات الصوت الشديد ۞ القول في تأويل قوله (قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين) يقول تعالى ذكره قالت عاد لهود له أجئتنا تتوعدنا بالعقاب من الله على ما نحن عليه من الدين كي نعبد الله وحده وندين له بالطاعة خالصا ونهجر عبادة الآلهة والاصنام التي كان آباؤنا يعبدونها ونتبرأ منها فلسنا فاعلي ذلك ولا متبعيك على ما تدعونا اليه فأتنا بما تعدنا من العقاب والعذاب على تركنا اخلاص التوحيد لله وعبادتنا ما نعبد من دونه من الاوثان ان كنت من أهل الصدق على ما تقول وتعد ۞ القول في تأويل قوله (قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان فانتظروا اني معكم من المنتظرين) يقول تعالى ذكره قال هود لقومه قد حل بكم عذاب وغضب من الله وكان أبو عمرو بن العلاء فيما ذكر لنا عنه يزعم ان الرجز والرجس بمعنى واحد وانها مقلوبة قلبت السين زايا كما قلبت شين وهي من شيس سين ٧ وكما قالوا قربوس وقربوز وكما قال الراجز

ألا لحا الله بني السعلاب * عمرو بن يربوع لئام الناب

* ليسوا باعقاب ولا اكثاب *

يريد أكساب فقلبت السين تاء كما قال رؤبة

كم قد رأينا من عديد مبزى * حتى وقمنا كيده بالرجز

روى عن ابن عباس انه كان يقول الرجز السخط حدثني بذلك المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنا معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله قد وقع عليكم من ربكم رجس يقول سخط وأما قوله أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم فانه يقول أتخاصمونني في أسماء سميتموها أصناما لا تضر ولا تنفع أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان يقول ما جعل الله لكم في عبادتكم اياها من حجة تحتجون بها ولا معذرة تعتذرون بها لان العبادة انما هي لمن ضر ونفع وأثاب على الطاعة وعاقب على المعصية ورزق ومنع فاما الجماد من الحجارة والحديد والنحاس فانه لا نفع فيه ولا ضر الا أن تتخذ منه آلهة ولا حجة لعابد عبده من دون الله في عبادته اياه لان الله لم يأذن بذلك فيعذر من عبده بانه يعبده اتباعا منه أمر الله في عبادته اياه ولا هو اذ كان الله لم يأذن في عبادته مما يرجى نفعه أو يخاف ضره في عاجل أو آجل فيعبد رجاء نفعه أو دفع ضره فانتظروا اني معكم من المنتظرين يقول فانتظروا حكم الله فينا وفيكم اني معكم من المنتظرين حكمه وفصل قضائه فينا وفيكم ۞ القول في تأويل قوله (فانجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين) يقول تعالى ذكره فانجينا نوحا والذين معه من اتباعه على الايمان به والتصديق به وبما دعا اليه من توحيد الله وهجر الآلهة والاوثان برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا يقول وأهلكنا الذين كذبوا من قوم هود بحججنا جميعا عن آخرهم فلم نبق منهم أحدا كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا قال استأصلناهم وقد بينا

أخرج لنا من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء والمخترجة التي شاكلت البخت فان فعلت صدقناك وأجبناك فأخذ صالح عليهم المواثيق لئن فعلت ذلك لتؤمنن ولتصدقن قالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء كما وصفوا وكانت في غاية العظم حتى قال أبو موسى الاشعري أتيت أرض ثمود فذرعت مصدر الناقة يعني موضع بروكها فوجدته ستين ذراعا ثم نتجت ولدا مثلها في العظم فآمن به جندع ورهط من قومه ومنع بقاياهم ناس من رؤسهم ان يؤمنوا فمكثت الناقة وولدها ترعى الشجر وتشرب الماء وكانت ترد غبا كما قال عز من قائل لها شرب ولكم شرب يوم معلوم وذلك ان الماء كان عندهم قليلا فجعلوا ذلك الماء بالكلية شربا لها يوما وشربا للقوم يوما قال السدي وكانت الناقة في اليوم الذي تشرب فيه الماء تحلب فيملؤن الكل فكأنما كانت تصب اللبن صبا وفي اليوم الذي يشربون الماء لا تأتيهم وكانت اذا وقع الحر تصيفت بظهر الوادي فتهرب منها انعامهم فتهبط الى بطن الوادي واذا وقع البرد كان الامر بالعكس فشق ذلك عليهم وقال لهم صالح يولد في شهركم هذا غلام يكون هلاككم على يده فذبحوا تسعة نفر من أبنائهم ثم ولد العاشر فابى أن يذبح ابنه فنبت نباتا سريعا ولما كبر الغلام فقال الغلام هل لكم في ان أعقر هذه الناقة فشد عليها فلما بصرت به شدت عليه فهرب منها الى جانب صخرة فردوها عليه فلما مرت به تناولها

فيما

فيما مضى معنى قوله فقطع دابر القوم الذين ظلموا بشواهده بما أغنى عن اعادته وما كانوا مؤمنين يقول لم يكونوا مصدقين بالله ولا برسوله هود ۞ القول فى تاويل قوله (والى ثمود أخاهم صالحا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل فى أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم) يقول تعالى ذكره ولقد أرسلنا الى ثمود أخاهم صالحا وثمود هو ثمود بن عاثر بن ارم بن سام بن نوح وهو أخو جديس بن عاثر وكانت مساكنهما الحجر بين الحجاز والشام الى وادى القرى وما حوله وانما منع ثمود لان ثمود قبيلة وكذلك تميم قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره يقول قال صالح لثمود ياقوم اعبدوا الله وحده لاشريك له فمالكم اله يجوز لكم ان تعبدوه غيره قد جاءتكم حجة من ربكم وبرهان على صدق ما أقول وحقيقة ما اليه أدعو من اخلاص التوحيد لله وافراده بالعبادة دون ما سواه وتصديقى على انى له رسول وتثبتى على ما أقول وحقيقة ما جئتكم به من عند ربى وحجتى عليه هذه الناقة التى أخرجها الله من هذه الهضبة دليلا على نبوتى وصدق مقالتى فقد علمتم ان ذلك من المعجزات التى لا يقدر على مثلها أحد الا الله وانما استشهد صالح فيما بلغنى على صحة نبوته عند قومه ثمود بالناقة لانهم سألوه اياها آية ودلالة على حقيقة قوله ذكر من قال ذلك وذكر سبب قتل قوم صالح الناقة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا اسرائيل عن عبد العزيز ابن رفيع عن أبى الطفيل قال قالت ثمود لصالح ائتنا بآية ان كنت من الصادقين قال فقال لهم صالح أخرجوا الى هضبة من الارض فخرجوا فاذا هى تتمخض كما تتمخض الحامل ثم انها انفرجت فخرجت من وسطها الناقة فقال صالح هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل فى أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم لها شرب ولكم شرب يوم معلوم فلما ملوها عقروها فقال لهم تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب قال عبد العزيز وحدثنى رجل آخر ان صالحا قال لهم ان آية العذاب ان تصبحوا غدا حمرا واليوم الثانى صفرا واليوم الثالث سودا قال فصبحهم العذاب فلما رأوا ذلك تحنطوا واستعدوا حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى والى ثمود أخاهم صالحا قال ان الله بعث صالحا الى ثمود فدعاهم فكذبوه فقال لهم ما ذكر الله فى القرآن فسألوه ان يأتيهم بآية فجاءهم بالناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم وقال ذروها تأكل فى أرض الله ولا تمسوها بسوء فاقروا بها جميعا فذلك قوله فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى وكانوا قد أقروا به على وجه النفاق والتقية وكانت الناقة لها شرب فيوم تشرب فيه الماء تمر بين جبلين فيرحمانها ففيهما أثرها حتى الساعة ثم تأتى فتقف لهم حتى يحلبوا اللبن فيرويهم انما تصب صبا ويوم يشربون الماء لا تأتيهم وكان معها فصيل لها فقال لهم صالح انه يولد فى شهركم هذا غلام يكون هلاككم على يديه فولد لتسعة منهم فى ذلك الشهر فذبحوا أبناءهم ثم ولد للعاشر فأبى ان يذبح ابنه وكان لم يولد له قبل ذلك شئ فكان ابن العاشر أزرق أحمر فنبت نباتا سريعا فاذا مر بالتسعة فرأوه قالوا لو كان أبناؤنا أحياء كانوا مثل هذا فغضب التسعة على صالح لانه أمرهم بذبح أبنائهم فتقاسموا بالله لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله وانا لصادقون قالوا نخرج فترى الناس انا قد خرجنا الى سفر فنأتى الغار فنكون فيه حتى اذا كان الليل وخرج صالح الى المسجد أتيناه فقتلناه ثم رجعنا الى الغار فكنا فيه ثم رجعنا فقلنا ما شهدنا مهلك أهله وانا لصادقون يصدقوننا يعلمون انا قد خرجنا الى سفر فانطلقوا فلما دخلوا الغار أرادوا ان يخرجوا من الليل فسقط عليهم الغار فقتلهم فذلك قوله وكان فى المدينة تسعة رهط يفسدون فى الارض ولا يصلحون حتى بلغ ههنا فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم وقومهم أجمعين وكبر الغلام ابن العاشر ونبت نباتا عجبا من السرعة فجلس مع قوم يصيبون من الشراب فارادوا ماء يمزجون به شرابهم وكان ذلك اليوم شرب الناقة فوجدوا

فعقروها فذلك قوله تعالى فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر واظهروا حينئذ كفرهم وقيل زينت لهم عقرها امرأتان عنيزة أم غنم وصدقة بنت المختار لما أضرت الناقة بمواشيهما وكانتا كثيرتى المواشى واقتسموا لحمها وطبخوه فانطلق فصيلها حتى رقى جبلا اسمه قاره فرغا ثلاثا وكان صالح قال لهم أدركوا الفصيل عسى أن يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه وانفجرت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح تصبحون غدا ووجوهكم مصفرة وبعد غد ووجوهكم محمرة واليوم الثالث ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما رأوا العلامات طلبوه أن يقتلوه فأنجاه الله الى أرض فلسطين ولما كان اليوم الرابع وارتفع الضحى تحنطوا بالصبر وتكفنوا بالانطاع فأتتهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا واستبعد بعضهم ان العاقل مع مشاهدة المعجزات والعلامات يبقى مصرا على كفره وأجيب بانهم عند مشاهدة العلامات خرجوا عن حد التكليف وان تكون توبتهم مقبولة عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما مر بالحجر قال لا تسألوا الآيات فقد سألها قوم صالح فأخذتهم الصيحة فلم يبق منهم الا رجل واحد كان فى حرم الله قالوا من هو قال صلى الله عليه وسلم ذاك أبو رغال فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه وروى ان نبينا صلى الله عليه وسلم مر بقبر أبى رغال فقال أتدرون من هذا قالوا الله ورسوله أعلم فذكر قصة أبى رغال وانه دفن معه غصن من ذهب فابتدروه وبحثوا عنه بأسيافهم فاستخرجوا

الماء قد شربته الناقة فاشتد ذلك عليهم وقالوا في شان الناقة ما نصنع نحن باللبن لو كنا نأخذ هذا الماء الذي تشربه هذه الناقة فنسقيه انعامنا وحرثنا كان خيرا لنا فقال الغلام ابن العاشر هل لكم في ان أعقرها لكم قالوا نعم فاظهروا دينهم فاتاها الغلام فلما بصرت به شدت عليه فهرب منها فلما رأى ذلك دخل خلف صخرة على طريقها فاستتر بها فقال أحيشوها على فاحاشوها عليه فلما جازت به نادوه عليك فتناولها فعقرها فسقطت فذلك قوله فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر وأظهروا حينئذ أمرهم وعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا وفزع ناس منهم الى صالح وأخبروه ان الناقة قد عقرت فقال على بالفصيل فطلبوا الفصيل فوجدوه على رابية من الارض فطلبوه فارتفعت به حتى حلقت به في السماء فلم يقدروا عليه ثم دعا الفصيل الى الله فاوحى الله الى صالح ان مرهم فليتمتعوا في دارهم ثلاثة أيام فقال لهم صالح تمتعوا في داركم ثلاثة أيام وآية ذلك ان تصبح وجوهكم مصفرة والثاني محمرة والثالث مسودة واليوم الرابع فيه العذاب فلما رأوا العلامات تكفنوا وتحنطوا ولطخوا أنفسهم بالمر ولبسوا الانطاع وحفروا الاسراب فدخلوا فيها ينتظرون الصيحة حتى جاءهم العذاب فهلكوا فذلك قوله فدمرناهم وقومهم أجمعين **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال لما أهلك الله عادا وتقضى أمرها عمرت ثمود بعدها واستخلفوا في الارض فنزلوا فيها وانتشروا ثم عتوا على الله فلما ظهر فسادهم وعبدوا غير الله بعث اليهم صالحا وكانوا قوما عربا وهو من أوسطهم نسبا وأفضلهم موضعا رسولا وكانت منازلهم الحجر الى قرح وهو وادي القرى وبين ذلك ثمانية عشر ميلا فيما بين الحجاز والشام فبعث الله اليهم غلاما شابا فدعاهم الى الله حتى شمط وكبر لا يتبعه منهم الا قليل مستضعفون فلما ألح عليهم صالح بالدعاء وأكثر لهم التحذير وخوفهم من الله العذاب والنقمة سألوه ان يريهم آية تكون مصداقا لما يقول فيما يدعوهم اليه فقال لهم أي آية تريدون قالوا تخرج معنا الى عيدنا هذا وكان لهم عيد يخرجون اليه باصنامهم وما يعبدون من دون الله في يوم معلوم من السنة فتدعو الهك وندعوا آلهتنا فان استجيب لك اتبعناك وان استجيب لنا اتبعتنا فقال لهم صالح نعم فخرجوا باوثانهم الى عيدهم ذلك وخرج صالح معهم الى الله فدعوا أوثانهم وسألوها ان لا يستجاب لصالح في شئ مما يدعوه ثم قال جندع بن عمرو بن حراش بن عمرو بن الدميل وكان يومئذ سيد ثمود وعظيمهم يا صالح اخرج لنا من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء والمخترجة ما شاكل البخت من الابل وقالت ثمود لصالح مثل ما قال جندع بن عمرو لصخرة منفردة في ناحية الحجر يقال لها الكاثب فان فعلت آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو حق وأخذ عليهم صالح مواثيقهم لئن فعلت وفعل الله لتصدقني ولتؤمنن بي قالوا نعم فاعطوه على ذلك عهودهم فدعا صالح ربه بان يخرجها لهم من تلك الهضبة كما وصفوا **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الاخنس انه حدث انهم نظروا الى الهضبة حين دعا الله صالح بما دعا به تتمخض بالناقة تمخض النتوج بولدها فتحركت الهضبة ثم أسقطت الناقة فانصدعت عن ناقة كما وصفوا جوفاء وبراء ما بين جنبيها لا يعلمه الا الله عظما فآمن به جندع بن عمرو ومن كان معه على أمره من رهطه وأراد أشراف ثمود ان يؤمنوا به ويصدقوا فنهاهم ذؤاب بن عمرو بن لبيد والحباب صاحب أوثانهم ورباب ابن صعر بن جلهس وكانوا من أشراف ثمود وردوا أشرافها عن الاسلام والدخول فيما دعاهم اليه صالح من الرحمة والنجاة وكان لجندع ابن عم له يقال له شهاب بن خليفة بن مخلاة بن لبيد بن حواس فاراد ان يسلم فنهاه أولئك الرهط عن ذلك فاطاعهم وكان من أشراف ثمود وأفاضلها فقال رجل من ثمود يقال له مهوس بن عنمة بن الدميل وكان مسلما

كانت عصبة من آل عمرو * الى دين النبي دعوا شهابا
عزيز ثمود كلهم جميعا * فهم بان يجيب ولو أجابا

العصن وروى ان عقرهم الناقة كان يوم الاربعاء ونزل بهم العذاب يوم السبت وروى انه خرج في مائة وعشرة من المسلمين وهو يبكي فالتفت فرأى الدخان ساطعا فعلم انهم قد هلكوا وكانوا ألفا وخمسمائة دار وروى انه رجع بمن معه فسكنوا ديارهم وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مر بالحجر في غزوة تبوك قال لاصحابه لا يدخلن أحد منكم القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين الا أن تكونوا باكين ان يصيبكم مثل الذي أصابهم وقال صلى الله عليه وسلم يا علي أتدري من أشقى الاولين قال الله ورسوله أعلم قال عاقر ناقة صالح أتدري من أشقى الآخرين قال الله ورسوله أعلم قال قاتلك * القصة الخامسة قوله سبحانه ولوطا اذ قال لقومه تقديره أرسلنا لوطا وقت قال لقومه ويجوز ان يكون معناه واذكروا لوطا اذ قال على ان اذ بدل من المفعول به لا ظرف وانما صرف نوح ولوط مع ان فيه سببين العجمة والعلمية لان سكون وسطه قاوم أحد السببين أتأتون الفاحشة أتفعلون الخصلة المتمادية في القبح ما سبقكم بها قال في الكشاف الباء للتعدية من قولك سبقته بالكرة اذا ضربتها قبله أي ما عملت قبلكم قلت ومن المحتمل ان تكون الباء فيه مثلها في قولك كتبت بالقلم وفي قوله تنبت بالدهن أي ما سبقكم ملتبسا بها من أحد من العالمين من الاولى زائدة لتأكيد النفي وافادة الاستغراق والثانية للتبعيض ووقع هذه الجملة استئنافا لانه أنكر

لإتيح

لاصبح صالح فينا عـزيزا * وما عدلوا بصاحبهم ذؤابا
ولـكن الغواة من آل حجر * تولوا بعد رشـدهم ذنابا

فمكثت الناقة التي أخرجها الله لهم معها سقبها في أرض ثمود ترعى الشجر وتشرب الماء فقال لهم صالح عليه السـلام هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم وقال الله لصالح ان الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر أي ان الماء نصفان لهم يوم ولها يوم وهي محتضرة فيومها لاتدع شربها وقال لها شرب ولكم شرب يوم معلوم فكانت فيما بلغني والله أعلم اذا وردت وكانت ترد غبا وضعت رأسها في بئر الحجر يقال له بئر الناقـة فيزعمون انهم انها كانت تشرب اذا وردت تضع رأسها فيها فما ترفعه حتى تشرب كل قطرة ماء في الوادي ثم ترفع رأسـها فتفشح يعني تفحج لهم فيحتلبون ماشاؤا من لبن فيشربون ويدخرون حتى يملؤا كل آنيتهم ثم تصدر من غـير الفج الذي منه وردت لاتقدر على ان تصدر من حيث ترد يضيق عنها فلا ترجع منه حتى اذا كان الغـد كان يومهم فيشربون ماشاؤا من الماء ويدخرون ما يشاؤا اليوم الناقة فهم من ذلك في سـعة وكانت الناقة فيما يذكرون تصيف اذا كان الحر ظهر الوادي فتهرب منها المواشي أغنامهم وأبقارهم وابلهم فتهبط الى بطن الوادي في حره وجـدبه وذلك ان المواشي تنفـر منها اذا رأتها وتشتو بطن الوادي اذا كان الشتاء فتهرب مواشيهم الى ظهر الوادي في البرد والجدب فاضر ذلك بمواشـيهم للبلاء والاختبار وكانت مراتعها فيما يزعمون الحباب وحسمى كل ذلك ترعى مع وادي الحجر فكبر ذلك عليهـم فعتوا عن أمر ربهم وأجمعوا في عقر الناقة رأيهم وكانت امرأة من ثمود يقال لها عنـيزة بنت غنم بن مجلز تكنى بام غنم وهي من بني العبيد بن المهل أخي دميل بن المهل وكانت امرأة ذؤاب بن عمرو وكانت عجوزا مسنة وكانت ذات بنات حسان وكانت ذات مال من ابل وبقر وغنم وامرأة أخرى يقال لها صـدوف بنت المحيا بن دهر بن المحيا سيد بني عبيد وصاحب أوثانهـم في الزمن الاول وكان الوادي يقال له وادي المحيا وهو المحيا الاكبر جد المحيا الاصغر أبي صدوف وكانت صـدوف من أحسن الناس وكانت غنية ذات مال من ابل وغنم وبقر وكانتا من أشد امرأتين في ثمود عداوة لصالح وأعظمه به كفرا وكانتا يحتالان ان تعقر الناقة مع كفرهما به لما أضرت به من مواشيهما وكانت صـدوف عنـد ابن خال لها يقال له صنتم بن هراوة بن سعد بن الغطر يف من بني هليل فاسـلم فحسن اسلامه وكانت صـدوف قد فوضت اليه مالها فانفقه على من أسلم معه من أصحاب صالح حتى رق المال فاطلعت على ذلك من اسلامه صدوف فعاتبته على ذلك فاظهر لها دينه ودعاها الى الله والى الاسـلام فابت عليه وسبت له فاخذت بنيه وبناته منه فغيبتهم في بني عبيد بطنها الذي هي منه وكان صنتم زوجها من بني هليـل وكان ابن خالها فقال لها ردي على ولدي فقالت حتى أنافرك الى بني صنعان بن عبيد أو الى بني جنـدع بن عبيد فقال لها صنتم بل أنا أقول الى بني مرداس بن عبيد وذلك ان بني مرداس بن عبيد كانوا قد سارعوا في الاسـلام وأبطا عنه الآخرون فقالت لا أنافرك الا الى من دعوتك اليه فقال بنو مرداس والله لتعطينه ولده طائعة أو كارهة فلما رأت ذلك اعطته اياهم ثم ان صدوف وعنيزة تحيلا في عقر الناقة للشـقاء الذي نزل فدعت صدوف رجلا من ثمود يقال له الحباب لعقر الناقة وعرضت عليه نفسها بذلك ان هو فعـل فابى عليها فدعت ابن عم لها يقال له مصدع بن مهرج بن المحيا وجعلت له نفسها عـلى ان يعقر الناقة وكانت من أحسن الناس وكانت غنية كثيرة المال فاجابها الى ذلك ودعت عنيزة بنت غنم قدار بن سالف بن جندع رجلا من أهل قرح وكان قدار رجلا أحمر أزرق قصيرا يزعمون انه كان لزنية من رجـل يقال له صهياد ولم يكن لابيه سالف الذي يدعى اليه ولكنه قد ولد على فراش سالف وكان يدعى له وينسب اليـه فقالت أعطيك أي بناتي شئت على ان تعقر الناقة وكانت عنـيزة شريفة من نساء ثمود وكان زوجها ذؤاب بن عمرو من أشراف رجال ثمود وكان قدار عزيزا منيعا في قومه فانطلق قدار بن سالف ومصدع

عليهم أولا بقوله أتأتون الفاحشة ثم وبخهم عليها فقال وأنتم أول من عملها

وهو جواب سؤال مقدر كأنه قيـل لم لم نأتها فقال ما سبقكم بها من أحـد فلا تفعلوا مالم تسـبقوا به ويجوز ان تكون صـفة الفاحشـة كقوله

* ولقد أمر على اللئيم يسبني *

وههنا سـؤال وهو انه كيف يجوز دعوى عـدم السـبق في هـذه الخصـلة ولم تزل الشهوة داعيـة اليها والجـواب لعـل متقدميهـم كانوا يسـتقذرونها ويستنفـرون عنها طبعا كسائر الحيـوانات أو المـراد ان الاقبال بالكلية على ذلك العمل لم يوجـد في الاعصار المتقدمـة قال الحسن كانوا ينكحون الرجال في أدبارهـم وكانوا لاينكحون الا الغـرباء وقال عطاء عـن ابن عباس استحكم ذلك فيهـم حتى فعل بعضهم ببعض انكم لتأتون الرجال بيان لما أجمـله في قـوله أتأتون الفاحشـة وكلا الاستفهامين للانكار وفي الثاني أكثر ولهذا زيد فيـه ان ومثله في النمل أتأتون الفاحشـة أئنكم لتأتون الرجال فجمع بـين ان وان لموافقـة آخر القصـة انا منجوك انا مـنزلون وانتصـب شـهوة عـلى انه مفعول له أي لاحامـل لكم على غشيان الرجال من دون النساء الا مجرد الشـهوة أو مصـدر وقع حالا يقال شهي يشهى شـهوة بـل أنتم قوم مسرفـون اضراب عـن الانكار الى الاخبار عنهـم بالحال الموجبة لارتكاب القبائح وهو انهـم قوم عادتهـم الاسراف وتجاوز الحدود في كل شئ وختم هـذه الآية بلفظ الاسم موافقة لرؤس الآيات التي تقـدمت وهي العالمين الناصحين جاء من المرسلين وفي الذين

ابن مهرج فاستغوروا غواة من ثمود فاتبعه سبعة نفر فكانوا تسعة نفر أحد النفر الذين اتبعوهما رجل يقال له هويل بن مبلع خال قدار بن سالف أخو أمه لابيها وأمها وكان عزيزا من أهل حجر ودعير بن غنم بن داعر وهو من بني حلاوة بن المهل وداب بن مهرج أخو مصدع بن مهرج وخمسة لم تحفظ لنا أسماؤهم فرصدوا الناقة حين صدرت عن الماء وقد كمن لها قدار في أصل صخرة على طريقها وكمن لها مصدع في أصل أخرى فمرت على مصدع فرماها بسهم فانتظم به عضلة ساقها وأخرجت أم غنم عنيزة وأمرت ابنتها وكانت من أحسن الناس وجها فأسفرت لقدار وأرته اياه ثم ذمرته فشد على الناقة بالسيف فكشف عرقوبها فخرت ورغت رغاة واحدة تحذر سقبها ثم طعن في لبتها فنحرها وانطلق سقبها حتى أتى جبلا منيفا ثم أتى صخرة في رأس الجبل فرغا ولاذ بها واسم الجبل فيما يزعمون صنو فأتاهم صالح فلما رأى الناقة قد عقرت قال انتهكتم حرمة الله فابشروا بعذاب الله تبارك وتعالى ونقمته فاتبع السقب أربعة من التسعة الذين عقروا الناقة وفيهم مصدع بن مهرج فرماه مصدع بسهم فانتظم قلبه ثم جر برجله فانزله ثم ألقوا لحمه مع لحم أمه فلما قال لهم صالح ابشروا بعذاب الله ونقمته قالوا له وهم يهزؤن به ومتى ذلك يا صالح ومتى آية ذلك وكانوا يسمون الايام فيهم الاحد أول والاثنين أهون والثلاثاء دبار والاربعاء جبار والخميس مؤنس والجمعة العروبة والسبت شيار وكانوا عقروا الناقة يوم الاربعاء فقال لهم صالح حين قالوا ذلك تصبحون غداة يوم مؤنس يعني يوم الخميس ووجوهكم مصفرة ثم تصبحون يوم العروبة يعني يوم الجمعة ووجوهكم محمرة ثم تصبحون يوم شيار يعني يوم السبت ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب يوم الاول يعني يوم الاحد فلما قال لهم صالح ذلك قال التسعة الذين عقروا الناقة هلموا فلنقتل صالحا ان كان صادقا عجلناه قبلنا وان كان كاذبا يكون قد ألحقناه بناقته فأتوه ليلا ليبيتوه في أهله فدمغتهم الملائكة بالحجارة فلما أبطؤا على أصحابهم أتوا منزل صالح فوجدوهم مشدخين قد رضخوا بالحجارة فقالوا لصالح أنت قتلتهم ثم هموا به فقامت عشيرته دونه ولبسوا السلاح وقالوا لهم والله لا تقتلوه أبدا فقد وعدكم ان العذاب نازل بكم في ثلاث فان كان صادقا لم تزيدوا ربكم عليكم غضبا وان كان كاذبا فانتم من وراء ما تريدون فانصرفوا عنهم ليلتهم ذلك والنفر الذين رضختهم الملائكة بالحجارة التسعة الذين ذكرهم الله تعالى في القرآن بقوله تعالى وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الارض ولا يصلحون الى قوله لقوم يعلمون فاصبحوا من تلك الليلة التي انصرفوا فيها عن صالح وجوههم مصفرة فأيقنوا بالعذاب وعرفوا ان صالحا قد صدقهم فطلبوه ليقتلوه وخرج صالح هاربا منهم حتى لجأ الى بطن من ثمود يقال لهم بنو غنم فنزل على سيدهم رجل منهم يقال له نفيل يكنى بأبي هدب وهو مشرك فغيبه فلم يقدروا عليه فغدوا على أصحاب صالح فعذبوهم ليدلوهم عليه فقال رجل من أصحاب صالح يقال له ميدع بن هرم يا نبي الله انهم ليعذبوننا لندلهم عليك أفندلهم عليك قال نعم فدلهم عليه ميدع بن هرم فلما علموا بمكان صالح أتوا أبا هدب فكلموه فقال لهم عندي صالح وليس لكم اليه سبيل فأعرضوا عنه وتركوه وشغلهم عنه ما نزل الله بهم من عذابه فجعل بعضهم يخبر بعضا بما يرون في وجوههم حين أصبحوا من يوم الخميس وذلك ان وجوههم أصبحت مصفرة ثم أصبحوا يوم الجمعة ووجوههم محمرة ثم أصبحوا يوم السبت ووجوههم مسودة حتى اذا كان ليلة الاحد خرج صالح من بين أظهرهم ومن أسلم معه الى الشام فنزل رملة فلسطين وتخلف رجل من أصحابه يقال له ميدع بن هرم فنزل قرح وهي وادي القرى وبين القرح وبين الحجر ثمانية عشر ميلا فنزل على سيدهم رجل يقال له عمرو بن غنم وقد كان أكل من لحم الناقة ولم يشرك في قتلها فقال له ميدع بن هرم يا عمرو بن غنم أخرج من هذا البلد فان صالحا قال من أقام به هلك ومن خرج منه نجا فقال عمرو ما شركت في عقرها وما رضيت ما صنع بها فلما كانت صبيحة الاحد أخذتهم الصيحة فلم يبق منهم صغير ولا كبير الا هلك الا جارية مقعدة يقال لها الذريعة

قال بل أنتم قوم تجهلون أما العدول من الاسراف الى الجهل فلتغير العبارة وكل اسراف جهل وكل جهل اسراف وأما العدول من الاسم الى الفعل فلتوافق ما قبلها من الآيات وكلها أفعال ينصرون تتقون يعلمون واعلم ان قبح هذا العمل كالامر المقرر في الطباع ووجوه القبح فيه كثيرة منها أكثر الناس يحترزون فيه عن الولد لان الولد يحمل المرء على طلب المال واتعاب النفس في وجوه المكاسب الا أنه تعالى جعل الوقاع سببا لحصول اللذة العظيمة حتى ان الانسان يطلب تلك اللذة ويقدم على الوقاع وحينئذ يحصل الولد شاء أم أبى وبهذا الطريق يبقى النسل ولا ينقطع النوع فوضع اللذة في الوقاع يشبه وضع الشئ الذي يشتهيه الحيوان في الفخ والغرض ابقاء النوع الانساني الذي هو أشرف الانواع فكل لذة لا تؤدي الى هذا الغرض وجب الحكم بتحريمها لما فيه من ضياع البذر ولزوم خلاف الحكمة ومنها ان الذكورة مظنة الفعل والانوثة مظنة الانفعال فانعكاس القضية يكون خروجا عن مقتضى الطبيعة والحكمة ومنها ان الاشتغال بمحض الشهوة يشبه بالبهائم وخروج عن الغريزة الانسانية وهب ان الفاعل يلتذ بذلك العمل الا أنه يبقى في الخلق العار العظيم بالمفعول الى حيث يقدم المفعول على قتل الفاعل أو على الحاق الضرر به بكل طريق يقدر عليه وذلك لتنفر طبعه عن رؤيته وايضا حصول هذا العمل بين الرجل والمرأة فانه يوجب زيادة

وهي

وهي الكابية ابنة السلق كانت كافرة شديدة العداوة لصالح فاطلق الله لها رجلها بعدما عاينت العذاب أجمع نفرجت كاسرع ما يرى شئ قط حتى أتت أهل قرح فاخبرتهم بما عاينت من العذاب وما أصاب ثمود منه ثم استسقت من الماء فسقيت فلما شربت ماتت حدثنا الحسن بن يحيي قال أخبرنا عبد الرزاق قال قال معمر أخبرني من سمع الحسن يقول لما عقرت ثمود الناقة ذهب فصيلها حتى صعد تلا فقال يارب أين أمي ثم رغا رغوة فنزلت الصيحة فاخمدتهم حدثني محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن بنحوه الا انه قال أصعد تلا حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ان صالحا قال لهم حين عقروا الناقة تمتعوا ثلاثة أيام قال لهم آية هلاككم ان تصبح وجوهكم مصفرة ثم تصبح اليوم الثاني محمرة ثم تصبح اليوم الثالث مسودة فاصبحت كذلك فلما كان اليوم الثالث وأيقنوا بالهلاك تكفنوا وتحنطوا ثم أخذتهم الصيحة فاهمدتهم قال قتادة قال عاقر الناقة لهم لا أقتلها حتى ترضوا أجمعون فجعلوا يدخلون على المرأة في خدرها فيقولون أترضين فتقول نعم والصبي حتى رضوا أجمعون فعقرها حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرزاق عن معمر عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال لما مر النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تسألوا الآيات فقد سألها قوم صالح فكانت ترد من هذا الفج وتصدر من هذا الفج فعتوا عن أمر ربهم فعقروها وكانت تشرب ماءهم يوما ويشربون لبنها يوما فعقروها فاخذتهم الصيحة أهمد الله من تحت أديم السماء منهم الا رجلا واحدا كان في حرم الله قيل من هو قال أبو رغال فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه قال عبد الرزاق قال معمر وأخبرني اسمعيل بن أمية ان النبي صلى الله عليه وسلم مر بقبر أبي رغال فقال أتدرون ما هذا قالوا الله ورسوله أعلم قال هذا قبر أبي رغال قالوا فمن أبو رغال قال رجل من ثمود كان في حرم الله فمنعه حرم الله عذاب الله فلما خرج أصابه ما أصاب قومه فدفن ههنا ودفن معه غصن من ذهب فنزل القوم فابتدروه باسيافهم فبحثوا عليه فاستخرجوا الغصن قال عبد الرزاق قال معمر قال الزهري أبو رغال أبو ثقيف حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن جابر قال مر النبي صلى الله عليه وسلم بالحجر ثم ذكر نحوه الا انه قال في حديثه قالوا من هو يا رسول الله قال أبو رغال حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا معاذ بن هشام قال ثنا أبي عن قتادة قال كان يقال ان أحمر ثمود الذي عقر الناقة كان ولد زنية حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام قال ثنا عنبسة عن أبي اسحق قال قال أبو موسى أتيت أرض ثمود فذرعت مصدر الناقة فوجدته ستين ذراعا حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر وأخبرني اسمعيل بن أمية بنحو هذا يعني بنحو حديث عبد الله ابن عثمان بن خثيم عن جابر قال ومر النبي صلى الله عليه وسلم بقبر أبي رغال قالوا ومن أبو رغال قال أبو ثقيف كان في الحرم لما أهلك الله قومه منعه حرم الله من عذاب الله فلما خرج أصابه ما أصاب قومه فدفن ههنا ودفن معه غصن من ذهب قال فابتدره القوم يبحثون عنه حتى استخرجوا ذلك الغصن وقال الحسن كان للناقة يوم ولهم يوم فاضر بهم حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الزهري قال لما مر النبي صلى الله عليه وسلم بالحجر قال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم الا أن تكونوا باكين ان يصيبكم مثل الذي أصابهم ثم قال هذا وادي النفر ثم رفع رأسه وأسرع السير حتى أجاز الوادي وأما قوله ولا تمسوها بسوء فانه يقول ولا تمسوا ناقة الله بعقر ولا نحر فيأخذكم عذاب أليم يعني موجع

۞ القول في تأويل قوله (واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الارض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الارض مفسدين) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل صالح لقومه واعظا لهم واذكروا أيها القوم نعمة الله عليكم اذ جعلكم خلفاء يقول تخلفون عادا في الارض بعد هلاكها وخلفاء جمع خليفة وانما جمع

الالفة والمحبة كما قال خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ومنها انه تعالى أودع في الرحم قوة جاذبة للمني بحيث لا يبقى شئ منه في مجاريه وأوعيته اما اذا واقع الذكر فانه يبقى شئ من أواخر المني في المجاري فيعفن ويفسد ويتولد منه العلل والاورام في الاسافل كما يشهد به القوانين الطبية قال بعضهم والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم يقتضي حل وطء المملوك مطلقا ذكرا كان أو أنثى ولا يمكن تخصيص هذا العموم بقوله أتأتون الذكران من العالمين لان كلا من الآيتين أعم من الاخرى من وجه لان المملوك قد يكون ذكرا وقد لا يكون والذكر قد يكون مملوكا وقد لا يكون فتخصيص احداهما بالاخرى ترجيح من غير مرجح بل الترجيح لجانب الحل لمقتضى الاصل ولان المالك مطلق التصرف ولان شرع محمد أولى من شرع لوط وأجيب بان الاعتماد على التواتر الظاهر من دين محمد صلى الله عليه وسلم ان هذا العمل حرام قال وما كان جواب قومه بالواو وكيلا يكون التعقيب بالفاء بعد الاسم وفي النمل يجهلون فما كان وفي العنكبوت وتأتون في ناديكم المنكر فما كان فصح تعقيب الفعل الفعل الا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم وفي النمل أخرجوا آل لوط ليكون ما في النمل تفسير الهذه الكناية وقيل ان سورة النمل نزلت قبل الاعراف ويكون قد صرح في الاولى وكني في الثانية سؤال في الكشاف

خليفة خلفاء وفعلاء انما هي جمع فعيل كما الشركاء جمع شريك والعلماء جمع عليم والحلماء جمع حليم لانه ذهب بالخليفة الى الرجل فكان واحدهم خليف ثم جمع خلفاء فاما لو جمعت الخليفة على انها نظيرة كريمة وحليلة ورغيبة قيل خلائف كما يقال كرائم وحلائل ورغائب اذ كانت من صفات الاناث وانما جمعت الخليفة على الوجهين اللذين جاء بهما القرآن لانها جمعت مرة على لفظها ومرة على معناها وأما قوله وبوأكم في الارض فانه يقول وأنزلكم في الارض وجعل لكم فيها مساكن وأزواجا تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا ذكر انهم كانوا ينقبون الصخر مساكن كما حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدى وتنحتون الجبال بيوتا كانوا ينقبون في الجبال البيوت وقوله فاذكروا آلاء الله يقول فاذكروا نعمة الله التي أنعم بها عليكم ولا تعثوا في الارض مفسدين كان قتادة يقول في ذلك ما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا تعثوا في الارض مفسدين يقول لا تسيروا في الارض مفسدين وقد بينت معنى ذلك بشواهده واختلاف المختلفين فيه فيما مضى بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع ۞ القول في تأويل قوله (قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون ان صالحا مرسل من ربه قالوا انا بما أرسل به مؤمنون قال الذين استكبروا انا بالذي آمنتم به كافرون) يعني جل ثناؤه بقوله قال الملأ الذين استكبروا من قومه قال الجماعة الذين استكبروا من قوم صالح عن اتباع صالح والايمان بالله وبه للذين استضعفوا يعني لاهل المسكنة من تباع صالح والمؤمنين به منهم دون ذوي شرفهم وأهل السؤدد منهم أتعلمون ان صالحا مرسل من ربه أرسله الله الينا واليكم قال الذين آمنوا بصالح من المستضعفين منهم انا بما أرسل الله به صالحا من الحق والهدى مؤمنون يقول مصدقون مقرون انه من عند الله وان الله أمر به وعن أمر الله دعانا صالح اليه قال الذين استكبروا عن أمر الله وأمر رسوله صالح انا أيها القوم بالذي آمنتم به يقول صدقتم به من نبوة صالح وان الذي جاء به حق من عند الله كافرون يقول جاحدون منكرون لا نصدق به ولا نقر ۞ القول في تأويل قوله (فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين) يقول تعالى ذكره فعقرت ثمود الناقة التي جعلها الله لهم آية وعتوا عن امر ربهم يقول تكبروا وتجبروا عن اتباع الله واستعلوا عن الحق كما حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وعتوا عتوا عن الحق لا يبصرون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال مجاهد عتوا عن أمر ربهم علوا في الباطل حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد عن مجاهد في قوله فعتوا عن أمر ربهم قال عتوا في الباطل وتركوا الحق حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله وعتوا عن أمر ربهم قال علوا في الباطل وهو من قولهم جبار عات اذا كان عاليا في تجبره وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا يقول قالوا جئنا يا صالح بما تعدنا من عذاب الله ونقمته استعجالا منهم للعذاب ان كنت من المرسلين يقول ان كنت لله رسولا الينا فان الله ينصر رسله على أعدائه فعجل ذلك لهم كما استعجلوه يقول جل ثناؤه فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين ۞ القول في تأويل قوله (فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين) يقول تعالى ذكره فأخذت الذين عقروا الناقة من ثمود الرجفة وهي الصيحة والرجفة الفعلة من قول القائل رجف بفلان كذا يرجف رجفا وذلك اذا حركه وزعزعه كما قال الاخطل

أما تريني حناني الشيب من كبر * كالنسر أرجف والانسان مهدود

وانما عني بالرجفة ههنا الصيحة التي زعزعتهم وحركتهم للهلاك لان ثمود هلكت بالصيحة فيما ذكر أهل العلم وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال

هو أصل الشركاء ولكنهم جاؤا بكلام آخر لا يتعلق بكلامه ونصيحته من الامر باخراجه ومن معه من المؤمنين من قريتهم ضجرا بهم وبما يسمعونه من وعظهم ونصحهم وقولهم انهم أناس يتطهرون سخرية بهم وبتطهرهم من الفواحش وافتخارا بما كانوا فيه من القذارة كما يقول الشطار من الفسقة لبعض الصلحاء اذا وعظهم أبعدوا عنا هذا المتقشف وأريحونا من هذا المتزهد وقيل المراد ان ذلك العمل في موضع النجاسة فمن تركه فقد تطهر وقيل ان البعد عن الاثم يسمى طهارة فالمراد انهم يتباعدون عن المعاصي والآثام فأنجيناه وأهله أي انصاره واتباعه والذين قبلوا دينه وعن ابن عباس أراد المتصلين به في النسب بدليل قوله الا امرأته يقال امرأة الرجل أي زوجته ولا يقال مرء المرأة يعني زوجها لان المالكية حق الزوج كانت من الغابرين وفي النمل قدرناها من الغابرين أي كانت في علم الله من الغابرين فقدرناها من الغابرين وان قلنا بتأخر نزول الاعراف فالمعنى قدرناها من الغابرين فصارت من الغابرين والغبور المكث والبقاء ٧ أي من الذين بقوا من ديارهم وهلكوا أو التذكير لتغليب الذكور وكانت كافرة موالية لاهل

ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله الرجفة قال الصيحة حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد ابن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي فأخذتهم الرجفة وهي الصيحة حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد عن مجاهد فأخذتهم الرجفة قال الصيحة وقوله فأصبحوا في دارهم جاثمين يقول فأصبح الذين أهلك الله من ثمود في دارهم يعني في أرضهم التي هلكوا فيها وبلدتهم ولذلك وحد الدار ولم يجمعها فيقول في دورهم وقد يجوز أن يكون أريد بها الدور ولكن وجه بالواحدة الى الجمع كما قيل والعصر ان الانسان لفي خسر وقوله جاثمين يعني سقوطا صرعى لا يتحركون لانهم لا أرواح فيهم قد هلكوا والعرب تقول للبارك على الركبة جاثم ومنه قول جرير

عرفت المصاو عرفت منها * مطايا القدر كالحدأ الجثوم

و بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فأصبحوا في دارهم جاثمين قال ميتين ۞ القول في تأويل قوله (فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين) يقول تعالى ذكره فأدبر صالح عنهم حين استعجلوه العذاب وعقروا ناقة الله خارجا عن أرضهم من بين أظهرهم لان الله تعالى ذكره أوحى اليه اني مهلكهم بعد ثلاثة وقيل انه لم يهلك أمة ونبيها بين أظهرها فأخبر الله جل ثناؤه عن خروج صالح من بين قومه الذين عتوا على ربهم حين أراد الله احلال عقوبته بهم فقال فتولى عنهم صالح وقال لقومه ثمود لقد أبلغتكم رسالة ربي وأديت اليكم ما أمرني بادائه اليكم ربي من أمره ونهيه ونصحت لكم في أدائي رسالة الله اليكم في تحذيركم بأسه باقامتكم على كفركم به وعبادتكم الاوثان ولكن لا تحبون الناصحين لكم في الله الناهين لكم عن اتباع أهوائكم الصادين لكم عن شهوات أنفسكم ۞ القول في تأويل قوله (ولوطا اذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين) يقول تعالى ذكره ولقد أرسلنا لوطا ولو قيل معناه واذكر لوطا يا محمد اذ قال لقومه ولم يكن في الكلام صلة الرسالة كما كان في ذكر عاد وثمود كان مذهبا وقوله اذ قال لقومه يقول حين قال لقومه من سدوم واليهم كان أرسل لوط أتأتون الفاحشة وكانت فاحشتهم التي كانوا يأتونها التي عاقبهم الله عليها اتيان الذكور ما سبقكم بها من أحد من العالمين يقول ما سبقكم بفعل هذه الفاحشة أحد من العالمين وذلك كالذي حدثنا ابن وكيع قال ثنا اسمعيل بن علية عن ابن أبي نجيح عن عمرو بن دينار قوله ما سبقكم بها من أحد من العالمين قال ما روي ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط ۞ القول في تأويل قوله (انكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون) يخبر بذلك تعالى ذكره عن لوط انه قال لقومه توبيخا منه لهم على فعلهم انكم أيها القوم لتأتون الرجال في أدبارهم شهوة منكم لذلك من دون الذي أباحه الله لكم وأحله من النساء بل أنتم قوم مسرفون يقول انكم لقوم تأتون ما حرم الله عليكم وتعصونه بفعلكم هذا وذلك هو الاسراف في هذا الموضع والشهوة الفعلة وهي مصدر من قول القائل شهيت هذا الشئ اشهاه شهوة ومن ذلك قول الشاعر

وأشعث يشهى النوم قلت له ارتحل * اذا ما النجوم أعرضت واسبطرت

فقام يجر البرد لو أن نفسه * يقال له خذها بكفيك حرت

۞ القول في تأويل قوله (وما كان جواب قومه الا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم انهم أناس يتطهرون) يقول تعالى ذكره وما كان جواب قوم لوط للوط اذ وبخهم على فعلهم القبيح وركوبهم ما حرم الله عليهم من العمل الخبيث الا أن قال بعضهم لبعض أخرجوا لوطا وأهله ولذلك قيل أخرجوهم فجمع وقد جرى قبل ذكر لوط وحده دون غيره وقد يحتمل ان يكون انما جمع بمعنى

عليهم نوعا من المطر عجيبا قيل كانت المؤتفكة خمس مدائن وقيل كانوا أربعة آلاف بين الشام والمدينة فأمطر الله عليهم الكبريت والنار وقيل خسف بالمقيمين منهم وأمطرت الحجارة على مسافريهم وشذاذهم قيل أمطر عليهم ثم خسف بهم وروي ان تاجرا منهم كان في الحرم فوقف له الحجر أربعين يوما حتى قضى تجارته وخرج من الحرم فوقع عليه فانظر يا محمد صلى الله عليه وآله أو كل من له أهلية الاعتبار كيف كان عاقبة المجرمين وهذه الامة وان أمنت من عذاب الاستئصال الا أن الخوف والاعتبار من شعار المؤمن لا ينبغي ان ينفك عنه على ان عذاب الآخرة أشد وأبقى ولم يأمنوه بعد * مسائل الاولى مذهب الشافعي ان اللواط يوجب الحد لانه ثبت في شريعة لوط فالاصل بقاؤه الى طريان الناسخ ولم يظهر نسخ في شرعنا ولان ذكر الحكم عقيب الوصف المناسب يدل على علية الوصف للحكم فالآيات دالة على ان هذا الجرم المخصوص علة لحصول هذا الزاجر المخصوص قال أبو حنيفة ان الواجب فيه التعزير لانه فرج لا يجب المهر بالايلاج فيه فلا يجب الحد كاتيان البهيمة وعلى الاول في عقوبة الفاعل قولان أحدهما ان عقوبته القتل محصنا كان أو لم يكن لما روي انه صلى الله عليه وآله قال من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول وأصحهما ان حده حد الزنى فيرجم ان كان محصنا ويجلد ويغرب ان لم يكن محصنا لانه حد يجب بالوطء ويختلف فيه البكر والثيب كالاتيان في القبل وعلى قول القتل فيه وجوه أحدها يقتل بالسيف كالمرتد والثاني وبه قال مالك وأحمد

أخرجوا لوطا ومن كان على دينه من قريتكم فاكتفى بذكر لوط فى أول الكلام عن ذكر اتباعه ثم جمع فى آخر الكلام كما قيل يا أيها النبي اذا طلقتم النساء وقد بينا نظائر ذلك فيما مضى بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع انهم أناس يتطهرون يقول ان لوطا ومن تبعه أناس يتنزهون عما نفعله نحن من اتيان الرجال فى الادبار * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا هانئ بن سعيد النخعى عن الحجاج عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد انهم أناس يتطهرون قال من أدبار الرجال وأدبار النساء حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن مجاهد انهم أناس يتطهرون من أدبار الرجال وأدبار النساء حدثنى المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا حماد عن الحجاج عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد فى قوله انهم أناس يتطهرون قال يتطهرون من أدبار الرجال والنساء حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرنا الحسن ابن عمارة عن الحكم عن مجاهد عن ابن عباس فى قوله انهم أناس يتطهرون قال من أدبار الرجال ومن أدبار النساء حدثنى محمد بن الحسن قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى انهم أناس يتطهرون قال يتحرجون حدثنا ابن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة انهم أناس يتطهرون يقول عابوهم بغير عيب وذموهم بغير ذم ۞ القول فى تأويل قوله (فأنجيناه وأهله الا امرأته كانت من الغابرين) يقول تعالى ذكره فلما أبى قوم لوط مع توبيخ لوط اياهم على ما يأتون من الفاحشة وابلاغه اياهم رسالة ربه بتحريم ذلك عليهم الا التمادى فى غيهم أنجينا لوطا وأهله المؤمنين به الا امرأته فانها كانت للوط خائنة وبالله كافرة قوله من الغابرين يقول من الباقين وقيل من الغابرين ولم يقل الغابرات لانه يريد انها ممن بقى مع الرجال فلما ضم ذكرها الى ذكر الرجال قيل من الغابرين والفعل منه غبر يغبر غبورا وغبرا وذلك اذا بقى كما قال الاعشى

عض بما أبقى المواسى له * من أمه فى الزمن الغابر

(وكما قال الآخر)

وأبى الذى فتح البلاد بسيفه * فأذلها بنى أبان الغابر

يعنى الباقى فان قال قائل فكانت امرأة لوط ممن نجا من الهلاك الذى هلك به قوم لوط قيل لا بل كانت فيمن هلك فان قال فكيف قيل الا امرأته كانت من الغابرين وقد قلت ان معنى الغابر الباقى فقد وجب ان تكون قد بقيت قيل ان معنى ذلك غير الذى ذهبت اليه وانما عنى بذلك الا امرأته كانت من الباقين قبل الهلاك والمعمرين الذين قد أتى عليهم دهر كبير ومر بهم زمن كثير حتى هرمت فيمن هرم من الناس فكانت ممن غبر الدهر الطويل قبل هلاك القوم فهلكت مع من هلك من قوم لوط حين جاءهم العذاب وقيل معنى من الباقين فى عذاب الله ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة الا عجوزا فى الغابرين فى عذاب الله ۞ القول فى تأويل قوله (وأمطرنا عليهم مطرا فانظر كيف كان عاقبة المجرمين) يقول تعالى ذكره وأمطرنا على قوم لوط الذين كذبوا لوطا ولم يؤمنوا به مطرا من حجارة من سجيل أهلكناهم به فانظر كيف كان عاقبة المجرمين يقول جل ثناؤه فانظر يا محمد الى عاقبة هؤلاء الذين كذبوا الله ورسوله من قوم لوط فاجترموا معاصى الله وركبوا الفواحش واستحلوا ما حرم الله من أدبار الرجال كيف كانت والى أى شئ صارت هل كانت الا البوار والهلاك فان ذلك أو نظيره من العقوبة عاقبة من كذبك واستكبر عن الايمان بالله وتصديقك ان لم يتوبوا من قومك ۞ القول فى تأويل قوله (والى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا فى الارض بعد اصلاحها ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين) يقول تعالى ذكره وأرسلنا الى ولد مدين ومدين هم ولد مديان بن ابراهيم خليل الرحمن فيما حدثنا

يرجم تغليظا وروى عن على عليه السلام أيضا * والثالث يهدم عليه جدارا أو يرمى من شاهق ليموت حدا فى عذاب قوم لوط وأما المفعول فان كان صغيرا أو مجنونا أو مكرها فلا حد عليه ولا مهر لان منفعة بضع الرجل لا تتقوم وان كان مكلفا طائعا فيقتل بما يقتل به الفاعل ان قلنا ان الفاعل يقتل وان قلنا يحد حد الزنا فيجلد ويغرب محصنا كان أو لم يكن وان أتى امرأة فى دبرها ولا ملك ولا نكاح فالاظهر انه لواط لانه اتيان فى غير المأتى ويجيء فى الفاعل والمفعول ما ذكرنا وقيل انه زنا لانه وطء أنثى فأشبه الوطء فى القبل فعلى هذا حده حد الزنا بلا خلاف وترجم المرأة ان كانت محصنة واذا لاط بعبده فهو كالاجنبى على الاصح ولو أتى امرأته أو جاريته فى الدبر فالاصح القطع بمنع الحد لانه محل استمتاعه بالجملة * التأويل هذه ناقة الله معجزة الخواص ان يخرج لهم من حجارة القلب ناقة السر عشراء بشعب سر السر وهو الخفى وناقة الله هى التى تحمل أمانة معرفته وتعطى ساكنى بلد القالب من

به ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال كان الامر كما قال فدين قبيلة كتميم وزعم أيضا ابن اسحق ان شعيبا الذى ذكر الله انه أرسله اليهم من ولد مديان هذا وانه شعيب بن مكيل بن يشخر قال واسمه بالسريانية سروب فتأويل الكلام على ما قال ابن اسحق ولقد أرسلنا الى ولد مدين أخاهم شعيب بن مكيل يدعوهم الى طاعة الله والانتهاء الى أمره وترك السعى فى الارض بالفساد والصد عن سبيله فقال لهم شعيب ياقوم اعبدوا الله وحده لاشريك له مالكم من اله يستوجب عليكم العبادة غير الاله الذى خلقكم وبيده نفعكم وضركم قد جاءتكم بينة من ربكم يقول قد جاءتكم علامة وحجة من الله بحقيقة ما أقول وصدق ما أدعوكم اليه فاوفوا الكيل والميزان يقول أتموا للناس حقوقهم بالكيل الذى تكيلون به وبالوزن الذى تزنون به ولا تبخسوا الناس أشياءهم يقول ولا تظلموا الناس حقوقهم ولا تنقصوهم اياها ومن ذلك قولهم تحسبها حمقاء وهى باخسة بمعنى ظالمة ومنه قول الله وشروه بثمن بخس يعنى به ردىء وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قوله ولا تبخسوا الناس أشياءهم يقول لا تظلموا الناس أشياءهم حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولا تبخسوا الناس أشياءهم قال لا تظلموا الناس أشياءهم وقوله ولا تفسدوا فى الارض بعد اصلاحها يقول ولا تعملوا فى أرض الله بمعاصيه وما كنتم تعملونه قبل أن يبعث الله اليكم نبيه من عبادة غير الله والاشراك به وبخس الناس فى الكيل والوزن بعد اصلاحها يقول بعد ان قد أصلح الله الارض بابتعاث النبى عليه السلام فيكم ينهاكم عما لايحل لكم وما يكرهه الله لكم ذلكم خير لكم يقول هذا الذى ذكرت لكم وأمرتكم به من اخلاص العبادة لله وحده لاشريك له وايفاء الناس حقوقهم من الكيل والوزن وترك الفساد فى الارض خير لكم فى عاجل دنياكم وآجل آخرتكم عند الله يوم القيامة ان كنتم مؤمنين يقول ان كنتم مصدقى فيما أقول لكم وأؤدى اليكم عن الله من أمره ونهيه ۞ القول فى تأويل قوله (ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين) يعنى بقوله ولا تقعدوا بكل صراط توعدون ولا تجلسوا بكل طريق وهو الصراط توعدون المؤمنين بالقتل وكان فيما ذكر يقعدون على طريق من قصد شعيبا وأراده ليؤمن به فيتوعدونه ويخوفونه ويقولون انه كذاب ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة بكل صراط توعدون قال كانوا يوعدون من أتى شعيبا وغشيه فاراد الاسلام حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ولا تقعدوا بكل صراط توعدون والصراط الطريق يخوفون الناس ان يأتوا شعيبا حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله قال كانوا يجلسون فى الطريق فيخبرون من أتى عليهم ان شعيبا عليه السلام كذاب فلا يفتنكم عن دينكم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله تعالى بكل صراط توعدون كل سبيل حق حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد نحوه حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى ولا تقعدوا بكل صراط توعدون كانوا يقعدون على كل طريق يوعدون المؤمنين حدثنا ابن وكيع قال ثنا حميد بن عبد الرحمن عن قيس عن السدى ولا تقعدوا بكل صراط توعدون قال العشارون حدثنا على بن سهل قال ثنا حجاج قال ثنا أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبى العالية عن أبى هريرة أو غيره شك أبو جعفر الرازى قال أتى النبى صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به على

القوى والحواس الواردات الالهية فذروها ترتع فى رياض القدس وحياض الانس ولا تمسوها بمخالفات الشريعة ومعارضات الطريقة فيأخذكم عذاب أليم بالانقطاع عن المواصلات الحقيقية انجعلكم خلفاء مستعدين للخلافة وبوأكم فى أرض القلوب تتخذون من سهولها وهى المعاملات بالصدق والاخلاص قصورا فى الجنان والجنان تنحتون من جبال أطوار القلب بيوتا هى مقامات السائرين الى الله فاذكروا آلاء الله النعماء والاخلاص فالاول يتضمن ترويح الظاهر والثانى يوجب بلوح السرفالترويح بوجوه المبار والتلويح بشهود الاسرار ولا تعثوا فى الارض القلب بالفساد للاستعداد الفطرى الذين استكبروا هم الاوصاف البشرية والاخلاق الذميمة الذين استضعفوا من أوصاف القلب والروح وتعلمون ان صالح الروح مرسل بنفخة الحق الى بلد القالب وما كنتم ليدعوهم من الاوصاف السفلية الظلمانية الى الاخلاق العلوية

خشبة على الطريق لا يمر بها ثوب الا شقته ولا شئ الا خرقته قال ما هذا يا جبريل قال هذا مثل أقوام من أمتك يقعدون على الطريق فيقطعونه ثم تلا ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون وهذا الخبر الذى ذكرناه عن أبى هريرة يدل على ان معناه كان عند أبى هريرة ان نبى الله شعيبا انما نهى قومه بقوله ولا تقعدوا بكل صراط توعدون عن قطع الطريق وانهم كانوا قطاع الطريق وقيل ولا تقعدوا بكل صراط توعدون ولو قيل فى غير القرآن لا تقعدوا فى كل صراط كان جائزا فصيحا فى الكلام وانما جاز ذلك لان الطريق ليس بالمكان المعلوم فجاز ذلك كما جاز ان يقال قعد له بمكان كذا وعلى مكان كذا وفى مكان كذا وقال توعدون ولم يقل تعدون لان العرب كذلك تفعل فيما أبهمت ولم تفصح به من الوعيد تقول أوعدته بالالف وتقدم منى اليه وعيد فاذا بينت عما أوعدت وأفصحت به قالت وعدته خيرا ووعدته شرا بغير ألف كما قال جل ثناؤه النار وعدها الله الذين كفروا واما قوله وتصدون عن سبيل الله من آمن به فانه يقول وتردون عن طريق الله وهو الرد عن الايمان بالله والعمل بطاعته من آمن به يقول تردون عن طريق الله من صدق بالله ووحده وتبغونها عوجا يقول وتلتمسون لمن سلك سبيل الله وآمن به وعمل بطاعته عوجا عن القصد والحق الى الزيغ والضلال كما **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وتصدون عن سبيل الله قال أهلها وتبغونها عوجا تلتمسون لها الزيغ **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بنحوه **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وتبغونها عوجا قال تبغون السبيل عن الحق عوجا **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وتصدون عن سبيل الله عن الاسلام تبغون السبيل عوجا هلاكا وقوله واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم يذكرهم شعيب نعمة الله عندهم بان كثر جماعتهم بعد ان كانوا قليلا عددهم وان رفعهم من الذلة والخساسة يقول لهم فاشكروا الله الذى أنعم عليكم بذلك واخلصوا له العبادة واتقوا عقوبته بالطاعة واحذروا نقمته بترك المعصية وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين يقول وانظروا ما نزل بمن كان قبلكم من الامم حين عتوا على ربهم وعصوا رسله من المثلات والنقمات وكيف وجدوا عقبى عصيانهم اياه ألم نهلك بعضهم غرقا بالطوفان وبعضهم رجما بالحجارة وبعضهم بالصيحة والافساد فى هذا الموضع معناه معصية الله ۞ القول فى تأويل قوله (وان كان طائفة منكم آمنوا بالذى أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين) يعنى بقوله تعالى ذكره وان كان طائفة منكم وان كانت جماعة منكم وفرقة آمنوا يقول صدقوا بالذى أرسلت به من اخلاص العبادة لله وترك معاصيه وظلم الناس وبخسهم فى المكاييل والموازين فاتبعونى على ذلك وطائفة منكم لم يؤمنوا يقول وجماعة أخرى لم يصدقوا بذلك ولم يتبعونى عليه فاصبروا حتى يحكم الله بيننا يقول فاحتسبوا على قضاء الله الفاصل بيننا وبينكم وهو خير الحاكمين يقول والله خير من يفصل وأعدل من يقضى لانه لا يقع فى حكمه ميل الى أحد ولا محاباة لاحد

النورانية فعقروا أى النفس وصفاتها ناقة سر القلب بسكاكين مخالفات الحق فاخذتهم رجفة الموت فاصبحوا فى دار قالبهم جاثمين والله العزيز (والى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم فاوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا فى الارض بعد اصلاحها ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين وان كان طائفة منكم آمنوا بالذى أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين

﴿تم الجزء الثامن من تفسير الامام ابن جرير الطبرى ويليه الجزء التاسع أوله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (قال الملأ من قومه)﴾

(الجزء التاسع)

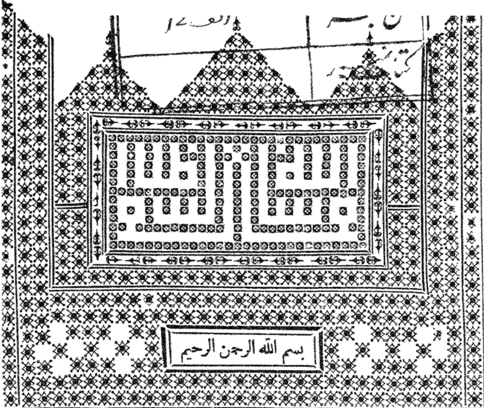
من تفسير الامام الكبير والعلامة الشهير من أطبقت
الامة على تقدمه فى التفسير وجعلته حجة اذا
وقع النزاع فى التعبير الامام أبى جعفر
محمد بن جرير الطبرى المسمى
جامع البيان فى تفسير
القرآن رحمه الله
وأثابه رضاه
آمين

(ولاجل تمام النفع وضعنا بالهامش الجزء التاسع من
تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للعلامة نظام
الدين الحسن بن محمد بن حسين القمى النيسابورى
قدست أسراره)

(تنبيه)

طبع تفسير ابن جرير على النسخة المحضرة من خزانة (أمراء نجد)
آل رشيد * لازالت الايام تتلألأ بزواهر مجدهم ولابرح
الانام يغترف من بحار برهم وذلك بعد مقابلة تلك النسخة
على النسخة الموجودة بالكتبخانة الخديوية لازالت أشعة النفع
بها تستمد منها سائر البريه وقد بذلنا الطاقة فى تصحيحها ومراجعة
ما يحتاج الى المراجعة من مظانه الموثوق بترجيحها مع عناية جمع
من أفاضل علماء مصر بالتصحيح تذكر أسماؤهم آخر الكتاب

(طبع بالمطبعة الميمنية بمصر)



﴿ القول في تاويل قوله (قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أولتعودن في ملتنا قال أولو كنا كارهين) يقول تعالى ذكره قال الملأ الذين استكبروا يعني بالملأ الجماعة من الرجال ويعني بالذين استكبروا الذين تكبروا عن الايمان بالله والانتهاء الى امره واتباع رسوله شعيب لما حذرهم شعيب باس الله على خلافهم امر ربهم وكفرهم به لنخرجنك ياشعيب ومن تبعك وصدقك وآمن بك وبما جئت به معك من قريتنا أولتعودن في ملتنا يقول لترجعن أنت وهم في ديننا وما نحن عليه قال شعيب مجيبا لهم أولو كنا كارهين ومعنى الكلام ان شعيبا قال لقومه أتخرجوننا من قريتكم وتصدوننا عن سبيل الله ولو كنا كارهين لذلك ثم أدخلت ألف الاستفهام على واو ولو ﴿ القول في تاويل قوله (قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شئ علما على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين) يقول جل ثناؤه قال شعيب لقومه اذ دعوه الى العود الى ملتهم والدخول فيها وتوعدوه بطرده ومن تبعه من قريتهم ان لم يفعل ذلك هو وهم قد افترينا على الله كذبا يقول قد اختلقنا على الله كذبا وتخرصنا عليه من القول باطلا ان نحن عدنا في ملتكم فرجعنا فيها بعد اذ أنقذنا الله منها بان بصرنا خطأها وصواب الهدى الذي نحن عليه وما يكون لنا ان نرجع فيها فندين بها ونترك الحق الذي نحن عليه الا ان يشاء الله ربنا الا أن يكون سبق لنا في علم الله انا نعود فيها فيمضي فينا حينئذ قضاء الله فينا وتنفذ مشيئته علينا وسع ربنا كل شئ علما فان علم ربنا وسع كل شئ فاحاط به فلا يخفى عليه شئ كان ولا شئ هو كائن فان سبق لنا في علمه انا نعود في ملتكم فلا يخفى عليه شئ كان ولا شئ هو كائن فلا بد ان يكون ما قد سبق في علمه والا فانا غير عائدين في ملتكم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شئ علما على

(قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أولتعودن في ملتنا قال أولو كنا كارهين قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها الا أن يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شئ علما على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين الذين كذبوا شعيبا كان لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين فتولى عنهم وقال ياقوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين) القراءة كما مر * الوقوف شعيبا ط غيره ط اصلاحها ط مؤمنين ج لعطف المتفقين او وقوع العارض أو رأس الآية عوجا ج لاتفاق الجملتين مع طول الكلام وكثركم ج لعطف المتفقين المفسدين ه بيننا ج لاحتمال الواو الحال والاستئناف الحاكمين ه الجزء التاسع ملتنا ط كارهين ه وقيل لا وقف لان الابتداء بقوله قد افترينا قبيح قلنا اذا كان محكيا عن شعيب كان أقبح ولكن الكلام معلق بشرط يعقبه منها ط الله ط ربنا ط علما ط توكلنا ز للعدول الفاتحين ه لخاسرون ه جاثمين ه ج ان يوصل وقف على كان لم يغنوا فيها على جعل الذين بدلا

توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق يقول لما ينبغي لنا ان نعود في شرككم بعد اذ نجانا الله منها الا ان يشاء الله ربنا فالله لا يشاء الشرك ولكن يقول الا ان يكون الله قد علم شيأ فانه وسع كل شيء علما وقوله على الله توكلنا يقول على الله نعتمد في أمورنا واليه نستند فيما تعدوننا به من شرككم أيها القوم فانه الكافي من توكل عليه ثم فزع صلوات الله عليه الى ربه بالدعاء على قومه اذ أيس من فلاحهم فانقطع رجاؤه من اذعانهم لله بالطاعة والاقرار له بالرسالة وخاف على نفسه وعلى من اتبعه من مؤمني قومه من فسقتهم العطب والهلكة بتعجيل النقمة فقال ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق يقول احكم بيننا وبينهم بحكمك الحق الذي لا جور فيه ولا حيف ولا ظلم ولكنه عدل وحق وأنت خير الفاتحين يعني خير الحاكمين ذكر الفراء ان أهل عمان يسمون القاضي الفاتح والفتاح وذكر غيره من أهل العلم بكلام العرب انه من لغة مراد وأنشد لبعضهم بيتا وهو

ألا ابلغ مني عصم رسولا * فاني عن فتاحتكم غني

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن مسعر عن قتادة عن ابن عباس قال ما كنت ادري ما قوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق حتى سمعت ابنة ذي يزن تقول تعال افاتحك يعني اقاضيك **حدثني** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق يقول اقض بيننا وبين قومنا **حدثني** المثنى قال ثنا أبو دكين قال ثنا مسعر قال سمعت قتادة يقول قال ابن عباس ما كنت أدري ما قوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق حتى سمعت ابنة ذي يزن تقول تعال افاتحك **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله افتح بيننا وبين قومنا بالحق وقال محمد بن عبد الاعلى ثنا محمد بن ثور قال ثنا معمر عن قتادة افتح بيننا وبين قومنا بالحق اقض بيننا وبين قومنا بالحق **حدثني** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي اما قوله افتح بيننا فيقول احكم بيننا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال الحسن البصري افتح احكم بيننا وبين قومنا وانا فتحنا لك فتحا مبينا حكمنا لك حكما مبينا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس افتح اقض **حدثنا** ابن بشار قال ثنا أبو أحمد محمد بن عبد الله بن الزبير قال ثنا مسعر عن قتادة عن ابن عباس قال لم أكن أدري ما افتح بيننا وبين قومنا بالحق حتى سمعت ابنة ذي يزن تقول لزوجها انطلق أفاتحك ۞ القول في تأويل قوله (وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون) يقول تعالى ذكره وقالت الجماعة من كفرة رجال قوم شعيب وهم الملأ الذين جحدوا آيات الله وكذبوا رسوله وتمادوا في غيهم لآخرين منهم لئن انتم اتبعتم شعيبا على ما يقول واجبتموه الى ما يدعوكم اليه من توحيد الله والانتهاء الى أمره ونهيه واقررتم بنبوته انكم اذا لخاسرون يقول لمغبونون في فعلكم وترككم ملتكم التي أنتم عليها مقيمون الى دينه الذي يدعوكم اليه وهالكون بذلك من فعلكم ۞ القول في تأويل قوله (فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين) يقول فاخذت الذين كفروا من قوم شعيب الرجفة وقد بينت معنى الرجفة قبل وانها الزلزلة المحركة لعذاب الله فاصبحوا في دارهم جاثمين على ركبهم موتى هلكى وكان صفة العذاب الذي أهلكهم الله به كما **حدثني** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي والى مدين أخاهم شعيبا قال ان الله بعث شعيبا الى مدين والى أصحاب الايكة وهي الغيضة من الشجر وكانوا مع كفرهم يبخسون الكيل والميزان فدعاهم فكذبوه فقال لهم ما ذكر الله في القرآن وما ردوا عليه فلما عتوا وكذبوه سألوه العذاب ففتح الله عليهم بابا من أبواب جهنم فاهلكهم الحر منه فلم ينفعهم ظل ولا ماء ثم انه بعث سحابة فيها ريح طيبة فوجدوا برد الريح وطيبها فتنادوا الظلة عليكم بها فلما اجتمعوا تحت السحابة رجالهم

من الضمير في أصبحوا وكان لم يغنوا حال لمعنى الفعل في الجاثمين وان جعل الذين مبتدأ خبره كان لم يغنوا وقف على جاثمين وعلى فيها ومن لم يقف على فيها وجعل الذين بدلا من الذين الاول وقف على شعيب أو يستأنف بكانوا ولا يخلو من تعسف الخاسرين ه ونصحت لكم ه لان كيف للتعجب فيصلح للابتداء مع ان فيه فاء التعقيب كافرين ه والله أعلم * التفسير القصة السادسة قصة شعيب ومدين اسم البلد وقيل اسم القبيلة لانه شعيب بن ميويه بن مدين بن ابراهيم خليل الرحمن وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه وذلك انه أمرهم باشياء الاول عبادة الله أمرهم بها ونهاهم عن عبادة غير الله وهذا أصل معتبر في شرائع جميع الانبياء الثاني تصديق ما ادعاه من النبوة وأشار اليه بقوله قد جاءتكم بينة أي معجزة دالة على نبوتي ففي الآية دلالة مجملة على ان لشعيب معجزة ظاهرة كما ينبغي لكل مدعي نبوة والا كان متنبئا غير ان معجزته لم تذكر في القرآن كما لم تذكر أكثر معجزات نبينا صلى الله عليه وآله فيه يحكى انه دفع الى موسى عصاه وتلك العصا صارت التنين وأيضا قال لموسى ان هذه الاغنام تلد اولادا اعنقها أسود وسائرها أبيض وقد وهبتها منك وكان الامر كما أخبر وكل ذلك قبل ان يستنبأ موسى فقال أهل السنة ان هذه الامور علامات نبوة موسى ويسمى ارهاصا وقالت المعتزلة انها معجزات شعيب بناء على ان الارهاص عندهم غير جائز الثالث قوله فاوفوا الكيل الآية واعلم ان الانبياء عليهم السلام ان يبدؤا في

ونساؤهم وصبيانهم انطبقت عليهم فاهلكتهم فهو قوله فاخذهم عذاب يوم الظلة **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال كان من خبر قصة شعيب وخبر قومه ما ذكر الله في القرآن كانوا أهل بخس للناس في مكاييلهم وموازينهم مع كفرهم بالله وتكذيبهم نبيهم وكان يدعوهم الى الله وعبادته وترك ظلم الناس وبخسهم في مكاييلهم وموازينهم فقال نصحا لهم وكان صادقا وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه ان أريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب قال ابن اسحق وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكر لي يعقوب بن أبي سلمة اذا ذكره قال ذلك خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه فيما يرادهم فلما كذبوه وتوعدوه بالرجم والنفي من بلادهم وعتوا على الله أخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم فبلغني ان رجلا من أهل مدين يقال له عمرو بن جلهاء لما رآها قال

يا قوم ان شعيبا مرسل فذروا * عنكم سميرا وعمران بن شداد
اني أرى غيمة يا قوم قد طلعت * تدعو بصوت على صمانة الوادي
وانكم ان تروا فيها ضحاء غدا * مافيها الا الرقيم يمشي بين انجاد

وسمير وعمران كاهناهم والرقيم كلبهم **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثني أبو اسحق قال فبلغني والله أعلم ان الله سلط عليهم الحر حتى انضجهم ثم أنشأ لهم الظلة كالسحابة السوداء فلما رأوها ابتدروها يستغيثون ببردها مما هم فيه من الحر حتى اذا دخلوا تحتها أطبقت عليهم فهلكوا جميعا ونجى الله شعيبا والذين آمنوا معه برحمة **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة قال حدثني أبو عبد الله البجلي قال أبو جاد وهوز وحطي وكلمون وسعفص وقرشت أسماء ملوك مدين وكان ملكهم يوم الظلة في زمان شعيب كلمون فقالت أخت كلمون تبكيه

كلمون هد ركنه * هلكه وسط المحله
سيد القوم أتاه * الحتف نار وسط ظله
جعلت نارا عليهم * ودارهم كالمضمحله

القول في تأويل قوله (الذين كذبوا شعيبا كأن لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين) يقول تعالى ذكره فأهلك الذين كذبوا شعيبا فلم يؤمنوا به فأبادهم فصارت قريتهم منهم خاوية خلاء كأن لم يغنوا فيها يقول كأن لم ينزلوا قط ولم يعيشوا بها حين هلكوا يقال غني فلان بمكان كذا فهو يغنى به غنى وغنيا اذا نزل به وكان به كما قال الشاعر

ولقد يغنى بها جيرانك الـ * ـممسكو منك بعهد ووصال

وقال رؤبة * وعهد مغنى دمنة بضلفعا * انما هو مفعل من غني يغنى والذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور قال ثنا معمر عن قتادة كأن لم يغنوا فيها كأن لم يعيشوا كأن لم ينعموا **حدثني** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس كأن لم يغنوا فيها يقول كأن لم يعيشوا فيها **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله كأن لم يغنوا فيها كأن لم يكونوا فيها قط وقوله الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين يقول تعالى ذكره لم يكن الذين اتبعوا شعيبا الخاسرين بل الذين كذبوه كانوا هم الخاسرين الهالكين لانه أخبر عنهم جل ثناؤه ان الذين كذبوا شعيبا قالوا للذين أرادوا اتباعه لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون فكذبهم الله بما أحل بهم من

أمر مستقبح في العقول ومع ذلك فقد جاءت البينة والشريعة الموجبة لتحريمه فلم يبق لكم فيه عذر فأوفوا الكيل والميزان قال في الكشاف لم يقل المكيال والميزان كما في سورة هود لأنه أراد بالكيل آلة الكيل وهو المكيال أو سمى ما يكال به بالكيل كما قيل العيش لما يعاش به أو أراد فأوفوا الكيل ووزن الميزان أو الميزان مصدر كالميعاد والميلاد الرابع ولا تبخسوا الناس أشياءهم يقال بخسه حقه اذا نقصه اياه ومنه قيل للمكس البخس وفي المثل تحسبها حمقاء وهي باخس قال ثعلب وان شئت قلت باخسة وذلك يتناول الانسان والبهيمة يضرب لمن لا يعبأ به وفيه دهاء وجربزة تخص أولا ثم عمم ليشمل جميع أنواع الضيم كالغصب والسرقة وأخذ الرشوة وقطع الطريق والانتزاع بوجوه الاحتيال يروى انهم كانوا مكاسين لا يدعون شيأ الا مكسوه وكانوا اذا دخل الغريب بلدهم أخذوا دراهمه الجياد وقالوا هي زيوف فقطعوها قطعا ثم أخذوها بنقصان ظاهر وأعطوه بدلها زيوفا الخامس ولا تفسدوا في الارض وهذا أعم من البخس لشموله الاموال والاعراض والنفوس وكل ما يوجب مفسدة ونبوة والمعنى بعد اصلاح أهلها على حذف المضاف أو كقوله بل مكر الليل والنهار أي بعد الاصلاح فيها يعني اصلاح الصالحين من الانبياء ومتابعيهم العاملين بشرائعهم ذلكم الذي ذكر من الامور الخمسة خير لكم في الانسانية وحسن الاحدوثة وزيادة البركة لرغبة الناس في متاجرتكم عند اشتهاركم بالامانة والديانة ولا يخفى ان حاصل هذه التكاليف الخمسة يرجع الى التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله ان كنتم مؤمنين مصدقين لي في قولي ثم فصل بعض ما أجمل فقال ولا تقعدوا بكل صراط حقيقته ذلك انهم كانوا يجلسون على الطرق والمراصد كما كانت تفعل قريش بمكة يخوفون من آمن بشعيب ويقولون انه كذاب لا يفتننكم عن دينكم أو كانوا يقطعون الطرق أو كانوا عشارين وقيل انه مجاز وهم الذين قعدوا على طريق الدين ومنهاج الحق لاجل ان يمنعوا الناس عن قبوله اقتداء بالشيطان حيث قال لاقعدن لهم صراطك

عاجل

المستقيم ودليل هذا المجاز قوله ويصدون عن سبيل الله يقال قعد بمكان كذا أي التصق به وعلى مكان كذا أي علا ذلك المكان وفيه اذا حل حروف الجر تتعاقب في مثل هذا الموضع لتقارب معانيها ومحل توعدون وما عطف عليه نصب على الحال نهاهم عن القعود على صراط الله حال الاشتغال باحد هذه الافعال وانما قال بكل صراط مع ان صراط الحق واحد (٥) لانه يتشعب الى معالم وحدود واحكام كثيرة كل

عاجل نكاله ثم قال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ماخسر تباع شعيب بل كان الذين كذبوا شعيبا لما جاءت عقوبة الله هم الخاسرين دون الذين صدقوه وآمنوا به ۞ القول في تاويل قوله (فتولى عنهم وقال ياقوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين) يقول تعالى ذكره فادبر شعيب عنهم ساخطا من بين أظهرهم حين أتاهم عذاب الله وقال لما أيقن بنزول نقمة الله بقومه الذين كذبوه حزنا عليهم ياقوم لقد أبلغتكم رسالات ربي وأديت اليكم مابعثني به اليكم من تحذيركم غضبه على اقامتكم على الكفر به وظلم الناس أشياءهم ونصحت لكم بامري اياكم بطاعة الله ونهيكم عن معصيته فكيف آسى يقول وكيف أحزن على قوم جحدوا وحدانية الله وكذبوا رسوله وأتوجع لهلاكهم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبدالله بن صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله فكيف آسى يعني فكيف أحزن حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي فكيف آسى يقول فكيف أحزن حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال أصاب شعيبا على قومه حزن لما يرى بهم من نقمة الله ثم قال يعزي نفسه فيما ذكر الله عنه ياقوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين ۞ القول في تاويل قوله (وما أرسلنا في قرية من نبي الا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم معرفه سنته في الامم التي قد خلت من قبل امته ومذكر من كفر به من قريش لينزجروا عما كانوا عليه مقيمين من الشرك بالله والتكذيب لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وما أرسلنا في قرية من نبي قبلك الا أخذنا أهلها بالبأساء وهو البؤس وسوء المعيشة وضيقها والضراء وهي الضر وسوء الحال في أسباب دنياهم لعلهم يضرعون يقول فعلنا ذلك ليتضرعوا الى ربهم ويستكينوا اليه وينيبوا بالاقلاع عن كفرهم والتوبة من تكذيب أنبيائهم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدي أخذنا أهلها بالبأساء والضراء يقول بالفقر والجوع وقد ذكرنا فيما مضى الشواهد على صحة القول بما قلنا في معنى البأساء والضراء بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وقيل يضرعون والمعنى يتضرعون ولكن ادغمت التاء في الضاد لتقارب مخرجهما ۞ القول في تاويل قوله (ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء فاخذناهم بغتة وهم لايشعرون) يقول تعالى ذكره ثم بدلنا أهل القرية التي أخذنا أهلها بالبأساء والضراء مكان السيئة وهي البأساء والضراء وانما جعل ذلك سيئة لانه مما يسوء الناس ولاتسوءهم الحسنة وهي الرخاء والنعمة والسعة في المعيشة حتى عفوا يقول حتى كثروا وكذلك كل شيء كثر فانه يقال فيه قد عفا كما قال الشاعر

ولكنا نعض السيف منها * باسوق عافيات الشحم كوم

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة مكان السيئة الحسنة قال مكان الشدة رخاء حتى عفوا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله مكان السيئة الحسنة قال السيئة الشر والحسنة الرخاء والمال والولد حدثنا المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل

منها في نفسه سبيل وكانوا اذا رأوا احدا يشرع فيها أوعدوه وصدوه والضمير في به راجع الى كل صراط والتقدير توعدون من آمن به وتصدون عنه فوضع الظاهر موضع الضمير زيادة في التقبيح والتفظيع ومعنى وتبغونها تطلبون لسبيل الله عوجا أي تصفونها للناس بانها معوجة وذلك بالقاء الشكوك والشبهات قال في الكشاف أو يكون تهكما بهم يطلبون لها ما هو محال لان طريق الحق لاتعوج ثم ذكرهم نعم الله تعالى لان ذكر النعم مما يحمل على الطاعة ويبعد عن المعصية فقال واذكروا اذ كنتم أي وقت كونكم قليلا فكثركم قال الزجاج يحتمل كثرة العدد بعد القلة وكثرة العدد بعد النزارة وكثرة القدرة والشدة بعد الضعف والذلة قيل ان مدين بن ابراهيم تزوج بنت لوط فولدت فدعا الله في نسلها بالبركة والنماء وصاروا كثيرا في العدة والعدد والشدة ثم حذرهم سوء عاقبة من أفسد قبلهم من الامم وكانوا قريبي العهد بما أصاب المؤتفكة فقال وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين رغبهم أولا ثم رهبهم ثانيا وأكد الترهيب بقوله وان كان طائفة الآية وهو وعيد الكافرين ووعد للمحقين المؤمنين وحث لهم على الصبر على مايلحقهم من أذى المشركين الى أن يحكم بمقتضى العدل والحكمة

خير الحاكمين ثم حكى جواب قومه المحجوجين المستكبرين وذلك قولهم لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا أي أحد الامرين كائن لامحالة اما اخراجكم واما عودكم الى الكفر وههنا سؤال وهو ان الكفر على الانبياء محال فكيف يتصور عوده اليه وهب ان قول الكفار ليس بحجة أليس قول شعيب حجة حيث قال ان عدنا في ملتكم وأجيب بان الكلام بني على التغليب وان شعيبا أراد عود قومه الا

انه نظم نفسه في جملتهم لما ذكرنا ولعل رؤساءهم قالوا ذلك تلبيسا على العوام وشعيب أجرى كلامه على وفق ذلك أو انه كان في أول أمره يخفي مذهبه فتوهموا انه على دينهم أو أريد بالملة الشريعة التي صارت منسوخة بشرعه أو يطلق العود على الابتداء كقوله وان تكن الايام أحسن مرة * الخ فقد عادت لهن ذنوب قال شعيب في جوابهم أولو كنا كارهين الهمزة للاستفهام والواو للحال والتقدير لاتعيدوننا في ملتكم وحال كراهيتنا ثم صرح بانه لا يفعل ذلك فقال قد افترينا على الله كذبا ان عدنا اذ ذلك وذلك ان أصل الباب في النبوة والرسالة صدق اللهجة والبراءة عن الكذب والعود في ملتكم ينافي ذلك ومعنى قوله بعد اذ نجانا الله منها بعد ان علمنا قبحه وفساده ونصب الادلة على بطلانه اذا المراد نجي قومه فغلب أو المراد على حسب زعمكم ومعتقدكم كما مر قال في الكشاف وقوله قد افترينا اخبار مقيد بالشرط وفيه وجهان أحدهما أن يكون كلاما مستأنفا فيه معنى التعجب كانهم قالوا ما أكذبنا على الله ان عدنا في الكفر والثاني أن يكون قسما على تقدير حذف اللام معناه والله لقد افترينا على الله كذبا وما يكون لنا أي ما ينبغي لنا وما يصح أن نعود فيها الا أن يشاء الله ربنا قال أهل السنة في الآية دلالة على ان المنجي من الكفر هو الله تعالى وكذا المعيد اليه قال الواحدي ولم تزل الانبياء والاكابر يخافون العاقبة وانقلاب الامر ألا ترى الى قول الخليل عليه السلام واجنبني وبني أن نعبد الاصنام وكثيرا ما كان يقول نبينا صلى الله عليه وسلم يا مقلب القلوب والابصار ثبت قلوبنا على دينك وطاعتك وقال يوسف توفني مسلما اجابت المعتزلة بوجوه الاول ان قوله الا أن يشاء قضية شرطية أي من شاء بعد وليس فيه بيان انه شاء أم أبى الثاني ان هذا على طريق التبعيد والاحالة كما يقال لا يفعل ذلك الا اذا ابيض القار وشاب الغراب الثالث لعل المراد ما لو اكرهوا على العود فان اظهار الكفر عند الاكراه جائز امر وان كان الصبر أفضل وما كان جائزا صح أن يكون مرادا لله تعالى كما ان المسح على الخفين مراد الله وان كان غسل الرجلين أفضل الرابع يحتمل ان يعود الضمير في فيها الى قرية كانه قال ان أخرجتمونا من القرية حرم علينا العود فيها الا باذن الله تعالى الخامس المشيئة عند أهل السنة لا توجد

عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مكان السيئة الحسنة والحسنة الخير حدثني المثنى قال ثنا عبد الله ابن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة يقول مكان الشدة الرخاء حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا قال بدلنا مكان ما كرهوا ما أحبوا في الدنيا حتى عفوا من ذلك العذاب وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء واختلفوا في تأويل قوله حتى عفوا فقال بعضهم نحو الذي قلنا فيه ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله حتى عفوا يقول حتى كثروا وكثرت أموالهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس حتى عفوا قال جموا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد حتى عفوا قال كثرت أموالهم وأولادهم حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد ابن مفضل قال ثنا اسباط عن السدي حتى عفوا حتى كثروا حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن مغيرة عن ابراهيم حتى عفوا قال حتى جموا وكثروا وقال ثنا جابر بن نوح عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس حتى عفوا قال حتى جموا قال ثنا المحاربي عن جويبر عن الضحاك حتى عفوا يعني جموا وكثروا وقال ثنا عبد الله بن رجاء عن ابن جريج عن مجاهد حتى عفوا قال حتى كثر أموالهم وأولادهم حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله حتى عفوا كثروا كما يكثر النبات والريش ثم أخذهم عند ذلك بغتة وهم لا يشعرون وقال آخرون معنى ذلك حتى سروا ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة حتى عفوا يقول حتى سروا بذلك وهذا الذي قاله قتادة في معنى عفوا تأويل لا وجه له في كلام العرب لانه لا يعرف العفو السرور في شيء من كلامها الا ان يكون أراد حتى سروا بكثرتهم وكثرة أموالهم فيكون ذلك وجها وان بعد وأما قوله وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء فانه خبر من الله عن هؤلاء القوم الذين أبدلهم الحسنة السيئة التي كانوا فيها استدراجا وابتلاء انهم قالوا اذ فعل ذلك بهم هذه أحوال قد أصابت من قبلنا من آبائنا ونالت أسلافنا ونحن لا نعدو ان نكون أمثالهم يصيبنا ما أصابهم من الشدة في المعايش والرخاء فيها وهي السراء لانها تسر أهلها وجهل المساكين شكر نعمة الله وأغفلوا من جهلهم استدامة فضله بالانابة الى طاعته والمسارعة الى الاقلاع عما يكرهه بالتوبة حتى أتاهم أمره وهم لا يشعرون يقول جل جلاله فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون يقول فأخذناهم بالهلاك والعذاب فجأة أتاهم على غرة منهم بمجيئه وهم لا يدرون ولا يعلمون انه يجيئهم بل هم بأنه آتيهم مكذبون حتى يعاينوه

۞ القول في تأويل قوله (أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون) يقول تعالى ذكره أفأمن يا محمد هؤلاء الذين يكذبون الله ورسوله ويجحدون آياته استدراج الله اياهم بما أنعم به عليهم في دنياهم من صحة الابدان ورخاء العيش كما استدرج الذين قص عليهم قصصهم من الامم قبلهم فان مكر الله لا يأمنه يقول لا يأمن ذلك أن يكون استدراجا مع مقامهم على كفرهم واصرارهم على معصيتهم الا القوم الخاسرون وهم الهالكون

۞ القول في تأويل قوله (أولم يهد للذين يرثون الارض من بعد أهلها ان لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون) يقول أولم نبين للذين يستخلفون في الارض بعد هلاك آخرين قبلهم كانوا أهلها فساروا سيرتهم وعملوا أعمالهم وعتوا عن

جواز الفعل فانه تعالى يريد الكفر من الكافر ولا يجوز فعله انما الذي يوجب الجواز هو الامر فيحتمل أن يراد بالمشيئة ههنا الامر فيكون التقدير الا أن يامر الله ان نعود الى شريعتكم المنسوخة فان الشرع المنسوخ لا يبعد أن يامر الله تعالى بالعمل بهامرة أخرى السادس قال الجبائي المراد من الملة الشريعة التي لا يجوز اختلاف التعبد فيها بالاوقات كالصوم (٧) والصلاة فمن الجائز أن يكون بعض أحكام الشريعة المنسوخة باقيا فيكون المعنى الا أن يشاء الله بقاء بعض تلك الملة فيدلنا عليها ثم ان المعتزلة تمسكوا بالآية على صحة قولهم من وجهين أحدهما ان قوله وما يكون لنا معناه لو شاء الله عودنا اليها كان لنا أن نعود وذلك يقتضي ان كل ماشاء الله تعالى وجوده كان فعله جائزا ماذونا فيه وما كان حراما ممنوعا منه لم يكن مراد الله تعالى وثانيهما ان قوله لنخرجنك أو لتعودن لا وجه للفصل بينهما فان كان العود بخلق الله كان الاخراج أيضا بخلقه قلت للسني أن يلتزم ذلك أما قوله وسع ربنا كل شئ فوجه تعلقه بما تقدمه على قول الجبائي هو أن التكليف بحسب المصالح فيكون معنى قول شعيب الا أن يشاء الله الا أن تختلف المصلحة في تلك العبادات فحينئذ يكلفنا بها والعلم بالمصالح لا يكون الا بان وسع كل شئ علما وقالت الاشاعرة وجه التعلق هو ان القوم لما قالوا لنخرجنك أو لتعودن قال شعيب وسع ربنا كل شئ علما فربما كان في علمه قسم ثالث وهو أن يبقينا في القرية مؤمنين ويجعلون مقهورين خاسرين ويؤكد هذا التفسير قوله عقيب ذلك على الله توكلنا أي لا على غيره وانتصاب علما على التمييز في قوله وسع بلفظ الماضي دلالة على انه تعالى كان في الازل عالما بجميع المعلومات فلا يخرج شئ عن مقتضى علمه وهو معنى جفاف الاقلام وطي الصحف ولزوم الاحكام وسعادة السعيد وشقاوة الشقي ويعلم من عموم كل شئ انه علم الماضي والحال والمستقبل وعلم المعدوم انه لو كان كيف يكون وهذه اقسام أربعة يقع كل منها على أربعة أوجه لانه علم الماضي كيف كان وعلم انه لو لم يكن ماضيا بل كان حالا أو مستقبلا أو معدوما محضا فانه كيف يكون

أمرربهم ان لو نشاء أصبناهم بذنوبهم يقول ان لو نشاء فعلنا بهم كما فعلنا بمن قبلهم فاخذناهم بذنوبهم وعجلنا لهم بأسنا كما عجلنا لمن كان قبلهم ممن ورثوا عنه الارض فأهلكناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم يقول ونختم على قلوبهم فهم لا يسمعون موعظة ولا تذكيرا سماع منتفع بهما وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أولم يهد قال يبين حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله أولم يهد أولم يبين حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله أولم يهد للذين يرثون الارض من بعد أهلها يقول أولم يتبين لهم حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدي أولم يهد للذين يرثون الارض من بعد أهلها هم المشركون حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أولم يهد للذين يرثون الارض من بعد أهلها أولم نبين لهم ان لو نشاء أصبناهم بذنوبهم قال والهدى البيان الذي بعث هاديا اليهم مبينا حتى يعرفوا ولولا البيان لم يعرفوا ۞ القول في تأويل قوله (تلك القرى نقص عليك من أنبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين) يقول تعالى ذكره هذه القرى التي ذكرت لك يا محمد أمرها وأمر أهلها يعني قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وشعيب نقص عليك من أنبائها فنخبرك عنها وعن أخبار أهلها وما كان من أمرهم وأمر رسل الله التي أرسلت اليهم لتعلم انا ننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا على أعدائنا وأهل الكفر بنا ويعلم مكذبوك من قومك ما عاقبة أمر من كذب رسل الله فيرتدعوا عن تكذيبك وينيبوا الى توحيد الله وطاعته ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات يقول ولقد جاءت أهل القرى التي قصصت عليك نبأها رسلهم بالبينات يعني بالحجج والبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم معناه فما كان هؤلاء المشركون الذين أهلكناهم من أهل القرى ليؤمنوا عند ارسالنا اليهم بما كذبوا من قبل ذلك وذلك يوم أخذ ميثاقهم حين أخرجهم من ظهر آدم عليه السلام ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل قال ذلك يوم أخذ منهم الميثاق فآمنوا كرها * وقال آخرون معنى ذلك فما كانوا ليؤمنوا عند مجيء الرسل بما سبق في علم الله انهم يكذبون به يوم أخرجهم من صلب آدم عليه السلام ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن أبي جعفر عن الربيع عن أبي العالية عن أبي بن كعب فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل قال كان في علمه يوم اقروا له بالميثاق حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس قال يحق على العباد أن يأخذوا من العلم ما أبدى لهم ربهم والانبياء ولا يعلموا ما أخفى الله عليهم فان علمه نافذ فيما كان وفيما يكون وفي ذلك قال ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين قال نفذ علمه فيهم أيهم المطيع من العاصي حيث خلقهم في زمان آدم وتصديق ذلك حيث قال لنوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم وقال في ذلك ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون وفي ذلك قال وما كنا معذبين حتى

نبعث رسولا وفي ذلك لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ولا حجة لاحد على الله * وقال آخرون معنى ذلك فما كانوا لو أحييناهم بعد هلاكهم ومعاينتهم ما عاينوا من عذاب الله ليؤمنوا بما كذبوا من قبل هلاكهم كما قال جل ثناؤه ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله بما كذبوا من قبل قال كقوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه * قال أبو جعفر وأشبه هذه الاقوال بتأويل الآية وأولاها بالصواب القول الذي ذكرناه عن أبي بن كعب والربيع وذلك ان من سبق في علم الله تبارك وتعالى انه لا يؤمن به فلن يؤمن أبدا وقد كان سبق في علم الله لمن هلك من الامم التي قص نبأهم في هذه السورة انه لا يؤمن أبدا فأخبر جل ثناؤه عنهم انهم لم يكونوا ليؤمنوا بما هم مكذبون في سابق علمه قبل مجيء الرسل عند مجيئهم اليهم ولو قيل تأويله فما كان هؤلاء الذين ورثوا الارض يا محمد من مشركي قومك من بعد أهلها الذين كانوا بها من عاد وثمود ليؤمنوا بما كذب به الذين ورثوها عنهم من توحيد الله ووعده ووعيده كان وجها ومذهبا غير أني لا أعلم قائلا قاله ممن يعتمد على علمه بتأويل القرآن وأما الذي قاله مجاهد من ان معناه لو ردوا ما كانوا ليؤمنوا فتأويل لا دلالة عليه من ظاهر التنزيل ولا من خبر عن الرسول صحيح واذ كان ذلك كذلك فاولى منه بالصواب ما كان عليه من ظاهر التنزيل دليل وأما قوله كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين فانه يقول تعالى ذكره كما طبع الله على قلوب هؤلاء الذين كفروا بربهم وعصوا رسله من هذه الامم التي قصصنا عليك نبأهم يا محمد في هذه السورة حتى جاءهم بأس الله فهلكوا به كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين الذين كتب عليهم انهم لا يؤمنون أبدا من قومك ۞ القول في تأويل قوله (وما وجدنا لاكثرهم من عهد وان وجدنا أكثرهم لفاسقين) يقول تعالى ذكره ولم نجد لاكثر أهل هذه القرى التي أهلكناها واقتصصنا عليك يا محمد نبأها من عهد يقول من وفاء بما وصيناهم به من توحيد الله واتباع رسله والعمل بطاعة الله واجتناب معاصيه وهجر عبادة الاوثان والاصنام والعهد هو الوصية وقد بينا ذلك فيما مضى بما أغنى عن اعادته وان وجدنا أكثرهم يقول وما وجدنا أكثرهم الا فسقة عن طاعة ربهم تاركين عهده ووصيته وقد بينا معنى الفسق قبل وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله تعالى وان وجدنا أكثرهم لفاسقين قال القرون الماضية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله وما وجدنا لاكثرهم من عهد الآية قال القرون الماضية وعهده الذي أخذه من بني آدم في ظهر آدم ولم يفوا به حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي جعفر عن الربيع عن أبي العالية عن أبي بن كعب وما وجدنا لاكثرهم من عهد قال في الميثاق الذي أخذه في ظهر آدم عليه السلام حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس وما وجدنا لاكثرهم من عهد وان وجدنا أكثرهم لفاسقين وذلك ان الله انما أهلك القرى لانهم لم يكونوا حفظوا ما أوصاهم به ۞ القول في تأويل قوله (ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا الى فرعون وملائه فظلموا بها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) يقول تعالى ذكره ثم بعثنا من بعد نوح وهود وصالح ولوط وشعيب موسى بن عمران والهاء والميم اللتان من بعدهم هي كناية ذكر الانبياء عليهم السلام التي ذكرت من أول هذه السورة الى هذا الموضع بآياتنا يقول بحججنا وأدلتنا الى فرعون وملائه يعني الى جماعة

الاعراض صار مبالغا يتحير فيه عقول العقلاء بل يقف دون أول قطرة من قطرات بحاره ثم ان شعيبا لما أعرض عن الاسباب وارتقى بطريق التوكل الى مسببها ختم كلامه بالدعاء قائلا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق قال ابن عباس والحسن وقتادة والسدى احكم واقض وعن ابن عباس ما أدرى معناه حتى سمعت ابنة ذي يزن تقول لزوجها تعال أفاتحك أي أي أحاكمك وجوز الزجاج أن يكون معنى الآية اظهر أمرنا حتى يتضح وينكشف ما بيننا وبين قومنا والمراد أن ينزل عليهم عذابا يدل على كونهم مبطلين وعلى كون شعيب وقومه محقين ثم اثنى على الله بقوله وأنت خير الفاتحين كما قال وهو خير الحاكمين قالت الاشاعرة الايمان فتح باب الخيرات وهو اشرف صفات المحدثات فلو كان موجد الايمان هو العبد كان خير الفاتحين هو العبد وللمعتزلة أن يقولوا لولا الطافه المرجحة الداعية لم يوجد الايمان من العبد فصح ان الله هو خير الفاتحين ثم بين ان رؤساء قوم شعيب لم يقتصروا على الضلال قائلين لمن دونهم لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون أي في الدين أو في الدنيا لانه يمنعكم من ازدياد الاموال بطريق البخس والتطفيف فأخذتهم الرجفة قد سبق تفسيرها الذين كذبوا شعيبا كأن لم يغنوا فيها يقال غنى القوم في دارهم اذا طال مقامهم فيها والمغاني المنازل اذا كان فيها أهلها وقال الزجاج أي كأن لم يعيشوا فيها مستغنين من الغنى الذي هو ضد الفقر وعلى التفسيرين شبه حال المكذبين بحال من لم يكن قط في تلك الديار كقوله

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا
أنيس ولم يسمر بمكة سامر

قال في الكشاف الذين كذبوا مبتدأ خبره كأن لم يغنوا وكذلك كانوا هم الخاسرين وفي هذا الابتداء معنى الاختصاص كأنه قيل الذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون بأن أهلكوا واستؤصلوا كأن لم يقيموا في ديارهم لان الذين اتبعوا شعيبا قد أنجاهم الله الذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون بالخسران العظيم دون اتباعه فانهم الرابحون وفي هذا الاستئناف والابتداء والتكرير مبالغة في رد مقالة

فرعون

فرعون من الرجال فظلموا بها يقول فكفروا بها والهاء والالف اللتان في قوله بها عائدتان على الآيات ومعنى ذلك فظلموا بآياتنا التي بعثنا بها موسى اليهم وانما جاز أن يقال فظلموا بها بمعنى كفروا بها لان الظلم وضع الشيء في غير موضعه وقد دللت فيما مضى على ان ذلك معناه بما أغنى عن اعادته والكفر بآيات الله وضع لها في غير موضعها وصرف لها الى غير وجهها الذي عنيت به فانظر كيف كان عاقبة المفسدين يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فانظر يا محمد بعين قلبك كيف كان عاقبة هؤلاء الذين أفسدوا في الارض يعني فرعون وملأه اذ ظلموا بآيات الله التي جاءهم بها موسى صلى الله عليه وسلم وكان عاقبتهم انهم غرقوا جميعا في البحر ۞ القول في تأويل قوله (وقال موسى يا فرعون انى رسول من رب العالمين) يقول جل ثناؤه وقال موسى لفرعون يا فرعون انى رسول من رب العالمين ۞ القول في تأويل قوله (حقيق على ان لا أقول على الله الا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فارسل معي بني اسرائيل قال ان كنت جئت بآية فأت بها ان كنت من الصادقين) اختلفت القراء في قراءة قوله حقيق على ان لا أقول على الله الا الحق فقرأه جماعة من قراء المكيين والمدنيين والبصرة والكوفة حقيق على ان لا أقول بارسال الياء من على وترك تشديدها بمعنى انا حقيق بان لا أقول على الله الا الحق فوجهوا معنى على الى معنى الباء كما يقال رميت بالقوس وعلى القوس وجئت على حال حسنة وبحال حسنة وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يقول اذا قرئ ذلك كذلك فمعناه حريص على ان لا أقول الا بحق وقرأ ذلك جماعة من أهل المدينة حقيق على ان لا أقول بمعنى واجب على ان لا أقول وحق على أن لا أقول * قال أبو جعفر والصواب من القول في ذلك انهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى قد قرأ بكل واحدة منهما أئمة من القراء فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب في قراءته الصواب وقوله قد جئتكم ببينة من ربكم يقول قال موسى لفرعون وملئه قد جئتكم ببرهان من ربكم يشهد أيها القوم على صحة ما أقول وصدق ما أذكر لكم من ارسال الله اياي اليكم رسولا فارسل يا فرعون معي بني اسرائيل فقال له فرعون ان كنت جئت بآية يقول بحجة وعلامة شاهدة على صدق ما تقول فأت بها ان كنت من الصادقين ۞ القول في تأويله قوله (فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين) يقول جل ثناؤه فألقى موسى عصاه فاذا هي ثعبان مبين يعني حية مبين يقول تتبين لمن يراها انها حية وبما قلنا من ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد ابن ثور عن معمر عن قتادة فاذا هي ثعبان مبين قال تحولت حية عظيمة وقال غيره مثل المدينة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فاذا هي ثعبان مبين يقول فاذا هي حية كادت تتسوره يعني كادت تثب عليه حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي فاذا هي ثعبان مبين والثعبان الذكر من الحيات فاتحة فاها واضعة لحيها الاسفل في الارض والاعلى على سور القصر ثم توجهت نحو فرعون لتأخذه فلما رآها ذعر منها ووثب فأحدث ولم يكن يحدث قبل ذلك وصاح يا موسى خذها وأنا مؤمن بك وأرسل معك بني اسرائيل فأخذها موسى فعادت عصا حدثني عبد الكريم بن الهيثم قال ثنا ابراهيم بن بشار قال ثنا سفيان بن عيينة قال ثنا أبو سعد عن عكرمة عن ابن عباس فاذا هي ثعبان مبين قال ألقى العصا فصارت حية فوضعت فقما لها أسفل القبة وفقما لها أعلى القبة قال عبد الكريم قال ابراهيم وأشار سفيان باصبعه الابهام والسبابة هكذا شبه الطاق فلما أرادت ان تأخذه قال فرعون يا موسى خذها فأخذها موسى

الملأ لاشياعهم وتسفيه لرأيهم واستهزائهم بنصحهم لقومهم واستعظام لما جرى عليهم قلت والعرب قد ذكرت للتفخيم والتعظيم فتقول أخوك الذي ظلمنا أخوك الذي هتك أعراضنا وأيضا ان القوم لما قالوا لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون بين تعالى ان الذين لم يتبعوه وخالفوه هم الخاسرون وفي الآية فوائد أخر منها أن ذلك العذاب انما حدث بتخليق فاعل (٩) مختار وليس ذلك أثر الكواكب والطبيعة والا حصل في اتباع شعيب كما حصل في حق الكفار ومنها ان ذلك الفاعل عليم بالجزئيات حتى يمكنه التمييز بين المطيع والعاصي ومنها يكون معجزة لشعيب حيث وقع ذلك العذاب على قوم دون قوم مع كونهم مجتمعين في بلد واحد فتولى عنهم قد تقدم ان هذا التولي جاز أن يكون بعده قال الكلبي خرج من بينهم ولما اشتد حزنه على قومه من جهة الوصلة والقرابة والمجاورة وطول الالفة ولانهم كانوا كثيرين وكان يتوقع منهم الاجابة للايمان عزى نفسه وقال فكيف آسى على قوم كافرين لانهم الذين أهلكوا أنفسهم بسبب اصرارهم على الكفر والاسى شدة الحزن وقيل المراد لقد أعذرت اليكم في الابلاغ والنصيحة والتحذير مما حل بكم فلم تسمعوا قولي ولم تقبلوا نصيحتي فكيف آسى عليكم لانكم لستم مستحقين لذلك * التأويل ولا تبخسوا فيه الخساسة والدناءة والحرص والظلم من الصفات التي يجب تزكية النفس عنها فان الله تعالى يحب معالي الامور ويبغض سفسافها ولا تفسدوا في الارض الطينة التي جبل الانسان عليها ولا تقعدوا بكل صراط لا تقطعوا الطريق على الطالبين بانواع الحيل والمكايد اذ كنتم قليلا فكثركم بالتناصر والتعاون في الامور وبكثرة العدة نعمة تامة يجب ان تصرف في اعلاء كلمة الدين وان كان طائفة منكم

أى الروح والقلب وطائفة لم يؤمنوا وهم النفس وصفاتها وهو خير الحاكمين لا يجعل الروح والقلب المؤمنين تبعا للنفس الكافرة في العذاب واذاقه ألم الهجران أو لتعودن في ملتنا اشارة الى أن كل جنس لا يميلون الا الى اشكالهم والاوحد في بابه من أين نهج اضرابه بعد اذ نجانا الله منها في القسمة الازلية افتح بيننا الحكم بيننا وبينهم باظهار حقيقة ما قدرت من خاتمة الخير

واظهار ما عدوت من حادثة السوء فاخذتهم الرجفة فصارت صورتهم تبعا لمعناهم فانهم كانوا اعمى الارواح فى ديار الاشباح كأن لم يغنوا فيها
لان الباطل زاهق لامحالة (وما أرسلنا فى قرية من نبي الا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا
وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء فاخذناهم (١٠) بغتة وهم لا يشعرون ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من

بيده فعادت عصا كما كانت أول مرة **حدثنا** العباس بن الوليد قال ثنا يزيد بن هرون قال أخبرنا الاصبغ بن زيد عن القاسم بن أبى أيوب قال ثنى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ألقى عصاه فتحولت حية عظيمة فاغرة فاها مسرعة الى فرعون فلما رآى فرعون انها قاصدة اليه اقتحم عن سريره فاستغاث بموسى ان يكفها عنه ففعل **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ثعبان مبين قال الحية الذكر **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا اسمعيل بن عبد الكريم قال ثنى عبد الصمد بن معقل انه سمع وهب بن منبه يقول لما دخل موسى على فرعون قال له موسى أعرفك قال نعم قال ألم نربك فينا وليدا قال فرد اليه موسى الذى رد فقال فرعون خذوه فبادره موسى فالقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين فحملت على الناس فانهزموا فمات منهم خمسة وعشرون ألفا قتل بعضهم بعضا وقام فرعون منهزما حتى دخل البيت **حدثنى** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد قال سمعت مجاهدا يقول فى قوله فالقى عصاه فاذا هى حية تسعى قال ما بين لحييها أربعون ذراعا **حدثنا** وكيع قال ثنا عبدة بن سليمان عن جويبر عن الضحاك فاذا هى ثعبان مبين قال الحية الذكر قال أبو جعفر وأما قوله ونزع يده فاذا هى بيضاء للناظرين فانه يقول وأخرج يده فاذا هى بيضاء تلوح لمن نظر اليها من الناس وكان موسى فيما ذكر لنا آدم فجعل الله تحول يده بيضاء من غير برص آية وعلى صدق قوله انى رسول من رب العالمين حجة وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** العباس قال أخبرنا يزيد قال ثنا الاصبغ بن زيد عن القاسم بن أبى أيوب قال ثنى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال أخرج يده من جيبه فرآها بيضاء من غير سوء يعنى من غير برص ثم أعادها الى كمه فعادت الى لونها الاول **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله بيضاء للناظرين يقول من غير برص **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله ونزع يده فاذا هى بيضاء للناظرين قال نزع يده من جيبه بيضاء من غير برص **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله **حدثنى** موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى ونزع يده أخرجها من جيبه فاذا هى بيضاء للناظرين **حدثنى** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد قال سمعت مجاهدا يقول فى قوله ونزع يده قال نزع يده من جيبه فاذا هى بيضاء للناظرين وكان موسى رجلا آدم فاخرج يده فاذا هى بيضاء أشد بياضا من اللبن من غير سوء قال من غير برص آية لفرعون ۞ القول فى تأويل قوله (قال الملأ من قوم فرعون ان هذا الساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون) يقول تعالى ذكره قالت الجماعة من رجال قوم فرعون والاشراف منهم ان هذا يعنون موسى صلوات الله عليه لساحر عليم يعنون انه يأخذ بأعين الناس ويخدعها اياهم حتى يخيل اليهم العصا والآدم أبيض والشئ بخلاف ما هو به ومنه قيل سحر المطر الارض اذا جادها فقطع نباتها من أصوله وقلب الارض ظهرا لبطن فهو يسحرها سحرا والارض مسحورة اذا أصابها ذلك فشبه سحر الساحر بذلك لتخييله الى من سحره انه يرى الشئ بخلاف ما هو به ومنه قول ذى الرمة فى صفة السراب

وساحرة السراب من البوامى ✻ يرقص فى نواشرها الاروم

السماء والارض ولكن كذبوا فاخذناهم بما كانوا يكسبون أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون أوأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون أولم يهد للذين يرثون الارض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون تلك القرى نقص عليك من أنبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين وما وجدنا لاكثرهم من عهد وان وجدنا أكثرهم لفاسقين) ✻ القراآت لفتحنا بالتشديد ابن عامر ويزيد أوأمن بسكون الواو أبو جعفر ونافع غير ورش وابن عامر وقرأ ورش بنقل حركتها الى الساكن قبلها أولم نهد بالنون حيث كان زيد عن يعقوب الباقون بالياء التحتانية رسلهم بسكون السين حيث كان أبو عمرو ✻ الوقوف يضرعون ه لا يشعرون ج ه يكسبون ه نائمون ط لمن قرأ أوأمن بفتح الواو على ان الهمزة للاستفهام ومن سكن الواو فلا وقف لان أو للعطف يلعبون ه مكر الله ج للفصل بين الاخبار والاستخبار مع ان الفاء للتعقيب الخاسرون ه بذنوبهم ج للفصل بين الماضى والمستقبل وتقدير ونحن نطبع مع اتحاد القصة

لا يسمعون ه من أنبائها ج لعطف المختلفين بالبينات ج لان ضمير فما كانوا ليؤمنوا لاهل مكة وقوله
وضمير جاءهم للامم الماضية مع ان الفاء توجب الاتصال من قبل ط الكافرين ه من عهد ج لعطف الجانبين لفاسقين ه ✻ التفسير انه
سبحانه لما عرفنا أحوال هؤلاء الانبياء وما جرى على أممهم ذكر ما يدل على ان هذا الجنس من الهلاك قد فعله بغيرهم وليس مقصورا عليهم

وقوله عليم يقول ساحر عليم بالسحر يريدان يخرجكم من ارضكم أرض مصر معشر القبط السحرة وقال فرعون للملأ فماذا تامرون يقول فاى شئ تامرون ان نفعل فى أمره باى شئ تشيرون فيه وقيل فماذا تامرون وانما الخبر بذلك عن فرعون ولم يذكر فرعون وقلما يجيء مثل ذلك فى الكلام وذلك نظير قوله قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب فقيل ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب من قول يوسف ولم يذكر يوسف ومن ذلك ان يقول قلت لزيد قم فانى قائم وهو يريد فقال زيد انى قائم ۞ القول فى تاويل قوله (قالوا أرجه وأخاه وابعث فى المدائن حاشرين) يقول تعالى ذكره قال الملأ من قوم فرعون لفرعون أرجئه أى أخره وقال بعضهم معناه احبس والارجاء فى كلام العرب التاخير يقال منه أرجيت هذا الامر وأرجاته اذا أخرته ومنه قول الله تعالى ترجى من تشاء منهن تؤخر فالهمز من كلام بعض قبائل قيس يقولون أرجات هذا الامر وترك الهمز من لغة تميم واسد يقولون أرجيته واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة وبعض العراقيين أرجه بغير الهمز وبجر الهاء وقرأه بعض قراء الكوفيين أرجه بترك الهمز وتسكين الهاء على لغة من يقف على الهاء فى المكنى فى الوصل اذا تحرك ماقبلها كما قال الراجز

أنحى على الدهر رجلا ويدا ※ فقسمه لا نصلح الا أفسدا
فنصلح اليوم ويفسد غدا

وقد يفعلون مثل هذا بهاء التأنيث فيقولون هذه طلحة قد أقبلت كما قال الراجز

لما رأى ان لادعه ولا سبع ※ مال الى أرطاة حقف فاضطجع

وقرأه بعض البصريين أرجئه بالهمز وضم الهاء على لغة من ذكرت من قيس ※ وأولى القراآت فى ذلك بالصواب أشهرها وأفصحها فى كلام العرب وذلك ترك الهمز وجر الهاء وان كانت الاخرى جائزة غير ان الذى اخترنا أفصح اللغات وأكثرها على ألسن فصحاء العرب واختلف أهل التاويل فى تاويل قوله ارجه فقال بعضهم معناه أخره ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج أخبرنى عطاء الخراسانى عن ابن عباس قوله أرجه وأخاه قال أخره وقال آخرون معناه احبسه ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أرجه وأخاه أى احبسه وأخاه وأما قوله وأرسل فى المدائن حاشرين يقول من يحشر السحرة فيجمعهم اليك وقيل هم الشرط ذكر من قال ذلك حدثنى عباس بن أبى طالب قال ثنا مسلم بن ابراهيم قال ثنا الحكم بن ظهير عن السدى عن ابى طالب عن ابن عباس وأرسل فى المدائن حاشرين قال الشرط حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسمعيل بن ابراهيم بن مهاجر عن أبيه عن مجاهد وابعث فى المدائن حاشرين قال الشرط قال ثنا حميد عن قيس عن السدى وابعث فى المدائن حاشرين قال الشرط حدثنى المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا اسمعيل بن ابراهيم بن مهاجر عن أبيه عن مجاهد عن ابن عباس فى قوله فى المدائن حاشرين قال الشرط حدثنى عبد الكريم ابن الهيثم قال ثنا ابراهيم بن بشار قال ثنا سفيان قال ثنا أبو سعد عن عكرمة عن ابن عباس وابعث فى المدائن حاشرين قال الشرط ۞ القول فى تاويل قوله (يأتوك بكل ساحر عليم وجاء السحرة

وبين العلة التى لاجلها فعل بهم مافعل والقرية مجتمع القوم فتشمل المدينة أيضا وتقدير الكلام وما أرسلنا فى قرية من نبى فكذبه أهلها الا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء قال الزجاج البأساء الشدة فى الاموال والضراء الامراض فى الابدان وقيل بالعكس لعلهم يضرعون أى يتضرعون فادغم التاء فى الضاد والمعنى ليحطوا أردية التعزز والاستكبار ويتبعوا أنبياءهم (11) ثم بين ان تدبيره فى أهل القرى لا يجرى على نمط واحد فقال ثم بدلنا مكان السيئة وهى كل مايسوء صاحبه الحسنة وهى مايستحسنه الطبع والعقل أى أعطيناهم بدل ما كان فيه من الفقر والضر السعة والصحة حتى عفوا كثروا ونموا فى أنفسهم وأموالهم من قولهم عفا النبات والشحم والوبر ومنه قوله صلى الله عليه وسلم وأعفوا اللحى وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء كما هو دأب الاشرين يقولون هذه عادة الدهر فى أهله يوم محنة ويوم منحة والمراد انهم لم ينتفعوا بتدبير الله تعالى فيهم من رخاء بعد شدة وأمن بعد خوف وراحة بعد عناء فاخذناهم بغتة آمن ما كانوا عليه ليكون ذلك أعظم فى الحسرة وهم لا يشعرون بنزول العذاب والحكمة فى جميع هذه الحكايات اعتبار من سمعها ووعاها وتعريف ان العصيان سبب الحرمان عن الخيرات وسد لجميع أبواب السعادات ولهذا قال ولو أن أهل القرى أى جنسها أو القرى المذكورة فى قوله وما أرسلنا فى قرية آمنوا بما يجب به الايمان فى باب المبدأ والمعاد واتقوا كل مانهى الله عنه لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض أى لآتيناهم بالخير من كل وجه أو أراد القطر والنبات والمراد بفتح البركات عليهم تيسير أسباب النجاح كقولهم فتحت على القارئ اذا تعسرت القراءة عليه بالتلقين ولكن كذبوا الرسل فاخذناهم بغتة والآية بينهما اعتراض والتقدير أبعد ذلك من أهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا وأمنوا أن يأتيهم بأسنا ضحى فلهذا عطف الثانية بالواو وأما قوله أفأمنوا مكر الله فتكرير لقوله أفأمن أهل القرى فلهذا رجع فعطف بالفاء قلت يجوز أن يقدر المعطوف عليه بعد الهمزة والمعنى افعلوا مافعلوا فامنوا وأما من قرأ أوسا كنة فمعناه اما احد الشيئين ويرجع المعنى الى قولنا فأمنوا احدى هذه العقوبات واما الاضراب كما تقول انا

فرعون قالوا ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين) وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن مشورة الملأ من قوم فرعون على فرعون ان يرسل فى المدائن حاشرين يحشرون كل ساحر عليم وفى الكلام محذوف اكتفى بدلالة الظاهر من اظهاره وهو فارسل فى المدائن حاشرين يحشرون السحرة فجاء السحرة فرعون قالوا ان لنا لاجرا يقول ان لنا لثوابا على غلبتنا موسى عندك ان كنا يا فرعون نحن الغالبين و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا العباس قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا الاصبغ بن زيد عن القاسم بن أبى أيوب قال ثنى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال فارسل فى المدائن حاشرين فحشر له كل ساحر متعالم فلما أتوا فرعون قالوا بما يعمل هذا الساحر قالوا يعمل بالحيات قالوا والله ما فى الارض قوم يعملون بالسحر والحيات والحبال والعصى أعلم منا فما أجرنا ان غلبنا فقال لهم أنتم قرابتى وحامتى وأنا صانع اليكم كل شئ أحببتم حدثنى عبد الكريم ابن الهيثم قال ثنا ابراهيم بن بشار قال ثنا سفيان قال ثنا أبو سعد عن عكرمة عن ابن عباس قال قال فرعون لانغالبه يعنى موسى الا بمن هو منه فاعد علماء من بنى اسرائيل فبعث بهم الى قرية بمصر يقال لها الغرماء يعلمونهم السحر كما يعلم الصبيان الكتاب فى الكتاب قال فعلموهم سحرا كثيرا قال و واعد موسى فرعون موعدا فلما كان فى ذلك الموعد بعث فرعون فجاء بهم وجاء بمعلمهم معهم فقال له ماذا صنعت قال قد علمتهم من السحر سحرا لا يطيقه سحر أهل الارض الا أن يكون أمرا من السماء فانه لا طاقة لهم به فاما سحر أهل الارض فانه لن يغلبهم فلما جاءت السحرة قالوا لفرعون ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم اذا لمن المقربين حدثنى موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى فارسل فرعون فى المدائن حاشرين فحشروا عليه السحرة فلما جاء السحرة فرعون قالوا أئن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين يقول عطية تعطينا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم لمن المقربين حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق أرجه وأخاه وابعث فى المدائن حاشرين يأتوك بكل سحار عليم أى كاثره بالسحرة لعلك ان تجد فى السحرة أن يأتى بمثل ما جاء به وقد كان موسى وهرون خرجا من عنده حين أراهم من سلطانه و بعث فرعون فى مملكته فلم يترك فى سلطانه ساحرا الا أتى به فذكر لى والله أعلم انه جمع له خمسة عشر ألف ساحر فلما اجتمعوا اليه أمرهم أمره وقال لهم قد جاءنا ساحر ما رأينا مثله قط وانكم ان غلبتموه أكرمتكم وفضلتكم وقربتكم على أهل مملكتى قالوا وان لنا ذلك ان غلبناه قال نعم حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين عن يزيد عن عكرمة قال السحرة كانوا سبعين قال أبو جعفر احسبه أنا قال ألفا قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا موسى بن عبيدة عن ابن المنذر قال كان السحرة ثمانين ألفا حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن عبد العزيز بن رفيع عن خيثمة عن أبى سودة عن كعب قال كان سحرة فرعون اثنى عشر ألفا ۞ القول فى تأويل قوله (قال نعم وانكم لمن المقربين قالوا يا موسى اما أن تلقى واما أن نكون نحن الملقين) يقول جل ثناؤه قال فرعون للسحرة اذ قالوا له ان لنا عندك ثوابا ان نحن غلبنا موسى قال نعم لكم ذلك وانكم لمن أقربه وأدنيه منى قالوا يا موسى يقول قالت السحرة لموسى يا موسى اختر ان تلقى عصاك أو نلقى نحن عصينا ولذلك ادخلت ان مع اما فى الكلام لانها فى موضع امر بالاختيار فان اذا فى موضع نصب لما وصفت من المعنى لان معنى الكلام اختر ان تلقى أنت أو نلقى نحن والكلام مع اما اذا كان على وجه الامر فلا بد من ان يكون فيه ان كقولك

أخرج تقول أو أقيم على ان المراد هو الاضراب عن الخروج واثبات الاقامة أى لا بل أقيم ومعنى بياتا قد تقدم فى أول السورة وضحى نصب على الظرف قال الجوهرى ضحوة النهار بعد طلوع الشمس ثم بعده الضحى وهو حين تشرق الشمس مقصورة ويذكر على انه المفرد كصرد لان ذلك كاللعب فى انه يضر ولا ينفع ومكر الله

تقدم فى آل عمران عذاب بعد الاستدراج أو سمى جزاء المكر مكرا عن الربيع بن خثيم ان ابنته قالت له مالى أرى الناس ينامون ولا أراك تنام قال يا بنتاه ان أباك يخاف البيات يعنى المذكورة فى الآية اللهم اجعلنا من الخائفين العاقلين لا من الآمنين الغافلين ثم لما بين حال المهلكين مفصلا ومجملا ذكر ان الغرض من القصص حصول العبرة للباقين فقال أولم يهد من قرأ بالياء ففاعله ان لو نشاء والمعنى أولم يهد الذين يخلفون أولئك المتقدمين فيرثون أرضهم وديارهم هذا الشان وهو انا لو نشاء أصبناهم بذنوبهم أى بعقابها كما أصبنا من قبلهم ومن قرأ بالنون فقوله ان لو نشاء منصوب والهداية بمعنى التبيين على القراءتين والمفعول على القراءة الاولى محذوف والتقدير أولم يكشف لهم الحال والشأن المذكور وأما قوله ونطبع على قلوبهم فاما أن يكون منقطعا عما قبله بمعنى ونحن نطبع واما أن يكون متصلا بما قبله قال فى الكشاف وذلك هو يرثون أو ما دل عليه معنى أولم يهد كانه قيل يغفلون عن الهداية ونطبع قال لا يجوز أن يكون معطوفا على أصبناهم وطبعنا لان القوم كانوا مطبوعا على قلوبهم فيجرى مجرى تحصيل الحاصل ولقائل أن يقول لا يلزم من المذكور وهو كونهم مذنبين أن يكونوا مطبوعين فاقتراف الذنوب بغير الطبع لانه يذنب أولا أو يكفر ثم يستمر على ذلك فيصير مطبوعا على قلبه وأيضا جاز أن يراد لو شئنا لزدنا فى طبعهم أو لا دمناه والله سبحانه اعلم بمراده ثم أخبر عن الاقوام المذكورين تسلية لرسوله صلى الله عليه وسلم فقال للرجل تلك القرى وهى مبتدأ وخبر وقوله نقص حال والعامل معنى اسم الاشارة أو خبر بعد خبر أو القرى صفة لتلك ونقص خبر وفائدة الاخبار على هذا التقدير ظاهرة وأما على الاولين فترجع الفائدة الى الحال والخبر الثانى كما ترجع الى الصفة فى قولك هو الرجل الكريم والحاصل أن

للرجل اما أن تمضي واما أن تقعد بمعنى الامر امض أو اقعد فاذا كان على وجه الخبر لم يكن فيه ان كقوله وآخرون مرجون لامر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم وهذا هو الذي يسمى التخيير وكذلك كل ما كان على وجه الخبر واما في جميع ذلك مكسورة ۞ القول في تاويل قوله (قال ألقوا فلما القوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاؤا بسحر عظيم) يقول تعالى ذكره قال موسى للسحرة القوا ما أنتم ملقون فالقت السحرة ما معهم فلما ألقوا ذلك سحروا أعين الناس خيلوا الى أعين الناس بما أحدثوا من التخييل والخدع أنها تسعى واسترهبوهم يقول واسترهبوا الناس بما سحروا في أعينهم حتى خافوا من العصي والحبال ظنا منهم أنها حيات وجاؤا كما قال الله بسحر عظيم تخييل عظيم كثير من التخييل والخداع وذلك كالذي **حدثنا** موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي قال قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون فألقوا حبالهم وعصيهم وكانوا بضعة وثلاثين ألف رجل ليس منهم رجل الا معه حبل وعصا فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم يقول فرقوهم فاوجس في نفسه خيفة موسى **حدثني** عبد الكريم قال ثنا ابراهيم ابن بشار قال ثنا سفيان قال ثنا أبو سعد عن عكرمة عن ابن عباس قال القوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا قال فاقبلت تخيل اليه من سحرهم انها تسعى **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال صف خمسة عشر ألف ساحر مع كل ساحر حباله وعصيه وخرج موسى معه اخوه يتكئ على عصاه حتى أتى الجمع وفرعون في مجلسه مع أشراف مملكته ثم قالت السحرة ياموسى اما أن تلقي واما أن نكون أول من ألقى قال بل القوا فاذا حبالهم وعصيهم فكان أول ما اختطفوا بسحرهم بصر موسى وبصر فرعون ثم أبصار الناس بعد ثم ألقى كل رجل منهم ما في يده من العصي والحبال فاذا هي حيات كامثال الحبال قد ملأت الوادي يركب بعضها بعضا فاوجس في نفسه خيفة موسى وقال والله ان كانت لعصيا في أيديهم ولقد عادت حيات وما تعدوا هذه أو كما حدث نفسه **حدثني** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن هشام الدستوائي قال ثنا القاسم بن أبي بزة قال جمع فرعون سبعين ألف ساحر وألقوا سبعين الف حبل وسبعين ألف عصا حتى جعل يخيل اليه من سحرهم انها تسعى ۞ القول في تاويل قوله (وأوحينا الى موسى ان ألق عصاك فاذا هي تلقف ما يافكون) يقول تعالى ذكره وأوحينا الى موسى أن الق عصاك فالقاها فاذا هي تلقم وتبتلع ما يسحرون كذبا وباطلا يقال منه لقفت الشيء فانا القفه لقفا ولقفانا وذلك كالذي **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد ابن ثور عن معمر عن قتادة وأوحينا الى موسى ان ألق عصاك فالقى موسى عصاه فتحولت حية فاكلت سحرهم كله **حدثنا** عبد الكريم بن الهيثم قال ثنا ابراهيم بن بشار قال ثنا سفيان قال ثنا أبو سعد عن عكرمة عن ابن عباس فالقى عصاه فاذا هي حية تلقف ما يافكون لا تمر بشيء من حبالهم وخشبهم التي ألقوها الا التقمته فعرفت السحرة ان هذا أمر من السماء وليس هذا بسحر فخروا سجدا وقالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون **حدثني** موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي قال أوحى الله الى موسى لا تخف وألق ما في يمينك تلقف ما يافكون فالقى عصاه فاكلت كل حية لهم فلما رأوا ذلك سجدوا وقالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال أوحى الله اليه ان ألق ما في يمينك فالقى عصاه من يده فاستعرضت ما ألقوا من حبالهم وعصيهم وهي حيات في عين فرعون وأعين الناس تسعى فجعلت تلقفها تبتلعها حية حية حتى ما يرى بالوادي قليل ولا كثير مما ألقوا ثم أخذها موسى فاذا هي عصاه

تلك القرى المذكورة نقص عليك بعض انبائها ولها انباء غيرها لم نقصها عليك وأيضا خصصنا تلك القرى بقصص بعض انبائها لانهم اغتروا بطول الامهال مع كثرة النعم وكانوا أقرب الامم الى العرب فذكرنا أحوالهم تنبيها على الاحتراز عن مثل أعمالهم ثم عزى رسوله بقوله ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل اللام (۱۳) لتأكيد النفي وان الايمان كان منافيا لحالهم قال ابن عباس والسدي فما كان أولئك الكفار ليؤمنوا عند ارسال الرسل بسبب تكذيبهم يوم أخذ ميثاقهم حين أخرجهم من ظهر آدم اقروا باللسان كرها واضمروا التكذيب وقال الزجاج ما كانوا ليؤمنوا بعد رؤية المعجزات بما كذبوا به من قبل رؤية تلك المعجزات وعن مجاهد فما كانوا ليؤمنوا لو أحييناهم بعد الاهلاك ورددناهم الى دار التكليف بما كذبوا من قبل كقوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وقيل فما كانوا ليؤمنوا عند مجيء الرسل بما كذبوا من قبل مجيئهم وقيل ما كانوا ليؤمنوا في الزمان المستقبل بما كذبوا به في الزمان الماضي أي استمروا على التكذيب من لدن مجيء الرسل الى أن ماتوا مصرين لم ينجع فيهم تكرير المواعظ وتتابع الآيات كذلك أي مثل ذلك الطبع الشديد يطبع الله على قلوب الكافرين الذين كتب أن لا يؤمنوا أبدا والطبع والختم والرين والاكنان والغشاوة والصد والمنع واحد كما سلف وقال الجبائي هو ان يسم قلوب الكفار بسمات وعلامات تعرف الملائكة بها ان صاحبها لا يؤمن وقال الكعبي انما أضاف الطبع الى نفسه لاجل ان القوم انما صاروا الى ذلك الكفر عند أمره وامتحانه فهو كقوله تعالى فلم يزدهم دعائي الا فرارا ثم شرح حال المكلفين فقال وما وجدنا لاكثرهم من عهد والضمير للناس على الاطلاق قال ابن عباس يعني بالعهد قوله للذر ألست بربكم اقروا به ثم خالفوا وعن ابن مسعود هو الايمان كقوله الا من اتخذ عند الرحمن عهدا يعني من قال لا اله الا الله وقيل العهد عبارة عن الادلة الدالة على التوحيد والنبوة والمراد الوفاء بالعهد وان وجدنا هي المخففة من الثقيلة عملت في ضمير شأن مقدر والتقدير وان الشأن والحديث علمنا أكثرهم فاسقين خارجين من الطاعة والآية اعتراض ويحتمل أن يعود الضمير الى الامم

في يده كما كانت ووقع السحرة سجدا قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون لو كان هــذا سحرا ماغلبنا **حدثني** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن هشام الدستوائي قال ثنا القاسم ابن أبي بزة قال اوحى الله اليه ان ألق عصاك فالقى عصاه فاذا هي ثعبان فاغر فاه فابتلع حبالهم وعصيهم فالقى السحرة عند ذلك سجدا فما رفعوا رؤسهم حتى رأوا الجنة والنار وثواب أهلها **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله يأفكون قال يكذبون **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهــد فاذا هي تلقف ما يأفكون قال يكذبون **حدثنا** ابراهيم بن المستمر قال ثنا عثمان بن عمر قال ثنا قرة بن خالد السدوسي عن الحسن تلقف ما يأفكون قال حبالهم وعصيهم تسترطها استراطا ۞ القول في تاويل قوله (فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون) يقول تعالى ذكره فظهر الحق وتبين لمن شهده وحضره في أمر موسى وانه لله رسول يدعو الى الحق وبطل ما كانوا يعملون من افك السحر وكذبه ومخايله وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك **حدثني** محمــد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فوقع الحق قال ظهر **حدثني** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا اسمعيل بن ابراهيم بن مهاجر عن أبيه عن مجاهد في قوله فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون قال ظهر الحق وذهب الافك الذي كانوا يعملون **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله فوقع الحق قال ظهر الحق **حدثنا** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فوقع الحق ظهر موسى ۞ القول في تاويل قوله (فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين) يقول تعالى ذكره فغلب موسى فرعون وجموعه هنالك عند ذلك وانقلبوا صاغرين يقول وانصرفوا عن موطنهم ذلك بصغر مقهورين يقال منه صغر الرجل يصغر صغرا وصغرا وصــغارا ۞ القول في تاويل قوله (وألقي السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون) يقول تعالى ذكره وألقي السحرة عند ما عاينوا من عظيم قدرة الله ساقطين على وجوههم سجدا لربهم يقولون آمنا برب العالمــين يقولون صــدقنا بما جاءنا به موسى وان الذي علينا عبادته هو الذي يملك الجن والانس وجميع الاشياء وغير ذلك ويدبر ذلك كله رب موسى وهرون لا فرعون كالذي **حدثني** عبد الكريم قال ثنا ابراهيم بن بشار قال ثنا سفيان قال ثنا أبو سعد عن عكرمة عن ابن عباس قال لما رأت السحرة ما رأت عرفت ان ذلك أمر من السماء وليس بسحر فخروا سجدا وقالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون ۞ القول في تاويل قوله (قال فرعون آمنتم به قبل ان آذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون) يقول تعالى ذكره قال فرعون للسحرة اذ آمنوا بالله يعني صدقوا رسوله موسى عليه السلام لما عاينوا من عظيم قدرة الله وسلطانه آمنتم يقول صدقتم بموسى وأقررتم بنبوته قبل ان آذن لكم بالايمان به ان هذا يقول ان تصديقكم اياه واقراركم بنبوته لمكر مكرتموه في المدينة يقول لخدعة خدعتم بها من في مدينتنا لتخرجوهم منها فسوف تعلمون ما أفعــل بكم وتلقون من عقابي اياكم على صنيعكم هذا وكان مكرهم ذلك فيما **حدثني** موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي في حديث ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم التقى موسى وأمير السحرة فقال له موسى أرأيتك ان غلبتك أتؤمن لي وتشهد ان ما جئت به حق قال الساحر لآتين

يتضرع اليه عند البلاء ويتوكل عليه والعدو يذهل عن الحق ولا يرجع اليه ولو أن أهل القرى يعني صــفات النفس آمنوا بما يرد الى صفات القلب والروح من الطاف الحق واتقوا متشابهات النفس لفتحنا عليهم أسباب العواطف من سماء الروح وأرض القلب فاخذناهم عاقبناهم بعذاب البعد بما كسبوا من مخالفات الحق وعلى موافقات الطبع بياتا في صور القهــر ضحى في صورة اللطف بسطوات الجذبات وهم يلعبون يشتغلون بالدنيا الا القوم الخاسرون من أهل القهر هم الذين خسروا سعادة الدارين ومن أهل اللطف هم الذين خسروا الدنيا والعقبى وربحوا المولى أولئك لهم الامن وهم مهتدون (ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا الى فرعون وملائه فظلموا بها فانظــر كيف كان عاقبة المفســدين وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين حقيق على أن لا أقول على الله الا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فارسل معي بني اسرائيل قال ان كنت جئت بآية فأت بها ان كنت من الصادقين فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين قال الملأ من قوم فرعون ان هذا الساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون قالوا أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم وجاء السحرة فرعون قالوا ان لنا لأجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم لمن المقربين قالوا يا موسى اما ان تلقي واما أن نكون نحن الملقين قال ألقوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاؤا بسحر عظيم وأوحينا الى موسى أن ألق عصاك فاذا هي تلقف ما يأفكون فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين وألقي السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمــين رب موسى وهرون قال فرعون آمنتم به قبــل أن آذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون لاقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لاصلبنكم أجمعين قالوا انا الى ربنا منقلبون وما تنقم منا الا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين) ۞ القراآت حقيق

غدا

على بالتشديد نافع الباقون بالتخفيف فمعنى بفتح الياء حيث كان حفص أرجه باسكان هاء الضمير حمزة وعاصم غير المفضل أرجه بكسر الجيم والهاء من غير اشباع يزيد وقالون أرجه بالاشباع نافع غير قالون وعلى وعباس وخلف المفضل أرجئه بالهمزة أبو عمرو غير عباس وسهل ويعقوب وابن الاخرم عن ابن ذكوان وهشام غير الحلواني أرجئهو بالاشباع ابن كثير والحلواني عن هشام ارجئه بكسر الهاء ابن مجاهد

غدا بسحر لا يغلبه سحر فوالله لئن غلبتني لاومنن بك ولاشهدن أنك حق وفرعون ينظر اليهم فهو قول فرعون ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة اذ التقيتما لتظاهرا فتخرجا منها أهلها ۞ القول في تاويل قوله (لاقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لاصلبنكم أجمعين) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل فرعون للسحرة اذ آمنوا بالله وصدقوا رسوله موسى لاقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف وذلك أن يقطع من أحدهم يده اليمنى ورجله اليسرى أو يقطع يده اليسرى ورجله اليمنى فيخالف بين العضوين في القطع فمخالفته في ذلك بينهما هو القطع من خلاف ويقال ان أول من سن هذا القطع فرعون ثم لاصلبنكم أجمعين وانما قال هذا فرعون لما رأى من خذلان الله اياه وغلبة موسى عليه السلام وقهره له حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو داود الحفري وحبوية الرازي عن يعقوب القمي عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس لاقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لاصلبنكم أجمعين قال أول من صلب وأول من قطع الايدي والارجل من خلاف فرعون ۞ القول في تاويل قوله (قالوا انا الى ربنا منقلبون وما تنقم منا الا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين) يقول تعالى ذكره قال السحرة مجيبة لفرعون اذ توعدهم بقطع الايدي والارجل من خلاف والصلب انا الى ربنا منقلبون يعني بالانقلاب الى الله الرجوع اليه والمصير وقوله وما تنقم منا الا أن آمنا بآيات ربنا يقول ما تنكر منا يا فرعون وما تجد علينا الا من أجل أن آمنا أي صدقنا بآيات ربنا يقول بحجج ربنا واعلامه وأدلته التي لا يقدر على مثلها أنت ولا أحد سوى الله الذي له ملك السموات والارض ثم فزعوا الى الله بمسئلته الصبر على عذاب فرعون وقبض أرواحهم على الاسلام فقالوا ربنا أفرغ علينا صبرا يعنون بقولهم أفرغ أنزل علينا حبسا يحبسنا عن الكفر بك عند تعذيب فرعون ايانا وتوفنا مسلمين يقول واقبضنا اليك على الاسلام دين خليلك ابراهيم صلى الله عليه وسلم لا على الشرك بك فحدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدي لاقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف فقتلهم وصلبهم كما قال عبد الله بن عباس حين قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين قال كانوا في أول النهار سحرة وفي آخر النهار شهداء حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن اسرائيل عن عبد العزيز بن رفيع عن عبيد بن عمير قال كانت السحرة أول النهار سحرة وآخر النهار شهداء حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وألقي السحرة ساجدين قال ذكر لنا أنهم كانوا في أول النهار سحرة وآخره شهداء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين قال كانوا أول النهار سحرة وآخر النهار شهداء ۞ القول في تاويل قوله (وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض ويذرك وآلهتك قال سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم وانا فوقهم قاهرون) يقول تعالى ذكره قال جماعة رجال من قوم فرعون لفرعون أتدع موسى وقومه من بني اسرائيل ليفسدوا في الارض يقول كي يفسدوا خدمك وعبيدك في أرضك من مصر ويذرك وآلهتك يقول ويذرك ويدع خدمتك موسى وعبادتك وعبادة آلهتك وفي قوله ويذرك وآلهتك وجهان من التأويل أحدهما أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض وقد تركك وترك عبادتك وعبادة آلهتك واذا وجه الكلام الى هذا الوجه من التأويل كان النصب في قوله ويذرك على الصرف لا على العطف به على قوله ليفسدوا والثاني أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض وليذرك وآلهتك كالتوبيخ منهم

والنقاش وعن ابن ذكوان سحار بالمبالغة حمزة وعلى وخلف وكذلك في يونس وقرأ قتيبة ونصير والدوري وحمزة في رواية ابن سعدان وأبي عمرو بالامالة الباقون ساحر ان لنا بحذف همزة الاستفهام ابن كثير وأبو جعفر ونافع وحفص أئن لنا باثبات همزة الاستفهام عاصم غير حفص وحمزة وعلى وخلف وابن عامر وهشام يدخل بينهما مدة وقلب الهمزة ياء أبو عمرو ويزيد أين بالياء ولا مدة سهل ويعقوب غير زيد تلقف بالتخفيف حيث كان حفص والمفضل هي تلقف بالتشديد وادغام التاء الاولى في الثانية البزي وابن فليح الباقون بتشديد القاف وحذف تاء التفعل آمنتم بزيادة همزة الاستفهام بهمزة واحدة ممدودة حفص أأمنتم بزيادة همزة الاستفهام حمزة وعلى وخلف وعاصم سوى حفص آمنتم بالمد وتليين الهمزة أبو جعفر ونافع وابن عامر وأبو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير غير الهاشمي وابن مجاهد وأبي عون عن قنبل فرعون وآمنتم بالواو الخالصة الهاشمي عن قنبل وآمنتم بالواو وتحقيق الهمز الاولى ابن مجاهد وأبو عون والهرندي عن قنبل * الوقوف فظلموا بها ج للفصل بين الخبر والطلب مع العطف بالفاء المفسدين ه العالمين ه ج وقف لمن قرأ على بالتشديد أي واجب على ومن قرأ مخففا جاز له الوصل على جعل حقيق وصف الرسول وعلى بمعنى الباء الا الحق ط بني اسرائيل ط الصادقين ه ج مبين ه ج للفصل بين الجملتين والوصل أجوز للجمع بين الحينين للناظرين ه عليم ه لالان ما بعده وصف لساحر من أرضكم ج لاحتمال أن بعده من تمام قول الملأ لفرعون وجنده والجمع للتعظيم أوله ولعظماء حضرته وأن يكون ابتداء جواب من فرعون أي فماذا تشيرون تأمرون ه حاشرين ه لالان ما بعده جواب

الامر عليم ه العالمين ه المقربين ه الملقين ة ج القوا ج للعطف عليم ة عصاك ج لحق المحذوف لان التقدير فالقاها فاذا
هي ما يافكون ه وكذلك يعملون ة ج صاغرين ه لمكان حروف العطف ساجدين ه ج لاحتمال كون قالوا حالا باضمار
قد العالمين ة لا للبدل وهرون ه آذن لكم ج للابتداء مع اتحاد القائل أهلها ج لان سوف للتهديد

لفرعون على ترك موسى ليفعل هذين الفعلين واذا وجه الكلام الى هذا الوجه كان نصب ويذرك على العطف ليفسدوا والوجه الاول أولى الوجهين بالصواب وهو ان يكون نصب ويذرك على الصرف لان التأويل من أهل التأويل به جاء وبعد فان في قراءة أبي بن كعب الذي حدثنا به أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم قال ثنا حجاج عن هرون قال في حرف أبي بن كعب وقد تركوك أن يعبدوك وآلهتك دلالة واضحة على ان نصب ذلك على الصرف وقد روى عن الحسن البصري انه كان يقرأ ذلك ويذرك وآلهتك عطفا بقوله ويذرك على قوله أتذر موسى كانه وجه تاويله الى أتذر موسى وقومه ويذرك وآلهتك ليفسدوا في الارض وقد تحتمل قراءة الحسن هذه ان يكون معناها أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض وهو يذرك وآلهتك فيكون يذرك مرفوعا الى ابتداء الكلام والسلامة من الحوادث وأما قوله وآلهتك فان قراء الامصار على فتح الالف منها ومدها بمعنى وقد ترك موسى عبادتك وعبادة آلهتك التي تعبدها وقد ذكر عن ابن عباس انه قال كان له بقرة يعبدها وقد روى عن ابن عباس ومجاهد انهما كانا يقرآنها ويذرك والهتك بكسر الالف بمعنى ويذرك وعبودتك والقراءة التي لا نرى القراءة بغيرها هي القراءة التي عليها قراءة الامصار لاجماع الحجة من القراء عليها ذكر من قال كان فرعون يعبد آلهة على قراءة من قرأ ويذرك وآلهتك حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي ويذرك وآلهتك وآلهته فيما زعم ابن عباس كانت البقر كانوا اذا رأوا بقرة حسناء أمرهم ان يعبدوها فلذلك أخرج لهم عجلا بقرة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن عمرو عن الحسن قال كان لفرعون جمانة معلقة في نحره يعبدها ويسجد لها حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن بن مهدي قال ثنا أبان بن خالد قال سمعت الحسن يقول بلغني ان فرعون كان يعبد الها في السر وقرأ ويذرك وآلهتك حدثنا محمد بن سنان قال ثنا أبو عاصم عن أبي بكر عن الحسن قال كان لفرعون اله يعبده في السر ذكر من قال معنى ذلك ويذرك وعبادتك على قراءة من قرأ والاهتك حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن محمد بن عمرو وعن الحسن عن ابن عباس ويذرك والاهتك قال انما كان فرعون يعبد ولا يعبد قال ثنا أبي عن نافع عن عمرو بن دينار عن ابن عباس انه قرأ ويذرك والاهتك قال وعبادتك ويقول انه كان يعبد ولا يعبد حدثنا المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ويذرك والاهتك قال يترك عبادتك حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن عمرو بن دينار عن ابن عباس انه كان يقرأ والاهتك يقول وعبادتك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ويذرك والاهتك قال عبادتك حدثنا سعيد بن الربيع الرازي قال ثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن محمد بن عمرو بن حسين عن ابن عباس انه كان يقرأ ويذرك والاهتك وقال انما كان فرعون يعبد ولا يعبد وقد زعم بعضهم ان من قرأ وآلهتك انما يقصد الى نحو معنى قراءة من قرأ والاهتك غير أنه أنث وهو يريد الها واحدا كانه يريد ويذرك والهك ثم أنث الاله فقال وآلهتك وذكر بعض البصريين أن أعرابيا سئل عن الالهة فقال هي علمة يريد علما فانث العلم فكانه شيء نصب للعبادة يعبد وقد قال عيينة بن شهاب اليربوعي

تروحنا من اللعباء قصرا * فاعجلنا الالاهة ان تؤوبا

مع العطف تعلمون ة أجمعين ه منقلبون ه للآية مع اتحاد المقول جاءتنا ط للعدول عن المحاباة الى المناجاة المسلمين ه * التفسير القصة السابعة من قصص هذه السورة قصة موسى عليه السلام وقد ذكر في هذه القصة من البسط والتفصيل ما لم يذكر في غيرها لان جهل قومه أعظم وأفحش من جهل سائر الاقوام ولهذا كانت معجزاته أقوى من معجزات متقدميه من الانبياء والضمير في قوله ثم بعثنا من بعدهم يعود الى رسل الامم المذكورين وفي قوله بآياتنا دلالة على كثرة معجزاته وان النبي لا بد له من آية ومعجزة بها يمتاز عن المتنبي فظلموا بها أي بتلك الآيات والمراد كفرهم بها لان وضع الانكار في موضع الاقرار وايراد الكفر بدل الايمان وضع الشيء في غير موضعه أو فظلموا الناس بسببها حين أوعدوهم وصدوهم عنها وآذوا من آمن بها فانظر أيها المعتبر المستبصر بعين بصيرتك كيف كان عاقبة المفسدين كيف فعلنا بهم وهذه اجمالية ثم شرع في تفصيلها وذلك قوله وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين أي اله قادر عليم حكيم وفيه ان العالم موصوف بصفات لاجلها افتقر الى رب يربيه حقيق على أن لا أقول من قرأ بالتشديد فحقيق اما بمعنى فاعل أي واجب على ترك القول على الله الا الحق أو بمعنى مفعول أي حق على ذلك تقول العرب اني لمحقوق على أن أفعل خيرا وأما قراءة العامة حقيق على مرسلة الياء ففيه وجوه أحدها أن يكون على بمعنى الباء كقولهم جئت على حالة حسنة وبحال حسنة قال الاخفش وهذا كما قال ولا تقعدوا بكل صراط أي على كل صراط ويؤكد هذا الوجه قراءة أبي حقيق بان لا أقول أي أنا خليق بذلك وثانيها ان الحق هو الدائم الثابت والحقيق مبالغة فيه وكل ما لزمك فقد لزمته وكان المعنى

يعني بالالهة في هذا الموضع الشمس وكان هذا المتأول هذا التأويل وجه الالهة اذا أدخلت فيها هاء التأنيث وهو يريد واحد الآلهة الى نحو ادخالهم الهاء في ولدتي وكوكبتي واماتي وهو أصله ذالك وكما قال الراجز

يا مصر الجراء أنت أسرتي * وأنت ملجاتي وأنت ظهرتي

يريد ظهري وقد بين ابن عباس ومجاهد ما أرادا من المعنى في قراءتهما ذلك على ما قرآ فلا وجه لقول هذا القائل ما قال مع بيانهما عن أنفسهما ما ذهبا اليه من معنى ذلك وقوله سنقتل أبناءهم الذكور من أولاد بني اسرائيل ونستحيي نساءهم يقول ونستبقي اناثهم وانا فوقهم قاهرون يقول وانا عالون عليهم بالقهر يعني بقهر الملك والسلطان وقد بينا ان كل شيء عال بقهر وغلبة على شيء فان العرب تقول هو فوقه ۞ القول في تأويل قوله (قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين) يقول تعالى ذكره قال موسى لقومه من بني اسرائيل لما قال فرعون للملأ من قومه سنقتل أبناء بني اسرائيل ونستحيي نساءهم استعينوا بالله على فرعون وقومه فيما ينوبكم من أمركم واصبروا على ما نالكم من المكاره في أنفسكم وأبنائكم من فرعون وكان قد تبع موسى من بني اسرائيل على ما حدثني عبد الكريم قال ثنا ابراهيم بن بشار قال ثنا سفيان قال ثنا أبو سعد عن عكرمة عن ابن عباس قال لما آمنت السحرة اتبع موسى ستمائة ألف من بني اسرائيل وقوله ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده يقول ان الارض لله لعل الله ان يورثكم ان صبرتم على ما نالكم من مكروه في أنفسكم وأولادكم من فرعون واحتسبتم ذلك واستقمتم على السداد أرض فرعون وقومه بان يهلكهم ويستخلفكم فيها فان الله يورث أرضه من يشاء من عباده والعاقبة يقول والعاقبة المحمودة لمن اتقى الله وراقبه فخافه باجتناب معاصيه وأدى فرائضه ۞ القول في تأويل قوله (قالوا أوذينا من قبل ان تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون) يقول تعالى ذكره قال قوم موسى لموسى حين قال لهم استعينوا بالله واصبروا أوذينا بقتل أبنائنا من قبل أن تأتينا يقول من قبل أن تأتينا برسالة الله الينا لان فرعون كان يقتل أولادهم الذكور حين أظله زمان موسى على ما قد بينت فيما مضى من كتابنا هذا وقوله ومن بعد ما جئتنا يقول ومن بعد ما جئتنا برسالة الله لان فرعون لما غلبت سحرته وقال للملأ من قومه ما قال أراد تجديد العذاب عليهم بقتل أبنائهم واستحياء نسائهم وقيل ان قوم موسى قالوا لموسى ذلك حين خافوا ان يدركهم فرعون وهم منه هاربون وقد تراءى الجمعان فقالوا له يا موسى أوذينا من قبل ان تأتينا كانوا يذبحون ابناءنا ويستحيون نساءنا ومن بعد ما جئتنا اليوم يدركنا فرعون فيقتلنا ونحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله من قبل ان تأتينا من قبل ارسال الله اياك وبعده حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي فلما تراءى الجمعان فنظرت بنو اسرائيل الى فرعون قد ردفهم قالوا انا لمدركون وقالوا أوذينا من قبل ان تأتينا كانوا يذبحون أبناءنا ويستحيون نساءنا ومن بعد ما جئتنا اليوم يدركنا فرعون فيقتلنا انا لمدركون حدثني عبد الكريم قال ثنا ابراهيم قال ثنا سفيان قال ثنا أبو سعيد عن عكرمة عن ابن

انا ثابت مستمر على أن لا أقول الا بالحق وثالثها أن يضمن حقيق معنى حريص ورابعها ان يكون من القلب الذي يشجع عليه أمن الالباس فيؤل المعنى الى قراءة نافع وخامسها أن يكون اغراقا في الوصف ومبالغة بالصدق والمراد انا حقيق على قول الحق أي واجب عليه أن أكون انا قائله والقائم به ولا يرضى الا بمثلي ناطقا به وسادسها أن يكون على هذه هي التي تقرن (١٧) بالاوصاف اللازمة الاصلية كقوله تعالى فطرة الله التي فطر الناس عليها ويقال جاءني فلان على هيئته وعلى عادته وعرفته وتحققته على كذا وكذا من الصفات فمعنى الآية لم أتحقق الا على قول الحق ولما كان ظهور المعجز على وفق دعوى الاله القادر المختار وعلى تصديق الرسول جميعا قال قد جئتكم ببينة من ربكم أي بمعجزة قاهرة باهرة منه ثم فرع عليه تبليغ الحكم وهو قوله فارسل معي بني اسرائيل أي أطلقهم وخل سبيلهم حتى يذهبوا معي راجعين الى الارض المقدسة التي هي وطنهم ومولد آبائهم وذلك أن يوسف عليه السلام لما توفي وانقرضت الاسباط غلب فرعون نسلهم واستعبدهم واستخدمهم في الاعمال الشاقة قال ان كنت جئت بآية فأت بها ان كنت من الصادقين فيه سؤالان أحدهما لفظي وهو ان ههنا شرطين فاين جوابهما والجواب ان المؤخر في اللفظ مقدم في المعنى نظيره قول القائل ان دخلت الدار فانت طالق ان كلمت زيدا وثانيهما ان قوله ان كنت جئت بآية وقوله فأت بها كلاهما واحد في المعنى فكيف يفيد تعليق أحدهما بالآخر وجوابه المنع اذ المراد ان كنت جئت من عند من أرسلك بآية فاحضرها لتصح دعواك ثم ان فرعون لما طالب موسى عليه السلام باقامة البينة الدالة على وجود الرب وعلى صحة نبوته قلب العصا ثعبانا واظهر اليد البيضاء وذلك قوله سبحانه فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين ومعنى كون الثعبان مبينا ان أمره ظاهر لا شك في أنه ثعبان ليس مما جاءت به السحرة من التمويهات واشباهها ومن قبيل المعجزات أو المراد انه أبان قول موسى عن قول المدعي الكاذب والثعبان في اللغة الحية الضخم الذكر وروي انه كان اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا

ووضع لحيه الاسفل على الارض ولحيه الاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون ليأخذه فوثب فرعون من سريره وهرب وأخذه البطن يومئذ أربعمائة مرة وكان لم يرمنه الحدث قبل ذلك وهرب الناس وصاحوا وحمل على الناس فانهزموا ومات منهم خمسة وعشرون ألفا ودخل البيت وصاح ياموسى خذه وأنا أومن (١٨) بك وأرسل معك بني اسرائيل فاخذه موسى فعاد عصا والنزع في اللغة القلع والاخراج أي أخرجها من جيبه أومن جناحه بدليل قوله في مواضع أخر وأدخل يدك في جيبك تخرج روي انه أري فرعون يده وقال ماهذه فقال يدك ثم أدخلها في جيبه وعليه مدرعة صوف ثم نزعها فاذا هي بيضاء نوراني غلب شعاعها الشمس وكان موسى عليه السلام آدم شديد الادمة وقوله للناظرين يتعلق ببيضاء فانها لا تكون بيضاء للنظارة الا اذا كان بياضها عجيبا خارجا من العادة اجتمع الناس للنظر اليه كما يجتمعون للعجائب واعلم ان القول بجواز انقلاب العادات عن مجاريها مقام صعب مشكل ولهذا اضطرب أقوال العلماء فيه فالاشاعرة جوزوا ذلك على الاطلاق بناء على القول بالفاعل المختار فجوزوا في الانسان وسائر أنواع الحيوان ان يتولد دفعة واحدة من غير سابقة مادة ومدة وجوزوا في الجوهر الفرد أن يكون حيا عالما قادرا قاهرا من غير حصول بنية ولا مزاج وجوزوا في الاعمى الذي بالاندلس ان يبصر في ظلمة الليل البقة التي تكون باقصى المشرق وفي سليم البصر ان لا يرى الشمس في كبد السماء من غير حائل والمعتزلة جوزوا انخراق العادات في بعض الصور دون بعض من غير ضابط ولا قانون اللهم الا ان يحال على الشرع والطبيعيون المتفلسفون أنكروا ذلك على الاطلاق وزعموا انه لا يجوز حدوث الاشياء ودخولها في الوجود الا على هذا الوجه المخصوص والطريق المعين والا لزم فتح باب الجهالات فانه اذا جاز ان تنقلب العصا ثعبانا جاز في الشخص الذي شاهدناه كموسى وعيسى ومحمد مثلا انه ليس هو الشخص الاول وهذا يوجب القدح في النبوة والرسالة فان زعم زاعم ان هذه الامور تختص بزمان دعوة الانبياء قلنا التخصيص في ذلك الزمان لا يعرف الا بدليل غامض وكثير من لا يقف على ذلك الدليل ظلموا

عباس قال سرى موسى ببني اسرائيل حتى هجموا على البحر فالتفتوا فاذاهم برهج دواب فرعون فقالوا ياموسى أوذينا من قبل ان تأتينا ومن بعد ماجئتنا هذا البحر أمامنا وهذا فرعون بمن معه قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون وقوله قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم يقول جل ثناؤه قال موسى لقومه لعل ربكم ان يهلك عدوكم فرعون وقومه ويستخلفكم يقول يجعلكم تخلفونهم في أرضهم بعد هلاكهم لا تخافونهم ولا أحدا من الناس غيرهم فينظر كيف تعملون يقول فيرى ربكم ماتعملون بعدهم من مسارعتكم في طاعته وتثاقلكم عنها ۞ القول في تأويل قوله (ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون) يقول تعالى ذكره ولقد اختبرنا قوم فرعون وأتباعه على ماهم عليه من الضلالة بالسنين يقول بالجدوب سنة بعد سنة والقحوط يقال منه أسنت القوم اذا أجدبوا ونقص من الثمرات يقول واختبرناهم مع الجدوب بذهاب ثمارهم وغلاتهم الا القليل لعلهم يذكرون يقول عظة لهم وتذكيرا لهم لينزجروا عن ضلالتهم ويفزعوا الى ربهم بالتوبة وبنحو ماقلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن شريك عن أبي اسحق عن أبي عبيدة عن عبد الله ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين قال سني الجوع حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله بالسنين الجائحة ونقص من الثمرات دون ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني القاسم بن دينار قال ثنا عبيد الله بن موسى عن شيبان عن أبي اسحق عن رجاء بن حيوة في قوله ونقص من الثمرات قال حين لا تحمل النخلة الا ثمرة واحدة حدثني ابن وكيع قال ثنا أبي عن اسرائيل عن أبي اسحق عن رجاء بن حيوة عن كعب قال يأتي على الناس زمان لا تحمل النخلة الا ثمرة حدثني المثنى قال ثنا الحماني قال ثنا شريك عن أبي اسحق عن رجاء بن حيوة ونقص من الثمرات قال يأتي على الناس زمان لا تحمل النخلة الا ثمرة حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين أخذهم الله بالسنين بالجوع عاما فعاما ونقص من الثمرات فاما السنين فكان ذلك في باديتهم وأهل مواشيهم واما بنقص من الثمرات فكان ذلك في أمصارهم وقراهم ۞ القول في تأويل قوله (فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه) يقول تعالى ذكره فاذا جاءت آل فرعون العافية والخصب والرخاء وكثرة الثمار ورأوا ما يحبون في دنياهم قالوا لنا هذه نحن أولى بها وان تصبهم سيئة يعني جدوب وقحوط وبلاء يطيروا بموسى ومن معه يقول يتشاءموا بهم ويقولوا ذهبت حظوظنا وانصباؤنا من الرخاء والخصب والعافية مذ جاءنا موسى عليه السلام وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله فاذا جاءتهم الحسنة العافية والرخاء قالوا لنا هذه نحن أحق بها وان تصبهم سيئة بلاء وعقوبة يطيروا يتشاءموا بموسى حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بنحوه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه قالوا ما أصابنا هذا الا بك ياموسى وبمن معك مارأينا شرا ولا أصابنا حتى رأيناك وقوله فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه قال الحسنة ما يحبون واذا كان ما يكرهون قالوا ما أصابنا هذا الا بشؤم هؤلاء الذين

ظلموا قال قوم صالح اطيرنا بك وبمن معك فقال الله انما طائركم عند الله بل أنتم قوم تفتنون ﴿القول فى تأويل قوله (الا انما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون) يقول تعالى ذكره الا انما طائر آل فرعون وغيرهم وذلك انصباؤهم من الرخاء والخصب وغير ذلك من انصباء الخير والشر الا عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون ان ذلك كذلك فلجهلهم بذلك كانوا يطيرون بموسى ومن معه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله ابن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس ألا انما طائرهم عند الله يقول مصائبهم عند الله قال الله ولكن أكثرهم لا يعلمون حدثنى القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس ألا انما طائرهم عند الله قال الامر من قبل الله ﴿القول فى تأويل قوله (وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين) يقول تعالى ذكره وقال فرعون لموسى ياموسى مهما تأتنا به من علامة ودلالة لتسحرنا يقول لتلفتنا بها عما نحن عليه من دين فرعون فما نحن لك بمؤمنين يقول فما نحن لك فى ذلك بمصدقين على انك محق فيما تدعونا اليه وقد دللنا فيما مضى على معنى السحر بما أغنى عن اعادته وكان ابن زيد يقول فى معنى مهما تأتنا به من آية ما حدثنى يونس قال قال ابن زيد فى قوله مهما تأتنا به من آية قال ان ما تأتنا به من آية وهذه فيها زيادة ما ﴿القول فى تأويل قوله (فارسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات) اختلف أهل التأويل فى معنى الطوفان فقال بعضهم هو الماء ذكر من قال ذلك حدثنى ابن وكيع قال ثنا حيوة أبو يزيد عن يعقوب القمى عن جعفر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما جاء موسى بالآيات كان أول الآيات الطوفان فارسل الله عليهم السماء حدثنا أبو هشام الرفاعى قال ثنا ابن يمان قال ثنا سفيان عن اسمعيل عن أبى مالك قال الطوفان الماء حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربى عن جويبر عن الضحاك قال الطوفان الماء قال ثنا جابر بن نوح عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس قال الطوفان الغرق حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد الطوفان الماء والطاعون على كل حال حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال الطوفان الموت على كل حال حدثنا محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال الطوفان الماء وقال آخرون بل هو الموت ذكر من قال ذلك حدثنا أبو هشام الرفاعى قال ثنا يحيى بن يمان قال ثنا المنهال بن خليفة عن الحجاج عن الحكم بن ميناء عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطوفان الموت حدثنى عباس بن محمد قال ثنا حجاج عن ابن جريج قال سألت عطاء ما الطوفان قال الموت حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الله بن رجاء عن ابن جريج عن عطاء عن حدثه عن مجاهد قال الطوفان الموت حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن عبد الله بن كثير فارسلنا عليهم الطوفان قال الموت قال ابن جريج وسألت عطاء عن الطوفان قال الموت قال ابن جريج وقال مجاهد الموت على كل حال حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن يمان عن المنهال بن خليفة عن حجاج عن رجاء عن عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال الطوفان الموت وقال آخرون بل ذلك كان أمرا من الله طاف بهم ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا جرير عن قابوس بن أبى ظبيان عن أبيه عن ابن عباس فارسلنا عليهم الطوفان قال أمر الله الطوفان ثم

يقع فيه الاشكال والضلال مع ان زمان جواز الكرامات لا ينقرض عندكم أبدا فلا ينقضى التحدى سرمدا هذا وانما جمع بين العصا واليد مع ان المعجز الواحد كاف لان كثرة الدلائل توجب مزيد اليقين قال بعض المتحذلقين هما شئ واحد والمراد ان حجة موسى كانت قوية ظاهرة فمن حيث ان الحجة أبطلت أقوال المخالفين كانت كالثعبان الذى يلقف ما يأفكون ومن حيث انها كانت باهرة ظاهرة فى نفسها وصفت باليد البيضاء كما يقال لفلان يد بيضاء فى الامر الفلانى أى قوة كاملة ومرتبة ظاهرة والتحقيق ان انقلاب العصا وغير ذلك أمور ممكنة فى ذواتها لان الاجسام متماثلة فى الجسمية فكل ما صح على شئ صح على مثله والله سبحانه قادر على كل الممكنات فكل ما ثبت وقوعه بالتواتر وجب قبوله من غير تأويل ودفع ثم ان السحر كان غالبا فى ذلك الزمان وكانت السحرة متفاوتين فى ذلك فزعم اتباع فرعون ان موسى عليه السلام لكونه فى النهاية من علم السحر أتى بتلك الصفة وانه كان يطلب بذلك الملك والرياسة وذلك قوله سبحانه قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم ولا ينافى هذا ما حكى الله تعالى فى سورة الشعراء انه قال ذلك فرعون فانه يحتمل صدور هذا القول فى تلك الحالة منه ومنهم أو لعل فرعون قاله ابتداء فتلقفه الملأ منه فقالوه لغيرهم أو قالوا عنه لسائر الناس على طريق التبليغ فان الملوك اذا رأوا رأيا ذكروه للخاصة وهم يذكرونه للعامة والاظهر ان قوله فماذا تأمرون من كلام فرعون اما لان الامر لا يجوز ان يكون من الادنى للاعلى أولانه من قولهم امرته فامرنى بكذا اذا شاورته فاشار عليك برأى ولهذا فان الملأ قالوا فى جوابه أرجه وأخاه أى أخر أمره وأمر اخيه ولا تعجل بقضاء فى شأنهما فتصير عجلتك حجة عليك قال الجوهرى أرجأت الامر أخرته يهمز ولا يهمز وعن الكلبى وقتادة أن المعنى احبسه وزيف بانه خلاف اللغة الا ان يقال حبس المرء نوع من التأخير فى أمره وبان فرعون ما كان يظن انه قادر على حبس موسى بعد مشاهدة حال العصا وأرسل فى المدائن المدينة فعيلة من مدن بالمكان يمدن مدونا اذا أقام به ولهذا أطبق القراء على همز مدائن لانه كصحائف وقيل انها مفعلة من دنت أى

قرأ فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة يزعم ان الطوفان من السيل البعاق والدياس وهو الشديد ومن الموت المتتابع الذريع السريع وقال بعضهم هو كثرة المطر والريح وكان بعض نحوى الكوفيين يقول الطوفان مصدر مثل الرجحان والنقصان لا يجمع وكان بعض نحوى البصرة يقول هو جمع واحدها فى القياس الطوفانة * والصواب من القول فى ذلك عندى ما قاله ابن عباس على ما رواه عنه أبو ظبيان انه أمر من الله طاف بهم وانه مصدر من قول القائل طاف بهم أمر الله يطوف طوفانا كما يقال نقص هذا الشئ ينقص نقصانا واذا كان ذلك كذلك جاز أن يكون الذى طاف بهم المطر الشديد وجاز ان يكون الموت الذريع ومن الدلالة على ان المطر الشديد قد يسمى طوفانا قول الحسن بن عرفطة

عرف الحدة من عرفانه * حرق الريح وطوفان المطر

ويروى حرق الريح بطوفان المطر وقال الراعى

يضحى اذا العيش أدركنا * حرفا يعتادها الطوفان والزود

وقول أبى النجم

وقد مد طوفان فبث مددا * شهرا شآبيب وشهرا بردا

وأما القمل فان أهل التأويل اختلفوا فى معناه فقال بعضهم هو السوس الذى يخرج من الحنطة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن يعقوب القمى عن جعفر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال القمل هو السوس الذى يخرج من الحنطة حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد بنحوه وقال آخرون بل هو الدبا وهو صغار الجراد الذى لا أجنحة له ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قال القمل الدبا حدثنى موسى بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا اسباط عن السدى قال الدبا القمل حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال القمل هو الدبا حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال القمل الدبا حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور قال ثنا معمر عن قتادة قال القمل هى الدبا وهى أولاد الجراد حدثنا ابن وكيع قال ثنا جابر بن نوح عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس قال الدبا قال ثنا يحيى بن آدم عن قيس عمن ذكره عن عكرمة قال القمل بنات الجراد حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال القمل الدبا وقال آخرون بل القمل البراغيث ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فارسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل قال زعم بعض الناس فى القمل انها البراغيث وقال بعضهم هى دواب سود صغار ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى بكر قال سمعت سعيد بن جبير والحسن قالا القمل دواب سود صغار وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يزعم ان القمل عند العرب الحمنان والحمنان ضرب من القردان واحدتها حمنانة فوق القمقامة والقمل جمع واحدتها قملة وهى دابة تشبه القمل تأكلها الابل فيما بلغنى وهى التى عناها الاعشى فى قوله

قوم تعالج قملا أبناؤهم * وسلاسلا أجدا وبابا مؤصدا

مدائن الارض كلها ولكن المقصود مدائن صعيد مصر وقال ابن عباس وكان رؤساء السحرة باقصى مدائن الصعيد حاشرين جامعين يأتوك بكل سحار الباء بمعنى مع أو للتعدية قيل كانوا سبعين ساحرا سوى رئيسهم وقيل بضعة وثلاثين ألفا وقيل سبعين ألفا وقيل ثمانين ألفا وقيل كان يعلمهم مجوسيان من أهل نينوى قرية بقرب الموصل وضعف بان المجوس من اتباع زرادشت وهو انما جاء بعد موسى وفى الآية دلالة على كثرة السحرة فى ذلك الزمان ولهذا كانت معجزة موسى شبيهة بالسحر وان كانت مخالفة له فى الحقيقة كما ان الطب لما كان غالبا على أهل زمن عيسى كان معجزته من جنس ذلك كابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى وكانت الفصاحة غالبة فى عصر نبينا صلى الله عليه وسلم فلا جرم كانت معجزته العظمى وهى القرآن من جنس الفصاحة وتحقيق السحر وسائر ما يتعلق به تقدم فى سورة البقرة فليتذكر وجاء السحرة فرعون قالوا لم يقل فقالوا بناء للكلام على سؤال مقدر كان سائلا سأل ما قالوا اذ جاؤه فاجيب قالوا ان لنا لاجرا أى جعلا على الغلبة والتنكير للتعظيم كقول العرب ان له لابلا وان له لغنما يقصد الكثرة قال نعم ان لكم أجرا وانكم لمن المقربين أراد انى لا أقتصر لكم على الثواب بل لكم مع ذلك ما يقل معه الثواب وهو التقريب والتكريم لان الثواب انما يهنأ اذا كان مقرونا بالتعظيم روى انه قال لهم تكونون أول من يدخل وآخر من يخرج وروى انه دعا رؤساء السحرة فقال لهم ما صنعتم قالوا قد عملنا سحرا لا يطيقه سحرة أهل الارض الا أن يكون أمرا من السماء فانه لا طاقة لنا به وفى الآية اشارة الى أن أهل السحر ليسوا قادرين على قلب الاعيان والالقلبوا الحجر ذهبا بل ملكوا أملاك فرعون وكان الى أنفسهم ولم يطلبوا منه الاجر فعلى العاقل أن لا يغتر باكاذيبهم ومخرقاتهم ثم ان السحرة راعوا حسن الادب بتخيير موسى أولا وقدموه فى الذكر ثانيا حيث قالوا ياموسى اما أن تلقى واما أن نكون نحن الملقين كما هو دأب المتناظرين والمتصارعين مع ان فى قولهم واما أن نكون نحن

وكان الفراء يقول لم أسمع فيه شيأ فان لم يكن جمعا فواحده قامل مثل ساجد وركع وان يكن اسما على معنى جمع فواحدته قملة ذكر المعاني التي حدثت في قوم فرعون بحدوث هذه الآيات والسبب الذي من أجلها أحدثها الله فيهم حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب القمي عن جعفر بن المغيرة عن سعيد بن جبير قال لما أتى موسى فرعون قال له ارسل معي بني اسرائيل فابى عليه فارسل الله عليهم الطوفان وهو المطر فصب عليهم منه شيأ خافوا ان يكون عذابا فقالوا لموسى ادع لنا ربك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ونرسل معك بني اسرائيل فدعا ربه فلم يؤمنوا ولم يرسلوا معه بني اسرائيل فانبت لهم في تلك السنة شيأ لم ينبته لهم قبل ذلك من الزرع والثمر والكلأ فقالوا هذا ما كنا نتمنى فارسل الله عليهم الجراد فسلطه على الكلأ فلما رأوا أثره في الكلأ عرفوا انه لا يبقي الزرع فقالوا يا موسى ادع لنا ربك فيكشف عنا الجراد فنؤمن لك ونرسل معك بني اسرائيل فدعا ربه فكشف عنهم الجراد فلم يؤمنوا ولم يرسلوا معه بني اسرائيل فداسوا واحرزوا في البيوت فقالوا قد أحرزنا فارسل الله عليهم القمل وهو السوس الذي يخرج منه فكان الرجل يخرج عشرة أجربة الى الرحا فلا يرد منها ثلاثة أقفزة فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا القمل فنؤمن لك ونرسل معك بني اسرائيل فدعا ربه فكشف عنهم فابوا ان يرسلوا معه بني اسرائيل فبيناهو جالس عند فرعون اذ سمع نعيق ضفدع فقال لفرعون ما تلقى أنت وقومك من هذا فقال وما عسى ان يكون كيد هذا فما أمسوا حتى كان الرجل يجلس الى ذقنه في الضفادع ويهم ان يتكلم فتثب الضفادع في فيه فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا هذه الضفادع فنؤمن لك ونرسل معك بني اسرائيل فارسل الله عليهم الدم وكانوا ما استقوا من الانهار والآبار أو ما كان في أوعيتهم وجدوه دما عبيطا فشكوا الى فرعون فقالوا انا قد ابتلينا بالدم وليس لنا شراب فقال انه قد سحركم فقالوا من أين سحرنا ونحن لا نجد في أوعيتنا شيأ من الماء الا وجدناه دما عبيطا فاتوه فقالوا يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا هذا الدم فنؤمن لك ونرسل معك بني اسرائيل فدعا ربه فكشف عنهم فلم يؤمنوا ولم يرسلوا معه بني اسرائيل حدثنا ابن وكيع قال ثنا حيوة أبو يزيد عن يعقوب القمي عن جعفر عن ابن عباس قال لما خافوا الغرق قال فرعون يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا هذا المطر فنؤمن لك ثم ذكر نحو حديث ابن حميد عن يعقوب حدثنا موسى بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا اسباط عن السدي قال ثم ان الله أرسل عليهم يعني على فرعون الطوفان وهو المطر فغرق كل شيء لهم فقالوا يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن لك ونرسل معك بني اسرائيل فكشف الله عنهم ونبتت به زروعهم فقالوا ما يسرنا انا لم نمطر فبعث الله عليهم الجراد فاكل حروثهم فسألوا موسى ان يدعو ربه فيكشفه ويؤمنوا به فدعا فكشفه وقد بقي من زروعهم بقية فقالوا لم تؤمنون وقد بقي من زرعنا بقية تكفينا فبعث الله عليهم الدبا وهو القمل فلحس الارض كلها وكان يدخل بين ثوب أحدهم وبين جلده فيعضه وكان لاحدهم الطعام فيمتلئ دبا حتى ان أحدهم ليبني الاسطوانة بالجص فيزلقها حتى لا يرتقي فوقها شيء يرفع فوقها الطعام فاذا صعد اليه ليأكله وجده ملآن دبا فلم يصابوا ببلاء كان أشد عليهم من الدبا وهو الرجز الذي ذكر الله في القرآن انه وقع عليهم فسألوا موسى ان يدعو ربه فيكشف عنهم ويؤمنوا به فلما كشف عنهم أبوا ان يؤمنوا فارسل الله عليهم الدم فكان الاسرائيلي يأتي هو والقبطي يستقيان من ماء واحد فيخرج ماء هذا القبطي دما ويخرج للاسرائيلي ماء فلما اشتد ذلك عليهم سألوا موسى أن يكشفه ويؤمنوا به فكشف

جمع بين إما وأن في هذه الآية بخلاف قوله اما يعذبهم واما يتوب عليهم لان الفعل ههنا في موضع أمر بالاختيار أعني في موضع نصب كقول القائل اختر ذا أو ذا كأنهم قالوا اختر ان تلقي بخلاف تلك الآية فان الامر لا يصلح هنالك قال موسى للسحرة ألقوا ما ترغبون فيه ازدراء بشأنهم وقلة مبالاتهم وثقة بان الامر الالهي يغلب ولن يغلب فان قيل ان القاءهم الحبال والعصي معارضة المعجز بالسحر وذلك كفر والامر بالكفر كفر فالجواب من وجوه أحدها انه انما أمرهم بشرط ان يعلموا في فعلهم أن يكون حقا فاذا لم يكن كذلك فلا أمر البتة كقول القائل اسقني الماء من الجرة فهذا انما يكون أمرا بشرط حصول الماء في الجرة والثاني ان موسى علم انهم جاؤا لذلك فلا بد ان يفعلوه ودفع النزاع في التقديم والتأخير الثالث انه أذن لهم في الاتيان بذلك السحر ليتمكن من الاقدام على ابطاله كمن يريد سماع شبهة ملحد ليجيب عنها ويكشف عن ضعفها يقول له هات وقل ومراده أن يجيب عنها ويبين لكل أحد ضعفها وسقوطها فلما ألقوا سحروا أعين الناس قال القاضي لو كان السحر حقا لكانوا قد سحروا قلوبهم لا أعينهم فثبت انهم خيلوا اليها ما الحقيقة بخلافه وقال الواحدي بل المراد انهم خلبوا الاعين عن صحة ادراكها بسبب تلك التمويهات وروي انهم ألقوا بالحبال بالزئبق وجعلوا الزئبق دواخل العصي فلما أثر تسخين الشمس فيها تحركت والتوى بعضها على بعض فخيل الى الناس انها تسعى واسترهبوهم أي أرهبوهم والسين زائدة كأنهم استدعوا رهبتهم وقال الزجاج استدعوا رهبة الناس فبعثوا جماعة ينادون عند القائه ذلك أيها الناس احذروا فهذا هو الاسترهاب وجاؤا بسحر عظيم كأنهم زعموا ان ذلك سحر لا يطيقه سحرة الارض عن ابن عباس انه خيل الى موسى عليه السلام ان حبالهم وعصيهم حيات مثل عصا موسى فاوحى الله عز وجل اليه أن ألق عصاك وفي رواية الواحدي عنه ان المراد بالوحي ههنا الالهام وههنا اضمار والتقدير فالقاها فاذا هي تلقف قال الجوهري لقفت الشيء بالكسر ألقفه

ذلك فابوا ان يؤمنوا وذلك حين يقول الله فلما كشفنا عنهم العذاب اذاهم ينكثون حدثنا محمد ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة فارسلنا عليهم الطوفان قال أرسل الله عليهم الماء حتى قاموا فيه قياما ثم كشف عنهم فلم ينتفعوا واخصبت بلادهم خصبا لم تخصب مثله فارسل الله عليها الجراد فاكله الا قليلا فلم يؤمنوا أيضا فارسل الله القمل وهى الدبا وهى أولاد الجراد فاكلت ما بقى من زروعهم فلم يؤمنوا فارسل الله عليهم الضفادع فدخلت عليهم بيوتهم ووقعت فى آنيتهم وفرشهم فلم يؤمنوا ثم أرسل الدم فكان أحدهم اذا أراد ان يشرب تحول ذلك الماء دما قال الله آيات مفصلات حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فارسلنا عليهم الطوفان حتى بلغ مجرمين قال طوفان أرسل الله عليهم الماء حتى قاموا فيه قياما فدعوا موسى فدعا ربه فكشفه عنهم ثم عادوا السوء ما يحضر بهم ثم انبتت أرضهم ثم أرسل الله عليهم الجراد فاكل عامة حروثهم وثمارهم ثم دعوا موسى فدعا ربه فكشف عنهم ثم عادوا بشر ما يحضر بهم فارسل الله عليهم القمل هذا الدبا الذى رأيتم فاكل ما ابقى الجراد من حروثهم فلحسه فدعوا موسى فدعا ربه فكشفه عنهم ثم عادوا بشر ما يحضر بهم ثم أرسل الله عليهم الضفادع حتى ملات بيوتهم وأفنيتهم فدعوا موسى فدعا ربه فكشف عنهم ثم عادوا بشر ما يحضر بهم فارسل الله عليهم الدم فكانوا لا يغترفون من مائهم الا دما أحمر حتى لقد ذكر ان عدو الله فرعون كان يجمع بين الرجلين على الاناء الواحد القبطى والاسرائيلى فيكون مما يلى الاسرائيلى ماء ومما يلى القبطى دما فدعوا موسى فدعا ربه فكشفه عنهم فى تسع آيات السنين ونقص من الثمرات وأراهم يد موسى عليه السلام وعصاه حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فارسلنا عليهم الطوفان وهو المطر حتى خافوا الهلاك فاتوا موسى فقالوا يا موسى ادع لنا ربك ان يكشف عنا المطر فانبت الله به حرثهم واخصب به بلادهم فقالوا ما نحب انا لم نمطر بترك ديننا فلن نؤمن لك ولن نرسل معك بنى اسرائيل فارسل الله عليهم الجراد فاسرع فى فساد ثمارهم وزروعهم فقالوا يا موسى ادع لنا ربك فدعا ربه وكشف عنهم الجراد وكان قد بقى من زروعهم ومعاشهم بقايا فقالوا قد بقى لنا ما هو كافينا فلن نؤمن لك ولن نرسل معك بنى اسرائيل فارسل الله عليهم القمل وهو الدبا فتتبع ما كان ترك الجراد فجزعوا واحسوا بالهلاك قالوا يا موسى ادع لنا ربك يكشف الدبا فانا سنؤمن لك ونرسل معك بنى اسرائيل فدعا ربه فكشف عنهم الدبا فقالوا ما نحن لك بمؤمنين ولا مرسلين معك بنى اسرائيل فارسل الله عليهم الضفادع فملأ بيوتهم منها ولقوا منها أذى شديدا لم يلقوا مثله فيما كان قبله انها كانت تثب فى قدورهم فتفسد عليهم طعامهم وتطفى نيرانهم قالوا يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا الضفادع فقد لقينا منها بلاء وأذى فانا سنؤمن لك ونرسل معك بنى اسرائيل فدعا ربه فكشف عنهم الضفادع فقالوا لا نؤمن لك ولا نرسل معك بنى اسرائيل فارسل الله عليهم الدم فجعلوا لا يأكلون الا الدم ولا يشربون الا الدم فقالوا يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا الدم فانا سنؤمن لك ونرسل معك بنى اسرائيل فدعا موسى ربه فكشف عنهم الدم فقالوا يا موسى لن نؤمن لك ولن نرسل معك بنى اسرائيل فكانت آيات مفصلات بعضها على اثر بعض ليكون لله عليهم الحجة فأخذهم الله بذنوبهم فاغرقهم فى اليم حدثنى عبد الكريم قال ثنا ابراهيم قال ثنا سفيان قال ثنا أبو سعد عن عكرمة عن ابن عباس قال أرسل على قوم فرعون الآيات الجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات قال فكان الرجل من بنى اسرائيل يركب مع الرجل من قوم فرعون فى السفينة فيغترف الاسرائيلى ماء ويغترف الفرعونى دما قال وكان الرجل من قوم فرعون ينام فى جانب فيكثر عليه

وتلقفه أيضا تتناوله بسرعة وما فى ما يأفكون موصولة او مصدرية بمعنى ما يأفكونه اى يقلبونه عن الحق الى الباطل ويزورونه او افكهم تسمية للمأفوك بالافك قال المفسرون لما ألقى موسى العصا صارت حية عظيمة حتى الافق ثم فتحت فاها ثمانين ذراعا وابتلعت ما ألقوا من حبالهم وعصيهم فلما أخذها موسى صارت (٢٢) عصا كما كانت من غير تفاوت فى الحجم والمقدار أصلا فلعل الله سبحانه أعدم بقدرته تلك الاجرام العظيمة أوفرقها أجزاء لطيفة ثم قال سبحانه وتعالى فوقع الحق قال مجاهد والحسن ٧ وقال القاضى معناه قوة الظهور بحيث لا يصح فى الواقع ان يصير لا واقعا ومع ثبوت هذا الحق زالت الاعيان التى أفكوها وهى تلك الحبال والعصى وذلك قوله وبطل ما كانوا يعملون أى الذى عملوه أو عملهم فغلبوا هنالك أى حين التحدى وانقلبوا صاغرين لانه لا ذل ولا صغار أعظم فى حق المبطل من دحوض حجته روى ان تلك الحبال والعصى كانت حمل ثلثمائة بعير فلما ابتلعها ثعبان موسى وصارت عصا كما كانت قال بعض السحرة لبعض هذا خارج عن حد السحر وانما هو أمر الهى قال المحققون انهم لاجل كمالهم فى علم السحر ميزوا السحر عن غيره فانتقلوا ببركة ذلك من الكفر الى الايمان فما ظنك بالانسان الكامل فى علم التوحيد والشريعة والحكمة وفى قوله وألقى السحرة ساجدين دليل على ان ملقيا ألقاهم وما ذاك الا الله سبحانه الموجد للدواعى والقدر وقال الاخفش من سرعة ما سجدوا صاروا كانه ألقاهم غيرهم لانهم لم يتمالكوا ان وقعوا ساجدين قال بعض العلماء الايمان مقدم على السجود فكيف قيل عنهم انهم سجدوا ثم قالوا آمنا برب العالمين وأجيب بانه لا يبعد انهم عند الذهاب الى السجود قالوا ذلك أو انهم لما ظفروا بالمعرفة سجدوا لله فى الحال شكرا على الفوز بذلك واظهارا للخشوع والتذلل واقرارا باللسان بعد التصديق بالجنان قال المفسرون لما قالوا آمنا برب العالمين قال فرعون اياى يعنون فلما قالوا رب موسى قال اياى يعنون لانى انا الذى ربيته فلما زادوا وهرون زالت الشبهة وعرف الكل انهم آمنوا باله السماء وكفروا بفرعون وقيل أفردا بالذكر من جملة العالمين ليعلم ان الداعى الى ايمانهم

القمل

القمل والضفادع حتى لا يقدران ينقلب على الجانب الآخر فلم يزالوا كذلك حتى أوحى الله الى موسى ان أسر بعبادي انكم متبعون **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قال لما أتى موسى فرعون بالرسالة أبى ان يؤمن وان يرسل معه بني اسرائيل فاستكبر قال ان نرسل معك بني اسرائيل فارسل الله عليهم الطوفان وهو الماء أمطر عليهم السماء حتى كادوا يهلكون وامتنع منهم كل شئ فقالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا هذا لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل فدعا الله فكشف عنهم المطر فانبت الله لهم حروثهم وأحيا بذلك المطر كل شئ من بلادهم فقالوا والله ما نحب أنا لم نكن أمطرنا هذا المطر ولقد كان خيرا لنا فلن نرسل معك بني اسرائيل ولن نؤمن لك يا موسى فبعث الله عليهم الجراد فاكل عامة حروثهم فاسرع الجراد في فسادها فقالوا يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا الجراد فانا مؤمنون لك ومرسلون معك بني اسرائيل فكشف الله عنهم الجراد وكان الجراد قد أبقى لهم من حروثهم بقية فقالوا قد بقي لنا من حروثنا ما كان كافينا فما نحن بتاركي ديننا ولن نؤمن لك ولن نرسل معك بني اسرائيل فارسل الله عليهم القمل والقمل الدبا وهو الجراد الذي ليست له أجنحة فتتبع ما بقي من حروثهم وشجرهم وكل نبات كان لهم فكان القمل أشد عليهم من الجراد فلم يستطيعوا للقمل حيلة وجزعوا من ذلك وأتوا موسى فقالوا يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا القمل فانه لم يبق لنا شيأ قد أكل ما بقي من حروثنا ولئن كشفت عنا القمل لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل فكشف الله عنهم القمل فنكثوا وقالوا لن نؤمن لك ولن نرسل معك بني اسرائيل فارسل الله عليهم الضفادع فامتلأت منه البيوت فلم يبق لهم طعام ولا شراب الا وفيه الضفادع فلقوا منها شيأ لم يلقوه فيما مضى فقالوا يا موسى ادع لنا ربك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل قال فكشف الله عنهم فلم يفعلوا فانزل الله فلما كشفنا عنهم الرجز الى أجل هم بالغوه اذا هم ينكثون الى وكانوا عنها غافلين **حدثنا** ابن حميد قال ثنا أبو تميلة قال الحسن بن واقد عن زيد عن عكرمة عن ابن عباس قال كانت الضفادع برية فلما أرسلها الله على آل فرعون سمعت وأطاعت فجعلت تغرق أنفسها في القدور وهي تغلي وفي التنانير وهي تفور فاثابها الله بحسن طاعتها برد الماء قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال فرجع عدو الله يعني فرعون حين آمنت السحرة مغلوبا مفلولا ثم أبى الا الاقامة على الكفر والتمادي في الشر فتابع الله عليه بالآيات وأخذه بالسنين فارسل عليه الطوفان ثم الجراد ثم القمل ثم الضفادع ثم الدم آيات مفصلات فارسل الطوفان وهو الماء ففاض على وجه الارض ثم ركد لا يقدرون على ان يخرجوا ولا يعملوا شيأ حتى جهدوا جوعا فلما بلغهم ذلك قالوا يا موسى ادع لنا ربك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل فدعا موسى ربه فكشفه عنهم فلم يفوا له بشئ مما قالوا فارسل الله عليهم الجراد فاكل الشجر فيما بلغني حتى ان كان ليأكل مسامير الابواب من الحديد حتى تقع دورهم ومساكنهم فقالوا مثل ما قالوا فدعا ربه فكشفه عنهم فلم يفوا له بشئ مما قالوا فارسل الله عليهم القمل فذكر لي ان موسى أمر ان يمشي الى كثيب حتى يضربه بعصاه فمضى الى كثيب أهيل عظيم فضربه بها فانثال عليهم قملا حتى غلب على البيوت والاطعمة ومنعهم النوم والقرار فلما جهدهم قالوا له مثل ما قالوا فدعا ربه فكشفه عنهم فلم يفوا له بشئ مما قالوا فارسل الله عليهم الضفادع فملأت البيوت والاطعمة والآنية فلا يكشف أحد ثوبا ولا طعاما ولا اناء الا وجد فيه الضفادع قد غلبت

هو موسى وهرون وقيل خصا بالذكر تعظيما وتشريفا ثم ان فرعون لما رأى ان أعلم الناس بالسحر أقر بنبوة موسى بمحضر جمع عظيم خاف ان يصير ذلك حجة عليه عند قومه فالقى في الحال شبهة في البين بعدما أنكر عليهم ايمانهم أما الانكار فذلك قوله آمنتم له من لم يزد حرف الاستفهام فعلى انه اخبار توبيخا أي فعلتم هذا الفعل الشنيع ومن قرأ بحرف الاستفهام فمعناه الاستبعاد والانكار وفي قوله قبل أن آذن لكم دلالة على مناقضة فرعون في ادعائه الالهية لانه لو كان الها لما جاز ان يأذن لهم في أن يؤمنوا بغيره وهذا من جملة الخذلان والدحوض الذي يظهر على المبطلين وأما الشبهة فقوله ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها أي هذه حيلة احتلتموها أنتم وموسى وتواطأتم عليها لغرض لكم وهو أن تخرجوا القبط وتسكنوا بني اسرائيل وروى محمد ابن جرير عن السدي في حديث ابن عباس وابن مسعود وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم ان موسى وأمير السحرة التقيا فقال له موسى أرأيتك ان غلبتك أتؤمن بي وتشهد ان ما جئت به حق فقال الساحر لآتين غدا بسحر لا يغلبه سحر وان غلبتني لاومنن بك وفرعون ينظر اليهما ويسمع فلذلك زعم التواطؤ فسوف تعلمون وعيد اجمالي وتفصيله لاقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف أي من كل شق طرفا ثم لاصلبنكم أجمعين واختلف المفسرون هل وقع ذلك منه أم لا فمن قائل لم يقع لانهم سألوا ربهم أن يتوفاهم من جهته لا بهذا القتل والقطع ومن قائل وقع وهو الاظهر وعليه الاكثر ومنهم ابن عباس لانه حكى عن الملأ انهم قالوا لفرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض ولو انه ترك أولئك السحرة لذكروهم أيضا وحذروه اياهم ولانهم قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا والصبر لا يطلب الا عند نزول البلاء وقد يجاب عن الاول بانهم داخلون تحت قوله وقومه وعن الثاني بانهم طلبوا الصبر على الايمان والثبات عليه وعدم الالتفات الى وعيده وعن قتادة كانوا أول النهار كفارا سحرة وفي آخره شهداء بررة ثم حكى عن القوم انهم قالوا عند الوعيد انا الى ربنا منقلبون أي نحن لا نبالي بالموت لانا ننقلب الى لقاء ربنا ونتخلص منك أو ننقلب الى الله يوم الجزاء فيثيبنا على شدائد القطع والصلب أو

أنا جميعاً يعنون أنفسهم وفرعون ترجع الى الله فيحكم بيننا أو أنا لا محالة ميتون فما يقدر أن يفعل بنا الا ما لا بد لنا منه وما تنقم منا قال ابن عباس ما أتينا بذنب تعذبنا عليه وما تعيب منا الا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا وهي المعجزات الظاهرة التي لا يقدر على مثلها الا الله تعالى وهذا من باب تأكيد المدح بما يشبه الذم كقوله ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب ثم لجؤا الى الدعاء كما هو دأب الصديقين حين نزول البلاء فقالوا ربنا أفرغ علينا صبراً أفض علينا سجال الثبات على متابعة الدين أو على ما توعدنا به فرعون وتوفنا مسلمين ثابتين على الدين الذي جاء به موسى أخبروا عن ايمانهم أولا وسألوا التوفي على الاسلام ثانيا فيمكن أن يستدل بذلك على أن الايمان والاسلام واحد واحتجت الاشاعرة بالآية على أن الايمان والاسلام بخلق الله تعالى والا لم يطلبوا ذلك منه والمعتزلة يحملون أمثال ذلك على منح الالطاف واعلم أن مبنى القصة في هذه السورة على الاختصار وفي الشعراء على التطويل فلهذا قيل هنالك يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره وانكم اذا لمن المقربين قالوا لا ضير انا الى ربنا منقلبون فلسوف تعلمون وفي كل ذلك زيادة وأما قوله ههنا وأرسل في المدائن وهنالك وابعث فلان الارسال يفيد معنى البعث مع العلو فخص هذه السورة بذلك ليعلم أن المخاطب به فرعون دون غيره وانما قال ههنا آمنتم به وفي طه والشعراء آمنتم له باللام لان الضمير في هذه يعود الى رب العالمين وفي السورتين الى موسى وقيل آمنتم به وآمنتم له واحد وقال ههنا لأصلبنكم لانه لما أفاد الترتيب كان العطف المطلق كافيا وكثير من متشابهات هذه السور الثلاث يعود الى رعاية الفواصل فتنبه * التأويل فظلموا بها بأن جعلوها سحراً فوضعوها في غير موضعها عاقبة المفسدين الذين أفسدوا الاستعداد بالركون الى الدنيا ولذاتها حقيق على أن لا أقول لاني المهم فأنا بحقائق الحق فان عن الخلق وآثار التفرقة فاذا هي ثعبان لانه اضاف العصا الى نفسه في قوله هي عصاي وكل من منه ان كل شيء أضفته الى نفسك وجعلته حاملك فانه ثعبان يبتلعك ولهذا قيل ألقها يا موسى فاذا هي بيضاء فيها لا يدي قبل تعلقها بالاشياء كانت بيضاء نقية نورانية

عليه فلما جهدهم ذلك قالوا له مثل ما قالوا فدعا ربه فكشفه عنهم فلم يفوا له بشيء مما قالوا فأرسل الله عليهم الدم فصارت مياه آل فرعون دما لا يستقون من بئر ولا نهر ولا يغترفون من اناء الا عاد دما عبيطا حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنا محمد بن اسحق عن محمد بن كعب القرظي انه حدث ان المرأة من آل فرعون كانت تأتي المرأة من بني اسرائيل حين جهدهم العطش فتقول اسقيني من مائك فتغرف لها من جرتها أو تصب لها من قربتها فيعود في الاناء دما حتى ان كانت لتقول لها اجعليه في فيك ثم مجيه في فيّ فتأخذ في فيها ماء فاذا مجته في فيها صار دما فمكثوا في ذلك سبعة أيام حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد الجراد يأكل زروعهم ونباتهم والضفادع تسقط على فرشهم وأطعمتهم والدم يكون في بيوتهم وثيابهم ومائهم وطعامهم قال ثنا شبل عن عبد الله بن كثير عن مجاهد قال لما سال النيل دما فكان الاسرائيلي يستقي ماء طيبا ويستقي الفرعوني دما ويشتركان في اناء واحد فيكون ما يلي بني اسرائيل ماء طيبا وما يلي الفرعوني دما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي بكر قال ثني سعيد بن جبير ان موسى لما عالج فرعون بالآيات الاربع العصا واليد ونقص من الثمرات والسنين قال يا رب ان عبدك هذا قد علا في الارض وعتا في الارض وبغى علي وعلا عليك وعالى بقومه رب خذ عبدك بعقوبة تجعلها له ولقومه نقمة وتجعلها لقومي عظة ولمن بعدي آية في الامم الباقية فبعث الله عليهم الطوفان وهو الماء وبيوت بني اسرائيل وبيوت القبط مشتبكة مختلطة بعضها في بعض فامتلأت بيوت القبط ماء حتى قاموا في الماء الى تراقيهم من جلس منهم غرق ولم يدخل في بيوت بني اسرائيل قطرة فجعلت القبط تنادي موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل قال فواثقوا موسى ميثاقا أخذ عليهم به عهودهم وكان الماء أخذهم يوم السبت فأقام عليهم سبعة أيام الى السبت الآخر فدعا موسى ربه فرفع عنهم الماء فأعشبت بلادهم من ذلك الماء فأقاموا أشهرا في عافية ثم جحدوا وقالوا ما كان هذا الماء الا نعمة علينا وخصبا لبلادنا ما نحب انه لم يكن قال وقد قال قائل لابن عباس اني سألت ابن عمر عن الطوفان فقال ما أدري موتا كان أو ماء فقال ابن عباس أما يقرأ ابن عمر سورة العنكبوت حين ذكر الله قوم نوح فقال فأخذهم الطوفان وهم ظالمون أرأيت لو ماتوا الى من جاء موسى عليه السلام بالآيات الاربع بعد الطوفان قال فقال موسى يا رب ان عبادك قد نقضوا عهدك وأخلفوا وعدي رب خذهم بعقوبة تجعلها لهم نقمة ولقومي عظة ولمن بعدهم آية في الامم الباقية قال فبعث الله عليهم الجراد فلم يدع لهم ورقة ولا شجرة ولا زهرة ولا ثمرة الا أكله حتى لم يبق جنى حتى اذا أفنى الخضر كلها أكل الخشب حتى أكل الابواب وسقوف البيوت وابتلي الجراد بالجوع فجعل لا يشبع غير انه لا يدخل بيوت بني اسرائيل فعجوا وصاحوا الى موسى فقالوا يا موسى هذه المرة ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل فأعطوه عهد الله وميثاقه فدعا لهم ربه فكشف الله عنهم الجراد بعد ما أقام عليهم سبعة أيام من السبت الى السبت ثم أقاموا أشهرا في عافية ثم عادوا لتكذيبهم ولانكارهم ولأعمالهم أعمال السوء قال فقال موسى يا رب عبادك قد نقضوا عهدي وأخلفوا موعدي فخذهم بعقوبة تجعلها لهم نقمة ولقومي عظة ولمن بعدي آية في الامم الباقية فأرسل الله عليهم القمل قال أبو بكر سمعت سعيد بن جبير والحسن يقولان كان الى جنبهم كثيب أعفر بقرية من قرى مصر تدعى عين شمس فمشى موسى الى ذلك الكثيب فضربه بعصاه ضربة صار قملا تدب

الهم وهى دواب سود صغار فدبت اليهم القمل فأخذت أشعارهم وأبشارهم وأشفار عيونهم وحواجبهم ولزم جلودهم كأنه الجدرى عليهم فصرخوا وصاحوا الى موسى انا نتوب ولا نعود فادع لنا ربك فدعا ربه فرفع عنهم القمل بعدما أقام عليهم سبعة أيام من السبت الى السبت فأقاموا اشهرا فى عافية ثم عادوا وقالوا ما كنا قط أحق ان نستيقن انه ساحر منا اليوم جعل الرمل دواب وعزة فرعون لا نصدقه أبدا ولا نتبعه فعادوا لتكذيبهم وانكارهم فدعا موسى عليهم فقال يارب ان عبادك نقضوا عهدى وأخلفوا وعدى فخذهم بعقوبة تجعلها لهم نقمة ولقومى عظة ولمن بعدى آية فى الامم الباقية فارسل الله عليهم الضفادع فكان أحدهم يضطجع فتركبه الضفادع فتكون عليه ركاما حتى ما يستطيع ان ينصرف الى الشق الآخر ويفتح فاه لاكلته فيسبق الضفدع أكلته الى فيه ولا يعجن عجينا الا تشدخت فيه ولا يطبخ قدرا الا امتلأت ضفادع فعذبوا بها أشد العذاب فشكوا الى موسى عليه السلام وقالوا هذه المرة نتوب ولا نعود فأخذ عهودهم ومواثيقهم ثم دعا ربه فكشف الله عنهم الضفادع بعد ما أقام عليهم سبعا من السبت الى السبت فأقاموا اشهرا فى عافية ثم عادوا بتكذيبهم وانكارهم وقالوا قد تبين لكم سحره يجعل التراب دواب ويجىء بالضفادع فى غير ماء فآذوا موسى عليه السلام فقال موسى يارب ان عبادك نقضوا عهدى واخلفوا وعدى فخذهم بعقوبة تجعلها لهم عقوبة ولقومى عظة ولمن بعدى آية فى الامم الباقية فابتلاهم الله بالدم فافسد عليهم معايشهم فكان الاسرائيلى والقبطى يأتيان النيل فيستقيان فيخرج للاسرائيلى ماء ويخرج للقبطى دما ويقومان الى الجب فيه الماء فيخرج للاسرائيلى فى انائه ماء وللقبطى دما حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا ابن سعد قال سمعت مجاهدا فى قوله فارسلنا عليهم الطوفان قال الموت والجراد قال الجراد يأكل أمتعتهم وثيابهم ومسامير أبوابهم والقمل هو الدبا سلطه الله عليهم بعد الجراد قال والضفادع تسقط فى أطعمتهم التى فى بيوتهم وفى أشربتهم وقال بعضهم الدم الذى أرسله الله عليهم كان رعافا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا أحمد بن خالد قال ثنا يحيى بن أبى بكير قال ثنا زهير قال قال زيد بن أسلم أما القمل فالقمل وأما الدم فسلط الله عليهم الرعاف أما قوله آيات مفصلات فان معناه علامات ودلالات على صحة نبوة موسى وحقيقة ما دعاهم اليه مفصلات قد فصل بينها فجعل بعضها يتلو بعضا وبعضها فى أثر بعض وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قال فكانت آيات مفصلات بعضها فى أثر بعض ليكون لله الحجة عليهم فأخذهم الله بذنوبهم فاغرقهم فى اليم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله آيات مفصلات قال يتبع بعضها بعضا ليكون لله عليهم الحجة فينتقم منهم بعد ذلك وكانت الآية تمكث فيهم من السبت الى السبت وترفع عنهم شهرا قال الله عز وجل فانتقمنا منهم فاغرقناهم فى اليم الآية حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال قال ابن اسحق آيات مفصلات أى آية بعد آية يتبع بعضها بعضا وكان مجاهد يقول فيما ذكر عنه فى معنى المفصلات ما حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد قال سمعت مجاهدا يقول فى آيات مفصلات قال معلومات ۞ القول فى تأويل قوله (فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين) يقول تعالى ذكره فاستكبر هؤلاء الذين أرسل الله عليهم ما ذكر فى هذه الآيات من الآيات والحجج عن الايمان بالله وتصديق رسوله موسى صلى الله عليه وسلم واتباعه على ما دعاهم عليه

روحانية ولموسى كانت روحانية فى جميع الاوقات ولكن ما كانت نورانيتها منظورة للناظرين الا باظهار الله تعالى فى بعض الاوقات خرقا للعادات على يده الجسمانية يريد أن يخرجكم لاشك ان موسى أراد أن يخرجهم من أرضهم ولكن من أرض بشريتهم الى نور الروحانية توهموا ان التأخير وحسن التدبير يغير شيأ من التقدير ولم يعلموا ان عند حلول الحكم لا سلطان للعلم والفهم أئن لنا لاجرا لم يعلموا ان أجرهم فى المغلوبية لا فى الغالبية قال نعم وانكم لمن المقربين أجرى الله تعالى هذا على لسان فرعون حقا وصدقا فصاروا مقربين عند الله قالوا ياموسى اما ان تلقى أكرموا موسى بالتقديم والاستئذان فاكرمهم الله تعالى بالسجود والايمان بسحر عظيم أى عظيم فى الاثم كما قال سبحانك هذا بهتان عظيم وعظمة اثم السحر لمعارضة المعجزة فاذا هى تلقف ما يأفكون فيه ان عصا الذكر اذا ألقيتها عند القاء سحرة صفات النفس يبتلع بنفى لا النفى جميع ما سحروا به أعين الناس فوقع الحق باثبات الا الله وبطل ما كانوا يعملون من تزيين زخارف الدنيا فى العيون فغلبوا أى سحرة صفات النفس بنور الذكر وانقلبوا صاغرين ذليلين تحت أوامر الشرع ونواهيه وألقى السحرة ساجدين أى صارت صفات النفس بعد التمرد منقادة للعبودية وبموسى الروح وهرون القلب واعلم ان صفات النفس اذا تنورت بنور الذكر يتبدل كفرها بالايمان ولكن النفس بذاتها لا تؤمن ولا تتبدل الهمم الا عند غرقها فى الواردات والمواهب الربانية كحال فرعون وايمانه عند الغرق وفى القصة دلالة على انه تعالى قد يبرز العدو فى صورة الولى مثل بلعام وبالعكس كالسحرة قبل ان آذن لكم هذا من جملة جهل فرعون ظن ان الايمان باذنه لمكر مكرتموه فى مواقعة موسى الروح فى مدينة القالب لتخرجوا منها أهلها وهو الصفات والشهوات البدنية لاقطعن بسكين التسويل عن الاعمال الصالحة ثم لاصلبنكم فى جذوع تعلقات الدنيا وزخارفها والله أعلم (وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الارض ويذرك وآلهتك قال سنقتل أبناءهم ونستحيى نساءهم وانا فوقهم قاهرون قال موسى

لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين قالوا أوذينا من قبل أن تاتينا ومن بعد ما جئتنا قال
عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الارض فينظر كيف تعملون ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون
فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه (٢٦) وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ألا انما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون

وقالوا مهما تاتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين فارسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين ولما وقع عليهم الرجز قالوا ياموسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى اسرائيل فلما كشفنا عنهم الرجز الى أجل هم بالغوه اذا هم ينكثون فانتقمنا منهم فاغرقناهم فى اليم بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التى باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر فاتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا ياموسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون قال أغير الله أبغيكم الها وهو فضلكم على العالمين واذ أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم) * القرآآت سنقتل بالتخفيف ابن كثير وأبو جعفر ونافع يورثها بالتشديد الخزاز عن هبيرة كلمات ربك على الجمع يزيد فى رواية يعرشون بضم الراء حيث كان ابن عامر وأبو بكر وحماد الباقون بالكسر يعكفون بكسر الكاف حمزة وخلف الباقون بالضم أنجاكم ابن عامر الآخرون أنجيناكم على الحكاية يقتلون بالتخفيف * الوقوف وآلهتك ط نساءهم ج للابتداء بواو العطف واتحاد القائل قاهرون ه واصبروا ج لما قلنا من عباده ط للمتقين ه ماجئتنا ط تعملون ه يذكرون ه لنا هذه ج لبيان تباين الاضافتين على التناقص الحياة ومن

وتعظموا على الله وعتوا عليه وكانوا قوما مجرمين يقول كانوا قوما يعملون بما يكرهه الله من المعاصى والفسق عتوا وتمردا ۞ القول فى تاويل قوله (ولما وقع عليهم الرجز قالوا ياموسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى اسرائيل) يقول تعالى ذكره ولما وقع عليهم الرجز ولما نزل بهم عذاب الله وحل بهم سخطه ثم اختلف أهل التأويل فى ذلك الرجز الذى أخبر الله انه وقع بهؤلاء القوم فقال بعضهم كان ذلك طاعونا ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا يعقوب القمى عن جعفر بن المغيرة عن سعيد بن جبير قال وأمر موسى قومه من بنى اسرائيل وذلك بعد ما جاء قوم فرعون بالآيات الخمس الطوفان وما ذكر الله فى هذه الآية فلم يؤمنوا ولم يرسلوا معه بنى اسرائيل قال ليذبح كل رجل منكم كبشا ثم ليخضب كفه فى دمه ثم ليضرب به على بابه فقالت القبط لبنى اسرائيل لم تجعلوا هذا الدم على أبوابكم فقالوا ان الله يرسل عليكم عذابا فنسلم وتهلكون فقالت القبط فما يعرفكم الله الا بهذه العلامات فقالوا هكذا أمرنا به نبينا فاصبحوا وقد طعن من قوم فرعون سبعون ألفا فامسوا وهم لا يتدافنون فقال فرعون عند ذلك ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز وهو الطاعون لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى اسرائيل فدعا ربه فكشفه عنهم فكان أوفاهم كلهم فرعون فقال لموسى اذهب ببنى اسرائيل حيث شئت **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا حبويه الرازى وأبو داود الحفرى عن يعقوب عن جعفر عن سعيد بن جبير قال حبويه عن ابن عباس لئن كشفت عنا الرجز قال الطاعون وقال آخرون هو العذاب ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد الرجز العذاب **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فلما كشفنا عنهم الرجز أى العذاب **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور قال ثنا معمر عن قتادة ولما وقع عليهم الرجز يقول العذاب **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولما وقع عليهم الرجز قال الرجز العذاب الذى سلط الله عليهم من الجراد والقمل وغير ذلك وكل ذلك يعاهدونه ثم ينكثون وقد بينا معنى الرجز فيما مضى من كتابنا هذا بشواهده المغنية عن اعادتها * وأولى القولين بالصواب فى هذا الموضع ان يقال ان الله تعالى ذكره أخبر عن فرعون وقومه انهم لما وقع عليهم الرجز وهو العذاب والسخط من الله عليهم فزعوا الى موسى بمسألته ربه كشف ذلك عنهم وجائز ان يكون ذلك الرجز كان الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم لان كل ذلك كان عذابا عليهم وجائز ان يكون ذلك الرجز كان طاعونا ولم يخبرنا الله أى ذلك كان ولا صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باى ذلك كان خبر فنسلم له فالصواب ان نقول فيه كما قال جل ثناؤه ولما وقع عليهم الرجز ولا نتعداه الا بالبيان الذى لا تمانع فيه بين أهل التأويل وهو لما حل بهم عذاب الله وسخطه قالوا ياموسى ادع لنا ربك بما عهد عندك يقول بما أوصاك وأمرك به وقد بينا معنى العهد فيما مضى لئن كشفت عنا الرجز يقول لئن رفعت عنا العذاب الذى نحن فيه لنؤمنن لك يقول لنصدقن بما جئت به ودعوت اليه ولنقرن به لك ولنرسلن معك بنى اسرائيل يقول ولنخلين معك بنى اسرائيل فلا نمنعهم ان يذهبوا حيث شاؤا ۞ القول فى تاويل قوله (فلما كشفنا عنهم الرجز الى أجل هم بالغوه اذا هم ينكثون) يقول تعالى ذكره فدعا موسى ربه فاجابه فلما رفع الله عنهم العذاب الذى أنزل بهم الى أجل هم بالغوه ليستوفوا عذاب أيامهم التى جعلها الله لهم من

الحياة أجلا الى وقت هلاكهم اذاهم ينكثون يقول اذاهم ينقضون عهودهم التي عاهدوا ربهم وموسى ويقيمون على كفرهم وضلالهم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله تعالى الى أجل هم بالغوه قال عدد مسمى منهم من ايامهم حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد نحوه حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا اسباط عن السدى فلما كشفنا عنهم الرجز الى أجل هم بالغوه اذاهم ينكثون ما أعطوا من العهود وهو حين يقول الله ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين وهو الجوع ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون ۞ القول في تأويل قوله (فانتقمنا منهم فاغرقناهم في اليم بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين) يقول تعالى ذكره فلما نكثوا عهودهم انتقمنا منهم يقول انتصرنا منهم باحلال نقمتنا بهم وذلك عذابه فاغرقناهم في اليم وهو البحر كما قال ذو الرمة

دوايه وحاليل كأنهما * يم براطن في حافاته الروم

وكما قال الراجز * كباذخ اليم سقاه اليم * بانهم كذبوا بآياتنا يقول فعلنا ذلك بهم بتكذيبهم بحججنا واعلامنا التي أريناهموها وكانوا عنها غافلين يقول وكانوا عن النقمة التي أحللناها بهم غافلين قبل حلولها بهم أنها بهم حالة والهاء والالف في قوله عنها كناية من ذكر النقمة فان قال قائل هي كناية من ذكر الآيات ووجه تأويل الكلام الى وكانوا عنها معرضين فجعل اعراضهم عنها غفولا منهم عنها اذ لم يقبلوها كان مذهبا يقال من الغفلة غفل الرجل عن كذا يغفل عنه غفلة وغفولا وغفلا ۞ القول في تأويل قوله (وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون) يقول تعالى ذكره وأورثنا القوم الذين كان فرعون وقومه يستضعفونهم فيذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم ويستخدمونهم تسخيرا واستعبادا مشارق الارض الشام وذلك ما يلي الشرق منها ومغاربها التي باركنا فيها التي جعلنا فيها الخير ثابتا دائما لاهلها وانما قال جل ثناؤه وأورثنا لانه أورث ذلك بني اسرائيل بمهلك من كان فيها من العمالقة وبمثل الذي قلنا في قوله مشارق الارض ومغاربها قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن يمان عن اسرائيل عن فرات القزاز عن الحسن في قوله وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها قال الشام حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا اسرائيل عن فرات القزاز قال سمعت الحسن يقول فذكر نحوه حدثنا ابن وكيع قال ثنا قبيصة عن سفيان عن فرات القزاز عن الحسن الارض التي باركنا فيها قال الشام حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها هي أرض الشام حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قوله مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها قال التي بارك فيها الشام وكان بعض أهل العربية يزعم أن مشارق الارض ومغاربها نصب على المحل يعني وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون في مشارق الارض ومغاربها وأن قوله وأورثنا انما وقع على قوله التي باركنا فيها وذلك قول لا معنى له لان بني اسرائيل لم يكن يستضعفهم أيام فرعون غير فرعون وقومه ولم يكن له

العذاب ج لاحتمال كون ما بعده مستأنفا أو حالا نساءكم ط عظيم ٥ والله أعلم * التفسير ان فرعون بعد وقوع الواقعة لم يتعرض لموسى ولا أخذه وحبسه لانه كان كلما رأى موسى يخافه أشد الخوف الا أن قومه لم يعرفوا ذلك فحملوه على أخذه وحبسه فقالوا أتذر موسى أتتركه وقومه ليفسدوا في الارض أي يغيروا على الناس دينهم الذي كانوا عليه فيتوسلوا بذلك الى أخذ الملك ويذرك عطف على ليفسدوا وقوله وآلهتك مفعول معه والمراد انه اذا تركهم ولم يمنعهم كان ذلك مؤديا الى تركه مع آلهته فقط ويحتمل أن يكون منصوبا على انه جواب الاستفهام والمعنى يكون منك ان تذر موسى ويكون من موسى ان يذرك وآلهتك قال كثير من المفسرين ان فرعون كان قد وضع لقومه أصناما صغارا وأمرهم بعبادتها وسمى نفسه الرب الاعلى وقال الحسن كان فرعون يعبد الاصنام ووجه بأنه لعله كان اتخذ أصناما على صور الكواكب مدبرات العالم السفلي وأما مخدوم الخلق في هذا العالم والمربي لهم فهو نفسه فقوله أنا ربكم الاعلى أي أنا مربيكم والمنعم عليكم والمطعم لكم وكل ذلك بناء على انه كان دهريا ينكر وجود الصانع ثم ان فرعون أوهم قومه انما لم يحبسه ولم يمنعه لعدم التفاته اليه لا للخوف فقال سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم

فكأنه قال ان موسى انما يمكنه الافساد بواسطة الرهط والشيعة فنحن نسعى في تقليل رهطه وشيعته وانا فوقهم قاهرون أي سنعيد عليهم ما كنا محناهم قبل من قتل الابناء ليعلموا انا على ما كنا عليه من الغلبة ولئلا يتوهم العامة انه المولود الموعود من قبل الكهنة ولكنه منتظر بعد قال موسى لما وصل ما جرى بين فرعون وملائه اليه لقومه استعينوا بالله واصبروا ولولا بيان الصبر بعد الاستعانة بالله فان من علم انه لا مدبر للعالم

سلطان الاعصر فغير جائز والامر كذلك ان يقال الذين يستضعفون فى مشارق الارض ومغاربها فان قال قائل فان معناه فى مشارق أرض مصر ومغاربها فان ذلك بعيد من المفهوم فى الخطاب مع خروجه عن أقوال أهل التأويل والعلماء بالتفسير وأما قوله وتمت كلمة ربك الحسنى فانه يقول وفى وعدالله الذى وعد بنى اسرائيل بتمامه على ماوعدهم من تمكينهم فى الارض ونصره اياهم على عدوهم فرعون وكلمته الحسنى قوله جل ثناؤه ونريد ان نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم فى الارض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون وبنحو ماقلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل قال ظهور قوم موسى على فرعون وتمكين الله لهم فى الارض وما ورثهم منها **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بنحوه وأما قوله ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه فانه يقول وأهلكنا ما كان فرعون وقومه يصنعونه من العمارات والمزارع وما كانوا يعرشون يقول وما كانوا يبنون من الابنية والقصور وأخرجناهم من ذلك كله وخربنا جميع ذلك وقد بينا معنى التعريش فيما مضى بشواهده وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله وما كانوا يعرشون يقول يبنون **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد يعرشون يبنون البيوت والمساكن ما بلغت وكان عنبهم غير معروش **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق يعرشون بكسر الراء سوى عاصم بن أبى النجود فانه قرأه بضمها وهما لغتان مشهورتان فى العرب يقال عرش يعرش ويعرش فاذ كان ذلك كذلك فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب لاتفاق معنى ذلك وأنهما معروفان من كلام العرب وكذلك تفعل العرب فى فعل اذا ردته الى الاستقبال تضم العين منها أحيانا وتكسرها أحيانا غير ان أحب القراءتين الى كسر الراء لشهرتها فى العامة وكثرة القراءة بها وانها أصح اللغتين ۞ القول فى تأويل قوله (وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون) يقول تعالى ذكره وقطعنا ببنى اسرائيل البحر بعد الآيات التى أريناهموها والعبر التى عاينوها على يدى نبى الله موسى فلم تزجرهم تلك الآيات ولم تعظهم تلك العبر والبينات حتى قالوا مع معاينتهم من الحجج ما يحق ان يذكر معها الهها اذ مروا على قوم يعكفون على أصنام لهم يقول يقومون على مثل لهم يعبدونها من دون الله اجعل لنا يا موسى الها يقول مثالا نعبده وصنما نتخذه الها كما لهؤلاء القوم أصنام يعبدونها ولا تنبغى العبادة لشئ سوى الله الواحد القهار وقال موسى صلوات الله عليه انكم أيها القوم قوم تجهلون عظمة الله وواجب حقه عليكم ولا تعلمون انه لا تجوز العبادة لشئ سوى الله الذى له ملك السموات والارض وذكر عن ابن جريج فى ذلك ما **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قال ابن جريج على أصنام لهم قال تماثيل بقر فلما كان عجل السامرى شبه لهم أنه من تلك البقر فذلك كان أول شأن العجل قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون وقيل ان القوم الذين

الا الله تعالى انشرح قلبه بنور المعرفة وعلم ان الكل بقضاء الله وقدره فيسهل عليه كل ما يصل اليه ثم لما أمرهم بشيئين بشرهم بآخرين فقال ان الارض يعنى أرض مصر او جنس الارض فيتناول مصر بالتبعية لله يورثها من يشاء من عباده يعنى بالتوريث جعل الشئ للخلف بعد السلف والعاقبة للمتقين والخاتمة الجيدة (٢٨) لمن هو بصدد التقوى منكم ومن القبط وهذا من الكلام المنصف والا فمعلوم أن القبط لا تقوى لهم أو المراد ان كل من اتقى الله تعالى وخافه فالله الغنى الكريم يعينه فى الدنيا والآخرة ثم انهم خافوا وفزعوا من تهديد فرعون فشكوا الى موسى مستعجلين النصر وقالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا يعنون قتل أبنائهم قبل مولده الى حين نبوته ثم اعادة ذلك عليهم فى قوله سنقتل الى غير ذلك من أنواع المحن والمهن فعند ذلك قال لهم موسى مصرحا بما رمز اليهم من البشارة قبل عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الارض أرض مصر ولا ريب ان فى عسى طمعا واشفاقا ومثل هذا الكلام اذا صدر عن النبى صلى الله عليه وسلم المؤيد بالمعجزات القاهرة الناظر بنور الحق افاد قوة اليقين وأزال ما خامره من الضعف ثم قال فينظر كيف تعملون قال الزجاج أى يرى الكائن منكم من العمل حسنه وقبحه شكره وكفره لوقوع ذلك منكم لان الله تعالى لا يجازيهم على ما يعلمه منهم قد عاوانما يجازيهم على ما يقع حديثا فتتعلق الرؤية الازلية به عن عمرو بن عبيد انه دخل على المنصور قبل الخلافة وعلى مائدته رغيف أو رغيفان فطلب زيادة لعمرو فلم يكن فقرأ عمرو هذه الآية ثم دخل عليه بعد ما استخلف فذكر له ذلك وقال قد بقى فينظر كيف تعملون وكيف نصب بتعملون لا بينظر لان الاستفهام لا يعمل فيه ما يتقدمه ثم حكى سبحانه ما نزل بفرعون وآله من المحن والبلايا بشؤم التكذيب والتمرد فقال ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين كنوا أى بسنى القحط فالسنة من الاسماء الغالبة غلبت على القحط كالدابة والنجم وقد يراد بها فى غير هذا الموضع الحال والعام قال أبو زيد والفراء بعض العرب يقول هذه سنين ورأيت سنينا فيعرب ومنه قول الشاعر دعانى من نجد فان سنينه ۞ لعبن بنا شيبا وشيبننا مردا

والسنون من الجوع المفحمة الشاذة عن ابن عباس السنون لاهل البوادي وأصحاب المواشي ونقص من الثمرات لاهل الامصار وفائدة توسط
من أن يعلم ان كل الثمرات لم تنقص وانما نقص بعضها لعلهم يذكرون فينتبهوا ويرجعوا الى الانقياد والطاعة فان مس الضر مما يلين
الاعطاف ويرق القلوب قيل عاش فرعون أربعمائة سنة لم ير مكروها في ثلثمائة (٢٩) وعشرين سنة ولو أصابه في تلك المدة وجع
أو جوع أو حمى لما ادعى الربوبية
قال القاضي في الآية دلالة على انه تعالى أراد منهم أن يتذكروا ولا يقيموا على ما هم عليه من الكفر وأجيب بانه يعاملهم معاملة المختبر ولا اختبار في الحقيقة ولا اختيار ولا يرعوي عن الكفر والطغيان الا من شاء وأراد ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور فلهذا حكى عن فرعون وقومه فاذا جاءتهم الحسنة قال ابن عباس أي العشب والخصب والمواشي والثمار وسعة الرزق والعافية والسلامة قالوا لنا هذه أي نحن مخصوصون بذلك ولم نزل في الرفاهية والنعمة وهكذا عادة الزمان فينا ولم يعلموا انها من الله فيشكروه عليه ويقوموا بحق نعمته وان تصبهم سيئة اضداد ما ذكرنا يطيروا يتشاءموا بموسى ومن معه واصله يتطيروا فادغم التاء في الطاء لقرب مخرجهما وانما عرفت الحسنة وخصت باذا ونكرت السيئة وقرنت بان لان جنس الحسنة وقوعه كالواجب لكثرته وشموله وأما السيئة فوقوعها نادر مشكوك فيه ولهذا قيل لقد عددت ايام البلاء فهل عددت أيام الرخاء ألا انما طائرهم عند الله قال الازهري يقال للشؤم طائر وطير وطيرة وعن ابن عباس طائرهم ما قضى عليهم وقدر لهم ومنه قول العرب طار له سهم كذا أي حصل ووقع ذلك في حظه وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتفاءل ولا يتطير لان
الفال الكلمة الحسنة والتطير عيافة الطير قال الامام فخر الدين الرازي وذلك لان الارواح الانسانية أقوى وأصفى من الارواح البهيمية فيمكن
الاستدلال بالاول على بعض المغيبات بخلاف الثاني ومعنى الآية ان كل ما يصيبهم من خير أو شر فهو بقضاء الله وبتقديره ولكن أكثرهم
لا يعلمون ان الكل بعين مشيئته وتقديره فيقولون هذا بيمن فلان أو بشؤمه وقد تشاءمت اليهود بالنبي صلى الله عليه وسلم لما في المدينة فقالوا

كانوا عكوفا على أصنام لهم الذين ذكرهم الله في هذه الآية قوم كانوا من لخم ذكر من قال ذلك
حدثنا محمد بن بشار قال ثنا بشر بن عمر قال ثنا العباس بن المفضل عن أبي العوام عن قتادة
فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قال على لخم وقيل انهم كانوا من الكنعانيين الذين أمر موسى
عليه السلام بقتالهم وقد حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الزهري
ان أبا واقد الليثي قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل حنين فمررنا بسدرة قلت
يا نبي الله اجعل لنا هذه ذات أنواط كما للكفار ذات أنواط وكان الكفار ينوطون سلاحهم
بسدرة يعكفون حولها فقال النبي صلى الله عليه وسلم الله أكبر هذا كما قالت بنو اسرائيل
لموسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة انكم ستركبون سنن الذين من قبلكم حدثنا الحسين بن
يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهري عن سنان بن أبي سنان عن أبي واقد
الليثي قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل حنين فمررنا بسدرة فقلنا يا نبي الله اجعل لنا هذه
ذات أنواط فذكر نحوه حدثني المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا حماد عن محمد بن اسحق عن
الزهري عن سنان بن أبي سنان عن أبي واقد الليثي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوه حدثنا ابن
صالح قال ثني الليث قال ثني عقيل عن ابن شهاب قال أخبرني سنان بن أبي سنان الديلي عن أبي
واقد الليثي انهم خرجوا من مكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حنين قال وكان للكفار سدرة
يعكفون عندها ويعلقون بها اسلحتهم يقال لها ذات أنواط قال فمررنا بسدرة خضراء عظيمة قال فقلنا
يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط قال قلتم والذي نفسي بيده ما قال قوم موسى اجعل لنا الها كما لهم
آلهة قال انكم قوم تجهلون انها السنن لتركبن سنن من كان قبلكم ۞ القول في تأويل قوله (ان
هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون) وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن قيل موسى
لقومه من بني اسرائيل يقول تعالى ذكره قال لهم موسى ان هؤلاء العكوف على هذه الاصنام الله
مهلك ما هم فيه من العمل ومفسده ومخسرهم فيه باثابته اياهم عليه العذاب المهين وباطل ما كانوا
يعملون من عبادتهم اياها فمضمحل لانه غير نافع عند مجيء أمر الله وحلوله بساحتهم ولا مدافع عنهم
بأس الله اذا نزل بهم ولا منقذهم من عذابه اذا عذبهم في القيامة فهو في معنى ما لم يكن وبنحو الذي
قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن
المفضل وحدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قالا جميعا حدثنا اسباط عن
السدي ان هؤلاء متبر ما هم فيه يقول مهلك ما هم فيه حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح
قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ان هؤلاء متبر ما هم فيه يقول خسران
حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا
يعملون قال هذا كله واحد كهيئة غفور رحيم عفو غفور وقال والعرب تقول انه البائس المتبر وانه
البائس المخسر ۞ القول في تأويل قوله (قال أغير الله أبغيكم الها وهو فضلكم على العالمين) يقول
تعالى ذكره قال موسى لقومه أسوى الله ألتمس لكم الها واجعل لكم معبودا تعبدونه والله الذي هو
خالقكم فضلكم على عالمي دهركم وزمانكم يقول أفأبغيكم معبودا لا ينفعكم ولا يضركم تعبدونه وتتركون
عبادة من فضلكم على الخلق ان هذا منكم لجهل ۞ القول في تأويل قوله (واذ أنجيناكم من آل
فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم)

يقول تعالى ذكره لليهود من بنى اسرائيل الذين كانوا بين ظهرانى مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم
واذكروا مع قيلكم هذا الذى قلتموه لموسى بعد رؤيتكم من الآيات والعبر وبعد النعم التى سلفت
منى اليكم والايادى التى تقدمت فعلكم ما فعلتم اذ انجيناكم من آل فرعون وهم الذين كانوا على منهاجه
وطريقته فى الكفر بالله من قومه يسومونكم سوء العذاب يقول اذ يحملونكم أقبح العذاب وسيئه
وقد بينا فيما مضى من كتابنا هذا ما كان العذاب الذى كان يسومهم سيئه يقتلون أبناءكم الذكور من
أولادهم ويستحيون نساءكم يقول يستبقون اناثهم وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم يقول وفى سومهم
اياكم سوء العذاب اختبار من الله لكم ونعمة عظيم ۞ القول فى تأويل قوله (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة
وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة) يقول تعالى ذكره وواعدنا موسى لمناجاتنا ثلاثين ليلة
وقيل انها ثلاثون ليلة من ذى القعدة وأتممناها بعشر يقول وأتممنا الثلاثين الليلة بعشر ليال تتمة
أربعين ليلة وقيل ان العشر التى أتمها به أربعين عشر ذى الحجة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن
وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن ليث عن مجاهد وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر
قال ذو القعدة وعشر ذى الحجة قال ثنا جرير عن ليث عن مجاهد وواعدنا موسى ثلاثين ليلة
وأتممناها بعشر قال ذو القعدة وعشر ذى الحجة ففى ذلك اختلفوا حدثنى المثنى قال ثنا أبو
حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وواعدنا موسى ثلاثين ليلة هو ذو القعدة وعشر
من ذى الحجة فذلك قوله فتم ميقات ربه أربعين ليلة حدثنى محمد بن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر
ابن سليمان عن أبيه قال زعم حضرمى ان الثلاثين التى كان واعد موسى ربه كانت ذا القعدة والعشر
من ذى الحجة التى تمم الله بها الاربعين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج
عن مجاهد وواعدنا موسى ثلاثين ليلة ذو القعدة قال وأتممناها بعشر ذى الحجة قال ابن جريج قال
ابن عباس مثله حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد قال سمعت مجاهدا
يقول فى قوله وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر قال ذو القعدة والعشر الاول من ذى الحجة
قال ثنا عبد العزيز قال ثنا اسرائيل عن أبى اسحق عن مسروق وأتممناها بعشر قال عشر
الاضحى وأما قوله فتم ميقات ربه أربعين ليلة فانه يعنى فكمل الوقت الذى واعد الله موسى أربعين
ليلة وبلغها كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال فتم ميقات
ربه قال فبلغ ميقات ربه أربعين ليلة ۞ القول فى تأويل قوله (وقال موسى لاخيه هرون اخلفنى فى
قومى وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين) يقول تعالى ذكره لما مضى لموعد ربه قال لاخيه هرون
اخلفنى فى قومى يقول كن خليفتى فيهم الى ان أرجع يقال منه خلفه يخلفه خلافة وأصلح يقول
وأصلحهم بحملك اياهم على طاعة الله وعبادته كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى
حجاج عن ابن جريج قال قال موسى لاخيه هرون اخلفنى فى قومى وأصلح وكان من اصلاحه ان لا يدع
العجل يعبد وقوله ولا تتبع سبيل المفسدين يقول ولا تسلك طريق الذين يفسدون فى الارض بمعصيتهم
ربهم ومعونتهم أهل المعاصى على عصيانهم ربهم ولكن اسلك سبيل المطيعين ربهم فكانت مواعدة
الله موسى عليه السلام بعد ان أهلك فرعون ونجى منه بنى اسرائيل فيما قال أهل العلم كما حدثنا
القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى الحجاج عن ابن جريج قوله وواعدنا موسى ثلاثين ليلة الآية قال
يقول ان ذلك بعد ما فرغ من فرعون وقبل الطور لما نجى الله موسى عليه السلام من البحر وغرق

غلت أسعارنا وقلت أمطارنا مذ أتانا قال فى الكشاف ويجوز أن يكون معناه الا انما سبب شؤمهم عند الله وهو عملهم المكتوب عنده الذى
يجرى عليهم ما يسوءهم لاجله ويعاقبون له بعد موتهم وكما حكى عنهم انهم لجهلهم اسندوا حوادث هذا العالم لا الى قضاء الله وقدره كذلك حكى
عنهم انهم لجهلهم وسفههم لم يميزوا بين المعجزة والسحر (٣٠) وقالوا لنبيهم مهما تأتنا به الآية وفى مهما قولان عن البصريين ان
أصلها ما الشرطية زيدت عليها ما
المؤكدة الابهامية ثم كرهوا
التكرار فجعلوا الالف من الاولى
هاء وعن الكسائى ان مه بمعنى
اكفف وما للشرط كأنه قيل
كف ما تأتنا به ومحل مهما الرفع
بمعنى أى شئ تحضرنا تأتنا به ومن
آية بيان لمهما والضمير فى به وكذا
فى بها يعود الى مهما لان البيان
كالزيادة فلا يعود اليه شئ ما أمكن
العود الى المبين الا ان الضمير
ذكر تارة حملا على اللفظ وأنث
أخرى حملا على المعنى وسموها آية
تهكما اذ لو قالوا ذلك اعتقادا لم
يردفوها بقولهم لتسحرنا بها وبقولهم
فما نحن لك بمؤمنين قال ابن عباس
ان القوم لما قالوا ما قالوا وكان موسى
رجلا حديدا دعا عليهم فارسل الله
عليهم الطوفان قيل هو الجدرى
وهو أول عذاب وقع فيهم فبقى فى
الارض وقيل هو الموتان وقيل
الطاعون والاصح انه المطر وأصله
ما طاف وغلب من مطر أو سيل
أرسل الله عليهم من السماء حتى
كادوا يهلكون وبيوت بنى اسرائيل
وبيوت القبط مشتبكة فامتلأت
بيوت القبط ماء حتى قاموا فى الماء
الى تراقيهم فمنعهم من الحرث
والبناء والتصرف فقالوا لموسى ادع
لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن
بك فدعا فرفع عنهم فما آمنوا فأنبت
لهم تلك السنة من الكلأ والزرع
ما لم يعهد مثله وزعموا ان هذا الذى
جزعوا منه هو خير لهم ولم يشعروا
به فبعث الله عليهم الجراد فأكلت عامة زروعهم وثمارهم ثم أكلت كل شئ حتى الابواب والسقوف والثياب
ولم يدخل بيوت بنى اسرائيل منها شئ ففزعوا الى موسى ووعدوه التوبة فارسل الله تعالى ريحا فاحتملت الجراد فالقته فى البحر وقيل خرج موسى
الى الفضاء فأشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجع الجراد الى النواحى التى جاء منها فقالوا ما نحن بتاركى ديننا فأقاموا شهرا فسلط الله عليهم
آل

القمل وهو الحنان كبار القردان عن أبي عبيدة وقيل الدباء وهو أولاد الجراد قبل نبات أجنحتها وقيل البراغيث وقرأ الحسن القمل بفتح القاف وسكون الميم يريد القمل المعروف وعن سعيد بن جبير هو السوس فأكل ما أبقاه الجراد ولحس الارض وكان يدخل بين ثوب أحدهم وبين جلده فيمصه وكان يأكل أحدهم طعاما فيمتلئ قملا وعن سعيد بن جبير كان الى جنبهم كثيب أعفر فضربه موسى بعصاه فصار قملا فاخذ في أبشارهم وأشعارهم وأشفار عيونهم وحواجبهم ولزم جلودهم كأنه الجدري وصاحوا وصرخوا وفزعوا الى موسى فاخذ عليهم العهود فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الآن انك ساحر وعزة فرعون لا نصدقك أبدا فارسل عليهم الضفادع بعد شهر فدخلت بيوتهم وامتلأت منها آنيتهم وأطعمتهم وكان أحدهم اذا أراد أن يتكلم وثبت الضفدع الى فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم فلا يقدرون على الرقاد وكانت تقذف بانفسها في القدور وهي تغلي فشكوا الى موسى فاخذ عليهم العهود ودعا فكشف الله عنهم ثم نقضوا العهد فارسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دما وكان يجتمع القبطي والاسرائيلي على اناء واحد فيكون ما يلي الاسرائيلي ماء وما يلي القبطي دما وعطش فرعون حتى أشفى على الهلاك وكان يمص الاشجار الرطبة فاذا مضغها صار ماؤها الطيب ملحا أجاجا وقيل الدم الرعاف سلطه الله عليهم وقوله آيات مفصلات نصب على الحال من المذكورات ومعناها ظاهرات لا تشكل على عاقل انها معجزات أو فصل بين بعض وبعض بزمان يمتحن فيه أحوالهم وينظر أيوفون بالعهد أم ينكثون كما روي أن موسى عليه السلام مكث فيهم بعد ما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات ولا شك ان كل واحدة من هذه معجزة في نفسها واختصاصها بالقبطي دون الاسرائيلي معجز آخر فاستكبروا عن العبادة والطاعة وكانوا قوما مجرمين مصرين على الذنب والجرم ثم فصل استكبارهم واجرامهم فقال ولما وقع عليهم الرجز أي الانواع الخمسة المذكورة من العذاب وعن سعيد بن جبير انه الطاعون وهو العذاب السادس الذي كان أصابهم فمات من القبط سبعون ألف انسان في يوم واحد فتركوا غير مدفونين قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك أي بعهده

آل فرعون وخلص الى الارض الطيبة أنزل الله عليهم فيها المن والسلوى وأمره ربه ان يلقاه فلما أراد لقاء ربه استخلف هرون على قومه وأوعدهم ان يأتيهم الى ثلاثين ليلة ميعادا من قبله من غير أمر ربه ولا ميعاده فتوجه ليلقى ربه فلما تمت ثلاثون ليلة قال عدو الله السامري ليس يأتيكم موسى وما يصلحكم الا اله تعبدونه فناشدهم هرون وقال لا تفعلوا انظروا ليلتكم هذه ويومكم هذا فان جاء والا فعلتم ما بدا لكم فقالوا نعم فلما أصبحوا من غد ولم يروا موسى عاد السامري لمثل قوله بالامس قال وأحدث الله الاجل بعد الاجل الذي جعله بينهم عشرا فتم ميقات ربه أربعين ليلة فعاد هرون فناشدهم الا ما نظروا يومهم ذلك أيضا فان جاء والا فعلتم ما بدا لكم ثم عاد السامري الثالثة لمثل قوله لهم وعاد هرون فناشدهم ان ينتظروا فلما لم يروه قال القاسم قال الحسن حدثني حجاج قال ثني أبو بكر بن عبد الله الهذلي قال قام السامري الى هرون حين انطلق موسى فقال يا نبي الله انا استعرنا يوم خرجنا من القبط حليا كثيرا من زينتهم وان الذين معك قد أسرعوا في الحلي يبيعونه وينفقونه وانما كان عارية من آل فرعون فليسوا باحياء فنردها عليهم ولا ندري لعل أخاك نبي الله موسى اذا جاء يكون له فيها رأي اما تقرب بها قربانا فتأكلها النار واما تجعلها للفقراء دون الاغنياء فقال له هرون نعم ما رأيت وما قلت فامر مناديا فنادى من كان عنده شئ من حلي آل فرعون فليأتنا به فأتوه به فقال هرون يا سامري أنت أحق من كانت عنده هذه الخزانة فقبضها السامري وكان عدو الله الخبيث صائغا فصاغ منه عجلا جسدا ثم قذف في جوفه تربة من القبضة التي قبض من أثر فرس جبريل عليه السلام اذ رآه في البحر فجعل يخور ولم يخر الا واحدة وقال لبني اسرائيل انما تخلف موسى بعد الثلاثين ليلة يلتمس هذا هذا الهكم واله موسى فنسي يقول ان موسى عليه السلام نسي ربه

القول في تأويل قوله (ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر اليك قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني) يقول تعالى ذكره ولما جاء موسى للوقت الذي وعدنا ان يلقانا فيه وكلمه ربه وناجاه قال موسى لربه أرني أنظر اليك قال الله له مجيبا لن تراني ولكن انظر الى الجبل كان سبب مسئلة موسى ربه النظر اليه ما حدثني به موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي قال ان موسى عليه السلام لما كلمه ربه أحب ان ينظر اليه قال رب أرني أنظر اليك قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فحف حول الجبل وحف حول الملائكة بنار وحف حول النار بملائكة وحول الملائكة بنار ثم تجلى ربه للجبل حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله وقربناه نجيا قال ثني من لقي أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم انه قربه الرب حتى سمع صريف القلم فقال عند ذلك من الشوق اليه رب أرني أنظر اليك قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي بكر الهذلي قال لما تخلف موسى عليه السلام بعد الثلاثين حتى سمع كلام الله اشتاق الى النظر اليه فقال رب أرني أنظر اليك قال لن تراني وليس لبشر ان يطيق ان ينظر الي في الدنيا من نظر الي مات قال الهي سمعت منطقك واشتقت الى النظر اليك ولأن انظر اليك ثم أموت أحب الي من ان أعيش ولا أراك قال فانظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني حدثني المثنى قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله أرني أنظر اليك قال أعطني حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال استخلف موسى

المقسم به بالفعل فتكون باء الاستعطاف أى اسعفنا الى ما نطلب اليك من الدعاء لنا بحق ما عندك من عهد الله وكرامته بالنبوة ووجه آخر وهو أن يكون قسما مجابا بلنؤمنن فيكون متعلقا بالاقسام (٣٢) أى أقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى اسرائيل أى نخليهم وشأنهم فتذهب بهم حيث شئت فلما كشفنا عنهم العذاب لا مطلقا ولا فى جميع الوقائع بل الى أجل هم بالغوه لامحالة ومعذبون فيه اذاهم ينكثون جواب لما أى كما كشفت عنهم فاجؤا النكث و بادروه فانتقمنا منهم سلبنا النعمة عنهم بالعذاب فاغرقناهم فى اليم وهو البحر الذى لا يدرك قعره وقيل هو لجة البحر ومعظم مائه سمى باليم لان المنتفعين به يتيممونه أى يقصدونه بانهم كذبوا بآياتنا أى كان اغراقهم بسبب التكذيب و بانهم كانوا عنها أى عن الآيات وقيل عن النعمة بدلالة انتقمنا أى وكانوا عن النقمة قبل حلولها غافلين أى معرضين غير متفكرين فان نفس الغفلة ليست باختيار الانسان حتى يترتب الوعيد عليها ثم بين ما فعله بالمحقين بعد اهلاك المبطلين فقال وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون بقتل الابناء واستحياء النساء والاستخدام فى الاعمال الشاقة مشارق الارض ومغاربها يعنى أرض مصر والشام لانها هى التى كانت تحت تصرف فرعون وبقوله التى باركنا أى بالخصب وسعة الارزاق وذلك لا يليق الا بارض الشام وقيل المراد جملة الارض لانه خرج من بنى اسرائيل من ملك جملتها كداود وسليمان وتمت كلمة ربك الحسنى تأنيث الاحسن وصفة الكلمة قيل يريد بالكلمة قوله فى سورة القصص ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم أئمة الى تمام الآيتين ومعنى تمت ذلك مضت واستمرت من قولك تم على الامر اذا مضى عليه وقيل معنى تمام الكلمة الحسنى انجاز الوعد الذى تقدم باهلاك عدوهم واستخلافهم فى الارض لان الوعد بالشئ جعله كالمعلق فاذا حصل الموعود صار تاما كاملا بما صبروا أى بسبب صبرهم وفيه ان الصبر عنوان الظفر وضمين

هرون على بنى اسرائيل وقال انى متعجل الى ربى فاخلفنى فى قومى ولا تتبع سبيل المفسدين فخرج موسى الى ربه متعجلا للقيه شوقا اليه وأقام هرون فى بنى اسرائيل ومعه السامرى يسير بهم على أثر موسى ليلحقهم به فلما كلم الله موسى طمع فى رؤيته فسأل ربه ان ينظر اليه فقال الله لموسى انك لن ترانى ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى الآية قال ابن اسحق فهذا ما وصل الينا فى كتاب الله عن خبر موسى لما طلب النظر الى ربه وأهل الكتاب يزعمون وأهل التوراة ان قد كان لذلك تفسير وقصة وأمور كثيرة ومراجعة لم تأتنا فى كتاب الله والله أعلم قال ابن اسحق عن بعض أهل العلم الاول باحاديث أهل الكتاب انهم يجدون فى تفسير ما عندهم من خبر موسى حين طلب ذلك الى ربه انه كان من كلامه اياه حين طمع فى رؤيته وطلب ذلك منه ورد عليه ربه منه ما رد ان موسى كان تطهر وطهر ثيابه وصام للقاء ربه فلما أتى طور سينا ودنا الله له فى الغمام فكلمه سبحه وحمده وكبره وقدسه مع تضرع وبكاء حزين ثم أخذ مدحته فقال رب ما أعظمك وأعظم شأنك كله من عظمتك انه لم يكن شئ من قبلك فانت الواحد القهار كان عرشك تحت عظمتك نارا توقد لك وجعلت سرادق من دونه سرادق من نور فما أعظمك رب وأعظم ملكك جعلت بينك وبين ملائكتك مسيرة خمسمائة عام فما أعظمك رب وأعظم ملكك فى سلطانك فاذا أردت شيأ تقضيه فى جنودك الذين فى السماء أو الذين فى الارض وجنودك الذين فى البحر بعثت الريح من عندك لا يراها شئ من خلقك الا أنت ان شئت فدخلت فى جوف من شئت من أنبيائك فبلغوا ما أردت من عبادك وليس أحد من ملائكتك يستطيع شيأ من عظمتك ولا من عرشك ولا يسمع صوتك فقد أنعمت على وأعظمت على فى الفضل وأحسنت الى كل الاحسان عظمتنى فى أمم الارض وعظمتنى عند ملائكتك وأسمعتنى صوتك وبذلت لى كلامك وآتيتنى حكمتك فان أعد نعماءك لا أحصيها وان أردت شكرك لا أستطيعها دعوتك رب على فرعون بالآيات العظام والعقوبة الشديدة فضربت بعصاى التى فى يدى البحر فانفلق لى ولمن معى ودعوتك حين أجزت البحر فاغرقت عدوك وعدوى وسألتك الماء لى ولامتى فضربت بعصاى التى فى يدى الحجر فمنه أرويتنى وأمتى وسألتك لامتى طعاما لم يأكله أحد كان قبلهم فامرتنى ان ادعوك من قبل المشرق ومن قبل المغرب فناديتك من شرقى امتى فاعطيتهم المن من مشرق انفسى وآتيتهم السلوى من غربيهم من قبل البحر واشتكيت الحر فناديتك فظللت عليهم بالغمام فما أطيق نعماءك على ان أعدها ولا أحصيها وان أردت شكرها لا أستطيعها فجئتك اليوم راغبا طالبا سائلا متضرعا لتعطينى ما منعت غيرى أطلب اليك وأسألك يا ذا العظمة والعزة والسلطان ان ترينى انظر اليك فانى قد أحببت ان أرى وجهك الذى لم يره شئ من خلقك قال له رب العزة فلا ترى يا ابن عمران ما تقول ما تكلمت بكلام هو أعظم من سائر الخلق لا يرانى أحد فيحيا فى السماء معمرى فانهن قد ضعفن ان يحملن عظمتى أوليس فى الارض معمرى فانها قد ضعفت ان تسع بجندى فلست فى مكان واحد فأتجلى لعين تنظر الى قال موسى يارب انى أراك وأموت أحب الى من ان أراك واحيا قال له رب العزة يا ابن عمران تكلمت بكلام هو أعظم من سائر الخلق لا يرانى أحد فيحيا قال رب تمم على نعماءك فتمم على فضلك وتمم على احسانك هذا الذى سألتك ليس لى ان أراك فاقبض ولكن أحب ان أراك فيطمئن قلبى قال له يا ابن عمران لن يرانى أحد فيحيا قال موسى رب تمم على نعماءك فتمم على فضلك وتمم على احسانك هذا الذى سألتك ليس لى ان أراك فاموت على أثر

ذلك أحب الي من الحياة فقال الرحمن المترحم على خلقه قد طلبت ياموسى وأعطيتك سؤلك ان استطعت ان تنظر الي فاذهب فاتخذ لوحين ثم انظر الى الحجر الاكبر في رأس الجبل فان ماوراءه وما دونه مضيق لايسع الامجاسك يا ابن عمران ثم انظر فاني أهبط اليك وجنودي من قليل وكثير ففعل موسى كما أمره ربه نحت لوحين ثم صعد بهما الى الجبل فجلس على الحجر فلما استوى عليه أمر الله جنوده الذين في السماء الدنيا فقال ضعي اكنافك حول الجبل فسمعت السماء ما قال الرب ففعلت أمره ثم أرسل الله الصواعق والظلمة والضباب على ما كان يلي الجبل الذي يلي موسى أربعة فراسخ من كل ناحية ثم أمر الله ملائكة الدنيا ان يمروا بموسى فاعترضوا عليه فمروا به طيران النغر تنبع أفواههم بالتقديس والتسبيح باصوات عظيمة كصوت الرعد الشديد فقال موسى بن عمران عليه السلام رب اني كنت عن هذا غنيا ماترى عيناي شيأ قد ذهب بصرهما من شعاع النور المتصفف على ملائكة ربي ثم أمر الله السماء الثانية ان اهبطوا على موسى وعرضوا عليه فهبطوا أمثال الاسد لهم لجب بالتسبيح والتقديس ففزع العبد الضعيف ابن عمران مما رأى ومما سمع فاقشعرت كل شعرة في رأسه وفي جلده ثم قال ندمت على مسئلتي اياك فهل ينجيني من مكاني الذي أنا فيه شئ فقال له خير الملائكة ورأسهم ياموسى اصبر لما سألت فقليل من كثير ما رأيت ثم أمر الله ملائكة السماء الثالثة ان اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه فاقبلوا أمثال النسور لهم نصف ووجف ولجب شديد وافواههم تنبع بالتسبيح والتقديس كلجب الجيش العظيم كلهب النار ففزع موسى وايست نفسه واساء ظنه وايس من الحياة فقال له خير الملائكة ورأسهم مكانك يا ابن عمران حتى ترى مالا تصبر عليه ثم أمر الله ملائكة السماء الرابعة ان اهبطوا فاعترضوا على موسى بن عمران فاقبلوا وهبطوا عليه لايشبههم شئ من الذين مروا به قبلهم ألوانهم كلهب النار وسائر خلقهم كالثلج الابيض أصواتهم عالية بالتسبيح والتقديس لايقاربهم شئ من أصوات الذين مروا به قبلهم فاصطكت ركبتاه وأرعد قلبه واشتد بكاؤه فقال خير الملائكة ورأسهم يا ابن عمران اصبر لما سألت فقليل من كثير ما رأيت ثم أمر الله ملائكة السماء الخامسة ان اهبطوا فاعترضوا على موسى فهبطوا عليه سبعة ألوان فلم يستطع موسى ان يتبعهم طرفه ولم ير مثلهم ولم يسمع مثل أصواتهم وامتلأ جوفه خوفا واشتد حزنه وكثر بكاؤه فقال له خير الملائكة ورأسهم يا ابن عمران مكانك حتى ترى مالا تصبر عليه ثم أمر الله ملائكة السماء السادسة أن اهبطوا على عبدي الذي طلب أن يراني موسى بن عمران واعترضوا عليه فهبطوا عليه في يد كل ملك مثل النخلة الطويلة نارا أشد ضوأ من الشمس ولباسهم كلهب النار اذا سبحوا وقدسوا جاوبهم من كان قبلهم من ملائكة السموات كلهم يقولون بشدة أصواتهم سبوح قدوس رب العزة أبدا لايموت في رأس كل ملك منهم أربعة أوجه فلما رآهم موسى رفع صوته يسبح معهم حين سبحوا وهو يبكي ويقول رب اذكرني ولاتنس عبدك لا أدري أنقلب مما أنا فيه أم لا ان خرجت أحرقت وان مكثت مت فقال له كبير الملائكة ورئيسهم قد أوشكت يا ابن عمران ان يشتد خوفك وينخلع قلبك ويشتد بكاؤك فاصبر للذي جلست لتنظر اليه يا ابن عمران وكان جبل موسى جبلا عظيما فامر الله ان يحمل عرشه ثم قال مروا بي على عبدي ليراني فقليل من كثير ما رأى فانفرج الجبل من عظمة الرب وغشي ضوء عرش الرحمن جبل موسى ورفعت ملائكة السموات أصواتها جميعا فارتج الجبل فاندك وكل شجرة كانت فيه وخر العبد الضعيف موسى بن عمران صعقا على وجهه ليس معه روحه فارسل الله الحياة برحمته فتغشاه

بالنصر والفرج ودمرنا أي أهلكنا والدمار الهلاك ما كان يصنع فرعون وقومه قال ابن عباس يريد المصانع وقال غيره يعني العمارات وبناء القصور ولعله على العموم فيتناول المعاني والاعيان وما كانوا يعرشون من الجنات كقوله وهو الذي أنشأ جنات معروشات وقيل وما كانوا يرفعون من الابنية المشيدة في السماء كصرح هامان وغيره وههنا تمت قصة فرعون والقبط ثم ذكر ماجرى على بني اسرائيل بعد ذلك فقال وجاوزنا ببني اسرائيل البحر روي انه عبر بهم موسى يوم عاشوراء بعد ما أهلك الله فرعون وقومه فصاموا شكرا لله فأتوا على قوم أي فمروا بقوم يعكفون يواظبون على عبادة أصنام لهم قال ابن جريج كانت تماثيل بقر وذلك أول شأن العجل وقيل كانوا قوما من لخم نزلوا بالرقة عن قتادة وقيل كانوا من الكنعانيين الذين أمر موسى بقتالهم قالوا ياموسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة ما كافة للكاف عن العمل ولهذا دخلت على الجملة وكانهم طلبوا من موسى أن يعين لهم أصناما وتماثيل يتقربون بعبادتها الى الله تعالى كقول الكفرة ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فتوجه الذم عليهم لان العبادة نهاية التعظيم سواء اعتقد في المعبود انه مقرب الى الله ونهاية التعظيم لاتليق الا بمن يصدر عنه نهاية الانعام وكان هذا القول لم يصدر من مشاهير بني اسرائيل وعظمائهم كالسبعين المختارين ولكنه صدر عن عوامهم وجهالهم ولهذا قال لهم موسى انكم قوم تجهلون تعجب من قولهم على أثر ما رأوا من الآيات العظمى فوصفهم بالجهل المطلق المؤكد وعن علي رضي الله عنه ان يهوديا قال له اختلفتم بعد نبيكم قبل ان يجف ماؤه فقال علي اختلفنا عنه لافيه ثم قلتم اجعل لنا الها ولما تجف أقدامكم ان هؤلاء عبدة تلك التماثيل متبر أي مكسر مهلك ماهم فيه من قولهم اناء متبر اذا كان فضاضا والتبار الهلاك و باطل ما كانوا يعملون أي يتبر الله أصنامهم ويهدم دينهم الذي هم عليه على يدي فيصير الى الزوال والاضمحلال وفي ايقاع هؤلاء اسما لان وفي تقديم خبر المبتدا من الجملة الواقعة خبرا لان اشارة الى أن عبدة الاصنام ليسوا على شئ البتة وان مصيرهم الى النار لامحالة قال أغير

برجته وقلب الحجر الذى كان عليه وجعله كالمعدة كهيئة القبة لئلا يحترق موسى فاقامه الروح مثل الام أقامت جنينها حين يصرع قال فقام موسى يسبح الله و يقول آمنت انك ربى وصدقت انه لا يراك أحد فيحيا من نظر الى ملائكتك انخلع قلبه فما أعظمك رب وأعظم ملائكتك أنت رب الارباب واله الآلهة وملك الملوك تأمر الجنود الذين عندك فيطيعونك وتأمر السماء وما فيها فتطيعك لا تستنكف من ذلك ولا يعدلك شئ ولا يقوم لك شئ رب تبت اليك الحمد لله الذى لا شريك لك ما أعظمك وأجلك رب العالمين ۞ القول فى تأويل قوله (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا) يقول تعالى ذكره فلما اطلع الرب للجبل جعل الله الجبل دكا أى مستويا بالارض وخر موسى صعقا أى مغشيا عليه وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى الحسن ابن محمد بن عمرو العبقرى قال ثنى أبى قال ثنا اسباط عن السدى عن عكرمة عن ابن عباس فى قول الله فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا قال ما تجلى منه الا قدر الخنصر جعله دكا قال ترابا وخر موسى صعقا قال مغشيا عليه حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط قال زعم السدى عن عكرمة عن ابن عباس انه قال تجلى منه مثل الخنصر فجعل الجبل دكا وخر موسى صعقا فلم يزل صعقا ما شاء الله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وخر موسى صعقا قال مغشيا عليه حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا قال انقعر بعضه على بعض وخر موسى صعقا أى ميتا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج وخر موسى صعقا أى ميتا حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله دكا قال دك بعضه بعضا حدثنى المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك قال سمعت سفيان يقول فى قوله فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا قال ساخ الجبل فى الارض حتى وقع فى البحر فهو يذهب معه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين عن حجاج عن أبى بكر الهذلى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا انقعر فدخل تحت الارض فلا يظهر الى يوم القيامة حدثنا أحمد بن سهيل الواسطى قال ثنا قرة بن عيسى قال ثنا الاعمش عن رجل عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لما تجلى ربه للجبل أشار باصبعه فجعله دكا وأرانا أبو اسمعيل باصبعه السبابة حدثنى المثنى قال ثنى الحجاج بن المنهال قال ثنا حماد عن ثابت عن أنس ان النبى صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا قال هكذا باصبعه ووضع النبى صلى الله عليه وسلم الابهام على المفصل الاعلى من الخنصر فساخ الجبل حدثنى المثنى قال ثنا هدبة بن خالد قال ثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا قال ووضع الابهام قريبا من طرف خنصره قال فساخ الجبل فقال حميد لثابت تقول هذا قال فرفع ثابت يده فضرب صدر حميد قال يقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقوله أنس وأنا أكتمه حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا وذلك ان الجبل حين كشف الغطاء ورأى النور صار مثل دك من الدكات حدثنا الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد عن مجاهد ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرنى انظر اليك قال لن ترانى ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فانه أكبر منك وأشد خلقا فلما تجلى ربه للجبل فنظر الى الجبل لم يتمالك وأقبل الجبل يندك على أوله فلما رأى موسى ما يصنع

الجبل

انه أبغيكم الها انتصب غير على الحال المقدمة التى لو تأخرت كانت صفة كما تقول أبغيكم الها غير الله وانتصب الها على المفعول به قال الواحدى يقال بغيت فلانا شيأ أو بغيته له قال تعالى يبغونكم الفتنة والمعنى أغير المستحق للعبادة أطلب لكم معبودا وهو فضلكم على العالمين خصكم بالنعم الجسام دون أبناء زمانكم ومعنى الهمزة الانكار والتعجب مما اقترحوه مع كونهم مغمورين فى نعم الله فان الاله ليس شيأ يطلب ويجعل بل الاله هو الموجود بنفسه القادر على الايجاد والاعدام والاكرام والانعام والآية الباقية قدم تفسيرها فى البقرة والفائدة فى اعادتها ههنا التعجب والتعجيب من اشتغل بعبادة غير هذا المنعم وانما قيل ههنا يقتلون دون يذبحون ليناسب قوله سنقتل أبناءهم والله أعلم * التأويل وقال الملأ من قوم فرعون من الهوى والغضب والكبر لفرعون النفس أتذر موسى الروح وقومه من القلب والسر والعقل ليفسدوا فى الارض البشرية ويذرك وآلهتك من الدنيا والشيطان والطبع قال فرعون النفس سنقتل أبناءهم يعنى أعمالهم الصالحة نبطلها بالرياء والعجب ونستحيى نساءهم أى الصفات التى عنها يتولد الاعمال وانا فوقهم قاهرون بالمكر والخديعة والحيلة قال موسى الروح لقومه هم القلب والعقل والسر استعينوا بالله واصبروا على جهاد النفس ومخالفتها ومتابعة الحق ان الارض لله أى أرض البشرية يورثها من يشاء من عباده يورث أرض بشرية السعداء الروح وصفاته فتتصف بصفاته ويورث أرض بشرية الاشقياء النفس وصفاتها فتتصف بصفاتها والعاقبة للمتقين يعنى عاقبة الخير والسعادة للاتقياء السعداء بصفاتها أوذينا من قبل أن تأتينا بالواردات الروحانية قبل البلوغ كنا نتأذى من أوصاف البشرية ومعاملاتها ومن بعد ما جئتنا بالواردات والالهامات الروحانية بعد البلوغ نتأذى من دواعى البشرية عسى ربكم أن يهلك عدوكم النفس وصفاتها وفيه اشارة الى أن الواردات الروحانية لا تكفى لافناء النفس وصفاتها ولا بد فى ذلك من تجلى صفات الربوبية فاذا جاءتهم الحسنة الكفرة ولا يرى فضل المنعم وكذا السالك اذا أراد قطيعة على الوصال وقال كانت وكانا ولكن أكثرهم

الجبل خر صعقا واختلفت القراء في قراءة قوله دكا فقرأته عامة قراء أهل المدينة والبصرة دكا مقصورا بالتنوين بمعنى دك الله الجبل دكا أي فتته واعتبارا بقول الله كلا إذا دكت الارض دكا دكا وقوله وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة واستشهد بعضهم على ذلك بقول حميد

يدك أركان الجبال هدمه * تخطر بالبيض الرقاق بهمه

وقرأته عامة قراء الكوفيين جعله دكاء بالمد وترك الجر والتنوين مثل حمراء وسوداء وكان ممن يقرؤه كذلك عكرمة ويقول فيه ما حدثني به أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم بن سلام قال ثنا عباد بن عباد عن يزيد بن حازم عن عكرمة قال دكاء من الدكاوات وقال لما نظر الله تبارك وتعالى الى الجبل صار صخره ترابا واختلف أهل العربية في معناه إذا قرئ كذلك فقال بعض نحويي البصرة العرب تقول ناقة دكاء ليس لها سنام وقال الجبل مذكر فلا يشبه ان يكون منه الا ان يكون جعله مثل دكاء حذف مثل وأجراه مجرى واسأل القرية وكان بعض نحويي الكوفة يقول معنى ذلك جعل الجبل أرضا دكاء ثم حذفت الارض وأقيمت الدكاء مقامها اذا أدت عنها وأولى القراءتين في ذلك بالصواب عندي قراءة من قرأ جعله دكاء بالمد وترك الجر لدلالة الخبر الذي رويناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على صحته وذلك انه روي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال فساخ الجبل ولم يقل فتفتت ولا تحول ترابا ولا شك انه اذا ساخ فذهب ظهر وجه الارض فصار بمنزلة الناقة التي قد ذهب سنامها وصارت دكاء بلا سنام وأما اذا دك بعضه فانما يكسر بعضه بعضا ويتفتت ولا يسوخ وأما الدكاء فانها خلف من الارض فلذلك أتيت على ما قد بينت فمعنى الكلام اذا فلما تجلى ربه للجبل ساخ فجعل مكانه أرضا دكاء وقد بينا معنى الصعق بشواهده فيما مضى بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع ۞ القول في تأويل قوله (فلما أفاق قال سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين) يقول تعالى ذكره فلما ثاب لموسى عليه السلام فهمه من غشيته وذلك هو الافاقة من الصعقة التي خر لها موسى صلى الله عليه وسلم قال سبحانك تنزيها لك يا رب وتبرئة ان يراك أحد في الدنيا ثم يعيش تبت اليك من مسئلتي اياك ما سألتك من الرؤية وأنا أول المؤمنين بك من قومي أن لا يراك في الدنيا أحد الا هلك وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الله ابن موسى عن أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله تبت اليك وأنا أول المؤمنين قال كان قبله مؤمنون ولكن يقول أنا أول من آمن انه لا يراك أحد من خلقك الى يوم القيامة حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قال لما رأى موسى ذلك وأفاق عرف انه قد سأل أمرا لا ينبغي له فقال سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين قال قبل يوم القيامة حدثني عبد الكريم بن الهيثم قال ثنا ابراهيم بن بشار قال قال سفيان قال أبو سعد عن عكرمة عن ابن عباس وخر موسى صعقا فمرت به الملائكة وقد صعق فقالت يا ابن النساء الحيض لقد سألت ربك أمرا عظيما فلما أفاق قال سبحانك لا اله الا أنت تبت اليك وأنا أول المؤمنين قال أنا أول من آمن انه لا يراك أحد من خلقك يعني في الدنيا حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله قال سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين يقول أنا أول من يؤمن انه لا يراك شيء من خلقك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن رجل عن مجاهد سبحانك تبت اليك قال من مسئلتي الرؤية حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال

لا يعلمون لان بصائرهم مسدودة وعقولهم عن شهود الحق مصدودة فارسلنا عليهم الطوفان العلم الكثير والجراد الواردات والقمل والالهامات والضفادع الخواطر والدم أصناف المجاهدات والرياضات مفصلات وقتا بعد وقت وحينا غب حين فاستكبروا عن قبولها وكانوا قوما مجرمين في الازل فلهذا لم يفدهم الوسائط والاسباب ولما وقع عليهم الرجز وهو عذاب القطيعة (٣٥) فأغرقناهم في يم الدنيا وشهواتها وما كانوا يعرشون أي يرفعون بالتجبر والتكبر أنفسهم يقال عرش الطائر اذا ارتفع بجناحيه على من تحته وجاوزنا بصفات القلب من بحر الدنيا وخلصناهم من فرعون النفس فوصلوا الى صفات الروح يعكفون على أصنام لهم من المعاني المعقولة والمعارف الروحانية فاستحسنوها وأرادوا العكوف على عتبة عالم الارواح قال لهم موسى الوارد الرباني عند ركونهم الى الروحانيات انكم قوم تجهلون قدر الله وعنايته فعلم ان هؤلاء يعني صفات الروح متبر ما هم فيه من الركون والعكوف على استحلاء المعاني المعقولة وباطل ما كانوا يعملون في غير طلب الحق والوصول الى المعارف الربانية وهو فضلكم على العالمين من الحيوان والجن والملك بفضيلة المعبود من الجسمانيات والروحانيات والوصول الى المعارف والحقائق الالهيات (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة وقال موسى لاخيه هرون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر اليك قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين قال يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها سأريكم دار الفاسقين سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت أعمالهم

هل يجزون الاما كانوا يعملون واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين ولما سقط فى أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين ولما رجع موسى الى قومه غضبان أسفا قال بئسما خلفتمونى من بعدى أعجلتم أمر ربكم (٣٦) وألقى الالواح وأخذ برأس أخيه يجره اليه قال ابن أم ان القوم استضعفونى وكادوا

ثنا أبو سعد عن مجاهد قال سبحانك تبت اليك ان أسألك الرؤية حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو نعيم عن سفيان عن عيسى بن ميمون عن رجل عن مجاهد سبحانك تبت اليك ان أسألك الرؤية حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن عيسى بن ميمون عن مجاهد فى قوله سبحانك تبت اليك من أن أسألك الرؤية وقال آخرون معناه قوله وأنا أول المؤمنين بك من بنى اسرائيل ذكر من قال ذلك حدثنى الحسن بن عمرو بن محمد العنقزى قال ثنا أبى قال ثنا اسباط عن السدى عن عكرمة عن ابن عباس وأنا أول المؤمنين قال أول من آمن بك من بنى اسرائيل حدثنى موسى بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا اسباط عن السدى عن عكرمة عن ابن عباس وأنا أول المؤمنين يعنى أول المؤمنين من بنى اسرائيل حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله وأنا أول المؤمنين أنا أول قومى ايمانا حدثنا ابن وكيع والمثنى قالا ثنا أبو نعيم عن سفيان عن عيسى بن ميمون عن رجل عن مجاهد وأنا أول المؤمنين يقول أول قومى ايمانا حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وأنا أول المؤمنين قال أنا أول قومى ايمانا حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد قال سمعت مجاهدا يقول فى قوله وأنا أول المؤمنين قال أول قومى آمن وانما اخترنا القول الذى اخترناه فى قوله وأنا أول المؤمنين على قول من قال معناه أنا أول المؤمنين من بنى اسرائيل لانه قد كان قبله فى بنى اسرائيل مؤمنون وأنبياء منهم ولد اسرائيل لصلبه وكانوا مؤمنين وأنبياء فلذلك اخترنا القول الذى قلناه قبل ۞ القول فى تأويل قوله (قال يا موسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين) يقول تعالى ذكره قال الله لموسى يا موسى انى اصطفيتك على الناس يقول اخترتك على الناس برسالاتى الى خلقى أرسلتك بها اليهم وبكلامى كلمتك وناجيتك دون غيرك من خلقى فخذ ما آتيتك يقول فخذ ما أعطيتك من أمرى ونهيى وتمسك به واعمل به من النجوى بطاعتك فى أمره ونهيه والمسارعة الى رضاه ۞ القول فى تأويل قوله (وكتبنا له فى الالواح من كل شئ موعظة وتفصيلا لكل شئ) يقول تعالى ذكره وكتبنا لموسى فى ألواحه وأدخلت الالف واللام فى الالواح بدلا من الاضافة كما قال الشاعر

* والاحلام غير عوازب *

وكما قال جل ثناؤه فان الجنة هى المأوى يعنى هى مأواه وقوله من كل شئ يقول من التذكير والتنبيه على عظمة الله وعز سلطانه موعظة لقومه ومن أمر بالعمل بما كتب فى الالواح وتفصيلا لكل شئ يقول وتبيينا لكل شئ من أمر الله ونهيه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وسعيد بن جبير وهو فى أصل كتابى عن سعيد بن جبير فى قول الله وتفصيلا لكل شئ قال ما أمروا به ونهوا عنه حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بنحوه حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى وكتبنا له فى الالواح من كل شئ موعظة وتفصيلا لكل شئ من الحلال والحرام حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد قال سمعت مجاهدا يقول فى قوله وتفصيلا لكل شئ قال ما أمروا ونهوا عنه حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وكتبنا له فى الالواح من كل شئ موعظة وتفصيلا لكل شئ قال عطية أخبرنى ابن عباس ان

يقتلوننى فلا تشمت بى الاعداء ولا تجعلنى مع القوم الظالمين قال رب اغفر لى ولاخى وأدخلنا فى رحمتك وأنت أرحم الراحمين ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة فى الحياة الدنيا وكذلك نجزى المفترين والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الالواح وفى نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون) القراآت أرنى انظر بسكون الراء وفتح الياء ابن الفليح وزمعة والخزاعى عن البزى الباقون بكسر الراء وسكون الياء دكاء بالمد حمزة وعلى وخلف انى اصطفيتك بفتح ياء المتكلم ابن كثير وأبو عمرو برسالتى على التوحيد أبو جعفر ونافع وابن كثير الآخرون برسالاتى آياتى الذين مرسلة الياء ابن عامر وحمزة الرشد بفتحتين حمزة وعلى وخلف الباقون بضم الراء وسكون الشين من حليهم بفتح الحاء وسكون اللام يعقوب حليهم بالكسرات وتشديد الياء حمزة وعلى الباقون مثله ولكن بضم الحاء ترحمنا ربنا وتغفر لنا بالخطاب والنداء حمزة وعلى وخلف والمفضل الباقون على الغيبة ورفع ربنا على الفاعلية بعدى أعجلتم بفتح الياء أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو وقال ابن أم بكسر الميم ابن عامر وحمزة وعلى وخلف وعاصم غير حفص والمفضل الباقون بفتحها ومثله يا ابن أم فى طه * الوقوف

أربعين ليلة ج للعطف مع اختلاف القائل المفسدين ه ربه لالان ما بعده جواب لما اليك ط فسوف ترانى ج صعقا ج المؤمنين ه الشاكرين ه لكل شئ ج للعدول مع فاء التعقيب باحسنها الفاسقين ه بغير الحق ط بها ج لابتداء شرط آخر لبيان تعارض الاحوال مع العطف سبيلا ج لذلك سبيلا ه غافلين ه أعمالهم ط يعملون ه خوار ط سبيلا

موسى صلى الله عليه وسلم الطيب لما كرب به الموت قال هذا من أجل آدم قد كان الله جعلنا في دار مثوى لانموت فخطأ آدم أنزلنا ههنا فقال الله لموسى ابعث اليك آدم فتخاصمه قال نعم فلما بعث الله آدم ساله موسى فقال أبونا آدم عليهما السلام ياموسى سألت الله ان يبعثني لك قال موسى لولا أنت لم نكن هاهنا قال آدم أليس قد آتاك الله من كل شئ موعظة وتفصيلا أفلست تعلم انه ما أصاب في الارض من مصيبة ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها قال موسى بلى فخصمه آدم صلى الله عليهما حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن عبد الصمد بن معقل انه سمع وهبا يقول في قوله وكتبنا له في الالواح من كل شئ موعظة وتفصيلا لكل شئ قال كتب له لا تشرك بي شيأ من أهل السماء ولا من أهل الارض فان كل ذلك خلقي لا تحلف باسمي كاذبا فان من حلف باسمي كاذبا فلا أزكيه ووقر والديك القول في تأويل قوله (فخذها بقوة) يقول تعالى ذكره وقلنا لموسى اذ كتبنا له في الالواح والمراد ما فيها واختلف أهل التأويل في معنى القوة في هذا الموضع فقال بعضهم معناها بجد ذكر من قال ذلك حدثني عبد الكريم قال ثنا ابراهيم بن بشار قال ثنا ابن عيينة قال قال أبو سعد عن عكرمة عن ابن عباس فخذها بقوة قال بجد حدثني موسى قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا اسباط عن السدى فخذها بقوة قال بجد واجتهاد وقال آخرون معنى ذلك فخذها بالطاعة لله ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن سعد قال أخبرنا أبو جعفر عن الربيع بن أنس في قوله فخذها بقوة قال بالطاعة وقد بينا معنى ذلك بشواهده واختلاف أهل التأويل فيه في سورة البقرة عند قوله خذوا ما آتيناكم بقوة فأغنى ذلك عن اعادته في هذا الموضع القول في تأويل قوله (وأمر قومك يأخذوا بأحسنها) يقول تعالى ذكره قلنا لموسى وأمر قومك بني اسرائيل يأخذوا بأحسنها يقول يعملوا بأحسن ما يجدون فيها كما حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى وأمر قومك يأخذوا بأحسنها بأحسن ما يجدون فيها حدثني عبد الكريم قال ثنا ابراهيم قال ثنا سفيان قال ثنا سعد عن عكرمة عن ابن عباس وأمر قومك يأخذوا بأحسنها قال أمر موسى ان يأخذها بأشد مما أمر به قومه فان قال قائل وما معنى قوله وأمر قومك يأخذوا بأحسنها أكان من خصالهم ترك بعض ما فيها من الحسن قيل لا ولكن كان فيها أمر ونهى فأمرهم الله ان يعملوا بما أمرهم بعمله ويتركوا ما نهاهم عنه فالعمل بالمأمور به أحسن من العمل بالمنهى عنه القول في تأويل قوله (سأريكم دار الفاسقين) يقول تعالى ذكره لموسى اذ كتبنا له الالواح من كل شئ خذها بجد في العمل بما فيها واجتهاد وأمر قومك يأخذوا بأحسن ما فيها وانههم عن تضييعها وتضييع العمل بما فيها والشرك بي فان من أشرك بي منهم ومن غيرهم فاني سأريه في الآخرة عند مصيره دار الفاسقين وهي نار الله التي أعدها لاعدائه وانما قال سأريكم دار الفاسقين كما يقول القائل لمن يخاطبه سأريك غدا الى ما يصير اليه حال من خالف أمرى على وجه التهديد والوعيد لمن عصاه وخالف أمره وقد اختلف أهل التأويل في معنى ذلك فقال بعضهم بنحو ما قلنا في ذلك ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثني عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله سأريكم دار الفاسقين قال مصيرهم في الآخرة حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني المثنى قال ثنا مسلم قال ثنا مبارك عن الحسن في قوله سأريكم دار الفاسقين قال جهنم

• لئلا تصير الجملة صفة السبيل فان الهاء ضمير العجل ظالمين • ضلوا ج لان ما بعده جواب الخاسرين • أسفا ج لما ربعدي ج للابتداء بالاستفهام مع اتحاد القائل أمر ربكم ج لان قوله وألقى معطوف على قوله قال بئسما وقد اعترض بينهما استفهام اليه ط يقتلونني ط ز صلى والوصل أولى لان الفاء للجواب أي اذا هم هموا بقتلي فلا تشمتهم بضربي (٢٧) الظالمين • في رحمتك ز صلى الاولى ان يوصل لان الواو للحال تحسينا للدعاء بالثناء الراحمين • الدنيا ط المفترين • وآمنوا ج لظاهر ان والوجه الوصل لان بعده خبر والعائد محذوف والتقدير ان ربك من بعد توبتهم لغفور لهم رحيم • الالواح ج صلى لاحتمال ما بعده الحال يرهبون • * التفسير لما أهلك الله سبحانه أعداء بني اسرائيل سأل موسى ربه ان يؤتيه الكتاب الذي وعده فأمره بصوم ثلاثين وهو شهر ذي القعدة فلما أتم الثلاثين أنكر من نفسه خلوف الفم فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فافسدتها بالسواك فأوحى الله تعالى اليه أما علمت ان خلوف فم الصائم أطيب عندي من ريح المسك فأمره الله ان يزيد عليها عشرة أيام من ذي الحجة لهذا السبب وقيل فائدة التفصيل انه تعالى أمره بصوم ثلاثين وان يعمل فيها ما يقربه من الله ثم أنزلت عليه التوراة في العشرة وكلم فيها وقال أبو مسلم الاصفهاني من الجائز أن يكون موسى عند تمام الثلاثين بادر الى ميقات ربه قبل قومه بدليل قوله في ط وما أعجلك عن قومك ياموسى فلما أعلمه الله تعالى خبر قومه مع السامرى رجع الى قومه ثم عاد الى الميقات في عشرة أخرى فتم أربعون ليلة وقيل لا يمتنع أن يكون الوعد الاول لحضرة موسى وحده والوعد الثاني لحضرة المختارين معه ليسمعوا الكلام ومن فوائد الفذلكة في قوله فتم ميقات ربه أربعين ليلة ازالة وهم من يتوهم ان الميقات كان عشرين ثم أتمه بعشر فصار ثلاثين والفرق بين الميقات والوقت ان الميقات ما قدر فيه عمل من الاعمال والوقت وقت الشئ قدره مقدر أم لا وانتصب أربعين على الحال أي تم بالغا هذا العدد وهرون عطف بيان لاخيه وقرئ بالضم على النداء اخلفني في قومي كن خليفتي فيهم وأصلح كن مصلحا أو وأصلح

وقال آخرون معنى ذلك سأدخلكم أرض الشام فأريكم منازل الكافرين الذين هم سكانها من الجبابرة والعمالقة ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة سأريكم دار الفاسقين منازلهم **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة دار الفاسقين منازلهم وقال آخرون معنى ذلك سأريكم دار قوم فرعون وهى مصر ذكر من قال ذلك ٧ وانما اخترنا القول الذى اخترناه فى تأويل ذلك لان الذى قبل قوله جل ثناؤه سأريكم دار الفاسقين أمر من الله لموسى وقومه بالعمل بما فى التوراة فأولى الامور بحكمة الله تعالى ان يختم ذلك بالوعيد على من ضيعه وفرط فى العمل لله وحاد عن سبيله دون الخبر عما قد انقطع الخبر عنه أو عما لم يجر له ذكر ﴿القول فى تأويل قوله (سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق) اختلف أهل التأويل فى معنى ذلك فقال بعضهم معناه سأنزع عنهم فهم الكتاب ذكر من قال ذلك **حدثنا** أحمد بن منصور المروزى قال ثنى محمد بن عبد الله بن بكر قال سمعت ابن عيينة يقول فى قول الله سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق قال يقول أنزع عنهم فهم القرآن فأصرفه عن آياتى وتأويل ابن عيينة هذا يدل على ان هذا الكلام كان عنده من الله وعيدا لاهل الكفر بالله ممن بعث اليه نبينا صلى الله عليه وسلم دون قوم موسى لان القرآن انما أنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم دون موسى عليه السلام وقال آخرون فى ذلك معناه سأصرفهم عن الاعتبار بالحجج ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج سأصرف عن آياتى عن خلق السموات والارض والآيات فيها سأصرفهم عن ان يتفكروا فيها ويعتبروا وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب ان يقال ان الله أخبر انه سيصرف عن آياته وهى أدلته وأعلامه على حقيقة ما أمر به عباده وفرض عليهم من طاعته فى توحيده وعدله وغير ذلك من فرائضه والسموات والارض وكل موجود من خلقه فمن آياته والقرآن أيضا من آياته وقد عم بالخبر انه يصرف عن آياته المتكبرين فى الارض بغير الحق وهم الذين حقت عليهم كلمة الله انهم لا يؤمنون فهم عن فهم جميع آياته والاعتبار والادكار بها مصروفون لانهم لو وفقوا لفهم بعض ذلك فهدوا للاعتبار به اتعظوا وأنابوا الى الحق وذلك غير كائن منهم لانه جل ثناؤه قال وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها فلا تبديل لكلمات الله ﴿القول فى تأويل قوله (وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين) يقول تعالى ذكره وان يروا هؤلاء الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق وتكبرهم فيها بغير الحق تجبرهم فيها واستكبارهم عن الايمان بالله ورسله والاذعان لامره ونهيه وهم لله عبيد يغذوهم بنعمته ويريح عليهم رزقه بكرة وعشيا كل آية يقول كل حجة لله على وحدانيته وربوبيته وكل دلالة على انه لا تنبغى العبادة الا له خالصة دون غيره لا يؤمنوا بها يقول لا يصدقوا بتلك الآية انها دلالة على ما هى فيه حجة ولكنهم يقولون هى سحر وكذب وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا يقول وان يروا هؤلاء الذين وصف صفتهم طريق الهدى والسداد الذى ان سلكوه نجوا من الهلكة والعطب وصاروا الى نعيم الابد لا يسلكوه ولا يتخذوه لانفسهم طريقا جهلا منهم وحيرة وان يروا سبيل الغى يقول وان يروا طريق الهلاك الذى ان سلكوه ضلوا وهلكوا وقد بينا معنى الغى فيما مضى قبل بما

٧ بياض بالاصل

لما يجب ان يصلح من أمور بنى اسرائيل ومن دعاك الى الافساد فلا تتبعه وانما جعله خليفة مع انه شريكه فى النبوة بدليل واشركه فى أمرى والشريك أعلى حالا من الخليفة لان نبوة موسى كانت بالاصالة ونبوة هرون بتبعيته فكأنه خليفته ووزيره وانما أوصاه بالاصلاح تأكيدا واطمئنانا والا فالنبى لا يفعل الا الاصلاح (٣٨) ولما جاء موسى لميقاتنا اللام بمعنى الاختصاص كانه قيل اختص مجيئه بوقتنا الذى حددنا له كما يقال أتيته لعشر خلون من شهر كذا وكلمه ربه للناس فى كلام الله مذاهب فقيل عبارة عن هذه الحروف المؤلفة المنتظمة وقيل صفة حقيقية مخالفة للحروف والاصوات وعلى الاول فمحل تلك الحروف والاصوات هو ذات الله تعالى وهو قول الكرامية أو جسم مغاير كالشجرة ونحوها وهو قول المعتزلة وعلى الثانى فالاشعرية قالوا ان موسى عليه السلام سمع تلك الصفة الازلية لانه كما لا يتعذر رؤيته عندنا مع انه ليس بجسم ولا عرض فكذا لا يمتنع سماع كلامه مع انه ليس بحرف ولا صوت وقال أبو منصور الماتريدى الذى سمعه موسى عليه السلام أصوات مقطعة وحروف مؤلفة قائمة بالشجرة واختلف العلماء أيضا فى ان الله تعالى كلم موسى وحده لظاهر الآية أو مع السبعين المختارين وهو قول القاضى لان تكليم الله موسى معجز وقد تقدمت نبوة موسى فلا بد من ظهور هذا المعنى لغيره قال رب أرنى أنظر اليك أى أرنى نفسك واجعلنى متمكنا من رؤيتك فانظر اليك وأراك عن ابن عباس ان موسى عليه السلام جاء ومعه السبعون وصعد الجبل وبقى السبعون فى أسفل الجبل وكلم الله موسى وكتب له فى الالواح كتابا وقربه نجيا فلما سمع صرير القلم عظم شوقه فقال رب أرنى أنظر اليك قالت الاشاعرة ان موسى سأل الرؤية وانه عارف بما يجب ويجوز ويمتنع على الله تعالى فلو كانت الرؤية ممتنعة لما سألها قال القاضى اعى المحصلين من العلماء فى هذا المقام أقوال أحدها قول الحسن وغيره ان موسى ما عرف ان الرؤية غير جائزة على الله تعالى وهذا لا يقدح فى معرفته لان العلم بامتناع الرؤية وجوازها لا يبعد ان يكون موقوفا على السمع وزيف بانه يلزم أن يكون موسى أدون حالا من علماء المعتزلة

أغنى عن اعادته يتخذوه سبيلا يقول يسلكوه ويجعلوه لانفسهم طريقا لصرف الله اياهم عن آياته وطبعه على قلوبهم فهم لا يفلحون ولا ينجعون ذلك بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين يقول تعالى ذكره صرفناهم عن آياتنا ان يعقلوها ويفهموها فيعتبروا بها ويذكروا فينيبوا عقوبة منا لهم على تكذيبهم بآياتنا وكانوا عنها غافلين يقول وكانوا عن آياتنا وأدلتنا الشاهدة على حقيقة ما أمرناهم به ونهيناهم عنه غافلين لا يتفكرون فيها لاهين عنها لا يعتبرون بها فحق عليهم حينئذ قول ربنا فعطبوا واختلف القراء في قوله الرشد فقرأ ذلك عامة قراء المدينة وبعض المكيين وبعض البصريين الرشد بضم الراء وتسكين الشين وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة وبعض المكيين الرشد بفتح الراء والشين ثم اختلف أهل المعرفة بكلام العرب في معنى ذلك اذا ضمت راؤه وسكنت شينه وفيه اذا فتحتا جميعا فذكر عن أبي عمرو بن العلاء انه كان يقول معناه اذا ضمت راؤه وسكنت شينه الصلاح كما قال الله فان آنستم منهم رشدا بمعنى صلاحا وكذلك كان يقرؤه وهو ومعناه اذا فتحت راؤه وشينه الرشد في الدين كما قال جل ثناؤه تعلمني مما علمت رشدا بمعنى الاستقامة والصواب في الدين وكان الكسائي يقول هما لغتان بمعنى واحد مثل السقم والسقم والحزن والحزن وكذلك الرشد والرشد ❊ والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال انهما قراءتان مستفيضة القراءة بهما في قراءة الامصار متفقتا المعنى فبايتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب بها ۞ القول في تاويل قوله (والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت أعمالهم هل يجزون الا ما كانوا يعملون) يقول تعالى ذكره هؤلاء المستكبرون في الارض بغير الحق وكل مكذب حجج الله ورسله وآياته وجاحد انه يوم القيامة مبعوث بعد مماته ومنكر لقاء الله في آخرته ذهبت أعمالهم فبطلت وحصلت لهم أوزارها فثبتت لانهم عملوا لغير الله واتعبوا أنفسهم في غير ما يرضى الله فصارت أعمالهم عليهم وبالا يقول الله جل ثناؤه هل يجزون الا ما كانوا يعملون يقول هل ينالون الا ثواب ما كانوا يعملون فصار ثواب أعمالهم الخلود في نار احاط بهم سرادقها اذ كانت أعمالهم في طاعة الشيطان دون طاعة الرحمن نعوذ بالله من غضبه وقد بينا معنى الحبوط والجزاء والآخرة فيما مضى بما أغنى عن اعادته ۞ القول في تاويل قوله (واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ألم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين) يقول تعالى ذكره واتخذ بنو اسرائيل قوم موسى من بعد ما فارقهم موسى ماضيا الى ربه لمناجاته ووفاء للوعد الذي كان ربه وعده من حليهم عجلا وهو ولد البقرة فعبدوه ثم بين تعالى ذكره ما ذلك العجل فقال جسدا له خوار والخوار صوت البقر يخبر جل ذكره عنهم انهم ضلوا بما لا يضل بمثله أهل العقل وذلك ان الرب جل جلاله الذي له ملك السموات والارض ومدبر ذلك لا يجوز أن يكون جسدا له خوار لا يكلم أحدا ولا يرشد الى خير وقال هؤلاء الذين قص الله قصصهم لذلك هذا الهنا واله موسى فعكفوا عليه يعبدونه جهلا منهم وذهابا على الله وضلالا وقد بينا سبب عبادتهم اياه وكيف كان اتخاذ من اتخذ منهم العجل فيما مضى بما أغنى عن اعادته وفي الحلي لغتان ضم الحاء وهو الاصل وكسرها وكذلك ذلك في كل ما شاكله من مثل صلي وجثي وعتي وبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب لاستفاضة القراءة بهما في القراءة لا تفارق بين معنييهما وقوله ألم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا يقول ألم ير الذين عكفوا على العجل الذي اتخذوه من حليهم يعبدونه أن العجل لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا يقول ولا يرشدهم الى طريق وليس ذلك من صفة ربهم الذي له العبادة حقا بل صفته انه يكلم أنبياءه ورسله ويرشد خلقه

العالمين بامتناع الرؤية على الله تعالى وبانهم يدعون العلم الضروري بان كل ما كان مرئيا فانه يجب أن يكون مقابلا أو في حكم المقابل فلو لم يكن هذا العلم حاصلا لموسى كان ناقص العقل وهو محال وان كان حاصلا وجوز موسى عليه المقابلة كان كفرا وهو أيضا محال وثانيها طريقة أبي علي وأبي هاشم ان موسى عليه السلام سأل الرؤية عن لسان قومه فقد كانوا يكررون المسئلة عليه بقولهم لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة وزيف بانه لو كان كذلك لقال موسى أرهم ينظروا اليك ولقال الله لن يروني وبانه لو كان محالا لمنعهم كما منعهم لما قالوا اجعل لنا الها وبان ذكر الدليل القاطع في هذا المقام فرض مضيق فلم يمكن تاخيره مع انهم لو كانوا مقرين بنبوة موسى كفاهم في الامتناع عن السؤال قول موسى والا فلا انتفاع لهم بهذا الجواب فان لهم ان يقولوا لا نسلم ان هذا المنع من الله بل هذا مما افتريته على الله وثالثها وهو اختيار أبي القاسم الكعبي ان موسى سأل ربه المعرفة الضرورية بحيث تزول عندها الخواطر والوساوس كما في معرفة أهل الآخرة وردبانه تعالى أراه من الآيات كالعصا واليد وغيرهما الا غاية بعدها فكيف يليق به ان يقول أظهر لي آية تدل على انك موجود ولو فرض انه لائق بحال موسى فلم منعه الله تعالى عن ذلك وللقائل أن يقول منعه في الدنيا لحكمة علمها الله تعالى ولا يلزم منه المنع في الآخرة ورابعها وهو قول أبي بكر الاصم ان موسى أراد تاكيد الدليل العقلي بالدليل السمعي وتعاضد الدلائل أمر مطلوب للعقلاء وضعف بانه كان الواجب عليه حينئذ ان يقول أريد يا الهي ان يقوى امتناع رؤيتك بوجوه زائدة على ما ظهر في عقلي وللقائل أن يقول هذا تعيين الطريق وفي الآية سؤال وهو انه تعالى لم قال لن تراني دون لن تنظر الى ليناسب قوله انظر اليك والجواب لان موسى لم يطلب النظر المطلق وانما طلب النظر الذي معه الادراك بدليل أرني ومن حجج الاشاعرة أنه تعالى علق رؤيته على أمر جائز وهو استقرار الجبل والمعلق على الجائز جائز وردبانه علق حصول الرؤية على استقرار الجبل حال حركته بدليل قوله ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه أي في وقت النظر وعقيبه واستقرار الجبل حال حركته محال ومضى

الى سبيل الخير و ينهاهم عن سبيل المهالك والردى يقول الله جل ثناؤه اتخذوه أى اتخذوا العجل الها وكانوا باتخاذهم اياه ربا معبودا ظالمين لانفسهم لعبادتهم غير من له العبادة واضافتهم الالوهة الى غير الذى له الالوهة وقد بينا معنى الظلم فيما مضى بما أغنى عن اعادته ۞ القول فى تاويل قوله (ولما سقط فى أيديهم ورأوا انهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين) يعنى تعالى ذكره بقوله ولما سقط فى أيديهم ولما ندم الذين عبدوا العجل الذى وصف جل ثناؤه صفته عند رجوع موسى اليهم واستسلموا لموسى وحكمه فيهم وكذلك تقول العرب لكل نادم على أمر فات منه أو سلف وعاجز عن شئ قد سقط فى يديه واسقط لغتان فصيحتان وأصله من الاستئسار وذلك ان يضرب الرجل الرجل أو يصرعه فيرمى به من يديه الى الارض ليأسره فيكتفه فالمرمى به مسقوط فى يدى الساقط به فقيل لكل عاجز عن شئ ومصارع لعجزه متندم على ما فاته سقط فى يديه واسقط وعنى بقوله ورأوا انهم قد ضلوا ورأوا انهم قد جاروا عن قصد السبيل وذهبوا عن دين الله وكفروا بربهم قالوا تائبين الى الله منيبين اليه من كفرهم به لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين ثم اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأه بعض قراء أهل المدينة ومكة والكوفة والبصرة لئن لم يرحمنا ربنا بالرفع على وجه الخبر وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة لئن لم ترحمنا ربنا بالنصب بتأويل لئن لم ترحمنا يا ربنا على وجه الخطاب منهم لربهم واعتل قارئو ذلك كذلك بانه فى احدى القراءتين قالوا لئن لم ترحمنا ربنا وتغفر لنا وذلك دليل على الخطاب والذى هو أولى بالصواب من القراءة فى ذلك القراءة على وجه الخبر بالياء فى يرحمنا وبالرفع فى قوله ربنا لانه لم يتقدم ذلك ما يوجب ان يكون موجها الى الخطاب والقراءة التى حكيت على ما ذكرنا من قراءتها قالوا ربنا لئن لم ترحمنا لا نعرف صحتها من الوجه الذى يجب التسليم اليه ومعنى قوله لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الهالكين الذين حبطت أعمالهم ۞ القول فى تاويل قوله (ولما رجع موسى الى قومه غضبان أسفا قال بئسما خلفتمونى من بعدى أعجلتم أمر ربكم) يقول ولما رجع موسى الى قومه من بنى اسرائيل رجع غضبان أسفا لان الله كان قد أخبره انه قد فتن قومه وان السامرى قد أضلهم فكان رجوعه غضبان أسفا لذلك والاسف شدة الغضب والتغيظ على من أغضبه كما حدثنى عمران بن بكار الكلاعى قال ثنا عبد السلام بن محمد الحضرمى قال ثنى شريح ابن يزيد قال سمعت نصر بن علقمة يقول قال أبو الدرداء قول الله غضبان أسفا قال الاسف منزلة وراء الغضب أشد من ذلك وتفسير ذلك فى كتاب الله ذهب الى قومه غضبان وذهب أسفا وقال آخرون فى ذلك ما حدثنى موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى أسفا قال حزينا حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس ولما رجع موسى الى قومه غضبان أسفا يقول أسفا حزينا وقال فى الزخرف فلما آسفونا يقول أغضبونا والاسف على وجهين الغضب والحزن حدثنا نصر بن على قال ثنا سليمان بن سليمان قال ثنا مالك بن دينار قال سمعت الحسن يقول فى قوله ولما رجع موسى الى قومه غضبان أسفا قال غضبان حزينا وقوله قال بئسما خلفتمونى من بعدى يقول بئس الفعل فعلتم بعد فراقى اياكم وأوليتمونى فيمن خلفت ورائى من قومى فيكم ودينى الذى أمركم به ربكم يقال منه خلفه بخير وخلفه بشر اذا أولاه فى أهله أو قومه ومن كان منه بسبيل من بعد شخوصه عنهم خيرا او شرا وقوله أعجلتم أمر ربكم يقول أسبقتم أمر ربكم فى نفوسكم وذهبتم عنه يقال منه عجل فلان هذا الامر اذا سبقه وعجل فلان فلانا اذا سبقه

قوله فلما تجلى ربه أى ظهر ...
مصدر بمعنى مفعول والدك والدق اخوان ومن قرأ بالمد اداد أرضا دكاء مستوية ومنه ناقة دكاء متواضعة السنام والدكاء أيضا اسم للرابية الناشزة من الارض كالدكة والغرض من الجميع (٤٠) تعظيم شأن الرؤية وان أحدا لا يقوى على ذلك الا بتقوية الله وتأييده وقالت المعتزلة الرؤية أمر محال لقوله لن ترانى وكلمة لن ان لم تفد التأبيد فلا أقل من التأكيد وأيضا الاستدراك فى قوله ولكن انظر معناه ان النظر الى محال فلا تطلبه ولكن عليك بنظر آخر الى الجبل لتشاهد تدكك أجزائه وتفرق ابعاضه من عظمة التجلى واذا لم يطق الجماد ذلك فكيف الانسان قالت الاشاعرة ههنا لم يبعد ان يخلق الله تعالى حينئذ فى الجبل حياة وعقلا وفهما ورؤية وأيضا قوله وخر موسى صعقا أى مغشيا عليه غشية كالموت دليل استحالة الرؤية على الانبياء فضلا عن غيرهم روى ان الملائكة مرت عليه وهو مغشى عليه فجعلوا يلكزونه بارجلهم يقولون يا ابن النساء الحيض أطمعت فى رؤية رب العزة وأيضا قوله بعد الافاقة من الصعقة سبحانك أنزهك عما لا يليق بك من جواز الرؤية عليك انى تبت اليك من طلب الرؤية بغير اذن منك وان كان لغرض صحيح هو تنبيه القوم على استحالة ذلك بنص من عندك وأنا أول المؤمنين بانك لست بمرئى ولا مدرك بشئ من الحواس وقالت الاشاعرة وأنا أول المؤمنين بانك لا ترى فى الدنيا أو بانه لا يجوز السؤال منك الا باذنك ثم لما سأل الرؤية ومنعه الله اياها أخذ فى تعداد سائر نعمه عليه وأمره ان يشتغل بشكرها فقال يا موسى انى اصطفيتك الآية والمقصود تسلية موسى عن منع الرؤية قيل وفى هذا دليل على جواز الرؤية اذ لولاه لم يكن الى هذا العذر حاجة وانما قال اصطفيتك على الناس ولم يقل على الخلق لان الملائكة قد تسمع كلام الله تعالى من غير واسطة كما سمعه موسى والغرض انه تعالى خصه من دون الناس بمجموع أمرين الرسالة ولا

ولا تعجلني يافلان لاتذهب عني وأعجلته استحييته ﴿القول في تأويل قوله (وألقى الالواح واخذ برأس أخيه يجره اليه قال ابن أم ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني) يقول تعالى ذكره وألقى موسى الالواح ثم اختلف أهل العلم في سبب القائه اياها فقال بعضهم ألقاها غضبا على قومه الذين عبدوا العجل ذكر من قال ذلك حدثنا تميم بن المنتصر قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا الاصبغ بن زيد عن القاسم بن أبي أيوب قال ثني سعيد بن جبير قال قال ابن عباس لما رجع موسى الى قومه غضبان أسفا فاخذ برأس أخيه يجر اليه وألقى الالواح من الغضب وحدثني عبد الكريم قال ثنا ابراهيم بن بشار قال ثنا ابن عيينة قال قال أبو سعد عن عكرمة عن ابن عباس قال لما رجع موسى الى قومه وكان قريبا منهم سمع أصواتهم فقال اني لاسمع أصوات قوم لاهين فلما عاينهم وقد عكفوا على العجل ألقى الالواح فكسرها وأخذ برأس أخيه يجره اليه حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي قال أخذ موسى الالواح ثم رجع موسى الى قومه غضبان أسفا فقال ياقوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا الى قوله فكذلك ألقى السامري فالقى موسى الالواح واخذ برأس أخيه يجره اليه قال يا ابن أم لا تاخذ بلحيتي ولا برأسي حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال لما انتهى موسى الى قومه فرأى ماهم عليه من عبادة العجل ألقى الالواح من يده ثم أخذ برأس أخيه ولحيته ويقول مامنعك اذ رأيتهم ضلوا الا تتبعني أفعصيت أمري وقال آخرون انما ألقى موسى الالواح لفضائل أصابها فيها لغير قومه فاشتد ذلك عليه ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أخذ الالواح قال رب اني أجد في الالواح أمة خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر اجعلهم امتي قال تلك امة أحمد قال يارب اني أجد في الالواح امة هم الآخرون أي آخرون في الخلق السابقون في دخول الجنة رب اجعلهم امتي قال تلك امة أحمد قال رب اني أجد في الالواح امة اناجيلهم في صدورهم يقرؤنها وكان من قبلهم يقرؤن كتابهم نظرا حتى اذا رفعوها لم يحفظوا شيأ ولم يعرفوه وان الله أعطاكم أيتها الامة من الحفظ شيأ لم يعط أحدا من الامم قال رب اجعلهم امتي قال تلك امة أحمد قال رب اني أجد في الالواح امة يؤمنون بالكتاب الاول وبالكتاب الآخر ويقاتلون فصول الضلالة حتى يقاتلوا الاعور الكذاب فاجعلهم امتي قال تلك أمة أحمد قال رب اني أجد في الالواح امة صدقاتهم يأكلونها في بطونهم ثم يؤجرون عليها وكان من قبلكم اذا تصدق بصدقة فقبلت منه بعث الله عليها نارا فأكلتها وان ردت عليه تركت فأكلها الطير والسباع وان الله أخذ صدقاتكم من غنيكم لفقيركم قال تلك امة أحمد قال رب اني أجد في الالواح امة اذا هم أحدهم بحسنة ثم لم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشر امثالها الى سبعمائة رب اجعلهم امتي قال تلك امة أحمد قال رب اني أجد في الالواح امة اذا هم أحدهم بسيئة لم تكتب عليه حتى يعملها فاذا عملها كتبت عليه سيئة واحدة فاجعلهم امتي قال تلك امة أحمد قال رب اني أجد في الالواح امة هم المستجيبون والمستجاب لهم فاجعلهم امتي قال تلك امة أحمد قال رب اني أجد في الالواح امة هم المشفعون والمشفوع لهم فاجعلهم امتي قال تلك امة أحمد قال ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم نبذ الالواح وقال اللهم اجعلني من امة أحمد قال فاعطي نبي الله موسى ثنتين لم يعطهما نبي قال الله ياموسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي قال فرضي نبي الله ثم أعطي الثانية ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون قال فرضي نبي الله صلى الله عليه وسلم كل الرضا حدثني محمد بن عبد الاعلى قال ثنا

والكلام وسائر الرسل لهم الرسالة فقط وانما كان الكلام بالاوسط سببا للتشريف بناء على العرف الظاهر وقد جاء في المائة لناشستان بين من اتخذه الملك لنفسه حبيبا وقربه اليه بلطفه تقريبا وبين من ضرب له الحجاب وحال بينه وبين المقصود بواب ونواب والمراد بالرسالات ههنا أسفار التوراة فخذ ما آتيتك من شرف الرسالة والكلام وكن من الشاكرين لله . (٤١) على ذلك بان تشتغل بلوازمها علما وعملا ثم فصل تلك الرسالة فقال وكتبنا له في الالواح قيل خر موسى صعقا يوم عرفة واعطاه الله التوراة يوم النحر وذكروا في عدد الالواح وفي جوهرها وطولها انها كانت عشرة الواح وقيل سبعة وقيل لوحين وانها كانت من زمرد جاء بها جبرائيل وقيل من زبرجدة خضراء وياقوتة حمراء وقيل كانت من خشب نزلت من السماء وعن وهب انها كانت من صخرة صماء لينها الله تعالى لموسى فقطعها بيده وشققها باصابعه وقيل طولها كان عشرة أذرع والتحقيق ان امثال هذه يحتاج الى النقل الصحيح والا وجب السكوت عنه اذ ليس في الآية ما يدل على ذلك وأما كيفية تلك الكتابة فقال ابن جريج كتبها جبرائيل بالقلم الذي كتب به الذكر واستمد من نهر النور وحكم هذا النقل أيضا كما قلنا من كل شئ مفعول كتبنا ومن للتبعيض نحو أخذت من الدراهم وموعظة وتفصيلا بدل منه فيدخل في الموعظة كل ما يوجب الرغبة في الطاعة والنفرة عن المعصية وذلك بذكر الوعد والوعيد وأراد بالتفصيل تبيين كل ما يحتاج اليه بنو اسرائيل من أقسام الاحكام ويجوز أن يكون موعظة وتفصيلا مفعولين لكتبنا والتقدير وكتبنا في الالواح موعظة من كل شئ وتفصيلا لكل شئ قيل انزلت التوراة وهي سبعون وقر بعير يقرأ الجزء منه في سنة لم يقرأها الا أربعة نفر موسى ويوشع وعزير وعيسى وعن مقاتل كتب في الالواح اني أنا الله الرحمن الرحيم لاتشركوا بي شيأ ولا تقطعوا السبيل ولا تحلفوا باسمي كاذبا فان من حلف باسمي كاذبا فلا أزكيه ولا تزنوا ولا تقتلوا ولا تعقوا الوالدين فخذها على ارادة القول أي وكتبنا فقلنا له خذها أو بدل من قوله فخذ ما آتيتك والضمير للالواح أو لكل شئ لانه في معنى الاشياء أو للرسالات أو

التوراة بقوة بجد وعزيمة فعل أولي العزم من الرسل وامر قومك يأخذوا باحسنها سئل ههنا انه لما تعبد بكل ما في التوراة وجب كون الكل مامورا به فظاهر قوله يأخذوا باحسنها يقتضي ان فيه ما ليس باحسن ولا يجوز لهم الاخذ به وأجاب العلماء بوجوه منها ان تلك التكاليف منها ماهو حسن ومنها ماهو أحسن كالاقتصاص (٤٢) والعفو والانتصار والصبر فمرهم أن يأخذوا بما هو أدخل في الحسن وأكثر للثواب فيكون كقوله واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم وكقوله الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه وقال قطرب الاحسن بمعنى الحسن وكلها حسن وقيل الحسن يشمل الواجب والمندوب والمباح والاحسن الواجب والمندوب وقال في الكشاف يجوز أن يراد يأخذوا بما أمروا به دون ما نهوا عنه كقولهم الصيف أحر من الشتاء ثم ختم الآية بالوعيد والتهديد فقال سأريكم دار الفاسقين قال ابن عباس والحسن ومجاهد يعني جهنم أي ليكن ذكر جهنم حاضرا في أذهانكم لتحذروا ان تكونوا منهم وعن قتادة يريد مواطن الجبابرة والفراعنة الخاوية بالشام ومصر ليعتبروا بذلك فلا يفسقوا مثل فسقهم فيصيبهم مثل ما أصابهم وقال الكلبي هي منازل عاد وثمود وأقرانهم يمرون عليها في اسفارهم وقيل المراد الوعد والبشارة بان الله تعالى سيرزقهم أرض أعدائهم ويؤيده ما قرئ ساورثكم وقوله وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون ثم ذكر ما يفعله بالفاسقين المتكبرين فقال سأصرف عن آياتي الآية فاحتجت الاشاعرة بها على انه تعالى قد يمنع عن الايمان ويصرف عنه وقال الجبائي قوله سأصرف للاستقبال والمصروفون موصوفون بالتكبر والانحراف عن الطريق المستقيم في الزمان الماضي فعلم ان المراد من هذا الصرف ليس هو الكفر وأيضا الصرف مذكور على وجه العقوبة على التكبر والاعتساف ولا تكون العقوبة عين المعاقب عليه فوجب تأويل الآية فقال الكعبي وأبو مسلم الاصفهاني ان هذا الكلام تمام ما أوعد الله به موسى من الكفرة والعصاة أي أصرفهم عن آياتي فلا يقدرون على منعك من تبليغها كما قال في حق نبينا صلى الله عليه وسلم بلغ ما أنزل اليك الى قوله والله يعصمك

أو عصيت

محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال لما أخذ موسى الالواح قال يارب اني أجد في الالواح امة هم خير الامم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فاجعلهم امتي قال تلك امة أحمد قال يارب اني أجد في الالواح امة هم الآخرون السابقون يوم القيامة فاجعلهم امتي قال تلك امة أحمد ثم ذكر نحو حديث بشر بن معاذ الا انه قال في حديثه فالقى موسى عليه السلام الالواح وقال اللهم اجعلني من امة محمد صلى الله عليه وسلم * والذي هو أولى بالصواب من القول في ذلك ان يكون سبب القاء موسى الالواح كان من أجل غضبه على قومه لعبادتهم العجل لان الله جل ثناؤه بذلك أخبر في كتابه فقال ولما رجع موسى الى قومه غضبان أسفا قال بئسما خلفتموني من بعدي أعجلتم أمر ربكم وألقى الالواح وأخذ برأس أخيه يجره اليه وذلك ان الله لما كتب لموسى عليه السلام في الالواح التوراة أدناه منه حتى سمع صريف القلم ذكر من قال ذلك حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا اسرائيل عن السدي عن ابن عمارة عن علي عليه السلام قال لما كتب الله الالواح لموسى عليه السلام وهو يسمع صريف الاقلام في الالواح قال ثنا اسرائيل عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير قال أدناه حتى سمع صريف الاقلام وقيل ان التوراة كانت سبعة اسباع فلما ألقى موسى الالواح تكسرت فرفع منها ستة أسباعها وكان فيما رفع تفصيل كل شئ الذي قال الله وكتبنا له في الالواح من كل شئ موعظة وتفصيلا لكل شئ وبقي الهدى والرحمة في السبع الباقي وهو الذي قال أخذ الالواح وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون وكانت التوراة فيما ذكر سبعين وقر بعير يقرأ منها الجزء في سنة كما حدثني المثنى قال ثنا محمد بن خالد المكفوف قال ثنا عبد الرحمن عن أبي جعفر عن الربيع بن أنس قال أنزلت التوراة وهي سبعون وقر بعير يقرأ منها الجزء في سنة لم يقرأها الا أربعة نفر موسى بن عمران وعيسى وعزير ويوشع بن نون صلوات الله عليهم واختلفوا في الالواح فقال بعضهم كانت من زمرد أخضر وقال بعضهم كانت من ياقوت وقال بعضهم كانت من برد ذكر الرواية بما ذكرنا من ذلك حدثني أحمد بن ابراهيم الدورقي قال ثنا حجاج بن محمد عن ابن جريج قال أخبرني يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ألقى موسى الالواح فتكسر فرفعها الا سدسها قال ابن جريج وأخبرني ان الالواح من زبرجد وزمرد من الجنة وحدثني موسى بن سهل الرملي وعلي بن داود وعبد الله بن أحمد بن شبويه وأحمد بن الحسن الترمذي قالوا أخبرنا آدم العسقلاني قال ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية قال كانت ألواح موسى عليه السلام من برد حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن أبي الجنيد عن جعفر بن أبي المغيرة قال سألت سعيد بن جبير عن الالواح من أي شئ كانت قال كانت من ياقوتة كتابة الذهب كتبها الرحمن بيده فسمع أهل السموات صريف القلم وهو يكتبها حدثني الحرث قال ثنا القاسم عن مجاهد او سعيد بن جبير قال كانت الالواح زمردا فلما ألقى موسى الالواح بقي الهدى والرحمة وذهب التفصيل قال ثنا القاسم قال ثنا الاشجعي عن محمد بن مسلم عن خصيف عن مجاهد قال كانت الالواح من زمرد أخضر وزعم بعضهم ان الالواح كانت لوحين فان كان الذي قال كما قال فانه قيل وكتبنا له في الالواح وهما لوحان كما قيل فان كان له اخوة وهما أخوان وأما قوله وأخذ برأس أخيه يجره اليه فان ذلك من فعل نبي الله صلى الله عليه وسلم كان لموجدته على أخيه هرون في تركه اتباعه واقامته مع بني اسرائيل في الموضع الذي تركهم فيه كما قال جل ثناؤه مخبرا عن قيل موسى عليه السلام له ما منعك اذ رأيتهم ضلوا الا تتبعني

أفعصيت أمري وحين أخبره هرون بعذره فقبل عذره وذلك قيله لموسى لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي اني خشيت ان تقول فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولي وقال يا ابن أم ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الاعداء الآية واختلفت القراء في قراءة قوله يا ابن أم فقرأ ذلك عامة قراء المدينة وبعض أهل البصرة يا ابن أم بفتح الميم من الام وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة ابن أم بكسر الميم من الام واختلف أهل العربية في فتح ذلك وكسره مع اجماع جميعهم على انهما لغتان مستعملتان في العرب فقال بعض نحويي البصرة قيل ذلك بالفتح على انهما اسمان جعلا اسما واحدا كما قيل يا ابن عم وقال هذا شاذ لا يقاس عليه وقال من قرأ ذلك يا ابن أم فهو على لغة الذين يقولون هذا غلام قد جاء جعله اسما واحدا آخره مكسور مثل قوله خاز باز وقال بعض نحويي الكوفة قيل يا ابن أم ويا ابن عم فنصب كما ينصب المعرب في بعض الحالات فيقال يا حسرتا يا ويلتا قال فكأنهم قالوا يا أماه ويا عماه ولم يقولوا ذلك في أخ ولو قيل ذلك لكان صوابا قال والذين خفضوا ذلك فانه كثر في كلامهم حتى حذفوا الياء قال ولا تكاد العرب تحذف الياء الا من الاسم المنادى يضيفه المنادي الى نفسه الا قولهم يا ابن أم ويا ابن عم وذلك انهما يكثر استعمالهما في كلامهم فاذا جاء ما لا يستعمل أجري الياء فقالوا يا ابن أبي ويا ابن أخي وأخي ويا ابن خالتي ويا ابن خالي والصواب من القول في ذلك ان يقال اذا فتحت الميم من ابن أم فمراد به الندبة يا ابن أماه وكذلك من ابن عم فاذا كسرت فمراد به الاضافة ثم حذفت الياء التي هي كناية اسم المخبر عن نفسه وكان بعض من أنكر كسر ذلك اذا كسر يكسر الزاي من خاز باز لأن خاز باز لا يعرف الثاني الا بالاول ولا الاول الا بالثاني فصار كالاصوات وحكي عن يونس الجرمي تأنيث أم وتأنيث عم فقال لا يجعل اسما واحدا الامع ابن المنذر قالوا وأما اللغة الجيدة والقياس الصحيح فلغة من قال يا ابن أمي باثبات الياء كما قال أبو زبيد

يا ابن أمي ويا شقيق نفسي * أنت خليتني لدهر شديد

وكما قال الآخر

يا ابن أمي ولو شهدتك اذ تد * عو هما وأنت غير مجاب

وانما أثبت هؤلاء الياء في الام لانها غير مناداة وانما المنادى هو الابن دونها وانما تسقط العرب الياء من المنادى اذا أضافته الى غير نفسها كما قد بينا وقيل ان هرون انما قال لموسى عليه السلام يا ابن أم ولم يقل يا ابن أبي وهما لاب واحد وأم واحدة استعطافا له على نفسه برحم الام وقوله ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني يعني بالقوم الذين عكفوا على عبادة العجل وقالوا هذا الهنا واله موسى وخالفوا هرون وكان استضعافهم اياه تركهم طاعته واتباع أمره وكادوا يقتلونني يقول قاربوا ولم يفعلوا واختلفت القراء في قراءة قوله فلا تشمت فقرأ قراء الامصار ذلك فلا تشمت بي الاعداء بضم التاء من تشمت وكسر الميم منها من قولهم أشمت فلان فلانا بفلان اذا سره فيه بما يكرهه المشمت به وروي عن مجاهد انه قرأ ذلك فلا تشمت بي الاعداء حدثني بذلك عبد الكريم قال ثنا ابراهيم بن بشار قال ثنا سفيان قال قال حميد بن قيس قرأ مجاهد ولا تشمت بي الاعداء حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير عن ابن عيينة عن حميد قال قرأ مجاهد فلا تشمت بي الاعداء حدثت عن يحيى بن زياد الفراء قال ثنا سفيان بن عيينة عن رجل عن مجاهد انه قال لا تشمت وقال الفراء قال الكسائي ما أدري لعلهم أرادوا ولا تشمت بي الاعداء فان تكن صحيحة فلها نظائر العرب تقول فرغت وفرغت فمن قال فرغت قال أنا أفرغ ومن قال فرغت قال

من الناس وقيل سأصرف هؤلاء المتكبرين عن نيل ما في آياتي من العز والكرامة المعدة للانبياء والمؤمنين فيكون ذلك الصرف المستلزم للاذلال والاهانة جاريا مجرى العقوبة على كفرهم وتكبرهم على الله تعالى وقيل ان من الآيات آيات لا يمكن الانتفاع بها الا بعد سبق الايمان فاذا كفروا فقد صيروا أنفسهم بحيث لا يمكنهم الانتفاع بها بعد ذلك فحينئذ (٤٣) يصرفهم الله تعالى عنها ووجه آخر ان الله تعالى اذا علم من حال بعضهم انه اذا شاهد تلك الآيات فانه لا يستدل بها بل يستخف بها ولا يقوم بحقها فاذا علم الله تعالى ذلك صح ان يصرفهم عنها وعن الحسن ان من الكفار من يبالغ في كفره وانتهى الى الحد الذي اذا وصل اليه مات قلبه وهي بالطبع والخذلان فالمراد بالصرف منع هؤلاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا عظمت أمتي الدنيا نزع عنها هيبة الاسلام واذا تركوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر حرمت بركة الوحي قوله بغير الحق اما أن يكون حالا بمعنى يتكبرون غير محقين لان التكبر بالحق لله وحده اذ لا كمال فوق كماله فله اظهار العظمة والكبرياء على كل من سواه واما أن يكون صلة للفعل أي يتكبرون بما ليس بحق وهو دينهم الذي لا أصل له ومنه يعلم ان للمحق ان يتكبر على المبطل كما قيل التكبر على المتكبر صدقة والرشد طريق الهدى والحق والصواب كلاهما واحد قاله الكسائي وفرق أبو عمرو فقال الرشد بضم الراء الصلاح لقوله فان آنستم منهم رشدا وبفتحين الاستقامة في الدين قوله تعالى مما علمت رشدا وسبيل الغي ضد ما ذكرنا ثم بين ان ذلك الصرف وتعكيس القضية انما كان لامرين كونهم مكذبين بآيات الله وكونهم غافلين عنها ومحل ذلك الرفع على الابتداء أو النصب على معنى صرفهم الله ذلك الصرف بسبب انهم كذا وكذا ثم بين ان أولئك المتكبرين يجزون شر الجزاء وان صدر عنهم صورة الاحسان والخير فقال والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة أي جحدوا المعاد حبطت أعمالهم ثم قال هل يجزون الا ما كانوا يعملون احتجت الاشاعرة بها على فساد قول أبي هاشم ان تارك الواجب يستحق العقاب بمجرد ترك الواجب وان لم يصدر عنه فعل ضد ذلك قالوا انها دلت على انه لا جزاء الا على عمل وترك

أنا أفرع وكذلك ركبت وركبت وشملهم أمر وشملهم في كثير من الكلام قال والاعداء رفع لان الفعل لهم ان قال تشمت أو تشمت والقراءة التي لا استجيز القراءة الا بها قراءة من قرأ فلا تشمت بضم التاء الاولى وكسر الميم من أشمت به عدوه أشمته به ونصب الاعداء لاجماع الحجة من قراء الامصار عليها وشذوذ ما خالفها من القراءة وكفى بذلك شاهدا على ما خالفها هذا مع انكار معرفة عامة أهل العلم بكلام العرب شمت فلان فلانا بفلان وشمت فلان بفلان يشمت به والمعروف من كلامهم اذا أخبروا عن شماتة الرجل بعدوه شمت به بكسر الميم يشمت به بفتحها في الاستقبال وأما قوله ولا تجعلني مع القوم الظالمين فانه قول هرون لاخيه موسى يقول لا تجعلني في موجدتك علي وعقوبتك لي ولم أخالف أمرك محل من عصاك فخالف أمرك وعبد العجل بعدك فظلم نفسه وعبد غير من له العبادة ولم أتابعهم على شئ من ذلك كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولا تجعلني مع القوم الظالمين قال أصحاب العجل حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله ۞ القول في تأويل قوله (قال رب اغفر لي ولاخي وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين) يقول تعالى ذكره قال موسى لما تبين له عذر أخيه وعلم انه لم يفرط في الواجب الذي كان عليه من أمر الله في ارتكاب ما فعله الجهلة من عبدة العجل رب اغفر لي مستغفرا من فعله بأخيه ولاخيه من سالف له بينه وبين الله تغمد ذنوبنا بستر منك تسترها به وأدخلنا في رحمتك يقول وارحمنا برحمتك الواسعة عبادك المؤمنين فانك أنت أرحم بعبادك من كل من رحم شيأ ۞ القول في تأويل قوله (ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين) يقول تعالى ذكره ان الذين اتخذوا العجل الها سينالهم غضب من ربهم بتعجيل الله لهم ذلك وذلة وهي الهوان لعقوبة الله اياهم على كفرهم بربهم في الحياة الدنيا في عاجل الدنيا قبل آجل الآخرة وكان ابن جريج يقول في ذلك بما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين قال هذا لمن مات ممن اتخذ العجل قبل ان يرجع موسى عليه السلام ومن فر منهم حين أمرهم موسى ان يقتل بعضهم بعضا وهذا الذي قاله ابن جريج وان كان قولا له وجه فان ظاهر كتاب الله مع تأويل أكثر أهل التأويل بخلافه وذلك ان الله عم بالخبر عمن اتخذ العجل انه سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وتظاهرت الاخبار عن أهل التأويل من الصحابة والتابعين بان الله اذ رجع الى بني اسرائيل موسى عليه السلام تاب على عبدة العجل من فعلهم بما أخبر به عن قيل موسى عليه السلام في كتابه وذلك قوله واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ففعلوا ما أمرهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم فكان أمر الله اياهم بما أمرهم به من قتل بعضهم أنفس بعض عن غضب منه عليهم بعبادتهم العجل فكان قتل بعضهم بعضا هوانا لهم وذلة أذلهم الله بها في الحياة الدنيا وتوبة منهم الى الله قبلها وليس لاحد ان يجعل خبرا جاء الكتاب بعمومه في خاص مما عمه الظاهر بغير برهان من حجة أو عقل ولا نعلم خبرا جاء بوجوب نقل ظاهر قوله ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم الى باطن خاص ولا من العقل عليه دليل فيجب احالة ظاهره الى باطنه ويعني بقوله وكذلك نجزي المفترين وكما جزيت هؤلاء الذين اتخذوا العجل الها من احلال الغضب بهم والاذلال في الحياة على كفرهم ربهم

الواجب اوسن بعمل اجاب أبو هاشم بانى لا اسمى ذلك العقاب جزاء ورد بان الجزاء ما يجزي أي يكفي في المنع عن المنهي أو في الحث على المأمور به لكن العقاب على ترك الواجب كاف في الزجر عن ذلك الترك فكان جزاء قيل ان بني اسرائيل كان لهم عيد يتزينون فيه يستعيرون من القبط الحلي فاستعاروها مرة فاغرق الله القبط فبقيت تلك الحلي في أيدي بني اسرائيل فلهذا أضيفت اليهم على ان مجرد ملابسة الاستعارة أيضا يصحح الاضافة والحلي جمع حلى كثدي وثدي ومن كسر الحاء فللاتباع فجمع السامري تلك الحلي وكان رجلا مطاعا فيهم ذا قدر وكانوا قد سألوا موسى ان يجعل لهم الها يعبدونه فصاغ السامري عجلا واختلف المفسرون بعد ذلك فقال قوم كان قد أخذ تراب حافر فرس جبرائيل فالقاه في جوف ذلك العجل فانقلب لحما ودما وظهر منه الخوار مرة واحدة فقال السامري هذا الهكم واله موسى وقال أكثر المفسرين من المعتزلة انه كان قد جعل ذلك العجل مجوفا ووضع في جوفه أنابيب على وجه مخصوص ثم وضع التمثال على مهب الرياح فظهر منه صوت يشبه خوار العجل وقال آخرون انه صير ذلك التمثال أجوف وخبأ تحته من ينفخ فيه من حيث لا يشعر به الناس وانما قال سبحانه واتخذ قوم موسى مع ان المتخذ هو السامري وحده لان القوم رضوا بذلك واجتمعوا عليه فكأنهم شاركوه أو لان المراد باتخاذ العجل هو عبادته كقوله ثم اتخذتم العجل من بعده أي من بعد مضيه الى الطور قال الحسن كلهم عبدوا العجل غير هرون لعموم الآية لقول موسى في الدعاء رب اغفر لي ولاخي ولو كان غيرهما أهلا للدعاء لاشركهم في ذلك وقال آخرون بل كان قد بقي في بني اسرائيل من ثبت على ايمانه لقوله سبحانه ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون وهل انقلب ذلك التمثال لحما ودما أو بقي ذهبا كما كان مال بعضهم الى وردتهم الاول لانه تعالى قال عجلا جسدا له خوار والجسد اسم للجسم ذي اللحم والدم والخوار انما يكون للبقرة لا للصورة واستبعده بعضهم وناقش فيه ان الجسد يختص بذي الروح ثم قال ان ذلك الصوت لما أشبه الخوار لم يبعد اطلاق لفظ الخوار عليه وقرأ علي كرم الله وجهه جؤار بالجيم

وردتهم عن دينهم بعد ايمانهم بالله كذلك نجزى كل من افترى على الله فكذب عليه وأقر بالوهة غيره وعبد شيأ سواه من الاوثان بعد اقراره بوحدانية الله وبعد ايمانه به وبانبيائه ورسله وقبل ذلك اذالم يتب من كفره قبل قتله وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن أيوب قال تلا أبو قلابة سينالهم غضب من ربهم وذلة فى الحياة الدنيا الآية قال فهو جزاء كل مفتر يكون الى يوم القيامة ان يذله الله عز وجل حدثنى المثنى قال ثنا أبو النعمان عارم قال ثنا حماد بن زيد عن أيوب قال قرأ أبو قلابة يوما هذه الآية ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة فى الحياة الدنيا وكذلك نجزى المفترين قال هى والله لكل مفتر الى يوم القيامة قال ثنا حجاج قال ثنا حماد عن ثابت ان حميد بن قيس بن عباد وجارية بن قدامة دخلا على على بن أبى طالب رضى الله عنه قالا أرأيت هذا الامر الذى أنت فيه وتدعو اليه أعهد عهد اليك رسول الله صلى الله عليه وسلم أم رأى رأيته قال مالكما ولهذا أعرضا عن هذا فقالا والله لا نعرض عنه حتى تخبرنا فقال ماعهد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا كتابا فى قراب سيفى هذا فاستله فأخرج الكتاب من قراب سيفه واذا فيه انه لم يكن نبى الا له حرم وانى حرمت المدينة كما حرم ابراهيم عليه السلام مكة لا يحمل فيها السلاح لقتال من أحدث حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل فلما خرجا قال أحدهما لصاحبه أما ترى هذا الكتاب فرجعا وتركاه فقالا انا سمعنا الله يقول ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم الآية وان القوم قد افتروا فرية ولا أدرى الا سينزل بهم ذلة حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير عن ابن عيينة فى قوله وكذلك نجزى المفترين قال كل صاحب بدعة ذليل ۞ القول فى تأويل قوله (والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم) وهذا خبر من الله تعالى ذكره انه قابل من كل تائب اليه من ذنب أتاه صغيرة كانت معصيته أو كبيرة كفرا كانت أو غير كفر كما قبل من عبدة العجل توبتهم بعد كفرهم به بعبادتهم العجل وارتدادهم عن دينهم يقول جل ثناؤه والذين عملوا الاعمال السيئة ثم رجعوا الى طلب رضى الله بانابتهم الى مايحب مما يكره والى مايرضى مما يسخط من بعد سىء أعمالهم وصدقوا بان الله قابل توبة المذنبين وتائب على المنيبين باخلاص قلوبهم ويقين منهم بذلك لغفور لهم يقول لساتر عليهم أعمالهم السيئة وغير فاضحهم بها رحيم بهم وبكل من كان مثلهم من التائبين ۞ القول فى تأويل قوله (ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الالواح وفى نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون) يعنى تعالى ذكره بقوله ولما سكت عن موسى الغضب وكذلك كل كاف عن شىء ساكت عنه وانما قيل للساكت عن الكلام ساكت لكفه عنه وقد ذكر عن يونس الجرمى انه قال يقال سكت عنه الحزن وكل شىء فيما زعم ومنه قول أبى النجم

وهمت الافعى بان تسيحا ۞ وسكت المكان ان يصيحا

أخذ الالواح يقول أخذها بعد ما ألقاها وقد ذهب منها ما ذهب وفى نسختها هدى ورحمة يقول وفيما نسخ فيها أى فيها هدى بيان للحق ورحمة للذين هم لربهم يرهبون للذين يخافون الله ويخشون عقابه على معاصيه واختلف أهل العربية فى وجه دخول اللام فى قوله لربهم يرهبون مع استقباح العرب ان يقال فى الكلام رهبت لك بمعنى رهبتك وأكرمت لك بمعنى أكرمتك فقال بعضهم ذلك

والهمزة من جأر اذا صاح وجسدا بدل من عجلا ثم انه سبحانه احتج على فساد كون ذلك العجل الها بقوله ألم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا ومن حق الاله أن يكون متكلما هاديا الى سبيل الحق ومناهجه بما ركز فى العقول من الادلة وبما أنزل من الكتب قالت المعتزلة ههنا سؤال فمن كان مضلا عن الدين لا يصلح أن يكون الها قالت الاشاعرة لو صح ان الاله يلزم أن يكون هاديا لزم أن يكون كل متكلم هاديا الها والحق ان الملازمة ممنوعة فان الدعوى ليست الا ان كل اله انه يجب أن يكون متكلما هاديا والموجبة الكلية لا تنعكس كنفسها على انه يمكن ان يقال لا متكلم ولا هادى فى الحقيقة الا الله تعالى ثم ختم الآية بقوله اتخذوه وكانوا ظالمين وهذا كما قال فى البقرة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون ثم أخبر عن عقبى حالهم بقوله ولما سقط فى أيديهم معناه ولما اشتد ندمهم وحسرتهم على عبادة العجل واختلفوا فى وجه هذه الاستعارة فقال الزجاج أريد بالايدى القلوب والانفس كما يقال حصل فى يده مكروه وان كان من المحال حصول المكروه فى اليد تشبيها لما يحصل فى القلب وفى النفس بما يحصل فى اليد ويرى بالعين وقال فى الكشاف ان من شأن من اشتد ندمه ان يعض يده فصار يده مسقوطا فيها لان فاه وقع فيها فاصل الكلام سقط فوه فى يده فحذف الفاعل وبنى الفعل للمفعول فيه كما يحذف الفعل ويبنى للمفعول فيه فى قولهم مر بزيد وهذا من باب الكناية لان عض اليد من لوازم الحسرة والندم وقيل كل عمل يقدم المرء عليه فذلك لاعتقاد ان ذلك العمل خير وصواب وانه يورثه رفعة ورتبة فاذا بان ان ذلك العمل باطل فكأنه انحط وسقط من علو الى سفل ومنه قولهم للرجل اذا اخطأ ذلك منه سقطة ثم ان اليد آلة البطش والاخذ والنادم كأنه تدارك الحالة التى لاجلها حصل الندم وكأنه قد سقط فى يد نفسه من حيث انه بعد حصول ذلك الندم يشتغل بالتدارك والتلافى وحكى الواحدى انه من السقيط وهو ما يغشى الارض بالغداوات شبه الثلج فمن وقع فى يده السقيط لم يحصل منه على شىء قط لانه يذوب بادنى حرارة فهذا مثل من خسر فى عاقبته ولم يحصل على طائل من سعيه وقال بعضهم الآلة الاصلية فى أكثر الاعمال اليد والعاجز فى حكم الساقط فسقوط اليد هو العجز

كما قال جل ثناؤه ان كنتم للرؤيا تعبرون أو وصل الفعل باللام وقال بعضهم من أجل ربهم يرهبون وقال بعضهم انما دخلت عقب الاضافة الذين هم راهبون لربهم وراهبو ربهم ثم أدخلت اللام على هذا المعنى لانها عقيب الاضافة لا على التكليف ٧ وقال بعضهم انما فعل ذلك لان الاسم تقدم الفعل فحسن ادخال اللام وقال آخرون قد جاء مثله في تاخير الاسم في قوله ردف لكم بعض الذى تستعجلون وذكر عن عيسى بن عمر انه قال سمعت الفرزدق يقول نقدت له مائة درهم يريد نقدته مائة درهم قال والكلام واسع ۞ القول في تأويل قوله (واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل واياى) يقول تعالى ذكره واختار موسى من قومه سبعين رجلا للوقت والاجل الذى وعده الله ان يلقاه فيه بهم للتوبة مما كان من فعل سفهائهم في أمر العجل كما حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدى قال ان الله أمر موسى عليه السلام أن يأتيه في ناس من بني اسرائيل يعتذرون اليه من عبادة العجل ووعدهم موعدا واختار موسى قومه سبعين رجلا على عينه ثم ذهب بهم ليعتذروا فلما أتوا ذلك المكان قالوا لن نؤمن لك يا موسى حتى نرى الله جهرة فانك قد كلمته فأرناه فأخذتهم الصاعقة فماتوا فقام موسى يبكى و يدعو الله و يقول رب ماذا أقول لبني اسرائيل اذا أتيتهم وقد أهلكت خيارهم لو شئت أهلكتهم من قبل واياى حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال اختار موسى من بني اسرائيل سبعين رجلا الخير فالخير قال انطلقوا الى الله فتوبوا اليه مما صنعتم واسألوه التوبة على من تركتم وراءكم من قومكم صوموا وتطهروا وطهروا ثيابكم فخرج بهم الى طور سيناء لميقات وقته له ربه كان لا يأتيه الا باذن منه وعلم فقال له السبعون فيما ذكر لى حين صنعوا ما أمرهم به وخرجوا معه للقاء ربه لموسى اطلب لنا نسمع كلام ربنا فقال افعل فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى تغشى الجبل كله ودنا موسى فدخل فيه وقال للقوم ادنوا وكان موسى اذا كلمه وقع على جبهته نور ساطع لا يستطيع أحد من بني آدم ان ينظر اليه فضرب دونه بالحجاب ودنا القوم حتى اذا دخلوا في الغمام وقعوا سجودا فسمعوه وهو يكلم موسى يأمره وينهاه افعل ولا تفعل فلما فرغ اليه من أمره انكشف عن موسى الغمام فاقبل اليهم فقالوا لموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الرجفة وهي الصاعقة فالتفت أرواحهم فماتوا جميعا وقام موسى عليه السلام يناشد ربه و يدعوه ويرغب اليه يقول رب لو شئت أهلكتهم من قبل واياى قد سفهوا أفتهلك من ورائى من بني اسرائيل حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا قال كان الله أمره ان يختار قومه سبعين رجلا فاختار سبعين رجلا فبرز بهم ليدعوا ربهم فكان فيما دعوا الله ان قالوا اللهم اعطنا ما لم تعطه أحدا بعدنا فكره الله ذلك من دعائهم فأخذتهم الرجفة قال موسى رب لو شئت أهلكتهم من قبل واياى حدثنا ابن وكيع قال ثنا خالد بن حيان عن جعفر عن ميمون واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا قال لموعدهم الذى وعدهم حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد سبعين رجلا لميقاتنا قال اختارهم لتمام الوعد وقال آخرون انما أخذتهم الرجفة من أجل دعواهم على موسى قتل هرون ۞ ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار وابن وكيع قالا ثنا يحيى ابن يمان قال ثنا سفيان قال ثنى أبو اسحق عن عمارة بن عبد الله السلولى عن على رضى الله عنه

يقال في العرف ضل يده ورجله لمن لا يهتدى الى صلاحه وقيل ان في بمعنى على أى سقط على أيديهم فان من عادة النادم أن يطأطئ رأسه و يضعه على يده تحت ذقنه ثم قال تعالى ورأوا أنهم قد ضلوا أى تبينوا ضلالهم كأنهم أبصروه بعقولهم قال القاضي الكلام على التقديم والتأخير لان الندم والتحسر بعد تعرف الحال وتبين الخطا والترتيب الاصلي ولما رأوا انهم قد ضلوا سقط في أيديهم و يمكن ان يقال الواو لا يفيد الترتيب أو يقال الاقدام على ما لا يعلم كونه صوابا أو خطا فاسد موجب للندم وقد يتكامل العلم فيظهر انه خطا جزما ثم انهم اعترفوا بذنوبهم وانقطعوا الى ربهم وذكروا مثل ما ذكر أبونا آدم وحواء ان لم يرحمنا ربنا الآية ولما رجع موسى الى قومه قال بعضهم ان موسى قد عرف خبر القوم بعد رجوعه اليهم وقال الاكثرون وهو قول أبي مسلم انه كان عارفا بذلك قبل رجوعه بدليل قوله غضبان أسفا فانه يدل على ان هاتين الحالتين حاصلتان له عند رجوعه اليهم ولما جاء في سورة طه قد فتنا قومك من بعدك وفيه دليل ظاهر على انه تعالى أخبره بوقوع الواقعة في الميقات والاسف الشديد وهو قول أبي الدرداء وعطاء والزجاج وعن ابن عباس والحسن انه الحزين وقال الواحدى هما متقاربان فاذا جاءك ما تكره ممن هو دونك غضبت واذا جاءك ممن هو فوقك حزنت فكان موسى غضبان على قومه أسفا من فتنة ربه بئسما خلفتموني خاطب عبدة العجل أو وجوه القوم هرون والمؤمنين حيث لم يكفوا العبدة وفاعل بئس مضمر يفسره ما خلفتموني والمخصوص محذوف التقدير بئس خلافة خلفتمونيها من بعدى خلافتكم ومعنى من بعدى مع قوله خلفتموني من بعد ما رأيتم مني من توحيد الله ونفى الانداد أو ومن بعد ما كنت أحمل القوم عليه من التوحيد والكف عن اتخاذ اله غير الله حيث قالوا اجعل لنا الها ومن حق الخلفاء ان يسيروا بسيرة مستخلفيهم من بعدهم ولا يخالفوهم ونظير الآية قوله فخلف من بعدهم خلف أى من بعد أولئك الموصوفين بالصفات الحميدة أعجلتم أمر ربكم قال الواحدى العجلة التقدم بالشئ قبل وقته ولذلك صارت مذمومة في الاغلب بخلاف السرعة فانها عمل الشئ في أول وقته قال ابن عباس قال

يعني أعجلتم ميعاد ربكم فلم تصبروا له وقال الحسن أعجلتم وعد ربكم الذي وعدكم من الاربعين وذلك انهم قدروا انه لما لم يأت على رأس الثلاثين ليلة فقد مات وروى ان السامري قال لهم ان موسى لن يرجع وانه قد مات وروى انهم عدوا عشرين يوما بلياليها فجعلوها أربعين ثم أحدثوا ما أحدثوا وقال الكلبي أعجلتم عبادة العجل قبل ان يأتيكم أمر ربكم وقال عطاء (٤٧) أعجلتم سخط ربكم وفي الكشاف يقال عجل عن الامر اذا تركه غير تام ونقيضه تم عليه وأعجله عنه غيره و يضمن معنى سبق فيعدى تعديته فيقال عجلت الامر والمعنى أعجلتم عن أمر ربكم وهو انتظار موسى حافظين بعهده وماوصاكم به وألقى الالواح التي فيها التوراة لما لحقه من الدهش والضجر غضبا لله عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال يرحم الله أخي موسى ما الخبر كالمعاينة لقد أخبره الله تعالى بفتنة قومه فعرف ان ما أخبره الله تعالى به حق وانه مع ذلك متمسك بما في يده وروى ان التوراة كانت سبعة أسباع فلما ألقى الالواح تكسرت فرفع منها ستة أسباعها وبقي سبع واحد وكان فيما رفع تفصيل كل شيء وفيما بقي الهدى والرحمة قال في التفسير الكبير القاء الالواح ثابت بالقرآن فاما القاؤها بحيث تكسرت فلا وانه جراءة عظيمة ومثله لا يليق بالانبياء وأقول الجراءة تحصل بنفس الالقاء لا بالتكسر الذي لا يتعلق باختياره فكل ما يجعل عذرا عن نفس الالقاء يصح أن يجعل عذرا عن التكسر وأخذ برأس أخيه أي بشعر رأسه يجره اليه بذؤابته واعلم ان موسى عليه السلام كان في نفسه حديدا شديد الغضب وكان هرون ألين منه جانبا ولذلك كان أحب الى بني اسرائيل من موسى وقد استتبع غضبه أمرين أحدهما القاء الالواح والآخر أخذ رأس أخيه جارا اليه فزعم مثبتو عصمة الانبياء انه جر برأس أخيه الى نفسه ليساره و يستكشف منه كيفية الواقعة لا لاجل الاهانة والاستخفاف ثم ان هرون خاف ان يتوهم جهال بني اسرائيل ان موسى فعل ما فعل به اهانة فقال يا ابن أم من كسرها فعلى طرح ياء المتكلم ومن فتحها فتشبيها بخمسة عشرة لكثرة الاستعمال أو على حذف الالف المبدلة من ياء الاضافة وانما اضافه الى الام اشارة الى ان امهما واحدة على ما روى انه كان

قال انطلق موسى وهرون وشبر وشبير فانطلقوا الى سفح جبل فقام هرون على سرير فتوفاه الله فلما رجع موسى الى بني اسرائيل قالوا له أين هرون قال توفاه الله قالوا أنت قتلته حسدتنا على خلقه ولينه أو كلمة نحوها قال فاختاروا من شئتم قال فاختاروا سبعين رجلا قال فذلك قوله واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا قال فلما انتهوا اليه قالوا يا هرون من قتلك قال ما قتلني أحد ولكنني توفاني الله قالوا يا موسى لن تعصى بعد اليوم قال فاخذتهم الرجفة قال فجعل موسى يرجع يمينا وشمالا وقال يا رب لو شئت أهلكتهم من قبل واياي أتهلكنا بما فعل السفهاء منا ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء قال فاحياهم الله وجعلهم أنبياء كلهم حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي اسحق عن رجل من بني سلول انه سمع عليا رضي الله عنه يقول في هذه الآية واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا قال كان هرون حسن الخلق محببا في بني اسرائيل قال فلما مات دفنه موسى قال فلما أتى بني اسرائيل قالوا له أين هرون قال مات فقالوا قتلته قال فاختار منهم سبعين رجلا قال فلما أتوا القبر قال موسى أقتلت أومت قال مت قال فاصعقوا فقال موسى رب ما أقول لبني اسرائيل اذا رجعت يقولون انت قتلتهم قال فاحيوا وجعلوا أنبياء حدثني عبد الله بن الحجاج بن المنهال قال ثنا أبي قال ثنا الربيع بن حبيب قال سمعت أبا سعيد يعني الرقاشي وقرأ هذه الآية واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فقال كانوا أبناء ما عدا عشرين ولم يجاوزوا الاربعين وذلك ان ابن عشرين قد ذهب جهله وصباه وان من لم يجاوز الاربعين لم يفقد من عقله شيأ وقال آخرون انما أخذت القوم الرجفة لتركهم فراق عبدة العجل لا لانهم كانوا من عبدته ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فقرأ حتى بلغ السفهاء منا ذكر لنا ان ابن عباس كان يقول انما تناولتهم الرجفة لانهم لم يزايلوا القوم حين نصبوا العجل وقد كرهوا ان يجامعوهم عليه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا ممن لم يكن قال ذلك القول على انهم لم يجامعوهم عليه فاخذتهم الرجفة من أجل انهم لم يكونوا باينوا قومهم حين اتخذوا العجل قال فلما خرجوا ودعوا أماتهم الله ثم أحياهم فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل واياي أتهلكنا بما فعل السفهاء منا حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد قال قال مجاهد واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا والميقات الموعد فلما أخذتهم الرجفة بعد ان خرج موسى بالسبعين من قومه يدعون الله و يسألونه ان يكشف عنهم البلاء فلم يستجب لهم علم موسى انهم قد أصابوا من المعصية ما أصابه قومهم قال ابن سعد فحدثني محمد بن كعب القرظي قال لم يستجب لهم من أجل انهم لم ينهوهم عن المنكر و يأمروهم بالمعروف قال فاخذتهم الرجفة فماتوا ثم أحياهم الله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو اسامة عن عوف عن سعيد بن حيان عن ابن عباس ان السبعين الذين اختارهم موسى من قومه انما أخذتهم الرجفة انهم لم يرضوا ولم ينهوا عن العجل حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا عوف قال ثنا سعيد بن حيان عن ابن عباس نحوه واختلف أهل العربية في وجه نصب قوله قومه سبعين رجلا لميقاتنا فقال بعض نحويي البصرة معناه واختار موسى من قومه سبعين رجلا فلما نزع من أعمل الفعل كما قال الفرزدق

أثناء الامة ليكون أدعى الى العطف والرقة ولانها كانت مؤمنة فافتخر بنسبها ولانها هي التي تحملت فيه الشدائد فذكره حقها ان القوم استضعفوني استذلوني وقهروني ولم يبالوا بي لقلة أنصاري وكادوا يقتلونني حين منعتهم عبادة العجل ونهيتهم عنها فلا تشمت بي الاعداء العابدي العجل فانهم يحملون هذا الذي تفعل بي على الاهانة لا على الاكرام ولا تجعلني مع القوم الظالمين في اشتراك العقوبة والاذلال

ومنا الذي اختار الرجال سماحة * وجودا اذا هب الرياح الزعازع

وكما قال الآخر أمرتك الخير فافعل ما أمرت به * فقد تركتك ذا مال وذا نسب

وقال الراعي

اخترتك الناس اذ غثت خلائقهم * واعتل من كان يرجى عنده السول

وقال بعض نحويي الكوفة انما استجيز وقوع الفعل عليهم اذا طرحت من لانه مأخوذ من قولك هؤلاء خير القوم وخير من القوم فاذا جازت الاضافة مكان من ولم يتغير المعنى استجازوا ان يقولوا اخترتكم رجلا واخترت منكم رجلا وقال الشاعر * تحت التي اختارها الله الشجر * بمعنى اختارها الله من الشجر وهذا القول الثاني أولى عندي في ذلك بالصواب لدلالة الاختيار على طلب من التي بمعنى التبعيض ومن شأن العرب ان تحذف الشيء من حشو الكلام اذا عرف موضعه وكان فيما أظهرت دلالة على ما حذفت فهذا من ذلك ان شاء الله وقد بينا معنى الرجفة فيما مضى بشواهدها وانها ما رجف بالقوم وأرعبهم وحركهم أهلكهم بعد فأماتهم أو أصعقهم فسلب أفهامهم وقد ذكرنا الرواية في غير هذا الموضع وقول من قال انها كانت صاعقة أماتتهم حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فلما أخذتهم الرجفة ماتوا ثم أحياهم حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد سبعين رجلا لميقاتنا اختارهم موسى لتمام الموعد فلما أخذتهم الرجفة ماتوا ثم أحياهم حدثني عبد الكريم قال ثنا ابراهيم قال ثنا سفيان قال قال أبو سعد عن عكرمة عن ابن عباس فلما أخذتهم الرجفة قال رجف بهم ۞ القول في تأويل قوله (أتهلكنا بما فعل السفهاء منا ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم معنى ذلك أتهلك هؤلاء الذين أهلكتهم بما فعل السفهاء منا أي بعبادة من عبد العجل قالوا وكان الله انما أهلكهم لانهم كانوا ممن يعبد العجل وقال موسى ما قال ولا علم عنده بما كان منهم من ذلك ذكر من قال ذلك حدثنا موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي أتهلكنا بما فعل السفهاء منا فأوحى الله الى موسى ان هؤلاء السبعين ممن اتخذ العجل فذلك حين يقول موسى ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء وقال آخرون معنى ذلك ان اهلاكك هؤلاء الذين أهلكتهم هلاك لمن وراءهم من بني اسرائيل اذا انصرفت اليهم وليسوا معي والسفهاء على هذا القول كانوا المهلكين الذين سألوا موسى ان يريهم ربهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال لما أخذت الرجفة السبعين فماتوا جميعا قام موسى يناشده ربه ويدعوه ويرغب اليه يقول رب لو شئت أهلكتهم من قبل واياي قد سفهوا أفتهلك من ورائي من بني اسرائيل بما فعل السفهاء منا أي ان هذا لهم هلاك قد اخترت منهم سبعين رجلا الخير فالخير ارجع اليهم وليس معي رجل واحد فما الذي يصدقوني به أو يأمنوني عليه بعد هذا وقال آخرون في ذلك بما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أتهلكنا بما فعل السفهاء منا أتؤاخذنا وليس منا رجل واحد ترك عبادتك ولا استبدل بك غيرك * وأولى القولين بتأويل الآية قول من قال ان موسى انما حزن على هلاك السبعين بقوله أتهلكنا بما فعل السفهاء منا وانه انما عنى بالسفهاء عبدة العجل وذلك انه محال أن يكون موسى صلى الله عليه وسلم كان تخير من قومه

ولا تعتقد اني واحد منهم ولا يخفى ما في بعض هذا التفسير من التعسف والتكلف والحق ان هذا القدر من الحدة الناشئة من عصبية الدين لا يقدح في العصمة وغايته أن يكون من قبيل ترك الاولى فلذلك قال موسى رب اغفر لي ما أقدمت عليه من الحدة قبل جلية الحال ولاخي ان عساه فرط في شأن الخلافة ثم أخبر عن مجازاة القوم فقال ان الذين اتخذوا العجل الهاسينالهم غضب من ربهم وذلة كلاهما في الحياة الدنيا فالغضب ما أمروا به من قتل أنفسهم والذلة خروجهم من ديارهم وذل الغربة لا يخفى واعترض بان قوله سينالهم للاستقبال وفي وقت نزول الآية كان القتل واقعا وأجيب بان هذا الكلام حكاية عما أخبر الله تعالى موسى به في الميقات من افتتان قومه وكان سابقا على وقوعهم في الغضب والذلة قلت ويجوز ان يكون الاتيان من ثمة قول موسى الا ان قوله وكذلك نجزي المفترين ينبو عن ذلك الا أن يحمل على الاعتراض ولما في هذا التفسير من التكلف ذهب بعض المفسرين الى ان المضاف في الآية محذوف والتقدير ان الذين اتخذوا آباؤهم العجل يعني الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم سينالهم غضب من ربهم في الآخرة وذلة في الحياة الدنيا بضرب الجزية أو غضب وذلة كلاهما في الدنيا بالقتل والجلاء كما كان لبني قريظة والنضير أو التقدير ان الذين اتخذوا العجل سينال أولادهم وكذلك نجزي المفترين أي كل مفتر في دين الله فجزاؤه الغضب والذلة قال مالك بن أنس ما من مبتدع الا ويجد فوق رأسه ذلة ثم قرأ هذه الآية والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا ظاهر الآية يدل على ان التوبة شرط العفو وانه لا ينفع التوبة من تجديد الايمان فما أصعب شأن

لمسالة

لمسألة ربه ما أراه أن يسأل لهم إلا الأفضل والأفضل منهم ومحال أن يكون الأفضل كان عنده من أشرك في عبادة العجل واتخذه دون الله إلها قال فإن قال قائل فجائز أن يكون موسى عليه السلام كان معتقدا أن الله سبحانه يعاقب قوما بذنوب غيرهم فيقول أتهلكنا بذنوب من عبد العجل ونحن من ذلك برآء قيل جائز أن يكون معنى الهلاك قبض الأرواح على غير وجه العقوبة كما قال جل ثناؤه ان امرؤ هلك يعني مات فيقول أتميتنا بما فعل السفهاء منا وأما قوله ان هي الا فتنتك فإنه يقول جل ثناؤه ما هذه الفعلة التي فعلها قومي من عبادتهم ما عبدوا دونك الا فتنة منك أصابتهم ويعني بالفتنة الابتلاء والاختبار يقول ابتليتهم بها ليتبين الذي يضل عن الحق بعبادته اياه والذي يهتدي بترك عبادته وأضاف اضلالهم وهدايتهم الى الله اذ كان ما كان منهم من ذلك على سبب منه جل ثناؤه وبنحو ما قلنا في الفتنة قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن أبي جعفر عن أبي الربيع عن أبي العالية ان هي الا فتنتك قال بليتك قال ثنا حبوية الرازي عن يعقوب عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير الا فتنتك الا بليتك حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن سعد قال أخبرنا ابن جعفر عن الربيع بن أنس ان هي الا فتنتك قال بليتك قال حدثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء ان هو الا عذابك تصيب به من تشاء وتصرفه عمن تشاء حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ان هي الا فتنتك أنت فتنتهم وقوله أنت ولينا يقول أنت ناصرنا فاغفر لنا يقول فاستر علينا ذنوبنا بتركك عقابنا عليها وارحمنا تعطف علينا برحمتك وأنت خير الغافرين يقول خير من صفح عن جرم وستر على ذنب ۞ القول في تأويل قوله (واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة انا هدنا اليك) يقول تعالى ذكره مخبرا عن دعاء نبيه موسى عليه السلام انه قال فيه واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وهي الصالحات من الأعمال وفي الآخرة ممن كتب له المغفرة لذنوبه كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة قال مغفرة وقوله انا هدنا اليك يقول انا تبنا اليك وبنحو ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير وابن فضيل وعمران بن عيينة عن عطاء عن سعيد بن جبير قال عمران عن ابن عباس انا هدنا اليك قال تبنا اليك قال ثنا زيد بن حباب عن حماد بن سلمة عن عطاء عن سعيد بن جبير قال تبنا اليك قال ثنا جابر بن نوح عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس قال تبنا اليك قال ثنا عبد الله بن بكر عن حاتم بن أبي مغيرة عن سماك ان ابن عباس قال هذه الآية انا هدنا اليك قال تبنا اليك حدثني المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا حماد عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير قال أحسبه عن ابن عباس انا هدنا اليك قال تبنا اليك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس وقال ثنا عبد الرحمن بن الاصبهاني عن سعيد بن جبير في قوله انا هدنا اليك قال تبنا اليك قال ثنا عبد الرحمن ووكيع بن الجراح قالا ثنا سفيان عن عبد الرحمن بن الاصبهاني عن سعيد بن جبير مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن ابن الاصبهاني عن سعيد بن جبير مثله قال ثنا جرير عن مغيرة عن ابراهيم قال تبنا اليك قال ثنا محمد بن يزيد عن العوام عن ابراهيم التيمي قال تبنا اليك حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن العوام عن ابراهيم التيمي مثله حدثنا

المذنبين لكن عموم لفظ السيئات يدل على ان من أتى بجميع المعاصي ثم تاب فان الله يغفرها فما أحسن حال التائبين لغفور ستور عليهم محاء لما صدر عنهم رحيم منعم عليهم بالجنة وفيه ان الذنوب وان جلت وعظمت الا أن عفوه وكرمه أعظم وأجل ولما بين ما كان من موسى مع الغضب بين ما كان منه بعد الغضب فقال ولما سكت عن موسى الغضب قال علماء البيان (٤٩) انه خرج على قانون الاستعارة فكان الغضب كان يغريه على ما فعل ويقول ألق الالواح وغير ذلك فترك النطق وقطع الاغراء وعن عكرمة ان المعنى سكت موسى عن الغضب فقلب كما يقال ادخلت الخف في رجلي وانما أدخل الرجل في الخف وقيل السكوت بمعنى السكون وقد قرئ به أخذ الالواح التي ألقاها منها على ز وال غضبه لانه أوكد ما تقدم من امارات الغضب وفي نسختها فعلة بمعنى مفعول كالخطبة من النسخ الكتب أي وفي مكتوبها من اللوح المحفوظ سواء قلنا ان الالواح لم تتكسر واخذها موسى باعيانها بعد ما ألقاها أو قلنا انها تكسرت وأخذ ما بقي منها وقيل النسخ بمعنى الازالة لما روي عن ابن عباس انه لما ألقى الالواح تكسرت فصام أربعين يوما فاعاد الله تعالى الالواح وفيها غير ما في الاولى هدى من الضلال ورحمة من العذاب للذين هم لربهم يرهبون ادخل اللام في المفعول لتقدمه فان تأخير الفعل يكسبه ضعفا ونظيره للرؤيا تعبرون وقولك لزيد ضربت ويجوز أن يكون المراد للذين هم لاجل ربهم يرهبون لا رياء وسمعة وجوز بعضهم أن يكون اللام صلة نحو ردف لكم * التأويل ثلاثين ليلة لئلا تستكثر النفس الاربعين من ضعف البشرية وأتممناها بعشر لخصوصية الاربعين في ظهور ينابيع الحكمة من القلب على اللسان وقال موسى

الروح لاخيه هرون القلب عند توجهه لمقام المكالمة والتجلي كن خليفتي في قومي من الاوصاف البشرية وأصلح ذات بينهم على وفق الشرع بعد وقانون الطريقة ولا تتبع سبيل المفسدين من الهوى والطبيعة وهذه الخلافة هي السر الاعظم في خلقة الروح من نور وقت عالم الارواح الى حضيض عالم الاشباح والاحوال لما حصل الروح على بساط القرب ولم تتادم

بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة انا هدنا اليك أي انا تبنا اليك **حدثنا** محمد ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة في قوله هدنا اليك قال تبنا **حدثنا** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي انا هدنا اليك يقول تبنا اليك **حدثنا** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد انا هدنا اليك يقول تبنا اليك **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية قال هدنا اليك قال تبنا اليك قال ثنا أبي عن أبي جبير عن الضحاك قال تبنا اليك **وحدثت** عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فذكر مثله قال ثنا أبي وعبيد الله عن شريك عن جابر عن مجاهد قال تبنا اليك قال ثنا حبوية أبو يزيد عن يعقوب عن جعفر عن سعيد بن جبير مثله قال ثنا أبي عن شريك عن جابر بن عبد الله بن يحيى عن علي عليه السلام قال انما سميت اليهود لانهم قالوا هدنا اليك **حدثني** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس انا هدنا اليك يعني تبنا اليك **حدثنا** ابن البرقي قال ثنا عمرو قال سمعت رجلا يسأل سعيدا انا هدنا اليك قال انا تبنا اليك وقد بينا معنى ذلك بشواهده فيما مضى قبل بما أغنى عن اعادته ۞ القول في تأويل قوله (قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شئ فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون) يقول تعالى ذكره قال الله لموسى هذا الذي أصبت به قومك من الرجفة عذابي أصيب به من أشاء من خلقي كما أصيب به هؤلاء الذين أصبتهم به من قومك ورحمتي وسعت كل شئ يقول ورحمتي عمت خلقي كلهم وقد اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم مخرجه عام ومعناه خاص والمراد به ورحمتي وسعت المؤمنين بي من أمة محمد صلى الله عليه وسلم واستشهد بالذي بعده من الكلام وهو قوله فسأكتبها للذين يتقون الآية ذكر من قال ذلك **حدثني** المثنى قال ثنا أبو سلمة المقري قال ثنا حماد بن سلمة قال أخبرنا عطاء عن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس انه قرأ ورحمتي وسعت كل شئ فسأكتبها للذين يتقون قال جعلها الله لهذه الامة **حدثني** عبد الكريم قال ثنا ابراهيم بن بشار قال قال سفيان قال ابو بكر الهذلي فلما نزلت ورحمتي وسعت كل شئ قال ابليس انا من الشئ فنزعها الله من ابليس قال فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون فقال اليهود نحن نتقي ونؤتي الزكاة ونؤمن بآيات ربنا فنزعها الله من اليهود فقال الذين يتبعون الرسول النبي الامي الآيات كلها قال فنزعها الله من ابليس ومن اليهود وجعلها لهذه الامة **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال لما نزلت ورحمتي وسعت كل شئ قال ابليس أنا من كل شئ قال الله فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الآية فقالت اليهود ونحن نتقي ونؤتي الزكاة فأنزل الله الذين يتبعون الرسول النبي الامي قال نزعها الله عن ابليس وعن اليهود وجعلها لامة محمد سأكتبها للذين يتقون من قومك **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شئ فقال ابليس أنا من ذلك الشئ فأنزل الله فسأكتبها للذين يتقون معاصي الله والذين هم بآياتنا يؤمنون فتمنتها اليهود والنصارى فأنزل الله شرطا وثيقا بينا فقال الذين يتبعون الرسول النبي الامي فهو نبيكم أميا لا يكتب

عليه كاسات الشرب أثر فيه سماع الكلمات فطال لسان انبساطه عند التمكن على بساطه فقال رب أرني انظر فقيل هيهات انت بعد في بعد الاثنينية وحجاب جبل الانانية فلن تراني ببصر انانيتك وخر موسى صعقا بالانانية فكان ما كان بعد ان بان ما بان فاشرقت الارض بنور ربها قد كان ما كان سرا لا أبوح به * فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر فلو لم يكن جبل انانية النفس بين موسى الروح وتجلي الرب لطاش في الحال وما عاش ولولا ان القلب خليفة عند الفناء بالتجلي لما أمكنته الافاقة والروح الى الوجود ولو لم يكن تعلق الروح بالجسد لما استسعد بالتجلي فافهم فلما أفاق من غشية الانانية بسطوة تجلي الربوبية قال موسى بلاهويته سبحانك تنزيها لك من خلقك واتصال الخلق بك وأنا أول المؤمنين بانك لا ترى بالانانية وانما ترى بنور هويتك برسالاتي وبكلامي دون رؤيتي وكن من الشاكرين فان الشكر يبلغك الى ما سألت من الرؤية لان الشكر يورث الزيادة هي الرؤية للذين أحسنوا الحسنى وزيادة فخذها بقوة أي بقوة الصدق والاخلاص أو بقوة واعانة منا ساوريكم دار الفاسقين الخارجين عن طلب الله الى طلب الآخرة أو الدنيا ساصرف عن آياتي فيه حجاب التكبر يحرم المتكبر عن رؤية الآيات واتخذ قوم موسى ان سامري الهوى من بعد توجه موسى الروح لميقات مكالمة الحق اتخذ من حلي زينة الدنيا ورعونات البشرية التي استعارها بنو اسرائيل صفات القلب من قبط صفات النفس عجلا هو الدنيا اله خوار يدعو الخلق به الى نفسه ولما سقط في أيديهم عند رجوع موسى الروح الى قومه وهم الاوصاف الانسانية ندمت من فعلها وعادت الى ما كانت فيه من عقوبة الحق والاخلاص له قائلة ان لم يرحمنا بجذبات العناية ربنا الآية غضبان ثم عاتبت صفات القلب عجل الدنيا أسفا على ما فات لها من عبودية الحق أعجلتم أمر ربكم الرجوع الى الدنيا وزينتها والتعلق بها قبل أوانه من غير ان يأمركم به ربكم وفيه اشارة الى أن أصحاب السلوك لا ينبغي ان يلتفتوا الى شئ من الدنيا في اثناء الطلب الا بعد ما قطعوا مفاوز النفس والهوى ووصلوا الى كعبة وصال المولى فما أمرهم المولى ان يرجعوا الى الدنيا لدعوة الخلق وألقى الالواح يعني

صلى

صلى الله عليه وسلم حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية قال أخبرنا خالد الحذاء عن أنيس بن أبي العريان عن ابن عباس في قوله واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة انا هدنا اليك قال فلم يعطها فقال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شئ فسأكتبها للذين يتقون الى قوله الرسول النبي الامي حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن علية وعبد الاعلى عن خالد عن أنيس بن أبي العريان قال عبد الاعلى عن أنيس أبي العريان وقال قال ابن عباس واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة انا هدنا اليك قال فلم يعطها موسى قال عذابي اصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شئ فسأكتبها الى آخر الآية حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قال كان الله كتب في الالواح ذكر محمد وذكر امته وما ذخر لهم عنده وما يسر عليهم في دينهم وما وسع عليهم فيما أحل لهم فقال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شئ فسأكتبها للذين يتقون يعني الشرك الآية * وقال آخرون بل ذلك على العموم في الدنيا وعلى الخصوص في الآخرة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن وقتادة في قوله ورحمتي وسعت كل شئ قالا وسعت في الدنيا البر والفاجر وهي يوم القيامة للذين اتقوا خاصة وقال آخرون هي على العموم وهي التوبة ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة انا هدنا اليك فقال فسأل موسى هذا فقال الله عذابي أصيب به من أشاء العذاب الذي ذكر ورحمتي التوبة وسعت كل شئ فسأكتبها للذين يتقون قال فرحمته التوبة التي سال موسى عليه السلام كتبها الله لنا وأما قوله فسأكتبها للذين يتقون فانه يقول فسأكتب رحمتي التي وسعت كل شئ ومعنى اكتب في هذا الموضع اكتب في اللوح الذي كتب فيه التوراة الذين يتقون يقول للقوم الذين يخافون الله ويخشون عقابه على الكفر به والمعصية له في أمره ونهيه فيؤدون فرائضه ويجتنبون معاصيه وقد اختلف أهل التأويل في المعنى الذي وصف الله هؤلاء القوم بانهم يتقونه فقال بعضهم هو الشرك ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فسأكتبها الذين يتقون يعني الشرك وقال آخرون بل هو المعاصي كلها ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فسأكتبها للذين يتقون معاصي الله وأما الزكاة وايتاؤها فقد بينا صفتها فيما مضى بما أغنى عن اعادته وقد ذكر عن ابن عباس في هذا الموضع انه قال في ذلك ما حدثني المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس ويؤتون الزكاة قال يطيعون الله ورسوله فكان ابن عباس تاول ذلك بمعنى انه العمل بما يزكي النفس ويطهرها من صالحات الاعمال وأما قوله والذين هم بآياتنا يؤمنون فانه يقول وللقوم الذين هم باعلامنا وأدلتنا يصدقون ويقرون

القول في تاويل قوله (الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل) وهذا القول ابانة من الله جل ثناؤه عن ان الذين وعد موسى نبيه عليه السلام ان يكتب لهم الرحمة التي وصفها جل ثناؤه بقوله ورحمتي وسعت كل شئ هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم لانه لا يعلم لله رسول وصف بهذه الصفة أعني الامي غير نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وبذلك جاءت الروايات عن أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمران بن عيينة عن عطاء عن سعيد بن

ما لاح للروح من اللوائح الربانية عند استيلاء الغضب الطبيعي وأخذ برأس أخيه القلب فانه اخو الروح يجره اليه قسرا عند استيلاء طبيعة الروحانية قال ابن أم هما من أب وأم واحد أبوهما الامر وأمهما الخلق وانما نسبه الى الخلق لان في عالم الخلق تواضعا وتذللا بالنسبة الى عالم الامر ان القوم استضعفوني يعني ان أوصاف البشرية استذلوني بالغلبات عند غيبتك وكادوا (٥١) يقتلونني فلا تشمت بي الاعداء وهم الشيطان والنفس والهوى ولا تجعلني مع القوم الظالمين فيه ان صفات القلب تتغير وتتلون بلون صفات النفس ورعوناتها ولكن القلب من حيث هو هو لا يتغير عما جبل عليه من محبة الله وطلبه وانما عرض بتغير صفاته كما ان النفس لا تتغير من حيث هي عما جبلت عليه من حب الدنيا وطلبها وانما تتغير صفاتها من الامارية الى اللوامية والملهمية والمطمئنة والرجوع الى الحق ولو وكلت الى نفسها طرفة عين لعادت الى طبعها رب اغفر لي ولاخي اشارة ان الروح والقلب استعداد قبول الجذبة الالهية لتي يدخلها بالسير في عالم الصفات وكذلك نجزي المفترين الذين يدعون ان الله أعطاهم قوة لا يضرهم عبادة الهوى والدنيا وشهواتها (واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل واياي أتهلكنا بما فعل السفهاء منا ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة انا هدنا اليك قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شئ فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الذي له ملك السموات والارض لا اله الا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق

جبير عن ابن عباس فسأكتبها للذين يتقون قال أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال ثنا زيد بن خباب عن حماد بن سلمة عن عطاء عن ابن عباس قال أمة محمد صلى الله عليه وسلم **حدثنا** أبو كريب وابن وكيع قالا ثنا يحيى بن يمان عن أشعث عن جعفر عن سعيد في قوله فسأكتبها للذين يتقون قال أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقال موسى عليه السلام ليتني خلقت في أمة محمد **حدثنا** ابن حميد وابن وكيع قالا ثنا جرير عن عطاء عن سعيد بن جبير فسأكتبها للذين يتقون قال الذين يتبعون محمدا صلى الله عليه وسلم **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا جرير عن ليث عن شهر بن حوشب عن نوف الحميري قال لما اختار موسى قومه سبعين رجلا لميقات ربه فقال الله لموسى اجعل لكم مسجدا وطهورا واجعل السكينة معكم في بيوتكم وأجعلكم تقرؤن التوراة عن ظهر قلوبكم يقرؤها الرجل منكم والمرأة والحر والعبد والصغير والكبير فقال موسى لقومه ان الله قد جعل لكم الارض طهورا ومسجدا قالوا لا نريد ان نصلي الا في الكنائس قال ويجعل السكينة معكم في بيوتكم قالوا لا نريد الا ان تكون كما كانت في التابوت قال ويجعلكم تقرؤن التوراة عن ظهر قلوبكم ويقرؤها الرجل منكم والمرأة والحر والعبد والصغير والكبير قالوا لا نريد ان نقرأها الا نظرا فقال الله فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة الى قوله أولئك هم المفلحون **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد ابن ثور عن معمر عن يحيى بن أبي كثير عن نوف البكالي قال لما انطلق موسى بوفد بني اسرائيل كلمه الله فقال اني قد بسطت لهم الارض طهورا ومساجد يصلون فيها حيث أدركتهم الصلاة الا عند مرحاض أو قبر أو حمام وجعلت السكينة في قلوبهم وجعلتهم يقرؤن التوراة عن ظهر ألسنتهم قال فذكر ذلك موسى لبني اسرائيل فقالوا لا نستطيع حمل السكينة في قلوبنا فاجعلها لنا في تابوت ولا نقرأ التوراة الا نظرا ولا نصلي الا في الكنيسة فقال الله فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة حتى بلغ أولئك هم المفلحون قال فقال موسى عليه السلام يا رب اجعلني نبيهم قال نبيهم منهم قال رب اجعلني منهم قال لن تدركهم قال يا رب أتيتك بوفد بني اسرائيل فجعلت وفادتنا لغيرنا فأنزل الله ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون قال نوف البكالي فاحمدوا الله الذي حفظ عليكم وأخذ سهمكم وجعل وفادة بني اسرائيل لكم **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا معاذ بن هشام قال ثني أبي عن يحيى ابن أبي كثير عن نوف البكالي بنحوه الا انه قال فاني أنزل عليكم التوراة تقرؤنها عن ظهر ألسنتكم رجالكم ونساؤكم وصبيانكم قالوا لا نصلي الا في كنيسة ثم ذكر سائر الحديث نحوه **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا اسحق بن اسمعيل عن يعقوب عن جعفر عن سعيد بن جبير فسأكتبها للذين يتقون قال أمة محمد صلى الله عليه وسلم **حدثني** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي فسأكتبها للذين يتقون قال هؤلاء أمة محمد صلى الله عليه وسلم **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال لما قيل فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون تمناها اليهود والنصارى فأنزل الله شرطا بينا وثيقا فقال الذين يتبعون الرسول النبي الامي وهو نبيكم صلى الله عليه وسلم كان أميا لا يكتب وقد بينا معنى الامي فيما مضى بما أغنى عن اعادته وأما قوله الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل فان الهاء في قوله يجدونه عائدة على الرسول وهو محمد صلى الله عليه وسلم كالذي **حدثني** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي قوله الذين يتبعون الرسول النبي الامي هذا محمد صلى الله عليه وسلم

وبه يعدلون) القراآت عذابي أصيب بفتح الياء أبو جعفر ونافع آصارهم على الجمع أبو جعفر ونافع وابن عامر وسهل ويعقوب والمفضل الباقون على التوحيد * الوقوف لميقاتنا ج للابتداء بكلمة الجزاء مع فاء التعقيب واياي ط منا ج لتصدر ان النافية مع اتحاد القائل فتنتك ج لان ما بعده مستأنف وتهدي من تشاء (٥٢) ط الغافرين ه اليك ط من أشاء ط للفصل بين الجملتين تعظيما لشانها مع الاتفاق في اللفظ كل شئ ه للسر واختلاف الجملتين والفاء لاستئناف وعد على الخصوص يؤمنون ه ج لاحتمال ما بعده النصب أو الرفع على المدح والجر على البدل والانجيل ز ه لان يأمرهم يحتمل ان يكون خبر مبتدأ محذوف أي هو يأمرهم وان يكون نعتا أي مكتوبا آمرا أو بدلا عن مكتوبا أو مفعولا بعد مفعول أي يجدونه آمرا أو يكون التقدير الامي الذي يأمرهم فيكون كالبدل عن الصلة كانت عليهم ط أنزل معه لا لان ما بعده خبر فالذين المفلحون ه والارض ج لاحتمال ما بعده الابتداء والحال أي استحق ذلك السموات غير مشارك ويميت ه لطول الكلام والا فالفاء للجواب أي اذا كنت رسولا فآمنوا اجابة يهتدون ه يعدلون ه * التفسير الاختيار افتعال من لفظ الخير يقال اختار الشئ اذا أخذ خيره وخياره ومن هنا سمي به فعل الحيوان فعلا اختياريا وذلك ان صدور الفعل من الحيوان موقوف على حكمة يكون ذلك الفعل خيرا له من تركه قال النحويون أصله واختار موسى من قومه فحذف الجار وأوصل الفعل فمن الافعال ما يتعدى الى المفعول الثاني بحرف واحد ثم يتسع فيحذف الحرف من ذلك قولهم اخترت من الرجال زيدا ثم يتسع فيقال اخترت الرجال زيدا وكذا استغفرت الله من ذنبي واستغفرته ذنبي وجوز بعضهم في الآية ان يراد بالقوم المعتبرون منهم اطلاقا لاسم الجنس على ما هو المقصود منهم فيكون مفعولا أول من غير واسطة ويكون سبعين بدلا أو بيانا قيل من اثني عشر سبطا من كل سبط ستة فصار واثنين وسبعين فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال ان لمن قعد منكم مثل أجر من خرج فقعد كالب ويوشع وروي انه لم يحضر الا ستين شيخا فأوحى الله اليه ان يختار من الشبان عشرة

حدثني

حدثنى ابن المثنى قال ثنا أحمد بن عمر قال ثنا فليح عن هلال بن على عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو فقلت أخبرنى عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة قال أجل والله انه لموصوف فى التوراة كصفته فى القرآن يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين أنت عبدى ورسولى أسميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب فى الاسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ولن نقبضه حتى نقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا اله الا الله فنفتح به قلوبا غلفا وآذانا صما وأعينا عميا قال عطاء ثم لقيت كعبا فسألته عن ذلك فما اختلفا حرفا الا ان كعبا قال بلغته قلوبا غلوفيا وآذانا صموميا وأعينا عموميا حدثنى أبو كريب قال ثنا موسى ابن داود قال ثنا فليح بن سليمان عن هلال بن على قال ثنى عطاء قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص فذكر نحوه الا انه قال فى كلام كعب اعينا عموما واذانا صموما وقلوبا غلوفا قال ثنا موسى قال ثنا عبد العزيز بن سلمة عن هلال بن على عن عطاء بن يسار عن عبد الله بنحوه وليس فيه كلام كعب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال الله الذى يجدونه مكتوبا عندهم يقول يجدون نعته وأمره ونبوته مكتوبا عندهم ۞ القول فى تأويل قوله (يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم) يقول تعالى ذكره يأمر هذا النبى الامى أتباعه بالمعروف وهو الايمان بالله ولزوم طاعته فيما أمر ونهى فذلك المعروف الذى يأمرهم به وينهاهم عن المنكر وهو الشرك بالله والانتهاء عما نهاهم الله عنه وقوله ويحل لهم الطيبات وذلك ما كانت الجاهلية تحرمه من البحائر والسوائب والوصائل والحوامى ويحرم عليهم الخبائث وذلك لحم الخنزير والربا وما كانوا يستحلونه من المطاعم والمشارب التى حرمها الله كما حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس ويحرم عليهم الخبائث وهو لحم الخنزير والربا وما كانوا يستحلونه من المحرمات من المآكل التى حرمها الله وأما قوله ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم فان أهل التأويل اختلفوا فى تأويله فقال بعضهم يعنى بالاصر العهد والميثاق الذى كان أخذه على بنى اسرائيل بالعمل بما فى التوراة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا جابر بن نوح عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس ويضع عنهم اصرهم قال عهدهم قال ثنا المحاربى عن جويبر عن الضحاك قال عهدهم حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن على قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن الضحاك مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن يمان عن مبارك عن الحسن ويضع عنهم اصرهم قال العهود التى أعطوها من أنفسهم قال ثنا ابن نمير عن موسى بن قيس عن مجاهد ويضع عنهم اصرهم قال عهدهم حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم يقول يضع عنهم عهودهم ومواثيقهم التى أخذت عليهم فى التوراة والانجيل حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم ما كان الله أخذ عليهم من الميثاق فيما حرم عليهم ان يضع ذلك عنهم وقال بعضهم عنى بذلك انه يضع عمن اتبع نبى الله صلى الله عليه وسلم التشديد الذى كان على بنى اسرائيل فى دينهم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ويضع عنهم اصرهم والاغلال

فاختارهم فأمرهم أن يصوموا ويطهروا ويطهروا ثيابهم ثم خرج بهم الى طور سيناء لميقات ربه وقيل كانوا أبناء ما عدا العشرين ولم يجاوزوا الاربعين قد ذهب عنهم الجهل والصبى فأمرهم موسى أن يتطهروا وللمفسرين خلاف فى أن هذا الميقات عين ميقات الكلام والرؤية أم غيره الذاهبون الى الاول قالوا ان موسى كان أمره ربه ان يأتيه فى سبعين من بنى اسرائيل فلما سمعوا الكلام طلبوا الرؤية وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة وهى المراد من الرجفة فى هذه الآية والذاهبون الى الثانى حملوا القصة على ما مر فى البقرة فى تفسير قوله واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك وقد ذكرنا هنالك ان منهم من قال هذه الواقعة كانت قبل قتل الانفس توبة من عبادة العجل ومنهم من قال انها كانت بعد القتل واحتج أصحاب هذا المذهب على المغايرة بانه تعالى ذكر قصة ميقات الكلام وطلب الرؤية ثم أتبعها ذكر قصة العجل ثم ختم الكلام بهذه القصة فظاهر الحال يقتضى أن تكون هذه القصة مغايرة لتلك القصة والا انخرم التناسب عن على عليه السلام ان موسى وهرون انطلقا الى سفح جبل فنام هرون فتوفاه الله تعالى فلما رجع موسى الى قومه قالوا انه قتل هرون فاختار من قومه سبعين فذهبوا الى هرون فأحياه الله تعالى فقال ما قتلنى أحد فأخذتهم الرجفة هنالك قيل كانت موتا وقيل أخذتهم الرعدة حتى كادت تبين مفاصلهم وتنقض ظهورهم فخاف موسى عليهم الموت فدعا الله تعالى وقال رب لو شئت أهلكتهم من قبل واياى قال فى الكشاف هذا تمن منه للاهلاك قبل ان يرى ما رأوا كما يقول النادم على الامر اذا رأى سوء المغبة لو شاء الله لاهلكنى قبل هذا أتهلكنا جميعا يعنى نفسه واياهم بما فعل السفهاء منا قال أهل العلم لا يجوز أن يظن موسى ان الله تعالى أهلك قوما بذنوب غيرهم فهذا الاستفهام بمعنى الجحد أراد انك لا تفعل ذلك كما تقول أتهين من يخدمك تريد انك لا تفعل ذلك وقال المبرد انه استفهام استعطاف أى لا تهلكنا قيل لو كان تسفيههم اقوالهم لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ناسب أن يقال أتهلكنا بما قاله السفهاء فاذن التسفيه لفعل صدر عنهم كعبادة العجل أو غيرها ومنه يعلم ان هذا الميقات غير ميقات طلب

الرؤية ان هى الا فتنتك الضمير يعود الى الفتنة كما تقول ان هو الا زيد وان هى الا هند قاله الواحدى ولعله يعود الى مقدر ذهنى والمعنى ان الفتنة التى وقع فيها السفهاء لم تكن الا فتنتك ابتلاؤك ومحنتك حين كلمتنى وسمعوا كلامك أو حين اسمعتهم صوت العجل تضل بها أى بالفتنة من تشاء فيفتتن وتهدى من تشاء فيثبت على الحق قالت الاشاعرة فى الآية دلالة ظاهرة على مذهبنا ان الاضلال والهداية من الله تعالى وقالت المعتزلة ان محنته لما كانت سببا لان ضلوا واهتدوا فكانه أضلهم بها وهداهم على الاتساع فى الكلام أو الضمير يعود الى الرجفة أى تضل عن الجنة بسبب عدم الصبر على تلك الرجفة أو لعدم الايمان بانها من عندك من تشاء وتهدى الى الجنة بها اضداد ما قلنا من تشاء أو المراد بالاضلال الاهلاك أى تهلك من تشاء بالرجفة وتصرفها عن من تشاء أنت ولينا يفيد الحصر أى لا ولى لنا ولا ناصر الا أنت فاغفر لنا وارحمنا قيل تذكر ان قوله ان هى الا فتنتك جراءة عظيمة فاشرك نفسه مع قومه فى طلب المغفرة والرحمة وأنت خير الغافرين لان غفرانك غير متوقف على جلب نفع أو دفع ضر بل لمحض الفضل والكرم واكتب أوجب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الآخرة نظيره سؤال المؤمنين من هذه الامة ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقد فسرناها فى سورة البقرة واعلم ان كونه تعالى وليا للعبد يناسبه أن يطلب العبد منه دفع المضار وتحصيل المنافع ليظهر آثار كرمه والهيته وأيضا اشتغال العبد بالتوبة والخضوع يناسب طلب هذه الاشياء فذكر السبب الاول ثم رتب عليه الدعاء وختمه بالسبب الثانى وهو قوله انا هدنا اليك العبودية فلا يبعد وقوع الاجابة ولان دفع الضر مقدم على تحصيل النفع قدم المغفرة والرحمة على طلب ايجاب الحسنة فى الدارين قال الله تعالى فى جواب موسى عذابى من حاله وصفته أن أصيب به من أشاء اذ ليس لاحد على اعتراض فى ملكى وقالت المعتزلة أى من وجب على فى الحكمة تعذيبه ولم يكن فى العفو عنه مساغ لكونه مفسدة وقرأ الحسن من أساء من الاساءة ورحمتى من شأنها انها وسعت كل شئ قالت الاشاعرة هذا من العام الذى أريد به الخاص وقال

التى كانت عليهم فجاء محمد صلى الله عليه وسلم باقالة منه وتجاوز عنه حدثنى المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا شريك عن سالم عن سعيد ويضع عنهم اصرهم قال التربك ونحوه مما غلظ على بنى اسرائيل قال ثنا الحمانى قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد قال شدة العمل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد قوله ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم قال من اتبع محمدا ودينه من أهل الكتاب وضع عنهم ما كان عليهم من التشديد فى دينهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن فضيل عن أشعث عن ابن سيرين قال قال أبو هريرة لابن عباس ما علينا فى الدين من حرج ان نزنى ونسرق قال بلى ولكن الاصر الذى كان على بنى اسرائيل وضع عنكم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ويضع عنهم اصرهم قال اصرهم الذى جعله عليهم *قال أبو جعفر وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب ان يقال ان الاصر هو العهد وقد بينا ذلك بشواهده فى موضع غير هذا بما فيه الكفاية وان معنى الكلام ويضع النبى الامى العهد الذى كان الله أخذ على بنى اسرائيل من اقامة التوراة والعمل بما فيها من الاعمال الشديدة كقطع الجلد من البول وتحريم الغنائم ونحو ذلك من الاعمال التى كانت عليهم مفروضة فنسخها حكم القرآن وأما الاغلال التى كانت عليهم فكان ابن زيد يقول بما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب عنه فى قوله والاغلال التى كانت عليهم قال الاغلال وقرأ غلت أيديهم قال تلك الاغلال قال ودعاهم الى ان يؤمنوا بالنبى فيضع ذلك عنهم ۞ القول فى تاويل قوله (فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون) يقول تعالى ذكره فالذين صدقوا بالنبى الامى وأقروا بنبوته وعزروه يقول وقروه وعظموه وحموه من الناس كما حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس وعزروه يقول حموه ووقروه حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنى ابن قيس عن مجاهد وعزروه ونصروه قال عزروه سددوا أمره وأعانوا رسوله ونصروه وقوله ونصروه يقول وأعانوا على أعداء الله وأعدائه بجهادهم ونصب الحرب لهم واتبعوا النور الذى أنزل معه يعنى القرآن والاسلام أولئك هم المفلحون يقول الذين يفعلون هذه الافعال التى وصف بها جل ثناؤه اتباع محمد صلى الله عليه وسلم هم المنجحون المدركون ما طلبوا ورجوا بفعلهم ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال فما نقموا يعنى اليهود الا ان حسدوا نبى الله فقال الله الذين آمنوا به وعزروه ونصروه فاما نصره وتعزيره فقد سبقتم به ولكن خياركم من آمن بالله واتبع النور الذى أنزل معه يريد قتادة بقوله فما نقموا الا ان حسدوا نبى الله ان اليهود كان محمد صلى الله عليه وسلم بما جاء به من عند الله رحمة عليهم لو اتبعوه لانه جاء بوضع الاصر والاغلال عليهم فحملهم على الكفر به وترك قبول التخفيف لغلبة خذلان الله عليهم ۞ القول فى تاويل قوله (قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا الذى له ملك السموات والارض لا اله الا هو يحيى ويميت فآمنوا بالله ورسوله) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد للناس كلهم انى رسول الله اليكم جميعا لا الى بعضكم دون بعض كما كان من قبلى من الرسل مرسلا الى بعض الناس دون بعض فمن كان منهم أرسل كذلك فان رسالتى ليست الى بعضكم دون بعض ولكنها الى جميعكم وقوله الذى من نعت اسم الله وانما معنى الكلام قل يا أيها الناس انى رسول الله الذى له ملك السموات والارض اليكم ويعنى جل ثناؤه بقوله الذى له ملك السموات والارض الذى له سلطان السموات

والارض

أكثر المحققين ان رحمته في الدنيا نعم الكل مامن مسلم ولا كافر ولا مطيع ولا عاص الا وهو متقلب في نعمته وأما في الآخرة فهي مختصة بالمؤمنين وذلك قوله فسأكتبها للذين يتقون وقيل الوجود خير من العدم فلا موجود الا وهو مشمول بنعمته وقيل الخير مطلوب بالذات والشر مطلوب بالعرض وما بالذات راجح غالب وقالت المعتزلة الرحمة عبارة عن ارادة الخير ولا حي الا وقد خلقه الله تعالى للرحمة والخير والالذة وان حصل هناك ألم فله أعواض كثيرة واعلم ان تكاليف الله تعالى كثيرة ولكنها محصورة في نوعين التروك والافعال فقوله فسأكتبها للذين يتقون اشارة الى التروك والتكليف الفعلي اما مالي وهو قوله ويؤتون الزكاة واما غيره وذلك قوله والذين هم بآياتنا يؤمنون فانه يشمل كل ما يجب على الانسان علما وعملا ثم ضم الى ذلك اتباع النبي الامي الى آخره ووصف محمدا صلى الله عليه وسلم في هذه الآية بصفات تسع الاولى الرسالة الثانية النبوة فان قيل النبوة مندرجة تحت الرسالة فلم أفردها بالذكر قلت لا بل بينهما عموم وخصوص من وجه فقد يكون رسولا ولا يكون نبيا كقوله جاعل الملائكة رسلا وقد يكون نبيا لا رسولا ككثير من الانبياء فلا يكون أحد الوصفين على الاطلاق مغنيا عن الآخر ولو سلم فذكر الآخر تتميم وتصريح لما علم ضمنا الثالثة كونه أميا قال الزجاج معناه انه على صفة أمة العرب قال صلى الله عليه وآله انا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب وقيل انه منسوب الى الام أي انه على هيئته يوم ولد لم يكتسب خطا ودراسة وكان هذا من جملة معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم وبيانه من وجوه الاول انه كان يقرأ عليهم كتاب الله منظوما مرة بعد أخرى من غير تبديل والخطيب من العرب اذا ارتجل خطبة ثم اعادها فانه لا بد يزيد فيها او ينقص وهذا المعنى من مدد سماوي كقوله سنقرئك فلا تنسى الثاني لو كان يحسن الخط والقراءة لصار متهما بانه طالع كتب الاولين ولما أتى بهذا القرآن العظيم المشتمل على جلائل العلوم من غير تعلم ومطالعة عرف انه من السماء واليه الاشارة بقوله وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون الثالث ان تعلم الخط لا يفتقر الا الى فطنة قليلة ومع ذلك كان الخط

والارض ومافيهما وتدبير ذلك وتصريفه لا اله الا هو يقول لا ينبغي ان تكون الالوهة والعبادة الا له جل ثناؤه دون سائر الاشياء غيره من الانداد والاوثان الا لمن له سلطان كل شيء والقادر على انشاء خلق كل ما شاء واحيائه وافنائه اذا شاء اماتته فآمنوا بالله ورسوله يقول جل ثناؤه قل لهم فصدقوا بآيات الله الذي هذه صفته وأقروا بوحدانيته وانه الذي له الالوهة والعبادة وصدقوا برسوله محمد صلى الله عليه وسلم انه مبعوث الى خلقه داع الى توحيده وطاعته ۞ القول في تأويل قوله (النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون) أما قوله النبي الامي فانه من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بينت معنى قول القائل النبي فيما مضى بما أغنى عن اعادته وكذلك معنى قوله الامي الذي يؤمن بالله يقول الذي يصدق بالله وكلماته ثم اختلف أهل التأويل في تأويل قوله وكلماته فقال بعضهم معناه وآياته ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الذي يؤمن بالله وكلماته يقول آياته وقال آخرون بل عنى بذلك عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد قوله الذي يؤمن بالله وكلماته قال عيسى ابن مريم وحدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدي الذي يؤمن بالله وكلماته فهو عيسى ابن مريم * قال أبو جعفر والصواب من القول في ذلك عندنا ان الله تعالى ذكره أمر عباده ان يصدقوا بنبوة النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته ولم يخصص الخبر جل ثناؤه عن ايمانه من كلمات الله ببعض دون بعض بل أخبرهم عن جميع الكلمات فالحق في ذلك ان يعم القول فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يؤمن بكلمات الله كلها على ما جاء به ظاهر كتاب الله وأما قوله تعالى واتبعوه لعلكم تهتدون فاهتدوا به أيها الناس واعملوا بما أمركم ان تعملوا به من طاعة الله لعلكم تهتدون يقول لكي تهتدوا فترشدوا وتصيبوا الحق في اتباعكم اياه ۞ القول في تأويل قوله (ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) يعني تعالى ذكره ومن قوم موسى يعني بني اسرائيل أمة يقول جماعة يهدون بالحق يقول يهتدون بالحق أي يستقيمون عليه ويعملون وبه يعدلون أي وبالحق يعطون ويأخذون وينصفون من أنفسهم فلا يجورون وقد قال في صفة هذه الامة التي ذكرها الله في الآية جماعة أقوالا نحن ذاكرو ما حضرنا منها حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير عن ابن عيينة عن صدقة أبي الهذيل عن السدي ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون قال قوم بينكم وبينهم نهر من شهد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون قال بلغني ان بني اسرائيل لما قتلوا أنبياءهم كفروا وكانوا اثني عشر سبطا تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسألوا الله ان يفرق بينهم وبينهم ففتح الله لهم نفقا في الارض فساروا فيه حتى خرجوا من وراء الصين فهم هنالك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا قال ابن جريج قال ابن عباس فذلك قوله ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون وقوله وقلنا من بعده لبني اسرائيل اسكنوا الارض فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا ووعد الآخرة عيسى ابن مريم يخرجون معه قال ابن جريج قال ابن عباس ساروا في السرب سنة ونصفا ۞ القول في تأويل قوله (وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطا أمما) يقول تعالى ذكره فرقناهم يعني قوم موسى من بني اسرائيل فرقهم الله فجعلهم قبائل يعني اثنتي عشرة قبيلة وقد بينا معنى الاسباط

مشكلا عليه ثم ان الله تعالى آتاه علوم الاولين والآخرين ومالم يصل اليه أحد من العالمين فالجمع بين هاتين الحالتين من الامور الخارقة للعادة كالجمع بين الضدين الصفة الرابعة الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل الضمير في يجدون للذين يتبعونه من بني اسرائيل ثم ان كان المراد اسلافهم فالوجه ان يراد بالاتباع اعتقاد نبوته من حيث وجدوا نعته في التوراة اذ لا يمكن أن يتبعوه في شرائعه قبل بعثه الى الخلق ويكون المراد من قوله والانجيل انهم يجدونه مكتوبا عندهم ان نعته في الانجيل فمن المحال ان يجدوه في الانجيل قبل انزال الانجيل وان كان المراد المعاصرين فالمعنى ان هذه الرحمة لا يفوز بها من بني اسرائيل الا من اتقى وآتى الزكاة وآمن بالدلائل في زمن موسى واتبع نبي آخر الزمان في شرائعه وفي هذا دليل على ان نعته وصحة نبوته مكتوب في التوراة والانجيل والا كان ذكر هذا الكلام من أعظم القوادح والمنفرات لاهل الكتابين عن قبول قوله لان الاصرار على الزور والبهتان يوجب نقصان حال المدعي فلا يرتكبه عاقل فلما أصر على ذلك دل على أن الامر في نفسه كذلك الخامسة والسادسة يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر وقد ذكرنا تفصيل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في آل عمران ومجامع ذلك محصورة في قوله صلى الله عليه وسلم ملاك الدين تعظيم أمر الله والشفقة على خلق الله فان كل ذرة من ذرات المخلوقات لما كانت دليلا قاهرا وبرهانا باهرا على توحيد الله وتنزيهه فانه يجب النظر اليها بعين الاحترام والاشفاق كما يليق بهم السابعة ويحل لهم الطيبات قيل أي ما يستطاب طبعا لان تناول ذلك يفيد لذة وقيل يعني الاشياء التي حكم الله تعالى بحلها وزيف بانه يجري مجرى قول القائل ويحل لهم المحللات وهو تكرير ويمكن ان يجاب بان المراد يبين لهم المحللات وفائدة العدول ان يعلم ان كل حلال مستطاب طبعا وان الاصل في كل ما تستطيبه النفس ويستلذه الطبع الحل الا لدليل منفصل وقيل معنى ما يحرم عليهم من الاشياء الطيبة كالشحوم وغيرها الثابتة ويحرم عليهم الخبائث قال عطاء عن ابن عباس الميتة والدم ونحوهما من اعمالهم وقيل كل ما يستخبثه

فيما مضى ومن هم واختلف أهل العربية في وجه تأنيث الاثنتي عشرة والاسباط جمع مذكر فقال بعض نحويي البصرة أراد اثنتي عشرة فرقة ثم أخبر ان الفرق اسباط ولم يجعل العدد على اسباط وكان بعضهم يستحيل على هذا التأويل ويقول لا يخرج العدد على غير الثاني ولكن الفرق قبل الاثنتي عشرة حتى تكون الاثنتا عشرة مؤنثا على ما قبلها ويكون الكلام وقطعناهم فرقا اثنتي عشرة اسباطا فيصح التأنيث لما تقدم وقال بعض نحويي الكوفة انما قال اثنتي عشرة بالتأنيث والسبط مذكر لان الكلام ذهب الى الامم فغلب التأنيث وان كان السبط ذكرا وهو مثل قول الشاعر

وان كلابا هذه عشر أبطن * وأنت برئ من قبائلها العشر

ذهب بالبطن الى القبيلة والفصيلة فلذلك جمع البطن بالتأنيث وكان آخرون من نحويي الكوفة يقولون انما أنثت الاثنتا عشرة والسبط ذكر لذكر الامم * والصواب من القول في ذلك عندي ان الاثنتا العشرة أنثت لتأنيث القطعة ومعنى الكلام وقطعناهم قطعا اثنتي عشرة ثم ترجم عن القطع بالاسباط وغير جائز أن تكون الاسباط مفسرة عن الاثنتي العشر وهي جمع لان التفسير فيما فوق العشر الى العشرين بالتوحيد لا بالجمع والاسباط جمع لا واحد وذلك كقولهم عندي اثنتا عشرة امرأة ولا يقال عندي اثنتا عشرة نسوة ففي ذلك ان الاسباط ليست بتفسير للاثنتي العشرة وان القول في ذلك على ما قلنا وأما الامم فالجماعات والسبط في بني اسرائيل نحو القرن وقيل انما فرقوا اسباطا لاختلافهم في دينهم ۞ القول في تأويل قوله (وأوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم وظللنا عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) يقول تعالى ذكره وأوحينا الى موسى اذ فرقنا بني اسرائيل قومه اثنتي عشرة فرقة وتيهناهم في التيه فاستسقوا موسى من العطش وغؤور الماء أن اضرب بعصاك الحجر وقد بينا السبب الذي كان قومه استسقوه وبينا معنى الوحي بشواهده فانبجست فانصبت وانفجرت من الحجر اثنتا عشرة عينا من الماء قد علم كل أناس مشربهم من الاسباط الاثنتي عشرة مشربهم لا يدخل سبط على غيره في شربه وظللنا عليهم الغمام يكنهم من حر الشمس وأذاها وقد بينا معنى الغمام فيما مضى قبل وكذلك المن والسلوى وأنزلنا عليهم المن والسلوى طعاما لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم يقول وقلنا لهم كلوا من حلال ما رزقناكم أيها الناس وطيبناه لكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون وفي الكلام محذوف ترك ذكره استغناء بما ظهر عما ترك وهو فاجتووا ذلك وقالوا لن نصبر على طعام واحد فاستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير وما ظلمونا يقول وما أدخلوا علينا نقصا في ملكنا وسلطاننا بمسألتهم ما سألوا وفعلهم ما فعلوا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون أي ينقصونها حظوظها باستبدالهم الادنى بالخير والارذل بالافضل ۞ القول في تأويل قوله (واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واذكر أيضا يا محمد من خطأ فعل هؤلاء القوم وخلافهم على ربهم وعصيانهم نبيهم موسى عليه السلام وتبديلهم القول الذي أمروا أن يقولوه حين قال الله لهم اسكنوا هذه القرية وهي قرية بيت المقدس وكلوا منها يقول من ثمارها وحبوبها ونباتها حيث شئتم منها يقول أنى شئتم منها وقولوا حطة يقول وقولوا هذه الفعلة حطة تحط ذنوبنا نغفر لكم يتغمد لكم ربكم ذنوبكم

الطيب فالاصل فيه الحرمة الا بدليل منفصل التاسعة و يضع عنهم اصرهم الاصر الثقل الذي يأصر صاحبه أي يحبسه من الحراك لثقله وهو مثل لصعوبة تكاليفهم كاشتراط قتل النفس في صحة التوبة وكذا الاغلال التي كانت عليهم مثل لما في شرائعهم من الامور الشاقة كالقصاص بتة من غير شرع الدية وكقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب واحراق الغنائم وتحريم العروق في اللحم

التي سلفت منكم فيعفو لكم عنها فلا يؤاخذكم بها سنزيد المحسنين منكم وهم المطيعون لله على ما وعدتكم من غفران الخطايا وقد ذكرنا الروايات في كل ذلك باختلاف المختلفين والصحيح من القول لدينا فيه فيما مضى بما أغنى عن اعادته ۞ القول في تأويل قوله (فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فأرسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون) يقول تعالى ذكره فغير الذين كفروا بالله منهم ما أمرهم الله به من القول فقالوا وقد قيل لهم قولوا هذه حطة حنطة في شعيرة وقولهم ذلك كذلك هو غير القول الذي قيل لهم قولوه يقول الله تعالى فأرسلنا عليهم رجزا من السماء بعثنا عليهم عذابا أهلكناهم بما كانوا يغيرون ما يؤمرون به فيفعلون خلاف ما أمرهم الله بفعله و يقولون غير الذي أمرهم الله بقيله وقد بينا معنى الرجز فيما مضى ۞ القول في تأويل قوله (واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر اذ يعدون في السبت اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون) يقول تعالى ذكره واسأل يا محمد هؤلاء اليهود وهم مجاوروك عن أمر القرية التي كانت حاضرة البحر يقول كانت بحضرة البحر أي بقرب البحر وعلى شاطئه واختلف أهل التأويل فيها فقال بعضهم هي ايلة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن ادريس عن محمد بن اسحق عن داود بن حصين عن عكرمة عن ابن عباس واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر قال هي قرية يقال لها أيلة بين مدين والطور حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عبد الله بن كثير في قوله واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر قال سمعنا أنها ايلة حدثني سلام بن سالم الخزاعي قال ثنا يحيى ابن سليم الطائفي قال ثنا ابن جريج عن عكرمة قال دخلت على ابن عباس والمصحف في حجره وهو يبكي فقلت ما يبكيك جعلني الله فداك فقال ويلك وتعرف القرية التي كانت حاضرة البحر فقلت تلك ايلة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن أبي بكر الهذلي عن عكرمة عن ابن عباس واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر قال هي أيلة حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال هي قرية على شاطئ البحر بين مصر والمدينة يقال لها ايلة حدثنا موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي قال هم أهل أيلة القرية التي كانت حاضرة البحر حدثني الحرث قال ثنا أبو سعد عن مجاهد في قوله واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر قال أيلة وقال آخرون معناه ساحل مدين حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر الآية ذكر لنا أنها كانت قرية على ساحل البحر يقال لها أيلة وقال آخرون هي مقنا ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر قال هي قرية يقال لها مقنا بين مدين وعينونا وقال آخرون هي مدين ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثني محمد بن اسحق عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال هي قرية بين ايلة والطور يقال لها مدين ۞ والصواب من القول في ذلك ان يقال هي قرية حاضرة البحر وجائز أن تكون ايلة وجائز أن تكون مدين وجائز أن تكون مقنا لان كل ذلك حاضرة البحر ولا خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطع العذر بأن ذلك من أي والاختلاف فيه على ما وصفت ولا يوصل الى علم ما قد كان فمضى مما لم نعاينه الا بخبر يوجب العلم ولا خبر كذلك في ذلك

جعلها الله تعالى اغلالا لان التحريم يمنع من الفعل كما ان الغل يمنع من الفعل عن عطاء كانت بنو اسرائيل اذا قامت تصلي لبسوا المسوح وغلوا أيديهم الى أعناقهم وربما ثقب الرجل ترقوته وجعل فيها طرف السلسلة وأوثقها على السارية يحبس نفسه على العبادة فالاغلال على هذا القول غير مستعارة في الآية دلالة على ان الاصل في المضار والمشاق الحرمة كما قال صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية السهلة السمحة وهذا أصل عظيم في هذه الشريعة ثم لما وصفه بالصفات التسع أكد الايمان به بقوله فالذين آمنوا به قال ابن عباس يعني من اليهود والاولى حمله على العموم وعزروه وقروه وعظموه قال في الكشاف وأصل العزر المنع ومنه التعزير للضرب دون الحد لانه منع من معاودة القبيح فالمراد ومنعوه حتى لا يقوى عليه عدوه وعلى هذا لم يبق بينه و بين قوله ونصروه فرق كثير واتبعوا النور الذي أنزل معه وهو القرآن أي أنزل مع نبوته لان نبوته ظهرت مع ظهور القرآن أو يتعلق باتبعوا أي اتبعوا القرآن المنزل مع اتباع الذي والعمل بسنته واتبعوا القرآن كما تبعه النبي مصاحبين له في اتباعه أولئك هم المفلحون الفائزون بالمطلوب في الدارين اعلم انه سبحانه لما قال فسأكتبها للذين يتقون بين ان من شرط فوز الرحمة لاولئك المتقين كونهم متبعين لرسول آخر الزمان ثم أراد ان يحقق عموم رسالته الى المكلفين فقال قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا وانتصابه على الحال من اليكم وفيه دليل على ان محمدا صلى الله عليه وآله مبعوث الى الخلق كافة خلافا لطائفة من اليهود يقال لهم العيسوية اتباع عيسى الاصفهاني زعموا ان محمدا صلى الله عليه وسلم رسول صادق لكنه مبعوث الى العرب خاصة

يقتضي القدح في كونه رسولا الى العرب والى غيرهم وزعم بعض العلماء انه عام دخله التخصيص لانه غير مبعوث الى غير المكلفين بقوله صلى الله عليه وسلم رفع القلم عن ثلاث عن الصبي (٥٨) حتى يبلغ وعن النائم حتى يستيقظ وعن المجنون حتى يفيق وأيضا يمكن وجود قوم في طرف من اطراف العمارة لم يصل اليهم خبر وجوده فهم لا يكونون مكلفين بالاقرار بنبوته والجواب ان رفع القلم عن الاصناف الثلاثة أيضا حكم عليهم فبهذا الاعتبار يدخلون تحت الخطاب وان وجود قوم كما زعمتم من المستبعدات فلا يستحق الالتفات اليه قال بعض الاكابر ان الآية وان دلت على انه صلى الله عليه وسلم مبعوث الى كل الخلق فليس فيها دلالة على ان غيره من الانبياء ما كان مبعوثا الى كلهم وقد تمسك جمع من العلماء بالحديث المشهور أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي أرسلت الى الاحمر والاسود وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا ونصرت بالرعب مسيرة شهر واحلت لي الغنائم وختم بي النبيون ورد بان مجموع هذه الامور من خواصه لا كل واحد واحد وبان آدم بعث الى كل أولاده في ذلك الزمان فيكون مبعوثا الى كل الناس وقتئذ ولا يخفى ضعف هذا الرد لانا نعلم من دين محمد انه خاتم النبيين وحده وفي رواية أخرى وأحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي واذا كان بعض هذه الامور من خواصه لزم أن يكون كل واحد منها كذلك وأيضا ان آدم لم يكن مبعوثا الى حواء لانها عرفت التكاليف لا بواسطة آدم بدليل ولا تقربا ثم لما أمر رسول الله بان يقول للناس انى رسول الله اليكم اتبعه ذكر ما يدل على صحة هذه الدعوى وانها لا تتم الا بتقرير أصول أربعة أولها اثبات ان للعالم الها حيا عالما قادرا وأشار اليه بقوله الذى له ملك السموات والارض اذ لو لم يكن للعالم مؤثر أو كان له مؤثر موجب بالذات لا فاعل بالاختيار لم يمكن القول بعثة الرسول ومحل الذى نصب أو رفع على المدح أو جر بدلا أو وصفا لله وثانيها ان اله العالم واحد وذلك قوله لا اله الا هو اذ لو فرض الهان لم يكن عبادة أحدهما أولى من عبادة بذلك

وقوله اذ يعدون في السبت يعني به أهله اذ يعتدون في السبت أمر الله ويتجاوزونه الى ما حرمه الله عليهم يقال منه عدا فلان أمري واعتدى اذا تجاوزه وكان اعتداؤهم في السبت ان الله حرم عليهم السبت فكانوا يصطادون فيه اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا يقول اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم الذى نهوا فيه عن العمل شرعا يقول شارعة ظاهرة على الماء من كل طريق وناحية كشوارع الطرق كالذى حدثنا أبو كريب قال ثنا عثمان بن سعد عن بشر بن عمارة عن ابى روق عن الضحاك عن ابن عباس اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا يقول ظاهرة على الماء حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس شرعا يقول من كل مكان وقوله ويوم لا يسبتون يقول ويوم لا يعظمونه تعظيمهم السبت وذلك سائر الايام غير يوم السبت لا تأتيهم الحيتان كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون يقول كما وصفنا لكم من الاختبار والابتلاء الذى ذكرنا باظهار السمك لهم على ظهر الماء في اليوم المحرم عليهم صيده واخفائها عنهم في اليوم المحلل صيده كذلك نبلوهم ونختبرهم بما كانوا يفسقون يقول بفسقهم عن طاعة الله وخروجهم عنها واختلفت القراء في قراءة قوله ويوم لا يسبتون بفتح الياء من يسبتون من قول القائل سبت فلان يسبت سبتا وسبوتا اذا عظم السبت وذكر عن الحسن البصري انه كان يقرؤه ويوم لا يسبتون بضم الياء من أسبت القوم يسبتون اذا دخلوا في السبت كما يقال اجمعنا مررت بنا جمعة وأشهرنا مر بنا شهر وأسبتنا مر بنا سبت ونصب يوم من قوله ويوم لا يسبتون بقوله لا تأتيهم لان معنى الكلام لا تأتيهم يوم لا يسبتون

۞ القول في تأويل قوله (واذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واذكر أيضا يا محمد اذ قالت أمة منهم جماعة منهم لجماعة كانت تعظ المعتدين في السبت وتنهاهم عن معصية الله فيه لم تعظون قوما الله مهلكهم في الدنيا بمعصيتهم اياه وخلافهم أمره واستحلالهم ما حرم عليهم أو معذبهم عذابا شديدا في الآخرة قال الذين كانوا ينهونهم عن معصية الله مجيبيهم عن قولهم عظتنا اياهم معذرة الى ربكم نؤدي فرضه علينا في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ولعلهم يتقون يقول ولعلهم ان يتقوا الله فيخافوه فينيبوا الى طاعته ويتوبوا من معصيتهم اياه وتعديهم على ما حرم عليهم من اعتدائهم في السبت كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قالوا معذرة الى ربكم لسخطنا أعمالهم ولعلهم يتقون أي ينزعون عما هم عليه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولعلهم يتقون قال يتركون هذا العمل الذى هم عليه واختلفت القراء في قراءة قوله قالوا معذرة فقرأ ذلك عامة قراء الحجاز والكوفة والبصرة معذرة بالرفع على ما وصفت من معناها وقرأ ذلك بعض أهل الكوفة معذرة نصبا بمعنى اعذارا وعظناهم وفعلنا ذلك واختلف أهل العلم في هذه الفرقة التى قالت لم تعظون قوما الله مهلكهم هل كانت من الناجية أم من الهالكة فقال بعضهم كانت من الناجية لانها كانت من الناهية الفرقة الهالكة عن الاعتداء في السبت ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله واذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا هي قرية على شاطئ البحر بين مكة والمدينة يقال لها ايلة فحرم الله عليهم الحيتان يوم سبتهم وكانت الحيتان تأتيهم يوم سبتهم شرعا في ساحل البحر فاذا مضى يوم السبت لم يقدروا عليها فكثوا

الآخر وثالثها انه تعالى قادر على الخير والشر والبعث والحساب كما قال يحيي ويميت وانما لم يوسط العاطف بين هذه الجمل لان كلا منها مبينة لما قبلها واذا ثبت هذه الاصول الثلاثة ثبت أصل رابع وهو انه يصح من الله تعالى ارسال الرسل ومطالبة الخلق بالتكاليف أما بالاصل الاول والثانى فلانه يحسن من المولى مطالبة عبده بطاعته وخدمته ولاسيما اذا كان فردا منزها عن الشريك والنظير مستقلا بالامر والنهى وأما بالاصل الثالث فلانه يحسن من القادر تكليف المكلف بنوع من طاعته ايصالا له الى الجزاء والى لذة الجزاء فان تحصيل لذة الاجر بدون كونه أجرا ممتنع وأشار الى هذا الاصل الرابع بقوله فآمنوا بالله ورسوله النبى الامى اقتصر من الصفات المذكورة ههنا على الامية لانها أجل الاوصاف وأدلها على حقيته وذلك انه لم يتفق له مطالعة كتاب ولا مصاحبة معلم لانه ما كانت مكة بلدة العلماء وما غاب عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم غيبة طويلة يمكن التعلم فيها ومع ذلك فتح الله عليه أبواب العلم والتحقيق وأظهر عليه هذا القرآن الذى اشتمل على علوم الاولين والآخرين فليس ذلك الا بتأييد سماوى وفيض الهى ثم وصف بقوله الذى يؤمن بالله وكلماته لان النبى صلى الله عليه وآله يجب أن يكون ممن آمن بالله وبكتبه وانما لم يقل فآمنوا بالله وبى بعد قوله انى رسول الله بل عدل الى المظهر ليمكن ان يجرى عليه الصفات المذكورة ولما فى طريقة الالتفات من البلاغة وليعلم ان الذى وجب الايمان به واتباعه هو هذا الشخص المستقل بانه النبى الامى الذى يؤمن بالله وكلماته كائنا من كان أنا أو غيرى اظهارا للنصفة واحترازا عن العصبية واعلم ان الكمالات اما نظرية وأشار اليها بقوله فآمنوا واما عملية والى الاشارة بقوله واتبعوه أو الاولى اشارة الى التكاليف المستفادة من أقواله والثانية اشارة الى المستفادة من أعماله فان كل فعل يصدر عنه وقد واظب عليه فلا بد أن يكون جانب فعله راجحا على تركه ثم ان ظاهر الامر للوجوب فيجب علينا اتباعه وان كان ذلك مندوبا له الا ان يدل دليل منفصل على ان ذلك الفعل من خصائصه ومعنى الترجى فى لعلكم تهتدون قد مر فى نظائره لاسيما فى أول البقرة فى قوله لعلكم تتقون ثم لما ذكر الرسول وانه يجب على الخلق

بذلك ماشاء الله ثم ان طائفة منهم أخذوا الحيتان يوم سبتهم فلم يزدادوا الا غيا وعتوا وجعلت طائفة أخرى تنهاهم فلما طال ذلك عليهم قالت طائفة من النهاة تعلمون ان هولاء قوم قد حق عليهم العذاب لم تعظون قوما الله مهلكهم وكانوا أشد غضبا لله من الطائفة الاخرى فقالوا معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون وكل قد كانوا ينهون فلما وقع عليهم غضب الله نجت الطائفتان اللتان قالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم والذين قالوا معذرة الى ربكم وأهلك الله أهل معصيته الذين أخذوا الحيتان فجعلهم قردة وخنازير **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس واسئلهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر الى قوله ويوم لا يسبتون لا تأتيهم وذلك ان أهل قرية كانت حاضرة البحر كانت تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم يقول اذا كانوا يوم يسبتون تأتيهم شرعا يعنى من كل مكان ويوم لا يسبتون لا تأتيهم وانهم قالوا انا أخذنا من هذه الحيتان يوم تجىء ما يكفينا فيما سوى ذلك من الايام فوعظهم قوم مؤمنون ونهوهم وقالت طائفة من المؤمنين ان هؤلاء قوم قد هموا بامر ليس بمنتهين دونه والله مخزيهم ومعذبهم عذابا شديدا قال المؤمنون بعضهم لبعض معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون ان كان هلاك فلعلنا ننجو واما أن ينتهوا فيكون لنا أجرا وقد كان الله جعل على بنى اسرائيل يوما يعبدونه ويتفرغون له فيه وهو يوم الاثنين فتعدى من الاثنين الى السبت وقالوا هو يوم السبت فنهاهم موسى فاختلفوا فيه فجعل عليهم السبت ونهاهم ان يعملوا فيه وان يعتدوا فيه وان رجلا منهم ذهب ليحتطب فاخذه موسى عليه السلام فسأله هل أمرك بهذا أحد فلم يجد أحدا أمره فرجمه أصحابه **حدثنى** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى قال قال بعض الذين نهوهم لبعض لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا يقول لم تعظونهم وقد وعظتموهم فلم يطيعوكم فقال بعضهم معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا معاذ بن هانئ قال ثنا حماد عن داود عن عكرمة عن ابن عباس واذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قال ما أدرى أنجا الذين قالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم أم لا قال فلم أزل به حتى عرفته انهم قد نجوا فكسانى حلة **حدثنى** المثنى قال ثنا حماد عن داود عن عكرمة قال قرأ ابن عباس هذه الآية فذكر نحوه الا انه قال فى حديثه فما زلت أبصره حتى عرف انهم قد نجوا **حدثنى** سلام بن سالم الخزاعى قال ثنا يحيى بن سليم الطائفى قال ثنا ابن جريج عن عكرمة قال دخلت على ابن عباس والمصحف فى حجره وهو يبكى فقلت ما يبكيك جعلنى الله فداءك قال فقرأ واسئلهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر الى قوله بما كانوا يفسقون قال ابن عباس لا أسمع الفرقة الثالثة ذكرت نخاف ان نكون مثلهم فقلت أما تسمع الله يقول فلما عتوا عما نهوا عنه فسرى عنه وكسانى حلة **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن جريج قال ثنى رجل عن عكرمة قال جئت ابن عباس يوما واذا هو يبكى واذا المصحف فى حجره فاعظمت ان أدنو ثم لم أزل على ذلك حتى تقدمت فجلست فقلت ما يبكيك يا ابن عباس جعلنى الله فداءك قال هؤلاء الورقات قال واذا هو فى سورة الاعراف قال تعرف أيلة قلت نعم قال فانه كان بها حى من يهود سيقت الحيتان اليهم يوم السبت ثم غاصت لا يقدرون عليها حتى يغوصوا بعد كد ومؤنة شديدة كانت تأتيهم يوم السبت شرعا بيضاء سمانا كانها الماخض تنتطح ظهورها لبطونها بافنيتهم وأبنيتهم فكانوا كذلك برهة من الدهر ثم ان الشيطان أوحى اليهم فقال انما نهيتم عن أكلها يوم السبت

نحـذوها فيـه وكلوها فى غيره من الايام فقالت ذلك طائفة منهم وقالت طائفة منهم بل نهيتم عن أكلها وأخذها وصيدها فى يوم السبت وكانوا كذلك حتى جاءت الجمعة المقبلة فغدت طائفة بأنفسها وأبنائها ونسائها واعتزلت طائفة ذات اليمين وتنحت واعتزلت طائفة ذات اليسار وسكتت وقال الايسرون لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قال الايمنون معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون ان ينتهوا فهو أحب الينا أن لا يصابوا ولا يهلكوا وان لم ينتهوا فمعذرة الى ربكم فمضوا على الخطيئة فقال الايمنون قد فعلتم يا أعداء الله والله لنبايتنكم الليلة فى مدينتكم والله ما أراكم تصبحون حتى يصيبكم الله بخسف أو قذف أو ببعض ما عنده من العذاب فلما أصبحوا ضربوا عليهم الباب ونادوا فلم يجابوا فوضعوا سلما وأعلوا سور المدينة رجلا فالتفت اليهم فقال أى عباد الله قرود والله تعاوى لها أذناب قال ففتحوا فدخلوا عليهم فعرفت القردة أنسابها من الانس ولا تعرف الانس أنسابها من القردة فجعلت القرود تأتى نسيبها من الانس فتشم ثيابه وتبكى فيقول الم أنهكم عن كذا فتقول برأسها نعم ثم قرأ ابن عباس فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون قال فأرى اليهود الذين نهوا قد نجوا ولا أرى الآخرين ذكروا ونحن نرى أشياء ننكرها فلا نقول فيها قال قلت جعلنى الله فداك ألا ترى انهم قد كرهوا ما هم عليه وخالفوهم وقالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم قال فأمر بى فكسيت بردين غليظين حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واسألهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر ذكر لنا أنه اذا كان يوم السبت أقبلت الحيتان حتى تنطح على سواحلهم وأفنيتهم لما بلغها من أمر الله فى الماء فاذا كان فى غير يوم السبت بعدت فى الماء حتى يطلبها طالبهم فأتاهم الشيطان فقال انما حرم عليكم أكلها يوم السبت فاصطادوها يوم السبت وكلوها فيما بعد قوله واذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون فصار القوم ثلاثة أصناف أما صنف فأمسكوا عن حرمة الله ونهوا عن معصية الله وأما صنف فأمسك عن حرمة الله هيبة لله وأما صنف فانتهك الحرمة ووقع فى الخطيئة حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد عن ابن عباس فى قول الله حاضرة البحر قال حرمت عليهم الحيتان يوم السبت وكانت تأتيهم يوم السبت شرعا بلاء ابتلوا ولا تأتيهم فى غيره الا أن يطلبوها بلاء أيضا بما كانوا يفسقون فأخذوها يوم السبت استحلالا ومعصية فقال الله لهم كونوا قردة خاسئين الا طائفة منهم لم يعتدوا ونهوهم فقال بعضهم لبعض لم تعظون قوما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله واذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم حتى بلغ ولعلهم يتقون لعلهم يتركون ما هم عليه قال كانوا قد بلوا بكف الحيتان عنهم وكانوا يسبتون فى يوم السبت ولا يعملون فيه شيأ واذا كان يوم السبت أتتهم الحيتان شرعا واذا كان غير يوم السبت لم يأت حوت واحد قال وكانوا قوما قد قرموا بحب الحيتان ولقوا منه بلاء فأخذ رجل منهم حوتا فربط فى ذنبه خيطا ثم ربطا الى خشفة ثم تركه فى الماء حتى اذا غربت له الشمس من يوم الاحد اجتره بالخيط ثم شواه فوجد جاره ريح حوت فقال يا فلان انى أجد فى بيتك ريح نون فقال لا قال فتطلع فى تنوره فاذا هو فيه فأخبره حينئذ الخبر فقال انى أرى الله سيعذبك قال فلما لم يره عجل عذابا فلما أتى السبت الآخر أخذ اثنين فربطهما ثم اطلع جاره عليه فلما رآه لم يعجل عذابا جعلوا يصيدونه

بما يعتمد كران فى قوم موسى من اتبع الحق وهدى اليه فقال ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق أى يهدون الناس بكلمة الحق أى بالحق وبه يعدلون بينهم فى الحكم لا يجورون وهذه الآية متى حصلت وفى أى زمان كانت اختلف المفسرون فى ذلك فقيل هم اليهود الذين كانوا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وآله كعبد الله بن سلام وابن صوريا وغيرهما ولفظ الامة قد يطلق على القليل اذا كان لهم شأن كما أطلق على الواحد فى قوله ان ابراهيم كان أمة وقيل انهم قوم ثبتوا على الدين الحق الذى جاء به موسى ودعوا الناس اليه وصانوه عن التحريف والتبديل فى زمن تفرق بنى اسرائيل واحداثهم البدع ويجوز أن يكونوا أقاموا على ذلك الى أن جاء المسيح فدخلوا فى دينه ويجوز أن يكونوا هلكوا قبل ذلك وقال السدى وجماعة من المفسرين ان بنى اسرائيل لما قتلوا أنبياءهم وكفروا وكانوا اثنى عشر سبطا تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا اليه وسألوا الله ان يفرق بينهم وبين اخوانهم ففتح الله لهم نفقا فى الارض فساروا فيه سنة ونصفا حتى خرجوا من وراء الصين ثم من المفسرين من قال انهم بقوا متمسكين بدين اليهودية الى الآن بناء على ان خبر نبينا لم يصل اليهم فهم معذورون ومنهم من استبعد عدم وصول الخبر اليهم مع ان خبر هذه الشريعة طار فى كل أفق وتغلغل فى كل نفق فقال انهم هنالك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم ان جبرائيل ذهب به صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء نحوهم فكلمهم فقال لهم جبرائيل هل تعرفون من تكلمون قالوا لا قال هذا محمد صلى الله عليه وسلم النبى الامى فآمنوا به وقالوا يا رسول الله ان موسى أوصانا من أدرك منكم أحمد فليقرأ عليه منى السلام فرد محمد على موسى عليهما السلام ثم أقرأهم عشر سور من القرآن نزلت بمكة ولم تكن نزلت فريضة غير الصلاة والزكاة فأمرهم أن يقيموا مكانهم وكانوا يسبتون فأمرهم ان يجمعوا ويتركوا السبت والله أعلم بالتأويل واختار موسى قومه المختارين الخلق عن اختياره تعالى وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة فالذى اختاره الله كان مثل موسى وأما الخيرة التى

فاطلع أهل القرية عليهم فنهاهم الذين ينهون عن المنكر فكانوا فرقتين فرقة تنهاهم وتكف وفرقة تنهاهم ولا تكف فقال الذين نهوا وكفوا الذين ينهون ولا يكفون لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا فقال الآخرون معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون فقال الله فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء الى قوله بما كانوا يفسقون قال الله فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين وقال لهم أهل ثلاث القرية عملتم بعمل سوء من كان يريد يعتزل ويتطهر فليعتزل هؤلاء قال فاعتزل هؤلاء وهؤلاء في مدينتهم وضربوا بينهم سورا فجعلوا في ذلك السور أبوابا يخرج بعضهم الى بعض قال فلما كان الليل طرقهم الله بعذابه فاصبح أولئك المؤمنون لا يرون منهم أحدا فدخلوا عليهم فاذا هم قردة الرجل وأزواجه وأولاده فجعلوا يدخلون على الرجل يعرفونه فيقولون يا فلان ألم نحذرك سطوات الله ألم نحذرك نقمات الله ونحذرك ونحذرك قال فليس الا البكاء قال وانما عذب الله الذين ظلموا الذين أقاموا على ذلك قال وأما الذين نهوا فكلهم قد نهى ولكن بعضهم أفضل من بعض فقرأ أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا المحاربي عن داود عن عكرمة قال قرأ ابن عباس هذه الآية لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قال لا أدري أنجا القوم أو هلكوا فما زلت أبصره حتى عرف انهم نجوا وكسانى حلة **حدثني** يونس قال أخبرني أشهب بن عبد العزيز عن مالك قال زعم ابن رومان ان قوله تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم قال كانت تأتيهم يوم السبت فاذا كان المساء ذهبت فلا يرى منها شيء الى السبت فاتخذ لذلك رجل منهم خيطا ووتدا فربط حوتا منها في الماء يوم السبت حتى اذا أمسوا ليلة الاحد أخذه فاشتواه فوجد الناس ريحه فاتوه فسألوه عن ذلك فجحدهم فلم يزالوا به حتى قال لهم فانه جلد حوت وجدناه فلما كان السبت الآخر فعل مثل ذلك ولا أدري لعله قال ربط حوتين فلما أمسى من ليلة الاحد أخذه فاشتواه فوجدوا ريحه فجاؤا فسألوه فقال لهم لو شئتم صنعتم كما أصنع فقالوا له وما صنعت فاخبرهم ففعلوا مثل ما فعل حتى كثر ذلك وكانت لهم مدينة لها ربض فغلقوها عليهم فاصابهم من المسخ ما أصابهم فغدا اليهم جيرانهم ممن كان يكون حولهم يطلبون منهم ما يطلب الناس فوجدوا المدينة مغلقة عليهم فنادوا فلم يجيبوهم فتسوروا عليهم فاذا هم قردة فجعل القرد يدنو يتمسح بمن كان يعرف قبل ذلك ويدنو منه ويتمسح به وقال آخرون بل الفرقة التي قالت لم تعظون قوما الله مهلكهم كانت من الفرقة الهالكة ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا ابن ادريس عن محمد بن اسحق عن داود بن حصين عن عكرمة عن ابن عباس واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر الى قوله شرعا قال قال ابن عباس ابتدعوا السبت فابتلوا فيه فحرمت عليهم فكانوا اذا كان يوم السبت شرعت لهم الحيتان ينظرون اليها في البحر فاذا انقضى السبت ذهبت فلم تر حتى السبت المقبل فاذا جاء السبت جاءت شرعا فمكثوا ما شاء الله ان يمكثوا كذلك ثم ان رجلا منهم أخذ حوتا فخرمه بأنفه ثم ضرب له وتدا في الساحل وربطه وتركه في الماء فلما كان الغد أخذه فشواه فأكله ففعل ذلك وهم ينظرون لا ينكرون ولا ينهاه منهم أحد الا عصبة منهم نهوه حتى ظهر ذلك في الاسواق وفعل علانية قال فقالت طائفة للذين ينهون لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون قال فلما نسوا ما ذكروا به الى قوله قلنا لهم كونوا قردة خاسئين قال ابن عباس كانوا ثلاثا ثلث نهوا

والذين اختارهم موسى كانوا مستحقين بسوء الادب للرجفة والصعقة وههنا نكتة هي ان قلب موسى عليه السلام لما كان مخصوصا بالاصطفاء للرسالة والكلام دون القوم كان سؤاله للرؤية شعلة نار المحبة مقرونا بحفظ الادب على بساط القرب بقوله رب أرني أنظر اليك قدم عزة الربوبية وأظهر ذلة العبودية وكان سؤال القوم من القلوب الساهية اللاهية فتصاعد دخان الشوق بسوء الادب فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة قدموا الجحود والانكار وطلبوا الرؤية جهارا فاخذتهم الصاعقة فصعقة موسى كانت صعقة اللطف مع تجلي صفة الربوبية وان صعقتهم كانت صعقة القهر عند اظهار صفة العزة والعظمة ولما كان موسى عليه السلام ثابتا في مقام التوحيد كان ينظر بنور الوحدة فيرى الاشياء كلها من عند الله فرأى سفاهة القوم من آثار صفات قهره فتنة واختبارا لهم فقال ان هي الا فتنتك تزيغ بها قلب من تشاء باصبع صفة القهر وتقيم قلب من تشاء باصبع صفة اللطف واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة الرؤية كما كتبت لمحمد صلى الله عليه وسلم فيها كتبها يعني حسنة الرؤية والوجهة للذين يتقون بالله عن غيره ويؤتون عن نصاب هذا المقام الزكاة الى طلابه والذين هم بانوار شواهد الآيات بالتحقيق لا بالتقليد يؤمنون وفي قوله الذين يتبعون الرسول النبي الامي اشارة الى ان في أمته من يكون مستعدا لاتباعه في هذه المقامات الثلاثة ومعنى الامي انه أم الموجودات وأصل المكونات كما قال صلى الله عليه وسلم أول ما خلق الله روحي وقال حكاية عن الله لولاك لما خلقت الكون فاما اتباعه في مقام الرسالة فبأن تأخذ منه ما آتاك وتنتهي عما نهاك الله وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فالرسالة تتعلق بالظاهر والنبوة بالباطن فالعوام شركة مع الخواص في الانتفاع من الرسالة وللخواص اختصاص بالانتفاع من النبوة فمن أدى حقوق احكام الرسالة في الظاهر يفتح له ببركته ذلك أحوال النبوة في الباطن فيصير صاحب الاشارات والالهامات الصادقة والرؤيا الصالحة والهواتف الملكية وربما يؤل حاله الى أن يكون صاحب المكالمة والمشاهدة والمكاشفة ولعله يصير مأمورا بدعوة الخلق الى الحق بالمتابعة لا بالاستقلال

بالسير من مقام بشريته الى مقام روحانيته الاولى ثم بجذبات الوحى أنزل فى مقام التوحيد وهو قاب قوسين ثم اختطف بانوار الهوية عن انانيته
الى أو ادنى وهو مقام الوحدة كما قال (٦٢) قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد فمن رجع بالسير فى متابعته من مقام
البشرية الى أن بلغ مقام روحانيته
ثم بجذبات النبوة أنزل فى مقام
التوحيد ثم اختطف بانوار المتابعة
عن انانيته الى مقام الوحدة فقد
حظى من مقام أمته مكتوبا
عندهم بالحقيقة هو مكتوب عنده
فى مقعد صدق يامرهم بالمعروف
وهو طلب الحق وينهاهم عن
المنكر طلب ما سواه ويحل لهم
الطيبات كل ما يقرب الى الله فان
الله هو الطيب ويحرم عليهم
الخبائث الدنيا وما فيها ويضع عنهم
اصرهم اى العهد الذى بين الله
وبين حبيبه ان لا يوصل أحدا الى
مقام أميته الا أمته وأهل شفاعته
كقوله الناس يحتاجون الى شفاعتى
حتى ابراهيم فكان من هذا العهد
عليهم شدة واغلال يمنعهم من
الوصول الى هذا المقام فقد وضع
النبى صلى الله عليه وسلم عنهم هذا
الاصر والاغلال بالدعوة الى
متابعته وأشار الى هذه المعانى بقوله
فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه
باعتقاد اختصاص هذا المقام به
دون سائر الانبياء والرسل ونصروه
بالمتابعة واتبعوا نور الوحدة الذى
أنزل معه له ملك السموات القلوب
وأرض النفوس لا مدبر فيهما غيره
يحيى قلب من يشاء من عباده بنور
الوحدة ويميت نفسه عن صفات
البشرية وكلماته هى ما أوحى اليه
ليلة المعراج بلا واسطة ومن قوم
موسى أمة يهدون بالحق يعنى
خواصهم الذين يرشدون الخلق
بالكتاب المنزل بالحق على موسى وبه يعدلون فى الحكم بين العوام فشتان بين أمة غاية همتهم القصوى هى هداية
الخلق وكان نبيهم محجوبا بحجاب الانانية عند سؤال الرؤية فاجيب بلن ترانى وبين أمة أميه بلغوا بجذبات أنوار المتابعة الى مقام الوحدة حتى
صاروا أمة أميين وقال فى حقهم كنت له سمعا وبصرا ولسانا فبى يسمع وبى يبصر وبى ينطق فلهذا دعا موسى عليه السلام اللهم اجعلنى من أمة

وثلث قالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة الى ربكم فقالوا انسخط أعمالهم ولعلهم يتقون قال فلما نسوا ما ذكروا به الى قوله قلنا لهم كونوا قردة خاسئين قال ابن عباس كانوا اثلاثا ثلث نهوا وثلث قالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم وثلث أصحاب الخطيئة فما نجا الا الذين نهوا وهلك سائرهم فاصبح الذين نهوا عن السوء ذات يوم فى مجالسهم يتفقدون الناس لا يرونهم فعلوا على دورهم فجعلوا يقولون ان للناس لشأنا فانظروا ما شأنهم فاذا القوم قد مسخوا فى ديارهم قردة يعرفون الرجل بعينه وانه لقرد ويعرفون المرأة بعينها وانها لقردة قال الله فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن أبى بكر الهذلى عن عكرمة عن ابن عباس أنجينا الذين ينهون عن السوء الآية قال ابن عباس نجا الناهون وهلك الفاعلون ولا أدرى ما صنع بالساكتين حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة عن ابن عباس لم تعظون قوما الله مهلكهم قال هم ثلاث فرق الفرقة التى وعظت والموعظة التى وعظت والله أعلم ما فعلت الفرقة الثالثة وهم الذين قالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم وقال الكلبى هما فرقتان الفرقة التى وعظت والتى قالت لم تعظون قوما الله مهلكهم قال هى الموعوظة حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمران بن عيينة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لان أكون علمت من هؤلاء الذين قالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا أحب الى مما عدل به حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء قال قال ابن عباس واذ قالت امة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم قال أسمع الله يقول أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس فليت شعرى ما فعل بهؤلاء الذين قالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن ماهان الحنفى أبى صالح فى قوله تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم قال كانوا فى المدينة التى على ساحل البحر وكانت الايام ستة الاحد الى الجمعة فوضعت اليهود يوم السبت وسبتوه على أنفسهم فسبته الله عليهم ولم يكن السبت قبل ذلك فوكده الله عليهم وابتلاهم فيه بالحيتان فجعلت تشرع يوم السبت فيتقون ان يصيبوا منها حتى قال رجل منهم والله ما السبت بيوم وكده الله علينا ونحن وكدناه على أنفسنا فلو تناولت من هذا السمك فتناول حوتا من الحيتان فسمع بذلك جاره فخاف العقوبة فهرب من منزله فلما مكث ما شاء الله ولم تصبه عقوبة تناول غيره أيضا فى يوم السبت فلما لم تصبهم العقوبة كثر ما تناول فى يوم السبت واتخذوا يوم السبت وليلة السبت عيدا يشربون فيه الخمور ويلعبون فيه بالمعازف فقال لهم خيارهم وصلحاؤهم ويحكم انتهوا عما تفعلون ان الله مهلككم أو معذبكم عذابا شديدا أفلا تعقلون ولا تعدوا فى السبت فأبوا فقال خيارهم نضرب بيننا وبينهم حائطا ففعلوا وكان اذا كان ليلة السبت تأذوا بما يسمعون من أصواتهم وأصوات المعازف حتى اذا كانت الليلة التى مسخوا فيها سكنت أصواتهم أول الليل فقال خيارهم ما شأن قومكم قد سكنت أصواتهم الليلة فقال بعضهم لعل الخمر غلبتهم فناموا فلما أصبحوا لم يسمعوا لهم حسا فقال بعضهم لبعض ما لنا لا نسمع من قومكم حسا فقالوا لرجل اصعد الحائط وانظر ما شأنهم فصعد الحائط فرآهم يموج بعضهم فى بعض قد مسخوا قردة فقال لقومه تعالوا فانظروا الى قومكم ما لقوا فصعدوا فجعلوا ينظرون الى الرجل فيتوسمون فيه فيقولون أى فلان أنت فلان فيومئ بيده الى صدره أى نعم بما كسبت يداى حدثنى يعقوب وابن وكيع قالا ثنا ابن علية عن أيوب

قال

محمد صلى الله عليه وسلم سوقالى لقاعر به فافهم جدا (وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطا أمما وأوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس مشربهم وظللنا عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث (٦٣) شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر اذ يعدون في السبت اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون واذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب ان ربك لسريع العقاب وانه لغفور رحيم وقطعناهم في الارض أمما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا وان يأتهم عرض مثله يأخذوه ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله الا الحق ودرسوا ما فيه والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة انا لا نضيع أجر المصلحين واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا انه واقع بهم خذوا

قال تلا الحسن ذات يوم واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر اذ يعدون في السبت اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون فقال حوت حرمه الله عليهم في يوم وأحله لهم فيما سوى ذلك فكانت تأتيهم في اليوم الذي حرمه عليهم كأنه المخاض لا يمتنع من أحد وقلما رأيت أحدا يكثر الاهتمام بالذنب الا واقعه قال فجعلوا يهمون ويمسكون حتى أخذوه فأكلوا أوخم أكلة أكلها قوم قط أبقاه خزيا في الدنيا وأشده عقوبة في الآخرة وايم الله للمؤمن أعظم حرمة عند الله من حوت ولكن الله جعل موعد قوم الساعة والساعة أدهى وأمر **حدثني** يونس قال أخبرنا سفيان عن أبي موسى عن الحسن قال جاءتهم الحيتان تشرع في حياضهم كأنها المخاض فأكلوا والله أوخم أكلة أكلها قوم قط أسوأه عقوبة في الدنيا وأشده عذابا في الآخرة وقال الحسن وقتل المؤمن والله أعظم من أكل الحيتان **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء قال كنت جالسا في المسجد فاذا شيخ قد جاء وجلس الناس اليه فقالوا هذا من أصحاب عبد الله ابن مسعود فقال قال ابن مسعود واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر الآية قال لما حرم عليهم السبت كانت الحيتان تأتي يوم السبت وتأمن وتجيء فلا يستطيعون أن يمسوها وكان اذا ذهب السبت ذهبت فكانوا يتصيدون كما يتصيد الناس فلما أرادوا ان يعدوا في السبت اصطادوا فنهاهم قوم من صالحيهم فأبوا وكثرهم الفجار فأراد الفجار قتالهم فكان فيهم من لا يشتهون قتاله أبو أحدهم أو أخوه أو قريبه فلما نهوهم وأبوا قال الصالحون انا نبايتهم وانا نجعل بيننا وبينهم حائطا ففعلوا فلما فقدوا أصواتهم قالوا لو نظرتم الى اخوانكم ما فعلوا فنظروا فاذا هم قد مسخوا قردة يعرفون الكبير بكبره والصغير بصغره فجعلوا يبكون لهم وكان هذا بعد موسى صلى الله عليه وسلم ۞ القول في تأويل قوله (فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون) يقول تعالى ذكره فلما تركت الطائفة التي اعتدت في السبت ما أمرها الله به من ترك الاعتداء فيه وضيعت وعتت الطائفة لواعظة وذكرتها ما ذكرتها به من تحذيرها عقوبة الله على معصيتها فتقدمت على استحلال ما حرم الله عليها أنجى الله الذين ينهون منهم عن السوء يعني عن معصية الله واستحلال ما حرمه وأخذنا الذين ظلموا يقول وأخذ الله الذين اعتدوا في السبت فاستحلوا فيه ما حرم الله من صيد السمك وأكله فأحل بهم بأسه وأهلكهم بعذاب شديد بئيس بما كانوا يفسقون يخالفون أمر الله يخرجون من طاعته الى معصيته وذلك هو الفسق وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن جريج في قوله فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء قال فلما نسوا موعظة المؤمنين اياهم الذين قالوا لم تعظون قوما **حدثني** محمد بن المثنى قال ثنا حرمي قال ثني شعبة قال أخبرني عمارة عن عكرمة عن ابن عباس أنجينا الذين ينهون عن السوء قال ياليت شعري ما السوء الذي نهوا عنه وأما قوله بعذاب بئيس فان القراء اختلفت في قراءته فقرأته عامة قراء أهل المدينة بعذاب بيس بكسر الباء وتخفيف الياء بغير همز على مثال فعل وقرأ ذلك بعض قراء الكوفة والبصرة بعذاب بئيس على مثل فعيل من البؤس بنصب الباء وكسر الهمزة ومدها وقرأ ذلك كذلك بعض المكيين غير انه كسر باء بئيس على مثال فعيل وقرأه بعض الكوفيين بيئس بفتح الباء وتسكين الياء وهمزة بعدها مكسورة على مثال فيعل وذلك شاذ عند أهل العربية لان فيعل اذا لم يكن من ذوات الياء والواو

ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون) القراآت نغفر بالتاء الفوقانية مضمومة وفتح الفاء أبو جعفر ونافع وابن عامر وسهل ويعقوب والمفضل الباقون بالنون وكسر الفاء خطاياكم مجموعا جمع التكسير أبو عمرو وخطيئتكم بالرفع وعلى الوحدة ابن عامر خطيئاتكم بالرفع مجموعا جمع السلامة أبو جعفر ونافع وسهل ويعقوب والمفضل الباقون مثله ولكن بالنصب الذي يليق بجمع سلامة المؤنث بيسون من الاسبات أبو

زيد عن المفضل معذرة بالنصب حفص والمفضل الباقون بالرفع بئس مثل رئم أبو جعفر ونافع بيس على فيعل كسيد ابن عامر بيئس على فيعل بفتح العين الاعشى والبرجمي الباقون بئيس على فعيل تاذن بالتليين الاصفهاني عن ورش والشموني وحمزة في الوقف تعقلون بتاء الخطاب أبو جعفر ونافع وابن ذكوان وسهل ويعقوب وحفص الباقون بياء الغيبة يمسكون من الامساك

فالفتح في عينه الفصيح في كلام العرب وذلك مثل قولهم في نظيره من السالم صيقل ويترب وانما تكسر العين من ذلك في ذوات الياء والواو كقولهم سيد وميت وقد أنشد بعضهم قول امرئ القيس بن عابس الكندي

كلاهما كان رئيسا بئيسا * يضرب في يوم الهياج القوسا

بكسر العين من فعيل وهي الهمزة من بئس فاعل الذي قرأ ذلك كذلك قرأه على هذه وذكر عن آخر من الكوفيين أيضا انه قرأه بيئس نحو القراءة التي ذكرناها قبل هذه وذلك بفتح الباء وتسكين الياء وفتح الهمزة بعد الياء على مثال فيعل على مثال صيقل وروي عن بعض البصريين انه قرأ بئس بفتح الباء وكسر الهمزة على مثال فعل وكما قال ابن قيس الرقيات

ليتني ألقى رقية في * خلوة من غير ما بئس

وروي عن آخر منهم انه قرأ بئس بكسر الباء وفتح السين على معنى بئس العذاب * وأولى هذه القراآت عندي بالصواب قراءة من قرأه بئيس بفتح الباء وكسر الهمزة ومدها على مثال فعيل كما قال ذو الاصبع العدواني * حنقا علي وما ترى * لهم فيهم أثرا بئيسا * لان أهل التأويل اجمعوا على ان معناه شديد فدل ذلك على صحة ما اخترنا ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن جريج قال أخبرني رجل عن عكرمة عن ابن عباس في قوله وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس اليم وجيع حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بعذاب بئيس قال شديد حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بعذاب بئيس أليم شديد حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة بعذاب بئيس قال موجع حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد بعذاب بئيس قال بعذاب شديد ۞ القول في تأويل قوله (فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين) يقول تعالى ذكره فلما تمردوا فيما نهوا عنه من اعتدائهم في السبت واستحلالهم ما حرم الله عليهم من صيد السمك وأكله وتمادوا فيه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين أي بعداء من الخير وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فلما عتوا عما نهوا عنه يقول لما مرد القوم على المعصية قلنا لهم كونوا قردة خاسئين فصاروا قردة لها أذناب تعاوى بعد ما كانوا رجالا ونساء حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين فجعل الله منهم القردة والخنازير فزعم ان شباب القوم صاروا قردة وان المشيخة صاروا خنازير حدثني المثنى قال ثنا الحماني قال ثنا شريك عن السدي عن أبي مالك أو سعيد بن جبير قال رأى موسى عليه السلام رجلا يحمل قصبا يوم السبت فضرب عنقه ۞ القول في تأويل قوله (واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب) يعني جل ثناؤه بقوله واذ تأذن واذكر يا محمد اذ أذن ربك فاعلم وهو تفعل من الايذان كما قال الاعشى ميمون بن قيس

أذن اليوم جيرتي بخفوف * صرموا حبل آلف مألوف

يعني بقوله أذن أعلم وقد بينا ذلك بشواهده في غير هذا الموضع وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن

أبو بكر وحماد والآخرون بالتشديد * الوقوف أمما ط وان اتفقت الجملتان لان أوحينا عامل اذا استسقاه دون قطعنا فان تفريق الاسباط لم يكن في زمان الاستسقاء الحجر ط للحذف مع اتحاد الكلام أي فضرب فانبجست عينا ط والسلوى ط ما رزقناكم ط لحذف جمل أي قلنا لهم كلوا ولا تدخروا فادخروا فانقطع عنهم وما ظلمونا ط يظلمون ه خطيئاتكم ط المحسنين ه يظلمون ه البحر لا كيلا يصير ما بعده ظرفا لقوله واسألهم فانه محال لا تأتيهم ج لاحتمال تعلق كذلك به أي يوم لا يسبتون لا تأتيهم اتيانا كاتيانهم يوم السبت والاصح ان كذلك صفة مصدر محذوف أي نبلوهم بلاء كذلك فالوقف على كذلك جائز أيضا يفسقون ه قوما لا لان الجملة بعده صفته شديدا ط يتقون ه يفسقون ه خاسئين ه العذاب ط رحيم ه نصف الجزء وأمما ج لاحتمال كون ما بعده صفة أو مستأنفا دون ذلك ز للعطف على قطعنا فان لم تجعل الجار صفة للامم كان عطفا مع عارض يرجعون ه سيغفر لنا ج بأخذوه ط ما فيه ط يتقون ه تعقلون ه الصلاة ص على تقدير حذف أي لا نضيع أجرهم انهم المصلحون لا نضيع أجر المصلحين ه ونحو جعل بعضهم تقديره وضع الظاهر موضع الضمير أي لا نضيع أجرهم المصلحين السبع الثالث واقع بهم ط لحق المحذوف تتقون ه

* التفسير انه سبحانه ذكر قصة موسى أمر [illegible] بالحق من أحوالهم بصرفه كغيرهم منهم ومعنى قطعناهم صيرناهم قطعا أي فرقا وميزنا بعضهم من بعض [illegible] والبرج والاسباط أولاد الاولاد جمع سبط وأصله من السبط نبت تعتلفه الابل

أبي نجيح في قول الله واذ تأذن ربك قال أمر ربك حدثنا الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعيد عن مجاهد واذ تأذن ربك قال أمر ربك وقوله ليبعثن عليهم يعني أعلم ربك ليبعثن على اليهود من يسومهم سوء العذاب قيل ان ذلك العرب بعثهم الله على اليهود يقاتلون من لم يسلم منهم ولم يعط الجزية ومن أعطى منهم الجزية كان ذلك له صغارا وذلة وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى بن ابراهيم وعلي بن داود قالا ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب قال هي الجزية والذين يسومونهم محمد صلى الله عليه وسلم وأمته الى يوم القيامة حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب فهي المسكنة وأخذ الجزية منهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قال ابن عباس تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب قال يهود وما ضرب عليهم من الذلة والمسكنة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم هذا الحي من العرب فهم في عذاب منهم الى يوم القيامة حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم قال يبعث عليهم هذا الحي من العرب فهم في عذاب منهم الى يوم القيامة قال عبد الكريم الجزري يستحب ان تبعث الانباط في الجزية حدثنا ابن وكيع قال ثنا اسحق بن اسمعيل عن يعقوب عن جعفر عن سعيد واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم قال العرب سوء العذاب قال الخراج وأول من وضع الخراج موسى عليه السلام فجبى الخراج سبع سنين حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب قال الخراج قال وأول من وضع الخراج موسى فجبى الخراج سبع سنين حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب قال هم أهل الكتاب بعث الله عليهم العرب يجبونهم الخراج الى يوم القيامة فهو سوء العذاب ولم يجب نبي الخراج قط الا موسى صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة سنة ثم أمسك الا النبي صلى الله عليه وسلم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب قال يبعث عليهم هذا الحي من العرب فهم في عذاب منهم الى يوم القيامة قال أخبرنا معمر قال أخبرني عبد الكريم عن ابن المسيب قال يستحب ان تبعث الانباط في الجزية حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب يقول ان ربك يبعث على بني اسرائيل العرب فيسومونهم سوء العذاب يأخذون منهم الجزية ويقتلونهم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة ليبعثن على يهود ۞ القول في تأويل قوله (ان ربك لسريع العقاب وانه لغفور رحيم) يقول تعالى ذكره ان ربك يا محمد لسريع عقابه الى من استوجب منه العقوبة على كفره به ومعصيته له وانه لغفور رحيم يقول وانه لذو صفح عن ذنوب من تاب من ذنوبه فأناب وراجع طاعته يستر عليها بعفوه عنها رحيم له ان يعاقبه

فكان الاب كالشجرة والاولاد كالاغصان والاسباط في بني اسرائيل كالقبائل من العرب وههنا سؤال وهو ان مميز ما عدا العشرة الى تسعة وتسعين مفرد فهلا قيل اثني عشر سبطا وأجيب بان كل قبيلة اسباط لا سبط فوضع اسباطا موضع قبيلة كقوله * بين رماحي مالك ونهشل * ولهذا انث اثنتي عشرة وقال الزجاج المميز محذوف واسباطا نعت لذلك المحذوف والتقدير اثنتي عشرة فرقة اسباطا وقال الفارسي والجوهري اسباطا بدل من اثنتي عشرة والمميز كما قال الزجاج وقوله أمما بدل من اثنتي عشرة لان كل اسباط كانت جماعة كثيفة العدد تؤم خلاف ما كانت تؤمه الاخرى وباقي الآية الى قوله بما كانوا يظلمون قد مر تفسيره في البقرة وكذا بيان المشابهات فيذكر النوع الآخر من أحوالهم قوله سبحانك واسألهم عن القرية أي عن أهلها وليس المقصود تعرف هذه القصة من قبل اليهود لانها معلوم الرسول صلى الله عليه وسلم من قبل الله تعالى ولكن المراد تقريرهم كانوا قد أقدموا عليه من الاعتداء والفسق ليعلم ان لهم سابقة في ذلك وليس كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم أول منا كيرهم وقد يقول الانسان لغيره هل كان هذا الامر كذا وكذا ليعرف ذلك الغير انه محيط بتلك القصة وفيه انه اذا أعلمهم به من لم يقرأ كتابا ولم يتعلم علما كان ذلك مستفادا من الوحي فيكون معجزا والاكثرون على ان تلك القرية ايلة وقيل مدين وقيل طبرية والعرب تسمي المدينة قرية ومعنى حاضرة البحر قريبة من البحر وعلى شاطئه اذ يعدون في السبت يتجاوزون حد الله فيه وهو اصطيادهم في يوم السبت ومحل اذ يعدون مجرور بدلا عن القرية بدل الاشتمال أي واسألهم عن وقت عدوانهم قال في الكشاف ويجوز أن يكون منصوبا بحاضرة أو بكانت بناء على ان كان الناقصة تعمل في غير الاسم والخبر وفيه نظر اذ لا معنى لكون القرية حاضرة البحر في وقت العدوان لانها حاضرة في جميع الاحيان

على جرمه بعد توبته منها لانه يقبل التوبة و يقيل العثرة ۞ القول فى تاويل قوله (وقطعناهم فى الارض امما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك و بلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون) يقول تعالى ذكره وفرقنا بنى اسرائيل فى الارض امما يعنى جماعات شتى متفرقين كما حدثنا ابن وكيع قال ثنا اسحق بن اسمعيل عن يعقوب عن جعفر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وقطعناهم فى الارض امما قال كل أرض يدخلها قوم من اليهود حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وقطعناهم فى الارض امما قال يهود وقوله منهم الصالحون يقول من هؤلاء القوم الذين وصفهم الله من بنى اسرائيل الصالحون يعنى من يؤمن بالله ورسله ومنهم دون ذلك يعنى دون الصالح وانما وصفهم الله جل ثناؤه بانهم كانوا كذلك قبل ارتدادهم عن دينهم وقبل كفرهم بربهم وذلك قبل أن يبعث فيهم عيسى ابن مريم صلوات الله عليه وقوله و بلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون يقول واختبرناهم بالرخاء فى العيش والخفض فى الدنيا والدعة والسعة فى الرزق وهى الحسنات التى ذكرها جل ثناؤه و يعنى بالسيئات الشدة فى العيش والشظف فيه والمصائب والرزايا فى الاموال لعلهم يرجعون يقول ليرجعوا الى طاعة ربهم و ينيبوا اليها و يتوبوا من معاصيه ۞ القول فى تاويل قوله (فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى و يقولون سيغفر لنا وان يأتهم عرض مثله يأخذوه) يقول تعالى ذكره فخلف من بعد هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم خلف يعنى خلف سوء يقول حدث بعدهم وخلافهم وتبدل منهم بدل سوء يقال منه هو خلف صدق وخلف سوء وأكثر ما جاء فى المدح قول حسان

لنا القدم الاولى اليك وخلفنا * لاولنا فى طاعة الله تابع

واحسب انه اذا وجه الى الفساد مأخوذ من قولهم خلف اللبن اذا حمض من طول تركه فى السقاء حتى يفسد فكان الرجل الفاسد مشبه به وقد يجوز أن يكون منه قولهم خلف فم الصائم اذا تغيرت ريحه وأما فى تسكين اللام فى الذم فقول لبيد

ذهب الذين يعاش فى أكنافهم * وبقيت فى خلف كجلد الاجرب

وقيل ان الخلف الذى ذكر الله فى هذه الآية انهم خلفوا من قبلهم هم النصارى ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله فخلف من بعدهم خلف قال النصارى * والصواب من القول فى ذلك عندى ان يقال ان الله تعالى انما وصف انه خلف القوم الذين قص قصصهم فى الآيات التى مضت خلف سوء ردىء ولم يذكر لنا انهم نصارى فى كتابه وقصتهم بقصص اليهود أشبه منها بقصص النصارى و بعد فان ماقبل ذلك خبر عن بنى اسرائيل وما بعده كذلك فما بينهما بان يكون خبرا عنهم أشبه اذ لم يكن فى الآية دليل على صرف الخبر عنهم الى غيرهم ولا جاء بذلك دليل يوجب صحة القول به فتأويل الكلام اذا فتبدل من بعدهم بدل سوء ورثوا كتاب الله تعلموه وضيعوا العمل به فخالفوا حكمه يرشون فى حكم الله فيأخذون الرشوة فيه من عرض هذا العاجل الادنى يعنى بالادنى الاقرب من الآجل الابعد و يقولون اذا فعلوا ذلك ان الله سيغفر لنا ذنوبنا تمنيا على الله الاباطيل كما قال جل ثناؤه فيهم فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم و ويل لهم مما يكسبون وان يأتهم عرض مثله يأخذوه يقول وان شرع لهم ذنب حرام مثله من الرشوة بعد ذلك

اخذوه

وقوله اذ تأتيهم منصوب بيعدون أو بحر و ربدلا بعد بدل والحيتان جمع الحوت وهو السمكة شرعا ظاهرة على وجه الماء جمع شارع كركع وراكع وكل شئ دان عن شئ فهو شارع ودار شارعة اذا دنت من الطريق ونجوم شوارع أى دنت من المغيب فالحيتان كانت تدنو من القرية بحيث يمكنهم صيدها عن الحسن تشرع على أبوابهم كأنها الكباش البيض وقال ابن عباس ومجاهد ان اليهود أمروا باليوم الذى أمرتم به وهو يوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت فابتلاهم الله تعالى به وحرم عليهم الصيد فيه و باقى القصة مذكورة فى البقرة وفيها دلالة على ان من أطاع الله تعالى خفف الله عليه أحوال الدنيا والآخرة ومن عصاه ابتلاه بانواع البلاء والمحن قالت الاشاعرة لو وجب رعاية الاصلح على الله تعالى لوجب ان لا يكثر الحيتان فى ذلك اليوم صونا لهم عن الكفر والمعصية وهذا الاعتراض وارد على خلق ابليس وسائر أبواب الشرور والنوع الثالث قوله واذ قالت وهو معطوف على اذ يعدون وحكمه حكمه فى الاعراب أمة منهم جماعة من صلحاء أهل القرية الذين بالعوافى موعظتهم حتى آيسوا الآخرين كانوا لا يتركون وعظهم لم تعظون قوما الله مهلكهم مدمرهم أو معذبهم عذابا شديدا لعلمهم بان عاقبة المعصية شؤم والمنهمك فى الفساد لا يكاد ينفع قالوا معذرة من رفع فمبتدأ وهذه أو موعظتنا أو قولنا ابداء عذر الى الله والمعذرة مصدر كالمغفرة ومن نصب فعلى انا نعتذر معذرة أو وعظناهم معذرة الى ربكم أى اذا طولبنا باقامة النهى عن المنكر قلنا قد فعلنا فنكون بذلك معذورين ولعلهم يتقون ولعلنا نرجوا أن يتقوا بعض الاتقاء فيتركوا الصيد فى السبت فلما نسوا يعنى أهل القرية ترك ما ذكرهم به الصالحون أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس ومعناه على اختلاف القرآات شديد من بؤس يبؤس بأسا اذا اشتد والظاهر ان هذا العذاب غير المسخ المتأخر فى قوله فلما عتوا تكبروا وتمردوا وأبوا عن ترك ما نهوا عنه ... يخالف المخالف لان الاباء عن المنهى عنه يكون طاعة قلنا لهم كونوا قردة خاسئين والمراد أمر

أخذوه واستحلوه ولم يرتدعوا عنه يخبر جل ثناؤه عنهم انهم أهل اصرار على ذنوبهم وليسوا باهل انابة ولا توبة و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل وان اختلفت عنه عباراتهم ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن المقدام قال ثنا فضيل بن عياض عن منصور عن سعيد بن جبير فى قوله يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا وان يأتهم عرض مثله يأخذوه قال يعملون بالذنب ثم يستغفرون الله فان عرض ذلك الذنب أخذوه حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن سعيد بن جبير وان يأتهم عرض مثله يأخذوه قال من الذنوب حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن منصور عن سعيد بن جبير يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا قال يعملون بالذنوب وان يأتهم عرض مثله يأخذوه قال ذنب آخر يعملوا به حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن منصور عن سعيد بن جبير يأخذون عرض هذا الادنى قال الذنوب وان يأتهم عرض مثله يأخذوه قال الذنوب حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد يأخذون عرض هذا الادنى قال ما أشرف لهم من شئ فى اليوم من الدنيا حلال أو حرام يأخذونه ويتمنون المغفرة فان يجدوا الغد مثله يأخذوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه الا انه قال يتمنون المغفرة حدثنا الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد عن مجاهد يأخذون عرض هذا الادنى قال لا يشرف لهم من الدنيا الا أخذوه حلالا كان أو حراما ويتمنون المغفرة ويقولون سيغفر لنا وان يجدوا عرضا مثله يأخذوه حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فخلف من بعدهم خلف أى والله لخلف سوء ورثوا الكتاب بعد أنبيائهم ورسلهم ورثهم الله وعهد اليهم وقال الله فى آية أخرى فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات قال يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا تمنوا على الله أمانى وغرة يغترون بها وان يأتهم عرض مثله لا يشغلهم شئ عن شئ ولا ينهاهم عن ذلك كلما هف لهم شئ من الدنيا أكلوه لا يبالون حلالا كان أو حراما حدثنا محمد ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة يأخذون عرض هذا الادنى قال يأخذونه ان كان حلالا وان كان حراما وان يأتهم عرض مثله قال ان جاءهم حلال أو حرام أخذوه حدثنى محمد ابن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى قوله فخلف من بعدهم خلف الى قوله ودرسوا ما فيه قال كانت بنو اسرائيل لا يستقضون قاضيا الا ارتشى فى الحكم وان خيارهم اجتمعوا فأخذ بعضهم على بعض العهود أن لا يفعلوا ولا يرتشوا فجعل الرجل منهم اذا استقضى ارتشى فيقال له ما شأنك ترتشى فى الحكم فيقول سيغفر لى فيطعن عليه البقية الآخرون من بنى اسرائيل فيما صنع واذا مات أو نزع وجعل مكانه رجل ممن كان يطعن عليه فيرتشى يقول وان يأت الآخرين عرض الدنيا يأخذوه وأما عرض الادنى فعرض الدنيا من المال حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا يقول يأخذون ما أصابوا ويتركون ما شاؤا من حلال أو حرام ويقولون سيغفر لنا وحدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله يأخذون عرض هذا الادنى قال الكتاب الذى كتبوه ويقولون سيغفر لنا لا نشرك بالله شيأ وان يأتهم عرض مثله يأخذوه يأتيهم المحق برشوة فيخرجوا له كتاب الله ثم يحكموا له بالرشوة وكان الظالم اذا جاءهم برشوة أخرجوا له

التكوين والايجاد لان هنالك قولا وقيل فلما عتوا تكرير لقوله فلما نسوا والعذاب البئيس هو المسخ عن الحسن أكلوا والله أوخم أكلة أكلها أهلها اثقلها خزيا فى الدنيا وأطولها عذابا فى الآخرة هاه وايم الله ما حوت أخذه قوم فأكلوه أعظم عند الله من قتل رجل مسلم ولكن الله جعل موعدا والساعة أدهى وأمر وقد ذكرنا هذه القصة مع تحقيق المسخ فى سورة البقرة الا انه بقى ههنا بحث وهو ان أهل القرية كم فرقة كانوا فقيل فرقتان المذنبة والواعظة وأما الامة القائلة لم تعظون فهم المذنبة بعينها قالوا للفرقة الواعظة لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم بزعمكم والاعتراض على هذا القول انه لو صح ذلك لكان اللائق ان يقال فى الجواب معذرة الى ربكم ولعلكم تتقون لان الجميع خطاب من الفرقة الناهية للفرقة العاصية والصحيح انهم ثلاث فرق فرقة مذنبة وفرقة واعظة وفرقة قالوا للواعظين لم تعظون أما المذنبة فقد هلكوا بالاتفاق وأما الواعظة فقد نجوا بقى الكلام فى الثالثة فعن ابن عباس انه توقف فيهم وكان يقول فيهم ليت شعرى ما فعل بهؤلاء وعنه أيضا انهم هلكوا وكان اذا قرئ عليه هذه الآية بكى وقال أين هؤلاء الذين سكتوا عن النهى عن المنكر هلكوا ونحن نرى أشياء ننكرها ثم نسكت ولا نقول شيأ وعن الحسن انهم نجوا لانهم كانوا ينكرون عليهم ويحكمون بأن الله سيهلكهم أو يعذبهم وانما تركوا الوعظ لانهم لم يروا فيه غرضا صحيحا لعلمهم بحال القوم واذا علم الناهى بحال المنهى وان النهى لا ينجع فيه سقط عنه النهى ولعل الواعظين لم يستحكم يأسهم بعد كما استحكم يأس هؤلاء أو لعلهم كانوا أحرص الطائفتين ولعل الامة سألوا عن علة الوعظ سؤال المسترشدين لا سؤال المنكرين والله تعالى أعلم بالسرائر النوع الرابع واذ تأذن ربك هو تفعل من الايذان الاعلام والمعنى عزم ربك لان العازم على الامر يحدث به نفسه فكأنه يؤذن النفس بأنه يفعله وأجرى مجرى فعل القسم فى الجزم بالجزاء نحو علم الله وشهد الله فلذلك أجيب بجواب القسم أى حتم ربك وكتب على نفسه ليبعثن ومعناه التسليط كقوله بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد واختلف فى العائد فى عليهم فقيل يرجع الى الممسوخين بناء على انهم

المثناة وهو الكتاب الذى كتبوه فحكموا به مافى المثناة بالرشوة فهو فيها محق وهو فى التوراة ظالم فقال الله ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب الا يقولوا على الله الا الحق ودرسوا مافيه **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن سعيد بن جبير قوله فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى قال يعملون بالذنوب ويقولون سيغفر لنا وان يأتهم عرض مثله يأخذوه قال الذنوب

۞ القول فى تأويل قوله (ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب الا يقولوا على الله الا الحق ودرسوا مافيه والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا يعقلون) يقول تعالى ذكره ألم يؤخذ على هؤلاء المرتشين فى أحكامهم القائلين سيغفر لنا فعلنا هذا اذا عوتبوا على ذلك ميثاق الكتاب وهو أخذ الله العهود على بنى اسرائيل باقامة التوراة والعمل بما فيها فقال جل ثناؤه لهؤلاء الذين قص قصتهم فى هذه الآية موبخا لهم على خلافهم أمره ونقضهم عهده وميثاقه ألم يأخذ عليهم ميثاق كتابه ألا يقولوا على الله الا الحق ولا يضيفوا اليه الا ما أنزله على رسوله موسى صلى الله عليه وسلم فى التوراة وأن لا يكذبوا عليه كما **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب الا يقولوا على الله الا الحق قال فيما يوجبون على الله من غفران ذنوبهم التى لا يزالون يعودون فيها ولا يتوبون منها وأما قوله ودرسوا مافيه فانه معطوف على قوله ورثوا الكتاب ومعناه فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ودرسوا مافيه ويعنى بقوله ودرسوا مافيه قرؤا مافيه يقول ورثوا الكتاب فعلموا مافيه ودرسوه فضيعوه وتركوا العمل به وخالفوا عهد الله اليهم فى ذلك كما **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ودرسوا مافيه قال علموه علموا مافى الكتاب الذى ذكر الله وقرأ بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون والدار الآخرة خير للذين يتقون يقول جل ثناؤه ومافى الدار الآخرة وهو مافى المعاد عند الله مما أعد لاوليائه والعاملين بما أنزل فى كتابه المحافظين على حدوده خير للذين يتقون الله ويخافون عقابه فيراقبونه فى أمره ونهيه ويطيعونه فى ذلك كله فى دنياهم أفلا يعقلون يقول أفلا يعقل هؤلاء الذين يأخذون عرض هذا الادنى على أحكامهم ويقولون سيغفر لنا ان ماعند الله فى الدار الآخرة للمتقين العادلين بين الناس فى احكامهم خير من هذا العرض القليل الذى يستعجلونه فى الدنيا على خلاف أمر الله والقضاء بين الناس بالجور

۞ القول فى تأويل قوله (والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة انا لا نضيع أجر المصلحين) واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأه بعضهم يمسكون بتخفيف الميم وتسكينها من أمسك يمسك وقرأه آخرون يمسكون بفتح الميم وتشديد السين من مسك يمسك ويعنى بذلك والذين يعملون بما فى كتاب الله وأقاموا الصلاة بحدودها ولم يضيعوا أوقاتها انا لا نضيع أجر المصلحين يقول تعالى ذكره فمن فعل ذلك من خلقى فانى لا أضيع أجر عمله الصالح كما **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد والذين يمسكون بالكتاب قال كتاب الله الذى جاء به موسى صلى الله عليه وسلم **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد قوله والذين يمسكون بالكتاب من يهود أو نصارى انا لا نضيع أجر المصلحين

۞ القول فى تأويل قوله (واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا انه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا مافيه لعلكم تتقون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واذكر يا محمد اذ اقتلعنا الجبل فرفعناه فوق بنى اسرائيل كأنه ظلة غمام من الظلال وقلنا لهم خذوا ما آتيناكم بقوة من فرائضنا وألزمناكم من أحكام كتابنا فاقبلوه واعملوا

سلا وقيل الى صلحاء تلك القرية فكأنه مسخ المتعدين والحق الذل بالبقية وقال الاكثرون هم اليهود الذين أدركهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم الى شريعته فثبتوا على الكفر واستمروا على اليهودية أما العذاب فقيل هو أخذ الجزية كانوا يؤدونها الى المجوس الى ان بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فضربها عليهم فلا تزال مضروبة عليهم الى يوم القيامة وقيل الاستخفاف والاهانة وقيل القتل والقتال كما وقع فى زمن بختنصر وغيره وقيل الاخراج عن الاوطان كما فى يهود خيبر وفى قريظة والنضير واذ قد أخبر الله تعالى بلزوم الذل والصغار اياهم ونحن نشاهد ان الامر كذلك فهو اذن اخبار عن الغيب فيكون معجزا قيل والخبر المروى فى ان اتباع الدجال هم ان صح فمعناه انهم كانوا قبل خروجه يهودا ثم دانوا بالهيته فذكروا بالاسم الاول وانما تكلف ذلك لانهم يكونون فى وقت اتباع الدجال قاهرين غالبين النوع الخامس وقطعناهم فى الارض أمما فرقناهم فيها تفرقة شديدة فلا يكاد يوجد بلد الا وفيه منهم طائفة منهم الصالحون الذين كانوا فى زمن موسى يهدون بالحق أو الذين هم وراء الصين وعن ابن عباس ومجاهد الذين أدركوا النبى صلى الله عليه وآله وآمنوا به ومنهم دون ذلك أى ومنهم ناس دون ذلك الوصف منحطون عنه فيجوز أن يكون فيهم بعض الصلاح وان كان أدون من صلاح الاولين الا ان قوله بعد ذلك لعلهم يرجعون يدل على ان المراد بهم الكفرة الفسقة الباقية على ضد الخير والرشاد ومحل دون ذلك رفع على انه صفة مرفوع محذوف كما قلنا وبلوناهم عاملناهم معاملة المبتلى المختبر بالحسنات الخصب والعافية والسيئات الجدب والشدائد لعلهم يرجعون لان كلا من الطائفتين تدعو الى الطاعة

والانابة النعم للترغيب والنقم للترهيب فخلف من بعدهم خلف ظاهره يدل على ان الاول ممدوح والثانى باجتهاد

مذموم فالمراد بالخلف من ذرية اولئك الخلف قال الجوهرى الخلف القرن بعد القرن يقال هؤلاء خلف سوء الناس لاحقين بناس أكثر منهم

قال الاخفش وقد يحرك فيهما فيقال خلف سوء ومنهم خلف صدق من آبائهم بالتحريك قال لبيد ذهب الذين يعاش فى أكنافهم ٭

باجتهاد منكم فى ادائه فى غير تقصير ولا توان واذكروا مافيه يقول ما فى كتابنا من العهود والمواثيق التى أخذنا عليكم بالعمل بما فيه لعلكم تتقون يقول كى تتقوا ربكم فتخافوا عقابه بتركـكم العمل به اذا ذكرتم ما أخذ عليكم فيه من المواثيق وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة فقال لهم موسى خذوا ما آتيناكم بقوة يقول من العمل بالكتاب والا خر عليكم الجبل فأهلككم فقالوا بل نأخذ ما آتانا الله بقوة ثم نكثوا بعد ذلك **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة فهو قوله ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم فقال خذوا ما آتيناكم بقوة والا أرسلته عليكم **حدثنى** اسحق بن شاهين قال ثنا خالد بن عبد الله عن داود عن عامر عن ابن عباس قال انى لاعلم خلق الله لاى شئ سجدت على وجوههم لما رفع الجبل فوقهم سجدوا وجعلوا ينظرون الى الجبل مخافة ان يقع عليهم قال فكانت سجدة رضيها الله فاتخذوها سنة **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود عن عامر عن ابن عباس مثله **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا انه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة أى بجد واذكروا ما فيه لعلكم تتقون جبل نزعه الله من أصله ثم جعله فوق رؤسهم فقال لتأخذن أمرى أو لارمينكم به **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قال مجاهد واذ نتقنا الجبل قال كما تنتق الزبدة قال ابن جريج كانوا أبوا التوراة ان يقبلوها أو يؤمنوا بها خذوا ما آتيناكم بقوة قال يقول لتؤمنن بالتوراة ولتقبلنها أو ليقعن عليكم **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى بكر بن عبد الله قال هكذا كتاب الله أتقبلونه بما فيه فان فيه بيان ما أحل لكم وحرم عليكم وما أمركم ونهاكم قالوا انشر علينا ما فيها فان كانت فرائضها يسيرة وحدودها خفيفة قبلناها قال اقبلوها بما فيها قالوا لا حتى نعلم ما فيها كيف حدودها وفرائضها فراجعوا موسى مرارا فأوحى الله الى الجبل فانقلع فارتفع فى السماء حتى اذا كان بين رؤسهم وبين السماء قال لهم موسى ألا ترون ما يقول ربى لئن لم تقبلوا التوراة بما فيها لارمينكم بهذا الجبل قال فحدثنى الحسن البصرى قال لما نظروا الى الجبل خر كل رجل ساجدا على حاجبه الايسر ونظر بعينه اليمنى الى الجبل فرقا من ان يسقط عليه فلذلك ليس فى الارض يهودى يسجد الا على حاجبه الايسر يقولون هذه السجدة التى رفعت عنا بها العقوبة قال أبو بكر فلما نشر الالواح فيها كتاب الله كتبه بيده لم يبق على وجه الارض جبل ولا شجر ولا حجر الا اهتز فليس اليوم يهودى على الارض صغير ولا كبير يقرأ عليه التوراة الا اهتز ونفض لها رأسه واختلف أهل العلم بكلام العرب فى معنى قوله نتقنا فقال بعض البصريين معنى نتقنا رفعنا واستشهد بقول العجاج * ينتق اقتاد الشليل نتقا * وقال يعنى بقوله ينتق يرفعه عن ظهره وبقول الآخر * ونتقوا أحلامنا الاثاقلا * وقد حكى عن قائل هذه المقالة قول آخر وهو ان أصل النتق والنتوق كل شئ قلعته من موضعه فرميت به يقال منه نتقت نتقا قال ولهذا قيل للمرأة الكبيرة ناتق لانها ترمى باولادها رميا واستشهد ببيت النابغة

لم يحرموا حسن الغذاء وأمهم * دحقت عليك بناتق مذكار

وقال آخر منهم معناه فى هذا الموضع رفعناه وقال قالوا انتقنى السير حركنى قال قالوا ما نتق برجله

وبقيت فى خلف كجلد الاجرب والخلف الردىء من القول يقال سكت ألفا ونطق خلفا أى سكت عن ألف كلمة ثم تكلم بخطأ وورثوا الكتاب التوراة بقيت فى أيديهم بعد سلفهم يقرؤنها ويقفون على ما فيها من الاوامر والنواهى ولا يعملون بها يأخذون عرض هذا الادنى أى حطام هذا الشئ الادنى يريد الدنيا وما يتمتع به منها يقال الدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر وفى الاشارة بقوله هذا الادنى تحقير وتخسيس وأراد بالدنو القرب لانه عاجل أو دنو الحال وسقوطها وقلتها والمراد ما كانوا يأخذونه من الرشى فى تحريف الاحكام والنعوت ويقولون سيغفر لنا لا يؤاخذنا الله بما أخذنا واسناد الفعل اما الى الجار والمجرور واما الى الاخذ الدال عليه يأخذون وان يأتهم عرض مثله يأخذوه الواو للحال أى يرجون المغفرة جزما وهم مصرون والمراد الاخبار عن اصرارهم على الذنوب وقال الحسن هذا اخبار عن حرصهم على الدنيا وانهم لا يشبعون منها ثم بين نكث عهدهم فقال ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أى التوراة ومحل أن لا يقولوا على الله الا الحق رفع عطف بيان للميثاق المذكور فى التوراة وهو ان لا يحرفوا الكلم عن مواضعه ولا يقبلوا الرشى أو لا يصروا على الذنب مع الجزم بالغفران فان خلاف كل ذلك خروج عن ميثاق الكتاب وافتراء على الله والقول عليه ما ليس بحق ويجوز أن يكون أن لا يقولوا مفعولا لاجله ومعناه لئلا يقولوا ويجوز أن تكون ان مفسرة ولا يقولوا نهيا كأنه قيل ألم نقل لهم لا تقولوا على الله الا الحق ودرسوا عطف على ألم يؤخذ لانه تقرير كأنه قيل أخذ عليهم الميثاق وقرؤا ما فيه أى انهم ذاكرون لما أخذ عليهم لانهم قد قرؤه ودرسوه والدار الآخرة خير من ذلك العرض الخسيس للذين يتقون الرشى والمحارم ثم لما ذكر حال من ترك التمسك بالتوراة اتبعها حال من تمسك أى اعتصم به فقال والذين يمسكون الآية والتشديد للتكثير فى افراد اقامة الصلاة مع ان التمسك بالكتاب مشتمل على كل عبادة اظهارا للمزية الصلاة واشعارا بانها عماد الدين النوع السادس واذ نتقنا قال أبو عبيدة أصل النتق قلع الشئ عن موضعه والرمى به ومنه امرأة ناتق اذا كثر ولدها لانها ترمى باولادها رميا والمعنى واذ قلعنا الجبل من أصله ...

لا يركض والنتق نتق الدابة صاحبها حين تعدو به وتتعبه حتى يدبر فذلك النتق والنتوق ونتقتني الدابة ونتقت المرأة تنتق نتوقا كثر ولدها وقال بعض الكوفيين نتقنا الجبل علقنا الجبل فوقهم فرفعناه ننتقه نتقا وامرأة منتاق كثيرة الولد قال وسمعت أحد الجرات نتق ما فيه اذا نثر ما فيه ❁ القول في تأويل قوله (واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واذكر يا محمد ربك اذ استخرج ولد آدم من أصلاب آبائهم فقررهم بتوحيده وأشهد بعضهم على بعض شهادتهم بذلك واقرارهم به كما حدثني أحمد بن محمد الطوسى قال ثنا الحسين بن محمد قال ثنا جرير بن حازم عن كلثوم بن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان يعنى عرفة فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرهم بين يديه كالذر ثم كلمهم قبلا فقال ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا الآية الى ما فعل المبطلون حدثنا عمران بن موسى قال ثنا عبد الوارث قال ثنا كلثوم بن جبير قال سألت سعيد بن جبير عن قوله واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم قال سألت عنها ابن عباس فقال مسح ربك ظهر آدم فخرجت كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة بنعمان هذه وأشار بيده فأخذ مواثيقهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى حدثنا ابن وكيع ويعقوب قالا ثنا ابن علية قال ثنا كلثوم ابن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا قال مسح ربك ظهر آدم فخرجت كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة بنعمان هذا الذى وراء عرفة وأخذ ميثاقهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا اللفظ لحديث يعقوب وحدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية قال ربيعة بن كلثوم عن أبيه فى هذا الحديث قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين حدثنا عمرو قال ثنا عمران بن عيينة قال أخبرنا عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال أول ما أهبط الله آدم أهبطه بدحنا أرض بالهند فمسح الله ظهره فأخرج منه كل نسمة هو بارئها الى أن تقوم الساعة ثم أخذ عليهم الميثاق وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمران بن عيينة عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال أهبط آدم حين أهبط فمسح الله ظهره فأخرج منه كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة ثم قال ألست بربكم قالوا بلى ثم تلا واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم فجف القلم من يومئذ بما هو كائن الى يوم القيامة حدثنا أبو كريب قال ثنا يحيى بن عيسى عن الاعمش عن حبيب بن أبى ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم قال لما خلق الله آدم أخذ ذريته من ظهره مثل الذر فقبض قبضتين فقال لأصحاب اليمين ادخلوا الجنة بسلام وقال للآخرين ادخلوا النار ولا أبالى حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن الاعمش عن حبيب عن ابن عباس قال مسح الله ظهر آدم فأخرج كل طيب فى يمينه وأخرج كل خبيث فى الأخرى حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو علية عن شريك عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال مسح الله ظهر آدم فاستخرج منه كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام قال ثنا عمرو بن أبى قيس عن عطاء عن سعيد عن ابن عباس واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم

وهى كل ما أظلك من سقف أو حائط وظنوا أنه واقع بهم علما أو ثقة بوقوعه أنه ساقط عليهم وقيل قوى فى نفوسهم انه يقع بهم ان خالفوا روى أنهم أبوا أن يقبلوا أحكام التوراة فرفع الله الطور على رأسهم مقدار عسكرهم وكان فرسخا فى فرسخ وقيل لهم ان قبلتموها بما فيها والا ليقعن عليكم فلما نظروا الى الجبل خر كل رجل منهم ساجدا على حاجبه الايسر وهو ينظر بعينه اليمنى الى الجبل فرقا من سقوطه فلذلك لا ترى يهوديا يسجد الا على حاجبه الايسر ويقولون هى السجدة التى رفعت عنا بها العقوبة ولما نشر موسى الالواح وفيها كتاب الله لم يبق جبل ولا شجر الا اهتز فلذلك لا ترى يهوديا يقرأ عليه التوراة الا اهتز ونغض لها رأسه خذوا على ارادة القول أى قلنا لهم أو قائلين خذوا ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة على احتمال مشاقه وتكاليفه واذكروا ما فيه من الاوامر والنواهى أو من التعريض للثواب أو المراد خذوا ما آتيناكم من الآية العظيمة بقوة ان كنتم تطيقونه كقوله ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا واذكروا ما فيه من الدلالة على القدرة الباهرة لعلكم تتقون ما أنتم عليه من الاباء * التأويل القرية التى كانت حاضرة البحر هى قرية الجسد الحيوانى على شاطئ بحر البشرية وأهل قرية الجسد الصفات الانسانية صنف روحانى كصفات الروح وصنف نفسانى كصفات النفس الامارة بالسوء وكل قد نهوا عن صيد حيتان الدواعى البشرية فى سبت محارم الله فلم يهتك الحرمة الا الصفات الانسانية اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا لان الانسان حريص على ما منع [illegible] الدواعى فى المحرمات دون المحللات بما كانوا يفسقون أى بما كان من سجية النفس وصفاتهم من الخروج عن أمر الله لانها أمارة بالسوء [illegible] قالوا الصفات الروحانية [illegible]
[illegible]
[illegible]

فتتصف بالمأمورية والاطمئنان فانها قابلة لذلك بعذاب بئيس وهو ابطال استعداد قبول الفيض الالهي ليبعثن عليهم على الارواح والقلوب الذين يتبعون النفس وصفاتها من يسومهم وهو الشيطان المنظر الى يوم القيامة سوء العذاب عذاب البعد عن الله وعذاب ذلة الخدمة للنفس والشيطان وقطعناهم فرقنا الارواح والقلوب فى أرض الاجساد منهم الصالحون (٧١) قابلون لفيض نور الله ومنهم دون ذلك فى

ذرياتهم قال لما خلق الله آدم مسح ظهره بدحنا وأخرج من ظهره كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة فقال ألست بربكم قالوا بلى قال فيرون يومئذ جف القلم بما هو كائن الى يوم القيامة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن المسعودى عن على بن بذيمة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما خلق الله آدم عليه السلام أخذ ميثاقه فمسح ظهره فاخذ ذريته كهيئة الذر فكتب آجالهم وأرزاقهم ومصائبهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى قال ثنا يزيد بن هرون عن المسعودى عن على بن بذيمة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم قال لما خلق الله آدم أخذ ميثاقه انه ربه وكتب أجله ومصائبه واستخرج ذريته كالذر وأخذ ميثاقهم وكتب آجالهم وأرزاقهم ومصائبهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن ربيعة بن كلثوم بن جبير عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم قال مسح الله ظهر آدم وهو ببطن نعمان واد الى جنب عرفة وأخرج ذريته من ظهره كهيئة الذر ثم أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا قال ثنا أبى عن أبى هلال عن أبى حمزة الضبعى عن ابن عباس قال أخرج الله ذرية آدم عليه السلام من ظهره كهيئة الذر وهو فى أدنى من الماء حدثنى على بن سهل قال ثنا ضمرة بن ربيعة قال ثنا أبو مسعود عن جويبر قال مات ابن للضحاك بن مزاحم لستة أيام قال فقال يا جابر اذا أنت وضعت ابنى فى لحده فابرز وجهه وحل عنه عقده فان ابنى مجلس ومسؤل ففعلت به الذى أمرنى فلما فرغت قلت يرحمك الله عما يسئل ابنك قال يسئل عن الميثاق الذى أقر به فى صلب آدم عليه السلام قلت يا أبا القاسم وما هذا الميثاق الذى أقر به فى صلب آدم قال ثنى ابن عباس ان الله مسح صلب آدم فاستخرج منه كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة وأخذ منهم الميثاق ان يعبدوه ولا يشركوا به شيأ فلن تقوم الساعة حتى يولد من أعطى الميثاق يومئذ فمن أدرك منهم الميثاق الآخر فوفى به نفعه الميثاق الاول ومن أدرك الميثاق الآخر فلم يف به لم ينفعه الميثاق الاول ومن مات صغيرا قبل ان يدرك الميثاق الآخر مات على الميثاق الاول على الفطرة حدثنى يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى السرى ابن يحيى ان الحسن بن أبى الحسن حدثهم عن الاسود بن سريع من بنى سعد قال غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع غزوات قال فتناول القوم الذرية بعدما قتلوا المقاتلة فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشتد عليه ثم قال ما بال أقوام يتناولون الذرية فقال رجل يا رسول الله أليسوا أبناء المشركين فقال ان خياركم أولاد المشركين ألا انها ليست نسمة تولد الا ولدت على الفطرة فما تزال عليها حتى يبين عنها لسانها فابواها يهودانها أو ينصرانها قال الحسن ولقد قال الله ذلك فى كتابه قال واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم حدثنا عبد الرحمن بن الوليد قال ثنا أحمد ابن أبى طيبة عن سفيان عن سعيد عن الاجلح عن الضحاك وعن منصور عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم قال أخذوا من ظهره كما يؤخذ بالمشط من الرأس فقال لهم ألست بربكم قالوا بلى قالت الملائكة شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو فى قوله واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم قال أخذ كما يأخذ المشط من الرأس حدثنا ابن وكيع وابن حميد قالا ثنا جرير عن

القبول وبلوناهم بالحسنات والسيئات وهى المعاصى لعلهم يرجعون الى الحق وذلك ان السير الى الله يتم بقدم الطاعة وبقدم ترك المعصية ومن هنا قيل خطوتان وقد وصلت أو بلوناهم بالحسنات ليرجعوا الينا بقدم الشكر والسيئات ليرجعوا بقدم الصبر أو بلوناهم بكثرة الطاعات والعجب بها كما كان حال ابليس وبكثرة المعاصى والندامة عليها كما كان حال آدم فخلف من بعد الارواح والقلوب لما سلكوا طريق الحق ووصلوا الى مقعد صدق خلفهم النفوس الامارة بالسوء ورثوا الكتاب وهو ما ألهم الله تعالى الارواح والقلوب من المواعظ والحكم والمعانى والاسرار وورثت النفوس وجعلوها ذريعة العروض الدنياوية وتحصيل المال والجاه واستيفاء اللذات ويقولون سيغفر لنا مثل هذه الزلات لانا واصلون كاملون كما هو مذهب أهل الاباحة أو سيغفر لنا اذا استغفرنا وهم يستغفرون باللسان لا بالقلب واذ نتقنا الجبل فيه ان الانسان لو وكل الى طبعه ونفسه لا يقبل شيأ من الامور الدينية وانما يعان على القبول بامر ظاهر او باطن وفيه ان على رؤس أهل الطلب جبل أمر الحق وهو أمر التحويل فحولهم بالقدرة الى أن يأخذوا ما آتاهم الله تعالى بقوة منه لا بقوتهم وارادتهم (واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا انما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الارض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه

كانوا يظلمون من يهد الله فهو المهتدى ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون (٧٢) ولله الاسماء الحسنى

منصور عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم قال أخذهم كما يأخذ المشط من الرأس قال ابن حميد كما يؤخذ المشط حدثنا ابراهيم بن سعيد الجوهرى قال ثنا روح بن عبادة وسعد بن عبد الحميد بن جعفر عن مالك بن أنس عن زيد بن أبى أنيسة عن عبد الحميد ابن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب عن ابن بشار الجهنى عن عمر بن الخطاب سئل عن هذه الآية واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم فقال عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله خلق آدم ثم مسح على ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون فقال رجل يا رسول الله ففيم العمل قال ان الله اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من عمل الجنة فيدخله الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل أهل النار فيدخله النار حدثنا ابراهيم قال ثنا محمد بن المصفى عن بقية عن عمر بن جعفر القرشى قال ثنى زيد بن أبى أنيسة عن عبد الحميد بن عبد الرحمن عن مسلم بن يسار عن نعيم بن ربيعة عن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم بنحوه حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن عمارة عن أبى محمد رجل من المدينة قال سألت عمر بن الخطاب عن قوله واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم قال سألت النبى صلى الله عليه وسلم عنه كما سألتنى فقال خلق الله آدم بيده ونفخ فيه من روحه ثم أجلسه فمسح ظهره بيده اليمنى فأخرج ذرا فقال ذرا ذرأتهم للجنة ثم مسح ظهره بيده الاخرى وكلتا يديه يمين فقال ذرا ذرأتهم للنار يعملون فيما شئت من عمل ثم أختم لهم بأسوإ أعمالهم فأدخلهم النار حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم قال ان الله خلق آدم ثم أخرج ذريته من صلبه مثل الذر فقال لهم من ربكم قالوا الله ربنا ثم أعادهم فى صلبه حتى يولد كل من أخذ ميثاقه لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم الى ان تقوم الساعة حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم الى قوله قالوا بلى شهدنا قال ابن عباس ان الله لما خلق آدم مسح ظهره وأخرج ذريته كلهم كهيئة الذر فأنطقهم فتكلموا وأشهدهم على أنفسهم وجعل مع بعضهم النور وانه قال لآدم هؤلاء ذريتك آخذ عليهم الميثاق أنا ربهم لئلا يشركوا بى شيأ وعلى رزقهم قال آدم فمن هذا الذى معه النور قال هو داود قال يا رب كم كتبت له من الاجل قال ستين سنة قال كم كتبت لى قال ألف سنة وقد كتبت لكل انسان منهم كم يعمر وكم يلبث قال يا رب زده قال هذا الكتاب موضوع فأعطه ان شئت من عمرك قال نعم وقد جف القلم عن أجل سائر بنى آدم فكتب له من الاجل أربعين سنة فصار أجله مائة سنة فلما عمر تسع مائة سنة وستين سنة جاءه ملك الموت فلما رآه آدم قال مالك قال له قد استوفيت أجلك قال له آدم انما عمرت تسع مائة وستين سنة وبقى أربعون سنة فلما قال ذلك للملك قال الملك قد أخبرنى بها ربى قال فارجع الى ربك فاسأله فرجع الملك الى ربه فقال مالك قال يا رب رجعت اليك لما كنت أعلم من مكرمتك اياه قال الله ارجع فأخبره انه قد أعطى ابنه داود أربعين سنة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن الزبير بن موسى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ان الله تبارك وتعالى ضرب منكبه الايمن فخرجت كل نفس مخلوقة للجنة بيضاء نقية فقال هؤلاء أهل الجنة ثم ضرب منكبه الايسر فخرجت كل نفس مخلوقة للنار

فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملى لهم ان كيدى متين) القراآت ذريتهم على التوحيد حمزة وخلف وابن كثير وعاصم سوى حفص والمفضل الباقون على الجمع يقولوا بياء الغيبة فى الحرفين أبو عمرو يلهث ذلك بالاظهار حفص والاصفهانى عن ورش والحلوانى عن قالون والنقاش عن أبى ربيعة عن قنبل يلحدون بفتح الياء والحاء حمزة الباقون بضم الياء وكسر الحاء من الالحاد ولقد ذرأنا بالاظهار أبو جعفر ونافع وابن كثير غير ورش وعاصم غير الاعشى ذرانا بغير همز أبو عمرو ويزيد والاعشى أذرانا بغير همز أبو عمرو ويزيد والاعشى والاصفهانى عن ورش وحمزة فى الوقف الباقون بالهمز * الوقوف أنفسهم ج لان التقدير وقال ألست بربكم مع اتحاد الكلام بربكم ط فصلا بين السؤال والجواب بلى ج لان شهدنا يصلح ان يكون من قولهم فيوقف على شهدنا ويعلق ان بمحذوف أى فعلنا ذلك لئلا يقولوا ويصلح ان يكون شهدنا من قول الملائكة أى قال الله للملائكة اشهدوا فقالوا شهدنا فيكون منفصلا عن جملة بلى ومتصلا بان يقولوا غافلين ه [illegible] المبطلون ه يرجعون ه الغاوين ه هواه ج لان قوله فمثله مبتدأ ولدخول الفاء فيه [illegible]

[illegible] بآياتنا ط يتفكرون ه يظلمون ه المهتدى ج للعطف ولان [illegible] الخاسرون ه والانس ط [illegible] لا يفقهون بها ز لان العطف

سوداء فقال هؤلاء أهل النار ثم أخذ عهودهم على الايمان والمعرفة له ولامره والتصديق به وبامره بنى آدم كلهم فاشهدهم على أنفسهم فآمنوا وصدقوا وعرفوا واقروا وبلغنى انه أخرجهم على كفه أمثال الخردل قال ابن جريج عن مجاهد قال ان الله لما أخرجهم قال ياعباد الله اجيبوا الله والاجابة الطاعة فقالوا اطعنا اللهم اطعنا اللهم اطعنا اللهم لبيك قال فاعطاها ابراهيم عليه السلام فى المناسك لبيك اللهم لبيك قال ضرب متن آدم حين خلقه قال وقال ابن عباس خلق آدم ثم أخرج ذريته من ظهره مثل الذر فكلمهم ثم أعادهم فى صلبه فليس أحد الا وقد تكلم فقال ربى الله فقال وكل خلق خلق فهو كائن الى يوم القيامة وهى الفطرة التى فطر الناس عليها قال ابن جريج قال سعيد بن جبير أخذ الميثاق عليهم بنعمان ونعمان من وراء عرفة أن يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين عن الميثاق الذى أخذ عليهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى جعفر عن الربيع عن أبى العالية عن أبى بن كعب قال جمعهم يومئذ جميعا ماهو كائن الى يوم القيامة ثم استنطقهم وأخذ عليهم الميثاق وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين أو يقولوا انما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون قال فانى أشهد عليكم السموات السبع والارضين السبع وأشهد عليكم أباكم آدم ان تقولوا يوم القيامة لم نعلم بهذا اعلموا انه لا اله غيرى ولا رب غيرى ولا تشركوا بى شيأ وانى سأرسل اليكم رسلا يذكرونكم عهدى وميثاقى وسأنزل عليكم كتبى قالوا نشهد انك ربنا والهنا لا رب لنا غيرك ولا اله لنا غيرك فاقروا له يومئذ بالطاعة ورفع عليهم أباهم آدم فنظر اليهم فرأى منهم الغنى والفقير وحسن الصورة ودون ذلك فقال رب لولا ساويت بينهم قال فانى أحب ان أشكر قال وفيهم الانبياء عليهم السلام يومئذ مثل السرج وخص الانبياء بميثاق آخر قال الله واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا وهو الذى يقول تعالى ذكره فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله وفى ذلك قال هذا نذير من النذر الاولى يقول أخذنا ميثاقه مع النذر الاولى وفى ذلك قوله وما وجدنا لاكثرهم من عهد وان وجدنا أكثرهم لفاسقين ثم بعثنا من بعده رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كان فى علمه يوم اقروا به من يصدق ومن يكذب حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير فى هذه الآية واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قال أخرجهم من ظهر آدم وجعل لآدم عمر ألف سنة قال فعرضوا على آدم فرأى رجلا من ذريته له نور فاعجبه فسأل عنه فقال هو داود وقد جعل عمره ستين سنة فجعل له من عمره أربعين سنة فلما حضر آدم جعل يخاصمهم فى الاربعين سنة فقيل له انك أعطيتها داود قال فجعل يخاصمهم حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد فى قوله واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم قال أخرج ذريته من ظهره كهيئة الذر فعرضهم على آدم باسمائهم وأسماء آبائهم وآجالهم قال فعرض عليه روح داود فى نور ساطع فقال من هذا قال هذا من ذريتك نبى خليفة قال كم عمره قال ستون سنة قال زيدوه من عمرى أربعين قال والاقلام رطبة تجرى وأثبت لداود الاربعون وكان عمر آدم عليه السلام ألف سنة فلما استكملها الا الاربعين سنة بعث اليه ملك الموت فقال يا آدم أمرت ان أقبضك قال ألم يبق من عمرى أربعون سنة قال فرجع ذلك

صحيح ولكن الوقفة لامهال فرصة الاعتبار وكذا الثانية ولهذا كرر لفظة لهم فى أول كل جملة لا يبصرون بها ط أضل ط الغافلون ه فادعوه بها ص لعطف المتفقين فى أسمائه ط يعملون ه يعدلون ه لا يعلمون ه ج وعطف وأملى على سنستدرجهم أحسن من جعله مستأنفا فيوقف على أملى لهم متين ه * التفسير لما شرح قصة موسى (٧٣) على أقصى الوجوه ذكر ما يجرى مجرى تقرير الحجة على جميع المكلفين وفى الآية للمفسرين قولان أحدهما ماروى مسلم بن يسار الجهنى ان عمر بن الخطاب قال سأل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية قال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون قال رجل يارسول الله ففيم العمل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله به الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله به النار وهذا القول ذهب اليه كثير من قدماء المفسرين كسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير والضحاك وعكرمة والكلبى وابن عباس أما المعتزلة وأصحاب النظر والمعقولات فانهم فسروا الآية بانه تعالى أخرج الذرية وهم الاولاد من أصلاب آبائهم وذلك الاخراج انهم كانوا نطفة فاخرجها الله تعالى الى أرحام الامهات وجعلها علقة ثم مضغة ثم جعلهم بشرا سويا وخلقا كاملا ثم أشهدهم على أنفسهم بما ركب فى عقولهم من دلائل وحدانيته وعجائب خلقته وغرائب صنعته فكأنه قررهم وقال ألست بربكم وكأنهم قالوا بلى أنت ربنا شهدنا على أنفسنا وأقررنا بوحدانيتك وباب التمثيل باب واسع فى كلام الله ورسوله وفى كلام العرب نظيره فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين وقال الشاعر * امتلأ الحوض وقال قطنى * وهذا القول الثانى غير مناف للقول الاول ولا هو مطعون فى نفسه اذ ما الكلام

الموت الحربه فقال ان آدم بدعى من عمره أربعين سنة قال أخبر آدم انه جعلها لابنه داود والاقلام رطبة فاثبتت لداود حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو داود عن يعقوب عن جعفر عن سعيد بنحوه قال ثنا ابن فضيل وابن نمير عن عبد الملك عن عطاء واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم قال أخرجهم من ظهر آدم حتى أخذ عليهم الميثاق ثم ردهم فى صلبه حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن نصر بن عربى واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم قال أخرجهم من ظهر آدم حتى أخذ عليهم الميثاق ثم ردهم فى صلبه قال ثنا محمد بن عبيد عن أبى بسطام عن الضحاك قال حيث ذرأ الله خلقه لآدم قال خلقهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى حدثت عن الحسين ابن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم قال قال ابن عباس خلق الله آدم ثم أخرج ذريته من ظهره فكلمهم الله وأنطقهم فقال ألست بربكم قالوا بلى ثم أعادهم فى صلبه فليس أحد من الخلق الا قد تكلم فقال ربى الله وان القيامة لن تقوم حتى يولد من كان يومئذ أشهد على نفسه حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو ابن طلحة عن اسباط عن السدى واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى وذلك حين يقول تعالى ذكره وله أسلم من فى السموات والارض طوعا وكرها وذلك حين يقول فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين يعنى يوم أخذ منهم الميثاق ثم عرضهم على آدم عليه السلام قال ثنا عمرو عن اسباط عن السدى قال أخرج الله آدم من الجنة ولم يهبط من السماء ثم مسح ظهر آدم صفحة ظهره اليمنى فأخرج منه ذرية كهيئة الذر أبيض مثل اللؤلؤ فقال لهم ادخلوا الجنة برحمتى ومسح صفحة ظهره اليسرى فأخرج منه كهيئة الذر سودا فقال ادخلوا النار ولا أبالى فذلك حين يقول أصحاب اليمين وأصحاب الشمال ثم أخذ منهم الميثاق فقال ألست بربكم قالوا بلى فأطاعه طائفة طائعين وطائفة كارهين على وجه التقية حدثنى موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى بنحوه وزاد فيه بعد قوله وطائفة على وجه التقية فقال هو والملائكة شهدنا أن يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين أو يقولوا انما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم فلذلك ليس فى الارض أحد من ولد آدم الا وهو يعرف ان ربه الله ولا مشرك الا وهو يقول لابنه انا وجدنا آباءنا على أمة والامة الدين وانا على آثارهم مقتدون وذلك حين يقول الله واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى وذلك حين يقول وله أسلم من فى السموات والارض طوعا وكرها وذلك حين يقول فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين يعنى يوم أخذ منهم الميثاق حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الكلبى من ظهورهم ذرياتهم قال مسح الله على صلب آدم فأخرج من صلبه من ذريته ما يكون الى يوم القيامة وأخذ ميثاقهم انه ربهم فأعطوه ذلك ولا يسأل أحدا كافرا ولا غيره من ربك الا قال الله وقال الحسن مثل ذلك أيضا حدثنا ابن وكيع قال ثنا حفص بن غياث عن جعفر عن أبيه عن على بن حسين انه كان يقول ويتاول هذه الآية واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب القرظى فى قوله واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم قال أقرت الارواح قبل ان تخلق أجسادها حدثنا أحمد بن الفرج الحمصى قال ثنا بقية بن الوليد قال ثنى

فى صحة القول الاول والمنكرون طعنوا فيه بوجوه منها ان قوله من ظهورهم بدل من بنى آدم بدل البعض من الكل فالمعنى واذ أخذ ربك من ظهور بنى آدم وعلى هذا فلم يذكر الله تعالى انه أخذ من ظهر آدم شيأ ويمكن ان يجاب بانه تعالى يعلم ان الشخص الفلانى يتولد من آدم ومن فلان فلان آخر فعلى الترتيب الذى علم (٧٤) دخولهم فى الوجود يخرجهم ويميز بعضهم من بعض فثبت اخراج الذرية من ظهور بنى آدم بالقرآن وثبت اخراج الذرية من ظهر آدم بالخبر فوجب المصير اليهما معا صونا للآية والخبر عن الطعن ومنها ان أولئك الذر ان لم يكونوا عقلاء لم يمكن أخذ الميثاق منهم وان كانوا عقلاء وجب ان يتذكروا تلك الحالة فى هذا الوقت وبهذا الدليل بعينه يبطل التناسخ ويحتمل أن يجاب بالفرق وذلك انا اذا كنا فى ابدان أخرى وبقينا فيها سنين ودهورا امتنع فى مجرى العادة نسيانها واما أخذ هذا الميثاق فانما حصل فى أسرع زمان فلم يبعد حصول النسيان فيه ومنها ان جميع الخلق من أولاد آدم جمع عظيم وجم غفير وصلب آدم على صغره لن يتسع لذلك المجموع على ان البنية شرط لحصول الحياة والعقل والفهم فكل واحد من أولئك الذر له بنية وان كانت صغيرة والمجموع يبلغ مبلغا عظيما فى الجسمية والمقدار وأجيب بان البنية عندنا ليست شرطا فى الحياة والعقل فمن الجائز أن يكون كل من الذر جوهرا فردا ومنها ان فائدة أخذ الميثاق أن يكون حجة عليهم فى ذلك الوقت أو فى الدنيا والاجماع منعقد على انهم بسبب ذلك لا يصيرون مستحقين للثواب والعقاب وعلى انهم أدون حالا من الاطفال ولا يتوجه التكليف على الطفل فكيف يتوجه على الذر وأجيب بانه لا يسئل عما يفعل وان المعتزلة اذا أرادوا تصحيح القول بوزن الاعمال وانطاق الجوارح قالوا لا يبعد ان يكون لبعض الملائكة فى تمييز السعداء من الاشقياء فى وقت أخذ الز بيدى الميثاق نطق وقيل ان الله تعالى يذكرهم ذلك الميثاق يوم القيامة ومنها انه سبحانه قال ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين وقال فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق وكون أولئك الذر أناسا ينافى كون الانسان مخلوقا من الماء والطين والجواب لا يبعد وأن يخرج الله

الزبيدى عن راشد بن سعد عن عبد الرحمن بن قتادة البصرى عن أبيه عن هشام بن حكيم ان رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أتبدأ الاعمال أم قد قضى القضاء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله أخذ ذرية آدم من ظهورهم ثم أشهدهم على أنفسهم ثم أفاض بهم فى كفيه ثم قال هؤلاء فى الجنة وهؤلاء فى النار فاهل الجنة ميسرون لعمل أهل الجنة وأهل النار ميسرون لعمل أهل النار حدثنى محمد بن عوف الطائى قال ثنا حيوة ويزيد قالا ثنا بقية عن الزبيدى عن راشد عن سعد عن عبد الرحمن بن قتادة البصرى عن أبيه عن هشام بن حكيم عن النبى صلى الله عليه وسلم مثله حدثنى أحمد بن شبويه قال ثنا اسحق بن ابراهيم قال ثنا عمرو بن الحرث قال ثنا عبد الله ابن مسلم عن الزبيدى قال ثنا راشد بن سعد ان عبد الرحمن بن قتادة حدثه ان أباه حدثه ان هشام ابن حكيم حدثه انه قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فذكر مثله حدثنا محمد بن عوف قال ثنى أبو صالح قال ثنا معاوية عن راشد بن سعد عن عبد الرحمن بن قتادة عن هشام بن حكيم عن النبى صلى الله عليه وسلم بنحوه * واختلف فى قوله شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين فقال السدى هو خبر من الله عن نفسه وملائكته انه جل ثناؤه قال هو وملائكته اذ أقر بنو آدم بربوبيته حين قال لهم ألست بربكم قالوا بلى فتأويل الكلام على هذا التأويل واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى فقال الله وملائكته شهدنا عليكم باقراركم بان الله ربكم كيلا تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين وقد ذكرت الرواية عنه بذلك فيما مضى والخبر الآخر الذى روى عن عبد الله بن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم بمثل ذلك وقال آخرون ذلك خبر من الله عن قيل بعض بنى آدم لبعض حين أشهد الله بعضهم على بعض وقالوا معنى قوله وأشهدهم على أنفسهم وأشهد بعضهم على بعض باقرارهم بذلك وقد ذكرت الرواية بذلك أيضا عمن قاله قبل * قال أبو جعفر وأولى القولين فى ذلك بالصواب ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كان صحيحا فلا أعلمه صحيحا لان الثقات الذين يعتمد على حفظهم واتقانهم حدثوا بهذا الحديث عن الثورى فوقفوه على عبد الله بن عمرو ولم يرفعوه ولم يذكروا فى الحديث هذا الحرف الذى ذكره أحمد بن أبى طيبة عنه وان لم يكن ذلك عنه صحيحا فالظاهر يدل على انه خبر من الله عن قيل بنى آدم بعضهم لبعض لانه جل ثناؤه قال وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا فكانه قيل فقال الذين اشهدوا على المقرين حين أقروا فقالوا بلى شهدنا عليكم بما أقررتم به على أنفسكم كيلا تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين ۞ القول فى تأويل قوله (أو يقولوا انما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون) يقول تعالى ذكره شهدنا عليكم أيها المقرون بان الله ربكم كيلا تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين انا كنا لا نعلم ذلك وكنا فى غفلة منه أو تقولوا انما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم اتبعنا منهاجهم أفتهلكنا باشراك من أشرك من آبائنا واتباعنا منهاجهم على جهل منا بالحق ويعنى بقوله بما فعل المبطلون بما فعل الذين أبطلوا فى دعواهم الها غير الله واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأه بعض المكيين والبصريين ان يقولوا بالياء بمعنى شهدنا لئلا يقولوا على وجه الخبر عن الغيب وقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة والكوفة ان تقولوا بالتاء على وجه الخطاب من الشهود للمشهود عليهم والصواب من القول فى ذلك انهما قراءتان صحيحتا المعنى متفقتا التأويل وان اختلفت ألفاظهما

تعالى من صلب آدم ذرة من الماء ثم منها ذرة أخرى وهلم جرا الى آخر نسلها ثم يعدمها ثم الكل أو يميتها فتحصل الحياة للانسان أربع مرات أولها وقت الميثاق وثانيها فى الدنيا وثالثها فى القبر ورابعها فى القيامة ويحصل له الموت ثلاث مرات بين كل حياتين واحد ولا ينافى هذا حكاية قول الكفرة ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين لانهم قالوا ذلك بناء على حسب ظنونهم أما قوله ان تقولوا فالتقدير واشهدهم على أنفسهم بكذا لئلا يقولوا أو كراهة ان يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا المشهود له غافلين من قرأ بياء الغيبة فلان الكلام على الغيبة وهو قوله بنى آدم من ظهورهم وأشهدهم على أنفسهم لئلا يقولوا ومن قرأ على الخطاب فلانه قد جرى فى الكلام خطاب وهو قوله ألست بربكم وكلا الوجهين حسن لان الغائبين هم المخاطبون فى المعنى أو يقولوا يعنى الكفار انما أشركنا لان آباءنا أشركوا فقلدناهم فى ذلك الشرك فكان الذنب لاسلافنا فكيف تعذبنا على هذا الشرك وهو معنى قوله أفتهلكنا بما فعل المبطلون والحاصل ان الله تعالى لما أخذ عليهم الميثاق امتنع منهم التمسك بهذا العذر وعند المعتزلة معناه أشهدنا عليهم كراهة ان يقولوا انما أشركنا على سبيل التقليد لاسلافنا لان نصب الادلة على التوحيد قائم فلا عذر معهم فى الاعراض عنه والاقبال على التقليد والاقتداء بالآباء وقال فى الكشاف المراد ببنى آدم أسلاف اليهود الذين أشركوا بالله حيث قالوا عزير ابن الله وبذرياتهم الذين كانوا فى عهد رسول الله من أخلافهم المقتدين بآبائهم لان الآيات السابقة فى شأن اليهود وكذلك قوله واتل عليهم أى على اليهود نبأ الذى آتيناه آياتنا اما قوله وكذلك أى ومثل ذلك التفصيل البليغ نفصل الآيات لهم ولعلهم يرجعون واراد ان يرجعوا الى الحق ويعرضوا عن الباطل نفصلها أو يرجعوا الى ما أخذ الله عليهم من الميثاق فى التوحيد ولبعض العلماء فى الآية قول ثالث وهو ان الارواح البشرية موجودة قبل الابدان والاقرار بوجود الاله من لوازم ذواتها وحقائقها وهذا العلم ليس مما يحتاج فى تحصيله الى كسب وطلب وهو المراد باخذ الميثاق عليهم لكنها بعد التعلق بالابدان يشغلها التعلق عن معلومها الغريزى

لان العرب تفعل ذلك فى الحكاية كما قال الله لتبيننه للناس وليبينه وقد بينا نظائر ذلك فيما مضى بما أغنى عن اعادته ۞ القول فى تأويل قوله (وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون) يقول تعالى ذكره كما فصلنا يا محمد لقومك آيات هذه السورة وبينا فيها ما فعلنا بالامم السالفة قبل قومك وأحللنا بهم من المثلات بكفرهم واشراكهم فى عبادتى غيرى كذلك نفصل الآيات غيرها و نبينها لقومك لينزجروا ويرتدعوا فينيبوا الى طاعتى ويتوبوا من شركهم وكفرهم فيرجعوا الى الايمان والاقرار بتوحيدى وافراد الطاعة لى وترك عبادة ما سواى ۞ القول فى تأويل قوله (واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واتل يا محمد على قومك نبأ الذى آتيناه آياتنا يعنى خبره وقصته وكانت آيات الله الذى آتاه الله اياها فيما يقال اسم الله الاعظم وقيل النبوة واختلف أهل التأويل فيه فقال بعضهم هو رجل من بنى اسرائيل ذكر من قال ذلك حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا شعبة عن منصور عن أبى الضحى عن مسروق عن عبد الله فى هذه الآية واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها قال هو بلعم حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن منصور عن أبى الضحى عن مسروق عن عبد الله مثله حدثنا أبى عن سفيان عن منصور عن أبى الضحى عن مسروق عن عبد الله قال هو بلعم بن أبر حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن أبى الضحى عن مسروق عن ابن مسعود فى قوله واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا قال رجل من بنى اسرائيل يقال له بلعم ابن أبر حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر وابن مهدى وابن أبى عدى قالوا ثنا شعبة عن منصور عن أبى الضحى عن مسروق عن عبد الله انه قال فى هذه الآية فذكر مثله ولم يقل بن أبر حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن منصور عن أبى الضحى عن مسروق عن ابن مسعود واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها قال رجل من بنى اسرائيل يقال له بلعم بن ابر حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمران بن عيينة عن حصين عن عمران بن الحرث عن ابن عباس قال هو بلعم باعرا حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان عن الاعمش عن أبى الضحى عن مسروق عن ابن مسعود فى قوله واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا الى فكان من الغاوين هو بلعم بن أبر حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن الاعمش عن منصور عن أبى الضحى عن مسروق عن ابن مسعود مثله الا انه قال بلعم بضم الباء حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها قال هو رجل من مدينة الجبارين يقال له بلعم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فانسلخ منها قال بلعام بن باعرا من بنى اسرائيل حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد قال سمعت مجاهدا يقول فذكر مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرنى عبد الله بن كثير انه سمع مجاهدا يقول فذكر مثله حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الرحمن وابن أبى عدى عن شعبة عن حصين عن عكرمة قال فى الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها قال هو بلعام وحدثنا ابن وكيع قال ثنا غندر عن شعبة عن حصين عن عكرمة قال هو بلعم قال ثنا عمران بن عيينة عن حصين عن عكرمة قال هو بلعم حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا بشر قال

ثنا

تتذكر بالتذكير وربما لا تتذكر واتل عليهم على بنى آدم أو اليهود خاصة قال ابن عباس وابن مسعود ومجاهد نزلت فى بلعم بن باعورا وذلك ان موسى عليه السلام قصد بلده الذى هو فيه وغزا أهله وكانوا كفارا فطلبوا منه ان يدعو على موسى وقومه وكان مجاب الدعوة وعنده اسم الله الاعظم فامتنع منه فمازالوا يطلبونه (٧٦) منه حتى دعا عليهم فاستجيب له ووقع موسى عليه السلام وبنو اسرائيل بدعائه فى التيه فقال موسى يارب بأى ذنب وقعنا فى التيه فقال بدعاء بلعم فقال كما سمعت دعاءه على فاسمع دعائى عليه ثم دعا موسى عليه السلام ان ينزع عنه الاسم الاعظم والايمان فسلخه الله تعالى مما كان عليه ونزع عنه المعرفة فخرجت من صدره كحمامة بيضاء فهذه قصته ويقال أيضا انه كان نبيا من أنبياء الله تعالى فلما دعا عليه موسى عليه السلام انتزع الله تعالى منه الايمان فكان كافرا وهذا بعيد لانه سبحانه قال الله اعلم حيث يجعل رسالاته وفيه انه تعالى لا يشرف عبدا من عبيده بالرسالة الا اذا علم امتيازه عن سائر عبيده بمزيد الشرف والفضل ومن كان هذا سبيله فكيف يليق به الكفر وقال عبد الله بن عمر وسعيد بن المسيب وزيد بن أسلم وأبو روق نزلت فى أمية بن الصلت وكان قد قرأ الكتب وعلم ان الله تعالى مرسل رسولا فى ذلك الوقت فرجا ان يكون هو فلما أرسل الله محمدا صلى الله عليه وآله حسده ثم مات كافرا ولم يؤمن بالنبى صلى الله عليه وسلم وهو الذى قال فيه النبى صلى الله عليه وسلم ولقد كاد يسلم وذلك انه يوحد الله تعالى فى شعره ويذكر دلائل توحيده من خلق السماء والارض وأحوال الآخرة والجنة والنار وقيل نزلت فى أبى عامر الراهب الذى سماه النبى صلى الله عليه وسلم بالفاسق وكان يترهد فى الجاهلية فلما جاء الاسلام خرج الى الشام وأمر المنافقين باتخاذ مسجد ضرار وأتى قيصر واستنجده على النبى صلى الله عليه وآله فمات هنالك طريدا وحيدا وقيل نزلت فى منافقى أهل الكتاب وكانوا يعرفون النبى صلى الله عليه وسلم عن الحسن والاصم وروى عكرمة عن ابن عباس قال هو رجل أعطى ثلاث دعوات يستجاب له فيها وكانت له امرأة يقال لها البسوس وكان له منها ولد وكانت له محبة فقالت

ثنا شعبة عن حصين قال سمعت عكرمة يقول هو بلعام **حدثنا** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا اسرائيل عن حصين عن مجاهد قال هو بلعم **حدثني** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا اسرائيل عن مغيرة عن مجاهد عن ابن عباس قال هو بلعم وقال آخرون كان بلعم هذا من أهل اليمن ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها هو رجل يدعى بلعم من أهل اليمن وقال آخرون كان من الكنعانيين ذكر من قال ذلك **حدثني** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها قال هو رجل من مدينة الجبارين يقال له بلعم وقال آخرون هو أمية بن أبي الصلت ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا عبد الرحمن بن مهدي قال ثنا سعيد بن السائب عن غطيف بن أبي سفيان عن يعقوب ونافع بن عاصم عن عبد الله بن عمرو قال في هذه الآية الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها قال هو أمية بن أبي الصلت **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا ابن أبي عدي قال أنبأنا شعبة عن يعلى عن عطاء عن نافع بن عاصم قال قال عبد الله بن عمرو هو صاحبكم أمية بن أبي الصلت **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا عبد الرحمن ووهب بن جرير قالا ثنا شعبة عن يعلى بن عطاء عن نافع بن عاصم عن عبد الله بن عمرو بمثله **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد قال ثنا سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن رجل عن عبد الله بن عمرو ولكنه أخلد الى الارض واتبع هواه قال هو أمية بن أبي الصلت **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا غندر عن شعبة عن يعلى بن عطاء قال سمعت نافع بن عاصم بن عروة بن مسعود قال سمعت عبد الله بن عمرو قال في هذه الآية الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها قال هو صاحبكم يعني أمية بن أبي الصلت قال ثنا أبي عن سفيان عن حبيب عن رجل عن عبد الله بن عمرو قال هو أمية بن أبي الصلت قال ثنا يزيد عن شريك عن عبد الملك عن فضالة أو ابن فضالة عن عبد الله بن عمرو قال هو أمية **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن عبد الملك بن عمير قال تذاكروا في جامع دمشق هذه الآية فانسلخ منها فقال بعضهم نزلت في بلعم بن باعوراء وقال بعضهم نزلت في الراهب فخرج عليهم عبد الله بن عمرو بن العاص فقالوا فيمن نزلت هذه قال نزلت في أمية بن أبي الصلت الثقفي **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الكلبي الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها قال هو أمية بن أبي الصلت وقال قتادة يشك فيه يقول بعضهم بلعم ويقول بعضهم أمية بن أبي الصلت واختلف أهل التأويل في الآيات التي كان أوتيها التي قال جل ثناؤه آتيناه آياتنا فقال بعضهم كانت اسم الله الاعظم ذكر من قال ذلك **حدثني** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي قال ان الله لما انقضت الاربعون سنة يعني التي قال الله فيها انها محرمة عليهم أربعين سنة بعث يوشع بن نون نبيا فدعا بني اسرائيل فاخبرهم انه نبي وان الله قد أمره أن يقاتل الجبارين فبايعوه وصدقوه وانطلق رجل من بني اسرائيل يقال له بلعم وكان عالما يعلم الاسم الاعظم المكتوم فكفر وأتى الجبارين فقال لا ترهبوا بني اسرائيل فاني اذا خرجتم تقاتلونهم أدعو عليهم دعوة فيهلكون وكان عندهم فيما شاء من الدنيا غير انه كان لا يستطيع ان يأتي النساء من عظمهن فكان ينكح أتانا له وهو الذي يقول واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها أي تبصر فانسلخ منها الى قوله ولكنه أخلد

اجعل لي منها دعوة قال لك واحدة فماذا تأمرين قالت ادع الله ان يجعلني أجمل امرأة في بني اسرائيل فلما علمت ان ليس فيهم مثلها رغبت عنه وأرادت شيأ آخر فدعا الله عليها ان يجعلها كلبة نباحة فذهب فيها دعوتان وجاء بنوها فقالوا ليس لنا على هذا قرار قد صارت أمنا كلبة نباحة يعيرنا بها الناس فادع الله ان يردها الى الحال التي كانت عليها فدعا الله فعادت كما كانت وذهبت الدعوات الثلاث وبها يضرب المثل فيقال اشأم من البسوس وقيل هو عام فيمن عرض عليه الهدى فاعرض عنه وهو قول قتادة وعكرمة وأبي مسلم ومعنى قوله آتيناه آياتنا عند الاكثرين علمناه حجج التوحيد وفهمناه أدلته حتى صار عارفا بها فانسلخ منها خرج من محبة الله تعالى الى معصيته ومن رحمته الى سخطه يقال لكل من فارق شيأ بالكلية انه انسلخ منه وقال أبو مسلم آتيناه آياتنا فانسلخ منها أي آتيناه فلم يقبل وعرى منها وتباعد كما هو شأن كل كافر لم يؤمن بالادلة وأقام على الكفر والقول الاول أولى لان الانسلاخ يدل على انه كان الشيء مقصودا فيه ثم خرج منه لا على انه لم يوجد فيه أصلا وأيضا ثبت بالاخبار ان الآية نزلت في انسان كان عارفا بدين ثم خرج من المعرفة الى الكفر والغواية وذلك قوله فاتبعه الشيطان أي أدركه ولحقه وصار قرينا له أو اتبعه الشيطان خطواته أو كفار الانس وغواتهم أي الشيطان جعل كفار الانس اتباعا له فكان من الغاوين في علم الله تعالى أو فصار منهم ولو شئنا لرفعناه الى منازل الابرار بها أي بتلك الآيات ولكنه أخلد الى الارض أصل الاخلاد اللزوم على الدوام فكأنه قيل لزم الميل الى الارض ومنه أخلد فلان بالمكان اذا لزم الاقامة به قال ابن عباس معناه مال الى الدنيا وقال مقاتل رضي بالدنيا وقال الزجاج سكن الى الدنيا قال الواحدي فهؤلاء فسروا الارض بالدنيا لان ما في الدنيا من الضياع والعقار كلها أرض وسائر أمتعتها من المعادن والنبات والحيوان يستخرج من الارض وبها يكمل ويقوى ومعنى قوله واتبع هواه انه أعرض عن التمسك بما آتاه الله من الآيات ثم انه لو جاء الكلام على ظاهره لقيل ولو شئنا لرفعناه بها ولكنا لم نشأ الا ان قوله ولكنه أخلد الى الارض لما دل على هذا المعنى

الى الارض حدثنى المثنى قال ثنا عبدالله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا قال هو رجل يقال له بلعم وكان يعلم اسم الله الاعظم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها قال كان لا يسال الله شيأ الا أعطاه وقال آخرون بل الآيات التى كان أوتيها كتاب من كتب الله ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو تميلة عن أبى حمزة عن جابر عن مجاهد وعكرمة عن ابن عباس قال كان فى بنى اسرائيل بلعام بن باعر أوتى كتابا وقال آخرون بل كان أوتى النبوة ذكر من قال ذلك حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد عن غيره قال الحرث قال عبد العزيز يعنى عن غير نفسه عن مجاهد قال هو نبى فى بنى اسرائيل يعنى بلعم أوتى النبوة فرشاه قومه على ان يسكت ففعل وتركهم على ماهم عليه حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه انه سئل عن الآية واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فحدث عن سيار انه كان رجلا يقال له بلعام وكان قد أوتى النبوة وكان مجاب الدعوة * قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك ان يقال ان الله تعالى ذكره أمر نبيه صلى الله عليه وسلم ان يتلو على قومه خبر رجل كان الله آتاه حججه وأدلته وهى الآيات وقد دللنا على ان معنى الآيات الادلة والاعلام فيما مضى بما أغنى عن اعادته وجائز ان يكون الذى كان الله آتاه ذلك بلعم وجائز ان يكون امية وكذلك الآيات ان كانت بمعنى الحجة التى هى بعض كتب الله التى أنزلها على بعض أنبيائه فتعلمه الذى ذكره الله فى هذه الآية وعناه بها فجائز ان يكون الذى كان أوتيها بلعم وجائز أن يكون أمية لان أمية كان فيما يقال قد قرأ من كتب أهل الكتاب وان كانت بمعنى كتاب أنزله الله على من أمر نبى الله عليه السلام ان يتلو على قومه نبأه أو بمعنى اسم الله الاعظم أو بمعنى النبوة فغير جائز ان يكون معنيا به امية لان امية لا اختلاف الامة فى انه لم يكن اوتى شيأ من ذلك ولا خبر باى ذلك المراد وأى الرجلين المعنى يوجب الحجة ولا فى العقل دلالة على ان ذلك المعنى به من أى فالصواب ان يقال فيه ما قال الله ونقر بظاهر التنزيل على ما جاء به الوحى من الله وأما قوله فانسلخ منها فانه يعنى خرج من الآيات التى كان الله آتاها اياه فتبرأ منها وبنحو ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قال لما نزل موسى عليه السلام يعنى بالجبارين ومن معه أتاه يعنى بلعم بنو عمه وقومه فقالوا ان موسى رجل حديد ومعه جنود كثيرة وانه ان يظهر علينا يهلكنا فادع الله ان يرد عنا موسى ومن معه قال انى ان دعوت الله ان يرد موسى ومن معه ذهبت دنياى وآخرتى فلم يزالوا به حتى دعا عليهم فسلخه الله مما كان عليه فذكر قوله فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال كان الله آتاه آياته فتركها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قال ابن عباس فانسلخ منها قال نزع منه العلم وقوله فاتبعه الشيطان يقول فصيره لنفسه تابعا ينتهى الى أمره فى معصية الله ويخالف أمر ربه فى معصية الشيطان وطاعة الرحمن وقوله فكان من الغاوين يقول فكان من الهالكين لضلاله وخلافه أمر ربه وطاعة الشيطان ۞ القول فى تأويل قوله (ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الارض واتبع هواه) يقول تعالى ذكره ولو شئنا لرفعنا هذا الذى آتيناه آياتنا بآياتنا التى آتيناه ولكنه

لاجرم أقيم مقامه قالت الاشاعرة لفظة لو تدل على ان الله تعالى قد لا يريد الايمان ويريد الكفر وقال الجبائى معناه ولو شئنا لرفعناه باعماله بان نخترمه ونزيل التكليف عنه قبل ذلك الكفر حتى تسلم له الرفعة لكنا عرضناه بزيادة التكليف لمنزلة زائدة فابى ان يستمر على الايمان أو المراد لو شئنا لرفعناه بان نحول بينه وبين الكفر (٧٨) قهرا وجبرا الا ان ذلك ينافى التكليف فلاجرم تركناه مع اختياره وقال صاحب الكشاف ومعناه ولو لزم العمل بالآيات ولم ينسلخ منها لرفعناه بها وذلك ان مشيئة الله تعالى رفعه تابعة للزومه الآيات فذكرت المشيئة والمراد ماهى تابعة له ومسببة عنه كانه قيل ولو لزمها لرفعناه بها ألا ترى الى قوله ولكنه أخلد الى الارض فاستدرك المشيئة باخلاده الذى هو فعله فوجب ان يكون ولو شئنا فى معنى ماهو فعله ثم وضع قوله فمثله كمثل الكلب موضع فحططناه أبلغ حط لان تمثيله بالكلب فى أخس أحواله وأرذلها فى هذا المعنى ومحل قوله ان تحمل عليه النصب على الحال كانه قيل كمثل الكلب ذليلا دائم الذلة لاهثا فى الحالين ويجوز أن يكون تفسيرا للمثل كما مر قال الليث هو ان الكلب ونحوه اذا ناله الاعياء عند شدة الحر فانه يدلع لسانه من العطش وكل شئ يلهث فانه يلهث من اعياء أو عطش الا الكلب اللاهث فانه يلهث فى جميع أحواله لا لحاجة وضرورة بل لطبيعته الخسيسة فمعنى الآية ان هذا الكلب ان شد عليه وهيج لهث وان ترك لهث أيضا لاجل ان ذلك الفعل القبيح طبيعة أصلية له عن ابن عباس الكلب منقطع الفؤاد يلهث ان حمل عليه أو لم يحمل عليه قيل لما دعا بلعم على موسى خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كما يلهث الكلب فيكون هذا وجه التمثيل واعلم ان التمثيل ما وقع بجميع الكلاب وانما وقع بالكلب اللاهث وأخس الحيوانات هو الكلب وأخس الكلاب هو اللاهث [illegible] العلم الخ
[illegible]
[illegible] كانت حاله شبيهة بحال ذلك

أخلد الى الارض يقول سكن الى الحياة الدنيا فى الارض ومال اليها وآثر لذتها وشهواتها على الآخرة واتبع هواه ورفض طاعة الله وخالف أمره وكانت قصة هذا الذى وصف الله خبره فى هذه الآية على اختلاف من أهل العلم فى خبره وأمره ما حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر عن أبيه انه سئل عن الآية واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فحدث عن سيار انه كان رجلا يقال له بلعام وكان قد أوتى النبوة وكان مجاب الدعوة قال وان موسى اقبل فى بنى اسرائيل يريد الارض التى فيها بلعام أوقال الشام قال فرعب الناس منه رعبا شديدا قال فاتوا بلعاما فقالوا ادع الله على هذا الرجل وجيشه قال حتى أؤامر ربى أوحتى أؤامر قال فآمر فى الدعاء عليهم فقيل له لا تدع عليهم فانهم عبادى ومنهم نبيهم قال فقال لقومه انى قد آمرت ربى فى الدعاء عليهم وانى قد نهيت قال فاهدوا اليه هدية فقبلها ثم راجعوه فقالوا ادع عليهم فقال حتى أؤامر فآمر فلم يحر اليه شئ قال فقال قد آمرت فلم يحر الى شئ فقالوا لو كره ربك ان تدعو عليهم لنهاك كما نهاك المرة الاولى قال فاخذ يدعو عليهم فاذا دعا عليهم جرى على لسانه الدعاء على قومه واذا أراد ان يدعو ان يفتح لقومه دعا ان يفتح لموسى عليه السلام وجيشه أونحوا من ذلك ان شاء الله قال فقالوا ما نراك تدعو الا علينا قال ما يجرى على لسانى الا هكذا ولو دعوت عليه ما استجيب لى ولكن سادلكم على أمر عسى ان يكون فيه هلاكهم ان الله يبغض الزنا وانهم ان وقعوا بالزنا هلكوا ورجوت ان يهلكهم الله فاخرجوا النساء لتستقبلهم وانهم قوم مسافرون فعسى ان يزنوا فيهلكوا قال ففعلوا وأخرجوا النساء تستقبلهم وكان للملك ابنة فذكر من عظمها ما الله أعلم به قال فقال أبوها أو بلعام لا تمكنى نفسك الا من موسى قال ووقعوا فى الزنا قال وأتاها رأس سبط من اسباط بنى اسرائيل قال فارادها على نفسه قال فقالت ما أنا بممكنة نفسى الا من موسى قال فقال ان من منزلتى كذا وكذا وان من حالى كذا وكذا قال فارسلت الى أبيها تستأمره قال فقال لها امكنيه قال ويأتيهما رجل من بنى هرون ومعه الرمح فيطعنهما قال فايده الله بقوة فانتظمهما جميعا على رمحه قال فرآهما الناس أو كما حدث قال وسلط الله عليهم الطاعون قال فمات منهم سبعون الفا قال فقال أبو المعتمر فحدثنى سيار ان بلعاما ركب حمارة له حتى اذا أتى المعلول أو قال طريقا بين المعلول جعل يضربها ولا تتقدم قال وقامت عليه قال فقالت علام تضربنى أما ترى هذا الذى بين يديك قال فاذا الشيطان بين يديه قال فنزل فسجد له قال الله واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين الى قوله لعلهم يتفكرون قال فحدثنى بهذا سيار ولا أدرى لعله قد دخل فيه شئ من حديث غيره حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر عن أبيه قال فبلغنى حديث رجل من أهل الكتاب يحدث ان موسى سأل الله ان يطبعه وان يجعله من أهل النار قال ففعل الله قال أنبئت ان موسى قتله بعد حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن سالم أبى النضر انه حدث ان موسى لما نزل فى أرض بنى كنعان من أرض الشام أتى قوم بلعم فقالوا له يا بلعم ان هذا موسى يزعم ان فى بنى اسرائيل من قد جاء يخرجنا من بلادنا ويقتلنا ويحلها بنى اسرائيل ويسكنها وانا قومك وليس لنا منزل وأنت رجل مجاب الدعوة فاخرج وادع الله عليهم فقال ويلكم نبى الله معه الملائكة والمؤمنون كيف اذهب ادعو عليهم وانا أعلم من الله ما أعلم قالوا ما لنا من منزل فلم يزالوا به يرفعونه ويتضرعون اليه حتى فتنوه فافتتن فركب حمارة له متوجها الى الجبل الذى يطلعه على عسكر بنى اسرائيل وهو جبل حسبان فلما سار عليها غير كثير ربضت به فنزل

الكلاب الذى أخرج لسانه أبدا من غير حاجة ولا ضرورة بل لمجرد الطبيعة الخسيسة وأيضا هذا الحريص الضال ان وعظته فهو ضال وان لم تعظه فهو ضال لا لاجل ان ذلك الضلال والخسار عادة أصلية وطبيعة ذاتية له كما ان ذلك الكلب ان شد عليه لهث وان ترك لهث ثم عمم بالتمثيل جميع المكذبين الضالين فقال ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا وقال ابن (٧٩) عباس يريد أهل مكة كانوا يتمنون هاديا يهديهم وداعيا يدعوهم الى طاعة الله ثم لما جاءهم من لا يشكون فى صدقه وديانته كذبوه وقيل هم اليهود قرؤا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة وذكر القرآن المعجز وما فيه وبشروا الناس باقتراب مبعثه وكانوا يستفتحون به فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فاقصص القصص يريد قصص المكذبين أوقصص بلعم الذى هو نحو قصص المكذبين لعلهم يتفكرون فيحذرون مثل عاقبته اذا ساروا نحو سيرته ثم ذكر تأكيدا آخر فى باب التحذير فقال ساء مثلا ولا بد من تقدير مضاف ليناسب التمييز المخصوص بالذم فصير التقدير ساء مثلا مثل القوم أوساء أصحاب مثل القوم وفى ساء ضمير مبهم يفسره المنصوب بعده وظاهر الآية يقتضى كون المثل مذموما فقيل كيف يتصور ذلك مع ان الله تعالى ذكره والجواب ان الذم انما يتوجه الى ما أفاده المثل من تكذيبهم بآيات الله واعراضهم عنها حتى صاروا فى ذلك بمنزلة الكلب اللاهث أما قوله وأنفسهم كانوا يظلمون فاما ان يكون معطوفا على كذبوا فيدخل فى حيز الصلة بمعنى الذين جمعوا بين التكذيب بآيات الله وظلمة أنفسهم واما ان يكون كلاما منقطعا بمعنى وما ظلموا الا أنفسهم بالتكذيب وتقديم المفعول للاختصاص كأنه قيل وخصوا أنفسهم بالظلم لم يتعدها الى غيرها ثم بين ان الهداية والضلال بتقديره فقال من يهد الله فهو المهتدى وهو محمول على اللفظ من حيث ان مفرد اللفظ ومن حيث ان المهتدى مطاوع هدى ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون وانه محمول على المعنى لان من معناه ههنا الجمع ولان الخسار ليس مطاوع الاضلال بل الضلال مطاوعه وانما هو لازم اللازم ولا يخفى ان ظاهر الآية موافق لمذهب الاشاعرة فى ان الهداية والضلال بل جميع الاعمال بخلق الله تعالى

عنها فضربها حتى اذا اذلقها قامت فركبها فلم تسر به كثيرا حتى ربضت ففعل بها مثل ذلك فقامت فركبها فلم تسر به كثيرا حتى ربضت به فضربها حتى اذا أذلقها اذن الله لها فكلمته حجة عليه فقالت ويحك يا بلعم أين تذهب ألا ترى الملائكة تردني عن وجهي هذا أتذهب الى نبي الله والمؤمنين تدعو عليهم فلم ينزع عنها يضربها فخلى الله سبيلها حين فعل ذلك قال فانطلق حتى اذا أشرفت على رأس جبل حسان على عسكر موسى وبني اسرائيل جعل يدعو عليهم ولا يدعو عليهم بشر الاصرف لسانه الى قومه ولا يدعو لقومه بخير الاصرف لسانه الى بني اسرائيل قال فقال له قومه أتدري يا بلعم ماتصنع انما تدعو لهم وتدعو علينا قال فهذا مالا أملك هذا شئ قد غلب الله عليه واندلع لسانه فوقع على صدره فقال لهم قد ذهبت الآن مني الدنيا والآخرة فلم يبق الا المكر والحيلة فسأمكر لكم واحتال جملوا النساء وأعطوهن السلع ثم أرسلوهن الى العسكر يبعنها فيه ومروهن فلا تمنع امرأة نفسها من رجل أرادها فانهم ان زنى منهم واحد كفيتموهم ففعلوا فلما دخل النساء العسكر مرت امرأة من الكنعانيين اسمها كسبى ابنة صور رأس أمته برجل من عظماء بني اسرائيل وهو زمري بن شلوم رأس سبط شمعون بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم فقام اليها فأخذ بيدها حين أعجبه جمالها ثم أقبل بها حتى وقف بها على موسى عليه السلام فقال اني أظنك ستقول هذه حرام عليك فقال أجل هي حرام عليك لا تقربها قال فوالله لا نطيعك في هذا ثم دخل بها قبته فوقع عليها وأرسل الله الطاعون في بني اسرائيل وكان فنحاص بن العيزار بن هرون صاحب أمر موسى كان رجلا قد أعطى بسطة في الخلق وقوة في البطش وكان غائبا حين صنع زمري بن شلوم ما صنع فجعل الطاعون يجوس في بني اسرائيل فأخبر الخبر فأخذ حربته وكانت من حديد كلها ثم دخل عليه القبة وهما متضاجعان فانتظمهما بحربته ثم خرج بهما رافعهما الى السماء والحربة قد أخذها بذراعه واعتمد على مرفقه الى خاصرته واسند الحربة الى لحيته وكان بكر العيزار وجعل يقول اللهم هكذا نفعل بمن يعصيك ورفع الطاعون فحسب من هلك من بني اسرائيل في الطاعون فيما بين ان أصاب زمري المرأة الى ان قتله فنحاص فوجدوه قد هلك منهم سبعون ألفا والمقلل يقول عشرون ألفا في ساعة من النهار فمن هنالك يعطي بنو اسرائيل ولد فنحاص بن العيزار بن هرون من كل ذبيحة ذبحوها الغشة والذراع واللحى لاعتماده بالحربة على خاصرته وأخذه اياها بذراعه واسناده اياها الى لحيته والبكر من كل أموالهم وأنفسهم لانه كان بكر العيزار ففي بلعم بن باعورا أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها يعني بلعم فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين الى قوله لعلهم يتفكرون حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي قال انطلق رجل من بني اسرائيل يقال له بلعم فأتى الجبارين فقال لا ترهبوا من بني اسرائيل فاني اذا خرجتم تقاتلونهم أدعو عليهم فخرج يوشع يقاتل الجبارين في الناس وخرج بلعم مع الجبارين على أتانه وهو يريد أن يلعن بني اسرائيل فكلما أراد أن يدعو على بني اسرائيل دعا على الجبارين فقال الجبارون انك تدعو علينا فيقول انما أردت بني اسرائيل فلما بلغ باب المدينة أخذ ملك بذنب الأتان فأمسكها فجعل يحركها فلا تتحرك فلما أكثر ضربها تكلمت فقالت أنت تنكحني بالليل وتركبني بالنهار ويلي منك ولو أني أطقت الخروج لخرجت ولكن هذا الملك يحبسني وفي بلعم يقول الله واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا الآية حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثني رجل سمع عكرمة يقول قالت

فقبل هداه فهو المهتدي ومن يضلل بأن لم يقبل فهو الخاسر وقيل من يهده الله بالالطاف وزيادة الهدى فهو المهتدي ومن يضلله عن ذلك بما تقدم منه بسوء اختياره فأخرج لهذا السبب تلك الالطاف من أن تؤثر فيه فهو الخاسر وزيف بالعلم والداعي وبأن الاصل عدم الاضمار وبأن كل ما في مقدور الله تعالى من الالطاف فقد فعله عند المعتزلة في حق جميع الكفار وبالآية بعدها وهي قوله ولقد ذرأنا الى آخره وذلك انه بين انه خلق كثيرا من الجن والانس لجهنم وقد علم ذلك في الازل وخلاف مقدوره ومعلومه محال وأيضا العاقل لا يريد الكفر والجهل الموجبين لدخول النار فحصول ذلك على خلاف قصده واجتهاده لا يكون الامن قبل غيره ولا يتسلسل بل ينتهي الى مسبب الاسباب لامحالة لا يقال العبد انما سعى في تحصيل ذلك الاعتقاد الباطل لانه اشتبه الامر عليه وظنه اعتقادا صحيحا لانا نقول على هذا التقدير انما وقع في هذا الجهل لاجل جهل متقدم ولا يتسلسل بل ينتهي الى جهل حصل ابتداء فيتوجه الالزام قالت المعتزلة الآيات الدالة على انه سبحانه أراد من العبد الطاعة والعبادة والخير فقط كثيرة كقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وأيضا انه قال في معرض الذم لهم قلوب لا يفقهون بها الى آخره ولو كانوا مخلوقين للنار وغير قادرين على الايمان لم يحسن ذمهم وأيضا لو خلقهم للنار لما كان له نعمة على الكفار لان منافع الدنيا بأسرها لا اعتداد بها في جنب العذاب الدائم لكن القرآن مملوء من انه تعالى منعم على جميع الخلائق وأيضا مذهبكم يوجب أن لا يكون للمدح والذم والثواب والعقاب والترغيب والترهيب فائدة ولو خلقهم للنار لوجب أن يخلقهم في النار ابتداء لانه لا فائدة في أن يستدرجهم الى النار بخلق الكفر فيهم وأيضا الآية متروكة الظاهر لان لام الاختصاص لا يفيد ذلك الا اذا قلنا ولقد ذرأناهم لكي يكفروا فيصيروا الى جهنم فيجب بناؤه على قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون لان ظاهره صحيح من غير حذف وعلى هذا أوجب

امرأة منهم أروني موسى فانا أفتنه قال فتطيبت فمرت على رجل يشبه موسى فواقعها فاتى ابن هرون فاخبروأخذ سيفا فطعن به فى احليله حتى أخرجه من قبلها ثم رفعهما حتى رآهما الناس فعلم انه ليس موسى ففضل آل هرون فى القربان على آل موسى بالكتف والعضد والفخذ قال فهو الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها يعنى بلعم واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله ولو شئنا لرفعناه بها فقال بعضهم معناه لرفعناه بعلمه بها ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس ولو شئنا لرفعناه بها لرفعه الله تعالى بعلمه وقال آخرون معناه لرفعنا عنه الحال التى صار اليها من الكفر بالله بآياتنا ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح فى قول الله ولو شئنا لرفعناه بها لرفعناه عنه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ولو شئنا لرفعناه بها لرفعناه عنه * قال أبو جعفر وأولى الاقوال فى تأويل ذلك بالصواب ان يقال ان الله عم الخبر بقوله ولو شئنا لرفعناه بها انه لو شاء رفعه بآياته التى آتاه اياها والرفع يعم معانى كثيرة منها الرفع فى المنزلة عنده ومنها الرفع فى شرف الدنيا ومكارمها ومنها الرفع فى الذكر الجميل والثناء الرفيع وجائز ان يكون الله عنى كل ذلك انه لو شاء لرفعه فاعطاه كل ذلك بتوفيقه للعمل بآياته التى كان آتاها اياه واذ كان ذلك جائزا فالصواب من القول فيه ان لا يخص منه شئ اذ كان لا دلالة على خصوصه من خبر ولا عقل وأما قوله بها فان ابن زيد قال فى ذلك كالذى قلنا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولو شئنا لرفعناه بها بتلك الآيات وأما قوله ولكنه أخلد الى الارض فان أهل التأويل قالوا فيه نحو قولنا فيه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسرائيل عن أبى الهيثم عن سعيد بن جبير ولكنه أخلد الى الارض يعنى ركن الى الارض قال ثنا يحيى بن آدم عن شريك عن سالم عن سعيد بن جبير ولكنه أخلد الى الارض قال نزع الى الارض حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أخلد سكن حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو تميلة عن أبى حمزة عن جابر عن مجاهد وعكرمة عن ابن عباس قال كان فى بنى اسرائيل بلعام بن باعر أوتى كتابا فاخلد الى شهوات الارض ولذتها وأموالها لم ينتفع بما جاء به الكتاب حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى ولكنه أخلد الى الارض واتبع هواه أما أخلد الى الارض فاتبع الدنيا وركن اليها وأصل الاخلاد فى كلام العرب الابطاء والاقامة يقال منه أخلد فلان بالمكان اذا أقام به وأخلد نفسه الى المكان اذا أتاه من مكان آخر ومنه قول زهير

لمن الديار غشيتها بالفدفد * كالوحى فى حجر المسيل المخلد

يعنى المقيم ومنه قول مالك بن نويرة

بأبناء حى من قبائل مالك * وعمرو بن يربوع أقاموا فاخلدوا

وكان بعض البصريين يقول معنى قوله أخلد لزم وتقاعس وأبطأ والمخلد أيضا هو الذى يبطئ شيبه من الرجال وهو من الدواب الذى تبقى ثناياه حتى تخرج رباعيتاه وأما قوله واتبع هواه فان ابن زيد قال فى تأويله ما حدثنى به يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله واتبع هواه قال كان هواه مع القوم ❁ القول فى تأويل قوله (فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث) يقول تعالى ذكره فمثل هذا الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها مثل الكلب الذى يلهث طردته

ان يؤول الآية بان اللام فيه لام العاقبة كقوله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا اذ يقال انه جعلهم لاغراقهم فى الكفر وشدة تمكنهم فيه كانهم مخلوقون للنار كقولهم ما خلق فلان الا للكذا اذا كان غريقا فى بعض الامور وأجيب اجمالا بانه لا يسأل عما يفعل وتفصيلا بان النعمة وان قلت فهى فى نفسها نعمة و بان الوسائط معتبرة و بان حمل اللام على العاقبة تجوز لا يصار اليه الا لضرورة فى تصحيح المعنى وههنا لا ضرورة فقد تعاضدت الدلائل العقلية كالعلم والداعى والنقلية كآيات كثيرة على ان الكل من الله فوجب المصير الى طرف الجبر ولا سيما فان ما قبل هذه الآية وهو قوله من يهد الله فهو المهتدى وما بعدها وهو قوله والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم يدل على ما قلنا وأيضا لا ريب ان أولئك الكفار كانت لهم قلوب يفقهون بها مصالح الدنيا وكذا أعين مبصرة وآذان سامعة فالمراد انهم ما كانوا يفقهون ويبصرون ويسمعون ما يرجع الى مصالح الدين ثم انه تعالى كلفهم تحصيل الدين مع عدم القابلية كيف وان الكفار بلغوا فى عداوة الرسول صلى الله عليه وسلم وفى شدة النفرة عن قبول دينه مبلغا لا يمكنه كنهه والعلم الضرورى حاصل بان حصول الحب والبغض فى القلب ليس باختيار الانسان بل هو حالة حاصلة فى القلب كره الانسان أو أراد وحينئذ يثبت القول بالجبر وروى الشيخ أحمد البيهقى فى كتاب مناقب الشافعى ان على بن أبى طالب عليه السلام خطب الناس فقال وأعجب ما فى الانسان قلبه فيه سواد من الحكمة واضدادها فان سنح له الرجاء ولهه الطمع وان هاج به الطمع أهلكه الحرص وان ملكه اليأس قتله الاسف وان عرض له الغضب اشتد به الغيظ وان اشتد الرضى نسى التحفظ وان ناله الخوف شغله الحزن وان أصابته المصيبة قتله الجزع وان وجد مالا أطغاه الغنى وان عضته فاقة شغله البلاء وان أجهده الجوع قعد به الضعف فكل تقصير به مضر وكل افراط له مفسد وهذا الفصل كالمطلع على سر مسئلة القضاء والقدر لان أعمال الجوارح مربوطة بأحوال القلوب وكل حالة من أحوال القلب فانها مستندة الى حالة أخرى حصلت قبلها واذا وقف

أو تركته ثم اختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله جعل الله مثله كمثل الكلب فقال بعضهم مثله به في اللهث لتركه العمل بكتاب الله وآياته التي آتاها اياه واعراضه عن مواعظ الله التي فيها اعراض من لم يؤته الله شيأ من ذلك فقال جل ثناؤه فيه اذا كان سواء أمره وعظ بآيات الله التي آتاها اياه أو لم يوعظ في انه لا يتعظ بها ولا يترك الكفر به مثله مثل الكلب الذي سواء أمره في لهثه طرد أو لم يطرد اذ كان لا يترك اللهث بحال ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث قال تطرده هو مثل الذي يقرأ الكتاب ولا يعمل به حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قال مجاهد فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث قال تطرده بدابتك ورجلك يلهث قال مثل الذي يقرأ الكتاب ولا يعمل بما فيه قال ابن جريج الكلب العواء لا فؤاد له ان حملت عليه يلهث أو تتركه يلهث قال مثل الذي يترك الهدى لا فؤاد له انما فؤاده منقطع حدثني ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن بعضهم فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث فذلك هو الكافر هو ضال ان وعظته وان لم تعظه حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه الحكمة لم يحملها وان تركه لم يهتد لخير هو الكلب ان كان رابضا لهث وان طرد لهث حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قال آتاه الله آياته فتركها فجعل الله مثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان الآية هذا مثل ضربه الله لمن عرض عليه الهدى فأبى ان يقبله وتركه قال وكان الحسن يقول هو المنافق ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الارض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث قال هذا مثل الكافر ميت الفؤاد وقال آخرون انما مثله جل ثناؤه بالكلب لانه كان يلهث كما يلهث الكلب ذكر من قال ذلك حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث وكان بلعم يلهث كما يلهث الكلب واما تحمل عليه فتشد عليه * قال أبو جعفر وأولى التأويلين في ذلك بالصواب تأويل من قال انما هو مثل لتركه العمل بآيات الله التي آتاها اياه وان معناه سواء وعظ أو لم يوعظ انه لا يترك ما هو عليه من خلافه أمر ربه كما سواء حمل على الكلب وطرد أو ترك فلم يطرد في انه لا يدع اللهث في كلتا حالتيه وانما قلنا ذلك أولى القولين بالصواب لدلالة قوله تعالى ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فجعل ذلك مثل المكذبين بآياته وقد علمنا ان اللهاث ليس في خلقة كل مكذب كتب عليه ترك الانابة من تكذيب بآيات الله وان ذلك انما هو مثل ضربه الله لهم فكان معلوما بذلك انه للذي وصف الله صفته في هذه الآية كما هو لسائر المكذبين بآيات الله مثل

❁ القول في تأويل قوله (ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون) يقول تعالى ذكره هذا المثل الذي ضربته لهذا الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها مثل القوم الذين كذبوا بحججنا واعلامنا وأدلتنا فسلكوا في ذلك سبيل هذا المنسلخ من آياتنا الذي آتيناها اياه في تركه العمل بما آتاه من ذلك وأما قوله فاقصص القصص فانه يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فاقصص يا محمد هذا القصص الذي قصصته عليك من نبأ الذي آتيناه آياتنا

الانسان على هذه الحالة علم انه لا خلاص من الاعتراف بالجبر وذكر الامام الغزالي في الاحياء فصلا ثم قال فان قلت اني أجد من نفسي أني ان شئت الفعل فعلت وان شئت الترك تركت فيكون فعلي حاصلا بي لا بغيري أجبنا وقلنا هب انك وجدت من نفسك ذلك الا أنا نقول وهل تجد من نفسك انك ان شئت ان تشاء شيأ شئت وان شئت ان لا تشاء لم تشأ أما أظنك تقول ذلك الا لذهب الامر فيه الى ما لا نهاية له فلا مشيئتك بك ولا حصول فعلك بعد حصول مشيئتك بك وانما انت مضطر في صورة مختار والله تعالى أعلم قال بعض العلماء انه تعالى نفى الفقه والفهم عن قلوبهم في معرض الذم وفيه دليل على ان محل الفقه هو القلب وأقول ليس المراد بالقلب ههنا اللحم الصنوبري بل اللطيفة الربانية التي بها يكون الانسان انسانا وقد يعبر عنها بالنفس الناطقة وبالروح أما قوله أولئك كالانعام بل هم أضل فتقريره ان الانسان يشاركه سائر الحيوان في القوى الطبيعية الغاذية والنامية والمولدة وفي منافع الحواس الخمس الظاهرة وفي أحوال التخيل والتفكر وانما يحصل الامتياز بالقوة العقلية والفكرية التي تهديه الى معرفة الحق لذاته والخير لاجل العمل به فاذا لم تحصل هذه الغاية للانسان صار في درجة الانعام بل أضل وأدون لان الذي أعرض عن اكتساب الفضائل مع القدرة على تحصيلها من حيث النوع كان أخس حالا ممن لم يكتسبها مع العجز عنها وقيل وجه الاضلية ان الانعام مطيعة لله والكافر غير مطيع فقال مقاتل الانعام تعرف ربها وتبصر منافعها ومضارها فتسعى في تحصيلها ودفعها وهؤلاء الكفار أكثرهم معاندون مصرون وقيل انها تفر أبدا الى أربابها ومن يقوم بمصالحها والكافر يهرب عن ربه الى الاصنام وقيل انها لا تضل اذا كان معها مرشد والكافر يضل بعد ارسال الرسل وانزال الكتب أولئك هم الغافلون الكاملون في واخبار الغفلة وقال عطاء انهم الغافلون عما أعد الله لاوليائه من الثواب ولاعدائه من العقاب ثم نبه بقوله ولله الاسماء الحسنى على ان الموجب لدخول جهنم هو الغفلة عن ذكره سعدائه والمخلص من عذابها هو ذكره وكل من له ذوق وجد من نفسه ان الامر كذلك فان القلب اذا غفل

وأخبار الامم التى أخبرتك أخبارهم فى هذه السورة وقصصت عليك نبأهم ونبأ أشباههم وما حل بهم من عقوبتنا ونزل بهم حين كذبوا رسلنا من نقمتنا على قومك من قريش ومن قبلك من يهود بنى اسرائيل ليتفكروا فى ذلك فيعتبروا وينيبوا الى طاعتنا لئلا يحل بهم مثل الذى حل بمن قبلهم من النقم والمثلات ويتدبره اليهود من بنى اسرائيل فيعلموا حقيقة أمرك وصحة نبوتك اذ كان نبأ الذى آتيناه آياتنا من خفى علومهم ومكنون أخبارهم لا يعلمه الا أحبارهم ومن قرأ الكتب ودرسها منهم وفى علمك بذلك وأنت أمى لا تكتب ولا تقرأ ولا تدرس الكتب ولم تجالس أهل العلم الحجة البينة عليهم بانك لله رسول وانك لم تعلم ما علمت من ذلك وحالك الحال التى أنت بها الا بوحى من السماء وبنحو ذلك كان أبو النضر يقول حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد عن سالم أبى النضر فاقصص القصص لعلهم يتفكرون يعنى بنى اسرائيل اذ قد جئتهم بخبر ما كان فيهم مما يخفون عليك لعلهم يتفكرون فيعرفون انه لم يأت بهذا الخبر عما مضى فيهم الا نبى يأتيه خبر السماء ۞ القول فى تأويل قوله (ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون) يقول تعالى ذكره ساء مثلا القوم الذين كذبوا بحجج الله وأدلته فجحدوها وأنفسهم كانوا ينقصون حظوظها ويبخسونها منافعها بتكذيبهم بها لا غيرها وقيل ساء مثلا من السوء بمعنى بئس مثلا وأقيم القوم مقام المثل وحذف المثل اذ كان الكلام مفهوما معناه كما قال جل ثناؤه ولكن البر من آمن بالله فان معناه ولكن البر بر من آمن بالله وقد بينا نظائر ذلك فى مواضع غير هذا بما أغنى عن اعادته ۞ القول فى تأويل قوله (من يهد الله فهو المهتدى ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون) يقول تعالى ذكره الهداية والاضلال بيد الله والمهتدى وهو السالك سبيل الحق الراكب قصد المحجة فى دينه من هداه الله لذلك فوفقه لاصابته والضال من خذله الله فلم يوفقه لطاعته ومن فعل الله ذلك به فهو الخاسر يعنى الهالك وقد بينا معنى الخسارة والهداية والضلالة فى غير موضع من كتابنا هذا بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع ۞ القول فى تأويل قوله (ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها) يقول تعالى ذكره ولقد خلقنا لجهنم كثيرا من الجن والانس يقال منه ذرأ الله خلقه يذرؤهم ذرأ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على بن الحسين الازدى قال ثنا يحيى بن يمان عن مبارك بن فضالة عن الحسن فى قوله ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس قال مما خلقنا حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن أبى زائدة عن مبارك عن الحسن فى قوله ولقد ذرأنا لجهنم قال خلقنا قال ثنا زكريا عن عتاب ابن بشير عن على بن بذيمة عن سعيد بن جبير قال أولاد الزنا مما ذرأ الله لجهنم قال ثنا زكريا بن عدى وعثمان الاحول عن مروان بن معاوية عن الحسن بن عمرو عن معاوية بن اسحق عن جليس له بالطائف عن عبد الله بن عمرو عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله لما ذرأ لجهنم ما ذرأ كان ولد الزنا ممن ذرأ لجهنم حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى ولقد ذرأنا لجهنم خلقنا حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد قال سمعت مجاهدا يقول فى قوله ولقد ذرأنا لجهنم قال لقد خلقنا لجهنم كثيرا من الجن والانس حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس ولقد ذرأنا لجهنم خلقنا وقال جل ثناؤه ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لنفاذ علمه فيهم بأنهم يصيرون اليها بكفرهم بربهم وأما قوله لهم قلوب

عن الذكر واقبل على الدنيا وقع فى نار الحرص وزمهرير الحرمان ولا يزال ينتقل من رغبة الى رغبة ومن طلب الى طلب ومن ظلمة الى ظلمة فاذا فتح على قلبه باب الذكر خلص من نيران الآفات وخسران الحسرات الى معرفة رب الارض والسموات وهذا اللفظ مذكور فى ثلاثة مواضع أخر فى بنى اسرائيل وفى أول طه وفى آخر الحشر ومعنى حسن الاسماء حسن معانيها ومفهوماتها لانها أسماء دالة على معانى الكمال ونعوت الجلال وهى محصورة فى نوعين عدم افتقاره تعالى الى غيره وثبوت افتقار غيره اليه وقد عرفت فى تفسير البسملة ان أسماء الله تعالى لا تكاد تنحصر بحسب السلوب والاضافات فكل من كان وقوفه على اسرار حكمه فى مخلوقاته أكثر كان علمه باسماء الله الحسنى أكثر والآن نقول ان من تقسيمات أسماء الله ما يقوله المتكلمون من ان صفات الله أنواع ما يجب عليه وما يجوز وما يستحيل ومنها ان يقال ان أسماء الله اما ان يجوز اطلاقها على غيره كالرحيم والكريم وان كان معناها فى حق الله مغايرا لمعناها فى حق غيره واما ان لا يجوز نحو الله والرحمن وقد يقيد القسم الاول بقيود مخصوصة فيصير من القسم الثانى مثل يا أرحم الراحمين ويا أكرم الاكرمين ويا خالق السموات والارضين ومنها ان يقال من الاسماء ما يمكن ذكره وحده كقولنا يا الله يا رحمن يا حى يا حكيم ومنها ما لا يكون كذلك كقولنا مميت وضار فانه لا يجوز افراده بالذكر بل يجب ان يقال يا محيى يا مميت يا ضار يا نافع ومنها ان يقال أول ما يعلم من صفات الله تعالى كونه محدثا للاشياء مرجحا لوجودها على عدمها وذلك انما يعلم بواسطة الاستدلال بوجود الممكنات عليه وذلك المرجح اما ان يرجح على سبيل الوجوب أو على سبيل الصحة والاول باطل والا لزم دوام العالم بدوامه والثانى هو المعنى بكونه قادرا ثم انا بعد هذا نستدل بكون أفعاله محكمة متقنة على كونه عالما ثم نقول ان القادر العالم يمتنع ان لا يكون حيا فظهر ان العلم بصفاته تعالى وبأسمائه ليس واقعا فى درجة واحدة بل العلم بها علوم مترتبة يستفاد بعضها من بعض ومن البين ان الاسماء الحسنى لا تكون الا لله تعالى لان كل الشرف والجلالة يستلزم وجوب الوجود وكل نقص وخساسة يلازمه

لا يفقهون بها فان معناه لهؤلاء الذين ذراهم الله لجهنم من خلقه قلوب لا يتفكرون بها فى آيات الله ولا يتدبرون بها أدلته على وحدانيته ولا يعتبرون بها حججه لرسله فيعلموا توحيد ربهم و يعرفوا حقيقة نبوة أنبيائهم فوصفهم ربنا جل ثناؤه بانهم لا يفقهون بها لاعراضهم عن الحق وتركهم تدبر صحة الرشد و بطول الكفر وكذلك قوله ولهم أعين لا يبصرون بها الى آيات الله وأدلته فيتأملوها و يتفكروا فيها فيعلموا بها صحة ما تدعوهم اليه رسلهم وفساد ما هم عليه مقيمون من الشرك بالله وتكذيب رسله فوصفهم الله بتركهم اعمالها فى الحق انهم لا يبصرون بها وذلك قوله ولهم آذان لا يسمعون بها آيات كتاب الله فيعتبروها و يتفكروا فيها ولكنهم يعرضون عنها و يقولون لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون وذلك نظير وصف الله اياهم فى موضع آخر بقوله صم بكم عمى فهم لا يعقلون والعرب تقول ذلك للتارك استعمال بعض جوارحه فيما يصلح له ومنه قول مسكين الدارمى

أعمى اذا ما جارتى خرجت * حتى يوارى جارتى الستر
فاصم عما كان بينهما * سمعى وما بالسمع من وقر

فوصف نفسه لتركه النظر والاستماع بالعمى والصمم ومنه قول الآخر

وعوراء اللئام صممت عنها * ولوانى أشاء بها سميع
وبادرة ورعت النفس عنها * ولو بينت من العصب الضلوع

وذلك كثير فى كلام العرب وأشعارها و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد قال سمعت مجاهدا يقول فى قوله لهم قلوب لا يفقهون بها قال له قلب لا يفقه به شيأ من أمر الآخرة ولهم أعين لا يبصرون بها الهدى ولهم آذان لا يسمعون بها الحق ثم جعلهم كالانعام ثم جعلهم أسوأ شرا من الانعام فقال بل هم أضل ثم أخبر أنهم هم الغافلون ۞ القول فى تأويل قوله (أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون) يعنى جل ثناؤه بقوله أولئك كالانعام هؤلاء الذين ذراهم لجهنم هم كالانعام وهى البهائم التى لا تفقه ما يقال لها ولا تفهم ما أبصرته لما يصلح ولما لا يصلح ولا تعقل بقلوبها الخير من الشر فتميز بينهما فشبههم الله بها اذ كانوا لا يتذكرون ما يرون بابصارهم من حججه ولا يتفكرون فيما يسمعون من آى كتابه ثم قال بل هم أضل يقول هؤلاء الكفرة الذين ذرأهم لجهنم أشد ذهابا عن الحق وألزم لطريق الباطل من البهائم لان البهائم لا اختيار لها ولا تمييز فتختار وتميز وانما هى مسخرة ومع ذلك تهرب من المضار وتطلب لانفسها من الغذاء الاصلح والذين وصف الله صفتهم فى هذه الآية مع ما أعطوا من الافهام والعقول المميزة بين المصالح والمضار تترك ما فيه صلاح دنياها وآخرتها وتطلب ما فيه مضارها فالبهائم منها أسد وهى منها أضل كما وصفها به ربنا جل ثناؤه وقوله أولئك هم الغافلون يقول تعالى ذكره هؤلاء الذين وصفت صفتهم القوم الذين غفلوا يعنى سهوا عن آياتى وحججى وتركوا تدبرها والاعتبار بها والاستدلال على ما دلت عليه من توحيد ربها الا البهائم التى قد عرفها ربها ما سخرها له ۞ القول فى تأويل قوله (ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون) يقول تعالى ذكره ولله الاسماء الحسنى وهى كما قال ابن عباس حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها ومن أسمائه العزيز الجبار وكل أسماء الله حسن حدثنى يعقوب قال ثنا

يعقب الامكان وكل اسم لا يفيد فى المسمى صفة كمال و جلال فانه لا يجوز اطلاقه على الله تعالى ومن هنا اختلف فى انه هل يطلق عليه اسم الشئ أم لا وقد مر تحقيق ذلك فى تفسير البسملة وفى الانعام فى قوله قل أى شئ أكبر شهادة قل الله أما قوله فادعوه بها ففيه دليل على ان الانسان لا يجوز ان يدعو ربه الا بتلك الاسماء الحسنى (٨٤) بعد ان عرف معانيها و يكون مستحضر الامرين عزة الربوبية وذلة العبودية كما انه فى قوله عند التحريم الله أكبر يشير الى انه لا نسبة لكبريائه وعظمته الى ما سواه من الروحانيات والجسمانيات والعلويات والسفليات وانما هو أكبر من هذه الاشياء وأكبر من ان يقال له أكبر من هذه الاشياء وذروا الذين يلحدون فى أسمائه قال ابن السكيت الملحد العادل عن الحق والمدخل فيه ما ليس منه يقال قد الحد فى الدين ولحد وقال غيره من أهل اللغة الالحاد العدول عن الاستقامة والانحراف عنها ومنه اللحد الذى يحفر فى جانب القبر قال الواحدى الاجود قراءة العامة ولا يكاد يسمع لاحد بمعنى ملحد والالحاد فى أسماء الله تعالى يقع على ثلاثة أوجه الاول اطلاق أسمائه المقدسة على الاصنام كاشتقاقهم اللات من الله والعزى من العزيز ومناة من المنان وكان مسيلمة الكذاب يسمى نفسه بالرحمن والثانى ان يسموه بما لا يجوز عليه كما سمع عن البدو أن قالوا بجهلهم يا أبا المكارم يا أبيض الوجه يا سخى بناء على ان النخوة مدح الثالث ان يأبوا تسميته ببعض أسمائه الحسنى كالرحمن مثلا قال بعض العلماء ان ورد الاذن فى بعض الاسماء لا يجوز اطلاق سائر الالفاظ المشتقة منه عليه فلا يجوز ان يقال يا معلم وان ورد وعلم آدم الاسماء وكذا فى حق الانبياء لا يجوز ان يقال ان آدم عاص أو غاو وان ورد وعصى آدم ربه فغوى ثم أوعد الملحدين فى أسمائه بقوله سيجزون ما كانوا يعملون ثم لما أخبر ان كثيرا من الثقلين مخلوقون للنار حكى ان بعضا منهم مخلوقون للجنة فقال وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وقد مر مثل هذه الآية فى قصة موسى فعن قتادة وابن جريج وابن عباس ان المراد فى الآية أمة محمد صلى الله عليه وآله و روى الربيع ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول اذا قرأها هذه لكم وقد أعطى القوم

ابن علية عن هشام بن حسان عن ابن سيرين عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان لله تسعة وتسعين اسما مائة الا واحدا من أحصاها كلها دخل الجنة وأما قوله وذروا الذين يلحدون في أسمائه فانه يعني به المشركين وكان الحادهم في أسماء الله انهم عدلوا بها عما هي عليه فسموا بها آلهتهم وأوثانهم وزادوا فيها ونقصوا منها فسموا بعضها اللات اشتقاقا منهم لها من اسم الله الذي هو الله وسموا بعضها العزى اشتقاقا لها من اسم الله الذي هو العزيز وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس وذروا الذين يلحدون في أسمائه قال الحاد الملحدين ان دعوا اللات في أسماء الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وذروا الذين يلحدون في أسمائه قال اشتقوا العزى من العزيز واشتقوا اللات من الله واختلف أهل التأويل في تأويل قوله يلحدون فقال بعضهم يكذبون ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وذروا الذين يلحدون في أسمائه قال الالحاد التكذيب وقال آخرون معنى ذلك يشركون ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عبد الأعلى قال ثنا أبو ثور عن معمر عن قتادة يلحدون قال يشركون وأصل الالحاد في كلام العرب العدول عن القصد والجور عنه والاعراض ثم يستعمل في كل معوج غير مستقيم ولذلك قيل للحد القبر لحد لانه في ناحية منه وليس في وسطه يقال منه الحد فلان يلحد الحادا ولحد يلحد لحدا ولحودا وقد ذكر عن الكسائي انه كان يفرق بين الالحاد واللحد فيقول في الالحاد انه العدول عن القصد وفي اللحد انه الركون الى الشئ وكان يقرأ جميع ما في القرآن يلحدون بضم الياء وكسر الحاء الا التي في النحل فانه كان يقرؤها يلحدون بفتح الياء والحاء ويزعم انه بمعنى الركون وأما سائر أهل المعرفة بكلام العرب فيرون ان معناهما واحد وانهما لغتان جاءتا في حرف واحد بمعنى واحد واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل المدينة وبعض البصريين والكوفيين يلحدون بضم الياء وكسر الحاء من ألحد يلحد في جميع القرآن وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة يلحدون بفتح الياء والحاء من لحد يلحد والصواب من القول في ذلك انهما لغتان بمعنى واحد فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب في ذلك غير انى اختار القراءة بضم الياء على لغة من قال ألحد لانها أشهر اللغتين وأفصحهما وكان ابن زيد يقول في قوله وذروا الذين يلحدون في أسمائه انه منسوخ حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وذروا الذين يلحدون في أسمائه قال هؤلاء أهل الكفر وقد نسخ نسخه القتال ولا معنى لما قال ابن زيد في ذلك من انه منسوخ لان قوله وذروا الذين يلحدون في أسمائه ليس بأمر من الله لنبيه صلى الله عليه وسلم بترك المشركين ان يقولوا ذلك حتى يأذن له في قتالهم وانما هو تهديد من الله للملحدين في أسمائه ووعيد منه لهم كما قال في موضع آخر ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل الآية وبقوله ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون وهو كلام خرج مخرج الامر بمعنى الوعيد والتهديد ومعناه ان مهل الذين يلحدون يا محمد في أسماء الله الى أجل هم بالغوه فسوف يجزون اذا جاءهم أجل الله الذي أجله اليهم جزاء أعمالهم التي كانوا يعملونها قبل ذلك من الكفر بالله والالحاد في أسمائه وتكذيب رسوله ۞ القول في تأويل قوله (وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) يقول تعالى ذكره ومن الخلق الذين خلقنا أمة يعني جماعة يهدون يقول يهتدون بالحق

بين أيديكم مثلها وعن الربيع بن أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية فقال ان من امتي قوما على الحق حتى ينزل عيسى وعن الكلبي هم الذين آمنوا من أهل الكتاب وقال الجبائي هم العلماء والدعاة الى الدين في كل حين ثم أعاد ذكر المكذبين وما عليهم من الوعيد فقال والذين كذبوا بآياتنا قال ابن عباس يريد أهل مكة والظاهر انه عام والاستدراج (٨٥) استفعال من الدرجة ومنه درج الصبي اذا قارب بين خطاه وأدرج الكتاب اذا طواه شيأ بعد شئ ومعنى الآية سنقربهم الى ما يهلكهم ويضاعف عقابهم من حيث لا يعلمون ما يراد بهم وذلك كلما أقدموا على ذنب فتح الله عليهم بابا من أبواب الخير فيزدادون بطرا وانهماكا في الغي والفساد ثم يأخذهم أغفل ما يكونون وأملي لهم أطيل لهم مدة عمرهم ان كيدي متين عن ابن عباس يريد ان مكري شديد والمتين من كل شئ هو القوي يقال متن متانة واحتجت الاشاعرة بألفاظ الاستدراج والاملاء والكيد في مسئلة القضاء والقدر حتى قال بعض المجبرة سنستدرجهم الى الكفر مع انه فاسد لان جزاء الكفر لا يكون كفرا آخر وحملها المعتزلة على ان المراد سنستدرجهم الى العقوبات اما في الدنيا أو في الآخرة وزيف بأن هذا الاستدراج والامهال مما يزيد الكافر به كفرا وعتوا واستحقاقا للعقاب فلو أراد به الخير لاماته قبل ان يصير مستوجبا لتلك الزيادات من العقوبة بل كان يجب في حكمته ورعايته للاصلح أن لا يخلقه ابتداء أو يميته قبل التكليف فلما خلقه وألقاه في ورطة التكليف وأمهله ومكنه من المعاصي مع علمه بان كل ذلك لا يفيده الا مزيد استحقاق العقاب علمنا انه ما خلقه الا للنار كما قال ولقد ذرأنا لجهنم الآية ✽ التأويل واذ أخذ ربك لم يقل وربكم لان في الآية غموضا لا يطلع عليه غيره صلى الله عليه وسلم وغير من أنعم به عليه من خواص متابعيه صلى الله عليه وسلم وانه تعالى لم يكلم أحدا وهو بعد في العدم الا بني آدم كلمهم وهم غير موجودين وأجابوه وهم معدومون بخرى بالجود ماجرى لا بالوجود فبهذا بدايتهم والى هذا ينتهي نهايتهم بأن يكون الله تعالى سمعهم وأبصارهم وألسنتهم انما أشرك آباؤنا بأن رضوا بالاثنينية وما رجعوا الى الوحدة بالفناء في الله كما فعل المبطلون الذين أبطلوا استعداد

بها بان يتصفوا بصفاته بالنيات الصالحات وبالاعمال الزاكيات ثم يتخلقوا بها بالاحوال بتصفية مرآة القلب ومراقبته عن التعلق بما سوى الله تعالى والذين كذبوا بآياتنا بان لم توافق أقوالهم أفعالهم سنستدرجهم فينحطون عن مراتبهم بالتدريج والله أعلم (أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة ان هو الا نذير مبين أو لم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شئ وان عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأي حديث بعده يؤمنون من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل انما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها الا هو ثقلت في السموات والارض لا تأتيكم الا بغتة يسألونك كأنك حفي عنها قل انما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ان أنا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون أيشركون ما لا يخلق شيأ وهم يخلقون ولا يستطيعون لهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون وان تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون ان وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى

وبه يعدلون يقول وبالحق يقضون وينصفون الناس كما قال ابن جريج **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله أمة يهدون بالحق وبه يعدلون قال ابن جريج ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال هذه امتي قال بالحق يأخذون ويعطون ويقضون **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون بلغنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول اذا قرأها هذه لكم وقد أعطي القوم بين أيديكم مثلها ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون ۞ القول في تأويل قوله (والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) يقول تعالى ذكره والذين كذبوا بأدلتنا وأعلامنا فجحدوها ولم يتذكروا بها سنمهله بغرته ونزين له سوء عمله حتى يحسب انه فيما هو عليه من تكذيبه بآيات الله الى نفسه محسن حتى يبلغ الغاية التي كتبت له من المهل ثم يأخذه بأعماله السيئة فيجازيه بها من العقوبة ما قد أعد له وذلك استدراج الله اياه وأصل الاستدراج اغترار المستدرج بلطف من حيث يرى المستدرج ان المستدرج اليه محسن حتى يورطه مكروها وقد بينا وجه فعل الله ذلك باهل الكفر به فيما مضى بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع ۞ القول في تأويل قوله (وأملي لهم ان كيدي متين) يقول تعالى ذكره وأؤخر هؤلاء الذين كذبوا بآياتنا ملاءة بالكسر والضم والفتح من الدهر وهي الحين ومنه قيل انتظرتك مليا فيبلغوا بمعصيتهم ربهم المقدار الذي قد كتبه لهم من العقاب والعذاب ثم يقبضهم اليه ان كيدي والكيد هو المكر وقوله متين يعني قوي شديد ومنه قول الشاعر

عدلن عدول الناس وأقبح يبتلي * افانين من الهراب شدا ماتنا

يعني سيرا شديدا باقيا لا ينقطع ۞ القول في تأويل قوله (أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة ان هو الا نذير مبين) يقول تعالى ذكره أولم يتفكر هؤلاء الذين كذبوا بآياتنا فيتدبروا بعقولهم ويعلموا ان رسولنا الذي أرسلناه اليهم لا جنة به ولا خبل وان الذي دعاهم اليه هو الصحيح والدين القويم والحق المبين واذا نزلت هذه الآية فيما قيل كما **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم كان على الصفا فدعا قريشا فجعل يفخذهم فخذا فخذا يا بني فلان يا بني فلان فحذرهم باس الله ووقائع الله فقال قائلهم ان صاحبكم هذا لمجنون بات يصوت الى الصباح أو حتى أصبح فانزل الله تبارك وتعالى أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة ان هو الا نذير مبين ويعني بقوله ان هو الا نذير مبين ما هو الا نذير ينذركم عقاب الله على كفركم به ان لم تنيبوا الى الايمان به ويعني بقوله مبين قد أبان لكم أيها الناس انذاره ما أنذركم به من باس الله على كفركم به ۞ القول في تأويل قوله (أولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شئ وان عسى ان يكون قد اقترب أجلهم فبأي حديث بعده يؤمنون) يقول تعالى ذكره أولم ينظر هؤلاء المكذبون بآيات الله في ملك الله وسلطانه في السموات وفي الارض وفيما خلق جل ثناؤه من شئ فيهما فيتدبروا ذلك ويعتبروا به ويعلموا ان ذلك لمن لا نظير له ولا شبيه ومن فعل من لا ينبغي ان تكون العبادة والدين الخالص الا له فيؤمنوا به ويصدقوا رسوله وينيبوا الى طاعته ويخلعوا الانداد والاوثان ويحذروا ان تكون آجالهم قد اقتربت فيهلكوا على كفرهم ويصيروا الى عذاب الله وأليم عقابه وقوله فبأي حديث بعده يؤمنون يقول فبأي تخويف وتحذير وترهيب

وترهيب بعد تحذير محمد صلى الله عليه وسلم وترهيبه الذي أتاهم به من عند الله في آي كتابه يصدقون ان لم يصدقوا بهذا الكتاب الذي جاءهم به محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله تعالى ۞ القول في تأويل قوله (من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون) يقول تعالى ذكره ان اعراض هؤلاء الذين كذبوا بآياتنا التاركي النظر في حجج الله والفكر فيها لاضلال الله اياهم ولو هداهم الله لاعتبروا وتدبروا فأبصروا وارشدهم ولكن الله أضلهم فلا يبصرون رشدا ولا يهتدون سبيلا ومن أضله عن الرشاد فلا هادي له اليه ولكن الله يدعهم في تماديهم في كفرهم وتمردهم في شركهم يترددون ليستوجبوا الغاية التي كتبها الله لهم من عقوبته وأليم نكاله ۞ القول في تأويل قوله (يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل انما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها الا هو) اختلف أهل التأويل في الذين عنوا بقوله يسألونك عن الساعة فقال بعضهم عني بذلك قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش وكانوا سألوا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال قالت قريش لمحمد صلى الله عليه وسلم ان بيننا وبينك قرابة فأسر الينا متى الساعة فقال الله يسألونك كأنك حفي عنها وقال آخرون بل عني به قوم من اليهود ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير قال ثنا محمد بن اسحق قال ثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت قال ثني سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس قال قال ابن أبي بشير وسمول بن زيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد أخبرنا متى الساعة ان كنت نبيا كما تقول فانا نعلم متى هي فأنزل الله تعالى يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل انما علمها عند ربي الى قوله ولكن أكثر الناس لا يعلمون حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن اسمعيل بن أبي خالد عن مخارق بن شهاب قال كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يزال يذكر من شأن الساعة حتى نزلت يسألونك عن الساعة أيان مرساها * قال أبو جعفر والصواب من القول في ذلك ان يقال ان قوما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الساعة فأنزل الله هذه الآية وجائز ان يكون كانوا من قريش وجائز أن يكون كانوا من اليهود ولا خبر بذلك عندنا يجوز قطع القول على أي ذلك كان فتأويل الآية اذا يسألك القوم الذين يسألونك عن الساعة أيان مرساها يقول متى قيامها ومعنى أيان متى في كلام العرب ومنه قول الراجز

أيان تقضي حاجتي أيانا * أما ترى لنجحها ابانا

ومعنى قوله مرساها قيامها من قول القائل أرساها الله فهي مرساة وأرساها القوم اذا حبسوها ورست هي ترسو رسوا وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي يسألونك عن الساعة أيان مرساها يقول متى قيامها حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يسألونك عن الساعة أيان مرساها متى قيامها وقال آخرون معنى ذلك منتهاها وذلك قريب المعنى من معنى من قال معناه قيامها لان انتهاءها بلوغها وقتها وقد بينا ان أصل ذلك الحبس والوقوف ذكر من قال ذلك حدثنا المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله يسألونك عن الساعة أيان مرساها يعني منتهاها وأما قوله قل انما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها الا هو فانه أمر من الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بان يجيب سائليه عن الساعة بانه لا يعلم وقت قيامها

الصالحين والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون) القراآت فبأي بتليين الهمزة حيث كان الاصفهاني عن ورش وحمزة في الوقف ويذرهم بالياء مرفوعا أبو عمرو وسهل ويعقوب وعاصم غير عباس والمفضل ويذرهم بالياء مجزوما عباس وحمزة وعلي وخلف الباقون بالنون مرفوعا ان انا الا بالمد أبو نشيط شركا بكسر الشين وسكون الراء أبو جعفر ونافع وأبو بكر وحماد الآخرون شركاء على الجمع يتبعوكم مخففا نافع الباقون بالتشديد يبطشون بضم الطاء يزيد قل ادعوا بكسر اللام للساكنين وكذا بابه حمزة وعاصم وسهل ويعقوب وعباس الآخرون بالضم للاتباع كيدوني بالياء في الحالين سهل ويعقوب وابن شنبوذ عن قنبل وافق أبو عمرو ويزيد واسمعيل والحلواني عن هشام في الوصل ينظرون بالياء في الحالين يعقوب وافق سهل وعباس في الوصل ان ولي الله بياء واحدة مشددة أبو زيد عن المفضل وشجاع وعباس اذا قرأ بالادغام الكبير ولي بثلاث ياآت رويس والبرجمي الباقون بياءين أولاهما مشددة مكسورة والثانية مفتوحة * الوقوف من جنة ط مبين ه من شيء لا لان التقدير وفي ان عسى أجلهم ط لابتداء الاستفهام مع الفاء يؤمنون ه هادي له ط لمن قرأ ويذرهم بالرفع على الاستئناف ومن جزم فلا وقف لانه معطوف على موضع فلا هادي له يعمهون ه مرساها ط عند ربي ج لاختلاف الجملتين الا هو ط والارض ط بغتة ط عنها ط لا يعلمون ه ماشاء الله ط من الخير ج لاحتمال ان يفسر السوء بالجوع فيكون معطوفا على جواب لو واحتمال ان يفسر بالجنون الذي نسبوه اليه فيكون ابتداء نفي يؤمنون ه اليها ج لاجل الفاء مرت به ج لذلك الشاكرين ه فيما آتاهما ج لابتداء التنزيه ووجه الوصل تعجيل التنزيه يشركون ه وهم يخلقون ه والوصل أولى للعطف ينصرون ه لا يتبعوكم ط صامتون ه صادقين ه بها ز لان أم عاطفة مع انها في معنى ابتداء استفهام للانكار والثانية والثالثة كذلك يسمعون بها ط ينظرون ه الكتاب ز والوصل أولى

الا الله الذي يعلم الغيب وانه لا يظهرها لوقتها ولا يعلمها غيره جل ذكره كما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال انما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها الا هو يقول علمها عند الله هو يجليها لوقتها لا يعلم ذلك الا الله حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد لا يجليها لا يأتي بها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد لا يجليها قال لا يأتي بها الا هو حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد ابن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي لا يجليها لوقتها الا هو يقول لا يرسلها لوقتها الا هو ۞ القول في تأويل قوله (ثقلت في السموات والارض لا تأتيكم الا بغتة) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم معنى ذلك ثقلت الساعة على أهل السموات والارض ان يعرفوا وقتها ومجيئها لخفائها عنهم واستئثار الله بعلمها ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي قوله ثقلت في السموات والارض يقول خفيت في السموات والارض فلم يعلم قيامها متى تقوم ملك مقرب ولا نبي مرسل حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد ابن ثور و حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق جميعا عن معمر عن بعض أهل التأويل ثقلت في السموات والارض قال ثقل علمها على أهل السموات وأهل الارض انهم لا يعلمون وقال آخرون معنى ذلك انها كثرت عند مجيئها على أهل السموات والارض ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور وحدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق جميعا عن معمر قال قال الحسن في قوله ثقلت في السموات والارض يعني اذا جاءت ثقلت على أهل السماء وأهل الارض يقول كبرت عليهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج ثقلت في السموات والارض قال اذا جاءت انشقت السماء وانتثرت النجوم وكورت الشمس وسيرت الجبال وكان ما قال الله فذلك ثقلها حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي قال قال بعض الناس في ثقلت عظمت وقال آخرون معنى قوله في السموات والارض على السموات والارض ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ثقلت في السموات والارض أي على السموات والارض * قال أبو جعفر وأولى ذلك عندي بالصواب قول من قال معنى ذلك ثقلت الساعة في السموات والارض على أهلها ان يعرفوا وقتها وقيامها لان الله أخفى ذلك عن خلقه فلم يطلع عليه منهم أحدا وذلك ان الله أخبر بذلك بعد قوله قل انما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها الا هو وأخبر بعده انها لا تأتي الا بغتة فالذي هو أولى ان يكون ما بين ذلك أيضا خبرا عن خفاء علمها عن الخلق اذ كان ما قبله وما بعده كذلك وأما قوله لا تأتيكم الا بغتة فانه يقول لا تجيء الساعة الا فجأة لا تشعرون بمجيئها كما حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي لا تأتيكم الا بغتة يقول يبغتهم قيامها تأتيهم على غفلة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لا تأتيكم الا بغتة قضى الله انها لا تأتيكم الا بغتة قال وذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول ان الساعة تهيج بالناس الرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقيم سلعته في السوق يخفض ميزانه ويرفعه ۞ القول في تأويل قوله (يسئلونك كأنك حفي عنها قل انما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون) يقول تعالى ذكره يسألك هؤلاء القوم عن الساعة كأنك حفي عنها فقال بعضهم يسئلونك عنها كأنك حفي بهم

آياته الغافلين عن التأمل في بيناته عاد الى الجواب عن شبهاتهم فقال أولم يتفكروا اذا علم ان الرؤية بالبصر حالة مخصوصة بالانكشاف والجلاء ولها مقدمة هي تقليب الحدقة الى جهة المرئي كذلك رؤية البصيرة وهي المسماة بالعلم واليقين متعينة بالوضوح والانارة ولها مقدمة هي تقليب حدقة القلب الى الجوانب طلبا لذلك وهذه الحالة تسمى بنظر العقل وفكرته وفي اللفظ محذوف والتقدير أولم يتفكروا فيعلموا ما بصاحبهم من جنة وهي حالة من الجنون كالجلسة كان جهال أهل مكة ينسبونه الى الجنون لوجهين أحدهما انه صلى الله عليه وسلم كان يغشاه حالة عجيبة عند الوحي شبيهة بالغشي يتربد وجهه ويتغير لونه والثاني ان فعله وهو الاعراض عن الدنيا والاقبال على الآخرة والدعاء الى الله تعالى كان مخالفا لفعلهم عن الحسن وقتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم قام ليلا على الصفا يدعو فخذا فخذا من قريش يا بني فلان يحذرهم بأس الله وعقابه فقال قائلهم ان صاحبكم هذا لمجنون واطب على الصياح فأمرهم الله تعالى بالتفكر والتدبر في أمره وذلك انه صلى الله عليه وسلم كان يدعوهم الى عبادة الله وحده ويقيم عليهم الدلائل القاطعة بألفاظ فصيحة عجز الاولون والآخرون عن معارضتها وكان حسن الاخلاق طيب العشرة مرضي السيرة مواظبا على أعمال حسنة صار بسببها قدوة لعقلاء العالمين ومن المعلوم بالضرورة ان مثل هذا الانسان لا يمكن وصفه بالجنون وانما هو نذير مبين أرسله رب العالمين لترهيب الكافرين وترغيب المؤمنين ولما كان النظر في أمر النبوة مفرعا على دلائل التوحيد قال أولم ينظروا في ملكوت السموات والارض أي في مدلولاتهما والملكوت الملك العظيم وفي عدم وقالوا النظر دلالة على وجوب الاستدلال فيما للعقل اليه سبيل وقد مر في هذا الكتاب كيفية دلالة السموات والارض على وجود الصانع ولا سيما في سورة البقرة عند قوله ان في خلق السموات والارض ثم قال وما خلق الله من شيء أي مما يقع عليه اسم الشيء من اجناس غير محصورة والعرض

وقالوا معنى قوله عنها التقديم وان كان مؤخرا ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله يسئلونك كانك حفى عنها يقول كان بينك وبينهم مودة كانك صديق لهم قال ابن عباس لما سأل الناس محمدا صلى الله عليه وسلم عن الساعة سألوه سؤال قوم كانهم يرون أن محمدا حفى بهم فاوحى الله اليه انما علمها عنده يستأثر بعلمها فلم يطلع عليها ملكا ولا رسولا حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال قال قتادة قالت قريش لمحمد صلى الله عليه وسلم ان بيننا وبينك قرابة فأسر الينا متى الساعة فقال الله يسألونك كانك حفى عنها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة يسألونك كانك حفى عنها أى حفى بهم قال قالت قريش يا محمد أسر الينا علم الساعة لما بيننا وبينك من القرابة لقرابتنا منك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو خالد الاحمر وهانئ بن سعيد عن حجاج عن خصيف عن مجاهد وعكرمة يسألونك كانك حفى عنها قال حفى بهم حين يسألونك حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس يسألونك كانك حفى عنها قال قريب منهم ويحفى عليهم قال وقال أبو مالك كانك حفى بهم قال قريب منهم ويحفى عليهم قال وقال أبو مالك كانك حفى بهم فتحدثهم حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى يسألونك كانك حفى عنها كانك صديق لهم وقال آخرون بل معنى ذلك كانك قد استحفيت المسئلة عنها فعلمتها ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد كانك حفى عنها استحفيت عنها السؤال حتى علمتها حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد عن مجاهد فى قوله كأنك حفى عنها قال استحفيت عنها السؤال حتى علمت وقتها حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربى عن جويبر عن الضحاك يسألونك كأنك حفى عنها قال كأنك عالم بها قال ثنا حامد بن نوح عن أبى روق عن الضحاك يسألونك كانك حفى عنها قال أى كانك تعلمها حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنى عبيد ابن سليمان عن الضحاك قوله يسألونك كانك حفى عنها يقول يسألونك عن الساعة كان عندك علما منها قل انما علمها عند ربى حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن بعضهم كأنك حفى عنها كانك عالم بها حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله كأنك حفى عنها قال كانك بها عالم وقال أخفى علمها على خلقه وقرأ ان الله عنده علم الساعة حتى ختم السورة حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله يسألونك كانك حفى عنها يقول كأنك يعجبك سؤالهم اياك قل انما علمها عند الله وقوله كانك حفى عنها يقول لطيف بها فوجه هؤلاء تاويل قوله كأنك حفى عنها أى حفى بها وقالوا تقول العرب تحفيت له فى المسئلة وتحفيت عنه قالوا ولذلك قيل أتينا فلانا نسأل به بمعنى نسأل عنه قال أبو جعفر وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول من قال معناه كأنك حفى بالمسئلة عنها فتعلمها فان قال قائل وكيف قيل حفى عنها ولم يقل حفى بها ان كان ذلك تاويل الكلام قيل ان ذلك قيل كذلك لان الحفاوة انما تكون فى المسئلة وهى البشاشة للمسؤل عند المسئلة والاكثار من السؤال عنه والسؤال يوصل بعن مرة وبالباء مرة فيقال سألت عنه وسألت به فلما وضع قوله حفى موضع السؤال وصل بأغلب الحرفين اللذين يوصل بهما السؤال وهو عن كما قال الشاعر

التنبيه على ان الدلالة على التوحيد ليست مقصورة على السموات والارض بل كل ذرة من ذرات هذا العالم فيها برهان باهر ودليل قاهر على الوحدانية لانها مختصة بحيز معين من الاحياز غير المتناهية وبقدر معين من الاقدار وبوضع معين من الاوضاع وكذا الكلام فى لونها وشكلها وطبعها وطعمها وسائر صفاتها وكل واحد من هذه الاختصاصات لابد له من مخصص ولا بد من الانتهاء الى واجب واحد فى ذاته وفى جميع اعتباراته وان عسى هى مخففة من الثقيلة والاصل وانه عسى على ان الضمير للشان وفى ان يكون ضمير الشان أيضا والمعنى أولم ينظروا فى ان الشان والحديث عسى ان يكون الشان قد اقترب أجلهم الموت أو القيامة واذا كان أحد هذين الاحتمالين قائما وجب على العاقل المسارعة الى هذا الفكر والنظر سعيا فى تخليص النفس من هذا الخوف الشديد والخطر العظيم أما قوله فبأى حديث بعده يؤمنون فتعلق بقوله عسى ان يكون كأنه قيل لعل أجلهم قد اقترب فما لهم لا يبادرون الايمان بالقرآن قبل الفوت وماذا ينتظرون بعد وضوح الحق وبأى حديث أحق منه يريدون ان يؤمنوا ولا دلالة فى اطلاق لفظ الحديث على القرآن على انه ليس بقديم لان المراد بالحديث ما يرادف الكلام ولو سلم فانه محمول على الالفاظ والكلمات ولا نزاع فى حدوثها قوله من يضلل الله قد سبق تفسير مثله ثم لما تكلم فى النبوة والتوحيد والقضاء والقدر اتبعه الكلام فى المعاد فقال يسألونك عن الساعة وأيضا لما ذكر اقتراب الاجل بين ان وقت الساعة مكتوم عن الافهام ليصير ذلك حاملا للمكلفين على المسارعة الى التوبة وأداء الفرائض ومن السائل عن ابن عباس انهم اليهود قالوا يا محمد أخبرنا متى الساعة ان كنت نبيا فانا نعلم متى هى وعن قتادة انهم قريش قالوا يا محمد ان بيننا وبينك قرابة فاسر الينا متى الساعة قال فى الكشاف الساعة من الاسماء الغالبة كالنجم للثريا سميت القيامة ساعة لوقوعها بغتة أو لسرعة حسابها أو على العكس لطولها كما يقال للحبشى أبو البيضاء أو لانها عند الله كساعة من الساعات عند الخلق وايان استفهام عن الزمان ويختص بالامور

سؤال حفي عن أخيه كأنه * يذكره وسنان أو متواسن

وأما قوله قل إنما علمها عند الله فإن معناه قل يا محمد لسائليك عن وقت الساعة وحين مجيئها لا علم لي بذلك ولا يعلم به إلا الله الذي يعلم غيب السموات والأرض ولكن أكثر الناس لا يعلمون يقول ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن ذلك لا يعلمه إلا الله بل يحسبون أن علم ذلك يوجد عند بعض خلقه ۞ القول في تأويل قوله (قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لسائليك عن الساعة أيان مرساها قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله يقول لا أقدر على اجتلاب نفع إلى نفسي ولا دفع ضر يحل بها عنها إلا ما شاء الله أن أملكه من ذلك بأن يقويني عليه ويعينني ولو كنت أعلم الغيب يقول لو كنت أعلم ما هو كائن مما لم يكن بعد لاستكثرت من الخير يقول لأعددت الكثير من الخير ثم اختلف أهل التأويل في معنى الخير الذي عناه الله بقوله لاستكثرت من الخير فقال بعضهم معنى ذلك لاستكثرت من العمل الصالح ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قوله قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا قال الهدى والضلالة ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير قال أعلم الغيب متى أموت لاستكثرت من العمل الصالح حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء قال لاجتنبت ما يكون من الشر واتقيته وقال آخرون معنى ذلك ولو كنت أعلم الغيب لأعددت للسنة المجدبة من المخصبة ولعرفت الغلاء من الرخص واستعددت له في الرخص وقوله وما مسني السوء يقول وما مسني الضر إن أنا إلا نذير وبشير يقول ما أنا إلا رسول الله أرسلني إليكم أنذر عقابه من عصاه منكم وخالف أمره وأبشر بثوابه وكرامته من آمن به وأطاعه منكم وقوله لقوم يؤمنون يقول يصدقون بأني له رسول ويقرون بحقيقة ما جئتهم به من عنده ۞ القول في تأويل قوله (هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين) يقول تعالى ذكره هو الذي خلقكم من نفس واحدة يعني بالنفس الواحدة آدم كما حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن رجل عن مجاهد خلقكم من نفس واحدة قال آدم عليه السلام حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله هو الذي خلقكم من نفس واحدة من آدم ويعني بقوله وجعل منها زوجها وجعل من النفس الواحدة وهو آدم زوجها حواء كما حدثني بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وجعل منها زوجها حواء فجعلت من ضلع من أضلاعه ليسكن إليها ويعني بقوله ليسكن إليها ليأوي إليها لقضاء الحاجة ولذته ويعني بقوله فلما تغشاها فلما تدبرها لقضاء حاجته منها فقضى حاجته منها حملت حملا خفيفا وفي الكلام محذوف ترك ذكره استغناء بما ظهر عما حذف وذلك قوله فلما تغشاها حملت وإنما الكلام فلما تغشاها فقضى حاجته منها حملت وقوله حملت حملا خفيفا يعني بخفة الحمل الماء الذي حملته حواء في رحمها من آدم أنه كان حملا خفيفا وكذلك هو حمل المرأة ماء الرجل خفيف عليها وأما قوله فمرت به فإنه يعني استمرت بالماء قامت به وقعدت وأتمت الحمل كما حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن أبي عمير عن أيوب قال سألت الحسن عن قوله حملت حملا

العظام نحو أيان مرساها وأيان يوم الدين ولا يقال أيان نمت وكسر همزته لغة سليم وعن ابن جني أن اشتقاقه من أي فعلان منه وأي فعل من أويت إليه لأن البعض يأوي إلى الكل وأنكر أن يكون اشتقاقه من أين لأنه للزمان وأين للمكان ولقلة فعال في الأسماء وكثرة فعلان فيها وقال الأندلسي أصله أي أوان حذفت الهمزة مع الياء الأخيرة فبقي ايوان فادغم بعد القلب وقيل أصله أي آن بمعنى أي حين تخفف بحذف الهمزة فاتصلت الألف والنون باي وردبان آنا لا يستعمل إلا بلام التعريف والمرسى بمعنى الإرساء والإثبات والرسو الثبات والاستقرار ولعله لا يطلق إلا على ما فيه ثقل ومنه رسا الجبل وأرست السفينة ولا أثقل من الساعة على الخلائق قل إنما علمها أي علم وقت إرسائها وإثباتها وإقرارها عند ربي قد استأثر به لم يخبر أحدا من ملك مقرب ولا نبي مرسل يكاد يخفيها من نفسه ليكون أدعى إلى الطاعة وأزجر عن المعصية كما أخفى وقت الموت لذلك لا يجليها لا يظهرها لوقتها أي للخبر عن وقتها قبل مجيئها أحد إلا هو والحاصل أنه لا يقدر على إظهار وقتها المعين بالإخبار والإعلام إلا هو ثقلت في السموات والأرض قال الحسن أي ثقل مجيئها على أهل السموات لانشقاق السماء وتكوير الشمس وانتثار النجوم وعلى أهل الأرض لأن في ذلك اليوم فناءهم وهلاكهم أو ثقل هذا اليوم على الخلائق بما فيه من الشدائد والأهوال أو ثقل تحصيل العلم بوقتها المعين عليهم أي أشكل واشتبه حتى صار ثقيلا على الأفهام لا تأتيكم إلا بغتة إلا فجأة على حين غفلة منكم وهذه الجمل مؤكدات ومبينات لما تقدمها ولهذا فقد العاطف عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه وروى الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال والذي نفس محمد بيده لتقومن الساعة وإن الرجل ليرفع اللقمة إلى فيه حتى تحول الساعة بينه وبين ذلك ثم كرر يسألونك لما نيط به من زيادة قوله كأنك حفي عنها كأن السؤال الأول عن وقت قيام الساعة والسؤال الثاني عن كنه ثقل الساعة

حملا خفيفا فمرت به قال لو كنت امرأ عربيا لعرفت ماهى انما هى فاستمرت به حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به استبان حملها حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فمرت به قال استمر حملها حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى قوله حملت حملا خفيفا فمرت به وهى النطفة قوله فمرت به يقول استمرت به وقال آخرون معنى ذلك فشكت فيه ذكر من قال ذلك حدثنى محمد ابن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فمرت به فشكت أحملت أم لا ويعنى بقوله فلما أثقلت فلما صار مافى بطنها من الحمل الذى كان خفيفا ثقيلا ودنت ولادتها يقال منه أثقلت فلانة اذا صارت ذات ثقل بحملها كما يقال أتمر فلان اذا صار ذا تمر كما حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى فلما أثقلت كبر الولد فى بطنها قال أبو جعفر دعوا الله ربهما يقول نادى آدم وحواء ربهما وقالا يا ربنا لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين واختلف أهل التأويل فى معنى الصلاح الذى أقسم آدم وحواء عليهما السلام انه ان آتاهما صالحا فى حمل حواء لنكونن من الشاكرين فقال بعضهم ذلك هو ان يكون الحمل غلاما ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال قال الحسن فى قوله لئن آتيتنا صالحا قال غلاما وقال آخرون بل هو ان يكون المولود بشرا سويا مثلهما ولا يكون بهيمة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن زيد بن جبير الجشمى عن أبى البخترى فى قوله لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين قال أشفقا أن يكون شيأ دون الانسان قال ثنا يحيى بن يمان عن سفيان عن زيد بن جبير عن أبى البخترى قال اشفقا ان لا يكون انسانا قال ثنا محمد بن عبيد عن اسمعيل عن أبى صالح قال لما حملت امرأة آدم فأثقلت كانوا يشفقون ان يكون بهيمة فدعوا ربهما لئن آتيتنا صالحا الآية قال ثنا جابر بن نوح عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس قال اشفقا ان يكون بهيمة حدثنى القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال سعيد بن جبير لما هبط آدم وحواء ألقيت الشهوة فى نفسه فأصابها فليس الا أن أصابها حملت فليس الا ان حملت تحرك فى بطنها ولدها قال فجاءها ابليس فقال ماهذا أترين فى الارض الا ناقة أو بقرة أو ضائنة أو ماعزة أو بعض ذلك قالت والله مامن شئ الا وهو يضيق عن ذلك قال فأطيعينى وسميه عبد الحرث تلدى شبهكما مثلكما قال فذكرت ذلك لآدم عليه السلام فقال هو صاحبنا الذى قد أخرجنا من الجنة فمات ثم حملت بآخر فجاءها فقال أطيعينى وسميه عبد الحرث وكان اسمه فى الملائكة الحرث والا ولدت ناقة أو بقرة أو ضائنة أو ماعزة أو قتلته فانى انا قتلت الاول قال فذكرت ذلك لآدم فكأنه لم يكرهه فسمته عبد الحرث فذلك قوله لئن آتيتنا صالحا يقول شبهنا مثلنا فلما آتاهما صالحا قال شبههما مثلهما حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى فلما أثقلت كبر الولد فى بطنها جاءها ابليس فخوفها وقال لها ما يدريك مافى بطنك لعله كلب أو خنزير أو حمار وما يدريك من أين يخرج من دبرك فيقتلك أو من قبلك أو ينشق بطنك فيقتلك فذلك حين دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا يقول مثلنا لنكونن من الشاكرين * قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك ان يقال ان الله أخبر عن آدم وحواء انهما دعوا الله ربهما بحمل حواء وأقسما لئن أعطاهما مافى بطن حواء صالحا ليكونان لله من الشاكرين والصلاح قد يشمل معانى كثيرة منها الصلاح فى استواء الخلق ومنها الصلاح فى

وشدتها ومهابتها واهــذا خص باسم الله فى قوله قل انما علمها عند الله لان أعظم أسماء الله مهابة هو الله وأما الرب فيدل على التربية والرحمة دون الهيبة والعزة وفى الحفى وجوه فقيل انه البار اللطيف وعن بمعنى الباء أى كانك بار بهم لطيف العشرة معهم وهذا قول الحسن وقتادة والسدى والضمير عائد الى قريش التى ادعت القرابة وجعلوها وسيلة الى أن يخبرهم بالساعة والمعنى انك لاتكون حفيا بهم ماداموا على كفرهم ولو أخبرت بوقتها وأمرت بالاخبار عنها لكنت مبلغه القريب والبعيد من غير تخصيص كسائر ماأوحى اليك وعلى هذا القول جاز ان يكون عنها متعلقا بيسألونك أى يسألونك عنها كانك حفى أى عالم بها فحذف قوله بها لطول الكلام أولانه معلوم وقيل عنها متعلق بمحذوف وحفى فعيل من حفى فلان بالمسئلة أى استقصى والمعنى كانك بليغ فى السؤال عنها لان من أكثر السؤال علم وهذا التركيب يفيد المبالغة ومنه احفاء الشارب وأحفى فى المسئلة اذا ألحف وقيل المراد كانك حفى بالسؤال عنها تحبه وتؤثره يعنى انك تكره السؤال عنها لانه من علم الغيب الذى استأثر الله به ولكن أكثر الناس لا يعلمون انه مختص بذلك العلم أولا يعلمون ان القيامة حق وانما يقولون ان هى الا حياتنا الدنيا أولا يعلمون السبب الذى لاجله خفيت معرفة وقتها المعين عن الخلق ثم أمر نبيه باظهار ذلة العبودية حتى لا ينسب اليه نقص ولا يعاب من قبل عدم العلم بالغيب فقال قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا الا ماشاء الله وفيه ان قدرته قاصرة وعلمه قليل وكل من كان عبدا كان كذلك والقدرة الكاملة والعلم المحيط ليس الا لله تعالى واحتجت الاشاعرة بالآية فى مسئلة خلق الاعمال قالوا الايمان نفع والكفر ضر فوجب ان لا يحصل الا بمشيئة الله تعالى وأجابت المعتزلة بان المراد لا أملك لنفسى من النفع والضر الا قدر ماشاء الله ان يقدرنى عليه ويمكننى منه وظاهر الآية وان كان عاما الا انه مخصوص بصورة النزول قال الكلبى ان أهل مكة قالوا يا محمد الا يخبرك ربك بالسعر الرخيص قبل ان يغلو فتشترى فتربح وبالارض التى تريد ان تجدب فترتحل عنها الى ماقد أخصب فأنزل الله هذه الآية فالمراد الخير فى قوله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من

الدين والصلاح في العقل والتدبير واذ كان ذلك كذلك ولا خبر عن الرسول يوجب الحجة بان ذلك على بعض معاني الصلاح دون بعض ولا فيه من العقل دليل وجب ان يعم كما عمه الله فيقال انهما قالا لئن آتيتنا صالحا بجميع معاني الصلاح وأما معنى قوله لنكونن من الشاكرين فانه لنكونن ممن يشكرك على ما وهبت له من الولد صالحا ۞ القول في تأويل قوله (فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون) يقول تعالى ذكره فلما رزقهما الله ولدا صالحا كما سألا جعلا له شركاء فيما آتاهما ورزقهما ثم اختلف أهل التأويل في الشركاء التي جعلاها فيما أوتيا من المولود فقال بعضهم جعلا له شركاء في الاسم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الصمد قال ثنا عمر بن ابراهيم عن قتادة عن الحسن عن سمرة بن جندب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كانت حواء لا يعيش لها ولد فنذرت لئن عاش لها ولد لتسمينه عبد الحرث فعاش لها ولد فسمته عبد الحرث وانما كان ذلك عن وحي الشيطان حدثني محمد بن عبد الاعلى قال ثنا معتمر عن أبيه قال ثنا أبو العلاء عن سمرة بن جندب انه حدث ان آدم عليه السلام سمى ابنه عبد الحرث قال ثنا المعتمر عن أبيه قال ثنا ابن علية عن سليمان التيمي عن أبي العلاء بن الشخير عن سمرة بن جندب قال سمى آدم ابنه عبد الحرث حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال كانت حواء تلد لآدم فتعبدهم لله وتسميه عبد الله وعبيد الله ونحو ذلك فيصيبهم الموت فأتاها ابليس وآدم فقال انكما لو تسميانه بغير الذي تسميانه لعاش فولدت له رجلا فسماه عبد الحرث ففيه أنزل الله تبارك وتعالى يقول الله هو الذي خلقكم من نفس واحدة الى قوله جعلا له شركاء فيما آتاهما الى آخر الآية حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله في آدم هو الذي خلقكم من نفس واحدة الى قوله فمرت به فشكت أحبلت أم لا فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا الآية فأتاهما الشيطان فقال هل تدريان ما يولد لكما أم هل تدريان ما يكون أبهيمة تكون أم لا وزين لهما الباطل انه غوي مبين وقد كانت قبل ذلك ولدت ولدين فماتا فقال لهما الشيطان انكما ان لم تسمياه بي لم يخرج سويا ومات كما مات الاولان فسميا ولدهما عبد الحرث فذلك قوله فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما الآية ثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس لما ولد له أول ولد أتاه ابليس فقال اني سأنصح لك في شأن ولدك هذا تسميه عبد الحرث فقال آدم أعوذ بالله من طاعتك قال ابن عباس وكان اسمه في السماء الحرث قال آدم أعوذ بالله من طاعتك اني أطعتك في أكل الشجرة فأخرجتني من الجنة فلن أطيعك فمات ولده ثم ولد له بعد ذلك ولد آخر فقال أطعني والا مات كما مات الاول فعصاه فمات فقال لا أزال أقتلهم حتى تسميه عبد الحرث فلم يزل به حتى سماه عبد الحرث فذلك قوله جعلا له شركاء فيما آتاهما أشركه في طاعته في غير عبادة ولم يشرك بالله ولكن أطاعه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن هرون قال أخبرنا الزبير بن الحرث عن عكرمة قال ما أشرك آدم ولا حواء وكان لا يعيش لهما ولد فأتاهما الشيطان فقال ان سركما ان يعيش لكما ولد فسمياه عبد الحرث فهو قوله جعلا له شركاء فيما آتاهما حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة فلما تغشاها حملت حملا خفيفا قال كان آدم عليه السلام لا يولد له ولد الا مات فجاءه الشيطان فقال ان سرك ان يعيش ولدك هذا فسميه عبد الحرث ففعل قال فأشركا في الاسم ولم

الخير هو جلب منافع الدنيا وخيراتها من الخصب والارباح والاكتساب وقيل المراد ما يتصل بامر الدين يعني لو كنت اعلم الغيب لعلمت ان الدعوة الى الدين الحق تؤثر في هذا ولا تؤثر في ذلك لكنت اشتغل بدعوة هذا دون ذاك وقال بعضهم لما رجع صلى الله عليه وسلم من غزو بني المصطلق جاء في الطريق ريح نفرت ناقته منها فاخبر صلى الله عليه وسلم بموت رفاعة وكان فيه غيظ للمنافقين وقال انظروا أين ناقتي فقال عبد الله بن أبي لقومه الا تعجبون من هذا الرجل يخبر عن موت رجل بالمدينة ولا يعرف أين ناقته فقال صلى الله عليه وآله ان ناسا من المنافقين قالوا كيت وكيت وناقتي في هذا الشعب قد تعلق زمامها بشجرة فوجدوها على ما قال فنزلت أما قوله وما مسني السوء فمعناه لكان حالي على خلاف ما هي عليه من الغلبة في بعض الحروب والخسران في بعض التجارات والاخطاء في بعض التدبيرات أنا الا عبد مرسل للنذارة والبشارة وما من شأني ان أعلم الغيب وقوله لقوم يؤمنون اما ان يتعلق بالبشير وحده ويكون المتعلق بالنذير وهو للكافرين محذوفا للعلم به كقوله سرابيل تقيكم الحر أو يتعلق بالوصفين جميعا لان المؤمنين لما كانوا هم المنتفعين بهما خصوا بالذكر كقوله هدى للمتقين واعلم ان أكثر ما جاء في القرآن من لفظي الضر والنفع معا جاء بتقديم لفظ الضر على النفع وهو الاصل لان العابد يعبد معبوده خوفا من عقابه أولا ثم طمعا في ثوابه ثانيا يؤيده قوله يدعون ربهم خوفا وطمعا وحيثما تقدم النفع على الضر فذلك لسابقة لفظ تضمن معنى نفع كما في هذه السورة تقدم لفظ الهداية على الضلال في قوله من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل وتقدم الخير على السوء في قوله لاستكثرت من الخير وما مسني السوء وفي الرعد تقدمه كرها طوعا في قوله طوعا وكرها والطوع نفع وفي الفرقان تقدم قوله هذا عذب فرات وهو نفع وفي سبأ تقدم البسط في قوله ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وقس على هذا ثم رجع الى تقرير أمر التوحيد وابطال الشرك فقال هو الذي خلقكم من نفس واحدة المروي عن ابن عباس انها نفس آدم وقد تقدم مثل ذلك في أول سورة النساء قال مجاهد كان لا يعيش

لآدم وامرأته ولد فقال لهما الشيطان اذا ولد لكما ولد فسمياه عبد الحارث وكان اسم ابليس فى الملائكة الحرث وذلك قوله فلما آتاهما صالحا ولداسويا جعلا يعنى آدم وحواء له شركاء والمراد تسميته بعبد الحرث وهذا تمام القصة وقد زيفها النقاد لوجوه منها انه تعالى قال فتعالى الله عما يشركون بلفظ الجمع لا التثنية ومنها قوله أيشركون ما لا يخلق شيأ الى آخر الآيات وفى ذلك تصريح بان المراد الاصنام ولو كان المراد ابليس لكان أيشركون من لا يخلق شيأ وهو يخلق ومنها ان آدم عليه السلام كان عالما بجميع الاسماء فكيف ضاقت عليه الاسماء أم كيف لم يعرف ان اسم ابليس كان حارثا أم كيف لم يتنبه لغدر ابليس بعد ان جرى عليه منه ما جرى ومنها انه أراد بذلك اسم علم أو اسم صفة والاول لا يستلزم محذورا لان أسماء الاعلام لا تفيد فى المسميات فائدة فلا يلزم الاشراك والثانى يوجب الكفر الصريح ولا قائل بامكان نسبته الى آدم فعند ذلك ذكر العلماء فى تأويله وجوها أحدها ان هذا مثل فكأنه تعالى يقول هو الذى خلقكم أى كل واحد منكم من نفس واحدة وجعل من جنسها زوجها انسانا يساويه فى الانسانية ليسكن أى ذلك النفس فذكر بعد ما أنث حملا على المعنى ولان الذكر هو الذى يسكن الى الانثى ويطمئن اليها فكان التذكير أحسن طباقا للمعنى فلما تغشاها أى جامعها لانه اذا علاها صار كالغاشية لها حملت حملا خفيفا قالوا يريد النطفة والحمل بالفتح ما كان فى البطن أو على رأس الشجرة وبكسر الحاء ما حمل على الظهر أو على الدابة فمرت به أى استمرت وقعدت على ذلك الحمل من غير ادلاق وقيل فقامت وقعدت به من غير ما ثقل وقيل المراد بالخفة انها لم تلق ما تلقاه بعض الحبالى من حملهن من الكرب والاذى فلما أثقلت كان وقت ثقل حملها ودنت ولادتها دعوا أى الزوج والزوجة ربهما ومالك أمرهما الذى هو الحقيق بأن يدعى ويلتجأ اليه فقالا لئن آتيتنا صالحا ولدا قد صلح بدنه أو ولدا ذكرا لان الذكورة من الصلاح والجودة لنكونن من الشاكرين [illegible] فلما آتاهما صالحا كما طلبا جعلا له شركاء وقرئ شركا على حذف المضاف أى ذوى شرك وهم الشركاء أيضا أو أراد أحدث الله شريكا [illegible]

يشركا فى العبادة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما ذكر لنا انه كان لا يعيش لهما ولد فأتاهما الشيطان فقال لهما سمياه عبد الحرث وكان من وحى الشيطان وأمره وكان شركا فى طاعة ولم يكن شركا فى عبادة حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون قال كان لا يعيش لآدم وامرأته ولد فقال لهما الشيطان اذا ولد لكما ولد فسمياه عبد الحرث ففعلا وأطاعاه فذلك قول الله فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء الآية حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن فضيل عن سالم بن أبى حفصة عن سعيد بن جبير قال أثقلت دعوا الله ربهما الى قوله فتعالى الله عما يشركون قال لما حملت حواء فى أول ولد ولدته حين أثقلت أتاها ابليس قبل ان تلد فقال يا حواء ما هذا الذى فى بطنك فقالت ما أدرى فقال من أين يخرج من أنفك أو من عينك أو من أذنك قالت لا أدرى أرأيت ان خرج سليما قال أتطيعينى انت فيما آمرك به قالت نعم قال سميه عبد الحرث وقد كان يسمى ابليس الحرث فقالت نعم ثم قالت بعد ذلك لآدم أتانى آت فى النوم فقال لى كذا وكذا فقال ان ذلك الشيطان فاحذريه فانه عدونا الذى أخرجنا من الجنة ثم أتاها ابليس فأعاد عليها فقالت نعم فلما وضعته أخرجه الله سليما فسمته عبد الحرث فهو قوله جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير وابن فضيل عن عبد الملك عن سعيد بن جبير قال قيل له أشرك آدم قال أعوذ بالله ان أزعم ان آدم أشرك ولكن حواء لما أثقلت أتاها ابليس فقال لها من أين يخرج هذا من أنفك أو من عينك أو من فيك فقنطها ثم قال أرأيت ان خرج سويا زاد ابن فضيل لم يضرك ولم يقتلك أتطيعينى قالت نعم فقال فسميه عبد الحرث ففعلت زاد جرير فانما كان شركه فى الاسم حدثنى موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدى قال فولدت غلاما يعنى حواء فأتاها ابليس فقال سموه عبدى والا قتلته قال له آدم عليه السلام قد أطعتك وأخرجتنى من الجنة فأبى ان يطيعه فسماه عبد الرحمن فسلط الله عليه ابليس فقتله فحملت بآخر فلما ولدته قال لها سميه عبدى والا قتلته قال له آدم قد أطعتك فأخرجتنى من الجنة فأبى فسماه صالحا فقتله فلما ان كان الثالث قال لهما فاذ غلبتموا فسموه عبد الحرث وكان اسم ابليس وانما سمى ابليس حين أبلس ففعلوا فذلك حين يقول الله جعلا له شركاء فيما آتاهما يعنى فى التسمية وقال آخرون بل المعنى بذلك رجل وامرأة من أهل الكفر من بنى آدم جعلا لله شركاء من الآلهة والاوثان حين رزقهما ما رزقهما من الولد وقالوا معنى الكلام هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها فلما تغشاها أى هذا الرجل الكافر حملت حملا خفيفا فلما أثقلت دعوتما الله ربكما قالوا وهذا مما ابتدئ به الكلام على وجه الخطاب ثم رد الى الخبر عن الغائب كما قيل هو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وقد بينا نظائر ذلك بشواهده فيما مضى قبل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا سهل بن يوسف عن عمرو عن الحسن جعلا له شركاء فيما آتاهما قال كان هذا فى بعض أهل الملل ولم يكن بآدم حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال قال الحسن عنى بهذا ذرية آدم من أشرك منهم بعده يعنى بقوله فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال كان الحسن يقول هم اليهود والنصارى رزقهم الله أولادا فهودوا ونصروا . قال

فى الولد لانهم تارة ينسبون ذلك الولد الى الطبائع وتارة الى الكواكب وتارة الى الاوثان والاصنام وثانيها ان يكون الخطاب لقريش الذين كانوا فى عهد رسول الله وهم آل قصى والمعنى هو الذى خلقكم من نفس قصى وجعل من جنسها زوجة عربية قرشية فلما آتاهما ما طلبا من الولد الصالح السوى سميا أولادهما الاربعة بعبد مناف وعبد العزى وعبد قصى وعبد الدار والضمير فى يشركون لهما ولاعقابهما الذين اقتدوا بهما فى الشرك وثالثها سلمنا ان الآية وردت فى قصة آدم الا انه لم لا يجوز ان يكون قوله جعلا واردا بمعنى الاستفهام على سبيل الانكار والتبعيد ثم قال فتعالى الله عما يشركون أى تعالى الله عن شرك هؤلاء المشركين الذين يقولون بالشرك وذلك انهم كانوا يقولون ان آدم عليه السلام كان يعبد الاصنام ويرجع فى طلب الخير ودفع الشر اليها ونظيره ان ينعم رجل على رجل بوجوه كثيرة من الانعام ثم يقال لذلك المنعم ان ذلك المنعم عليه يقصد ايذاءك وايصال الشر اليك فيقول ذلك المنعم فعلت فى حق فلان كذا وأحسنت اليه بكذا وكذا ثم انه يقابلنى بالشر والاساءة انه برىء من ذلك فغرضه من قوله انه يقابلنى بالشر النفى والتبعيد أو نقول لم لا يجوز أن يكون قوله جعلا له على حذف المضاف أى جعلا أولادهما له شريكا وكذا فيما آتاهما أى أتى أولادهما عبر عنهم بلفظ التثنية مرة لكونهم صنفين أو نوعين ذكرا وانثى وبلفظ الجمع أخرى وهو قوله فتعالى الله عما يشركون سلمنا ان الضمير فى جعلا وفى آتاهما لآدم وحواء الا انهما كانا عزما ان يجعلاه وقفا على خدمة الله وطاعته ثم بدا لهما فكانا ينتفعان به فى مصالح الدنيا فاريد بالشرك هذا القدر وعلى هذا فانما قال تعالى عما يشركون لان حسنات الابرار سيئات المقربين أو نقول انما سمياه عبد الحرث اعتقادا منهما انه انما سلم من الآفات ببركة دعائه وقد يسمى المنعم عليه عبد المنعم ومنه قول بعض العلماء انا عبد من علمنى حرفا فلما حصل الاشتراك فى لفظ العبد صار امعاتبين بذلك والله تعالى أعلم ثم أقام الحجة على ان الاوثان لا تصلح للآلهية فقال أيشركون ما لا يخلق شيأ وهم يخلقون اعتبر اللفظ أولا فوحد والمعنى ثانيا فجمع وانما جمع ان

أبو جعفر وأولى القولين بالصواب قول من قال عنى بقوله فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فى الاسم لا فى العبادة وان المعنى بذلك آدم وحواء لاجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك فان قال قائل فما أنت قائل اذ كان الامر على ما وصفت فى تأويل هذه الآية وان المعنى بها آدم وحواء فى قوله فتعالى الله عما يشركون أهو استنكاف من الله ان يكون له فى الاسماء شريك أو فى العبادة فان قلت فى الاسماء دل على فساده قوله أيشركون ما لا يخلق شيأ وهم يخلقون وان قلت فى العبادة قيل لك أفكان آدم أشرك فى عبادة الله غيره قيل له ان القول فى تأويل قوله فتعالى الله عما يشركون ليس بالذى ظننت وانما القول فيه فتعالى الله عما يشركون به مشركو العرب من عبدة الاوثان فاما الخبر عن آدم وحواء فقد انقضى عند قوله جعلا له شركاء فيما آتاهما ثم استؤنف قوله فتعالى الله عما يشركون كما حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى قوله فتعالى الله عما يشركون يقول هذه فصل من آية آدم خاصة فى آلهة العرب واختلفت القراء فى قراءة قوله شركاء فقرأ ذلك عامة قراءة أهل المدينة وبعض المكيين والكوفيين جعلا له شركا بكسر الشين بمعنى الشركة وقرأ بعض المكيين وعامة قراء الكوفيين وبعض البصريين جعلا له شركاء بضم الشين بمعنى جمع شريك وهذه القراءة أولى القراءتين بالصواب لان القراءة لو صحت بكسر الشين لوجب ان يكون الكلام فلما آتاهما صالحا جعلا لغيره فيه شركا لان آدم وحواء لم يدينا بان ولدهما من عطية ابليس ثم يجعلا لله فيه شركا بتسميتهما اياه بعبد الله وانما كانا يدينان لاشك بان ولدهما من رزق الله وعطيته ثم سمياه عبد الحرث فجعلا لابليس فيه شركا بالاسم فلو كانت قراءة من قرأ شركا صحيحة وجب ما قلنا ان يكون الكلام جعلا لغيره فيه شركا وفى نزول وحى الله بقوله جعلا له ما يوضح عن ان الصحيح من القراءة شركاء بضم الشين على ما بينت قبل فان قال قائل فان آدم وحواء انما سميا ابنهما عبد الحرث والحرث واحد وقوله شركاء جماعة فكيف وصفهما جل ثناؤه بانهما جعلا له شركاء وانما أشركا واحدا قيل قد دللنا فيما مضى على أن العرب تخرج الخبر عن الواحد مخرج الخبر عن الجماعة اذا لم يقصد واحدا بعينه ولم يسمه كقوله الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم وانما كان القائل ذلك واحدا فاخرج الخبر مخرج الخبر عن الجماعة اذا لم يقصد قصده وذلك مستفيض فى كلام العرب وأشعارها وأما قوله فتعالى الله عما يشركون فتنزيه من الله تبارك وتعالى نفسه وتعظيم لها عما يقول فيه المبطلون ويدعون معه من الآلهة والاوثان كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج فتعالى الله عما يشركون قال هو الانكفاف انكف نفسه جل وعز يقول عظم نفسه وأنكفته الملائكة وما سبح له حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة قال سمعت صدقة يحدث عن السدى قال هذا من الموصول المفصل قوله جعلا له شركاء فيما آتاهما شأن آدم وحواء ثم قال الله تبارك وتعالى فتعالى الله عما يشركون قال عما يشرك المشركون ولم يعنهما ۞ القول فى تأويل قوله (أيشركون ما لا يخلق شيأ وهم يخلقون) يقول تعالى ذكره أيشركون فى عبادة الله فيعبدون معه ما لا يخلق شيأ والله يخلقها وينشئها وانما العبادة الخالصة للخالق لا للمخلوق وكان ابن زيد يقول فى ذلك بما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قال ولد لآدم ولد فسماه عبد الله فاتاهما ابليس فقال ما سميتما يا آدم ويا حواء ابنكما قال وكان ولد لهما قبل ذلك ولد فسمياه عبد الله فمات فقالا سميناه عبد الله فقال ابليس أتظنان

ان الله تبارك عبده عندكما لا والله ليذهبن به كما ذهب بالآخر ولكن أدلكما على اسم يبقى لكما ما بقيتما فسمياه عبد شمس قال فذلك قول الله تبارك وتعالى أيشركون ما لا يخلق شيأ وهم يخلقون الشمس تخلق شيأ حتى يكون لها عبد انما هي مخلوقة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خدعهما مرتين خدعهما في الجنة وخدعهما في الارض وقيل وهم يخلقون فاخرج مكنيهم مخرج مكني بني آدم وقد قال أيشركون ما فاخرج ذكرهم بما لا بمن مخرج الخبر عن غير بني آدم لان الذي كانوا يعبدونه انما كان حجرا أو خشبا أو نحاسا أو بعض الاشياء التي يخبر عنها بما لا بمن فقيل لذلك ما ثم قيل وهم فاخرجت كنايتهم مخرج كناية بني آدم لان الخبر عنها بتعظيم المشركين اياها نظير الخبر عن تعظيم الناس بعضهم بعضا ۞ القول في تأويل قوله (ولا يستطيعون لهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون) يقول تعالى ذكره أيشرك هؤلاء المشركون في عبادة الله ما لا يخلق شيأ من خلق الله ولا يستطيع أن ينصرهم ان أراد الله بهم سوأ أو أحل بهم عقوبة ولا هو قادر ان أراد به سوأ نصر نفسه ولا دفع ضر عنها وانما العابد يعبد ما يعبده لاجتلاب نفع منه أو لدفع ضر منه عن نفسه وآلهتهم التي يعبدونها ويشركونها في عبادة الله لا تنفعهم ولا تضرهم بل لا تجتلب الى نفسها نفعا ولا تدفع عنها ضرا فهي من نفع غير أنفسها أو دفع الضر عنها أبعد يعجب تبارك وتعالى خلقه من عظيم خطأ هؤلاء الذين يشركون في عبادتهم الله غيره ۞ القول في تأويل قوله (وان تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون) يقول تعالى ذكره في وصفه وعيبه ما يشرك هؤلاء المشركون في عبادتهم ربهم اياه ومن صفته انكم أيها الناس ان تدعوهم الى الطريق المستقيم والامر الصحيح السديد لا يتبعوكم لانها ليست تعقل شيأ فتترك من الطرق ما كان عن القصد منعدلا جائرا وتركب ما كان مستقيما سديدا وانما أراد الله جل ثناؤه بوصف آلهتهم بذلك من صفتها تنبيههم على عظيم خطئهم وقبح اختيارهم يقول جل ثناؤه فكيف يهديكم الى الرشاد من ان دعي الى الرشاد وعرفه لم يعرفه ولم يفهم رشادا من ضلال وكان سواء دعاء داعيه الى الرشاد وسكوته لانه لا يفهم دعاءه ولا يسمع صوته ولا يعقل ما يقال له يقول فكيف يعبد من كانت هذه صفته أم كيف يشكل عظيم جهل من اتخذ ما هذه صفته الها وانما الرب المعبود هو النافع من يعبده الضار من يعصيه الناصر وليه الخاذل عدوه الهادي الى الرشاد من أطاعه السامع دعاء من دعاه وقيل سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون فعطف بقوله صامتون وهو اسم على قوله أدعوتموهم وهو فعل ماض ولم يقل أم صمتم كما قال الشاعر

سواء عليك الفقر أم بت ليلة * بأهل القباب من نمير بن عامر

وقد ينشد أم أنت بائت ۞ القول في تأويل قوله (ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين) يقول جل ثناؤه لهؤلاء المشركين من عبدة الاوثان موبخهم على عبادتهم ما لا يضرهم ولا ينفعهم من الاصنام ان الذين تدعون أيها المشركون آلهة من دون الله وتعبدونها شركا منكم وكفرا بالله عباد أمثالكم يقول هم أملاك لربكم كما أنتم له مماليك فان كنتم صادقين انها تضر وتنفع فانها تستوجب منكم العبادة لنفعها اياكم فليستجيبوا لدعائكم اذا دعوتموهم فان لم يستجيبوا لكم لانها لا تسمع دعاءكم فايقنوا بانها لا تنفع ولا تضر لان الضر والنفع انما يكونان ممن اذا سئل سمع مسألة سائله وأعطى وأفضل ومن اذا شكي اليه من شيء سمع فضر من استحق العقوبة ونفع من لا يستوجب الضر ۞ القول في تأويل قوله (ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد

بالواو والنون بناء على معتقدهم انهم عقلاء واحتجت الاشاعرة بها في مسئلة خلق الاعمال فانها تدل على ان غير الله لا يخلق ثم بين ان المعبود يجب أن يكون قادرا على ايصال النفع ودفع الضر وهذه الاصنام ليست كذلك فقال ولا يستطيعون لهم نصرا وهو المعونة على العدو ولا أنفسهم ينصرون ولا يدفعون عن أنفسهم مكروها فان من أراد كسرهم لم يقدروا على دفعه والحاصل ان الاصنام لا تنصر من أطاعها ولا تقتص ممن عصاها بل عبدتهم هم الذين يدفعون عنهم ويحامون عليهم ثم ذكر انها كما لا تنفع ولا تضر فكذلك لا علم لها بشيء من الاشياء وانها لا يصح منها اذا دعيت الى الخير والصلاح الاتباع ولا ينفصل حال من يخاطبهم ممن يسكت عنهم فقال وان تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم ويجوز ان يكون المراد وان تطلبوا منهم كما تطلبون من الله الخير لا يتبعوكم الى مرادكم وطلبتكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله بدليل قوله بعد فادعوهم فليستجيبوا لكم ثم قوى هذا الكلام بقوله سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون واعرابه شبيه بما تقدم في أول سورة البقرة في قوله سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم وانما عطف الاسمية على الفعلية لان هؤلاء المشركين اذا وقعوا في مهم ومعضلة تضرعوا الى تلك الاصنام واذا لم تحدث تلك الواقعة بقوا ساكتين صامتين فقيل لهم لا فرق بين احداثكم دعاءهم وبين ان تستمروا على صمتكم ثم أكد بيان انها لا تصلح للالهية بقوله ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فسئل انه كيف يحسن وصف الجمادات بانها عباد وأجيب بعد تسليم اختصاص العباد بالعقلاء بان ذلك ورد على معتقدهم انها عقلاء وفيه أيضا نوع من الاستهزاء أي قصارى أمرهم ان يكونوا احياء عقلاء فان ثبت ذلك فهم عباد امثالكم ولا فضل لهم عليكم فلم جعلتموها آلهة لكم وأربابا ثم بين عدم التفاضل بقوله فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين في انها آلهة ولام الامر للتعجيز فانه اذا ظهر لكل عاقل انها لا تقدر على الاجابة ظهر انها لا تصلح للعبودية وانها والعباد سواء بل هم أخس وأدون بدليل قوله ألهم أرجل يمشون بها الآية فالمثال كما هو من شأنه أن يكون له هذه الاعضاء والآلات فاذا كان هم أقوى

محركة ومدركة كان هو أفضل ممن خلا أعضاؤه عن هذه القوى فكيف يليق بالأفضل الأكرم الأشرف خدمة المفضول الخسيس الدنيء وإنما قلنا كل ما من شأنه أن يكون له هذه الأعضاء لأن من جل عن ثبوت هذه الأعضاء والجوارح له فعدم هذه الأشياء بالنسبة إليه فضيلة وكمال فإن القادر القاهر من غير افتقار إلى آلة وعدة كان أشرف ممن يفتقر في أفعاله إلى الآلات فضلاً عمن لا فعل لآلته فلا يرد اعتراض

يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون) يقول تعالى ذكره لهؤلاء الذين عبدوا الأصنام من دونه معرفهم جهل ما هم عليه مقيمون ألأصنامكم هذه أيها القوم أرجل يمشون بها فيسعون معكم ولكم في حوائجكم ويتصرفون بها في منافعكم أم لهم أيد يبطشون بها فيدفعون عنكم وينصرونكم بها عند قصد من يقصدكم بشر ومكروه أم لهم أعين يبصرون بها فيعرفوكم ما عاينوا وأبصروا وإنما تغيبون عنه فلا ترونه أم لهم آذان يسمعون بها فيخبروكم بما سمعوا دونكم مما لم تسمعوه يقول جل ثناؤه فإن كانت آلهتكم التي تعبدونها ليس فيها شيء من هذه الآلات التي ذكرتها والمعظم من الأشياء إنما يعظم لما يرجى منه من المنافع التي توصل إليه بعض هذه المعاني عندكم فما وجه عبادتكم أصنامكم التي تعبدونها وهي خالية من كل هذه الأشياء التي بها يوصل إلى اجتلاب النفع ودفع الضر وقوله قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون أنتم وهن فلا تنظرون يقول فلا تؤخرون بالكيد والمكر ولكن عجلوا بذلك يعلمه جل ثناؤه بذلك أنهم لن يضروه وأنه قد عصمه منهم ويعرف الكفرة به عجز أوثانهم عن نصرة من بغى أولياءهم بسوء ۞ القول في تأويل قوله (إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد للمشركين من عبدة الأوثان إن وليي نصيري ومعيني وظهيري عليكم الله الذي نزل الكتاب علي بالحق وهو الذي يتولى من صلح عمله بطاعته من خلقه ۞ القول في تأويل قوله (والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون) وهذا أيضاً أمر من الله جل ثناؤه لنبيه أن يقوله للمشركين يقول له تعالى قل لهم إن الله نصيري وظهيري والذين تدعون أنتم أيها المشركون من دون الله من الآلهة لا يستطيعون نصركم ولا هم مع عجزهم عن نصرتكم يقدرون على نصرة أنفسهم فأي هذين أولى بالعبادة وأحق بالألوهة من ينصر وليه ويمنع نفسه ممن أراده أم من لا يستطيع نصر وليه ويعجز عن منع نفسه ممن أراده وبغاه بمكروه ۞ القول في تأويل قوله (وإن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون) يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل للمشركين وإن تدعوا أيها المشركون آلهتكم إلى الهدى وهو الاستقامة إلى السداد لا يسمعوا يقول لا يسمعوا دعاءكم وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون وهو خطاب من الله نبيه صلى الله عليه وسلم يقول وترى يا محمد آلهتهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون ولذلك وحد ولو كان أمر النبي صلى الله عليه وسلم بخطاب المشركين لقال وترونهم ينظرون إليكم وقد روي عن السدي في ذلك ما حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي وإن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون قال هؤلاء المشركون وقد يحتمل قول السدي هذا أن يكون أراد بقوله هؤلاء المشركون قول الله وإن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوا وقد كان مجاهد يقول في ذلك ما حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون ما تدعوهم إلى الهدى وكان مجاهداً وجه معنى الكلام إلى أن معناه وترى المشركين ينظرون إليك وهم لا يبصرون فهو وجه ولكن الكلام في سياق الخبر عن الآلهة فهو بوصفها أشبه فإن قال قائل فما معنى قوله وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون وهل يجوز أن يكون شيء ينظر إلى شيء ولا يراه قيل إن العرب تقول للشيء إذا قابل شيئاً أو حاذاه هو ينظر إلى كذا ويقال منزل فلان ينظر إلى منزلي إذا قابله

بعض أغمار المشبهة إن الله تعالى لو لم تكن له هذه الأعضاء لكان عدمها دليلاً على عدم آلهيته ثم إنهم كانوا يخوفون رسول الله صلى الله عليه وسلم بآلهتهم كما قال قوم هود إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء فقال عز من قائل لنبيه قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون أمر من الكيد المكر فلا تنظرون نهي من الإنظار الإمهال والخطاب لهم ولشركائهم جميعاً وهذا قول واثق بعصمة الله أن لا يبالي بغير الله كائناً من كان ثم لما أمره صلى الله عليه وسلم بالتبري حثه على التولي فقال إن وليي أي ناصري عليكم الله الآية وفيه أن الواجب على كل عاقل عبادة الذي يتولى تحصيل منافع الدارين أما الدينية الأخروية فبسبب إنزال الكتاب المشتمل على العلوم الجمة وأما الدنيوية فهو المراد بقوله وهو يتولى الصالحين أي من عادته أن ينصرهم فلا يضرهم عداوة من عاداهم وفي ذلك يأس المشركين أن ينصره كيدهم يحكى أن عمر بن عبد العزيز كان لا يدخر لأولاده شيئاً فقيل له في ذلك فقال إما أن يكون ولدي من الصالحين فوليه الله ولا حاجة له إلى مالي وإما أن يكون من المجرمين وقد قال تعالى فلن أكون ظهيراً للمجرمين ومن رده الله لم اشتغل بإصلاح مهماته أقول وفي التقريب بين الآية الثانية نظر لأنها حكاية كلام موسى اللهم إلا أن يقال التقريب في التقرير ثم عاد وصف الأصنام بمثل الصفات المذكورة فقال والذين تدعون من دونه الآية قال الواحدي إنما أعيد هذا المعنى لأن الأول مذكور على جهة التقريع وهذا مذكور على جهة الفرق بين من يجوز له العبادة وبين من لا يجوز كأنه قيل الإله المعبود يجب أن يكون بحيث يتولى الصالحين وهذه الأصنام ليست كذلك فلا تكون صالحة للإلهية وإن تدعوهم إلى

وحكى

وحكى عنها اذا أثبت موضع كذا وكذا فنظر اليك الجبل نخذ يمينا أو شمالا وحدثت عن أبي عبيد قال قال الكسائي الحائط ينظر اليك اذا كان قريبا منك حيث تراه ومنه قول الشاعر

اذا نظرت بلاد بني تميم * بعين أو بلاد بني صباح

يريد تقابل نبتها وعشبها وتحاذى فمعنى الكلام وترى يا محمد آلهة هؤلاء المشركين من عبدة الاوثان يقابلونك ويحاذونك وهم لا يبصرونك لانه لا أبصار لهم وقيل وتراهم ولم يقل وتراها لانها صورة مصورة على صور بني آدم صلى الله عليه وسلم ۞ القول في تأويل قوله (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم تأويله خذ العفو من أخلاق الناس وهو الفضل وما لا يجهدهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم عن مجاهد في قوله خذ العفو قال من أخلاق الناس وأعمالهم بغير تحسيس حدثني يعقوب وابن وكيع قالا ثنا ابن علية عن ليث عن مجاهد في قوله خذ العفو قال عفو اخلاق الناس وعفو امورهم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثني ابن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه في قوله خذ العفو الآية قال عروة أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم ان يأخذ العفو من اخلاق الناس حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن هشام بن عروة عن أبيه عن أبي الزبير قال ما أنزل الله هذه الآية الا في اخلاق الناس خذ العفو وأمر بالعرف الآية حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن بكر عن ابن جريج قال بلغني عن مجاهد خذ العفو من اخلاق الناس وأعمالهم بغير تحسيس قال ثنا أبو معاوية عن هشام بن عروة عن وهب بن كيسان عن ابن الزبير خذ العفو قال من اخلاق الناس والله لآخذنه منهم ما صحبتهم قال ثنا عبدة بن سليمان عن هشام بن عروة عن أبيه عن الزبير قال انما أنزل الله خذ العفو من اخلاق الناس حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد خذ العفو قال من اخلاق الناس وأعمالهم من غير تحسيس أو تجسيس شك أبو عاصم وقال آخرون بل معنى ذلك هو العفو من أموال الناس وهو الفضل قالوا وأمر بذلك قبل نزول الزكاة فلما نزلت الزكاة نسخ ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله خذ العفو يعني خذ ما عفا لك من أموالهم وما أتوك به من شيء فخذه فكان هذا قبل ان تنزل براءة بفرائض الصدقات وتفصيلها وما انتهت الصدقات اليه حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي أما العفو فالفضل من المال نسختها الزكاة حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله خذ العفو يقول خذ ما عفا من أموالهم وهذا قبل ان تنزل الصدقة المفروضة وقال آخرون بل ذلك أمر من الله نبيه صلى الله عليه وسلم بالعفو عن المشركين وترك الغلظة عليهم قبل ان يفرض قتالهم عليه ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله خذ العفو قال أمره فاعرض عنهم عشر سنين بمكة قال ثم أمره بالغلظة عليهم وان يقعد لهم كل مرصد وان يحصرهم قال فان تابوا وأقاموا الصلاة الآية كلها وقرأ يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم قال وأمر المؤمنين بالغلظة عليهم فقال يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة بعدما كان أمرهم بالعفو وقرأ قول الله قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون

الهدى لا يسمعوا الاسماع سمع ولا اسماع اجابة وتراهم تحسبهم ينظرون اليك يشبهون الناظرين اليك لانهم صور والاصنام بصورة من قلب حدقته الى الشيء ينظر اليه وهم لا يبصرون لا يدركون المرئي وقيل الضمير في قوله وان تدعوهم الى آخر الآية يعود الى المشركين المذكورهم في قوله قل ادعوا أو المراد انهم بلغوا في الجهل والحماقة الى انك لو دعوتهم وأظهرت أنواع الحجة والبرهان لم يسمعوا بعقولهم البتة وتراهم الى الناس واليك ينظرون ولكنهم لشدة اعراضهم عن قبول الحق لم ينتفعوا بذلك النظر فكأنهم عمي يصدقه قوله في موضع آخر فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور * التأويل أولم ينظروا في ملكوت السموات والارض لارباب العقول النظر والاستدلال لتحصيل الايمان ولارباب القلوب الولوج والكشف لحصول الايقان والعيان وما خلق الله من شيء يعني عالم الملك المخلوق من مادة بخلاف عالم الملكوت الذي أبدع من غير شيء وان عسى أن يكون قد اقترب أجلهم يعني أجل فنائهم عما سوى الحق فان لم يؤمنوا بطريق النظر استدلالا فبأي حديث بعده أي بعد النظر يؤمنون يسألونك عن الساعة يريد الساعة التي يظهر الله تعالى فيها آثار صفة القهارية لافناء عالم الصورة فلا يبقى منه داع ولا مجيب فيجيب هو بنفسه لمن الملك اليوم لله الواحد القهار لاستكثرت من الخير من الحياة الابدية ورفع الحاجات البشرية خلقكم من نفس واحدة هي الروح وخلق منها زوجها وهي القلب ليسكن اليها لان القلب بين أصبعين من أصابع الرحمن فكان الروح يشم من القلب نسائم نفحات ألطاف الحق حملت حملا خفيفا في البداية بظهور أدنى أثر من آثار الصفات البشرية في القلب الروحاني فلما أثقلت كثرت آثار الصفات في الروح والقلب على أنفسهما من تبدل الصفات الروحانية الاخروية النورانية بالصفات النفسانية الدنيوية الظلمانية فدعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا خالصا للعبودية لنكونن من الشاكرين فلما آتاهما صالحا جعلا أي الروح والقلب له شركاء أي جعلا وجه النفس الى الدنيا ونعيمها فصارت عبد البطن وعبد الخميصة

وغيب الدرهم والدينار ولا يستطيعون لهم نصراً أى لا يستطيع الدنيا ومن فيها المروج والقلب والنفس تغويه وتربية الا بالله ولا أنفسهم
ينصرون للبقاء والدوام (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم إن
الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان (٩٨) تذكروا فإذا هم مبصرون وإخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون وإذا لم تأتهم

أيام الله ثم لم يقبل منهم بعد ذلك الا الاسلام أو القتل فنسخت هذه الآية العفو * قال أبو جعفر وأولى هذه الاقوال بالصواب قول من قال معناه خذ العفو من اخلاق الناس واترك الغلظة عليهم وقال أمر بذلك نبى الله صلى الله عليه وسلم فى المشركين وانما قلنا ذلك أولى بالصواب لان الله جل ثناؤه اتبع ذلك تعليمه نبيه صلى الله عليه وسلم محاجته المشركين فى الكلام وذلك قوله قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون وعقبه بقوله واخوانهم يمدونهم فى الغى ثم لا يقصرون واذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها فما بين ذلك بان يكون من تأديبه نبيه صلى الله عليه وسلم فى عشرتهم به أشبه وأولى من الاعتراض بامره باخذ الصدقة من المسلمين فان قال قائل أفمنسوخ ذلك قيل لا دلالة عندنا على انه منسوخ اذ كان جائزا ان يكون وان كان الله أنزله على نبيه عليه السلام فى تعريفه عشرة من لم يؤمر بقتاله من المشركين ومن آدابه تأديب نبى الله والمسلمين جميعا فى عشرة الناس وأمرهم باخذ عفو أخلاقهم فيكون ٧ وان كان من أجلهم نزل تعليما من الله خلقه صفة عشرة بعضهم بعضا لم يجب استعمال الغلظة والشدة فى بعضهم فاذا وجب استعمال ذلك فيهم استعمال الواجب فيكون قوله خذ العفو أمر اباحة مالم يجب غير العفو فاذا وجب غيره أخذ الواجب وغير واجب اذا أمكن ذلك فلا يحكم على الآية بانها منسوخة لما قد بينا ذلك فى نظائره فى غير موضع من كتبنا وأما قوله وأمر بالعرف فان أهل التأويل اختلفوا فى تأويله فقال بعضهم بما حدثنى الحسن بن الزبرقان النخعى قال ثنى حسين الجعفى عن سفيان بن عيينة عن رجل قد سماه قال لما نزلت هذه الآية وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل ما هذا قال ما أدرى حتى أسأل العالم قال ثم قال جبريل يا محمد ان الله يأمرك ان تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك حدثنى يونس قال أخبرنا سفيان عن أبى قال لما أنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين قال النبى صلى الله عليه وسلم ما هذا يا جبريل قال ان الله يأمرك أن تعفو عمن ظلمك وتعطى من حرمك وتصل من قطعك وقال آخرون بما حدثنى محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن هشام بن عروة عن أبيه وأمر بالعرف يقول بالمعروف حدثنا ابن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى وأمر بالعرف قال أما العرف فالمعروف حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأمر بالعرف أى المعروف * قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك أن يقال ان الله أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأمر الناس بالعرف وهو المعروف فى كلام العرب مصدر فى معنى المعروف يقال أوليته عرفا وعارفا وعارفة كل ذلك بمعنى المعروف فاذ كان معنى العرف ذلك فمن المعروف صلة رحم من قطع واعطاء من حرم والعفو عمن ظلم وكل ما أمر الله به من الاعمال أو ندب اليه فهو من العرف ولم يخصص الله من ذلك معنى دون معنى فالحق فيه أن يقال قد أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأمر عباده بالمعروف كله لا ببعض معانيه دون بعض وأما قوله وأعرض عن الجاهلين فانه أمر من الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يعرض عمن جهل وذلك وان كان أمرا من الله نبيه به فانه تأديب منه عز ذكره لخلقه باحتمال من ظلمهم أو اعتدى عليهم لا بالاعراض عمن جهل الواجب عليه من حق الله ولا بالصفح عمن كفر بالله وجهل وحدانيته وهو للمسلمين حرب وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة خذ العفو وأمر بالعرف

بآية قالوا لولا اجتبيتها قل انما اتبع ما يوحى الى من ربى هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون) * القراآت طيف بسكون الياء ابن كثير وأبو عمرو وسهل ويعقوب وعلى الباقون طائف على وزن فاعل يمدونهم من الامداد أبو جعفر ونافع الآخرون بفتح الياء وضم الميم من المد العفو وأمر مدغما أبو عمرو وقرئ بغير همز حيث كان يزيد والشمونى وحمزة فى الوقف * الوقوف الجاهلين ه بالله ط عليم ه مبصرون ه ج لان قوله واخوانهم مبتدأ الا ان المعنى يقتضى الوصل لبيان اختلاف حالى الفريقين لا يقصرون ه اجتبيتها ط من ربى ج لاختلاف الجملتين بلا عطف مع اتحاد القول يؤمنون ه ترحمون ه من الغافلين ه يسجدون ه سجدة * التفسير لما ذكر فساد طريقة عبدة الاصنام وبين النهج القويم والصراط المستقيم ارشد الى مكارم الاخلاق والعفو الفضل وكل ما أتى من غير كلفة واعلم ان الحقوق التى تستوفى من الناس اما ان يجوز ادخال المساهلة فيها وهو المراد بقوله خذ العفو ويدخل فيه التخلق مع الناس بالخلق الحسن وترك الغلظة والفظاظة ومن هذا الباب وأعرض
ان يدعو الخلق الى الدين الحق بالرفق واللطف كما قال فى حق نبيه صلى الله عليه وسلم فبما رحمة من الله لنت لهم واما ان لا يجوز دخول المساهلة فيها وذلك قوله وأمر بالعرف وهو المعروف والعارفة وانه كل أمر عرف انه لا بد من الاتيان به ويكون وجوده خيرا من عدمه فلو اقتصر فى هذا

وأعرض عن الجاهلين قال اخلاق أمر الله بها نبيه صلى الله عليه وسلم ودله عليها ﴿ القول في تأويل قوله (واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم) يعني جل ثناؤه بقوله واما ينزغنك من الشيطان نزغ واما يغضبنك من الشيطان غضب يصدك عن الاعراض عن الجاهلين ويحملك على مجازاتهم فاستعذ بالله يقول فاستجر بالله من نزغه انه سميع عليم يقول ان الله الذي تستعيذ به من نزغ الشيطان سميع لجهل الجاهل عليك ولاستعاذتك به من نزغه ولغير ذلك من كلام خلقه لا يخفى عليه منه شئ عليم بما يذهب عنك نزغ الشيطان وغير ذلك من امور خلقه كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين قال فكيف بالغضب يارب قال اما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم قد علم الله ان هذا العدو منيع ومريد وأصل النزغ الفساد يقال نزغ الشيطان بين القوم اذا أفسد بينهم وحمل بعضهم على بعض يقال منه نزغ ينزغ ونغز ينغز ﴿ القول في تأويل قوله (ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون) يقول تعالى ذكره ان الذين اتقوا الله من خلقه فخافوا عقابه باداء فرائضه واجتناب معاصيه اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا يقول اذا ألم بهم طيف من الشيطان من غضب أو غيره مما يصد عن واجب حق الله عليه تذكروا عقاب الله وثوابه ووعده ووعيده وأبصروا الحق فعملوا به وانتهوا الى طاعة الله فيما فرض عليهم وتركوا فيه طاعة الشيطان واختلفت القراء في قراءة قوله طيف فقرأته عامة قراء أهل المدينة والكوفة طائف على مثال فاعل وقرأه بعض المكيين والبصريين والكوفيين طيف من الشيطان واختلف أهل العلم بكلام العرب في فرق ما بين الطائف والطيف فقال بعض البصريين الطائف والطيف سواء وهو ما كان كالخيال والشئ يلم بك ويجوز أن يكون الطيف مخففا عن طيف مثل ميت وميت وقال بعض الكوفيين الطائف ما طاف بك من وسوسة الشيطان وأما الطيف فانما هو اللمم والمس وقال آخر منهم الطيف اللمم والطائف كل شئ طاف بالانسان وذكر عن أبي عمرو بن العلاء انه كان يقول الطيف الوسوسة * قال أبو جعفر وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأه طائف من الشيطان لان أهل التأويل تأولوا ذلك بمعنى الغضب والزلة تكون من المطيف به واذا كان ذلك معناه كان معلوما اذ كان الطيف انما هو مصدر من قول القائل طاف يطيف أن ذلك خبر من الله عما يمس الذين اتقوا من الشيطان وانما يمسهم ما طاف بهم من أسبابه وذلك كالغضب والوسوسة وانما يطوف الشيطان بابن آدم ليستزله عن طاعة ربه أو ليوسوس له والوسوسة والاستزلال هو الطائف من الشيطان وأما الطيف فانما هو الخيال وهو مصدر من طاف يطيف ويقول لم أسمع في ذلك طاف يطيف ويتأوله بانه بمعنى الميت وهو من الواو وحكى البصريون وبعض الكوفيين سماعا عن العرب طاف يطيف وطفت أطيف وأنشدوا في ذلك

انى ألم بك الخيال يطيف * ومطافه لك ذكرة وشعوف

وأما أهل التأويل فانهم اختلفوا في تأويله فقال بعضهم ذلك الطائف هو الغضب ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا ثنا ابن يمان عن أشعث عن جعفر عن سعيد اذا مسهم

القسم على الاخذ بالعفو ولم يبذل في ذلك وسعه كان راضيا بتغيير الدين وابطال الحق ثم اذا امر بالمعروف ورغب فيه ونهى عن المنكر ونفر عنه فربما أقدم بعض الجاهلين على السفاهة والايذاء فلهذا قال وأعرض عن الجاهلين قال عكرمة لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبرائيل ما هذا فقال لا أدرى حتى أسأل ثم رجع فقال يا محمد ان ربك أمرك ان تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك قال أهل العلم تفسير جبرائيل مطابق للفظ الآية فانك اذا وصلت من قطعك فقد عفوت عنه واذا أعطيت من حرمك فقد أمرت بالمعروف واذا عفوت عمن ظلمك فقد أعرضت عن الجاهل يروى عن جعفر الصادق عليه السلام ليس في القرآن العزيز آية أجمع لمكارم الاخلاق من هذه الآية ولبعض المفسرين في تفسير الآية طريق آخر قالوا خذ العفو أي ما أتوك به عفوا فخذه ولا تسأل ما وراء ذلك فنسخت بآية الزكاة وأمر بالمعروف أي باظهار الدين الحق وهذا غير منسوخ وأعرض عن الجاهلين أي المشركين وهذه منسوخة بآية القتال والحق ان تخصيص أخذ العفو بالمال تقييد للمطلق من غير دليل ولو سلم فايجاب الزكاة بالمقادير المخصوصة لا ينافي ذلك لان آخذ الزكاة مأمور بان لا يأخذ كرائم أموال الناس وان لا يشدد الامر على المزكي وأيضا لا يمتنع ان يؤمر النبي بان لا يقابل سفاهة المشركين بمثلها ولكن يقاتلهم واذا كان الجمع بين الامرين ممكنا فلا حاجة الى التزام النسخ قال أبو زيد لما نزل قوله وأعرض عن الجاهلين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يارب والغضب فنزل واما ينزغنك من الشيطان نزغ أي غرز ونخس جعل النزغ نازغا كما قيل جد جده عن أبي زيد نزغت ما بين القوم أي أفسدت ما بينهم وأصله الازعاج بالحركة الى الشر وأكثر ما يكون ذلك عند الغضب ونزغ الشيطان وسوسته في القلب بما يسول للانسان من المعاصي وعلاج دفعه انما يكون بالاستعاذة وهي الاستخلاص عن حول الانسان وقوته الى حول الرحمن وقوته والاعراض عن مقتضى الطبع والاقبال على أوامر الشرع عن معاذ بن جبل قال استب رجلان عند النبي حتى عرف الغضب في وجه

طائف قال والطيف الغضب حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبي بزة عن مجاهد في قوله اذا مسهم طيف من الشيطان قال هو الغضب حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الله بن رجاء عن ابن جريج عن عبد الله بن كثير عن مجاهد قال الغضب حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا قال هو الغضب حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الله بن رجاء عن ابن جريج عن عبد الله بن كثير عن مجاهد قال الغضب حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله طائف من الشيطان قال الغضب وقال آخرون هو اللمة والزلة من الشيطان ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا والطائف اللمة من الشيطان فاذاهم مبصرون حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان يقول نزغ من الشيطان تذكروا حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا يقول اذا زلوا تابوا * قال أبو جعفر وهذان التأويلان متقاربا المعنى لان الغضب من استزلال الشيطان واللمة من الخطيئة أيضا منه وكان ذلك من طائف الشيطان واذ كان ذلك كذلك فلا وجه لخصوص معنى منه دون معنى بل الصواب ان يعم كما عمه جل ثناؤه فيقال ان الذين اتقوا اذا عرض لهم عارض من أسباب الشيطان ما كان ذلك العارض تذكروا أمر الله وانتهوا الى أمره وأما قوله فاذاهم مبصرون فانه يعني فاذاهم مبصرون هدى الله وبيانه وطاعته فيه فمنتهون عما دعاهم اليه طائف الشيطان كما حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس فاذاهم مبصرون يقول اذاهم منتهون عن المعصية آخذون بأمر الله عاصون للشيطان ۞ القول في تأويل قوله (واخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون) يقول تعالى ذكره واخوان الشياطين تمدهم الشياطين في الغي يعني بقوله يمدونهم يزيدونهم ثم لا يقصرون عما قصر عنه الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان وانما هذا خبر من الله عن فريقي الايمان والكفر بان فريق الايمان وأهل تقوى الله اذا استزلهم الشيطان تذكروا عظمة الله وعقابه فكفتهم رهبته عن معاصيه وردتهم الى التوبة والانابة الى الله مما كان منهم من زلة وان فريق الكافرين يزيدهم الشيطان غيا الى غيهم اذا ركبوا معصية من معاصي الله ولا يحجزهم تقوى الله ولا خوف المعاد اليه عن التمادي فيها والزيادة منها فهو أبدا في زيادة من ركوب الاثم والشيطان يزيده أبدا لا يقصر هو عن شيء من ركوب الفواحش ولا الشيطان من مده منه كما حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس واخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون قال لا الانس يقصرون عما يعملون من السيئات ولا الشياطين تمسك عنهم حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله واخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون يقول هم الجن يوحون الى أوليائهم من الانس ثم لا يقصرون يقول لا يسأمون حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي واخوانهم يمدونهم في الغي اخوان

أحدهما فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني لاعلم كلمة لو قالها لذهب غضبه أعوذ بالله من الشيطان الرجيم قال بعض الطاعنين في عصمة الانبياء لو لم يجز على النبي الاقبال على وسوسة الشيطان لم يؤمر بالاستعاذة والجواب ان كلمة ان لا تفيد وقوع الشرط ولو سلم فمن أين علم انه صلى الله عليه وسلم قبل تلك الوسوسة منه ولو سلم فمحمول (١٠٠) على ترك الاولى ثم ختم الآية بقوله انه سميع عليم ليعرف ان القول اللساني بدون المعارف الحقيقية عديم الفائدة وكأنه تعالى قال اذكر لفظ الاستعاذة بلسانك فاني سميع وأحضر معنى الاستعاذة في ضميرك فاني عليم ثم بين ان حال المتقين قد تزيد على حال النبي في باب وسوسة ابليس فان النبي لا يكون له الا النزغ الذي هو كابتداء الوسوسة وأما المتقون فقد يمسهم الشيطان وذلك قوله ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف قال الفراء الطائف كالخاطر وجوز بعضهم أن يكون مصدرا كالعاقبة ولكنه بلا تاء والاصح انه اسم فاعل من طاف يطوف أو من طاف به الخيال يطيف طيفا ومن قرأ طيف فهو اما مصدر أي لمة من الشيطان واما مخفف طيف فيعل من طاف يطيف كلين أو من طاف يطوف كهين قال في الكشاف وهذا تأكيد وتقرير لما تقدم من وجوب الاستعاذة بالله عند نزغ الشيطان وان المتقين هذه عادتهم اذا أصابهم نزغ من الشيطان والمام بوسوسته ومفعول تذكروا محذوف أي تذكروا ما أمر الله به ونهى عنه فابصروا السداد واعلم ان الغضب انما يهيج بالانسان اذا استقبح من المغضوب عليه عملا من الاعمال ثم اعتقد في نفسه كونه قادرا وفي المغضوب عليه كونه عاجزا هذا اذا كان واقفا على ظلمات عالم الاجسام فيغتر بظواهر الامور وأما اذا انكشف له نور من عالم العقل عرف ان المغضوب عليه انما أقدم على ذلك العمل لان الله تعالى خلق فيه داعية جازمة وقد علم منه تلك الحالة في الازل ومتى كان كذلك فلا سبيل له الى تركه فحينئذ يفتر غضبه كما قال صلى الله عليه وسلم من عرف سر الله في القدر هانت عليه المصائب وأيضا انه كم أساء في العمل وقد تجاوز الله عنه وان الله أقدر عليه وانه اذا أمضى الغضب كان شريكا للسباع المؤذية واذا اختار العفو كان مضاهيا للانبياء والاولياء مستاهلا

الشياطين

الشياطين من المشركين يمدهم الشيطان فى الغى ثم لا يقصرون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قال عبد الله بن كثير واخوانهم من الجن يمدون اخوانهم من الانس ثم لا يقصرون يقول ثم لا يقصر الانسان قال والمد الزيادة يعنى أهل الشرك يقول لا يقصر أهل الشرك كما يقصر الذين اتقوا لانهم يحجزهم الايمان قال ابن جريج قال مجاهد واخوانهم من الشياطين يمدونهم فى الغى ثم لا يقصرون استجهالا يمدون أهل الشرك قال ابن جريج ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس قال فهؤلاء الانس يقول الله واخوانهم يمدونهم فى الغى حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنى محمد بن ثور عن معمر عن قتادة واخوانهم يمدونهم فى الغى ثم لا يقصرون قال اخوان الشياطين يمدهم الشيطان فى الغى ثم لا يقصرون حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح واخوانهم من الشياطين يمدونهم فى الغى استجهالا وكان بعضهم يتأول قوله ثم لا يقصرون بمعنى ولا الشياطين يقصرون فى مدهم اخوانهم من الغى ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واخوانهم يمدونهم فى الغى ثم لا يقصرون عنهم ولا يرحمونهم * قال أبو جعفر وقد بينا أولى التأويلين عندنا بالصواب وانما اخترنا ما اخترنا من القول فى ذلك على ما بيناه لان الله وصف فى الآية قبلها أهل الايمان به وارتداعهم عن معصيته وما يكرهه الى محبته عند تذكرهم عظمته ثم اتبع ذلك الخبر عن اخوان الشياطين وركوبهم معاصيه وكان الاولى وصفهم بتماديهم فيها اذ كان عقيب الخبر عن تقصير المؤمنين عنها وأما قوله يمدونهم فان القراء اختلفت فى قراءته فقرأه بعض المدنيين يمدونهم بضم الياء من أمددت وقرأته عامة قراء الكوفيين والبصريين يمدونهم بفتح الياء من مددت قال أبو جعفر والصواب من القراءة فى ذلك عندنا يمدونهم بفتح الياء لان الذى يمد الشيطان اخوانهم من المشركين انما هو زيادة من جنس الممدود واذا كان الذى مد من جنس الممدود كان كلام العرب مددت لا أمددت وأما قوله يقصرون فان القراء على لغة من قال أقصرت أقصر وللعرب فيه لغتان قصرت عن الشئ وأقصرت عنه

القول فى تأويل قوله (واذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها) يقول تعالى ذكره واذا لم تأت يا محمد هؤلاء المشركين بآية الله قالوا لولا اجتبيتها يقول قالوا هلا اخترتها واصطفيتها من قول الله تعالى ولكن الله يجتبى من رسله من يشاء يعنى يختار ويصطفى وقد بينا ذلك فى موضعه بشواهده ثم اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم معناه هلا افتعلتها من قبل نفسك واختلقتها بمعنى هلا اجتبيتها اختلاقا كما تقول العرب لقد اختار فلان هذا الامر وتخيره اختلاقا ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها أى لولا أتيتنا بها من قبل نفسك هذا قول كفار قريش حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عبد الله بن كثير عن مجاهد قوله واذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها قالوا لولا اقتضبتها قالوا تخرجها من نفسك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله واذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها قالوا لولا تقولتها جئت بها من عندك حدثنى المثنى قال ثنى عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله لولا اجتبيتها يقول لولا تلقيتها وقال مرة أخرى لولا احدثتها فانشأتها حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى قالوا لولا اجتبيتها يقول لولا أحدثتها حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا

للثواب الجزيل وانه ربما انقلب الضعيف قويا وبالجملة فالمراد من قوله تعالى اذا مسهم طائف من الشيطان ما ذكرنا من الاعتقادات والمراد من قوله تذكروا الامور التى تفيد ضعف تلك الاعتقادات أما قوله واخوانهم فالضمير فيه يرجع الى الشيطان وجمع لان المراد به الجنس كقوله أولياؤهم الطاغوت والضمير المرفوع فى يمدون يرجع الى الاخوان لان شياطين الانس يعضدون شياطين الجن على الاغواء والاضلال أو الى الشياطين فيكون الخبر جاريا على من هو له والمعنى واخوان الشياطين الذين ليسوا بمتقين فان الشياطين يمدونهم أى يكونون مددا لهم فى الغى ويجوز أن يراد بالاخوان الشياطين والضمير المجرور يعود الى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على ما هو له قال فى الكشاف والاول أوجه لان اخوانهم فى مقابلة الذين اتقوا قال الواحدى عامة ما جاء فى التنزيل مما يحمد ويستحب أمددت على أفعلت كقوله انما نمدهم به من مال وأمددناهم بفاكهة أتمدونن بمال وما كان بخلافه فانه يجئ على مددت قال ويمدهم فى طغيانهم يعمهون فالوجه ههنا قراءة العامة ووجه الغى الاستهزاء والتهكم نحو فبشرهم بعذاب أليم أما قوله ثم لا يقصرون فالاقصار الكف عن الشئ قال ابن عباس أى لا يمسك الغاوى عنه الضلال والمغوى عن الاضلال ومعنى ثم تبعيد عدم الاقصار عن المدد فانه يجب على العاقل اذا أقبل على غى أن يمسك عنه سريعا الا أن يتمادى فيه وينهمك ولهذا قيل الرجوع الى الحق أولى من التمادى فى الباطل ثم ذكر نوعا واحدا من اغوائهم فقال واذا لم تأتهم بآية وذلك انهم كانوا يطلبون آيات معينة ومعجزات مخصوصة على سبيل التعنت كقولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا مع أنه صلى الله عليه وسلم ما كان يأتيهم بها فعند ذلك قالوا لولا اجتبيتها يقال اجتبى بمعنى جباه لنفسه أى جمعه وجبى اليه فاجتباه أى أخذه والمعنى هلا افتعلتها وجئت بها من عند نفسك لانهم كانوا يقولون ان هذا الا افك مفترى وكانوا ينسبونه الى السحر أو المراد هلا أخذتها واقترحتها على الهك ومعبودك ان كنت صادقا فى ان الله يجيب دعاءك ويسعف باقتراحك وعند هذا أمر رسوله أن يذكر فى الجواب انما اتبع ما يوحى الى من ربى ولست مقترحا للآيات أو لست مقترحا لها ثم بين ان عدم الاتيان بالآيات

عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قوله لولا اجتبيتها قال لولا جئت بها من نفسك وقال آخرون معنى ذلك هلا أخذتها من ربك وتقبلتها منه ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله لولا اجتبيتها يقول لولا تقبلتها من الله حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة لولا اجتبيتها يقول لولا تلقيتها من ربك حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت ابا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله لولا اجتبيتها يقول لولا أخذتها أنت فجئت بها * وأولى التأويلين بالصواب في ذلك تأويل من قال تأويله هلا أحدثتها من نفسك لدلالة قول الله قل انما أتبع ما يوحى الي من ربي هذا بصائر من ربكم يبين ذلك ان الله انما أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بان يجيبهم بالخبر عن نفسه انه انما يتبع ما ينزل عليه ربه ويوحيه اليه لا انه يحدث من قبل نفسه قولا وينشيه فيدعو الناس اليه وحكى عن الفراء انه كان يقول اجتبيت الكلام واختلقته وارتجلته اذا افتعلته من قبل نفسك حدثني بذلك الحرث قال ثنا القاسم عنه قال أبو عبيد وكان أبو زيد يقول انما تقول العرب ذلك للكلام يبديه الرجل لم يكن أعده قبل ذلك في نفسه قال أبو عبيد واخترعته مثل ذلك ۞ القول في تأويل قوله (قل انما اتبع ما يوحى الي من ربي هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد للقائلين لك اذا لم تأتهم بآية هلا أحدثتها من قبل نفسك ان ذلك ليس لي ولا يجوز لي فعله لان الله انما أمرني باتباع ما يوحى الي من عنده فانما أتبع ما يوحى الي من ربي لاني عبده والى أمره انتهي واياه اطيع هذا بصائر من ربكم يقول هذا القرآن والوحي الذي اتلوه عليكم بصائر من ربكم يقول حجج عليكم وبيان لكم من ربكم واحدتها بصيرة كما قال جل ثناؤه هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يؤمنون وانما ذكر هذا ووحد في قوله هذا بصائر من ربكم لما وصفت من انه مراد به القرآن والوحي وقوله وهدى يقول وبيان يهدي المؤمنين الى الطريق المستقيم ورحمة رحم الله به عباده المؤمنين فانقذهم به من الضلالة والهلكة لقوم يؤمنون يقول هو بصائر من الله وهدى ورحمة لمن آمن يقول لمن صدق بالقرآن انه تنزيل الله ووحيه وعمل بما فيه دون من كذب به وجحده وكفر به بل هو على الذين لا يؤمنون به غم وخزي ۞ القول في تأويل قوله (واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون) يقول تعالى ذكره للمؤمنين به المصدقين بكتابه الذين القرآن لهم هدى ورحمة لقوم يؤمنون اذا قرئ عليكم أيها المؤمنون القرآن فاستمعوا له يقول اصغوا له سمعكم لتتفهموا آياته وتعتبروا بمواعظه وانصتوا اليه لتعقلوه وتتدبروه ولا تلغوا فيه فلا تعقلوه لعلكم ترحمون يقول ليرحمكم ربكم باتعاظكم بمواعظه واعتباركم بعبره واستعمالكم ما بينه لكم ربكم من فرائضه في آيه ثم اختلف أهل التأويل في الحال التي أمر الله بالاستماع لقارئ القرآن اذا قرأ والانصات له فقال بعضهم ذلك حال كون المصلي في الصلاة خلف امام يأتم به وهو يسمع قراءة الامام عليه ان يسمع لقراءته وقالوا في ذلك أنزلت هذه الآية ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو بكر بن عياش عن عاصم عن المسيب بن رافع قال كان عبد الله يقول كنا يسلم بعضنا على بعض في الصلاة سلام على فلان وسلام على فلان قال فجاء القرآن واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا قال ثنا حفص بن غياث عن ابراهيم الهجري عن أبي عياض عن ابي هريرة قال كانوا يتكلمون في الصلاة فلما نزلت هذه الآية واذا قرئ القرآن

المعجزات التي اقترحوها لا يقدح في الغرض لان ظهور القرآن على وفق دعواه معجزة بالغة مرة كافية في تصحيح النبوة فكان طلب الزيادة من التعنت فقال هذا يعني القرآن بصائر اطلاقا لاسم المسبب وذلك ان فيه حججا بينة تفيد القلوب بصيرة وكشفا وهدى للمستدلين الواصلين بالنظر والاستدلال الى درجة العرفان فالبصائر لاصحاب عين اليقين والهدى لارباب علم اليقين والرحمة لغيرهم من الصالحين المقلدين والجميع لقوم يؤمنون ولما عظم شأن القرآن بتلك الاوصاف علم المكلفين أدبا حسنا في بابه فقال واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا والانصات السكوت للاستماع قال العلماء ظاهر الامر للوجوب فمقتضاه أن يكون الاستماع والسكوت واجبا وقت قراءة القرآن في صلاة وغير صلاة وهو قول الحسن وأهل الظاهر وعن أبي هريرة كانوا يتكلمون في الصلاة فنزلت وقال قتادة كان الرجل يأتي وهم في الصلاة فيسالهم كم صليت وكم بقي وكانوا يتكلمون في الصلاة لحوائجهم فنزلت ثم صار سنة في غير الصلاة ان ينصت القوم اذا كانوا في مجلس يقرأ فيه القرآن وقيل نزلت في ترك الجهر بالقراءة وراء الامام لما روى عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ في الصلاة المكتوبة وقرأ أصحابه رافعين أصواتهم فخلطوا عليه صلى الله عليه وسلم فنزلت وقال سعيد بن جبير ومجاهد وعطاء وعمرو بن دينار وجماعة نزلت في الانصات عند الخطبة يوم الجمعة وزيف بان اللفظ عام فكيف يجوز قصره على قراءة القرآن في الخطبة أو على الخطبة نفسها بناء على انها قد تسمى قرآنا لاشتمالها عليه وأجيب بأن كلمة اذا لا تفيد العموم بدليل انه اذا قال لزوجته اذا دخلت الدار فانت طالق فانها لا تطلق مرة ثانية بدخول الدار مرة أخرى وبدليل ان الشافعي أوجب على المأموم ان يقرأ الفاتحة ورد بان المأموم انما يقرأ الفاتحة في حال سكتة الامام كما قال أبو سلمة للامام سكتتان فاغتنم القراءة في أيهما شئت يعني سكتة بين التكبير الى ان يقرأ وأخرى بين القراءة الى ان يركع واعترض بان سكوت الامام واجب أم لا والاول باطل بالاجماع وعلى الثاني يجوز ان لا يسكت وحينئذ يلزم ان تحصل قراءة المأموم مع قراءة الامام فيفضي الى ترك الاستماع وأيضا فهذا والآية

والآية الاخرى أمروا بالانصات حدثني أبو السائب قال ثنا حفص عن أشعث عن الزهرى قال نزلت هذه الآية فى فتى من الانصارى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما قرأ شيأ قرأه فنزلت واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا حدثنا أبو كريب قال ثنا المحاربى عن داود بن أبى هند عن بشير بن جابر قال صلى ابن مسعود فسمع ناسا يقرؤن مع الامام فلما انصرف قال اما آن لكم ان تفقهوا اما آن لكم ان تعقلوا واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا كما أمركم الله حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا الجريرى عن طلحة بن عبيد الله بن كريز قال رأيت عبيد بن عمير وعطاء بن أبى رباح يتحدثان والقاصى يقص فقلت ألا تستمعان الى الذكر وتستوجبان الموعود قال فنظرا الى ثم اقبلا على حديثهما قال فاعدت فنظرا الى ثم اقبلا على حديثهما قال فاعدت الثالثة قال فنظرا الى فقالا انما ذلك فى الصلاة واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا حدثنى العباس بن الوليد قال أخبرنى أبى قال سمعت الاوزاعى قال ثنا عبد الله بن عامر قال ثنى زيد بن أسلم عن أبيه عن أبى هريرة عن هذه الآية واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا قال نزلت فى رفع الاصوات وهم خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الصلاة حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى هاشم بن كثير عن مجاهد فى قوله واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا قال فى الصلاة حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الرحمن بن مهدى عن رجل عن قتادة عن سعيد بن المسيب واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا فى الصلاة حدثنا ابن كريب قال ثنا ابن ادريس قال ثنا ليث عن مجاهد واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا قال فى الصلاة حدثنا أبو المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة قال سمعت حميد الاعرج قال سمعت مجاهدا يقول فى هذه الآية واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا قال فى الصلاة قال ثنى عبد الصمد قال ثنا شعبة قال ثنا حميد عن مجاهد بمثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير وابن ادريس عن ليث عن مجاهد واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا قال فى الصلاة المكتوبة قال ثنا المحاربى عن ليث عن مجاهد وعن حجاج عن القاسم بن ابى بزة عن مجاهد عن ابن أبى ليلى عن الحكم عن سعيد بن جبير واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا قال فى الصلاة المكتوبة قال ثنا ابى عن سفيان عن ابى هاشم عن مجاهد فى الصلاة المكتوبة قال ثنا أبى عن سفيان عن ليث عن مجاهد مثله قال ثنا المحاربى وأبو خالد عن جويبر عن الضحاك قال فى الصلاة المكتوبة قال ثنا جرير وابن فضيل عن مغيرة عن ابراهيم قال فى الصلاة المكتوبة ثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا قال كانوا يتكلمون فى صلاتهم بحوائجهم أول ما فرضت عليهم فانزل الله ما تسمعون واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا قال كان الرجل يأتى وهم فى الصلاة فيسألهم كم صليتم كم بقى فانزل الله واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا وقال غيره كانوا يرفعون أصواتهم فى الصلاة حين يسمعون ذكر الجنة والنار فانزل الله واذا قرئ القرآن حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو خالد والمحاربى عن أشعث عن الزهرى قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ ورجل يقرأ فنزلت واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا قال ثنا أبو خالد الاحمر عن الهجرى عن أبى

السكوت ليس له حد محدود والمأمومون مختلفون ببطء القراءة وسرعتها فربما لا يتمكن المأموم من اتمام قراءة الفاتحة فى مقدار سكوت الامام فيلزم المحذور المذكور وأيضا الامام فى هذا السكوت يصير كالتابع للمأموم وذلك غير جائز قال الواحدى الانصات هو ترك الجهر عند العرب وان كان يقرأ فى نفسه اذا لم يسمع أحدا ورد عليه ان غاية توجيهه هو ان الانصات مع قراءة الامام ممكن لكن امكان حصول الاستماع مع قراءته ممنوع فان الاستماع عبارة عن كونه بحيث يحيط بذلك الكلام المسموع على الوجه الكامل ولعل الانصاف ان الاستماع على تقدير الانصات المفسر ممكن ان يحصل مع قراءة الامام هذا وقد سلم كثير من الفقهاء عموم اللفظ الا انهم جوزوا تخصيص عموم القرآن بخبر الواحد وذلك ههنا قوله صلى الله عليه وآله لا صلاة الا بفاتحة الكتاب وذهب الامام مالك وهو القول القديم للشافعى انه لا يجوز للمأموم قراءة الفاتحة فى الصلاة الجهرية عملا بمقتضى هذا النص ويجب عليه القراءة فى الصلاة السرية لان الآية لا دلالة لها على هذه الحالة وفى الآية تفسير آخر وهو ان الخطاب فى الآية مع الكفار وذلك ان كون القرآن بصائر وهدى ورحمة لا يظهر الا بشرط مخصوص وهو ان النبى اذا قرأ عليهم القرآن عند نزوله استمعوا له وأنصتوا ليقفوا على مراتبه ومعانيه فيعترفوا باعجازه ويستغنوا بذلك عن طلب سائر المعجزات ومما يؤكد هذا التفسير قوله فى آخر الآية لعلكم ترحمون والترجى انما يناسب حال الكفار لا حال المؤمنين الذين حصل لهم الرحمة جزما فى قوله ورحمة لقوم يؤمنون ويمكن ان يجاب بان الاطماع من الكريم واجب فلم يبق الفرق وقيل المراد باستماع القرآن العمل بما فيه

ثم أمر نبيه وأمته بتبعيته صلى الله عليه وسلم بالذكر العام قرآنا كان أو غيره على سبيل الدوام وذلك ان استماع القرآن كان كالذكر الخفى فقال واذكر ربك فى نفسك وفى الآية قيود الاول تخصيصه اسم الرب دون الاله وغيره تنبيها على ان سبب الذكر هو التربية والانعام وليدل على الطمع والرجاء والثانى ذكر الرب فى النفس ليكون ادخل فى الاخلاص وأبعد عن الرياء وقيل ذكره فى النفس هو ان يكون عارفا

عياض عن أبي هريرة قال كانوا يتكلمون في الصلاة فلما نزلت واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا قال هذا في الصلاة قال ثنا أبي عن حريث عن عامر قال في الصلاة المكتوبة **حدثني** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا قال اذا قرئ في الصلاة **حدثني** المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنا معاوية عن علي عن ابن عباس قوله واذا قرئ القرآن فاستمعوا له يعني في الصلاة المفروضة **حدثنا** الحسن بن يحيي قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن أبي هاشم عن مجاهد قال هذا في الصلاة في قوله واذا قرئ القرآن فاستمعوا له قال أخبرنا الثوري عن ليث عن مجاهد انه كره اذا مر الامام بآية خوف أو بآية رحمة أن يقول أحد ممن خلفه شيأ قال السكوت قال أخبرنا الثوري عن ليث عن مجاهد قال لا باس اذا قرأ الرجل في غير الصلاة ان يتكلم **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون قال هذا اذا قام الامام للصلاة فاستمعوا له وانصتوا **حدثني** المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن يونس عن الزهري قال لا يقرأ من وراء الامام فيما يجهر به من القراءة تكفيهم قراءة الامام وان لم يسمع صوته ولكن هم يقرؤن فيما لم يجهر به سرا في أنفسهم ولا يصلح لاحد خلفه ان يقرأ معه فيما يجهر به سرا ولا علانية قال الله واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون **حدثني** المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن لهيعة عن ابن هبيرة عن ابن عباس انه كان يقول في هذه واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة هذا في المكتوبة واما ما كان من قصص أو قراءة بعد ذلك فانما هي نافلة ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قرأ في صلاة مكتوبة وقرأ أصحابه وراءه فخلطوا عليه قال فنزل القرآن واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون فهذا في المكتوبة وقال آخرون بل عني بهذه الآية الامر بالانصات للامام في الخطبة اذا قرئ القرآن في خطبة ذكر من قال ذلك **حدثنا** تميم بن المنتصر قال ثنا اسحق الازرق عن شريك عن سعيد بن مسروق عن مجاهد في قوله واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا قال الانصات للامام يوم الجمعة **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبو خالد وابن أبي عتبة عن العوام عن مجاهد قال في خطبة يوم الجمعة وقال آخرون عني بذلك الانصات في الصلاة وفي الخطبة ذكر من قال ذلك **حدثني** ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور قال سمعت ابراهيم ابن أبي حمزة يحدث انه سمع مجاهدا يقول في هذه الآية واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا قال في الصلاة والخطبة يوم الجمعة **حدثنا** ابن حميد قال ثنا هرون عن عنبسة عن جابر عن عطاء قال وجب الصموت في اثنتين عند الرجل يقرأ القرآن وهو يصلي وعند الامام وهو يخطب **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن جابر عن مجاهد واذا قرئ القرآن وجب الانصات قال وجب في اثنتين في الصلاة والامام يقرأ والجمعة والامام يخطب **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال هشيم أخبرنا من سمع الحسن يقول في الصلاة المكتوبة وعند الذكر **حدثنا** الحسن بن يحيي قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن جابر عن مجاهد قال وجب الانصات في اثنتين في الصلاة ويوم الجمعة **حدثني** المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن بقية بن الوليد قال سمعت ثابت بن عجلان يقول سمعت سعيد بن جبير يقول في قوله واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا قال الانصات يوم الاضحى ويوم الفطر ويوم الجمعة وفيما يجهر به الامام من الصلاة **حدثني** المثنى

قال

بمعاني الاسماء التي يذكرها بلسانه قال بعض المتكلمين الذكر النفساني هو الكلام النفسي الذي يثبته الاشاعرة الثالث والرابع قوله تضرعا وخيفة أي متضرعا وخائفا فالتضرع لاظهار ذلة العبودية والخوف اما خوف العقاب وهو مقام المذنبين واما خوف الجلال وهو مقام العارفين فاذا كوشفوا بالجمال عاشوا واذا كوشفوا بالجلال طاشوا واما خوف الخاتمة بل خوف السابقة فانها علة الخاتمة الخامس قوله ودون الجهر من القول والمراد ان يقع ذلك الذكر متوسطا بين الجهر والاخفاء قال ابن عباس هو ان يذكر ربه على وجه يسمع نفسه وانما أخر هذا عن الذكر القلبي لان الخيال يتأثر من الذكر القلبي فيوجب قوة في النفس ولا يزال يتزايد في ذلك الى أن يجري الذكر على لسانه بل يسري في جميع أعضائه وجوارحه واركانه سريانا معتدلا خاليا عن التكلف بريئا من التعسف السادس قوله بالغدو والآصال والغدو مصدر غدا يغدو والمراد وقت الغدو كما يقال دنا الصباح اى وقته وقيل انه جمع غدوة وأما الآصال فانها جمع الاصيل وهو الوقت بعد العصر الى المغرب وقد يقال اشتقاقه من الاصل واليوم بليلته انما يبدأ في الشرع من أول الليل فسمي آخر النهار أصيلا لكونه ملاصقا لما هو الاصل في اليوم الثاني وخص هذان الوقتان بالذكر لان الغدو عندما ينقلب الحيوان من النوم الذي هو كالموت الى اليقظة التي هي كالحياة والعالم يتحول من الظلمة التي هي طبيعة عدمية الى النور الذي هو طبيعة وجودية والآصال الامر بالضد وهذا النوعان من التغير العجيب دليلان قاهران باهران على وجود صانع قدير وحكيم خبير فوجب أن يكون المكلف فيهما مشتغلا بالذكر والحضور ويمكن ان يكون المراد مداومة الذكر والمواظبة عليه بقدر الامكان السابع قوله ولا تكن من الغافلين وفيه اشارة الى ان الذكر العلي يجب ان يداوم عليه ولا يزال الانسان يستحضر جلال الله وكبرياءه بحسب الطاقة البشرية ليتنور جوهر النفس ويستعد لقبول الاشراقات القدسية فيضاهي سكان شغاف الجبروت الذين مدحهم الله بقوله ان الذين عند ربك ومعنى عند دنو الشرف والقرب من

قال ثنا عمرو بن حماد قال أخبرنا هشيم عن الربيع بن صبيح عن الحسن قال في الصلاة وعند الذكر حدثنا ابن البرقي قال ثنا ابن أبي مريم قال ثنا يحيى بن أيوب قال ثني ابن جريج عن عطاء بن أبي رباح قال أوجب الانصات يوم الجمعة قول الله تعالى واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون وفي الصلاة مثل ذلك * وأولى الاقوال في ذلك بالصواب قول من قال أمروا باستماع القرآن في الصلاة اذا قرأ الامام وكان من خلفه ممن يأتم به يسمعه وفي الخطبة وانما قلنا ذلك أولى بالصواب لصحة الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا قرأ الامام فانصتوا واجماع الجميع على ان من سمع خطبة الامام ممن عليه الجمعة الاستماع والانصات لها مع تتابع الاخبار بالامر بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه لا وقت يجب على أحد استماع القرآن والانصات لسامعه من قارئه الا في هاتين الحالتين على اختلاف في احداهما وهي حالة أن يكون خلف امام مؤتم به وقد صح الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما ذكرنا من قوله اذا قرأ الامام فانصتوا فالانصات خلفه لقراءته واجب على من كان به مؤتما سامعا قراءته بعموم ظاهر القرآن والخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ۞ القول في تأويل قوله (واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين) يقول تعالى ذكره واذكر أيها المستمع المنصت للقرآن اذا قرئ في صلاة أو خطبة ربك في نفسك يقول اتعظ بما في آي القرآن واعتبر به وتذكر معادك اليه عند سماعكه تضرعا يقول افعل ذلك تخشعا لله وتواضعا له وخيفة يقول وخوفا لله من أن يعاقبك على تقصير يكون في الاتعاظ به والاعتبار وغفلة عما بين الله فيه من حدوده ودون الجهر من القول يقول ودعاء باللسان لله في خفاء لا جهار يقول ليكن ذكر الله عند استماعك القرآن في دعاء ان دعوت غير جهار ولكن في خفاء من القول كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر لا يجهر بذلك حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد قال سمعت مجاهدا يقول في قوله واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول الآية قال أمروا ان يذكروه في الصدور وتضرعا وخيفة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن التيمي عن أبيه عن حيان بن عمير عن عبيد بن عمير في قوله واذكر ربك في نفسك قال يقول الله اذا ذكرني عبدي في نفسه ذكرته في نفسي واذا ذكرني عبدي وحده ذكرته وحدي واذا ذكرني في ملا ذكرته في أحسن منهم وأكرم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة قال يؤمر بالتضرع في الدعاء والاستكانة ويكره رفع الصوت والنداء والصياح بالدعاء وأما قوله بالغدو والآصال فانه يعني بالبكر والعشيات وأما الآصال فجمع واختلف أهل العربية فيها فقال بعضهم هي جمع أصيل كما الايمان جمع يمين والاسرار جمع سرير وقال آخرون منهم هي جمع أصل والاصل جمع أصيل وقال آخرون منهم هي جمع أصل وأصيل قال وان شئت جعلت الاصل جمعا للاصيل وان شئت جعلته واحدا وقال العرب تقول قد دنا الاصل فجعلونه واحدا وهذا القول أولى بالصواب في ذلك وهو انه جائز أن يكون جمع أصيل وأصل لانهما قد يجمعان على أفعال وأما الآصال فهي فيما يقال في كلام العرب ما بين العصر الى المغرب وأما قوله ولا تكن من الغافلين فانه يقول ولا تكن من اللاهين اذا قرئ القرآن عن عظاته وعبره وما فيه من عجائبه ولكن تدبر ذلك وتفهمه واشعره قلبك بذكر الله وخضوع له وخوف من

عنايته وألطافه لا يستكبرون عن عبادته فيداومون على ذلك ويسبحونه ينزهونه وينزهونه عن كل سوء وهذا يرجع الى المعارف وله يسجدون بحضرته بغاية الخضوع والاستكانة وهذا يعود الى أعمال الجوارح وفي هذا الترتيب دليل على ان الاصل في الطاعة والعبودية أعمال القلوب ويتفرع عليه أعمال الجوارح والمقصود من الآية ان الملائكة مع غاية طهارتهم ونهاية عصمتهم وبراءتهم عن بواعث الشهوة والغضب ودواعي الحقد والحسد يواظبون على العبودية والطاعة فالانسان مع كونه مبتلى بظلمات عالم الطبيعة وكدورات الزلات البشرية أولى بان يداوم على ذكر معبوده وينجذب ما أمكن الى العالم العقلي ومقره الاصلي ويصفي مرآة قلبه عن اصداء الهواجس وينتقش بالجلايا القدسية والمعارف الحقة والله ولي التوفيق * التأويل وأمر بالعرف وهو طالب الحق لانه معروف العارفين وأعرض عن الجاهلين الذين يطلبون غير الله من الشيطان نزغ في طلب غير الله فاستعذ بالله من طلب غير الله ان الذين اتقوا هم أرباب القلوب فان التقوى من شأن القلب كما قال صلى الله عليه وسلم التقوى ههنا وأشار الى صدره طائف من الشيطان نزغ من العمل الشيطاني يراه القلب بنور التقوى ويعرفه فيذكر وانه يفسده ويكدر صفاءه فيجتنبه واخوانهم يعني اخوان القلوب وهم النفوس الامارة واذا لم تأتهم أي لم تأت القلوب بآية من الله لتعجز النفوس عن تكذيبها قالوا أي النفوس للقلب لولا اختلقتها من خاصيتك فلبيتك لتزكية النفوس قل انما اتبع الهام الحق فلا أقدر على تزكية النفوس الا بقوة الالهام الرباني فاستمعوا بآذانكم الظاهرة وأنصتوا بألسنتكم الباطنة لعلكم ترحمون بالاستماع بالسمع الحقيقي وذلك قوله كنت له سمعا وبصرا فبي يسمع من سمع القرآن من بارئه فقد سمع من قارئه وهذا سر الرحمن علم القرآن فهو المستمع لخطاب واذكر ربك في نفسك بأن تبدل أخلاقها بأخلاق الله تضرعا في البداية وهو من باب التكلف وخيفة في الوسط ودون الجهر من القول في النهاية وهو مقام الفناء فان [illegible] الربوبية تفرق في غدو الازل وآصال الابد فان الذاكر

والذكر والمذكور وهو الله ولهذا قال فى الازل فاذكرونى أذكركم ومن هنا قال يوسف بن الحسين الرازى ما قال أحد الله الا الله ولا تكون من الغافلين الذين لا يعلمون ان الذاكر والذكر والمذكور وهو الله ان الذين عند ربك وهم الذين بقوا ببقاء الله لا يستكبرون عن عبادته لانهم أفنوا اخلاقهم فى اخلاقه يسبحونه

ينزهونه عن الحلول والاتصال والاتحاد وله يسجدون فى الوجود والعدم من الازل الى الابد منه المبدأ واليه المنتهى الله حسبى

(سورة الانفال مدنية الا سبع آيات من قوله واذ يمكر بك الى قوله يحشرون حروفها ٥٢٩٤ كلمها ١٢٣١ آياتها خمس وسبعون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون يجادلونك فى الحق بعد ما تبين كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون واذ يعدكم الله احدى الطائفتين أنها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله ان يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين وما جعله الله الا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم) القراآت مردفين بفتح الدال أبو جعفر وسهل ويعقوب وابن مجاهد وأبو عون عن قنبل الباقون بالكسر

قدرة الله عليك ان أنت غفلت عن ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله بالغدو والآصال قال بالبكر والعشى ولا تكن من الغافلين حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا معرف بن واصل السعدى قال سمعت أبا وائل يقول لغلامه عند مغيب الشمس آصلنا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال ابن جريج قال مجاهد قوله بالغدو والآصال قال الغدو آخر الفجر صلاة الصبح والآصال آخر العشى صلاة العصر قال وكل ذلك لها وقت أول الفجر وآخره وذلك مثل قوله فى سورة آل عمران واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشى والابكار وقيل ميل الشمس الى أن تغيب والابكار أول الفجر حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن محمد بن شريك عن ابن أبى مليكة عن ابن عباس سئل عن صلاة الفجر فقال انها لفى كتاب الله ولا يقوم عليها ثم قرأ فى بيوت أذن الله أن ترفع الآية حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سويد قال ثنا سعيد عن قتادة واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة الى قوله بالغدو والآصال أمر الله بذكره ونهى عن الغفلة أما بالغدو فصلاة الصبح والآصال بالعشى ۞ القول فى تأويل قوله (ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون) يقول تعالى ذكره لا تستكبر أيها المستمع المنصت للقرآن من عبادة ربك وذكره اذا قرئ القرآن تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول فان الذين عند ربك من ملائكته لا يستكبرون عن التواضع له والتخشع وذلك هو العبادة ويسبحونه يقول ويعظمون ربهم بتواضعهم له وعبادتهم وله يسجدون يقول ولله يصلون وهو سجودهم فصلوا أنتم أيضا له وعظموه بالعبادة كما يفعله من عنده من ملائكته

(القول فى تفسير السورة التى يذكر فيها الانفال)

۞(بسم الله الرحمن الرحيم)۞

۞ القول فى تأويل قوله (يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول) اختلف أهل التأويل فى معنى الانفال التى ذكرها الله فى هذا الموضع فقال بعضهم فى الغنائم وقالوا معنى الكلام يسألك أصحابك يا محمد عن الغنائم التى غنمتها أنت وأصحابك يوم بدر لمن هى فقل لله ولرسوله ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا وكيع قال ثنا سويد بن عمرو عن حماد بن زيد عن عكرمة يسئلونك عن الانفال قل الانفال الغنائم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله يسألونك عن الانفال قل الانفال الغنائم حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال الانفال الغنم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو خالد الاحمر عن جويبر عن الضحاك يسألونك عن الانفال قال الغنائم حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول حدثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله الانفال قال يعنى الغنائم حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله يسألونك عن الانفال قال الانفال الغنائم حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس يسألونك عن الانفال والانفال الغنائم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله يسألونك عن الانفال قال الانفال الغنائم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد الانفال الغنائم حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا ابن المبارك عن ابن جريج عن عطاء يسألونك عن الانفال قال الغنائم وقال آخرون

* الوقوف عن الانفال ط والرسول ج لعطف المختلفين مع الفاء ذات بينكم ص مؤمنين ه يتوكلون ه ج لاحتمال جعل الذين مبتدأ أو وصل أولى فيكون الوقف على ينفقون ويكون الثناء بحقيقة الايمان منحصرا الى قوله هم المؤمنون حقا ط كريم ه ج لمجىء فى التفسير بالحق ص لطول الكلام لكارهين ه لا ينظرون ه الكافرين ه

المجرمون ٥ ج لاحتمال كون أذ متعلقا بمحذوف وهو اذكر أو بقوله ويحق مردفين ٥ قلوبكم ج لابتداء النفي مع احتمال الحال عند الله ط حكيم ٥ * التفسير روى عكرمة عن ابن عباس لما كان يوم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فعل كذا فله كذا فذهب شبان الرجال وجلس الشيوخ تحت الرايات فلما كانت القسمة جاء الشبان يطلبون نفلهم (١٠٧) وقالت الشيوخ لا تستأثروا علينا فانا كنا تحت الرايات ولو انهزمتم كنا ردأ لكم فانزل الله تعالى يسألونك عن الانفال فقسمها بينهم بالسواء وعن عبادة بن الصامت قال لما هزم العدو يوم بدر واتبعتهم طائفة يقتلونهم أحدقت طائفة برسول الله صلى الله عليه وسلم واستولت طائفة بالعسكر و النهب فلما نفى الله العدو ورجع الذين طلبوهم وقالوا لنا النفل نحن طلبنا العدو وبنا نفاهم الله وهزمهم وقال الذين أحدقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم والله ما أنتم باحق به منا أحدقنا برسول الله لا ينال العدو منه صلى الله عليه وسلم غرة وقال الذين استولوا على العسكر والنهب نحن أخذنا واستولينا عليه فهو لنا فنزلت الآية فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم بالسواء وعن سعد بن أبي وقاص لما كان يوم بدر قتل أخي عمير وقتلت سعيد بن العاص فاخذت سيفه فاعجبني فجئت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان الله قد شفى صدري من المشركين فهب لي هذا السيف فقال ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض أي في المقبوض من الغنائم فطرحته وبي ما لا يعلمه الا الله من قتل أخي وأخذ سلبي فما جاوزت الا قليلا حتى جاءني رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أنزلت سورة الانفال فقال يا سعد انك سألتني السيف وليس لي وانه الآن قد صار لي فاذهب فخذه والنفل بالتحريك العطية وجمعه الانفال وهي الاموال المأخوذة من الكفار قهرا قال الازهري هو ما كان زيادة على الاصل فسميت الغنائم بذلك لان المسلمين فضلوا بها على سائر الامم الذين لم تحل الغنائم لهم وصلاة التطوع نافلة لانها زائدة على الفرض وقال تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة أي زيادة على ما سأل والضمير في يسألونك عائد الى جمع معينين من الصحابة لهم تعلق بالغنائم كما قررنا وحسن العود وان لم يجر لهم ذكر في اللفظ لدلالة

هي أنفال السرايا ذكر من قال ذلك حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا علي بن صالح بن حي قال بلغني في قوله يسألونك عن الانفال قال السرايا وقال آخرون الانفال ما شذ من المشركين الى المسلمين من عبد أو دابة وما أشبه ذلك ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح عن عبد الملك عن عطاء في قوله يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول قال هو ما شذ من المشركين الى المسلمين بغير قتال دابة أو عبد أو متاع ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم يصنع فيه ما شاء حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن عبد الملك عن عطاء يسألونك عن الانفال قال هي ما شذ من المشركين الى المسلمين بغير قتال من عبد أو أمة أو متاع أو نفل فهو للنبي صلى الله عليه وسلم يصنع فيه ما شاء قال ثنا عبد الاعلى عن معمر عن الزهري ان ابن عباس سئل عن الانفال فقال السلب والفرس حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ويقال الانفال ما أخذ مما سقط من المتاع بعد ما تقسم الغنائم فهي نفل لله ولرسوله حدثني القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج أخبرني عثمان بن أبي سليمان عن محمد بن شهاب ان رجلا قال لابن عباس ما الانفال قال الفرس والدرع والرمح حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا عبد الوارث بن سعيد قال قال ابن جريج قال عطاء الانفال الفرس الشاذ والدرع والثوب حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الزهري عن ابن عباس قال كان تنفل الرجل فرس الرجل وسلبه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني مالك عن ابن شهاب عن القاسم بن محمد قال سمعت رجلا سأل ابن عباس عن الانفال فقال ابن عباس الفرس من النفل والسلب من النفل ثم عاد لمسألته فقال ابن عباس ذلك أيضا ثم قال الرجل الانفال التي قال الله في كتابه ما هي قال القاسم فلم يزل يسأله حتى كاد يحرجه فقال ابن عباس أتدرون ما مثل هذا مثل صبيغ الذي ضربه عمر بن الخطاب رضي الله عنه حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهري عن القاسم بن محمد قال قال ابن عباس كان عمر رضي الله عنه اذا سئل عن شيء قال لا آمرك ولا أنهاك ثم قال ابن عباس والله ما بعث الله نبيه عليه السلام الا زاجرا آمرا محلا محرما قال القاسم فسلط على ابن عباس رجل يسأله عن الانفال فقال ابن عباس كان الرجل ينفل فرس الرجل وسلاحه فاعاد عليه الرجل فقال له مثل ذلك ثم أعاد عليه حتى أغضبه فقال ابن عباس أتدرون ما مثل هذا مثل صبيغ الذي ضربه عمر حتى سالت الدماء على عقبيه أو على رجليه فقال الرجل أما أنت فقد انتقم الله لعمر منك حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا ابن المبارك عن عبد الملك عن عطاء يسألونك عن الانفال قال يسألونك فيما شذ من المشركين الى المسلمين في غير قتال من دابة أو عبد فهو للنبي صلى الله عليه وسلم وقال آخرون النفل الخمس الذي جعله الله لاهل الخمس ذكر من قال ذلك قال حدثني الحرث ثنا عبد العزيز قال ثنا عبد الوارث بن سعيد عن ابن أبي نجيح عن مجاهد يسألونك عن الانفال قال هو الخمس قال المهاجرون لم يرفع منا هذا الخمس لم يخرج منا فقال الله هو لله والرسول حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا عباد بن العوام عن الحجاج عن ابن جريج عن مجاهد انهم سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن الخمس بعد الاربعة الاخماس فنزلت يسألونك عن الانفال * وأولى هذه الاقوال بالصواب في معنى الانفال قول من قال هي زيادات يزيدها الامام بعض الجيش أو جميعهم اما من سهمه على حقوقهم من القسمة واما مما وصل اليه بالنفل أو

بيعض أسبابه ترغيباله وتحريضالمن معه من جيشه على ما فيه صلاحهم وصلاح المسلمين أوصلاح أحد الفريقين وقد يدخل فى ذلك ما قال ابن عباس من انه الفرس والدرع ونحو ذلك ويدخل فيه ما قاله عطاء من ان ذلك ما عاد من المشركين الى المسلمين من عبد أو فرس لان ذلك أمره الى الامام اذا لم يكن ما وصلوا اليه لغلبة وقهر يفعل ما فيه صلاح أهل الاسلام وقد يدخل فيه ما غلب عليه الجيش بقهر وانما قلنا ذلك أولى بالصواب لان النفل فى كلام العرب انما هو الزيادة على الشئ يقال منه نفلتك كذا وأنفلتك اذا زدتك والانفال جمع نفل ومنه قول لبيد بن ربيعة

ان تقوى ربنا خير نفل * وباذن الله ريثى وعجل

فاذ كان معناه ما ذكرنا فكل من زيد من مقاتلة الجيش على سهمه من الغنيمة ان كان ذلك لبلاء أبلاه أو لغناء كان منه عن المسلمين بتنفيل الوالى ذلك اياه فيصير حكم ذلك له كالسلب الذى يسلبه القاتل فهو منفل ما زيد من ذلك لان الزيادة وان كانت مستوجبة فى بعض الاحوال بحق ليست من الغنيمة التى تقع فيها القسمة وكذلك كل ما رضخ لمن لا سهم له فى الغنيمة فهو نفل لانه وان كان مغلوبا عليه فليس مما وقعت عليه القسمة فالفصل اذ كان الامر على ما وصفنا بين القسمة والنفل أن الغنيمة هى ما أفاء الله على المسلمين من أموال المشركين بغلبة وقهر نفل منه منفل أو لم ينفل والنفل هو ما أعطيه الرجل على البلاء والغناء عن الجيش على غير قسمة واذ كان ذلك معنى النفل فتاويل الكلام يسألك أصحابك يا محمد عن الفضل من المال الذى تقع فيه القسمة من غنيمة كفار قريش الذين قتلوا ببدر لمن هو قل لهم يا محمد هو لله ولرسوله دونكم يجعله حيث شاء واختلف فى السبب الذى من أجله نزلت هذه الآية فقال بعضهم نزلت فى غنائم بدر لان النبى صلى الله عليه وسلم كان نفل أقواما على بلاء فابلى أقوام وتخلف آخرون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاختلفوا فيها بعد انقضاء الحرب فانزل الله هذه الآية على رسوله يعلمهم ان ما فعل فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فماض جائز ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا معتمر بن سليمان قال سمعت داود بن أبى هند يحدث عن عكرمة عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من أتى مكان كذا وكذا فله كذا وكذا أو فعل كذا وكذا فله كذا وكذا فتسارع اليه الشبان وبقى الشيوخ عند الرايات فلما فتح الله عليهم جاؤا يطلبون ما جعل لهم النبى صلى الله عليه وسلم فقال لهم الاشياخ لا تذهبوا به دوننا فانزل الله عليه الآية فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم حدثنا المثنى قال ثنا عبد الاعلى وحدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود عن عكرمة عن ابن عباس قال لما كان يوم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صنع كذا وكذا فله كذا وكذا قال فتسارع فى ذلك شبان الرجال وبقيت الشيوخ تحت الرايات فلما كان الغنائم جاؤا يطلبون الذى جعل لهم فقالت الشيوخ لا تستأثروا علينا فانا كنا ردأ لكم وكنا تحت الرايات ولو انكشفتم انكشفتم الينا فتنازعوا فانزل الله يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين حدثنى اسحق بن شاهين قال ثنا خالد بن عبد الله عن داود عن عكرمة عن ابن عباس قال لما كان يوم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فعل كذا فله كذا وكذا من النفل قال فتقدم الفتيان ولزم المشيخة الرايات فلم يبرحوا فلما فتح عليهم قالت المشيخة كنا ردأ لكم فلو انهزمتم انحزتم الينا لا تذهبوا بالمغنم دوننا فابى الفتيان وقالوا جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم لنا فانزل الله يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول

الحال عليهم واعظ السؤال وان كان مبهما الا ان تعيين الجواب يدل على ان المراد انهم سألوا عن الانفال كيف مصرفها ومن المستحق لها قال الزجاج انما سألوا عنها لانها كانت حراما على من كان قبلهم وضعف بان الآية دلت على انها مسبوقة بالتنازع والتنافس فسألوا عن كيفية قسمتها الا عن حلها وحرمتها وعن عكرمة ان المراد من هذا السؤال الاستعطاء أى يطالبون منك الغنائم وقال فى الكشاف النفل ما ينفله الغازى أى يعطاه زائدا على سهمه من المغنم وهو ان يقول الامام تحريضا على البلاء فى الحرب من قتل قتيلا فله سلبه أو قال لسرية ما أصبتم فهو لكم أو فلكم نصفه أو ربعه ولا يخمس النفل ويلزم الامام الوفاء بما وعد به وهذا التفسير يناسب خبر سعد بن أبى وقاص فى اعطاء السيف اياه وعن ابن عباس فى بعض الروايات ان المراد بالانفال ما شذ عن المشركين الى المسلمين من غير قتال من دابة أو عبد أو متاع فهو الى النبى صلى الله عليه وسلم يضعه حيث يشاء وعن مجاهد ان الانفال الخمس الذى جعله الله لاهل الخمس وعلى هذا فالقوم انما سألوا عن الخمس فنزلت الآية ثم أمر بالشروع فى الجواب فقال قل الانفال لله والرسول أى حكمها مختص بالله ورسوله يامر الله بقسمتها على ما تقتضيه حكمته ويمتثل الرسول أمر الله فيها وليس الامر فى قسمتها مفوضا الى رأى أحد قال مجاهد وعكرمة والسدى انها منسوخة بقوله واعلموا انما غنمتم الآية وضعف بان جعل أربعة اخماسها ملكا للغانمين لا ينافى كون الحكم فيها لله والرسول ولو فسر الانفال بالخمس أو بالسلب فلا اشكال ثم حثهم على ترك المنازعة وعلى المواخاة والمصافات فقال فاتقوا الله أى عقابه ولا تقدموا على معصيته واتركوا المنازعة والمخاصمة بسبب هذه الاموال وأصلحوا ذات بينكم أى التى هى بينكم من الاحوال حتى تكون أحوال الفة ومودة واتفاق كانت قال الاحوال الواقعة فى البين قيل لها ذات البين كان الاسرار لما كانت مضمرة فى الصدور قيل لها ذات الصدور ثم ختم الآية بقوله ان كنتم مؤمنين أى كاملى الايمان تنبيها على ان كمال الايمان موقوف على التقوى واصلاح ذات البين وطاعة الله ورسوله ثم وصف المؤمنين الكاملين فقال

قال فكان ذلك خيرا لهم وكذلك أيضا أطيعونى فانى أعلم حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا داود عن عكرمة فى هذه الآية يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول قال لما كان يوم بدر قال النبى صلى الله عليه وسلم من صنع كذا فله من النفل كذا فخرج شبان الرجال فجعلوا يصنعونه فلما كان عند القسمة قال الشيوخ نحن أصحاب الرايات وقد كنا ردأ لكم فانزل الله فى ذلك قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا يعقوب الزبيرى قال ثنى المغيرة بن عبد الرحمن عن أبيه عن سليمان بن موسى عن مكحول مولى هذيل عن أبى سلامة الباهلى عن أبى امامة عن عبادة بن الصامت قال انزل الله حين اختلف القوم فى الغنائم يوم بدر يسألونك عن الانفال الى قوله ان كنتم مؤمنين فقسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم عن سواء حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد قال ثنى عبد الرحمن بن الحرث وغيره من أصحابنا عن سليمان بن موسى الاسدى عن مكحول عن أبى امامة الباهلى قال سالت عبادة بن الصامت عن الانفال فقال فينا معشر أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا فى النفل وساءت فيه اخلاقنا فنزعه الله من أيدينا فجعله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المسلمين عن سواء يقول على السواء فكان فى ذلك تقوى الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وصلاح ذات البين وقال آخرون انما نزلت هذه الآية لان بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله من المغنم شيأ قبل قسمتها فلم يعطه اياه اذ كان شركا بين الجيش فجعل الله جميع ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنى اسمعيل بن موسى السدى قال ثنا أبو الاحوص عن عاصم عن مصعب بن سعد عن سعد قال اتيت النبى صلى الله عليه وسلم يوم بدر بسيف فقلت يا رسول الله هذا السيف قد شفى الله به من المشركين فسألته اياه فقال ليس هذا لى ولا لك قال فلما وليت قلت أخاف ان يعطيه من لم يبل بلائى فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفى قال فقلت أخاف ان يكون نزل فى شئ قال ان السيف قد صار لى قال فاعطانيه ونزلت يسئلونك عن الانفال حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو بكر قال ثنا عاصم عن مصعب بن سعد عن سعد بن مالك قال لما كان يوم بدر جئت بسيف قال فقلت يا رسول الله ان الله قد شفا صدرى من المشركين أو نحو هذا فهب لى هذا السيف فقال لى هذا ليس لى ولا لك فرجعت فقلت عسى ان يعطى هذا من لم يبل بلائى فجاءنى الرسول فقلت حدث فى حدث فلما انتهيت قال يا سعد انك سالتنى السيف وليس لى وانه قد صار لى فهو لك ونزلت يسئلونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسرائيل عن سماك بن حرب عن مصعب بن سعد عن أبيه قال أصبت سيفا يوم بدر فاعجبنى فقلت يا رسول الله هبه لى فانزل الله يسئلونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول حدثنا ابن المثنى وابن وكيع قال ابن المثنى حدثنى معاوية وقال ابن وكيع حدثنا أبو معاوية قال ثنا الشيبانى عن محمد بن عبيد الله عن سعد بن أبى وقاص قال فلما كان يوم بدر قتل أخى عمير وقتلت سعيد بن العاص وأخذت سيفه وكان يسمى ذا الكتيفة فجئت به الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال اذهب فاطرحه فى القبض فطرحته ورجعت وبى ما لا يعلمه الا الله من قتل أخى وأخذ سلبى قال فما جاوزت الا قريبا حتى نزلت عليه سورة الانفال فقال اذهب فخذ سيفك ولفظ الحديث لابن المثنى حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير وحدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة جميعا عن

انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم أى فزعت لذكره استعظاما لجلاله وحذرا من أليم عقابه وقد يطمئن القلب بعد ذلك اذا تذكر كمال رأفته وجزيل ثوابه كقوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وقيل هو الرجل يريد ان يظلم أو يهم لمعصية فيقال له اتق الله فيفزع واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا قالت العلماء زيادة الايمان تكون على أحد ثلاثة انحاء الاول بقوة الدليل وبكثرته فان كل دليل فهو مركب لا محالة من مقدمات ولا شك فى ان النفوس مختلفة فى الاشراق والانارة والاذهان متفاوتة بالذكاء والغباوة فكل من كان جزمه بالمقدمات أكثر وادوم كان علمه بالنتيجة أكمل وأتم وكذا من سنح له على المطلوب دليلان كان علمه أتم ممن لا يجد على المطلوب سوى دليل واحد ولذا اورد العلماء دلائل متعددة على مدلول واحد ولله در القائل وفى كل شئ له آية * تدل على انه واحد الثانى بتعدد التصديق وتجدده فمن المعلوم ان من صدق انسانا فى شيئين كان تصديقه أزيد من تصديق من صدقه فى شئ واحد فمعنى الآية انهم كلما سمعوا آية متجددة أتوا باقرار جديد الثالث ان يقال الايمان عبارة عن مجموع الاعتقاد والاقرار والعمل كما ينبئ عنه ظاهر الآية لانه لما ذكر الامور الخمسة قال أولئك هم المؤمنون فدل ذلك على ان كل الخصال داخلة فى مسمى الايمان ويؤيده ما رواه أبو هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال الايمان بضع وسبعون شعبة أعلاها شهادة أن لا اله الا الله وأدناها اماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان واذا كان الايمان عبارة عن مجموع الاركان الثلاثة فبسبب التفاوت فى العمل يظهر التفاوت فى الايمان وان لم يكن التفاوت فى الاقرار والاعتقاد متصورا أما قوله وعلى ربهم يتوكلون فيفيد الحصر أى لا يتوكلون الا على ربهم وهذه الصفات مرتبة على أحسن جهات الترتيب فالاولى الفزع من عقاب الله والثانية الانقياد لتكاليفه والثالثة الانقطاع بالكلية عما سواه ثم لما فرغ من اعمال القلوب وهى الخشية والتسليم والتوكل شرع فى وصفهم باعمال الجوارح وذكر منها رأسها وسنامها وهما الصلاة والصدقة ثم عظمهم بقوله أولئك هم المؤمنون حقا وفى أولئك وفى توسط الفصل وتعريف الخبر وايراد حقا من المبالغات ما لا يخفى

محمد بن اسحق قال ثنى عبدالله بن أبي بكر عن قيس بن ساعدة قال سمعت أبا أسيد بن مالك بن ربيعة يقول أصبت سيف ابن عائذ يوم بدر وكان السيف يدعى المرزبان فلما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يردوا ما في أيديهم من النفل أقبلت به فالقيته في النفل وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمنع شيأ يسأله فرآه الارقم ابن أبي الارقم المخزومي فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعطاه اياه حدثني يحيى بن جعفر قال ثنا أحمد بن أبي بكر عن يحيى بن عمران عن جده عثمان بن الارقم عن عمه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ردوا ما كان من الانفال فوضع أبو أسيد الساعدي سيف ابن عائذ المرزبان فعرفه الارقم فقال هبه لي يارسول الله قال فاعطاه حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن سماك بن حرب عن مصعب بن سعد عن أبيه قال أصبت سيفا قال فاتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله نفلنيه فقال ضعه ثم قام فقال يارسول الله نفلنيه قال ضعه قال ثم قام فقال يارسول الله نفلنيه أجعل كمن لا غناء له فقال النبي صلى الله عليه وسلم ضعه من حيث أخذته فنزلت هذه الآية يسئلونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن سماك عن مصعب بن سعد عن سعد قال أخذت سيفا من المغنم فقلت يارسول الله هب لي هذا فنزلت يسئلونك عن الانفال حدثني الحرث قال ثنا عبدالعزيز قال ثنا اسرائيل عن ابراهيم بن مهاجر عن مجاهد في قوله يسئلونك عن الانفال قال قال سعد كنت أخذت سيف سعيد بن العاص بن أمية فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت أعطني هذا السيف يارسول الله فسكت فنزلت يسئلونك عن الانفال الى قوله ان كنتم مؤمنين قال فاعطانيه رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقال آخرون بل نزلت لان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سألوا قسمة الغنيمة بينهم يوم بدر فاعلمهم الله ان ذلك لله ولرسوله دونهم ليس لهم فيه شئ وقالوا معنى عن في هذا الموضع من وانما معنى الكلام يسئلونك من الانفال وقالوا قد كان ابن مسعود يقرأه يسئلونك الانفال على هذا التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن الاعمش قال كان أصحاب عبدالله يقرؤنها يسألونك الانفال حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربي عن جويبر عن الضحاك قال هي في قراءة ابن مسعود يسألونك الانفال ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن علي عن ابن مسعود قوله يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول قال الانفال المغانم كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خالصة ليس لاحد منها شئ ما أصاب سرايا المسلمين من شئ أتوه به فمن حبس منه ابرة أو سلكا فهو غلول فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعطيهم منها قال الله يسألونك عن الانفال قل الانفال لي جعلتها لرسولي ليس لكم فيها شئ فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين ثم أنزل الله واعلموا انما غنمتم من شئ فان لله خمسه وللرسول ثم قسم ذلك الخمس لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن سمى في الآية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج يسئلونك عن الانفال قال نزلت في المهاجرين والانصار ممن شهد بدرا قال واختلفوا فكانوا أثلاثا قال فنزلت يسئلونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول وملكه الله رسوله فقسمه كما أراه الله حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا عباد بن العوام عن الحجاج بن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان الناس سألوا النبي صلى الله عليه وسلم الغنائم يوم بدر فنزلت يسئلونك عن الانفال

وحقا صفة مصدر محذوف أي ايمانا حقا وهو مصدر مؤكد للجملة قبله وقال الفراء معناه أخبركم بذلك اخبارا حقا وقيل انه منوط بما بعده أي حقا لهم درجات واعلم ان الائمة اتفقوا على ان الرجل المؤمن يجوز له ان يقول أنا مؤمن ثم اختلفوا في انه هل يجوز له ان يضيف اليه حقا أولا بل يستثني فيقول ان شاء الله والاول مذهب أبي حنيفة لما ورد في الآية ولان الشك في الايمان لا يجوز لان التصديق والاقرار كلاهما محقق والثاني مذهب أصحاب الشافعي وأجابوا عن الآية بانه لا نزاع في ان الموصوف بالصفات المذكورة مؤمن حقا انما النزاع في ان القائل أنا مؤمن هل هو موصوف بتلك الصفات جزما أم لا وأما حديث الشك فمبني على ان الايمان عبارة عن الاركان الثلاثة ولا ريب ان كون الانسان آتيا بالاعمال الصالحة أمر مشكوك فيه والشك في أحد اجزاء الماهية يوجب الشك في حصول تلك الماهية فاذن النزاع لفظي على انا لا نسلم ان الاستثناء لاجل الشك وانما هو لزوال العجب ولعدم القطع بحسن الخاتمة ولنوع من الادب ففيه تفويض الامر الى علم الله وحكمه كقوله لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين وانه تعالى منزه عن الشك والريب عن الحسن ان رجلا سأله أمؤمن أنت قال الايمان ايمانان فان كنت تسالني عن الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب فانا مؤمن وان كنت تسالني عن قوله انما المؤمنون فوالله لا أدري أمنهم أنا أم لا وعن الثوري من زعم انه مؤمن بالله حقا ثم لم يشهد انه من أهل الجنة فقد آمن بنصف الآية وهذا الزام منه يعني كما لا يقطع بانه من أهل الجنة حقا فلا يقطع بانه مؤمن حقا ويحكى عن أبي حنيفة انه قال لقتادة لم تستثني في ايمانك فقال اتباعا لابراهيم في قوله والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي فقال هلا اقتديت به في قوله أولم تؤمن قال بلى فهل وكان لقتادة فان قال يقول ولكن ليطمئن قلبي وفيه مافيه ثم أخبر عن مآل حالهم فقال لهم درجات عند ربهم أي سعادات روحانية متفاوتة في الصعود والارتفاع لكن استغراق كل واحد في سعادته الخاصة به يمنعه عن التألم من حال من فوقه كما قال سبحانه ونزعنا ما في صدورهم من غل ومغفرة وتجاوز

قال ثنا عباد بن العوام عن جويبر عن الضحاك يسئلونك عن الانفال قال يسألونك الانفال ان تنفلهم حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا حماد بن زيد قال ثنا أيوب عن عكرمة فى قوله يسئلونك عن الانفال قال يسألونك الانفال * قال أبو جعفر وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب أن يقال ان الله تعالى أخبر فى هذه الآية عن قوم سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الانفال ان يعطيهموها فاخبرهم الله انها لله وانه جعلها لرسوله واذا كان ذلك معناه جاز ان يكون نزولها كان من أجل اختلاف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها وجائز ان يكون كان من أجل مسئلة من ساله السيف الذى ذكرنا عن سعد انه ساله اياه وجائز ان يكون من أجل مسالة من ساله قسم ذلك بين الجيش واختلفوا فيها أمنسوخة أم هى غير منسوخة فقال بعضهم هى منسوخة وقالوا انسخها قوله واعلموا انما غنمتم من شئ فان لله خمسه وللرسول الآية ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن جابر عن مجاهد وعكرمة قالا كانت الانفال لله وللرسول فنسختها واعلموا انما غنمتم من شئ فان لله خمسه وللرسول حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى يسئلونك عن الانفال قال أصاب سعد بن أبى وقاص يوم بدر سيفا فاختصم فيه وناس معه فسألوا النبى صلى الله عليه وسلم فأخذه النبى صلى الله عليه وسلم منهم فقال الله يسئلونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول الآية فكانت الغنائم يومئذ للنبى صلى الله عليه وسلم خاصة فنسخها الله بالخمس حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرنى سليم مولى أم محمد عن مجاهد فى قوله يسئلونك عن الانفال قال نسختها واعلموا انما غنمتم من شئ فان لله خمسه حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا شريك عن جابر عن مجاهد وعكرمة أو عكرمة وعامر قالا نسخت الانفال واعلموا انما غنمتم من شئ فان لله خمسه * وقال آخرون هى محكمة وليست منسوخة وانما معنى ذلك قل الانفال لله وهى لا شك لله مع الدنيا بما فيها والآخرة وللرسول يضعها فى مواضعها التى أمره الله بوضعها فيه ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله يسئلونك عن الانفال فقرأ حتى بلغ ان كنتم مؤمنين فسلموا لله ولرسوله يحكمان فيها بما شاآ أو يضعانها حيث أرادا فقالوا نعم ثم جاء بعد الاربعين واعلموا انما غنمتم من شئ فان لله خمسه وللرسول الآية ولكم أربعة أخماس وقال النبى صلى الله عليه وسلم يوم خيبر وهذا الخمس مردود على فقرائكم يصنع الله ورسوله فى ذلك الخمس ما أحبا ويضعانه حيث أحبا ثم أخبرنا الله بالذى يجب من ذلك ثم قرأ الآية لذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم * قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك أن يقال ان الله جل ثناؤه أخبر انه جعل الانفال لنبيه صلى الله عليه وسلم ينفل من شاء فنفل القاتل السلب وجعل للجيش فى البداءة الربع وفى الرجعة الثلث بعد الخمس ونفل قوما بعد سهامهم بعيرا بعيرا فى بعض المغازى فجعل الله تعالى ذكره حكم الانفال الى نبيه صلى الله عليه وسلم ينفل على ما يرى مما فيه صلاح المسلمين وعلى من بعده من الائمة أن يستنوا بسنته فى ذلك وليس فى الآية دليل على أن حكمها منسوخ لاحتمالها ما ذكرت من المعنى الذى وصفت وغير جائز أن يحكم بحكم قد نزل به القرآن انه منسوخ الا بحجة يجب التسليم لها فقد دللنا فى غير موضع من كتابنا على أن لا منسوخ الا ما أبطل حكمه حادث حكم بخلافه ينفيه من كل معانيه أو يأتى خبر يوجب الحجة أن أحدهما ناسخ الآخر وقد ذكر عن سعيد بن المسيب انه

عن سيئاتهم ورزق كريم هو نعيم الجنة المقرون بالدوام والتعظيم والكريم اسم جامع لكل ما يحمد ويستحسن فى بابه نقله الواحدى عن أهل اللغة فالله سبحانه موصوف بانه كريم لانه محمود فى كل ما يحتاج اليه والقرآن كريم لانه يوجد فيه بيان كل شئ وقال انى ألقى الى كتاب كريم وقال من كل زوج كريم وقل لهما قولا كريما قال بعض العارفين المغفرة ازالة الظلمات الحاصلة من الاشتغال بغير الله والرزق الكريم الانوار الحاصلة بسبب الاستغراق فى معرفته ومحبته قوله عزمن قائل كما أخرجك يقتضى تشبيه شئ بهذا الاخراج وذكروا فيه وجوها الاول ان المشبه محذوف تقديره هذا الحال كحال اخراجك والمعنى ان حالهم فى كراهة ما صنعت من تنفيل الغزاة مثل حالهم فى كراهة خروجك للحرب وذلك انه صلى الله عليه وسلم لما رأى كثرة المشركين يوم بدر وقلة المسلمين قال من قتل قتيلا فله كذا وكذا ومن أسر أسيرا فله كذا وكذا ترغيبا لهم فى القتال فلما انهزم المشركون قال سعد بن عبادة يارسول الله لو أعطيت هؤلاء ما سميتهم بقى خلق كثير بغير شئ فنزلت قل الانفال لله والرسول يصنع فيها ما يشاء فامسك المسلمون عن الطلب وفى أنفس بعضهم شئ من الكراهة الثانى ان ينتصب الكاف على انه صفة مصدر الفعل المقدر فى قوله الانفال لله والرسول أى ثبت الحكم واستقر بان الانفال لله وان كرهوا ثباتا مثل اخراج ربك اياك الى القتال وان كرهوا ووجه تخصيص هذا المشبه به بالذكر من بين سائر أحكامه انه ان القصة واحدة ووجه جعل الاخراج مشبها به كونه أقوى فى وجه الشبه لان مدار القصة عليه وقيل التقدير هو ان الحكم بكونهم مؤمنين حق كما ان حكم الله باخراجك من بيتك لاجل القتال حق الثالث قال الكسائى الكاف متعلق بما بعده وهو قوله يجادلونك والتقدير كما أخرجك ربك من بيتك بالحق على كره فريق من المؤمنين كذلك هم يكرهون القتال ويجادلونك فيه والبيت بيته صلى الله عليه وآله بالمدينة أو المدينة نفسها لانها مهاجره ومسكنه فلها به اختصاص كاختصاص البيت بساكنه ومعنى بالحق أى اخراجا ملتبسا بالحكمة والصواب وان فريقا من المؤمنين لكارهون فى موضع الحال أى أخرجك فى حال كراهتهم ثم

كان ينكر أن يكون التنفيل لاحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم تاويلا منه لقول الله تعالى قل الانفال لله والرسول **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عبدة بن سليمان عن محمد بن عمرو قال أرسل سعيد بن المسيب غلامه الى قوم وسألوه عن شيء فقال انكم أرسلتم الى تسألوني عن الانفال فلا نفل بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بينا ان للائمة ان يتاسوا برسول الله صلى الله عليه وسلم في مغازيهم بفعله فينفلوا على نحو ما كان ينفل اذا كان التنفيل صلاحا للمسلمين ۞ القول في تاويل قوله (فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين) يقول تعالى ذكره فخافوا الله أيها القوم واتقوه بطاعته واجتناب معاصيه واصلحوا الحال بينكم واختلف أهل التاويل في الذي عنى به بقوله واصلحوا ذات بينكم فقال بعضهم هو أمر من الله الذين غنموا الغنيمة يوم بدر وشهدوا الوقعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اختلفوا في الغنيمة أن يردوا ما أصابوا منها بعضهم على بعض ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم قال كان نبي الله ينفل الرجل من المؤمنين سلب الرجل من الكفار اذا قتله ثم أنزل الله فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم أمرهم ان يرد بعضهم على بعض **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال بلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ينفل الرجل على قدر جده وعنائه على ما رأى حتى اذا كان يوم بدر وملأ الناس أيديهم غنائم قال أهل الضعف من الناس ذهب أهل القوة بالغنائم فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم ليرد أهل القوة على أهل الضعف وقال آخرون هذا تحريج من الله على القوم ونهي لهم عن الاختلاف فيما اختلفوا فيه من أمر الغنيمة وغيره ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن عمارة قال ثنا خالد بن يزيد **وحدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قالا ثنا أبو اسرائيل عن فضيل عن مجاهد في قول الله فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم قال حرج عليهم **حدثني** الحرث قال ثنا القاسم قال ثنا عباد بن العوام عن سفيان بن حسين عن مجاهد عن ابن عباس فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم قال هذا تحريج من الله على المؤمنين ان يتقوا ويصلحوا ذات بينهم قال عبادة قال سفيان هذا حين اختلفوا في الغنائم يوم بدر **حدثني** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم لا تستبوا واختلف أهل العربية في وجه تانيث البين فقال بعض نحويي البصرة أضاف ذات الى البين وجعله ذات لان بعض الاشياء يوضع عليه اسم مؤنث وبعضا يذكر نحو الدار والحائط أنث الدار وذكر الحائط وقال بعضهم انما أراد بقوله ذات بينكم الحال التي للبين فقال وكذلك ذات العشاء يريد الساعة التي فيها العشاء قال ولم يضعوا مذكرا لمؤنث ولا مؤنثا لمذكر الا لمعنى * قال أبو جعفر هذا القول أولى القولين بالصواب للعلة التي ذكرتها له وأما قوله وأطيعوا الله ورسوله فان معناه وانتهوا أيها القوم الطالبون الانفال الى أمر الله وأمر رسوله فيما أفاء الله عليكم فقد بين لكم وجوهه وسبله ان كنتم مؤمنين يقول ان كنتم مصدقين رسول الله فيما آتاكم به من عند ربكم كما **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين وسلموا لله ولرسوله يحكمان فيها بما شاآ ويضعانها حيث أرادا ۞ القول في تاويل قوله (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى

بين الكراهة بقوله يجادلونك ويجوز ان تكون الجملة بدلا أو خبرا بعد خبر روي ان عير قريش أقبلت من الشام فيها تجارة عظيمة ومعهم أربعون راكبا منهم أبو سفيان وعمرو بن العاص وعمرو بن هشام فاخبر جبرائيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقي العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا بلغ أهل مكة خبر خروجهم فنادى أبو جهل فوق الكعبة يا أهل مكة النجاء النجاء على كل صعب وذلول عيركم أموالكم ان أصابها محمد صلى الله عليه وآله لم تفلحوا بعدها أبدا وقد رأت أخت العباس بن عبد المطلب رؤيا فقالت لاخيها اني رأيت عجبا رأيت ملكا نزل من السماء فاخذ صخرة من الجبل فرمى بها فلم يبق بيت من بيوت مكة الا أصابه حجر من تلك الصخرة فحدث بها العباس فقال أبو جهل ما يرضى رجالهم ان يتنبؤا حتى تتنبأ نساؤهم فخرج أبو جهل بجميع أهل مكة وهم النفير على ما قيل في المثل السائر لا في العير ولا في النفير فقيل له ان العير أخذت طريق الساحل ونجت فارجع بالناس الى مكة فقال لا والله لا يكون ذلك أبدا حتى ننحر الجزور ونشرب الخمور ونقيم القينات والمعازف ببدر فتتسامع جميع العرب بمخرجنا وان محمدا لم يصب العير فمضى بهم الى بدر ونزل جبرائيل فقال يا محمد ان الله وعدكم احدى الطائفتين اما العير واما قريشا فاستشار النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه وقال ما تقولون ان القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول فالعير أحب اليكم أم النفير قالوا بل العير أحب الينا من لقاء العدو فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رد عليهم فقال ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا أبو جهل قد أقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فقام عند غضب النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر فأحسنا أبي الكلام ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر أمرك فامض فوالله لو سرت الى عدن ما تخلف عنك أحد من الانصار ثم قال المقداد بن عمرو يا رسول الله امض لما أمرك الله فانا معك حيثما أحببت لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ما دامت عين منا تطرف فضحك رسول الله

ربهم يتوكلون) يقول تعالى ذكره ليس المؤمن بالذى يخالف الله ورسوله ويترك اتباع ما أنزله اليه فى كتابه من حدوده وفرائضه والانقياد لحكمه ولكن المؤمن هو الذى اذا ذكر الله وجل قلبه وانقاد لامره وخضع لذكره خوفا منه وفرقا من عقابه واذا قرئت عليه آيات كتابه صدق بها وأيقن أنها من عند الله فازداد بتصديقه بذلك الى تصديقه بما كان قد بلغه منه قبل ذلك تصديقا وذلك هو زيادة ما تلى عليهم من آيات الله اياهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون يقول وبالله يوقنون فى ان قضاءه فيهم ماض فلا يرجون غيره ولا يرهبون سواه وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم قال المنافقون لا يدخل قلوبهم شئ من ذكر الله عند أداء فرائضه ولا يؤمنون بشئ من آيات الله ولا يتوكلون على الله ولا يصلون اذا غابوا ولا يؤدون زكاة أموالهم فأخبر الله انهم ليسوا بمؤمنين ثم وصف المؤمنين فقال انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم فأدوا فرائضه واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا يقول تصديقا وعلى ربهم يتوكلون يقول لا يرجون غيره حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الله عن ابن جريج عن عبد الله بن كثير عن مجاهد الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم قال فرقت قال ثنا أبى عن سفيان عن السدى الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم قال اذا ذكر الله وجل قلبه حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم يقول اذا ذكر الله وجل قلبه حدثنى محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله وجلت قلوبهم قال فرقت حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وجلت قلوبهم فرقت قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن سفيان قال سمعت السدى يقول فى قوله انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم قال هو الرجل يريد ان يظلم أو قال يهم بمعصية الله أحسبه قال فينزع عنه حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان الثورى عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن شهر بن حوشب عن أبى الدرداء فى قوله انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم قال الوجل فى القلب كاحراق السعفة أما تجد له قشعريرة قال بلى قال اذا وجدت ذلك فى القلب فادع الله فان الدعاء يذهب بذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم قال فرقا من الله ووجلا من الله وخوفا من الله تبارك وتعالى وأما قوله زادتهم ايمانا فقد ذكرت قول ابن عباس فيه وقال غيره فيه ما حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا قال خشية حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون قال هذا نعت أهل الايمان فأثبت نعتهم ووصفهم وأثبت صفتهم ۞ القول فى تأويل قوله (الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا) يقول تعالى ذكره الذين يؤدون الصلاة المفروضة بحدودها وينفقون مما رزقهم الله من الاموال فيما أمرهم الله أن ينفقوها فيه من زكاة وجهاد وحج وعمرة ونفقة على من تجب عليه نفقته فيؤدون حقوقهم أولئك يقول هؤلاء الذين يفعلون هذه الافعال هم المؤمنون لا الذين يقولون بألسنتهم قد آمنا وقلوبهم منطوية على خلافه نفاقا لا يقيمون صلاة ولا يؤدون زكاة وبنحو الذى

صلى الله عليه وسلم ثم قال أشيروا علىّ أيها الناس وهو يريد الانصار لانهم قالوا له حين بايعوه على العقبة انا برآء من ذمامك حتى تصل الى ديارنا فاذا وصلت الينا فانت فى ذمامنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا فكان النبى صلى الله عليه وسلم يتخوف أن يكون الانصار لا ترى عليهم نصرته الا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكأنك تريدنا يا رسول الله قال أجل قال قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما أردت فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا انا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وبسطه قول سعد ثم قال سيروا على بركة الله وأبشروا فان الله قد وعدنى احدى الطائفتين والله لكأنى أنظر الى مصارع القوم ولنرجع الى التفسير قوله فى الحق أى فى تلقى النفير بعد ما تبين أى بعد اعلام النبى صلى الله عليه وسلم بأنهم هم المنصورون وجدالهم قولهم ما كان خروجنا الا للعير وهلا قلت لنا لنستعد ونتأهب وذلك لكراهتهم القتال كأنما يساقون الى الموت المتيقن لمشاهدة أسبابه من قلة العدد والعدد روى انه ما كان منهم الا فارسان وانتصب باضمار اذكر قوله واذ يعدكم الله احدى الطائفتين العير او النفير وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم أى تتمنون أن تكون لكم العير لانها الطائفة التى لا حدة لها ولا شدة والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك ويريد الله ان يحق الحق يثبته ويعليه بكلماته بآياته المنزلة فى محاربة ذات الشوكة من انزال الملائكة وأسر الكفرة وقتلهم وطرحهم فى قليب بدر ويقطع دابر الكافرين أى يستأصلهم والدابر الآخر يعنى انكم تريدون العاجل وسفساف الامور والله يريد معاليها وما يرجع الى تقوية الدين

قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن ابن عباس الذين يقيمون الصلاة يقول الصلوات الخمس ومما رزقناهم ينفقون يقول زكاة أموالهم أولئك هم المؤمنون حقا يقول برؤا من الكفر ثم وصف الله النفاق وأهله فقال ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله اولئك هم الكافرون حقا فجعل الله المؤمن مؤمنا حقا وجعل الكافر كافرا حقا وهو قوله هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أولئك هم المؤمنون حقا قال استحقوا الايمان بحق فاحقه الله لهم ۞ القول فى تأويل قوله (لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم) يقول جل ثناؤه بقوله لهم درجات لهؤلاء المؤمنين الذين وصف جل ثناؤه صفتهم درجات وهى مراتب رفيعة ثم اختلف أهل التأويل فى هذه الدرجات التى ذكر الله انها لهم عنده ماهى فقال بعضهم هى أعمال رفيعة وفضائل قدموها فى أيام حياتهم ذكر من قال ذلك حدثنى أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن ابى يحيى القتات عن مجاهد لهم درجات عند ربهم قال أعمال رفيعة وقال آخرون بل ذلك مراتب فى الجنة ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن هشام بن حبلة عن عطية عن ابن محيريز لهم درجات عند ربهم قال الدرجات سبعون درجة كل درجة حضر الفرس الجواد المضمر سبعين سنة وقوله ومغفرة يقول وعفو عن ذنوبهم وتغطية عليها ورزق كريم قيل الجنة وهو عندى ما أعد الله فى الجنة لهم من مزيد المآكل والمشارب وهنىء العيش حدثنى المثنى قال ثنا اسحق عن هشام عن عمرو عن سعيد عن قتادة ومغفرة قال الذنبهم ورزق كريم قال الجنة ۞ القول فى تأويل قوله (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون يجادلونك فى الحق بعدما تبين كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون) اختلف أهل التأويل فى الجالب لهذه الكاف التى فى قوله كما أخرجك وما الذى شبه باخراج الله نبيه صلى الله عليه وسلم من بيته بالحق فقال بعضهم شبه به فى الصلاح للمؤمنين اتقاؤهم ربهم واصلاحهم ذات بينهم وطاعتهم الله ورسوله وقالوا معنى ذلك يقول الله وأصلحوا ذات بينكم فان ذلك خير لكم كما أخرج الله محمدا صلى الله عليه وسلم من بيته بالحق كان خيرا له ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا داود عن عكرمة فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين كما أخرجك ربك من بيتك بالحق الآية ان هذا خير لكم كما كان اخراجك من بيتك بالحق خيرا لك ٭ وقال آخرون معنى ذلك كما أخرجك ربك يا محمد من بيتك بالحق على كره من فريق من المؤمنين كذلك هم يكرهون القتال فهم يجادلونك فيه بعدما تبين لهم ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد كما أخرجك ربك من بيتك بالحق قال كذلك يجادلونك فى الحق حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد كما أخرجك ربك من بيتك بالحق كذلك يجادلونك فى الحق القتال قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله كما أخرجك ربك من بيتك بالحق قال كذلك أخرجك ربك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى قال أنزل الله فى خروجه يعنى خروج النبى صلى الله عليه وسلم الى بدر ومجادلتهم اياه فقال كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون لطلب المشركين يجادلونك فى الحق بعد ما تبين اختلف أهل العربية فى ذلك فقال بعض نحويى الكوفيين ذلك أمر من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم ان يمضى لامره فى الغنائم على كره من أصحابه كما مضى لامره فى خروجه من بيته لطلب العير وهم كارهون وقال آخرون منهم معنى ذلك يسئلونك عن الانفال مجادلة كما جادلوك يوم بدر فقالوا

وشتان ما بين المرادين وقوله ليحق الحق متعلق بمحذوف أى لاظهار الاسلام وابطال الكفر فعل ما فعل وانما قدر المحذوف متأخرا ليفيد معنى الاختصاص أى ما فعل ذلك الا لتحقيق الحق وابطال الباطل وقيل يتعلق بيقطع فان قيل الحق حق لذاته والباطل باطل فى ذاته وما ثبت للشئ لذاته فانه يمتنع تحصيله بجعل جاعل قلنا المراد اظهار كون الحق حقا والباطل باطلا وذلك يكون تارة باظهار الدلائل وتارة بقتل رؤساء الباطل فان قيل أليس فى الكلام تكرار قلنا لا اذ المراد بالاول تثبيت ما وعده فى هذه الواقعة من الظفر بالاعداء والمراد بالثانى اعلاء الاسلام ومحق الكفر والحاصل ان الاول جزئى أى أنتم تريدون العير والله يريد اهلاك النفير والثانى كلى يشمل هذه القضية وغيرها من القضايا التى حصل فى ضمنها اعلاء كلمة الله وقمع كلمة الكفر احتجت الاشاعرة بقوله كما أخرجك ربك وقوله ليحق الحق على ان الاعمال والعقائد كلها بخلق الله وبتكوينه ولا يمكن أن يقال المراد من اظهار الحق وضع الدلائل عليه لان هذا المعنى حاصل بالنسبة الى المسلم والكافر وقبل هذه الواقعة وبعدها فلا يبقى للتخصيص فائدة والمعتزلة تمسكوا بالآية على ابطال قول من يقول انه لا باطل ولا كفر الا والله مريد له لان ذلك ينافى ارادة تحقيق الحق وابطال الباطل وأجيب بان اللام فى الحق ينصرف الى المعهود السابق أى فى هذه القضية ولم قلتم انه كذلك فى جميع الصور ولو كره المجرمون أى الكافرون أو المشركون كقوله ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون وفى موضع آخر ولو كره المشركون وقوله اذ

أخرجتنا

أخرجتنا للعير ولم تعلمنا قتالا فنستعد له وقال بعض نحوي البصرة يجوز أن يكون هذا الكاف في كما أخرجك على قوله أولئك هم المؤمنون حقا كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وقيل الكاف بمعنى على وقال آخرون منهم هي بمعنى القسم قال ومعنى الكلام والذي أخرجك ربك * قال أبو جعفر وأولى هذه الاقوال عندي بالصواب قول من قال في ذلك بقول مجاهد وقال معناه كما أخرجك ربك بالحق على كره من فريق المؤمنين كذلك يجادلونك في الحق بعدما تبين لان كلا الامرين قد كان أعني خروج بعض من خرج من المدينة كارها وجدالهم في لقاء العدو وعند دنو القوم بعضهم من بعض فتشبيه بعض ذلك ببعض مع قرب أحدهما من الآخر أولى من تشبيهه بما بعد عنه وقال مجاهد في الحق الذي ذكر انهم يجادلون فيه النبي صلى الله عليه وسلم بعدما تبينوه هو القتال حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد يجادلونك في الحق قال القتال حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا اسحق قال ثنا عبدالله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله وأما قوله من بيتك فان بعضهم قال معناه من المدينة ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح كما أخرجك ربك من بيتك المدينة الى بدر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال أخبرني محمد بن عباد بن جعفر في قوله كما أخرجك ربك من بيتك بالحق قال من المدينة الى بدر وأما قوله وان فريقا من المؤمنين لكارهون فان كراهتهم كانت كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثني محمد بن مسلم الزهري وعاصم بن عمر بن قتادة وعبدالله بن أبي بكر ويزيد ابن رومان عن عروة بن الزبير وغيرهم من علمائنا عن عبدالله بن عباس قالوا لما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي سفيان مقبلا من الشام ندب اليهم المسلمين وقال هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا اليها لعل الله ان ينفلكموها فانتدب الناس فخف بعضهم وثقل بعضهم وذلك انهم لم يظنوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى حربا حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي وان فريقا من المؤمنين لكارهون لطلب المشركين ثم اختلف أهل التأويل في الذين عنوا بقوله يجادلونك في الحق بعدما تبين فقال بعضهم عنى بذلك أهل الايمان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين كانوا معه حين توجه الى بدر للقاء المشركين ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني ابي عن أبيه عن ابن عباس قال لما شاور النبي صلى الله عليه وسلم في لقاء القوم وقال له سعد بن عبادة ما قال وذلك يوم بدر أمر الناس فتعبوا للقتال وأمرهم بالشوكة وكره ذلك أهل الايمان فانزل الله كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون يجادلونك في الحق بعدما تبين كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثم ذكر القوم يعني أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسيرهم عليه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين عرف القوم ان قريشا قد سارت اليهم وانهم انما خرجوا يريدون العير طمعا بالغنيمة فقال كما أخرجك ربك من بيتك بالحق الى قوله لكارهون أي كراهية للقاء القوم وانكار المسير قريش حين ذكروا لهم وقال آخرون عنى بذلك المشركون ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله يجادلونك في الحق بعدما تبين كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون قال هؤلاء المشركون جادلوك في الحق كأنما يساقون الى الموت حين يدعون الى الاسلام وهم ينظرون قال وليس هذا من صفة الآخرين هذه صفة مبتدأة لاهل الكفر حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا يعقوب ابن محمد قال ثني عبد العزيز بن محمد عن ابن أخي الزهري عن عمه قال كان رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يفسر كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون خروج رسول الله صلى الله عليه

تستغيثون بدل من قوله اذ يعدكم وقيل يتعلق بقوله ليحق الحق واستغاثتهم انه لما علموا انه لابد من القتال طفقوا يدعون الله يقولون يا غياث المستغيثين أغثنا وعن عمران رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر الى المشركين وهم ألف والى أصحابه وهم ثلثمائة فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فأخذه أبو بكر فألقاه على منكبه والتزمه من ورائه وقال يا نبي الله كفاك مناشدتك بالدعاء ربك فانه سينجز لك ما وعدك ويروى انه لما اصطف القوم قال أبو جهل اللهم أولانا بالحق فانصره ورفع رسول الله يده بالدعاء المذكور ومعنى تستغيثون تطلبون الاغاثة بقول الواقع في بلية أغثني أي فرج عني فاستجاب لكم اني أي باني ممدكم بألف من الملائكة مردفين بكسر الدال وفتحها من أردفته اياه اذا اتبعته متعديا الى مفعولين أو من ردفته اذا تبعته أي جئت بعده متعديا الى مفعول واحد ومعنى الاول جاعلين بعضهم أو مجعولين بعضهم تابعا لبعض أو أنفسهم تابعين للمؤمنين يحرسونهم أو لملائكة أخرى ومعنى الثاني تابعين بعضهم لبعض أو للمؤمنين يقدمونهم على ساقتهم يحفظونهم أو لغيرهم من الملائكة واختلف في قتال الملائكة يوم بدر فقيل نزل جبرائيل في خمسمائة ملك على الميمنة وفيها أبو بكر وميكائيل في خمسمائة على الميسرة وفيها علي بن أبي طالب في صور الرجال عليهم ثياب بيض وعمائم قد أرخوا الذوائب بين أكتافهم فقاتلت وقيل قاتلت يوم بدر ولم تقاتل يوم الاحزاب ويوم حنين وعن أبي جهل انه قال لابن مسعود من أين كان ذلك الصوت

وسلم الى العير * قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك ما قاله ابن عباس وابن اسحق من ان ذلك خبر من الله عن فريق من المؤمنين انهم كرهوا لقاء العدو وكان جدالهم نبى الله صلى الله عليه وسلم ان قالوا لم يعلمنا انا نلقى العدو فنستعد لقتالهم وانما خرجنا للعير ومما يدل على صحة قوله واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم ففى ذلك الدليل الواضح لمن فهم عن الله ان القوم قد كانوا للشوكة كارهين وان جدالهم كان فى القتال كما قال مجاهد كراهية منهم له وان لا معنى لما قال ابن زيد لان الذى قبل قوله يجادلونك فى الحق خبر عن أهل الايمان والذى يتلوه خبر عنهم فان يكون خبرا عنهم أولى منه بان يكون خبرا عمن لم يجر له ذكر واما قوله بعدما تبين فان أهل التأويل اختلفوا فى تأويله فقال بعضهم معناه بعدما تبين لهم انك لا تفعل الا ما أمرك الله ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدى بعد ما تبين انك لا تصنع الا ما أمرك الله وقال آخرون معناه يجادلونك فى القتال بعدما أمرت به ذكر من قال ذلك روى الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس وأما قوله كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون فان معناه كان هؤلاء الذين يجادلونك فى لقاء العدو من كراهتهم للقائهم اذا دعوا الى لقائهم للقتال يساقون الى الموت وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال قال ابن اسحق كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون أى كراهة للقاء القوم وانكارا لمسير قريش حين ذكروا لهم ۞ القول فى تأويل قوله (واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم) يقول تعالى ذكره واذكروا أيها القوم اذ يعدكم الله احدى الطائفتين يعنى احدى الفريقين فرقة أبى سفيان بن حرب والعير وفرقة المشركين الذين نفروا من مكة لمنع عيرهم وقوله انها لكم يقول ان ما معهم غنيمة لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم يقول وتحبون ان تكون تلك الطائفة التى ليست لها شوكة يقول ليس لها حد ولا فيها قتال ان تكون لكم يقول تودون ان تكون لكم العير التى ليس فيها قتال لكم دون جماعة قريش الذين جاؤا لمنع عيرهم الذين فى لقائهم القتال والحرب وأصل الشوكة من الشوك وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا على بن نصر وعبد الوارث بن عبد الصمد قالا ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث قال ثنا أبان العطار قال ثنا هشام بن عروة عن عروة ان أبا سفيان أقبل ومن معه من ركبان قريش مقبلين من الشام فسلكوا طريق الساحل فلما سمع بهم النبى صلى الله عليه وسلم ندب أصحابه وحدثهم بما معهم من الاموال وبقلة عددهم فخرجوا لا يريدون الا أبا سفيان والركب معه لا يرونها الا غنيمة لهم لا يظنون ان يكون كبير قتال اذا رأوهم وهى ما أنزل الله وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن محمد بن مسلم الزهرى وعاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبى بكر ويزيد بن رومان عن عروة بن الزبير وغيرهم من علمائنا عن عبد الله بن العباس كل قد حدثنى بعض هذا الحديث فاجتمع حديثهم فيما سقت من حديث بدر قالوا لما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبى سفيان مقبلا من الشام وندب المسلمين اليهم وقال هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا اليها لعل الله ان ينفلكموها فانتدب الناس فخف بعضهم وثقل بعض وذلك انهم لم يظنوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى حربا وكان أبو سفيان يتجسس الاخبار ويسأل من لقى من الركبان تخوفا من الناس حتى أصاب خبرا من بعض الركبان ان محمدا قد استنفر أصحابه لك ولعيرك فحذر عند ذلك واستأجر ضمضم بن عمرو الغفارى فبعثه الى مكة وأمره ان يأتى قريشا يستنفرهم الى أموالهم ويخبرهم ان محمدا قد عرض لها فى أصحابه فخرج ضمضم بن عمرو سريعا الى مكة وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أصحابه حتى بلغ واديا يقال له دفران فخرج منه

الذى كنا نسمع ولا نرى شخصا فقال من الملائكة فقال أبو جهل هم غلبونا لا أنتم وروى ان رجلا من المسلمين بينما هو يشتد فى أثر رجل من المشركين اذ سمع صوت ضربة بالسوط فوقه فنظر الى المشرك قد خر مستلقيا وشق وجهه فحدث الانصارى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم صدقت ذاك من مدد السماء وعن أبى داود المازنى تبعت رجلا من المشركين لاضربه يوم بدر فوقع رأسه بين يدى قبل ان يصل اليه سيفى وقيل لم يقاتلوا وانما كانوا يكثرون السواد ويثبتون المؤمنين والافلك واحد كاف فى اهلاك أهل الدنيا وقد أجبنا عن هذه الشبهة فى تفسير سورة آل عمران وكذا تفسير قوله وما جعله الآية وقد مر هنالك وقد بقى علينا بيان المتشابه فنقول حذف لكم ههنا لان المخاطبين معلومون فى قوله فاستجاب لكم وقدم قلوبكم وأخر به فى آل عمران ازدواجا بين الخطابين وعكس ههنا ازدواجا بين الغائبين ثم ان قصة بدر سابقة على قصة أحد فقيل فى الانفال ان الله عزيز حكيم ليستقر الخبر وجعله فى آل عمران صفة لان الخبر قد سبق والله أعلم * التأويل كثرة السؤال توجب الملال وانما سألوا ليكون لهم الانفال فاجيبوا على خلاف ما تمنوا وقيل الانفال لله والرسول قطعا لطريق الاعتراض والسؤال وأصلحوا ما بينكم من الاخلاق الردية والهمم الدنية وأطيعوا الله ورسوله بالتسليم والائتمار زادتهم ايمانا بحسب زائد الانوار كما أخرجك ربك فيه انه أخرج المؤمن الحقيقى عن أوصاف البشرية الى مقام العبودية بجذبات العناية كما أخرجك من وطن وجودك بالحق وهو تجلى صفات الجمال والجلال وان فريقا

حتى

حتى اذا كان ببعضه نزل وأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عيرهم فاستشار النبي صلى الله عليه وسلم الناس وأخبرهم عن قريش فقام أبو بكر رضي الله عنه فقال فأحسن ثم قام عمر رضي الله عنه فقال فأحسن ثم قام المقداد بن عمرو فقال يارسول الله امض الى حيث أمرك الله فنحن معك والله لانقول كما قال بنو اسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكم مقاتلون فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا الى برك الغماد يعني مدينة الحبشة لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا ثم دعا بخير ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشيروا علي أيها الناس وانما يريد الانصار وذلك انهم كانوا عدد الناس وذلك انهم حين بايعوه على العقبة قالوا يارسول الله انا برآء من ذمامك حتى تصل الى ديارنا فاذا وصلت الينا فانت في ذمتنا نمنعك مما نمنع منه ابناءنا ونساءنا فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخاف أن لا تكون الانصار ترى عليها نصرته الا ممن دهمه بالمدينة من عدوه وان ليس عليهم ان يسير بهم الى عدو من بلادهم قال فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له سعد بن معاذ لكانك تريدنا يارسول الله قال أجل قال فقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ماجئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يارسول الله لما أردت فوالذي بعثك بالحق ان استعرضت بنا هذا البحر لخضناه معك ماتخلف منا رجل واحد وماتكره ان يلقانا عدونا غدا انا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء لعل الله ان يريك منا مايقر به عينك فسر بنا على بركة الله فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول سعد ونشطه ذلك ثم قال سيروا على بركة الله وأبشروا فان الله قد وعدني احدى الطائفتين والله لكاني أنظر الآن الى مصارع القوم غدا حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ان أباسفيان أقبل في عير من الشام فيها تجارة قريش وهي اللطيمة فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم انها قد أقبلت فاستنفر الناس فخرجوا معه ثلثمائة وبضعة عشر رجلا فبعث عينا له من جهينة حليفا للانصار يدعى ابن اريقط فاتاه بخبر القوم وبلغ أباسفيان خروج محمد صلى الله عليه وسلم فبعث الى أهل مكة يستعينهم فبعث رجلا من بني غفار يدعى عمرو بن ضمضم فخرج النبي صلى الله عليه وسلم ولا يشعر بخروج قريش فاخبره الله بخروجهم فتخوف من الانصار ان يخذلوه ويقولوا انا عاهدناك ان نمنعك ان أرادك أحد ببلدنا فاقبل على أصحابه فاستشارهم في طلب العير فقال له أبو بكر رضي الله عنه اني قد سلكت هذا الطريق فانا أعلم به وقد فارقهم الرجل بمكان كذا وكذا فسكت النبي صلى الله عليه وسلم ثم عاد فشاورهم فجعلوا يشيرون عليه بالعير فلما أكثر المشورة تكلم سعد بن معاذ فقال يارسول الله أراك تشاور أصحابك فيشيرون عليك وتعود فتشاورهم فكانك لاترضى مايشيرون عليك وكانك تتخوف ان تتخلف عنك الانصار أنت رسول الله وعليك أنزل الكتاب وقد أمرك الله بالقتال ووعدك النصر والله لايخلف الميعاد امض لما أمرت به فوالذي بعثك بالحق لايتخلف عنك رجل من الانصار ثم قام المقداد بن الاسود الكندي فقال يارسول الله انا لانقول لك كما قال بنو اسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكنا نقول اقدم فقاتل انا معك مقاتلون ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وقال ان ربي وعدني القوم وقد خرجوا فسيروا اليهم فسار واحد ثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم قال الطائفتان احداهما أبو سفيان بن حرب اذ أقبل بالعير من الشام والطائفة الاخرى أبو جهل معه نفر من قريش فكره المسلمون الشوكة والقتال وأحبوا ان يلقوا العير وأراد الله ماأراد حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله واذ يعدكم الله احدى الطائفتين قال أقبلت عير أهل مكة تريد من الشام فبلغ أهل المدينة ذلك فخرجوا ومعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم

هم القلب والروح الكارهون للفناء عند التجلي فان البقاء محبوب عند كل ذي وجود يجادلونك أي الروح والقلب في مجيء الحق بعد ماتبين مجيئه كانهم ينظرون الى الفناء ولا يرون البقاء بعد الفناء كمن يساق الى الموت واذ يعدكم الله أيها السائرون احدى الطائفتين اما الظفر بالاعداء وهي النفوس واما غير الواردات الروحانية وغنائم الاسرار الربانية وتودون أن غير ذات الشوكة أي أردتم ان لاتجاهدوا عدو النفس ذات المكر والحيلة والهوى واستحليتم الواردات والشواهد الغيبية وذلك ان السير قسمان سير السالكين على أقدام الطاعات وتبديل الصفات النفسانية الى جنات الروحانية وسير المجذوبين على أجنحة عنقاء الجذبات الى وراء قاف الانانية فكان موسى من السالكين الى ميقات ربه ولم يجاوز طور النفس فكان مقامه مع الله المكالمة وكان محمد من المجذوبين وكان سيره على جناح جبرائيل الى سدرة المنتهى ومنها على رفرف الجذبة الالهية الى قاب قوسين أو أدنى فكان مكانه المشاهدة فمن العناية ان لايكل الله السائر الى مايوافق طبعه وهواه كما قال ويريد الله ان يحق الحق بكلماته أي بجذباته ويقطع دابر الكافرين النفوس الامارة بالسوء اذ تستغيثون ربكم يعني استغاثة الروح والقلب من النفس الى الله عند استيلاء صفاتها بالف من الملائكة هم الصفات الملكية والروحانية الا بشرى لكم بتبديل الاخلاق وما النصر باهلاك النفس وصفاتها الا بتجلي صفة القهارية ان الله عزيز لايوصل اليه الا بعد فناء الوجود حكيم في كل مايفعل بمن يفعل والله أعلم (اذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب

يريدون العير فبلغ ذلك أهل مكة فسارعوا السير اليها لايغلب عليها النبي صـلى الله عليه وسلم وأصحابه فسبقت العير رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الله وعدهم احدى الطائفتين فكانوا ان يلقوا العير أحب اليهم وأيسر شوكة وأحضر مغنما فلما سبقت العير وفاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم سار رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسلمين يريد القوم فكره القوم مسيرهم لشوكة فى القوم حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيـه عن ابن عباس قوله واذ يعدكم الله احـدى الطائفتين انها لكم وتودون ان غـير ذات الشوكة تكون لكم قال أرادوا العير قال ودخل رسول الله صـلى الله عليه وسلم المدينة فى شهر ربيع الاول فاغار كرز بن جابر الفهرى يريد سرح المدينة حتى بلغ الصفراء فبلغ النبى صلى الله عليه وسلم فركب فى أثره فسبقه كرز بن جابر فرجـع النبى صلى الله عليه وسلم فاقام سنته ثم ان أبا سفيان اقبل من الشام فى عير لقريش حتى اذا كان قريبا من بدر نزل جبريل على النبى صلى الله عليه وسلم فاوحى اليه واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون ان غـير ذات الشوكة تكون لكم فنفر النبى صـلى الله عليه وسلم بجميع المسلمين وهم يومئذ ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا منهـم سبعون ومائتان من الانصار وسائرهم من المهاجرين وبلغ أبا سفيان الخبر وهو بالبطم فبعث الى جميع قريش وهم بمكة فنفرت قريش وغضبت حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم قال كان جبريل عليه السلام قد نزل فاخبره بمسير قريش وهى تريد عيرها ووعده اما العير واما قريشا وذلك كان ببدر واخذوا السقاة وسالوهم فاخبروهم فذلك قوله وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم هم أهل مكة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم الى آخر الآية خرج النبى صلى الله عليه وسلم الى بدر وهم يريدون يعترضون عيرا لقريش قال وخرج الشـيطان فى صورة سراقة بن جعشم حـتى أتى أهل مكة فاستغواهم وقال ان محمـدا وأصحابه قد عرضوا عيركم وقال لاغالب لكم اليوم من الناس من مثلكم وانى جار لكم ان تكونوا على ما يكره الله فخرجوا ونادوا أن لا يتخلف منا أحد الا هدمنا داره واستبحناه وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالروحاء عينا للقوم فاخبره بهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد وعدكم العير أو القوم فكانت العير أحب الى القوم من القوم كان القتال فى الشوكة والعير ليس فيها قتال وذلك قول الله وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم قال الشوكة القتال وغير الشوكة العير حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا يعقوب بن محمد الزهرى قال ثنا عبـد الله بن وهب عن ابن لهيعة عن ابن أبى حبيب عن ابن عمران عن أبى أيوب قال أنزل الله جل وعز واذ يعـدكم الله احدى الطائفتين انها لكم فلما وعدنا احدى الطائفتين انها لنا طابت انفسنا والطائفتان عير أبى سفيان أو قريش حدثنى المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب عن أسلم أبى عمران الانصارى أحسبه قال قال أبو أيوب واذ يعدكم الله احـدى الطائفتين انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم قالوا الشوكة القوم وغير الشوكة العير فلما وعـدنا الله احدى الطائفتـين اما العير واما القوم طابت أنفسنا حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنى يعقوب بن محمد قال ثنى غير واحد فى قوله وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم ان الشوكة قريش حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمـان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم هى عير أبى سـفيان ود أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العير كانت لهم وان القتال صرف عنهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم أى الغنيمة دون الحرب وأما قوله انها لكم ففتحت على تكرير يعد وذلك ان قوله يعدكم الله قد عمل فى احدى الطائفتين فتاويل الكلام

عنكم رجز الشيطان وليربط على سالقى فى قـلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهـم كل بنان ذلك بانهـم شاقوا الله ورسوله ومـن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب ذلكم فذوقوه وان للكافرين عذاب النار يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ومن يولهـم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهـنم وبئس المصـير فلم تقتلوهم ولـكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولـكن الله رمى وليبلى المؤمنين منـه بلاء حسنا ان الله سميع عليم ذلكم وان الله موهن كيـد الكافرين ان تستفتحوا فقـد جاءكم الفتح وان تنتهوا فهو خير لكم وان تعودوا نعد ولن تغنى عنكم فئتكم شيأ ولو كثرت وان الله مع المؤمنـين) القراآت يغشاكم النعاس ابن كثـير وأبو عمـرو ويغشيكم النعاس من باب الافعال أبو جعفـر ونافـع الباقون يغشـيكم النعاس من التفعيل وينزل من الانزال ابن كثير وسهل ويعقوب وأبو عمرو الآخرون بالتشديد رمى بالامالة حمزة وعـلى وخلف ويحيى موهن من الافعال كيد بالنصب ابن عامر وحمزة وعـلى وخلف وعاصم غير حفص وسـهل ورويس موهن من الافعال كيـد بالجر للاضافة حفص الباقون موهن بالتشـديد كيـد بالنصب وان الله بالفتح ابن عامر وأبو جعفر ونافع وحفص والمفضـل الباقون بالكسر * الوقوف الاقدام ه ط لتعلق اذ بمحذوف هو اذكـر الذين آمنوا ط كل بنان ط ورسوله الاول ج العقاب ه النار ه الادبار ج جهنم ط المصير ه ط

وإذ يعدكم الله احدى الطائفتين بعد كم أن احدى الطائفتين لكم قال هل ينظرون الا الساعة ان تأتيهم بغتة قال وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم فانث ذات لانه مراد بها الطائفة ومعنى الكلام وتودون ان الطائفة التي هي غير ذات الشوكة تكون لكم دون الطائفة ذات الشوكة ﴿القول في تأويل قوله (ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين) يقول تعالى ذكره ويريد الله ان يحق الاسلام ويغليه بكلماته يقول بأمره اياكم أيها المؤمنون بقتال الكفار وأنتم تريدون الغنيمة والمال وقوله ويقطع دابر الكافرين يقول يريد ان يجب أصل الجاحدين بتوحيد الله وقد بينا فيما مضى دابر وانه المتأخر وان معنى قطعه الاتيان على الجميع منهم وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قول الله ويريد الله ان يحق الحق بكلماته ان يقتل هؤلاء الذين أراد ان يقطع دابرهم هذا خير لكم من العير حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ويريد الله ان يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين أي الوقعة التي أوقع بصناديد قريش وقادتهم يوم بدر ﴿القول في تأويل قوله (ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون) يقول تعالى ذكره ويريد الله ان يقطع دابر الكافرين كيما يحق الحق كيما يعبد الله وحده دون الآلهة والاصنام ويعز الاسلام وذلك هو تحقيق الحق ويبطل الباطل يقول ويبطل عبادة الآلهة والاوثان والكفر ولو كره ذلك الذين أجرموا فاكتسبوا المآثم والاوزار من الكفار حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون هم المشركون وقيل ان الحق في هذا الموضع الله عز وجل ﴿القول في تأويل قوله (اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين) يقول تعالى ذكره ويبطل الباطل حين تستغيثون ربكم فاذ من صلة يبطل ومعنى قوله تستغيثون ربكم تستجيرون به من عدوكم وتدعونه للنصر عليهم فاستجاب لكم يقول فأجاب دعاءكم بأني ممدكم بألف من الملائكة يردف بعضهم بعضا ويتلو بعضهم بعضا وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل وجاءت الرواية عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الاخبار بذلك حدثني محمد بن عبيد المحاربي قال ثنا عبد الله ابن المبارك عن عكرمة بن عمار قال ثني سماك الحنفي قال سمعت ابن عباس يقول ثني عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لما كان يوم بدر ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المشركين وعدتهم ونظر الى أصحابه نيفا على ثلثمائة فاستقبل القبلة فجعل يدعو يقول اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة من أهل الاسلام لا تعبد في الارض فلم يزل كذلك حتى سقط رداؤه وأخذه أبو بكر الصديق رضي الله عنه فوضع رداءه عليه ثم التزمه من ورائه ثم قال كفاك يا نبي الله بأبي وأمي مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك فأنزل الله اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قال لما اصطفت القوم قال أبو جهل اللهم أولانا بالحق فانصره ورفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فقال يا رب ان تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الارض أبدا حدثني محمد ابن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قال قام النبي صلى الله عليه وسلم فقال اللهم ربنا أنزلت علي الكتاب وأمرتني بالقتال ووعدتني بالنصر ولا تخلف الميعاد فأتاه جبريل عليه السلام فأنزل الله ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين حدثني أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن ابن اسحق عن زيد بن نفيع قال كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يدعو يقول اللهم انصر هذه العصابة فانك ان لم تفعل لن تعبد في الارض قال فقال أبو بكر بعض

عاطفة على ولكن الله رمى أو على محذوف أي لتستبشر وليبلي حسنا ط عليهم ط الكافرين ٥ الفتح ج للفصل بين الجملتين المتضادتين مع العطف خير لكم ج لذلك تعد ج كثرت ط لمن قرأ وان بالكسر المؤمنين * التفسير قال في الكشاف اذ يغشيكم اذ بدل ثان من اذ يعدكم أو منصوب بالنصر أو بما في عند الله من معنى الفعل أو بما جعله الله أو باضمار اذكر وأمنة مفعول لاجله ومنه صفة لها أي أمنة حاصلة لكم من عند الله ولما كان غشيان النعاس وكذا اغشاؤه وتغشيته متضمنا لمعنى تنعسون كان فاعل الفعل المعلل والعلة واحدا كما هو شريطة انتصاب المفعول له والمعنى اذ تنعسون لامنتكم أو يغشاكم النعاس فتنعسون أمنا وجوز على قراءة الاغشاء والتغشية أن تكون الامنة بمعنى الايمان أي ينعسكم ايمانا منه وجوز أن ينتصب الامنة على انها للنعاس الذي هو فاعل يغشاكم أي يغشاكم النعاس لامنة على ان اسناد الامن الى النعاس اسناد مجازي وهو لاصحاب النعاس على الحقيقة أو على ان المراد انه انامكم في وقت كان من حق النعاس في مثل ذلك الوقت المخوف ان لا يقدم على غشيانكم وانما غشاكم أمنة حاصلة له من الله لولا هام يغشكم على طريقة التمثيل والتخييل وقد مرفوائد هذا النعاس في سورة آل عمران ومن نعم الله تعالى عليهم في تلك الواقعة انزال المطر عليهم وكان فيه فوائد

أحدها تحصيل الطهارة والثانية اذهاب رجز الشيطان وقيل هو الجنابة التي أصابتهم لانها من تخييل الشيطان ولا تكرار لان الاولى عام

مناشدتك منجزك ما وعدك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى قال أقبل النبي صلى الله عليه وسلم يدعو الله و يستغيثه و يستنصره فانزل الله عليه الملائكة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله اذ تستغيثون ربكم قال دعا النبي صلى الله عليه وسلم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق اذ تستغيثون ربكم أي بدعائكم حين نظروا الى كثرة عدوهم وقلة عددهم فاستجاب لكم بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعائكم معه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو بكر بن عياش عن ابي حصين عن أبي صالح قال لما كان يوم بدر جعل النبي صلى الله عليه وسلم يناشد ربه أشد النشدة يدعو فأتاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال يارسول الله بعض نشدتك فوالله ليفين الله لك بما وعدك وأما قوله اني ممدكم بالف من الملائكة مردفين فقد بينا معناه و بنحو الذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمى قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس اني ممدكم بالف من الملائكة مردفين يقول المزيد كما تقول ائت الرجل فزده كذا وكذا حدثنا ابن وكيع قال ثنا أحمد بن بشير عن هرون بن عنترة عن أبيه عن ابن عباس مردفين قال متتابعين قال ثنى أبي عن سفيان عن هرون بن عنترة عن ابن عباس مثله حدثني سليمان بن عبد الجبار قال ثنا محمد بن الصلت قال ثنا أبو كدينة عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس ممدكم بالف من الملائكة مردفين قال وراء كل ملك ملك حدثني ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن أبي كدينة يحيى بن المهلب عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس مردفين قال متتابعين قال ثنا هانئ بن سعيد عن حجاج بن أرطاة عن قابوس قال سمعت أبا ظبيان يقول مردفين قال الملائكة بعضهم على أثر بعض قال ثنا المحاربي عن جويبر عن الضحاك قال مردفين قال بعضهم على أثر بعض حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله مردفين قال ممدين قال ابن جريج عن عبد الله بن كثير قال مردفين الارداف الامداد بهم حدثنا بشر ابن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة بالف من الملائكة مردفين أى متتابعين حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور قال ثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا أحمد بن الفضل قال ثنا اسباط عن السدى بالف من الملائكة مردفين يتبع بعضهم بعضا حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله مردفين قال المردفين بعضهم على أثر بعض يتبع بعضهم بعضا حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله بالف من الملائكة مردفين يقول متتابعين يوم بدر واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل المدينة مردفين بنصب الدال وقرأه بعض المكيين وعامة قراء الكوفيين والبصريين مردفين وكان أبو عمرو يقرؤه كذلك ويقول فيما ذكر عنه هو من أردف بعضهم بعضا وأنكر هذا القول من قول أبي عمرو بعض أهل العلم بكلام العرب وقال انما الارداف ان يحمل الرجل صاحبه خلفه قال ولم يسمع هذا في نعت الملائكة يوم بدر واختلف أهل العلم بكلام العرب في معنى ذلك اذا قرئ بفتح الدال أو بكسرها فقال بعض البصريين والكوفيين معنى ذلك اذا قرئ بالكسر ان الملائكة جاءت يتبع بعضهم بعضا على لغة من قال أردفته وقالوا العرب تقول أردفته وردفته بمعنى تبعته واتبعته واستشهد لصحة قولهم ذلك بما قال الشاعر

اذا الجوزاء أردفت الثريا * ظننت بآل فاطمة الظنونا

قالوا فقال الشاعر أردفت وانما أراد ردفت جاءت بعدها لان الجوزاء تجيء بعد الثريا وقالوا معناه اذا قرئ مردفين انه مفعول بهم كان معناه بالف من الملائكة يردف الله بعضهم بعضا وقال آخرون معنى

وهذه خاص وقيل المراد المني لانه شيء مستخبث مستقذر وعلى هذا يكون في الآية دلالة على نجاسة المني لقوله والرجز وقيل المراد وسوسة الشيطان اليهم وتخويفه اياهم من العطش وذلك ان المشركين سبقوهم الى الماء ونزل المؤمنون في كثيب عفر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء فناموا فاحتلم أكثرهم فتمثل لهم ابليس في صورة انسان فقال لهم أنتم يا أصحاب محمد تزعمون انكم على الحق وانكم تصلون على غير وضوء وعلى الجنابة وقد عطشتم ولو كنتم على حق لما غلبكم هؤلاء على الماء وما ينتظرون بكم الا ان يجهدكم العطش فاذا قطع العطش أعناقكم مشوا اليكم فقتلوا من أحبوا وساقوا بقيتكم الى مكة فحزنوا حزنا شديدا وأشفقوا فانزل الله المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادى واتخذ أصحاب رسول الله الحياض على عدوة الوادى وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضؤا وتلبد الرمل الذى كان بينهم وبين العدو حتى تثبت عليه الاقدام وكانت هذه ثالثة الفوائد وأشار اليها بقوله و يثبت به أي بالماء الاقدام وقيل الضمير عائد الى الربط الذى يدل عليه قوله ليربط على قلوبكم والمراد من تثبيت الاقدام الصبر في مواطن القتال وذلك ان من كان قلبه ضعيفا فر ولم يقف فلما ربط الله على قلوبهم أي قواها ثبتت أقدامهم ومعنى على ان القلوب امتلأت من ذلك الربط حتى كانه علاها وارتفع فوقها وقال الواحدى يشبه أن يكون على صلة والمعنى وليربط قلوبكم بالنصر وما أوقع فيها من اليقين روى ان المطر نزل على الكافرين أيضا ولكن الموضع الذى نزل الكفار فيه كان موضع التراب فعظم الوحل وصار مانعا لهم من المشي والاستقرار فقوله و يثبت به الاقدام يدل مفهومه على ان حال

ذلك اذا كسرت الدال أردفت الملائكة بعضها بعضا واذا قرئ بفتحها أردف الله المسلمين بهم * والصواب من القراءة فى ذلك عندى قراءة من قرأ بألف من الملائكة مردفين بكسر الدال لاجماع أهل التأويل على ماذكرت من تأويلهم ان معناه يتبع بعضهم بعضا ومتتابعين ففى اجماعهم على ذلك من التأويل الدليل الواضح على ان الصحيح من القراءة ما اخترنا فى ذلك من كسر الدال بمعنى أردف بعض الملائكة بعضا ومسموع من العرب جئت مردفا لفلان أى جئت بعده وأما قول من قال معنى ذلك اذا قرئ مردفين بفتح الدال ان الله أردف المسلمين بهم فقول لا معنى له اذ الذكر الذى فى مردفين من الملائكة دون المؤمنين وانما معنى الكلام ان يمدكم بألف من الملائكة يردف بعضهم ببعض ثم حذف ذكر الفاعل وأخرج الخبر غير مسمى فاعله فقيل مردفين بمعنى مردف بعض الملائكة ببعض ولو كان الامر على ماقاله من ذكرنا قوله وجب ان يكون فى المردفين ذكر المسلمين لاذكر الملائكة وذلك خلاف مادل عليه ظاهر القرآن وقد ذكر فى ذلك قراءة أخرى وهى ما حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال قال عبد الله بن يزيد مردفين ومردفين مثقل على معنى مرتدفين حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا يعقوب بن محمد الزهرى قال ثنى عبد العزيز بن عمران عن الربعى عن ابى الحويرث عن محمد بن جبير عن على عليه السلام قال نزل جبريل فى ألف من الملائكة عن ميمنة النبى صلى الله عليه وسلم وفيها أبو بكر رضى الله عنه ونزل ميكائيل عليه السلام فى ألف من الملائكة عن ميسرة النبى صلى الله عليه وسلم وأنا فيها ۞ القول فى تأويل قوله (وما جعله الله الا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم) يقول تعالى ذكره لم يجعل الله ارداف الملائكة بعضها بعضا وتتابعها بالمصير اليكم أيها المؤمنون مددا لكم الا بشرى لكم أى بشارة لكم تبشركم بنصر الله اياكم على أعدائكم ولتطمئن به قلوبكم يقول ولتسكن قلوبكم بمجيئها اليكم وتوقن بنصر الله لكم وما النصر الا من عند الله يقول وما تنصرون على عدوكم أيها المؤمنون الا ان ينصركم الله عليهم لا بشدة بأسكم وقواكم بل بنصر الله لكم لان ذلك بيده واليه ينصر من يشاء من خلقه ان الله عزيز حكيم يقول ان الله الذى ينصركم وبيده نصر من يشاء من خلقه عزيز لا يقهره شئ ولا يغلبه غالب بل يقهر كل شئ ويغلبه لانه خلقه حكيم يقول حكيم فى تدبيره ونصره من نصر وخذلانه من خذل من خلقه لا يدخل تدبيره وهن ولا خلل وروى عن عبد الله بن كثير عن مجاهد فى ذلك ما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرنى ابن كثير انه سمع مجاهدا يقول ما مد النبى صلى الله عليه وسلم مما ذكر الله غير ألف من الملائكة مردفين وذكر الثلاثة والخمسة بشرى ما مدوا بأكثر من هذه الالف الذى ذكر الله عز وجل فى الانفال وأما الثلاثة والخمسة كانت بشرى وقد أتينا على ذلك فى سورة آل عمران بما فيه الكفاية ۞ القول فى تأويل قوله (اذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام اذ يوحى ربك الى الملائكة انى معكم فثبتوا الذين آمنوا) يقول تعالى ذكره ولتطمئن به قلوبكم اذ يغشاكم النعاس ويعنى بقوله يغشاكم النعاس يلقى عليكم النعاس أمنة يقول أمانا من الله لكم من عدوكم أن يغلبكم وكذلك النعاس فى الحرب أمنة من الله عز وجل حدثنى المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن عاصم عن أبى رزين عن عبد الله قال النعاس فى القتال أمنة من الله عز وجل وفى الصلاة من الشيطان حدثنى الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى فى قوله يغشاكم النعاس أمنة منه عن عاصم عن أبى رزين عن عبد الله بنحوه قال قال عبد الله فذكر مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن عاصم عن أبى رزين عن عبد الله بنحوه والامنة مصدر من قول القائل أمنت من كذا أمنة وأمانا وأمنا وكل ذلك بمعنى واحد وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك

الاعداء كان بخلاف ذلك ومن جملة النعم قوله اذ يوحى ربك وهو بدل ثالث من اذ يعدكم أو منصوب بيثبت أو باذكر انى معكم الخطاب للملائكة والمراد انى معينكم على التثبيت فثبتوهم وقيل الخطاب للمؤمنين لان المقصود من هذا الكلام ازالة التخويف والملائكة ما كانوا يخافون الكفار وفيه نبوة لقوله فثبتوا الذين آمنوا وفى هذا التثبيت وجوه أحدها انه مفسر لقوله سألقى فاضربوا ولا معونة أعظم من القاء الرعب على قلوب الكفرة ولا تثبيت أبلغ من ضرب أعناقهم واجتماعهما غاية النصرة وثانيها ان يراد بالتثبيت ان يخطروا ببالهم ما تقوى به قلوبهم وتصح عزائمهم ونياتهم فى القتال فالالهام من الملائكة كالوسوسة من الشياطين وثالثها ان الملائكة كانوا يتشبهون بصور رجال من معارفهم وكانوا يعدونهم النصر والظفر ومعنى فوق الاعناق أعالى الاعناق التى هى المذابح لانها مفاصل فكان ايقاع الضرب فيها ازالة الرأس من الجسد وقيل أراد ضرب الهام لان الرؤس فوق الاعناق والبنان الاصابع سميت بذلك لان بها صلاح أحوال الانسان التى يريد ان يقيمها من أبن بالمكان أى اقام به والمراد نفى الاطراف من اليدين والرجلين ثم اختلفوا فمنهم من قال المراد ان يضربوهم كما شاؤا لان ما فوق العنق هو الرأس وهو أشرف الاعضاء والبنان عبارة عن أضعف الاعضاء فذكر الاشرف والاخس تنبيها على كل الاعضاء وبوجه آخر

حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أمنة منه أمانا من الله عز وجل قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أمنة قال أمن من الله حدثني يونس قال ثنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله اذ يغشاكم النعاس أمنة منه قال أنزل الله عز وجل النعاس أمنة من الخوف الذي أصابهم يوم أحد وقرأ ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا واختلفت القراء في قراءة قوله اذ يغشاكم النعاس أمنة منه فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة يغشيكم النعاس بضم الياء وتخفيف الشين ونصب النعاس من أغشاهم الله النعاس فهو يغشيهم وقرأته عامة قراء الكوفيين يغشيكم بضم الياء وتشديد الشين من غشاهم الله النعاس فهو يغشيهم وقرأ ذلك بعض المكيين والبصريين يغشاكم النعاس بفتح الياء ورفع النعاس بمعنى غشيهم النعاس فهو يغشاهم واستشهد هؤلاء بصحة قراءتهم كذلك بقوله في آل عمران يغشى طائفة * وأولى ذلك بالصواب اذ يغشيكم على ما ذكرت من قراءة الكوفيين لاجماع جميع القراء على قراءة قوله وينزل عليكم من السماء ماء بتوجيه ذلك الى انه من فعل الله عز وجل فكذلك الواجب ان يكون كذلك يغشيكم اذ كان قوله وينزل عطفا على يغشي ليكون الكلام متسقا على نحو واحد وأما قوله عز وجل وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به فان ذلك مطر أنزله الله من السماء يوم بدر ليطهر به المؤمنون لصلاتهم لانهم كانوا أصبحوا يومئذ مجنبين على غير ماء فلما أنزل الله عليهم الماء اغتسلوا وتطهروا وكان الشيطان قد وسوس اليهم بما حزنهم به من اصباحهم مجنبين على غير ماء فأذهب الله ذلك من قلوبهم بالمطر فذلك ربطه على قلوبهم وتقويته أسبابهم وتثبيته بذلك المطر اقدامهم لانهم كانوا التقوا مع عدوهم على رملة بشاء فلبدها المطر حتى صارت الاقدام عليها ثابتة لا تسوخ فيها توطئة من الله عز وجل لنبيه عليه السلام وأوليائه أسباب التمكن من عدوهم والظفر بهم وبمثل الذي قلنا تتابعت الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيره من أهل العلم ذكر الاخبار الواردة بذلك حدثنا هرون بن اسحق قال ثنا مصعب بن المقدام قال ثنا اسرائيل قال ثنا أبو اسحق عن حارثة عن علي رضي الله عنه قال أصابنا من الليل طش من المطر يعني الليلة التي كانت في صبيحتها وقعة بدر فانطلقنا تحت الشجر والحجف نستظل تحتها من المطر وبات رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو ربه اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض فلما ان طلع الفجر نادى الصلاة عباد الله فجاء الناس من تحت الشجر والحجف فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرض على القتال حدثنا ابن وكيع قال ثنا حفص بن غياث وأبو خالد عن داود عن سعيد بن المسيب ماء ليطهركم به قال طش يوم بدر حدثني الحسن بن يزيد قال ثنا حفص عن داود عن سعيد بنحوه حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن أبي عدي وعبد الاعلى عن داود عن الشعبي وسعيد بن المسيب قالا طش يوم بدر حدثنا ابن المثنى قال ثنا ابن أبي عدي عن داود عن الشعبي وسعيد بن المسيب في هذه الآية ينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان قالا طش كان يوم بدر فثبت الله به الاقدام حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله اذ يغشاكم النعاس أمنة منه الآية ذكر لنا انهم مطروا يومئذ حتى سال الوادي ماء واقتتلوا على كثيب أعفر فلبده الله بالماء وشرب المسلمون وتوضؤا وسقوا وأذهب الله عنهم وسواس الشيطان حدثني المثنى قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قال نزل النبي صلى الله عليه وسلم يعني حين سار الى بدر والمسلمون بينهم وبين الماء رملة دعصة فأصاب المسلمين ضعف شديد وألقى الشيطان في قلوبهم الغيظ فوسوس بينهم تزعمون أنكم أولياء الله وفيكم رسوله وقد غلبكم المشركون على الماء وأنتم تصلون مجنبين فأمطر الله عليهم مطرا شديدا فشرب المسلمون وتطهروا وأذهب الله عنهم رجز الشيطان وأثبت الرمل حين أصابه المطر ومشى الناس عليه

القتل وقطع البنان عبارة عن افناء آلات المدافعة والمحاربة ليعجزوا عن القتال وجوز في الكشاف أن يكون قوله سألقي الى قوله كل بنان تلقينا للملائكة ما يثبتونهم به أي قولوا لهم قول سألقي أو يكون واردا على الاستئناف كأنهم قالوا كيف نثبتهم فقيل قولوا لهم قول سألقي فالضاربون على هذا هم المؤمنون ذلك العقاب العاجل من الضرب والقتل وقع عليهم بانهم شاقوا بسبب مشاقتهم ومخالفتهم الله ورسوله ثم بين ان الذي نزل بهم في ذلك اليوم شئ يسير وقدوتز وفي جنب ما أعد الله لهم ولامثالهم في الآجل فقال ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب أي له والكاف في ذلكم للرسول أو لكل من له أهلية الخطاب وفي ذلكم للكفرة على طريقة الالتفات ومحله الرفع تقديره ذلكم العذاب المعجل من القتل والاسر أو العذاب ذلكم أو النصب والتقدير عليكم ذلكم أي الزموه فذوقوه أو هو كقولك زيدا فاضربه قال في الكشاف وأن للكافرين عطف على ذلكم في وجهيه أو نصب على ان الواو بمعنى مع والمعنى ذوقوا هذا العذاب العاجل مع الآجل الذي لكم في الآخرة فوضع الظاهر موضع ضمير الخطاب قلت ويجوز أن يكون مبتدأ محذوف الخبر أي وان للكافرين عذاب النار حق أو بالعكس أي والحكم والشأن ان للكافرين وفي ذكر الذوق اشارة الى ان عذاب الدنيا شيء قليل بالنسبة الى عذاب الآخرة قوله سبحانه

والدواب فساروا الى القوم وأمد الله نبيه بألف من الملائكة فكان جبريل عليه السلام في خمسمائة من الملائكة مجنبة وميكائيل في خمسمائة مجنبة حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله اذ يغشيكم النعاس أمنة منه الى قوله ويثبت به الاقدام وذلك ان المشركين من قريش لما خرجوا لينصروا العير ويقاتلوا عنها نزلوا على الماء يوم بدر فغلبوا المؤمنين عليه فأصاب المؤمنين الظمأ فجعلوا يصلون محدثين مجنبين حتى تعاظم ذلك في صدور أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله من السماء ماء حتى سال الوادي فشرب المسلمون وملؤا الاسقية وسقوا الركاب واغتسلوا من الجنابة فجعل الله في ذلك طهورا وثبت الاقدام وذلك انه كانت بينهم وبين القوم رملة فبعث الله عليها المطر فضربها حتى اشتدت وثبتت عليها الاقدام حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي قال بيناد رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون فسبقهم المشركون الى ماء بدر فنزلوا عليه وانصرف أبو سفيان وأصحابه تلقاء البحر فانطلقوا قال فنزلوا على أعلى الوادي ونزل محمد صلى الله عليه وسلم في أسفله فكان الرجل من أصحاب محمد عليه السلام يجنب فلا يقدر على الماء فيصلي جنبا على غير وضوء قال فأرسل الله عليهم المطر فاغتسلوا وتوضؤا وشربوا واشتدت لهم الارض وكانت بطحاء تدخل فيها أرجلهم فاشتدت لهم من المطر واشتدوا عليها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس غلب المشركون المسلمين في أول أمرهم على الماء فظمئ المسلمون وصلوا مجنبين محدثين وكانت بينهم رمال فالقى الشيطان في قلوب المؤمنين الحزن فقال تزعمون ان فيكم نبيا وانكم أولياء الله وقد غلبتم على الماء وتصلون مجنبين محدثين قال فأنزل الله ماء من السماء فسال كل واد فشرب المسلمون وتطهروا وثبتت أقدامهم وذهبت وسوسة الشيطان حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ماء ليطهركم به قال المطر أنزله عليهم قبل النعاس رجز الشيطان قال وسوسته قال فأطفأ بالمطر الغبار والتبدت به الارض وطابت به أنفسهم وتثبتت به الاقدام حدثنا المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ماء ليطهركم به أنزله عليهم قبل النعاس طبق بالمطر الغبار ولبد به الارض وطابت به أنفسهم وثبتت به الاقدام حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ماء ليطهركم به قال القطر ويذهب عنكم رجز الشيطان وساوسه يطفئ بالمطر الغبار ولبد به الارض وطابت به أنفسهم وثبتت به أقدامهم حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد رجز الشيطان وسوسته حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به قال هذا يوم بدر أنزل عليهم القطر وليذهب عنكم رجز الشيطان الذي ألقى في قلوبكم ليس لكم بهؤلاء طاقة وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله اذ يغشيكم النعاس أمنة منه الى قوله ويثبت به الاقدام فان المشركين نزلوا بالماء يوم بدر وغلبوا المسلمين عليه فأصاب المسلمين الظمأ وصلوا محدثين مجنبين فألقى الشيطان في قلوب المؤمنين الحزن ووسوس فيها انكم تزعمون انكم أولياء الله وان محمدا نبي الله وقد غلبتم على الماء وأنتم تصلون محدثين مجنبين فأمطر الله السماء حتى سال كل واد فشرب المسلمون وملؤا اسقيتهم وسقوا دوابهم واغتسلوا من الجنابة وثبت الله به الاقدام وذلك أنهم كان بينهم وبين عدوهم رملة لا تجوزها الدواب ولا يمشي فيها الماشي الا بجهد فضربها الله بالمطر حتى اشتدت وثبتت فيها الاقدام حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق اذ يغشيكم النعاس أمنة منه أي أنزلت عليكم الامنة حتى نمتم لا تخافون ونزل عليكم من السماء المطر الذي أصابهم تلك الليلة فحبس المشركون أن يسبقوا

يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا قال الازهري أصل الزحف هو ان يزحف الصبي على استه قبل ان يقوم شبه بزحف الصبي مشي الطائفتين تمشي كل فئة مشيا رويدا الى الفئة الاخرى تدانيا للضراب فانتصابه على الحال من الفريقين أي اذا لقيتموهم متزاحفين هم وأنتم ويجوز أن يكون حالا من الذين كفروا والزحف الجيش الدهم الذي يرى لكثرته كأنه يزحف أي يدب دبيبا سمي بالمصدر والجمع زحوف والمعنى اذا لقيتموهم للقتال وهم كثير جم وأنتم قليل فلا تفروا فضلا عن حالتي المداناة والمساواة ويجوز أن يكون حالا من المخاطبين وهم المؤمنون أي اذا ذهبتم اليهم للقتال فلا تنهزموا ومعنى فلا تولوهم الادبار لا تجعلوا ظهوركم مما يليهم أوهو تقدمة نهي عن الفرار يوم حنين حين تولوا مدبرين وهم زحف من الزحوف اثنا عشر ألفا وفي قوله ومن يولهم يومئذ امارة عليه ثم بين ان الانهزام محرم الا في حالتين فقال الا متحرفا لقتال هو الكر بعد الفر يخيل عدوه انه منهزم ثم يعطف عليه وهو نوع من خدع الحرب أو متحيزا اي منحازا الى فئة الى جماعة أخرى من المسلمين سوى الفئة التي هو فيها وعلى هذا انتصب متحرفا ومتحيزا على انه استثناء مفرغ من أعم العام ووجه صحته مع انه ليس في الكلام نفي ظاهرا هو انه في معنى النفي كانه قيل ومن لا يقدم أولا يعطف عليهم في حال من الاحوال الا في حال التحرف أو التحيز ويجوز أن يكون الاستثناء تاما على ان الموصوف محذوف والتقدير ومن يولهم الا رجلا منهم متحرفا أو متحيزا ووزن متحيز متفيعل لانه

الى الماء وخلى سبيل المؤمنين اليه ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام ليذهب عنكم شك الشيطان بتخويفه اياهم عدوهم واستجلاد الارض لهم حتى انتهوا الى منزلهم الذى سبق اليه عدوهم حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى قال ثم ذكر ما ألقى الشيطان فى قلوبهم من شأن الجنابة وقيامهم يصلون بغير وضوء فقال اذ يغشاكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام حين تشدون على الرمل وهو كهيئة الارض حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال ثنا داود بن ابى هند قال قال رجل عند سعيد بن المسيب وقال مرة قرأ وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به فقال سعيد انما هى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به قال وقال الشعبى كان ذلك طشا يوم بدر وقد زعم بعض أهل العلم بالغريب من أهل البصرة ان مجاز قوله ويثبت به الاقدام ويفرغ عليهم الصبر وينزله عليهم فيثبتون لعدوهم وذلك قول خلاف لقول جميع أهل التأويل من الصحابة والتابعين وحسب قول خطأ أن يكون خلافا لقول من ذكرنا وقد بينا أقوالهم فيه وأن معناه وثبتت أقدام المؤمنين بتلبيد المطر الرمل حتى لا تسوخ فيه أقدامهم وحوافر دوابهم وأما قوله اذ يوحى ربك الى الملائكة انى معكم أنصركم فثبتوا الذين آمنوا يقول قووا عزمهم وصححوا نياتهم فى قتال عدوهم من المشركين وقد قيل ان تثبيت الملائكة المؤمنين كان حضورهم حربهم معهم وقيل كان ذلك معونتهم اياهم بقتال أعدائهم وقيل كان ذلك بان الملك يأتى الرجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ويقول سمعت هؤلاء القوم يعنى المشركين يقولون والله لئن حملوا علينا لننكشفن فيحدث المسلمون بعضهم بعضا بذلك فتقوى أنفسهم قالوا وذلك كان وحى الله الى ملائكته وأما ابن اسحق فانه قال بما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فثبتوا الذين آمنوا أى فآزروا الذين آمنوا ۞ القول فى تأويل قوله (سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان) يقول تعالى ذكره سأرعب قلوب الذين كفروا بى أيها المؤمنون منكم وأملؤها فرقا حتى ينهزموا عنكم فاضربوا فوق الاعناق واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله فوق الاعناق فقال بعضهم معناه فاضربوا الاعناق ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن ادريس عن أبيه عن عطية فاضربوا فوق الاعناق قال اضربوا الاعناق قال ثنا أبى عن المسعودى عن القاسم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لم أبعث لاعذب بعذاب الله انما بعثت لضرب الاعناق وشد الوثاق حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله فاضربوا فوق الاعناق يقول اضربوا الرقاب واحتج قائلو هذه المقالة بان العرب تقول رأيت نفس فلان بمعنى رأيته قالوا فكذلك قوله فاضربوا فوق الاعناق انما معناه فاضربوا الاعناق وقال آخرون قيل معنى ذلك فاضربوا الرؤس ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال وحدثنا الحسين عن يزيد عن عكرمة فاضربوا فوق الاعناق قال الرؤس واعتل قائلو هذه المقالة بان الذى فوق الاعناق الرؤس قالوا وغير جائز ان تقول فوق الاعناق فيكون معناه الاعناق قالوا ولو جاز ذلك كان ان يقال تحت الاعناق فيكون معناه الاعناق قالوا وذلك خلاف المعقول من الخطاب وقلب معانى الكلام وقال آخرون معنى ذلك فاضربوا على الاعناق وقالوا على وفوق معناهما متقارب فجاز ان يوضع احدهما مكان الآخر * والصواب من القول فى ذلك ان يقال ان الله أمر المؤمنين معلمهم كيفية قتل المشركين وضربهم بالسيف أن يضربوا فوق الاعناق منهم والايدى والارجل وقوله فوق الاعناق محتمل أن يكون مرادا به الرؤس ومحتملا أن يكون مرادا به فوق جلدة الاعناق فيكون معناه على الاعناق واذا احتمل ذلك صح قول من قال معناه الاعناق واذا كان الامر محتملا ما ذكرنا من التأويل لم يكن

من ... نحو ... ما فعل بأيام ولو كان متفعلا لقيل مغرور عن ابن عمر خرجت سرية وانا فيهم ففروا فلما رجعوا الى المدينة استحيوا فدخلوا البيوت فقلت يارسول الله نحن الفرارون فقال بل أنتم العكارون وانا فئتكم والعكرة الكرة وعن ابن عباس ان الفرار من الزحف فى غير هاتين الصورتين من أكبر الكبائر واحتج القاضى بالآية على القطع بوعيد الفساق من أهل الصلاة وأجيب بانه مشروط بعدم العفو وعن أبى سعيد الخدرى والحسن وقتادة والضحاك ان هذا الحكم مختص بيوم بدر لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان حاضرا بنفسه ولانه تعالى وعدهم النصرة ولانه كان أول جهاده فناسب التشديد ولهذا منع من أخذ الفداء وأكثر المفسرين على انه عام فى جميع الحروب لان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب قال أكثر المفسرين ان المؤمنين لما كسروا أهل مكة وقتلوا وأسروا وأقبلوا على التفاخر وكان القائل يقول قتلت وأسرت فقيل لهم فلم تقتلوهم والفاء جواب شرط محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فانتم لم تقتلوهم ولكن الله قتلهم لانه هو الذى أنزل الملائكة وألقى الرعب فى قلوبهم وشاء النصر والظفر وقوى قلوبكم وربط عليها ولما طلعت قريش قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه قريش قد جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم انى أسألك ما وعدتنى فأتاه جبرائيل عليه السلام فقال خذ قبضة من تراب فارمهم بها فقال لما التقى الجمعان لعلى أعطنى قبضة من حصباء الوادى فرمى بها فى وجوههم قال وشاهت الوجوه فلم يبق

لنا ان نوجهه الى بعض معانيه دون بعض الا بحجة يجب التسليم لها ولا حجة تدل على خصوصه فالواجب أن يقال ان الله أمر بضرب رؤس المشركين وأعناقهم وأيديهم وأرجلهم أصحاب نبيه صلى الله عليه وسلم الذين شهدوا معه بدرا وأما قوله واضربوا منهم كل بنان فان معناه واضربوا أيها المؤمنون من عدوكم كل طرف ومفصل من أطراف أيديهم وأرجلهم والبنان جمع بنانة وهى أطراف أصابع اليدين والرجلين ومن ذلك قول الشاعر

ألا ليتنى قطعت منى بنانة * ولاقيته فى البيت يقظان حاذرا

يعنى بالبنانة واحدة البنان و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو السائب قال ثنا ابن ادريس عن أبيه عن عطية واضربوا منهم كل بنان قال مفصل حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن ادريس عن أبيه عن عطية واضربوا منهم كل بنان قال المفاصل قال ثنا المحاربى عن جويبر عن الضحاك واضربوا منهم كل بنان قال كل مفصل حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين عن يزيد عن عكرمة واضربوا منهم كل بنان قال الاطرف ويقال كل مفصل حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس واضربوا منهم كل بنان يعنى بالبنان الاطراف حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله واضربوا منهم كل بنان قال الاطراف حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله واضربوا منهم كل بنان يعنى الاطراف

القول فى تاويل قوله (ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب) يعنى تعالى ذكره بقوله ذلك بانهم هذا الفعل من ضرب هؤلاء الكفرة فوق الاعناق وضرب كل بنان منهم جزاء لهم بشقاقهم الله ورسوله وعقاب لهم عليه ومعنى قوله شاقوا الله ورسوله فارقوا أمر الله ورسوله وعصوهما وأطاعوا أمر الشيطان ومعنى قوله ومن يشاقق الله ورسوله ومن يخالف أمر الله ورسوله وفارق طاعتهما فان الله شديد العقاب له وشدة عقابه له فى الدنيا احلاله به ما كان يحل باعدائه من النقم وفى الآخرة الخلود فى نار جهنم وحذف له من الكلام لدلالة الكلام عليها

القول فى تاويل قوله (ذلكم فذوقوه وان للكافرين عذاب النار) يقول تعالى ذكره هذا العقاب الذى عجلته بايدى أوليائى المؤمنين فذوقوه عاجلا واعلموا ان لكم فى الآجل والمعاد عذاب النار و بفتح ان من قوله وان للكافرين من الاعراب وجهان أحدهما الرفع والآخر النصب فاما الرفع فبمعنى ذلكم فذوقوا ذلك وان للكافرين عذاب النار بنية تكرير ذلكم كانه قيل ذلكم الامر وهذا وأما النصب فمن وجهين أحدهما ذلكم فذوقوه واعلموا أو وايقنوا أن للكافرين فيكون نصبه بنية فعل مضمر قال الشاعر

ورأيت زوجك فى الوغا * متقلدا سيفا ورمحا

بمعنى وحاملا رمحا والآخر بمعنى ذلكم فذوقوه وبان للكافرين عذاب النار ثم حذفت الباء فنصبت

القول فى تاويل قوله (يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير) يعنى تعالى ذكره يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله اذا لقيتم الذين كفروا فى القتال زحفا يقول متزاحفا بعضكم الى بعض والتزاحف التدانى والتقارب فلا تولوهم الادبار يقول فلا تولوهم ظهوركم فتنهزموا عنهم ولكن اثبتوا لهم فان الله معكم عليهم ومن يولهم يومئذ دبره يقول ومن يولهم منكم ظهره الا متحرفا لقتال يقول الا مستطردا لقتال عدوه بطلب عورة له يمكنه اصابتها فيكون عليها أو متحيزا الى فئة أو الا ان يوليهم ظهره متحيزا الى فئة يقول صائرا الى حيز المؤمنين الذين يستعين بهم معهم اليهم لقتالهم ويزحفون به معهم اليهم ويرجعون به اليهم معهم و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو خالد الاحمر عن جويبر عن الضحاك الا متحرفا

مشرك الا شغل بعينه فانهزموا فنزلت وما رميت انت يا محمد اذ رميت ولكن الله رمى اثبت الرمية للرسول صلى الله عليه وسلم لان صورتها وجدت منه عليه السلام ونفاها عنه لان أثرها فوق حد تاثيرة القوى البشرية قال حكيم بن حزام لما كان يوم بدر سمعنا صوتا وقع من السماء الى الارض كانه صوت حصاة وقعت فى طست و رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الحصاة فانهزمنا وعن سعيد بن المسيب عن أبيه قال أقبل أبى بن خلف يوم أحد الى النبى صلى الله عليه وسلم يريده فاعترض له رجال من المؤمنين فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فخلوا سبيله فاستقبله مصعب ابن عمير أخو بنى عبد الدار و رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ترقوة أبى من فرجة بين سابغة البيضة والدرع فطعنه بحربته فسقط أبى من فرسه ولم يخرج من طعنته دم وكسر ضلعا من أضلاعه فاتاه أصحابه وهو يخور خوار الثور فقالوا له ما أعجزك انما هو خدش فقال والذى نفسى بيده لو كان هذا الذى بى باهل ذى المجاز لماتوا أجمعين فمات أبى الى النار قبل ان يقدم فانزل الله فى ذلك وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وقيل نزلت فى خيبر حين دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوس فرمى منها بسهم فاقبل السهم يهوى حتى قتل كنانة ابن أبى الحقيق وهو على فراشه وأصح الاقوال هو الاول كيلا يدخل فى اثناء القصة كلام أجنبى نعم لا يبعد ان يدخل تحته سائر الوقائع لان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا وليعطيهم عطاء جميلا فعل ما فعل الا لذلك قال القاضى ولولا ان المفسرين اجمعوا على ان معنى البلاء

لقتال أو متحيزا الى فئة قال المتحرف المتقدم من أصحابه ان يرى عورة من العدو فيصيبها قال والمتحيز الفار الى النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كذلك من فر اليوم الى أميره وأصحابه قال الضحاك انما هذا وعيد من الله لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ان لا يفروا وانما كان النبي عليه الصلاة والسلام فيهم **حدثني** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة أما المتحرف يقول الا مستطردا يريد العودة ومتحيزا الى فئة قال المتحيز الى الامام وجنده ان هو كر فلم يكن له بهم طاقة ولا يعذر الناس وان كثروا ان تولوا عن الامام واختلف أهل العلم في حكم قول الله عز وجل ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم هل هو خاص في أهل بدر أم هو في المؤمنين جميعا فقال قوم هو لاهل بدر خاصة لانه لم يكن لهم ان يتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عدوه وينهزموا عنه فاما اليوم فلهم الانحياز ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود عن أبي نضرة في قول الله عز وجل ومن يولهم يومئذ دبره قال ذلك يوم بدر لم يكن لهم ان ينحازوا ولو انحاز أحد لم ينحز الا الى قال أبو موسى يعني الى المشركين **حدثنا** اسحق بن شاهين قال ثنا خالد عن داود عن أبي نضرة عن أبي سعيد قوله عز وجل ومن يولهم يومئذ دبره ثم ذكر نحوه الا انه قال ولو انحازوا انحازوا الى المشركين ولم يكن يومئذ مسلم في الارض غيرهم **حدثنا** حميد بن مسعدة قال ثنا بشر بن مفضل قال ثنا داود عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال نزلت في يوم بدر ومن يولهم يومئذ دبره **حدثنا** ابن المثنى وعلي بن مسلم الطوسي قال ابن المثنى **حدثني** عبد الصمد وقال علي **حدثنا** عبد الصمد قال ثنا شعبة عن داود يعني ابن أبي هند عن أبي نضرة عن أبي سعيد ومن يولهم يومئذ دبره قال يوم بدر قال أبو موسى **حدثت** ان في كتاب غندر هذا الحديث عن داود عن الشعبي عن أبي سعيد **حدثني** أحمد بن محمد الطوسي قال ثنا علي بن عاصم عن داود بن أبي هند عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال انما كان ذلك يوم بدر لم يكن للمسلمين فئة الا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاما بعد ذلك فان المسلمين بعضهم فئة لبعض **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود عن أبي نضرة ومن يولهم يومئذ دبره قال هذه نزلت في أهل بدر **حدثني** يعقوب قال ثنا ابن علية عن ابن عون قال كتبت الى نافع أسأله عن قوله ومن يولهم يومئذ دبره أكان ذلك اليوم أم هو بعد قال وكتب الى انما كان ذلك يوم بدر **حدثنا** علي بن سهل قال ثنا زيد عن سفيان عن جويبر عن الضحاك قال انما كان الفرار يوم بدر ولم يكن لهم ملجأ يلجؤن اليه فاما اليوم فليس فرار **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن الربيع عن الحسن ومن يولهم يومئذ دبره قال كانت هذه يوم بدر خاصة ليس الفرار من الزحف من الكبائر قال ثنا أبي عن سفيان عن رجل عن الضحاك ومن يولهم يومئذ دبره قال كانت هذه يوم بدر خاصة قال ثنا روح بن عبادة عن حبيب بن الشهيد عن الحسن ومن يولهم يومئذ دبره قال نزلت في أهل بدر **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ومن يولهم يومئذ دبره قال ذلكم يوم بدر **حدثني** المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن المبارك بن فضالة عن الحسن ومن يولهم يومئذ دبره قال ذلك يوم بدر فاما اليوم فان انحاز الى فئة أو مصر أحسبه قال فلا بأس به **حدثني** المثنى قال ثنا قبيصة بن عقبة قال ثنا سفيان عن أبي عون قال كتبت الى نافع ومن يولهم يومئذ دبره قال انما هذا يوم بدر **حدثني** المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال ثنا ابن المبارك عن ابن لهيعة قال ثني يزيد بن حبيب قال أوجب الله لمن فر يوم بدر النار قال ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله فلما كان يوم أحد بعد ذلك قال انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم ثم كان حنين بعد ذلك بسبع سنين فقال ثم وليتم مدبرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء

فهما النعمة والامكان يحمل المحنة أي الذي فعله تعالى يوم بدر كان كالسبب في حصول تكليف شاق عليهم فيما بعد ذلك من الغزوات ان الله سميع لكلامكم عليم بضمائركم وهذا يجري مجرى التحذير والترهيب كيلا يغتر العبد بظواهر الامور ذلكم الغرض أي الغرض ذلكم وان الله موهن كيد الكافرين اعرابه كما مر في قوله وان للكافرين عذاب النار قال ابن عباس ينبئ رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول اني قد أوهنت كيد عدوك حتى قتلت جبابرتهم وأسرت اشرافهم قال السدي والكلبي والحسن كان المشركون حين خرجوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة أخذوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر أعلى الجندين وأهدى الفئتين وأكرم الحزبين وأفضل الدينين فانزل الله تعالى خطابا لهم على سبيل التهكم ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وقال عكرمة قال المشركون اللهم لا نعرف ما جاء به محمد فافتح بيننا وبينه بالحق فنزلت وروي ان أبا جهل قال يوم بدر اللهم أينا كان أفجر واقطع للرحم فأحنه اليوم أي فأهلكه وقيل انه خطاب للمؤمنين الذين استغاثوا الله وطلبوا النصر ثم خاطب الكفار بقوله وان تنتهوا أي عن عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو خير لكم وأسلم وان تعودوا لمحاربته نعد لنصرته عليكم وجوز بعضهم ان يكون الخطاب في الجميع للمؤمنين أي ان تنتهوا عن المنازعة في أمر القتال أو عن طلب الفداء فهو خير لكم وان تعودوا الى تلك المنازعات نعد الى ترك نصركم ثم ختم الآية بقوله وان الله مع

حدثني

حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا ابن عون عن محمد عن عمر بلغه قتل ابي عبيد فقال لو انحاز الي ان كنت لفئة **حدثني** المثنى قال ثنا سويد قال ثنا ابن المبارك عن جرير بن حازم قال ثني قيس بن سعيد قال سألت عطاء بن أبي رباح عن قوله ومن يولهم يومئذ دبره قال هذه منسوخة بالآية التي في الانفال الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين قال وليس لقوم ان يفروا من مثلهم قال ونسخت تلك الا هذه العدة **حدثني** المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن سليمان التيمي عن ابي عثمان قال لما قتل أبو عبيد جاء الخبر الى عمر فقال يا أيها الناس أنا فئتكم قال ابن المبارك عن معمر وسفيان الثوري وابن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال قال عمر رضي الله عنه أنا فئة كل مسلم * وقال آخرون بل هذه الآية حكمها عام في كل من ولى الدبر عن العدو منهزما ذكر من قال ذلك **حدثني** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال أكبر الكبائر الشرك بالله والفرار من الزحف لان الله عز وجل يقول ومن يولهم يومئذ دبره فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير * وأولى التأويلين في هذه الآية بالصواب قول من قال حكمها محكم وانها نزلت في أهل بدر وحكمها ثابت في جميع المؤمنين وان الله حرم على المؤمنين اذا لقوا العدو ان يولوهم الدبر منهزمين الا لتحرف لقتال أو لتحيز الى فئة من المؤمنين من حيث كانت من أرض الاسلام وان من ولاهم الدبر بعد الزحف لقتال منهزما بغير نية احدى الخلتين اللتين أباح الله التولية بهما فقد استوجب من الله وعيده الا أن يتفضل عليه بعفوه وانما قلنا هي محكمة غير منسوخة لما قد بينا في غير موضع من كتابنا هذا وغيره انه لا يجوز ان يحكم لحكم آية بنسخه وله في غير النسخ وجه الا بحجة يجب التسليم لها من خبر يقطع العذر أو حجة عقل ولا حجة من هذين المعنيين تدل على نسخ حكم قول الله عز وجل ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة وأما قوله فقد باء بغضب من الله يقول فقد رجع بغضب من الله ومأواه جهنم يقول ومصيره الذي يصير اليه في معاده يوم القيامة جهنم وبئس المصير يقول وبئس الموضع الذي يصير اليه ذلك المصير ۞ القول في تأويل قوله (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا ان الله سميع عليم) يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله ممن شهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتل أعداء دينه معه من كفار قريش فلم تقتلوا المشركين أيها المؤمنون أنتم ولكن الله قتلهم وأضاف جل ثناؤه قتلهم الى نفسه ونفاه عن المؤمنين به الذين قاتلوا المشركين اذ كان جل ثناؤه هو مسبب قتلهم وعن أمره كان قتال المؤمنين اياهم ففي ذلك أدل الدليل على فساد قول المنكرين أن يكون لله في أفعال خلقه صنع به وصلوا اليها وكذلك قوله لنبيه عليه السلام وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فاضاف الرمي الى نبي الله ثم نفاه عنه وأخبر عن نفسه انه هو الرامي اذ كان جل ثناؤه هو الموصل المرمي به الى الذين رموا به من المشركين والمسبب الرمية لرسوله فيقال للمسلمين ما ذكرنا قد علمتم اضافة الله رمي نبيه صلى الله عليه وسلم المشركين الى نفسه بعد وصفه نبيه به واضافته اليه ذلك فعل واحد كان من الله بتسببه وتسديده ومن رسول الله صلى الله عليه وسلم الحذف والارسال فما تنكرون أن يكون كذلك سائر أفعال الخلق المكتسبة من الله الانشاء والانجاز بالتسبيب ومن الخلق الاكتساب بالقوى فلن يقولوا في أحدهما قولا الا ألزموا في الآخر مثله وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله فلم تقتلوهم لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حين قال هذا قتلت وهذا قتلت وما رميت اذ رميت قال لمحمد حين حصب الكفار **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بنحوه **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد ابن ثور عن معمر عن قتادة وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى قال رماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم

بامر التكوين كما قال للنار كوني بردا وسلاما على ابراهيم كذلك قال للخوف كن أمنا على محمد وأصحابه فكان وينزل عليكم من سماء الروحانية ماء الالهام الرباني ليطهركم به من دنس الصفات النفسانية والحيوانية ويذهب عنكم وساوس الشيطان وهواجسه وليربط على قلوبكم بالصدق والاخلاص والمحبة والتوكل واليقين ويثبت به الاقدام على طريق الطالب اني معكم فثبتوا فيه ان التثبيت من الله لا من غيره وكذلك القاء الرعب في قلوبهم وغير ذلك اذا لقيتم الذين كفروا اذا لقيتم كفار النفوس وصفاتها مجتمعين على قهر القلوب وصفاتها فلا تنهزموا فتقعدوا عن صراط الطلب الا متحرفا الا قلبا يتحرف لينهيأ أسباب القتال مع النفس أو راجعا الى الاستمداد من الروح وصفاتها أو الى ولاية الشيخ أو الى حضرة الله تعالى مستمدا في قمع النفس وقهرها بطريق المجاهدة فانها تورث المشاهدة فلم تقتلوهم نفى القتل عن الصحابة بالكلية وأحاله الى نفسه فقال ولكن ولم ينف الرمي عن النبي بالكلية حيث قال اذ رميت لان الله تعالى كان قد تجلى له بالقدرة وكان يده يد الله كما كان حال عيسى لما تجلى له بصفة الاحياء كان يحيي الموتى وليبلي المؤمنين منه فيجتهدوا في متابعته الى أن يبلغوا هذا المقام ان تستفتحوا أي تفتحوا أبواب قلوبكم بمفتاح الصدق والاخلاص وترك ما سوى الله في طلب التجلي فقد جاءكم الفتح بالتجلي فانه تعالى متجل في ذاته أزلا وأبدا ولكن التقصير في أحوال الخلق فهم عند انغلاق أبواب قلوبهم محجوبون ومع

بالحصباء يوم بدر حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن أيوب عن عكرمة قال ماوقع منها شئ الافى عين رجل حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث قال ثنا أبى قال ثنا أبان العطار قال ثنا هشام بن عروة قال لما ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا قال هذه مصارعهم ووجد المشركون النبي صلى الله عليه وسلم قد سبقهم اليه ونزل عليه فلما طلعوا عليه زعموا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال هذه قريش قد جاءت بجلبتها وبجرمها تجادل وتكذب رسولك اللهم انى أسالك ماوعدتنى فلما أقبلوا استقبلهم فحثا فى وجوههم فهزمهم الله عز وجل حدثنا أحمد بن منصور قال ثنا يعقوب بن محمد قال ثنا عبد العزيز بن عمران قال ثنا موسى ابن عقبة بن عبد الله بن زمعة عن يزيد بن عبد الله عن أبى بكر بن سليمان بن أبى حثمة عن حكيم بن حزام قال لما كان يوم بدر سمعنا صوتا وقع من السماء كانه صوت حصاة وقعت فى طشت ورمى رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الرمية فانهزمنا حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو معشر عن محمد بن قيس ومحمد بن كعب القرظى قالا لما دنا القوم بعضهم من بعض أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضة من تراب فرمى بها فى وجوه القوم وقال شاهت الوجوه فدخلت فى أعينهم كلهم وأقبل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتلونهم ويأسرونهم وكانت هزيمتهم فى رمية رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنزل الله وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى الآية الى ان الله سميع عليم حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما رميت اذ رميت الآية ذكر لنا ان نبى الله صلى الله عليه وسلم أخذ يوم بدر ثلاثة أحجار ورمى بها وجوه الكفار فهزموا عند الحجر الثالث حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين التقى الجمعان لعلى رضى الله عنه أعطنى حصا من الارض فناولته حصا عليه تراب فرمى به وجوه القوم فلم يبق مشرك الادخل فى عينيه من ذلك التراب شئ ثم ردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم فذكر رمية النبى صلى الله عليه وسلم فقال فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى قال هذا يوم بدر أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث حصيات فرمى بحصاة فى ميمنة القوم وحصاة فى ميسرة القوم وحصاة بين أظهرهم وقال شاهت الوجوه فانهزموا فذلك قول الله عز وجل وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قال رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده يوم بدر فقال يارب ان تهلك هذه العصابة فلن تعبد فى الارض أبدا فقال له جبريل خذ قبضة من التراب فاخذ قبضة من التراب فرمى بها فى وجوههم فما من المشركين من أحد الا أصاب عينيه ومنخريه وفمه تراب من تلك القبضة فولوا مدبرين حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال قال الله عز وجل فى رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركين بالحصا من يده حين رماهم ولكن انه رمى ان لم يكن ذلك برميك لولا الذى جعل الله فيها من نصرك وما ألقى فى صدور عدوك منها حين هزمهم وروى عن الزهرى فى ذلك قول خلاف هذه الاقوال وهو ما حدثنا الحسن بن يحيى قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهرى وما رميت اذ رميت قال جاء أبى بن خلف الجمحى الى النبى صلى الله عليه وسلم بعظم حائل فقال الله محيى هذا يا محمد وهو رميم وهو يفت العظم فقال النبى صلى الله عليه وسلم يحييه الله ثم يميتك ثم يدخلك النار قال فلما كان يوم أحد قال والله لاقتلن محمدا اذا رأيته فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال بل انا أقتله ان شاء الله وأما قوله وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا فان معناه ولينعم على المؤمنين بالله ورسوله بالظفر باعدائهم ويغنمهم مامعهم ويثبت لهم أجور أعمالهم وجهادهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك البلاء الحسن رمى الله هؤلاء المشركين ويعنى بالبلاء الحسن النعمة الحسنة الجميلة وهى

وعند انفتاح أبوابها تحفظون وان تنتهوا عن طلب غير الله فهو خير لكم وان تعودوا الى طلب الدنيا وزخارفها نعد الى خذلانكم ونكالكم الى أنفسكم ودواعيها ولن تغنى عنكم لايقوم شئ من الدنيا والآخرة ومافيهما مقام شئ مما أعد لاهل الله وخاصته (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لايسمعون ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لايعقلون ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وانه اليه تحشرون واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب واذكروا اذ أنتم قليل مستضعفون فى الارض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون يا أيها الذين آمنوا لاتخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون واعلموا انما أموالكم وأولادكم فتنة وان الله عنده أجر عظيم يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) القراآت ولا تولوا بالادغام البزى وابن فليح * الوقوف تسمعون ج ○ للآية وللعطف لايسمعون ○ لايعقلون ○ لاسمعهم ط معرضون ○ لما يحييكم ج لعطف المتفقين مع اعتراض الظرف تحشرون ○ خاصة ج لما مر العقاب ○

ما وصفت وما فى معناه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال فى قوله وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا ليعرف المؤمنين من نعمه عليهم فى اظهارهم على عدوهم مع كثرة عددهم وقلة عددهم ليعرفوا بذلك حقه وليشكروا بذلك نعمته وقوله ان الله سميع عليم ان الله سميع أيها المؤمنون لدعاء النبى صلى الله عليه وسلم ومناشدته ربه ومسألته اياه اهلاك عدوه وعدوكم ولقيلكم وقيل جميع خلقه عليم بذلك كله وبما فيه صلاحكم وصلاح عباده وغير ذلك من الاشياء محيط به فاتقوه وأطيعوا أمره وأمر رسوله ❁ القول فى تأويل قوله (ذلكم وان الله موهن كيد الكافرين) يعنى جل ثناؤه بقوله ذلكم هذا الفعل من قتل المشركين ورميهم حتى انهزموا وابتلاء المؤمنين البلاء الحسن بالظفر بهم وامكانهم من قتلهم وأسرهم فعلناه الذى فعلنا وان الله موهن كيد الكافرين يقول واعلموا ان الله مع ذلك مضعف كيد الكافرين يعنى مكرهم حتى يذلوا وينقادوا للحق ويهلكوا وفى فتح ان من الوجوه ما فى قوله ذلكم فذوقوه وان للكافرين وقد بينته هنالك وقد اختلفت القراء فى قراءة قوله موهن فقرأته عامة قراء أهل المدينة وبعض المكيين والبصريين موهن بالتشديد من وهنت الشئ ضعفته وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين موهن من أوهنته فأنا موهنه بمعنى أضعفته والتشديد فى ذلك أعجب الى لان الله تعالى كان ينقض ما يبرمه المشركون لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عقدا بعد عقد وشيأ بعد شئ وان كان الآخر وجها صحيحا ❁ القول فى تأويل قوله (ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وان تنتهوا فهو خير لكم وان تعودوا نعد ولن تغنى عنكم فئتكم شيأ ولو كثرت وان الله مع المؤمنين) يقول تعالى ذكره للمشركين الذين حاربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح يعنى ان تستحكموا الله على أقطع الحزبين للرحم وأظلم الفئتين وتستنصروه عليه فقد جاءكم حكم الله ونصره المظلوم على الظالم والمحق على المبطل وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربى عن جويبر عن الضحاك ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح قال ان تستقضوا فقد جاءكم القضاء قال ثنا سويد بن عمرو الكلبى عن حماد بن زيد عن أيوب عن عكرمة ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح قال ان تستقضوا فقد جاءكم القضاء حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح يعنى بذلك المشركين ان تستنصروا فقد جاءكم المدد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرنى عبد الله بن كثير عن ابن عباس قوله ان تستفتحوا قال ان تستقضوا القضاء وانه كان يقول وان تنتهوا فهو خير لكم وان تعودوا نعد ولن تغنى عنكم فئتكم شيأ قلت للمشركين قال لا نعلم الا ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح كفار قريش فى قولهم ربنا افتح بيننا وبين محمد وأصحابه ففتح بينهم يوم بدر حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد نحوه حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد ابن ثور عن معمر عن الزهرى ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح قال استفتح أبو جهل قال اللهم يعنى محمدا ونفسه أينا كان أفجر لك اللهم وأقطع للرحم فأحنه اليوم قال الله ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهرى فى قوله ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح قال استفتح أبو جهل بن هشام فقال اللهم أينا كان أفجر لك وأقطع للرحم فأحنه اليوم يعنى محمدا عليه الصلاة والسلام ونفسه قال الله عز وجل ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح فضربه ابنا عفراء عوف ومعاذ وأجهز عليه ابن مسعود حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى الليث قال ثنى عقيل عن ابن شهاب قال أخبرنى عبد الله بن ثعلبة بن صعير العذرى حليف بنى زهرة ان المستفتح يومئذ أبو جهل وانه قال حين التقى القوم أينا أقطع للرحم وآتانا بما لا نعرف فأحنه الغداة فكان ذلك استفتاحه فأنزل الله فى ذلك ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح الآية حدثنا بشر قال

٭ التفسير انه سبحانه بعد ذكر نحو من قصة بدر والغنائم أدب المؤمنين أحسن تأديب فأمرهم بطاعته وطاعة رسوله فى قسمة الغنائم وغيرها ثم قال ولا تولوا عنه فوحد الضمير لان التولى انما يصح فى حق الرسول بأن يعرضوا عنه وعن قبول قوله وعن معونته فى الجهاد أولان طاعة الرسول وطاعة الله شئ واحد فكان رجوع الضمير الى أحدهما كرجوعه اليهما كقوله والله ورسوله أحق أن يرضوه وكقولك الاحسان والاجمال لا ينفع فى فلان وجوزان يرجع الى الامر بالطاعة أى لا تولوا عن هذا الامر وامتثاله وأنتم تسمعون لم يبين انهم ماذا يسمعون الا انه يعلم من مساق الكلام فى السورة ان المراد وأنتم تسمعون دعاءه الى الجهاد أو المراد وأنتم تسمعون الامر المذكور أو وأنتم تصدقون بدليل قوله ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون لانهم ليسوا بمصدقين فلا يصح دعوى السماع منهم وتحقيق ذلك ان الانسان لا يمكنه ان يقبل التكليف ويلتزمه الا بعد ان يسمعه فجعل السماع كناية عن القبول ثم أكد التكاليف المذكورة بقوله ان شر الدواب أى ان شر من يدب على الارض أو ان شر البهائم والفرق بين التفسيرين ان الاول حقيقة الا أنه ذكر فى معرض الذم كقولك لمن لا يفهم الكلام هو شبح وجسد والثانى مذكور فى معرض التشبيه بالبهائم بل جعلهم شرها لجهلهم وعدولهم عن الانتفاع بالحواس كقوله بل هم أضل ومعنى عند الله

ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح الآية يقول كانت بدر قضاء وعبرة لمن اعتبر حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى قال كان المشركون حين خرجوا الى النبي صلى الله عليه وسلم من مكة أخذوا بأستار الكعبة واستنصروا الله وقالوا اللهم انصر أعز الجندين وأكرم الفئتين وخير القبيلتين فقال الله ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح يقول نصرت ما قلتم وهو محمد صلى الله عليه وسلم حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح الى قوله وان الله مع المؤمنين وذلك حين خرج المشركون ينظرون عيرهم وان أهل العير أبا سفيان وأصحابه أرسلوا الى المشركين بمكة يستنصرونهم فقال أبو جهل أينا كان خيرا عندك فانصره وهو قوله ان تستفتحوا يقول تستنصروا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح قال ان تستفتحوا العذاب فعذبوا يوم بدر قال وكان استفتاحهم بمكة قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم قال فجاءهم العذاب يوم بدر وأخبر عن يوم أحد وان تعودوا نعد ولن تغني عنكم فئتكم شيأ ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن فضيل عن مطرف عن عطية قال قال أبو جهل يوم بدر اللهم انصر أهدى الفئتين وخير الفئتين وأفضل فنزلت ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح قال ثنا عبد الاعلى عن معمر عن الزهري ان أبا جهل هو الذي استفتح يوم بدر وقال اللهم أينا كان أفجر وأقطع لرحمه فأحنه اليوم فأنزل الله ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح قال ثنا يزيد بن هرون عن ابن اسحق عن الزهري عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير ان أبا جهل قال يوم بدر اللهم اقطعنا لرحمه وآتانا بما لا نعرف فأحنه العذاب وكان ذلك استفتاحا منه فنزلت ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح الآية قال ثنا يحيى بن آدم عن ابراهيم بن سعد عن صالح بن كيسان عن الزهري عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير قال كان المستفتح يوم بدر أبا جهل قال اللهم أقطعنا للرحم وآتانا بما لا نعرف فأحنه العذاب فأنزل الله ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثني محمد بن مسلم الزهري عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير حليف بني زهرة قال لما التقى الناس ودنا بعضهم من بعضهم قال اللهم أقطعنا للرحم وآتانا بما لا نعرف فأحنه العذاب فكان هو المستفتح على نفسه قال ابن اسحق فقال الله ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح لقول أبي جهل اللهم أقطعنا للرحم وآتانا بما لا نعرف فأحنه العذاب قال الاستفتاح الانصاف في الدعاء حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو معشر عن يزيد بن رومان وغيره قال أبو جهل يوم بدر اللهم انصر أحب الدينين اليك ديننا العتيق أم دينهم الحديث فأنزل الله ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح الى قوله وأن الله مع المؤمنين وأما قوله وان تنتهوا فهو خير لكم فانه يقول وان تنتهوا يا معشر قريش وجماعة الكفار عن الكفر بالله ورسوله وقتال نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به فهو خير لكم في دنياكم وآخرتكم وان تعودوا نعد وان تعودوا لحربه وقتاله وقتال أتباعه المؤمنين نعد أي بمثل الوقعة التي أوقعت بكم يوم بدر وقوله ولن تغني عنكم فئتكم شيأ ولو كثرت يقول وان تعودوا نعد لهلاككم بأيدي أوليائي وهزيمتكم ولن تغني عنكم عند عودي لقتلكم بأيديهم وسبيكم وهزمكم فئتكم شيأ ولو كثرت يعني جندهم وجماعتهم من المشركين كما لم يغنوا عنهم يوم بدر مع كثرة عددهم وقلة عدد المؤمنين شيأ وان الله مع المؤمنين يقول جل ذكره وان الله مع من آمن به من عباده على من كفر به منهم ينصرهم عليهم أو يظهرهم كما أظهرهم يوم بدر على المشركين وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق في قوله وان تنتهوا فهو خير لكم قال يقول لقريش وان تعودوا نعد لمثل الوقعة التي أصابتكم يوم بدر ولن تغني عنكم فئتكم شيأ ولو كثرت وان الله مع المؤمنين أي وان كثر عددكم في أنفسكم لن تغني عنكم شيأ وان الله مع المؤمنين ينصرهم على من خالفهم

وعن الحسن أهل الكتاب وقيل بنو عبد الدار بن قصي لم يسلم منهم الا رجلان مصعب بن عمير وسويد ابن حرملة كانوا يقولون نحن بكم عمي عما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم لا نسمعه ولا نجيبه فقتلوا جميعا بأحد وكانوا أصحاب اللواء وروي انهم سألوا النبي ان يحيي لهم قصي ابن كلاب وغيره من أمواتهم ليخبروهم بصحة نبوته فبين تعالى انه لو علم فيهم خيرا وهو انتفاعهم بقول هؤلاء الاموات لأحياهم حتى يسمعوا كلامهم ولكنه تعالى علم منهم انهم لا يقولون هذا الكلام الا على سبيل العناد والتعنت وانهم لو أسمعهم الله كلامهم لتولوا عن قبول الحق ولأعرضوا عنه على عادتهم المستمرة * واعلم ان معلومات الله تعالى على أربعة أقسام جملة الموجودات وجملة المعدومات وان كل واحد من الموجودات لو كان معدوما فكيف يكون حاله وان كل واحد من المعدومات لو كان موجودا فكيف يكون حاله والاولان علم بالواقع والآخران الباقيان علم بالمقدر ومن هذا القبيل قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم وتقدير الكلام لو حصل فيهم خير لأسمعهم الله الحجج والمواعظ فعبر عن عدمه في نفسه بعدم علم الله بوجوده وأورد على الآية انها على صورة قياس شرطي فاذا حذفنا الحد الاوسط بقيت النتيجة لو علم الله فيهم خيرا لتولوا ولكن كلمة لو وضعت للدلالة على انتفاء الشيء لانتفاء غيره فيكون التولي منتفيا لاجل انتفاء علم الله الخير فيهم بل لاجل انتفاء الخير فيهم لكن انتفاء التولي خير من

وقد قيل ان معنى قوله وان تعودوا نعد وان تعود والاستفتاح نعد لفتح محمد صلى الله عليه وسلم لان الله تعالى قد كان ضمن لنبيه عليه السلام حين أذن له بحرب اعدائه اظهار دينه واعلاء كلمته من قبل ان يستفتح أبو جهل وحزبه فالاوجه أن يقال والامر كذلك ان تنتهوا عن الاستفتاح فهو خير لكم وان تعودوا نعد لان الله قد كان وعد نبيه صلى الله عليه وسلم الفتح بقوله أذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير باستفتح المشركون أولم يستفتحوا ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى وان تعودوا نعد ان تستفتحوا الثانية نفتح لمحمد صلى الله عليه وسلم وان تغنى عنكم فئتكم شيأ ولو كثرت وان الله مع المؤمنين محمد وأصحابه واختلفت القراء فى قراءة قوله وان الله مع المؤمنين ففتحها عامة قراء أهل المدينة بمعنى ولن تغنى عنكم فئتكم شيأ ولو كثرت ان الله مع المؤمنين فعطف بان على موضع ولو كثرت كانه قال لكثرتها ولان الله مع المؤمنين ويكون موضع ان حينئذ نصبا على هذا القول وكان بعض أهل العربية يزعم ان فتحها اذا فتحت على وان الله موهن كيد الكافرين وان الله مع المؤمنين عطفا بالاخرى على الاولى وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين والبصريين وان الله بكسر الالف على الابتداء واعتلوا بانها فى قراءة عبد الله وان الله لمع المؤمنين وأولى القراءتين بالصواب قراءة من كسر ان للابتداء لتقضى الخبر قبل ذلك عما يقتضى قوله وان الله مع المؤمنين ۞ القول فى تأويل قوله (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون) يقول تعالى ذكره يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله أطيعوا الله ورسوله فيما أمركم به وفيما نهاكم عنه ولا تولوا عنه ولا تدبروا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مخالفين أمره ونهيه وأنتم تسمعون أمره اياكم ونهيه وأنتم به مؤمنون كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون أى تخالفوا أمره وأنتم تسمعون لقوله وتزعمون انكم منه ۞ القول فى تأويل قوله (ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون) يقول تعالى ذكره للمؤمنين بالله ورسوله من أصحاب نبى الله صلى الله عليه وسلم لا تكونوا أيها المؤمنون فى مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم كالمشركين الذين اذا سمعوا كتاب الله يتلى عليهم قالوا قد سمعنا بآذاننا وهم لا يسمعون يقول وهم لا يعتبرون ما يسمعون بآذانهم ولا ينتفعون به لاعراضهم عنه وتركهم ان يوعوه قلوبهم ويتدبروه فجعلهم الله لما لم ينتفعوا بمواعظ القرآن وان كانوا قد سمعوها بآذانهم بمنزلة من لم يسمعها يقول جل ثناؤه لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكونوا أنتم فى الاعراض عن أمر رسول الله وترك الانتهاء اليه وأنتم تسمعونه بآذانكم كهؤلاء المشركين الذين يسمعون مواعظ كتاب الله بآذانهم ويقولون قد سمعنا وهم لاستعمالها والاتعاظ بها معرضون كمن لا يسمعها وكان ابن اسحق يقول فى ذلك ما حدثنا سلمة عن ابن اسحق ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون أى كالمنافقين الذين يظهرون له بالطاعة ويسرون المعصية حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله وهم لا يسمعون قال عاصون حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله والذى قال ابن اسحق وجه ولكن قوله ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون فى سياق قصص المشركين ويتلوه الخبر عنهم بذمهم وهو قوله ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون فلان يكون ما بينهما خبرا عنهم أولى من ان يكون خبرا عن غيرهم ۞ القول فى تأويل قوله (ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون) يقول تعالى ذكره ان شر ما دب على الارض من خلق الله عند الله الذين يصغون عن الحق لئلا يستمعوه فيعتبروا به ويتعظوا به وينكصوا عنه ان نطقوا به الذين لا يعقلون عن الله أمره ونهيه فيستعملوا بهما أبدانهم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ان شر الدواب عند الله قال الدواب الخلق حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج عن عكرمة قال وكانوا يقولون انا صم بكم عما يدعو اليه محمد لا نسمعه منه ولا

الخيرات فاول الكلام يقتضى نفى الخير عنهم وآخره يقتضى حصول الخير فيهم وهذا تناقض والجواب المنع من ان الحد الاوسط مكرر لان المراد بالاسماع الاول اسماع التفهم والزام القبول والمراد بالاسماع الثانى صورة الاسماع فحسب وأيضا كلمة لو فى المقدمة الثانية هى التى تجىء للمبالغة بمعنى ان كقوله صلى الله عليه وسلم نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه فاذن لا تعلق لاحدى الجملتين بالاخرى فلا قياس واستدلت الاشاعرة بالآية على ان صدور الايمان عن الكافر محال لان الصادق قد أخبر انهم على تقدير الاسماع معرضون وخلاف علمه وخبره محال وقال فى الكشاف لو علم الله فيهم خيرا أى انتفاعا باللطف للطف بهم حتى يسمعوا سماع المصدقين ولو لطف بهم لما نفع فيهم اللطف فلذلك منعهم ألطافه أو ولو لطف بهم فصدقوا لارتدوا بعد ذلك وكذبوا ولم يستقيموا وتزييف هذا التفسير سهل ثم علم المؤمنين أدبا آخر فقال استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم فوحد الضمير كما مر والمراد بالاستجابة الطاعة والامتثال وبالدعوة البعث والتحريض عن أبى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم مر على باب أبى بن كعب فناداه وهو فى الصلاة فعجل فى صلاته ثم جاء فقال ما منعك عن اجابتى قال كنت أصلى قال ألم تخبر فيما أوحى الى استجيبوا لله وللرسول قال لا جرم لا تدعونى الا أجبتك وقد يتمسك الفقهاء بهذا الخبر على ان ظاهر الامر للوجوب والا فلم يتوجه اللوم ثم قيل ان هذا مما اختص به رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل ان دعاءه كان لامر لم يحتمل التأخير واذا وقع مثله للمصلى فله ان يقطع

تجيبه بتصديق فقتلوا جميعا باحد كانوا أصحاب اللواء حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد الصم البكم الذين لا يعقلون قال الذين لا يتبعون الحق حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون وليس بالاصم فى الدنيا ولا بالابكم ولكن صم القلوب وبكمها وعميها وقرأ فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور واختلف فيمن عنى بهذه الآية فقال بعضهم عنى بها نفر من المشركين ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال قال ابن عباس الصم البكم الذين لا يعقلون نفر من بنى عبد الدار لا يتبعون الحق قال ثنا اسحق قال ثنا ورقاء عن عبد الله عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله الصم البكم الذين لا يعقلون قال لا يتبعون الحق قال قال ابن عباس هم نفر من بنى عبد الدار حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحوه وقال آخرون عنى بها المنافقون ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون لا يعرفون ما عليهم فى ذلك من النعمة والسعة وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول من قال بقول ابن عباس وانه عنى بهذه الآية مشركو قريش لانها فى سياق الخبر عنهم ۞ القول فى تأويل قوله (ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون) اختلف أهل التأويل فيمن عنى بهذه الآية وفى معناها فقال بعضهم عنى بها المشركون وقال معناها انهم لو رزقهم الله الفهم بما أنزله على نبيه صلى الله عليه وسلم لم يؤمنوا لان الله قد حكم عليهم انهم لا يؤمنون ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قوله ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو أسمعهم قالوا ائت بقرآن غير هذا وقالوا لولا اجتبيتها ولو جاءهم بقرآن غيره لتولوا وهم معرضون حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون قال لو أسمعهم بعد أن يعلم لا خير فيهم ما انتفعوا بذلك ولتولوا وهم معرضون وحدثنى به مرة أخرى فقال لو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم بعد ان يعلم ان لا خير فيهم ما نفعهم بعد ان نفذ علمه بانهم لا ينتفعون به وقال آخرون بل عنى بها المنافقون قالوا ومعناه ما حدثنا به ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم لانفذ لهم قولهم الذى قالوه بالسنتهم ولكن القلوب خالفت ذلك منهم ولو خرجوا معكم لتولوا وهم معرضون فما وفوا لكم بشئ مما خرجوا عليه * وأولى القولين فى تأويل ذلك بالصواب عندى ما قال ابن جريج وابن زيد لما قد ذكرنا قبل من العلة وان ذلك ليس من صفة المنافقين فتأويل الآية اذا ولو علم الله فى هؤلاء القائلين خيرا لاسمعهم مواعظ القرآن وعبره حتى يعقلوا عن الله عز وجل حججه ولكنه قد علم أنه لا خير فيهم وانهم ممن كتب لهم الشقاء فهم لا يؤمنون ولو أفهمهم ذلك حتى يعلموا ويفهموا لتولوا عن الله وعن رسوله وهم معرضون عن الايمان بما دلهم على حقيته مواعظ الله وعبره وحججه معاندون للحق بعد العلم به ۞ القول فى تأويل قوله (يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم) اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله اذا دعاكم لما يحييكم فقال بعضهم معناه استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم للايمان ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم قال أما يحييكم فهو الاسلام أحياهم بعد موتهم بعد كفرهم وقال آخرون للحق ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن جريج عن مجاهد فى قول الله لما يحييكم قال الحق حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله اذا دعاكم لما يحييكم قال الحق حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام قال ثنا عنبسة عن محمد ابن عبد الرحمن عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد فى قوله استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم قال للحق وقال آخرون معناه اذا دعاكم الى ما فى القرآن ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا

هو الاسلام والايمان لان الايمان حياة القلب والكفر موته بدليل قوله يخرج الحى من الميت أى المؤمن من الكافر وقال قتادة يعنى القرآن لان فيه العلم الذى به الحياة الحقيقية والاكثرون على انه الجهاد لان وهن أحد العدوين سبب حياة الآخر ولان الجهاد سبب حصول الشهادة التى توجب الحياة الدائمة لقوله بل احياء عند ربهم وقيل انه عام فى كل حق وصواب فيدخل فيه القرآن والايمان والجهاد وكل أعمال البر والطاعة والمراد بما يحييكم الحياة الطيبة كما قال فلنحيينه حياة طيبة واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه اختلف الناس فيه بحسب اختلافهم فى مسئلة الجبر والقدر فنقل الواحدى عن ابن عباس والضحاك يحول بين الكافر وطاعته ويحول بين المطيع ومعصيته فالسعيد من أسعده الله والشقى من أضله الله والقلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء ويخلق فيها القصود والدواعى والعقائد حسب ما يريد وتقرير ذلك من حيث العقل وجوب انتهاء جميع الاسباب اليه ثم ختم الآية بقوله وانه اليه تحشرون ليعلم انهم مع كونهم مجبورين مخلة وامثابين معاقبين اما الجنة واما النار لا يتركون مهملين معطلين وقالت المعتزلة ان من حال الله بينه وبين الايمان فهو عاجز وأمر العاجز سفه ولا يكلف الله نفسا الا وسعها وانه تعالى أمر بالاستجابة لله وللرسول ولو لم تكن الاجابة ممكنة فكيف يأمر بها ولو كان الامر بغير المقدور جائزا لكان القرآن حجة للكفار على الرسول لانه عليهم فاذن لا يمكن حمل الآية على ما قاله أهل الجبر فتأويلها ان الله يحول

سعيد

سعيد عن قتادة قوله يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم قال هو هذا القرآن فيه الحياة والعفة والعصمة في الدنيا والآخرة وقال آخرون معناه اذا دعاكم الى الحرب وجهاد العدو ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم أي للحرب الذي أعزكم الله بها بعد الذل وقواكم بعد الضعف ومنعكم بها من عدوكم بعد القهر منهم لكم * وأولى الاقوال في ذلك بالصواب قول من قال معناه استجيبوا لله وللرسول بالطاعة اذا دعاكم الرسول لما يحييكم من الحق وذلك ان ذلك اذا كان معناه كان داخلا فيه الامر باجابتهم لقتال العدو والجهاد والاجابة اذا دعاكم الى حكم القرآن وفي الاجابة الى كل ذلك حياة المجيب أما في الدنيا فيقال الذكر الجميل وذلك له فيه حياة وأما في الآخرة فحياة الابد في الجنان والخلود فيها وأما قول من قال معناه الاسلام فقول لا معنى له لان الله قد وصفهم بالايمان بقوله يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم فلا وجه لان يقال للمؤمن استجب لله وللرسول اذا دعاك الى الاسلام والايمان وبعد ففيما حدثنا أحمد بن المقدام العجلي قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا روح بن القاسم عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي وهو يصلي فدعاه أي أبي فالتفت اليه أبي ولم يجبه ثم ان أبيا خفف الصلاة ثم انصرف الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليك أي رسول الله قال وعليك ما منعك اذ دعوتك ان تجيبني قال يا رسول الله كنت أصلي قال أفلم تجد فيما أوحي الى استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم قال بلى يا رسول الله لا أعود حدثنا أبو كريب قال ثنا خالد بن مخلد عن محمد بن جعفر عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي وهو قائم يصلي فصرخ به فلم يجبه ثم جاء قال يا أبي ما منعك ان تجيبني اذ دعوتك أليس الله يقول يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم قال أبي لا جرم يا رسول الله لا تدعوني الا أجبت وان كنت أصلي ما يبين عن المعنى بالآية هم الذين يدعوهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ما فيه حياتهم باجابته اليه من الحق بعد اسلامه لان أبيا كان لا شك انه كان مسلما في الوقت الذي قال له النبي صلى الله عليه وسلم ما ذكرنا في هذين الخبرين القول في تأويل قوله (واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه وانه اليه تحشرون) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم معناه يحول بين الكافر والايمان وبين المؤمن والكفر ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الاعمش عن عبد الله بن عبد الله الرازي عن سعيد بن جبير يحول بين المرء وقلبه قال بين الكافر ان يؤمن وبين المؤمن ان يكفر حدثنا ابن بشار قال ثنا وكيع قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان وحدثنا الحسن بن يحيي قال أخبرنا عبد الرزاق قال ثنا الثوري عن الاعمش عن عبد الله بن عبد الله الرازي عن سعيد بن جبير بنحوه حدثني أبو زائدة زكريا بن أبي زائدة قال ثنا أبو عاصم عن سفيان عن الاعمش عن عبد الله بن عبد الله عن سعيد بن جبير مثله حدثني أبو السائب وابن وكيع قالا ثنا أبو معاوية عن المنهال عن سعيد بن جبير يحول بين المرء وقلبه قال يحول بين المؤمن وبين الكفر وبين الكافر وبين الايمان حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن فضيل عن الاعمش عن عبد الله بن عبد الله الرازي عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس يحول بين المرء وقلبه يحول بين الكافر والايمان وطاعة الله قال ثنا حفص عن الاعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس يحول بين المرء وقلبه قال يحول بين المؤمن والكفر وبين الكافر والايمان حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبيد بن سليمان وعبد العزيز بن أبي رواد عن الضحاك في قوله يحول بين المرء وقلبه قال يحول بين الكافر وطاعته وبين المؤمن ومعصيته حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن أبي روق عن الضحاك بن مزاحم بنحوه قال ثنا المحاربي عن جويبر عن الضحاك قال يحول بين المرء وبين ان يكفر وبين الكافر وبين ان يؤمن حدثنا الحسن بن يحيي قال أخبرنا عبد الرزاق قال ثنا عبد العزيز بن أبي رواد عن الضحاك بن مزاحم يحول بين المرء وقلبه قال يحول بين الكافر وبين طاعة الله وبين المؤمن ومعصية الله حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد الزبيري

بين المرء وبين الانتفاع بقلبه بسبب الموت يدل عليه قوله وانه أي وان الشأن أو الله اليه تحشرون والمقصود الحث على الطاعة قبل نزول سلطان الموت أو انه تعالى يحول بين المرء وبين ما يتمناه بقلبه تسمية الشئ باسم محله فكأنه قيل بادروا الى الاعمال الصالحة ولا تعتمدوا على طول البقاء فان الاجل يحول دون الامل اذ المراد سارعوا الى الطاعة ولا تمتنعوا عنها بسبب ما تجدون في قلوبكم من الضعف والجبن فان الله مقلب القلوب من حالة العجز والجبن الى القوة والشجاعة وقد يبدل بالامن خوفا وبالخوف أمنا وبالذكر نسيانا وبالنسيان ذكرا وما أشبه ذلك مما هو جائز على الله تعالى فاما ما يثاب عليه العبد ويعاقب من أفعال القلوب فلا وقال مجاهد المراد بالقلب العقل والمعنى بادروا الى الاعمال وأنتم تعقلون ولا تأمنوا زوال العقول التي عند ارتفاعها يبطل التكليف فلا يقدر على الكفر والايمان وعن الحسن ان الغرض التنبيه على انه تعالى مطلع على بواطن العبد وضمائره وان قربه من عبده أشد من قرب قلبه منه كقوله ونحن أقرب اليه من حبل الوريد ثم حذرهم الفتن والاختلاف فقال واتقوا فتنة قيل هو العذاب وقيل افتراق الكلمة وقيل اقرار المنكر بين أظهرهم وقوله لا تصيبن اما ان يكون جوابا للامر وجاز دخول النون المؤكدة فيه مع خلوه عن الطلب لان فيه معنى النهي كقولك انزل عن الدابة لا تطرحك وان شئت لا تطرحنك وعلى هذا من في منكم للتبعيض وقيل الجواب محذوف والمعنى ان أصابتكم لا تصيب بعضكم وهم الظالمون حال كونهم خاصة ولكنها تعم الظالمين وغيرهم لانه يحسن من الله تعالى ذلك بحكم المالكية أو

قال ثنا ابن أبي روادعن الضحاك نحوه وحدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول حدثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك بن مزاحم يقول فذكر نحوه حدثني المثنى قال ثنا الحجاج بن منهال قال ثنا المعتمر بن سليمان قال سمعت عبد العزيز بن أبي رواد يحدث عن الضحاك بن مزاحم في قوله يحول بين المرء وقلبه قال يحول بين المؤمن ومعصيته حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه يقول يحول بين المؤمن وبين الكفر ويحول بين الكافر وبين الايمان حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه يقول يحول بين الكافر وبين طاعته ويحول بين المؤمن وبين معصيته حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربي عن ليث عن مجاهد يحول بين المرء وقلبه قال يحول بين المؤمن وبين الكفر وبين الكافر وبين الايمان قال ثنا أبي عن ابن أبي روادعن الضحاك يحول بين المرء وقلبه يقول يحول بين الكافر وبين طاعته وبين المؤمن وبين معصيته قال ثنا اسحق بن اسمعيل عن يعقوب القمي عن جعفر عن سعيد بن جبير يحول بين المرء وقلبه يحول بين المؤمن والمعاصي وبين الكافر والايمان قال ثنا عبيدة عن اسمعيل عن ابي صالح يحول بين المرء وقلبه قال يحول بينه وبين المعاصي وقال آخرون بل معنى ذلك يحول بين المرء وعقله فلا يدري ما يعمل ذكر من قال ذلك حدثنا عبيد الله بن محمد الفريابي قال ثنا عبد المجيد عن ابن جريج عن مجاهد قوله يحول بين المرء وقلبه قال يحول بين المرء وعقله حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد يحول بين المرء وقلبه حتى يتركه لا يعقل حدثنا المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله يحول بين المرء وقلبه قال هو كقوله حال حتى تركه لا يعقل حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا معقل بن عبد الله عن حميد عن مجاهد يحول بين المرء وقلبه قال اذا حال بينك وبين قلبك كيف تعمل قال ثنا أبو أحمد قال ثنا شريك عن خصيف عن مجاهد يحول بين المرء وقلبه قال يحول بين قلب الكافر وان يعمل خيرا وقال آخرون معناه يحول بين المرء وقلبه ان يقدر على ايمان أو كفر الا باذنه ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدي واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه قال يحول بين الانسان وقلبه فلا يستطيع ان يؤمن ولا يكفر الا باذنه وقال آخرون معنى ذلك انه قريب من قلبه لا يخفى عليه شئ أظهره أو أسره ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور قال ثنا معمر عن قتادة في قوله يحول بين المرء وقلبه قال هي كقوله أقرب اليه من حبل الوريد * وأولى الاقوال بالصواب عندي في ذلك ان يقال ان ذلك خبر من الله عز وجل انه أملك لقلوب عباده منهم وانه يحول بينهم وبينها اذا شاء حتى لا يقدر ذو قلب ان يدرك به شيأ من ايمان أو كفر اوان يعي به شيأ أوان يفهم الا باذنه ومشيئته وذلك ان الحول بين الشئ والشئ انما هو الحجز بينهما واذا حجز جل ثناؤه بين عبد وقلبه في شئ ان يدركه أو يفهمه لم يكن للعبد الى ادراك ما قد منع الله قلبه ادراكه سبيل واذا كان ذلك معناه دخل في ذلك قول من قال يحول بين المؤمن والكفر وبين الكافر والايمان وقول من قال يحول بينه وبين عقله وقول من قال يحول بينه وبين قلبه حتى لا يستطيع ان يؤمن ولا يكفر الا باذنه لان الله عز وجل اذا حال بين عبد وقلبه لم يفهم العبد بقلبه الذي قد حيل بينه وبينه ما منع ادراكه به على ما بينت غير انه ينبغي ان يقال ان الله عم بقوله واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه عن الخبر انه يحول بين العبد وقلبه ولم يخصص من المعاني التي ذكرنا شيأ دون شئ والكلام يحتمل كل هذه المعاني فالخبر على العموم حتى يخصه ما يجب التسليم له وأما قوله وانه اليه تحشرون فان معناه واعلموا أيها المؤمنون أيضا مع العلم بان الله يحول بين المرء وقلبه ان الله الذي يقدر على قلوبكم وهو أملك بها منكم اليه مصيركم ومرجعكم في القيامة فيوفيكم جزاء أعمالكم المحسن منكم باحسانه والمسئ باساءته فاتقوه وراقبوه فيما أمركم ونهاكم هو ورسوله ان

تضيعوه

لاشتمال ذلك على نوع من الصلاح واما ان يكون نهيا بعد امر ومن للبيان كانه قيل احذر ذنبا أو عقابا ثم قيل لا تصيبنكم تلك العقوبة خاصة على ظلمكم كأن الفتنة نهيت عن ذلك الاختصاص على طريق الاستعارة وهكذا ان جعلت الجملة الناهية صفة للفتنة على ارادة القول أي واتقوا فتنة مقولا فيها لا تصيبن كقوله جاؤا بمذق هل رأيت الذئب قط عن الحسن نزلت في علي وعمار وطلحة والزبير وهو يوم الجمل خاصة على ما قال الزبير نزلت فينا وقرأناها زمانا وما أرينا أنا من أهلها فاذا نحن المعنيون بها وعن السدي نزلت في أهل بدر فاقتتلوا يوم الجمل روي ان الزبير كان يساير النبي صلى الله عليه وسلم يوما اذ أقبل علي وضحك اليه الزبير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف حبك لعلي فقال يا رسول الله بابي أنت وأمي اني احبه كحبي لولدي أو أشد حبا قال فكيف أنت اذا سرت اليه تقاتله ثم ختم الآية بقوله واعلموا أن الله شديد العقاب والمراد منه الحث على لزوم الاستقامة ثم ذكرهم نعمه عليهم فقال واذكروا اذ أنتم وانتصابه على انه مفعول به أي وقت انتم قليل يستوي فيه الواحد والجمع مستضعفون في الارض أرض مكة قبل الهجرة تخافون ان يتخطفكم الناس يستلبونكم لكونهم أعداء لكم فآواكم الى المدينة وأيدكم بنصره بمظاهرة الانصار وبامدادكم الملائكة يوم بدر ورزقكم من الطيبات من الغنائم لعلكم تشكرون أي نقلكم من الشدة الى الرخاء ومن البلاء الى النعماء والآلاء حتى تشتغلوا بالشكر والطاعة فكيف يليق بكم ان تشتغلوا بالمنازعة في الانفال ثم منعهم من الخيانة في الامانة روي ان رسول الله

تضيعوه ولا تستجيبوا الرسول اذا دعاكم لما يحييكم فيوجب ذلك سخطه وتستحقوا به أليم عذابه حين تحشرون اليه ۞ القول في تأويل قوله (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا ان الله شديد العقاب) يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله اتقوا أيها المؤمنون فتنة يقول اختبارا من الله يختبركم وبلاء يبتليكم لا تصيبن هذه الفتنة التي حذرتكموها الذين ظلموا وهم الذين فعلوا ما ليس لهم فعله اما اجرام أصابوها وذنوب بينهم وبين الله ركبوها يحذرهم جل ثناؤه ان يركبوا له معصية أو يأتوا مأثما يستحقون بذلك منه عقوبة وقيل ان هذه الآية نزلت في قوم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم الذين عنوا بها ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن ابراهيم قال ثنا الحسن بن أبي جعفر قال ثنا داود بن أبي هند عن الحسن في قوله واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة قال نزلت في علي وعثمان وطلحة والزبير رضي الله عنهم حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة قال قتادة قال الزبير بن العوام لقد نزلت وما نرى أحدا منا يقع بها ثم خلفنا في اصابتنا خاصة حدثني المثنى قال ثنا ابن عوف أبو ربيعة قال ثنا حماد عن حميد عن الحسن ان الزبير بن العوام قال نزلت هذه الآية واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وما ظننا أهلها ونحن عنينا بها قال ثنا قبيصة عن سفيان عن الصلت بن دينار عن ابن صهبان قال سمعت الزبير بن العوام قرأت هذه الآية زمانا وما أرانا من أهلها فاذا نحن المعنيون بها واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا ان الله شديد العقاب حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدي واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة قال هذه نزلت في أهل بدر خاصة وأصابتهم يوم الجمل فاقتتلوا حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن ابن أبي خالد عن السدي واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب قال أصحاب الجمل حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنا معاوية عن علي عن ابن عباس واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة قال أمر الله المؤمنين ان لا يقروا المنكر بين أظهرهم فيعمهم الله بالعذاب قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة قال هي أيضا لكم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة قال الفتنة الضلالة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن المسعودي عن القاسم قال قال عبد الله ما منكم من أحد الا وهو مشتمل على فتنة ان الله يقول انما أموالكم وأولادكم فتنة فليستعذ بالله من مضلات الفتن حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا مبارك بن فضالة عن الحسن قال قال الزبير لقد خوفنا بها يعني قوله واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة * واختلف أهل العربية في تأويل ذلك فقال بعض نحويي البصرة تأويله اتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا قوله لا تصيبن ليس بجواب ولكنه نهي بعد نهي ولو كان جوابا ما دخلت النون وقال بعض نحويي الكوفة قوله واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا أمرهم ثم نهاهم وفيه طرف من الجزاء وان كان نهيا قال ومثله قوله يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان أمرهم ثم نهاهم وفيه تأويل الجزاء وكأن معنى الكلام عنده اتقوا فتنة ان لم تتقوها أصابتكم وأما قوله واعلموا أن الله شديد العقاب فانه تحذير من الله ووعيد لمن واقع الفتنة التي حذره اياها بقوله واتقوا فتنة يقول اعلموا أيها المؤمنون ان ربكم شديد عقابه لمن افتتن بظلم نفسه وخالف أمره فأثم به ۞ القول في تأويل قوله (واذكروا اذ أنتم قليل مستضعفون في الارض تخافون ان يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون) وهذا تذكير من الله عز وجل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومناصحة يقول أطيعوا الله ورسوله أيها المؤمنون واستجيبوا له اذا دعاكم لما يحييكم ولا تخالفوا أمره وان أمركم بما فيه عليكم المشقة والشدة فان الله يهونه عليكم بطاعتكم اياه ويعجل لكم منه ما تحبون كما فعل بكم اذ آمنتم به واتبعتموه وأنتم قليل يستضعفكم الكفار فيفتنونكم عن دينكم وينالونكم

صلى الله عليه وسلم حاصر يهود بني قريظة احدى وعشرين ليلة فسألوا الصلح كما صالح اخوانهم بني النضير على ان يسيروا الى أذرعات وأريحاء من أرض الشام فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فأبوا وقالوا ارسل الينا أبا لبابة بن مروان بن المنذر وكان مناصحا لهم لان عياله وماله في أيديهم فبعثه اليهم فقالوا له ما ترى هل ننزل على حكم سعد فأشار الى حلقه انه أي ان حكم سعد بن معاذ هو الذبح قال أبو لبابة فما زالت قدماي حتى علمت اني قد خنت الله ورسوله فنزلت الآية فشد نفسه على سارية من سواري المسجد وقال والله لا أذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت أو يتوب الله علي فمكث سبعة أيام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تاب عليك فحل نفسك فقال لا والله لا أحلها حتى يكون رسول الله هو الذي يحلني فجاءه فحله بيده فقال ان من تمام توبتي ان اهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال صلى الله عليه وسلم يجزيك الثلث ان تتصدق به وقال السدي كانوا يسمعون من النبي صلى الله عليه وسلم شيأ فيفشونه ويلقونه الى المشركين فنهاهم الله عن ذلك وقال ابن زيد نهاهم الله ان يخونوا كما صنع المنافقون يظهرون الايمان ويسرون الكفر وعن جابر بن عبد الله ان أبا سفيان خرج من مكة فعلم النبي صلى الله عليه وسلم خروجه وعزم على الذهاب اليه فكتب اليه رجل من المنافقين ان محمدا يريدكم فخذوا حذركم فنزلت وقال الزهري والكلبي نزلت في حاطب بن أبي بلتعة حين كتب الى أهل مكة بخروج النبي صلى الله عليه وسلم اليها حكاه الاصم قال القاضي

بالمكروه في أنفسكم وأعراضكم تخافون منهم ان يتخطفوكم فيقتلوكم و يصطلموا جميعكم فآواكم يقول فجعل لكم مأوى تأوون اليه منهم وأيدكم بنصره يقول وقواكم بنصره عليهم حتى قتلتم منهم من قتلتم ببدر ورزقكم من الطيبات يقول وأطعمكم غنيمتهم حلالا طيبا لعلكم تشكرون يقول لكي تشكروا على ما رزقكم من ذلك وأنعم به عليكم من ذلك وغيره من نعمه عندكم واختلف أهل التأويل في الناس الذين عنوا بقوله ان يتخطفكم الناس فقال بعضهم كفار قريش ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عكرمة قوله واذكروا اذ أنتم قليل مستضعفون في الارض تخافون ان يتخطفكم الناس قال يعني بمكة مع النبي صلى الله عليه وسلم ومن تبعه من قريش وحلفائها ومواليها قبل الهجرة حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الكلبي أو قتادة أو كليهما واذكروا اذ أنتم قليل مستضعفون انها نزلت في يوم بدر كانوا يومئذ يخافون ان يتخطفهم الناس فآواهم وأيدهم بنصره حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة بنحوه وقال آخرون بل عني به غير قريش ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرني أبي قال سمعت وهب بن منبه يقول في قوله عز وجل تخافون ان يتخطفكم الناس قال فارس قال ثنا اسحق قال ثنا اسمعيل بن عبد الكريم قال ثني عبد الصمد انه سمع وهب بن منبه يقول وقرأ واذكروا اذ أنتم قليل مستضعفون في الارض تخافون ان يتخطفكم الناس والناس اذ ذاك فارس والروم قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذكروا اذ أنتم قليل مستضعفون في الارض قال كان هذا الحي من العرب أذل الناس ذلا وأشقاه عيشا وأجوعه بطونا وأعراه جلودا وأبينه ضلالا من عاش منهم عاش شقيا ومن مات منهم ردي في النار يؤكلون ولا يأكلون والله ما نعلم قبيلا من أهل الارض يومئذ كانوا أشر منهم منزلا حتى جاء الله بالاسلام فمكن به في البلاد ووسع به في الرزق وجعلكم به ملوكا على رقاب الناس فبالاسلام أعطى الله ما رأيتم فاشكروا لله نعمته فان ربكم منعم يحب الشكر وأهل الشكر في مزيد من الله تبارك وتعالى * وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال عني بذلك مشركو قريش لان المسلمين لم يكونوا يخافون على أنفسهم قبل الهجرة من غيرهم لانهم كانوا أدنى الكفار منهم اليهم وأشدهم عليهم يومئذ مع كثرة عددهم وقلة عدد المسلمين وأما قوله فآواكم فانه يعني آواكم المدينة وكذلك قوله وأيدكم بنصره بالانصار وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدي فآواكم الى الانصار بالمدينة وأيدكم بنصره هؤلاء أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أيدهم بنصره يوم بدر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عكرمة فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات يعني المدينة ۞ القول في تأويل قوله (يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون) يقول تعالى ذكره للمؤمنين بالله ورسوله من أصحاب نبيه صلى الله عليه وسلم يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله لا تخونوا الله ورسوله وخيانتهم الله ورسوله كانت باظهار من أظهر منهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين الايمان في الظاهر والنصيحة وهو يستسر الكفر والغش لهم في الباطن يدلون المشركين على عورتهم ويخبرونهم بما خفي عنهم من خبرهم وقد اختلف أهل التأويل فيمن نزلت هذه وفي السبب الذي نزلت فيه فقال بعضهم نزلت في منافق كتب الى أبي سفيان يطلعه على سر المسلمين ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم ابن بشر بن معروف قال ثنا شبابة بن سوار قال ثنا محمد المحرم قال لقيت عطاء بن أبي رباح فحدثني قال ثني جابر بن عبد الله ان أبا سفيان خرج من مكة فأتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان أبا سفيان في مكان كذا وكذا فقال لاصحابه ان أبا سفيان في مكان كذا وكذا فاخرجوا اليه واكتموا قال فكتب رجل من المنافقين ان النبي صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم فأنزل الله عز وجل لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وقال آخرون بل نزلت في أبي لبابة الذي كان من أمره وأمر بني

والاقرب انها في الغنائم فالخيانة فيها خيانة الله لانها عطية وخيانة لرسوله لانه القيم بقسمتها وخيانة للمؤمنين الغانمين فلكل منهم فيها حق قال ويحتمل ان يراد بالامانة كل ما تعبد به وكان معنى الآية ايجاب أداء التكاليف باسرها في الغنيمة وغيرها على سبيل التمام والكمال من غير نقص واخلال ومعنى الخون النقص كما ان معنى الوفاء التمام فاذا خنت الرجل في شيء فقد أدخلت عليه النقصان وقد استعير فقيل خان الدلو الكرب وخان المشتار السبب والكرب حبل قصير يوصل بالرشاء ويكون على العراقي سمي كربا لانه يكرب من الدلو أي يقرب منه واشتار العسل اذا اجتناه وجمعه وتخونوا يحتمل ان يكون جزما داخلا في حكم النهي وان يكون نصبا باضمار ان كقوله وتكتموا الحق ومعنى الآية على الوجه العام لا تخونوا الله بان تعطلوا فرائضه ورسوله بان لا تستنوا به وأماناتكم فيما بينكم بان لا تحفظوها وأنتم تعلمون تبعة ذلك ووباله أو تعلمون انكم تخونون يعني ان الخيانة توجد منكم عمدا لا سهوا وقيل وأنتم علماء تعلمون قبح القبيح وحسن الحسن ثم لما كان الداعي الى الخيانة هو محبة الاموال والاولاد ولعل ما فرط من أبي لبابة كان بسبب ذلك نبه الله سبحانه على انه يجب على العاقل ان يحترز عن المضار المتوهمة من ذلك الحب فقال انما أموالكم وأولادكم فتنة أي انها سبب الوقوع في الفتنة وهي الاثم والعذاب أو هي محنة من الله ليبلوكم كيف تحافظون على حدوده في ذلك الباب وان الله عنده أجر عظيم

قريظة ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى أبو سفيان عن معمر عن الزهرى قوله لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم قال نزلت فى أبى لبابة بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشار الى حلقه انه الذبح قال الزهرى فقال أبو لبابة لا والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت أو يتوب على فمكث سبعة أيام لا يذوق طعاما ولا شرابا حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له يا أبا لبابة قد تيب عليك قال والله لا أحل نفسى حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يحلنى فجاءه فحله بيده ثم قال أبو لبابة ان من توبتى ان أهجر دار قومى التى أصبت بها الذنب وان أنخلع من مالى قال يجزيك الثلث ان تصدق به ثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير عن ابن عيينة قال ثنا اسمعيل ابن أبى خالد قال سمعت عبد الله بن أبى قتادة يقول نزلت يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون فى أبى لبابة وقال آخرون بل نزلت فى شأن عثمان رضى الله عنه ذكر من قال ذلك حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا يونس بن الحرث الطائفى قال ثنا محمد بن عبد الله بن عون الثقفى عن المغيرة بن شعبة قال نزلت هذه الآية فى قتل عثمان رضى الله عنه يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول الآية * وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب ان يقال ان الله نهى المؤمنين عن خيانته وخيانة رسوله وخيانة أمانته وجائز ان تكون نزلت فى أبى لبابة وجائز ان تكون نزلت فى غيره ولا خبر عندنا بأى ذلك كان يجب التسليم له بصحته فمعنى الآية وتأويلها ما قدمنا ذكره وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول قال نهاكم ان تخونوا الله والرسول كما صنع المنافقون حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدى لا تخونوا الله والرسول الآية قال كانوا يسمعون من النبى صلى الله عليه وسلم الحديث فيفشونه حتى يبلغ المشركين واختلفوا فى تأويل قوله وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون فقال بعضهم لا تخونوا الله والرسول فان ذلك خيانة لاماناتكم وهلاك لها ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدى يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم فانهم اذا خانوا الله والرسول فقد خانوا أماناتهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون لا تظهروا لله من الحق ما يرضى به منكم ثم تخالفوه فى السر الى غيره فان ذلك هلاك لاماناتكم وخيانة لانفسكم فعلى هذا التأويل قوله وتخونوا أماناتكم فى موضع نصب على الظرف كما قال الشاعر

لا تنه عن خلق وتأتى مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم

ويروون ويأتى مثله وقال آخرون معناه لا تخونوا الله والرسول ولا تخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم يقول لا تخونوا يعنى لا تنقصوها فعلى هذا التأويل قوله لا تخونوا الله والرسول ولا تخونوا أماناتكم واختلف أهل التأويل فى معنى الامانة التى ذكرها الله فى قوله وتخونوا أماناتكم فقال بعضهم هى ما يخفى عن أعين الناس من فرائض الله ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وتخونوا أماناتكم والامانة الاعمال التى أمن الله عليها العباد يعنى الفريضة يقول ولا تخونوا يعنى لا تنقصوها حدثنا على بن داود قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله يقول بترك فرائضه والرسول يقول بترك سننه وارتكاب معصيته قال وقال مرة أخرى لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم والامانة الاعمال ثم ذكر نحو حديث المثنى وقال آخرون معنى الامانات ههنا الدين ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وتخونوا أماناتكم دينكم وأنتم تعلمون قال قد فعل ذلك المنافقون وهم يعلمون انهم كفار يظهرون الايمان وقرأ واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى الآية قال هؤلاء المنافقون أمنهم الله

فعليكم ان تزهدوا فى الدنيا وما يتعلق بها وتتوسطوا هممكم بما يفضى الى السعادات الروحانية الباقية ويمكن ان يتمسك بالآية فى بيان ان الاشتغال بالنوافل لكونه مفضيا الى الاجر العظيم عند الله وهو أفضل من الاشتغال بالنكاح لادائه الى الفتنة ثم رغب فى التقوى التى توجب الاعراض عن محبة الاموال والاولاد عن التهالك فى شأنهم فقال يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله فى ارتكاب الكبائر والاصرار على الصغائر يجعل لكم فرقانا فارقا بينكم وبين الكفار فى الاحوال الباطنة بالاختصاص بالمعرفة والهداية وانشراح الصدر وازالة الغل والحسد والمكر وسائر الاخلاق الذميمة والاوصاف السبعية والبهيمية وفى الاحوال الظاهرة باعلاء الكلمة والاظهار على أهل الاديان كلهم وفى أحوال الآخرة بالثواب الجزيل والمنافع الدائمة والتعظيم من الله والملائكة ويكفر عنكم سيئاتكم يستر عليكم فى الدنيا صغائركم ان فرطت منكم ويغفر لكم فى دار الجزاء والله ذو الفضل العظيم فاذا وعد بشئ وفى به أحسن الايفاء ومن عظيم فضله انه يتفضل بذاته من غير واسطة وبدون التماس عوض وكل متفضل سواه فانه لا يتفضل الا بعد ان يخلق الله فيه داعية التفضل وبعد ان يمكن المتفضل عليه من الانتفاع بذلك وبعد ان يكون قد تصور فيه ثوابا أو ثناء أو جزاء على ذلك أو رقة طبع أو عصبية

ورسوله على دينه فخانوا أظهر والايمان وأسروا الكفر فتأويل الكلام اذا يا أيها الذين آمنوا لا تنقصوا الله حقوقه عليكم من فرائضه ولا رسوله من واجب طاعته عليكم ولكن أطيعوهما فيما أمراكم به ونهياكم عنه لا تنقصوهما وتخونوا أماناتكم وتنقصوا أديانكم وواجب أعمالكم ولازمها لكم وأنتم تعلمون أنها لازمة عليكم وواجبة بالحجج التي قد ثبتت لله عليكم ۞ القول في تأويل قوله (واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وان الله عنده أجر عظيم) يقول تعالى ذكره للمؤمنين واعلموا أيها المؤمنون انما أموالكم التي خولكموها الله وأولادكم التي وهبها الله لكم اختبار وبلاء أعطاكموها ليختبركم بها ويبتليكم لينظر كيف أنتم عاملون من أداء حق الله عليكم فيها والانتهاء الى أمره ونهيه فيها وان الله عنده أجر عظيم يقول واعلموا ان الله عنده خير وثواب عظيم على طاعتكم اياه فيما أمركم ونهاكم في أموالكم وأولادكم التي اختبركم بها في الدنيا وأطيعوا الله فيما كلفكم فيها تنالوا به الجزيل من ثوابه في معادكم حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا المسعودي عن القاسم عن عبد الرحمن عن ابن مسعود في قوله انما أموالكم وأولادكم فتنة قال ما منكم أحد الا مشتمل على فتنة فمن استعاذ منكم فليستعذ بالله من مضلات الفتن حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال قال ابن زيد في قوله انما أموالكم وأولادكم فتنة قال ما منكم أحد الا مشتمل على فتنة فمن استعاذ منكم فليستعذ بالله من مضلات الفتن حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله انما أموالكم وأولادكم فتنة الاختبار اختبارهم وقرأ ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون ۞ القول في تأويل قوله (يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيآتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم) يقول تعالى ذكره يا أيها الذين آمنوا صدقوا الله ورسوله ان تتقوا الله بطاعته وأداء فرائضه واجتناب معاصيه وترك خيانته وخيانة رسوله وخيانة أماناتكم يجعل لكم فرقانا يقول يجعل لكم فصلا وفرقا بين حقكم وباطل من يبغيكم السوء من أعدائكم المشركين بنصره اياكم عليهم واعطائكم الظفر بهم ويكفر عنكم سيآتكم يقول ويمحو عنكم ما سلف من ذنوبكم بينكم وبينه ويغفر لكم يقول ويغطيها فيسترها عليكم فلا يؤاخذكم بها والله ذو الفضل العظيم يقول والله الذي يفعل ذلك بكم له الفضل العظيم عليكم وعلى غيركم من خلقه بفعله ذلك وفعل أمثاله وان فعله جزاء منه لعبيده على طاعتهم اياه لانه الموفق عبده لطاعته التي اكتسبها حتى استحق من ربه الجزاء الذي وعده عليها وقد اختلف أهل التأويل في العبارة عن تأويل قوله يجعل لكم فرقانا فقال بعضهم مخرجا وقال بعضهم نجاة وقال بعضهم نصرا وكل ذلك متقارب المعنى وان اختلفت العبارات عنها وقد بينت صحة ذلك فيما مضى قبل بما أغنى عن اعادته ذكر من قال معناه المخرج حدثنا ابن وكيع قال قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا قال مخرجا قال ثنا أبي عن سفيان عن منصور عن مجاهد ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا قال مخرجا حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن جابر عن مجاهد فرقانا مخرجا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فرقانا قال مخرجا في الدنيا والآخرة حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا هانئ بن سعيد عن حجاج عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فرقانا قال الفرقان المخرج حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله فرقانا يقول مخرجا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن منصور عن مجاهد فرقانا مخرجا حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن رجاء البصري قال ثنا زائدة عن منصور عن مجاهد مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربي عن جويبر عن الضحاك فرقانا قال مخرجا حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال سمعت عبيدا يقول سمعت الضحاك يقول فرقانا مخرجا حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا حميد عن زهير عن جابر عن عكرمة قال

أولاد فلا فضل في الحقيقة الا لله سبحانه فلهذا وصفه بالعظم ثم لما ذكر المؤمنين نعمه عليهم بقوله واذكروا اذ أنتم قليل ذكر رسوله نعمته عليه وذلك دفع كيد المشركين عنه حين كان بمكة ليشكر نعمة الله في نجاته من مكرهم وفيما أتاح له من حسن العاقبة والمعنى واذكر وقت مكرهم قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وغيرهم من المفسرين ذكروا ان قريشا اجتمعوا في دار الندوة متشاورين في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليهم ابليس في صورة شيخ وقال أنا شيخ من نجد ما أنا من تهامة دخلت مكة فسمعت باجتماعكم فأردت ان أحضركم ولن تعدموا مني رأيا ونصحا فقالوا هذا من نجد لا بأس عليكم به فقال أبو البختري من بني عبد الدار رأيي ان تحبسوه في بيت وتشدوا وثاقه وتسدوا بابه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها وتتربصون به ريب المنون فقال ابليس بئس الرأي يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من أيديكم فقال هشام بن عمرو رأيي ان تحملوه على جمل وتخرجوه من بين أظهركم فلا يضركم ما صنع واسترحتم فقال بئس الرأي يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال أبو جهل أنا أرى ان تأخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا صارما فيضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه واسترحنا فقال الشيخ صدق هذا الفتى هو أجودكم رأيا

الفرقان المخرج ذكر من قال معناه النجاة حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن جابر عن عكرمة ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا قال نجاة حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا اسرائيل عن رجل عن عكرمة ومجاهد فى قوله يجعل لكم فرقانا قال عكرمة المخرج وقال مجاهد النجاة حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدى يجعل لكم فرقانا قال نجاة حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس يجعل لكم فرقانا يقول يجعل لكم نجاة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ويجعل لكم فرقانا أى نجاة ذكر من قال فصلا يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا قال فرقانا يفرق فى قلوبهم بين الحق والباطل حتى يعرفوه ويهتدوا بذلك الفرقان حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا أى فصلا بين الحق والباطل يظهر به حقكم ويخفى به باطل من خالفكم والفرقان فى كلام العرب مصدر من قولهم فرقت بين الشئ والشئ أفرق بينهما فرقا وفروقا وفرقانا ۞ القول فى تأويل قوله (واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم مذكره نعمه عليه واذكر يا محمد اذ يمكر بك الذين كفروا من مشركى قومك كى يثبتوك واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله ليثبتوك فقال بعضهم معناه ليقيدوك ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك يعنى ليوثقوك قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ليثبتوك ليوثقوك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك الآية يقول ليشدوك وثاقا وأرادوا بذلك نبى الله صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ بمكة حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ومقسم قالا قالوا أوثقوه بالوثاق حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدى ليثبتوك قال الاثبات هو الحبس والوثاق وقال آخرون بل معناه الحبس ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال سألت عطاء عن قوله ليثبتوك قال يسجنوك وقالها عبد الله بن كثير حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قالوا اسجنوه وقال آخرون بل معناه ليسحروك ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن اسمعيل البصرى المعروف بالوساوسى قال ثنا عبد المجيد بن أبى رواد عن ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير بن المطلب بن أبى وداعة ان أبا طالب قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما يأتمر به قومك قال يريدون ان يسحرونى و يقتلونى ويخرجونى فقال من خبرك هذا قال ربى قال نعم الرب ربك فاستوص به خيرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا استوصى به بل هو يستوصى بى خيرا فنزلت واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك الآية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قال عطاء سمعت عبيد بن عمير يقول لما ائتمروا بالنبى صلى الله عليه وسلم ليقتلوه أو يثبتوه و يخرجوه قال له أبو طالب هل تدرى ما ائتمروا بك قال نعم قال فأخبره قال من أخبرك قال ربى قال نعم الرب ربك استوص به خيرا قال أنا استوصى به أو هو يستوصى بى وكان معنى مكر قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم به ليثبتوه كما حدثنا سعيد بن يحيى الاموى قال ثنى أبى قال ثنا محمد بن اسحق بن عبد الله بن أبى نجيح عن مجاهد عن ابن عباس قال وحدثني الكلبى عن زاذان مولى أم هانئ عن ابن عباس ان نفرا من قريش من أشراف كل قبيلة اجتمعوا ليدخلوا دار الندوة فاعترضهم ابليس فى صورة جليل فلما رأوه قالوا من أنت قال شيخ من نجد سمعت انكم اجتمعتم فأردت ان أحضركم ولن يعدمكم منى رأى ونصح قالوا أجل أدخل فدخل معهم فقال انظروا فى شأن هذا الرجل والله ليوشكن ان يؤاتيكم فى أموركم بأمره فقال قائل احبسوه فى وثاق ثم تربصوا به المنون

رسول الله وأمره أن لا يبيت فى مضجعه وأذن له الله فى الهجرة فأمر عليا عليه السلام فنام فى مضجعه وقال له اتشح ببردتى فانه لن يخلص اليك أمر تكرهه وباتوا مترصدين فلما أصبحوا ثاروا الى مضجعه فأبصروا عليا فبهتوا وخيب الله سعيهم واقتصوا أثره فأبطل مكرهم ومعنى ليثبتوك قال ابن عباس ليوثقوك ويسجنوك لانه لا يقدر على الحركة وهو اشارة الى رأى البخترى وقوله أو يقتلوك اشارة الى رأى أبى جهل وقوله أو يخرجوك أى من مكة اشارة الى رأى هشام وأنكر القاضى حديث ابليس فى القصة وتصويره نفسه بصورة الانس قال لان ذلك التغيير ان كان بفعل الله فهو اعانة للكفار على المكر وان كان من فعل ابليس فذلك لا يليق بحكمة الله تعالى لان اقدار ابليس على تغيير صورة نفسه اعانة له على الاغواء والتلبيس هذا ما حكى عن القاضى وزيف عليه ان هذا الاعتراض وارد على خلق ابليس نفسه وعلى خلق سائر أسباب الشرور والآثام وقد أجبنا عن أمثال ذلك مرارا وقد عرفت تفسير المكر فى سورة آل عمران والحاصل انهم احتالوا فى ابطال أمر محمد والله نصره وقواه فضاع فعلهم وظهر صنع الله قيل لا خير فى مكرهم فكيف قال والله خير الماكرين وأجيب بأن المراد انه أقوى الماكرين أو المراد انه لو قدر فى مكرهم خير لكان الخير فى مكره أكثر أو المراد

حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء زهير والنابغة انما هو كاحدهم قال فصرخ عدو الله الشيخ النجدى فقال والله ماهذا الكم رأى والله ليخرجنه ربه من محبسه الى أصحابه فليوشكن ان يثبوا عليه حتى يأخذوه من أيديكم فيمنعوه منكم فما آمن عليكم ان يخرجوكم من بلادكم قالوا فانظروا فى غير هذا قال فقال قائل اخرجوه من بين أظهركم تستريحوا منه فانه اذا خرج لن يضركم ماصنع وأين وقع اذ غاب عنكم أذاه واسترحتم وكان أمره فى غيركم فقال الشيخ النجدى والله ماهذا لكم برأى ألم تروا حلاوة قوله وطلاقة لسانه وأخذ القلوب ماتسمع من حديثه والله لئن فعلتم ثم استعرض العرب لتجتمعن عليكم ثم ليأتين اليكم حتى يخرجكم من بلادكم ويقتل أشرافكم قالوا صدق والله فانظروا رأيا غير هذا قال فقال أبو جهل والله لاشيرن عليكم برأى ما أراكم أبصرتموه بعد ما أرى غيره قالوا وماهو قال نأخذ من كل قبيلة غلاما وسطا شابا نهدا ثم يعطى كل غلام منهم سيفا صارما ثم يضربوه ضربة رجل واحد فاذا قتلوه تفرق دمه فى القبائل كلها فلا أظن هذا الحى من بنى هاشم يقدرون على حرب قريش كلها فانهم اذا رأوا ذلك قبلوا العقل واسترحنا وقطعنا عنا أذاه فقال الشيخ النجدى هذا والله الرأى القول ماقال الفتى لاأرى غيره قال فتفرقوا على ذلك وهم مجمعون له قال فأتى جبريل النبى صلى الله عليه وسلم فامره ان لا يبيت فى مضجعه الذى كان يبيت فيه تلك الليلة وأذن الله له عند ذلك بالخروج وأنزل عليه بعد قدومه المدينة الانفال يذكره نعمه عليه وبلاءه عنده واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين وأنزل فى قولهم تربصوا حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون وكان يسمى ذلك اليوم يوم الزحمة للذى اجتمعوا عليه من الرأى حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ومقسم فى قوله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك قالا تشاوروا فيه ليلة وهم بمكة فقال بعضهم اذا أصبح فاوثقوه بالوثاق وقال بعضهم بل اقتلوه وقال بعضهم بل اخرجوه فلما أصبحوا رأوا عليا رضى الله عنه فرد الله مكرهم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنى أبى عن عكرمة قال لما خرج النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الى الغار أمر على بن أبى طالب فنام فى مضجعه فبات المشركون يحرسونه فاذا رأوه نائما حسبوا انه النبى صلى الله عليه وسلم فتركوه فلما أصبحوا ثاروا اليه وهم يحسبون انه النبى صلى الله عليه وسلم فاذاهم بعلى فقالوا أين صاحبك قال لاأدرى قال فركبوا الصعب والذلول فى طلبه حدثنى المثنى قال حدثنا اسحق قال ثنا عبد الرزاق عن معمر قال أخبرنى عثمان الجزرى ان مقسما مولى ابن عباس أخبره عن ابن عباس فى قوله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك قال تشاورت قريش ليلة بمكة فقال بعضهم اذا أصبح فاثبتوه بالوثاق يريدون النبى صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم بل اقتلوه وقال بعضهم بل اخرجوه فاطلع الله نبيه على ذلك فبات على رضى الله عنه على فراش النبى صلى الله عليه وسلم تلك الليلة وخرج النبى صلى الله عليه وسلم حتى لحق بالغار وبات المشركون يحرسون عليا يحسبون انه النبى صلى الله عليه وسلم فلما أصبحوا ثاروا اليه فلما رأوا عليا رضى الله عنه رد الله مكرهم فقالوا أين صاحبك قال لاأدرى فاقتصوا أثره فلما بلغوا الجبل فروا بالغار فرأوا على بابه نسج العنكبوت قالوا لو دخل ههنا لم يكن نسج على بابه فمكث فيه ثلاثا حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين قال اجتمعت مشيخة قريش يتشاورون فى النبى صلى الله عليه وسلم بعد ما أسلمت الانصار وفرقوا أن يتعالى أمره اذا وجد ملجأ لجأ اليه فجاء ابليس فى صورة رجل من أهل نجد فدخل معهم فى دار الندوة فلما أنكروه قالوا من أنت فوالله ما كل قومنا أعلمناهم مجلسنا هذا قال انا رجل من أهل نجد أسمع من حديثكم وأشير عليكم فاستحيوا فخلوا عنه فقال بعضهم خذوا محمدا اذا اصطجع على فراشه فاجعلوه فى بيت نتربص به ريب المنون والريب هو الموت والمنون هو الدهر قال ابليس بئسما قلت تجعلونه فى بيت فتأتى أصحابه فيخرجونه فيكون بينكم

انه فى نفسه خير * التأويل ان شر من دب فى الوجود هم الصم عن استماع كلام الحق بسمع القلب والقبول البكم عن كلام الحق والكلام مع الحق والاصم لابد ان يكون أبكم فلذلك خصا بالذكر الذين لايعقلون انهم لماذا خلقوا فلاجرم يؤل حالهم من ان يكونوا خير البرية الى ان يكونوا شر الدواب استجيبوا لله انه تعالى يطلب بالمحبة من العبد الاجابة كما يطلب العبد للحاجة منه الاجابة فالاستجابة لله اجابة الارواح للشهود واجابة القلوب للشواهد واجابة الاسرار للمشاهدة واجابة الخفى للفناء فى الله والاستجابة للرسول بالمتابعة لما يحييكم بالفناء عنكم والبقاء به واتقوا أيها الواصلون فتنة ابتلاء النفوس بحظوظها الدنيوية والاخروية لاتصيب النفوس الظالمة فقط بل تصيب ظلمتها الارواح النورانية والقلوب الربانية فتجذبها من حظائر القدس ورياض الانس الى خضائض صفات الانس واعلموا ان الله شديد العقاب يعاقب الواصلين بالانقطاع والاستدراج عند الالتفات الى ماسواه واذكروا اذ أنتم أيها الارواح والقلوب قليل لم ينشأ بعد لكم الصفات والاخلاق الروحانية مستضعفون من غلبات صفات النفس لاعوازالتربية بالبان آداب الطريقة ولانعدام جريان أحكام الشريعة عليهم الى أوان البلوغ تخافون ان تسلبكم النفوس وصفاتها والشيطان وأعوانه فآواكم الى حظائر القدس وأيدكم بالواردات الربانية ورزقكم

فتال قالوا صدق الشيخ فقال اخرجوه من قريتكم قال ابليس بئسما قلت تخرجونه من قريتكم وقد أفسد سفهاءكم فيأتي قرية أخرى فيفسد سفهاءهم فيأتيكم بالخيل والرجال قالوا صدق الشيخ قال أبو جهل وكان أولاهم بطاعة ابليس بل نعمد الى كل بطن من بطون قريش فنخرج منهم رجلا فنعطيهم السلاح فيشدون على محمد جميعا فيضربونه ضربة رجل واحد فلا تستطيع بنو عبد المطلب ان يقتلوا قريشا فليس لهم الا الدية قال ابليس صدق وهذا الفتى هو أجودكم رأيا فقاموا على ذلك وأخبر الله رسوله صلى الله عليه وسلم فنام على الفراش وجعلوا عليه العيون فلما كان في بعض الليل انطلق هو وأبو بكر الى الغار ونام علي بن أبي طالب على الفراش فذلك حين يقول الله ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك والاثبات هو الحبس والوثاق وهو قوله وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلافك الا قليلا يقول يهلكهم فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة لقيه عمر فقال له ما فعل القوم وهو يرى انهم قد اهلكوا حين خرج النبي صلى الله عليه وسلم من بين أظهرهم وكذلك كان يصنع بالامم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اخروا بالقتال حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ليثبتوك أو يقتلوك قال كفار قريش أرادوا ذلك بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل ان يخرج من مكة حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد نحوه حدثنا ابن وكيع قال ثنا هانئ بن سعيد عن حجاج عن ابن أبي نجيح عن مجاهد نحوه الا انه قال فعلوا ذلك بمحمد حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك الآية هو النبي صلى الله عليه وسلم مكروا به وهو بمكة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك الى آخر الآية قال اجتمعوا فتشاوروا في رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا اقتلوا هذا الرجل فقال بعضهم لا يقتله رجل الا قتل به قالوا خذوه فاسجنوه واجعلوا عليه حديدا قالوا فلا يدعكم أهل بيته قالوا اخرجوه قالوا اذا يستغوي الناس عليكم قال وابليس معهم في صورة رجل من أهل نجد واجتمع رأيهم انه اذا جاء يطوف البيت ويستلم ان يجتمعوا عليه فيغموه ويقتلوه فانه لا يدري أهله من قتله فيرضون بالعقل فنقتله ونستريح ونعقله فلما ان جاء يطوف بالبيت اجتمعوا عليه فغموه فأتى أبو بكر فقيل له ذلك فأتى فلم يجد مدخلا فلما ان لم يجد مدخلا قال أتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم قال ثم فرجها الله عنه فلما ان جاء الليل أتاه جبريل عليه السلام فقال من أصحابك فقال فلان وفلان وفلان فقال لا نحن أعلم بهم منك يا محمد هو ناموس ليل قال وأخذ أولئك من مضاجعهم وهم نيام فأتى بهم النبي صلى الله عليه وسلم فقدم أحدهم الى جبريل فكحله ثم أرسله فقال ما صورته يا جبريل قال كفيته يا نبي الله ثم قدم آخر فنقر فوق رأسه بعصا نقرة ثم أرسله فقال ما صورته يا جبريل فقال كفيته يا نبي الله ثم أتي بآخر فنقر في ركبته فقال ما صورته يا جبريل قال كفيته ثم أتي بآخر فسقاه مذقة فقال ما صورته يا جبريل قال كفيته يا نبي الله وأتي الخامس فلما غدا من بيته مر بنبال فتعلق مشقص بردائه فالتوى فقطع الاكحل من رجله وأما الذي كحلت عيناه فأصبح وقد عمي وأما الذي سقي مذقة فأصبح وقد استسقى بطنه وأما الذي نقر فوق رأسه فأخذته النقدة والنقدة قرحة عظيمة أخذت في رأسه وأما الذي طعن في ركبته فأصبح وقد أقعد فذلك قول الله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قوله ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين أي فمكرت لهم بكيدي المتين حتى خلصتك منهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عكرمة قوله واذ يمكر بك الذين كفروا قال هذه مكية قال ابن جريج قال مجاهد هذه مكية فتأويل الكلام اذا واذكر يا محمد نعمتي عندك بمكري بمن حاول المكر بك من مشركي قومك باثباتك أو قتلك أو اخراجك من وطنك حتى استنقذتك منهم وأهلكتهم

المستعدة بسعادات العرفان لا تخونوا الله فيما آتاكم من المواهب فتجعلوها شبكة لاصطياد الدنيا ولا تخونوا الرسول بترك السنة والقيام بالبدعة وتخونوا أماناتكم التي هي محبة الله وخيانتها تبديلها بمحبة المخلوقات وأنتم تعلمون انكم تبيعون الدين بالدنيا والمولى بالاولى فتنة يختبركم الله بها لتمييز الموافق من المنافق والصديق من الزنديق يا أيها الذين آمنوا بهذه المقامات والكرامات ان تتقوا الله من غير الله يجعل لكم فرقانا يفض عليكم من جماله وجلاله القديم ما تفرقون به بين الحدوث والقدم ويكفر عنكم سيئات وجودكم الفاني ويغفر لكم يسترکم بأنوار جماله وجلاله والله ذو الفضل العظيم وهو البقاء بالله بعد الفناء فيه ليثبتوك أيها الروح في أسفل سافلين الطبيعة أو يعدموك بانعدام آثارك أو يخرجوك من عالم الارواح والله خير الماكرين يصلح حال أهل الصلاح البتة (واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا أساطير الاولين واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا

فامض لامري في حرب من حاربك من المشركين وتولى عن اجابة ما أرسلتك به من الدين القيم ولا يرعبنك كثرة عددهم فان ربك خير الماكرين بمن كفر به وعبد غيره وخالف أمره ونهيه وقد بينا معنى المكر فيما مضى بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع ۞ القول في تاويل قوله (واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا أساطير الاولين) يقول تعالى ذكره واذا تتلى على هؤلاء الذين كفروا آيات كتاب الله الواضحة لمن شرح الله صدره لفهمه قالوا جهلا منهم وعنادا للحق وهم يعلمون انهم كاذبون في قيلهم لو نشاء لقلنا مثل هذا الذي تلي علينا ان هذا الا أساطير الاولين يعني انهم يقولون ما هذا القرآن الذي يتلى عليهم الا أساطير الاولين والاساطير جمع أسطر وهو جمع الجمع لان واحد الاسطر سطر ثم يجمع السطر أسطر وسطور ثم يجمع الاسطر أساطير وأساطر وقد كان بعض أهل العربية يقول واحد الاساطير أسطورة وانما عني المشركون بقولهم ان هذا الا أساطير الاولين ان هذا القرآن الذي تتلوه علينا يا محمد الا ما سطره الاولون وكتبوه من أخبار الامم كأنهم أضافوه الى انه أخذ عن بني آدم وانه لم يوحه الله اليه وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قوله واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا قال كان النضر بن الحرث يختلف تاجرا الى فارس فيمر بالعباد وهم يقرؤن الانجيل ويركعون ويسجدون فجاء مكة فوجد محمدا صلى الله عليه وسلم قد انزل عليه وهو يركع ويسجد فقال النضر قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا الذي سمع من العباد فنزلت واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا قال فقال فقص ربنا ما كانوا قالوا بمكة وقص قولهم اذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي قال كان النضر بن الحارث بن علقمة أخو بني عبد الدار يختلف الى الحيرة فيسمع سجع أهلها وكلامهم فلما قدم مكة سمع كلام النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن فقال قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا أساطير الاولين يقول أساجيع أهل الحيرة حدثنا محمد بن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير قال قتل النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر عقبة بن أبي معيط صبرا وطعيمة بن عدي والنضر بن الحرث وكان المقداد اسر النضر فلما أمر بقتله قال المقداد أسيري فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقول في كتاب الله ما يقول فامر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله فقال المقداد أسيري فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم أغن المقداد فقال المقداد هذا الذي أردت وفيه أنزلت هذه الآية واذا تتلى عليهم آياتنا الآية حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو بشر عن سعيد بن جبير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل يوم بدر ثلاثة رهط من قريش صبرا المطعم بن عدي والنضر بن الحرث وعقبة بن أبي معيط قال فلما أمر بقتل النضر قال المقداد بن الاسود أسيري يا رسول الله قال انه كان يقول في كتاب الله وفي رسوله ما كان يقول قال فقال ذلك مرتين أو ثلاثا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم أغن المقداد من فضلك وكان المقداد أسر النضر ۞ القول في تاويل قوله (واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم) يقول تعالى ذكره واذكر يا محمد أيضا ما حل بمن قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم اذ مكرت لهم فأتيتهم بعذاب أليم وكان ذلك العذاب قتلهم بالسيف يوم بدر وهذه الآية أيضا ذكر انها نزلت في النضر بن الحارث ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال ثنا أبو بشر عن سعيد بن جبير في قوله واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء قال نزلت في النضر ابن الحارث حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ان كان هذا هو الحق من عندك قال قول النضر بن الحرث بن علقمة بن كلدة حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك قول النضر

فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا الى جهنم يحشرون ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله في جهنم أولئك هم الخاسرون قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وان يعودوا فقد مضت سنة الاولين وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير وان تولوا فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير) القرآن بما تعملون بصير بتاء الخطاب يعقوب

* الوقوف مثل هذا لا لان الابتداء بان هذا الا أساطير الاولين قبيح الاولين ه أليم ه وأنت فيهم ط يستغفرون ه وما كانوا أولياءه ط لا يعلمون ه وتصدية ط تكفرون ه عن سبيل الله ط يغلبون ه ط لان ما بعده مبتدأ يحشرون ه لا لتعلق اللام في جهنم ط الخاسرون ه سلف ط لابتداء الشرط مع العطف الاولين ه كله لله ط بصير ه مولاكم ط النصير ه

الجزء العاشر التفسير انه حكى مكرهم في ذات محمد صلى الله عليه وسلم وأنه حكى مكرهم في دينه روي ان النضر بن الحرث خرج الى

ابن الحرث بن علقمة بن كلدة من بنى عبد الدار قال أخبرنا اسحق قال أخبرنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله ان كان هذا هو الحق من عندك قال هو النضر بن الحرث بن كلدة **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا طلحة بن عمرو عن عطاء قال قال رجل من بنى عبد الدار يقال له النضر بن كلدة اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم فقال الله وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب وقال لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة وقال سأل سائل بعذاب واقع للكافرين قال عطاء لقد نزل فيه بضع عشرة آية من كتاب الله **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى قال فقال يعنى النضر بن الحرث اللهم ان كان ما يقول محمد هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم قال الله سأل سائل بعذاب واقع للكافرين **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن ليث عن مجاهد فى قوله ان كان هذا هو الحق من عندك الآية قال سأل سائل بعذاب واقع للكافرين **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية قال قال ذلك سفهة هذه الامة وجهلتها فعاد الله بعائدته ورحمته على سفهة هذه الامة وجهلتها **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثم ذكر غيرة قريش واستفتاحهم على أنفسهم اذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك أى ما جاء به محمد فامطر علينا حجارة من السماء كما أمطرتها على قوم لوط أو ائتنا بعذاب أليم أى ببعض ما عذبت به الامم قبلنا واختلف أهل العربية فى وجه دخول هو فى الكلام فقال بعض البصريين نصب الحق لان هو والله أعلم حولت زائدة فى الكلام صلة توكيد كزيادة ما ولا تزاد الا فى كل فعل لا يستغنى عن خبر وليس هو بصفة لهذا لانك لو قلت رأيت هذا هو لم يكن كلاما ولا تكون هذه المضمرة من صفة الظاهرة ولكنها تكون من صفة المضمرة نحو قوله ولكن كانوا هم الظالمين وتجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا لانك تقول وجدته هو واياى فتكون هو صفة وقد تكون فى هذا المعنى أيضا غير صفة ولكنها تكون زائدة كما كان فى الاول وقد تجرى فى جميع هذا مجرى الاسم فيرفع ما بعدها ان كان ما بعدها ظاهرا أو مضمرا فى لغة بنى تميم يقولون فى قوله ان كان هذا هو الحق من عندك ولكن كانوا هم الظالمين وتجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا كما يقول كانوا آباؤهم الظالمون جعلوا هذا المضمر نحو هو وهما وأنت زائدا فى هذا المكان ولم تجعل مواضع الصفة لانه فصل أراد أن يبين به انه ليس بصفة ما بعده لما قبله ولم يحتج الى هذا فى الموضع الذى لا يكون له خبر وكان بعض الكوفيين يقول لم تدخل هو التى هى عماد فى الكلام الا لمعنى صحيح وقال كانه قال زيد قائم فقلت أنت بل عمرو هو القائم فهو لمعهود الاسم والالف واللام لمعهود الفعل التى هى صلة فى الكلام مخالفة لمعنى هو لان دخولها وخروجها واحد فى الكلام وليست كذلك هو وأما التى تدخل صلة فى الكلام فتوكيد شبيه بقولهم وجدته نفسه تقول ذلك وليست بصفة كالظريف والعاقل ۞ القول فى تأويل قوله (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام) اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم تأويله وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم أى وأنت مقيم بين أظهرهم قال وأنزلت هذه على النبى صلى الله عليه وسلم وهو مقيم بمكة قال ثم خرج النبى صلى الله عليه وسلم من بين أظهرهم فاستغفر من بها من المسلمين فانزل بعد خروجه عليه حين استغفر أولئك بها وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال ثم خرج أولئك البقية من المسلمين من بينهم فعذب الكفار ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر بن أبى المغيرة عن ابن ابزى قال كان النبى صلى الله عليه وسلم بمكة فانزل الله عليه وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم قال فخرج النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة فانزل الله وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال فكان أولئك البقية

الحيرة تاجرا واشترى أحاديث كليلة ودمنة وقصة رستم واسفنديار وكان يقعد مع المستهزئين والمقتسمين فيقرأ عليهم ويقول هذا مثل ما يذكره محمد من قصص الاولين ولو شئت لقلت مثل قوله وهذا منه ومن امثاله حلف تحت الراعدة لانهم لم يتوانوا فى مشيئتهم لو ساعدتهم الاستطاعة وروى عن النضر أو عن أبى جهل على ما فى الصحيحين ان أحدهما قال ما معناه اللهم ان كان هذا هو الحق الآية وهذا أسلوب من العناد بليغ لان قوله هو الحق بالفصل وتعريف الخبر تهكم لمن يقول على سبيل التخصيص والتعيين هذا هو الحق ومعنى حجارة من السماء الحجارة المسومة للعذاب أى ان كان القرآن هو المخصوص بالحقية فعاقبنا على انكاره بالسجيل كما فعلت باصحاب الفيل أو بنوع آخر من جنس العذاب الاليم ومراده نفى كونه حقا فلذلك علق بحقيته العذاب كما لو علق بامر محال فهو كقول القائل ان كان الباطل حقا فامطر علينا حجارة وعن معاوية انه قال لرجل من سبأ ما أجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة قال أجهل من قومى قومك قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين دعاهم الى الحق ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة ولم يقولوا ان كان هذا هو الحق فاهدنا له ثم شرع فى الجواب عن شبهتهم فقال وما كان الله ليعذبهم اللام لتأكيد النفى ودلالة على أن تعذيبهم بعذاب الاستئصال والنبى بين أظهرهم غير مستقيم عادة تعظيما لشأن النبى

من المسلمين الذين بقوا فيها يستغفرون يعنى بمكة فلما خرجوا انزل الله عليه ومالهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه قال فاذن له فى فتح مكة فهو العذاب الذى وعدهم حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن أبى مالك فى قوله وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم يعنى النبى صلى الله عليه وسلم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون يعنى من بها من المسلمين ومالهم الا يعذبهم الله يعنى مكة وفيها الكفار حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن حصين عن ابى مالك فى قول الله ليعذبهم يعنى أهل مكة وأتبعتهم وما كان الله معذبهم وفيهم المؤمنون يستغفرون يغفران بهم من المسلمين حدثنا ابن وكيع قال ثنا اسحق بن اسمعيل الرازى وأبو داود الحفرى عن يعقوب عن جعفر عن ابن ابزى وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال بقية من بقى من المسلمين منهم فلما خرجوا قال ومالهم الا يعذبهم الله قال ثنا عمران بن عيينة عن حصين عن أبى مالك وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم قال أهل مكة وأخبرنا أبى عن سلمة بن نبيط عن الضحاك وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال المؤمنون من أهل مكة ومالهم الا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام قال المشركون من أهل مكة قال حدثنا أبو خالد عن جويبر عن الضحاك وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال المؤمنون يستغفرون بين ظهرانيهم حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون يقول الذين آمنوا معك يستغفرون بمكة حتى أخرجك والذين آمنوا معك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قال ابن عباس لم تعذب قرية حتى يخرج النبى منها والذين آمنوا معه ويلحقه بحيث أمر وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون يعنى المؤمنين ثم عاد الى المشركين فقال ومالهم الا يعذبهم الله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم قال يعنى أهل مكة وقال آخرون بل معنى وما كان الله ليعذب هؤلاء المشركين من قريش بمكة وأنت فيهم يا محمد حتى أخرجك من بينهم وما كان الله معذبهم وهؤلاء المشركون يقولون يارب غفرانك وما أشبه ذلك من معانى الاستغفار بالقول قالوا وقوله ومالهم الا يعذبهم الله فى الآخرة ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن منصور الرمادى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا عكرمة عن أبى زميل عن ابن عباس ان المشركين كانوا يطوفون بالبيت يقولون لبيك لبيك لا شريك لك فيقول النبى صلى الله عليه وسلم قد قد فيقولون الا شريك هو لك تملكه وما ملك ويقولون غفرانك غفرانك فانزل الله وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فقال ابن عباس كان فيهم أمانان نبى الله والاستغفار قال فذهب النبى صلى الله عليه وسلم وبقى الاستغفار ومالهم الا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه ان أولياؤه الا المتقون قال فهذا عذاب الآخرة قال وذاك عذاب الدنيا حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو معشر عن يزيد بن رومان ومحمد بن قيس قالا قالت قريش بعضها لبعض محمد أكرمه الله من بيننا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا الآية فلما أمسوا ندموا على ما قالوا فقالوا غفرانك اللهم فانزل الله وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون الى قوله لا يعلمون حدثنى ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال كانوا يقولون يعنى المشركين والله ان الله لا يعذبنا ونحن نستغفر ولا يعذب أمة ونبيها معها حتى يخرجه عنها وذلك من قولهم ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم فقال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم يذكر له جهالتهم وغرتهم واستفتاحهم على أنفسهم اذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء كما أمطرتها على قوم لوط وكان حين نعى عليهم سوء أعمالهم وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون أى لقولهم وان كانوا يستغفرون كما قال وهم يصدون عن المسجد الحرام من آمن بالله وعبده أى أنت ومن تبعك حدثنا الحسن بن الصباح البزار قال ثنا أبو بردة عن ابى موسى قال انه كان فيكم أمانان قوله وما كان الله

وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال قتادة والسدى المراد نفى الاستغفار عنهم أى لو كانوا ممن يؤمن ويستغفر من الكفر لما عذبهم وقيل اللفظ عام الا ان المراد بعضهم وهم الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من المستضعفين المؤمنين فهو كقولك قتل أهل المحلة فلانا وانما قتله واحد منهم أو اثنان وقيل وصفوا بصفة أولادهم والمعنى وما كان الله معذب هؤلاء الكفار وفى علم الله انه يكون لهم أولاد يؤمنون بالله ويستغفرونه وفى علم الله ان فيهم من يؤل أمره الى الايمان كحكيم بن حزام والحرث بن هشام وعدد كثير ممن آمن يوم الفتح وقبله وبعده وفى الآية دلالة على ان الاستغفار أمان وسلامة من العذاب قال ابن عباس كان فيهم أمانان نبى الله والاستغفار أما النبى فقد مضى وأما الاستغفار فهو باق الى يوم القيامة ثم بين انه يعذبهم اذا خرج الرسول من بينهم فقال ومالهم ألا يعذبهم الله وأى شئ لهم فى انتفاء العذاب عنهم يعنى لا حظ لهم فى ذلك وهم معذبون لا محالة قيل لحقهم هذا العذاب الموعد به يوم بدر وقيل يوم فتح مكة بدليل قوله وهم يصدون أى كيف لا يعذبون وحالهم انهم يصدون عن المسجد الحرام كما صدوا رسول الله عام الحديبية والاولون قالوا ان اخراجهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين من الصد وعن ابن عباس هشنا العذاب عذاب الآخرة والذى نفاه عنهم هو عذاب الدنيا

ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال أما النبي صلى الله عليه وسلم فقد تقضى وأما الاستغفار فهو دائر فيكم الى يوم القيامة حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا يونس بن أبي اسحق عن عامر ابي الخطاب الثوري قال سمعت أبا العلاء يقول كان لامة محمد صلى الله عليه وسلم أمنتان فذهبت احداهما بقيت الاخرى وما كان ليعذبهم وأنت فيهم الآية * وقال آخرون معنى ذلك وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم يا محمد وما كان الله معذب المشركين وهم يستغفرون ان لو استغفروا قالوا ولم يكونوا يستغفرون فقال جل ثناؤه اذ لم يكونوا يستغفرون وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال ان القوم لم يكونوا يستغفرون ولو كانوا يستغفرون ما عذبوا وكان بعض أهل العلم يقول هما أمانان أنزلهما الله فاما أحدهما فمضى نبي الله وأما الآخر فابقاه الله رحمة بين أظهركم الاستغفار والتوبة حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد ابن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى قال الله لرسوله وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون يقول ما كنت أعذبهم وهم يستغفرون لو استغفروا وأقروا بالذنوب لكانوا مؤمنين وكيف لا أعذبهم وهم لا يستغفرون وما لهم الا يعذبهم الله وهم يصدون عن محمد وعن المسجد الحرام حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال يقول لو استغفروا لم أعذبهم وقال آخرون معنى ذلك وما كان الله ليعذبهم وهم يسلمون قالوا واستغفارهم كان في هذا الموضع اسلامهم ذكر من قال ذلك حدثنا سوار بن عبد الله قال ثنا عبد الملك بن الصباح قال ثنا عمران بن حدير عن عكرمة في قوله وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال سألوا العذاب فقال لم يكن ليعذبهم وأنت فيهم ولم يكن ليعذبهم وهم يدخلون في الاسلام حدثني محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله وأنت فيهم قال بين أظهرهم وقوله وهم يستغفرون قال يسلمون حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال وهم مسلمون وما لهم الا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا محمد بن عبيد الله عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم قال بين أظهرهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال دخولهم في الاسلام وقال آخرون بل معنى ذلك وفيهم من قد سبق له من الله الدخول في الاسلام ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم يقول ما كان الله سبحانه يعذب قوما وأنبياؤهم بين أظهرهم حتى يخرجهم ثم قال وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون يقول ومنهم من قد سبق له من الله الدخول في الايمان وهو الاستغفار قال وما لهم الا يعذبهم الله فعذبهم يوم بدر بالسيف وقال آخرون بل معناه وما كان الله معذبهم وهم يصلون ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون يعني يصلون يعني بهذا أهل مكة حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي قال ثنا حسين الجعفي عن زائدة عن منصور عن مجاهد في قول الله وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال يصلون حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك بن مزاحم يقول في قوله وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم يعني أهل مكة يقول لم أكن لأعذبكم وفيكم محمد ثم قال وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون يعني يؤمنون ويصلون حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد في قوله وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال وهم يصلون وقال آخرون بل معنى ذلك وما كان الله معذب المشركين وهم يستغفرون قالوا ثم نسخ

وكانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء فنفى الله استحقاقهم الولاية بقوله وما كانوا أولياءه ان أولياؤه الا المتقون من المسلمين ليس كل مسلم يصلح لذلك فضلا عن مشرك ولكن أكثرهم لا يعلمون كان فيهم من كان يعلم وهو يعاند ويطلب الرياسة أو أراد بالاكثر الجميع كما يراد بالقلة العدم ثم ذكر بعض أسباب سلب الولاية عنهم فقال وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية المكاء فعال كالثغاء والرغاء من مكا يمكو اذا صفر والتصدية التصفيق تفعلة من الصدى وهو الصوت الذى يرجع من الجبل فيكون في الاصل معتل اللام أو من صد يصد مضاعفا أى صاح فقلبت الدال الاخيرة ياء كما في تقضى في التقضض وأنكر هذا الاشتقاق بعضهم وصوبه الازهري وأبو عبيدة قال جعفر ابن ربيعة سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن عن المكاء والتصدية فجمع كفيه ثم نفخ فيهما صفيرا وقيل هو ان يجعل بعض أصابع اليمين وبعض أصابع الشمال في الفم ثم يصفر به وقيل تصويت يشبه صوت المكاء بالتشديد وهو طائر معروف عن ابن عمر كانوا يطوفون بالبيت عراة وهم مشبكون بين

ذلك بقوله وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد
قال ثنا يحيى بن واضح عن الحسين بن واقد عن يزيد النحوي عن عكرمة والحسن البصري قالا قال
في الأنفال وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فنسختها الآية التي
تليها وما لهم ألا يعذبهم الله إلى قوله فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون فقوتلوا بمكة وأصابهم فيها
الجوع والحصر * وأولى هذه الأقوال عندي في ذلك بالصواب قول من قال تأويله وما كان الله ليعذبهم
وأنت فيهم يا محمد وبين أظهرهم مقيم حتى أخرجك من بين أظهرهم لأني لا أهلك قرية وفيها نبيها
وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون من ذنوبهم وكفرهم ولكنهم لا يستغفرون من ذلك بل هم
مصرون عليه فهم للعذاب مستحقون كما يقال ما كنت لأحسن إليك وأنت تسيء إلي يراد بذلك
لا أحسن إليك إذا أسأت إلي ولو أسأت إلي لم أحسن إليك ولكن أحسن إليك لأنك لا تسيء إلي
وكذلك ذلك ثم قيل وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام بمعنى وما شأنهم وما يمنعهم
أن يعذبهم الله وهم لا يستغفرون الله من كفرهم فيؤمنوا به وهم يصدون المؤمنين بالله ورسوله عن
المسجد الحرام وإنما قلنا هذا القول أولى الأقوال في ذلك بالصواب لأن القوم أعني مشركي مكة كانوا
استعجلوا العذاب فقالوا اللهم إن كان ما جاء به محمد هو الحق فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب
أليم فقال الله لنبيه ما كنت لأعذبهم وأنت فيهم وما كنت لأعذبهم لو استغفروا وكيف لا أعذبهم بعد
إخراجك منهم وهم يصدون عن المسجد الحرام فأعلمه جل ثناؤه أن الذين استعجلوا العذاب حائق
بهم ونازل وأعلمهم حال نزوله بهم وذلك بعد إخراجه إياه من بين أظهرهم ولا وجه لإيعادهم العذاب في
الآخرة وهم مستعجلوه في العاجل ولا شك أنهم في الآخرة إلى العذاب صائرون بل في تعجيل الله لهم
ذلك يوم بدر الدليل الواضح على أن القول في ذلك ما قلنا وكذلك لا وجه لقول من وجه قوله وما كان
الله معذبهم وهم يستغفرون أنه عني به المؤمنون وهو في سياق الخبر عنهم وعما الله فاعل بهم ولا دليل
على أن الخبر عنهم قد تقضى وعلى أن ذلك به عنوا ولا خلاف في تأويله من أهله موجود وكذلك أيضا
لا وجه لقول من قال ذلك منسوخ بقوله وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام الآية
لأن قوله جل ثناؤه وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون خبر والخبر لا يجوز أن يكون فيه نسخ وإنما
يكون النسخ للأمر والنهي واختلف أهل العربية في وجه دخول أن في قوله وما لهم ألا يعذبهم الله
فقال بعض نحويي البصرة هي زائدة ههنا قال وقد عملت وهي زائدة وجاء في الشعر

لو لم تكن غطفان لا ذنوب لها * إلى ألامت ذوو أحسابها عمرا

وقد أنكر ذلك من قوله بعض أهل العربية وقال لم تدخل أن إلا لمعنى صحيح لأن معنى وما لهم ما يمنعهم من
أن يعذبوا قال فدخلت أن لهذا المعنى وأخرج بلا ليعلم أنه بمعنى الجحد لأن المعنى جحد قال وألا في البيت
صحيح معناها لأن الجحد إذا وقع عليه جحد صار خبرا وقال ألا ترى أن قولك ما زيد ليس قائما فقد أوجبت
القيام قال وكذلك لا في هذا البيت ﷺ القول في تأويل قوله (وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون
ولكن أكثرهم لا يعلمون) يقول تعالى ذكره وما لهؤلاء المشركين ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن
المسجد الحرام ولم يكونوا أولياء الله إن أولياؤه يقول ما أولياء الله إلا المتقون يعني الذين يتقون الله
بأداء فرائضه واجتناب معاصيه ولكن أكثرهم لا يعلمون يقول ولكن أكثر المشركين لا يعلمون أن
أولياء الله المتقون بل يحسبون أنهم أولياء الله وبنحو ما قلنا قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك
حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي وما كانوا أولياءه إن
أولياؤه إلا المتقون هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم
قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله إن أولياؤه إلا المتقون من كانوا وحيث كانوا
حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا
سلمة عن ابن إسحق وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون الذين يخرجون منه ويقيمون الصلاة عنده

أصابعهم يصفرون فيها
ويصفقون فالمكاء والتصدية
على هذا نوع عبادة لهم فلهذا
وضعا موضع الصلاة بناء على
معتقدهم وفيه أن من كان المكاء
والتصدية صلاته فلا صلاة له
كقول العرب ما لفلان عيب
إلا السخاء أي من كان السخاء
عيبه فلا عيب له وقال مجاهد
ومقاتل كانوا يعارضون النبي
صلى الله عليه وسلم في الطواف
والصلاة عند المسجد الحرام
يستهزؤن به ويخلطون عليه
بفعل المكاء والتصدية صلاة
لهم كقولك زرت الأمير فجعل
جفائي صلتي أي أقام الجفاء مقام
الصلة ثم خاطبهم على سبيل
المجازاة بقوله فذوقوا العذاب
عذاب القتل والأسر يوم بدر
أو عذاب الآخرة بما كنتم
تكفرون بسبب كفركم
وأفعالكم التي لا يقدم عليها إلا
الكفرة ولما شرح أحوال
هؤلاء الكفار في الطاعات البدنية
اتبعها شرح أحوالهم في
الطاعات المالية فقال إن الذين
كفروا ينفقون أموالهم الآية
قال مقاتل والكلبي نزلت في
المطعمين يوم بدر وكانوا اثني
عشر رجلا أبو جهل بن هشام
وعتبة وشيبة ابنا ربيعة ونبيه
ومنبه ابنا حجاج وأبو البختري
ابن هشام والنضر بن الحرث
وحكيم بن حزام وأبي بن خلف

أى أنت يعنى النبى صلى الله عليه وسلم ومن آمن بك ولكن أكثرهم لا يعلمون ۞ القول فى تأويل قوله (وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) يقول تعالى ذكره وما لهؤلاء المشركين ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام الذين يصلون لله فيه ويعبدونه ولم يكونوا لله أولياء بل أولياؤه الذين يصدونهم عن المسجد الحرام وهم لا يصلون فى المسجد الحرام وما كان صلاتهم عند البيت يعنى بيت الله العتيق الا مكاء وهو الصفير يقال منه مكا يمكو مكوا ومكاء وقد قيل ان المكو أن يجمع الرجل يديه ثم يدخلهما فى فيه ثم يصيح ويقال منه مكت أست الدابة مكاء اذا نفخت بالريح ويقال انه لا يمكو الا أست مكشوفة ولذلك قيل للاست المكو سميت بذلك ومن ذلك قول عنترة

وحليل غانية تركت مجدلا * تمكو فريصته كشدق الاعلم

وقول الطرماح فنحا لاولاها بطعنة محفظ * تمكو جوانبها من الانهار

يعنى تصوت وأما التصدية فانها التصفيق يقال منه صدى يصدى تصدية وصفق وصفح بمعنى واحد وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن موسى بن قيس عن حجر بن عنبس الا مكاء وتصدية قال المكاء التصفير والتصدية التصفيق حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية المكاء التصفير والتصدية التصفيق حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية يقول كانت صلاة المشركين عند البيت مكاء يعنى التصفير وتصدية يقول التصفيق حدثنى محمد بن عمارة الاسدى قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا فضيل عن عطية وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية قال التصفيق والصفير حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن قرة بن خالد عن عطية عن ابن عمر قال المكاء التصفيق والتصدية الصفير قال وأمال ابن عمر خده الى جانب حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا وكيع عن قرة بن خالد عن عطية عن ابن عمر وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية قال المكاء والتصدية الصفير والتصفيق حدثنى الحرث قال ثنا القاسم قال سمعت محمد بن الحسين يحدث عن قرة بن خالد عن عطية العوفى عن ابن عمر قال المكاء الصفير والتصدية التصفيق حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عامر قال ثنا قرة عن عطية عن ابن عمر فى قوله وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية قال المكاء الصفير والتصدية التصفيق وقال قرة وحكى لنا عطية فعل ابن عمر فصفر وأمال خده وصفق بيديه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى بكر بن مضر عن جعفر بن ربيعة قال سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن بن عوف يقول فى قول الله وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية قال بكر فجمع لى جعفر كفيه ثم نفخ فيهما صفيرا كما قال له أبو سلمة حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد عن ابن عباس قال المكاء الصفير والتصدية التصفيق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سلمة بن سابور عن عطية عن ابن عمر وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية قال تصفير وتصفيق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا فضيل بن مرزوق عن عطية عن ابن عمر مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا حبويه أبو يزيد عن يعقوب عن جعفر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كانت قريش يطوفون بالبيت وهم عراة يصفرون ويصفقون فأنزل الله قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده فأمروا بالثياب حدثنى المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا شريك عن سالم عن سعيد قال كانت قريش يعارضون النبى صلى الله عليه وسلم فى الطواف يستهزؤن به يصفرون به ويصفقون فنزلت وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن منصور عن مجاهد الا مكاء قال كانوا ينفخون فى أيديهم والتصدية التصفيق حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد الا مكاء وتصدية قال المكاء ادخال أصابعهم فى أفواههم والتصدية التصفيق يخلطون بذلك على محمد صلى الله عليه وسلم صلاته حدثنا المثنى قال ثنا

وزمعة بن أسود والحرث بن عامر بن نوفل والعباس بن عبد المطلب وكلهم من قريش وكان يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر وقال سعيد بن جبير وابن ابزى نزلت فى أبى سفيان ابن حرب استأجر يوم أحد ألفين من الاحابيش والاحبوش جماعة من الناس ليسوا من قبيلة واحدة وأنفق عليهم أربعين أوقية والاوقية اثنان وأربعون مثقالا قاله فى الكشاف وقال محمد بن اسحق عن رجاله لما أصيب قريش يوم بدر فرجع كلهم الى مكة ورجع أبو سفيان بعيره مشى عبد الله بن أبى ربيعة وعكرمة بن أبى جهل وسفيان ابن أمية فى رجال من قريش أصيب آباؤهم وأبناؤهم واخوانهم ببدر فكلموا أبا سفيان بن حرب ومن كانت له فى تلك العير تجارة فقالوا يا معشر قريش ان محمدا قد وتركم وقتل خياركم فاعينونا بهذا المال الذى أفلت على حربه لعلنا ان ندرك منه ثارا لمن أصيب منا فأنزل الله تعالى الآية ومعنى ليصدوا عن سبيل الله ان غرضهم فى الانفاق كان هو الصد عن اتباع محمد وهو سبيل الله وان لم يكن عندهم كذلك ثم أخبر عن الغيب على وجه الاعجاز فقال فسينفقونها أى سيقع منهم هذا الانفاق ثم تكون عاقبة انفاقها ندما

اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله الا انه لم يقل صلاته حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد المكاء ادخال أصابعهم في أفواههم والتصدية التصفيق قال نفر من بني عبد الدار كانوا يخلطون بذلك كله على محمد صلاته حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا طلحة بن عمرو عن سعيد بن جبير وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية قال من بين الاصابع قال أحمد سقط على حرف وما أراه الا الحذف والنفخ والصفير منها وأراني سعيد ابن جبير حيث كانوا يمكون من ناحية أبي قبيس حدثني المثنى قال ثنا اسحق بن سليمان قال أخبرنا طلحة بن عمرو عن سعيد بن جبير في قوله وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية قال المكاء كانوا يشبكون بين أصابعهم ويصفرون بها فذلك المكاء قال وأراني سعيد بن جبير المكان الذي كانوا يمكون فيه نحو أبي قبيس حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا محمد بن حرب قال ثنا ابن لهيعة عن جعفر بن ربيعة عن أبي سلمة بن عبد الرحمن في قوله مكاء وتصدية قال المكاء النفخ وأشار بكفه قبل فيه والتصدية التصفيق حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربي عن جويبر عن الضحاك قال المكاء الصفير والتصدية التصفيق حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن الضحاك مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية قال كنا نحدث ان المكاء التصفيق بالايدي والتصدية صياح كانوا يعارضون به القرآن حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة مكاء وتصدية قال المكاء التصفير والتصدية التصفيق حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية والمكاء الصفير على نحو طير أبيض يقال له المكاء يكون بارض الحجاز والتصدية التصفيق حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية قال المكاء صفير كان أهل الجاهلية يعلنون به قال وقال في المكاء أيضا صفير في أيديهم ولعب وقد قيل في التصدية أنها الصد عن بيت الله الحرام وذلك قول لا وجه له لان التصدية مصدر من قول القائل صديت تصدية وأما الصد فلا يقال منه صديت انما يقال منه صددت فان شددت منها الدال على معنى تكرير الفعل قيل صددت تصديدا الا ان يكون صاحب هذا القول وجه التصدية الى انه من صددت ثم قلبت احدى داليه ياء كما يقال تظنيت من ظننت وكما قال الراجز * تقضي البازي اذا البازي كسر * يعني تقضض البازي فقلب احدى ضاديه ياء فيكون ذلك وجها يوجه اليه ذكر من قال ما ذكرنا في تأويل التصدية حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا طلحة بن عمرو عن سعيد بن جبير وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية صدهم عن بيت الله الحرام حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا سليمان قال أخبرنا طلحة عن عمرو عن سعيد بن جبير وتصدية قال التصدية صدهم الناس عن البيت الحرام حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وتصدية قال التصدية عن سبيل الله وصدهم عن الصلاة وعن دين الله حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية قال ما كان صلاتهم التي يزعمون انها يدرء بها عنهم الا مكاء وتصدية وذلك ما لا يرضى الله ولا يحب ولا ما افترض عليهم ولا ما أمرهم به وأما قوله فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون فانه يعني العذاب الذي وعدهم به بالسيف يوم بدر يقول للمشركين الذين قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء الآية حين أتاهم بما استعجلوه من العذاب ذوقوا أي اطعموا وليس بذوق بفم ولكنه ذوق بالحس ووجود طعم المه بالقلوب يقول لهم فذوقوا العذاب بما كنتم تجحدون ان الله معذبكم به على جحودكم توحيد ربكم ورسالة نبيكم صلى الله عليه وسلم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون أي ما أوقع الله بهم يوم بدر من القتل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج فذوقوا العذاب بما كنتم

تكفرون

وحسرة فكأن ذاتها تصير ندما وتنقلب حسرة ثم يغلبون آخر الامر وان كانت الحرب بينهم وبين المؤمنين سجالا لقوله كتب الله لاغلبن أنا ورسلي ومعنى ثم في الجملتين اما التراخي في الزمان لما بين الانفاق المذكور وبين ظهور دولة الاسلام من الامتداد واما التراخي في الرتبة لما بين بذل المال وعدم حصول المقصود من المباينة ثم قال والذين كفروا أي الكافرون منهم ولم يقل ثم يغلبون والى جهنم يحشرون لان منهم من أسلم وحسن اسلامه فذكر ان الذين بقوا على الكفر لا يكون حشرهم الا الى جهنم دون من أسلم منهم ثم بين الغاية والغرض فيما يفعل بهم من الغلبة ثم الحشر الى جهنم فقال ليميز الله الخبيث أي الفريق الخبيث من الكفار من الفريق الطيب وهم المؤمنون ويجعل الفريق الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا عبارة عن الجمع والضم وفرط الازدحام يقال ركم الشئ يركمه اذا جمعه وألقى بعضه على بعض أولئك الفريق الخبيث هم الخاسرون وقيل الخبيث والطيب صفة المال أي ليميز المال الخبيث الذي أنفقه المشركون في عداوة رسول الله

تكفرون قال هؤلاء أهل بدر يوم عذبهم الله حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال
ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون يعني أهل
بدر عذبهم الله يوم بدر بالقتل والأسر ۞ القول في تأويل قوله (ان الذين كفروا ينفقون أموالهم
ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا الى جهنم يحشرون)
يقول تعالى ذكره ان الذين كفروا بالله ورسوله ينفقون أموالهم فيعطونها أمثالهم من المشركين
ليتقووا بها على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به ليصدوا المؤمنين بالله ورسوله عن
الايمان بالله ورسوله فسينفقون أموالهم في ذلك ثم تكون نفقتهم تلك عليهم حسرة يقول تصير
ندامة عليهم لان أموالهم تذهب ولا يظفرون بما يأملون ويطمعون فيه من اطفاء نور الله واعلاء
كلمة الكفر لان الله معلي كلمته وجاعل كلمة الكفر السفلى ثم يغلبهم المؤمنون ويحشر الله الذين كفروا
به وبرسوله الى جهنم فيعذبون فيها فأعظم بها حسرة وندامة لمن عاش منهم ومن هلك أما الحي فحرب
ماله وذهب باطلا في غير درك نفع ورجع مغلوبا مقهورا محزونا مسلوبا وأما الهالك فقتل
وسلب وعجل به الى نار الله يخلد فيها نعوذ بالله من غضبه وكان الذي تولى النفقة التي ذكرها الله في هذه
الآية فيما ذكر أبا سفيان ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب القمي عن جعفر عن
سعيد في قوله ان الذين كفروا ينفقون أموالهم الآية والذين كفروا الى جهنم يحشرون قال نزلت
في أبي سفيان بن حرب استأجر يوم أحد ألفين من الأحابيش من كنانة فقاتل بهم النبي صلى الله عليه
وسلم فهم الذين يقول فيهم كعب بن مالك

وجئنا الى موج من البحر وسطه * أحابيش منهم حاسر ومقنع
ثلاثة آلاف ونحن نظنه * ثلاث مئين ان كثرن فأربع

حدثنا ابن وكيع قال ثنا اسحق بن اسمعيل عن يعقوب القمي عن جعفر عن ابن ابزى ان الذين
كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله قال نزلت في أبي سفيان استأجر يوم أحد ألفين
ليقاتل بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى من استجاش من العرب قال أخبرني أبي عن خطاب بن
عثمان العصفري عن الحكم بن عتيبة ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله قال
نزلت في أبي سفيان أنفق على المشركين يوم أحد أوقية وكانت الاوقية يومئذ اثنين وأربعين مثقالا
حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن
سبيل الله الآية قال لما قدم أبو سفيان بالعير الى مكة أنشب الناس ودعاهم الى القتال حتى غزا نبي
الله من العام المقبل وكانت بدر في رمضان يوم الجمعة صبيحة سابع عشرة من شهر رمضان وكانت
أحد في شوال يوم السبت لاحدى عشرة خلت منه في العام الرابع حدثني محمد بن الحسين قال ثنا
أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي قال قال الله فيما كان المشركون منهم أبو سفيان يستأجرون
الرجال يقاتلون محمدا بهم فقال الله ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله وهو محمد
صلى الله عليه وسلم فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة يقول ندامة يوم القيامة وويلا ثم يغلبون
حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله ينفقون
أموالهم ليصدوا عن سبيل الله الآية حتى قوله أولئك هم الخاسرون في نفقة أبي سفيان على الكفار
يوم أحد حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا ابن
حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثنا محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري ومحمد بن يحيى بن
حبان وعاصم بن عمر بن قتادة والحصين بن عبد الرحمن وعمرو بن سعد بن معاذ قالوا لما أصيبت
المسلمون يوم بدر من كفار قريش من أصحاب القليب ورجع فلهم الى مكة ورجع أبو
سفيان بعيره مشى عبد الله بن ربيعة وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية في رجال من قريش
أصيب آباؤهم وأبناؤهم واخوانهم ببدر فكلموا أبا سفيان بن حرب ومن كانت له في تلك العير من

صلى الله عليه وسلم والمؤمنين
من المال الطيب الذي أنفقه
المهاجرون والانصار في نصرته
فيركمه فيضم تلك الاموال
الخبيثة بعضها الى بعض فيلقيه
في جهنم ويعذبهم بها كقوله
فتكوى بها جباههم وجنوبهم
وعلى هذا فاللام في قوله ليميز
الله يتعلق بقوله ثم تكون عليهم
حسرة قاله في الكشاف ولا
يبعد عندي ان يتعلق
بيحشرون وأولئك اشارة الى
الذين كفروا ولما بين ضلالهم
في عباداتهم البدنية والمالية
أرشدهم الى الطريق المستقيم
وما يتبعه من الصلاح فقال قل
للذين كفروا أي قل لاجلهم
هذا القول وهو ان ينتهوا
عما هم عليه من عداوة
الرسول وقتاله بالدخول في السلم
والاسلام يغفر لهم ما قد سلف
من الكفر والمعاصي ولو كان
المراد خطابهم بهذا القول لقيل
ان تنتهوا يغفر لكم وقد قرأ
بذلك ابن مسعود وان تعودوا
لقتاله فقد مضت سنة الاولين
منهم الذين حاق بهم مكرهم
يوم بدر أو سنة الذين تحزبوا
على أنبيائهم من الامم فاهلكوا
أو غلبوا كقوله كتب الله
لأغلبن أنا ورسلي واستدل
كثير من العلماء منهم
أصحاب أبي حنيفة بالآية على ان
الكفار ليسوا مخاطبين بفروع

قريش تجارة فقالوا يا معشر قريش ان محمدا قد وتركم وقتل خياركم فاعينونا بهذا المال على حربه لعلنا ان ندرك منه ثأرا بمن أصيب منا ففعلوا قال ففيهم كما ذكر عن ابن عباس أنزل الله ان الذين كفروا ينفقون أموالهم الى قوله والذين كفروا الى جهنم يحشرون حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله الى قوله يحشرون يعني النفر الذين مشوا الى أبي سفيان والى من كان له مال من قريش في تلك التجارة فسألوهم ان يعينوهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ففعلوا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني سعيد بن أبي أيوب عن عطاء بن دينار في قول الله ان الذين كفروا ينفقون أموالهم الآية نزلت في أبي سفيان بن حرب وقال بعضهم عنى بذلك المشركين من أهل بدر ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله الآية قال هم أهل بدر والصواب من القول في ذلك عندي ما قلنا وهو ان يقال ان الله أخبر عن الذين كفروا به من مشركي قريش انهم ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله لم يخبرنا بأي أولئك عنى غير انه عم بالخبر الذين كفروا وجائز ان يكون عنى المنفقين أموالهم لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بأحد وجائز ان يكون عنى المنفقين منهم ذلك ببدر وجائز ان يكون عنى الفريقين واذ كان ذلك كذلك فالصواب في ذلك ان يعم كما عم جل ثناؤه الذين كفروا من قريش ﴿ القول في تأويل قوله (ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله في جهنم أولئك هم الخاسرون) يقول تعالى ذكره يحشر الله هؤلاء الذين كفروا بربهم وينفقون أموالهم للصد عن سبيل الله الى جهنم ليفرق بينهم وهم أهل الخبث كما قال وسماهم الخبيث وبين المؤمنين بالله وبرسوله وهم الطيبون كما سماهم جل ثناؤه فميز جل ثناؤه بينهم بأن أسكن أهل الايمان به وبرسوله جناته وأنزل أهل الكفر ناره وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ليميز الله الخبيث من الطيب فميز أهل السعادة من أهل الشقاوة حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قال ثم ذكر المشركين وما يصنع بهم يوم القيامة فقال ليميز الله الخبيث من الطيب يقول يميز المؤمن من الكافر فيجعل الخبيث بعضه على بعض فيجعل الكفار بعضهم فوق بعض فيركمه جميعا يقول فيجعلهم ركاما وهو ان يجمع بعضهم الى بعض حتى يكثروا كما قال جل ثناؤه في صفة السحاب ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما أي مجتمعا كثيفا وكما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فيركمه جميعا قال فيجمعه جميعا بعضه على بعض وقوله فيجعله في جهنم يقول فيجعل الخبيث جميعا في جهنم فوحد الخبر عنهم لتوحيد قوله ليميز الله الخبيث ثم قال أولئك هم الخاسرون فجمع ولم يقل ذلك هو الخاسر فرده الى أول الخبر ويعني بأولئك الذين كفروا وتأويله هؤلاء الذين ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله هم الخاسرون ويعني بقوله الخاسرون الذين غبنت صفقتهم وخسرت تجارتهم وذلك انهم شروا بأموالهم عذاب الله في الآخرة وتعجلوا بانفاقهم اياها فيما أنفقوا من قتال نبي الله والمؤمنين به الخزي والذل ﴿ القول في تأويل قوله (قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وان يعودوا فقد مضت سنة الأولين) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد للذين كفروا من مشركي قومك ان ينتهوا عما هم عليه مقيمون من كفرهم بالله ورسوله وقتالك وقتال المؤمنين فينيبوا الى الايمان يغفر الله لهم ما قد خلا ومضى من ذنوبهم قبل ايمانهم وانابتهم الى طاعة الله وطاعة رسوله بايمانهم وتوبتهم وان يعودوا يقول وان يعد هؤلاء المشركون لقتالك بعد الوقعة التي أوقعتها بهم يوم بدر فقد مضت سنتي في الأولين منهم ببدر ومن غيرهم من القرون الخالية اذ طغوا وكذبوا رسلي ولم يقبلوا نصحهم

الاسلام لان الخطاب مع الكفر باطل بالاجماع وبعد زواله لا يؤمر بقضاء العبادات الفائتة بل ذهب أبو حنيفة الى ان المرتد اذا أسلم لم يلزمه قضاء العبادات المتروكة في حال الردة وقبلها وفسر وان يعودوا بالعود الى الردة واختلفوا في ان الزنديق تقبل توبته أم لا والصحيح انها مقبولة لشمول الآية جميع الكفار لقوله صلى الله عليه وسلم نحن نحكم بالظاهر ولانه يكلف بالرجوع ولا طريق له الا التوبة فلو لم تقبل لزم تكليف ما لا يطاق ثم أمر بقتالهم ان أصروا على الكفر فقال وقاتلوهم الآية وقد مر تفسيره في سورة البقرة الا انه زاد ههنا لفظة كله في قوله ويكون الدين كله لله لان القتال ههنا مع جميع الكفار وهنالك كان مع أهل مكة فحسب فان انتهوا عن الكفر وأسلموا فان الله بما يعملون بصير يثيبهم على توبتهم واسلامهم ومن قرأ بتاء الخطاب أراد فان الله بما تعملون من الجهاد في سبيله والدعوة الى دينه بصير يجازيكم عليه أحسن الجزاء وان تولوا ولم ينتهوا فاعلموا ان الله مولاكم ناصركم ومتولي أموركم يحفظكم ويدفع شر الكفار عنكم فانه نعم المولى ونعم النصير

عن

من احلال عاجل النقم بهم فاحل بهؤلاء ان عادوا لحربك وقتالك مثل الذين أحلت بهم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله فقد مضت سنة الاولين فى قريش يوم بدر وغيرها من الامم قبل ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى المثنى قال ثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فقد مضت سنة الاولين قال فى قريش وغيرها من الامم قبل ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال فى قوله قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وان يعودوا لحربك فقد مضت سنة الاولين أى من قتل منهم يوم بدر حدثنى محمد ابن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى وان يعودوا لقتالك فقد مضت سنة الاولين من أهل بدر ۞ القول فى تأويل قوله (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير) يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله وان يعد هؤلاء لحربك فقد رأيتم سنتى فيمن قاتلكم منهم يوم بدر وأنا عائد بمثلها فيمن حاربكم منهم فقاتلوهم حتى لا يكون شرك ولا يعبد الا الله وحده لا شريك له فيرتفع البلاء عن عباد الله من الارض وهو الفتنة ويكون الدين كله لله يقول وحتى تكون الطاعة والعبادة كلها لله خالصة دون غيره وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة يعنى حتى لا يكون شرك حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن يونس عن الحسن فى قوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة قال الفتنة الشرك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة يقول قاتلوهم حتى لا يكون شرك ويكون الدين كله لله حتى يقال لا اله الا الله عليها قاتل النبى صلى الله عليه وسلم واليها دعا حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة قال حتى لا يكون شرك حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا مبارك بن فضالة عن الحسن فى قوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة قال حتى لا يكون بلاء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله أى لا يفتن مؤمن عن دينه ويكون التوحيد لله خالصا ليس فيه شرك ويخلع ما دونه من الانداد حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة قال حتى لا يكون كفر ويكون الدين كله لله لا يكون مع دينكم كفر حدثنى عبد الوارث بن عبد الصمد قال ثنى أبى قال ثنا أبان العطار قال ثنا هشام بن عروة عن أبيه أن عبد الملك بن مروان كتب اليه يسأله عن أشياء فكتب اليه عروة سلام عليك فانى أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو أما بعد فانك كتبت الى تسألنى عن مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة وسأخبرك به ولا حول ولا قوة الا بالله كان من شأن خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة أن الله أعطاه النبوة فنعم النبى ونعم السيد ونعم العشيرة فجزاه الله خيرا وعرفنا وجهه فى الجنة وأحيانا على ملته وأماتنا عليها وبعثنا عليها وانه لما دعا قومه لما بعثه الله له من الهدى والنور الذى أنزل عليه لم ينفروا منه أول ما دعاهم اليه وكانوا يسمعون له حتى ذكر طواغيتهم وقدم ناس من الطائف من قريش لهم أموال أنكر ذلك ناس واشتدوا عليه وكرهوا ما قال وأغروا به من أطاعهم فانعطف عنه عامة الناس فتركوه الا من حفظه الله منهم وهم قليل فمكث بذلك ما قدر الله أن يمكث ثم ائتمرت رؤسهم بأن يفتنوا من اتبعه عن دين الله من أبنائهم واخوانهم وقبائلهم فكانت فتنة شديدة الزلزال فافتتن من افتتن وعصم الله من شاء منهم فلما فعل ذلك بالمسلمين أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخرجوا الى أرض الحبشة وكان

فثقوا بولايته ونصرته * التأويل قالوا قد سمعنا وما سمعوا فى الحقيقة والالم يقولوا لو نشاء لقلنا فان كلام المخلوق لن يكون مثل كلام الله ثم انظر كيف استخرج الله منهم عقيب دعواهم لقلنا مثل هذا قولهم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر ليعلم ان من هذا حاله كيف يكون مثل القرآن مقاله ولو كان لهم عقل لقالوا ان كان هذا حقا فاهدنا له ومتعنا به وبأنواره وأسراره وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم لانه رحمة للعالمين والرحمة تنافى العذاب ان أولياؤه الا المتقون ولكن أكثرهم يعنى أكثر المتقين لا يعلمون انهم أولياؤه لان الولى قد لا يعرف انه ولى ان الذين كفروا ينفقون كذلك دأب كفار النفوس ينفقون أموال الاستعداد الفطرى فى غير طلب الله وانما تصرفها فى استيفاء اللذات والشهوات فستندم حين لا ينفع الندم ثم يغلبون لا يظفرون بمشتهيات النفس كلها ولا يحلها والذين كفروا من الارواح والقلوب التابعة والنفوس الى جهنم البعد والقطيعة يحشرون ليميز الله الارواح والقلوب الخبيثة من الطيبة التى لا تركن الى الدنيا ولا تنخدع بانخداع النفوس

بالحبشة ملك صالح يقال له النجاشي لا يظلم بارضه وكان يثنى عليه مع ذلك وكانت أرض الحبشة متجرا لقريش يتجرون فيها ومساكن لتجارتهم يجدون فيها رتاعا من الرزق وأمنا ومتجرا حسنا فأمرهم بها النبي صلى الله عليه وسلم فذهب اليها عامتهم لما قهروا بمكة وخافوا عليهم الفتن ومكث هو فلم يبرح فمكث ذلك سنوات يشتدون على من أسلم منهم ثم انه فشا الاسلام فيها ودخل فيه رجال من ذوى أشرافهم ومنعتهم فلما رأوا ذلك استرخوا استرخاءة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه وكانت الفتنة الاولى هي أخرجت من خرج من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أرض الحبشة مخافتها وفرارا مما كانوا فيه من الفتن والزلزال فلما استرخى عنهم ودخل في الاسلام من دخل منهم تحدر هذا الاسترخاء عنهم فبلغ ذلك من كان بارض الحبشة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قد استرخى عمن كان منهم بمكة وانهم لا يفتنون فرجعوا الى مكة وكادوا يأمنون بها وجعلوا يزدادون ويكثرون وانه أسلم من الانصار بالمدينة ناس كثير وفشا بالمدينة الاسلام وطفق أهل المدينة يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فلما رأت ذلك قريش توامرت على ان يفتنوهم ويشدوا عليهم فاخذوهم وحرصوا على ان يفتنوهم فاصابهم جهد شديد وكانت الفتنة الآخرة فكانت ثنتين فتنة أخرجت من خرج منهم الى أرض الحبشة حين أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بها وأذن لهم في الخروج اليها وفتنة لما رجعوا ورأوا من يأتيهم من أهل المدينة ثم انه جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة سبعون نفسا رؤس الذين أسلموا فوافوه بالحج فبايعوه بالعقبة وأعطوه على انا منك وأنت منا وعلى ان من جاء من أصحابك أو جئتنا فانا نمنعك مما نمنع منه أنفسنا فاشتدت عليهم قريش عند ذلك فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ان يخرجوا الى المدينة وهي الفتنة الآخرة التي أخرج فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه وخرج هو وهي التي أنزل الله فيها وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن عروة بن الزبير انه كتب الى الوليد أما بعد فانك كتبت الى تسألني عن مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة وعندي بحمد الله من ذلك علم بكل ما كتبت تسالني عنه وسأخبرك ان شاء الله ولا حول ولا قوة الا بالله ثم ذكر نحوه حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا قيس عن الاعمش عن مجاهد وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة قال يساف ونائلة صنمان كانا يعبدان وأما قوله فان انتهوا فان معناه فان انتهوا عن الفتنة وهي الشرك بالله وصار والى الدين الحق معكم فان الله بما يعملون بصير يقول فان الله لا يخفى عليه ما يعملون من ترك الكفر والدخول في دين الاسلام لانه يبصركم ويبصر أعمالكم والاشياء كلها متجلية له لا تغيب عنه ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب مبين وقد قال بعضهم معنى ذلك فان انتهوا عن القتال والذي قلنا في ذلك أولى بالصواب لان المشركين وان انتهوا عن القتال فانه كان فرضا على المؤمنين قتالهم حتى يسلموا

❁ القول في تأويل قوله (وان تولوا فاعلموا ان الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير) يقول تعالى ذكره وان أدبر هؤلاء المشركون عما دعوتموهم اليه أيها المؤمنون من الايمان بالله ورسوله وترك قتالكم على كفرهم فأبوا الا الاصرار على الكفر وقتالكم فقاتلوهم وأيقنوا ان الله معينكم عليهم وناصركم نعم المولى هو لكم يقول نعم المعين لكم ولاوليائه ونعم النصير وهو الناصر حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وان تولوا عن أمرك الى ما هم عليه من كفرهم فان الله هو مولاكم الذي أعزكم ونصركم عليهم يوم بدر في كثرة عددهم وقلة عددكم نعم المولى ونعم النصير

(تم الجزء التاسع من تفسير الامام ابن جرير الطبري ويليه الجزء العاشر أوله ❁ القول في تأويل قوله تعالى (واعلموا انما غنمتم)

فغيركم جميعا فيجعل الارواح الخبيثة فوق النفوس الخبيثة فتلقى الجميع في جهنم القطيعة قل للذين كفروا من الارواح والقلوب أى ستروا النور الروحاني بظلمات صفات النفس ان ينتهوا عن اتباع الهوى يغفر لهم يستر لهم تلك الظلمات بنور الفرقان والرشاد وقاتلوا كفار النفوس حتى لا تكون آفة مانعة عن الوصول ويكون الدين كله لله ببذل الوجود وفقد الموجود لنيل الوجود وكرامة الشهود والله تعالى أعلم

(الجزء العاشر)

من تفسير الامام الكبير والعلامة الشهير من أطبقت الامة على تقدمه فى التفسير وجعلته حجة اذا وقع النزاع فى التعبير الامام أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى المسمى

جامع البيان فى تفسير القرآن

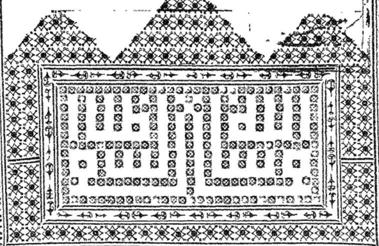
رحمه الله وأثابه رضاه آمين

(ولاجل تمام النفع وضعنا بالهامش الجزء العاشر من تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للعلامة نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمى النيسابورى قدست أسراره)

(تنبيه)

طبع تفسير ابن جرير على النسخة المحضرة من خزانة (أمراء نجد) آل رشيد * لازالت الايام تتلألأ بزواهر مجدهم ولابرح الانام يغترف من بحار برهم وذلك بعد مقابلة تلك النسخة على النسخة الموجودة بالكتبخانة الخديوية لازالت أشعة النفع بها تستمد منها سائر البريه وقد بذلنا الطاقة فى تصحيحها ومراجعة مايحتاج الى المراجعة من مظانه الموثوق بترجيحها مع عناية جمع من أفاضل علماء مصر بالتصحيح تذكر أسماؤهم آخر الكتاب

(طبع بالمطبعة الميمنية بمصر)



بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تاويل قوله (واعلموا انما غنمتم من شئ) قال أبو جعفر وهذا تعليم من الله عز وجل المؤمنين قسم غنائهم اذا غنموها يقول تعالى ذكره واعلموا أيها المؤمنون انما غنمتم من غنيمة واختلف أهل العلم فى معنى الغنيمة والفىء فقال بعضهم فيهما معنيان كل واحد منهما غير صاحبه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا حميد بن عبد الرحمن عن حسن بن صالح قال سألت عطاء بن السائب عن هذه الآية واعلموا أنما غنمتم من شئ فان لله خمسه وهذه الآية ما أفاء الله على رسوله قال قلت ما الفىء وما الغنيمة قال اذا ظهر المسلمون على المشركين وعلى أرضهم وأخذوهم عنوة فما أخذوا من مال ظهروا عليه فهو غنيمة وأما الارض فهى فى سوادنا هذا فىء وقال آخرون الغنيمة ما أخذ عنوة والفىء ما كان عن صلح ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان الثورى قال الغنيمة ما أصاب المسلمون عنوة بقتال فيه الخمس وأربعة أخماس لمن شهدها والفىء ما صالحوا عليه بغير قتال وليس فيه خمس هو لمن سمى الله وقال آخرون الغنيمة والفىء بمعنى واحد قالوا هذه الآية التى فى الانفال ناسخة قوله ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول الآية ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل قال كان الفىء فى هؤلاء ثم نسخ ذلك فى سورة الانفال واعلموا أنما غنمتم من شئ فان لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فنسخت هذه ما كان قبلها فى سورة الحشر وجعل الخمس لمن كان له الفىء فى سورة الحشر وسائر ذلك لمن قاتل عليه وقد بينا فيما مضى الغنيمة وانها المال يوصل اليه من مال من خول الله ماله أهل دينه بغلبة عليه وقهر بقتال فاما الفىء فانه ما أفاء الله على المسلمين من أموال أهل الشرك وهو ما رده عليهم منها بصلح من غير ايجاف خيل ولا ركاب وقد يجوز أن يسمى ما ردته عليهم منها سيوفهم ورماحهم وغير ذلك من سلاحهم فيأ لان الفىء انما هو مصدر من قول القائل فاء الشئ يفىء فيئا اذا رجع وأفاءه الله اذا رده غير ان الذى

(واعلموا أنما غنمتم من شئ فان لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ان كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شئ قدير اذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد ولكن ليقضى الله أمرا كان مفعولا ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حى عن بينة وان الله لسميع عليم اذ يريكهم الله فى منامك قليلا ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم فى الامر ولكن الله سلم انه عليم بذات الصدور واذ يريكموهم اذ التقيتم فى أعينكم قليلا ويقللكم فى أعينهم ليقضى الله أمرا كان مفعولا والى الله ترجع الامور يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط واذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال انى برىء منكم انى أرى ما لا ترون انى أخاف الله والله شديد العقاب اذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض غر هؤلاء

وردحكم الله فيه من الفيء بحكمه في سورة الحشر انما هو ما وصفت صفته من الفيء دون ما أوجف عليه منه بالخيل والركاب لعلل قد بينتها في كتابنا كتاب لطيف القول في أحكام شرائع الدين وسنبينه أيضا في تفسير سورة الحشر اذا انتهينا اليه ان شاء الله تعالى وأما قول من قال الآية في سورة الانفال ناسخة الآية في سورة الحشر فلا معنى له اذ كان لا معنى في احدى الآيتين ينفي حكم الاخرى وقد بينا معنى النسخ وهو نفي حكم قد ثبت بحكم خلافه في غير موضع بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وأما قوله من شيء فانه مراد به من كل ما وقع عليه اسم شيء مما خوله الله المؤمنين من أموال من غلبوا على ماله من المشركين مما وقع فيه القسم حتى الخيط والمخيط كما حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ليث عن مجاهد قوله واعلموا أنما غنمتم من شيء قال المخيط من الشيء حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن ليث عن مجاهد بمثله حدثني المثنى قال ثنا أبو نعيم الفضل قال ثنا سفيان عن ليث عن مجاهد مثله ۞ القول في تأويل قوله (فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم قوله فان لله خمسه مفتاح كلام ولله الدنيا والآخرة وما فيهما وانما معنى الكلام فان للرسول خمسه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن قيس بن مسلم قال سألت الحسن عن قول الله واعلموا أنما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول قال هذا مفتاح كلام لله الدنيا والآخرة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن قيس بن مسلم قال سألت الحسن بن محمد عن قوله واعلموا أنما غنمتم من شيء فان لله خمسه قال هذا مفتاح كلام لله الدنيا والآخرة حدثنا أبو كريب قال ثنا أحمد بن يونس قال ثنا أبو شهاب عن ورقاء عن نهشل عن الضحاك عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بعث سرية فغنموا خمس الغنيمة فضرب ذلك الخمس في خمسة ثم قرأ واعلموا أنما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول قال قوله فان لله خمسه مفتاح كلام لله ما في السموات وما في الارض فجعل الله سهم الله والرسول واحدا حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن مغيرة عن ابراهيم فان لله خمسه قال لله كل شيء حدثنا المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن مغيرة عن ابراهيم في قوله واعلموا أنما غنمتم من شيء فان لله خمسه قال لله كل شيء وخمس لله ورسوله ويقسم ما سوى ذلك على أربعة أسهم حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا سعيد عن قتادة قال كانت الغنيمة تقسم خمسة أخماس فأربعة أخماس لمن قاتل عليها ويقسم الخمس الباقي على خمسة أخماس فخمس لله والرسول حدثنا عمران بن موسى قال ثنا عبد الوارث قال ثنا أبان عن الحسن قال أوصى أبو بكر رضي الله عنه بالخمس من ماله وقال الا أرضى من مالي بما رضي الله لنفسه حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن فضيل عن عبد الملك عن عطاء واعلموا أنما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول قال خمس الله وخمس رسوله واحد كان النبي صلى الله عليه وسلم يحمل منه ويصنع فيه ما شاء حدثني المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا أبو عوانة عن المغيرة عن أصحابه عن ابراهيم واعلموا أنما غنمتم من شيء فان لله خمسه قال كل شيء لله الخمس للرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل وقال آخرون معنى ذلك فان لبيت الله خمسه وللرسول ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع بن الجراح عن أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية الرياحي قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالغنيمة فيقسمها على خمسة تكون أربعة أخماس لمن شهدها ثم يأخذ الخمس فيضرب بيده فيه فيأخذ منه الذي قبض كفه فيجعله للكعبة وهو سهم الله ثم يقسم ما بقي على خمسة أسهم فيكون سهم للرسول وسهم لذي القربى وسهم لليتامى وسهم للمساكين وسهم لابن السبيل حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية واعلموا أنما غنمتم من شيء فان لله

دينهم ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم) القراآت بالعدوة بالكسر في الحرفين ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب الباقون بالضم من حي بياءين أبو جعفر ونافع وخلف وسهل ويعقوب والبزي ونصير وأبو بكر وحماد الباقون بالادغام ولا تنازعوا بالادغام البزي وابن فليح وتذهب بالجزم للبزي عن هبيرة واذ زين وبابه مدغما أبو عمرو وعلي وحمزة في رواية خلاد وابن سعدان وأبي عمرو وهشام اني أرى اني أخاف بفتح الياء فيهما أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو وتراءت الفئتان بالامالة نصير *الوقوف وابن السبيل ط لتعلق حرف الشرط بمحذوف يدل عليه ما قبلها تقديره واعلموا واعتقدوا هذه الاقسام ان كنتم الجمعان ط قدير ه أسفل منكم ط في الميعاد لا للعطف لكن مفعولا لا لتعلق اللام من حي عن بينة ط عليم لا لتعلق اذ قليلا ط منكم ط الصدور ه مفعولا ط الامور ه تفلحون ه ج للآية والعطف واصبروا ط الصابرين ه ج لما ذكر عن سبيل الله ط محيط ه جار لكم ط أخاف الله ط العقاب ه دينهم ط حكيم ه * التفسير لما أمر سبحانه بالقتال في قوله وقاتلوهم والمقاتلة مظنة حصول الغنيمة أعاد حكم الغنيمة بيانا أوفى وأشفى فقال واعلموا انما غنمتم الذي فزتم به من أموال الكفرة قهرا وقوله من شيء بيان ما أي من كل ما يقع عليه اسم الشيء حتى الخيط والخياط وقوله فان لله بالفتح مبتدأ محذوف الخبر وروى الجعفي عن أبي عمرو فان لله بالكسر قال في الكشاف والمشهور آكد وأثبت

خمسه الى آخر الآية قال فكان يجاء بالغنيمة فتوضع فيقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة أسهم فيجعل أربعة بين الناس ويأخذ سهما ثم يضرب بيده في جميع ذلك السهم فما قبض عليه من شئ جعله للكعبة فهو الذي سمى لله فيقول لاتجعلوا لله نصيبا فان لله الدنيا والآخرة ثم يقسم نصيبه على خمسة أسهم سهم للنبي صلى الله عليه وسلم وسهم لذوي القربى وسهم اليتامى وسهم للمساكين وسهم لابن السبيل وقال آخرون ماسمى لرسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك فانما هو مراد به قرابته وليس لله ولا لرسوله منه شئ ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنا أبو معاوية عن علي عن ابن عباس قال كانت الغنيمة تقسم على خمسة أخماس فأربعة منها لمن قاتل عليها وخمس واحد يقسم على أربعة فربع لله والرسول ولذي القربى يعني قرابة النبي صلى الله عليه وسلم فما كان لله والرسول فهو لقرابة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يأخذ النبي صلى الله عليه وسلم من الخمس شيأ والخمس الثاني لليتامى والخمس الثالث للمساكين والخمس الرابع لابن السبيل * وأولى الاقوال في ذلك بالصواب قول من قال قوله فان لله خمسه وللرسول افتتاح كلام وذلك لاجماع الحجة على ان الخمس غير جائز قسمه على ستة أسهم ولو كان لله فيه سهم كما قال أبو العالية لوجب ان يكون خمس الغنيمة مقسوما على ستة أسهم وانما اختلف أهل العلم في قسمه على خمسة فما دونها فاما على أكثر من ذلك فما لانعلم قائلا قاله غير الذي ذكرنا من الخبر عن أبي العالية وفي اجماع من ذكرت الدلالة الواضحة على صحة ما اخترنا فاما من قال سهم الرسول لذوي القربى فقد أوجب للرسول سهما وان كان صلى الله عليه وسلم صرفه الى ذوي قرابته فلم يخرج من أن يكون القسم كان على خمسة أسهم وقد حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واعلموا أنما غنمتم من شئ فان لله خمسه الآية كان نبي الله صلى الله عليه وسلم اذا غنم غنيمة جعلت أخماسا فكان خمس لله ولرسوله ويقسم المسلمون ما بقي وكان الخمس الذي جعل لله ولرسوله ولذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فكان هذا الخمس خمسة أخماس خمس لله ولرسوله وخمس لذوي القربى وخمس لليتامى وخمس للمساكين وخمس لابن السبيل حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن موسى بن أبي عائشة قال سألت يحيى الجزار عن سهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال هو خمس الخمس حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة وجرير عن موسى بن أبي عائشة عن يحيى بن الجزار مثله حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن موسى بن أبي عائشة عن يحيى بن الجزار مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج فان لله خمسه قال أربعة أخماس لمن حضر البأس والخمس الباقي لله وللرسول خمسه يضعه حيث رأى وخمسه لذوي القربى وخمسه لليتامى وخمسه للمساكين ولابن السبيل خمسه وأما قوله ولذوي القربى فان أهل التأويل اختلفوا فيهم فقال بعضهم هم قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني هاشم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثني أبي عن شريك عن خصيف عن مجاهد قال كان آل محمد صلى الله عليه وسلم لاتحل لهم الصدقة فجعل لهم خمس الخمس حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا شريك عن خصيف عن مجاهد قال كان النبي صلى الله عليه وسلم وأهل بيته لايأكلون الصدقة فجعل لهم خمس الخمس حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا عبد السلام عن خصيف عن مجاهد قال قد علم الله ان في بني هاشم الفقراء فجعل لهم الخمس مكان الصدقة حدثني محمد بن عمارة قال ثنا اسمعيل بن أبان قال ثنا الصباح بن يحيى المزني عن السدي عن أبي الديلمي قال قال علي بن الحسين رضي الله عنه لرجل من أهل الشام أما قرأت في الانفال

لايجاب كأنه قيل فلابد من ثبات الخمس فيه ولاسبيل الى الاخلال به لانه اذا حذف الخبر واحتمل غير واحد من المقدرات كقولك ثابت واجب حق لازم كان أقوى لايجابه من النص (٤) على واحد عن الكلبي ان الآية نزلت ببدر وقال الواقدي كان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلاثة أيام للنصف من شوال على رأس عشرين شهرا من الهجرة واعلم ان الآية تقتضي أخذ الخمس من الغنائم واختلفوا في كيفية قسمة ذلك الخمس على أقوال أشهرها ان ذلك الخمس يخمس حتى يكون مجموع الغنيمة مقسوما بخمسة وعشرين قسما عشرون للغانمين بالاتفاق لانهم كسبوها كالاحتطاب والاصطياد وأما الخمسة الباقية فواحد منها كان لرسول الله ويصرف الآن الى ما كان يصرفه اليه من مصالح المسلمين كسد الثغور وعمارة الحصون والقناطر والمساجد وأرزاق القضاة والأئمة الاهم فالاهم وواحد لذوي القربى يعني أقارب رسول الله من أولاد هاشم والمطلب ابني عبد مناف دون عبد شمس ونوفل وهما ابنا عبد مناف أيضا لما روي عن عثمان بن عفان وجبير بن مطعم وكان عثمان من بني عبد شمس وجبير من بني نوفل انهما قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء اخوتك بنو هاشم لاننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم أرأيت اخواننا بني المطلب أعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة واحدة فقال صلى الله عليه وسلم انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام انما بنو هاشم وبنو المطلب شئ واحد وشبك بين أصابعه يستوي في هذا السهم غنيهم وفقيرهم الا أن الذكر مثل حظ الانثيين وثلاثة أخماس الخمس الباقيات لليتامى والمساكين وابن السبيل هذا عند الامامين أبي حنيفة والشافعي الا ان أبا حنيفة قال ان سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ساقط بموته وكذلك سهم ذوي القربى واعلموا وانما يعطون لفقرهم [illegible] فان لله خمسه وللرسول [illegible] خمسة كقوله والله

واعلموا أنما غنمتم من شئ فان لله خمسه وللرسول الآية قال نعم قال فالكم لانتم هم قال نعم حدثنا الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا اسرائيل عن خصيف عن مجاهد قال هؤلاء قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين لاتحل لهم الصدقة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو معاوية عن حجاج عن عطاء عن ابن عباس ان نجدة كتب اليه يسأله عنه فكتب اليه كتابا نزعم انا نحن هم فابى ذلك علينا قومنا قال حدثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج فان لله خمسه قال أربعة أخماس لمن حضر البأس والخمس الباقي لله وللرسول خمسه يضعه حيث رأى وخمس لذوي القربى خمس لليتامى وخمس للمساكين ولابن السبيل خمسه وقال آخرون بل هم قريش كلها ذكر من قال ذلك حدثني يونس بن عبد الاعلى قال أخبرني عبد الله بن نافع عن أبي معشر عن سعيد المقبري قال كتب نجدة الى ابن عباس يسأله عن ذي القربى قال فكتب اليه ابن عباس قد كنا نقول انا هم فابى ذلك علينا قومنا وقالوا قريش كلها ذوو قربى وقال آخرون سهم ذي القربى كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صار من بعده لولي الامر من بعده ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا سعيد عن قتادة انه سئل عن سهم ذي القربى فقال كانت طعمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان حيا فلما توفي جعل لولي الامر من بعده وقال آخرون بل سهم ذي القربى كان لبني هاشم وبني المطلب خاصة وممن قال ذلك الشافعي وكانت علته في ذلك ما حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير قال ثنا محمد بن اسحق قال ثني الزهري عن سعيد بن المسيب عن جبير بن مطعم قال لما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم سهم ذي القربى من خيبر على بني هاشم وبني المطلب مشيت أنا وعثمان بن عفان رضي الله عنه فقلنا يا رسول الله هؤلاء اخوتك بنو هاشم لاننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله به منهم أرأيت اخواننا بني المطلب أعطيتهم وتركتنا وانما نحن وهم منك بمنزلة واحدة فقال انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام انما بنو هاشم وبنو المطلب شئ واحد ثم شبك رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه احداهما بالاخرى * وأولى الاقوال في ذلك بالصواب عندي قول من قال سهم ذي القربى كان لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني هاشم وحلفائهم من بني المطلب لان حليف القوم منهم ولصحة الخبر الذي ذكرناه بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واختلف أهل العلم في حكم هذين السهمين أعني سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وسهم ذي القربى بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم يصرفان في معونة الاسلام وأهله ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا أحمد بن يونس قال ثنا أبو شهاب عن ورقاء عن نهشل عن الضحاك عن ابن عباس قال جعل سهم الله وسهم الرسول واحدا ولذي القربى فجعل هذان السهمان في الخيل والسلاح وجعل سهم اليتامى والمساكين وابن السبيل لا يعطى غيرهم حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن قيس بن مسلم قال سألت الحسن عن قول الله واعلموا أنما غنمتم من شئ فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى قال هذا مفتاح كلام الله الدنيا والآخرة ثم اختلف الناس في هذين السهمين بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قائلون سهم النبي صلى الله عليه وسلم لقرابة النبي صلى الله عليه وسلم وقال قائلون سهم القرابة لقرابة الخليفة واجتمع رأيهم ان يجعلوا هذين السهمين في الخيل والعدة في سبيل الله فكانا على ذلك في خلافة أبي بكر رضي الله عنه حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن قيس بن مسلم قال سألت الحسن بن محمد فذكر نحوه حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمر بن عبيد عن الاعمش عن ابراهيم قال كان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما يجعلان سهم النبي صلى الله عليه وسلم في الكراع والسلاح فقلت لابراهيم ما كان

ورسوله أحق أن يرضوه وعن أبي العالية يجاء بسهم آخر لله وانه يقسم الخمس على ستة أسهم والذاهبون الى هذا القول اختلفوا فقيل ان ذلك السهم لبيت المال وقيل يصرف الى مصالح الكعبة لما روي انه صلى الله عليه وسلم (٥) كان يأخذ الخمس فيضرب بيده منه فيأخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة فهو سهم الله وعن ابن عباس انه كان يقسم على ستة لله وللرسول سهمان وسهم لاقاربه حتى قبض فاجرى أبو بكر الخمس على ثلاثة وهم اليتامى والمساكين وابن السبيل وكذلك روي عن عمر ومن بعده من الخلفاء وروي ان أبا بكر منع بني هاشم الخمس وقال انما لكم ان يعطى فقيركم وتزوج أيمكم ويخدم من لاخادم له منكم فاما الغني منكم فهو بمنزلة ابن سبيل غني لا يعطى هو ولا يتيم موسر من الصدقة شيأ وروي عن زيد بن علي انه ليس لنا ان نبني منه قصورا ولا ان نركب منه البراذين وقيل الخمس كله للقرابة لما روي عن علي عليه السلام انه قيل له ان الله تعالى قال واليتامى والمساكين فقال أيتامنا ومساكيننا وعن الحسن في سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لولي الامر من بعده وعند مالك بن أنس الامر في الخمس مفوض الى اجتهاد الامام ان رأى قسمه بين الاصناف الخمسة عند الشافعي وان رأى أعطى بعضهم دون بعض وان رأى غيرهم أولى وأهم فذلك فعنده هذا يكون معنى قوله فان لله خمسه ان من حق الخمس أن يكون متقربا به الى الله لا غير ثم خص من وجوه القرب هذه الخمسة تفضيلا لها على غيرها كقوله وملائكته ورسله وجبريل وميكال وحاصل الآية ان كنتم آمنتم بالله وبالمنزل على عبدنا فاعلموا واعملوا بتضمن العمل والطاعة ان الخمس من الغنيمة يجب التقرب به فاقطعوا عنه اطماعكم واقنعوا بالاخماس الاربعة ويوم الفرقان يوم بدر لانه فرق فيه بين أهل الحق وأهل الباطل والجمعان فريقاهما والذي أنزل عليه يومئذ الآيات والملائكة والنصر والتأييد والله على كل شئ قدير ومن ذلك نصر القليل على الكثير اذ أنتم

علي رضي الله عنه يقول فيه قال كان علي أشدهم فيه **حدثني** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين الآية قال ابن عباس فكانت الغنيمة تقسم على خمسة أخماس أربعة بين من قاتل عليها وخمس واحد يقسم على أربعة لله وللرسول ولذي القربى يعني قرابة النبي صلى الله عليه وسلم فما كان لله وللرسول فهو لقرابة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يأخذ النبي صلى الله عليه وسلم من الخمس شيأ فلما قبض الله رسوله صلى الله عليه وسلم رد أبو بكر رضي الله عنه نصيب القرابة في المسلمين فجعل يحمل به في سبيل الله لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما تركنا صدقة **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا سعيد عن قتادة انه سئل عن سهم ذي القربى فقال كان طعمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلما توفي حمل عليه أبو بكر وعمر في سبيل الله صدقة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال آخرون سهم ذوي القربى من بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم مع سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى والي أمر المسلمين ذكر من قال ذلك **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا عمرو بن ثابت عن عمران بن ظبيان عن حكيم بن سعد عن علي رضي الله عنه قال يعطى كل انسان نصيبه من الخمس ويلي الامام سهم الله ورسوله **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا سعيد عن قتادة انه سئل عن سهم ذوي القربى فقال كان طعمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان حيا فلما توفي جعل لولي الامر من بعده وقال آخرون سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مردود في الخمس والخمس مقسوم على ثلاثة أسهم على اليتامى والمساكين وابن السبيل وذلك قول جماعة من أهل العراق وقال آخرون الخمس كله لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك **حدثني** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا عبد الغفار قال ثنا المنهال بن عمرو قال سألت عبد الله بن محمد بن علي وعلي بن الحسين عن الخمس فقالا هو لنا فقلت لعلي ان الله يقول اليتامى والمساكين وابن السبيل قال يتامانا ومساكيننا * والصواب من القول في ذلك عندنا ان سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مردود في الخمس والخمس مقسوم على أربعة أسهم على ما روي عن ابن عباس للقرابة سهم ولليتامى سهم وللمساكين سهم ولابن السبيل سهم لان الله أوجب الخمس لاقوام موصوفين بصفات كما أوجب الاربعة الاخماس الآخرين وقد أجمعوا ان حق الاربعة الاخماس لن يستحقه غيرهم فكذلك حق أهل الخمس لن يستحقه غيرهم وغير جائز ان يخرج عنهم الى غيرهم كما غير جائز أن تخرج بعض السهمان التي جعلها الله لمن سماه في كتابه بفقد بعض من يستحقه الى غير أهل السهمان الاخر وأما اليتامى فهم أطفال المسلمين الذين قد هلك آباؤهم والمساكين هم أهل الفاقة والحاجة من المسلمين وابن السبيل المجتاز سفرا قد انقطع به كما **حدثني** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قال الخمس الرابع لابن السبيل وهو الضعيف الفقير الذي ينزل بالمسلمين ۞ القول في تأويل قوله (ان كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير) يقول تعالى ذكره أيقنوا أيها المؤمنون انما غنمتم من شيء فمقسوم القسم الذي بينته وصدقوا به ان كنتم أقررتم بوحدانيته وبما أنزل الله على عبده محمد صلى الله عليه وسلم يوم فرق فيه بين الحق والباطل ببدر فأبان فلج المؤمنين وظهورهم على عدوهم وذلك يوم التقى الجمعان جمع المؤمنين وجمع المشركين والله على اهلاك أهل الكفر واذلالهم بايدي المؤمنين وعلى غير ذلك مما يشاء قدير لا يمتنع عليه شيء أراده وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** المثنى قال

بدل من يوم الفرقان بالعدوة بالكسر والضم شط الوادي أي جانبه وحافته وقال أبو عمرو هي المكان المرتفع والدنيا تأنيث الادنى يعني الجانب الذي يلي المدينة وقلب الواو ياء فيه على القياس لان فعلى من بنات الواو تقلب ياء كالعليا وأما القصوى تأنيث الاقصى فانه كالقود في مجيئه على الاصل وقد جاء القصيا أيضا قليلا والعدوة القصوى مما يلي مكة والركب يعني الاربعين الذين كانوا يقودون العير أسفل منكم بالساحل وهو نصب على الظرف مرفوع المحل خبرا للمبتدأ أي مكانا أسفل من مكانكم والفائدة في ذكر مراكز الفرق الثلاث تصوير وقعة بدر وما دبر الله سبحانه فيها من عجيب صنعه وكمال رأفته ونصره حتى كان ما كان وذلك ان العدوة القصوى التي أناخ بها المشركون كانت في مكان فيه الماء وكانت أرضا لا بأس بها وأما العدوة الدنيا فهي رخوة تسوخ فيها الاقدام ولا ماء بها وكانت العير وراء ظهور العدو مع كثرة عددهم فكانت الحماية دونها تضاعف حميتهم وتحدتهم ولهذا كانت العرب تخرج الى الحروب بعيالهم وأثقالهم ليبعثهم الذب عن الحرم على بذل مجهودهم حيث لم يتركوا وراءهم ما يحدثون أنفسهم بالانحياز اليه ولو تواعدتم أنتم وأهل مكة على موضع تتلاقون فيه لاختلفتم في الميعاد فثبطكم قلتكم وكثرتهم عن الوفاء بالموعد وثبطهم ما في قلوبهم من هيبة الرسول والمسلمين فلم يتفق لكم من التلاقي ما تيسر بتوفيق الله وتسبيبه ولكن ليقضي الله أي ليظهر أمرا كان مفعولا مقدرا وهو نصر أوليائه وقهر أعدائه دبر ذلك وقوله ليهلك بدل ليقضي بدل الخاص من العام واستعير الهلاك والحياة للكفر والاسلام وذلك ان وقعة بدر كان فيها من الآيات والمعجزات ما الكافر بعدها كالمكابر لنفسه فكفره صادر عن وضوح بينة أي لا شك في كفره وعناده كما لم يبق شك للمسلمين في حقية دين الاسلام وفي قوله لقضي ولهلك دلالة على ان أفعاله تعالى مستتبعة للحكم والمقاصد والغايات خلافا في ما عليه

ثنا

ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله يوم الفرقان يعنى بالفرقان يوم بدر فرق الله فيه بين الحق والباطل **حدثنا** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى الليث قال ثنى عقيل عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير واسحق قال ثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى عن عروة بن الزبير يزيد أحدهما على صاحبه فى قوله يوم الفرقان يوم فرق الله بين الحق والباطل وهو يوم بدر وهو أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رأس المشركين عتبة بن ربيعة فالتقوا يوم الجمعة لتسع عشرة ليلة مضت من شهر رمضان وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثمائة وبضعة عشر رجلا والمشركون ما بين الالف والتسعمائة فهزم الله يومئذ المشركين وقتل منهم زيادة على سبعين وأسر منهم مثل ذلك **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن مقسم يوم الفرقان قال يوم بدر فرق الله بين الحق والباطل **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن عثمان الجزرى عن مقسم فى قوله يوم الفرقان قال يوم بدر فرق الله بين الحق والباطل **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله يوم الفرقان يوم التقى الجمعان يوم بدر وبدر بين المدينة ومكة **حدثنا** ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنى يحيى بن يعقوب أبو طالب عن ابن عون محمد بن عبيد الله الثقفى عن أبى عبد الرحمن السلمى عبد الله بن حبيب قال قال الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه كانت ليلة الفرقان يوم التقى الجمعان لسبع عشرة من شهر رمضان **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد يوم التقى الجمعان قال ابن جريج قال ابن كثير يوم بدر **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان أى يوم فرق بين الحق والباطل ببدر أى يوم التقى الجمعان منكم ومنهم **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان وذاكم يوم بدر يوم فرق الله بين الحق والباطل ۞ القول فى تأويل قوله (اذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم) يقول تعالى ذكره أيقنوا أيها المؤمنون واعلموا أن قسم الغنيمة على ما بينه لكم ربكم ان كنتم آمنتم بالله وما أنزل على عبده يوم بدر اذ فرق بين الحق والباطل من نصر رسوله اذ أنتم حينئذ بالعدوة الدنيا يقول بشفير الوادى الادنى الى المدينة وهم بالعدوة القصوى يقول وعدوكم من المشركين نزول بشفير الوادى الاقصى الى مكة والركب أسفل منكم يقول والعير فيه أبو سفيان وأصحابه فى موضع أسفل منكم الى ساحل البحر وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة اذ أنتم بالعدوة الدنيا قال شفير الوادى الادنى وهم بشفير الوادى الاقصى والركب أسفل منكم قال أبو سفيان وأصحابه أسفل منهم **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله اذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى وهما شفير الوادى كان نبى الله بأعلى الوادى والمشركون بأسفله والركب أسفل منكم يعنى أبا سفيان انحدر بالعير على حوزته حتى قدم بها مكة **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق اذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى من الوادى الى مكة والركب أسفل منكم أى عير أبى سفيان التى خرجتم لتأخذوها وخرجوا ليمنعوها عن غير ميعاد منكم ولا منهم **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله والركب أسفل منكم قال أبو سفيان وأصحابه مقبلون من الشام تجارا لم يشعروا بأصحاب بدر ولم يشعر محمد صلى الله عليه وسلم بكفار قريش

ظاهر مذهب الاشاعرة وان الله لسميع لدعائكم عليم بنياتكم اذ يريكهم منصوب باذكر أو بدل آخر من يوم الفرقان أو متعلق بعليم أى يعلم تدابيركم اذ يريك فى منامك أى فى رؤياك قليلا أراهم اياه فى رؤياه قليلا فأخبر بذلك (٧) أصحابه وكان تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم وقيل فى منامك أى فى عينك فى اليقظة لان العين موضع النوم وفيه تكلف ولو أراكهم كثيرا على ما هم عليه لفشلتم والفشل الجبن والخور ولتنازعتم فى الامر أمر الحرب والاقدام ولكن الله سلم عصم من الفشل والتنازع انه عليم بذات الصدور يعلم ما سيحدث فيها من مواجب الاقدام والاحجام واذ يريكموهم يبصركم اياهم اذ التقيتم فى أعينكم قليلا نصب على الحال لان الرؤية رؤية العين لا القلب وقد استوفت الاراءة مفعوليه فلن يتعدى الى ثالث ويقللكم فى أعينهم الحكمة فى تقليل الكفار فى أعين المؤمنين ظاهرة مع ان فى ذلك تصديقا لرؤيا النبى وأما فى تقليل المؤمنين فى أعينهم فالحكمة فى ذلك ان يجترئ الكفار عليهم قلة مبالاة بهم وان لا يستعدوا لهم كما ينبغى ليقضى الله أمرا كان مفعولا فعل ما فعل من التقليل والى الله ترجع الامور وفيه ان أحوال الدنيا غير مقصودة لذواتها وانما المراد منه ما يصلح ان يكون زادا للمعاد ثم علم المؤمنين آداب اللقاء فى الحروب فقال اذا لقيتم فئة فاثبتوا لقتالهم ولا تفروا واللقاء اسم قد غلب فى القتال فلهذا ترك وصف الفئة بالمحاربين ونحو ذلك والامر بالثبات فى القتال لا ينافى الرخصة فى التحرف والتحيز فلعل الثبات فى الحرب لا يحصل الا بهما واذكروا الله كثيرا فى مواطن الحرب لعلكم تفلحون تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه اشعار بأن العبد لا يجوز له ان يفتر عن ذكر ربه فى أى شغل وعمل كان ولو ان رجلا أقبل من المغرب الى المشرق ينفق أمواله لله وآخر من المشرق الى المغرب ضارب بسيفه فى سبيل الله كان الذاكر لله أعظم أجرا وقيل المراد من هذا الذكر أن يدعو على العدو اللهم اخذلهم اللهم اقطع دابرهم ونحو ذلك

ولا كفار قريش بمحمد وأصحابه حتى التقيا على ماء بدر من يسقى لهم كلهم فاقتتلوا فغلبهم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فاسروهم حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بنحوه حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قال ذكر منازل القوم والعير فقال اذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم هو أبو سفيان أسفل منكم على شاطئ البحر واختلفت القراء فى قراءة قوله اذ أنتم بالعدوة فقرأ ذلك عامة قراء المدنيين والكوفيين بالعدوة بضم العين وقرأه بعض المكيين والبصريين بالعدوة بكسر العين وهما لغتان مشهورتان بمعنى واحد فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ينشد بيت الراعى

وعينان حمر ومآقيهما * كما نظر العدوة الجؤذر

بكسر العين من العدوة وينشد بيت أوس بن حجر

وفارس لو تحل الخيل عدوته * ولوا سراعا وما هموا باقبال

القول فى تأويل قوله (ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد ولكن ليقضى الله أمرا كان مفعولا) يعنى تعالى ذكره ولو كان اجتماعكم فى الموضع الذى اجتمعتم فيه أنتم أيها المؤمنون وعدوكم من المشركين عن ميعاد منكم ومنهم لاختلفتم فى الميعاد لكثرة عدد عدوكم وقلة عددكم ولكن الله جمعكم على غير ميعاد بينكم وبينهم ليقضى الله أمرا كان مفعولا وذلك القضاء من الله كان نصره أولياءه من المؤمنين بالله ورسوله وهلاك أعدائه وأعدائهم ببدر بالقتل والاسر كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد ولو كان ذلك عن ميعاد منكم ومنهم ثم بلغكم كثرة عددهم وقلة عددكم ما لقيتموهم ولكن ليقضى الله أمرا كان مفعولا أى ليقضى الله ما أراد بقدرته من اعزاز الاسلام وأهله واذلال الشرك وأهله عن غير بلاء منكم ففعل ما أراد من ذلك بلطفه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قال أخبرنى يونس عن ابن شهاب قال أخبرنى عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك ان عبد الله بن كعب قال سمعت كعب بن مالك يقول فى غزوة بدر انما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون يريدون عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن ابن عون عن عمير بن اسحق قال أقبل أبو سفيان فى الركب من الشام وخرج أبو جهل ليمنعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فالتقوا ببدر ولا يشعر هؤلاء بهؤلاء ولا هؤلاء بهؤلاء حتى التقت السقاة قال ونظر الناس بعضهم لبعض القول فى تأويل قوله (ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة وان الله لسميع عليم) يقول تعالى ذكره ولكن الله جمعهم هنالك ليقضى الله أمرا كان مفعولا ليهلك من هلك عن بينة وهذه اللام فى قوله ليهلك مكررة على اللام فى قوله ليقضى كأنه قال ولكن ليهلك من هلك عن بينة جمعكم ويعنى بقوله ليهلك من هلك عن بينة ليموت من مات من خلقه عن حجة لله قد أثبتت له وقطعت عذره وعبرة قد عاينها ورآها ويحيى من حى عن بينة يقول وليعيش من عاش منهم عن حجة لله قد أثبتت له وظهرت لعينه فعلمها جمعنا بينكم وبين عدوكم هنالك وقال ابن اسحق فى ذلك بما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ليهلك من هلك عن بينة لما رأى من الآيات والعبرة ويؤمن من آمن على مثل ذلك وأما قوله وان الله لسميع عليم فان معناه وان الله أيها المؤمنون لسميع لقولكم وقول غيركم حين يرى الله نبيه فى منامه ويريكم عدوكم فى أعينكم قليلا وهم كثير ويراكم عدوكم فى أعينهم كثيرا عليم بما تضمره نفوسكم وتنطوى عليه قلوبكم حينئذ وفى كل حال يقول

والاولى حمله على العموم واطيعوا الله ورسوله فى سائر ما امر به لان الجهاد لا ينفع الا مع التمسك بسائر الطاعات ولا تنازعوا فتفشلوا منصوب باضمار ان أو مجزوم لدخوله فى حكم النهى ويظهر التقدير ان فى قوله وتذهب ريحكم على قراءتين والريح الدولة شبهت فى نفوذ أمرها وتمشيته على وفق المشيئة بالريح وهبوبها هبت رياح فلان اذا دالت له الدولة ونفذ أمره وقيل الريح حقيقة ولم يكن نصر قط الا بريح يبعثها الله وفى الحديث نصرت بالصبا حذرهم التنازع واختلاف الرأى نحو ما وقع لهم باحد بمخالفتهم رسول الله احتج نفاة القياس بالآية لان القول به يفضى غالبا الى النزاع المنهى عنه وكذا القائلون بان النص لا يجوز تخصيصه بالقياس قال أهل السير ان أهل مكة حين نفروا لحماية العير أتاهم رسول أبى سفيان وهم بالجحفة أن ارجعوا فقد سلمت عيركم فأبى أبو جهل وقال حتى نقدم بدرا نشرب بها الخمور وتعزف علينا القيان ونطعم بها من حضرنا من العرب فوافوها فسقوا كؤس المنايا مكان الخمر وناحت عليهم النوائح مكان القيان فنهى الله المؤمنين ان يكونوا مثلهم بطرين مرائين باعمالهم كاطعام الطعام ونحوه فقال ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم الآية وصفهم باوصاف ثلاثة أولها البطر وهو الطغيان فى نعمة ويقال أيضا شدة المرح والتحقيق ان النعم اذا كثرت من الله على العبد فان صرفها الى مرضاته وعرف حق الله فيها فذلك هو الشكر وان توسل بها الى المفاخرة على الاقران والمكاثرة على أبناء الزمان فذلك هو البطر وثانيها رئاء الناس وهو القصد الى اظهار الجميل مع قبح النية وفساد الطوية أو هو اظهار الطاعة مع ابطان المعصية كما ان النفاق اظهار الايمان مع ابطان الكفر وثالثها قوله ويصدون عن سبيل الله أى يمنعون عن قبول دين محمد صلى الله عليه وسلم قال الواحدى معناه وصدا عن سبيل الله ليكون عطفا الاسم على الاسم أو يكون الكل أحوالا على تأويل

جل

جـل ثناؤه لهـم ولعباده واتقوا ربكم أيها الناس فى منطقكم ان تنطقوا بغـير حق وفى قلوبكم ان تعتقدوا فيها غير الرشد فان الله لا يخفى عليه خافيـة من ظاهر أو باطن ۞ القول فى تأويل قوله (اذ يريكهم الله فى منامك قليلا ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم فى الامر ولكن الله سلم انه عليم بذات الصدور) يقول تعالى ذكره وان الله يا محمـد سميع لما يقول أصحابك عليم بما يضمرونه اذ يريك الله عدوك وعدوهم فى منامك قليـلا يقول يريكهم فى نومك قليلا فتخبرهم بذلك حتى قويت قلوبهم واجترؤا على حرب عدوهـم ولو أراك ربك عدوك وعددهـم كثيرا لفشل أصحابك فجبنوا وخافوا ولم يقدروا على حرب القوم ولتنازعوا فى ذلك ولكن الله سلمهم من ذلك بما أراك فى منامك من الرؤيا انه عليم بما تخفيه الصدور ولا يخفى عليه شئ مما تضمره القلوب وقد زعم بعضهم ان معنى قوله اذ يريكهم الله فى منامك قليلا أى فى عينك التى تنام بها فصير المنام هو العين كانه أراد اذ يريكهم الله فى عينك قليلا وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن ابن أبى نجيح عن مجاهد اذ يريكهم الله فى منامك قليلا قال أراهم الله اياهم فى منامه قليلا وأخبر النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه بذلك فكان تثبيتا لهـم حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بنحوه قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق اذ يريكهم الله فى منامك قليـلا الآية فكان أول ما أراه من ذلك نعمة من نعمه عليهم شجعهم بها على عدوهـم وكفاهم بها ما تخوف عليهم من ضعفهم لعلمه بما فيهم واختلف أهـل التأويل فى تأويل قوله ولكن الله سـلم فقال بعضهم معناه ولكن الله سلم للمؤمنين أمرهـم حتى أظهرهم على عدوهـم ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ولكن الله سلم يقول سلم الله لهم أمرهم حتى أظهرهـم على عدوهم وقال آخرون بل عنى ذلك ولكن الله سـلم أمره فيهـم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور قال ثنا معمر عن قتادة ولكن الله سلم قال سلم أمره فيهم وأولى القولين فى ذلك بالصواب عندى ما قاله ابن عباس وهو ان الله سلم القوم بما أرى نبيه صـلى الله عليه وسلم فى منامه من الفشل والتنازع حتى قويت قلوبهم واجترؤا على حرب عدوهـم وذلك ان قوله ولكن الله سـلم قال سلم عقيب قوله ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم فى الامر فالذى هو أولى بالخبر عنه انه سلمهم منه جـل ثناؤه ما كان مخوفا منه لو لم يرنبيه صـلى الله عليه وسـلم من قلة القوم فى منامه ۞ القول فى تأويل قوله (واذ يريكموهم اذ التقيتم فى أعينكم قليلا ويقللكم فى أعينهم ليقضى الله أمرا كان مفعولا والى الله ترجع الامور) يقول تعالى ذكره وان الله لسميع عليـم اذ يرى الله نبيه فى منامه المشركين قليلا واذ يريهم الله المؤمنين اذ لقوهم فى أعينهم قليلا وهم كثير عددهم ويقلل المؤمنين فى أعينهم ليتركوا الاستعداد لهم فيهون على المؤمنين شوكتهم كما حدثنى ابن بزيع البغدادى قال ثنا اسحق بن منصور عن اسرائيـل عن أبى اسحق عن أبى عبيـدة عن عبد الله قال لقد قللوا فى أعيننا يوم بدر حتى قلت لرجـل الى جنبى تراهم سبعين قال أراهـم مائة قال فاسرنا رجلا منهم فقلنا كم هم قال ألفا حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن ابن اسحق عن أبى عبيدة عن عبـد الله بنحوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسـين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله واذ يريكموهـم اذ التقيتم فى أعينكم قليلا قال ابن مسعود قللوا فى أعيننا حتى قلت لرجل تراهم يكونون مائة حدثنى محمد بن الحسـين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا

بطرين مرائين صادين أو يبطرون ويراؤن ويصدون واعترض عليه فى التفسير الكبير بانه تارة يقيم الاسم مقام الفـعل والاخرى بالعكس ليصح كون الكلمة معطوفا على جنسها وكان من الواجب عليه ان يذكر السبب الذى لاجله عبر عن الاولين بالمصدر وعن الثالث بالفعل ثم ذكر السبب فقال ان أبا جهل ورهطه كانوا مجبولين عـلى البطر والرئاء فذكر بلفظ الاسم تنبيها على اصالتهم فيها وأما الصد فانما حصـل فى زمان ادعاء محمـد النبوة فذكر بلفظ الفـعل الدال عـلى التجـدد قلت لو جعلنا قوله ويصدون عطفا على صـلة الذين لم يحتج الى هـذه التكلفات الـتى اخترعها الامامان والله بما تعملون محيط فيه زجر عن التصنع والافتخار ويعلم منه ان المعصية مع الانكسار أقرب الى الخلاص من الطاعة مع الاستكبار واذ زين معناه واذكر اذ زين أو هو معطوف على ما قبـله من النعم وأقرب بها قوله واذ يريكموهـم وفى هـذا التزيين وجهان أحدهما ان الشـيطان زين بوسوسته من غـير ان يتمثل بصورة انسان وهو قول الحسـن والاصم وفى الكشاف زين لهـم الشيطان أعمالهم التى عملوها فى معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم ووسوس اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقـون وأوهمهـم أن اتباع خطوات الشيطان وطاعته مما يجرؤهم فلما تلاقى الفريقان نكص الشـيطان وتبرأ منهم أى بطل كيده حـين نزلت جنود الله وثانيهما انه ظهر فى صورة انسان وذلك ان المشركين حـين أرادوا المسير الى بدر ذكروا التى بينهـم وبين بنى كنانة من الحرب فلم يأمنوا ان يأتوهم من ورائهم فتمثل لهـم ابليس فى صورة سراقة بن مالك بن جعشم الشاعر الكنانى وكان من أشرافهم فى جند من الشيطان معه ورايته قال لا غالب لكم اليوم من الناس أى لا غالب كائن لكم ولو كان لكم مفعولا لا غالب الا أنا كلا انتصب كما يقال لا ضارب زيدا ... لكم ... من كل عدو

أسباط عن السدى قال قال ناس من المشركين ان العير قد انصرفت فارجعوا فقال أبو جهل الآن اذ برز لكم محمد وأصحابه فلا ترجعوا حتى تستأصلوهم وقال يا قوم لا تقتلوهم بالسلاح ولكن خذوهم أخذا فاربطوهم بالحبال يقوله من القدرة فى نفسه وقوله ليقضى الله أمرا كان مفعولا يقول جل ثناؤه قللتكم أيها المؤمنون فى أعين المشركين وأريتكموهم فى أعينكم قليلا حتى يقضى الله بينكم ما قضى من قتال بعضكم بعضا واظهاركم أيها المؤمنون على أعدائكم من المشركين والظفر بهم لتكون كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا السفلى وذلك أمر كان الله فاعله وبالغا فيه أمره كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ليقضى الله أمرا كان مفعولا أى ليؤلف بينهم على الحرب للنقمة ممن أراد الانتقام منه والانعام على من أراد اتمام النعمة عليه من أهل ولايته والى الله ترجع الامور يقول جل ثناؤه مصير الامور كلها فى الآخرة فيجازى أهلها على قدر استحقاقهم المحسن باحسانه والمسىء باساءته ۞ القول فى تأويل قوله (يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون) وهذا تعريف من الله جل ثناؤه أهل الايمان به السيرة فى حرب أعدائه من أهل الكفر به والافعال التى ترجى لهم باستعمالها عند لقائهم النصرة عليهم والظفر بهم ثم يقول لهم جل ثناؤه يا أيها الذين آمنوا صدقوا الله ورسوله اذا لقيتم جماعة من أهل الكفر بالله للحرب والقتال فاثبتوا لقتالهم ولا تنهزموا عنهم ولا تولوهم الادبار هاربين الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة منكم واذكروا الله كثيرا يقول فادعوا الله بالنصر عليهم والظفر بهم واشعروا قلوبكم وألسنتكم ذكره لعلكم تفلحون يقول كيما تنجحوا فتظفروا بعدوكم ويرزقكم الله النصر والظفر عليهم كما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون افترض الله ذكره عند أشغل ما يكونوا عند الضراب والسيوف حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة يقاتلونكم فى سبيل الله فاثبتوا واذكروا الله كثيرا اذكروا الله الذى بذلتم له أنفسكم والوفاء بما أعطيتموه من بيعتكم لعلكم تفلحون ۞ القول فى تأويل قوله (وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين) يقول تعالى ذكره للمؤمنين به أطيعوا أيها المؤمنون ربكم ورسوله فيما أمركم به ونهاكم عنه ولا تخالفوهما فى شىء ولا تنازعوا فتفشلوا يقول ولا تختلفوا فتفرقوا وتختلف قلوبكم فتفشلوا يقول فتضعفوا وتجبنوا وتذهب ريحكم وهذا مثل يقال للرجل اذا كان مقبلا ما يحبه ويسر به الريح مقبلة عليه يعنى بذلك ما يحبه ومن ذلك قول عبيد بن الابرص

كما حميناك يوم النعف من شطب ✻ والفضل للقوم من ريح ومن عدد

يعنى من الناس والكثرة وانما يراد به فى هذا الموضع وتذهب قلوبكم وبأسكم فتضعفوا ويدخلكم الوهن والخلل واصبروا يقول اصبروا مع نبى الله صلى الله عليه وسلم عند لقاء عدوكم ولا تنهزموا عنه وتتركوه ان الله مع الصابرين يقول اصبروا فانى معكم ونحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وتذهب ريحكم قال نصركم قال وذهبت ريح أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نازعوه يوم أحد حدثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وتذهب ريحكم فذكر نحوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحوه الا أنه قال ريح أصحاب محمد حين تركوه يوم أحد حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا

يفرض من البشر ومعنى الجار ههنا الدافع عن صاحبه أنواع الضرر كما يدفع الجار عن الجار فلما تراءت الفئتان أى التقى الجمعان بحيث رأت كل واحدة الاخرى نكص على عقبيه والنكوص الاحجام عن الشىء أى رجع وقال انى برىء منكم قيل كانت يده فى يد الحرث بن هشام فلما نكص قال له الحرث الى أين أتخذلنا فى هذه الحالة فقال انى أرى ما لا ترون أى من نزول الملائكة ودفع فى صدر الحرث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغ ذلك سراقة فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتنى هزيمتكم فلما أسلموا علموا انه الشيطان وفى الحديث ما رؤى ابليس يوما أصغر ولا أدحر ولا أغيظ من يوم عرفة لما يرى من نزول الرحمة الا ما رأى يوم بدر أما قوله انى أخاف الله فقد قيل انه لما رأى جبريل خافه وقيل لما رأى الملائكة ينزلون من السماء خافهم لانه ظن ان الوقت الذى أنظر اليه قد حضر قال قتادة صدق فى قوله انى أرى ما لا ترون وكذب فى قوله انى أخاف الله وقوله والله شديد العقاب يجوز أن يكون من بقية حكاية كلام ابليس ويجوز أن يكون اعتراضا وظرفه اذ يقول أولا ظرف له واذ يقول ينتصب باذكر على انه كلام مبتدأ منقطع عما قبله ولهذا فقد العاطف والمنافقون قوم من الاوس والخزرج بالمدينة والذين فى قلوبهم مرض يجوز أن يكون من صفة المنافقين وان يراد قوم من قريش أسلموا وما قوى الاسلام فى قلوبهم ولم يهاجروا ثم ان قريشا لما خرجوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أولئك نخرج مع قومنا فان كان محمد فى كثرة خرجنا اليه وان كان فى قلة أقمنا فى قومنا قال محمد بن اسحق ثم تنازلوا جميعا مع المشركين يوم بدر غر هؤلاء دينهم قال ابن عباس معناه انه خرج ثلثمائة وثلاثة عشر الى زهاء ألف وما ذلك الا لانهم اعتمدوا على دينهم [illegible] هؤلاء [illegible] قتل أنفسهم ما لا [illegible] يحملوا أحياء ولا الموت ثم قال ومن يتوكل على

أسباط عن السدى ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم قال حربكم وجدكم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وتذهب ريحكم قال ريح الحرب حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد وتذهب ريحكم قال الريح النصر لم يكن النصر قط الا بريح يبعثها الله تضرب وجوه العدو فاذا كان ذلك لم يكن لهم قوام حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم أى لا تختلفوا فيتفرق أمركم وتذهب ريحكم فيذهب جدكم واصبروا ان الله مع الصابرين أى انى معكم اذا فعلتم ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولا تنازعوا فتفشلوا قال الفشل الضعف عن جهاد عدوه والانكسار لهم فذلك الفشل ۞ القول فى تأويل قوله (ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط) وهذا تقدم من الله جل ثناؤه الى المؤمنين به وبرسوله أن لا يعملوا عملا الا لله خاصة وطلب ما عنده لا رئاء الناس كما فعل القوم من المشركين فى مسيرهم الى بدر طلب رياء وذلك انهم أخبروا بفوت العير رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقيل لهم انصرفوا فقد سلمت العير التى جئتم لنصرتها فأبوا وقالوا نأتى بدرا فنشرب بها الخمر وتعزف علينا القيان وتتحدث بنا العرب فيها فسقوا مكان الخمر كؤس المنايا كما حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد قال ثنى أبى قال ثنا أبان قال ثنا هشام بن عروة عن عروة قال كانت قريش قبل ان يلقاهم النبى صلى الله عليه وسلم يوم بدر قد جاءهم راكب من أبى سفيان والركب الذين معه انا قد أجزنا القوم فارجعوا فجاء الركب قال الذين بعثهم أبو سفيان الذين يأمرون قريشا بالرجعة بالجحفة فقالوا والله لا نرجع حتى ننزل بدرا نقيم فيه ثلاث ليال ويرانا من غشينا من أهل الحجاز فانه لن يرانا أحد من العرب وما جمعنا فيقاتلنا وهو الذى قال الله الذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس والتقواهم والنبى صلى الله عليه وسلم فرجع مدبرا على رسوله وأخزى أئمة الكفر وشفى صدور المؤمنين منهم حدثنا ابن حميد قال ثنا عبد العزيز بن ثنى ابن اسحق فى حديث ذكره قال ثنى محمد بن مسلم وعاصم بن عمرو وعبد الله رسول الله صلى ابن رومان عن عروة بن الزبير وغيرهم من علمائنا عن ابن عباس قال لما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز عيره أرسل الى قريش انكم انما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم فقد نجاها الله فارجعوا فقال أبو جهل بن هشام والله لا نرجع حتى نرد بدرا وكان بدر موسما من مواسم العرب يجتمع لهم بها سوق كل عام فنقيم عليه ثلاثا وننحر الجزر ونطعم الطعام ونسقى الخمور وتعزف علينا القيان وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابوننا أبدا فامضوا فقال ابن حميد ثنا سلمة قال ابن وكيع قال ثنا الذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس أى لا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس الآية حتى نأتى بدرا وننحر به الجزر ونسقى بها الخمر وتعزف علينا القيان يقولون أى لا يكونن أمركم رئاء الناس ولا سمعة ولا التماس ما عند الناس وأخلصوا النية لله والحسبة فى نصر دينكم وموازرة نبيكم أى لا تعملوا الا لله ولا تطلبوا غيره قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا اسرائيل وحدثنا محمد بن كعب قال ثنا اسرائيل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد الذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس قال أبو جهل وأصحابه يوم بدر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله قال ابن جريج وقال عبد الله بن كثير هم مشركو قريش وذلك خروجهم الى بدر حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس

الله يكل أمره اليه ويثق بفضله فان الله عزيز غالب يسلط الضعيف على القوى الكثير حكيم يوصل العذاب الى أعدائه والرحمة الى أوليائه ما
*التأويل واعلموا يا أهل الجهاد الاكبر ان ما غنمتم عند رفع الحجب من أنوار المشاهدات (11) وأسرار المكاشفات فلكم أربعة أخماسه تعيشون بها مع الله وتنكتمونها عن الاغيار وتنفقونها استطعتم الله مخلصا وللرسول بل ترهبون القربى يعنى الاخوان وآخرين من واليتامى يعنى أنهم الله يعلمهم وما الذين غاب عنهم فى سبيل الله يوف بلوغهم الى .. تظلمون وان جنحوا الذين تمسكتم اهاوتوكل على الله انه ارشاد لجميع العالم وان يريدوا أن والواعول فان حسبك الله هو جانى أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم انه حكيم يا أيها النبى حسبك صبان اتبعك من المؤمنين بالنعم حرض المؤمنين على جميع الاقوال منكم عشرون يجزى كل فريق مائتين وان ثم ذكر مرة أخرى ألفا كدأب آل فرعون وفى لا بعد التأكيد فوائد استنبطها العلماء منها ان الثانى كالتفصيل للاول لان الاغراق كالبيان للاخذ بالذنوب ومنها ان الاول لعله فى حال الموت والثانى لما بعد الموت قلت ويشبه أن يكون بالعكس لان الاهلاك والاغراق بحال الموت أنسب ومنها ان الاول اخبار عن عذاب لم يمكن الله أحدا من فعله وهو ضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم عند نزع أرواحهم والثانى اخبار عن عذاب مكن الناس من فعل مثله وهو الاهلاك والاغراق ومنها ان المراد فى الاول كدأب آل فرعون فيما
استعملوا فيهم من هيئة عن بينة عن حجة ثابتة جاؤهم بها الى الاول ... وفى الثانى ومنها ان المراد بالاول كفرهم بالله وبالثانى غير ... فى ... عند ... أى كفروا بآيات الله

وإذ يريكهم الله في منامك قليلا مع كثرتهم في الصورة (١٢) ليدل على قلتهم في المعنى لفشلتم على عادة طبع الانسان ولكن الله سلم عن الخوف

تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس يعني المشركين الذين قاتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس قال هم قريش وأبو جهل وأصحابه الذين خرجوا يوم بدر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط قال كان مشركو قريش الذين قاتلوا نبي الله يوم بدر خرجوا ولهم بغي وفخر وقد قيل لهم يومئذ ارجعوا فقد انطلقت عيركم وقد ظفرتم قالوا لا والله حتى تتحدث أهل الحجاز بمسيرنا وعددنا قال وذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال يومئذ اللهم ان قريشا أقبلت بفخرها وخيلائها لتحادك ورسولك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي قال ذكر المشركين وما يطعمون على المياه فقال لا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ الفضل بن خالد قال ثنا عبيد بن سلمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله الذين خرجوا من ديارهم بطرا قال هم المشركون خرجوا الى بدر أشرا وبطرا حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو معشر عن محمد بن كعب القرظي قال لما خرجت قريش من مكة لقتال الى بدر خرجوا بالقيان والدفوف فانزل الله ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء قلوبكم س ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط فتاويل الكلام اذا ولا تكونوا أيها المؤمنون والظفر ع رسوله في العمل بالرياء والسمعة وترك اخلاص العمل لله واحتساب الاجر فيه كالجيش من أهل آمنوا اذا لقيتم بالله ورسوله الذين خرجوا من منازلهم بطرا ومراآة الناس برأيهم وأموالهم وكثرة عددهم عند الضراب وانهم ويصدون عن سبيل الله يقول ويمنعون الناس من دين الله والدخول في الاسلام لقيتم فئة يقاتلونه وتعذيبهم من قدر واعليه من أهل الايمان بالله والله بما يعملون من الرياء والصد عن والوفاء بما أعطيتموه ء من أفعالهم محيط يقول عالم بجميع ذلك لا يخفى عليه منه شيء وذلك ان الاشياء ولا تنازعوا فتفشلوا وير يعزب عنه منها شيء فهو لهم بها معاقب وعليها معذب ۞ القول في تاويل قوله به أطيعوا أيها المؤمنون ر ان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم فلما تراءت الفئتان فتفشلوا يقول ولا تختلفوا اني بريء منكم اني أرى ما لا ترون اني أخاف الله والله شديد العقاب) يعني ريحكم وهذا مثل يقال للرجل ن لهم الشيطان أعمالهم وحين زين لهم الشيطان أعمالهم وكان تزيينه ومن ذلك قول عبيد بن الابرص قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن

كما حميناك يوم النعف ... م بدر في جند من الشياطين معه رايته في صورة رجل من بني

يعني من الناس والكثرة وانما يراد به ... بن جعشم فقال الشيطان للمشركين لا غالب لكم اليوم من الوهن والخلل واصبروا يقول اصبروا وامع ... أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضة من التراب فرمى بها وتركوه ان الله مع الصابرين يقول اصـ ... جبريل الى ابليس فلما رآه وكانت يده في يد رجل من المشركين ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو الرجل يا سراقة تزعم انك لنا جار قال اني أرى ما لا ترون عن مجاهد قوله وتذهب ريحكم قال نصركم قال ورأى الملائكة حدثني محمد بن الحسين قال ثنا نازعوه يوم أحد حدثنا ابن نمير عن ورقاء عن ا ... قال أتى المشركين ابليس في صورة سراقة بن مالك بن حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني جعشم ... جاء فرس فقال للمشركين لا غالب لكم اليوم من الناس أصحاب محمد حين تركوه يوم أحد حدثني محمد بن ا ... أتوكم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ... بير قال لما أجمعت قريش المسير ذكرت

الحرث ... ويقللكم في أعينهم لانهم له الحرث ... لكم بالابصار الظاهرة فلم الحالة فقال ... كثرة معناكم ومددكم من نزول الملائـ ... القيتم فئة هي النفس الحرث وانطلق ... ـطان وأعوانه والدنيا بلغوا مكة قالوا هزم ... على ما أنتم عليه فبلغ ذلك سراقة فقال و ... الاخلاص بمسيركم حتى بلغني هزيـ ... ـذين خرجوا أسلموا اعلموا انه الشيطان والدنيا الحديث ما روي ابليس يوما أ ... ـاهوا ولا أدحر ولا أغيظ من يوم عرفـ ... واذ لما يرى من تنزل الرحمة الا ما رأى يوم بدر أما قوله اني أخاف الله فقد قيل انه لما رأى جبريل خافه وقيل لما رأى الملائكة ينزلون من السماء خافهم لانه ظن ان الوقت الذي أنظر اليه قد حضر قال قتادة صدق في قوله اني أرى ما لا ترون وكذب في قوله اني أخاف الله وقوله والله شديد العقاب يجوز ان يكون من بقية حكاية كلام ابليس ويجوز ان يكون اعتراضا وظرفه اذ يقول أو لا ظرف له واذ يقول ينتصب باذكر على انه كلام مبتدأ منقطع عما قبله ولهذا فقد العاطف والمنافقون قوم من الاوس والخزرج بالمدينة والذين في قلوبهم مرض يجوز ان يكون من صفة المنافقين وان يراد قوم من قريش أسلموا وما قوي الاسلام في قلوبهم ولم يهاجروا ثم ان قريشا لما خرجوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أولئك نخرج مع قومنا فان كان محمد في كثرة خرجنا اليه وان كان في قلة أقمنا في قومنا قال محمد بن اسحق ثم قتلوا

جميعا مع المشركين يوم بدر غرهؤلاء دينهم قال ابن عباس معناه انه أخرج ثلثمائة وثلاثة عشر الى زهاء

ذلك الا لانهم اعتمدوا على ... فقتلا ... الى قوم حتى ... الذي

أهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون

وكل كانوا ظالمين ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة وهم لا يتقون فاما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون واما تخافن من قوم خيانة (١٣) فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين

الذى بينها وبين بكر يعنى من الحرب فكاد ذلك ان يثبطهم فتبدى لهم ابليس فى صورة سراقة بن جعشم المدلجى وكان من أشراف بنى كنانة فقال أنا جار لكم من ان تأتيكم كنانة بشىء تكرهونه فخرجوا سراعا حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال قال ابن اسحق فى قوله واذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم فذكر استدراج ابليس اياهم وتشبهه بسراقة بن مالك بن جعشم حين ذكروا ما بينهم وبين بكر بن عبد مناة بن كنانة فى الحرب التى كانت بينهم يقول الله فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه ونظر عدو الله الى جنود الله من الملائكة قد أيد الله بهم رسوله والمؤمنين على عدوهم نكص على عقبيه وقال انى برىء منكم انى أرى مالا ترون وصدق عدو الله انه رأى مالا يرون وقال انى أخاف الله والله شديد العقاب فاوردهم ثم أسلمهم قال فذكر لى انهم كانوا يرونه فى كل منزل فى صورة سراقة بن مالك بن جعشم لا ينكرونه حتى اذا كان يوم بدر والتقى الجمعان كان الذى رآه حين نكص الحرث بن هشام أو عمير بن وهب الجمحى فذكر أحدهما فقال أين سراقة أسلمنا عدو الله وذهب حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذ زين لهم الشيطان أعمالهم الى قوله شديد العقاب قال ذكر لنا انه رأى جبريل نزل معه الملائكة فزعم عدو الله حين رأى الملائكة وقال انى أرى مالا ترون انى أخاف الله وكذب والله عدو الله ما به مخافة الله ولكن علم أن لا قوة له ولا منعة له وتلك عادة عدو الله ان أطاعه واستقاد له حتى اذا التقى الحق والباطل أسلمهم أشر مسلم وتبرأ منهم عند ذلك حدثنى القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس واذ زين لهم الشيطان أعمالهم الآية قال لما كان يوم بدر سار ابليس برايته وجنوده مع المشركين وألقى فى قلوب المشركين ان أحدا لن يغلبكم وانى جار لكم فلما التقوا ونظر الشيطان الى امداد الملائكة نكص على عقبيه قال رجع مدبرا قال انى أرى مالا ترون الآية حدثنا أحمد بن الفرج قال ثنا عبد الملك بن عبد العزيز بن الماجشون قال ثنا مالك عن ابراهيم بن أبى عبلة عن طلحة بن عبيد الله بن كريز ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما رؤى ابليس يوما هو فيه أصغر ولا أحقر ولا أدحر ولا أغيظ من يوم عرفة وذلك مما يرى من تنزيل الرحمة والعفو عن الذنوب الا ما رأى يوم بدر قال يا رسول الله وما رأى يوم بدر قال أما انه رأى جبريل يزع الملائكة حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سليمان ابن المغيرة عن حميد بن هلال عن الحسن فى قوله انى أرى مالا ترون قال رأى جبريل معتجرا يمشى بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم وفى يده اللجام ما ركب حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن القاسم قال ثنا سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال قال قال الحسن وتلا هذه الآية واذ زين لهم الشيطان أعمالهم الآية قال سار ابليس مع المشركين ببدر برايته وجنوده [illegible] لكم المشركين ان أحدا لن يغلبكم وأنتم تقاتلون على دين آبائكم وان تغلبوا [illegible] اليوم [illegible] على عقبيه يقول رجع مدبرا وقال انى برىء منكم انى أرى مالا ترون [illegible] الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو معشر عن محمد بن كعب قال لما [illegible] قالوا انما نخوف من بنى بكر فقال لهم ابليس فى صورة سراقة بن مالك بن [illegible] ولا غالب لكم اليوم من الناس [illegible] لهم الشيطان نحو وجوههم اليكم أيها المؤمنون لحربكم وقتالكم [illegible] لهم لا غالب لكم اليوم من بنى آدم فاطمئنوا وابشروا [illegible] فتغير كأجيركم وأمنعكم منهم ولا تخافوهم واجعلوا احدكم [illegible]

ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا انهم لا يعجزون وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم وان يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين [illegible] حرض المؤمنين على [illegible] منكم عشرون [illegible] مائتين وان [illegible] ثم ذكر مرة أخرى [illegible] كدأب آل فرعون وفى [illegible] بعد التأكيد فوائد استنبطها العلماء منها ان الثانى كالتفصيل للاول لان الاغراق كالبيان للاخذ بالذنوب ومنها ان الاول لعله فى حال الموت والثانى لما بعد الموت قلت ويشبه أن يكون بالعكس لان الاهلاك والاغراق بحال الموت أنسب ومنها ان الاول اخبار عن عذاب لم يمكن الله أحدا من فعله وهو ضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم عند نزع أرواحهم والثانى اخبار عن عذاب مكن الناس من فعل مثله وهو الاهلاك والاغراق ومنها ان المراد فى الاول كدأب آل فرعون فيما [illegible] المراد بالاول كفرهم بالله وبالثانى [illegible]

الغرقانية [illegible] فاعلون فى الاول ومفعولون فى الثانى [illegible] منكم [illegible] أى كفروا بآيات الله

يقول فلما تراجعت جنود الله من المؤمنين وجنود الشيطان من المشركين ونظر بعضهم الى بعض نكص على عقبيه يقول رجع القهقرى على قفاه هاربا يقال منه نكص ينكص وينكص نكوصا ومنه قول زهير

هم يضربون حبيك البيض اذ لحقوا * لا ينكصون اذا ما استلحموا وحموا

وقال للمشركين انى برىء منكم انى أرى ما لا ترون يعنى انه يرى الملائكة الذين بعثهم الله مددا للمؤمنين والمشركون لا يرونهم انى أخاف عقاب الله وكذب عدو الله والله شديد العقاب ۞ القول فى تأويل قوله (اذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم) يقول تعالى ذكره وان الله لسميع عليم فى هذه الاحوال اذ يقول المنافقون وكر بقوله اذ يقول المنافقون على قوله اذ يريكهم الله فى منامك قليلا والذين فى قلوبهم مرض يعنى شك فى الاسلام لم يصح يقينهم ولم تشرح بالايمان صدورهم غر هؤلاء دينهم يقول غر هؤلاء الذين يقاتلون المشركين من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم من أنفسهم دينهم وذلك الاسلام وذكر ان الذين قالوا هذا القول كانوا نفرا ممن كان قد تكلم بالاسلام من مشركى قريش ولم يستحكم الاسلام فى قلوبهم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود عن عامر فى هذه الآية اذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم قال كان ناس من أهل مكة تكلموا بالاسلام فخرجوا مع المشركين يوم بدر فلما رأوا قلة المسلمين قالوا غر هؤلاء دينهم حدثنى أبو اسحق بن شاهين قال ثنا خالد عن داود عن عامر مثله حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا يحيى بن زكريا عن ابن جريج عن مجاهد فى قوله اذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم قال فئة من قريش الوليد بن المغيرة وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة والحرث بن زمعة بن الاسود بن المطلب وعلى بن أمية بن خلف والعاص بن منبه بن الحجاج خرجوا مع قريش من مكة وهم على الارتياب فحبسهم ارتيابهم فلما رأوا قلة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا غر هؤلاء دينهم حتى قدموا على ما قدموا عليه مع قلة عددهم وكثرة عدوهم حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن اذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم قال هم قوم لم يشهدوا القتال يوم بدر فسموا منافقين قال معمر وقال بعضهم قوم كانوا أقروا بالاسلام وهم بمكة فخرجوا مع المشركين يوم بدر فلما رأوا قلة المسلمين قالوا غر هؤلاء دينهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ومن ذلك يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض الى قوله فان الله عزيز حكيم قال رأوا عصابة من المؤمنين تشددت لامر الله وذكر لنا ان أبا جهل عدو الله لما أشرف على محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه قال والله لا يعبد الله بعد اليوم قسوة وعتوا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج فى قوله اذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض قال ناس كانوا من المنافقين بمكة قالوه يوم بدر وهم يومئذ ثلثمائة وبضعة عشر رجلا قال حدثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله وتذهب ريحكم قال نصر وذهبت ريح أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حين نازعوه يوم أحد حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق والذين فى قلوبهم مرض قال لما دنا القوم بعضهم من بعض فقلل الله المشركين فى أعين المسلمين فقال المشركون غر هؤلاء دينهم وانما قالوا ذلك من قلتهم فى أعينهم فظنوا انهم سيهزمونهم لا يشكون فى ذلك فقال الله ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين فان من توكل على الله فان معناه ومن يسلم أمره الى الله ويثق به حدثنى ... يعز ولا يغلبه شىء ولا يقهره أحد فجاره منيع ومن يتوكل

قبلهم ط بآيات ربهم ج لاختلاف الجملتين من الفاء آل فرعون ج لان الواو يصلح للاستئناف والحال ظالمين ه لا يؤمنون ه ج لاحتمال الوصف واحتمال النصب والرفع على الذم لا يتقون ه يذكرون ه على سواء ط الخائنين لاسبقوا ط لمن قرأ انهم بالكسر لا يعجزون ه من دونهم ج لاحتمال الجملة بعده الوصف والاستئناف لا تعلمونهم ج الله يعلمهم ط لا تظلمون ه على الله ط العليم ه حسبك الله ط بين قلوبهم الاول ط الف بينهم ط حكيم ه من المؤمنين على القتال ط مائتين ج لاتفاق الشرط مع العطف صدق فى قوله انى معكم ج مائتين كذب فى قوله انى أخاف الصابرين ه والله شديد العقاب يجوز ان يكون من بقية حكاية كلام ابليس ويجوز ان يكون اعتراضا وظرفه اذ يقول او لا ظرف له واذ يقول ينتصب باذكر على انه كلام مبتدأ منقطع عما قبله ولهذا فقد العاطف والمنافقون قوم من الاوس والخزرج بالمدينة والذين فى قلوبهم مرض يجوز ان يكون من صفة المنافقين وان يراد قوم من قريش أسلموا وما قوى الاسلام فى قلوبهم ولم يهاجروا ثم ان قريشا لما خرجوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أولئك نخرج مع قومنا فان كان محمد فى كثرة خرجنا اليه وان كان فى قلة أقمنا فى قومنا قال محمد بن اسحق ثم قتلوا

جميعا مع المشركين يوم بدر غر هؤلاء دينهم قال ابن عباس معناه انه أخرج ثلثمائة وثلاثة عشر ومعنى عذاب الحريق مقدمة عليه
ذلك الا ... تعدوا ... قتل ... كما ... النار قوله ذلك

عليه يكف وهذا أمر من الله جل ثناؤه المؤمنين به من أصحاب رسول الله وغيرهم ان يفوضوا أمرهم اليه ويسلموا لقضائه كيما يكفيهم أعداءهم ولا يستذلهم من ناواهم لانه عزيز غير مغلوب فجاره غير مقهور حكيم يقول هو فيما يدبر من أمر خلقه حكيم لا يدخل تدبيره خلل ۞ القول في تأويل قوله (ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولو تعاين يا محمد حين يتوفى الملائكة أرواح الكفار فتنزعها من أجسادهم تضرب الوجوه منهم والاستاه ويقولون لهم ذوقوا عذاب النار التي تحرقكم يوم ورودكم جهنم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم قال يوم بدر حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن أسلم عن اسمعيل بن كثير عن مجاهد يضربون وجوههم وأدبارهم قال وأستاههم ولكن الله كريم يكنى حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي ثنا سفيان عن أبي هاشم عن مجاهد في قوله يضربون وجوههم وأدبارهم قال وأستاههم ولكن الله كريم يكنى حدثني محمد بن المثنى قال ثنا وهب بن جرير قال أخبرنا شعبة عن يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير في قوله يضربون وجوههم وأدبارهم قال ان الله كنى ولو شاء لقال أستاههم وانما عنى بادبارهم أستاههم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال أستاههم يوم بدر قال ابن جريج قال ابن عباس اذا أقبل المشركون بوجوههم الى المسلمين ضربوا وجوههم بالسيوف واذا ولوا أدركتهم الملائكة فضربوا أدبارهم حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا عباد بن راشد عن الحسن قال قال رجل يا رسول الله انى رأيت بظهر أبي جهل مثل الشراك فما ذاك قال ضرب الملائكة حدثنا محمد قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا اسرائيل عن منصور عن مجاهد ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم انى حملت على رجل من المشركين فذهبت لاضربه فندر رأسه فقال سبقك اليه الملك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنى حرملة انه سمع عمر مولى عفرة يقول اذا سمعت الله يقول يضربون وجوههم وأدبارهم فانما يريد أستاههم قال أبو جعفر وفي الكلام محذوف استغنى بدلالة الظاهر عليه من ذكره وهو قوله ويقولون ذوقوا عذاب الحريق حذفت يقولون كما حذفت من قوله ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا بمعنى يقولون ربنا أبصرنا ۞ القول في تأويل قوله (ذلك بما قدمت أيديكم وان الله ليس بظلام للعبيد) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل الملائكة لهؤلاء المشركين الذين قتلوا ببدر انهم يقولون لهم وهم يضربون وجوههم وأدبارهم ذوقوا عذاب الله الذي يحرقكم هذا العذاب لكم بما قدمت أيديكم من الآثام والاوزار واجترمتم من معاصي الله أيام حياتكم فذوقوا اليوم العذاب وفي معادكم عذاب الحريق وذلك لكم بان الله ليس بظلام للعبيد لا يعاقب أحدا من خلقه الا بجرم اجترمه ولا يعذبه الا بمعصيته اياه لان الظلم لا يجوز ان يكون منه وفي فتح ان من قوله وان الله وجهان من الاعراب أحدهما النصب وهو العطف على ما التي في قوله بما قدمت بمعنى ذلك بما قدمت أيديكم وبان الله ليس بظلام للعبيد في قول بعضهم والخفض في قول بعض والآخر الرفع على ذلك بما قدمت وذلك أن الله ۞ القول في تأويل قوله (كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم ان الله قوي شديد العقاب) يقول تعالى ذكره فعل هؤلاء المشركين من قريش الذين قتلوا ببدر كعادة قوم فرعون وصنيعهم وفعلهم وفعل من كذب حجج الله ورسله من

بما قدمت أيديكم الآية قد مر تفسيرها في آخر آل عمران ويحتمل ان يكون هذا حكاية كلام الملائكة ولما بين سبحانه ما أنزله باهل بدر من الكفار عاجلا وآجلا ذكر ان هذه سنة في فرق الكفرة كلهم فقال كدأب آل فرعون (١٥) يريد ان عادتهم وعملهم الذي داوموا عليه كعادة آل فرعون فجوزي هؤلاء بالقتل والسبي كما جوزي أولئك بالاهلاك والاغراق ثم ذكر ما يجري مجرى العلة في العقاب الذي أنزله بهم فقال ذلك بان الله لم يك حذف النون لكثرة الاستعمال ومعنى الآية ان ذلك العذاب أو الانتقام بسبب ان الله لم يستقم في حكمته وتدبيره ان يغير نعمته على قوم حتى يغيروا ما بهم من الاحوال والاخلاق والغرض ان آل فرعون ومشركي مكة قد فتح عليهم أبواب الخيرات وأزال الموانع وسهل السبل ومن عليهم بانزال الكتب وارسال الرسل ثم انهم قابلوا هذه النعم بالكفر والفسوق والعصيان فلا جرم استحقوا تبديل النعم بالنقم والمنح بالمحن وان الله سميع للاقوال عليم بالاحوال فيجزي كل فريق بما يستأهله ثم ذكر مرة أخرى قوله كدأب آل فرعون وفي التكرير بعد التأكيد فوائد استنبطها العلماء منها ان الثاني كالتفصيل للاول لان الاغراق كالبيان للاخذ بالذنوب ومنها ان الاول لعله في حال الموت والثاني لما بعد الموت قلت ويشبه أن يكون بالعكس لان الاهلاك والاغراق بحال الموت أنسب ومنها ان الاول اخبار عن عذاب لم يمكن الله أحدا من فعله وهو ضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم عند نزع أرواحهم والثاني اخبار عن عذاب مكن الناس من فعل مثله وهو الاهلاك والاغراق ومنها ان المراد في الاول كدأب آل فرعون فيما فعلوا وفي الثاني كدأب آل فرعون فيما فعل بهم فهم فاعلون في الاول ومفعولون في الثاني ومنها ان المراد بالاول كفرهم بالله وبالثاني [illegible] أي كفروا بآيات الله

أكدأب آل فرعون وكذبوا بآيات ربهم كدأب آل فرعون ومنها ان الاول اشارة الى انهم أنكروا دلائل الالهية فكان لازمه الاخذ والثاني اشارة الى انهم أنكروا دلائل التربية والاحسان فكان لازمه الاهلاك والاغراق ثم ختم الآية بقوله وكل كانوا ظالمين أى وكل واحد من غرقى القبط وقتلى قريش وممن قبلهم من الكفرة كانوا ظالمى أنفسهم بالكفر والمعاصى وظالمى غيرهم بالايذاء والايحاش فلاجرم دمرهم الله بسبب ظلمهم ثم خص من الظلمة شرهم فقال ان شر الدواب الآية جعلهم شر الدواب لان شر الناس الكفار وشر الكفار المصرون منهم وأشار الى هذا بقوله فهم لا يؤمنون وشر المصرين الناكثون للعهود وأشار اليهم بقوله الذين عاهدت منهم ومن للتبعيض ومفعول عاهدت محذوف أى الذين عاهدتهم وهم بعض أولئك الكفرة يعنى الاشراف الذين معهم تلبق المعاهدة ثم ينقضون عطف المستقبل على الماضى لفائدة الاستمرار وان من شأنهم نقض العهد فى كل مرة من مرات المعاهدة ومعنى ثم تبعيد النقض عن المعاهدة قال ابن عباس هم بنو قريظة نقضوا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعانوا عليه المشركين بالسلاح يوم بدر وقالوا قد نسينا واخطأنا ثم عاهدهم فنكثوا وأعانوا عليه يوم الخندق وهم لا يتقون عاقبة الغدر وما فيه من العار والنار ثم أمر رسوله بالخاشنة معهم والغلظة عليهم جزاء على قبح فعلهم وسوء عقيدتهم فقال فاما تثقفنهم تصادفنهم وتظفرن بهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم والتشريد التفريق مع الاضطراب أى نفرق عن محاربتك من وراءهم وقال عطاء معناه أكثر فيهم القتل حتى يخافك غيرهم والضمير فى لعلهم يذكرون لمن خلفهم لانه اذا نكل بالناكثين وقتلهم شر قتلة ... تلين

يجسر عليه أحد بعدهم اتعاظا واعتبارا بحالهم ... على سواء

الامم الخالية قبلهم فعلنا بهم كفعلنا بأولئك وقد بينا فيما مضى ان الدأب هو الشان والعادة بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع حدثنى الحرث قال ثنى عبد العزيز قال ثنا شيبان عن جابر عن عامر ومجاهد وعطاء كداب آل فرعون كفعل آل فرعون كسنن آل فرعون وقوله فأخذهم الله بذنوبهم يقول فعاقبهم الله بتكذيبهم حججه ورسله ومعصيتهم ربهم كما عاقب أشكالهم والامم الذين قبلهم ان الله قوى لا يغلبه غالب ولا يرد قضاءه راد ينفذ أمره ويمضى قضاءه فى خلقه شديد عقابه لمن كفر بآياته وجحد حججه ۞ القول فى تأويل قوله (ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم وأن الله سميع عليم) يقول تعالى ذكره وأخذنا هؤلاء الذين كفروا بآياتنا من مشركى قريش ببدر بذنوبهم وفعلنا ذلك بهم بانهم غيروا ما أنعم الله عليهم به من ابتعاثه رسوله منهم وبين أظهرهم باخراجهم اياه من بينهم وتكذيبهم له وحربهم اياه فغيرنا نعمتنا عليهم باهلاكنا اياهم كفعلنا ذلك فى الماضين قبلهم ممن طغى علينا وعصى أمرنا بنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى ذلك بان الله لم يكن مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم يقول نعمة الله محمد صلى الله عليه وسلم أنعم به على قريش وكفروا فنقله الى الانصار وقوله وان الله سميع عليم يقول لا يخفى عليه شئ من كلام خلقه يسمع كلام كل ناطق منهم بخير نطق أو بشر عليم بما تضمره صدورهم وهو مجازيهم ومثيبهم على ما يقولون ويعملون ان خيرا فخيرا وان شرا فشرا ۞ القول فى تأويل قوله (كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين) يقول تعالى ذكره غير هؤلاء المشركون بالله المقتولون ببدر المغيرون نعمة ربهم التى أنعم بها عليهم بابتعاثه محمدا منهم وبين أظهرهم داعيا لهم الى الهدى بتكذيبهم اياه وحربهم له كدأب آل فرعون كسنة آل فرعون وعادتهم وفعلهم بموسى نبى الله فى تكذيبهم اياه وقصدهم لحربه وعادة من قبلهم من الامم المكذبة رسلها وصنيعهم فأهلكناهم بذنوبهم بعضا بالرجفة وبعضا بالخسف وبعضا بالريح وأغرقنا آل فرعون فى اليم وكل كانوا ظالمين يقول كل هؤلاء الامم التى أهلكناها كانوا فاعلين ما لم يكن لهم فعله من تكذيبهم رسل الله والجحود لآياته فكذلك أهلكنا هؤلاء الذين أهلكناهم ببدر اذ غيروا نعمة الله عندهم بالقتل بالسيف وأذللنا بعضهم بالاسار والسباء ۞ القول فى تأويل قوله (ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون) يقول تعالى ذكره ان شر ما دب على الارض عند الله الذين كفروا بربهم فجحدوا وحدانيته وعبدوا غيره فهم لا يؤمنون يقول فهم لا يصدقون رسل الله ولا يقرون بوحيه وتنزيله ۞ القول فى تأويل قوله (الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة وهم لا يتقون) يقول تعالى ذكره ان شر الدواب عند الله الذين كفروا الذين عاهدت منهم يا محمد يقول أخذت عهودهم ومواثيقهم أن لا يحاربوك ولا يظاهروا عليك محاربا لك كقريظة ونظرائهم ممن كان بينك وبينهم عهد وعقد ثم ينقضون عهودهم ومواثيقهم كلما عاهدوا دافعوك وحاربوك فظاهروا عليك وهم لا يتقون الله ولا يخافون فى فعلهم ذلك ان يوقع بهم وقعة تجتاحهم وتهلكهم كالذى حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم قال قريظة مالؤا على محمد يوم الخندق أعداءه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحوه ۞ القول فى تأويل قوله (فاما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فاما

تلين فى الحرب هؤلاء الذين عاهدتهم فنقضوا عهدك مرة بعد مرة من قريظة فباشرهم فشرد بهم من خلفهم يقول فافعل بهم فعلا يكون مشردا من خلفهم من نظرائهم ممن بينك وبينه عهد وعقد والتشريد التطريد والتبديد والتفريق وانما أمر بذلك نبى الله صلى الله عليه وسلم ان يفعل بالناقض العهد بينه وبينهم اذا قدر عليهم فعلا يكون اخافة لمن وراءهم ممن كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينه عهد حتى لا يجترؤا على مثل الذى اجترأ عليه هؤلاء الذين وصف الله صفتهم فى هذه الآية من نقض العهد وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على عن ابن عباس قوله فاما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم يعنى نكل بهم من بعدهم **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فشرد بهم من خلفهم يقول نكل بهم من وراءهم **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فاما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم يقول عظ بهم من سواهم من الناس **حدثنا** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد ابن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى فاما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم يقول نكل بهم من خلفهم من بعدهم من العدو لعلهم يحذرون ان ينكثوا فيصنع بهم مثل ذلك **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن أيوب عن سعيد بن جبير فشرد بهم من خلفهم قال أنذر بهم من خلفهم **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس قال نكل بهم من خلفهم من بعدهم قال ابن جريج قال عبد الله بن كثير نكل بهم من وراءهم **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فاما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون أى نكل بهم من وراءهم لعلهم يعقلون **حدثت** عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك بن مزاحم يقول فى قوله فشرد بهم من خلفهم يقول نكل بهم من بعدهم **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله فاما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم قال أخفهم بما تصنع بهؤلاء وقرأ وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وأما قوله لعلهم يذكرون فان معناه كى يتعظوا بما فعلت بهؤلاء الذين وصفت صفتهم فيحذروا نقض العهد الذى بينك وبينهم خوفا ان ينزل بهم منك ما نزل بهؤلاء اذا هم نقضوه ۞ القول فى تأويل قوله (واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين) يقول تعالى ذكره واما تخافن يا محمد من عدو لك بينك وبينه عهد وعقد ان ينكث عهده وينقض عقده ويغدر بك وذلك هو الخيانة والغدر فانبذ اليهم على سواء يقول فناجزهم بالحرب وأعلمهم قبل حربك اياهم انك قد فسخت العهد بينك وبينهم بما كان منهم من ظهور آثار الغدر والخيانة منهم حتى تصير أنت وهم على سواء من العلم بانك لهم محارب فيأخذوا للحرب آلتها وتبرأ من الغدر ان الله لا يحب الخائنين الغادرين بمن كان منه فى أمان وعهد بينه وبينه ان يغدر به فيحاربه قبل اعلامه اياه انه له حرب وانه قد فاسخه العقد فان قال قائل وكيف يجوز نقض العهد بخوف الخيانة والخوف ظن لا يقين قيل ان الامر بخلاف ما اليه ذهبت وانما معناه اذا ظهرت آثار الخيانة من عدوك وخفت وقوعهم بك فالق اليهم مقاليد السلم وآذنهم بالحرب وذلك كالذى كان من بنى قريظة اذ أجابوا أبا سفيان ومن معه من المشركين الى مظاهرتهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحاربتهم معه بعد العهد الذى كانوا عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على المسالمة فكانت اجابتهم اياه الى ذلك موجبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم خوف الغدر به

على طريق مستو قصد أى أخبرهم اخبارا مكشوفا بينا انك قطعت ما بينك وبينهم ولا تناجزهم الحرب وهم على توهم بقاء العهد فيكون ذلك خيانة منك وقيل على استواء فى العلم بنقض العهد وقيل على استواء فى العداوة قال فى (١٧) الكشاف الجار والمجرور فى موضع الحال كأنه قيل فانبذ اليهم ثابتا على طريق قصد سوى أو حاصلين على استواء فى العلم والعداوة على انها حال من النابذ والمنبوذ اليهم معا قلت ويحتمل ان يكون حالا من المنبوذ أى حال كون المنبوذ وهو العهد واقعا على طريق واضح فيكون كناية عن تحقير شأن العهد اذ ذاك أو عن انكشاف حاله فى النبذ قال أهل العلم ان آثار نقض العهد اذا ظهرت فاما أن تظهر ظهورا محتملا أو ظهورا مقطوعا به وعلى الاول وجب الاعلام به كما هو مذكور فى الآية وذلك ان قريظة عاهدوا النبى صلى الله عليه وسلم ثم أجابوا أبا سفيان ومن معه من المشركين الى تظاهرهم على رسول الله فحصل لرسول الله صلى الله عليه وآله خوف الغدر منهم به وباصحابه فههنا يجب على الامام ان ينبذ اليهم على سواء ويؤذنهم بالحرب اما اذا ظهر نقض العهد ظهورا قطعيا فلا حاجة الى نبذ العهد اليهم كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم باهل مكة لما نقضوا العهد ثم بين حال من فاته فى يوم بدر ولم يتمكن من التشفى والانتقام كما ينبغى حمزة فقد كان فيهم من بلغ فى أذيته مبلغا عظيما فقال لا تحسبن من قرأ بتاء الخطاب فمفعوله الاول الذين كفروا وثانيه سبقوا أى فاتوا وأفلتوا من ان يظفر بهم انهم لا يعجزون كل من المكسورة والمفتوحة تعليل له لان المكسورة على طريقة الاستئناف كأن سائلا سأل ما لهم لا يحسبون سابقين فأجيب بأنهم لا يعجزون والمفتوحة تعليل صريح والجار محذوف أى لأنهم لا يعجزون الله من الانتقام منهم ولا يجدونه عاجزا عن ادراكهم أعجزته فلانا اذا جعلته عاجزا أو وجدته عاجزا والمراد الا يحسبنهم انهم

و باصحابه منهم فكذلك حكم كل قوم أهل موادعة للمؤمنين ظهر لامام المسلمين منهم من دلائل الغدر مثل الذى ظهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من قريظة منها فحق على امام المسلمين ان ينبذ اليهم على سواء و يؤذنهم بالحرب ومعنى قوله على سواء أى حتى يستوى علمك وعلمهم بان كل فريق منكم حرب لصاحبه لا سلم وقيل نزلت الآية فى قريظة ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فانبذ اليهم على سواء قال قريظة وقد قال بعضهم السواء فى هذا الموضع المهل ذكر من قال ذلك حدثنى على ابن سهل قال ثنا الوليد بن مسلم قال انه مما تبين لنا ان قوله فانبذ اليهم على سواء انه على مهل كما حدثنا بكير عن مقاتل بن حيان قال الله براءة من الله و رسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا فى الارض أربعة أشهر واما أهل العلم بكلام العرب فانهم فى معناه مختلفون فكان بعضهم يقول معناه فانبذ اليهم على عدل يعنى حتى يعتدل علمك وعلمهم بما عليه بعضكم لبعض من المحاربة واستشهدوا لقولهم ذلك بقول الراجز

واضرب وجوه الغدر الاعداء * حتى يجيبوك الى السواء

يعنى الى العدل وكان آخرون يقولون معناه الوسط من قول حسان

ياويح أنصار الرسول ورهطه * بعد المغيب فى سواء الملحد

بمعنى فى وسط الملحد وكذلك هذه المعانى متقاربة لان العدل وسط لا علو فوق الحق ولا يقصر عنه وكذلك الوسط عدل واستواء الفريقين فيما عليه بعضهم لبعض بعد المهادنة عدل من الفعل و وسط وأما الذى قاله الوليد بن مسلم من ان معناه المهل فما لا أعلم له وجها فى كلام العرب

❁ القول فى تأويل قوله (ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا انهم لا يعجزون) اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأ ذلك عامة قراء الحجاز والعراق ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا انهم بكسر الالف من انهم والتاء فى تحسبن بمعنى ولا تحسبن يا محمد الذين كفروا سبقوا ففاتونا بانفسهم ثم ابتدأ الخبر عن قدرة الله عليهم فقيل ان هؤلاء الكفرة لا يعجزون ربهم اذا طلبهم وأراد تعذيبهم واهلاكهم بانفسهم فيفوتوه بها وقرأ ذلك بعض قراء المدينة والكوفة ولا يحسبن الذين كفروا بالياء فى يحسبن وكسر الالف من انهم وهى قراءة غير حميدة لمعنيين أحدهما خروجها من قراءة القراء وشذوذها عنها والآخر بعدها من فصيح كلام العرب فى ذلك اذ يحسب يطلب فى كلام العرب منصوبا وخبره كقوله عبد الله يحسب أخاك قائما او يقوم وقام فقارئ هذه القراءة أصحب يحسب خبرا لغير مخبر عنه مذكور وانما كان مراده بظنى ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا انهم لا يعجزون فلم يفكر فى صواب مخرج الكلام وسقمه واستعمل فى قراءته ذلك كذلك ما ظهر له من مفهوم الكلام واحسب ان الذى دعاه الى ذلك الاعتبار بقراءة عبد الله وذلك انه فيما ذكر فى مصحف عبد الله ولا تحسبن الذين كفروا انهم سبقوا انهم لا يعجزون وهذا فصيح صحيح اذا أدخلت أنهم فى الكلام لان يحسبن عاملة فى أنهم واذا لم يكن فى الكلام انهم كانت خالية من اسم يعمل فيه وللذى قرأ ذلك من القراء وجهان فى كلام العرب وان كانا بعيدين من فصيح كلامهم احدهما ان يكون أريد به ولا يحسبن الذين كفروا ان سبقوا أى انهم سبقوا ثم حذف ان وانهم كما قال جل ثناؤه ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا بمعنى ان يريكم وقد ينشد فى نحو ذلك بيت لذى الرمة

أظن ابن طرثوث عيينة ذاهبا * بعادىّ يكذابه وجعائله

بمعنى أظن ابن طرثوث ان يذهب بعادىّ يكذابه وجعائله وكذلك قراءة من قرأ ذلك بالياء يوجه

لما تخلصوا من الاسر والقتل يوم بدر وقصد تخلصوا من العقاب عاجلا واجلا ومن قرأ بالياء فتحتاني فله فى فاعله وجوه منها ان فاعله الذين كفروا ومفعولاه سبقوا على ان الاصل ان سبقوا فحذفت ان كقوله ومن آياته يريكم البرق ويؤيده قراءة ابن مسعود انهم سبقوا ومنها ان الفعل وقع على انهم لا يعجزون على ان لا صلة وسبقوا فى موضع الحال ومنها ان المفعول الاول محذوف للعلم به والتقدير ولا يحسبنهم أو لا يحسبن أنفسهم الذين كفروا سبقوا ومنها ان فاعله محذوف أى ولا يحسبن قبيل المؤمنين الذين كفروا سبقوا ثم انه لما اتفق لاصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فى قصة بدر ان قصدوا الكفار بلا آلة وعدة أمرهم الله ان لا يعودوا لمثله و يتأهبوا لقتال الاعداء فقال وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة عن عكرمة هى الحصون وعن عقبة بن عامر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية على المنبر ثم قال الا ان القوة الرمى قالها ثلاثا ومات عقبة عن سبعين قوسا فى سبيل الله والاصح أنها عامة فى كل ما يتقوى به فى الحرب من آلة وعدة وقوله صلى الله عليه وسلم القوة الرمى كقوله الحج عرفة وفيه تنبيه على ان المذكور جزء شريف من جملة المقصود ومن رباط الخيل هو اسم للخيل التى تربط فى سبيل الله الخمس فما فوقها ويجوز أن يكون جمع ربيط كفصيل وفصال والظاهر انه بمعنى المرابطة ويجوز ان يكون قوله ومن رباط الخيل تخصيصا للخيل من بين ما يتقوى به كقوله وجبريل وميكائيل فلا ريب ان ربط الخيل من أقوى آلات الجهاد روى عن ابن سيرين انه سئل عمن أوصى بثلث ماله فى الحصون فقال يشترى به الخيل فتربط فى سبيل الله و يغزى عليها فقيل له انما أوصى فى الحصون فقال ألم تسمع قول الشاعر

ان الحصون الخيل لا مدر القرى * وعن عكرمة ان الخيل ههنا الاناث لانها أولى بالربط لتقيد النسل والقصد انها على ثوى الردى

سبقوا

سبقوا الى سابقين على هـذا المعنى والوجـه الثانى على انه أراد اضمار منصوب بيحسبن كانه قال ولا يحسبن الذين كفروا أنهـم سبقوا ثم حذف الهمز واضمر وقد وجه بعضهم معنى قوله انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه انما ذلكم الشيطان يخوف المؤمن من أوليائه وان ذكر المؤمن مضمر فى قوله يخوف اذ كان الشيطان عنده لا يخوف أولياءه وقرأ ذلك بعض أهل الشام ولا تحسبن الذين كفروا بالتاء من تحسـبن سبقوا انهم لا يعجزون بفتح الالف من انهم بمعنى ولا تحسبن الذين كفروا انهم لا يعجزون ولا وجه لهذه القراءة يعقل الا أن يكون أراد القارئ بلا التى فى يعجزون لا التى تدخل فى الكلام حشوا وصلة فيكون معنى الكلام حينئذ ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا انهـم يعجزون ولا وجه بتوجيه حرف فى كتاب الله الى التطول بغير حجة يجب التسليم لها وله فى الصحة مخرج * قال أبو جعفر والصواب من القراءة فى ذلك عندى قراءة من قرأ ولا تحسبن بالتاء الذين كفروا سبقوا انهـم بكسر الالف من انهم لا يعجزون بمعنى ولا تحسبن أنت يا محمد الذين جحدوا حجج الله وكذبوا بها سبقونا بانفسـهم ففاتونا انهـم لا يعجزوننا ولا يفوتونا بانفسـهم ولا يقدرون على الهرب منا كما حدثنى محمد بن الحسـين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا انهـم لا يعجزون يقول لا يفوتون ۞ القول فى تأويل قوله (وأعدوا لهـم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيـل ترهبون به عدو الله وعدوكم) يقول تعالى ذكره وأعدوا لهؤلاء الذين كفروا بربهم الذين بينكم وبينهم عهد اذا خفتم خيانتهم وغدرهم أيها المؤمنون بالله ورسوله ما استطعتم من قوة يقول ما أطعتم ان تعدوه لهم من الآلات التى تكون قوة لكم عليهم من السلاح والخيل ترهبون به عدو الله وعـدوكم يقول تخيفون به عـدو الله وعـدوكم من المشركين وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهـل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو ادريس قال سمعت أسامة بن زيد عن صالح بن كيسان عن رجـل من جهينة يرفع الحديث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ألا ان الرمى هو القوة ألا ان الرمى هو القوة حدثنا أبو كريب قال ثنا سعيد ابن شرحبيل قال ثنا ابن لهيعة عن يزيد بن حبيب وعبد الكريم بن الحرث عن أبى على الهمدانى انه سمع عقبة بن عامر على المنبر يقول قال الله وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيـل الا وانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر قال الله وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ألا ان القوة الرمى الا ان القوة الرمى ثلاثا حدثنا أبو كريب قال ثنا حبوب وجعفر بن عون ووكيع وأبو اسامة وأبو نعيم عن اسامة بن زيد عن صالح بن كيسان عن رجـل عن عقبة بن عامر الجهنى قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل فقال الا ان القوة الرمى الا ان القوة الرمى ثلاث مرات حدثنا ابن وكيـع قال ثنا أبى عن اسامة بن زيد عن صالح بن كيسان عن رجل عن عقبة بن عامر ان النبى صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية على المنبر فذكر نحوه حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسامة بن زيد عن صالح بن كيسان عن عقبة بن عامر عن النبى صلى الله عليه وسلم حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا موسى ابن عبيدة عن أخيه محمـد بن عبيدة عن أخيه عبد الله بن عبيدة عن عقبة بن عامر عن النبى صـلى الله عليه وسلم فى قوله وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة الا ان القوة الرمى حدثنا ابن وكيـع قال ثنا أبى عن سفيان عن شعبة بن دينار عن عكرمة فى قوله وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة قال الحصون ومن رباط الخيل قال الاناث حدثنا على بن سهل قال ثنا ضمرة بن ربيعة عن رجاء بن أبى سلمة قال لقى رجل مجاهدا بمكة ومع مجاهد جوالق قال فقال مجاهد هذا من القوة ومجاهد يتجهز للغزو وحدثنى محمد بن

وقيل هى الفحول لانها أقوى على الكر والفر والظاهر العموم ثم ذكر ما لاجله أمر باعداد هذه الاشياء فقال ترهبون به أى بما استطعتم عدو الله وعـدوكم لان الكفار اذا علموا تأهب المسلمين للقتال لم يجسروا عليهم وخافوهم وربما يدعوهم ذلك الى الانقياد والطاعة وآخرين من دونهم يريد بالاولين أهل مكة وبالآخرين اليهود عـلى قول ولكنه لا يجاوبه قوله لا تعلمونهـم الله يعلمهـم والمنافقين على قول واعترض عليه بانهم لا يرهبون لانخراطهـم فى سلك المسلمين ظاهرا وأجيب بان الخائن خائف فكلما اشتدت شوكة المسلمين ازداد المنافقون فى أنفسهم خوفا ورعبا فربما يدعوهـم ذلك الى الاخلاص وعن السـدى هم أهـل فارس وروى ابن جريج عن سليمان بن موسى انهم كفرة الجن وجاء فى الحـديث ان الشـيطان لا يقرب صاحب فرس ولا دارا فيها فـرس عتيق وروى ان صـهيل الخيل يرهب الجن وقيـل المراد بالآخرين أعداء المرء من دينه فان المسلم قد يعاديه مسلم آخر ثم رغبهـم فى الانفاق فى باب الجهاد فقال وما تنفقوا من شئ فى سبيـل الله يوف اليكـم أى ثوابه وأنتم لا تظلمون لا تنقصون مـن ثواب أعمالكم شيأ ثم رخص فى المصالحة ان مال الاعـداء اليها فقال وان جنحوا للسـلم الآية جنح له واليه جنوحا اذا مال وانما قيل فاجنح لها لان السلم يؤنث تأنيث نقيضها وهى الحرب أو بتأويل الخصلة أو الفعلة عن ابن عباس ومجاهد ان الآية منسوخة بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله أو بقوله فاقتـلوا المشركين حيث وجدتموهم والاولى أن يقال انها ثابتة فليس بحتم أن يقاتل المشركون أبدا أو يجابوا الى الهـدنة أبدا وانما الامر موقوف على ما يرى فيه الامام صلاح الاسلام ودونه فاذا رأى الصلاح فى السلم فذاك والمصلحة قد تظهر عند ضعف المسلمين اما لقلة العـدد أو لقلة المال وبعد العدو وقد تكون مع القوة للطمع فى اسلامهم أو قبولهم الجزية فاذا خالطوا المسلمين أو بان بعزمهم على قتال غيرهم وانما

الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل من سلاح وأما قوله ترهبون به عدو الله وعدوكم قال ابن وكيع حدثنا أبى عن اسرائيل عن عثمان بن المغيرة الثقفى عن مجاهد عن ابن عباس ترهبون به عدو الله وعدوكم قال تخزون به عدو الله وعدوكم حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن عثمان عن مجاهد عن ابن عباس مثله حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا اسرائيل عن خصيف عن عكرمة وسعيد بن جبير عن ابن عباس ترهبون به عدو الله وعدوكم قال تخزون به عدو الله وعدوكم وكذا كان يقرؤها ترهبون حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا اسرائيل عن عثمان بن المغيرة وخصيف عن مجاهد عن ابن عباس ترهبون به تخزون به حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن خصيف عن عكرمة عن ابن عباس مثله يقال منه أرهبت العدو ورهبته فانا أرهبه ارهابا وترهيبا وأرهبته رهو الرهب والرهب ومنه قول طفيل الغنوى

ويل أم حى دفعتم فى نحورهم * بنى كلاب غداة الرعب والرهب

القول فى تأويل قوله (وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم) اختلف أهل التأويل فى هؤلاء الآخرين من هم وما هم فقال بعضهم هم بنو قريظة ذكر من قال ذلك حدثت عن عمار بن الحسن قال ثنا ابن أبى جعفر عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وآخرين من دونهم يعنى من بنى قريظة حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى قال ابن جريج عن مجاهد وآخرين من دونهم قال قريظة وقال آخرون من فارس ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم هؤلاء أهل فارس وقال آخرون هم كل عدو للمسلمين غير الذى أمر النبى صلى الله عليه وسلم أن يشرد بهم من خلفهم قالوا وهم المنافقون ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله فاما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم قال أخفهم بهم لما تصنع بهؤلاء وقرأ وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم قال هؤلاء المنافقون لا تعلمونهم لانهم معكم يقولون لا اله الا الله ويغزون معكم وقال آخرون هم قوم من الجن * قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك أن يقال ان الله أمر المؤمنين باعداد الجهاد وآلة الحرب وما يتقوون به على جهاد عدوه وعدوهم من المشركين من السلاح والرمى وغير ذلك ورباط الخيل ولا وجه لان يقال عنى بالقوة معنى دون معنى من معانى القوة وقد عم الله الامر بها فان قال قائل فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بين ان ذلك مراد به الخصوص بقوله الا ان القوة الرمى قيل له ان الخبر وان كان قد جاء بذلك فليس فى الخبر ما يدل على انه مراد بها الرمى خاصة دون سائر معانى القوة عليهم فان الرمى أحد معانى القوة لانه انما قيل فى الخبر ألا ان القوة الرمى ولم يقل دون غيرها ومن القوة أيضا السيف والرمح والحربة وكل ما كان معونة على قتال المشركين كمعونة الرمى أو أبلغ من الرمى فيهم وفى النكاية منهم هذا مع وهى سند الخبر بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما قوله وآخرين من دونهم لا تعلمونهم فان قول من قال عنى به الجن أقرب وأشبه بالصواب لانه جل ثناؤه قد أدخل بقوله ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم الامر بارتباط الخيل لارهاب كل عدو لله وللمؤمنين يعلمونهم ولا شك ان المؤمنين كانوا عالمين بعداوة قريظة وفارس لهم لعلمهم بانهم مشركون وانهم لهم حرب ولا معنى لان يقال وهم يعلمونهم لهم أعداء وآخرين من دونهم لا تعلمونهم ولكن معنى ذلك ان شاء الله ترهبون بارتباطكم أيها المؤمنون الخيل عدو الله وأعداءكم من بنى آدم الذين قد علمتم عداوتهم لكم

مدة المهادنة فاذا لم يكن بالمسلمين ضعف ورأى الامام الصلاح فى المهادنة فقد قال الشافعى هادن أربعة أشهر فما دونها لقوله تعالى فسيحوا فى الارض أربعة أشهر وذلك كان فى أقوى ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم منصرفه من تبوك وان كان بالمسلمين ضعف جازت الزيادة بحسب الحاجة الى عشر سنين اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم حين صالح أهل مكة بالحديبية على وضع القتال عشر سنين الا أنهم نقضوا العهد قبل كمال المدة وان انقضت المدة والحاجة باقية استأنف العقد ثم قال وتوكل على الله أى فوض الامر فيما عقدته معهم الى الله ليكون عونا لك على السلامة وينصرك عليهم اذا نقضوا العهد وعدلوا عن الوفاء كما كان من شأن قريظة والنضير وعن مجاهد نزلت فيهم انه هو السميع للاقوال العليم بالاحوال وفيه زجر عن نقض الصلح ما أمكن ثم ذكر حكما من أحكام المهادنة فقال وان يريدوا أن يخدعوك فان حسبك محسبك وكافيك الله والمعنى انهم ان صالحوا على سبيل المخادعة وجب قبول ذلك الصلح لان الحكم فيه يبنى على الظاهر كما ان أصل الايمان مبنى على الظاهر ولا تنافى بين هذه الآية وبين ما تقدم من قوله واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم لان هذه المخادعة محمولة على أمور خفية تدل على الغل والنفاق وذلك الخوف محمول على امارة قوية تدل على كونهم قاصدين للشر واثارة للفتنة ثم أكد كون الله تعالى كافيا له بقوله هو الذى أيدك بنصره أى من غير واسطة أسباب معتادة وبالمؤمنين أى بوساطة الانصار ثم بين انه كيف أيده بالمؤمنين فقال وألف بين قلوبهم قال جمع من المفسرين هم الاوس والخزرج كان بينهم من الحروب والوقائع ما أهلك أشرافهم ودق جماجمهم فرفع الله تعالى ذلك بلطف صنعه والاولى حمله على العموم والتأليف بين قلوب من بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الآيات الباهرة لان العرب لما فيهم من الحمية والعصبية ... لكفرهم

لكفرهم بالله و رسوله وترهبون بذلك جنسا آخر من غير بني آدم لا تعلمون أماكنهم وأحوالهم الله يعلمهم دونكم لان بني آدم لا يرونهم وقيل ان صهيل الخيل يرهب الجن وان الجن لا تقرب دارا فيها فرس فان قال قائل فان المؤمنين كانوا لا يعلمون ما عليه المنافقون فما ينكر ان يكون عني بذلك المنافقون قيل فان المنافقين لم يكن تروعهم خيل المسلمين ولا سلاحهم وانما كان يروعهم ان تظهر المسلمون على سرائرهم التي كانوا يستسرون من الكفر وانما أمر المؤمنون باعداد القوة لارهاب العدو فامامن لم يرهبه ذلك فغير داخل في معنى من أمر باعداد ذلك له المؤمنون وقيل لا تعلمونهم فاكتفى للعلم بمنصوب واحد في هذا الموضع لانه أريد لا تعرفونهم كما قال الشاعر

قال فان الله يعلمني * وانا سوف نلقاه كلانا

۞ القول في تاويل قوله (وما تنفقوا من شئ في سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون) يقول تعالى ذكره وما أنفقتم أيها المؤمنون من نفقة في شراء آلة حرب من سلاح أو حربة أو كراع أو غير ذلك من النفقات في جهاد أعداء الله من المشركين يخلفه الله عليكم في الدنيا ويدخر لكم أجوركم على ذلك عنده حتى يوفيكموها يوم القيامة وأنتم لا تظلمون يقول يفعل ذلك بكم ربكم فلا يضيع أجوركم عليه وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وما تنفقوا من شئ في سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون أي لا يضيع لكم عند الله أجره في الآخرة وعاجل خلفه في الدنيا ۞ القول في تاويل قوله (وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واما تخافن من قوم خيانة وغدرا فانبذ اليهم على سواء وآذنهم بالحرب وان جنحوا للسلم فاجنح لها وان مالوا الى مسالمتك ومتاركتك الحرب اما بالدخول في الاسلام واما باعطاء الجزية واما بموادعة ونحو ذلك من أسباب السلم والصلح فاجنح لها يقول فمل اليها وابذل لهم ما مالوا اليه من ذلك وسألوكه يقال منه جنح الرجل الى كذا يجنح اليه جنوحا وهي لتميم وقيس فيما ذكر عنها تقول يجنح بضم النون وآخرون يقولون يجنح بكسر النون وذلك اذا مال ومنه قول نابغة بني ذبيان

جوانح قد أيقن ان قبيله * اذا ما التقى الجمعان أول غالب

جوانح موايل وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وان جنحوا للسلم قال للصلح ونسختها قوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وان جنحوا للسلم الى الصلح فاجنح لها قال وكانت هذه قبل براءة كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يوادع القوم الى أجل فاما ان يسلموا واما أن يقاتلهم ثم نسخ ذلك بعد في براءة فقال اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقاتلوهم كافة ونبذ الى كل ذي عهد عهده في براءة وأمره بقتالهم حتى يقولوا لا اله الا الله و يسلموا ولا يقبل منهم الا ذلك وكل عهد كان في هذه السورة وفي غيرها وكل صلح يصالح به المسلمون المشركين يتوادعون فان براءة جاءت بنسخ ذلك فامر بقتالهم على كل حال حتى يقولوا لا اله الا الله حدثنا ابن حميد قال ثنا ابن واضح عن الحسين عن يزيد عن عكرمة والحسن البصري قالا وان جنحوا للسلم فاجنح لها نسختها الآية التي في براءة قوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الى قوله وهم صاغرون حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي وان جنحوا للسلم فاجنح لها يقول وان أرادوا الصلح فارده حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وان جنحوا للسلم فاجنح لها أي ان دعوك الى السلم الى الاسلام فصالحهم عليه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وان

والانطوا على الضغائن في الامور المستحقرة لم تكد تأتلف أهواؤهم وينتظم سملهم ثم ائتلفت قلوبهم على اتباع رسول الله حتى بذلوا دونه المهج والارواح والاموال فليس ذلك الا من مقلب القلوب والاحوال والتحقيق في الباب ان المحبة لا تحصل الا عند تصور حصول خير من المحبوب ثم ان كان سبب انعقاد المحبة أمرا سريع التغير كالمال أو الجاه أو اللذة الجسمانية كانت تلك المحبة بصدد الزوال والاضمحلال فالمعشوق يريد العاشق لماله والعاشق يحب المعشوق لاستيفاء لذة بهيمية فمهما حصل مرادهما كانا متحابين ومتى لم يحصل عادا متباغضين وان كان سبب انعقاد المودة كمالا حقيقيا روحانيا دائما لم يتصور لها تغير و زوال ثم ان العرب كانوا قبل مقدم النبي صلى الله عليه وسلم مقبلين على المفاخرة والتسابق في المال والجاه والتعصب والتفرق فلا جرم كانوا متحابين تارة ومتباغضين أخرى فلما جاءهم النبي صلى الله عليه وسلم ودعاهم الى عبادة الله تعالى والاعراض عن الدنيا والاقبال على تحصيل السعادة الابدية الروحانية توحد مطلبهم وصاروا اخوانا متراحمين متحابين في الله والله انه عزيز حكيم أي قادر قاهر على تقليب القلوب والدواعي فاعل لكل ما يفعل على وجه الاحكام والاتقان أو على حسب المصالح على اختلاف القولين في مسئلة الجبر والقدر قال القاضي لولا ألطاف الله تعالى ساعة فساعة لما حصلت هذه الاحوال ونظيره انه يضاف علم الولد وأدبه الى أبيه لاجل أنه لم يحصل ذلك الا بمعونة الاب وتربيته وأجيب بانه عدول عن الظاهر والآية صريحة في ان العقائد والارادات والكراهات كلها بخلق الله تعالى وايجاده اللهم يا مصرف القلوب ومقلبها ثبت قلبي على دينك ووفقني لما يقتضيك انك قادر على ما تشاء ولا يكون الا ما تشاء ثم انه سبحانه لما وعد نبيه النصر والكفاية عند مخادعة الاعداء وعده النصر والكفاية على الاطلاق فقال يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من [illegible] مرفوع لانه بمنزلة زيد في قولك

جنحوا السلم فاجنح لها قال فصالحهم قال وهذا قد نسخه الجهاد فاما ما قاله قتادة ومن قال مثل قوله من أن هذه الآية منسوخة فقول لا دلالة عليه من كتاب ولا سنة ولا فطرة عقل وقد دللنا في غير موضع من كتابنا هذا وغيره على ان الناسخ لا يكون الا ما نفى حكم المنسوخ من كل وجه فاما ما كان بخلاف ذلك فغير كائن ناسخا وقول الله في براءة فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم غير ناف حكمه حكم قوله وان جنحوا للسلم فاجنح لها لان قوله وان جنحوا للسلم انما عنى به بنو قريظة وكانوا يهودا أهل كتاب وقد أذن الله جل ثناؤه للمؤمنين بصلح أهل الكتاب ومتاركتهم الحرب على أخذ الجزية منهم وأما قوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم فانما عنى به مشركو العرب من عبدة الاوثان الذين لا يجوز قبول الجزية منهم فليس في احدى الآيتين نفي حكم الاخرى بل كل واحدة منهما محكمة فيما أنزلت فيه حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وان جنحوا للسلم قال قريظة وأما قوله وتوكل على الله يقول فوض الى الله يا محمد أمرك واستكفه واثقا به انه يكفيك كالذي حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وتوكل على الله ان الله كافيك وقوله انه هو السميع العليم يعني بذلك ان الله الذي تتوكل عليه سميع لما تقول أنت ومن يسالمه ويتاركك الحرب من أعداء الله وأعدائك عند عقد السلم بينك وبينه ويشرط كل فريق منكم على صاحبه من الشروط والعليم بما يضمره كل فريق منكم للفريق الآخر من الوفاء بما عاقده عليه ومن المضمر ذلك منكم في قلبه والمنطوي على خلافه لصاحبه ❁ القول في تأويل قوله (وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين) يقول تعالى ذكره وان يرد يا محمد هؤلاء الذين أمرتك ان تنبذ اليهم على سواء ان خفت منهم خيانة وبمسالمتهم ان جنحوا للسلم خداعك والمكر بك فان حسبك الله يقول فان الله كافيكهم وكافيك خداعهم اياك لانه متكفل باظهار دينك على الاديان ومتضمن ان يجعل كلمته العليا وكلمة أعدائه السفلى هو الذي أيدك بنصره يقول الله الذي قواك بنصره اياك على أعدائه وبالمؤمنين يعني بالانصار وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن ابي نجيح عن مجاهد وان يريدوا ان يخدعوك قال قريظة حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله هو من وراء ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين قال بالانصار ❁ القول في تأويل قوله (وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم) يريد جل ثناؤه بقوله وألف بين قلوبهم وجمع بين قلوب المؤمنين من الاوس والخزرج بعد التفرق والتشتت على دينه الحق فصيرهم به جميعا بعد ان كانوا أشتاتا واخوانا بعد ان كانوا أعداء وقوله لو أنفقت ما في الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم لو أنفقت يا محمد ما في الارض جميعا من ذهب وورق وعرض ما جمعت أنت بين قلوبهم بحيلك ولكن الله جمعها على الهدى فائتلفت واجتمعت تقوية من الله لك وتأييدا منه ومعونة على عدوك يقول جل ثناؤه والذي فعل ذلك وسببه لك حتى صاروا لك أعوانا وأنصارا ويدا واحدة على من بغاك سوأ هو الذي ان رام عدو منك مراما يكفيك كيده وينصرك عليه فثق به وامض لامره وتوكل عليه وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي وألف بين قلوبهم قال هؤلاء الانصار ألف بين قلوبهم من بعد حرب فيما كان بينهم حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن بشير بن ثابت رجل من الانصار انه قال في

بحسبك ربك درهم قال الفراء وليس بكثير في كلامهم ان يقولوا حسبك وأخيك بل المستعمل ان يقال حسبك وحسب أخيك باعادة الجار فلو كان قوله ومن اتبعك مجرورا لقيل حسبك وحسب من اتبعك ومعنى الآية كفاك وكفى اتباعك من المؤمنين الله ناصرا

ويجوز ان يكون في محل الرفع أي كفاك الله وكفاك المؤمنون فيكون كقوله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين ويؤكده ما روي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس انه أسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم أسلم عمر فصاروا أربعين فانزل الله تعالى الآية ثم بين سبحانه ان كفايته مشروطة بالجد والاجتهاد في الجهاد فقال يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال والتحريض في اللغة كالتحضيض وهو الحث على الشئ يذكر وفي اشتقاقه انه من الحرض وهو الاشراف على الهلاك من شدة الضنا كانه ينسبه الى الهلاك لو تخلف عن المأمور أو كانه يامره ان يبالغ فيه وفي تحصيله حتى يدنو من التلف وفي قوله ان يكن منكم عشرون صابرون عدة من الله وبشارة بان الجماعة من المؤمنين ان صبروا غلبوا عشرة أمثالهم بعون الله وتاييده واعترض عليه انه يلزم منه ان لا يغلب قط مائتان من الكفار عشرين من المؤمنين ويمكن ان يجاب بعد تسليم وقوع مثل ذلك ان الخلل لعله يكون من فقدان الشرط وهو الصبر قال بعض العلماء هذا خبر في معنى الامر كقوله والوالدات يرضعن والمطلقات يتربصن بدليل قوله الآن خفف الله عنكم والنسخ بالامر أليق منه بالخبر وبدليل قوله والله مع الصابرين وفيه ترغيب في الثبات على الجهاد فمعنى الآية

اذن ان يكن منكم عشرون فليصبروا وليجتهدوا في القتال حتى يغلبوا مائتين ثم الصبر لا يحصل الا بكونه شديد هذه
الاعضاء قويا جالدا شجاعا غير جبان ولا متحرف القتال أو متحيزا الى فئة وعند حصول هذه الامور كان يجب على الواحد ان يثبت للعشرة لما سبق من

هذه الآية لو أنفقت ما في الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم يعني الانصار حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وألف بين قلوبهم على الهدى الذي بعثك به اليهم لو أنفقت ما في الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم بدينه الذي جمعهم عليه يعني الاوس والخزرج حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن ابراهيم الجزري عن الوليد بن أبي مغيث عن مجاهد قال اذا التقى المسلمان فتصافحا غفر لهما قال قلت لمجاهد بمصافحة يغفر لهما فقال مجاهد أما سمعته يقول لو أنفقت ما في الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم قال الوليد لمجاهد أنت أعلم مني حدثنا عبد الكريم بن أبي عمير قال ثني الوليد عن ابي عمرو قال ثني عبدة بن أبي لبابة عن مجاهد ولقيته وأخذ بيدي فقال اذا تراءى المتحابان في الله فأخذ أحدهما بيد صاحبه وضحك اليه تحاتت خطاياهما كما يتحات ورق الشجر قال عبدة فقلت له ان هذا ليسير قال لا تقل ذلك فان الله يقول لو أنفقت ما في الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم قال عبدة فعرفت انه أفقه مني حدثني محمد بن خلف قال ثنا عبيد الله بن موسى قال ثنا فضيل بن غزوان قال أتيت أبا اسحق فسلمت عليه فقلت أتعرفني فقال فضيل نعم لولا الحياء منك لقبلتك حدثني ابو الاحوص عن عبد الله قال نزلت هذه الآية في المتحابين في الله لو أنفقت ما في الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية قال أخبرنا ابن عون عن عمير بن اسحق قال كنا نحدث ان أول ما يرفع من الناس أو قال عن الناس الالفة حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ثنا أيوب بن سويد عن الاوزاعي قال ثني عبدة بن أبي لبابة عن مجاهد ثم ذكر نحو حديث عبد الكريم عن الوليد حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو اسامة وابن نمير وحفص بن غياث عن فضيل بن غزوان عن ابي اسحق عن أبي الاحوص قال سمعت عبد الله يقول لو أنفقت ما في الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم الآية قال هم المتحابون في الله وقوله انه عزيز حكيم يقول ان الله الذي ألف بين قلوب الاوس والخزرج بعد تشتت كلمتها وتعاديها وجعلهم لك انصارا عزيز لا يقهره شيء ولا يرد قضاء راد ولكنه ينفذ في خلقه حكمه يقول فعليه فتوكل وبه فثق حكيم في تدبير خلقه ۞ القول في تأويل قوله (يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يا أيها النبي حسبك الله وحسب من اتبعك من المؤمنين الله يقول لهم جل ثناؤه ناهضوا عدوكم فان الله كافيكم أمرهم ولا يهولنكم كثرة عددهم وقلة عددكم فان الله مؤيدكم بنصره وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا مؤمل بن اسمعيل قال ثنا سفيان عن شوذب بن معاذ عن الشعبي في قوله يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين قال حسبك الله وحسب من اتبعك من المؤمنين الله حدثني أحمد بن عثمان بن حكيم الاودي قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا سفيان عن شوذب عن الشعبي في قوله يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين قال حسبك الله وحسب من معك حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبيد الله عن سفيان عن شوذب عن عامر بنحوه الا أنه قال حسبك الله وحسب من شهد معك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب عن ابن زيد في قوله يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين قال يا أيها النبي حسبك الله وحسب من اتبعك من المؤمنين ان حسبك أنت وهم الله فمن من قوله ومن اتبعك من المؤمنين على هذا التأويل الذي ذكرناه عن الشعبي نصب عطفا على معنى الكاف في قوله حسبك الله لا على لفظه لانها في محل خفض في الظاهر وفي محل نصب في المعنى لان معنى الكلام يكفيك الله ويكفي من اتبعك من المؤمنين وقد قال بعض أهل العربية في من انها في موضع رفع على العطف على اسم الله كأنه قال حسبك الله ومتبعوك الى جهاد العدو من المؤمنين

وعد النصر في قوله حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين وانما كرر النسبة مرتين لان السرايا التي كان يبعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا ينقص عددها على العشرين وما كانت تزيد على المائة فورد على وفق الواقعة (٣٣) وأما في الكرة الثانية فانما كررت النسبة للطباق وليكون فيه بشارة واشارة الى ان عدد عسكر الاسلام سيؤل من العشرات والمئات الى الالوف والله أعلم بمراده ثم بين السبب في الغلبة فقال بانهم قوم لا يفقهون أي بسبب ان الكفار قوم جهلة لا يعرفون معادا وقد انحصرت السعادة عندهم في هذه الحياة العاجلة وأيضا انهم يعولون على قوتهم وشوكتهم والمسلمون يتوكلون على ربهم ويستغيثونه ويتوقعون منه انجاز ما وعد من النصر والتأييد ووجه آخر وهو ان أهل العلم والمعرفة يكون لهم في أعين الناس هيبة وحشمة ويكونون في أنفسهم أقوياء أشداء لما تجلى عليهم من أنوار المعرفة والبصيرة يعرف ذلك أصحاب العلوم وأرباب المعارف بخلاف الجهلة الذين لا بصيرة لهم ولا نور وقال عطاء عن ابن عباس لما نزل التكليف الاول ضج المهاجرون وقالوا يا رب نحن جياع وعدونا شباع ونحن في غربة وعدونا في أهليهم وقالت الانصار شغلنا بعدونا وواسينا اخواننا وعن ابن جريج كان عليهم أن لا يفروا ويثبت الواحد للعشرة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث حمزة وثلاثين راكبا فلقي أبا جهل في ثلثمائة راكب وأرادوا قتالهم فمنعهم مجدي وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أنيس الى خالد بن سفيان جماعة فابتدر عبد الله فقال يا رسول الله صفه لي فقال انك اذا رأيته ذكرت الشيطان ووجدت لذلك قشعريرة وبلغني انه جمع لي فاخرج اليه واقتله فلما خرجت نحوه ودنوت منه وجدت القشعريرة فقال لي من الرجل قلت له من العرب سمعت بك وبجمعك ومشيت معه حتى اذا تمكنت منه قتلته بالسيف وأسرعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكرت انى قتلته فأعطاني عصا وقال

دون القاعدين عنك منهم واستشهد على صحة قوله ذلك بقوله حرض المؤمنين على القتال ۞ القول في تاويل قوله (يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بانهم قوم لا يفقهون الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله والله مع الصابرين) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال حث متبعيك ومصدقيك على ما جئتهم به من الحق على قتال من أدبر وتولى عن الحق من المشركين ان يكن منكم عشرون رجلا صابرون عند لقاء العدو يحتسبون أنفسهم و يثبتون لعدوهم يغلبوا مائتين من عدوهم و يقهروهم وان يكن منكم مائة عند ذلك يغلبوا منهم ألفا بانهم قوم لا يفقهون يقول من أجل ان المشركين قوم يقاتلون على غير رجاء ثواب ولا لطلب أجر ولا احتساب لانهم لم يفقهوا ان الله موجب لمن قاتل احتسابا وطلب موعود الله في المعاد ما وعد المجاهدين في سبيله فهم لا يثبتون اذا صدقوا في اللقاء خشية ان يقتلوا فتذهب دنياهم ثم خفف تعالى ذكره عن المؤمنين اذ علم ضعفهم فقال لهم الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا يعني ان في الواحد منهم عن لقاء العشر من عدوهم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة عند لقائهم للثبات لهم يغلبوا مائتين منهم وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين منهم باذن الله يعني بتخلية الله اياهم لغلبتهم ومعونته اياهم والله مع الصابرين لعدوهم وعدو الله احتسابا في صبره وطلبا لجزيل الثواب من ربه بالعون منه له والنصر عليه وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا محمد بن محبب قال ثنا سفيان عن ليث عن عطاء في قوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين قال كان الواحد لعشرة ثم جعل الواحد باثنين لا ينبغي له ان يفر منهما حدثنا سعيد بن يحيى قال ثنا أبي قال ثنا ابن جريج عن عمرو بن دينار عن ابن عباس قال جعل على المسلمين على الرجل عشرة من الكفار فقال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين فخفف ذلك عنهم فجعل على الرجل رجلان قال ابن عباس فما أحب ان يعلم الناس تخفيف ذلك عنهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال قال محمد بن اسحق ثني عبد الله بن أبي نجيح المكي عن عطاء بن أبي رباح عن عبد الله بن عباس قال لما نزلت هذه الآية ثقلت على المسلمين واعظموا أن يقاتل عشرون مائتين ومائة ألفا فخفف الله عنهم نسخها الآية الاخرى فقال الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين قال وكانوا اذا كانوا على الشطر من عدوهم لم ينبغ لهم ان يفروا منهم وان كانوا دون ذلك لم يجب عليهم ان يقاتلوا وجاز لهم أن يتحوزوا عنهم حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين قال كان لكل رجل من المسلمين عشرة لا ينبغي له ان يفر منهم فكانوا كذلك حتى أنزل الله الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين فجعل لكل رجل من المسلمين رجلين من المشركين فنسخ الامر الاول وقال مرة أخرى في قوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين فامر الله الرجل من المؤمنين ان يقاتل عشرة من الكفار فشق ذلك على المؤمنين ورحمهم الله فقال ان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله والله مع الصابرين فامر الله الرجل من المؤمنين ان يقاتل رجلين من الكفار حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال الى قوله انهم قوم لا يفقهون وذلك انه كان جعل على كل

امسكها فانها آية بيني و بينك يوم القيامة وقال عكرمة انما أمر الرجل ان يصبر لعشرة والعشرة لمائة حال ما كان المسلمون قليلين فلما كثروا خفف الله عنهم ولهذا قال ابن عباس أيما رجل فر من ثلاثة فلم يفر فان فر من اثنين فقد فر والحاصل ان الجمهور ادعوا ان قوله الآن خفف الله عنكم ناسخ لحكم الآية المتقدمة وأنكر ذلك أبو مسلم الاصفهاني قال لان لفظ الآية ورد على الخبر سلمنا انه بمعنى الامر لكن لم قلتم ان التقدير ليكن العشرون صابرين في مقابلة المائتين ولم لا يجوز ان يكون المراد ان حصل عشرون صابرون في مقابلة المائتين فليشتغلوا بجهادهم واذا كان الشرط غير حاصل في حق هؤلاء لقوله وعلم أن فيكم ضعفا فلا جرم لم يثبت ذلك الحكم فلا يتصور النسخ ولفظ التخفيف لا يقتضي ورود التثقيل قبله لان مثل هذا الكلام قد يقوله العرب ابتداء ومما يدل على عدم النسخ تقارن الآيتين والناسخ يجب ان يكون بعد المنسوخ بزمان هذا حاصل قول أبي مسلم وهو انما يستحق الجواب لو لم يحصل قبله اطباق على حصول هذا النسخ والله تعالى أعلم ومعنى قوله وعلم أن فيكم ضعفا ظهر معلومه فلا يبقى لهشام حجة في مذهبه انه تعالى لا يعلم الجزئيات الا بعد وقوعها والمراد بالضعف قيل الضعف في البدن وقيل في البصيرة والاستقامة في الدين وكانوا متفاوتين في ذلك والظاهر ان المراد الضعف الانساني المذكور في قوله وخلق الانسان ضعيفا ❊ التأويل يضربون وجوههم وأدبارهم لان الكافر ذاهب عن الدنيا مع تعلقه بها فيحصل له ألم من جهة الخلف ويقبل على الآخرة ولا نور له يبصر به ما امامه فيحصل له ألم من قدامه ذلك بما قدمت أيديكم لا بسبب تقصيرهم واستعدادهم بل باستعدادهم حتى يغيروا بالكفر والتكذيب ما بانفسهم من نعم الاستعداد الفطري الذين عاهدت منهم بأرواحهم في الازل لانه نور له وصفة تغلب على ظلمة النفس وصفاتها فتشرف بأرواحهم من خلفهم أي بالغ في تبديل صفات النفس وفي

رجل من المسلمين عشرة من العدو يوشبهم يعني يغريهم بذلك ليوطنوا أنفسهم على الغزو ان الله ناصرهم على العدو ولم يكن أمرا عزمه الله عليهم ولا أوجبه ولكن كان تحريضا ووصية أمر الله بها نبيه ثم خفف عنهم فقال الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فجعل على كل رجل رجلين بعد ذلك تخفيفا ليعلم المؤمنون ان الله بهم رحيم فتوكلوا على الله وصبروا وصدقوا ولو كان عليهم واجبا كفروا اذا بعد كل رجل من المسلمين عمن لقي من الكفار اذا كانوا أكثر منهم فلا يقاتلوهم فلا يغرنك قول رجال فاني قد سمعت رجالا يقولون انه لا يصلح لرجل من المسلمين ان يقاتل حتى يكون على كل رجل رجلان وحتى يكون على كل رجلين أربعة ثم بحساب ذلك وزعموا انهم يعصون الله ان قاتلوا حتى يبلغوا عدة ذلك وانه لا حرج عليهم أن لا يقاتلوا حتى يبلغوا عدة ان يكون على كل رجل رجلان وعلى رجلين أربعة وقد قال الله ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤف بالعباد وقال الله فقاتل في سبيل الله لا تكلف الا نفسك وحرض المؤمنين فهو التحريض الذي أنزل الله عليهم في الانفال فلا يحزنك قائل قد سقطت بين ظهري أناس كما شاء الله ان يكونوا حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح عن الحصين عن يزيد عن عكرمة والحسن قالا قال في سورة الانفال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بانهم قوم لا يفقهون ثم نسخ فقال الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا الى قوله والله مع الصابرين حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن عكرمة في قوله ان يكن منكم عشرون صابرون قال واحد من المسلمين وعشرة من المشركين ثم خفف عنهم فجعل عليهم ان لا يفر رجل من رجلين حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ان يكن منكم عشرون صابرون الى قوله وان يكن منكم مائة قال لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يوم بدر وجعل على الرجل منهم عشرة من الكفار فضجوا من ذلك فجعل على الرجل رجلين تخفيفا من الله حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا ابراهيم بن يزيد عن عمرو بن دينار وأبي معبد عن ابن عباس قال انما أمر الرجل ان يصبر نفسه لعشرة والعشرة لمائة اذ المسلمون قليل فلما كثر المسلمون خفف الله عنهم فامر الرجل ان يصبر لرجلين والعشرة للعشرين والمائة للمائتين حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن ابن أبي نجيح ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين قال كان فرض عليهم اذا لقي عشرون مائتين أن لا يفروا فانهم ان لم يفروا غلبوا ثم خفف الله عنهم وقال ان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين فيقول لا ينبغي أن يفر ألف من ألفين فانهم ان صبروا لهم غلبوهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين جعل الله على كل رجل رجلين بعدما كان على كل رجل عشرة وهذا الحديث عن ابن عباس حدثنا ابن وكيع قال ثنا يزيد بن هرون عن جرير بن حازم عن الزبير بن الحرث عن عكرمة عن ابن عباس كان فرض على المؤمنين أن يقاتل الرجل منهم عشرة من المشركين قوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا فشق ذلك عليهم فانزل الله التخفيف فجعل على الرجل ان يقاتل الرجلين قوله ان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين فخفف الله عنهم ونقصوا من النصر بقدر ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين يقول يقاتلوا مائتين فكانوا أضعف من ذلك فنسخها الله عنهم فخفف فقال فان يكن منكم مائة صابرة

تزكيتها بحيث يؤثر نور ربه لها في الصفات التي وراءها فانبذ اليهم على سواء أي أظهر عداوتك معهم وجاهدهم انهم لا يعجزون أي النفوس الكافرة تحت تصرفي فلا تقنطوا من رحمتي في اصلاح حالهم من قوة الروح وغلبات صفاتها واعداده بمداومة الذكر وقطع التعلق ومن رباط الخيل ومن ربط القلب بطريق المراقبة لئلا يلتفت الى الدنيا وزينتها ترهبون بالذكر والمراقبة عدو الشيطان وعدوكم النفس والهوى وآخرين من دونهم من نفوس شياطين الانس لا تعلمونهم انهم عدوكم من الاخيار والاصدقاء والاقرباء الله يعلمهم انهم عدو لكم كقوله ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم وما تنفقوا من شئ من شهوات النفس ولذاتها وزينتها بطريق الذكر والمراقبة يوف اليكم فوائد من تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا وألف بين قلوبهم بين الروح والقلب والسر وبين النفس وصفاتها لو أنفقت ما في أرض وجودك من السعي والجد والاجتهاد لما بين الروح النوراني والنفس الظلماني من التضاد ولكن الله ألف بين الروح وبين القلب والقالب ليكون الشخص الانساني طلسما على كنز وجوده لم يكسر الطلسم للوصول الى الكنز والله أعلم (ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الاسرى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فامكن منهم والله عليم حكيم ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا باموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء

يغلبوا مائتين فجعل أول مرة الرجل بعشرة ثم جعل الرجل لاثنين حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين قال كان فرض عليهم اذا لقي عشرون مائتين ان لا يفروا فانهم ان لم يفروا غلبوا ثم خفف الله عنهم فقال ان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله فيقول لا ينبغي ان يفر ألف من ألفين فانهم ان صبروا لهم غلبوهم حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن جويبر عن الضحاك قال كان هذا واجبا أن لا يفر واحد من عشرة وبه قال الثوري عن ليث عن عطاء مثل ذلك وأما قوله بانهم قوم لا يفقهون فقد بينا تأويله وكان ابن اسحق يقول في ذلك ما حدثنا به ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق بانهم قوم لا يفقهون أي لا يقاتلون على نية ولا حق فيه ولا معرفة لخير ولا شر وهذه الآية أعني قوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان كان مخرجها مخرج الخبر فان معناها الامر يدل على ذلك قوله الآن خفف الله عنكم فلم يكن التخفيف الا بعد التثقيل ولو كان ثبوت العشرة منهم للمائة من عدوهم كان غير فرض عليهم قبل التخفيف وكان ندبا لم يكن للتخفيف وجه لان التخفيف انما هو ترخيص في ترك الواحد من المسلمين الثبوت للعشرة من العدو واذا لم يكن التشديد قد كان له متقدما لم يكن للترخيص وجه اذ كان المفهوم من الترخيص انما هو بعد التشديد واذ كان ذلك كذلك فمعلوم ان حكم قوله الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا ناسخ لحكم قوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا وقد بينا في كتابنا كتاب البيان عن أصول الاحكام ان كل خبر من الله وعد فيه عباده على عمل ثوابا وجزاء وعلى تركه عقابا وعذابا وان لم يكن خارجا ظاهره مخرج الامر ففي معنى الامر بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع * واختلفت القراء في قراءة قوله وعلم أن فيكم ضعفا فقرأ بعض المدنيين وبعض البصريين وعلم ان فيكم ضعفا بضم الضاد في جميع القرآن وتنوين الضعف على المصدر من ضعف الرجل ضعفا وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين وعلم ان فيكم ضعفا بفتح الضاد على المصدر أيضا من ضعف وقرأه بعض المدنيين ضعفاء على تقدير فعلاء جمع ضعيف على ضعفاء كما يجمع الشريك شركاء والرحيم رحماء * وأولى القراءة في ذلك بالصواب قراءة من قرأه وعلم ان فيكم ضعفا وضعفا بفتح الضاد أو ضمها لانهما القراءتان المعروفتان وهما لغتان مشهورتان في كلام العرب فصيحتان بمعنى واحد فبأيتهما قرأ القارئ فهو مصيب الصواب فأما قراءة من قرأ ذلك ضعفاء فانها عن قراءة القراء شاذة وان كان لها في الصحة مخرج فلا أحب لقارئ القراءة بها ﴿ القول في تأويل قوله عز ذكره (ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم) يقول تعالى ذكره ما كان لنبي أن يحتبس كافرا قدر عليه وصار في يده من عبدة الاوثان للفداء أو للمن والاسر في كلام العرب يقال منه مأسور يراد به محبوس وممنوع منهم أبى الله أسراهم قال الله جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يعرفه ان قتل المشركين الذين أسرهم صلى الله عليه وسلم يوم بدر ثم فادى بهم كان أولى بالصواب من أخذ الفدية منهم واطلاقهم وقوله حتى يثخن في الارض يقول حتى يبالغ في قتل المشركين فيها ويقهرهم غلبة وقسرا يقال منه أثخن فلان في هذا الامر اذا بالغ فيه وحكي أثخنته معرفة بمعنى قتلته معرفة تريدون يقول للمؤمنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تريدون أيها المؤمنون عرض الدنيا بأسركم المشركين وهو ما عرض للمرء منها من مال ومتاع يقول تريدون بأخذكم الفداء من المشركين متاع الدنيا وطمعها والله يريد الآخرة يقول الله يريد لكم زينة الآخرة وما أعد للمؤمنين

هاجروا وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير والذين كفروا بعضهم أولياء بعض الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير والذين (٢٦) آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ان الله بكل شيء عليم) القراآت ان تكون بالتاء الفوقانية أبو عمرو وسهل ويعقوب ويزيد أسارى يزيد والمفضل الآخرون أسرى من الاسارى يزيد وأبو عمرو والمفضل الباقون من الاسرى من ولايتهم بكسر الواو حمزة الباقون بفتحها * الوقوف في الارض ط لتقدير الاستفهام أي أتريدون الآخرة ط حكيم ه عظيم ه واتقوا الله ط رحيم ه ويغفر لكم ط رحيم ه منهم ط حكيم ه أولياء بعض ط حتى يهاجروا ج ميثاق ط بصير ه أولياء بعض ط كبير ه حقا ط كريم ه منكم ط في كتاب الله ط عليم ه * التفسير هذا حكم آخر من أحكام الجهاد ومعنى ما كان ما صح وما استقام والاثخان كثرة القتل واشاعته من الثخانة التي هي الغلظ والكثافة والمعنى فيه تذليل الكفر واضعافه واعزاز الاسلام واظهاره باشاعة القتل في الكفرة روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتي بسبعين أسيرا فيهم العباس عمه وعقيل ابن أبي طالب فاستشار أبا بكر فيهم فقال قومك وأهلك فاستبقهم لعل الله ان يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوى بها أصحابك وقال عمر كذبوك وأخرجوك فقدمهم واضرب أعناقهم فان هؤلاء أئمة الكفر وان الله أغناك عن الفداء مكن عليا من عقيل وحمزة من العباس ومكني لفلان من نسيبه فلنضرب أعناقهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون أشد من الحجارة واهل

وأهل ولايته في جنانه بقتلكم اياهم في اثخانكم في الارض يقول لهم واطلبوا ما يريد الله لكم وله اعملوا لا ما تدعوكم اليه أهواء أنفسكم من الرغبة في الدنيا وأسبابها والله عزيز يقول ان أنتم أردتم الآخرة لم يغلبكم عدو لكم لان الله عزيز لا يقهر ولا يغلب وانه حكيم في تدبيره أمر خلقه * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ما كان لنبي أن تكون له أسرى حتى يثخن في الارض وذلك يوم بدر والمسلمون يومئذ قليل فلما كثروا واشتد سلطانهم أنزل الله تبارك وتعالى بعد هذا في الاسارى فاما منا بعد واما فداء فجعل الله النبي والمؤمنين في أمر الاسارى بالخيار ان شاؤا قتلوهم وان شاؤا استعبدوهم وان شاؤا فادوهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ما كان لنبي أن تكون له أسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا الآية قال أراد أصحاب نبي الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر الفداء ففادوهم بأربعة آلاف ولعمري ما كان أثخن رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ وكان أول قتال قاتله المشركين حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن فضيل عن حبيب ابن أبي عمرة عن مجاهد قال الاثخان القتل حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا شريك عن الاعمش عن سعيد بن جبير في قوله ما كان لنبي أن تكون له أسرى حتى يثخن في الارض قال اذا أسرتموهم فلا تفادوهم حتى تثخنوا فيهم القتل قال حدثنا عبد العزيز قال ثنا اسرائيل عن خصيف عن مجاهد ما كان لنبي أن تكون له أسرى الآية نزلت الرخصة بعد ان شئت فمن وان شئت ففاد حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله ما كان لنبي أن تكون له أسرى حتى يثخن في الارض يعني الذين أسروا ببدر حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ما كان لنبي أن تكون له أسرى من عدوه حتى يثخن في الارض أي يثخن عدوه حتى ينفيهم من الارض تريدون عرض الدنيا أي المتاع والفداء بأخذ الرجال والله يريد الآخرة بقتلهم لظهور الدين الذي يريدون اطفاءه الذي به تدرك الآخرة حدثني أبو السائب قال ثنا أبو معاوية قال ثنا الاعمش عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن عبد الله قال لما كان يوم بدر وجيء بالاسرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقولون في هؤلاء الاسرى فقال أبو بكر يا رسول الله قومك وأهلك استبقهم واستأن بهم لعل الله أن يتوب عليهم قال عمر يا رسول الله كذبوك وأخرجوك قدمهم فاضرب أعناقهم وقال عبد الله بن رواحة يا رسول الله انظر واديا كثير الحطب فادخلهم فيه ثم اضرمه عليهم نارا قال فقال له العباس قطعت رحمك قال فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبهم ثم دخل فقال ناس نأخذ بقول أبي بكر وقال ناس نأخذ بقول عمر وقال ناس نأخذ بقول عبد الله بن رواحة ثم خرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون أشد من الحجارة وان مثلك يا أبا بكر مثل ابراهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا أبا بكر مثل عيسى قال ان تعذبهم فانهم عبادك الآية ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ومثلك يا ابن رواحة كمثل موسى قال ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنتم اليوم عالة فلا يفلتن أحد منهم الا بفداء أو ضرب عنق قال عبد الله بن مسعود الا سهيل بن بيضاء فاني سمعته يذكر الاسلام فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فما رأيتني في يوم أخوف أن تقع علي الحجارة من السماء مني من ذلك اليوم حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا سهيل بن بيضاء قال فأنزل الله ما كان لنبي

وان مثلك يا أبا بكر مثل ابراهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ثم قال لاصحابه أنتم اليوم عالة فلا يفلتن أحد منهم الا بفداء أو ضرب عنق وروى انه قال لهم ان شئتم قتلتموهم وان شئتم فاديتموهم واستشهد منكم بعدتهم فقالوا بل نأخذ الفداء فاستشهدوا بأحد وكان فداء الاسارى عشرين أوقية وفداء العباس أربعين أوقية وعن محمد بن سيرين كان فداؤهم مائة أوقية والاوقية أربعون درهما وروى انهم لما أخذوا الفداء نزلت الآية فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وأبو بكر يبكيان فقال يا رسول الله أخبرني فان وجدت بكاء بكيت وان لم أجد بكاء تباكيت فقال أبكي على أصحابك في أخذ الفداء ولقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه وروى انه قال لو نزل عذاب من السماء لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ لقوله كان الاثخان في القتل أحب الي واعلم ان الطاعنين في عصمة الانبياء عليهم السلام تمسكوا في هذا المقام بوجوه الاول ما كان لنبي تصريح في النهي وقد حصل الاسر بدليل قل ان في أيديكم من الاسرى الثاني انهم أمروا بالقتل يوم بدر في قوله فاضربوا فوق الاعناق فكان الاسر معصية وأجيب بان قوله حتى يثخن يدل على ان الاسر كان مشروعا ولكن بشرط سبق الاثخان ولا شك ان الصحابة قتلوا يوم بدر خلقا عظيما ولعل العتاب انما ترتب لان الاثخان أمر غير مضبوط فظنوا ان ذلك القدر من القتل بلغ حد الاثخان فاخطؤا في الاجتهاد وكان قوله فاضربوا فوق الاعناق تكليفا مختصا بحالة الحرب ولم يتناول الاسر بعد انهزام الكفار الثالث قالوا الحكم بأخذ الفداء معصية والاثم توجه الدم في قوله تريدون عرض الدنيا أي حطامها سمي بذلك لانه سريع الزوال كالعرض قسيم الجوهر والله يريد الآخرة أي ثوابها أو ما هو سبب الجنة وهو اعزاز الاسلام باشاعة القتل في

أن تكون له أسرى حتى يثخن في الارض الى آخر الثلاث آيات حدثنا ابن بشار قال ثنا عكرمة ابن عمار قال ثنا أبو زميل قال ثنى عبد الله بن عباس قال لما أسر والاسارى يعني يوم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أين أبو بكر وعمر وعلى قال ما ترون في الاسارى فقال أبو بكر يا رسول الله هم بنو العم والعشيرة وأرى ان تأخذ منهم فدية تكون لنا قوة على الكفار وعسى الله أن يهديهم للاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ترى يا ابن الخطاب فقال لا والذي لا اله الا هو ما أرى الذي رأى أبو بكر يا نبي الله ولكن أرى ان تمكننا منهم فتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه وتمكنني من فلان نسيب لعمر فاضرب عنقه فان هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها فهوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت قال عمر فلما كان من الغد جئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وأبو بكر قاعدان يبكيان فقلت يا رسول الله أخبرني من أي شئ تبكي أنت وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت وان لم أجد بكاء تباكيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبكي للذي عرض على أصحابك في أخذهم الفداء ولقد عرض على عذابكم أدنى من هذه الشجرة شجرة قريبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل ما كان لنبي أن تكون له أسرى حتى يثخن في الارض الى قوله حلالا طيبا وأحل الله الغنيمة لهم ۞ القول في تاويل قوله (لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم) يقول تعالى ذكره لاهل بدر الذين غنموا وأخذوا من الاسرى الفداء لولا كتاب من الله سبق يقول لولا قضاء من الله سبق لكم في أهل بدر في اللوح المحفوظ بان الله محل لكم الغنيمة وان الله قضى فيما قضى انه لا يضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون وانه لا يعذب أحدا شهد المشهد الذي شهدتموه ببدر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ناصرا دين الله لنالكم من الله باخذكم الغنيمة والفداء عذاب عظيم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا ابن أبي عدي قال ثنا عوف عن الحسن في قوله لولا كتاب من الله سبق الآية قال ان الله كان مطعم هذه الامة الغنيمة وانهم أخذوا الفداء من أسارى بدر قبل ان يؤمروا به قال فعاب الله ذلك عليهم ثم أحله الله حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع قال ثنا بشر بن المفضل عن عوف عن الحسن في قول الله لولا كتاب من الله سبق الآية وذلك يوم بدر أخذ النبي صلى الله عليه وسلم المغانم والاسارى قبل أن يؤمروا به وكان الله تبارك وتعالى قد كتب في أم الكتاب المغانم والاسارى حلال لمحمد وأمته ولم يكن أحله لامة قبلهم وأخذوا المغانم وأسروا الاسارى قبل ان ينزل اليهم في ذلك قال الله لولا كتاب من الله سبق يعني في الكتاب الاول ان المغانم والاسارى حلال لكم لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله لولا كتاب من الله سبق الآية وكانت الغنائم قبل أن يبعث النبي صلى الله عليه وسلم في الامم اذا أصابوا مغنما جعلوه للقربان وحرم الله عليهم ان يأكلوا منه قليلا أو كثيرا حرم ذلك على كل نبي وعلى أمته فكانوا لا يأكلون منه ولا يغلون منه ولا يأخذون قليلا ولا كثيرا الا عذبهم الله عليه وكان الله حرمه عليهم تحريما شديدا فلم يحله لنبي الا لمحمد صلى الله عليه وسلم كان قد سبق من الله في قضائه ان المغنم له ولامته حلال فذلك قوله يوم بدر في أخذ الفداء من الاسارى لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن عوف عن الحسن لولا كتاب من الله سبق قال ان الله كان معطي هذه الامة الغنيمة وفعلوا الذي فعلوا قبل ان تحل الغنيمة حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر قال قال الاعمش في قوله لولا كتاب من الله سبق قال سبق من الله ان أحل لهم الغنيمة حدثنا أبو كريب قال ثنا محمد

أعدائه وقرئ يجر الآخرة أي عرض الآخرة على التقابل والله عزيز يغلب أولياؤه على أعدائه ويقهرونهم ويلجئونهم الى القتل والفدا بعد الاسر ولكنه حكيم لا يرخص في أخذ الفداء الا بعد افشاء القتل في الاعداء والجواب ان كل ذلك محمول على ترك الاولى وكذ

الكلام في قوله لولا كتاب من الله سبق أي لولا حكم من الله سبق اثباته في اللوح وهو انه لا يعاقب أحدا يخطئ في الاجتهاد لانهم نظروا في ان استبقاءهم انما كان سببا في اسلامهم وتوبتهم وحصول أولاد منهم مسلمين وان فداءهم يتقوى به على الجهاد في سبيل الله وخفي عليهم ان قتلهم أعز للاسلام وأهيب لمن وراءهم قال ابن عباس هذا الحكم انما كان يوم بدر لان المسلمين كانوا قليلين فلما كثروا وقوي اسلامهم أنزل الله بعد ذلك في الاسارى حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء قال بعض العلماء هذا الكلام يوهم ان مقتضى الآيتين مختلفان وليس كذلك فان كلتيهما تدل على انه لا بد من تقديم الاثخان على الفداء وعن سعيد بن جبير لولا كتاب من الله سبق بانه سيحل لكم الفدية وكان قرب الوقت من التحليل يوجب تخفيف العقاب وقال محمد بن اسحق لولا كتاب من الله سبق انه لا يعذب أحدا الا بعد تأكيد الحجة وتقديم النهي وحاصل هذا القول يرجع الى ترك الاولى وذلك ان الاولى وغير الاولى يشتركان في كونهما مباحين وانما يعاتب على ترك الاولى لا على سبيل العقوبة بل على سبيل الحث على فعل الاولى وعن بعضهم المراد حكم الله بانه لا يعذب من شهد بدرا واعترض بانه يلزم أن لا يكونوا مكلفين والجواب أن عدم العقاب على الذنب لا يوجب عدم التكليف فأهل التكليف لا جائز زيادة الثواب وقيل لولا كتاب سبق بالعفو عن هذه الواقعة لكان استحقاق مس العذاب ابن

تعاهدوا في وقت أنهم أمسكوا عن أخذ الفداء أو عن أخذ الغنائم فنزلت حكموا والفداء للسبب ومعنى الآية قد أحللت لكم الغنائم

ابن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن بشر بن ميمون قال سمعت سعيدا يحدث عن أبي هريرة قال قرأ هذه الآية لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم قال يعني لولا انه سبق على انى ساحل الغنائم لمسكم فيما أخذتم من الاسارى عذاب عظيم حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح وأبو معاوية بنحوه عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحلت الغنائم لاحد سود الرؤس من قبلكم كانت تنزل نار من السماء وتأكلها حتى كان يوم بدر فوقع الناس في الغنائم فانزل الله لولا كتاب من الله سبق لمسكم حتى بلغ حلالا طيبا حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه قال فلما كان يوم بدر أسرع الناس في الغنائم حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن فضيل عن أشعث بن سوار عن ابن سيرين عن عبيدة قال أسر المسلمون من المشركين سبعين وقتلوا سبعين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اختاروا ان تأخذوا منهم الفداء فتتقووا به على عدوكم وان قبلتموه قتل منكم سبعون أو تقتلوهم فقالوا بل نأخذ الفدية منهم وقتل منهم سبعون قال عبيدة وطلبوا الخيرتين كلتيهما حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن فضيل عن أشعث عن ابن سيرين عن عبيدة قال كان فداء أسارى بدر مائة أوقية والاوقية أربعون درهما ومن الدنانير ستة دنانير حدثنا أبو كريب ويعقوب بن ابراهيم قالا ثنا ابن علية قال ثنا ابن عون عن ابن سيرين عن عبيدة انه قال في أسارى بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شئتم قتلتموهم وان شئتم فاديتموهم واستشهد منكم بعدتهم فقالوا بل نأخذ الفداء فنستمتع به ويستشهد منا بعدتهم حدثني أحمد بن محمد الطوسى قال ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث قال ثنا همام بن يحيى قال ثنا عطاء بن السائب عن أبي وائل عن عبد الله بن مسعود قال أمر عمر رضي الله عنه بقتل الاسارى فانزل الله لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله لولا كتاب من الله سبق قال كان المغنم محرما على كل نبي وأمته وكانوا اذا غنموا يجعلون المغنم لله قربانا تأكله النار وكان سبق في قضاء الله وعلمه ان يحل المغنم لهذه الامة يأكلونه في بطونهم حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء في قول الله لولا كتاب من الله سبق لمسكم قال كان في علم الله ان تحل لهم الغنائم فقال لولا كتاب من الله سبق بانه أحل لكم الغنائم لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم * وقال آخرون معنى ذلك لولا كتاب من الله سبق لاهل بدر أن لا يعذبهم لمسهم عذاب عظيم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أحمد الزبيري عن شريك عن سالم عن سعيد لولا كتاب من الله سبق قال لاهل بدر من السعادة حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد لولا كتاب من الله سبق لاهل بدر مشهدهم حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن لولا كتاب من الله سبق قال سبق من الله خير لاهل بدر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم كان سبق لهم من الله خير وأحل لهم الغنائم حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا عبد الوارث بن سعيد عن عمرو بن عبيد عن الحسن لولا كتاب من الله سبق قال سبق أن لا يعذب أحدا من أهل بدر حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد لولا كتاب من الله سبق لاهل بدر مشهدهم اياه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم لمسكم فيما أخذتم من الغنائم يوم بدر قبل ان أحلها لكم فقال سبق من الله

فكلوا وحلالا نصب على الحال من المغنوم أو صفة للمصدر أى أكلا حلالا واتقوا الله فيما يستقبل فلا تقدموا على شئ لم تؤمروا به ان الله غفور لما فرط منكم من ترك الاولى رحيم فبذلك رخص لكم فيما رخص من أخذ الفداء ثم قال لاستمالة قلوب الاسارى يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الاسارى ان يعلم الله ان يظهر معلومه ان في قلوبكم خيرا وهو الايمان والعزم على طاعة الله وطاعة رسوله في جميع التكاليف والتوبة عن الكفر وعن جميع المعاصى ويدخل فيه العزم على نصرة الرسول والتوبة عن محاربته يؤتكم في الدنيا خيرا مما أخذ منكم من المنافع العاجلة ويغفر لكم في الآخرة أو المراد بالخير ايصال الثواب وبالمغفرة ازالة العقاب ثم انا قد نعلم ان كل من خلص من الاسر وآمن فقد آتاه الله في الدنيا خيرا لدلالة الآية على ذلك اجمالا وذلك الخير ان كان دينيا فلا شك ان كلهم قد وجدوا ذلك لان قليل الدنيا مع الايمان أعظم من كثير الدنيا مع الكفر وان كان دنيويا فتفصيل ذلك غير معلوم الا ما روى عن بعضهم كالعباس روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم عليه مال البحرين ثمانون ألفا فتوضأ لصلاة الظهر وما صلى حتى فرقه وأمر العباس ان يأخذ منه فأخذ ما قدر على حمله وكان يقول هذا خير مما أخذ مني وأنا أرجو المغفرة وقال ابن عباس نزلت الآية في العباس وعقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحرث وكان العباس أسيرا يوم بدر ومعه عشرون أوقية من الذهب أخرجها ليطعم الناس وكان أحد العشرة الذين ضمنوا الطعام لاهل بدر فلم تبلغه النوبة حتى أسر فقال العباس كنت مسلما الا انهم استكرهونى فقال صلى الله عليه وسلم ان يكن ما تذكره حقا فالله يجزيك فاما ظاهر أمرك فقد كان علينا قال العباس وكلمت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يترك ذلك الذهب علي فقال أما شئ خرجت به تستعين به علينا فلا قال وكلفنى الرسول صلى الله عليه وسلم فداء ابن أخى عقيل بن أبي

العفو عنهم والرحمة لهم سبق انه لا يعذب المؤمنين لانه لا يعذب رسوله ومن آمن به وهاجر معه ونصره وقال آخرون معنى ذلك لولا كتاب من الله سبق أن لا يؤاخذ أحدا بفعل أتاه على جهالة لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله لولا كتاب من الله سبق لاهل بدر ومشهدهم اياه قال كتاب سبق لقوله وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون سبق ذلك وسبق أن لا يؤاخذ قوما فعلوا شيأ بجهالة لمسكم فيما أخذتم قال ابن جريج قال ابن عباس فيما أخذتم فيما أسرتم ثم قال بعد فكلوا مما غنمتم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال عاتبه في الاسارى وأخذ الغنائم ولم يكن أحد قبله من الانبياء يأكل مغنما من عدوله حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد قال ثنى أبو سلمة عن محمد قال ثنى أبو جعفر محمد بن حسين بن على بن أبى طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا وأعطيت جوامع الكلم وأحلت لى المغانم ولم تحل لنبي كان قبلى وأعطيت الشفاعة خمس لم يؤتهن نبي كان قبلى قال محمد فقال ما كان لنبي أى قبلك ان يكون له أسرى الى قوله لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم أى من الاسارى والمغانم عذاب عظيم أى لولا انه سبق منى أن لا أعذب الا بعد النهى ولم أكن نهيتكم لعذبتكم فيما صنعتم ثم أحلها له ولهم رحمة ونعمة وعائدة من الرحمن الرحيم * قال أبو جعفر وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب ما قد بيناه قبل وذلك ان قوله لولا كتاب من الله سبق خبر عام غير محصور على معنى دون معنى وكل هذه المعانى التى ذكرتها عمن ذكرت مما قد سبق فى كتاب الله انه لا يؤاخذ بشئ منها هذه الامة وذلك ما عملوا من عمل بجهالة واحلال الغنيمة والمغفرة لاهل بدر وكل ذلك مما كتب لهم واذ كان ذلك كذلك فلا وجه لان نخص من ذلك معنى دون معنى وقد عم الله الخبر بكل ذلك بغير دلالة توجب صحة القول بخصوصه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد لم يكن من المؤمنين أحد ممن نصر الا أحب الغنائم الا عمر بن الخطاب جعل لا يلقى أسيرا الا ضرب عنقه وقال يا رسول الله ما لنا وللغنائم نحن قوم نجاهد فى دين الله حتى يعبد الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو عذبنا فى هذا الامر يا عمر ما نجا غيرك قال الله لا تعودوا تستحلون قبل ان أحل لكم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال قال ابن اسحق لما نزلت لولا كتاب من الله سبق الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو نزل عذاب من السماء لم ينج منه الا سعد بن معاذ لقوله يا نبي الله كان الاثخان فى القتل أحب الى من استبقاء الرجال ۞ القول فى تأويل قوله (فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم) يقول تعالى ذكره للمؤمنين من أهل بدر فكلوا أيها المؤمنون مما غنمتم من أموال المشركين حلالا باحلاله لكم طيبا واتقوا الله يقول وخافوا الله ان تعودوا ان تفعلوا فى دينكم شيأ بعد هذه من قبل ان يعهد فيه اليكم كما فعلتم فى أخذ الفداء وأكل الغنيمة وأخذتموها من قبل ان يحلا لكم ان الله غفور رحيم وهذا من المؤخر الذى معناه التقديم وتأويل الكلام فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا ان الله غفور رحيم واتقوا الله يعنى بقوله ان الله غفور لذنوب أهل الايمان من عباده رحيم بهم ان يعاقبهم بعد توبتهم منها ۞ القول فى تأويل قوله (يا أيها النبي قل لمن فى أيديكم من الاسرى ان يعلم الله فى قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يا أيها النبي قل لمن فى أيديكم من الاسارى يا أيها النبي قل لمن فى يديك وفى يدى أصحابك من أسرى المشركين الذين أخذ منهم من الفدى ما أخذ ان يعلم الله فى قلوبكم خيرا يقول ان يعلم الله فى قلوبكم اسلاما يؤتكم خيرا مما أخذ منكم من الفداء ويغفر لكم ذنوبكم يقول ويصفح

طالب عشرين اوقية وفداء نوفل بن الحرث فقال العباس تركتنى يا محمد اتكفف قريشا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاين الذهب الذى دفعته الى أم الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها لا أدرى ما يصيبنى فى وجهى فان حدث فى حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل فقال العباس وما يدريك قال أخبرنى به ربى قال العباس فانا أشهد انك صادق وأن لا اله الا الله وانك عبده ورسوله والله لم يطلع عليه أحد الا الله ولقد دفعته اليها فى سواد الليل ولقد كنت مرتابا فى أمرك فاما اذ أخبرتنى بذلك فلا ريب قال العباس فابدلنى الله خيرا من ذلك لى الآن عشرون عبدا ان أدناهم ليضرب فى عشرين ألفا وأعطانى زمزم ما أحب ان لى بها جميع أموال أهل مكة وأنا أنتظر المغفرة من ربى ثم قال وان يريدوا خيانتك أى نكث ما بايعوك عليه روى انه صلى الله عليه وسلم لما أطلقهم من الاسر عهد معهم أن لا يعودوا الى محاربته والى معاضدة المشركين كما هو العادة فيمن يطلق من الحبس والاسر وقيل المراد من الخيانة منع ما ضمنوا من الفداء فقد خانوا الله من قبل فى كفرهم به ونقض ما أخذ على كل عاقل من ميثاقه فامكن أى المؤمنين منهم يوم بدر قتلا وأسرا فذاقوا وبال أمرهم فسيمكن المؤمنين منهم مرة أخرى ان أعادوا الخيانة والله عليم باحوالهم حكيم فيجازيهم على حسب أعمالهم واعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما ظهرت نبوته بمكة ودعا الناس هنالك الى الدين ثم انتقل منها الى المدينة فمن المؤمنين من وافقه فى الهجرة وهم المهاجرون الاولون ومنهم من لم يوافقه فى ذلك ومنهم من هاجر بعد هجرته فذكر فى خاتمة هذه السورة أحكام هذه الاصناف وأحوالهم معذكر أنصاره بالمدينة ومع ذكر الكفار أيضا فقال ان الذين آمنوا ويدخل فيه الايمان بالله وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والانقياد لجميع التكاليف وهاجروا فارقوا الاوطان وتركوا الاقارب والجيران فى ... ابتغاء

لكم عن عقوبة جرمكم الذي اجترمتموه بقتالكم نبي الله وأصحابه وكفركم بالله والله غفور لذنوب عباده اذا تابوا رحيم بهم ان يعاقبهم عليها بعد التوبة وذكر ان العباس بن عبد المطلب كان يقول فيّ نزلت هذه الآية ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن ادريس عن أبي اسحق عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس قال قال العباس فيّ نزلت ما كان لنبي أن تكون له أسرى حتى يثخن في الارض فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم باسلامي وسألته ان يحاسبني بالعشرين الاوقية التي أخذ مني فأبى فأبدلني الله بها عشرين عبدا كلهم تاجر مالي في يديه وقد حدثنا بهذا الحديث ابن حميد قال ثنا سلمة قال قال محمد ثني الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس عن جابر بن عبد الله بن رباب قال كان العباس بن عبد المطلب يقول فيّ والله نزلت حين ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم اسلامي ثم ذكر نحو حديث ابن وكيع حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قل لمن في أيديكم من الاسرى الآية قال ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم لما قدم عليه مال البحرين ثمانون ألفا وقد توضأ لصلاة الظهر فما أعطى يومئذ ساكتا ولا حرم سائلا وما صلى يومئذ حتى فرقه وأمر العباس ان يأخذ منه ويحثي فأخذ قال وكان العباس يقول هذا خير مما أخذ وأرجو المغفرة حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الاسرى الآية وكان العباس أسر يوم بدر فافتدى نفسه بأربعين أوقية من ذهب فقال العباس حين نزلت هذه الآية لقد أعطانا الله خصلتين ما أحب ان لي بهما الدنيا اني أسرت يوم بدر ففديت نفسي بأربعين أوقية فآتاني أربعين عبدا وأنا أرجو المغفرة التي وعدنا الله حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الاسرى الى قوله والله غفور رحيم يعني بذلك من أسر يوم بدر يقول ان عملتم بطاعتي ونصحتم لرسولي آتيتكم خيرا مما أخذ منكم وغفرت لكم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الاسرى عباس وأصحابه قال قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم آمنا بما جئت به ونشهد انك لرسول الله لننصحن لك على قومنا فنزل ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ايمانا وتصديقا يخلف لكم خيرا مما أصيب منكم ويغفر لكم الشرك الذي كنتم عليه قال فكان العباس يقول ما أحب ان هذه الآية لم تنزل فينا وان لي الدنيا لقد قال يؤتكم خيرا مما أخذ منكم فقد أعطاني خيرا مما أخذ مني مائة ضعف وقال يغفر لكم وأرجو ان يكون قد غفر لي حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الاسارى الآية يعني العباس وأصحابه أسروا يوم بدر يقول الله ان عملتم بطاعتي ونصحتم لي ولرسولي أعطيتكم خيرا مما أخذ منكم وغفرت لكم وكان العباس بن عبد المطلب يقول لقد أعطانا الله خصلتين ما شيء هو أفضل منهما عشرين عبدا وأما الثانية فنحن في موعود الصادق ننتظر المغفرة من الله سبحانه ۞ القول في تأويل قوله (وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم والله عليم حكيم) يقول تعالى ذكره لنبيه وان يرد هؤلاء الاسارى الذين في أيديكم خيانتك أي الغدر بك والمكر والخداع باظهارهم لك بالقول خلاف ما في نفوسهم فقد خانوا الله من قبل يقول فقد خالفوا أمر الله من قبل وقعة بدر وأمكن منهم ببدر المؤمنين والله عليم بما يقولون بألسنتهم ويضمرونه في نفوسهم حكيم في تدبيرهم وتدبير أمور خلقه سواهم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن عطاء

طلب مرضاة الله وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أما المجاهدة بالاموال فلانهم اذا فارقوا الديار ضاعت مساكنهم ومزارعهم وضيعاتهم وبقيت في أيدي الاعداء واحتاجوا الى الانفاق في تلك العزبة والسفرة وفي الغزوات والمحاربات وأما المجاهدة بالانفس فيكفي في وصف ذلك انهم أقدموا على قتال أهل بدر من غير آلة ولا عدة والاعداء في غاية الكثرة ونهاية الشدة وذلك يدل على انهم أزالوا أطماعهم عن الحياة وبذلوا أرواحهم في سبيل الله وكانوا أول الناس اقداما على هذه الافعال والتزاما لهذه الخصال ولهذه المسابقة أثر عظيم في تقوية الدين لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وذلك ان غيرهم يقتدي بهم ويقوى دواعيهم بما يرون منهم والمحن تخف على القلوب بالمشاركة ولان المهاجرين لهم سابقة قدم في الاسلام ذكر الله تعالى الانصار بعدهم فقال والذين آووا ونصروا أي الذين أنزلوا المهاجرين بهم وجعلوا لهم مأوى ونصروهم على أعدائهم أولئك بعضهم أولياء بعض أطبق جم غفير من المفسرين كابن عباس وغيره على ان المراد بهذه الولاية الارث كان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون القرابة حتى نسخ ذلك بقوله وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض واستبعد الامام فخر الدين الرازي رضي الله عنه هذا التفسير لانه يستلزم النسخ واستلزام النسخ محذور منه ما أمكن ولان لفظ الولاية يشعر بالقرب حيث يطلق دون الارث كقولهم السلطان ولي من لا ولي له وقال سبحانه ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم فاذن المراد ان المهاجرين والانصار يعظم بعضهم بعضا وبينهم معاونة وتناصروا انهم يد واحدة على الاعداء وان حب كل واحد لغيره جار مجرى حبه لنفسه أما قوله والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى [illegible] بعضهم [illegible] بالعمل والعداوة كالتجارة والقرابة كأنه [illegible]

تراولى أمراو يباشر عملا قال المفسرون لا يجوز ان يكون المراد بهذه الولاية النصرة والمعونة والالم يصح عطف وان استنصروكم عليه لان الشئ لا يعطف على مثله فالمراد بها الارث كما مر وأجيب (٣٢) بانا لو حملناها على التعظيم زال الاشكال وحصل التغاير لان أهل الايمان

الخراساني عن ابن عباس وان يريدوا خيانتك يعني العباس وأصحابه في قولهم آمنا بما جئت به ونشهد انك رسول الله لننصحن لك على قومنا يقول ان كان قولهم خيانة فقد خانوا الله من قبل فامكن منهم يقول قد كفروا وقاتلوك فامكنك الله منهم **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وان يريدوا خيانتك الآية قال ذكر لنا ان رجلا كتب لنبي الله صلى الله عليه وسلم ثم عمد فنافق فلحق بالمشركين بمكة ثم قال ما كان محمد يكتب الا ما شئت فلما سمع ذلك رجل من الانصار نذر لئن أمكنه الله منه ليضربنه بالسيف فلما كان يوم الفتح أمن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس الا عبد الله بن سعد بن أبي سرح ومقيس بن ضبابة وابن خطل وامرأته كانت تدعو على النبي صلى الله عليه وسلم كل صباح فجاء عثمان بابن أبي سرح وكان رضيعه أو أخاه من الرضاعة فقال يا رسول الله هذا فلان أقبل تائبا نادما فاعرض عنه نبي الله صلى الله عليه وسلم فلما سمع به الانصاري أقبل متقلدا سيفه فاطاف به وجعل ينظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجاء أن يومئ اليه ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم يده فبايعه فقال أما والله لقد تلومتك فيه لتوفي نذرك فقال يا نبي الله اني هبتك فلولا أومضت الي فقال انه لا ينبغي لنبي أن يومض **حدثني** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فامكن منهم يقول قد كفروا بالله ونقضوا عهده فامكن منهم ببدر ۞ القول في تأويل قوله (ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا باموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض) يقول تعالى ذكره ان الذين صدقوا الله ورسوله وهاجروا يعني هجروا قومهم وعشيرتهم ودورهم يعني تركوهم وخرجوا عنهم وهجرهم قومهم وعشيرتهم وجاهدوا في سبيل الله يقول بالغوا في اتعاب نفوسهم وانصابها في حرب أعداء الله من الكفار في سبيل الله يقول في دين الله الذي جعله طريقا الى رحمته والنجاة من عذابه والذين آووا ونصروا يقول والذين آووا رسول الله والمهاجرين معه يعني انهم جعلوا لهم مأوى يأوون اليه وهو المثوى والمسكن يقول أسكنوهم وجعلوا لهم من منازلهم مساكن اذ أخرجهم قومهم من منازلهم ونصروهم على أعدائهم وأعداء الله من المشركين أولئك بعضهم أولياء بعض يقول هاتان الفرقتان يعني المهاجرين والانصار بعضهم أنصار بعض وأعوان على من سواهم من المشركين وأيديهم واحدة على من كفر بالله وبعضهم اخوان لبعض دون أقربائهم الكفار وقد قيل انما عني بذلك ان بعضهم أولى بميراث بعض وان الله ورث بعضهم من بعض بالهجرة والنصرة دون القرابة والارحام وان الله نسخ ذلك بعد بقوله وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ذكر من قال ذلك **حدثني** المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض يعني في الميراث جعل الميراث للمهاجرين والانصار دون الارحام قال الله والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا يقول ما لكم من ميراثهم من شئ وكانوا يعملون بذلك حتى أنزل الله في هذه الآية وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله في الميراث فنسخت التي قبلها وصار الميراث لذوي الارحام **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا باموالهم وأنفسهم في سبيل الله يقول لا هجرة بعد الفتح انما هو الشهادة بعد ذلك والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض الى قوله حتى يهاجروا وذلك ان المؤمنين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثلاث منازل منهم المؤمن المهاجر والمباين لقومه في الهجرة خرج الى قوم مؤمنين في ديارهم وعقارهم وأموالهم

قد ينصر بعض الذمة في بعض الاحوال مع انهم لا يوالونهم بمعنى الاجلال والتعظيم وكذا قد ينصر المرء عبده ولا تعظيم جعل الله تعالى حكم هؤلاء المؤمنين متوسطا بين الاولين وبين الكفرة من حيث انه نفى عنهم الولاية قبل ان يهاجروا واثبت لهم النصرة عند الاستنصار الا على الكفار المعاهدين لانهم لا يبدؤن بالقتال ثم قال والذين كفروا بعضهم أولياء بعض ظاهره اثبات الموالاة بينهم والغرض نهي المسلمين عن موالاتهم وان كانوا أقارب وان يتركوا يتوارث بعضهم بعضا وفيه أن المشركين واليهود والنصارى لما اشتركوا في عداوة محمد صلى الله عليه وسلم صارت هذه الجهة موجبة لانضمام بعضهم الى بعض وقرب بعضهم من بعض وان كان واحد منهم في نهاية الانكار لصاحبه وذلك من أدل الدلائل ان تلك العداوة ليست لاجل الدين ولكنها محض الحسد والعناد ومن جعل الولاية في هذه الآيات بمعنى الارث استدل بذلك على ان الكفار في التوارث على اختلاف مللهم كاهل ملة واحدة فالمجوسي يرث الوثني والنصراني يرث المجوسي واليهودي يرث النصراني وبالعكس ثم قال الا تفعلوه أي ما أمرتكم به من موالاة المسلمين المهاجرين ومن عدم موالاة غير المهاجرين الا في حالة الاستنصار ومن عدم موالاة الكفرة أصلا تكن فتنة أي تحصل فتنة عظيمة في الارض من تفرق الكلمة واختلاط المؤمن بالكافر ووقوع الهرج والمرج ثم كرر تعظيما لشأن المؤمنين وثناء عليهم والذين آمنوا وهاجروا الآية ... وآووا ... في أول السورة ووافاصل

وآووا ونصروا وأعلنوا ما أعلن أهل الهجرة من شهر السيوف على من كذب وجحد فهذان مؤمنان جعل الله بعضهم أولياء بعض فكانوا يتوارثون بينهم اذا توفى المؤمن المهاجر ورثه الانصارى بالولاية فى الدين وكان الذى آمن ولم يهاجر لا يرث من أجل انه لم يهاجر ولم ينصر فبرأ الله المؤمنين المهاجرين من ميراثهم وهى الولاية التى قال الله ما لكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا وكان حقا على المؤمنين والذين آووا ونصروا اذا استنصروهم فى الدين ان ينصروهم ان قاتلوا الا أن يستنصروا على قوم بينهم وبين النبى صلى الله عليه وسلم ميثاق فلا نصر لهم عليهم الا على العدو والذين لا ميثاق لهم ثم أنزل الله بعد ذلك ان ألحق كل ذى رحم برحمه من المؤمنين الذين هاجروا والذين آمنوا ولم يهاجروا فجعل لكل أناس من المؤمنين نصيبا مفروضا بقوله وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله ان الله بكل شئ عليم وبقوله والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال الثلاث الآيات خواتيم الانفال فيهن ذكر ما كان من ولاية رسول الله صلى الله عليه وسلم بين مهاجرى المسلمين وما كان بين الانصار فى الميراث ثم نسخ ذلك آخرها وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله ان الله بكل شئ عليم **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عبد الله بن كثير قوله ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا الى قوله بما تعملون بصير قال بلغنا انها كانت فى الميراث لا يتوارث المؤمنون الذين هاجروا والمؤمنون الذين لم يهاجروا قال ثم نزل بعد وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله ان الله بكل شئ عليم فتوارثوا ولم يهاجروا قال ابن جريج قال مجاهد خواتيم الانفال الثلاث الآيات قال فيهن ذكر ما كان والى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين المسلمين وبين الانصار فى الميراث ثم نسخ ذلك آخرها وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا الى قوله ما لكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا قال لبث المسلمون زمانا يتوارثون بالهجرة والاعرابى المسلم لا يرث من المهاجر شيأ فنسخ ذلك بعد ذلك فألحق الله وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين الا أن تفعلوا الى أوليائكم معروفا أى من أهل الشرك جيزت الوصية ولا ميراث لهم وصارت المواريث بالملل والمسلمون يرث بعضهم بعضا من المهاجرين والمؤمنين ولا يرث أهل ملتين **حدثنا** ابن حميد قال ثنا ابن واضح عن الحسن عن يزيد عن عكرمة والحسن قالا ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله الى قوله ما لكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا كان الاعرابى لا يرث المهاجر ولا يرثه المهاجر فنسخها فقال وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله ان الله بكل شئ عليم **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض فى الميراث والذين آمنوا ولم يهاجروا وهؤلاء الاعراب ما لكم من ولايتهم من شئ فى الميراث وان استنصروكم فى الدين يقول بأنهم مسلمون فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والذين كفروا بعضهم أولياء بعض فى الميراث والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم ثم نسختها الفرائض والمواريث الذين توارثوا على الهجرة فى كتاب الله فتوارث الاعراب والمهاجرون ۞ القول فى تأويل قوله (والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا وان استنصروكم فى الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير) يعنى بقوله تعالى ذكره والذين آمنوا بالله ورسوله ولم يهاجروا قومهم الكفار ولم يفارقوا دار الكفر الى دار الاسلام ما لكم أيها المؤمنون بالله ورسوله

هذه ان السعادات العالية انما حصلت لهم لانهم أعرضوا عن اللذات الحسيات فتركوا الاهل والوطن وبذلوا النفس والمال وفيه تنبيه على انه لا طريق الى تحصيل السعادات الا بالاعراض عن هذه الجسمانيات ثم وصف اللاحقين بالهجرة بعد السابقين اليها فقال والذين آمنوا من بعد نقل الواحدى عن ابن عباس ان المراد بعد الحديبية وهى الهجرة الثانية وقيل بعد نزول الآية وقيل بعد يوم بدر والاصح ان المراد والذين هاجروا بعد الهجرة الاولى فأولئك منكم ألحقهم بالاولين تشريفا للآخرين وتعظيما لشأن السابقين ولولا كون القسم الاول أشرف لما صح هذا الالحاق ثم ختم الكلام بقوله وأولوا الارحام أى ذوو القرابات بعضهم أولى ببعض أى أحق بهم وأجدر فى كتاب الله أى فى حكمه وقسمته أو فى اللوح أو فى القرآن وهو آية المواريث وهذه الآية ناسخة للتوارث بالهجرة والنصرة أما الذين فسروا تلك الولاية بالنصرة والمحبة والتعظيم فانهم قالوا لما كانت تلك الولاية مخالفة للولاية بسبب الميراث بين الله تعالى فى هذه الآية ان ولاية الارث انما تحصل بسبب القرابة فيكون المقصود من هذا الكلام ازالة ذلك الوهم أعنى ازالة وهم من يجعل الولاية هنالك بمعنى الارث وقد تمسك أصحاب أبى حنيفة بهذه الآية فى توريث ذوى الارحام وهم ذو قرابة ليست بسبب فرض ولا عصوبة أو كل قريب يخرج عن أصحاب الفروض والعصبات وانهم عشرة أصناف الجد أبو الام وكل جد وجدة ساقطين وأولاد البنات وبنات الاخوة وأولاد الاخوات وبنو الاخوة للام وبنات الاعمام والعمات والاخوال والخالات والخلاف فى انه اذا لم يوجد ذو فرض أو عصبة فهل يورث ذوو الارحام أو يوضع المال فى بيت المال فعند أبى حنيفة على بيت المال للآية وعكس الشافعى قال ان الآية مجملة فى الشئ الذى حصلت فيه هذه الاولوية فلما قال فى كتاب الله كان معناه فى الحكم

المهاجرون قومهم المشركين وأرض الحرب من ولايتهم يعني من نصرتهم وميراثهم وقد ذكرت قول بعض من قال معنى الولاية ههنا الميراث وسأذكر ان شاء الله من حضرني ذكره بعد من شئ حتى يهاجروا قومهم ودورهم من دار الحرب الى دار الاسلام وان استنصروكم في الدين يعني بانهم من أهل دينكم على أعدائكم من المشركين فعليكم أيها المؤمنون من المهاجرين والانصار النصر الا ان يستنصروكم على قوم بينكم وبينهم ميثاق يعني عهد قد وثق به بعضكم على بعض ان لا يحاربه والله بما تعملون بصير يقول والله بما تعملون فيما أمركم ونهاكم في ولاية بعضكم بعضا أيها المهاجرون والانصار وترك ولاية من آمن ولم يهاجر ونصرتكم اياهم عند استنصاركم في الدين وغير ذلك من فرائض الله التي فرضها عليكم بصير يراه ويبصره فلا يخفى عليه من ذلك ولا من غيره شئ **حدثنا** محمد ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ما لكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا قال كان المسلمون يتوارثون بالهجرة وآخى النبي صلى الله عليه وسلم بينهم فكانوا يتوارثون بالاسلام والهجرة وكان الرجل يسلم ولا يهاجر ولا يرث أخاه فنسخ ذلك قوله وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين **حدثنا** محمد قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الزهري ان النبي صلى الله عليه وسلم أخذ على رجل دخل في الاسلام فقال تقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتحج البيت وتصوم رمضان وانك لا ترى نار مشرك الا وأنت حرب **حدثني** المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وان استنصروكم في الدين يعني ان استنصروكم الاعراب المسلمون أيها المهاجرون والانصار على عدوهم فعليكم ان تنصروهم الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس ترك النبي صلى الله عليه وسلم الناس يوم توفي على أربع منازل مؤمن مهاجر والانصار واعرابي مؤمن لم يهاجر ان استنصره النبي صلى الله عليه وسلم نصره وان تركه فهو اذنه وان استنصروا النبي صلى الله عليه وسلم في الدين كان حقا عليه ان ينصرهم فذلك قوله وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر والرابع التابعون باحسان **حدثت** عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد ابن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله ان الذين آمنوا وهاجروا الى آخر السورة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي وترك الناس على أربع منازل مؤمن مهاجر ومسلم اعرابي والذين آووا ونصروا والتابعون باحسان

القول في تأويل قوله (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير) يقول تعالى ذكره والذين كفروا بالله ورسوله بعضهم أولياء بعض يقول بعضهم أعوان بعض وأنصاره وأحق به من المؤمنين بالله ورسوله وقد ذكرنا قول من قال عنى بيان بعضهم أحق بميراث بعض من قرابتهم من المؤمنين وسنذكر بقية من حضرنا ذكره **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن السدي عن أبي مالك قال قال رجل نورث أرحامنا من المشركين فنزلت والذين كفروا بعضهم أولياء بعض الآية **حدثني** محمد ابن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله والذين كفروا بعضهم أولياء بعض الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير نزلت في مواريث مشركي أهل العهد **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا الى قوله وفساد كبير قال كان المؤمن المهاجر والمؤمن الذي ليس بمهاجر لا يتوارثان وان كانا أخوين مؤمنين قال وذلك لان هذا الدين كان بهذا البلد قليلا حتى كان يوم الفتح فلما كان يوم الفتح وانقطعت الهجرة توارثوا حيثما كانوا بالارحام وقال النبي

الذي بينه الله في كتابه فصارت هذه الآية مقيدة باحكام آية الميراث فلا تبقى حجة في توريث ذوي الارحام واعلم انه سبحانه قال في أول الآيات وجاهدوا باموالهم وأنفسهم في سبيل الله (٣٤) وفي براءة بتقديم في سبيل الله لان في هذه السورة تقدم ذكر المال والفداء والغنيمة في قوله تريدون عرض الدنيا وفي قوله لمسكم فيما أخذتم أي من الفداء وفي قوله فكلوا مما غنمتم وفي براءة تقدم ذكر الجهاد في سبيل الله وهو قوله ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم وفي قوله لمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله ثم انه حذف من الآية الثانية باموالهم وأنفسهم اكتفاء بما في الاولى وحذف من الثالثة في سبيل الله أيضا اكتفاء بما في الآيتين قبلها والله أعلم ثم ختم السورة بقوله ان الله بكل شئ عليم والمراد ان هذه الاحكام التي ذكرتها وفصلتها كلها حكمة وصواب وصلاح وليس فيها عيب وعبث لان العالم بجميع المعلومات لا يحكم الا بالصواب نظيره ان الملائكة لما قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها قال مجيبا لهم اني أعلم ما لا تعلمون * التأويل ما كان لنبي الروح ان يكون له نفس ماسورة وقوى موجهة الى تدبير أمور المعاش والدعوة الى الله وان كان تصرفا بالحق للحق حتى يثخن في أرض البشرية فيقتل القوى والنفوس المنطبعة بسيف الرياضة والمجاهدة ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الوحي يتحنث في غار حراء تريدون عرض الدنيا فيه اشارة الى أن الانسان اذا وكل الى نفسه وطبعه يكون مائلا الى الدنيا وأغراضها والله يريد الآخرة منكم أي ليس الانسان من حيث طبعه ان يميل الى الآخرة انما هو بتوفيق الله وبعنايته الازلية لولا كتاب من الله سبق بان الانسان لم يكون منجذبا نحو عالم الارواح بالسكينة وانما يكون متوسطا بين العالمين مراعيا للطرفين لمسكم فيما أخذتم من نور اعالنفس الماسورة وهو انقطاعهم الى تدبير البدن في امر عظيم ... التعليم والبعد عن عالم النور فكلوا مما غنمتم من أوقات الجهاد

صلى

صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح واقرؤا وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله * وقال آخرون معنى ذلك ان الكفار بعضهم أنصار بعض وانه لا يكون مؤمنا من كان مقيما بدار الحرب ولم يهاجر ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله والذين كفروا بعضهم أولياء بعض قال كان ينزل الرجل بين المسلمين والمشركين فيقول ان ظهر هؤلاء كنت معهم وان ظهر هؤلاء كنت معهم فابى الله عليهم ذلك وأنزل الله فلا تراءى نار مسلم ونار مشرك الا صاحب جزية مقر بالخراج حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال حض الله المؤمنين على التواصل فجعل المهاجرين والانصار أهل ولايته فى الدين دون من سواهم وجعل الكفار بعضهم أولياء بعض * وأما قوله الا تفعلوه تكن فتنة فى الارض وفساد كبير فان أهل التأويل اختلفوا فى تأويله فقال بعضهم معناه الا تفعلوا أيها المؤمنون ما أمرتم به من موارثة المهاجرين منكم بعضهم من بعض بالهجرة والانصار بالايمان دون أقربائهم من اعراب المسلمين دون الكفار تكن فتنة يقول يحدث بلاء فى الارض بسبب ذلك وفساد كبير يعنى ومعاصى الله ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله الا تفعلوه تكن فتنة فى الارض وفساد كبير الا تفعلوا هذا تتركوهم يتوارثون كما كانوا يتوارثون تكن فتنة فى الارض وفساد كبير قال ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الايمان الا بالهجرة ولا يجعلونهم منهم الا بالهجرة حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله والذين كفروا بعضهم أولياء بعض يعنى فى الميراث الا تفعلوه يقول الا تأخذوا فى الميراث بما أمرتكم به تكن فتنة فى الارض وفساد كبير * وقال آخرون معنى ذلك الا تناصروا أيها المؤمنون فى الدين تكن فتنة فى الارض وفساد كبير ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال جعل المهاجرين والانصار أهل ولايته فى الدين دون من سواهم وجعل الكفار بعضهم أولياء بعض ثم قال الا تفعلوه تكن فتنة فى الارض وفساد كبير ان يتولى المؤمن الكافر دون المؤمن ثم رد المواريث الى الارحام حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قوله الا تفعلوه تكن فتنة فى الارض وفساد كبير قال الا تعاونوا وتناصروا فى الدين تكن فتنة فى الارض وفساد كبير * قال أبو جعفر وأولى التأويلين بتأويل قوله والذين كفروا بعضهم أولياء بعض قول من قال معناه ان بعضهم أنصار بعض دون المؤمنين وانه دلالة على تحريم الله على المؤمن المقام فى دار الحرب وترك الهجرة لان المعروف فى كلام العرب من معنى الولى انه النصير والمعين أو ابن العم والنسيب فاما الوارث فغير معروف ذلك من معانيه الا بمعنى انه يليه فى القيام بارثه من بعده وذلك معنى بعيد وان كان قد يحتمله الكلام وتوجيه معنى كلام الله الى الاظهر الاشهر أولى من توجيهه الى خلاف ذلك واذ كان ذلك كذلك فبين ان أولى التأويلين بقوله الا تفعلوه تكن فتنة فى الارض وفساد كبير تأويل من قال الا تفعلوا ما أمرتكم به من التعاون والنصرة على الدين تكن فتنة فى الارض اذ كان مبتدأ الآية من قوله ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله بالحث على الموالاة على الدين والتناصر كذلك الواجب ان يكون خاتمتها به ۞ القول فى تأويل قوله (والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم) يقول تعالى ذكره والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمهاجرين معه ونصروهم ونصروا دين الله أولئك هم أهل الايمان بالله ورسوله حقا لا من آمن ولم يهاجر دار الشرك وأقام بين أظهر أهل

الا كبر من الانوار والاسرار عند رفع الاستار حلالا طيبا نفوسكم عن لوث محبتها فكل ما يشغل المرء عن الالتفات الى الله فهو شرك وصنم واتقوا الله عما سواه ان الله غفور يستر بانوار وجوده ظلمات وجودكم رحيم بكم حيث (٣٥) يغنيكم عنكم و يبقيكم به يا أيها النبى قل لمن فى أيديكم من النفوس المأسورة التى أسرت فى الجهاد الاكبر عند استيلاء سلطان الذل عليها ان يعلم الله فى قلوبكم خيرا من الاطمئنان الى ذكر الله والانقياد لاحكامه يؤتكم خيرا مما أخذ منكم من اللذات الفانية وأسبابها وذلك هو البقاء الحقيقى والذوق السرمدى وان يريدوا خيانتك يعنى الميل الى ماجبلت النفوس عليه من طموح الى الزخارف الدنيوية فقد خانوا الله من قبل التجاوز عن حدود الشريعة ورسوم الطريقة فامكن منهم عند استيلاء الذكر عليها وقتلها بسيف الرياضة والله عليم باحوالها حكيم فيما دبر من أمر جهادها وتزكيتها والذين آووا ذكر الله ومحبته فى القلوب ونصروا المحبة بالذكر الدائم والطلب القائم أولئك بعضهم أولياء بعض فى المرافقة والموافقة فى الطلب والسير الى الله والذين آمنوا بأن الطلب حق ولم يهاجروا عن أوصافهم وأفعالهم ووجودهم المجازى وان استنصروكم تمسكوا باذيال ارادة الواصلين منكم فعليكم النصر بان تدلوهم على طريق الحق بمعاملتكم وسيركم ليقتدوا بكم و باحوالكم الا على قوم أى الا على بعض أحوالكم مما صالحتهم عليه نفوسكم بعد ما جاهدتموها و أسرتموها وأمنتم شرها فلا تدلوا الطلاب على هذه الاحوال لئلا يميلوا الى الصلح فى أوان الجهاد فاولئك منكم بشير الى ان المتأخرين اذا دخلوا فى زمرة المتقدمين الواصلين فهم منهم وانهم ذو و رحم الوصول لانه ليس عند الله صباح ولا مساء ولهذا قال عليه السلام أمتى كالمطر لا يدرى أوّلهم خير أم آخرهم

(سورة التوبة مدنية حروفها ١٠٠٨٧ كلمها ٢٤٧٩ وآياتها ١٢٩) (براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا فى الارض

الشرك ولم يغزم المسلمين عدوهم لهم مغفرة يقول لهم ستر من الله على ذنوبهم يغفرها لهم عنها ورزق كريم يقول لهم في الجنة مطعم ومشرب هنيء كريم لا يتغير في أجوافهم فيصير نجوا ولكنه يصير رشحا كرشح المسك وهذه الآية تنبئ على صحة ما قلنا أن معنى قول الله بعضهم أولياء بعض في هذه الآية وقوله ما لكم من ولايتهم من شيء إنما هو النصر والمعونة دون الميراث لأنه جل ثناؤه عقب ذلك بالثناء على المهاجرين والأنصار والخبر عما لهم عنده دون من لم يهاجر بقوله والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا الآية ولو كان مرادا بالآيات قبل ذلك الدلالة على حكم ميراثهم لم يكن عقيب ذلك إلا الحث على مضي الميراث على ما أمر وفي صحة ذلك كذلك الدليل الواضح على أن لا ناسخ في هذه الآيات لشيء ولا منسوخ ۞ القول في تأويل قوله (والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم) يقول تعالى ذكره والذين آمنوا بالله ورسوله من بعد تبياني ما بينت من ولاية المهاجرين والأنصار بعضهم بعضا وانقطاع ولايتهم ممن آمن ولم يهاجر حتى يهاجر وهاجروا دار الكفر إلى دار الإسلام وجاهدوا معكم أيها المؤمنون فأولئك منكم في الولاية يجب عليكم لهم من الحق والنصرة في الدين والموارثة مثل الذي يجب لكم عليهم ولبعضكم على بعض كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن إسحق قال ثم رد المواريث إلى الأرحام التي بينهم فقال والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله أي في الميراث إن الله بكل شيء عليم ۞ القول في تأويل قوله (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله إن الله بكل شيء عليم) يقول تعالى ذكره والمتناسبون في الأرحام بعضهم أولى ببعض في الميراث إذا كانوا ممن قسم الله له منه نصيبا وحظا من الحليف والولي في كتاب الله يقول في حكم الله الذي كتبه في اللوح المحفوظ والسابق من القضاء إن الله بكل شيء عليم يقول إن الله عالم بما يصلح عباده في توريثه بعضهم من بعض في القرابة والنسب دون الحلف بالعقد وبغير ذلك من الأمور كلها لا يخفى عليه شيء منها * وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن المقدام قال ثنا المعتمر بن سليمان قال ثنا أبي قال ثنا قتادة أنه قال كان لا يرث الأعرابي المهاجر حتى أنزل الله وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا معاذ بن معاذ قال ثنا ابن عون عن عيسى بن الحرث أن أخاه شريح بن الحرث كانت له سرية فولدت منه جارية فلما شبت الجارية زوجت فولدت غلاما ثم ماتت السرية واختصم شريح بن الحرث والغلام إلى شريح القاضي في ميراثها فجعل شريح بن الحرث يقول ليس له ميراث في كتاب الله قال فقضى شريح بالميراث للغلام قال وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله فركب ميسرة بن يزيد إلى ابن الزبير وأخبره بقضاء شريح وقوله فكتب ابن الزبير إلى شريح أن ميسرة أخبرني أنك قضيت بكذا وكذا وقلت وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله وإنه ليس كذلك إنما نزلت هذه الآية أن الرجل كان يعاقد الرجل يقول ترثني وأرثك فنزلت وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله فجاء بالكتاب إلى شريح فقال شريح أعتقها جنين بطنها وأبى أن يرجع عن قضائه حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ثنا ابن علية عن ابن عون قال ثني عيسى بن الحرث قال كانت لشريح بن الحرث سرية فذكر نحوه إلا أنه قال في حديثه كان الرجل يعاقد الرجل يقول ترثني وأرثك فلما نزلت ترك ذلك

(القول في تفسير السورة التي يذكر فيها التوبة)

۞ القول في تأويل قوله عز ذكره (براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا

المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله إنهم ساء ما كانوا يعملون لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة وأولئك هم المعتدون فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين ونفصل الآيات لقوم يعلمون وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدؤكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء

والله عليم حكيم أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين في

وليجة والله خبير بما تعملون) القراءة ورسوله بالنصب روح وزيد الباقون بالرفع أئمة بهمزتين عاصم وحمزة وعلي وخلف وابن عامر هشام

فى الارض أربعة أشهر واعلموا انكم غير معجزى الله وان الله مخزى الكافرين) يعنى بقوله جل ثناؤه براءة من الله ورسوله هذه براءة من الله ورسوله فبراءة مرفوعة بمحذوف وهو هذه كما قوله سورة أنزلناها مرفوعة بمحذوف هو هذه ولو قال قائل براءة مرفوعة بالعائد من ذكرها فى قوله الى الذين عاهدتم وجعلها كالمعرفة برفع ما بعدها اذ كانت قد صارت بصلتها وهى قوله من الله ورسوله كالمعرفة وصار معنى الكلام براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين كان مذهبا غير مدفوع صحته وان كان القول الاول أعجب الى لان من شأن العرب ان يضمروا لكل معاين نكرة كان أو معرفة ذلك المعاين هذا وهذه فيقولون عند معاينتهم الشئ الحسن حسن والله والقبيح قبيح والله يريدون هذا حسن والله وهذا قبيح والله فلذلك اخترت القول الاول وقال براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم والمعنى الى الذين عاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من المشركين لان العهود بين المسلمين والمشركين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يتولى عقدها الا رسول الله صلى الله عليه وسلم أو من يعقدها بامره ولكنه خاطب المؤمنين بذلك لعلمهم بمعناه وان عقود النبى صلى الله عليه وسلم على أمته كانت عقودهم لانهم كانوا لكل أفعاله فيهم راضين ولعقوده عليهم مسلمين فصار عقده عليهم كعقودهم على أنفسهم فلذلك قال الى الذين عاهدتم من المشركين لما كان من عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده وقد اختلف أهل التأويل فيمن برئ الله ورسوله اليه من العهد الذى كان بينه وبين رسول الله من المشركين فاذن له فى السياحة فى الارض أربعة أشهر فقال بعضهم صنفان من المشركين أحدهما كانت مدة العهد بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم أقل من أربعة أشهر وأمهل بالسياحة أربعة أشهر والآخر منهما كانت مدة عهده بغير أجل محدود فقصر به على أربعة أشهر ليرتاد لنفسه ثم هو حرب بعد ذلك لله ولرسوله وللمؤمنين يقتل حيثما أدرك ويؤسر الا أن يتوب ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضى الله عنه أميرا على الحاج من سنة تسع ليقيم للناس حجهم والناس من أهل الشرك على منازلهم من حجهم فخرج أبو بكر ومن معه من المسلمين ونزلت سورة براءة فى بعض ما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين من العهد الذى كانوا عليه فيما بينه وبينهم ان لا يصد عن البيت أحد جاءه وان لا يخاف أحد فى الشهر الحرام وكان ذلك عهدا عاما بينه وبين الناس من أهل الشرك وكانت بين ذلك عهود بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قبائل من العرب خصائص الى أجل مسمى فنزلت فيه وفيمن تخلف عنه من المنافقين فى تبوك وفى قول من قال منهم فكشف الله فيها سرائر أقوام كانوا يستخفون بغير ما يظهرون منهم من سمى لنا ومنهم من لم يسم لنا فقال براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين أى لاهل العهد العام من أهل الشرك من العرب فسيحوا فى الارض أربعة أشهر الى قوله ان الله برىء من المشركين ورسوله أى بعد هذه الحجة * وقال آخرون بل كان امهال الله عز وجل بسياحة أربعة أشهر من كان من المشركين بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فاما من لم يكن له من رسول الله عهد فانما كان أجله خمسين ليلة وذلك عشرون من ذى الحجة والمحرم كله قالوا وانما كان ذلك كذلك لان أجل الذين لا عهد لهم كان الى انسلاخ الاشهر الحرم كما قال الله فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم الآية قالوا والنداء ببراءة كان يوم الحج الاكبر وذلك يوم النحر فى قول قوم وفى قول آخرين يوم عرفة وذلك خمسون يوما قالوا واما تأجيل الاشهر الاربعة فانما كان لاهل العهد بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من يوم نزلت براءة قالوا ونزلت فى أول شوال فكان مدة انقضاء أجلهم انسلاخ الاشهر الحرم وقد

يدخل بينهما مدة الباقون أئمة بهمزتم ياء لا ايمان بكسر الهمزة ابن عامر الباقون بالفتح جمع يمين يعملون بياء الغيبة عباس مخير * الوقوف من المشركين ط معجزى الله لا للعطف الكافرين ه من المشركين لا للعطف (٣٧) ورسوله ط لكم ج لابتداء الشرط مع الواو معجزى الله ط أليم ه لا للاستثناء مدتهم ط المتقين ه مرصد ج سبيلهم ط رحيم ه مأمنه ط لا يعلمون ه المسجد الحرام ج لان ما للجزاء مع اتصالها بالفاء فاستقيموا لهم ط المتقين ه ولا ذمة ط قلوبهم ج فاسقون ه ج لان ما بعده يصلح وصفا واستئنافا يعملون ه ولا ذمة ط المعتدون ه فى الدين ط يعلمون ه أئمة الكفر لا لتعلق لهم بقوله فقاتلوا وما بينهما اعتراض ينتهون ه أول مرة ط أتخشونهم ج لان ما بعده مبتدأ مع الفاء مؤمنين ه مؤمنين ه لا للعطف قلوبهم ط من يشاء ط حكيم ه وليجة ط تعملون ه * التفسير قد عد فى الكشاف من أسماء هذه السورة براءة وذلك واضح والتوبة لان فيها ذكر التوبة على المؤمنين والمقشقشة لانها تقشقش من النفاق أى تبرئ منه والمبعثرة والمثيرة والحافرة والفاضحة والمنكلة والمشردة والمخزية والمدمدمة لانها تبعثر عن أسرار المنافقين تبحث عنها وتثيرها وتحفر عنها وتفضحهم وتنكلهم وتشردهم وتخزيهم وتدمدم عليهم وعن حذيفة انكم تسمونها سورة التوبة وانما هى سورة العذاب والله ما تركت أحدا الا نالت منه وعن ابن عباس ما زالت تقول ومنهم ومنهم حتى حسبنا ان لا تدع أحدا وللعلماء خلاف فى سبب اسقاط التسمية من أولها فعن ابن عباس قال قلت لعثمان بن عفان فى ذلك فقال كان النبى صلى الله عليه وسلم كلما نزلت عليه سورة يقول ضعوها فى موضع كذا وكانت براءة من آخر القرآن نزولا وتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين موضعها وكانت قصتها شبيهة بقصة الانفال فقرنت بينهما وكأنه أراد بالتشابه ما روى عن أبى بن كعب ان فى الانفال ذكر العهود وفى براءة نبذ

كان بعض من يقول هذه المقالة يقول ابتداء التأجيل كان للفريقين واحدا أعني الذي له العهد والذي لاعهد له غير ان أجل الذي كان له عهد كان أربعة أشهر والذي لاعهد له انسلاخ الاشهر الحرم وذلك انقضاء المحرم ذكر من قال ذلك حدثنا المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله براءة من الله و رسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا فى الارض أربعة أشهر قال حد الله للذين عاهدوا رسوله أربعة أشهر يسيحون فيها حيث شاؤا وأجل من ليس عنده عهد انسلاخ الاشهر الحرم من يوم النحر الى انسلاخ المحرم خمسون ليلة فاذا انسلخ الاشهر الحرم أمره بان يضع السيف فيمن عاهد حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال لما نزلت براءة من الله الى وان الله مخزى الكافرين يقول براءة من المشركين الذين كان لهم عهد يوم نزلت براءة فجعل مدة من كان له عهد قبل أن تنزل براءة أربعة أشهر وأمرهم ان يسيحوا فى الارض أربعة أشهر وجعل مدة المشركين الذين لم يكن لهم عهد قبل أن تنزل براءة انسلاخ الاشهر الحرم وانسلاخ الاشهر الحرم من يوم اذن ببراءة الى انسلاخ المحرم وهى خمسون ليلة عشرون من ذى الحجة وثلاثون من المحرم فاذا انسلخ الاشهر الحرم الى قوله واقعدوا لهم كل مرصد يقول لم يبق لاحد من المشركين عهد ولا ذمة منذ نزلت براءة وانسلخ الاشهر الحرم ومدة من كان له عهد من المشركين قبل أن تنزل براءة أربعة أشهر من يوم اذن ببراءة الى عشر أول ربيع الآخر فذلك أربعة أشهر حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله براءة من الله و رسوله الى الذين عاهدتم من المشركين قبل أن تنزل براءة عاهد ناسا من المشركين من أهل مكة وغيرهم فنزلت براءة من الله الى كل أحد ممن كان عاهدك من المشركين فانى انقض العهد الذى بينك و بينهم فاؤجلهم أربعة أشهر يسيحون حيث شاؤا من الارض آمنين وأجل من لم يكن بينه و بين النبى صلى الله عليه وسلم عهد انسلاخ الاشهر الحرم من يوم اذن ببراءة وأذن بها يوم النحر فكان عشرين من ذى الحجة والمحرم ثلاثين فذلك خمسون ليلة فامر الله نبيه اذا انسلخ المحرم أن يضع السيف فيمن لم يكن بينه و بين نبى الله صلى الله عليه وسلم عهد يقتلهم حتى يدخلوا فى الاسلام وأمر لمن كان له عهد اذا انسلخ أربعة من يوم النحر أن يضع فيهم السيف أيضا يقتلهم حتى يدخلوا فى الاسلام فكانت مدة من لاعهد بينه و بين رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسين ليلة من يوم النحر ومدة من كان بينه و بين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد أربعة أشهر من يوم النحر الى عشر يخلون من شهر ربيع الآخر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله براءة من الله و رسوله الى قوله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم قال ذكر لنا ان عليا نادى بالاذان وأمر على الحاج أبو بكر رضى الله عنهما وكان العام الذى حج فيه المسلمون والمشركون ولم يحج المشركون بعد ذلك العام قوله الذين عاهدتم من المشركين الى قوله الى مدتهم قال هم مشركو قريش الذين عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن الحديبية وكان بقى من مدتهم أربعة أشهر بعد يوم النحر وأمر الله نبيه ان يوفى بعهدهم الى مدتهم ومن لاعهد له انسلاخ المحرم ونبذ الى ذى عهد عهده وأمر بقتالهم حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله لا يقبل منهم الا ذلك وقال آخرون كان ابتداء تأخير المشركين أربعة أشهر وانقضاء ذلك لجميعهم وقتا واحدا قالوا وكان ابتداؤه يوم الحج الاكبر وانقضاؤه انقضاء عشر من ربيع الآخر ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى براءة من الله و رسوله الى الذين عاهدتم من المشركين قال لما نزلت هذه الآية برئ من عهد كل مشرك ولم

الوحى لجوزنا مثله فى سائر السور وفى آيات السورة الواحدة وذلك يفضى الى تجويز الزيادة والنقصان فى القرآن على مايقول به الامامية * وقال بعض العلماء ان الصحابة اختلفوا فى أن الانفال مع التوبة سورتان أم سورة واحدة لانهما مائتان وست آيات فهما بمنزلة احدى الطوال وكلتاهما وردت فى القتال والمغازى فلما كان هذا الاختلاف فرجوا بينهما فرجة تنبيها على قول من يقول انهما سورتان ولم تكتب البسملة تنبيها على قول من يرى انهما واحدة فعلى هذا لا يدل على ان هذا الاشتباه حاصل وفيه انهم لم يسامحوا بهذا القدر من الشبهة دل على انهم كانوا متشددين فى ضبط الدين وحفظ القرآن من التغيير والتحريف وذلك يبطل قول الامامية وفيه دليل على ان البسملة آية من كل سورة والا جازت كتابتها ههنا بل عند كل مقطع كلام وعن ابن عباس سألت على بن أبى طالب رضى الله عنه عن ذلك فقال لان بسم الله الرحمن الرحيم أمان وهذه السورة نزلت بالسيف ونبذ العهود وذكر سفيان بن عيينة هذا المعنى وأكده بقوله تعالى ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا فقيل له أليس ان النبى صلى الله عليه وسلم كتب الى أهل الحرب بسم الله الرحمن الرحيم فاجاب بان ذلك ابتداء منه يدعوهم الى الله ولم ينبذ اليهم عهدهم ولهذا قال فى آخر الكتاب والسلام على من اتبع الهدى وههنا ... من زعم انهما سورة واحدة هو ان ختم الانفال وقع بايجاب ان يوالى المؤمنون بعضهم بعضا وان يكونوا منقطعين عن الكفار بالكلية وقوله براءة من الله و رسوله تأكيد لذلك الكلام وتقرير له ومعنى البراءة انقطاع العصمة وهى خبر مبتدأ محذوف ومن لابتداء الغاية متعلق بمحذوف والمعنى هذه براءة واصلة من الله و رسوله الى الذين عاهدتم كأنه قيل ...

تعاهد

يعاهد بعدها الامن كان عاهد واجرى لكل مدتهم فسيحوا فى الارض أربعة أشهر لمن دخل عهده فيها من عشر ذى الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الاول وعشر من شهر ربيع الآخر حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو معشر قال ثنا محمد بن كعب القرظى وغيره قالوا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر أميرا على الموسم سنة تسع وبعث على بن أبى طالب رضى الله عنهما بثلاثين أو أربعين آية من براءة فقرأها على الناس يؤجل المشركين أربعة أشهر يسيحون فى الارض فقرأ عليهم براءة يوم عرفة أجل المشركين عشرا من ذى الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الاول وعشرا من ربيع الآخر وقرأها عليهم فى منازلهم وقال لا يحجن بعد عامنا هذا مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة فسيحوا فى الارض أربعة أشهر عشرون من ذى الحجة والمحرم وصفر وربيع الاول وعشر من ربيع الآخر كان ذلك عهدهم الذى بينهم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد براءة من الله ورسوله الى أهل العهد خزاعة ومدلج ومن كان له من غيرهم اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك حين فرغ فاراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحج ثم قال انه يحضر المشركون فيطوفون عراة فلا أحب ان أحج حتى لا يكون ذلك فارسل أبا بكر وعليا رضى الله عنهما فطافا بالناس بذى المجاز وبامكنتهم التى كانوا يتبايعون بها بالموسم كلها فآذنوا أصحاب العهد بان يامنوا أربعة أشهر فهى الاشهر المتواليات عشرون من آخر ذى الحجة الى عشر يخلون من شهر ربيع الآخر ثم لا عهد لهم وآذن الناس كلهم بالقتال الا ان يؤمنوا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين قال أهل العهد مدلج والعرب الذين عاهدهم ومن كان له عهد قال أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك حين فرغ منها وأراد الحج ثم قال انه يحضر البيت مشركون يطوفون عراة فلا أحب ان أحج حتى لا يكون ذلك فارسل أبا بكر وعليا رضى الله عنهما فطافا بالناس بذى المجاز وبامكنتهم التى كانوا يتبايعون بها وبالموسم كله وآذنوا أصحاب العهد بان يامنوا أربعة أشهر فهى الاشهر الحرم المنسلخات المتواليات عشرون من آخر ذى الحجة الى عشر يخلون من شهر ربيع الآخر ثم لا عهد لهم وآذن الناس كلهم بالقتال الا ان يؤمنوا فآمن الناس أجمعون حينئذ ولم يسح أحد قال حين رجع من الطائف مضى من فوره ذلك فغزا تبوك بعد اذ جاء الى المدينة * وقال آخرون من قال ابتداء الاجل لجميع المشركين وانقضاؤه كان واحدا كان ابتداؤه يوم نزلت براءة وانقضاؤه انقضاء الاشهر الحرم وذلك انقضاء المحرم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الزهرى فسيحوا فى الارض أربعة أشهر قال نزلت فى شوال فهذه الاربعة الاشهر شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقال انما كان تاجيل الله الاشهر الاربعة المشركين فى السياحة لمن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد مدته أقل من أربعة أشهر واما من كان له عهد مدته أكثر من أربعة أشهر فانه أمر صلى الله عليه وسلم ان يتم له عهده الى مدته ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال قال الكلبى انما كانت الاربعة الاشهر لمن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد دون الاربعة الاشهر فاتم له الاربعة ومن كان له عهد أكثر من أربعة أشهر فهو الذى أمر ان يتم له عهده وقال أتموا اليهم عهدهم الى مدتهم * قال أبو جعفر رحمه الله وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب قول من قال الاجل الذى جعله الله لاهل العهد من المشركين وأذن لهم بالسياحة فيه بقوله فسيحوا فى الارض أربعة أشهر انما هو لاهل العهد الذين ظاهروا على رسول الله

من فلان الى فلان ويجوز ان يكون براءة مبتدأ لتخصصها بصفتها وهى الجار والمجرور كما قلنا والخبر محذوف كما ذكرنا نظيره قولك رجل من بنى تميم فى الدار كان قد أذن الله فى معاهدة المشركين فاتفق المسلمون مع رسول الله (٣٩) وعاهدوهم فلما نقضوا العهد أوجب الله النبذ اليهم وكأنه قيل للمسلمين اعلموا ان الله ورسوله قد برئا من العهد الذى عاهدتم به المشركين روى انهم كانوا عاهدوا المشركين من أهل مكة وغيرهم من العرب فنكثوا الا ناسا منهم وهم بنو ضمرة وبنو كنانة فنبذ العهد الى الناكثين وأمروا أن يسيحوا فى الارض أربعة أشهر آمنين أين ساروا والاشهر هى الحرم لقوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم والسياحة الضرب فى الارض والاتساع فى السير والبعد عن المدن وموضع العمارة مع الاقلال من الطعام والشراب ومنه يقال للصائم سائح لتركه المطعم والمشرب والمعنى فى هذا الامر اباحة الذهاب مع الامان وازالة الخوف روى ان فتح مكة كان سنة ثمان من الهجرة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولى عتاب بن أسيد الوقوف بالناس فى الموسم فاجتمع فى تلك السنة فى المواقف ومعالم الحج المسلمون والمشركون ونزلت هذه السورة سنة تسع وكان قد أمر فيها أبا بكر على الموسم فلما نزلت السورة اتبعه عليا ليكتب العضباء ليقرأها على أهل الموسم فقيل له لو بعثت بها الى أبى بكر فقال لا يؤدى عنى الا رجل منى فلما دنا على سمع أبو بكر الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لحقه قال أمير أو مأمور قال مأمور وروى ان أبا بكر لما كان ببعض الطريق هبط جبريل عليه السلام وقال يا محمد لا يبلغن رسالتك الا رجل منك فارسل عليا فرجع أبو بكر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أشئ نزل من السماء قال نعم فسر وانت على الموسم وعلى ينادى بالآى فلما كان قبل التروية خطب أبو بكر وحدثهم عن مناسكهم وقام على يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا أيها الناس انى رسول رسول

صلى الله عليه وسلم ونقضوا عهدهم قبل انقضاء مدته فاما الذين لم ينقضوا عهدهم ولم يظاهروا عليه فان الله جل ثناؤه أمر نبيه صلى الله عليه وسلم باتمام العهد بينه وبينهم الى مدته بقوله الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيأ ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين فان ظن ظان ان قول الله تعالى ذكره فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم يدل على خلاف ماقلنا في ذلك اذ كان ذلك ينبئ على ان الفرض على المؤمنين كان بعد انقضاء الاشهر الحرم قتل كل مشرك فان الامر في ذلك بخلاف ماظن وذلك ان الآية التى تتلوا ذلك تبين عن صحة ماقلنا وفساد ماظنه من ظن ان انسلاخ الاشهر الحرم كان يبيح قتل كل مشرك كان له عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم أولم يكن كان له منه عهد وذلك قوله كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين فهؤلاء مشركون وقد أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالاستقامة لهم في عهدهم مااستقاموا لهم بترك نقض صلحهم وترك مظاهرة عدوهم عليهم وبعد ففي الاخبار المتظاهرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه حين بعث عليا رضى الله عنه ببراءة الى أهل العهود بينه وبينهم أمره فيما أمره ان ينادى به فيهم ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فعهده الى مدته أوضح الدليل على صحة ماقلنا وذلك ان الله لم يأمر نبيه صلى الله عليه وسلم بنقض عهد قوم كان عاهدهم الى أجل فاستقاموا على عهدهم بترك نقضه وانه انما أجل أربعة أشهر من كان قد نقض عهده قبل التأجيل أومن كان له عهد الى غير أجل محدود فامامن كان أجل عهده محدودا ولم يجعل بنقضه على نفسه سبيلا فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان باتمام عهده الى غاية أجله مأمورا وبذلك بعث مناديه ينادى به في أهل الموسم من العرب حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا قيس عن مغيرة عن الشعبي قال ثنى محرز بن أبي هريرة عن أبي هريرة رضى الله عنه قال كنت مع على رضى الله عنه حين بعثه النبي صلى الله عليه وسلم ينادى فكان اذا صحل صوته ناديت قلت باى شئ كنتم تنادون قال باربع لا يطف بالكعبة عريان ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فعهده الى مدته ولا يدخل الجنة الا نفس مؤمنة ولا يحج بعد عامنا هذا مشرك حدثنى محمد بن عمر قال ثنا عفان قال ثنا قيس بن الربيع قال ثنا الشيبانى عن الشعبي قال أخبرنا المحرز بن أبي هريرة عن أبيه قال كنت مع على رضى الله عنه فذكر نحوه الا أنه قال ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فعهده الى أجله وقد حدث بهذا الحديث شعبة فخالف قيسا في الاجل فحدثنى يعقوب بن ابراهيم ومحمد بن المثنى قالا ثنا عثمان بن عمر قال ثنا شعبة عن المغيرة عن الشعبي عن المحرز بن أبي هريرة عن أبيه قال كنت مع على حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ببراءة الى أهل مكة فكنت أنادى حتى صحل صوتى فقلت باى شئ كنت تنادى قال أمرنا أن ننادى انه لا يدخل الجنة الا مؤمن ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فاجله الى أربعة أشهر فاذا حل الاجل فان الله برئ من المشركين ورسوله ولا يطيف بالبيت عريان ولا يحج بعد العام مشرك * قال أبو جعفر رحمه الله وأخشى ان يكون هذا الخبر وهما من ناقله في الاجل لان الاخبار متظاهرة في الاجل بخلافه مع خلاف قيس شعبة في نفس هذا الحديث على مابينته حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن أبي اسحق عن الحرث الاعور عن على رضى الله عنه قال أمرت باربع أمرت ان لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطف رجل بالبيت عريانا ولا يدخل الجنة الا كل نفس مسلمة وان يتم كل عهد عهده حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد

الله اليكم فقالوا عند ذاك فعرأ عليهم ثلاثين أو أربعين آية وعن مجاهد ثلاث عشرة ثم قال أمرت باربع أن لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل البيت الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذى عهد عهده فقالوا عند ذلك يا على ابلغ ابن عمك انا قد نبذنا العهد وراء ظهورنا وانه ليس بيننا وبينه عهد الا طعن الرماح وضرب بالسيوف استدلت الامامية بهذه القصة على تفضيل على كرم الله وجهه وعلى تقدمه وأجاب أهل السنة بانه أمر أبا بكر على الموسم وبعث عليا خلفه لتبليغ هذه الرسالة حتى يصلى على خلف أبى بكر ويكون ذلك جاريا مجرى التنبيه على امامة أبى بكر وأما قوله لا يبلغ عنى الا رجل منى فذلك لان المتعارف بين العرب انه اذا عقد السيد الكبير منهم لقوم حلفا أو عاهد عهدا لم يحل ذلك العهد الا هو أو رجل من ذوى قرابته كأخ أو عم فلو تولاه أبو بكر لجاز ان يقولوا هذا خلاف مانعرف فينا في نقض العهد فازيلت علتهم بتولية ذلك عليا وقيل لما أحضر أبا بكر لتولية أمر الموسم أحضر عليا لهذا التبليغ تطييبا للقلوب ورعاية للجوانب ولنرجع الى التفسير قال ابن الانبارى في الكلام اضمار والتقدير فقل لهم سيحوا ويكون ذلك رجوعا من الغيبة الى الحضور كقوله وسقاهم ربهم شرابا طهورا ان هذا كان لكم جزاء واختلفوا في الاشهر الاربعة فعن الزهرى ان براءة نزلت في شوال والمراد شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقيل هى عشرون من ذى الحجة والمحرم وصفر وربيع الاول وعشر من ربيع الآخر وكانت حرما لانهم أومنوا فيها وحرم قتلهم وقتالهم أو سميت حرما على التغليب لان ذا الحجة والمحرم منها وقيل ابتداء المدة من عشر ذى القعدة الى عشر من ربيع الاول لان الحج في تلك السنة كان في ذلك الوقت للنسىء الذى كان فيهم ثم صار في السنة الثانية في ذى الحجة قال المفسرون هذا تأجيل من الله للمشركين فمن كانت مدة عهده أكثر من أربعة أشهر حطت الى

قال

قال ثنا اسرائيل عن أبي اسحق عن زيد بن يثيع قال نزلت براءة فبعث بها رسول الله صلى الله عليه وسلم أبابكر ثم أرسل عليا فاخذها منه فلما رجع أبو بكر قال هل نزل في شئ قال لا ولكني أمرت ان أبلغها أنا أو رجل من أهل بيتي فانطلق الى مكة فقام فيهم بار بع ان لا يدخل مكة مشرك بعد عامه هذا ولا يطف بالكعبة عريان ولا يدخل الجنة الا نفس مسلمة ومن كان بينه وبين رسول الله عهد فعهده الى مدته حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو اسامة عن زكريا عن أبي اسحق عن زيد بن يثيع عن علي قال بعثني النبي صلى الله عليه وسلم حين أنزلت براءة بار بع أن لا يطف بالبيت عريان ولا يقرب المسجد الحرام مشرك بعد عامهم هذا ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو الى مدته ولا يدخل الجنة الا نفس مسلمة حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الاعلى عن معمر عن أبي اسحق عن الحرث بن علي رضي الله عنه قال بعث الى أهل مكة بار بع ثم ذكر الحديث حدثنا ابراهيم بن سعيد الجوهري قال ثنا حسين بن محمد قال ثنا سليمان بن قرم عن الاعمش عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا بكر ببراءة ثم اتبعه عليا فاخذها منه فقال أبو بكر رضي الله عنه يا رسول الله حدث في شئ قال لا أنت صاحبي في الغار وعلى الحوض ولا يؤدي عني الا أنا أو علي وكان الذي بعث به عليا أربعا لا يدخل الجنة الا نفس مسلمة ولا يحج بعد العام مشرك ولا يطف بالبيت عريان ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو الى مدته حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن ابن أبي خالد عن عامر قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم عليا رضي الله عنه فنادى ألا لا يحجن بعد العام مشرك ولا يطف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا نفس مسلمة ومن كان بينه وبين رسول الله عهد فاجله الى مدته والله بريء من المشركين ورسوله حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنا محمد بن اسحق عن حكيم بن حكيم عن عباد بن حنيف عن أبي جعفر محمد بن علي بن حسين بن علي قال لما نزلت براءة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان بعث أبا بكر الصديق رضي الله عنه ليقيم الحج للناس قيل له يا رسول الله لو بعثت الى أبي بكر فقال لا يؤدي عني الا رجل من أهل بيتي ثم دعا علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال أخرج بهذه القصة من صدر براءة وأذن في الناس يوم النحر اذا اجتمعوا بمنى انه لا يدخل الجنة كافر ولا يحج بعد العام مشرك ولا يطف بالبيت عريان ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو الى مدته فخرج علي بن أبي طالب رضي الله عنه على ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العضباء حتى أدرك أبا بكر الصديق بالطريق فلما رآه أبو بكر قال أمير أو مأمور فقال مأمور ثم مضيا رضي الله عنهما فاقام أبو بكر للناس الحج والعرب اذ ذاك في تلك السنة على منازلهم من الحج التي كانوا عليها في الجاهلية حتى اذا كان يوم النحر قام علي بن أبي طالب رضي الله عنه فاذن في الناس بالذي أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس لا يدخل الجنة الا نفس مسلمة ولا يحج بعد العام مشرك ولا يطف بالبيت عريان ومن كان له عهد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو له الى مدته فلم يحج بعد ذلك العام مشرك ولم يطف بالبيت عريان ثم قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان هذا من براءة فيمن كان من أهل الشرك من أهل العهد العام وأهل المدة الى الاجل المسمى حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قال لما نزلت هذه الآيات الى رأس أربعين آية فبعث بهن رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر وأمره على الحج فلما سار فبلغ الشجرة من ذي الحليفة أتبعه بعلي فأخذها منه فرجع أبو بكر الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله بأبي أنت وأمي أنزل في شأني شئ قال لا ولكن لا يبلغ عني غيري أو رجل مني أما ترضى يا أبا بكر انك كنت معي في الغار وانك صاحبي على

أربعة ومن كانت مدته أقل رفعت اليها والمقصود من هذا التأجيل ان يتفكروا في أنفسهم ويحتاطوا في الامر ويعلموا انه ليس لهم بعد هذه المدة الا أحد أمور ثلاثة الاسلام أو قبول الجزية أو السيف فيصير ذلك حاملا لهم على قبول الاسلام ظاهرا والى هذا المعنى أشار بقوله واعلموا انكم غير معجزي الله أي اعلموا ان هذا الامهال ليس لعجز ولكن لمصلحة ولطف ليتوب من تاب وفيه ضرب من التهديد كانه قيل افعلوا في هذه المدة كل ما أمكنكم من اعداد الآلات والادوات فانكم لا تفوتون الله وهو مخزيكم أي مذلكم في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالعذاب وقوله مخزي الكافرين من باب الالتفات من الحضور الى الغيبة ومن وضع الظاهر موضع المضمر ليكون فيه اشارة الى ان سبب الاخزاء هو الكفر ثم أراد ان يعلم جميع الناس البراءة المذكورة فقال وأذان وارتفاعه كارتفاع براءة على الوجهين ثم الجملة معطوفة على مثلها وخطئ الزجاج في قوله انه معطوف على براءة لانه لو عطف عليها لكان هو أيضا مخبرا عنه بالخبر الاول وهو الى الذين عاهدتم لكنه غير مقصود بل المقصود الاخبار عنه بقوله الى الناس والاذان اسم بمعنى الايذان الاعلام كالامان والعطاء بمعنى الايمان والاعطاء ومنه أذان الصلاة أمر الله تعالى بهذا الاعلام يوم الحج الاكبر وهو الجمع الاعظم الذي حضر فيه المؤمن والمشرك والمعاهد الناكث وغير الناكث ليصل الخبر الى جميع الاطراف ويشتهر وكان النبي صلى الله عليه وسلم يريد أن يحج في السنة الآتية فامر باظهار هذه البراءة لئلا يحضر الموقف غير المؤمنين الموحدين وقيل يوم الحج الاكبر يوم عرفة لان معظم أعمال الحج وهو الوقوف بعرفة ولهذا قال صلى الله عليه وسلم الحج عرفة وهو قول عمر وسعيد بن المسيب وابن الزبير وعطاء وطاوس ومجاهد والحسن في احدى الروايتين عن علي عليه

الحوض قال بلى يا رسول الله فسار أبو بكر على الحاج وعلى يؤذن ببراءة فقام يوم الاضحى فقال لا يقرب المسجد الحرام مشرك بعد عامه هذا ولا يطوفن بالبيت عريان ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فله عهده الى مدته وان هذه أيام أكل وشرب وان الله لا يدخل الجنة الا من كان مسلما فقالوا نحن نبرأ من عهدك وعهد ابن عمك الا من الطعن والضرب فرجع المشركون فلام بعضهم بعضا وقالوا ما تصنعون وقد أسلمت قريش فاسلموا **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أبي اسحق عن زيد بن يثيع عن على قال أمرت باربع ان لا يقرب البيت بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا نفس مسلمة وان يتم الى كل ذى عهد عهده قال معمر وقاله قتادة * قال أبو جعفر رحمه الله فقد أنبأت هذه الاخبار ونظائرها عن صحة ما قلنا وان أجل الاشهر الاربعة انما كان لمن وصفنا فاما من كان عهده الى مدة معلومة فلم يجعل لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين لنقضه ومظاهرة أعدائهم عليهم سبيلا فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وفى له بعهده الى مدته عن أمر الله اياه بذلك وعلى ذلك دل ظاهر التنزيل وتظاهرت به الاخبار عن الرسول صلى الله عليه وسلم واما الاشهر الاربعة فانها كانت أجل من ذكرنا وكان ابتداؤها يوم الحج الاكبر وانقضاؤها انقضاء عشر من ربيع الآخر فذلك أربعة أشهر متتابعة جعل لاهل العهد الذين وصفنا أمرهم فيها السياحة فى الارض يذهبون حيث شاؤا لا يعرض لهم فيها من المسلمين أحد بحرب ولا قتل ولا سلب فان قال قائل فاذ كان الامر فى ذلك كما وصفت فما وجه قوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقد علمت ان انسلاخها انسلاخ المحرم وقد زعمت ان تاجيل القوم من الله ومن رسوله كان أربعة أشهر وانما بين يوم الحج الاكبر وانسلاخ الاشهر الحرم خمسون يوما أكثره فاين الخمسون يوما من الاشهر الاربعة قيل ان انسلاخ الاشهر الحرم انما كان أجل من لا عهد له من المشركين من رسول الله صلى الله عليه وسلم والاشهر الاربعة لمن له عهد اما الى أجل غير محدود واما الى أجل محدود قد نقضه فصار بنقضه اياه بمعنى من خيف خيانته فاستحق النبذ اليه على سواء غير انه جعل له الاستعداد لنفسه والارتياد لها من الاجل الاربعة الاشهر ألا ترى الله يقول لاصحاب الاشهر الاربعة ويصفهم بانهم أهل عهد براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا فى الارض أربعة أشهر واعلموا انكم غير معجزى الله ووصف المجعول لهم انسلاخ الاشهر الحرم أجلا بانهم أهل شرك لا أهل عهد فقال وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر ان الله برىء من المشركين ورسوله الآية الا الذين عاهدتم من المشركين الآية ثم قال فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم فامر بقتل المشركين الذين لا عهد لهم بعد انسلاخ الاشهر الحرم وباتمام عهد الذين لهم عهد اذا لم يكونوا نقضوا عهدهم بالمظاهرة على المؤمنين وادخال النقض فيه عليهم فان قال قائل وما الدليل على أن ابتداء التأجيل كان يوم الحج الاكبر دون ان يكون كان من شوال على ما قاله قائلوا ذلك قيل له ان قائلى ذلك زعموا أن التأجيل كان من وقت نزول براءة وذلك غير جائز أن يكون صحيحا لان المجعول له اجل السياحة الى وقت محدود اذا لم يعلم ما جعل له ولا سيما مع عهد له قد تقدم قبل ذلك بخلافه فكمن لم يجعل له ذلك لانه اذا لم يعلم ماله فى الاجل الذى جعل له وما عليه بعد انقضائه فهو كهيئته قبل الذى جعل له من الاجل ومعلوم ان القوم لم يعلموا بما جعل لهم من ذلك الاحين نودى فيهم بالموسم واذا كان ذلك كذلك صح ان ابتداءه ما قلنا وانقضاءه كان ما وصفنا واما قوله فسيحوا فى الارض أربعة أشهر فانه يعنى فسيروا فيها مقبلين ومدبرين آمنين غير خائفين من رسول الله صلى الله عليه وسلم واتباعه يقال منه

السلام وابن عباس ورواية المسور بن مخرمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية عرفة فقال اما بعد فان هذا يوم الحج الاكبر وقال ابن عباس فى رواية عطاء هو يوم النحر ووافقه قول الشعبى والسدى والمغيرة بن شعبة وسعيد بن جبير وذلك ان معظم أفعال الحج من الطواف والحلق والرمى والنحر يقع فيه ومثله ما روى عن على رضى الله عنه ان رجلا أخذ بلجام دابته فقال ما يوم الحج الاكبر فقال يومك هذا خل عن دابتى يعنى يوم النحر وعن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف يوم النحر عند الجمرات فى حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر وقال ابن جريج عن مجاهد يوم الحج الاكبر أيام منى كلها وهو قول سفيان الثورى وكان يقول يوم الحج الاكبر أيامه كلها كيوم صفين ويوم الجمل يراد به الحين والزمان لان كل حرب من هذه الحروب دامت أياما كثيرة وعلى هذا فقد وصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر وقيل الحج الاكبر القران والاصغر الافراد عن مجاهد أيضا هذا وقد حذفت الباء التى هى صلة الاذان تخفيفا والتقدير بان الله برىء من المشركين وقوله ورسوله بالرفع مبتدأ محذوف الخبر أى ورسوله أيضا كذلك أو هو معطوف على المنوى فى برىء أى برىء هو ورسوله وجاز العطف من غير تاكيد بالمنفصل للفصل وقرئ بالجر على الجوار أو على ان الواو للقسم كقوله سبحانه لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون والفرق بين قوله براءة من الله وبين قوله ان الله برىء ان المقصود من الكلام الاول هو الاخبار بثبوت البراءة والمقصود من هذا الثانى اعلام جميع الناس بما حصل وثبت وأيضا المراد بالاول من انعهد وبالثانى البراءة التى هى نقيض الموالاة ولهذا لم يصف المشركين ثانيا بوصف معين كأنه علقه تنبيه على ان الموجب لهذه البراءة هو كفرهم وشركهم ولهذا اتبعه قوله فان تبتم أى عن الشرك فهو خير لكم

ساح

ساح فلان فى الارض يسيح سياحة وسيوحا وسيحانا واما قوله واعلموا انكم غير معجزى الله فانه يقول لاهل العهد من الذين كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد قبل نزول هذه الآية اعلموا أيها المشركون انكم ان سحتم فى الارض واخترتم ذلك مع كفركم بالله على الاقرار بتوحيد الله وتصديق رسوله غير معجزى الله يقول غير مفيتيه بانفسكم لانكم حيث ذهبتم وأين كنتم من الارض ففى قبضته وسلطانه لا يمنعكم منه وزير ولا يحول بينكم وبينه اذا أرادكم بعذاب معقل ولا موئل الا الايمان به وبرسوله والتوبة من معصيته يقول فبادروا عقوبته بتوبة ودعوا السياحة التى لا تنفعكم واما قوله وان الله مخزى الكافرين يقول واعلموا ان الله مذل الكافرين ومورثهم العار فى الدنيا والنار فى الآخرة ۞ القول فى تأويل قوله عز ذكره (وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر ان الله برىء من المشركين ورسوله) يقول تعالى ذكره واعلام من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر وقد بينا معنى الاذان فيما مضى من كتابنا هذا بشواهده وكان سليمان بن موسى يقول فى ذلك ما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال زعم سليمان بن موسى الشامى ان قوله وأذان من الله ورسوله قال الاذان القصص فاتحة براءة حتى تختم وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله فذلك ثمان وعشرون آية حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وأذان من الله ورسوله قال اعلام من الله ورسوله ورفع قوله وأذان من الله عطفا على قوله براءة من الله كأنه قال هذه براءة من الله ورسوله وأذان من الله واما قوله يوم الحج الاكبر فان فيه اختلافا بين أهل العلم فقال بعضهم هو يوم عرفة ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال أخبرنا أبو زرعة وهبة الله بن راشد قال أنا حيوة بن شريح قال أخبرنا أبو صخر انه سمع أبا معاوية البجلى من أهل الكوفة يقول سمعت أبا الصهباء البكرى وهو يقول سألت على بن أبى طالب رضى الله عنه عن يوم الحج الاكبر فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا بكر بن أبى قحافة رضى الله عنه يقيم للناس الحج وبعثنى معه بأربعين آية من براءة حتى أتى عرفة فخطب الناس يوم عرفة فلما قضى خطبته التفت الى فقال قم يا على وأد رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقمت وقرأت عليهم أربعين آية من براءة ثم صدرنا حتى أتينا منى فرميت الجمرة ونحرت البدنة ثم حلقت رأسى وعلمت ان أهل الجمع لم يكونوا حضروا خطبة أبى بكر يوم عرفة فطفقت أتتبع بها الفساطيط اقرؤها عليهم فمن ثم حسبتم انه يوم النحر الا وهو يوم عرفة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أبى اسحق قال سألت أبا جحيفة عن يوم الحج الاكبر فقال يوم عرفة فقلت أمن عندك أو من أصحاب محمد قال كل ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن جريج عن عطاء قال الحج الاكبر يوم عرفة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن عمر بن الوليد الشنى عن شهاب بن عباد العصرى عن أبيه قال قال عمر رضى الله عنه يوم الحج الاكبر يوم عرفة فذكرته لسعيد بن المسيب فقال أخبرك عن ابن عمر ان عمر قال الحج الاكبر عرفة حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا عمر بن الوليد الشنى قال ثنا شهاب بن عباد العصرى عن أبيه قال سمعت عمر بن الخطاب رحمة الله عليه يقول هذا يوم عرفة يوم الحج الاكبر فلا يصومنه أحد قال فحججت بعد أبى فأتيت المدينة فسألت عن أفضل أهلها فقالوا سعيد بن المسيب فأخبرنى عن صوم يوم عرفة فقلت أخبرت عمن هو أفضل منى أضعافا عمر أو ابن عمر كان ينهى عن صومه ويقول هو الحج الاكبر حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا عبد الصمد بن حبيب عن معقل بن داود قال سمعت ابن الزبير يقول يوم عرفة هذا اليوم الحج الاكبر فلا

وفيه ترغيب فى التوبة والاقلاع الموجب لزوال البراءة وان توليتم أعرضتم عن التوبة أو بقيتم على التولى والاعراض عن الايمان والوفاء فاعلموا أنكم غير فائتين أخذ الله وعقابه قال بعض العلماء قوله سبحانه واعلموا أنكم غير معجزى الله ليس بتكرار لان الاول للمكان والثانى للزمان وبشر يا محمد أو يا من له أهلية الخطاب وفيه من التهكم والتهديد ما فيه كيلا يظن ان عذاب الدنيا لو فات وزال خلصوا من العذاب بل العذاب الشديد معد لهم يوم القيامة اما قوله الا الذين فقد قال الزجاج ان الاستثناء يعود الى قوله براءة والتقدير براءة من الله ورسوله الى المشركين المعاهدين الا الذين لم ينقضوا العهد وقال فى الكشاف وجهه ان يكون مستثنى من قوله فسيحوا فى الارض لان الكلام خطاب للمسلمين والتقدير فقولوا لهم سيحوا الا الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقضوا فأتموا اليهم عهدهم وقيل استثناء من قوله الا الذين عاهدتم ومعنى لم ينقصوكم شيأ لم يقتلوا منكم أحدا ولم يضروكم قط ومعنى لم يظاهروا لم يعاونوا أى لم يقدموا على المحاربة بأنفسهم ولم يهيجوا أقواما آخرين وقرئ ينقضوكم بالضاد المعجمة أى لم ينقضوا عهدكم ومعنى فأتموا اليهم أدوه اليهم تاما كاملا قال ابن عباس بقى لحى من كنانة من عهدهم تسعة أشهر فأتم اليهم عهدهم ثم ختم الآية بقوله ان الله يحب المتقين يعنى ان قضية التقوى ان لا يسوى بين القبيلتين ولا يجعل الوفى كالغادر ومن جملة الغادرين بنو بكر عدوا على خزاعة عيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله الانصار كرشى وعيبتى أراد انهم بطانتى وموضع سرى وأمانتى وظاهرتهم قريش بالسلاح حتى وفد عمرو بن سالم الخزاعى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنشد

لاهم انى ناشد محمدا ۞ حلف أبينا وأبيك الاتلدا
ان قريشا أخلفوك الموعدا ۞ ونقضوا ذمامك المؤكدا
هم بيتونا بالحطيم هجدا ۞ وقتلونا ركعا وسجدا

فقال النبى صلى الله عليه وسلم لا نصرت ان لم أنصركم ومعنى ناشد

محمدا أذكره الحلف والعهد لانه كان بين أبيه عبد المطلب وبين خزاعة حلف قديم والاتلد الاقدم ثم بين حكم انقضاء أجل الناكثين فقال
فاذا انسلخ الاشهر الحرم أى التى أبيح فيها للناكثين (٤٤) ان يسيحوا وانسلاخ الشهر تكامله جزأ فجزأ الى أن ينقضى كانسلاخ الجلد عم

يصمه أحد حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا غالب بن عبيد الله قال سألت عطاء عن يوم الحج الاكبر فقال يوم عرفة فأفض منها قبل طلوع الفجر حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد ابن بكر عن ابن جريج قال أخبرنى محمد بن قيس بن مخرمة قال خطب النبى صلى الله عليه وسلم عشية عرفة ثم قال اما بعد وكان لا يخطب الا قال أما بعد فان هذا يوم الحج الاكبر حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا عبد الوهاب عن مجاهد قال يوم الحج الاكبر يوم عرفة حدثنى الحرث قال ثنا القاسم قال ثنا اسحق بن سليمان عن سلمة بن نجب عن عكرمة عن ابن عباس قال يوم الحج الاكبر يوم عرفة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرنى طاوس عن أبيه قال قلنا ما الحج الاكبر قال يوم عرفة حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال أخبرنا ابن جريج عن محمد بن قيس بن مخرمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب يوم عرفة فقال هذا يوم الحج الاكبر وقال آخرون هو يوم النحر ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا أبو عاصم قال ثنا سفيان عن أبى اسحق عن الحرث عن على قال يوم الحج الاكبر يوم النحر حدثنا أبو كريب قال ثنا مصعب بن سلام عن الاجلح عن أبى اسحق عن الحرث قال سمعت عليا يقول الحج الاكبر يوم النحر حدثنا ابن أحمد قال ثنا حكام قال ثنا عيينة عن أبى اسحق عن الحرث قال سألت عليا عن الحج الاكبر فقال هو يوم النحر حدثنا ابن أبى الشوارب قال ثنا عبد الواحد قال ثنا سليمان الشيبانى قال سألت عبد الله بن أبى أوفى عن الحج الاكبر قال فقال يوم النحر حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عياش العامرى عن عبد الله بن أبى أوفى قال يوم الحج الاكبر يوم النحر قال ثنا سفيان عن عبد الملك بن عمير عن عبد الله بن أوفى قال يوم الحج الاكبر يوم النحر حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن عبد الملك قال دخلت أنا وأبو سلمة على عبد الله بن أبى أوفى قال فسألته عن يوم الحج الاكبر فقال يوم النحر يوم تهراق فيه الدم حدثنا عبد الحميد بن سنان قال أخبرنا اسحق عن سفيان عن عبد الملك بن عمير عن عبد الله قال يوم الحج الاكبر يوم النحر حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ثنا ابن ادريس عن النسائى قال سألت ابن أبى أوفى عن يوم الحج الاكبر قال هو يوم النحر حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا النسائى عن عبد الله بن أوفى قال يوم الحج الاكبر يوم النحر قال ثنا هشيم قال أخبرنا عبد الملك بن عمير قال سمعت عبد الله بن أبى أوفى وسئل عن قوله يوم الحج الاكبر قال هو اليوم الذى يراق فيه الدم ويحلق فيه الشعر حدثنا ابن المثنى قال ثنا أبو داود قال ثنا شعبة عن الحكم قال سمعت يحيى بن الجزار يحدث عن على انه خرج يوم النحر على بغلة بيضاء يريد الجبانة فجاءه رجل فأخذ بلجام بغلته فسأله عن الحج الاكبر فقال هو يومك خل سبيلها حدثنا عبد الحميد بن بشار قال ثنا اسحق عن مالك بن مغول وشقير عن أبى اسحق عن الحرث عن على قال يوم الحج الاكبر يوم النحر حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن أبى اسحق عن الحرث عن على قال سئل عن يوم الحج الاكبر قال هو يوم النحر حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن شعبة عن الحكم عن يحيى بن الجزار عن على انه لقيه رجل يوم النحر فأخذ بلجامه فسأله عن يوم الحج الاكبر قال هو هذا اليوم حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن قيس عن عبد الملك بن عمير وعباس العامرى عن عبد الله بن أبى أوفى قال هو اليوم الذى يهراق فيه الدماء حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن عبد الملك بن عيينة عن ابن أبى أوفى قال الحج الاكبر يوم تهراق فيه الدماء ويحلق فيه الشعر ويحل فيه الحرام حدثنى عيسى بن عثمان بن عيسى الرملى قال ثنا

يحويه شبه خروج المتزمن عن زمانه بانفصال المتمكن عن مكانه فكلاهما ظرف فاقتلوا المشركين يعنى الناقضين حيث وجدتموهم من حل أو حرم وفى أى وقت كان وخذوهم وأسروهم والاخيذ الاسير واحصروهم امنعوهم من التصرف فى البلاد وقيدوهم وقال ابن عباس حصرهم ان يحال بينهم وبين المسجد الحرام واقعدوا لهم كل مرصد أى فى كل ممر ومجاز ترقبوهم هنالك وانتصابه على الظرف كما مر فى قوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ان حصلوا على شروطها فخلوا سبيلهم المراد من التخلية الكف عنهم أو اطلاقهم من الاسر والحصر عن البيت الحرام أو عن التصرف فى مهماتهم ان الله غفور رحيم يغفر لهم ما سلف لهم من الكفر والغدر قال الشافعى انه تعالى أباح دماء الكفار بجميع الطرق والاحوال ثم حرمها عند التوبة عن الكفر واقامة الصلاة وايتاء الزكاة فما لم يوجد أحد هذه الامور لم يوجد هذا المجموع فوجب أن يبقى اباحة الدم على الاصل فتارك الصلاة يقتل ولعل أبا بكر استدل بمثل ذلك على جواز قتال مانعى الزكاة وحمل أكثر الائمة الاقامة والايتاء ههنا على اعتقاد وجوبهما والاقرار بذلك وان كان عدولا عن الظاهر عن الحسن ان أسيرا نادى بحيث يسمع النبى صلى الله عليه وسلم أتوب الى الله ولا أتوب الى محمد ثلاثا فقال صلى الله عليه وسلم عرف الحق لاهله فارسلوه وقال بعض العلماء ذكر التوبة ههنا عبارة عن تطهير القوة النظرية عن الجهل وذكر الصلاة والزكاة عبارة عن تطهير القوة العملية عما لا ينبغى ولا ريب ان كمال السعادة منوط بهذا المعنى جعلنا

يحيى

الله من أهلها لما أوجب الله سبحانه بعد انسلاخ الاشهر الحرم قتل المشركين دل ذلك على ان حجة الله تعالى قد قامت عليهم وان ما ذكره الرسول قبل ذلك من أنواع الدلائل والبينات كفى في ازاحة علتهم فيفتح ذلك ان أحدا من المشركين لو طلب الدليل والحجة لم يلتفت اليه بل يطالب اما بالاسلام أو بالجزية أو بالقتل فأزال الله تعالى بكمال رأفته هذه الشبهة فقال وان أحد من المشركين استجارك الآية قال علماء العربية ارتفع أحد بفعل مضمر يفسره الظاهر تقديره وان استجارك أحد استجارك كرهوا الجمع بين المفسر والمفسر فحذفوا المفسر والغرض بناء الكلام على الابهام ثم التفسير من حيث ان ان من مظان وقوع الفعل بعده وأيضا ذكر الفاعل ههنا أهم لما بينا ان ظاهر الدليل يقتضي اباحة دم المشرك فقدم ليدل على مزيد العناية بصون دمه عن الاهدار يقال استجرت فلانا أي طلبت منه ان يكون جارا لي أي محاميا وحافظا من أن يظلمني ظالم ومنه يقال أجاره الله من العذاب أي أنقذه والمعنى وان جاءك أحد من المشركين بعد انسلاخ الاشهر لا عهد بينك وبينه فاستأمنك ليسمع ما تدعو اليه من التوحيد والقرآن فأمنه حتى يسمع كلام الله سماع تدبر وتأمل ثم أبلغه داره التي يأمن فيها ان لم يسلم ثم قاتله ان شئت فيها وفيه ان المقصود من شرع القتل قبول الدين والاقرار بالتوحيد وان النظر في دين الله من أعلى المقامات فان الكافر الذي دمه مهدر لما أظهر من نفسه كونه طالبا للنظر والاستدلال زال ذلك الاهدار ووجب على الرسول ان يبلغه مأمنه أما زمان مهلة النظر فليس في الآية ما يدل عليه ولعله مفوض الى اجتهاد الامام فمتى ظهر على المشرك علامات كونه طالبا للحق باحثا عن وجه الاستدلال أمهل وترك ومتى ظهر عليه كونه معرضا عن الحق دافعا للزمان بالا كاذيب لم يلتفت اليه وأبلغ المأمن وبسبب ان يقال المدة أربعة أشهر وعليه أجمع من مذهب الشافعي والمذكور في الآية كونه طالبا لسماع

يحيى بن عيسى عن الاعمش عن عبد الله بن بشار قال ثنا المغيرة بن شعبة يوم الاضحى على بعير فقال هذا يوم الاضحى وهذا يوم النحر وهذا يوم الحج الاكبر حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن الاعمش عن عبد الله بن سنان قال خطبنا المغيرة بن شعبة يوم الاضحى على بعير وقال هذا يوم الاضحى وهذا يوم النحر وهذا يوم الحج الاكبر حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن الاعمش عن عبد الله بن سنان قال خطبنا المغيرة بن شعبة فذكر نحوه حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن سعيد عن حماد بن سلمة عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال الحج الاكبر يوم النحر حدثنا ابن أبي الشوارب قال ثنا عبد الواحد قال ثنا سليمان الشيباني قال سمعت سعيد بن جبير يقول الحج الاكبر يوم النحر حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الله عن اسرائيل عن أبي اسحق عن أبي جحيفة قال الحج الاكبر يوم النحر حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي بشر قال اختصم علي بن عبد الله بن عباس ورجل من شيبة في يوم الحج الاكبر قال علي هو يوم النحر وقال الذي من آل شيبة هو يوم عرفة فأرسل الى سعيد بن جبير فسألوه فقال هو يوم النحر ألا ترى ان من فاته يوم عرفة لم يفته الحج فاذا فاته يوم النحر فقد فاته الحج حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا يونس عن سعيد بن جبير انه قال الحج الاكبر يوم النحر فقلت ان عبد الله بن شيبة ومحمد بن علي بن عبد الله بن عباس اختلفا في ذلك فقال محمد بن علي هو يوم النحر وقال عبد الله هو يوم عرفة فقال سعيد بن جبير أرأيت لو أن رجلا فاته يوم عرفة أكان يفوته الحج واذا فاته يوم النحر فاته الحج حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ثنا ابن ادريس عن الشيباني عن سعيد بن جبير قال الحج الاكبر يوم النحر حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه قال ثني رجل عن أبيه عن قيس بن عبادة قال ذو الحجة العاشر النحر وهو يوم الحج الاكبر حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبي اسحق عن عبد الله بن شداد قال يوم الحج الاكبر يوم النحر والحج الاصغر العمرة حدثنا عبد الحميد بن بيان قال أخبرنا اسحق عن شريك عن أبي اسحق عن عبد الله عن شداد بن الهاد قال الحج الاكبر يوم النحر حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربي عن مسلم الجهني قال سألت نافع بن جبير بن مطعم عن يوم الحج الاكبر قال يوم النحر حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن المغيرة عن ابراهيم قال كان يقال الحج الاكبر يوم النحر حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن اسرائيل عن جابر عن عامر قال يوم الحج الاكبر يوم يهراق فيه الدم ويحل فيه الحرام حدثني يعقوب قال ثنا عنبسة قال أخبرنا مغيرة عن ابراهيم انه قال يوم الحج الاكبر يوم النحر الذي يحل فيه كل حرام قال حدثنا عنبسة عن اسمعيل بن أبي خالد عن الشعبي عن علي قال يوم الحج الاكبر يوم النحر حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو اسامة عن ابن عون قال سألت محمدا عن يوم الحج الاكبر فقال كان يوما وافق فيه حج رسول الله صلى الله عليه وسلم وحج أهل الوبر حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم بن بشير قال ثنا عمر بن ذر قال سألت مجاهدا عن يوم الحج الاكبر فقال هو يوم النحر حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا اسرائيل عن أبي اسحق عن مجاهد يوم الحج الاكبر يوم النحر حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن ثوير عن مجاهد يوم الحج الاكبر يوم النحر حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن جابر عن عامر قال يوم الحج الاكبر يوم النحر وقال عكرمة يوم الحج الاكبر يوم النحر يوم يهراق فيه الدماء ويحل فيه الحرام قال وقال مجاهد يوم يجمع فيه الحج كله وهو يوم الحج الاكبر قال حدثنا اسرائيل عن عبد الاعلى عن محمد بن علي يوم الحج الاكبر يوم النحر قال حدثنا اسرائيل عن اسرائيل عن عبد الاعلى

عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله قال حدثنا أبو أحمد قال ثنا حماد بن سلمة عن سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس مثله حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن أبى اسحق قال قال الحج الاكبر يوم النحر قال وقال الزهرى يوم النحر يوم الحج الاكبر حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب قال ثنا عمى عبد الله بن وهب قال أخبرنى يونس وعمرو عن الزهرى عن حميد ابن عبد الرحمن عن أبى هريرة قال بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أبى بكر فى الحجة التى أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها قبل حجة الوداع فى رهط يؤذنون فى الناس يوم النحر ألا لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان قال الزهرى فكان حميد يقول يوم النحر يوم الحج الاكبر حدثنا الحسن بن يحيى قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرنا الشعبى عن أبى اسحق قال سألت عبد الله بن شداد عن الحج الاكبر والحج الاصغر فقال الحج الاكبر يوم النحر والحج الاصغر العمرة قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أبى اسحق قال سألت عبد الله بن شداد فذكر نحوه قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن عبد الملك بن عمر قال سمعت عبد الله بن أبى أوفى يقول الحج الاكبر يوم يوضع فيه الشعر ويهراق فيه الدم ويحل فيه الحرام قال حدثنا الثورى عن أبى اسحق عن على قال الحج الاكبر يوم النحر حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا قيس عن عباس العامرى عن عبد الله بن أبى أوفى انه سئل عن يوم الحج الاكبر فقال سبحان الله هو يوم تهراق فيه الدماء ويحل فيه الحرام الشعر هو يوم النحر قال حدثنا اسرائيل عن أبى حصين عن عبد الله بن سنان قال خطبنا المغيرة بن شعبة على ناقة له فقال هذا يوم النحر وهذا يوم الحج الاكبر قال حدثنا أبو أحمد قال ثنا حسن بن صالح عن مغيرة عن ابراهيم قال يوم الحج الاكبر يوم النحر حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز عن ابراهيم بن طهمان عن مغيرة عن ابراهيم يوم الحج الاكبر يوم النحر يحل فيه الحرام حدثنى أحمد بن المقدام قال ثنا يزيد بن رافع قال ثنا ابن عون عن محمد بن سيرين عن عبد الرحمن بن أبى بكرة عن أبيه قال لما كان ذلك اليوم قعد على بعير له النبى وأخذ انسان بخطامه أو زمامه فقال أى يوم هذا قال فسكتنا حتى ظننا انه سيسميه غير اسمه فقال أليس يوم الحج حدثنا سهل بن محمد الحسانى قال ثنا أبو جابر الحرثى قال ثنا هشام بن الغاز الجرشى عن نافع عن ابن عمر قال وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر عند الجمرات فى حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن مرة الهمدانى عن رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ناقة حمراء مخضرمة فقال أتدرون أى يوم يومكم قالوا يوم النحر قال صدقتم يوم الحج الاكبر حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا يحيى بن سعيد قال ثنا شعبة قال أخبرنى عمرو بن مرة قال ثنا مرة قال ثنا رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال أخبرنا اسمعيل بن خالد عن أبيه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا بأربع كلمات حين حج أبو بكر بالناس فنادى ببراءة انه يوم الحج الاكبر الا انه لا يدخل الجنة الا نفس مسلمة الا ولا يطوف بالبيت عريان الا ولا يحج بعد العام مشرك الا ومن كان بينه وبين محمد عهد فأجله الى مدته والله برىء من المشركين ورسوله حدثنى يعقوب قال ثنى هشيم عن حجاج بن أرطاة عن عطاء قال يوم الحج الاكبر يوم النحر حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله يوم الحج الاكبر قال يوم النحر يوم يحل فيه المحرم وينحر فيه البدن وكان ابن عمر يقول هو يوم النحر وكان أبى يقوله وكان ابن

للقرآن الا انه الحق به كونه طالبا لسماع الدلائل ولجواب الشبهات لانه تعالى علل وجوب الاجارة بكونه غير عالم حيث قال فى آخر الآية ذلك بانهم قوم لا يعلمون فكل من حصلت فيه هذه العلة وجبت اجارته وفى سماع كلام الله وجوه قيل أراد جميع القرآن لان تمام الدلائل والبينات فيه وقيل أراد سماع سورة براءة لانها مشتملة على كيفية المعاملة مع المشركين والاولى حمله على كل الدلائل وانما خص القرآن بالذكر لانه الكتاب الحاوى لعظم جميع الدلائل واعلم ان الامان قد يكون عاما يتعلق باهل اقليم أو بلدة أو ناحية وهو عقد المهادنة ويختص بالامام وقد مر فى تفسير قوله تعالى وان جنحوا للسلم فاجنح لها وقد يكون خاصا يتعلق بافراد الكفار وهذا يصح من الولاة ومن آحاد المسلمين أيضا وهذا مقصود الآية وانه ثابت غير منسوخ روى عن سعيد بن جبير ان رجلا من المشركين جاء الى على رضى الله عنه فقال ان أراد الرجل منا ان يأتى محمدا بعد انقضاء هذا الاجل يسمع كلام الله أو يأتيه لحاجة قتل قال لا واستدل بالآية وعن السدى هو منسوخ بقوله فاقتلوا المشركين وشرط الامان الاسلام والتكليف فيصح من العبد والمرأة والفاسق روى انه صلى الله عليه وسلم قال يسعى بذمتهم أدناهم وعن أم هانئ قالت أجرت رجلين من أحمائى فقال صلى الله عليه وسلم أمنا من أمنت ويعتبر مع الاسلام والتكليف الاختيار فلا يصح أمان المكره على عقد الامان وينعقد الامان بكل لفظ مفيد للغرض صريحا كقوله أجرتك أو لا تخف وكناية كقوله أنت على ما تحب أو كن كيف شئت ومثله الكتابة والرسالة والاشارة المفهمة روى عن عمر انه قال والذى نفسى بيده لو أن أحدكم أشار باصبعه الى مشرك ... [illegible] ... فلا ... [illegible] ... وكذا ... [illegible] ... الامام مصلحة فى دخول التجار وحكم الامان اذا انعقد عصمة ... [illegible]

ابن عباس يقول هو يوم عرفة ولم أسمع أحدا يقول انه يوم عرفة الا ابن عباس قال ابن زيد والحج يفوت بفوت يوم النحر ولا يفوت بفوت يوم عرفة ان فاته اليوم لم يفته الليل يقف ما بينه وبين طلوع الفجر حدثني محمد بن الحسن قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي قال يوم الاضحى يوم الحج الاكبر حدثنا سفيان قال ثنا أبي عن شعبة عن عمرو بن مرة قال ثني رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في غرفتي هذه حسبته قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر على ناقة حمراء مخضرمة فقال أتدرون أي يوم هذا هذا يوم النحر وهذا يوم الحج الاكبر * وقال آخرون معنى قوله يوم الحج الاكبر حين الحج الاكبر ووقته قال وذلك أيام الحج كلها الا يوم بعينه ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد يوم الحج الاكبر حين الحج أيامه كلها حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا ابن عيينة عن ابن جريج عن مجاهد قال الحج الاكبر أيام منى كلها ومجامع المشركين حين كانوا بذي المجاز وعكاظ ومجنة حين نودي فيهم لا تجتمع المسلمون والمشركون بعد عامهم ولا يطوف بالبيت عريان ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فعهده الى مدته حدثني الحرث قال ثنا أبو عبيد قال كان سفيان يقول يوم الحج ويوم الجمل ويوم صفين أيامه كلها * قال أبو جعفر وأولى الاقوال في ذلك عندنا بالصحة قول من قال يوم الحج الاكبر يوم النحر لتظاهر الاخبار عن جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عليا نادى بما أرسله به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرسالة الى المشركين وتلا عليهم براءة يوم النحر هذا مع الاخبار التي ذكرناها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يوم النحر أتدرون أي يوم هذا يوم الحج الاكبر وبعد فان اليوم انما يضاف الى المعنى الذي يكون فيه كقول الناس يوم عرفة وذلك يوم وقوف الناس بعرفة ويوم الاضحى وذلك يوم يضحون فيه ويوم الفطر وذلك يوم يفطرون فيه وكذلك يوم الحج يوم يحجون فيه وانما يحج الناس ويقضون مناسكهم يوم النحر لان في ليلة نهار يوم النحر الوقوف بعرفة كان الى طلوع الفجر وفي صبيحتها يعمل أعمال الحج فاما يوم عرفة فانه وان كان فيه الوقوف بعرفة فغير فائت الوقوف به الى طلوع الفجر من ليلة النحر والحج كله يوم النحر وأما ما قال مجاهد من ان يوم الحج انما هو أيامه كلها فان ذلك وان كان جائزا في كلام العرب فليس بالاشهر الاعرف في كلام العرب من معانيه بل غلب على معنى اليوم عندهم من غروب الشمس الى مثله من الغد وانما محمل تأويل كتاب الله على الاشهر الاعرف من كلام من نزل الكتاب بلسانه * واختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله قيل لهذا اليوم يوم الحج الاكبر فقال بعضهم سمي بذلك لان ذلك كان في سنة اجتمع فيها حج المسلمين والمشركين ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن قال انما سمي الحج الاكبر من أجل انه حج أبو بكر الحجة التي حجها واجتمع فيها المسلمون والمشركون فلذلك سمي الحج الاكبر ووافق أيضا عيد اليهود والنصارى حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان عن عبد الله بن الحرث ابن نوفل قال يوم الحج الاكبر كانت حجة الوداع اجتمع فيه حج المسلمين والنصارى واليهود ولم يجتمع قبله ولا بعده حدثنا القاسم قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن الحسن قال قوله يوم الحج الاكبر قال انما سمي الحج الاكبر لانه يوم حج فيه أبو بكر ونبذت فيه العهود * وقال آخرون الحج الاكبر القران والحج الاصغر الافراد ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا أبو بكر الهذلي عن حماد عن مجاهد قال كان يقال الحج الاكبر والحج الاصغر فالحج الاكبر

المؤمن من القتل والسبي فان قتله قاتل ضمن بما يضمن به الذمي ولا يتعدى الامان الى ما خلفه في دار الحرب من أهل ومال وأما الذي معه منهما فان وقع التعرض لامانه اتبع الشرط والا فالارجح ان لا يتعدى الامان الى ذلك (٤٧) وقد بقي في الآية مسئلة أصولية هي ان المعتزلة استدلوا بالآية على ان كلام الله تعالى هو هذه الحروف المسموعة ويتبع ذلك ان يكون كلامه محدثا لان دخول هذه الحروف في الوجود على التعاقب وأجيب بان هذه المسموعة فعل الانسان وليست هي التي خلقها الله تعالى أولا عندكم فعلمنا ان هذا المسموع ليس كلاما بالاتفاق فيجب ارتكاب التجوز البتة ونحن نحمله على انها هي الدالة على الكلام النفسي فلهذا أطلق عليها انها كلام الله كان الجبائي قال ان كلام الله شيء مغاير لهذه الحروف والاصوات وهو باق مع قراءة كل قارئ وزعم بعض الناس حين رأوا انه تعالى جعل كلامه مسموعا ان هذه الحروف والاصوات قديمة ليلزم قدم كلامه تعالى وفيه ما فيه ثم أكد المعاني المذكورة من أول السورة الى ههنا فقال على سبيل الاستنكار والاستبعاد كيف يكون للمشركين عهد المرفوع اسم كان وفي خبره ثلاثة أوجه الاول كيف وقدم للاستفهام الثاني للمشركين وعند على هذين ظرف للعهد أو ليكون أو للجار أو هو وصف للعهد الثالث الخبر عند الله وللمشركين تبيين أو متعلق بيكون وكيف حال من العهد يعني محال ان يثبت لهؤلاء عهد وهم اضداد لكم يضمرون الغدر في كل عهد فلا تطمعوا في الوفاء منهم ولا تتوانوا في قتلهم ثم استثنى منهم المعاهدين عند المسجد الحرام الذين لم يظهر منهم نكث كبني كنانة وبني ضمرة ثم بين حكمهم فقال فما استقاموا لكم في ما وجهان أحدهما ان تكون زمانية وهي المصدرية على التحقيق أي استقيموا لهم مدة استقامتهم لكم الثاني شرطية أي ان استقاموا لكم على العهد فاستقيموا لهم على مثله ان الله يحب المتقين فيه اشارة الى أن الوفاء بالعهد والاستقامة عليه من أعمال

القران والحج الاصغر افراد الحج * وقال آخرون الحج الاكبر الحج والحج الاصغر العمرة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن بكر عن ابن جريج عن عطاء قال الحج الاكبر الحج والحج الاصغر العمرة قال ثنا عبد الاعلى عن داود عن عامر قال قلت له هذا الحج الاكبر فما الحج الاصغر قال العمرة حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن داود بن أبي هند عن الشعبي قال كان يقال الحج الاصغر العمرة في رمضان قال حدثنا سفيان عن منصور عن مجاهد قال كان يقال الحج الاصغر العمرة قال حدثنا عبد الرحمن عن سفيان عن أبي اسماء عن عبد الله بن شداد قال يوم الحج الاكبر يوم النحر والحج الاصغر العمرة حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الزهري ان أهل الجاهلية كانوا يسمون الحج الاصغر العمرة * قال أبو جعفر وأولى هذه الاقوال بالصواب في ذلك عندي قول من قال الحج الاكبر الحج لانه أكبر من العمرة بزيادة عمله على عملها فقيل له الاكبر لذلك وأما الاصغر فالعمرة لان عملها أقل من عمل الحج فلذلك قيل لها الاصغر لنقصان عملها عن عمله وأما قوله ان الله برىء من المشركين ورسوله فان معناه ان الله برىء من عهد المشركين ورسوله بعد هذه الحجة ومعنى الكلام واعلام من الله ورسوله الى الناس في يوم الحج الاكبر أن الله ورسوله من عهد المشركين بريئان كما حدثنا ابن أحمد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ان الله برىء من المشركين ورسوله أي بعد هذه الحجة ۞ القول في تأويل قوله (فان تبتم فهو خير لكم وان توليتم فاعلموا انكم غير معجزي الله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم) يقول تعالى فان تبتم من كفركم أيها المشركون ورجعتم الى توحيد الله واخلاص العبادة له دون الآلهة والانداد فالرجوع الى ذلك خير لكم من الاقامة على الشرك في الدنيا والآخرة وان توليتم يقول وان أدبرتم عن الايمان بالله وأبيتم الا الاقامة على شرككم فاعلموا انكم غير معجزي الله يقول فايقنوا انكم لا تفيتون الله بانفسكم من ان يحل بكم عذابه الاليم وعقابه الشديد على اقامتكم على الكفر كما فعل بدونكم من أهل الشرك من انزال نقمه به واحلاله العذاب عاجلا بساحته وبشر الذين كفروا يقول واعلم يا محمد الذين جحدوا نبوتك وخالفوا أمرك بعذاب موجع يحل بهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج قوله فان تبتم قال آمنتم ۞ القول في تأويل قوله (الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيأ ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين) يقول تعالى ذكره وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر ان الله برىء من المشركين ورسوله الا من عهد الذين عاهدتم من المشركين أيها المؤمنون ثم لم ينقصوكم شيأ من عهدكم الذي عاهدتموهم ولم يظاهروا عليكم أحدا من عدوكم فيعينوهم بانفسهم وأبدانهم ولا بسلاح ولا خيل ولا رجال فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم يقول ففوا لهم بعهدهم الذي عاهدتموهم عليه ولا تنصبوا لهم حربا الى انقضاء مدته ان الله يحب المتقين من اتقاه بطاعته باداء فرائضه واجتناب معاصيه حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم يقول الى أجلهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق الا الذين عاهدتم من المشركين أي العهد الخاص الى الاجل المسمى ثم لم ينقصوكم شيأ الآية حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيأ ولم يظاهروا عليكم أحدا الآية قال هم مشركو قريش الذين عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن الحديبية وكان بقي من مدتهم أربعة أشهر بعد يوم النحر فأمر الله نبيه أن يوفي لهم بعهدهم الى مدتهم ومن لا عهد له الى انسلاخ المحرم ونبذ الى كل ذي عهد عهده وأمر بقتالهم حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا

رسول

المتقين ثم كرر الاستبعاد فقال كيف وحذف الفعل لكونه معلوما أي كيف يكون لهم عهد وحالهم انهم ان يظهروا عليكم أي يغلبوكم ويظفروا بكم وذلك ان الغلبة من الكمال عند الشخص وكل من تصور في نفسه كمالا فانه يريد ان يظهر ذلك لغيره فاطلق الظهور على الغلبة لكونه من لوازمها لا يرقبوا الا يراعوا فيكم ولا ينتظروا بكم الا ولا ذمة قال في الصحاح الال العهد والقرابة ووجه ذلك في الكشاف بان اشتقاقه من الال وهو الجوار والانين لانهم اذا تحالفوا رفعوا به أصواتهم وسميت به القرابة لانها تعقد بين الرجلين ما لا يعقده الميثاق وفي الصحاح أيضا ان الال بالكسر من أسماء الله عز وجل وفي الكشاف انه قرئ ايلا بمعناه وقيل جبرئل وجبرال من ذلك وقيل منه اشتق الال بمعنى القرابة كما اشتقت الرحم من الرحمن قال الزجاج الال عندي على ما توجبه اللغة يدور على معنى الحدة من ذلك الالة الحربة وأذن مؤللة محددة ومعنى العهد والقرابة غير خارج من ذلك والذمة العهد وجمعها ذمم وذمام وهو كل أمر لزمك وكان بحيث لو ضيعته لزمك مذمة وقال أبو عبيدة الذمة ما يتذمم به أي ما يجتنب فيه الذم قال في الكشاف يرضونكم كلام مبتدأ في وصف حالهم من مخالفة الظاهر والباطن مقررا لاستبعاد الثبات منهم على العهد وإباء القلوب مخالفة ما فيها من الاضغان لما يجرونه على ألسنتهم من الكلام الجميل ثم قال سبحانه وأكثرهم فاسقون عن ابن عباس لا يبعد ان يكون بعض هؤلاء الكفار قد أسلم وتاب [illegible] والقائل [illegible] [illegible] لا يتحرزون عن الكذب ونقض العهد [illegible] في جميع الاديان والملل اشتروا واستبدلوا بآيات الله بالقرآن أو بالاسلام ثمنا قليلا هو اتباع الاهواء والشهوات عن سبيله فصرفوا غيرهم وعدلوا هم أنفسهم قال مجاهد أراد الاعراب الذين جمعهم أبو سفيان وأطعمهم

رسول الله وأن لا يقبل منهم الا بذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قال مدة من كان له عهد من المشركين قبل ان تنزل براءة أربعة أشهر من يوم أذن ببراءة الى عشر من شهر ربيع الآخر وذلك أربعة أشهر فان نقض المشركون عهدهم وظاهروا عدوا فلا عهد لهم وان وفوا بعهدهم الذي بينهم و بين رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يظاهروا عليهم عدوا فقد أمر ان يؤدي اليهم عهدهم ويفي به ❁ القول في تأويل قوله (فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم) يعني جل ثناؤه بقوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاذا انقضى ومضى وخرج يقال منه سلخنا شهر كذا سلخا وسلوخا بمعنى خرجنا منه ومنه قولهم شاة مسلوخة بمعنى المنزوعة من جلدها المخرجة منه و يعني بالاشهر الحرم ذا القعدة وذا الحجة والمحرم وانما أريد في هذا الموضع انسلاخ المحرم وحده لان الاذان كان ببراءة يوم الحج الاكبر فمعلوم انهم لم يكونوا أجلوا الاشهر الحرم كلها وقد دللنا على صحة ذلك فيما مضى ولكنه لما كان متصلا بالشهرين الآخرين قبله الحرامين وكان هو لهما ثالثا وهي كلها متصل بعضها ببعض قيل فاذا انسلخ الاشهر الحرم ومعنى الكلام فاذا انقضت الاشهر الحرم الثلاثة عن الذين لا عهد لهم أو عن الذين كان لهم عهد فنقضوا عهدهم بمظاهرتهم الاعداء على رسول الله وعلى أصحابه أو كان عهدهم الى غير أجل معلوم فاقتلوا المشركين يقول فاقتلوهم حيث وجدتموهم يقول حيث لقيتموهم من الارض في الحرم وغير الحرم في الاشهر الحرم وغير الاشهر الحرم وخذوهم يقول واسروهم واحصروهم يقول وامنعوهم التصرف في بلاد الاسلام ودخول مكة واقعدوا لهم كل مرصد يقول واقعدوا لهم بالطلب لقتلهم أو أسرهم كل مرصد يعني كل طريق ومرقب وهو مفعل من قول القائل رصدت فلانا أرصده رصدا بمعنى رقبته فان تابوا يقول فان رجعوا عما نهاهم عليه من الشرك بالله وجحود نبوة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم الى توحيد الله واخلاص العبادة له دون الآلهة والانداد والاقرار بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وأقاموا الصلاة يقول وأدوا ما فرض الله عليهم من الصلاة بحدودها واعطوا الزكاة التي أوجبها الله عليهم في أموالهم أهلها فخلوا سبيلهم يقول فدعوهم يتصرفون في أمصاركم ويدخلون البيت الحرام ان الله غفور رحيم لمن تاب من عباده فأناب الى طاعته بعد الذي كان عليه من معصيته ساتر على ذنبه رحيم به ان يعاقبه على ذنوبه السالفة قبل توبته بعد التوبة وقد ذكرنا اختلاف المختلفين في الذين أجلوا الى انسلاخ الاشهر الحرم * وبنحو ما قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا عبد الاعلى بن واصل الاسدي قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فارق الدنيا على الاخلاص لله وحده وعبادته لا يشرك به شيأ فارقها والله عنه راض قال وقال أنس هو دين الله الذي جاءت به الرسل وبلغوه عن ربهم قبل هرج الاحاديث واختلاف الاهواء وتصديق ذلك في كتاب الله في آخر ما أنزل الله قال الله فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم قال توبتهم خلع الاوثان وعبادة ربهم واقام الصلاة وايتاء الزكاة ثم قال في آية أخرى فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم في الدين حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم حتى ختم آخر الآية وكان قتادة يقول خلوا سبيل من أمركم الله ان تخلوا سبيله فانما الناس ثلاثة رهط مسلم عليه الزكاة ومشرك عليه الجزية وصاحب حرب يأمن بتجارته في المسلمين اذا أعطى عشور ماله حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن

وقيل لا يبعد ان يراد طائفة من اليهود الذين أعانوا المشركين على نقض العهود فان هذا اللفظ من القرآن كالامر المختص باليهود ولانه وصفهم بقوله لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة ولو أراد المشركين كان تكرارا وأولئك هم المعتدون المتجاوزون حدود الله في دينه وما يوجبه العهد والعقد ثم قال فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فان كان هذا في اليهود وما ذكره قبل في الكفار فلا تكرار وان كان كلاهما في الكفار فجزاء الاول تخلية سبيلهم وجزاء هذا الثاني قوله فاخوانكم أي فهم اخوانكم في الدين فلم يكن من التكرار في شئ قال ابن عباس حرمت هذه الآية دماء أهل القبلة ونفصل الآيات نبينها لقوم يعلمون لانهم هم المنتفعون بالبيان وهذه جملة معترضة تفيد البعث على التأمل في أحكام المشركين وعلى المحافظة على مواردها وان نكثوا يعني هؤلاء التائبين ايمانهم من بعد عهدهم أي من بعد اسلامهم حتى يكونوا مرتدين أو المراد نكث المشركين عهودهم ومواثيقهم والنكث نقض الخيط من بعد ابرامه وطعنوا في دينكم ثلبوه وعابوه فقاتلوا أئمة الكفر هي جمع امام وأصلها أأممة كمثال وأمثلة نقلت حركة الميم الى الهمزة وأدغمت الميم في الميم وهو من وضع الظاهر موضع المضمر دلالة على ان من كان بهذه المثابة من الغدر وقلة الوفاء وعدم الحياء فهو عريق في الكفر مقتدى فيه لا يشق كافر غباره وقيل خص سادتهم بالذكر لان من سواهم يتبعهم لا محالة ثم أبدى غرض القتال بقوله لعلهم ينتهون ليعلم ان الباعث على قتالهم هو ردهم الى طاعة معبودهم رحمة عليهم لا لأمر نفساني وداع شهواني ووسط بين الامر بالقتال و بين الحامل عليه قوله انهم لا أيمان لهم تنبيها على ان الداعية للقتال أثبت لهم الايمان أولا في الظاهر حيث قال وان نكثوا ايمانهم ثم نفاها عنهم في الحقيقة لان ايمانهم ليست بايمان حقيقة اذ لم يوفوا بها وبهذا تمسك أبو حنيفة

المفضل قال ثنا اسباط عن السدى فاذا انسلخ الاشهر الحرم وهى الاربعة التى عددت لك يعنى عشرين من ذى الحجة والمحرم وصفر وربيع الاول وعشرا من ربيع الآخر وقال قائلو هذه المقالة قيل لهذه الاشهر الحرم لان الله عزوجل حرم على المؤمنين فيها دماء المشركين والعرض لهم الا بسبيل خير ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن ابراهيم بن أبى بكر انه أخبره عن مجاهد وعمرو بن شعيب فى قوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم انها الاربعة التى قال الله فسيحوا فى الارض قال هى الحرم من أجل انهم أومنوا فيها حتى يسيحوها حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا فى الارض أربعة أشهر قال ضرب لهم أجل أربعة أشهر وتبرأ من كل مشرك ثم أمر اذا انسلخت تلك الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد لا تتركوهم يضربون فى البلاد ولا يخرجون للتجارة ضيقوا عليهم بعد ما أمر ان نعفو فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن أبى اسحق فاذا انسلخ الاشهر الحرم يعنى الاربعة التى ضرب لهم اجلا لاهل العهد العام من المشركين فاقتلوهم حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد الآية ۞ القول فى تاويل قوله (وان أحد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بانهم قوم لا يعلمون) يقول تعالى ذكره لنبيه وان استأمنك يا محمد من المشركين الذين أمرتك بقتالهم وقتلهم بعد انسلاخ الاشهر الحرام أحد ليسمع كلام الله منك وهو القرآن الذى أنزله الله عليه فاجره يقول فأمنه حتى يسمع كلام الله وتتلوه عليه ثم أبلغه مأمنه يقول ثم رده بعد سماعه كلام الله ان هو أبى ان يسلم ولم يتعظ بما تلوته عليه من كلام الله فيؤمن الى مأمنه يقول الى حيث يأمن منك وممن فى طاعتك حتى يلحق بداره وقومه من المشركين ذلك بانهم قوم لا يعلمون يقول تفعل ذلك بهم من اعطائك اياهم الامان ليسمعوا القرآن وردك اياهم اذا أبوا الاسلام الى مأمنهم من أجل انهم قوم جهلة لا يفقهون عن الله حجة ولا يعلمون ما لهم بالايمان بالله لو آمنوا وما عليهم من الوزر والاثم بتركهم الايمان بالله * وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وان أحد من المشركين استجارك أى من هؤلاء الذين أمرتك بقتالهم فاجره حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدى فاجره حتى يسمع كلام الله أما كلام الله فالقرآن حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وان أحد من المشركين استجارك فاجره قال انسان يأتيك فيسمع ما تقول ويسمع ما أنزل عليك فهو آمن حتى يأتيك فيسمع كلام الله وحتى يبلغ مأمنه حيث جاءه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم غازيا فلقى العدو وأخرج المسلمون رجلا من المشركين وأشرعوا فيه الاسنة فقال الرجل ارفعوا عنى سلاحكم وأسمعونى كلام الله تعالى فقالوا تشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله وتخلع الانداد وتتبرأ من اللات والعزى فقال فانى أشهدكم أنى قد فعلت حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ثم أبلغه مأمنه قال ان لم يوافق ما تقول عليه وتحدثه فابلغه قال وليس هذا بمنسوخ واختلف فى حكم هذه الآية هل هو منسوخ أم هو غير منسوخ فقال بعضهم هو غير منسوخ وقد ذكرنا قول من قال ذلك وقال آخرون هو منسوخ ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا

فى ان يمين الكافر لا تكون يمينا وعند الشافعى يمينهم يمين لانه تعالى وصفها بالنكث ولو لم تكن منعقدة لم يتصور نكثها ومن قرأ الايمان لهم بالكسر أى لا اسلام لهم أو لا يعطون الامان بعد الردة والنكث فظاهر قال العلماء اذا طعن الذمى فى دين الاسلام طعنا ظاهرا جاز قتله لان العهد معقود معه على أن لا يطعن فاذا طعن فقد نكث عهده وخرج من الذمة ثم شرع فى ذكر سائر الاسباب المحرضة على القتال فقال ألا تقاتلون قال أهل المعانى اذا قلت ألا تفعل كذا فانما يستعمل ذلك فى فعل يقدر وجوده واذا قلت ألست تفعل فانما تقول ذلك فى فعل تحقق وجوده والفرق ان لا تنفى بها المستقبل فاذا أدخلت عليه الالف صار تحضيضا على فعل ما يستقبل وليس مستعملا فى نفى الحال فاذا دخلت عليه الالف صار لتحقيق الحال قال ابن اسحق والسدى والكلبى نزلت فى كفار مكة نكثوا ايمانهم بعد عهد الحديبية وأعانوا بنى بكر على خزاعة وهموا باخراج الرسول من مكة حين هاجر ومن المدينة يريد اليهود هموا باخراجه منها ونكثوا عهده وظاهروا أبا سفيان عليه صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب وقيل همت قريش يوم الحديبية بان يدخلوه صلى الله عليه وسلم مكة ثم يخرجوه قبل ان يتم عمرة استحقها فانه صلى الله عليه وسلم وعلى هذا أريد بالهم العزم على الفعل وان لم يوجد وهم بدؤكم أول مرة بالقتال يعنى يوم بدر لانهم حين سلم العير قالوا لا ننصرف حتى نستأصل محمدا ومن معه أو المراد انهم قاتلوا حلفاءه من خزاعة أو المراد ان الرسول صلى الله عليه وسلم جاءهم أولا بالكتاب المنير وتحداهم به فعدلوا عن المعارضة لعجزهم عنها الى القتال وبادؤا ظلما والخاص ان من كان فى مثل صفاتهم من نكث العهد واخراج الرسول والبدء بالقتال حقيق بان لا تترك مقاتلته وان يوبخ من فرط فيها ثم زاد فى التوبيخ فقال أتخشونهم لانه يستنكف ... أتخشون الرجل كالذا قالت ... فيه تصريح بالخشية وتقرير على القعود عن المقاتلة

سفيان عن جويبر عن الضحاك فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم نسختها فاما منا بعد واما فداء قال حدثنا سفيان عن السدى مثله * وقال آخرون بل نسخ قوله فاقتلوا المشركين قوله فاما منا بعد ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبدة بن سليمان عن ابن أبي عروبة عن قتادة حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق نسخها قوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم * قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك عندى قول من قال ليس ذلك بمنسوخ وقد دللنا على ان معنى النسخ هو نفى حكم قد كان ثبت بحكم آخر غيره ولم تصح حجة بوجوب حكم الله فى المشركين بالقتل بكل حال ثم نسخه بترك قتلهم على أخذ الفداء ولا على وجه المن عليهم فاذ كان ذلك كذلك فكان الفداء والمن والقتل لم يزل من حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم من أول حرب حاربهم وذلك من يوم بدر كان معلوما ان معنى الآية فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم للقتل أو المن أو الفداء واحصروهم واذا كان ذلك معناه صح ما قلنا فى ذلك دون غيره ۞ القول فى تاويل قوله (كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين) يقول تعالى ذكره أنى يكون أيها المؤمنون بالله ورسوله للمشركين بربهم عهد وذمة عند الله وعند رسوله يوفى لهم به ويتركوا من أجله آمنين يتصرفون فى البلاد وانما معناه لا عهد لهم وان الواجب على المؤمنين قتلهم حيث وجدوهم الا الذين أعطوا العهد عند المسجد الحرام منهم فان الله أمر جل ثناؤه المؤمنين بالوفاء لهم بعهدهم والاستقامة لهم عليه ما داموا عليه للمؤمنين مستقيمين * واختلف أهل التاويل فى الذين عنوا بقوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فقال بعضهم هم قوم من جذيمة بن الديل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدى كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم هم بنو جذيمة بن الديل حدثنا القاسم قال ثنا الحسن قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن محمد بن عباد بن جعفر قوله الا الذين عاهدتم من المشركين قال هم جذيمة بكر من كنانة حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فهى قبائل بنى بكر الذين كانوا دخلوا فى عهد قريش وعقدهم يوم الحديبية الى المدة التى كانت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش فلم يكن نقضها الا هذا الحى من قريش وبنو الديل من بكر فامر باتمام العهد لمن لم يكن نقض عهده من بنى بكر الى مدته فما استقاموا لكم الآية * وقال آخرون هم قريش ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام هم قريش حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام يعنى أهل مكة حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام يقول هم قوم كان بينهم وبين النبى صلى الله عليه وسلم مدة ولا ينبغى لمشرك أن يدخل المسجد الحرام ولا يعطى المسلم الجزية فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم يعنى أهل العهد من المشركين حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم قال هؤلاء قريش وقد نسخ هذا الاشهر التى ضربت لهم عدواهم ولم يستقيموا كما قال الله فضرب

ان ينسب الى كونه خائفا من خصمه ثم بين ما يجب ان يكون الامر عليه فقال فالله أحق أن تخشوه ان كنتم مؤمنين يعنى ان قضية الايمان الصحيح ان لا يخشى المؤمن الا الله لان قدرته أتم وعقابه أشد بل لا قدرة الا له ولا يكون الا ما يريد وفى الفاء نوع تعليل لان الاستفهام فى معنى النهى كانه قيل لا تخشوهم لان الله أحق بالخشية وأحرى بالطاعة وفيه نوع مجازاة كانه قيل ان صح انكم مؤمنون فلا تخشوا الا الله ثم زاد فى تاكيد الامر بالقتال فقال قاتلوهم ورتب عليه خمس نتائج الاولى قوله يعذبهم الله بايديكم أى بالقتل والاسر واغتنام الاموال وهذا لا ينافى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم لانه أراد هنالك عذاب الاستئصال قالت الاشاعرة فى الآية دلالة على ان التى تدخل فى الوجود من الافعال كلها من الله يظهرها على أيدى العباد واعترض الجبائى بانه لو كان كذلك لجاز ان يقال كذب الله أنبياءه على لسان الكفرة وأجيب بان الامر كذلك عندنا الا انا لا نقوله رعاية للادب كما لا يقال يا خالق الخنافس والحشرات وكما انكم لا تقولون يا مسهل أسباب الزنى واللواط ويا دافع الموانع عنها الثانية ويخزهم قيل هو الاسر وقيل المراد ما نزل بهم من الذل والهوان حين شاهدوا أنفسهم مقهورين فى أيدى المؤمنين وهو قريب من الاول أو هو وقيل هو عذاب الآخرة الثالثة وينصركم عليهم أورد عليه ان النصر يستتبعه اخزاء الخصم فأى حاجة الى افراده بالذكر والجواب ان المغايرة كافية فى افراد كل من المتلازمين بالذكر على انه من المحتمل ان يحصل لهم الخزى من جهة المؤمنين الا ان المؤمنين يحصل لهم آفة لسبب آخر فلما وعدهم النصر على الاطلاق زال ذلك الاحتمال الرابعة ويشف صدور قوم مؤمنين هم خزاعة وعن ابن عباس بطون من اليمن وسبا قدموا مكة فاسلموا فلقوا من أهلها أذى شديدا فبعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكون اليه فقال ابشروا فان الفرج قريب الخامسة ويذهب غيظ قلوبهم قيل

لهم بعد الفتح أربعة أشهر يختارون من أمرهم اما أن يسلموا واما أن يلحقوا بأى بلاد شاؤا قال فاسلموا قبل الاربعة الاشهر حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم قال هم قوم جذيمة قال فلم يستقيموا نقضوا عهدهم وأعانوا بنى بكر حلف قريش على خزاعة حلف النبى صلى الله عليه وسلم * وقال آخرون هم قوم من خزاعة ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا ابن عيينة عن ابن جريج عن مجاهد الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام قال أهل العهد من خزاعة * قال أبو جعفر وأولى هذه الاقوال بالصواب عندى قول من قال هم بعض بنى بكر من كنانة ممن كان أقام على عهده ولم يكن دخل فى نقض ما كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية من العهد على قريش حين نقضوه بمعونتهم حلفاءهم من بنى الديل على حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من خزاعة وانما قلت هذا القول أولى الاقوال فى ذلك بالصواب لان الله أمر نبيه والمؤمنين باتمام العهد لمن كانوا عاهدوه عند المسجد الحرام ما استقاموا على عهدهم وقد بينا ان هذه الآيات انما نادى بها على فى سنة تسع من الهجرة وذلك بعد فتح مكة بسنة فلم يكن بمكة من قريش ولا خزاعة كافر يومئذ بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فيؤمر بالوفاء له بعهده ما استقام على عهده لان من كان منهم من ساكنى مكة كان قد نقض العهد وحورب قبل نزول هذه الآيات وأما قوله ان الله يحب المتقين فان معناه ان الله يحب من اتقى الله وراقبه فى أداء فرائضه والوفاء بعهده لمن عاهده واجتناب معاصيه وترك الغدر بعهوده لمن عاهده ۞ القول فى تأويل قوله (كيف وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون) يعنى جل ثناؤه بقوله كيف يكون لهؤلاء المشركين الذين نقضوا عهدهم أو لمن لا عهد له منهم منكم أيها المؤمنون عهد وذمة وهم ان يظهروا عليكم يغلبوكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة واكتفى بكيف دليلا على معنى الكلام لتقدم ما يراد من المعنى بها قبلها وكذلك تفعل العرب اذا أعادت الحرف بعد مضى معناه استجازوا حذف الفعل كما قال الشاعر

وخبرتمانى انما الموت فى القرى * فكيف وهذى هضبة وكثيب

فحذف الفعل بعد كيف لتقدم ما يراد بعدها قبلها ومعنى الكلام فكيف يكون الموت فى القرى وهذى هضبة وكثيب لا يحو فيهما منه أحد * واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة فقال بعضهم معناه لا يرقبوا الله فيكم ولا عهدا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد لا يرقبون فى مؤمن الا قال الله حدثنى يعقوب قال ثنا ابن عيينة عن سليمان عن أبى مجلز فى قوله لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة قال قوله جبرائيل ميكائيل اسرافيل كأنه يقول يضاف جبر وميكا واسراف الى ايل يقول عبد الله لا يرقبون فى مؤمن الا كأنه يقول لا يرقبون الله حدثنى محمد بن عبد الاعلى قال ثنى محمد بن ثور عن معمر عن ابن أبى نجيح عن مجاهد الا ولا ذمة لا يراقبون الله ولا غيره * وقال آخرون الال القرابة ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة يقول قرابة ولا عهدا وقوله وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة قال الال يعنى القرابة والذمة العهد حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة الال القرابة والذمة العهد يعنى أهل العهد من المشركين يقول ذمتهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية وعبدة عن جويبر عن الضحاك الال القرابة

حدثنا

الصدر اشارة الى الوعد بالفتح ولاريب ان الانتظار شاق وان كان مع الثقة بالموعود فاذهاب غيظ القلب اشارة الى الفتح وقد حصل الله لهم هذه المواعيد كلها وكان ذلك دليلا على صدق النبى صلى الله عليه وسلم واعجازه ثم قال ويتوب الله على من يشاء وهو ابتداء كلام للاخبار بان بعض أهل مكة يتوب عن كفره وقد وقع فقد أسلم ناس منهم وحسن اسلامهم وقرئ ويتوب بالنصب باضمار ان ودخول التوبة فى جملة ما أجيب به الامر من طريق المعنى كقوله فاصدق وأكن اما أن التوبة كيف تقع جزاء للمقاتلة فذلك من قبل الكفار واضح فان القتال قد يصير سببا لتوبة بعضهم عن الكفر واما من جهة المؤمنين فلعل القتال كان شاقا على بعضهم فاذا أقدم صار ذلك العمل جاريا مجرى التوبة عن تلك الكراهة وأيضا ان حصول النصر والظفر العام عظيم والعبد اذا شاهد توالى النعم لم يبعد ان يصير ذلك داعيا له الى أن يتوب عن جميع الذنوب وقد يصير كثرة المال والجاه سببا لتحصيل اللذات بالطريق الحلال فينتهى عن الحرام وأيضا الانسان حريص على ما منع فاذا انفتحت عليه أبواب الخيرات الدنيوية فر عما يصير ذلك سببا لانقباضه عن الدنيا واعراضه عنها وهذا هو أحد الوجوه التى ذكروها فى تفسير قوله تعالى حكاية عن سليمان رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى يعنى حصول هذا الملك لا ينبغى للنفس للاشتغال بالدنيا والله عليم بكل ما يجرى فى ملكه وملكوته حكيم مصيب فى أفعاله وأقواله وأحكامه وتدابيره عن ابن عباس ان قوله ألا تقاتلون الآية ترغيب فى فتح مكة لان النتائج المذكورة بشارة كلها بتلك الاحوال التى استعدها الحين لان هذه السورة نزلت بعد فتح مكة بسنة ثم بين انه ليس الغرض من ايجاب القتال نفس القتال

حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا محمد بن عبد الله عن سلمة بن كهيل عن عكرمة عن ابن عباس لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة قال الال القرابة والذمة العهد **حدثت** عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة الال القرابة والذمة الميثاق **حدثني** محمد بن الحسن قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى كيف وان يظهروا عليكم المشركون لا يرقبوا فيكم عهدا ولا قرابة ولا ميثاقا * وقال آخرون معناه الحلف ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة قال الال الحلف والذمة العهد * وقال آخرون الال هو العهد ولكنه كرر لما اختلف اللفظان وان كان معناهما واحدا ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد الا قال عهدا **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة قال لا يرقبوا فيكم عهدا ولا ذمة قال احداهما من صاحبتها كهيئة غفور رحيم قال فالكلمة واحدة وهي تفترق قال والعهد هو الذمة **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن أبيه عن خصيف عن مجاهد ولا ذمة قال العهد **حدثني** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا قيس عن خصيف عن مجاهد ولا ذمة قال الذمة العهد * قال أبو جعفر وأولى الاقوال في ذلك بالصواب أن يقال ان الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء المشركين الذين أمر نبيه والمؤمنين بقتلهم بعد انسلاخ الاشهر الحرم وحصرهم والقعود لهم على كل مرصد أنهم لو ظهروا على المؤمنين لم يرقبوا فيهم الا والال اسم يشتمل على معان ثلاثة وهو العهد والعقد والحلف والقرابة وهو أيضا المعنى الله فاذ كانت الكلمة تشمل هذه المعاني الثلاثة ولم يكن الله خص من ذلك معنى دون معنى فالصواب ان يعم ذلك كما عم بها جل ثناؤه معانيها الثلاثة فيقال لا يرقبون في مؤمن الله ولا قرابة ولا عهدا ولا ميثاقا ومن الدلالة على انه يكون بمعنى القرابة قول ابن مقبل

أفسد الناس خلوف أخلفوا * قطعوا الال واعراق الرحم

بمعنى قطعوا القرابة وقول حسان بن ثابت

لعمرك ان الك في قريش * كال السقب من آل النعام

وأما معناه اذا كان بمعنى العهد فقول القائل

وجدناهم كاذبا الهم * وذو الال والعهد لا يكذب

وقد زعم بعض من نسب الى معرفة كلام العرب من البصريين ان الال والعهد والميثاق واليمين واحد والذمة في هذا الموضع التذمم ممن لا عهد له والجمع ذمم وكان ابن اسحق يقول عنى بهذه الآية أهل العهد العام **حدثنا** ابن أحمد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق كيف وان يظهروا عليكم أي المشركون الذين لا عهد لهم الى مدة من أهل الشرك العام لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة فأما قوله يرضونكم بأفواههم فانه يقول يعطونكم بألسنتهم من القول خلاف ما يضمرونه لكم في نفوسهم من العداوة والبغضاء وتأبى قلوبهم أي تأبى عليهم قلوبهم أن يذعنوا لكم بتصديق ما يبدونه لكم بألسنتهم يحذر جل ثناؤه أمرهم المؤمنين ويشحذهم على قتلهم واجتياحهم حيث وجدوا من أرض الله وأن لا يقصروا في مكروههم بكل ما قدروا عليه وأكثرهم فاسقون يقول وأكثرهم مخالفون عهدكم ناقضون له كافرون بربهم خارجون عن طاعته ۞ القول في تأويل قوله (اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله انهم ساء ما كانوا يعملون) يقول جل ثناؤه ابتاع هؤلاء المشركون الذين أمر الله أيها المؤمنون بقتلهم حيث وجدتموهم بتركهم اتباع ما احتج الله به عليهم من حججه يسيرا من العوض

وانما المقصود ان يؤتى به انقيادا لامر الله ولتكاليفه ليظهر المخلص من المنافق فقال أم حسبتم الآية وقد مر وجه اعرابه في آل عمران عند قوله أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا وقوله ولم يتخذوا (٥٣) معطوف على جاهدوا داخل في حيز الصلة والوليجة البطانة يعني الحبيب الخالص فعيلة من ولج كالدخيلة من دخل وهو الرجل يكون في القوم وليس منهم قال الواحدي يقال هو وليجتي يستوي الواحد والجمع ومعنى الآية لا تحسبوا أن تتركوا على ما أنتم عليه ولم يظهر بعد معلوم الله من تمييز المجاهدين المنافقين من المجاهدين المخلصين الذين جاهدوا لوجه الله ولم يتخذوا حبيبا من الذين يضادون رسول الله والمؤمنين ثم ختم الآية بقوله والله خبير بما تعملون ليعلموا انه لم يزل عالما بالاشياء لا يخفى عليه شئ في الارض ولا في السماء فيجتهدوا في استقامة السيرة ويجتهدوا في نقاء السريرة *التأويل براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من النفوس المشركة التي اتخذت الهوى وصنم الدنيا معبودا فهادنهم الروح والقلب في أوان الطفولية لاستكمال القالب وتربيته فسيحوا في أرض البشرية أربعة أشهر هي مدة كمال الاوصاف الاربعة النباتية والحيوانية والشيطانية والانسانية وأذان من الله ورسوله الى الصفات الناسوتية يوم الحج الاكبر يوم الوصول الى كعبة الجمال والحج الاصغر الوصول الى كعبة القلب ان زيارة كعبة الوصال حرام على مشركي الصفات الناسوتية فان تبتم عن الناسوتية بافنائها في اللاهوتية فهو خير لكم من قيامكم بالناسوت وان توليتم وكنتم الى غير الله فاعلموا أنكم غير معجزي الله عن التصرف فيكم اما لاهل السعادة فبالجذبات الازلية واما لاهل الشقاوة فبأليم عذاب القطيعة الا الذين عاهدتم أيها القلوب والارواح من مشركي النفوس على التوافق في العبودية ثم لم ينقصوكم شيأ من حظوظ الشريعة ولم يظاهروا عليكم أحدا من الشيطان والدنيا فأتموا اليهم عهدهم بالمداراة والرفق الى أوان طلوع

قليلا من عرض الدنيا وذلك انهم فيما ذكر عنهم كانوا نقضوا العهد الذى كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم باكلة أطعمهموها أبو سفيان بن حرب حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا قال أبو سفيان بن حرب أطعم حلفاءه وترك حلفاء محمد صلى الله عليه وسلم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وأما قوله فصدوا عن سبيله فان معناه فمنعوا الناس من الدخول فى الاسلام وحاولوا رد المسلمين عن دينهم انهم ساء ما كانوا يعملون يقول جل ثناؤه ان هؤلاء المشركين الذين وصفت صفتهم ساء عملهم الذى كانوا يعملون من اشترائهم الكفر بالايمان والضلالة بالهدى وصدهم عن سبيل الله من آمن بالله ورسوله أو من أراد أن يؤمن ۞ القول فى تأويل قوله (لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة وأولئك هم المعتدون) يقول تعالى ذكره لا يتقى هؤلاء المشركون الذين أمرتكم أيها المؤمنون بقتلهم حيث وجدتموهم فى قتل مؤمن لو قدروا عليه الا ولا ذمة يقول فلا تبقوا عليهم أيها المؤمنون كما لا يبقون عليكم لو ظهروا عليكم وأولئك هم المعتدون يقول المتجاوزون فيكم الى ما ليس لهم بالظلم والاعتداء ۞ القول فى تأويل قوله (فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم فى الدين ونفصل الآيات لقوم يعلمون) يقول جل ثناؤه فان رجع هؤلاء المشركون الذين أمرتكم أيها المؤمنون بقتلهم عن كفرهم وشركهم بالله الى الايمان به وبرسوله وأنابوا الى طاعته وأقاموا الصلاة المكتوبة فأدوها بحدودها وآتوا الزكاة المفروضة أهلها فاخوانكم فى الدين يقول فهم اخوانكم فى الدين الذى أمركم الله به وهو الاسلام ونفصل الآيات يقول ونبين حجج الله وأدلته على خلقه لقوم يعلمون ما بين لهم فنشرحها لهم مفصلة دون الجهال الذين لا يعقلون عن الله بيانه ومحكم آياته ✱ وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم فى الدين يقول ان تركوا اللات والعزى وشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فاخوانكم فى الدين ونفصل الآيات لقوم يعلمون حدثنا ابن وكيع قال ثنا حفص بن غياث عن ليث عن رجل عن ابن عباس فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة قال حرمت هذه الآية دماء أهل القبلة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد افترضت الصلاة والزكاة جميعا لم يفرق بينهما وقرأ فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم فى الدين وأبى أن يقبل الصلاة الا بالزكاة وقال رحم الله أبا بكر ما كان أفقهه حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا شريك عن أبى اسحق عن أبى عبيدة عن عبد الله به وقيل فاخوانكم فرفع بضمير فهم اخوانكم اذ كان قد جرى ذكرهم قبل كما قال فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم فى الدين بمعنى فهم اخوانكم فى الدين ۞ القول فى تأويل قوله (وان نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا فى دينكم فقاتلوا أئمة الكفر انهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون) يقول تعالى ذكره فان نقض هؤلاء المشركون الذين عاهدتموهم من قريش عهودهم من بعد ما عاقدوكم أن لا يقاتلوكم ولا يظاهروا عليكم أحدا من أعدائكم وطعنوا فى دينكم يقول وقدحوا فى دينكم الاسلام فثلبوه وعابوه فقاتلوا أئمة الكفر يقول فقاتلوا رؤساء الكفر بالله انهم لا أيمان لهم يقول ان رؤساء الكفر لا عهد لهم لعلهم ينتهون لكى ينتهوا عن الطعن فى دينكم والمظاهرة عليكم ✱ وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل على اختلاف منهم فى المعنيين بأئمة الكفر فقال بعضهم هم أبو جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وأبو سفيان بن حرب ونظراؤهم وكان حذيفة يقول لم يأت أهلها بعد ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال

الغناية ونجم الجذبة والهداية فاذا انسلخ الاشهر الحرم استكملت مدة التربية بتمام الاوصاف الاربعة فاقتلوا النفوس المشركة بسيف النهى عن الشهوات حيث وجدتموهم فى الطاعة بأن تكلفوها اياها وفى المعصية بأن تزجروها عنها وخذوهم بآداب الطريقة واحصروهم احبسوهم فى حصار الحقيقة واقعدوا لهم كل مرصد راقبوهم فى الاحوال كلها فان تابوا رجعوا الى الطلب الحق وأقاموا الصلاة أدوا حق العبودية وآتوا الزكاة تزكت عن الاخلاق الذميمة فخلوا سبيلهم اتركوا التشديد عليهم بالرياضات ليعملوا بالشريعة بعد الوصول الى الحقيقة فان النهاية هى الرجوع الى البداية وان أحد من مشركى صفات النفس استجارك يا قلب اترك ما هو المخصوص به من الصفات الذميمة فاجره حتى يسمع كلام الله حتى يأتيهم بالهام ثم أبلغه مأمنه وهو وارد الجذبة الالهية وان الجذبة اذا تعلقت بصفة من صفات النفس ينجذب النفس بجميع صفاتها ذلك بأنهم قوم لا يعلمون الله وأسراره فلا يميلون اليه ويعلمون الدنيا وشهواتها فيركنون اليها كيف يكون لمشركى النفوس ثبات على العهد وقد جبلت ميالة الى السفليات وغايتها بعد اصلاح حالها أن تميل الى نعيم الجنات الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام وهو مقام الوصول المحرم على أهل الدنيا والآخرة وهو مقام أهل الله وخاصته الذين تنورت نفوسهم بأنوار الجمال والجلال فيثبتها الله على العهد بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة فما استقاموا لكم على الصراط المستقيم فاستقيموا لهم بشرحها فى متسع رياض الشريعة لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة لا يحفظوا حقوق الجنسية من الازواج والقلوب والنفوس فرضوا بمتابعة الامر والخلق يرضونكم بالاعمال الظاهرة وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون فيما يعملون خارجون عن الصدق والاخلاص اشتروا بالآلات توصلهم الى الله ثمنا قليلا من متاع الدنيا ومصالحها فصدوا عن سبيله

قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وان نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم الى لعلهم ينتهون يعنى أهل العهد من المشركين سماهم أئمة الكفر وهم كذلك يقول الله لنبيه وان نكثوا العهد الذى بينك وبينهم فقاتل أئمة الكفر لانهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وان نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم الى ينتهون فكان من أئمة الكفر أبو جهل بن هشام وأمية بن خلف وعتبة بن ربيعة وأبو سفيان وسهيل بن عمرو وهم الذين هموا باخراجه حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة أئمة الكفر أبو سفيان وأبو جهل وأمية ابن خلف وسهيل بن عمرو وعتبة بن ربيعة حدثنا ابن وكيع وابن بشار قال ابن وكيع ثنا غندر وقال ابن بشار ثنا محمد بن جعفر عن شعبة عن أبى بشر عن مجاهد فقاتلوا أئمة الكفر انهم لا ايمان لهم قال أبو سفيان منهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال ثنا اسباط عن السدى وان نكثوا أيمانهم الى ينتهون هؤلاء قريش يقول ان نكثوا عهدهم الذى عاهدوا على الاسلام وطعنوا فيه فقاتلوهم حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله فقاتلوا أئمة الكفر يعنى رؤس المشركين أهل مكة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله فقاتلوا أئمة الكفر أبو سفيان بن حرب وأمية بن خلف وعتبة بن ربيعة وأبو جهل بن هشام وسهيل بن عمرو وهم الذين نكثوا عهد الله وهموا باخراج الرسول وليس والله كما تأوله أهل الشبهات والبدع والفرى على الله وعلى كتابه ذكر الرواية عن حذيفة بالذى ذكرنا عنه حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن زيد بن وهب عن حذيفة فقاتلوا أئمة الكفر قال ما قوتل أهل هذه الآية بعد حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا حبيب بن حسان عن زيد بن وهب قال كنت عند حذيفة فقرأ هذه الآية فقاتلوا أئمة الكفر فقال ما قوتل أهل هذه الآية بعد حدثنى أبو السائب قال ثنا الاعمش عن زيد بن وهب قال قرأ حذيفة فقاتلوا أئمة الكفر قال ما قوتل أهل هذه الآية بعد حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان واسرائيل عن أبى اسحق عن صلة بن زفر انهم لا ايمان لهم لا عهد لهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله وان نكثوا أيمانهم قال عهدهم حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدى وان نكثوا أيمانهم عهدهم الذى عاهدوا على الاسلام حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى اسحق عن صلة عن عمار بن ياسر فى قوله لا ايمان لهم قال لا عهد لهم حدثنى محمد بن عبيد المحاربى قال ثنا أبو الاحوص عن أبى اسحق عن صلة بن زفر عن حذيفة فى قوله فقاتلوا أئمة الكفر انهم لا ايمان لهم قال لا عهد لهم وأما النكث فان أصله النقض يقال منه نكث فلان قوى حبله اذا نقضها والايمان جمع اليمين * واختلفت القراء فى قراءة قوله انهم لا ايمان لهم فقرأه قراء الحجاز والعراق وغيرهم انهم لا أيمان لهم بفتح الالف من أيمان بمعنى لا عهود لهم على ما قد ذكرنا من قول أهل التأويل فيه وذكر عن الحسن البصرى أنه كان يقرأ ذلك انهم لا ايمان لهم بكسر الالف بمعنى لا اسلام لهم وقد يتوجه لقراءته كذلك وجه غير هذا وذلك أن يكون أراد بقراءته ذلك كذلك انهم لا أمان لهم أى لا تؤمنوهم ولكن اقتلوهم حيث وجدتموهم كأنه أراد المصدر من قول القائل آمنته فأنا أؤمنه ايمانا * قال أبو جعفر والصواب من القراءة فى ذلك الذى لا أستجيز القراءة بغيره قراءة من قرأ بفتح الالف دون كسرها لاجماع الحجة من القراء على القراءة به ورفض خلافه ولاجماع أهل التأويل على ما ذكرت من أن تأويله لا عهد لهم والايمان التى هى

قطعوا طريق الحق على الارواح والقلوب واخوانكم فى الدين رفقاؤكم فى طلب الحق فارعوا حقوقهم فان لنفسك عليك حقا القوم يعلمون ان السير الى الله من أعظم المقامات وأهم المهمات وطعنوا فى دينكم أنكروا مذهب السلوك أئمة الكفر النفوس وهموا باخراج الرسول يعنى الواردات الغيبية باسدادر وزنة القلب أول مرة فى أوان الطفولية أتخشونهم فى فوات حظوظها فالله أحق أن تخشوه بفوات حقوقها ويذهب غيظ قلوبهم يعنى وحشة الارواح والقلوب وكدورتها ويتوب الله على من يشاء بالرجوع الى الحق قبل التمادى فى الباطل من حاجة الى رياضة شديدة والله عليم باستعدادات النفوس حكيم فيما يدبر لكل منها أم حسبتم أيها النفوس الامارة ان تتركوا بلا رياضة ولجة أولياء من الشيطان والدنيا والآخرة (ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفى النار هم خالدون انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدى القوم الظالمين الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبدا ان الله عنده أجر عظيم يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم أولياء ان استحبوا الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ويوم حنين

يعنى العهد لا تكون الا بفتح الالف لانها جمع يمين كانت على عقد كان بين المتوادعين ۞ القول فى تاويل قوله (ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدؤكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه ان كنتم مؤمنين) يقول تعالى ذكره للمؤمنين بالله ورسوله حاضا لهم على جهاد أعدائهم من المشركين ألا تقاتلون أيها المؤمنون هؤلاء المشركين الذين نقضوا العهد الذى بينكم وبينهم وطعنوا فى دينكم وظاهروا عليكم أعداءكم وهموا باخراج الرسول من بين أظهرهم فاخرجوه وهم بدؤكم أول مرة بالقتال يعنى فعلهم ذلك يوم بدر وقيل قتالهم حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من خزاعة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه يقول فالله أولى بكم أن تخافوا عقوبته بترككم جهادهم وتحذروا سخطه عليكم من هؤلاء المشركين الذين لا يملكون لكم ضرا ولا نفعا الا باذن الله ان كنتم مؤمنين يقول ان كنتم مقرين أن خشية الله لكم أولى من خشية هؤلاء المشركين على أنفسكم وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسن قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدى قوله ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا باخراج الرسول يقول هموا باخراجه فاخرجوه وهم بدؤكم أول مرة بالقتال حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وهم بدؤكم أول مرة قال قتال قريش حلفاء محمد صلى الله عليه وسلم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال أمر الله رسوله بجهاد أهل الشرك من نقض من أهل العهد ومن كان من أهل العهد العام بعد الاربعة الاشهر التى ضرب لهم أجلا الا أن يعودوا فيها على دينهم فيقبل بعد ثم قال ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا باخراج الرسول الى قوله والله خبير بما تعملون ۞ القول فى تاويل قوله (قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين) يقول تعالى ذكره قاتلوا أيها المؤمنون بالله ورسوله هؤلاء المشركين الذين نكثوا أيمانهم ونقضوا عهودهم بينكم وبينهم وأخرجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين أظهرهم يعذبهم الله بايديكم يقول يقتلهم الله بايديكم ويخزهم يقول ويذلهم بالاسر والقهر وينصركم عليهم فيعطيكم الظفر عليهم والغلبة ويشف صدور قوم مؤمنين يقول ويبرئ داء صدور قوم مؤمنين بالله ورسوله بقتل هؤلاء المشركين بايديكم واذلالكم وقهركم اياهم وذلك الداء هو ما كان فى قلوبهم عليهم من الموجدة بما كانوا ينالونهم به من الاذى والمكروه وقيل ان الله عنى بقوله ويشف صدور قوم مؤمنين صدور خزاعة حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك ان قريشا نقضوا العهد بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعونتهم بكرا عليهم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى وابن وكيع قالا ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد فى هذه الآية ويشف صدور قوم مؤمنين قال خزاعة حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو ابن محمد العنقزى عن اسباط عن السدى ويشف صدور قوم مؤمنين قال خزاعة يشف صدورهم من بنى بكر حدثنا محمد بن الحسن قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدى مثله حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ويشف صدور قوم مؤمنين خزاعة حلفاء محمد صلى الله عليه وسلم حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الله بن رجاء عن ابن جريج عن عبد الله بن كثير عن مجاهد ويشف صدور قوم مؤمنين قال حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من خزاعة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد

اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيأ وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم يا أيها الذين (٥٦)

آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله عليم حكيم) القرا آت مسجد الله بن كثير وأبو عمرو وسهل ويعقوب الباقون على الجمع يبشرهم مخففا حمزة وعشيراتكم على الجمع أبو بكر وحماد وجبلة وضاقت ونحوها بامالة حمزة رحبت ثم مظاهرا أبو جعفر ونافع وابن كثير وخلف ويعقوب وعاصم غير الاعشى * الوقوف بالكفر ط أعمالهم ج لعطف المختلفين خالدون ه المهتدين ه فى سبيل الله ط عند الله ط والظالمين ه لا لئلا يشتبه بالوصف وأنفسهم لا لان ما بعده خبر الذين عند الله ط الفائزون ه مقيم ه لا لان ما بعده حال أبدا ط عظيم ه على الايمان ط الظالمون ه بامره ط الفاسقين ه كثيرة لا للعطف الظرف على الظرف حنين لا لان اذ ظرف نصركم مدبرين ه ج للآية والعطف كفروا ط الكافرين ه من يشاء ط رحيم ه نصف الجزء وهذا ج ان شاء ط حكيم ه * التفسير انه سبحانه بدأ بالسورة بذكر البراءة من المشركين وبالغ فى ايجاب ذلك بتعداد فضائحهم وقبائحهم ثم أراد ان يحكى شبهاتهم التى كانوا يحتجون بها فى ان هذه البراءة غير جائزة مع الجواب عنها قال المفسرون لما أسر العباس يوم بدر أقبل عليه المسلمون فعيروه بالكفر وقطيعة الرحم وأغلظ على رضى الله عنه له القول فقال العباس ما لكم تذكرون مساوينا ولا تذكرون محاسننا فقال له على ألكم محاسن قال نعم انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقى الحاج ونفك العانى فانزل الله

مثله

مثله ﴿ القول في تأويل قوله (ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم) يقول الله تعالى ذكره ويذهب غيظ قلوب هؤلاء القوم المؤمنين من خزاعة على هؤلاء القوم الذين نكثوا أيمانهم من المشركين وغمها وكربها بما فيها من الوجد عليهم بمعونتهم بكرا عليهم كما حدثني ابن وكيع قال ثنا عمرو بن محمد العنقزي عن أسباط عن السدي ويذهب غيظ قلوبهم حين قتلهم بنو بكر وأعانتهم قريش حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي مثله الا انه قال وأعانتهم عليهم قريش وأما قوله ويتوب الله على من يشاء فانه خبر مبتدأ ولذلك رفع وجزم الاحرف الثلاثة قبل ذلك على وجه المجازاة كأنه قال قاتلوهم فانكم ان تقاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ثم ابتدأ فقال ويتوب الله على من يشاء لان القتال غير موجب لهم التوبة من الله وهو موجب لهم العذاب من الله والخزي وشفاء صدور المؤمنين وذهاب غيظ قلوبهم فجزم ذلك شرطا وجزاء على القتال ولم يكن موجبا القتال التوبة فابتدأ الحكم به ورفع ومعنى الكلام ويمن الله على من يشاء من عباده الكافرين فيقبل توبته بتوفيقه اياه والله عليم بسرائر عباده ومن هو للتوبة أهل فيتوب عليه ومن منهم غير أهل لها فيخذله حكيم في تصريف عباده من حال كفر الى حال ايمان بتوفيق من وفقه لذلك ومن حال ايمان الى كفر بخذلانه من خذل منهم عن طاعته وتوحيده وغير ذلك من أمرهم ﴿ القول في تأويل قوله (أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون) يقول تعالى ذكره للمؤمنين الذين أمرهم بالقتال لهؤلاء المشركين الذين نقضوا عهدهم الذي بينهم وبينه بقوله قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم الآية حاضا على جهادهم أم حسبتم أيها المؤمنون ان يترككم الله بغير محنة يمتحنكم بها وبغير اختبار يختبركم به فيعرف الصادق منكم في دينه من الكاذب فيه ولما يعلم الله الذين جاهدوا يقول أحسبتم ان تتركوا بغير اختبار يعرف به أهل ولايته المجاهدين منكم في سبيله من المضيعين أمر الله في ذلك المفرطين ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله يقول ولما يعلم الله الذين آمنوا منكم والذين لم يتخذوا من دون الله ولا من دون رسوله ولا من دون المؤمنين وليجة هو الشيء يدخل في آخر غيره يقال منه ولج فلان كذلك يلجه فهو وليجة وانما عنى بها في هذا الموضع البطانة من المشركين نهى الله المؤمنين أن يتخذوا من عدوهم من المشركين أولياء يفشون اليهم أسرارهم والله خبير بما تعملون يقول والله ذو خبرة بما تعملون في اتخاذكم من دون الله ودون رسوله والمؤمنين به أولياء وبطانة بعد ما قد نهاكم عنه لا يخفى ذلك عليه ولا غيره من أعمالكم والله مجازيكم على ذلك ان خيرا فخيرا وان شرا فشرا وبنحو الذي قلت في معنى الوليجة قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ولا المؤمنين وليجة يتولجها من الولاية للمشركين حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن أبي جعفر عن الربيع وليجة قال دخلا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أم حسبتم أن تتركوا الى قوله وليجة قال أبى أن يتركهم دون التمحيص وقوله أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم وقرأ أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم الآيات كلها أخبرهم أن لا يتركهم حتى يمحصهم ويختبرهم وقرأ الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون لا يختبرون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين أبى الله الا أن يمحص حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن وليجة قال هو الكفر والنفاق أو قال

الى ردا عليهم ما كان للمشركين ما صح لهم وما استقام أن يعمروا مسجد الله يعني مسجد الحرام ومن قرأ على الجمع فاما أن يراد جميع المساجد فيشمل المسجد الحرام أيضا الذى هو أشرفها وهذا آكد لان طريقه طريق الكناية كما لو قلت فلان لا يقرأ كتب الله كنت أنفى لقراءته القرآن من تصريحك بذلك أو يراد المسجد الحرام وجمع لانه قبلة المساجد كلها وامامها فعامره كعامر جميع المساجد أو لان كل بقعة منه مسجد قال الفراء العرب قد تضع الواحد مكان الجمع كقولهم فلان كثير الدرهم وبالعكس كقولهم فلان يجالس الملوك ولعله لم يجالس الا ملكا واحدا وعمارة المسجد اما لزومه واما كثرة اتيانه للصلاة والاعتكاف ولا شك انه ليس للمشرك ذلك واما مرمته وتعهده وليس للمشرك هذا أيضا لانه يجري مجرى الانعام على المسلمين ولا ينبغي ان يكون للكافر منة على أهل الاسلام ولان دخوله المسجد يؤدي الى تلويث المسجد اما لكونه نجسا في الحكم واما لانه قلما يحترز عن النجاسات وما روى انه صلى الله عليه وآله أنزل وفد ثقيف في المسجد وهم كفار وشد ثمامة بن اثال الحنفي على سارية من سوارى المسجد محمول على تعظيم شأنه صلى الله عليه وسلم كأنه أراد ان يكون ذلك بمحضر منه وهو في المسجد وقوله شاهدين على أنفسهم حال من الواو في يعمروا والمعنى ما استقام لهم أن يجمعوا بين أمرين متنافيين عمارة متعبدات الله مع الكفر به وفي تفسير هذه الشهادة أقوال أصحها انهم أقروا على أنفسهم بعبادة الاوثان وتكذيب النبي والقرآن ولهذا قال السدي هي ان النصراني اذا قيل له ما أنت قال نصراني واليهودي يقول يهودي وعابد الوثن يقول أنا عابد الوثن وقيل هي قولهم في طوافهم لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك وعن ابن عباس انه قال المراد انهم يشهدون على محمد بالكفر واعتبار هذا التفسير قوله تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم

أحدهما وقيل أم حسبتم ولم يقل أحسبتم لانه من الاستفهام المعترض فى وسط الكلام وأدخلت فيه أم ليفرق بينه وبين الاستفهام المبتدأ وقد بينت نظائر ذلك فى غير موضع من الكتاب ۞ القول فى تاويل قوله (ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفى النار هم خالدون) يقول تعالى ذكره ما ينبغى للمشركين أن يعمروا مساجد الله وهم شاهدون على أنفسهم بالكفر يقول ان المساجد انما تعمر لعبادة الله فيها لا للكفر به فمن كان بالله كافرا فليس من شأنه ان يعمر مساجد الله وأما شهادتهم على أنفسهم بالكفر فانها كما حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قوله ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر يقول ما ينبغى لهم أن يعمروه واما شاهدين على أنفسهم بالكفر فان النصارى تسئل ما أنت فيقول نصرانى واليهودى فيقول يهودى والصابئ فيقول صابئ والمشرك يقول اذا سألته ما دينك فيقول مشرك لم يكن ليقوله أحد الا العرب حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو العبقرى عن أسباط عن السدى ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله قال يقول ما كان ينبغى لهم أن يعمروها حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو عن أسباط عن السدى شاهدين على أنفسهم بالكفر قال النصرانى يقال له ما أنت فيقول نصرانى واليهودى يقال له ما أنت فيقول يهودى والصابئ يقال له ما أنت فيقول صابئ وقوله أولئك حبطت أعمالهم يقول بطلت وذهبت أجورها لانها لم تكن لله بل كانت للشيطان وفى النار هم خالدون يقول ماكثون فيها أبدا لا احياء ولا أمواتا واختلفت القراء فى قراءة قوله ما كان للمشركين أن يعمروا مسجد الله فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة والكوفة مساجد الله على الجمع وقرأ ذلك بعض المكيين والبصريين مسجد الله على التوحيد بمعنى المسجد الحرام وهم جميعا مجمعون على قراءة قوله مساجد الله على الجمع لانه اذا قرئ كذلك احتمل معنى الواحد والجمع لان العرب قد تذهب بالواحد الى الجمع وبالجمع الى الواحد كقولهم عليه أخلاق ثوب ۞ القول فى تاويل قوله (انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين) يقول تعالى ذكره انما يعمر مساجد الله المصدق بوحدانية الله المخلص له العبادة واليوم الآخر يقول الذى يصدق ببعث الله الموتى أحياء من قبورهم يوم القيامة وأقام الصلاة المكتوبة بحدودها وأدى الزكاة الواجبة عليه فى ماله من وجبها الله له ولم يخش الا الله يقول ولم يرهب عقوبة شئ على معصيته اياه سوى الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين نخليق أن يكون الذين هذه صفتهم أن يكونوا عند الله ممن قد هداه الله للحق وأصابه للصواب حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر يقول من وحد بالله وآمن باليوم الآخر يقول أقر بما أنزل الله وأقام الصلاة يعنى الصلوات الخمس ولم يخش الا الله يقول لم يعبد الا الله قال فعسى أولئك يقول ان أولئك هم المفلحون كقوله لنبيه عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا وهى الشفاعة وكل عسى فى القرآن فهى واجبة حدثنا ابن أحمد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثم ذكر قول قريش انا أهل الحرم وسقاة الحاج وعمار هذا البيت ولا أحد أفضل منا قال انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر أى ان عمارتكم ليست على ذلك انما يعمر مساجد الله أى من عمرها بحقها من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فاولئك عمارها عسى أولئك أن يكونوا من المهتدين وعسى من الله حق ۞ القول فى تاويل قوله (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم

الآخر

بين تعالى ما هو الحق فى هذا الباب فقال أولئك حبطت أعمالهم الصادرة عنهم كاكرام الوالدين وبناء الربط واطعام الجائع لانه لا يفيد مع الكفر طاعة لان الكفر يوجب عقاب الابد ولهذا قال وفى النار هم خالدون ولافادة هذا التركيب الحصر احتجت الاشاعرة به على خلاص صاحب الكبيرة ثم وصف من له استئهال عمارة المسجد فقال انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر لان المرء ما لم يعرف المبدأ والمعاد لا يصح منه التوجه اليه وانما طوى ذكر الرسول تنبيها على انه واسطة والتوجه الحقيقى من الله والى الله ولهذا ورد فى الحديث المصلى يناجى ربه وقيل ان المشركين كانوا يقولون ان محمدا ادعى رسالة الله طلبا للرياسة والملك فلنفى هذه التهمة ترك ذكره صلى الله عليه وسلم وقيل دل عليه بقوله واقام الصلاة وآتى الزكاة لانهما معلومتان من أفعاله صلى الله عليه وسلم ولما فى الصلاة من التشهد وقبلها الاذان والاقامة ثم ان اقامة الصلاة لا ريب ان فيها عمارة المسجد والحضور فيه وأما ايتاء الزكاة فانما كان سببا للعمارة لانه يحضر المسجد طوائف الفقراء والمساكين لاخذ الزكاة ولان ايتاء الزكاة واجب وبناء المسجد واصلاحه نفل والانسان ما لم يفرغ عن الواجب لم يشتغل بالنافلة فلو لم يكن مؤديا للزكاة فالظاهر انه لم يشتغل بعمارة المسجد ثم قال ولم يخش الا الله ليعلم انه لو أتى المسجد وبناه رياء وسمعة لم يكن عامرا له فعلى المؤمن ان يختار فى جميع الاحوال رضوان الله على غيره فان ذلك لو ضره فى العاجل فسينفعه فى الآجل وفى ادخال كلمة انما فى صدر الآية تنبيه على ان من لم يكن موصوفا بالصفات المذكورة لم يكن من أهل عمارة المسجد ومن عمارة المسجد صونه عن غير العبادة فقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال يأتى فى آخر الزمان ناس من أمتى يأتون المساجد فيقعدون فيها حلقا ذكرهم الدنيا لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة وعنه صلى الله عليه وسلم الحديث فى المسجد يأكل الحسنات

الآخر وجاهد فى سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدى القوم الظالمين) وهـذا توبيخ من الله تعالى ذكره لقوم افتخروا بالسقاية وسدانة البيت فاعلمهم جل ثناؤه ان الفخر فى الايمان بالله واليوم الآخر والجهاد فى سبيله لا فى الذى افتخروا به من السدانة والسقاية وبذلك جاءت الآثار وتاويل أهـل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو الوليـد الدمشقى أحمد بن عبـد الرحمن قال ثنا الوليد بن مسلم قال ثنى معاوية بن سلام عن جده أبى سلام الاسود عن النعمان بن بشير الانصارى قال كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نفر من أصحابه فقال رجل منهم ما أبالى أن لا أعمل عملا بعد الاسلام الا أن أسقى الحاج وقال آخر بل عمارة المسجد الحرام وقال آخر بل الجهاد فى سبيل الله خير مما قلتم فزجرهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقال لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوم الجمعة ولكن اذا صليت الجمعة دخلت على رسول الله صـلى الله عليه وسـلم فاستفتيته فيما اختلفتم فيـه قال ففعل فانزل الله تبارك وتعالى أجعلتم سـقاية الحاج الى قوله والله لا يهدى القوم الظالمين حدثنا المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله أجعلـتم سـقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر قال العباس بن عبد المطلب حين أسر يوم بدر لئن كنتم سبقتمونا بالاسلام والهجرة والجهاد لقد كنا نعمر المسجد الحرام ونسقى الحاج ونفك العانى قال الله أجعلتم سقاية الحاج الى قوله الظالمين يعنى ان ذلك كان فى الشرك ولا أقبل ما كان فى الشرك حدثنى محمد بن سـعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله أجعلتم سقاية الحاج الى قوله الظالمين وذلك ان المشركين قالوا عمارة بيت الله وقيام على السقاية خير ممن آمن وجاهد وكانوا يفخرون بالحرم ويستكبرون من أجل انهم أهله وعماره فذكر الله استكبارهم واعراضهم فقال لاهل الحرم من المشركين قد كانت آياتى تتلى عليكم فكنتم عـلى أعقابكم تنكصون مستكبرين به سامرا تهجرون يعنى انهم يستكبرون بالحرم وقال به سامرا لانهم كانوا يسمرون ويهجرون القرآن والنبى صلى الله عليه وسلم فخير الايمان بالله والجهاد مع نبى الله صلى الله عليه وسلم على عمران المشركين البيت وقيامهم على السقاية ولم يكن ينفعهم عند الله مع الشرك به ان كانوا يعمرون بيته ويحرمونه قال الله لا يستوون عنـد الله والله لا يهدى القوم الظالمين يعنى الذين زعموا انهم أهل العمارة فسماهم الله ظالمين بشركهم فلم تغن عنهم العمارة حدثنا الحسـن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن يحيى بن أبى كثير عن النعمان بن بشير ان رجلا قال ما أبالى أن أعمل عملا بعد الاسلام الا أن أعمر مساجد الله وقال آخر الجهاد فى سبيل الله أفضل مما قلتم فزجرهم عمر وقال لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسـلم وذلك يوم الجمعة ولكن اذا صـلى الجمعة دخلنا عليه فنزلت أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام الى قوله لا يسـتوون عنـد الله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن عمرو عن الحسـن قال نزلت فى على وعباس وعثمان وشيبة تكلموا فى ذلك فقال العباس ما أرانى الا تارك سقايتنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسـلم أقيموا سقايتكم فان لكم فيها خيرا قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخـبرنا ابن عيينة عن اسمعيل عن الشعبى قال نزلت فى على والعباس تكلما فى ذلك حدثنى يونس قال أخـبرنا ابن وهب قال أخبرت عن أبى صخر قال سمعت محمد بن كعب القرظى افتخر طلحة بن شيبة من بنى عبد الدار وعباس بن عبد المطلب وعلى بن أبى طالب فقال طلحة أنا صاحب البيت معى مفتاحه لو أشاء بت فيه وقال عباس أنا صاحب السقاية والقائم ولو أشاء بت فى المسجد وقال على ما أدرى ما تقولان لقد صليت الى القبلة ستة أشهر قبل الناس

ثم ما فى البهيمة الحشيش وقال صلى الله عليه وآله قال الله تعالى ان بيوتى فى أرضى المساجد وان زوارى فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر فى بيته ثم زارنى فى بيتى فحق على المزور أن يكرم زائره ومن عمارة المسجد تعظيمها والدرس فيها وقمها وتنظيفها وتنويرها بالمصابيح فعن أنس عن النبى صلى الله عليه وسـلم من أسرج فى مسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش تستغفر له مادام فى ذلك المسجـد ضوؤه وفى قوله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين حسم لاطماع الكفار فى الانتفاع باعمالهم فان الموصوفين بالصفات المذكورة اذا كان اهتداؤهم المستعقب لصلاح حالهم فى الدارين دائرا بين عسى ولعل فما ظنك باهتداء المشركين ومغبتهم وفيـه ان المؤمن يجب أن لا يغتر بالله عز وجل هذا وقد مر ان بعض الائمـة ذهبوا الى ان عسى من الله الكريم واجب وقال بعضهم ان الرجاء راجع الى العباد ثم انه قال أجعلتم سقاية الحاج ومعناه هبوا ان عمارة المسجـد وسقى الحجيج يوجب لكم نوعا من الفضيلة الا أن هـذه الاعمال فى مقابلة الايمان بالله والجهاد شئ نزر قال المفسرون انها نزلت فى مناظرة جرت بـين فريقـين الا انهم اختلفوا فقيل كافر ومؤمن لقوله كمن آمن وقصته ما مر ان العباس بن عبـد المطلب حين أسر يوم بدر قال لئن كنـتم سبقتمونا بالاسلام والهجرة والجهاد فلقد كنا نعمر المسجد الحـرام ونسقى الحاج وروى ان المشركين قالوا لليهود نحن سقاة الحجيج وعمار المسجد الحرام فنحن أفضل أم محمد وأصحابه فقالت اليهود لهـم أنتم أفضل وقيـل ان كلا الفريقـين مؤمن لقوله أولئك أعظم درجة وهذا يقتضى ان يكون للمفضول أيضا درجـة وقصته ما روى عن النعمان بن بشير قال كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل لا أبالى ان لا أعمل عملا بعد ان أسقى الحاج وقال الآخر ما أبالى ان لا أعمل عملا بعد ان أعمر المسجد الحرام وقال الآخر الجهاد فى سبيل الله أفضل مما قلتم فزجرهم عمر وقال لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله

وأنا صاحب الجهاد فأنزل الله أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام الآية كلها حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن قال لما نزلت أجعلتم سقاية الحاج قال العباس ما أراني الا تارك سقايتنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم أقيموا على سقايتكم فان لكم فيها خيرا حدثني محمد بن الحسن قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله قال افتخر علي وعباس وشيبة بن عثمان فقال العباس أنا أفضلكم أنا أسقي حجاج بيت الله وقال شيبة أنا أعمر مسجد الله وقال علي أنا هاجرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجاهد معه في سبيل الله فأنزل الله الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله الى نعيم مقيم حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله أجعلتم سقاية الحاج الآية أقبل المسلمون على العباس وأصحابه الذين أسروا يوم بدر يعيرونهم بالشرك فقال العباس أما والله لقد كنا نعمر المسجد الحرام ونفك العاني ونحجب البيت ونسقي الحاج فأنزل الله أجعلتم سقاية الحاج الآية وتأويل الكلام اذا أجعلتم أيها القوم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كايمان من آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون هؤلاء وأولئك ولا تعتدل أحوالهما عند الله ومنازلهما لأن الله تعالى لا يقبل بغير الايمان به وباليوم الآخر عملا والله لا يهدي القوم الظالمين يقول والله لا يوفق لصالح الأعمال من كان به كافرا ولتوحيده جاحدا ووضع الاسم موضع المصدر في قوله كمن آمن بالله اذ كان معلوما معناه كما قال الشاعر

لعمرك ما الفتيان أن تنبت اللحى * ولكنما الفتيان كل فتى ندي

فجعل خبر الفتيان أن وهو كما يقال انما السخاء حاتم والشعر زهير ۞ القول في تأويل قوله (الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون) وهذا قضاء من الله بين فرق المفتخرين الذين افتخر أحدهم بالسقاية والآخر بالسدانة والآخر بالايمان بالله والجهاد في سبيله يقول تعالى ذكره الذين آمنوا بالله صدقوا بتوحيده من المشركين وهاجروا دور قومهم وجاهدوا المشركين في دين الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأرفع منزلة عنده من سقاة الحاج وعمار المسجد الحرام وهم بالله مشركون وأولئك يقول وهؤلاء الذين وصفنا صفتهم أنهم آمنوا وهاجروا وجاهدوا هم الفائزون بالجنة الناجون من النار ۞ القول في تأويل قوله (يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم) يقول تعالى ذكره يبشر هؤلاء الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله ربهم برحمة منه لهم أنه قد رحمهم من أن يعذبهم وبرضوان منه لهم بأنه قد رضي عنهم بطاعتهم اياه وأدائهم ما كلفهم وجنات يقول وبساتين لهم فيها نعيم مقيم لا يزول ولا يبيد ثابت دائم أبدا لهم حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد الزبيري قال ثنا سفيان عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال اذا دخل أهل الجنة الجنة قال الله سبحانه أعطيكم أفضل من هذا فيقولون ربنا أي شيء أفضل من هذا قال رضواني ۞ القول في تأويل قوله (خالدين فيها أبدا ان الله عنده أجر عظيم) يقول تعالى ذكره خالدين فيها ماكثين فيها يعني في الجنات أبدا لا نهاية لذلك ولا حد ان الله عنده أجر عظيم يقول ان الله عنده لهؤلاء المؤمنين الذين نعتهم جل ثناؤه النعت الذي ذكر في هذه الآية أجر ثواب على طاعتهم لربهم وأدائهم ما كلفهم من الأعمال عظيم وذلك النعيم الذي وعدهم أن يعطيهم في الآخرة ۞ القول في تأويل قوله (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم أولياء ان استحبوا الكفر على

صلى الله عليه وسلم وهو يوم الجمعة ولكني اذا صليت دخلت فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اختلفتم فيه ففعل فأنزل الله الآية وروي عن الحسن والشعبي أن طلحة قال أنا صاحب البيت بيدي مفتاحه ولو أشاء بت فيه وقال العباس وذلك بعد اسلامه أنا صاحب السقاية والقائم عليها وقال علي رضي الله عنه ما أدري ما تقولان لقد صليت ستة أشهر قبل الناس وأنا صاحب الجهاد فنزلت وعن ابن سيرين قال علي رضي الله عنه للعباس بعد أن كان أسلم ألا تهاجر ألا تلحق بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال ألست في أفضل من الهجرة ألست أسقي حاج بيت الله وأعمر المسجد الحرام فنزلت هذه الآية فقال العباس ما أراني الا تارك سقايتنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم أقيموا على سقايتكم فان لكم فيها خيرا والسقاية والعمارة مصدران من سقى وعمر ولا بد من تقدير مضاف أي أجعلتم أهل سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن أو أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كخصال من آمن ثم كان لسائل أن يسأل ما بال أحد الفريقين لا يشبه بالآخر فلا جرم قال مستأنفا لا يستوون عند الله ثم صرح بالمفضول فقال والله لا يهدي القوم الظالمين أي المشركين لأن الشرك لظلم عظيم وأي ظلم أشنع من وضع أخس الموجودات وهو الأصنام مقام أشرفها وهو الله سبحانه وأيضا لم يهدهم الله لعدم قابلية وقعت في استعدادهم الفطري وذلك لكونهم مظاهر القهر ووفاقهم ثم صرح بالفريق الفاضل فقال الذين آمنوا الآية ثم من قال ان الفريقين المتناظرين كانا مؤمنين أورد عليه ان قوله أعظم درجة يوجب أن يكون للمفضول أيضا درجة ولكنه ليس للكافر درجة وأجيب بأن هذا وارد على حسب ما كانوا يقدرونه لأنفسهم من الدرجة والفضيلة نظيره قوله ذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم أو المراد أنهم أعظم درجة من كل من لم يكن موصوفا بالهجرة والجهاد وان كان مؤمنا فضلا عن الكافر أو المراد

الايمان

الايمان ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون) يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله لاتتخذوا آباءكم واخوانكم بطانة وأصدقاء تفشون اليهم أسراركم وتطلعونهم على عورة الاسلام وأهله وتؤثرون المكث بين أظهرهم على الهجرة الى دار الاسلام ان استحبوا الكفر على الايمان يقول ان اختاروا الكفر بالله على التصديق به والاقرار بتوحيده ومن يتولهم منكم يقول ومن يتخذهم منكم بطانة من دون المؤمنين ويؤثر المقام معهم على الهجرة الى رسول الله ودار الاسلام فاولئك هم الظالمون يقول فالذين يفعلون ذلك منكم هم الذين خالفوا أمر الله فوضعوا الولاية فى غير موضعها وعصوا الله فى أمره وقيل ان ذلك نزل نهيا من الله المؤمنين عن موالاة أقربائهم الذين لم يهاجروا من أرض الشرك الى دار الاسلام ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام قال أمروا بالهجرة فقال العباس بن عبد المطلب أنا أسقى الحاج وقال طلحة أخو بنى عبد الدار أنا صاحب الكعبة فلا نهاجر فانزلت لاتتخذوا آباءكم واخوانكم أولياء الى قوله يأتى الله بامره بالفتح فى أمره اياهم بالهجرة هذا كله قبل فتح مكة ۞ القول فى تأويل قوله (قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بامره والله لايهدى القوم الفاسقين) يقول تبارك وتعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد للمتخلفين عن الهجرة الى دار الاسلام المقيمين بدار الشرك ان كان المقام مع آبائكم وأبنائكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وكانت أموال اقترفتموها يقول اكتسبتموها وتجارة تخشون كسادها بفراقكم بلدكم ومساكن ترضونها فسكنتموها أحب اليكم من الهجرة الى الله ورسوله من دار الشرك ومن جهاد فى سبيله يعنى فى نصرة دين الله الذى ارتضاه فتربصوا يقول فتنظروا حتى يأتى الله بامره حتى يأتى الله بفتح مكة والله لايهدى القوم الفاسقين يقول والله لايوفق للخير الخارجين عن طاعته وفى معصيته وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد حتى يأتى الله بامره بالفتح حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فتربصوا حتى يأتى الله بامره فتح مكة حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها يقول تخشون أن تكسد فتبيعوها ومساكن ترضونها قال هى القصور والمنازل حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأموال اقترفتموها يقول أصبتموها ۞ القول فى تأويل قوله (لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيأ وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين) يقول تعالى ذكره لقد نصركم الله أيها المؤمنون فى أماكن حرب توطنون فيها أنفسكم على لقاء عدوكم ومشاهد تلتقون فيها أنتم وهم كثيرة ويوم حنين يقول وفى يوم حنين أيضا قد نصركم وحنين واد فيما ذكر بين مكة والطائف وأجرى لانه مذكر اسم لمذكر وقد يترك اجراؤه ويراد به ان يجعل اسما للبلدة التى هو بها ومنه قول الشاعر

نصروا نبيهم وشدوا أزره * بحنين يوم تواكل الابطال

حدثنى عبد الوارث بن عبد الصمد قال ثنى أبى قال ثنا أبان العطار قال ثنا هشام بن عروة عن عروة قال حنين واد الى جنب ذى المجاز اذ أعجبتكم كثرتكم قال كانوا ذلك اليوم اثنى عشر ألفا وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ذلك اليوم لن نغلب من قلة وقيل قال ذلك رجل

ترجيح الايمان والهجرة والجهاد على السقاية والعمارة ولاشك انهما من أعمال الخير وموجبان للثواب لولا الكفر وفى قوله عند الله تشريف عظيم كقوله ومن عنده لايستكبرون وكذا فى قوله وأولئك هم الفائزون لدلالته على انحصار الفوز فيهم ثم فسر الفوز بقوله يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات التنكير فيها يفيد انها وراء وصف الواصف قال المتكلمون الثواب منفعة خالصة دائمة مقرونة بالتعظيم فالتبشير بالرحمة والرضوان اشارة الى غاية التعظيم ونهاية الاجلال والجنات اشارة الى حصول المنافع العظيمة وقوله لهم فيها نعيم اشارة الى خلوص تلك المنافع عن شوائب الكدورات ثم عبر عن دوامهما بثلاثة ألفاظ مؤكدات أولها مقيم وثانيها خالدين وثالثها أبدا وقال أهل التحقيق الفرح بالنعمة قد يكون من حيث انها نعمة وقد يكون من حيث ان المنعم خصه بها كالسلطان اذا أعطى بعض الحاضرين تفاحة مثلا ثم النعمة قد تكون حسية وقد تكون عقلية فقوله يبشرهم ربهم اشارة الى أعلى المراتب وهو مقام العارفين الذين نظرهم على مجرد سماع البشارة لا على المبشر به وقوله برحمة منه ورضوان اشارة الى المرتبة الوسطى وهم العاكفون على عتبة اللذات الروحانية العقلية وقوله جنات الى آخره اشارة الى المرتبة السفلى وهم الواقفون عند ساحات مواقع اللذات الحسيات وفى تخصيص الرب بالمقام اشارة الى أن الذى رباكم فى الدنيا بالنعم التى لاحد لها يبشركم بخيرات دائمة وسعادات باقية لاحصر لها ويجوز أن تكون الرحمة اشارة الى رضا العبد بقضاء الله فيسهل عليه الهموم والآفات والرضوان اشارة الى رضاه عن العبد ويكون كقوله ارجعى الى ربك راضية مرضية ثم أكد المعانى المذكورة بقوله ان الله عنده أجر عظيم فى تعميم ... [illegible] ... مبالغات لاتخفى قال الكلبى لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجرة الى المدينة جعل الرجل يقول لابيه ولاخيه ولقرابته انا قد أمرنا

من المسلمين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قول الله اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم كثرتكم شيأ وضاقت عليكم الارض بما رحبت يقول وضاقت الارض بسعتها عليكم والباء ههنا في معنى في ومعناه وضاقت عليكم الارض في رحبها وبرحبها يقال منه مكان رحيب أي واسع وانما سميت الرحاب رحابا لسعتها ثم وليتم مدبرين عن عدوكم منهزمين مدبرين يقول وليتموهم الادبار وذلك الهزيمة يخبرهم تبارك وتعالى ان النصر بيده ومن عنده وانه ليس بكثرة العدد وشدة البطش وانه ينصر القليل على الكثير اذا شاء ويخلي القليل يهزم الكثير وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين حتى بلغ وذلك جزاء الكافرين قال وحنين ما بين مكة والطائف قاتل عليها نبي الله هوازن وثقيف وعلى هوازن مالك بن عوف أخو بني نصر وعلى ثقيف عبد ياليل بن عمرو الثقفي قال وذكر لنا انه خرج يومئذ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنا عشر ألفا عشرة آلاف من المهاجرين والانصار وألفان من الطلقاء وذكر لنا ان رجلا قال يومئذ لن نغلب اليوم بكثرة قال وذكر لنا ان الطلقاء انجفلوا يومئذ بالناس وجلوا عن نبي الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل عن بغلته الشهباء وذكر لنا ان نبي الله قال أي رب آتني ما وعدتني قال والعباس آخذ بلجام بغلة رسول الله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم نادِ يا معشر الانصار ويا معشر المهاجرين فجعل ينادي الانصار فخذا فخذا ثم نادى يا أصحاب سورة البقرة قال فجاء الناس عنقا واحدا فالتفت نبي الله صلى الله عليه وسلم واذا عصابة من الانصار فقال هل معكم غيركم فقالوا يا نبي الله والله لو عمدت الى برك الغماد من ذي يمن لكنا معك ثم أنزل الله نصره وهزم عدوهم وتراجع المسلمون قال وأخذ رسول الله كفا من تراب أو قبضة من حصباء فرمى بها وجوه الكفار وقال شاهت الوجوه فانهزموا فلما جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنائم وأتى الجعرانة فقسم بها مغانم حنين وتألف أناسا من الناس فيهم أبو سفيان بن حرب والحرث بن هشام وسهيل بن عمرو والاقرع بن حابس فقالت الانصار حن الرجل الى قومه فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في قبة له من أدم فقال يا معشر الانصار ما هذا الذي بلغني ألم تكونوا ضلالا فهداكم الله وكنتم أذلة فأعزكم الله وكنتم وكنتم قال فقال سعد بن عبادة رحمه الله ائذن لي فأتكلم قال تكلم قال أما قولك كنتم ضلالا فهداكم الله فكنا كذلك وكنتم أذلة فأعزكم الله فقد علمت العرب ما كان حي من احياء العرب أمنع لما وراء ظهورهم منا فقال عمر يا سعد أتدري من تكلم فقال نعم أكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو سلكت الانصار واديا والناس واديا لسلكت وادي الانصار ولولا الهجرة لكنت امرأ من الانصار وذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول الانصار كرشي وعيبتي فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الانصار اما ترضون أن ينقلب الناس بالابل والشاء وتنقلبون برسول الله الى بيوتكم فقالت الانصار رضينا عن الله ورسوله والله ما قلنا ذلك الا حرصا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ورسوله يصدقانكم ويعذرانكم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا ان ظئر رسول الله صلى الله عليه وسلم التي أرضعته أو ظئره من بني سعد بن بكر أتته فسألته سبايا يوم حنين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لا أملكهم وانما لي منهم نصيبي ولكن ائتيني غدا فسليني والناس عندي فاني اذا أعطيتك نصيبي أعطاك الناس فجاءت الغد فبسط لها ثوبا فقعدت عليه ثم سألته فأعطاها نصيبه فلما رأى ذلك الناس أعطوها انصباءهم حدثني محمد بن الحسين

بالهجرة فمنهم من يسرع الى ذلك ويحبه ومنهم من تتعلق به زوجته وعياله وولده فيقولون ننشدك الله ان تدعنا الى غير شئ فنضيع فيرق فيجلس معهم ويدع فنزل فيهم يا أيها (٦٢) الذين آمنوا لا تتخذوا الى الآيتين وذكروا في وجه النظم ان هذه الآية جواب عن شبهة أخرى قالوها وهي انه كيف يمكن دعوى البراءة من الكفار وبينهم وبين المسلمين قرابات ومواصلات ومعاملات فذكر الله تعالى ان الانقطاع عن الآباء والابناء والاخوان واجب بسبب الكفر ومعنى استحبوا اختاروا وهو في الاصل طلب المحبة ثم ان النهي كان يحتمل ان يكون نهي تنزيه لا تحريم فلازالة ذلك الوهم ختم الآية بقوله ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون قال ابن عباس يريد انه يكون مشركا مثلهم لان الرضا بالشرك شرك وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا يطعم أحدكم طعم الايمان حتى يحب ويبغض في الله حتى يحب في الله أبعد الناس ويبغض في الله أقرب الناس وعن ابن عباس هي في المهاجرين خاصة كان قبل فتح مكة من آمن لم يتم ايمانه الا بان يهاجر ويصارم أقاربه الكفرة ويقطع موالاتهم فقالوا يا رسول الله ان نحن اعتزلنا من يخالفنا في الدين قطعنا آباءنا وعشائرنا وذهبت تجارتنا وهلكت أموالنا وخربت ديارنا وبقينا ضائعين فنزلت قل ان كان آباؤكم الآية فهاجروا فجعل الرجل يأتيه ابنه أو أبوه أو أخوه أو بعض أقربائه فلا يلتفت اليه ولا ينزله ولا ينفق عليه ثم رخص لهم بعد ذلك وقيل نزلت في السبعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة فنهى الله عز وجل عن موالاتهم قال الواحدي عشيرة الرجل أهله الادنون وهم الذين يعاشرونه من قرأ على التوحيد فلان العشيرة اسم جمع ومن قرأ على الجمع فلان كل واحد من المخاطبين له عشيرة قال الاخفش لا يكاد العرب قال تجمع عشيرة على عشيرات وانما يجمعونها على عشائر والقرآن حجة عليه والاقتراف الاكتساب والتركيب يدور على الدنو والكاسب

قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة الآية ان رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين قال يارسول الله لن نغلب اليوم من قلة وأعجبته كثرة الناس وكانوا اثنى عشر ألفا فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم فوكلوا الى كلمة الرجل فانهزموا عن رسول الله غير العباس وأبى سفيان بن الحرث وأيمن بن أم أيمن قتل يومئذ بين يديه فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم أين الانصار أين الذين بايعوا تحت الشجرة فتراجع الناس فأنزل الله الملائكة بالنصر فهزموا المشركين يومئذ وذلك قوله ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها الآية حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الزهرى عن كثير بن عباس بن عبد المطلب عن أبيه قال لما كان يوم حنين التقى المسلمون والمشركون فولى المسلمون يومئذ قال فلقد رأيت النبى صلى الله عليه وسلم وما معه أحد الا أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب آخذا بغرز النبى صلى الله عليه وسلم لا يألو ما أسرع نحو المشركين قال فأتيت حتى أخذت بلجامه وهو على بغلة له شهباء فقال ياعباس ناد أصحاب السمرة وكنت رجلا صيتا فأذنت بصوتى الاعلى أين أصحاب السمرة فالتفتوا كأنهم الابل اذا حنت الى أولادها يقولون يالبيك يالبيك يالبيك وأقبل المشركون فالتقوا هم والمسلمون وتنادت الانصار يامعشر الانصار ثم قصرت الدعوة فى بنى الحرث بن الخزرج فتنادوا يابنى الحرث بن الخزرج فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بغلته كالمتطول الى قتالهم فقال هذا حين حمى الوطيس ثم أخذ بيده من الحصباء فرماهم بها ثم قال انهزموا ورب الكعبة انهزموا ورب الكعبة قال فوالله مازال أمرهم مدبرا وحدهم كليلا حتى هزمهم الله قال فلكأنى أنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض خلفهم على بغلته حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة عن الزهرى عن سعيد بن المسيب انهم أصابوا يومئذ ستة آلاف سبى ثم جاء قومهم مسلمين بعد ذلك فقالوا يارسول الله أنت خير الناس وأبر الناس وقد أخذت أبناءنا ونساءنا وأموالنا فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان عندى من ترون وان خير القول أصدقه اختاروا اما ذراريكم ونساءكم واما أموالكم قالوا اما كنا نعدل بالاحساب شيأ فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان هؤلاء قد جاؤنى مسلمين وانا خيرناهم بين الذرارى والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيأ فمن كان بيده منهم شئ فطابت نفسه ان يرده فليفعل ذلك ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيأ فنعطيه مكانه فقالوا يانبى الله رضينا وسلمنا فقال انى لا أدرى لعل منكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا ذلك الينا فرفعت اليه العرفاء ان قد رضوا وسلموا حدثنا على بن سهل قال ثنا مؤمل قال ثنا حماد بن سلمة قال ثنا يعلى بن عطاء عن أبى همام عن أبى عبد الرحمن يعنى الفهرى قال كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة حنين فلما ركدت الشمس لبست لامتى وركبت فرسى حتى أتيت النبى صلى الله عليه وسلم وهو فى ظل شجرة فقلت يارسول الله قد حان الرواح فقال أجل فنادى يابلال يابلال فقام بلال من تحت شجرة فأقبل كأن ظله ظل طير فقال لبيك وسعديك ونفسى فداؤك يارسول الله فقال له النبى صلى الله عليه وسلم أسرج فرسى فأخرج سرجا دفتاه حشوهما ليف ليس فيهما أشر ولا بطر قال فركب النبى صلى الله عليه وسلم فصاففناهم يومنا وليلتنا فلما التقى الخيلان ولى المسلمون مدبرين كما قال الله فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم ياعباد الله يامعشر المهاجرين قال ومال النبى صلى الله عليه وسلم عن فرسه فأخذ حفنة من تراب فرمى بها وجوههم فولوا مدبرين قال يعلى بن عطاء فحدثنى أبناؤهم عن آبائهم انهم قالوا ما بقى منا أحد الا وقد امتلأت عيناه من ذلك التراب حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى

يدنى الشئ من نفسه ويدخله تحت ملكه والترتيب المذكور فى الآية فى غاية الحسن لان أعظم الاسباب الداعية الى المخالطة القرابة القريبة ثم البعيدة ثم ان يتوسل بتلك المخالطة الى ابقاء الاموال المكتسبة ثم الى التجارات المثمرة وفى آخر المراتب الرغبة فى الاوطان التى بنيت للسكنى فبين تعالى انه يجب تحمل هذه المضار فى الدنيا ليبقى الدين سليما وذكر انه ان كانت رعاية هذه المصالح الدنيوية أولى عندكم من طاعة الله وطاعة رسوله ومن المجاهدة فى سبيل الله فتربصوا انتظروا بما تحبون حتى يأتى الله بأمره عن الحسن هو عقوبة عاجلة أو آجلة وقيل يعنى القتال وعن ابن عباس هو فتح مكة وفيه بعد لما روى ان هذه السورة نزلت بعد فتح مكة والله لا يهدى القوم الفاسقين الخارجين عن طاعة الله الى معصيته ولا يخفى ما فيه من التهديد ثم لما أوجب ترك مصالح الدنيا لاجل الدين أراد ان يبين ان كل من أعرض عن الدنيا لاجل مصالح دينه فان الله تعالى يراعى مصالح دنياه فيفوز بسعادة الدارين وضرب لنا مثلا فقال لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة قال الواحدى النصر المعونة على الاعداء خاصة والمواطن جمع الموطن وهو كل موضع أقام به الانسان لامر ومواطن الحرب مقاماتها ومواقعها وامتناعها من الصرف لانه على صيغة منتهى الجموع ولا هاء كمساجد والمواطن الكثيرة غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم وهى على ما فى الصحاح تسع عشرة منها غزوة بدر وقريظة والنضير وأحد وغزوة خندق وذات الرقاع وغزوة بنى المصطلق وغزوة أنمار وغزوة ذى قرد وخيبر والحديبية والفتح ويوم حنين أى وفى يوم حنين واستبعد صاحب الكشاف عطف الزمان على المكان فقال معناه فى أيام مواطن كثيرة ويوم حنين ويجوز أن يراد بالموطن الوقت كمقتل الحسين رضى الله عنه قال على رضى الله عنه بان الواجب ان يكون يوم حنين [illegible] لانهم [illegible] الظاهر [illegible] نصركم يوم حنين لان قوله اذ أعجبتكم كثرتكم بدل من يوم

اسحق قال سمعت البراء وسأله رجل من قيس فررتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فقال البراء لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر وكانت هوازن يومئذ رماة وانا لما حملنا عليهم انكشفوا فاكببنا على الغنائم فاستقبلونا بالسهام ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء وان أبا سفيان بن الحرث آخذ بلجامها وهو يقول

أنا النبي لا كذب * أنا ابن عبد المطلب

حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن اسرائيل عن أبي اسحق عن البراء قال سأله رجل يا أبا عمارة وليتم يوم حنين فقال البراء وأنا أسمع أشهد أن رسول الله لم يول يومئذ دبره وأبو سفيان يقود بغلته فلما غشيه المشركون نزل فجعل يقول

أنا النبي لا كذب * أنا ابن عبد المطلب

فما روي يومئذ أحد من الناس كان أشد منه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني جعفر ابن سليمان عن عوف الاعرابي عن عبد الرحمن مولى برثن قال ثني رجل كان من المشركين يوم حنين قال لما التقينا نحن وأصحاب محمد عليه السلام لم يقوموا لنا حلب شاة ان كشفناهم فبينا نحن نسوقهم اذا انتهينا الى صاحب البغلة الشهباء فتلقانا رجال بيض الوجوه حسان الوجوه فقالوا لنا شاهت الوجوه ارجعوا فرجعنا وركبنا القوم فكانت اياها حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن يعقوب عن جعفر عن سعيد قال أمد الله نبيه صلى الله عليه وسلم يوم حنين بخمسة آلاف من الملائكة مسومين قال ويومئذ سمى الله الانصار مؤمنين قال فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيأ قال كانوا اثني عشر ألفا حدثنا محمد بن يزيد الادمي قال ثنا معن بن عيسى عن سعيد بن السائب الطائفي عن أبيه عن يزيد بن عامر قال لما انكشفوا كانت انكشافة المسلمين حين انكشفوا يوم حنين ضرب النبي صلى الله عليه وسلم يده الى الارض فاخذ منها قبضة من تراب فاقبل بها على المشركين وهم يتبعون المسلمين فحثاها في وجوههم وقال ارجعوا شاهت الوجوه قال فانصرفنا ما يلقى أحد أحدا الا وهو يمسح القذى عن عينيه وبه عن يزيد بن عامر السوائي قال قيل له يا أبا حاجز الرعب الذي ألقى الله في قلوب المشركين ماذا وجدتم قال وكان أبو حاجز مع المشركين يوم حنين فكان يأخذ الحصاة فيرمي بها الطست فيطن ثم يقول كان في أجوافنا مثل هذا حدثنا القاسم قال ثنا الحسن بن عرفة قال ثني المعتمر بن سليمان عن عوف قال سمعت عبد الرحمن مولى أم برثن أو أم مريم قال ثني رجل كان في المشركين يوم حنين قال لما التقينا نحن وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين لم يقوموا لنا حلب شاة قال فلما كشفناهم جعلنا نسوقهم في أدبارهم حتى انتهينا الى صاحب البغلة البيضاء فاذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فتلقانا عنده رجال بيض الوجوه حسان الوجوه فقالوا لنا شاهت الوجوه ارجعوا قال فانهزمنا وركبوا أكتافنا فكانت اياها

❁ القول في تأويل قوله (ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين) يقول تعالى ذكره ثم من بعد ما ضاقت عليكم الارض بما رحبت وتوليتكم الاعداء أدباركم كشف الله نزل البلاء عنكم بانزاله السكينة وهي الامنة والطمأنينة عليكم وقد بينا انها فعيلة من السكون فيما مضى من كتابنا هذا قبل بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وأنزل جنودا لم تروها وهي الملائكة التي ذكرت في الاخبار التي قد مضى ذكرها وعذب الذين كفروا يقول وعذب الله الذين جحدوا وحدانيته ورسالة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم

حنين فلو جعلت ناصبه هذا الظاهر لم يصح لان كثرتهم لم تعجبهم في جميع ثلاثة المواطن ولم يكونوا كثيرا في جميعها وجوز ان يكون اذ منصوبا باضمار اذكر قالت ولعله لا حاجة الى هذه التكلفات فلا استبعاد في عطف الزمان على المكان وما جعل بدلا عن الزمان لا يلزم ان يكون بدلا عن المكان حتى يكون الفعل الاول مقيدا بهما جميعا وحنين واد بين مكة والطائف قال المفسرون لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وقد بقيت أيام شهر رمضان خرج متوجها الى حنين لقتال هوازن وثقيف واختلفوا في عدد عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ فعن عطاء عن ابن عباس كانوا ستة عشر ألفا عشرة آلاف من الذين حضروا مكة وألفان من الطلقاء الاسارى الذين أعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الكلبي كانوا عشرة آلاف وبالجملة كانوا عددا كثيرين وكان هوازن وثقيف أربعة آلاف فلما التقوا قال رجل من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة فهذه الكلمة ساءت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي المراد من قوله اذ أعجبتكم وقيل قالها أبو بكر وقيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بعيد لانه كان في الاحوال متوكلا على الله منقطع القلب عن الدنيا وأسبابها ثم قال فلم تغن عنكم شيأ والاغناء اعطاء ما يدفع الحاجة أي لم تعطكم الكثرة شيأ يدفع حاجتكم ولم يفدكم وضاقت عليكم الارض بما رحبت ما مصدرية والباء بمعنى مع والرحب السعة والجار والمجرور في موضع الحال أي متلبسة برحبها كقولك دخلت عليه بثياب السفر والمعنى انكم لشدة ما لحقكم من الرعب لم تجدوا في الارض ذات الطول والعرض موضعا يصلح لفراركم اليه وكأنها ضاقت عليكم ثم وليتم مدبرين أي انهزمتم منهزمين قال البراء بن عازب كانت هوازن رماة فلما حملنا عليهم انكشفوا وأكببنا على الغنائم فاستقبلونا بالسهام فانكشف المسلمون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبق معه الا العباس بن عبد المطلب وأبو سفيان

وسلم بالقتل وسبي الاهلين والذراري وسلب الاموال والذلة وذلك جزاء الكافرين يقول هذا الذي فعلنا بهم من القتل والسبي جزاء الكافرين يقول هذا ثواب أهل جحود وحدانيته ورسالة رسوله حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي وعذب الذين كفروا يقول قتلهم بالسيف حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو داود الحضري عن يعقوب عن جعفر عن سعيد وعذب الذين كفروا قال بالهزيمة والقتل قال حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين قال من بقي منهم ۞ القول في تاويل قوله (ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم) يقول تعالى ذكره ثم يتفضل الله بتوفيقه للتوبة والانابة اليه من بعد عذابه الذي به عذب من هلك منهم قتلا بالسيف على من يشاء أي يتوب الله على من يشاء من الاحياء يقبل به الى طاعته والله غفور لذنوب من أناب وتاب اليه منهم ومن غيرهم منها رحيم بهم فلا يعذبهم بعد توبتهم ولا يؤاخذهم بها بعد انابتهم ۞ القول في تاويل قوله (يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله عليم حكيم) يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله وأقروا بوحدانيته ما المشركون الا نجس * واختلف أهل التأويل في معنى النجس وما السبب الذي من أجله سماهم بذلك فقال بعضهم سماهم بذلك لانهم يجنبون فلا يغتسلون فقال هم نجس ولا يقربوا المسجد الحرام لان الجنب لا ينبغي له أن يدخل المسجد ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر في قوله انما المشركون نجس لا أعلم قتادة قال النجس الجنابة وبه عن معمر قال وبلغني ان النبي صلى الله عليه وسلم لقي حذيفة وأخذ النبي صلى الله عليه وسلم بيده فقال حذيفة يا رسول الله اني جنب فقال ان المؤمن لا ينجس حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة في قوله يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس أي أجناب * وقال آخرون معنى ذلك ما المشركون الا رجس خنزير أو كلب وهذا قول روي عن ابن عباس من وجه غير حميد فكرهنا ذكره وقوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا يقول للمؤمنين فلا تدعوهم أن يقربوا المسجد الحرام بدخولهم الحرم وانما عني بذلك منعهم من دخول الحرم لانهم اذا دخلوا الحرم فقد قربوا المسجد الحرام * وقد اختلف أهل التأويل في معنى ذلك فقال بعضهم فيه نحو الذي قلناه ذكر من قال ذلك حدثنا بشر وابن المثنى قالا ثنا أبو عاصم قال أخبرنا ابن جريج قال قال عطاء الحرم كله قبلة ومسجد قال فلا يقربوا المسجد الحرام لم يعن المسجد وحده انما عني مكة والحرم قال ذلك غير مرة وذكر عن عمر بن عبد العزيز في ذلك ما حدثنا عبد الكريم بن أبي عمير قال ثني الوليد بن مسلم قال ثنا أبو عمرو ان عمر بن عبد العزيز كتب أن امنعوا اليهود والنصارى من دخول مساجد المسلمين واتبع في نهيه قول الله انما المشركون نجس حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن فضيل عن أشعث عن الحسن انما المشركون نجس قال لا تصافحوهم فمن صافحهم فليتوضأ وأما قوله بعد عامهم هذا فانه يعني بعد العام الذي نادى فيه علي رحمة الله عليه ببراءة وذلك عام حج بالناس أبو بكر وهي سنة تسع من الهجرة كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وهو العام الذي حج فيه أبو بكر ونادى علي رحمة الله عليهما بالاذان وذلك لتسع سنين مضين من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحج نبي الله صلى الله عليه وسلم من العام المقبل حجة الوداع لم يحج قبلها ولا بعدها وقوله وان خفتم عيلة يقول للمؤمنين وان خفتم فاقة وفقرا بمنع المشركين من أن يقربوا المسجد الحرام فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء يقال منه عال يعيل عيلة

ابن الحرث والذي لا اله الا هو ما ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم دبره قط لقد رأيته وأبو سفيان آخذ بالركاب والعباس آخذ بلجام الدابة وهو يقول أنا النبي لا كذب * أنا ابن عبد المطلب وطفق يركض بغلته (٦٥) نحو الكفار لا يبالي وكانت بغلة شهباء ثم قال للعباس ناد المهاجرين والانصار وكان العباس رجلا صيتا فنادى يا أصحاب الشجرة فرجعوا ونزلت الملائكة عليهم ثياب بيض وهم على خيول بلق وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده كفا من الحصباء فرماهم بها وقال شاهت الوجوه فما زال حدهم مدبرا وحدهم كليلا ولم يبق منهم أحد الا وقد امتلأت عيناه من ذلك التراب فانهزموا وذلك قوله سبحانه ثم أنزل الله سكينته رحمته التي سكنوا بها وآمنوا على رسوله وعلى المؤمنين الذين كانوا انهزموا وعلى الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وقع الهرب وأنزل جنودا لم تروها يعني الملائكة ستة عشر ألفا أو ثمانية آلاف على اختلاف الروايات وعن سعيد بن المسيب قال حدثني رجل كان في المشركين يوم حنين قال لما كشفنا المسلمين جعلنا نسوقهم فلما انتهينا الى صاحب البغلة الشهباء تلقانا رجال بيض الوجوه حسان فقالوا شاهت الوجوه ارجعوا فرجعنا وركبوا أكتافنا واختلفوا في قتال الملائكة فقيل قاتلوا وقيل ما قاتلوا الا يوم بدر وانما نزلوا في هذا اليوم لتكثير السواد ولالقاء الخواطر الحسنة في قلوب المؤمنين ثم قال وعذب الذين كفروا أي بالقتل والاسر وأخذ الاموال وسبي الذراري احتجت الاشاعرة بانزال السكينة وهي داعية السكون والثبات وبقوله وعذب على ان الدواعي والافعال كلها بخلق الله تعالى ثم ختم الله بقوله وذلك جزاء الكافرين واعلم ان الحنفية تمسكوا في مسألة الجلد مع التغريب بقوله تعالى الزانية والزاني فاجلدوا قالوا الفاء للجزاء والجزاء اسم للكافي وكون الجلد كافيا يمنع ان يكون غيره مشروعا معه وأجابت الشافعية

بأنه تعالى قال في هذه الآية وذلك أي الاخذ والاسر جزاء الكافرين سمى العذاب العاجل جزاء مع انه غير كاف لان العذاب الآجل باق اما
قوله ثم يتوب الله من بعد ذلك أي يسلم ناس منهم روي ان ناسا منهم جاؤا تائبين فاسلموا وقالوا يا رسول الله أنت خير الناس وابرهم

وعيولا ومنه قول الشاعر مايدري الفقير متى غناه * ومايدري الغني متى يعيل

وقد حكي عن بعضهم ان من العرب من يقول في الفاقة عال يعول بالواو وذكر عن عمرو بن فائد انه كان يتأول قوله وان خفتم عيلة بمعنى واذ خفتم ويقول كان القوم قد خافوا وذلك نحو قول القائل لابيه ان كنت أبي فأكرمني بمعنى اذ كنت أبي وانما قيل ذلك لهم لان المؤمنين خافوا بانقطاع المشركين عن دخول الحرم انقطاع تجاراتهم ودخول ضرر عليهم بانقطاع ذلك وأمنهم الله من العيلة وعوضهم مما كانوا يكرهون انقطاعه عنهم ماهو خير لهم منه وهو الجزية فقال لهم قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولايحرمون ماحرم الله ورسوله الى صاغرون وقال قوم بادرار المطر عليهم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا قال لما نفى الله المشركين عن المسجد الحرام ألقى الشيطان في قلوب المؤمنين الحزن قالوا من أين تأكلون وقد نفي المشركون وانقطعت عنكم العير فقال الله وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء فأمرهم بقتال أهل الكتاب وأغناهم من فضله حدثنا هناد بن السري قال ثنا أبو الاحوص عن سماك عن عكرمة في قوله يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا قال كان المشركون يجيئون الى البيت ويجيئون معهم بالطعام ويتجرون فيه فلما نهوا أن يأتوا البيت قال المسلمون من أين لنا طعام فأنزل الله وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء فأنزل عليهم المطر وكثر خيرهم حتى ذهب عنهم المشركون حدثنا ابن وكيع قال ثنا حميد بن عبد الرحمن عن علي بن صالح عن سماك عن عكرمة انما المشركون نجس الآية ثم ذكر نحو حديث هناد عن أبي الاحوص حدثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن واقد عن سعيد بن جبير قال لما نزلت انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا من يأتينا بطعامنا ومن يأتينا بالمتاع فنزلت وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن واقد مولى زيد بن خليدة عن سعيد بن جبير قال كان المشركون يقدمون عليهم بالتجارة فنزلت هذه الآية انما المشركون نجس الى قوله عيلة قال الفقر فسوف يغنيكم الله من فضله حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن ادريس عن أبيه عن عطية العوفي قال قال المسلمون قد كنا نصيب من تجارتهم وبياعاتهم فنزلت انما المشركون نجس الى قوله من فضله حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال سمعت أبي أحسبه قال أنبأنا أبو جعفر عن عطية قال لما قيل ولا يحج بعد العام مشرك قالوا قد كنا نصيب من بياعاتهم في الموسم قال فنزلت يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله يعني بما فاتهم من بياعاتهم حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا ثنا ابن يمان عن أبي سنان عن ثابت عن الضحاك وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله قال بالجزية حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن يمان وأبو معاوية عن أبي سنان عن ثابت عن الضحاك قال أخرج المشركون من مكة فشق ذلك على المسلمين وقالوا كنا نصيب منهم التجارة والميرة فأنزل الله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله كان ناس من المسلمين يتألفون العير فلما نزلت براءة بقتال المشركين حيثما ثقفوا وان يقعدوا لهم كل مرصد قذف

وقد سبي أهلونا وأولادنا وأخذت أموالنا قيل سبي يومئذ ستة آلاف نفس وأخذ من الابل والغنم مالا يحصى فقال ان عندي ما ترون يعني العساكر الفقراء وان خير القول أصدقه اختاروا اما ذراريكم ونساءكم واما أموالكم قالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيأ فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان هؤلاء جاؤا مسلمين وانا خيرناهم بين الذراري والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيأ فمن كان بيده سبي وطابت نفسه ان يرده فشأنه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيأ فنعطيه مكانه قالوا رضينا وسلمنا فقال اني لا أدري لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا ذلك الينا فرفعت اليه صلى الله عليه وسلم العرفاء ان قد رضوا ثم انه سبحانه أجاب عن شبهة أخرى لهم وذلك ان عليا عليه السلام حين قرأ عليهم براءة فنبذ اليهم عهدهم قال أناس يا أهل مكة ستعلمون ما تلقونه من الشدة لانقطاع السبل وفقد الحمولات فقال تعالى يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس قال في الكشاف هو مصدر كالقذر ومعناه ذوو نجس وقال الليث انه صفة يستوي فيه الواحد وغيره رجل نجس وقوم نجس وامرأة نجس قلت ويجوز ان يجعل المصدر نعتا للمبالغة في الوصف واختلف في تفسير كون المشرك نجسا فعن ابن عباس ان أعيانهم نجسة كالكلب والخنزير وعن الحسن ان من صافح مشركا توضأ وهو

قول الهادي من أئمة الزيدية وأما الفقهاء فقد اتفقوا على طهارة أبدانهم واحتج القاضي على ذلك بما روي انه الشيطان
صلى الله عليه وسلم شرب من أواني المشركين وبنحوه ان نجس العين لما تبدلت النجاسة بسبب الاسلام وأول الآية بأن معناه انهم لا يغتسلون عن

الشيطان فى قلوب المؤمنين فمن أين تعيشون وقد أمرتم بقتال أهل العير فعلم الله من ذلك ما علم فقال أطيعونى وامضوا لامرى وأطيعوا رسولى فانى سوف أغنيكم من فضلى فتوكل لهم الله بذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله انما المشركون نجس الى قوله فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء قال المؤمنون كنا نصيب من متاجر المشركين فوعدهم الله أن يغنيهم من فضله عوضا لهم بان لا يقربوهم المسجد الحرام هذه الآية مع أول براءة فى القراءة ومع آخرها فى التأويل قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الى قوله عن يد وهم صاغرون حين أمر محمد وأصحابه بغزوة تبوك حدثنا القاسم قال ثنا الحسن قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه حدثنا بشر بن معاوية قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال لما نفى الله المشركين عن المسجد الحرام شق ذلك على المسلمين وكانوا يأتون ببيعات ينتفع بذلك المسلمون فانزل الله تعالى ذكره وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله فاغناهم بهذا الخراج الجزية الجارية عليهم يأخذونها شهرا شهرا عاما عاما فليس لاحد من المشركين أن يقرب المسجد الحرام بعد عامهم بحال الا صاحب الجزية أو عبد رجل من المسلمين حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن جريج قال أخبرنا ابن الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول فى قوله انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا الا أن يكون عبدا أو أحدا من أهل الذمة قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا قال الا صاحب جزية أو عبد لرجل من المسلمين حدثنى زكريا بن يحيى بن أبى زائدة قال ثنا حجاج عن عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج قال أخبرنى أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول فى هذه الآية انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام الا أن يكون عبدا أو احدا من أهل الجزية حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله قال أغناهم الله بالجزية الجارية شهرا فشهرا وعاما فعاما حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا عباد بن العوام عن الحجاج عن الزبير عن جابر انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا قال لا يقرب المسجد الحرام بعد عامه هذا مشرك ولا ذمى حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم عيلة وذلك ان الناس قالوا لتقطعن عنا الاسواق ولتهلكن التجارة وليذهبن ما كنا نصيب فيها من المرافق فنزل وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله من وجه غير ذلك ان شاء الى قوله وهم صاغرون ففى هذا عوض مما تخوفتم من قطع تلك الاسواق فعوضهم الله بما قطع عنهم من أمر الشرك ما أعطاهم من أعناق أهل الكتاب من الجزية وأما قوله ان الله عليم حكيم فان معناه ان الله عليم بما حدثتكم به أنفسكم أيها المؤمنون من خوف العيلة عليها بمنع المشركين من أن يقربوا المسجد الحرام وغير ذلك من مصالح عباده حكيم فى تدبيره اياهم وتدبير جميع خلقه ۞ القول فى تأويل قوله (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من أصحاب رسوله صلى الله عليه وسلم قاتلوا أيها المؤمنون القوم الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر يقول ولا يصدقون بجنة ولا نار ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق يقول ولا يطيعون الله طاعة الحق وهم اليهود والنصارى وكل مطيع ملكا أو ذا سلطان فهو دائن له يقال منه دان فلان لفلان فهو يدين له دينا قال زهير

الجنابة ولا يتوضؤن عن الحدث أو انهم بمنزلة الشئ النجس فى وجوب الاجتناب والاحتراز عنهم أو ان كفرهم الذى هو صفة بمنزلة النجاسة المتصفة بالشئ فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وهى السنة التاسعة من الهجرة التى وقع النداء فيها بالبراءة من المشركين واختلفوا فى هذا النهى فعن أبى حنيفة وأصحابه ان المراد ان لا يحجوا ولا يعتمروا كما كانوا يفعلونه فى الجاهلية والدليل عليه قول على عليه السلام فى النداء الا لا يحج بعد عامنا هذا مشرك وقال الشافعى المراد المنع من الدخول فيه وهو ظاهر النص وقاس مالك سائر المساجد على المسجد الحرام فى المنع وقيل المراد ان يمنعوا من تولى المسجد الحرام والقيام بمصالحه ويعزلوا عن ذلك وعن عطاء ان المراد بالمسجد الحرام الحرم وان على المسلمين ان لا يمكنوهم من دخوله ونهى المشركين أن يقربوه راجع الى نهى المسلمين عن تمكينهم منه لقوله تعالى وان خفتم عيلة أى فقرا بسبب منع المشركين وموضع التجارات ليس هو عين المسجد بل الحرم كله ومن قال ان المراد منعهم من الحج قال انهم اذا لم يحضروا الموسم لم يحصل للمسلمين ما كان لهم فى قدومهم عليهم من الارفاق والمكاسب فلهذا خافوا الفقر ثم وعدهم الله ازالة الفقر بقوله فسوف يغنيكم الله من فضله أى من تفضله بوجه آخر قال عكرمة أنزل الله عليهم المطر فكثر خيرهم وعن الحسن جعل الله لهم أخذ الجزية بدلا عن ذلك وقيل أغناهم من الفىء وعن مقاتل أسلم أهل جدة وصنعاء وجرش وحملوا الطعام الى مكة فكان ذلك أعود عليهم واعلم ان هذا اخبار بالغيب وقد وقع فكان معجزا ومعنى ان شاء تعليم وارشاد وان لا يغتر المسلمون بذلك فيتركوا التضرع الى الله والالتجاء اليه وليعلم ان حصول ذلك لا يكون فى كل الاوقات لاغراض ومقاصد لا يعلمها الا ضابط الامور ورابط الاسباب ولهذا ختم الآية بقوله ان الله عليم أى باحوالكم حكيم لا يعطى ولا يمنع الا عن حكمة وصواب بيانه التأويل ما كان

لئن حلت بجوفى بنى أسد * فى دين عمرو وحالت بيننا فدك

وقوله من الذين أوتوا الكتاب يعنى الذين أعطوا كتاب الله وهم أهل التوراة والانجيل حتى يعطوا الجزية والجزية الفعلة من جزى فلان فلانا ما عليه اذا قضاه يجزيه والجزية مثل القعدة والجلسة ومعنى الكلام حتى يعطوا الخراج عن رقابهم الذى يبذلونه للمسلمين دفعا عنها * وأما قوله عن يد فانه يعنى من يده الى يد من يدفعه اليه وكذلك تقول العرب لكل معط قاهر اله شيأ طائعا له أو كارها أعطاه عن يده وعن يد وذلك نظير قولهم كلمته فا لفم ولقيته كفة لكفة وكذلك أعطيته عن يد ليد وأما قوله وهم صاغرون فان معناه وهم أذلاء مقهورون يقال للذليل الحقير صاغر وذكر ان هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أمره بحرب الروم فغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزولها غزوة تبوك ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون حين أمر محمد وأصحابه بغزوة تبوك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحوه * واختلف أهل التأويل فى معنى الصغار الذى عناه الله فى هذا الموضع فقال بعضهم ان يعطيها وهو قائم والآخذ جالس ذكر من قال ذلك حدثنى عبد الرحمن بن بشر النيسابورى قال ثنا سفيان عن ابن سعد عن عكرمة حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون قال أى تأخذها وأنت جالس وهو قائم * وقال آخرون معنى قوله حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون عن أنفسهم بأيديهم يمشون بها وهم كارهون وذلك قول روى عن ابن عباس من وجه فيه نظر * وقال آخرون اعطاؤهم اياها هو الصغار ۞ القول فى تأويل قوله (وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهؤن قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون) اختلف أهل التأويل فى القائل عزير ابن الله فقال بعضهم كان ذلك رجلا واحدا وهو فنحاص ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال سمعت عبد الله بن عبيد بن عمير قوله وقالت اليهود عزير ابن الله قال قالها رجل واحد قالوا ان اسمه فنحاص وقالوا هو الذى قال ان الله فقير ونحن أغنياء * وقال آخرون بل كان ذلك قول جماعة منهم ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس بن بكر قال ثنا محمد بن اسحق قال ثنى محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت قال ثنى سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم سلام بن مشكم ونعمان بن أوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا وأنت لا تزعم ان عزيرا ابن الله فأنزل الله فى ذلك من قولهم وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى أنى يؤفكون حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وقالت اليهود عزير ابن الله وانما قالوا هو ابن الله من أجل ان عزيرا كان فى أهل الكتاب وكانت التوراة عندهم يعملون بها ما شاء الله أن يعملوا ثم أضاعوها وعملوا بغير الحق وكان التابوت فيهم فلما رأى الله أنهم قد أضاعوا التوراة وعملوا بالاهواء رفع الله عنهم التابوت وأنساهم التوراة ونسخها من صدورهم وأرسل الله عليهم مرضا فاستطلقت بطونهم حتى جعل الرجل يمشى كبده حتى نسوا التوراة ونسخت من صدورهم وفيهم عزير فمكثوا ما شاء الله أن يمكثوا بعد ما نسخت التوراة من صدورهم وكان عزير قبل من علمائهم فدعا عزير الله وابتهل اليه أن يرد اليه الذى نسخ من صدورهم التوراة فبينما هو يصلى مبتهلا الى الله

لمشركى النفوس الامارة ان يعمروا مساجد الله وهى القلوب وهم مصرون على ما جبلوا عليه من التمرد وتعبد الهوى حبطت أعمالهم التى صدرت عنهم رياء وسمعة انما يعمر القلوب من آمن بالله واليوم الآخر صدق بأن المقصود والمعبود هو الله وعمل لنيل السعادات الاخروية وأدام المناجاة مع الله بصدق الطلب وزكى نفسه عن الاخلاق الذميمة ولم يخف فوات الحظوظ الدنيوية وانما يخاف فوات الحقوق الالهية سقاية الحاج خدمة هذه الطائفة للاغراض الفاسدة وعمارة المسجد الحرام بالاعمال الموجبة لعمارة القلوب اذا كانت مشوبة بالرياء والهوى لا يستوون عند الله الطالبون والبطالون والله لا يهدى القوم الظالمين الذين يضعون الاعمال الصالحة فى غير موضعها الذين آمنوا أى القلوب المؤمنة وهاجروا أى الارواح المهاجرة الى القوالب وجاهدوا فى سبيل الله الجهاد الاكبر بأموالهم وأنفسهم ببذل الموجود والوجود جميعا يبشرهم ربهم برحمة الخلاص عن حق الوجود بتجلى صفات لطفه وجنات الشواهد والكشوف ان الله عنده أجر عظيم أى من وصل الى مقام العندية فالله العظيم أجره لا تتخذوا آباءكم الآية فيها اشارة الى ان من آثر محبة المخلوق على محبة الخالق فقد أبطل الاستعداد الفطرى لقبول الفيض الالهى ويوم حنين أى حين حنت قلوبكم شوقا الى لقاء ربها وحسبتم انكم تبلغونه بكثرة الطاعات وضاقت عليكم أرض الوجود ثم أعرضتم عن الطلب اذا احتجبتم بحجب العجب مدبرين الى عالم الطبيعة الحيوانية ثم أنزل الله سكينته وهى واردات ترد على الارواح والقلوب فتسكن الى ربها على رسوله الروح وعلى القلوب المؤمنة وأنزل جنودا من المواهب الربانية وعذب النفوس المتمردة باستعمالها فى أحكام الشريعة وآداب الطريقة وذلك جزاء الكافرين أى علاج النفوس المتمردة ثم يتوب الله من بعد ذلك العلاج بجذبة ارجعى الى

نزل

المشركون النفوس العابدة للدنيا والشيطان والهوى فلا يقربوا القلب بعد عامهم هذا وهو حالة البلوغ وجريان قلم التكليف على الانسان؛ نهى القلوب عن اتباع النفوس وأمرها بقتالها ومنعها عن طوافها لئلا تنجس كعبة القلب بنجاسة شرك النفس وأوصافها

نزل نور من الله فدخل جوفه فعاد اليه الذى كان ذهب من جوفه من التوراة فاذن فى قومه فقال ياقوم قد آتانى الله التوراة وردها الى فعلق به يعلمهم فمكثوا ما شاء وهو يعلمهم ثم ان التابوت نزل بعد ذلك وبعد ذهابه منهم فلما رأوا التابوت عرضوا ما كان فيه على الذى كان عزير يعلمهم فوجدوه مثله فقالوا والله ما أوتى عزير هذا الا أنه ابن الله حدثنى محمد بن الحسن قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى وقالت اليهود عزير ابن الله انما قالت ذلك لانهم ظهرت عليهم العمالقة يقتلونهم وأخذوا التوراة وذهب علماؤهم الذين بقوا وقد دفنوا كتب التوراة فى الجبال وكان عزير غلاما يتعبد فى رؤس الجبال لا ينزل الا يوم عيد فجعل الغلام يبكى ويقول رب تركت بنى اسرائيل بغير عالم فلم يزل يبكى حتى سقطت اشفار عينيه فنزل مرة الى العيد فلما رجع اذا هو بامرأة قد مثلت له عند قبر من تلك القبور تبكى وتقول يا مطعماه ويا كاسياه فقال لها ويحك من كان يطعمك ويكسوك ويسقيك وينفعك قبل هذا الرجل قالت الله قال فان الله حى لم يمت قالت يا عزير فمن كان يعلم العلماء قبل بنى اسرائيل قال الله قالت فلم تبكى عليهم فلما عرف انه قد خصم ولى مدبرا فدعته فقالت يا عزير اذا أصبحت غدا فائت نهر كذا وكذا فاغتسل منه ثم اخرج فصل ركعتين فانه يأتيك شيخ فما أعطاك فخذه فلما أصبح انطلق عزير الى ذلك النهر فاغتسل فيه ثم خرج فصلى ركعتين فجاءه الشيخ فقال افتح فمك ففتح فمه فالقى فيه شيأ كهيئة الجمرة العظيمة مجتمعا كهيئة القوارير ثلاث مرار فرجع عزير وهو من أعلم الناس بالتوراة فقال يا بنى اسرائيل قد جئتكم بالتوراة فقالوا يا عزير ما كنت كذابا فعمد فربط على كل أصبع له قلما وكتب باصابعه كلها فكتب التوراة كلها فلما رجع العلماء أخبروا بشأن عزير فاستخرج أولئك العلماء كتبهم التى كانوا دفنوها من التوراة فى الجبال وكانت فى خوابى مدفونة فعارضوها بتوراة عزير فوجدوها مثلها فقالوا ما أعطاك الله هذا الا انك ابنه * واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل المدينة وبعض المكيين والكوفيين وقالت اليهود عزير ابن الله لا ينونون عزيرا وقرأه بعض المكيين وبعض الكوفيين عزير ابن الله بتنوين عزير قال هو اسم مجرى وان كان عجميا لخفته وهو مع ذلك غير منسوب الى الله فيكون بمنزلة قول القائل قام زيد ابن عبد الله وواقع الابن موقع الخبر ولو كان منسوبا الى الله لكان الوجه فيه اذا كان الابن خبرا الاجراء والتنوين فكيف وهو منسوب الى غير أبيه وأما من ترك تنوين عزير فانه لما كانت الباء من ابن ساكنة مع التنوين الساكن والتقى ساكنان فحذف الاول منهما استثقالا لتحريكه قال الراجز

لتجدنى بالعمير برا * وبالقناة مدعسا مكرا * اذا عطيف السلمى فرا

فحذف النون للساكن الذى استقبلها * قال أبو جعفر وأولى القراءتين بالصواب فى ذلك قراءة من قرأ عزير ابن الله بتنوين عزير لان العرب تنون الاسماء اذا كان الابن نعتا للاسم كقولهم هذا زيد ابن عبد الله فاذا أرادوا الخبر عن عزير بانه ابن الله ولم يريدوا أن يجعلوا الابن له نعتا والابن فى هذا الموضع خبر لعزير لان الذين ذكر الله عنهم انهم قالوا ذلك انما أخبروا عن عزير انه كذلك وان كانوا بقيلهم ذلك كانوا كاذبين على الله مفترين وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم يضاهؤن قول الذين كفروا من قبل يعنى قول اليهود عزير ابن الله يقول نسبة قول هؤلاء فى الكذب على الله والفرية عليه ونسبتهم المسيح الى أنه لله ابن ككذب اليهود وفريتهم على الله فى نسبتهم عزيرا الى أنه لله ابن ولا ينبغى أن يكون لله ولد سبحانه بل له ما فى السموات والارض كل له قانتون * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله يضاهؤن قول الذين كفروا من قبل يشبهون حدثنا بشر قال ثنا

الذميمة وان خفتم عيلة حظوظا يستلذبها عند اتباع النفس فسوف يغنيكم الله بعد انقطاع تصرفات النفس عن القلب بالواردات الربانية والكشوف الروحانية ان الله عليم بمستحق فضله حكيم فيما دبر من قتال النفوس (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم يضاهؤن قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون يريدون أن يطفؤا نور الله بافواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون يا أيها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين انما النسىء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطؤا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين

يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يضاهؤن قول الذين كفروا من قبل ضاهت النصارى قول اليهود قبلهم حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى يضاهؤن قول الذين كفروا من قبل النصارى يضاهؤن قول اليهود في عزير حدثنا القاسم قال ثنا الحسن قال ثنا حجاج عن ابن جريج يضاهؤن قول الذين كفروا من قبل قول النصارى يضاهؤن قول اليهود حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمى قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله يضاهؤن قول الذين كفروا من قبل يقول قالوا مثل ما قال أهل الاوثان وقد قيل ان معنى ذلك يحكون بقولهم قول أهل الاديان الذين قالوا اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى * واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق يضاهون بغير همز وقرأه عاصم يضاهؤن بالهمز وهي لغة لثقيف وهما لغتان يقال ضاهيته على كذا أضاهيه مضاهاة وضاهأته عليه مضاهأة اذا مالأته عليه وأعنته * قال أبو جعفر والصواب من القراءة في ذلك ترك الهمز لانها القراءة المستفيضة في قراءة الامصار واللغة الفصحى وأما قوله قاتلهم الله فان معناه فيما ذكر عن ابن عباس ما حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن علي عن ابن عباس قوله قاتلهم الله يقول لعنهم الله وكل شئ في القرآن قتل فهو لعن وقال ابن جريج في ذلك ما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله قاتلهم الله يعني النصارى كلمة من كلام العرب فاما أهل المعرفة بكلام العرب فانهم يقولون معناه قتلهم الله والعرب تقول قاتعك الله وقاتعها الله بمعنى قاتلك الله قالوا وقاتعك الله أهون من قاتله الله وقد ذكروا انهم يقولون شاقاه الله ما باقاه يريدون أشقاه الله ما أبقاه قالوا ومعنى قوله قاتلهم الله كقوله قتل الخراصون وقتل أصحاب الاخدود واحد وهو بمعنى التعجب فان كان الذي قالوا كما قالوا فهو من نادر الكلام الذي جاء على غير القياس لان فاعلت لا تكاد أن تجيء فعلا الا من اثنين كقولهم خاصمت فلانا وقاتلته وما أشبه ذلك وقد زعموا ان قولهم عافاك الله منه وان معناه أعفاك الله بمعنى الدعاء لمن دعاله بان يعفيه من السوء وقوله أنى يؤفكون يقول أي وجه يذهب بهم ويحيدون وكيف يصدون عن الحق وقد بينا ذلك بشواهده فيما مضى قبل ۞ القول في تأويل قوله (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون) يقول جل ثناؤه اتخذ اليهود أحبارهم وهم العلماء وقد بينت تأويل ذلك بشواهده فيما مضى من كتابنا هذا قيل واحدهم حبر وحبر بكسر الحاء منه وفتحها وكان يونس الجرمي فيما ذكر عنه يزعم انه لم يسمع ذلك الا حبر بكسر الحاء ويحتج بقول الناس هذا مداد حبر يراد به مداد عالم وذكر الفراء انه سمعه حبرا وحبرا بكسر الحاء وفتحها والنصارى رهبانهم وهم أصحاب الصوامع وأهل الاجتهاد في دينهم منهم كما حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سلمة عن الضحاك اتخذوا أحبارهم ورهبانهم قال قراءهم وعلماءهم أربابا من دون الله يعني سادة لهم من دون الله يطيعونهم في معاصي الله فيحلون ما أحلوه لهم فيما قد حرمه الله عليهم ويحرمون ما يحرمونه عليهم مما قد أحله الله لهم كما حدثني الحسن بن يزيد الطحان قال ثنا عبد السلام بن حرب الملائي عن غطيف بن أعين عن مصعب بن سعد عن عدي بن حاتم قال انتهيت الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ في سورة براءة اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله فقال أما انهم لم يكونوا يعبدونهم ولكن كانوا يحلون لهم فيحلون حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا ثنا مالك بن اسمعيل وحدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد جميعا عن عبد السلام بن حرب قال ثنا غطيف بن أعين عن مصعب بن سعد عن

لهم سوء أعمالهم والله لا يهدى القوم الكافرين) القراآت عزير ابن بالتنوين مكسورة للساكنين عاصم وعلي وسهل ويعقوب الباقون بغير تنوين يضاهؤن بالهمزة عاصم غير الخراز الآخرون يضاهون بحذف الهمزة ان يطفؤا وليطفؤا بحذف الهمزة فيهما يزيد وحمزة في الوقف وان شاء لين الهمزة اثناعشر بسكون العين يزيد والخراز انما النسيء بالتشديد ورش من طريق النجاري وحمزة في الوقف الباقون بياء بعدها همزة يضل بضم الياء وفتح الضاد علي وحمزة غير العجلي وحفص وخلف لنفسه يضل بضم الياء وكسر الضاد العجلي وأوقية ورويس الباقون يضل بفتح الياء وكسر الضاد * الوقوف صاغرون ه المسيح ابن الله ط بافواههم ج لاحتمال ما بعده الحال والاستئناف من قبل ط قاتلهم الله ج يؤفكون ه ابن مريم ج لاحتمال الجملة بعده ان تكون حالا واستئنافا واحدا ج لان ما بعده يصلح ابتداء ووصفا الا هو ط يشركون ه الكافرون ه كله لا لتعلق لو بما قبله المشركون ه عن سبيل الله ط في سبيل الله لا لتعلق الفاء أليم ه أي في يوم وظهورهم ط تكنزون ه حرم ط يقاتلونكم كافة ط المتقين ه فيحلوا ما حرم الله ط أعمالهم ط الكافرين ه * التفسير انه سبحانه لما ذكر شبهات المشركين وأجاب عنها باجوبة صحيحة أراد ان يبين أحكام أهل الكتاب والمقصود تمييزهم من المشركين في الحكم لان الواجب في المشركين القتال الى الاسلام والواجب في أهل الكتاب القتال او الجزية الى الاسلام واعلم انه تعالى ذكر صفات أربعة وأمر بقتال من اتصف بها ثم بين الموصوفين بها بقوله من الذين أوتوا الكتاب فدل ذلك على أن أهل الكتاب متصفون بتلك الصفات فالصفة الاولى انهم لا يؤمنون بالله فأورد عليه ان القوم يقولون نحن نؤمن بالله وأجيب بان ايمانهم بالله كلا ايمان لانهم مشبهة وحلولية واعترض ثانيا بان كل

من نازع في صفة من صفات الله لو كان منكر الله لزم أن يكون أكثر المتكلمين كذلك فالاشعري من أهل السنة أثبت البقاء صفة والقاضي أنكره وعبد الله بن سعيد أثبت القدم صفة والباقون أنكروه والقاضي أثبت لله ادراك الطعوم وادراك الروائح والحرارة

عدي بن حاتم قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب فقال يا عدي اطرح هذا الوثن من عنقك قال فطرحته وانتهيت اليه وهو يقرأ في سورة براءة فقرأ هذه الآية اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله قال قلت يا رسول الله انا لسنا نعبدهم فقال أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتحلونه قال قلت بلى قال فتلك عبادتهم واللفظ لحديث أبي كريب حدثني سعيد بن عمرو السكوني قال ثنا بقية عن قيس بن الربيع عن عبد السلام بن حرب الهدي عن خصيص عن مصعب بن سعد عن عدي بن حاتم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ سورة براءة فلما قرأ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله قلت يا رسول الله أما انهم لم يكونوا يصلون لهم قال صدقت ولكن كانوا يحلون لهم ما حرم الله فيستحلونه ويحرمون ما أحل الله لهم فيحرمونه حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن بن مهدي قال ثنا سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي البختري عن حذيفة انه سئل عن قوله اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله أكانوا يعبدونهم قال لا كانوا اذا أحلوا لهم شيأ استحلوه واذا حرموا عليهم شيأ حرموه حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن حبيب عن أبي البختري قال قيل لأبي حذيفة فذكر نحوه غير انه قال ولكن كانوا يحلون لهم الحرام فيستحلونه ويحرمون عليهم الحلال فيحرمونه حدثنا ابن وكيع قال ثنا يزيد بن هرون عن العوام بن حوشب عن حبيب عن أبي البختري قال قيل لحذيفة أرأيت قول الله اتخذوا أحبارهم قال أما انهم لم يكونوا يصومون لهم ولا يصلون لهم ولكنهم كانوا اذا أحلوا لهم شيأ استحلوه واذا حرموا عليهم ما أحله الله لهم حرموه فتلك كانت ربوبيتهم قال حدثنا جرير وابن فضيل عن عطاء عن أبي البختري اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله قال انطلقوا الى حلال الله فجعلوه حراما وانطلقوا الى حرام الله فجعلوه حلالا فاطاعوهم في ذلك فجعل الله طاعتهم عبادتهم ولو قالوا لهم اعبدونا لم يفعلوا حدثني الحسن بن يحيي قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي البختري قال سأل رجل حذيفة فقال يا أبا عبد الله أرأيت قوله اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله أكانوا يعبدونهم قال لا كانوا اذا أحلوا لهم شيأ استحلوه واذا حرموا عليهم شيأ حرموه حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن أبي عدي عن أشعث عن الحسن اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا قال في الطاعة حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله يقول زينوا لهم طاعتهم حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله قال عبد الله بن عباس لم يأمروهم أن يسجدوا لهم ولكن أمروهم بمعصية الله فاطاعوهم فسماهم الله بذلك أربابا حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا قال قلت لأبي العالية كيف كانت الربوبية التي كانت في بني اسرائيل قال ما أمرونا به ائتمرنا وما نهونا عنه انتهينا لقولهم وهم يجدون في كتاب الله ما أمروا به وما نهوا عنه فاستنصحوا الرجال ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم حدثني بشر بن سويد قال ثنا سفيان عن عطاء بن السائب عن أبي البختري عن حذيفة اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله قال لم يعبدوهم ولكنهم أطاعوهم في المعاصي وأما قوله والمسيح بن مريم كان معناه اتخذوا أحبارهم ورهبانهم والمسيح ابن مريم أربابا من دون الله وأما قوله وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا فانه يعني به وما أمر هؤلاء اليهود والنصارى الذين اتخذوا الاحبار والرهبان والمسيح أربابا الا أن يعبدوا

والبرودة والاستاذ أبو اسحق أنكره والقاضي أثبت للصفات سبعة أحوال معللة بتلك الصفات وغيره أنكره وعبد الله بن سعيد زعم ان كلام الله في الازل ما كان أمرا ولا نهيا ولا خبرا ثم صار كذلك عند الانزال والآخرون أنكروه وقوم من قدماء الاشاعرة أثبتوا لله خمس كلمات الامر والنهي والاستخبار والخبر والنداء والمشهور ان كلام الله واحد واختلفوا في ان خلاف المعلوم هل هو مقدور لله وأما اختلافات المعتزلة وسائر الفرق فاكثر من أن تحصى ههنا وأجيب بان المجسم خالف في الذات لانه يقول ان الاله جسم والبرهان دل على ان اله العالم ليس بجسم ولا جسماني وأما الخلاف في المسائل المذكورة فراجع الى الصفة وظهر الفرق نعم انا نكفر الحلولية والحروفية القائلين بان كلام الله تعالى حل في كل لسان وفي كل جسم كتب فيه القرآن كما نكفر النصارى القائلين بان أقنوم الكلمة حلت في عيسى الصفة الثانية انهم لا يؤمنون باليوم الآخر لان اليهود والنصارى ينكرون المعاد الجسماني والقرآن دل على ان أهل الجنة يأكلون ويشربون وباللذات يتمتعون أما السعادات الروحانية فنتفق عليها الصفة الثالثة ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله أي لا يحرمون ما حرم الله في القرآن والرسول في سنته كالخمر والخنزير ونحوهما وقال أبو روق أي لا يعملون بما في التوراة والانجيل بل حرفوهما وبدلوا احكاما توافق مشتهاهم الصفة الرابعة ولا يدينون دين الحق أي لا يعتقدون صحة دين الاسلام الذي هو الحق يقال فلان يدين بكذا اذا اتخذه دينه ومعتقده وقيل الحق هو الله [illegible]

معبودا واحدا وأن يطيعوا الا ربا واحدا دون أرباب شتى وهو الله الذى له عبادة كل شئ وطاعة كل خلق المستحق على جميع خلقه الدينونة له بالوحدانية والربوبية لا اله الا هو يقول تعالى ذكره لا تنبغى الالوهة الا للواحد الذى أمر الخلق بعبادته ولزمت جميع العباد طاعته سبحانه عما يشركون يقول تنزيها وتطهيرا لله عما يشرك فى طاعته وربوبيته القائلون عزير ابن الله والقائلون المسيح ابن الله المتخذون أحبارهم أربابا من دون الله ۞ القول فى تأويل قوله (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) يقول تعالى ذكره يريد هؤلاء المتخذون أحبارهم ورهبانهم والمسيح ابن مريم أربابا أن يطفئوا نور الله بأفواههم يعنى انهم يحاولون بتكذيبهم بدين الله الذى ابتعث به رسوله وصدهم الناس عنه بألسنتهم أن يبطلوه وهو النور الذى جعله الله لخلقه ضياء ويأبى الله الا أن يتم نوره يعلو دينه وتظهر كلمته ويتم الحق الذى بعث به رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم ولو كره اتمام الله اياه الكافرون يعنى جاحديه المكذبين به * وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم يقول يريدون أن يطفئوا الاسلام بكلامهم ۞ القول فى تأويل قوله (هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) يقول تعالى ذكره الله الذى يأبى الا اتمام دينه ولو كره ذلك جاحدوه ومنكروه الذى أرسل رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى يعنى ببيان فرائض الله على خلقه وجميع اللازم لهم وبدين الحق وهو الاسلام ليظهره على الدين كله يقول ليعلى الاسلام على الملل كلها ولو كره المشركون بالله ظهوره عليها * وقد اختلف أهل التأويل فى معنى قوله ليظهره على الدين كله فقال بعضهم ذلك عند خروج عيسى حين تصير الملل كلها واحدة ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد القطان قال ثنا شقيق قال ثنى ثابت الحداد أبو المقدام عن شيخ عن أبى هريرة فى قوله ليظهره على الدين كله قال حين خروج عيسى بن مريم حدثنا ابن وكيع قال ثنا حميد بن عبد الرحمن عن فضيل بن مرزوق قال ثنى من سمع أبا جعفر يقول ليظهره على الدين كله قال اذا خرج عيسى عليه السلام اتبعه أهل كل دين * وقال آخرون معنى ذلك ليعلمه شرائع الدين كلها فيطلعه عليها ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ليظهره على الدين كله قال ليظهر الله نبيه على أمر الدين كله فيعطيه اياه كله ولا يخفى عليه منه شئ كان المشركون واليهود يكرهون ذلك ۞ القول فى تأويل قوله (يا أيها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله) يقول تعالى ذكره يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وأقروا بوحدانية ربهم ان كثيرا من العلماء والقراء من بنى اسرائيل من اليهود والنصارى ليأكلون أموال الناس بالباطل يقول يأخذون الرشا فى أحكامهم ويحرفون كتاب الله ويكتبون بأيديهم كتبا ثم يقولون هذه من عند الله ويأخذون بها ثمنا قليلا من سفلتهم ويصدون عن سبيل الله يقول ويمنعون من أراد الدخول فى الاسلام الدخول فيه بنهيهم اياهم عنه وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى يا أيها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل أما الاحبار فمن اليهود وأما الرهبان فمن النصارى وأما سبيل الله فمحمد صلى الله عليه وسلم ۞ القول فى تأويل قوله (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم)

من جزى يجزى اذا قضى ما عليه قال الواحدى هى ما يعطى المعاهد على عهده وقال فى الكشاف سميت جزية لانها طائفة مما على أهل الذمة أن يجزوه أى يقضوه أو لانهم يجزون بها من عليهم بالاعفاء عن القتل ومعنى عن يد ان أريد بها يد المعطى أى عن يد مؤاتية غير ممتنعة يقال أعطى بيده اذا انقاد وأصحب أو المراد حتى يعطوها عن يد الى يد نقدا غير نسيئة ولا مبعوثا على يد أحد وان أريد بها يد الآخذ فمعناه حتى يعطوها عن يد قاهرة مستولية أى بسببها كقوله ينهون عن أكل وعن شرب أى يتناهون فى السمن بسببهما أو المراد عن انعام عليهم لان قبول الجزية منهم بدلا عن أرواحهم نعمة عظيمة عليهم قيل ان من اليهود موحدة فما وجه ايجاب الجزية عليهم والجواب انه اذا ثبت وجوب الجزية على بعضهم لزم القول به فى حق الكل لعسر الامتياز ولوجود الصفات الباقية فيهم أما مقدار الجزية فعن أنس قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم على كل محتلم دينارا وقسم عمر على فقرائهم فى المدينة اثنى عشر درهما وعلى الاوساط أربعة وعشرين وعلى أهل الثروة ثمانية وأربعين فذهب الشافعى الى ان أقل الجزية دينار ولا يزاد على الدينار الا بالتراضى وذهب أبو حنيفة الى قسم عمر والمجوس سبيلهم سبيل أهل الكتاب لقوله صلى الله عليه وسلم سنوا بهم سنة أهل الكتاب وروى انه صلى الله عليه وسلم أخذ الجزية من مجوس هجر وذلك ان لهم شبهة كتاب يعنى ذلك ان كتبهم وهى الصحف التى أنزلت على ابراهيم صلى الله عليه وسلم قد رفعت الى السماء لاحداث أحدثوها وليس المقصود من أخذ الجزية تقرير الكفرة على كفرهم بدينار واحد بسبب مرجعها الطعن وانما الغرض حقن دمائهم وامهالهم مدة لعلهم يتفكرون فى كتابهم فيعرفون صفة محمد وداعاهم اليه وأيضا فيه حرمة أنبيائهم وحرمة كتابهم وحرمة آبائهم الذين انقرضوا

يقول

على الحق من شريعة التوراة والانجيل وأما قوله وهم صاغرون فمعناه أنه لا بد مع أخذ الجزية من الحاق الذل والصغار بهم والسبب فيه أن طبع العاقل ينفر عن تحمل الذل فاذا أمهل الكافر مدة وهو يشاهد

عز الاسلام وذل الكفر ويسمع الدلائل فالظاهر ان

يقول تعالى ذكره ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويأكلها أيضا معهم الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يقول بشر الكثير من الاحبار والرهبان الذين يأكلون أموال الناس بالباطل والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله بعذاب أليم لهم يوم القيامة موجع من الله * واختلف أهل العلم في معنى الكنز فقال بعضهم هو كل مال وجبت فيه الزكاة فلم تؤد زكاته قالوا وعنى بقوله ولا ينفقونها في سبيل الله ولا يؤدون زكاتها ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا أيوب عن نافع عن ابن عمر قال كل مال أديت زكاته فليس بكنز وان كان مدفونا وكل مال لم تؤد زكاته فهو الكنز الذي ذكره الله في القرآن يكوى به صاحبه وان لم يكن مدفونا حدثنا الحسن ابن الجنيد قال ثنا سعيد بن مسلمة قال ثنا اسمعيل بن أمية عن نافع عن ابن عمر انه قال كل مال أديت منه الزكاة فليس بكنز وان كان مدفونا وكل مال لم تؤد منه الزكاة وان لم يكن مدفونا فهو كنز حدثني ابن السائب قال ثنا ابن فضيل عن يحيى بن سعيد عن نافع عن ابن عمر قال أيما مال أديت زكاته فليس بكنز وان كان مدفونا في الارض وأيما مال لم تؤد زكاته فهو كنز يكوى به صاحبه وان كان على وجه الارض حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي وجرير عن الاعمش عن عطية عن ابن عمر قال ما أديت زكاته فليس بكنز قال حدثنا أبي عن العمري عن نافع عن ابن عمر قال ما أديت زكاته فليس بكنز وان كان تحت سبع أرضين وما لم تؤد زكاته فهو كنز وان كان ظاهرا قال حدثنا جرير عن النسائي عن عكرمة قال ما أديت زكاته فليس بكنز حدثني محمد بن الحسن قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي قال أما الذين يكنزون الذهب والفضة فهؤلاء أهل القبلة والكنز ما لم تؤد زكاته وان كان على ظهر الارض وان قل وان كان كثيرا قد أديت زكاته فليس بكنز حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن اسرائيل عن جابر قال قلت لعامر مال على رف بين السماء والارض لا تؤدى زكاته أكنز هو قال يكوى به يوم القيامة * وقال آخرون كل مال زاد على أربعة آلاف درهم فهو كنز أديت منه الزكاة أو لم تؤد ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو بكر بن عياش عن أبي حصين عن أبي الضحى عن جعدة بن هبيرة عن علي رحمة الله عليه قال أربعة آلاف درهم فما دونها نفقة فما كان أكثر من ذلك فهو كنز حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن أبي حصين عن أبي الضحى عن جعدة بن هبيرة عن علي مثله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري قال أخبرني أبو حصين عن أبي الضحى عن جعدة بن هبيرة عن علي رحمة الله عليه في قوله والذين يكنزون الذهب والفضة قال أربعة آلاف درهم فما دونها نفقة وما فوقها كنز * وقال آخرون الكنز كل ما فضل من المال عن حاجة صاحبه اليه ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عبيد الله بن معاذ قال ثنا أبي قال ثنا شعبة عن أنس عن عبد الواحد انه سمع أبا مجيب قال كان نعل سيف أبي هريرة من فضة فنهاه عنها أبو ذر وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من ترك صفرا أو بيضاء كوي بها حدثنا محمد بن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن منصور عن الاعمش وعمرو بن مرة عن سالم بن أبي الجعد قال لما نزلت والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله قال النبي صلى الله عليه وسلم تبا للذهب تبا للفضة يقولها ثلاثا قال فشق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا فأي مال نتخذ فقال عمر أنا أعلم لكم ذلك فقال يا رسول الله ان أصحابك قد شق عليهم وقالوا فأي المال نتخذ فقال لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وزوجة تعين أحدكم على دينه حدثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا

مجموع ذلك يحمل على الانتقال الى الاسلام وفسروا الصغار في الآية بأخذ الجزية على سبيل الاهانة بأن يكون الذمي قائما والمسلم الذي يأخذ الجزية قاعدا ويأمره بأن يخرج يده من جيبه ويحني ظهره ويطأطئ رأسه فيصب ما معه في كفة الميزان ويأخذ المستوفي بلحيته ويضرب في لهزمتيه وهذه الهيئة مستحبة على الاصح لا واجبة وقيل الصغار هو نفس أخذ الجزية والجزية تسقط بالاسلام عند أبي حنيفة دون الشافعي وانما تؤخذ عند أبي حنيفة في أول السنة وعند الشافعي في آخرها ولا تؤخذ من فقير لا كسب له ولا من امرأة وخنثى ولا صبي ولا مجنون وعبد ولا من سيده بسببه ويضرب على الزمن والعسيف والشيخ الفاني والراهب والاعمى على الاصح من قولي الشافعي لان الجزية بمنزلة الكراء يستوي فيه المعذور وغيرهم قال الشافعي في أحد قوليه العاجز عن الكسب بعقد له الذمة بالجزية فاذا تم الحول أخذنا ان أيسر والا فهي في ذمته الى أن يوسر وهكذا في كل حول ولا يصح عقد الذمة الا من الامام أو نائبه الذي فوضه اليه لانه من الامور الكلية وكيفية العقد أن يقول أقررتكم أو أذنت لكم في الاقامة في دار الاسلام على أن تبذلوا كذا وتنقادوا لاحكام الاسلام التي يراها الامام ولا يقر أهل الكتاب بالجزية في أرض الحجاز لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال أخرجوا اليهود من الحجاز قال الشافعي هو مكة والمدينة ومخاليفهما أي قراها وما روي انه صلى الله عليه وسلم أوصى بأن يخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب فمحمول على انه أراد الحجاز جمعا بين الدليلين وقد بقي في الآية نكتة ذكرها بعض العلماء في أن

اسرائيل عن منصور عن سالم بن أبي الجعد عن ثوبان بمثله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثغري عن منصور وعن عمرو بن مرة عن سالم بن أبي الجعد قال لما نزلت هذه الآية والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله قال المهاجرون وأي المال نتخذ فقال عمر اسأل النبي صلى الله عليه وسلم عنه قال فادركته على بعير فقلت يا رسول الله ان المهاجرين قالوا فأي المال نتخذه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وزوجة مؤمنة تعين أحدكم على دينه حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة عن شهر بن حوشب عن أبي امامة قال توفي رجل من أهل الصفة فوجد في مئزره دينار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كية ثم توفي آخر فوجد في مئزره ديناران فقال النبي صلى الله عليه وسلم كيتان حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن شهر بن حوشب عن صدي بن عجلان أبي امامة قال مات رجل من أهل الصفة فوجد في مئزره دينار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كية ثم توفي آخر فوجد في مئزره ديناران فقال نبي الله كيتان حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن سالم عن ثوبان قال كنا في سفر ونحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المهاجرون لوددنا انا علمنا أي المال خير فنتخذه اذا نزل في الذهب والفضة ما نزل فقال عمر ان شئتم سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقالوا أجل فانطلق فتبعته أوضع على بعيري فقال يا رسول الله ان المهاجرين لما أنزل الله في الذهب والفضة ما أنزل قالوا وددنا انا علمنا أي المال خير فنتخذه قال نعم فيتخذ أحدكم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وزوجة تعين أحدكم على ايمانه * قال أبو جعفر وأولى الاقوال في ذلك بالصحة القول الذي ذكر عن ابن عمر من ان كل مال أديت زكاته فليس بكنز يحرم على صاحبه اكتنازه وان كثر وان كل مال لم تؤد زكاته فصاحبه معاقب مستحق وعيد الله الا أن يتفضل الله عليه بعفوه وان قل اذا كان مما يجب فيه الزكاة وذلك ان الله أوجب في خمس أواق من الورق على لسان رسوله ربع عشرها وفي عشرين مثقالا من الذهب مثل ذلك ربع عشرها فاذ كان ذلك فرض الله في الذهب والفضة على لسان رسوله فمعلوم ان الكثير من المال وان بلغ في الكثرة ألوف ألوف لو كان وان أديت زكاته من الكنوز التي أوعد الله أهلها عليه العقاب لم يكن فيه الزكاة التي ذكرنا من ربع العشر لان ما كان فرضا اخراج جميعه من المال وحرام اتخاذه فزكاته الخروج من جميعه الى أهله لا ربع عشره وذلك مثل المال المغصوب الذي هو حرام على الغاصب امساكه وفرض عليه اخراجه من يده الى يده التطهر منه رده الى صاحبه فلو كان ما زاد من المال على أربعة آلاف درهم أو ما فضل عن حاجة ربه التي لا بد منها لو كان مما يستحق صاحبه باقتنائه اذا أدى الى أهل السهمان حقوقهم منها من الصدقة وعيد الله لم يكن اللازم ربه فيه ربع عشره بل كان اللازم له الخروج من جميعه الى أهله وصرفه فيما يجب عليه صرفه كالذي ذكرنا من الواجب على غاصب رجل ماله رده على ربه وبعد فان فيما حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور قال قال معمر أخبرني سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله الا جعل يوم القيامة صفائح من نار يكوى بها جبينه وجبهته وظهره في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين الناس ثم يرى سبيله وان كانت ابلا الا بطح بقاع قرقر تطؤه باخفافها حسبته قال وتعضه بافواهها يرد أولاها على أخراها حتى يقضى بين الناس ثم يرى سبيله وان كانت غنما فمثل ذلك الا أنها تنطحه بقرونها وتطؤه باظلافها وفي نظائر ذلك من الاخبار التي كرهنا الاطالة بذكرها الدلالة الواضحة على ان الوعيد انما هو من الله على الاموال التي لم تؤد الوظائف المفروضة فيها لاهلها من

الصدقة

المسلم لا يقتل بالذمي قال لان قوله قاتلوا مشتمل على اباحة دمهم وعلى عدم وجوب القصاص بسبب قتلهم فلما قال حتى يعطوا الجزية علمنا ان المجموع انتفى عند انتفاء الجزية ولكن انتفاء المجموع يكفي فيه انتفاء أحد أجزائه وأحد الجزأين وهو وجوب قتلهم مرتفع بالاتفاق فيبقى الآخر وهو عدم وجوب القصاص بقتلهم والجزية كما كان ولقائل أن يقول لا نزاع في الاحتمال ولكن ما الدليل على عدم وجوب القصاص وأنت بصدد اثباته ولما حكم في الآية المتقدمة ان أهل الكتاب لا يؤمنون بالله شرع في اثبات تلك الدعوى فقال وقالت اليهود عزير ابن الله الآية العلم مبتدأ والابن خبره ومن أسقط التنوين من عزير فلانه اسم أعجمي زائد على ثلاثة أحرف فيمتنع من الصرف كعازر وقيل منصرف لكونه عربيا وكان الوجه كسر التنوين كقراءة عاصم ولكنه أسقط التنوين للساكنين على مذهب بعضهم أو لان الابن وقع وصفا والخبر محذوف وهو معبودنا وطعن في هذا الوجه عبد القاهر باستلزامه احتمال توجه الذم الى الخبر دون الوصف وحينئذ يحصل تسليم كونه ابن الله ومعلوم ان ذلك كفر وهذا قول ناس من اليهود بالمدينة وما هو بقول كلهم الا أنه جاء على عادة العرب في ايقاع اسم الجماعة على الواحد يقال فلان يركب الخيول أو يجالس الملوك ولعله لم يركب أو لم يجالس الا واحدا عن ابن عباس جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم سلام بن مشكم ونعمان بن أوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا ذلك وعنه أيضا ان اليهود أضاعوا التوراة وعملوا بغير الحق فانساهم الله التوراة ونسخها من صدورهم فتضرع عزير الى الله تعالى وابتهل اليه فعاد حفظ التوراة الى قلبه فانذر قومه فلما جربوه وجدوه صادقا فيه فقالوا هذا ابن الله وقال عبيد بن عمير انما قال هذا القول رجل من اليهود اسمه فنحاص بن عازوراء وفي أهل هذا المذهب كان فاشيا فيهم ثم انقطع ولا عبرة بانكار اليهود وقول الله

الصدقة لا على اقتنائها واكتنازها وفيما بينا من ذلك البيان الواضح على ان الآية لخاص كما قال ابن عباس وذلك ما حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يقول هم أهل الكتاب وقال هي خاصة وعامة يعني بقوله هي خاصة وعامة هي خاصة من المسلمين فيمن لم يؤد زكاة ماله منهم وعامة في أهل الكتاب لانهم كفار لا تقبل منهم نفقاتهم ان أنفقوا يدل على صحة ما قلنا في تاويل قول ابن عباس هذا ما حدثني ٧ قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها الى قوله هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون قال هم الذين لا يؤدون زكاة أموالهم قال وكل مال لا تؤدى زكاته كان على ظهر الارض أو في بطنها فهو كنز وكل مال تؤدى زكاته فليس بكنز كان على ظهر الارض أو في بطنها حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله والذين يكنزون الذهب والفضة قال الكنز ما كنز عن طاعة الله وفريضته وذلك الكنز وقال افترضت الزكاة والصلاة جميعا لم يفرق بينهما وانما قلنا ذلك على الخصوص لان الكنز في كلام العرب كل شيء مجموع بعضه على بعض في بطن الارض كان أو على ظهرها ومؤول على ذلك قول الشاعر

لا ورى وربي ان أطعمت نازلهم * فرق الحشي وعندي البر مكنوز

يعني بذلك وعندي البر مجموع بعضه على بعض وكذلك تقول العرب للبدن المجتمع مكتنز لانضمام بعضه الى بعض واذا كان ذلك معنى الكنز عندهم وكان قوله والذين يكنزون الذهب والفضة معناه والذين يجمعون الذهب والفضة بعضها الى بعض ولا ينفقونها في سبيل الله وهو عام في التلاوة لم يكن في الآية بيان كم ذلك القدر من الذهب والفضة الذي اذا جمع بعضه الى بعض استحق الوعيد كان معلوما ان خصوص ذلك انما أدرك لوقف الرسول عليه وذلك لما بينا من انه المال الذي لم يؤد حق الله منه من الزكاة دون غيره لما قد أوضحنا من الدلالة على صحته وقد كان بعض الصحابة يقول هي عامة في كل كنز غير انها خاصة في أهل الكتاب واياهم عنى الله بها ذكر من قال ذلك حدثني أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس قال ثنا هشيم قال ثنا حصين عن زيد بن وهب قال مررت بالربذة فلقيت أبا ذر فقلت يا أبا ذر ما أنزلك هذه البلاد قال كنت بالشام فقرأت هذه الآية والذين يكنزون الذهب والفضة الآية فقال معاوية ليست هذه الآية فينا انما هذه الآية في أهل الكتاب قال فقلت انها لفينا وفيهم قال فارتفع في ذلك بيني وبينه القول فكتب الى عثمان يشكوني فكتب الى عثمان أن اقبل الي قال فاقبلت فلما قدمت المدينة ركبني الناس كانهم لم يروني قبل يومئذ فشكوت ذلك الى عثمان فقال لي تنح قريبا قلت والله اني لن أدع ما كنت أقول حدثنا أبو كريب وأبو السائب وابن وكيع قالوا ثنا ابن ادريس قال ثنا حصين عن زيد بن وهب قال مررنا بالربذة ثم ذكر عن أبي ذر نحوه حدثني أبو السائب قال ثنا ابن ادريس عن أشعث وهشام عن ابن بشر قال قال أبو ذر خرجت الى الشام فقرأت هذه الآية والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فقال معاوية انما هي في أهل الكتاب قال فقلت انها لفينا وفيهم حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن زيد بن وهب قال مررت بالربذة فاذا أنا بابي ذر قال قلت له ما أنزلك منزلك هذا قال كنت بالشام فاختلفت أنا ومعاوية في هذه الآية والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله قال فقال نزلت في أهل الكتاب فقلت نزلت فينا وفيهم ثم ذكر نحو حديث هشيم عن حصين فان قال قائل فكيف قيل ولا ينفقونها في سبيل الله

---

٧ بياض بالاصل

أصدق وقال في الكشاف الدليل على ان هذا القول كان فيهم ان الآية تليت عليهم فما أنكروا ولا كذبوا مع تمالكهم على التكذيب وأما النصارى فلاشك انهم يقولون ذلك وقد حكى الواحدي في سبب ذلك ان اتباع عيسى كانوا على الحق بعد رفع عيسى حتى وقع حرب بينهم وبين اليهود وكان في اليهود رجل شجاع يقال له بولس قتل جماعة من أصحاب عيسى ثم قال لليهود ان كان الحق مع عيسى فقد كفرنا والنار مصيرنا ونحن مغبونون ان دخلوا الجنة ودخلنا النار واني أحتال فاضلهم فعرقب فرسه وأظهر الندامة بما كان يصنع ووضع على رأسه التراب وقال نوديت من السماء ليس لك توبة الا أن تتنصر وقد تبت فادخله النصارى الكنيسة ومكث سنة لا يخرج وتعلم الانجيل فصدقوه وأحبوه ثم مضى الى بيت المقدس واستخلف عليهم رجلا اسمه نسطور وعلمه ان عيسى ومريم والاله كانوا ثلاثة وتوجه الى الروم وعلمهم اللاهوت والناسوت وقال ما كان عيسى انسانا ولا جسما ولكنه الله وعلم رجلا آخر يقال له يعقوب ذلك ثم دعا رجلا يقال له ملكا فقال له ان الاله لم يزل ولا يزال عيسى ثم دعا هؤلاء الثلاثة وقال لكل واحد منهم أنت خالصتي فادع الناس الى نحلتك ولقد رأيت عيسى في المنام فرضي عني واني غدا أذبح نفسي لمرضاة عيسى ثم دخل المذبح فذبح نفسه هذا هو السبب في وقوع هذا الكفر في طوائف النصارى والاقرب ان لفظ الابن قد وقع في الانجيل على سبيل التشريف حيث قال انك أنت الابن الوحيد كما وقع لفظ الخليل في حق ابراهيم عليه السلام وقال المسيح عليه السلام للحواريين أحبوا أعداءكم وبركوا على لاعنيكم وأحسنوا الى مبغضيكم وصلوا على من يؤذيكم لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السماء الذي أشرق شمسه على الصالحين والفجرة ثم ان القوم لاجل عداوة اليهود ولاجل ان يقابلوا غلوهم الفاسد في أحد الطرفين بغلو فاسد في الطرف الآخر حملوا لفظ الابن على البنوة الحقيقية والله تعالى أعلم بحقيقة الحال ثم قال سبحانه ذلك قولهم

فاخرجت الهاء والالف مخرج الكناية عن أحد النوعين قيل يحتمل ذلك وجهين أحدهما ان يكون الذهب والفضة مرادا بها الكنوز كانه قيل والذين يكنزون الكنوز ولا ينفقونها في سبيل الله لان الذهب والفضة هي الكنوز في هذا الموضع والآخر ان يكون استغنى بالخبر عن احداهما في عائد ذكرهما من الخبر عن الاخرى لدلالة الكلام على ان الخبر عن الاخرى مثل الخبر عنها وذلك كثير موجود في كلام العرب واشعارها ومنه قول الشاعر

نحن بما عندنا وأنت بما * عندك راض والرأى مختلف

فقال راض ولم يقل راضون وقال الآخر

ان شرخ الشاب والشعر الاسو * دمالم يقاص كان جنونا

فقال يقاص ولم يقل يقاصيا في أشياء كثيرة ومنه قول الله واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها ولم يقل اليهما ۞ القول في تأويل قوله (يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون) يقول تعالى ذكره فبشر هؤلاء الذين يكنزون الذهب والفضة ولا يخرجون حقوق الله منها يا محمد بعذاب أليم يوم يحمى عليها في نار جهنم اليوم من صلة العذاب الاليم كانه قيل يبشرهم بعذاب أليم يعذبهم الله به في يوم يحمى عليها ويعنى بقوله يحمى عليها تدخل النار فيوقد عليها أى على الذهب والفضة التي كنزوها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم وكل شئ أدخل النار فقد أحمى احماء يقال منه أحميت الحديد في النار أحميها احماء وقوله فتكوى بها جباههم يعنى بالذهب والفضة المكنوزة يحمى عليها في نار جهنم يكوى الله بها يقول يحرق الله جباه كانزيها وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم ومعناه و يقال لهم هذا ما كنزتم في الدنيا أيها الكافرون الذين منعوا كنوزهم من فرائض الله الواجبة فيها لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون يقول فيقال لهم فاطعموا عذاب الله بما كنتم تمنعون من أموالكم حقوق الله وتكنزونها مكاثرة ومباهاة وحذف من قول هذا ما كنزتم و يقال لهم لدلالة الكلام عليه وبنحو الذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية قال أخبرنا أيوب عن حميد بن هلال قال كان أبوذر يقول بشر الكناز بكى في الجباه وكى في الجنوب وكى في الظهور حتى يلتقى الحر في أجوافهم قال ثنا ابن علية عن الجريرى عن أبي العلاء بن الشخير عن الاحنف بن قيس قال قدمت المدينة فبينا أنا في حلقة فيها ملأ من قريش اذ جاء رجل حسن الشباب حسن الجسد حسن الوجه فقام عليهم فقال بشر الكناز برضف يحمى عليه في نار جهنم فيوضع على حلمة ثدى أحدهم حتى يخرج من نغض كتفه و يوضع على نغض كتفه حتى يخرج من حلمة ثدييه يتزلزل قال فوضع القوم رؤسهم فما رأيت أحدا منهم رجع اليه شيأ قال وأدبر فاتبعته حتى جلس الى سارية فقلت ما رأيت هؤلاء الا كرهوا ما قلت فقال ان هؤلاء لا يعقلون شيأ حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم قال ثنى عمرو بن قيس عن عمرو بن مرة الجمل عن أبي نصر عن الاحنف بن قيس قال رأيت في مسجد المدينة رجلا غليظ الثياب رث الهيئة يطوف في الحلق وهو يقول بشر أصحاب الكنوز بكى في جنوبهم وكى في جباههم وكى في ظهورهم ثم انطلق وهو يتذمر يقول ما عسى يصنع بى قريش حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال قال أبوذر بشر أصحاب الكنوز بكى في الجباه وكى في الجنوب وكى في الظهور حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس يوم يحمى عليها في نار جهنم قال حية تنطوى على جبينه وجبهته تقول أنا مالك الذى بخلت به حدثنا

بأفواههم وفائدة هذا التخصيص وكل قول فانما يقال بالفم انه قول لا يعضده برهان بل البرهان دال على نقيضه لاستحالة اثبات الولد لمن هو مبرأ عن الحاجة والشهوة والمصاحبة واتخاذ الصاحبة فهو الالفظ يفوهون به فارغ من معنى تحته كالالفاظ المهملة لا يجاوز الحناجر ولا يؤثر معناها في القلب بل لامعنى لها حتى تؤثر نظيره قوله و تقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم أو نقول ان الانسان قد يختار مذهبا ولكن لا يصرح به ولا يذكره بلسانه أما اذا نطق به فذلك هو الغاية في اختياره واذا ساعده عليه دليل كان نهاية في الحسن والتأثير فالمراد بالقول المذهب وانهم يصرحون به لا يخفونه البتة أو انه مذهب لا يساعده دليل فلا تأثير له في القلوب و يحتمل ان يراد انهم دعوا الخلق الى هذه المقالة حتى وقعت في الافواه والالسنة يضاهؤن من قرأ بغير همز فظاهر لانه من ضاهى يضاهى منقوصا أى شاكل ومن قرأ بالهمز فالمعنى ضاهأت لقولهم ضهيء على فعيل وهى التى شاكلت الرجال في انها لا تحيض ومن جعل ضهياء على فعلاء بزيادة الهمزة كما في غرقاء لقشرة البيض السفلى فيجيء ضهياء ممدودا بمعناه فلا تثبت في هذا الثانى عنده ولا بد من تقدير مضاف أى يضاهى قولهم قول الذين حذف المضاف وأقيم الضمير المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا لفقد الجار والمعنى ان قول هؤلاء المعاصرين للنبى من أهل الكتاب يشبه قول قدمائهم أى انه كفر قديم فيهم غير مستحدث أو يضاهى قول أهل الكتاب قول المشركين القائلين الملائكة بنات الله وقيل الضمير في يضاهؤن للنصارى فقط أى يشابه قول النصارى المسيح ابن الله قول اليهود عزير ابن الله لان اليهود أقدم منهم ثم قال على عادة محاورات العرب متعجبا ومستفهما على سبيل الانكار قاتلهم الله أنى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق أى هم أحقاء بان يقال لهم هذا تعجبا من شناعة قولهم كما يقال لقوم ركبوا شنعاء قاتلهم الله ما أعجب فعلهم وثن ضل

بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن سعدان بن أبي طلحة عن ثوبان ان نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول من ترك بعده كنزا مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يتبعه يقول ويلك ما أنت فيقول أنا كنزك الذي تركته بعدك فلا يزال يتبعه حتى يلقمه يده فيقضمها ثم يتبعه سائر جسده حدثنا الحسن بن يحيي قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أبي طاوس عن أبيه قال بلغني ان الكنوز تتحول يوم القيامة شجاعا يتبع صاحبه وهو يفر منه ويقول انا كنزك لا يدرك منه شيأ الا أخذه حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن الاعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله قال والذي لا اله غيره لا يكوى عبد بكنز فيمس دينار دينارا ولا درهم درهما ولكن يوسع جلده فيوضع كل دينار ودرهم على حدته قال حدثنا أبي عن سفيان عن الاعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله قال ما من رجل يكوى بكنز فيوضع دينار على دينار ولا درهم على درهم ولكن يوسع جلده ۞ القول في تأويل قوله (ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين) يقول تعالى ذكره ان عدة شهور السنة عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله الذي كتب فيه كل ما هو كائن في قضائه الذي قضى يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم يقول هذه الاثنا عشر الشهور منها أربعة أشهر حرم كانت الجاهلية تعظمهن وتحرمهن وتحرم القتال فيهن حتى لو لقي الرجل منهم فيهن قاتل أبيه لم يهجه وهن رجب مضر وثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم وبذلك تظاهرت الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي قال ثنا زيد بن حباب قال ثنا موسى بن عبيدة الزهدي قال ثني صدقة بن يسار عن ابن عمر قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بمنى في أوسط أيام التشريق فقال يا أيها الناس ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم أولهن رجب مضر بين جمادى وشعبان وذو القعدة وذو الحجة والمحرم حدثنا محمد بن معمر قال ثنا روح قال ثنا أشعث عن محمد بن بشر بن موسى عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض فان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم ثلاثة متواليات ورجب مضر بين جمادى وشعبان حدثني يعقوب قال ثنا اسمعيل بن ابراهيم قال ثنا أيوب عن محمد بن سيرين عن أبي بكرة ان النبي صلى الله عليه وسلم خطب في حجة الوداع فقال ألا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان حدثنا مجاهد بن موسى قال ثنا يزيد قال ثنا سليمان التيمي قال ثني رجل بالبحرين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في خطبته في حجة الوداع ألا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب الذي بين جمادى وشعبان حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن ابن أبي نجيح قوله ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب الذي بين جمادى وشعبان حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم

عن الطريق أين تذهب ثم وصفهم بضرب آخر من الاشراك فقال اتخذوا أحبارهم ورهبانهم قال أهل المعاني الحبر العالم الذي بعبر عما يريد أحسن بيان والراهب الذي ظهرت آثار الرهبة من قلبه على وجهه ولباسه لكن في عرف الاستعمال اختص الاحبار بعلماء اليهود من ولد هرون والرهبان علماء النصارى من أصحاب الصوامع واختلفوا في معنى اتخاذهم اياهم أربابا بعد الاتفاق على انه ليس المراد انهم جعلوهم آلهة العالم فقال أكثر المفسرين المراد انهم أطاعوهم في أوامرهم ونواهيهم نقل ان عدي بن حاتم كان نصرانيا فانتهى الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ سورة براءة فلما وصل الى هذه الآية قال عدي انا لسنا نعبدهم فقال أليس تحرمون ما أحل الله وتحلون ما حرم الله فقلت بلى فقال فتلك عبادتهم قال الربيع قلت لابي العالية كيف كانت تلك الربوبية في بني اسرائيل فقال انهم ربما وجدوا في كتاب الله ما يخالف قول الاحبار والرهبان وكانوا يأخذون بأقوالهم وما كانوا يقبلون حكم الله قال العلماء انما لم يلزم تكفير الفاسق بطاعة الشيطان خلاف ما عليه الخوارج لان الفاسق وان كان يقبل دعوة الشيطان الا أنه يلعنه ويستخف به بخلاف أولئك الاتباع المعظمين لمتبوعيهم قال الامام فخر الدين الرازي رضي الله عنه قد شاهدت جماعة من مقلدة الفقهاء قرأت عليهم آيات كثيرة من كتاب الله في مسائل كانت تلك الآيات مخالفة لمذهبهم فيها ولم يقبلوا تلك الآيات ولم يلتفتوا اليها وكانوا ينظرون الى كالمتعجب يعني كيف يمكن العمل بظواهر تلك الآيات مع أن الرواية عن سلفنا وردت بخلافها ولو تأملت حق التأمل وجدت هذا ساريا في عرف الاكثرين قلت ولعلهم توقفوا لحسن ظنهم بالسلف لانهم ربما وقفوا من تلك الآي على ما لم يقف عليه الخلف وقيل في تفسير هذه الربوبية ان الجهال والحشوية اذا بالغوا في تعظيم شيخهم وقدوتهم فقد يميل طبعهم الى الحلول والاتحاد وقد يسأ .. ذهبهم الشيخ في .. الا اذا كان ضرورا

قال في خطبته يوم منى ألا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان وهو قول عامة أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق الله السموات والارض منها أربعة حرم أما أربعة حرم فذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب وأما كتاب الله فالذي عنده حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً قال يعرف بها شأن النسيء ما نقص من السنة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد في قول الله ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله قال يذكر بها شأن النسيء وأما قوله ذلك الدين القيم فان معناه هذا الذي أخبرتكم به من ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله وان منها أربعة حرماً هو الدين المستقيم كما حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ذلك الدين القيم يقول المستقيم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ذلك الدين القيم قال الامر القيم يقول قال تعالى واعلموا أيها الناس ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله الذي كتبت فيه كل ما هو كائن وان من هذه الاثني عشر الشهر أربعة أشهر حرماً ذلك دين الله المستقيم لا ما يفعله النسيء من تحليله ما يحلل من شهور السنة وتحريمه ما يحرمه منها وأما قوله فلا تظلموا فيهن أنفسكم فان معناه فلا تعصوا الله فيها ولا تحلوا فيهن ما حرم الله عليكم فتكسبوا أنفسكم ما لا قبل لها به من سخط الله وعقابه كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فلا تظلموا فيهن أنفسكم قال الظلم العمل بمعاصي الله والترك لطاعته ثم اختلف أهل التأويل في الذي عادت عليه الهاء والنون في قوله فيهن فقال بعضهم عاد ذلك على الاثني عشر شهراً وقال معناه ولا تظلموا في الاشهر كلها أنفسكم ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم في كلهن ثم خص من ذلك أربعة أشهر فجعلهن حرماً وعظم حرماتهن وجعل الذنب فيهن أعظم والعمل الصالح والاجر أعظم حدثنا ابن وكيع قال ثنا سويد بن عمرو عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس فلا تظلموا فيهن أنفسكم قال في الشهور كلها وقال آخرون بل معنى ذلك فلا تظلموا في الاربعة الاشهر الحرم أنفسكم والهاء والنون عائدة على الاشهر الاربعة ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أما قوله فلا تظلموا فيهن أنفسكم فان الظلم في الاشهر الحرم أعظم خطيئة ووزراً من الظلم فيما سواه وان كان الظلم على كل حال عظيماً ولكن الله يعظم من أمره ما شاء وقال ان الله اصطفى صفايا من خلقه اصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس رسلاً واصطفى من الكلام ذكره واصطفى من الارض المساجد واصطفى من الشهور رمضان والاشهر الحرم واصطفى من الايام يوم الجمعة واصطفى من الليالي ليلة القدر فعظموا ما عظم الله فانما تعظم الامور بما عظمها الله عند أهل الفهم وأهل العقل وقال آخرون بل معنى ذلك فلا تظلموا في تصييركم حرام الاشهر الاربعة حلالاً وحلالها حراماً أنفسكم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر

شهراً

قولهم في الاحبار والرهبان أولان القول بالهية المسيح مخصوص باحد الفريقين فلو قيل اتخذوا أحبارهم والمسيح ابن مريم أربابا لاوهم اشتراك الفريقين في اتخاذ المسيح رباً وما أمروا الضمير للمتخذين والذي أمرهم بذلك أدلة العقل والكتب السماوية وفي القرآن حكاية عن المسيح انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ويجوز أن يكون الضمير للاحبار والرهبان أي وما أمر هؤلاء الذين هم عندهم أرباب الا بأن يكونوا مربوبين ثم نزه نفسه عن مقالة الظالمين فقال سبحانه عما يشركون ثم ذكر نوعاً آخر من قبائح أفعال أهل الكتاب وهو سعيهم في ابطال أمر محمد وجدهم في اخفاء الدلائل الدالة على صحة نبوته فقال يريدون أن يطفؤا نور الله أي دينه الثابت بالدليل المشبه بالنور لاشتراكهما في الاهتداء بهما وذلك ان دين محمد مؤيد بالمعجزات الباهرة التي بمثلها ثبت نبوة موسى وعيسى ولاسيما بالقرآن وحاصل شرعه تعظيم الله وتنزيهه عما لا يليق به والانقياد لطاعته وصرف النفس عن الامور الفانية والترغيب في السعادات الباقية ثم انهم بكلماتهم الركيكة وشبهاتهم السخيفة أرادوا ابطال هذه الدلائل فكانوا كمن يريد ابطال نور الشمس الذي هو أشد الانوار المحسوسة بسبب أن ينفخ فيه ولاريب ان ذلك سعي باطل وكيد زاهق ولهذا قال ويأبى الله الا أن يتم نوره أي لم يرد الله الا ذلك الا أن الاباء يفيد زيادة على عدم الارادة وهي المنع والامتناع قال وان أرادوا ظلمنا أبينا * امتدح بذلك ولا يجوز أن يتمدح بانه يكره الظلم لان ذلك يستوي فيه القوي والضعيف وفيه وعد بمزيد النصرة والقوة واعلاء الدرجة ثم أكد ذلك المعنى بقوله هو الذي أرسل رسوله

بالهدى وبكثرة الدلائل والمعجزات ودين الحق وهو اشتماله على أمور يظهر لكل أحد كونه موصوفا بالصواب ومطابقا للحكمة ومؤديا الى
صلاح الدنيا والآخرة ثم بين غاية أمره وتمام حكمه فقال ليظهره على الدين كله أي ليجعل الرسول أو دين الحق غالبا على

شهرا الى قوله فلا تظلموا فيهن أنفسكم أي لا تجعلوا حرامها حلالا ولا حلالها حراما كما فعل أهل الشرك فانما النسىء الذين كانوا يصنعون ذلك زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا الآية حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن قيس بن مسلم عن الحسن فلا تظلموا فيهن أنفسكم قال ظلم أنفسكم أن لا تحرموهن كحرمتهن حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان عن قيس بن مسلم عن الحسن بن محمد بن عبد الاعلى فلا تظلموا فيهن أنفسكم قال ظلم لانفسكم أن لا تحرموهن كحرمتهن حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن قيس بن مسلم عن الحسين بن محمد بنحوه * قال أبو جعفر وأولى الاقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال فلا تظلموا في الاشهر الاربعة أنفسكم باستحلال حرامها فان الله عظمها وعظم حرمتها وانما قلنا ذلك أولى بالصواب في تأويله لقوله فلا تظلموا فيهن فاخرج الكناية عنه مخرج الكناية عن جميع ما بين الثلاثة الى العشرة وذلك ان العرب تقول فيما بين الثلاثة الى العشرة اذا كنت عنه فعلنا ذلك لثلاث ليال خلون ولاربعة أيام بقين واذا أخبرت عما فوق العشرة الى العشرين قالت فعلنا ذلك لثلاث عشرة خلت ولاربع عشرة مضت فكان في قوله جل ثناؤه فلا تظلموا فيهن أنفسكم واخراجه كناية عدد الشهور التي نهى المؤمنين عن ظلم أنفسهم فيهن مخرج عدد الجمع القليل من الثلاثة الى العشرة الدليل الواضح على ان الهاء والنون من ذكر الاشهر الاربعة دون الاثنى العشر لان ذلك لو كان كناية عن الاثنى العشر الشهر لكان فلا تظلموا فيها أنفسكم فان قال قائل فما أنكرت ان يكون ذلك كناية عن الاثنى العشر وان كان الذي ذكرت هو المعروف في كلام العرب فقد علمت ان المعروف من كلامها اخراج كناية ما بين الثلاث الى العشر بالهاء والنون وقد قال الشاعر

أصبحت في فرح وفي داراتها * سبع ليال غير معلوفاتها

ولم يقل معلوفاتهن وذلك كناية عن السبع قيل ان ذلك وان كان جائزا فليس الافصح الاعرف في كلامها وتوجيه كلام الله الى الافصح الاعرف أولى من توجيهه الى الانكر فان قال قائل فان كان الامر على ما وصفت فقد يجب ان يكون مباحا لنا ظلم أنفسنا في غيرهن من سائر شهور السنة قيل ليس ذلك كذلك بل ذلك حرام علينا في كل وقت وزمان ولكن الله عظم حرمة هؤلاء الاشهر وشرفهن على سائر شهور السنة فخص الذنب فيهن بالتعظيم كما خصهن بالتشريف وذلك نظير قوله حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى ولا شك ان الله قد أمرنا بالمحافظة على الصلوات المفروضات كلها بقوله حافظوا على الصلوات ولم يبح ترك المحافظة عليهن بامره بالمحافظة على الصلاة الوسطى ولكنه تعالى ذكره زادها تعظيما وعلى المحافظة عليها توكيدا وفي تضييعها تشديدا فكذلك ذلك في قوله منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم وأما قوله وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة فانه يقول جل ثناؤه وقاتلوا المشركين بالله أيها المؤمنون جميعا غير مختلفين مؤتلفين غير مفترقين كما يقاتلونكم المشركون جميعا مجتمعين غير متفرقين كما حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة اما كافة فجميع وأمركم مجتمع حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وقاتلوا المشركين كافة يقول جميعا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وقاتلوا المشركين كافة أي جميعا والكافة في كل حال على صورة واحدة لا تذكر ولا تجمع لانها وان كانت بلفظ فاعلة فانها في معنى المصدر كالعافية والعاقبة ولا يدخل العرب فيها الالف واللام لكونها آخر الكلام مع الذي فيها من معنى المصدر كما لم يدخلوها مع اذ قالوا قاموا معا وقاموا جميعا وأما قوله واعلموا أن الله مع المتقين

أهل الاديان كلهم أو على كل دين عن أبي هريرة انه قال هذا وعد من الله بان يجعل الاسلام غالبا على جميع الاديان وتمام هذا انما يظهر عند خروج عيسى وقال السدي ذلك عند خروج المهدي عليه السلام لا يبقى أحد الا دخل في الاسلام وأدى الخراج قلت قد دخل في عصرنا من الملوك الكفرة ومن أشياعهم في الاسلام ما لا يعد ولا يحصى وازدياد ذلك كل يوم دليل ظاهر على أن الكل سيدخلون في الاسلام وقد جاء في الحديث زويت لي الارض فاريت مشارق الارض ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوى لي منها وقيل ليظهر الاسلام على غيره في جزيرة العرب وهذا تخصيص أوجبه ضيق العطن وقيل ليظهر الرسول على جميع شرائط الدين حتى لا يخفى عليه شيء من مدارك الاحكام وقيل ليظهره بالحجة والبرهان لان غلبة الكفار في بعض الاقطار ظاهرة ولقائل أن يقول ان المسلمين في تلك البلاد وان قلوا غالبة على الكفار وان كثروا بدليل انهم لا يمنعونهم من اظهار شعائر الاسلام والتزام أحكامه قوله هو الذي أرسل فيه مدح منه تعالى لنفسه من جهة انه هو القادر على ابداء مثل هذا الامر العظيم ومن جهة انه هو الغالب على ايصاله الى حيث شاء وأراد من غير معاند ولا منازع ومن جهة انه هو المعطي لمثل هذه النعمة التي لا يوازنها نعمة وهي نعمة الهدى والاسلام وقوله ولو كره الكافرون وفي الآية الثانية ولو كره المشركون اما مساواة يا الدلالة تنبيها على ان اليهود والنصارى أيضا مشركون واما تخصيص بعد تعميم ولعله رغم لانف مشركي قريش ثم لما وصفت رؤساء اليهود والنصارى بالتكبر والتجبر وادعاء الربوبية والترفع على الخلق أراد أن يصفهم بالطمع

فان معناه واعلموا أيها المؤمنون بالله انكم ان قاتلتم المشركين كافة واتقيتم الله فاطعتموه فيما أمركم ونهاكم ولم تخالفوا أمره فتعصوه كان الله معكم على عدوكم وعدوه من المشركين ومن كان الله معه لم يغلبه شئ لان الله مع من اتقاه فخافه وأطاعه فيما كلفه من أمره ونهيه ﴿القول في تاويل قوله (انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطؤا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم والله لايهدى القوم الكافرين) يقول تعالى ذكره ما النسيء الا زيادة في الكفر والنسيء مصدر من قول القائل نسأت في أيامك ونسأ الله في أجلك أى زاد الله في أيام عمرك ومدة حياتك حتى تبقى فيها حيا وكل زيادة حدثت في شئ فالشئ الحادث فيه تلك الزيادة بسبب ما حدث فيه نسيء ولذلك قيل للبن اذا كثر بالماء نسيء وقيل للمرأة الحبلى نسوء ونسيت المرأة لزيادة الولد فيها وقيل نسأت الناقة وانسأتها اذا أخرتها ليزداد سيرها وقد يحتمل ان النسيء فعيل صرف اليه من مفعول كما قيل لعين وقتيل بمعنى ملعون ومقتول ويكون معناه انما الشهر المؤخر زيادة في الكفر وكان القول الاول أشبه بمعنى الكلام وهو ان يكون معناه انما التأخير الذى يؤخره أهل الشرك بالله من شهور الحرم الاربعة وتصييرهم الحرام منهن حلالا والحلال منهن حراما زيادة في كفرهم وجحودهم أحكام الله وآياته وقد كان بعض القراء يقرأ ذلك انما النسى بترك الهمز وترك مده يضل به الذين كفروا واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة الكوفيين يضل به الذين كفروا بمعنى يضل الله بالنسيء الذى ابتدعوه وأحدثوه الذين كفروا وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين يضل به الذين كفروا بمعنى يزول عن محجة الله التى جعلها لعباده طريقا يسلكونه الى مرضاته الذين كفروا وقد حكى عن الحسن البصرى يضل به الذين كفروا بمعنى يضل بالنسيء الذى سنه الذين كفروا الناس * قال أبو جعفر والصواب من القول في ذلك ان يقال هما قراءتان مشهورتان قد قرأت بكل واحدة القراء أهل العلم بالقرآن والمعرفة به وهما متقاربتا المعنى لان من أضله الله فهو ضال ومن ضل فباضلال الله اياه وخذلانه له ضل فبأيتهما قرأ القارئ فهو للصواب في ذلك مصيب وأما الصواب من القراءة في النسيء فالهمز وقراءته على تقدير فعيل لانها القراءة المستفيضة في قراءة الامصار التى لا يجوز خلافها فيما أجمعت عليه وأما قوله يحلونه عاما فان معناه يحل الذين كفروا النسيء والهاء في قوله يحلونه عائدة عليه ومعنى الكلام يحلون الذى أخروا تحريمه من الاشهر الاربعة الحرم عاما ويحرمونه عاما ليواطؤا عدة ما حرم الله يقول ليوافقوا بتحليلهم ما احلوا من الشهور وتحريمهم ما حرموا منها عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم يقول حسن لهم وحبب اليهم سيئ أعمالهم وقبيحها وما خولف به أمر الله وطاعته والله لايهدى القوم الكافرين يقول والله لا يوفق لمحاسن الافعال وجميلها وما لله فيه رضى القوم الجاحدين توحيده والمنكرين نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ولكنه يخذلهم عن الهدى كما خذل هؤلاء الناس الاشهر الحرم وبنحو الذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله انما النسيء زيادة في الكفر قال النسيء هو ان جنادة بن عوف بن أمية الكنانى كان يوافى الموسم كل عام وكان يكنى أبا ثمامة فينادى ألا ان أبا ثمامة لا يحاب ولا يعاب ألا وان صفر العام الاول العام حلال فيحله الناس فيحرم صفر عاما ويحرم المحرم عاما فذلك قوله تعالى انما النسيء زيادة في الكفر الى قوله الكافرين وقوله انما النسيء زيادة في الكفر يقول يتركوا المحرم عاما وعاما يحرمونه * قال أبو جعفر وهذا التأويل من تأويل ابن عباس يدل على صحة قراءة من قرأ النسى

والحرص فقال يا أيها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان الآية وفيه تنبيه على ان مقصودهم من اظهار تلك الربوبية والتجبر تحصيل حطام الدنيا قال الامام فخر الدين الرازى رضى الله عنه ولعمرى ان من تامل في أحوال أهل الناموس والتزوير في زماننا وجد هذه الآيات كانها ما أنزلت الا في شأنهم وشرح أحوالهم فترى الواحد منهم يدعى انه لا يلتفت الى الجنة ولا يعلق خاطره بجميع المخلوقات وانه في الطهارة والعصمة مثل الملائكة المقربين حتى اذا آل الامر الى الرغيف الواحد تراه يتهالك ويحتمل الذل والدناءة في تحصيله وفي قوله كثيرا دلالة على ان هذه الطريقة طريقة بعضهم لا كلهم فان العالم لا يخلو عن الحق واطباق الكل على الباطل واثبات ذلك كالممتنع وهذا يوهم انه كما ان اجماع هذه الامة على الباطل لا يحصل فكذلك في سائر الامم وعبر عن أخذهم أموال الناس بالاكل تسمية للشئ باسم ما هو أعظم مقاصده وأيضا من أكل شيأ فقد ضمه الى نفسه ومنعه من الوصول الى غيره كما لو أخذه ولهذا فان من أخذ أموال الناس فاذا طولب بردها قال أكلتها وما بقيت فلا قدرة لى على ردها وفي تفسير الباطل وجوه منها انهم كانوا يأخذون الرشا في تخفيف الاحكام والمسامحة في الشرائع وفي اخفاء نعت محمد وتاول الدلائل الدالة على نبوته ومنها انهم كانوا يوعدون عند عوامهم الحمقى انه لا سبيل الى الفوز بمرضاة الله تعالى الا بخدمتهم وطاعتهم وبذل الاموال في ذاتهم والعوام كانوا يغترون بتلك الاكاذيب ومنها انهم قالوا لا طريق الى تقوية دينهم الا اذا كان أولئك الفقهاء أقوياء عظماء أصحاب الجاه والحشمة والاموال كما تفعله المزورون في زماننا هذا أما قوله ويصدون عن سبيل الله فمعناه يبالغون في المنع من متابعة محمد كيلا يبطل جاههم وحشمتهم بتركه

فتفسد العوام لو أقروا بدينه ثم قال سبحانه والذين يكنزون الكنز هو المال المدفون وقد كنزه يكنزه والتركيب يدل على الجمع ومنه ناقة كناز

بترك الهمز وترك المد وتوجيهه معنى الكلام الى أنه نعل من قول القائل نسيت النسي انساه ومن قول الله نسوا الله فنسيهم بمعنى تركوا الله فتركهم حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس انما النسيء زيادة في الكفر قال فهو المحرم كان يحرم عاما وصفر عاما وزيد صفر آخر في الاشهر الحرم وكان يحرمون صفر امرة ويحلونه مرة فعاب الله ذلك وكانت هوازن وغطفان وبنو سليم تفعله حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن منصور عن أبي وائل انما النسيء زيادة في الكفر قال كان النسيء رجلا من بني كنانة وكان ذا رأي فيهم وكان يجعل سنة المحرم صفرا فيغزون فيه فيغنمون فيه ويصيبون ويحرمه سنة قال حدثنا أبي عن سفيان عن منصور عن أبي وائل انما النسيء زيادة في الكفر الآية وكان رجل من بني كنانة يسمى النسيء فكان يجعل المحرم صفرا ويستحل فيه الغنائم فنزلت هذه الآية حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال سمعت ليثا عن مجاهد قال كان رجل من بني كنانة يأتي كل عام في الموسم على حمار له فيقول أيها الناس اني لا أعاب ولا أحاب ولا مرد لما أقول انا قد حرمنا المحرم وأخرنا صفر ثم يجيء العام المقبل بعده فيقول مثل مقالته ويقول انا قد حرمنا صفر وأخرنا المحرم فهو قوله ليواطؤا عدة ما حرم الله قال يعني الاربعة فيحلوا ما حرم الله لتأخير هذا الشهر الحرام حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله انما النسيء زيادة في الكفر النسيء المحرم وكان يحرم المحرم عاما ويحرم صفر عاما فالزيادة صفر وكانوا يؤخرون الشهور حتى يجعلون صفر المحرم فيحلوا ما حرم الله وكانت هوازن وغطفان وبنو سليم يعظمونه وهم الذين كانوا يفعلون ذلك في الجاهلية حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة انما النسيء زيادة في الكفر الى قوله الكافرين عمد اناس من أهل الضلالة فزادوا صفرا في الاشهر الحرم فكان يقوم قائمهم في الموسم فيقول ألا ان آلهتكم قد حرمت العام المحرم فيحرمونه ذلك العام ثم يقوم في العام المقبل فيقول الا ان آلهتكم قد حرمت صفر فيحرمونه ذلك العام وكان يقال لهما الصفران قال فكان أول من نسأ النسيء بنو مالك بن كنانة وكانوا ثلاثة أبو ثمامة صفوان بن أمية أحد بني فقيم بن الحرث ثم أحد بني كنانة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله انما النسيء زيادة في الكفر قال فرض الله الحج في ذي الحجة قال وكان المشركون يسمون ذا الحجة والمحرم وصفر وربيع وربيع وجمادى وجمادى ورجب وشعبان ورمضان وشوالا وذا القعدة وذا الحجة يحجون فيه مرة أخرى ثم يسكتون عن المحرم فلا يذكرونه ثم يعودون يسمون صفر صفرا ثم يسمون رجب جمادى الآخرة ثم يسمون شعبان رمضان ثم يسمون شوال رمضان ثم يسمون ذا القعدة شوال ثم يسمون ذا الحجة ذا القعدة ثم يسمون المحرم ذا الحجة فيحجون فيه واسمه عندهم ذو الحجة ثم عادوا بمثل هذه القصة فكانوا يحجون في كل شهر عامين حتى وافق حجة أبي بكر رحمة الله عليه الآخر من العامين في ذي القعدة ثم حج النبي صلى الله عليه وسلم حجته التي حج فوافق ذا الحجة فذلك حين يقول النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد انما النسيء زيادة في الكفر قال حجوا في ذي الحجة عامين ثم حجوا في المحرم عامين ثم حجوا في صفر عامين فكانوا يحجون في كل سنة في كل شهر عامين حتى وافقت حجة أبي بكر الآخر من العامين في ذي القعدة قبل حجة النبي صلى الله عليه وسلم بسنة ثم حج النبي صلى الله عليه وسلم من قابل في ذي الحجة فذلك حين يقول النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته ان الزمان قد استدار

كنزة الهم واكتنز الشيء اجتمع قيل المراد بقوله والذين الأحبار والرهبان لما وصفهم بالحرص الشديد أراد أن يصفهم بالامتناع من اخراج الواجبات عن أموالهم وقيل المقصود مانعو الزكاة من المسلمين ووجه النظم انه لما كان حال من أمسك مال نفسه بالباطل كذلك فما ظنك بحال من سعى في أخذ مال غيره بالباطل والخديعة عن زيد بن وهب قال مررت بالربذة فاذا أنا بأبي ذر فقلت له ما أنزلك هذه البلاد قال كنت بالشام فاختلفت أنا ومعاوية في هذه الآية فقال معاوية نزلت في أهل الكتاب وقلت نزلت فينا وفيهم فصار ذلك سببا للوحشة فكتب الى عثمان يشكوني فكتب الى عثمان ان أقدم المدينة فلما قدمت المدينة انحرف الناس عني كأنهم لم يروني من قبل فذكرت ذلك لعثمان فقال ان شئت تنحيت فكنت قريبا فقلت اني والله لا أدع ما كنت أقول وعن الاحنف قال لما قدمت المدينة رأيت أبا ذر يقول بشر الكافرين برضف يوم يحمى عليه في نار جهنم فيوضع على حلمة ثدي أحدهم حتى يخرج من نغض كتفه ويوضع على نغض كتفه حتى يخرج من حلمة ثديه فلما سمع القوم ذلك تركوه فاتبعته وقلت ما رأيت هؤلاء الا كرهوا ما قلت لهم فقال ما عسى يصنع بي قريش واختلف علماء الصحابة في هذا الكنز المذموم فقال الاكثرون هو المال الذي لم تؤد زكاته عن عمر بن الخطاب ما أدي زكاته ليس بكنز وقال ابن عمر كل ما أديت زكاته فليس بكنز وان كان تحت سبع أرضين وكل مال لم تؤد زكاته فهو كنز وان كان فوق الارض وقال جابر اذا أخرجت الصدقة من مالك فقد أذهبت عنه شره وليس بكنز وعن ابن عباس قوله ولا ينفقونها في سبيل الله يريد الذين لا يؤدون زكاة أموالهم قال القاضي ويندرج فيه سائر الحقوق من الكفارات والديون ونفقة الحج والجهاد والانفاق على الأهل والعيال وضمان المتلفات وأروش الجنايات وقال الاقلون كل مال كثير

كهيئته يوم خلق الله السموات والارض حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمران بن عيينة عن حصين عن أبي مالك انما النسيء زيادة في الكفر قال كانوا يجعلون السنة ثلاثة عشر شهرا فيجعلون المحرم صفرا فيستحلون فيه الحرمات فانزل الله انما النسيء زيادة في الكفر حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا الآية قال هذا رجل من بني كنانة يقال له القلمس كان في الجاهلية وكانوا في الجاهلية لا يغير بعضهم على بعض في الشهر الحرام يلقى الرجل قاتل أبيه فلا يمد اليه يده فلما كان هو قال اخرجوا بنا قالوا له هذا المحرم فقال ننسيه العام هما العام صفران فاذا كان عام قابل قضينا فجعلناهما محرمين قال ففعل ذلك فلما كان عام قابل قال لا تغزوا في صفر حرموه مع المحرم هما محرمان المحرم أنسأناه عاما أول ونقضيه ذلك الانساء وقال شاعرهم * ومنا منسئ الشهور القلمس * وأنزل الله انما النسيء زيادة في الكفر الى آخر الآية وأما قوله زيادة في الكفر فان معناه زيادة كفر بالنسيء الى كفرهم بالله وقيل ابتداعهم النسيء كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد انما النسيء زيادة في الكفر يقول ازدادوا به كفرا الى كفرهم وأما قوله ليواطؤا فانه من قول القائل واطأت فلانا على كذا أواطئه مواطأة اذا وافقته عليه معينا له غير مخالف عليه وروي عن ابن عباس في ذلك ما حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ليواطؤا عدة ما حرم الله يقول يشبهون وذلك قريب المعنى مما بينا وذلك ان ما شابه الشيء فقد وافقه من الوجه الذي شابهه وانما معنى الكلام انهم يوافقون بعدة الشهور التي يحرمونها عدة الاشهر الاربعة التي حرمها الله لا يزيدون عليها ولا ينقصون منها وان قدموا وأخروا فذلك مواطأة عدتهم عدة ما حرم الله ۞ القول في تأويل قوله (يا أيها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل) وهذه الآية حث من الله جل ثناؤه المؤمنين به من أصحاب رسوله على غزو الروم وذلك غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم تبوك يقول جل ثناؤه يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله ما لكم أي شيء أمركم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله يقول اذا قال لكم رسول الله محمد انفروا أي اخرجوا من منازلكم الى مغزاكم وأصل النفر مفارقة مكان الى مكان لامر هاجه على ذلك ومنه نفور الدابة غير انه يقال من النفر الى الغزو نفر فلان الى ثغر كذا ينفر نفرا ونفيرا وأحسب ان هذا من الفروق التي يفرقون بها بين اختلاف الخبر عنه وان اتفقت معاني الخبر في الكلام ما لكم أيها المؤمنون اذا قيل لكم اخرجوا غزاة في سبيل الله أي في جهاد أعداء الله اثاقلتم الى الارض يقول تثاقلتم الى لزوم أرضكم ومساكنكم والجلوس فيها وقيل اثاقلتم لانه أدغم التاء في الثاء فأحدث لها ألف ليتوصل الى الكلام بها لان التاء مدغمة في الثاء ولو أسقطت الالف وابتدئ بها لم تكن الا متحركة فأحدثت الالف لتقع الحركة بها كما قال جل ثناؤه حتى اذا اداركوا فيها جميعا وكما قال الشاعر

تولي الضجيع اذا ما * ساقها خصرا عذب المذاق * اذا ما تابع القبل

فهو من الفعل افتعلتم من التثاقل وقوله أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة يقول جل ثناؤه أرضيتم بحظ الدنيا والدعة فيها عوضا من نعيم الآخرة وما عند الله للمتقين في جنانه فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة يقول فما الذي يستمتع به المتمتعون في الدنيا من عيشها ولذاتها في نعيم الآخرة والكرامة التي أعدها الله لاوليائه وأهل طاعته الا قليل يسير يقول لهم فاطلبوا أيها المؤمنون نعيم الآخرة وشرف الكرامة التي عند الله لاوليائه بطاعته والمسارعة الى الاجابة الى

فهو مذموم سواء اديت زكاته او لم تؤد حجة الاولين قوله تعالى لها ما كسبت ولا يسألكم أموالكم وقوله عليه السلام كل امرئ أحق بكسبه نعم المال الصالح للرجل الصالح ما أديت زكاته فليس بكنز وان كان باطنا وما بلغ أن يزكى ولم تزك فهو كنز وان كان ظاهرا وقد كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع من الاغنياء كعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وكان يعدهم من أكابر المؤمنين وقد ندب الى اخراج الثلث أو الاقل في المرض ولو كان جمع المال محرما لما كان يأمر المريض بتصدق الكل بل الصحيح في حال صحته حجة الآخرين عموم الآية وما روى سالم بن الجعد انها لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبا للذهب تبا للفضة قالها ثلاثا فقالوا له صلى الله عليه وسلم أي مال نتخذ قال لسانا ذاكرا وقلبا خاشعا وزوجة تعين أحدكم على دينه وقوله من ترك صفراء وبيضاء كوي بها وتوفي رجل فوجد في مئزره دينار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كية وتوفي آخر فوجد في مئزره ديناران فقال كيتان وعن علي رضي الله عنه كل مال زاد على أربعة آلاف فهو كنز أديت منه الزكاة أو لم تؤد ومن المعقول ان الله تعالى خلق الاموال لدفع الحاجات فاذا حصل للمرء منه ما زاد على قدر حاجته ومنع منه الغير كان مانعا من ظهور حكمة الله ودافعا لوجوه الاحسان الى عبيده وقد رام طائفة من العلماء الجمع بين القولين فقالوا كان هذا قبل أن تفرض الزكاة فاما بعد فرض الزكاة فالله أعدل وأكرم من أن يجمع عبده مالا من حيث أذن له فيه ويؤدي عما أوجب عليه ثم يعاقبه وقال أهل التحقيق النهي عن جمع المال محمول على التقوى لان تربية المال لاحد له يقف عنده فيجر الى تضييع العمر تارة في تحصيله وأخرى في حفظه ولانه كلما ازداد المال ازدادت الرغبة في تحصيله فيشتد حرصه ولا ينقطع البتة وقد يفضي الى الطغيان والخذلان كقوله تعالى ان الانسان ليطغى أن

امره

أمره في النفير لجهاد عدوه وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مالكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض أمروا بغزوة تبوك بعد الفتح وبعد الطائف وبعد حنين أمروا بالنفير في الصيف حين خرفت النخل وطابت الثمار واشتهوا الظلال وشق عليهم المخرج حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله يا أيها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض الآية قال هذا حين أمروا بغزوة تبوك بعد الفتح وحنين وبعد الطائف أمرهم بالنفير في الصيف حين اخترفت النخل وطابت الثمار واشتهوا الظلال وشق عليهم المخرج قال فقالوا منا الثقيل وذو الحاجة والضيعة والشغل والمتشرد به أمره في ذلك كله فأنزل الله انفروا خفافا وثقالا ۞ القول في تأويل قوله (الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيأ والله على كل شئ قدير) يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من أصحاب رسوله متوعدهم على ترك النفر الى عدوهم من الروم ان لم تنفروا أيها المؤمنون الى من استنفركم رسول الله يعذبكم الله عاجلا في الدنيا بترككم النفر اليهم عذابا موجعا ويستبدل قوما غيركم يقول يستبدل الله بكم نبيه قوما غيركم ينفرون اذا استنفروا ويجيبونه اذا دعوا ويطيعون الله ورسوله ولا تضروه شيأ يقول ولا تضروا الله بترككم النفير ومعصيتكم اياه شيأ لانه لا حاجة به اليكم بل أنتم أهل الحاجة اليه وهو الغنى عنكم وأنتم الفقراء والله على كل شئ قدير يقول جل ثناؤه والله على اهلاككم واستبدال قوم غيركم بكم وعلى كل ما يشاء من الاشياء قدير وقد ذكر ان العذاب الاليم في هذا الموضع كان احتباس القطر عنهم ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا زيد بن الحباب قال ثنى عبد المؤمن بن خالد الحنفي قال ثنى نجدة الخراساني قال سمعت ابن عباس وسئل عن قوله الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استنفر حيا من احياء العرب فتثاقلوا عنه فأمسك عنهم المطر فكان ذلك عذابهم فذلك قوله الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبد المؤمن عن نجدة قال سألت ابن عباس فذكر نحوه الا أنه قال فكان عذابهم ان أمسك عنهم المطر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما استنفر الله المؤمنين في لهبان الحر في غزوة تبوك قبل الشام على ما يعلم الله من الجهد وقد زعم بعضهم ان هذه الآية منسوخة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح عن الحسين عن يزيد عن عكرمة والحسن البصري قالا قال الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما وقال ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه الى قوله ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون فنسختها الآية التي تلتها وما كان المؤمنون لينفروا كافة الى قوله لعلهم يحذرون * قال أبو جعفر ولا خبر بالذي قال عكرمة والحسن من نسخ حكم هذه الآية التي ذكروا يجب التسليم له ولا حجة تأتي بصحة ذلك وقد رأى ثبوت الحكم بذلك عدد من الصحابة والتابعين سنذكرهم بعد وجائز أن يكون قوله الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما لخاص من الناس ويكون المراد به من استنفره رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينفر على ما ذكرنا من الرواية عن ابن عباس واذا كان ذلك كذلك كان قوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة نهيا من الله المؤمنين عن اخلاء بلاد الاسلام بغير مؤمن مقيم فيها واعلاما من الله لهم ان الواجب النفر على بعضهم دون بعض وذلك على من استنفر منهم دون من لم يستنفر واذا كان ذلك كذلك لم يكن في احدى الآيتين نسخ للاخرى وكان حكم كل واحدة منهما ماضيا فيما

رآه استغنى ولو لم يكن في الفقر سوى الانكسار وقلة التعلق وفراغ البال لكفى به منقبة ونخرا وكل ما يلهيك عن الله ولم يكن في سبيل الله فعدمه خير من وجوده واما ظاهر الفتوى فهو ان صاحب المال الكثير لا عتب عليه اذا أدى منه حقوقه هذا ومن حمل الآية على وعيد مانعي الزكاة في النقود قاس الزكاة في المواشي عليه وقد ورد أيضا في الحديث ما من صاحب ابل أو بقر أو غنم وهو مشهور ولا ريب ان الاصل المعتبر في الاموال هو النقدان وسائر الامتعة انما تحصل بهما وتدور عليهما ولمن أوجب الزكاة في الحلي المباح الاستدلال بالآية لان الذهب والفضة يشمله ومن لم يوجب الزكاة فيه خصص عموم الآية بما روي انه صلى الله عليه وسلم قال لا زكاة في الحلي المباح ولم يصححه أبو عيسى الترمذي وبتقدير ان يصح حمل على اللآلي لقوله تعالى وتستخرجون حلية تلبسونها وللقائل ان يقول لو حملنا الحلي في الحديث على اللآلي لم تبق لقيد المباح فائدة ثم انه تعالى ذكر شيئين الذهب والفضة ثم قال ولا ينفقونها فقيل الضمير عائد الى المعنى وهو الكنوز أو الاموال أو لان كل واحد منهما جملة وافية وعدة كثيرة ودراهم ودنانير فهو كقوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وقيل الى اللفظ أي ولا ينفقون من الفضة وحذف الذهب اما لانه داخل في الفضة من حيث كونهما جوهرين ثمينين نفيسين مقصودين بالكنز فاغنى ذكر أحدهما عن الآخر كقوله واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها ومن يكسب خطيئة أو اثما ثم يرم به بريئا واما لان النقد والذهب كذلك كان معنى قوله فاني وقيار بها لغريب * وقيل كذلك ثم قال فبشرهم بعذاب أليم تهكما مثل قولهم تحيتهم الضرب واكرامهم الشتم وقيل البشارة هي الخبر الذي يؤثر في القلب فيتغير بسببه لون بشرة الوجه سواء كان من الفرح أو من الغم كانت حقيقته يوم يحمى عليها معناه ان النار تحمى عليها أي يوقد عليها نار ذات حمى وحر شديد من

عنيت به ۞ القول في تأويل قوله (الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا) وهذا اعلام من الله أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انه المتوكل بنصر رسوله على أعداء دينه واظهاره عليهم دونهم أعانوه أو لم يعينوه وتذكير منه لهم فعل ذلك به وهو من العدد فى قلة والعدو فى كثرة فكيف به وهو من العدد فى كثرة والعدو فى قلة يقول لهم جل ثناؤه الا تنفروا أيها المؤمنون مع رسولى اذا استنفركم فتنصروه فالله ناصره ومعينه على عدوه ومغنيه عنكم وعن معونتكم ونصرتكم كما نصره اذ أخرجه الذين كفروا بالله من قريش من وطنه وداره ثانى اثنين يقول أخرجوه وهو أحد الاثنين أى واحد من الاثنين وكذلك تقول العرب هو ثانى اثنين يعنى أحد الاثنين وثالث ثلاثة ورابع أربعة يعنى أحد الثلاثة واحد الاربعة وذلك خلاف قولهم أخوسته وغلام سبعة لان الاخ والغلام غير الستة والسبعة وثالث الثلاثة أحد الثلاثة وانما عنى جل ثناؤه بقوله ثانى اثنين رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر رضى الله عنه لانهما كانا اللذين خرجا هاربين من قريش اذ هموا بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم واختفيا فى الغار وقوله اذ هما فى الغار يقول اذ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رحمة الله عليه فى الغار والغار النقب العظيم يكون فى الجبل اذ يقول لصاحبه يقول اذ يقول رسول الله لصاحبه أبى بكر لا تحزن وذلك انه خاف من الطلب أن يعلموا بمكانهما فجزع من ذلك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحزن ان الله معنا والله ناصرنا فلن يعلم المشركون بنا ولن يصلوا الينا يقول جل ثناؤه فقد نصره الله على عدوه وهو بهذه الحال من الخوف وقلة العدد فكيف يخذله ويحوجه اليكم وقد كثر الله أنصاره وعدد جنوده وبنحو الذى قلنا قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد الا تنصروه ذكر ما كان فى أول شأنه حين بعثه يقول الله فانا فاعل ذلك به وناصره كما نصرته اذ ذاك وهو ثانى اثنين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله الا تنصروه فقد نصره الله قال ذكر ما كان فى أول شأنه حين بعث فانه فاعل به كذلك ناصره كما نصره اذ ذاك ثانى اثنين اذ هما فى الغار حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الا تنصروه فقد نصره الله الآية قال فكان صاحبه أبو بكر وأما الغار فجبل بمكة يقال له ثور حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد قال ثنى أبى قال ثنا أبان العطار قال ثنا هشام بن عروة عن عروة قال لما خرج النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى الله عنه وكان لابى بكر منيحة من غنم تروح على أهله فارسل أبو بكر عامر بن فهيرة فى الغنم الى ثور وكان عامر بن فهيرة يروح بتلك الغنم على النبى صلى الله عليه وسلم بالغار فى ثور وهو الغار الذى سماه الله فى القرآن حدثنى يعقوب بن ابراهيم بن جبير الواسطى قال ثنا عفان وحبان قالا ثنا همام عن ثابت عن أنس ان أبا بكر رضى الله عنه حدثهم قال بينا انا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغار وأقدام المشركين فوق رؤسنا فقلت يا رسول الله لو أن أحدهم رفع قدمه أبصرنا فقال يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن شريك عن ابراهيم بن مهاجر عن مجاهد قال مكث أبو بكر مع النبى صلى الله عليه وسلم فى الغار ثلاثا حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الزهرى اذ هما فى الغار قال فى الجبل الذى يسمى ثورا مكث فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ثلاث ليال حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى عمرو بن الحرث عن أبيه ان أبا بكر الصديق رحمة الله تعالى عليه حين خطب قال أيكم يقرأ سورة التوبة قال رجل انا قال اقرأ فلما بلغ اذ يقول لصاحبه لا تحزن بكى أبو بكر وقال انا والله صاحبه

قوله يا رحامية ولو قيل يوم يحمى آى الكنوز كقولك أحميت الحديد لم يفد هذا المعنى وانما ذكر الفعل مع ان الاحماء للنار لانه مسند الى الجار والمجرور بعد حذف النار كما تقول رفعت القصة الى الامير فان لم تذكر القصة قلت رفع الى الامير فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ذكر العلماء فى تخصيص هذه الاعضاء بالكى وجوها منها ان حصول الاموال يقصد به فرح فى القلب يظهر أثره فى الوجه وشبع ينتفخ بسببه الجنبان ولبس ثياب فاخرة يطرحونها على ظهورهم فعورضوا بنقيض المقصود ومنها ان هذه الاعضاء يعظم تألمها لكونها مجوفة ولما فى داخلها من الاعضاء الشريفة ومنها انهم يكوون على الجهات الاربع اما من قدام فعلى الجبهة واما من خلف فعلى الظهر واما من اليمين واليسار فعلى الجنبين ومنها ان المراد وقوع الكى على الاعضاء لانها اما فى غاية النظافة ومثاله الجبهة واما فى غاية الصلابة ومثاله الظهر واما متوسطة ومثاله الجنبان ومنها الجمال فى الوجه والقوة فى الظهر والجنبين والانسان انما يطلب المال للجمال والقوة فعورض بازالتهما ومنها قول أبى بكر الوراق خصت بالذكر لان صاحب المال اذا رأى الفقير قبض جبهته واذا قعد بجنبه تباعد وتجافى عنه وولى عليه ظهره وانا أقول يحتمل أن يراد بالجباه قدام الشخص حين لم يقدم لنفسه خيرا وبالظهور جهة الخلق حين خلف ما أعقبه الحسرات وبالجنبين اليمين والشمال حين لم يصرف المال فى مرضاته وأنفقه فى معصيته وسخطه وهذا بالتأويل أليق ثم الذى جعل كيا هو كل ماله أو قدر الزكاة الظاهر انه الكل لانه لما لم يخرج منه الحق كان ذلك الجزء شائعا فى كل ماله فناسب أن يعذب بكل الاجزاء ثم قال هذا ما كنزتم والتقدير فيقال لهم هذا ما كنزتم لانفسكم وفيه توبيخ واشعار بانهم عورضوا بنقيض ما قصدوا أو كذلك قوله فذوقوا ما كنتم تكنزون وما مصدرية أو موصولة والمعنى

صاحبه ﴿ القول في تأويل قوله (فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم) يقول تعالى ذكره فأنزل الله طمأنينته وسكونه على رسوله وقد قيل على أبي بكر وأيده بجنود لم تروها يقول وقواه بجنود من عنده من الملائكة لم تروها أنتم وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وهي كلمة الشرك السفلى لانها قهرت وأذلت وأبطلها الله تعالى ومحق أهلها وكل مقهور ومغلوب فهو أسفل من الغالب والغالب هو الاعلى وكلمة الله هي العليا يقول ودين الله وتوحيده وقول لا اله الا الله وهو كلمته العليا على الشرك وأهله الغالبة كما حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وهي الشرك بالله وكلمة الله هي العليا وهي لا اله الا الله وقوله وكلمة الله هي العليا خبر مبتدأ غير مردود على قوله وجعل كلمة الذين كفروا السفلى لان ذلك لو كان معطوفا على الكلمة الاولى لكان نصبا وأما قوله والله عزيز حكيم فانه يعني والله عزيز في انتقامه من أهل الكفر به لا يقهره قاهر ولا يغلبه غالب ولا ينصر من عاقبه ناصر حكيم في تدبيره خلقه وتصريفه اياهم في مشيئته ﴿ القول في تأويل قوله (انفروا خفافا وثقالا) اختلف أهل التأويل في معنى الخفة والثقل اللذين أمر الله من كان به أحدهما بالنفر معه فقال بعضهم معنى الخفة التي عناها الله في هذا الموضع الشباب ومعنى الثقل الشيخوخة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن رجل عن الحسن في قوله انفروا خفافا وثقالا قال شيبا وشبانا حدثنا ابن وكيع قال ثنا حفص عن عمرو عن الحسن قال شيوخا وشبانا قال حدثنا ابن عيينة عن علي بن زيد عن أنس عن أبي طلحة انفروا خفافا وثقالا قال كهولا وشبانا ما أسمع عذر أحدا فخرج الى الشام فجاهد حتى مات حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن المغيرة بن النعمان قال كان رجل من النخع وكان شيخا بادنا فأراد الغزو فمنعه سعد بن أبي وقاص فقال ان الله يقول انفروا خفافا وثقالا فأذن له سعد فقتل الشيخ فسأل عنه بعد عمر فقال ما فعل الشيخ الذي كان من بني هاشم؟ فقالوا قتل يا أمير المؤمنين حدثنا ابن وكيع قال ثنا يزيد بن هرون عن اسمعيل عن أبي صالح قال الشاب والشيخ قال حدثنا أبو اسامة عن مالك بن مغول عن اسمعيل عن عكرمة قال الشاب والشيخ قال حدثنا المحاربي عن جويبر عن الضحاك كهولا وشبانا قال حدثنا حيوة أبو يزيد عن يعقوب القمي عن جعفر بن حميد عن بشر بن عطية كهولا وشبانا حدثنا الوليد قال ثنا علي بن سهل قال ثنا الوليد بن مسلم عن بكر بن معروف عن مقاتل بن حيان في قوله انفروا خفافا وثقالا قال شبابا وكهولا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد انفروا خفافا وثقالا قال شبابا وشيوخا وأغنياء ومساكين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال قال الحسن شيوخا وشبابا حدثني سعيد بن عمرو قال ثنا بقية قال ثنا جرير قال ثني حبان بن زيد الشرعبي قال نفرنا مع صفوان بن عمرو وكان واليا على حمص قبل الافسوس الى الجراجمة فلقيت شيخا كبيرا هما قد سقط حاجباه على عينيه من أهل دمشق على راحلته فيمن أغار فأقبلت عليه فقلت يا عم لقد أعذر الله اليك قال فرفع حاجبيه فقال يا ابن أخي استنفرنا الله خفافا وثقالا من يحبه الله يبتليه ثم يعيده فيبقيه انما يبتلي الله من عباده من شكر وصبر وذكر ولم يعبد الا الله حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسمعيل عن أبي صالح انفروا خفافا وثقالا قال كل شيخ وشاب * وقال آخرون معنى ذلك مشاغيل وغير مشاغيل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار وابن وكيع قالا ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن

أعرفوا وبال كونكم كافرين أو وبال المال الذي كنتم تكنزونه ثم ذكر نوعا آخر من قبائح أعمال اليهود والنصارى والمشركين فقال ان عدة الشهور الآيتان وذلك انه تعالى لما حكم في كل وقت بحكم خاص فاذا غيروا تلك الاوقات بسبب النسيء والكبيسة كان ذلك سعيا منهم في تغيير حكم الله بحسب الهوى فكان ذلك زيادة في كفرهم واعلم ان المعالم الشرعية كلها منوطة بالشهور القمرية الهلالية لقوله سبحانه قل هي مواقيت للناس والحج والسنة القمرية عبارة عن اثنى عشر شهرا قمريا بدليل قوله تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا قال أبو علي الفارسي لا يجوز أن يتعلق قوله في كتاب الله بقوله عدة الشهور للفصل بالاجنبي وهو الخبر أعني اثنا عشر فقوله في كتاب الله ويوم خلق الثاني بدل من الاول وهو من عند والتقدير ان عدة الشهور عند الله في كتاب الله يوم خلق السموات والارض وفائدة الابدال تقرير الكلام في الاذهان لانه يعلم منه ان ذلك العدد واجب عند الله وثابت في علمه في أول ما خلق الله العالم ويجوز أن يكون في كتاب الله صفة اثنى عشر أي اثنا عشر شهرا مثبتا في كتاب الله وعلى هذا لا يجوز أن يراد بالكتاب كتاب من الكتب لان يوم متعلق به ولا يتعلق الظروف بأسماء الاعيان لا يقال غلامك يوم الجمعة بل الكتاب يكون مصدرا بمعنى المفعول أي فيما أثبته في ذلك اليوم اللهم الا اذا قدر الكلام هكذا ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا مكتوبا في كتاب الله يوم خلق قال ابن عباس هو اللوح المحفوظ وقيل القرآن منها أربعة حرم ثلاثة سرد أي مسرودة ذو القعدة وذو الحجة والمحرم وواحد فرد وهو رجب ذلك الدين القيم يعني ان تحريم الاشهر الحرم الدين المستقيم الذي كان عليه ابراهيم واسمعيل وقد توارثته العرب منهما وكانوا يعظمونها ويحرمون القتال فيها حتى لو لقي الرجل قاتل أبيه أو أخيه تركه فلا تظلموا فيهن أي في الاشهر الاربعة أنفسكم بأن تجعلوا حرامها

الحكم فى قوله انفروا خفافا وثقالا قال مشاغيل وغير مشاغيل * وقال آخرون معناه انفروا أغنياء وفقراء ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عمن ذكره عن أبى صالح انفروا خفافا وثقالا قال أغنياء وفقراء * وقال آخرون معناه نشاطا وغير نشاط ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله انفروا خفافا وثقالا يقول انفروا نشاطا وغير نشاط حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة خفافا وثقالا قال نشاطا وغير نشاط * وقال آخرون معناه ركبانا ومشاة ذكر من قال ذلك حدثنا على بن سهل قال ثنا الوليد قال قال أبو عمرو اذا كان النفر الى دروب الشام نفر الناس اليها خفافا ركبانا واذا كان النفر الى هذه السواحل نفروا اليها خفافا وثقالا ركبانا ومشاة * وقال آخرون معنى ذلك ذا ضيعة وغير ذى ضيعة ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله انفروا خفافا وثقالا قال الثقيل الذى له الضيعة فهو ثقيل يكره أن يضيع ضيعته ويخرج والخفيف الذى لا ضيعة له فقال الله انفروا خفافا وثقالا حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر عن أبيه قال زعم حضرمى انه ذكر له ان ناسا كانوا عسى ان يكون أحدهم عليلا أو كبيرا فيقول ان أحسبه أنا فلا أثم وأنزل الله انفروا خفافا وثقالا حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال ثنا أيوب عن محمد قال شهد أبو أيوب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا ثم لم يتخلف عن غزاة المسلمين الا وهو فى آخرين الا عاما واحدا وكان أبو أيوب يقول انفروا خفافا وثقالا فلا أجدنى الا خفيفا أو ثقيلا حدثنا على بن سهل قال ثنا الوليد بن مسلم قال ثنا حريز عن عثمان عن راشد بن سعد عمن رأى المقداد بن الاسود فارس رسول الله صلى الله عليه وسلم على تابوت من توابيت الصيارفة بحمص وقد فصل عنه من عظمه فقلت له لقد أعذر الله اليك فقال أتت علينا سورة البعوث انفروا خفافا وثقالا حدثنا سعيد بن عمرو السكونى قال ثنا بقية بن الوليد قال ثنا حريز قال ثنى عبد الرحمن بن ميسرة قال ثنى أبو راشد الحبرانى قال وافيت المقداد بن الاسود فارس رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا على تابوت من توابيت الصيارفة بحمص قد فصل عنها من عظمه يريد الغزو فقلت له لقد أعذر الله اليك فقال أتت علينا سورة البعوث انفروا خفافا وثقالا * قال أبو جعفر وأولى الاقوال فى ذلك عندنا بالصواب أن يقال ان الله تعالى ذكره أمر المؤمنين بالنفر لجهاد أعدائه فى سبيله خفافا وثقالا وقد يدخل فى الخفاف كل من كان سهلا عليه النفر لقوة بدنه على ذلك وصحة جسمه وشبابه ومن كان ذا تيسر بمال وفراغ من الاشتغال وقادرا على الظهر والركاب ويدخل فى الثقال كل من كان بخلاف ذلك من ضعيف الجسم وعليله وسقيمه ومن معسر من المال ومشتغل بضيعة ومعاش ومن كان لا ظهر له ولا ركاب والشيخ ذو السن والعيال فاذ كان قد يدخل فى الخفاف والثقال من وصفنا من أهل الصفات التى ذكرنا ولم يكن الله جل ثناؤه خص من ذلك صنفا دون صنف فى الكتاب ولا على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم ولا نصب على خصوصه دليلا وجب ان يقال ان الله جل ثناؤه أمر المؤمنين من أصحاب رسوله بالنفر للجهاد فى سبيله خفافا وثقالا مع رسوله صلى الله عليه وسلم على كل حال من أحوال الخفة والثقل حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن سعيد بن مسروق عن مسلم بن صبيح قال أول ما نزل من براءة انفروا خفافا وثقالا حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن أبيه عن أبى الضحى مثله حدثنا الحرث قال ثنا القاسم قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال ان أول ما نزل من براءة لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة قال يعرفهم نصره ويوطنهم لغزوة تبوك ۞ القول فى تأويل قوله (وجاهدوا

بأموالكم

الا عن عطاء تالله ما يحل للناس أن يغزوا فى الحرم ولا فى الاشهر الحرم الا أن يقاتلوا وما نسخت وعن الحسن مثله لانه فسر الدين القيم بانه الثابت الذى لا يزول عن عطاء الخراسانى أحلت القتال فى الاشهر الحرم براءة من الله ورسوله وقيل معناه لا تأثموا فيهن بيان لعظم حرمتهن كما عظم أشهر الحج بقوله فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق والسبب فيه ان لبعض الاوقات أثرا فى زيادة الثواب أو العقاب كالامكنة وكانت الحكماء يختارون لاجابة الدعاء أوقاتا مخصوصة وفيه فائدة أخرى هى ان الانسان جبل مطبوعا على الظلم والفساد ومنعه من ذلك على الاطلاق شاق عليه فخص بعض الازمنة والامكنة بطاعة ليسهل عليه الاتيان بها فيهما ولا يمتنع عن ذلك ثم لو اقتصر على ذلك فهو أمر مطلوب فى نفسه وان جره ذلك الى الاستدامة والاستقامة بحسب الالفة والاعتياد أو لاعتقاده ان الاقدام على ضد ذلك يبطل مساعيه السالفة فذلك هو المطلوب الكلى ولا ريب ان تخصيص ذلك من الشارع أقرب الى اتحاد الآراء ولطائف الكلمة وقيل الضمير فى قوله فيهن عائد الى اثنى عشر والمقصود منع الانسان من الاقدام على الافساد مدة عمره أو المراد المنع من الشئ على ما يجئ قال الفراء الاولى رجوع الضمير الى الاربعة لقربها ولما ذكرنا ان لهذه الاشهر مزيد شرف فناسب أن يخص بالمنع من الظلم ولان العرب تختار فيما بين الثلاثة الى العشرة ضمير الجماعة وفيما جاوز العشرة وهو جمع الكثرة تختار ضمير الوحدة قال حسان

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى
وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

ويقال لثلاث خلون من شهر كذا ولاحدى عشرة ليلة خلت ثم قال عز من قائل وقاتلوا المشركين وظاهر الآية يدل على اباحة القتال فى جميع الاشهر لان الامر الوارد عقيب الحرمة يدل على الاباحة ومعنى كافة جميعا لانهم اذا اجتمعوا تزاحموا فكف بعضهم بعضا ونصبه على

بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون) يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله من أصحاب رسوله صلى الله عليه وسلم جاهدوا أيها المؤمنون الكفار بأموالكم فانفقوها فى مجاهدتهم على دين الله الذى شرعه لكم حتى ينقادوا لكم فيدخلوا فيه طوعا أو كرها أو يعطوكم الجزية عن يد صغارا ان كانوا أهل كتاب أو تقتلوهم وأنفسكم يقول وبانفسكم تقاتلوهم بأيديكم يخزهم الله وينصركم عليهم ذلكم خير لكم يقول هذا الذى أمرتكم به من النفر فى سبيل الله تعالى خفافا وثقالا وجهاد أعدائه بأموالكم وأنفسكم خير لكم من التثاقل الى الارض اذا استنفرتم والخلود اليها والرضا بالقليل من متاع الحياة الدنيا عوضا من الآخرة ان كنتم من أهل العلم بحقيقة ما بين لكم من فضل الجهاد فى سبيل الله على القعود عنه ۞ القول فى تأويل قوله (لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم انهم لكاذبون) يقول جل ثناؤه للنبى صلى الله عليه وسلم وكانت جماعة من أصحابه قد استأذنوه فى التخلف عنه حين خرج الى تبوك فاذن لهم لو كان ما تدعو اليه المتخلفين عنك والمستأذنيك فى ترك الخروج معك الى مغزاك الذى استنفرتهم اليه عرضا قريبا يقول غنيمة حاضرة وسفرا قاصدا يقول وموضعا قريبا سهلا لاتبعوك ونفروا معك اليهما ولكنك استنفرتهم الى موضع بعيد وكلفتهم سفرا شاقا عليهم لانك استنهضتهم فى وقت الحر وزمان القيظ وحين الحاجة الى الكن وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يقول تعالى ذكره وسيحلف لك يا محمد هؤلاء المستأذنوك فى ترك الخروج معك اعتذارا منهم اليك بالباطل لتقبل منهم عذرهم وتأذن لهم فى التخلف عنك بالله كاذبين لو استطعنا لخرجنا معكم يقول لو أطقنا الخروج معكم بوجود السعة والمراكب والظهور وما لا بد للمسافر والغازى منه وصحة البدن والقوى لخرجنا معكم الى عدوكم يهلكون أنفسهم يقول يوجبون لانفسهم بحلفهم بالله كاذبين الهلاك والعطب لانهم يورثونها سخط الله ويكسبونها أليم عقابه والله يعلم انهم لكاذبون فى حلفهم بالله لو استطعنا لخرجنا معكم لانهم كانوا للخروج مطيقين بوجود السبيل الى ذلك بالذى كان عندهم من الاموال مما يحتاج اليه الغازى فى غزوه والمسافر فى سفره وصحة الابدان وقوى الاجسام * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لو كان عرضا قريبا الى قوله لكاذبون انهم يستطيعون الخروج ولكن كانت تبطئة من عند أنفسهم والشيطان وزهادة فى الخير حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة لو كان عرضا قريبا قال هى غزوة تبوك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق والله يعلم انهم لكاذبون أى انهم يستطيعون ۞ القول فى تأويل قوله (عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين) وهذا عتاب من الله تعالى ذكره عاتب به نبيه صلى الله عليه وسلم فى اذنه لمن أذن له فى التخلف عنه حين شخص الى تبوك لغزو الروم من المنافقين يقول جل ثناؤه عفا الله عنك يا محمد ما كان منك فى اذنك لهؤلاء المنافقين الذين استأذنوك فى ترك الخروج معك فى التخلف عنك من قبل أن تعلم صدقه من كذبه لم أذنت لهم لاى شئ أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين يقول ما كان ينبغى لك أن تأذن لهم فى التخلف عنك اذ قالوا لك لو استطعنا لخرجنا معك حتى تعرف من له العذر منهم فى تخلفه ومن لا عذر له منهم فيكون اذنك لمن أذنت له منهم على علم منك بعذره وتعلم من الكاذب منهم المتخلف نفاقا وشكا فى دين الله * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد

المصدر عند بعضهم لانه مثل العاقبة والعافية وقال الزجاج نصبه على الحال ولا يجوز أن يثنى ويجمع ويعرف باللام كقولك قاموا معا وقاموا جميعا وفى وجه التشبيه فى قوله كما يقاتلونكم كافة قولان فعن ابن عباس قاتلوهم (٨٧) بكليتهم ولا تحيوهم بترك القتال كما انهم يستحلون قتال جميعكم وقيل قاتلوهم باجمعكم غير متفرقين فى مقاتلة الاعداء ومقابلتهم فعلى الاول يكون كافة حالا من المفعول وعلى الثانى يكون حالا من الفاعل وفى قوله واعلموا أن الله مع المتقين حث لهم على النفور وعلى الجهاد بضمان النصر والمعونة ثم فسر الظلم المنهى عنه فى الآية المتقدمة وأكد النهى عنه بقوله انما النسىء وهو مصدر نسأ اذا أخر كالنذير والنكير وقال قطرب أصله الزيادة من قوله نسأت المرأة اذا حبلت لزيادة الولد فيها أو زيادته يقال لها ذلك لتأخر حيضها وقيل هو بمعنى منسو كقتيل بمعنى مقتول واعترض بان المؤخر هو الشهر فيؤل المعنى الى ان الشهر زيادة فى الكفر وهذا الحمل غير صحيح ويمكن أن يجاب بان المراد ان العمل الذى بسببه يصير الشهر الحرام مؤخرا زيادة فى الكفر احتج الجبائى ههنا بان الكفر يقبل الزيادة فكذا الايمان وأيضا أطلق الكفر على هذا العمل فتركه يكون ايمانا فلا يكون الايمان مجرد الاعتقاد والاقرار وأجيب بان الزيادة راجعة الى الكمال وانما سمى هذا العمل كفرا لانه يؤل الى اعتقاد تحليل ما هو حرام وبالعكس وفى قوله يضل به الذين كفروا بحث مشهور بين المعتزلة وغيرهم ان اسناد الاضلال الى الله تعالى بالمجاز أو بالحقيقة وقد مر مرارا قوله يحلونه عاما الضمير فيه عائد الى النسىء قال الواحدى أى يحلون التأخير عاما هو العام الذى يريدون أن يقاتلوا فى الشهر الحرام ويحرمون التأخير عاما آخر وهو الذى يتركون الشهر الحرام على تحريمه قال المفسرون انهم كانوا أصحاب حروب وغارات وكان يشق عليهم أن يمكثوا ثلاثة أشهر متوالية من غير قتل وغارة فاذا اتفق لهم فى شهر منها أو فى

عفا الله عنك لم أذنت لهم قال ناس قالوا استاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فان أذن لكم فاغزوا وان لم يأذن لكم فاقعدوا **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا الآية عاتبه كما تسمعون ثم أنزل الله التي في سورة النور فرخص له في ان يأذن لهم ان شاء فاذا استاذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم فجعله الله رخصة في ذلك من ذلك **حدثني** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سعيد بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عمرو بن ميمون الازدي قال اثنتان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يؤمر فيهما بشيء اذنه للمنافقين وأخذه من الاسارى فانزل الله عفا الله عنك لم أذنت لهم الآية **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عبيد بن سليمان قال قرأت على سعيد بن أبي عروبة قال هكذا سمعته من قتادة قوله عفا الله عنك لم أذنت لهم الآية ثم أنزل بعد ذلك في سورة النور فاذا استاذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم الآية **حدثنا** صالح بن عمار قال ثنا النضر بن شميل قال أخبرنا موسى بن مروان قال سألت مورقا عن قوله عفا الله عنك قال عاتبه ربه ۞ القول في تأويل قوله (لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين) وهذا اعلام من الله نبيه صلى الله عليه وسلم سيما المنافقين ان من علاماتهم التي يعرفون بها تخلفهم عن الجهاد في سبيل الله باستئذانهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في تركهم الخروج معه اذا استنفروا بالمعاذير الكاذبة يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يا محمد لا تأذن في التخلف عنك اذا خرجت لغزو عدوك لمن استأذنك في التخلف من غير عذر فانه لا يستأذنك في ذلك الا منافق لا يؤمن بالله واليوم الآخر فاما الذي يصدق بالله ويقر بوحدانيته وبالبعث والدار الآخرة والثواب والعقاب فانه لا يستأذنك في ترك الغزو وجهاد أعداء الله بماله ونفسه والله عليم بالمتقين يقول والله ذو علم بمن خافه فاتقاه باداء فرائضه واجتناب معاصيه والمسارعة الى طاعته في غزو عدوه وجهادهم بماله ونفسه وغير ذلك من أمره ونهيه * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله فهذا تعيير للمنافقين حين استأذنوا في القعود عن الجهاد من غير عذر وعذر الله المؤمنين فقال لم يذهبوا حتى يستأذنوه ۞ القول في تأويل قوله (انما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون) يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم انما يستأذنك يا محمد في التخلف خلافك وترك الجهاد معك من غير عذر بين الذين لا يصدقون بالله ولا يقرون بتوحيده وارتابت قلوبهم يقول وشكت قلوبهم في حقيقة وحدانية الله وفي ثواب أهل طاعته وعقابه أهل معاصيه فهم في ريبهم يترددون يقول في شكهم متحيرون وفي ظلمة الحيرة مترددون لا يعرفون حقا من باطل فيعملون على بصيرة وهذه صفة المنافقين فكان جماعة من أهل العلم يرون ان هاتين الآيتين منسوختان بالآية التي ذكرنا في سورة النور ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح عن الحسين عن يزيد عن عكرمة والحسن البصري قالا قوله لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله الى قوله فهم في ريبهم يترددون نسختها الآية التي في النور انما المؤمنون الذين آمنوا بالله الى ان الله غفور رحيم وقد بينا الناسخ والمنسوخ بما أغنى عن اعادته ههنا ۞ القول في تأويل قوله (ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين) يقول تعالى ذكره ولو أراد هؤلاء المستأذنوك يا محمد في ترك الخروج معك لجهاد عدوك الخروج معك لأعدوا له عدة يقول لأعدوا للخروج عدة ولتأهبوا للسفر والعدو أهبتهما

الحرم حرب وغارة أخروا تحريم ذلك الشهر الى شهر آخر قال الواحدي وأكثر العلماء على ان هذا التأخير كان من المحرم الى صفر وروي انه حدث في كنانة لانهم كانوا فقراء محاويج الى الغارة وكان جنادة بن عوف الكناني مطاعا في قومه وكان يقوم على جمل في الموسم فيقول باعلى صوته ان آلهتكم قد أحلت لكم المحرم فأحلوه ثم يقوم في القابل فيقول ان آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه والاكثرون على انهم كانوا يحرمون من جملة شهور العام أربعة أشهر وذلك قوله ليواطئوا عدة ما حرم الله أي ليوافقوا العدة التي هي الاربعة ولا يخالفوا ولم يعلموا انهم خالفوا ترك القتال ووجوب التخصيص وذلك قوله تعالى فيحلوا ما حرم الله أي من القتال وترك الاختصاص قال أهل اللغة يقال تواطأ القوم على كذا اذا اجتمعوا عليه لان كل واحد منهم يطأ حيث يطأ صاحبه والايطاء في الشعر من هذا وهو ان يأتي في القصيدة بقافيتين لفظهما ومعناهما واحد قال ابن عباس انهم ما أحلوا شهرا من الاشهر الحرم الا حرموا مكانه شهرا آخر من الحلال ولم يحرموا شهرا من الحلال الا أحلوا مكانه شهرا آخر من الحرام لاجل أن تكون عدة الحرم أربعة مطابقة لما ذكره الله تعالى فهذا هو المراد بالمواطأة وللآية تفسير آخر وهو ان يكون المراد بالنسيء كبس بعض السنين القمرية بشهر حتى يلتحق بالسنة الشمسية وذلك ان السنة القمرية أعني اثني عشر شهرا قمريا هي ثلثمائة وأربعة وخمسون يوما وخمس وسدس من يوم على ما عرف من علم النجوم وعمل الزيجات والسنة الشمسية وهي عبارة عن عود الشمس من أية نقطة تفرض من الفلك اليها بحركتها الخاصة ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم ولكن الا كبيسة فالسنة القمرية أقل من السنة الشمسية بعشرة أيام واحدى وعشرين ساعة وخمس ساعة تقريبا بسبب هذا النقصان

ولكن كره الله انبعاثهم يعني خروجهم لذلك فثبطهم يقول فثقل عليهم الخروج حتى استخفوا القعود في منازلهم خلافك واستثقلوا السفر والخروج معك فتركوا لذلك الخروج وقيل اقعدوا مع القاعدين يعني اقعدوا مع المرضى والضعفاء الذين لا يجدون ما ينفقون ومع النساء والصبيان واتركوا الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والمجاهدين في سبيل الله وكان تثبيط الله اياهم عن الخروج مع رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به لعلمه بنفاقهم وغشهم للاسلام وأهله وانهم لو خرجوا ضروهم ولم ينفعوا وذكر ان الذين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في القعود كانوا عبد الله بن أبي ابن سلول والجد بن قيس ومن كان على مثل الذي كانا عليه كذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال كان الذين استأذنوه فيما بلغني من ذوي الشرف منهم عبد الله بن أبي ابن سلول والجد بن قيس وكانوا أشرافا في قومهم فثبطهم الله لعلمه بهم أن يخرجوا معهم فيفسدوا عليه جنده ❁ القول في تأويل قوله (لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين) يقول تعالى ذكره لو خرج أيها المؤمنون فيكم هؤلاء المنافقون ما زادوكم الا خبالا يقول لم يزيدوكم بخروجهم فيكم الا فسادا وضرا ولذلك ثبطهم عن الخروج معكم وقد بينا معنى الخبال بشواهده فيما مضى قبل ولأوضعوا خلالكم يقول ولأسرعوا بركائبهم السير بينكم وأصله من ايضاع الخيل والركائب وهو الاسراع بها في السير يقال للناقة اذا أسرعت السير وضعت الناقة تضع وضعا ووضوعا وأوضعها صاحبها اذا جد بها وأسرع يوضعها ايضاعا ومنه قول الراجز

يا ليتني فيها جذع * أخب فيها وأضع

وأما أصل الخلال فهو من الخلل وهو الفرج تكون بين القوم في الصفوف وغيرها ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم تراصوا في الصفوف لا يتخللكم أولاد الحذف وأما قوله يبغونكم الفتنة فان معنى يبغونكم الفتنة يطلبون لكم ما تفتنون به عن مخرجكم في مغزاكم بتثبيطهم اياكم عنه يقال منه بغيته الشر وبغيته الخير أبغيه ابغاء اذا التمسته له بمعنى بغيت له وكذلك علمتك وحلبتك بمعنى حلبت لك وعلمت لك واذا أرادوا أعنتك على التماسه وطلبه قالوا أبغيتك كذا وأحلبتك وأعلمتك أي أعنتك عليه ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ولأوضعوا خلالكم بينكم يبغونكم الفتنة بذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولأوضعوا خلالكم يقول ولأوضعوا أسلحتهم خلالكم بالفتنة حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة يبطؤنكم الفتنة قال رفاعة ابن التابوت وعبد الله بن أبي ابن سلول وأوس بن قيظي حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله ولأوضعوا خلالكم قال لأسرعوا الأزقة خلالكم يبغونكم الفتنة يبطؤنكم عبد الله بن نبتل ورفاعة بن تابوت وعبد الله بن أبي ابن سلول قال حدثنا الحسن قال ثني أبو سفيان عن معمر عن قتادة ولأوضعوا خلالكم قال لأسرعوا خلالكم يبغونكم الفتنة بذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا قال هؤلاء المنافقون في غزوة تبوك يسلي الله عنهم نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين فقال وما يحزنكم لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا يقولون قد جمع لكم وفعل وفعل يخذلونكم ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة الكفر وأما قوله وفيكم سماعون لهم فان أهل التأويل اختلفوا في تأويله فقال بعضهم معنى ذلك وفيكم سماعون بحديثكم لهم يؤدونه اليهم عيون لهم عليكم ذكر من قال ذلك

تنتقل الشهور القمرية من فصل الى فصل فيكون الحج واقعا في الشتاء مرة وفي الصيف أخرى وكذا في الربيع والخريف فكان يشق الامر عليهم اذ ربما كان وقت الحج غير موافق لحضور التجار من الاطراف فكان يختل أسباب تجاراتهم ومعايشهم فلهذا السبب أقدموا على الكبيس بحيث يقع الحج دائما عند اعتدال الهواء وادراك الثمار والغلات وذلك بقرب حلول الشمس نقطة الاعتدال الخريفي فكبسوا تسع عشرة سنة قمرية بسبعة أشهر قمرية حتى صارت تسع عشرة سنة شمسية فزادوا في السنة الثانية شهرا ثم في الخامسة ثم في السابعة ثم في العاشرة ثم في الثالثة عشرة ثم في السادسة عشرة ثم في الثامنة عشرة وذلك ترتيب بهزيجوج عند المنجمين وقد تعلموا هذه الصنعة من اليهود والنصارى فانهم يفعلون هكذا لأجل أعيادهم فالشهر الزائد هو الكبس ويسمى بالنسيء لانه المؤخر والزائد مؤخر عن مكانه وهذا التفسير يطابق ما روي انه صلى الله عليه وسلم خطب في حجة الوداع وكان في جملة ما خطب به ألا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان والمعنى رجعت الاشهر الى ما كانت عليه وعاد الحج في ذي الحجة وبطل النسيء الذي كان في الجاهلية وقد وافقت حجة الوداع ذا الحجة في نفس الامر فكانت حجة أبي بكر قبلها في ذي القعدة التي سموها ذا الحجة وانما لزم العتب عليهم في هذا التفسير لانهم اذا حكموا على بعض السنين بانها ثلاثة عشر شهرا كان مخالفا لحكم الله بان عدة الشهور اثنا عشر شهرا أي لا أزيد ولا أنقص واليه الاشارة بقوله ذلك الدين القيم على هذا التفسير ويلزمهم أيضا ما لزمهم في التفسير الاول من تغيير الاشهر الحرم عن أماكنها فهو زيادة في الكفر ويحتمل أن تكون الاشارة الى المجموع ومعنى قوله يحلونه عاما أي يحلون النسيء من عام الكبس ويحرمونه

حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وفيكم سماعون لهم يحدثون بأحاديثكم عيون غير المنافقين حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وفيكم سماعون لهم يسمعون ما يؤدونه لعدوكم * وقال آخرون بل معنى ذلك وفيكم من يسمع كلامهم ويطيع لهم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وفيكم سماعون لهم وفيكم من يسمع كلامهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال كان الذين استأذنوا فيما بلغني من ذوي الشرف منهم عبد الله بن أبي ابن سلول والجد بن قيس وكانوا أشرافا في قومهم فثبطهم الله لعلمه بهم أن يخرجوا معهم فيفسدوا عليه جنده وكان في جنده قوم أهل محبة لهم وطاعة فيما يدعونهم اليه لشرفهم فيهم فقال وفيكم سماعون لهم فعلى هذا التأويل وفيكم أهل سمع وطاعة منكم لو صحبوكم أفسدوهم عليكم بتثبيطهم اياهم عن السير معكم وأما على التأويل الاول فان معناه وفيكم منهم سماعون يسمعون حديثكم لهم فيبلغونهم ويؤدونه اليهم عيون لهم عليكم * قال أبو جعفر وأولى التأويلين عندي في ذلك بالصواب تأويل من قال معناه وفيكم سماعون لحديثكم لهم يبلغونه عنكم عيون لهم لان الاغلب من كلام العرب في قولهم سماع وصف من وصف به انه سماع للكلام كما قال الله جل ثناؤه في غير موضع من كتابه سماعون للكذب واصفا بذلك قوما بسماع الكذب من الحديث وأما اذا وصفوا الرجل بسماع كلام الرجل وأمره ونهيه وقبوله منه وانتهائه اليه فانما تصفه له بأنه له سامع مطيع ولا تكاد تقول هو له سماع مطيع وأما قوله والله عليم بالظالمين فان معناه والله ذو علم بمن يوجه أفعاله الى غير وجوهها ويضعها في غير مواضعها ومن يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعذر ومن يستأذنه شكا في الاسلام ونفاقا ومن يسمع حديث المؤمنين ليخبر به المنافقين ومن يسمعه ليسر بما سر المؤمنون ويساء بما ساءهم لا يخفى عليه شئ من سرائر خلقه وعلانيتهم وقد بينا معنى الظلم في غير موضع من كتابنا هذا بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع ❁ القول في تأويل قوله (لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الامور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون) يقول تعالى ذكره لقد التمس هؤلاء المنافقون الفتنة لاصحابك يا محمد التمسوا صدهم عن دينهم وحرصوا على ردهم الى الكفر بالتخذيل عنه كفعل عبد الله بن أبي بك وبأصحابك يوم أحد حين انصرف عنك بمن تبعه من قومه وذلك كان ابتغاؤهم ما كانوا ابتغوا لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفتنة من قبل يعني بقوله من قبل من قبل هذا وقلبوا لك الامور يقول وأجالوا فيك وفي ابطال الدين الذي بعثك به الله الرأي بالتخذيل عنك وانكار ما تأتيهم به ورده عليك حتى جاء الحق يقول حتى جاء نصر الله وظهر أمر الله يقول وظهر دين الله الذي أمر به وافترضه على خلقه وهو الاسلام وهم كارهون يقول والمنافقون لظهور أمر الله ونصره اياك كارهون وكذلك الآن يظهرك الله ويظهر دينه على الذين كفروا من الروم وغيرهم من أهل الكفر به وهم كارهون * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا سلمة عن ابن اسحق وقلبوا لك الامور أي ليخذلوا عنك أصحابك ويردوا عليك أمرك حتى جاء الحق وظهر أمر الله وذكر ان هذه الآية نزلت في نفر مسمين بأعيانهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن عمرو عن الحسن قوله وقلبوا لك الامور قال منهم عبد الله بن أبي ابن سلول وعبد الله بن نبتل أخو بني عمرو بن عوف ورفاعة بن رافع وزيد بن التابوت القينقاعي وكان تخذيل عبد الله بن أبي أصحابه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الغزاة كالذي حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن الزهري ويزيد بن رومان وعبد الله بن أبي بكر وعاصم بن عمر بن قتادة وغيرهم كل قد حدث في غزوة تبوك

تماما أي في غير سنة الكبس ومعنى قوله ليواطؤا عدة ما حرم الله ماروي انه كان يقوم في الموسم منهم خطيب ويقول أنا الذي نسئ في هذه السنة شهرا وكذا أفعل في كل سنين أقبلت حتى يأتي حجكم وقت الادراك فتسمى المحرم ويجعله كبسا ثم انه متى انتهت النوبة الى الشهر الحرام فتكرر حرم عليهم واحدا برأيه على وفق مصلحتهم وأحل الآخر وباقي الآية قدمر تفسير مثله مرارا والله تعالى أعلم * التأويل قاتلوا النفوس الذين لا يؤمنون بالله بتعبده ولا باليوم الآخر أي لا يعملون للآخرة ولا يحرمون ما حرم الله من حب الدنيا فانها رأس كل خطيئة وحرم رسوله على نفسه ولا يدينون دين الحق أي لا يطلبون الحق من الذين أوتوا الكتاب من النفوس الملهمة بالواردات الربانية حتى يعطوا الجزية وهي معاملتها على خلاف طبعها عن يد عن حكم صاحب قوة وهو الشارع وقالت يهود النفس عزير القلب ابن الله وذلك اذا انعكس عن مرآة القلب آثار أنوار الواردات الى النفس المظلمة فتنورت كما ان اليهود لما سمعت التوراة والعلوم التي هم عنها بمعزل من عزير قالوا انه ابن الله وقالت نصارى القلوب ان مسيح الروح ابن الله وذلك ان الروح ربما يتجلى للقلب في صفة الربوبية والخلافة مقترنا بصفة ابداع الحق وبتشريف اضافة ونفخت فيه من روحي يضاهؤن قول الذين كفروا من قبل وهم النفوس الكافرة الذين اتخذوا أحبارهم أي قلوبهم ورهبانهم أي أرواحهم أربابا والمسيح بن مريم وهو الخفي وذلك ان الخفي هو أول مظهر للفيض الالهي الذي منه التربية ثم الروح ثم القلب ثم النفس ثم القالب فالنفس من قصر نظرها الى أن يرى الكل من الحق فان رؤية ذلك من شأن القلب كقوله ما كذب الفؤاد ما رأى يريدون أي النفوس أن يطفؤا نور الله الذي رش على الارواح في بدء الخلق بأفواه استيفاء الشهوات واللذات الجسمانيات هو الذي أرسل رسوله وهو النور المرشش بالهداية الى الله وطلب

تبوك ما بلغه عنها وبعض القوم يحدث ما لم يحدث بعض وكل قد اجتمع حديثه في هذا الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه بالتهيؤ لغزو الروم وذلك في زمان عسرة من الناس وشدة من الحر وجدب من البلاد وحين طاب الثمار وأحبت الظلال فالناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم ويكرهون الشخوص عنها على الحال من الزمان الذي هم عليه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلما يخرج في غزوة الا كنى عنها وأخبر انه يريد غير الذي يصدده الا ما كان من غزوة تبوك فانه بينها للناس لبعد الشقة وشدة الزمان وكثرة العدو الذي صمد له ليتاهب الناس لذلك أهبته وأمر الناس بالجهاد وأخبرهم انه يريد الروم فتجهز الناس على ما في أنفسهم من الكره لذلك الوجه لما فيه مع ما عظموا من ذكر الروم وغزوهم ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جد في سفره فأمر الناس بالجهاد وحض أهل الغنى على النفقة والحملان في سبيل الله فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عسكره على ثنية الوداع وضرب عبد الله بن أبي ابن سلول عسكره على ذي حدة أسفل منه نحو ذباب جبل بالجبانة أسفل من ثنية الوداع وكان فيما يزعمون ليس بأقل العسكرين فلما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم تخلف عنه عبد الله بن أبي فيمن تخلف من المنافقين وأهل الريب وكان عبد الله بن أبي أخي بني عوف بن الخزرج وعبد الله بن نبتل أخي بني عمرو بن عوف ورفاعة بن يزيد ابن التابوت أخي بني قينقاع وكانوا من عظماء المنافقين وكانوا ممن يكيد الاسلام وأهله قال وفيهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن عمرو بن عبيد عن الحسن البصري أنزل الله لقد ابتغوا الفتنة من قبل الآية ۞ القول في تأويل قوله (ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني ألا في الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين) وذكر ان هذه الآية نزلت في الجد بن قيس ويعني جل ثناؤه بقوله ومنهم ومن المنافقين من يقول ائذن لي أقم فلا أشخص معك ولا تفتني يقول ولا تبتلني برؤية نساء بني الاصفر وبناتهم فاني بالنساء مغرم فأخرج وآثم بذلك وبذلك من التأويل تظاهرت الاخبار عن أهل التأويل ذكر الرواية بذلك عمن قاله حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله ائذن لي ولا تفتني قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اغزوا تبوك تغنموا بنات الاصفر ونساء الروم فقال الجد ائذن لنا ولا تفتنا بالنساء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اغزوا تغنموا بنات الاصفر يعني نساء الروم ثم ذكر مثله قال حدثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قوله ائذن لي ولا تفتني قال هو الجد بن قيس قال قد علمت الانصار اني اذا رأيت النساء لم أصبر حتى أفتتن ولكن أعينك بمالي حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن الزهري ويزيد بن رومان وعبد الله بن أبي بكر وعاصم بن عمر بن قتادة وغيرهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو في جهازه للجد بن قيس أخي بني سلمة هل لك يا جد العام في جلاد بني الاصفر فقال يا رسول الله أو تأذن لي ولا تفتني فوالله لقد عرف قومي ما رجل أشد عجبا بالنساء مني واني أخشى ان رأيت نساء بني الاصفر أن لا أصبر عنهن فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قد أذنت لك ففي الجد بن قيس نزلت هذه الآية ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني الآية أي ان كان انما يخشى الفتنة من نساء بني الاصفر وليس ذلك به فما سقط فيه من الفتنة بتخلفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والرغبة بنفسه عن نفسه أعظم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني قال هو رجل من المنافقين يقال له جد بن قيس فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم العام نغزو بني الاصفر ونتخذ منهم سراري ووصفاء فقال أي

الحق ليظهره في طلب الحق على طلب غيره ان كثيرا من أحبار القلوب ورهبان الارواح ليأكلون اي يتمتعون بحظوظ النفس وهواها والذين يكنزون الذهب والفضة حرصا وطمعا في الاستمتاع بحظوظ النفس ولا ينفقونها في سبيل الله ليقطعوا مسافة البعد عن الله بقدمي ترك الدنيا وقمع الهوى يحمى عليها في نار جهنم الحرص فتكوى بها جباه القلوب والارواح لانهم امتنعوا بذلك عن التوجه الى الحق وجنوبهم حيث لا يتجافى جنوبهم عن مضاجع المكونات وظهورهم حيث لم يقضوا حق التواضع والخشوع فيقال لهم هذا الذي أصابكم من ألم الحرمان وعذاب القطيعة بسبب ما كنزتم فذوقوا الآن ألم كي نار الحرص لانكم لم تذوقوا في الدنيا حيث كنتم في منام الغفلة منها أربعة حرم فيه اشارة الى أن الطالب المضطر الى تحصيل قوت نفسه وعياله يجب أن يجعل أوقات عمره أثلاثا ثلثا لطلب المعاش وترتيب مصالح الدنيا وثلثا للطاعات التي ينتفع بها في الآخرة وثلثا من ذلك حرام أن يقع في خاطره غير المولى ومن استغنى عن الموانع فحرم عليه صرف لحظة في غير طلب الحق والى هذا المعنى أشار بقوله ذلك الدين القيم وفيه تنبيه على من لم يكن هكذا كان في سلوكه اعوجاج ثم ذكر ان من شأن النفوس المشركة انها ان أقبلت على طاعة أخرتها عن وقتها وهو النسيء الموجب لازدياد كفرها لانها قد خالفت الشرع من حيث تركها الطاعة باختيارها ومن حيث انها اعتقدت ان ذلك التأخير مما لا بأس به (يا أيها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله

هي العليا والله عزيز حكيم انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا باموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون لو كان عرضا قريبا
وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم (٩٢) الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم انهم
لكاذبون عفا الله عنك لم أذنت لهم
حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم
الكاذبين لا يستاذنك الذين
يؤمنون بالله واليوم الآخر أن
يجاهدوا باموالهم وأنفسهم والله
عليم بالمتقين انما يستاذنك الذين
لا يؤمنون بالله واليوم الآخر
وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم
يترددون ولو أرادوا الخروج لاعدوا
له عدة ولكن كره الله انبعاثهم
فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين
لو خرجوا فيكم مازادوكم الا خبالا
ولاوضعوا خلالكم يبغونكم
الفتنة وفيكم سماعون لهم والله
عليم بالظالمين لقد ابتغوا الفتنة من
قبل وقلبوا لك الامور حتى جاء الحق
وظهر أمر الله وهم كارهون ومنهم
من يقول ائذن لي ولا تفتني ألا في
ألفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة
بالكافرين) القراآت وكلمة الله
بالنصب يعقوب الباقون بالرفع
* الوقوف الى الارض ط من
الآخرة ط قليل ه شيا ط
قدير ه معنا ج لعطف أنزل على
نصره مع عوارض الظروف السفلى
ط الا ان قرأ وكلمة بالنصب العليا
ط حكيم ه في سبيل الله ط
تعلمون ه الشقة ط معكم ج
لاحتمال مابعده الاستئناف والحال
أنفسهم ج لواو الابتداء والحال
لكاذبون ه عنك ج لحق
الاستفهام مع اتصال الكلام معنى
الكاذبين ه وأنفسهم ط بالمتقين
ه يترددون ه القاعدين ه
الفتنة ج لاحتمال مابعده
الاستئناف والحال لهم ط بالظالمين
ه كارهون ه ولا تفتني ط سقطوا ط بالكافرين ه * التفسير لما شرح معايب هؤلاء الكفار عاد الى ذكر
الترغيب في قتالهم عن ابن عباس انها نزلت في غزوة تبوك سنة عشر وذلك انه صلى الله عليه وسلم لما رجع عن الطائف أقام بالمدينة أياما

رسول الله ائذن لي ولا تفتني ان لم تاذن لي افتتنت ووقعت فغضب فقال الله الا في الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين وكان من بني سلمة فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم من سيدكم يا بني سلمة فقالوا جد بن قيس غير انه بخيل جبان فقال النبي صلى الله عليه وسلم وأي الداء أدوى من البخل ولكن سيدكم الفتى الابيض الجعد الشعر البراء بن معرور حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني يقول ائذن ولا تحرجني الا في الفتنة سقطوا يعني في الحرج سقطوا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني ولا تؤثمني الا في الاثم سقطوا وقوله وان جهنم لمحيطة بالكافرين يقول وان النار لمطيفة بمن كفر بالله وجحد آياته وكذب رسله محدقة بهم جامعة لهم جميعا يوم القيامة يقول فكفى للجد بن قيس واشكاله من المنافقين بصليها حزبا ۞ القول في تاويل قوله (ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يا محمد ان يصبك سرور بفتح الله عليك أرض الروم في غزاتك هذه يسؤ الجد بن قيس ونظراءه وأشياعهم من المنافقين وان تصبك مصيبة بفلول جيشك فيها يقول الجد ونظراؤه قد أخذنا أمرنا من قبل أي قد أخذنا حذرنا بتخلفنا عن محمد وترك اتباعه الى عدوه من قبل يقول من قبل أن تصيبه هذه المصيبة ويتولوا وهم فرحون يقول ويرتدوا عن محمد وهم فرحون بما أصاب محمدا وأصحابه من المصيبة بفلول أصحابه وانهزامهم عنه وقتل من قتل منهم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس ان تصبك حسنة تسؤهم يقول ان تصبك في سفرك هذا الغزوة تبوك حسنة تسؤهم قال الجد وأصحابه حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قد أخذنا أمرنا من قبل حذرنا حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن رفاعة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قد أخذنا أمرنا من قبل قال حذرنا حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان تصبك حسنة تسؤهم ان كان فتح للمسلمين كبر ذلك عليهم وساءهم ۞ القول في تاويل قوله (قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون) يقول تعالى ذكره مؤدبا نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المنافقين الذين تخلفوا عنك لن يصيبنا أيها المرتابون في دينهم الا ما كتب الله لنا في اللوح المحفوظ وقضاه علينا هو مولانا يقول هو ناصرنا على أعدائه وعلى الله فليتوكل المؤمنون يقول وعلى الله فليتوكل المؤمنون فانهم ان يتوكلوا عليه ولم يرجوا النصر من عند غيره ولم يخافوا شيأ غيره يكفهم أمورهم وينصرهم على من بغاهم وكادهم ۞ القول في تاويل قوله (قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بايدينا فتربصوا انا معكم متربصون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المنافقين الذين وصفت لك صفتهم وبينت لك أمرهم هل تنتظرون بنا الا احدى الخلتين اللتين هما أحسن من غيرهما اما ظفرا بالعدو وفتحا لنا بغلبتناهم ففيها الاجر والغنيمة والسلامة واما قتلا من عدونا لنا ففيه الشهادة والفوز بالجنة والنجاة من النار وكلتاهما مما نحب ولا نكره ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده يقول ونحن ننتظر بكم أن يصيبكم الله بعقوبة من عنده عاجلة تهلككم أو بايدينا فنقتلكم فتربصوا انا معكم متربصون يقول فانتظروا انا معكم منتظرون ما الله فاعل بنا وما اليه صائر أمر كل فريق منا ومنكم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل

ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين يقول فتح أو شهادة وقال مرة أخرى يقول القتل فهي الشهادة والحياة والرزق واما يخزيكم بايدينا حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين يقول قتل فيه الحياة والرزق واما أن يغلب فيؤتيه الله أجرا عظيما وهو مثل قوله ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله الا احدى الحسنيين قال القتل في سبيل الله والظهور على أعدائه قال حدثنا محمد بن بكر عن ابن جريج قال بلغني عن مجاهد قال القتل في سبيل الله والظهور حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد احدى الحسنيين القتل في سبيل الله والظهور على أعداء الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه قال ابن جريج قال ابن عباس بعذاب من عنده بالموت أو بايدينا قال القتل حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين الا فتحا أو قتلا في سبيل الله ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بايدينا أي قتل ۞ القول في تأويل قوله (قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم انكم كنتم قوما فاسقين) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المنافقين أنفقوا كيف شئتم أموالكم في سفركم هذا وغيره وعلى أي حال شئتم من حال الطوع والكره فانكم ان تنفقوها لن يتقبل الله منكم نفقاتكم وأنتم في شك من دينكم وجهل منكم بنبوة نبيكم وسوء معرفة منكم بثواب الله وعقابه انكم كنتم قوما فاسقين يقول خارجين عن الايمان بربكم وخرج قوله أنفقوا طوعا أو كرها مخرج الامر ومعناه الخبر والعرب تفعل ذلك في الاماكن التي يحسن فيها ان التي تأتي بمعنى الجزاء كما قال جل ثناؤه استغفر لهم أو لا تستغفر لهم فهو في لفظ الامر ومعناه الجزاء ومنه قول الشاعر

أسيئي بنا أو أحسني * لا ملومة ولا مقلية ان تقلت

فكذلك قوله أنفقوا طوعا أو كرها انما معناه ان تنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم وقيل ان هذه الآية نزلت في الجد بن قيس حين قال للنبي صلى الله عليه وسلم لما عرض عليه النبي صلى الله عليه وسلم الخروج معه لغزو الروم هذا مالي أعينك به حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قال الجد بن قيس اني اذا رأيت النساء لم أصبر حتى افتتن ولكن أعينك بمالي قال ففيه نزلت أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم قال لقوله أعينك بمالي ۞ القول في تأويل قوله (وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون) يقول تعالى ذكره وما منع هؤلاء المنافقين يا محمد ان تقبل منهم نفقاتهم التي ينفقونها في سفرهم معك وفي غير ذلك من السبل الا أنهم كفروا بالله وبرسوله فان الاولى في موضع نصب والثانية في موضع رفع لان معنى الكلام ما منع قبول نفقاتهم الا كفرهم بالله ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى يقول لا يأتونها الا متثاقلين بها لانهم لا يرجون بادائها ثوابا ولا يخافون بتركها عقابا وانما يقيمونها مخافة على أنفسهم بتركها من المؤمنين فاذا أمنوهم لم يقيموها ولا ينفقون يقول ولا ينفقون من أموالهم شيئا الا وهم كارهون أن ينفقوه في الوجه الذي ينفقونه فيه مما فيه تقوية للاسلام وأهله ۞ القول في تأويل قوله (فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون)

فأمر بجهاد الروم فاستثقله الناس لكون الزمان زمان الضيق والقحط ولبعد المسافة ولمزيد احتياج الى الاستعداد ولشدة الحر وللخوف من عسكر الروم ولوجود أسباب الرفاهية بالمدينة لكون الوقت وقت ادراك الثمار وحصول الغلات روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما خرج في غزوة الا ورى عنها بغيرها الا في غزوة تبوك ليستعد الناس تمام العدة وأصل النفر الخروج الى مكان لامر هاج عليه واسم ذلك القوم الذين يخرجون النفير وأصل اثاقلتم تثاقلتم كما قلنا في فادارأتم ومعناه تباطأتم وانما عدي بالى لتضمين معنى الميل والاخلاد كقوله أخلد الى الارض أي مال الى الدنيا وشهواتها وقيل المراد ملتم الى الاقامة بارضكم والبقاء فيها ومعنى الاستفهام في ما لكم الانكار وقرئ أثاقلتم على الاستفهام للانكار أيضا فيكون جواب اذا فعلا آخر مدلولا عليه باثاقلتم كنحو ملتم وذلك ان جواب اذا عامل في اذا والاستفهام لا يعمل فيما قبله ويجوز على هذه ان يكون اذا لمجرد الظرفية والعامل فيه ما في ما لكم من معنى الفعل كأنه قيل ما تصنعون اذا قيل لكم ومن في من الآخرة للبدل كقوله لجعلنا منكم ملائكة في الارض يخلفون كأنه قيل قد ذكرنا الموجبات الكثيرة الداعية الى القتال وبينا أنواع فضائحهم التي تحمل العاقل على مقاتلتهم ولو لم يكن فيه الا طاعة المعبود المستلزمة لثواب الآخرة لكفى به باعثا فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة أي في جنبها وفي مقابلتها الا قليل ويجوز ان يراد بالقلة العدم اذ لا نسبة للمتناهي الزائل الى غير المتناهي الباقي والظاهر ان هذا التثاقل لم يصدر من جميع المخاطبين لاستحالة اتفاق هذه الامة على المعصية والضلالة الا انه طالما أعطي للاكثر حكم الكل وأطلق لفظ الكل على الاغلب ثم لما رغبهم في الجهاد بعوض الثواب عليهم رغبهم فيه بعوض العقاب فقال الا تنفروا وورتب عليه ثلاث خصال الاولى قوله يعذبكم عذابا أليما قيل هو عذاب الدنيا عن ابن عباس استنفرهم رسول الله صلى الله عليه

اختلف أهل التأويل في تاويل ذلك فقال بعضهم معناه فلا تعجبك يا محمد أموال هؤلاء المنافقين ولا أولادهم في الحياة الدنيا انما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة وقال بعضهم معنى ذلك التقديم وهو مؤخر ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم قال هذه من تقاديم الله ليعذبهم بها في الآخرة حدثنا المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن علي عن ابن عباس قوله انما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة وقال آخرون بل معنى ذلك انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا بما ألزمهم فيها من فرائضه ذكر من قال ذلك حدثت عن المسيب بن شريك عن سلمان الاقصري عن الحسن انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا قال بأخذ الزكاة والنفقة في سبيل الله تعالى حدثني موسى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا بالمصائب فيها هي لهم عذاب وهي للمؤمنين أجر * قال أبو جعفر وأولى التأويلين بالصواب في ذلك عندنا التأويل الذي ذكرنا عن الحسن لان ذلك هو الظاهر من التنزيل فصرف تاويله الى مادل عليه ظاهره أولى من صرفه الى باطن لادلالة على صحته وانما وجه من وجه ذلك الى التقديم وهو مؤخر لانه لم يعرف لتعذيب الله المنافقين بأموالهم وأولادهم في الحياة الدنيا وجها يوجهه اليه وقال كيف يعذبهم بذلك في الدنيا وهو لهم فيها سرور وذهب عن توجيهه الى انه من عظيم العذاب عليه الزامه ما أوجب الله عليه فيها من حقوقه وفرائضه اذ كان يلزمه ويؤخذ منه وهو غير طيب النفس ولا راج من الله جزاء ولا من الآخذ منه حمدا ولا شكرا على صغر منه وكره وأما قوله وتزهق أنفسهم وهم كافرون فانه يعني وتخرج أنفسهم فيموتوا على كفرهم بالله وجحودهم نبوة نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم يقال منه زهقت نفس فلان وزهقت فمن قال زهقت قال تزهق ومن قال زهقت قال تزهق زهوقا ومنه قيل زهق فلان بين أيدي القوم يزهق زهوقا اذا سبقهم فتقدمهم وقال زهق الباطل اذا ذهب ودرس

❁ القول في تاويل قوله (ويحلفون بالله انهم لمنكم وماهم منكم ولكنهم قوم يفرقون) يقول تعالى ذكره ويحلف بالله لكم أيها المؤمنون هؤلاء المنافقون كذبا وباطلا خوفا منكم انهم لمنكم في الدين والملة يقول الله تعالى مكذبا لهم وماهم منكم أي ليسوا من أهل دينكم وملتكم بل هم أهل شك ونفاق ولكنهم قوم يفرقون يقول ولكنهم قوم يخافونكم فهم خوفا منكم يقولون بألسنتهم انا منكم ليأمنوا فيكم فلا يقتلوا ❁ القول في تاويل قوله (لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا لولوا اليه وهم يجمحون) يقول تعالى ذكره لو يجد هؤلاء المنافقون ملجأ يقول عصرا يعتصرون به من حصن ومعقلا يعتقلون فيه منكم أو مغارات وهي الغيران في الجبال واحدتها مغارة وهي مفعلة من غار الرجل في الشيء يغور فيه اذا دخل ومنه قيل غارت العين اذا دخلت في الحدقة أو مدخلا يقول سربا في الارض يدخلون فيه وقال أو مدخلا الآية لانه من ادخل يدخل وقوله لولوا اليه يقول لادبروا اليه هربا منكم وهم يجمحون يقول وهم يسرعون في مشيهم وقيل ان الجماح مشي بين المشيين ومنه قول مهلهل

لقد جمحت جماحا في دمائهم * حتى رأيت ذوي أحسابهم خمدوا

وانما وصفهم الله بما وصفهم به من هذه الصفة لانهم انما أقاموا بين أظهر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على كفرهم ونفاقهم وعداوتهم لهم ولما هم عليه من الايمان بالله ورسوله لانهم كانوا في قومهم وعشيرتهم وفي دورهم وأموالهم فلم يقدروا على ترك ذلك وفراقه فصانعوا القوم بالنفاق ودافعوا عن أنفسهم وأموالهم وأولادهم بالكفر ودعوى الايمان وفي أنفسهم ما فيها من البغض

وسلم فشا قلوا فامسك الله عنهم المطر وقال الحسن الله أعلم بالعذاب الذي كان ينزل عليهم وقيل هو عذاب الآخرة فان الاليم لا يليق الا به وقيل انه تهديد بالعذاب المطلق الشامل للدارين (٩٤) الثانية قوله ويستبدل قوما غيركم يعني قوما آخرين خيرا منهم وأطوع قيل هم أهل اليمن عن أبي روق وقيل ابناء فارس عن سعيد بن جبير وقيل يحتمل ان يراد بهم الملائكة وقال الاصم معناه انه يخرجكم من بين أظهركم وهو المدينة والاصح ابقاء الآية على الاطلاق الثالثة قوله ولا تضروه شيأ قال الحسن الضمير لله وفيه انه غني عنهم في نصرة دينه بل في كل شيء * وقال آخرون الضمير للرسول لان الله وعده أن يعصمه ووعد الله كائن لا محالة وفي قوله والله على كل شيء قدير تنبيه على انه قادر على نصرة رسوله بأي وجه أراد وقادر على ايقاع العذاب بكل من يخالف أمره كائنا من كان عن الحسن وعكرمة ان الآية منسوخة بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة والصحيح انها خطاب لمن استنفره رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينفروا فلا نسخ قال الجبائي في الآية دلالة على ابطال مذهب المرجئة من ان أهل القبلة لا وعيد لهم وقال القاضي فيها دلالة على وجوب الجهاد سواء كان مع الرسول أولا لقوله تعالى ما لكم اذا قيل لكم ولم ينص على ان القائل هو الرسول ومن قال ان الضمير في قوله لا تضروه عائد الى الرسول فجوابه ان خصوص آخر الآية لا يمنع من عموم أولها ثم رغبهم في الجهاد بطريق آخر فقال الا تنصروه فقد نصره الله وهذا كالتفسير لما تقدم والمعنى ان لم تشتغلوا بنصره فان الله سينصره بدليل ان الله نصره وقواه حال ما لم يكن معه الا رجل واحد ولا أقل من الواحد وفيه انه لما أوجب النصرة وقت ذا فلن يخذله بعد ذلك وقوله اذ أخرجه الذين كفروا أي ألجؤه الى ان خرج ظرف لنصره وثاني اثنين لرسول نصب على الحال ومعناه أحد اثنين لانه انما حضر اثنان فكل واحد منهما ثان للآخر وواحد منهما وقوله اذ هما في الغار بدل من اذ أخرجه

لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل الايمان به والعداوة فقال الله واصفهم بما فى ضمائرهم لو يجدون ملجأ أو مغارات الآية وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله لو يجدون ملجأ الملجأ الحرز الجبال والمغارات الغيران فى الجبال وقوله أو مدخلا والمدخل السرب حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا لولوا اليه وهم يجمحون ملجأ يقول حرزا أو مغارات يعنى الغيران أو مدخلا يقول ذهابا فى الارض وهو النفق فى الارض وهو السرب حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا قال حرزا لهم يفرون اليه منكم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا قال محرزا لهم لفروا اليه منكم وقال ابن عباس قوله لو يجدون ملجأ حرزا أو مغارات قال الغيران أو مدخلا قال نفقا فى الارض حدثنا بشر قال ثنا يزيد عن سعيد عن قتادة لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا يقول لو يجدون ملجأ حصونا أو مغارات غيرانا أو مدخلا اسرابا لولوا اليه وهم يجمحون ۞ القول فى تأويل قوله (ومنهم من يلمزك فى الصدقات فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون) يقول تعالى ذكره ومن المنافقين الذين وصفت لك يا محمد صفتهم فى هذه الآيات من يلمزك فى الصدقات يقول يعيبك فى أمرها ويطعن عليك فيها يقال منه لمز فلان فلانا يلمزه ويلمزه اذا عابه وقرصه وكذلك همزه ومنه قيل فلان همزة لمزة ومنه قول رؤبة

فاريت بعد عنق وجرى * فى ظل عصرى باطلى ولمزى

ومنه قول الآخر

اذا لقيتك تبدى لى مكاشرة * وان أغيب فأنت العائب اللمزه

فان أعطوا منها رضوا يقول ليس بهم فى عيبهم اياك فيها وطعنهم عليك بسببها الدين ولكن الغضب لانفسهم فان أنت أعطيتهم منها ما يرضيهم رضوا عنك وان أنت لم تعطهم منها سخطوا عليك وعابوك وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ومنهم من يلمزك فى الصدقات قال يروزك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله ومنهم من يلمزك فى الصدقات يروزك ويسألك قال ابن جريج وأخبرنى داود بن أبى عاصم قال قال أتى النبى صلى الله عليه وسلم بصدقة فقسمها ههنا وههنا حتى ذهبت قال ورآه رجل من الانصار فقال ما هذا بالعدل فنزلت هذه الآية حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومنهم من يلمزك فى الصدقات يقول ومنهم من يطعن عليك فى الصدقات وذكر لنا أن رجلا من أهل البادية حديث عهد بأعرابية أتى نبى الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم ذهبا وفضة فقال يا محمد والله لئن كان الله أمرك أن تعدل ما عدلت فقال نبى الله صلى الله عليه وسلم ويلك فمن ذا يعدل عليك بعدى ثم قال نبى الله صلى الله عليه وسلم احذروا هذا وأشباهه فان فى أمتى أشباه هذا يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم فاذا خرجوا فاقتلوهم ثم اذا خرجوا فاقتلوهم ثم اذا خرجوا فاقتلوهم وذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يقول والذى نفسى بيده ما أعطيكم شيأ ولا أمنعكموه انما أنا خازن حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ومنهم من يلمزك فى الصدقات قال يطعن قال حدثنا محمد بن ثور عن

اذ يقول بدل ثان والغار نقب عظيم فى الجبل والمراد به ههنا نقب فى أعلى ثور وهو جبل فى يمنى مكة على مسيرة ساعة واعلم انا قد ذكرنا فى ان قريشا ومن بمكة تعاقدوا على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل واذ يمكر بك الذين كفروا فامره الله تعالى ان يخرج هو وأبو بكر الصديق الى الغار وأمر عليا ان يضطجع على فراشه فلما وصلا الى الغار دخل أبو بكر يلتمس ما فى الغار فقال له الرسول ما لك فقال بابى أنت وأمى الغيران مأوى السباع والهوام فان كان فيه شئ كان لابى بكر فخرق عمامته وسد الجحر وبقى جحر واحد فوضع عقبه عليه كيلا يخرج منه ما يؤذى الرسول صلى الله عليه وسلم فلما طلب المشركون الاثر وقربوا بكى أبو بكر خوفا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام لا تحزن ان الله معنا وقيل طلع المشركون فوق الغار فاشفق أبو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان تصب اليوم ذهب دين الله فقال صلى الله عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقيل لما دخلا الغار بعث الله حمامتين فباضتا فى أسفله والعنكبوت فنسجت عليه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اعم أبصارهم فجعلوا يترددون حول الغار ولا يفطنون له قد أخذ الله أبصارهم عنه استدل أهل السنة بالآية على أفضلية أبى بكر وغاية اتحاده ونهاية صحبته وموافقة باطنه ظاهره والا لم يعتمد الرسول عليه فى مثل تلك الحالة وانه كان ثانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغار وفى العلم لقوله ما صب فى صدرى شئ الا وصببته فى صدر أبى بكر وفى الدعوة الى الله لانه صلى الله عليه وسلم عرض الايمان أولا على أبى بكر فآمن ثم عرض أبو بكر الايمان على طلحة والزبير وعثمان بن عفان وجماعة أخرى من أجلة الصحابة وكان لا يفارق الرسول صلى الله عليه وسلم فى الغزوات وفى أداء الجماعات وفى المجالس والمحافل وقد أقامه فى مرضه مقامه فى الامامة ولما توفى دفن بجنب رسول الله صلى الله عليه

معمر عن الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي سعيد قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم قسما اذ جاءه ابن ذي الخويصرة التميمي فقال اعدل يا رسول الله فقال ويلك ومن يعدل ان لم أعدل فقال عمر بن الخطاب يا رسول الله ائذن لي فاضرب عنقه قال دعه فان له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاته وصيامه مع صيامه يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فينظر في قذذه فلا ينظر شيأ ثم ينظر في نصله فلا يجد شيأ ثم ينظر في رصافه فلا يجد شيأ قد سبق الفرث والدم آيتهم رجل أسود احدى يديه أو قال يديه مثل ثدي المرأة أو مثل البضعة تدردر يخرجون على حين فترة من الناس قال فنزلت ومنهم من يلمزك في الصدقات قال أبو سعيد أشهد اني سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشهد ان عليا رحمة الله عليه حين قتلهم جيء بالرجل على النعت الذي نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ومنهم من يلمزك في الصدقات فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون قال هؤلاء المنافقون قالوا والله ما يعطيها محمد الا من أحب ولا يؤثر بها الا هواه فأخبر الله نبيه وأخبرهم انه انما جاءت من الله وان هذا أمر من الله ليس من محمد انما الصدقات للفقراء الآية ﴿ القول في تأويل قوله (ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون) يقول تعالى ذكره ولو أن هؤلاء الذين يلمزونك يا محمد في الصدقات رضوا ما أعطاهم الله ورسوله من عطاء وقسم لهم من قسم وقالوا حسبنا الله يقول وقالوا كافينا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله يقول سيعطينا الله من فضل خزائنه ورسوله من الصدقة وغيرها انا الى الله راغبون يقول وقالوا انا الى الله نرغب في أن يوسع علينا من فضله فيغنينا عن الصدقة وغيرها من صلات الناس والحاجة اليهم ﴿ القول في تأويل قوله (انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم) يقول تعالى ذكره لا تنال الصدقات الا للفقراء والمساكين ومن سماهم الله تعالى جل ثناؤه ثم اختلف أهل التأويل في صفة الفقير والمسكين فقال بعضهم الفقير المحتاج المتعفف عن المسألة والمسكين المحتاج السائل ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا جرير عن أشعث عن الحسن انما الصدقات للفقراء والمساكين قال الفقير الجالس في بيته والمسكين الذي يسعى **حدثني** المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنا معاوية عن علي عن ابن عباس قوله انما الصدقات للفقراء والمساكين قال المساكين الطوافون والفقراء فقراء المسلمين **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبو اسامة عن جرير بن حازم قال ثني رجل عن جابر بن زيد انه سئل عن الفقراء قال الفقراء المتعففون والمساكين الذين يسألون **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا معقل عن عبيد الله الجزري قال سألت الزهري عن قوله انما الصدقات للفقراء قال الذين في بيوتهم لا يسألون والمساكين الذين يخرجون فيسألون **حدثنا** الحرث قال ثنا القاسم قال ثنا يحيى بن سعيد عن عبد الوارث بن سعيد عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال الفقير الذي لا يسأل والمسكين الذي يسأل قال **حدثنا** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قوله انما الصدقات للفقراء والمساكين قال الفقراء الذين لا يسألون الناس وهم أهل حاجة والمساكين الذين يسألون الناس **حدثنا** الحرث قال ثني عبد العزيز قال ثنا عبد الوارث عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال الفقراء الذين لا يسألون والمساكين الذين يسألون وقال آخرون الفقير هو ذو الزمانة من أهل الحاجة والمسكين هو الصحيح الجسم ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة انما الصدقات للفقراء والمساكين قال الفقير

وسلم وكان ثاني اثنين من أول أمره الى آخره ولو قدرنا انه توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك السفر لزم ان لا يقوم بأمره ولا يكون وصية الا أبو بكر وان لا يبلغ ما حدث في ذلك الطريق من الوحي والتنزيل الا أبو بكر وقوله لا تحزن نهي عن الحزن مطلقا والنهي يقتضي الدوام والتكرار فهو لا يحزن قبل الموت وعنده وبعده ولا شك ان من كان الله معه فانه يكون من المتقين المحسنين لقوله ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون قال الحسين بن الفضل من أنكر صحبة غير أبي بكر من الصحابة فانه يكون كذابا مبتدعا ومن أنكر صحبة أبي بكر فانه يكون كافرا لانه خالف قول الله تعالى اذ يقول لصاحبه أجابت الشيعة بان كونه ثاني اثنين ليس أعظم من كون الله رابعا لكل ثلاثة في قوله ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم وهذا عام في حق كل كافر ومؤمن وكون المصاحبة موجبة للتشريف معارض بقوله تعالى للكافر قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك وكما احتمل ان يقال انه عليه السلام استخلصه لنفسه في هذا السفر لاجل الثقة احتمل أن يكون ذلك لاجل انه خاف ان يدل الكفار عليه أو يوقفهم على أسراره لو تركه ثم ان حزنه لو كان حقا لم ينه عنه فهو ذنب وخطأ سلمنا دلالة الآية على فضل أبي بكر الا أن اضطجاع علي رضي الله عنه على فراشه أعظم من ذلك لما فيه من خطر النفس أجاب أهل السنة بان كون الله رابعا لكل ثلاثة أمر مشترك وكونه ثاني اثنين تشريف زائد اختص الله أبا بكر به على ان المعية هنالك بالعلم والتدبير وههنا بالصحبة والمرافقة فان احداهما من الاخرى والصحبة في قوله قال له صاحبه مقرونة بما تقتضي الاهانة والاذلال وهو قوله أكفرت وفي الآية مقرونة بما يوجب التعظيم والاجلال وهو قوله لا تحزن
من
ان الله معنا قالوا ان العجب ان الشيعة اذا حلفوا قالوا وحق خمسة سادسهم جبريل وانما أنكروا أن يقال وحق اثنين الله ثالثهما والاحتمال الذي

من به زمانة والمسكين الصحيح المحتاج حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انما الصدقات للفقراء والمساكين أما الفقير فالزمن الذي به زمانة وأما المسكين فهو الذي ليست به زمانة وقال آخرون الفقراء فقراء المهاجرين والمساكين من لم يهاجروا من المسلمين وهو محتاج ذكر من قال ذلك حدثنا الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا جرير بن حازم عن علي بن الحكم عن الضحاك بن مزاحم انما الصدقات للفقراء قال فقراء المهاجرين والمساكين الذين لم يهاجروا قال حدثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم انما الصدقات للفقراء المهاجرين قال سفيان يعني ولا يعطى الاعراب منها شيأ حدثنا ابن وكيع قال ثني أبي عن سفيان عن منصور عن ابراهيم قال كان يقال انما الصدقة لفقراء المهاجرين قال حدثنا جرير عن منصور عن ابراهيم قال كانت تجعل الصدقة في فقراء المهاجرين في سبيل الله تعالى حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد بن جبير وسعيد بن عبد الرحمن بن ابزى قال كان ناس من المهاجرين لاحدهم الدار والزوجة والعبد والناقة يحج عليها او يغزو فنسبهم الله الى انهم فقراء وجعل لهم سهما في الزكاة حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم قال كان يقال انما الصدقات في فقراء المهاجرين وفي سبيل الله وقال آخرون المسكين الضعيف البئيس ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال أخبرنا ابن عون عن محمد قال قال عمر الفقير ليس بالذي لا مال له ولكن الفقير الاخلق الكسب قال يعقوب قال ابن علية الاخلق المحارف عندنا حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن أيوب عن ابن سيرين ان عمر بن الخطاب رحمة الله تعالى عليه قال ليس المسكين بالذي لا مال له ولكن المسكين الاخلق الكسب وقال بعضهم الفقير من المسلمين والمسكين من أهل الكتاب ذكر من قال ذلك حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا عمر بن نافع قال سمعت عكرمة في قوله انما الصدقات للفقراء والمساكين قال لا تقولوا لفقراء المسلمين مساكين انما المساكين مساكين أهل الكتاب * قال أبو جعفر وأولى هذه الاقوال عندي بالصواب قول من قال الفقير هو ذو الفقر والحاجة ومع حاجته يتعفف عن مسئلة الناس والتذلل لهم في هذا الموضع والمسكين هو المحتاج المتذلل للناس بمسئلتهم وانما قلنا ان ذلك كذلك وان كان الفريقان لم يعطيا الا بالفقر والحاجة دون الذلة والمسكنة لاجماع الجميع من أهل العلم ان المسكين انما يعطى من الصدقة المفروضة بالفقر وان معنى المسكنة عند العرب الذلة كما قال الله تعالى جل ثناؤه وضربت عليهم الذلة والمسكنة يعني بذلك الهون والذلة لا الفقر فاذا كان الله جل ثناؤه قد صنف من قسم له من الصدقة المفروضة قسما بالفقر فجعلهم صنفين كان معلوما ان كل صنف منهم غير الآخر واذ كان ذلك كذلك كان لا شك ان المقسوم له باسم الفقير غير المقسوم له باسم الفقر والمسكنة والفقير المعطى ذلك باسم الفقير المطلق هو الذي لا مسكنة فيه والمعطى باسم المسكنة والفقر هو الجامع الى فقره المسكنة وهي الذل بالطلب والمسئلة فتأويل الكلام اذ كان ذلك معناه انما الصدقات للفقراء المتعفف منهم الذي لا يسأل والمتذلل منهم الذي يسأل وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو الذي قلنا في ذلك خبر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا اسمعيل بن جعفر عن شريك ابن أبي نمر عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس المسكين بالذي ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان انما المسكين المتعفف اقرؤا ان شئتم لا يسئلون الناس الحافا ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم انما المسكين المتعفف على نحو ما قد جرى به استعمال الناس من

ذكروه مدفوع بما روي ان أبا بكر هو الذي اشترى الراحلة للرسول وان عبد الرحمن بن أبي بكر وأسماء بنت أبي بكر هما اللذان كانا يأتيانهما بالطعام مدة مكثهما في الغار وذلك ثلاثة أيام وقيل بضعة عشر يوما وروي أن جبريل عليه السلام أتاه وهو جائع فقال هذه أسماء قد أتتك بحيسة ففرح بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبر به أبا بكر ولو كان أبو بكر قاصدا له لصاح بالكفار عند وصولهم الى باب الغار ولقال ابنه وابنته نحن نعرف مكان محمد وكون حزنه معصية معارض بقوله تعالى لموسى لا تخف انك أنت الاعلى وقول الملائكة لابراهيم لا تخف وبشروه ثم انا لا ننكر ان اضطجاع علي رضي الله عنه على فراش الرسول طاعة وفضيلة الا أن صحبة أبي بكر أعظم لان الحاضر أعلى حالا من الغائب ولان عليا رضي الله عنه ما تحمل المحنة الا ليلة وأبو بكر مكث في الغار أياما وانما اختار عليا للنوم على فراشه لانه كان صغيرا لم يظهر عنه بعد دعوة بالدليل والحجة ولا جهاد بالسيف والسنان بخلاف أبي بكر فانه قد دعا حينئذ جماعة الى الدين وكان يذب عن الرسول بالنفس والمال فكان غضب الكفار على أبي بكر أشد من غضبهم على علي رضي الله عنه ولهذا لم يقصدوا عليا بضرب ولا ألم لما عرفوا ان المضطجع هو ثم زعم أهل السنة ان الضمير في قوله فانزل الله سكينته عليه عائد الى أبي بكر لا الى الرسول لانه أقرب المذكورين فان التقدير اذ يقول محمد لصاحبه أبي بكر ولان الحوف كان حاصلا لابي بكر والرسول كان آمنا ساكن القلب بما وعده الله من النصر ولو كان خائفا لم يمكنه ازالة الخوف عن غيره بقوله لا تحزن ولتناسب أن يقال فانزل الله سكينته عليه فقال لصاحبه لا تحزن واعترض بان قوله وأيده عطف على فانزل فوجب أن يتحد الضميران في حكم العود وأجيب بان قوله وأيده معطوف على قوله فقد نصره والا عدو الاتصار فقد نصره في واقعة الغار وأيده في واقعة بدر والاحزاب

تسميتهم أهل الفقر مساكين لا على تفصيل المسكين من الفقير ومما ينبئ عن ان ذلك كذلك انتزاعه صلى الله عليه وسلم لقول الله اقرؤا ان شئتم لا يسألون الناس الحافا وذلك في صفة من ابتدأ الله ذكره ووصفه بالفقر فقال للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافا وقوله والعاملين عليها وهم السعاة في قبضها من أهلها ووضعها في مستحقها يعطون ذلك بالسعاية أغنياء كانوا أو فقراء وبمثل الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا أبو معقل عن عبيد الله قال سألت الزهري عن العاملين عليها فقال السعاة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والعاملين عليها قال جباتها الذين يجمعونها ويسعون فيها حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد والعاملين عليها الذي يعمل عليها ثم اختلف أهل التأويل في قدر ما يعطى العامل في ذلك فقال بعضهم يعطى منه الثمن ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا حميد بن عبد الرحمن عن حسن بن صالح عن جويبر عن الضحاك قال للعاملين عليها الثمن من الصدقة حدثت عن مسلم بن خالد عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله والعاملين عليها قال يأكل العمال من السهم الثامن وقال آخرون يعطى على قدر عمالته حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عبد الوهاب بن عطاء عن الاخضر بن عجلان قال ثنا عطاء بن زهير العامري عن أبيه انه لقي عبد الله بن عمرو بن العاص فسأله عن الصدقة أي مال هي فقال مال العرجان والعوران والعميان وكل منقطع به فقال له ان للعاملين حقا والمجاهدين قال ان المجاهدين قوم أحل لهم وللعاملين عليها على قدر عمالتهم ثم قال لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد يكون للعامل عليها ان عمل بالحق ولم يكن عمر رحمه الله تعالى ولا أولئك يعطون العامل الثمن انما يفرضون له بقدر عمالته حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن أشعث عن الحسن والعاملين عليها قال كان يعطى العاملون * قال أبو جعفر وأولى الاقوال في ذلك بالصواب قول من قال يعطى العامل عليها على قدر عمالته وأجر مثله وانما قلنا ذلك أولى بالصواب لان الله جل ثناؤه لم يقسم صدقة الاموال بين الاصناف الثمانية على ثمانية أسهم وانما عرف خلقه ان الصدقات لن تجاوز هؤلاء الاصناف الثمانية الى غيرهم واذ كان كذلك بما سيوضح بعد وبما قد أوضحناه في موضع آخر كان معلوما ان من أعطى منها حقا فانما يعطى على قدر اجتهاد المعطي فيه واذا كان ذلك كذلك وكان العامل عليها انما يعطى على عمله لا على الحاجة التي تزول بالعطية كان معلوما ان الذي أعطاه من ذلك انما هو عوض من سعيه وعمله وان ذلك انما هو قدر ما يستحقه عوضا من عمله الذي لا يزول بالعطية وانما يزول بالعزل وأما المؤلفة قلوبهم فانهم قوم كانوا يتألفون على الاسلام ممن لم تصح نصرته استصلاحا به نفسه وعشيرته كأبي سفيان بن حرب وعيينة بن بدر والاقرع بن حابس ونظرائهم من رؤساء القبائل وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله والمؤلفة قلوبهم وهم قوم كانوا يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أسلموا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرضخ لهم من الصدقات فاذا أعطاهم من الصدقات فأصابوا منها خيرا قالوا هذا دين صالح وان كان غير ذلك عابوه وتركوه حدثنا عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن يحيى بن أبي كثير ان المؤلفة قلوبهم من بني أمية أبو سفيان بن حرب ومن بني مخزوم الحرث بن هشام وعبد الرحمن بن يربوع ومن بني جمح صفوان بن أمية ومن

وحنين بالملائكة والظاهر ان الحزن لا يبعد ان يكون شاملا للنبي صلى الله عليه وسلم أيضا من حيث البشرية كقوله وزلزلوا ويكون في الكلام تقديم وتأخير والتقدير فانزل الله سكينته عليه اذ يقول أو يكون فانزل معطوفا على نصره والمراد بالسكينة ما ألقى في قلبه من الامنة التي سكن عندها وعلم انه منصور لا محالة كقوله في قصة حنين ثم أنزل الله سكينته على رسوله وقوله وجعل يعني يوم بدر وسائر الوقائع كلمة الذين كفروا وهي دعوتهم الى الكفر وعبادة الاصنام السفلى وكلمة الله وهي دعوته الى الاسلام أو كلمة التوحيد لا اله الا الله هي العليا وفي توسيط كلمة الفصل أعني هي تأكيد فضل كلمة الله في العلو وانها المختصة بالعلاء دون سائر الكلام قال الفراء لا أحب قراءة نصب الكلمة لان الاجود حينئذ أن يقال وكلمته هي العليا ألا ترى انك تقول أعتق أبوك غلامه ولا تقول أعتق أبوك غلام أبيك قلت وفي الرفع أيضا الاستئناف وما في الجملة الاسمية من الثبات والله عزيز حكيم قاهر غالب لا فعل له الا الصواب ثم لما توعد من لا ينفر مع الرسول وضرب له من الامثال ما وصف عقبه بالامر الجزم فقال انفروا خفافا وثقالا قال المفسرون أي خفافا في النفور لنشاطكم وثقالا عنه لمشقته عليكم أو خفافا لقلة عيالكم وثقالا لكثرتهم أو خفافا من السلاح وثقالا منه أو ركبانا ومشاة وشبانا وشيوخا أو مهازيل وسمانا أو صحاحا ومراضا والصحيح التعميم وان المراد انفروا سواء كنتم على الصفة التي يخف عليكم الجهاد معها أو على ضدها قال الاكثرون ظاهر هذا الامر يقتضي تناول جميع الناس حتى المرضى والعاجزين ويؤيده ما روي عن ابن أم مكتوم أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أعلي أن أنفر قال ما أنت الا خفيف أو ثقيل فرجع الى أهله ولبس سلاحه ووقف بين يديه ونزل قوله ليس على الاعمى حرج وقال مجاهد ان أبا أيوب شهد بدرا مع الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يتخلف عن غزوات المسلمين ويقول قال الله انفروا

بني

خفافا وثقالا فلا أجدني الا خفيفا أو ثقيلا وعن صفوان بن عمرو كنت واليا على حمص فلقيت شيخا كبيرا قد سقط حاجباه من أهل دمشق على راحلته يريد الغزو فقلت يا عم لقد أعذر الله اليك فرفع حاجبيه وقال يا ابن أخي استنفرنا الله خفافا وثقالا الا انه من يحبه الله

بني عامر بن لؤي سهيل بن عمرو وحو يطب بن عبد العزى ومن بني أسد بن عبد العزى حكيم بن حزام ومن بني هاشم سفيان بن الحرث بن عبد المطلب ومن بني فزارة عيينة بن حصن بن بدر ومن بني تميم الاقرع بن حابس ومن بني نصر مالك بن عوف ومن بني سليم العباس بن مرداس ومن ثقيف العلاء بن حارثة أعطى النبي صلى الله عليه وسلم كل رجل منهم مائة ناقة الا عبد الرحمن بن يربوع وحو يطب بن عبد العزى فانه أعطى كل رجل منهم خمسين حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الزهري قال قال صفوان بن أمية لقد أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه لابغض الناس الي فما برح يعطيني حتى انه لاحب الناس الي حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال ناس كان يتألفهم بالعطية عيينة بن بدر ومن كان معه حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث عن حماد بن سلمة عن يونس عن الحسن والمؤلفة قلوبهم الذين يؤلفون على الاسلام حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأما المؤلفة قلوبهم ناس من الاعراب ومن غيرهم كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يتألفهم بالعطية كيما يؤمنوا حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا معقل بن عبد الله قال سألت الزهري عن قوله والمؤلفة قلوبهم فقال من أسلم من يهودي أو نصراني قلت وان كان غنيا قال وان كان غنيا حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا معقل بن عبد الله الجزري عن الزهري والمؤلفة قلوبهم قال من هو يهودي أو نصراني * ثم اختلف أهل العلم في وجود المؤلفة اليوم وعدمها وهل يعطى اليوم أحد على التألف على الاسلام من الصدقة فقال بعضهم قد بطلت المؤلفة قلوبهم اليوم ولا سهم لاحد في الصدقة المفروضة الا لذي حاجة اليها وفي سبيل الله أو لعامل عليها ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن أشعث عن الحسن والمؤلفة قلوبهم قال أما المؤلفة قلوبهم فليس اليوم حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن جابر عن عامر قال لم يبق في الناس اليوم من المؤلفة قلوبهم انما كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال ثنا عبد الرحمن بن يحيى عن حبان بن أبي جبلة قال قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وأتاه عيينة بن حصن الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر أي ليس اليوم مؤلفة حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا مبارك عن الحسن قال ليس اليوم مؤلفة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن اسرائيل عن جابر عن عامر قال انما كانت المؤلفة قلوبهم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فلما ولي أبو بكر رحمة الله تعالى عليه انقطعت الرشى وقال آخرون المؤلفة قلوبهم في كل زمان وحقهم في الصدقات ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن جابر عن أبي جعفر قال في الناس اليوم المؤلفة قلوبهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن اسرائيل عن جابر عن أبي جعفر مثله * قال أبو جعفر والصواب من القول في ذلك عندي ان الله جعل الصدقة في معنيين أحدهما سد خلة المسلمين والآخر معونة الاسلام وتقويته فما كان في معونة الاسلام وتقوية أسبابه فانه يعطاه الغني والفقير لانه لا يعطاه من يعطاه بالحاجة منه اليه وانما يعطاه معونة للدين وذلك كما يعطى الذي يعطاه بالجهاد في سبيل الله فانه يعطى ذلك غنيا كان أو فقيرا للغزو لا لسد خلته وكذلك المؤلفة قلوبهم يعطون ذلك وان كانوا أغنياء استصلاحا باعطائهموه أمر الاسلام وطلب تقويته وتأييده وقد أعطى النبي صلى الله عليه وسلم من أعطى من المؤلفة قلوبهم بعد ان فتح الله عليه الفتوح وفشا الاسلام وأعز أهله فلا حجة لمحتج بان يقول لا يتألف اليوم على الاسلام أحد لامتناع أهله بكثرة العدد

يبتليه وعن الزهري خرج سعيد بن المسيب الى الغزو وقد ذهبت احدى عينيه فقيل انك عليل صاحب ضر فقال استنفر الله الخفيف والثقيل فان لم تمكني الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع وعن أنس قال قرأ أبو طلحة هذه الآية فقال ما أسمع الله عذر أحدا فخرج مجاهدا الى الشام حتى مات وقال السدي جاء المقداد بن الاسود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عظيما سمينا وشكا اليه وسأله ان يأذن فنزل فيه انفروا خفافا وثقالا فاشتد شأنها على الناس فنسخها الله بقوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى الآية وقيل لا حاجة الى التزام النسخ لان هذه الآيات نزلت في غزوة تبوك بالاتفاق ولا شك انه صلى الله عليه وسلم خلف من النساء والرجال أقواما فذلك يدل على ان هذا الوجوب ليس على الاعيان ولكنه من فروض الكفايات فمن أمره الرسول صلى الله عليه وسلم بان يخرج لزمه ذلك ومن أمره أن يبقى لزمه أن يبقى ولقائل أن يقول لا نزاع في الضعفاء والمراض ثم قال وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم وفيه ايجاب للجهاد بهما ان أمكن أو بالنفس ان لم يكن مال زائد على أسباب الجهاد أو بالمال بان يستنيب من يغزو عنه ان لم تكن له نفس سليمة صالحة للجهاد وهذا قول كثير من العلماء ذلكم خير لكم يعني انه خير في نفسه أو انه خير من القعود لما فيه من الراحة والدعة والنعيم العاجل وانما قال لو

كنتم تعلمون لان ما يحصل من الخيرات في الجهاد لا يدرك الا بالتأمل ولا يعرفه الا المؤمن الذي عرف بالدليل ان وعد الله حق ثم نزل في المتخلفين من غزوة تبوك من المنافقين لو كان عرضا قريبا قال الزجاج أي لو كان المدعو اليه فحذف لدلالة ما تقدم عليه والعرض ما عرض من منافع الدنيا ومعنه

من أرادهم وقد أعطى النبي صلى الله عليه وسلم من أعطى منهم في الحال التي وصفت وأما قوله وفي الرقاب فان أهل التأويل اختلفوا في معناه فقال بعضهم وهم الجمهور والاعظم هم المكاتبون يعطون منها في فك رقابهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن الحسن بن دينار عن الحسن ان مكاتبا قام الى أبي موسى الاشعري رحمه الله تعالى وهو يخطب الناس يوم الجمعة فقال له أيها الامير حث الناس على فحث عليه أبو موسى فالقى الناس عليه عمامة وملاءة وخاتما حتى ألقوا سوادا كثيرا فلما رأى أبو موسى ما ألقي عليه قال اجمعوه فجمع ثم أمر به فبيع فاعطى المكاتب مكاتبته ثم أعطى الفضل في الرقاب ولم يرده على الناس وقال انما أعطى الناس في الرقاب حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا معقل بن عبيد الله قال سألت الزهري عن قوله وفي الرقاب قال المكاتبون حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وفي الرقاب قال المكاتب حدثنا ابن وكيع قال ثنا سهل بن يوسف عن عمرو عن الحسن وفي الرقاب قال هم المكاتبون وروي عن ابن عباس انه قال لا بأس ان يعتق الرجل الرقبة من الزكاة * قال أبو جعفر والصواب من القول في ذلك عندي قول من قال عني بالرقاب في هذا الموضع المكاتبون لاجماع الحجة على ذلك فان الله جعل الزكاة حقا واجبا على من أوجبها عليه في ماله يخرجها منه لا يرجع اليه منها نفع من عرض الدنيا ولا عوض والمعتق رقبة منها راجع اليه ولاء من أعتقه وذلك نفع يعود اليه منها * وأما الغارمون فالذين استدانوا في غير معصية الله ثم لم يجدوا قضاء في عين ولا عرض وبالذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن عثمان بن الاسود عن مجاهد قال الغارمون من احترق بيته أو يصيبه السيل فيذهب متاعه ويدان على عياله فهذا من الغارمين حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن عثمان بن الاسود عن مجاهد في قوله والغارمين قال من احترق بيته وذهب السيل بماله وادان على عياله حدثنا أحمد قال ثنا اسرائيل عن جابر عن أبي جعفر قال الغارمين المستدين في غير سرف ينبغي للامام أن يقضي عنهم من بيت المال قال حدثنا أبو أحمد قال ثنا معقل بن عبيد الله قال سألنا الزهري عن الغارمين قال أصحاب الدين قال ثنا معقل عن عبد الكريم قال ثني خادم لعمر بن عبد العزيز خدمه عشرين سنة قال كتب عمر بن عبد العزيز ان يعطى الغارمون قال أحمد أكثر ظني من الصدقات قال حدثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن جابر عن أبي جعفر قال الغارمون المستدين في غير سرف حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أما الغارمون فقوم غرقتهم الديون في غير املاق ولا تبذير ولا فساد حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد الغارم الذي حل عليه الغرم حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن يمان عن عثمان بن الاسود عن مجاهد والغارمين قال هو الذي يذهب السيل والحريق بماله ويدان على عياله قال حدثني أبي عن سفيان عن جابر عن أبي جعفر قال المستدين في غير فساد قال حدثني أبي عن اسرائيل عن جابر عن أبي جعفر قال الغارمون الذين يستدينون في غير فساد ينبغي للامام أن يقضي عنهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن عثمان بن الاسود عن مجاهد هم قوم ركبتهم الديون في غير فساد ولا تبذير فجعل الله لهم في هذه الآية سهما وأما قوله وفي سبيل الله فانه يعني وفي النفقة في نصرة دين الله وطريقه وشريعته التي شرعها لعباده بقتال أعدائه وذلك هو غزو الكفار وبالذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وفي سبيل الله قال الغازي

قوله لو كان عرضا قريبا أي ما يعرض لهم من منافع الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر والمراد بالقرب سهولة مأخذه وسفرا قاصدا أي وسطا بين القرب والبعد وكل متوسط بين الافراط والتفريط فهو قاصد أي ذو قصد لان كل أحد يقصده والشقة المسافة الشاقة الشاطة ووصف المسافة البعيدة بالبعد مبالغة نحو جد جده وفحوى الكلام لو كانت المنافع قريبة الحصول والسفر وسطا لاتبعوك طمعا في الفوز بتلك المنافع ولكن طال السفر فكانوا كالآيسين من الفوز بالغنيمة ثم أخبر انه سيجدهم اذا رجعوا من الجهاد يحلفون بالله اما ابتداء على طريق اقامة العذر واما عندما يعاتبهم بسبب التخلف وقد وقع كما أخبر فكان معجزا وبالله متعلق بسيحلفون أوهو من جملة كلام المتخلفين والقول مقدر في الوجهين أي سيحلفون بالله قائلين لو استطعنا وقوله لخرجنا ساد مسد جوابي القسم ولو جميعا قيل في الآية دلالة على ان قوله انفروا خطاب المستطيعين والا لما أمكنهم جعل عدم الاستطاعة عذرا في التخلف قال الجبائي فيها دليل على ان الاستطاعة قبل الفعل والا لما كذبهم الله تعالى فان من لم يخرج الى القتال لم يكن مستطيعا للقتال عند من يجعل الاستطاعة مع الفعل وقال الكعبي زائدا عليه فان قيل لم لا يجوز أن يراد انهم ما كان لهم زاد ولا راحلة ولا يراد نفس القدرة قلنا ان من لا راحلة له يعذر في ترك الخروج فمن لا قدرة له أولى وأيضا الظاهر من الاستطاعة قوة البدن واذا أريد به المال فلانه يعين على ما يفعله الانسان بقوة البدن وأجيب بان المعتزلة سلموا ان القدرة على الفعل لا تتقدم الفعل الا بوقت واحد فان الانسان الجالس في مكان لا يكون قادرا في هذا الزمان على أن يفعل فعلا في مكان بعيد عنه وانما يقدر على فعله في المكان الملاصق لمكانه فالقوم الذين تخلفوا ما كانوا قادرين على القتال عندنا وعندهم في الزمان الذي أمروا فيه وعلينا فوجب المصير الى تفسير الاستطاعة بالزاد والراحلة فيسقط السؤال ويمكن أن يقال انهم وان كانوا غير قادرين على القتال الا

انهم كانوا قادرين على الاشتغال بأسباب القتال فيعود السؤال قال في الكشاف يهلكون بدل من سيحلفون أوحال أي يوقعونها في الهلاك
بحلفهم الكاذب أوحال من ضمير خرجنا أي لخرجنا معكم وان ألقينا أنفسنا في التهلكة وانما جاء به على لفظ الغائب لانه مخبر عنه

في سبيل الله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لاتحل الصدقة لغني الالخمسة رجل عمل عليها أو رجل اشتراها بماله أو في سبيل الله أوابن السبيل أو رجل كان له جار تصدق عليه فاهداها له قال حدثنا أبي عن ابن أبي ليلى عن عطية عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لاتحل الصدقة يعني الالثلاثة في سبيل الله أوابن السبيل أو رجل كان له جار فتصدق عليه فاهداها له وأما قوله وابن السبيل فالمسافر الذي يجتاز من بلد الى بلد والسبيل الطريق وقيل للضارب فيه ابن السبيل للزومه اياه كما قال الشاعر

أنا ابن الحرب ربتني وليدا * الى ان شبت واكتهلت لداتي

وكذلك تفعل العرب تسمي اللازم للشيء يعرف بابنه وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التويل ذكر من قال ذلك حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان عن جابر عن أبي جعفر قال ابن السبيل المجتاز من أرض الى أرض حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبوأحمد قال ثنا مندل عن ليث عن مجاهد وابن السبيل قال لابن السبيل حق من الزكاة وان كان غنيا اذا كان منقطعا به حدثنا أحمد قال ثنا أبوأحمد قال ثنا معقل بن عبيد الله قال سألت الزهري عن ابن السبيل قال يأتي على ابن السبيل وهو محتاج قلت فان كان غنيا قال وان كان غنيا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وابن السبيل الضيف جعل له فيها حق حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن السبيل المسافر من كان غنيا أو فقيرا اذا أصيبت نفقته أو فقدت أو أصابها شيء أولم يكن معه شيء فحقه واجب حدثنا أحمد قال ثنا أبوأحمد قال ثنا هشيم عن جويبر عن الضحاك انه قال في الغني اذا سافر فاحتاج في سفره قال يأخذ من الزكاة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن جابر عن أبي جعفر قال ابن السبيل المجتاز من الارض الى الارض وقوله فريضة من الله يقول جل ثناؤه قسم قسمه الله لهم فاوجبه في أموال أهل الاموال لهم والله عليم بمصالح خلقه فيما فرض لهم وفي غير ذلك لايخفى عليه شيء فعلى علم منه فرض مافرض من الصدقة وبما فيها من المصلحة حكيم في تدبيره خلقه لايدخل في تدبيره خلل واختلف أهل العلم في كيفية قسم الصدقات التي ذكرها الله في هذه الآية وهل يجب لكل صنف من الاصناف الثمانية فيها حق وذلك الى رب المال ومن يتولى قسمها في ان له أن يعطي جميع ذلك من شاء من الاصناف الثمانية فقال عامة أهل العلم للمتولي قسمها وضعها في أي الاصناف الثمانية شاء وانما سمى الله الاصناف الثمانية في الآية اعلاما منه خلقه ان الصدقة لاتخرج من هذه الاصناف الثمانية الى غيرها لا ايجابا لقسمها بين الاصناف الثمانية الذين ذكرهم الله تعالى ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا هرون عن الحجاج بن أرطاة عن المنهال بن عمرو عن زر بن حبيش عن حذيفة في قوله انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها قال ان شئت جعلته في صنف واحد أوصنفين أو لثلاثة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبومعاوية عن الحجاج عن المنهال عن زر عن حذيفة قال اذا وضعتها في صنف واحد أجزأ عنك قال حدثنا جرير عن ليث عن عطاء عن عمر انما الصدقات للفقراء قال أيما صنف أعطيته من هذا أجزأك قال حدثنا ابن نمير عن عبد الملك عن عطاء انما الصدقات للفقراء الآية قال لو وضعتها في صنف واحد من هذه الاصناف أجزأك ولو نظرت الى أهل بيت من المسلمين فقراء متعففين فجبرتهم بها كان أحب الي قال أخبرنا حجاج عن عطاء عن سعيد بن جبير انما الصدقات للفقراء والمساكين وابن السبيل في أي صنف أعطيته من شدة

يقال حلف بالله ليفعلن أولافعلن فالغيبة على الاخبار والتكلم على الحكاية قلت وفي الوجه الاخير نظر للزوم بناء أول الكلام على التكلم وآخره على الغيبة ولعل الصحيح حينئذ ان لو قيل لخرجنا معكم نهلك أنفسنا والله تعالى أعلم ثم بين ان ذلك التخلف من بعضهم كان باذن الرسول ولهذا توجه عليه العتاب بقوله عفا الله عنك فان العفو يستدعي سابقة الذنب وبقوله لم أذنت لهم فانه استفهام في معنى الانكار وبيان لما كني عنه بالعفو قال قتادة وعمرو بن ميمون شيآن فعلهما الرسول لم يؤمر بهما اذنه للمنافقين وأخذه الفداء من الاسارى فعاتبه الله كما تسمعون والذي عليه المحققون انه محمول على ترك الاولى وقوله عفا الله عنك انما جاء على عادة العرب في التعظيم والتوقير فيقدمون أمثال ذلك بين يدي الكلام يقولون عفا الله عنك ماصنعت في أمري رضي الله عنك ماجوابك عن كلامي وعافاك الله الاعرفت حقي وبعد حصول العفو من الله تعالى يستحيل أن يكون قوله لم أذنت لهم واردا على سبيل الذم والانكار بل يحمل على ترك الاكمل والاولى لاسيما وهذه الواقعة كانت من جنس ما يتعلق بالحروب ومصالح الدنيا قال كثير من العلماء في الآية دلالة على جواز الاجتهاد لانه عليه السلام أذن لهم من تلقاء نفسه من غير أن يكون من الله في ذلك اذن والالم يعاتب أومنع والا كان عاصيا بل كافرا لقوله ومن لم يحكم بما أنزل الله ولاريب انه لايكون بمجرد التشهي فيكون بالاجتهاد ثم انه لم يمنع من الاجتهاد مطلقا وانما منع الى غاية هي قوله حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين ولايمكن أن يكون المراد من ذلك التبين هو التبين بطريق الوحي والا كان ترك ذلك كبيرة

الاصناف أجزأك قال حدثنا عمران بن عيينة عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله قال حدثنا جرير عن مغيرة عن ابراهيم انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها قال انما هذا شئ أعلمه فاى صنف من هذه الاصناف أعطيته اجزأعنك قال حدثنا أبى عن الحكم عن ابراهيم انما الصدقات للفقراء قال فى أى هذه الاصناف وضعتها أجزأك قال حدثنا أبى عن سفيان عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير قال اذا وضعتها فى صنف واحد مما سمى الله أجزأك قال حدثنا أبى عن أبى جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبى العالية قال اذا وضعتها فى صنف واحد مما سمى الله أجزأك قال حدثنا خالد بن حبان أبو يزيد عن جعفر بن برقان عن ميمون بن مهران انما الصدقات للفقراء قال اذا جعلتها فى صنف واحد من هؤلاء اجزأعنك قال حدثنا محمد بن بشر عن مسعود عن عطاء عن سعيد بن جبير انما الصدقات للفقراء والمساكين الآية قال أعلم أهلها من هم قال حدثنا حفص عن ليث عن عطاء عن عمر انه كان يأخذ العرض فى الصدقة ويجعلها فى صنف واحد وكان بعض المتأخرين يقول اذا تولى رب المال قسمها كان عليه وضعها فى ستة أصناف وذلك ان المؤلفة قلوبهم عنده قد ذهبوا وان سهم العاملين يبطل بقسمه اياها ويزعم انه لا يجزئه أن يعطى من كل صنف أقل من ثلاثة أنفس وكان يقول ان تولى قسمها الامام كان عليه أن يقسمها على سبعة أصناف لا يجزى عنده غير ذلك ۞ القول فى تأويل قوله (ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم) يقول تعالى ذكره ومن هؤلاء المنافقين جماعة يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعيبونه ويقولون هو أذن سامعة يسمع من كل أحد ما يقول فيقبله ويصدقه وهو من قولهم رجل أذنة مثل فعلة اذا كان يسرع الاستماع والقبول كما يقال هو يقن ويقن اذا كان ذا يقين بكل ما أحدث وأصله من أذن له يأذن اذا استمع له ومنه الخبر عن النبى صلى الله عليه وسلم ما أذن الله لشئ كأذنه لنبى يتغنى بالقرآن ومنه قول عدى بن زيد

أيها القلب تعلل بددن ✱ ان همى فى سماع وأذن

وذكر ان هذه الآية نزلت فى ربيع بن الحرث حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ذكر الله غشهم يعنى المنافقين وأذاهم للنبى صلى الله عليه وسلم فقال ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو أذن الآية وكان الذى يقول تلك المقالة فيما بلغنى نبتل بن الحرث أخو بنى عمرو بن عوف وفيه نزلت هذه الآية وذلك انه قال انما محمد أذن من حدثه شيأ صدقه يقول الله قل أذن خير لكم أى يسمع الخير ويصدق به واختلفت القراء فى قراءة قوله قل أذن خير لكم فقرأ ذلك عامة قراء الامصار قل أذن خير لكم باضافة الاذن الى الخير يعنى قل لهم يا محمد هو أذن خير لا أذن شر وذكر عن الحسن البصرى انه قرأ ذلك قل أذن خير لكم بتنوين أذن ويصير خبر خبرا له بمعنى قل من سمع منكم أيها المنافقون ما تقولون ويصدقكم ان كان محمد كما وصفتموه من انكم اذا آذيتموه فانكرتم ما ذكر له عنكم من أذاكم اياه وعيبكم له سمع منكم وصدقكم خير لكم من أن يكذبكم ولا يقبل منكم ما تقولون ثم كذبهم فقال بل لا يقبل الا من المؤمنين يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ✱ قال أبو جعفر والصواب من القراءة عندى فى ذلك قراءة من قرأ قل أذن خير لكم باضافة الاذن الى الخير وخفض الخير يعنى قل هو أذن خير لكم لا أذن شر وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنى عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو أذن يسمع من كل أحد حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا

يزيد

فتعين ان يحمل التبين على استعلام الحال بطريق الاجتهاد لئلا يكون الخطأ واقعا فى الاجتهاد لا فى النص ويدخل تحت قوله ومن اجتهد وأخطأ فله أجر واحد وفى الآية دلالة على وجوب الاحتراز عن العجلة وترك الاغترار بظواهر الامور قال قتادة عاتبه الله كما تسمعون ثم رخص له فى سورة النور فى قوله فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم قال أبو مسلم يحتمل أن يريد بقوله أذنت لهم الاذن فى الخروج لا فى القعود فقد يكون الخروج غير صواب لكونه عينا للمنافقين على المسلمين واذا كان هذا محتملا فلا تتعين الآية لرخصة الاذن فى القعود وقال القاضى هذا بعيد لان سياق الآية يدل على ان الكلام فى القاعدين وفى بيان حالهم ثم ذكر انه ليس من عادة المؤمنين ان يستأذنوا لان الاستئذان من علامات النفاق فقال لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا أى فى أن يجاهدوا وكان الاكابر من المهاجرين والانصار يقولون لا نستأذن النبى صلى الله عليه وسلم فى الجهاد وكانوا بحيث لو أمرهم بالقعود شق عليهم ذلك ألا ترى أن على بن أبى طالب رضى الله عنه لما أمره الرسول صلى الله عليه وسلم بان يبقى فى المدينة شق عليه ذلك ولم يرض الى أن قال له الرسول صلى الله عليه وسلم أنت منى بمنزلة هرون من موسى وقيل ان حرف النفى مضمر كاضمار الجار والتقدير فى ان لا تجاهدوا لان سياق الآية يدل على ذم من يستأذن فى القعود وعلى هذا يمكن أن يقال معناه كراهة أن يجاهدوا وفى قوله والله عليم بالمتقين رمز الى انهم من جملة المتقين وان لهم ثوابهم ثم بين الذين من شأنهم الاستئذان فقال انما يستأذنك الآية وفيه ان الشاك فى أمر الدين وفى أصوله لا فى بعض مسائله غير مؤمن بالله تعالى وفيه ان محل الريب واليقين هو القلب وان الايمان ليس مجرد الاقرار باللسان والا لم يصح نفيه عن المنافقين ومعنى قوله فهم فى ريبهم يترددون ان الشاك متردد بين النفى والاثبات غير حاكم باحد الطرفين وتقييده بان الاعتقاد

يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن قال كانوا يقولون انما محمد أذن لا يحدث عنا شيأ الا هو أذن يسمع ما يقال له حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ويقولون هو أذن نقول ما شئنا ونحلف فيصدقنا حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله هو أذن قال يقولون نقول ما شئنا ثم نحلف له فيصدقنا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحوه وأما قوله يؤمن بالله فانه يقول يصدق بالله وحده لا شريك له وقوله ويؤمن للمؤمنين يقول ويصدق المؤمنين لا الكافرين ولا المنافقين وهذا تكذيب من الله للمنافقين الذين قالوا محمد أذن يقول جل ثناؤه انما محمد صلى الله عليه وسلم مستمع خير يصدق بالله وبما جاءه من عنده ويصدق المؤمنين لا أهل النفاق والكفر بالله وقيل ويؤمن للمؤمنين معناه ويؤمن المؤمنين لان العرب تقول فيما ذكر لنا عنها أمنت له وأمنته بمعنى صدقته كما قيل ردف لكم بعض الذي تستعجلون ومعناه ردفكم وكما قال للذين هم لربهم يرهبون ومعناه الذين هم ربهم يرهبون وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنى عبد الله قال ثنى معاوية عن علي عن ابن عباس يؤمن بالله ويؤمن المؤمنين يعني يؤمن بالله ويصدق المؤمنين واما قوله ورحمة للذين آمنوا منكم فان القراء اختلفت في قراءته فقرأ ذلك عامة قراء الامصار ورحمة للذين آمنوا بمعنى قل هو أذن خير لكم وهو رحمة للذين آمنوا منكم فترجع الرحمة عطفا بها على الاذن وقرأه بعض الكوفيين ورحمة عطفا بها على الخير بتأويل قل أذن خير لكم وأذن رحمة * قال أبو جعفر وأولى القراءتين بالصواب في ذلك عندي قراءة من قرأه ورحمة بالرفع عطفا بها على الاذن بمعنى وهو رحمة للذين آمنوا منكم وجعله الله رحمة لمن اتبعه واهتدى بهداه وصدق بما جاء به من عند ربه لان الله استنقذهم به من الضلالة وأورثهم باتباعه جنانه ۞ القول في تأويل قوله (والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم) يقول تعالى ذكره لهؤلاء المنافقين الذين يعيبون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون هو أذن وأمثالهم من مكذبيهم والقائلين فيه الهجر والباطل عذاب من الله موجع لهم في نار جهنم ۞ القول في تأويل قوله (يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه ان كانوا مؤمنين) يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله صلى الله عليه وسلم يحلف لكم أيها المؤمنون هؤلاء المنافقون بالله ليرضوكم فيما بلغكم عنهم من أذاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكرهم اياه بالطعن عليه والعيب له ومطابقتهم سرا أهل الكفر عليكم بالله والايمان الفاجرة انهم ما فعلوا ذلك وانهم لعلى دينكم ومعكم على من خالفكم يبتغون بذلك رضاكم يقول الله جل ثناؤه والله ورسوله أحق أن يرضوه بالتوبة والانابة مما قالوا ونطقوا ان كانوا مؤمنين يقول ان كانوا مصدقين بتوحيد الله مقرين بوعده ووعيده وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يحلفون بالله لكم ليرضوكم الآية ذكر لنا ان رجلا من المنافقين قال والله ان هؤلاء لخيارنا وأشرافنا وان كان ما يقول محمد حقا لهم شر من الحمير قال فسمعها رجل من المسلمين فقال والله ان ما يقول محمد حق ولانت شر من الحمار فسعى بها الرجل الى نبي الله صلى الله عليه وسلم فأرسل الى الرجل فدعاه فقال له ما حملك على الذي قلت فجعل يلتعن ويحلف بالله ما قال ذلك قال وجعل الرجل المسلم يقول اللهم صدق الصادق وكذب الكاذب فأنزل الله في ذلك يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه ان كانوا مؤمنين ۞ القول في تأويل قوله (ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فان له نار

اما أن يكون جازما أولا والجازم ان كان غير مطابق فهو الجهل وان كان مطابقا فاما بضرورة أو نظر فهو العلم أولا وهو اعتقاد المقلد وغير الجازم ان كان أحد الطرفين راجحا عنده فالراجح هو الظن والمرجوح هو الوهم وان تساوى الطرفان فهو الريب والشك فلهذا كانت الحيرة والتردد من شأن صاحبه كما ان الثبات والاستقرار ديدن المتبصر قال المفسرون وان المستأذنين هم المنافقون وكانوا تسعة وثلاثين رجلا ثم نعى على المنافقين سوء فعالهم فقال ولو أرادوا الخروج لاعدوا له عدة قال ابن عباس يريد من الماء والزاد والراحلة لان سفرهم بعيد والزمان شديد فتركهم العدة دليل على انهم أرادوا التخلف قال العلماء وفيه اشارة الى انهم كانوا مياسير قادرين على تحصيل الاهبة والعدة ولكن كره الله انبعاثهم أي انطلاقهم فثبطهم والتثبيط رد الانسان عن الفعل الذي هم به ومعنى الاستدراك ان قوله ولو أرادوا الخروج يعطي معنى نفي الخروج وكأنه قيل ما خرجوا ولكن تثبطوا لان الله تعالى صرفهم عن ذلك كما يقول ما أحسن الى زيد ولكن أساء الى ومثل هذا يسمى في علم البديع صنعة الاستدراك وقد يقال تأكيد الذم بما يشبه المدح وههنا سؤال وهو ان خروجهم مع الرسول ان كان مفسدة فلم عاتب الله رسوله في اذنه لهم بالقعود وان كان مصلحة فلم كره الله انبعاثهم والجواب انه كان مفسدة لقوله عقيب ذلك لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا وحديث العتاب ظاهر عند من لا يجوز الاجتهاد على الانبياء لتمكنهم من استعلام الصواب بطريق الوحي وكذا على قول أبي مسلم وشيعته ان نفوسهم انه صلى الله عليه وسلم أذن لهم في ترك الخروج قوله تعالى في هذه السورة أي فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا وقوله في سورة الفتح سيقول المخلفون اذا انطلقتم الى ... يحصل الى قوله قل لن تتبعونا أماعندنا فاعتاضا الرسول صلى الله عليه وسلم في اذنه لهم بالقعود وان كان قعودهم مصلحة لانه أذن لهم ق

جهـنم خالدا فيها ذلك الخزي العظيم) يقول تعالى ذكره ألم يعلم هؤلاء المنافقون الذين يحلفون بالله كذبا للمؤمنين ليرضوهم وهم مقيمون على النفاق انه من يحارب الله ورسوله ويخالفهما بالخلاف عليهما فان له نار جهنم في الآخرة خالدا فيها يقول لابثا فيها مقيما الى غير نهاية ذلك الخزي العظيم يقول فلبثه في نار جهنم وخلوده فيها هو الهوان والذل العظيم وقرأت القراء فان بفتح الالف من أن بمعنى ألم يعلموا أن لمن حاد الله ورسوله نار جهنم واعمال يعلموا فيها كأنهم جعلوا ان الثانية مكررة على الاولى واعتمدوا عليها اذ كان الخبر معها دون الاولى وقد كان بعض نحوي البصرة يختار الكسر في ذلك على الابتداء بسبب دخول الفاء فيها وان دخولها فيها عنده دليل على انها جواب الجزاء وانها اذا كانت للجواب جزاء كان الاختيار فيها الابتداء والقراءة التي لا أستجيز غيرها فتح الالف في كلا الحرفين أعني ان الاولى والثانية لان ذلك قراءة الامصار وللعلة التي ذكرت من جهة العربية

۞ القول في تأويل قوله (يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزؤا ان الله مخرج ما تحذرون) يقول تعالى ذكره يخشى المنافقون أن تنزل فيهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم يقول تظهر المؤمنين على ما في قلوبهم وقيل ان الله أنزل هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم لان المنافقين كانوا اذا عابوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكروا شيأ من أمره وأمر المسلمين قالوا لعل الله لا يفشي سرنا فقال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهم استهزؤا متهددا لهم متوعدا ان الله مخرج ما كنتم تحذرون وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة يقول يقولون القول بينهم ثم يقولون عسى الله أن لا يفشي سرنا علينا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله الا أنه قال سرنا هذا وأما قوله ان الله مخرج ما تحذرون فانه يعني به ان الله مظهر عليكم أيها المنافقون ما كنتم تحذرون ان تظهروه فأظهر الله ذلك عليهم وفضحهم فكانت هذه السورة تدعى الفاضحة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال كانت تسمى هذه السورة الفاضحة فاضحة المنافقين

۞ القول في تأويل قوله (ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن) يقول تعالى جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولئن سألت يا محمد هؤلاء المنافقين عما قالوا من الباطل والكذب ليقولن لك انما قلنا ذلك لعبا وكنا نخوض في حديث لعبا وهزوا يقول الله لمحمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد أبالله وآيات كتابه ورسوله كنتم تستهزؤن وكان ابن اسحق يقول الذي قال هذه المقالة كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال كان الذي قال هذه المقالة فيما بلغني وديعة بن ثابت أخو بني أمية بن زيد من بني عمرو بن عوف حدثنا علي بن داود قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنا الليث قال ثني هشام بن سعد عن زيد ابن أسلم ان رجلا من المنافقين قال لعوف بن مالك في غزوة تبوك ما لقرائنا هؤلاء أرغبنا بطونا وأكذبنا ألسنة وأجبننا عند اللقاء فقال له عوف كذبت ولكنك منافق لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب عوف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبره فوجد القرآن قد سبقه فقال زيد قال عبد الله بن عمر فنظرت اليه متعلقا بحقب ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم تنكبه الحجارة يقول انما كنا نخوض ونلعب فيقول له النبي صلى الله عليه وسلم أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن ما يزيده حدثني هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن عبد الله بن عمر قال قال رجل في غزوة تبوك في مجلس ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا ولا أكذب ألسنا ولا أجبن عند اللقاء

التفحص وكمال التدبر ولانه لو لم يأذن لهم فهم كانوا يقعدون من تلقاء أنفسهم وكان يصير ذلك القعود علامة على نفاقهم فكان لا تقع الحاجة الى اظهار نفاقهم بوجوه أخر دالة على هتك أستارهم وكشف أسرارهم قال معتزلة البصرة في الآية دلالة على انه تعالى موصوف بصفة الكراهة كما انه موصوف بصفة الارادة وقالت الاشاعرة معنى يكره الله انه أراد عدم ذلك الشئ وزيف بان العدم لا يصلح أن يكون متعلق الارادة لان العدم مستمر فتعلق الارادة به يكون تحصيلا للحاصل ويمكن أن يجاب بان الارادة صفة تقتضي ترجيح أحد طرفي الممكن على الآخر سواء في ذلك طرف الوجود وطرف العدم وطرف العدم غير حاصل الا بالارادة العدم فكيف يكون تعلق الارادة تحصيلا للحاصل وأيضا عدم الشئ المخصوص ليس عدما محضا أما قوله وقيل اقعدوا فيحتمل أن يكون قد جعل القاء الله في قلوبهم كراهة الخروج أمرا بالقعود ويحتمل أن يراد به قول الشيطان بطريق الوسوسة أو قول بعضهم لبعض لما أرادوا الاجتماع على التخلف أو هو قول الرسول كأنه غضب عليهم حين استأذنوه فقال على سبيل الزجر اقعدوا مع القاعدين فاغتنموا هذه اللفظة وقالوا قد أذن لنا فلهذا عوتب بقوله لم أذنت لهم أي لم ذكرت هذه اللفظة التي أمكنهم ان يتوسلوا بها الى تحصيل غرضهم ومعنى قوله مع القاعدين ذم لهم وتعجيز والحاق بالنساء والصبيان والزمنى الذين شأنهم الجثوم في البيوت رضوا بان يكونوا مع الخوالف قال المفسرون لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عسكره على ثنية الوداع وضرب عبد الله بن أبي عسكره على ذي جدة أسفل من ثنية الوداع ولم يكن بأقل العسكرين فلما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم تخلف عنه عبد الله بن أبي ومن تخلف من المنافقين وأهل الريب فأنزل الله يعزي نبيه فقال (لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا) ... الاستثناء متصلا من أعم العام وحمله على الاستثناء المنقطع بناء على ان التقدير ما زادوكم خيرا الا خبالا

فقال رجل فى المجلس كذبت ولكنك منافق لاخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم ونزل القرآن قال عبد الله بن عمر فانا رأيته متعلقا بحقب ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم تنكبه الحجارة وهو يقول يا رسول الله انما كنا نخوض ونلعب ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم **حدثنى** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال أخبرنا أيوب عن عكرمة فى قوله ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب الى قوله بانهم كانوا مجرمين قال فكان رجل ممن ان شاء الله عفا عنه يقول اللهم انى أسمع آية أنا أعنى بها تقشعر منها الجلود وتجب منها القلوب اللهم فاجعل وفاتى قتلا فى سبيلك لا يقول أحد أنا غسلت أنا كفنت أنا دفنت قال فاصيب يوم اليمامة فما أحد من المسلمين الا وجد غيره **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب الآية قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير فى غزوته الى تبوك وبين يديه ناس من المنافقين فقالوا يرجو هذا الرجل أن يفتح قصور الشام وحصونها هيهات هيهات فاطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك فقال نبى الله صلى الله عليه وسلم احبسوا على الركب فأتاهم فقال قلتم كذا قلتم كذا قالوا يا نبى الله انما كنا نخوض ونلعب فانزل الله تبارك وتعالى ما تسمعون **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب قال بينما النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك وركب من المنافقين يسيرون بين يديه فقالوا يظن هذا أن يفتح قصور الروم وحصونها فاطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ما قالوا فقال على هؤلاء النفر فدعاهم فقال قلتم كذا وكذا فحلفوا ما كنا الا نخوض ونلعب **حدثنا** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو معشر عن محمد بن كعب وغيره قالوا قال رجل من المنافقين ما أرى قراءنا هؤلاء الا أرغبنا بطونا وأكذبنا ألسنة وأجبننا عند اللقاء فرفع ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ارتحل وركب ناقته فقال يا رسول الله انما كنا نخوض ونلعب فقال أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن الى قوله مجرمين وان رجليه لينسفان بالحجارة وما يلتفت اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متعلق بنسعة رسول الله صلى الله عليه وسلم **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد انما كنا نخوض ونلعب قال رجل من المنافقين يحدثنا محمد ان ناقة فلان بوادى كذا وكذا وما يدريه ما الغيب **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه ۞ القول فى تأويل قوله (لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم ان نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهؤلاء الذين وصفت لك صفتهم لا تعتذروا بالباطل فتقولوا كنا نخوض ونلعب قد كفرتم يقول قد جحدتم الحق بقولكم ما قلتم فى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به بعد ايمانكم يقول بعد تصديقكم به واقراركم به ان نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة وذكر انه عنى بالطائفة فى هذا الموضع رجل واحد وكان ابن اسحق يقول فيما **حدثنا** به ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال كان الذى عفى عنه فيما بلغنى مخشى بن حمير الاشجعى حليف بنى سلمة وذلك انه أنكر منهم بعض ما سمع **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا زيد ابن حباب عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب ان نعف عن طائفة منكم قال طائفة رجل ۞ واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم معناه ان نعف عن طائفة منكم لانكاره ما أنكر عليكم من قبل الكفر نعذب طائفة بكفره واستهزائه بآيات الله ورسوله ذكر من قال ذلك

ضعيف والخبال فى اللغة الفساد ومنه المخبل للمعتوه وللمفسرين عبارات قال الكلبى الاشرا وقال سليمان الامكرا وقال الضحاك الاغدرا وقيل الاخبثا وقيل هو الاضطراب فى الرأى وذلك بتزيين أمر لقوم وتقبيحه لآخرين حتى يختلفوا وتتفرق كلمتهم قالت المعتزلة دلت الآية على أنه كره انبعاثهم لاشتماله على هذا الخبال والشر وفيه دليل على أنه تعالى لا يريد الا الخير والصلاح وللقائل أن يقول اثبات حكم كلى بحكم جزئى غير معقول واعلم انه سبحانه عد من مفاسد خروجهم ثلاثة الاول قوله ما زادوكم الا خبالا ولاوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة قال فى الكشاف زيد ألف فى الكتابة لان الفتحة كانت تكتب ألفا قبل الخط العربى والخط العربى اخترع قبل نزول القرآن وقد بقى من ذلك الالف أثر فى الطباع فكتبوا صورة الهمزة ألفا وفتحتها ألفا أخرى ونحوه أولا ذبحنه فى النمل ولاتوها فى الاحزاب ولا رابع لهما فى القرآن وفى الايضاع قولان لاهل اللغة فقال أكثرهم هو متعد يقال وضع البعير اذا عدا وأوضعه الراكب اذا حمله على العدو وعلى هذا يكون فى الآية حذف والتقدير ولاوضعوا ركائبهم وقال الاخفش وأبو عبيدة انه جاء لازما يقال أوضع الرجل اذا سار بنفسه سيرا حثيثا ومنه ما روى ان النبى صلى الله عليه وسلم أفاض من عرفة وعليه السكينة وأوضع فى وادى محسر أى أسرع قال الواحدى والآية تشهد للاخفش وأبى عبيدة وعلى القولين المراد فى الآية السعى بين المسلمين بالتضريب والنميمة والمبالغة فى الاول أكثر لان الراكب أسرع من الماشى ومعنى خلالكم أى فيما بينكم والخلل الفرجة فيما بين الشيئين ويبغونكم الفتنة أى يبغون لكم قال الاصمعى يقال ابغنى كذا وأبغ لى أى اطلبه لاجلى ومعنى الفتنة هنا افتراق الكلمة والتشويش فى المقاصد فهو بذلك يحصل الانهزام أسرع فالحاصل من النوع الاول يحصل

اختلاف الآراء ومن الثاني المشي بالنميمة لتسهيل ذلك الغرض وأما النوع الثالث فذلك قوله وفيكم سماعون لهم قال ابن مجاهد وابن زيد
أي عيون لهم ينقلون اليهم ما يسمعون منكم وقال قتادة فيكم من يسمع كلامهم ويقبل قولهم واذا تعاضد الفاعل والقابل وقع الأثر على
أكمل الوجوه لا محالة واعترض على هذا القول بانه كيف يجوز ذلك على المؤمنين مع قوة دينهم وأجيب بان ذلك انما يقع لمن قرب عهده
بالاسلام أو لمن جبل على الجبن والفشل أو لمن حسن ظنه ببعض المنافقين لقرابة أو هيبة وقلما يخلو الاقوياء من ضعيف

حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال قال بعضهم كان رجل منهم لم يؤنبهم في الحديث فيسير مجانبا لهم فنزلت ان نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة فسمي طائفة وهو واحد وقال آخرون بل معنى ذلك ان تتب طائفة منكم فيعفو الله عنه يعذب الله طائفة منكم بترك التوبة وأما قوله انهم كانوا مجرمين فان معناه يعذب طائفة منهم باكتسابهم الجرم وهو الكفر بالله وطعنه في رسول الله صلى الله عليه وسلم ۞ القول في تاويل قوله (المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم ان المنافقين هم الفاسقون) يقول تعالى ذكره المنافقون والمنافقات وهم الذين يظهرون للمؤمنين الايمان بالسنتهم ويسرون الكفر بالله ورسوله بعضهم من بعض يقول هم صنف واحد وأمرهم واحد في اعلانهم الايمان واستبطانهم الكفر يأمرون من قبل منهم بالمنكر وهو الكفر بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به وتكذيبه وينهون عن المعروف يقول وينهونهم عن الايمان بالله ورسوله وبما جاءهم به من عند الله وقوله ويقبضون أيديهم يقول ويمسكون أيديهم عن النفقة في سبيل الله ويكفونها عن الصدقة فيمنعون الذين فرض الله لهم في أموالهم ما فرض من الزكاة حقوقهم كما حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله ويقبضون أيديهم قال يبسطونها بنفقة في حق حدثنا المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحوه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ويقبضون أيديهم لا يبسطونها بخير حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ويقبضون أيديهم قال يقبضون أيديهم عن كل خير وأما قوله نسوا الله فنسيهم فان معناه تركوا الله أن يطيعوه ويتبعوا أمره فتركهم الله من توفيقه وهدايته ورحمته * وقد دللنا فيما مضى على ان معنى النسيان الترك بشواهده فاغنى ذلك عن اعادته ههنا وكان قتادة يقول في ذلك ما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله نسوا الله فنسيهم نسوا من الخير ولم ينسوا من الشر قوله ان المنافقين هم الفاسقون يقول ان الذين يخادعون المؤمنين باظهارهم لهم بالسنتهم الايمان بالله وهم للكفر مستبطنون هم المفارقون طاعة الله الخارجون عن الايمان به وبرسوله ۞ القول في تاويل قوله (وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم) يقول تعالى ذكره وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار بالله نار جهنم ان يصلوها جميعا خالدين فيها يقول ماكثين فيها أبدا لا يحيون فيها ولا يموتون هي حسبهم يقول هي كافيتهم عقابا وثوابا على كفرهم بالله ولعنهم الله يقول وأبعدهم الله وأسحقهم من رحمته ولهم عذاب مقيم يقول وللفريقين جميعا يعني من أهل النفاق والكفر عند الله عذاب مقيم دائم لا يزول ولا يبيد ۞ القول في تاويل قوله (كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المنافقين

الذين

سخيف أو أهل الحق من مبطل منافق ولهذا ختم الآية بقوله والله عليم بالظالمين الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم ونفاقهم وغيرهم بالقاء الفتنة فيما بينهم ثم سلى نبيه بتوهين كيد أهل النفاق قديما وحديثا فقال لقد ابتغوا الفتنة من قبل أي من قبل وقعة تبوك قال ابن جريج هو اثنا عشر رجلا من المنافقين وقفوا على ثنية الوداع ليلة العقبة ليفتكوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وقيل المراد ما فعله عبد الله بن أبي يوم أحد حين انصرف عن النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه ومعنى الفتنة تشتيت شمل المسلمين والاختلاف الموجب للفرقة بعد الالفة فسلمهم الله منه وقلبوا لك الامور حرفوها ودبروا كل الحيل والمكايد ومنه فلان حول قلب اذا كان دائرا حول مصايد المكايد حتى جاء الحق الذي هو القرآن وظهر أمر الله غلب دينه وشرعه وهم كارهون رد الله مكرهم في نحرهم وأتى بضد مقصودهم ولما كان الامر كذلك في الماضي فكذا يكون الحال في المستقبل لقوله ويأبى الله الا أن يتم نوره ومنهم من يقول ائذن لي في القعود ولا تفتني ولا توقعني في الفتنة وهي الاثم بان لا تاذن لي فاني ان تخلفت بغير اذنك أثمت احتمل أن يكون قد ذكره على سبيل السخرية أو على سبيل الجد بان كان يثاب على ظن ذلك المنافق صدق محمد وان كان غير جازم به بعد وقيل لا تفتني أي لا تلقني في التهلكة فاني ان خرجت معك هلك مالي وعيالي وقيل قال الجد بن قيس قد علمت الانصار اني مستهتر بالنساء فلا تفتني ببنات الاصفر يعني نساء الروم ولكني أعينك بمال فاتركني فاعرض عنه النبي صلى الله عليه وسلم وقال قد أذنت لك فنزلت الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبني سلمة وكان الجد منهم من سيدكم يا بني سلمة قالوا الجد بن قيس غير انه بخيل جبان فقال النبي صلى الله عليه

الذين قالوا انما كنا نخوض ونلعب أبالله وآيات كتابه ورسوله كنتم تستهزؤن كالذين من قبلكم من الامم الذين فعلوا فعلكم فاهلكهم الله وعجل لهم في الدنيا الخزي مع ما أعد لهم من العقوبة والنكال في الآخرة يقول لهم جل ثناؤه واحذروا أن يحل بكم من عقوبة الله مثل الذي حل بهم فانهم كانوا أشد منكم قوة وبطشا وأكثر منكم أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم يقول فتمتعوا بنصيبهم وحظهم من دنياهم ودينهم ورضوا بذلك من نصيبهم في الدنيا عوضا من نصيبهم في الآخرة وقد سلكتم أيها المنافقون سبيلهم في الاستمتاع بخلاقكم يقول فعلتم بدينكم ودنياكم كما استمتع الامم الذين كانوا من قبلهم الذين أهلكتهم بخلافهم أمري بخلاقهم يقول كما فعل الذين من قبلكم بنصيبهم من دنياهم ودينهم وخضتم في الكذب والباطل على الله كالذي خاضوا يقول وخضتم أنتم أيضا أيها المنافقون كخوض تلك الامم قبلكم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى أبو معشر عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لتأخذن كما أخذ الامم من قبلكم ذراعا بذراع وشبرا بشبر وباعا بباع حتى لو أن أحدا من أولئك دخل جحر ضب لدخلتموه قال أبو هريرة اقرؤا ان شئتم القرآن كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا قالوا يا رسول الله كما صنعت فارس والروم قال فهل الناس الاهم **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عمر بن عطاء عن عكرمة عن ابن عباس قوله كالذين من قبلكم الآية قال قال ابن عباس ما أشبه الليلة بالبارحة كالذين من قبلكم هؤلاء بنو اسرائيل شبهنا بهم لا أعلم الا انه قال والذي نفسي بيده لتتبعنهم حتى لو دخل الرجل منهم جحر ضب لدخلتموه قال ابن جريج وأخبرني زياد بن سعد عن محمد بن زيد بن مهاجر عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع وباعا بباع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قالوا ومن هم يا رسول الله أهل الكتاب قال فمن **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال أبو سعيد الخدري انه قال فمن **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن فاستمتعوا بخلاقهم قال بدينهم **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حذركم أن تحدثوا في الاسلام حدثا وقد علمتم انه سيفعل أقوام من هذه الامة فقال الله في ذلك فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا وانما حسبوا ان لا يقع بهم من الفتنة ما وقع ببني اسرائيل قبلهم وان الفتنة عائدة كما بدت وأما قوله أولئك حبطت أعمالهم فان معناه هؤلاء الذين قالوا انا كنا نخوض ونلعب وفعلوا في ذلك فعل الهالكين من الامم قبلهم حبطت أعمالهم يقول ذهبت أعمالهم باطلا فلا ثواب لها الا النار لانها كانت فيما يسخط الله ويكرهه وأولئك هم الخاسرون يقول وأولئك هم المغبونون صفقتهم ببيعهم نعيم الآخرة بخلاقهم من الدنيا اليسير الزهيد ۞ القول في تأويل قوله (ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم

وسلم وأي داء أدوى من البخل بل سيدكم الابيض الفتى الجعد بشر بن البراء بن معرور ألا في الفتنة سقطوا أي ان الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة النفاق والتمرد عن قبول التكاليف المستتبع لشقاء الدارين ولهذا ختم الآية بقوله وان جهنم لمحيطة بالكافرين اما في الدنيا فلاحاطة أسبابها بهم من البغي عليهم بالنفاق وافشاء الاسرار وهتك الاستار وتحقير المقدار وأما في الآخرة فلما آل حالهم الى الدرك الاسفل من النار * التأويل أيها الارواح والقلوب المؤمنة ما أصابكم وبلواكم اذا قيل لكم بالالهام الرباني أخرجوا من الدنيا وما فيها في طلب الله والسير اليه اثاقلتم الى أرض الدنيا وشهواتها الا تنفروا من سجن الدنيا وقيود شهواتها يعذبكم عذابا أليما باستيلاء ظلمات الصفات النفسانية وغلبات الاوصاف السبعية والشيطانية وبالم البعد عن الحضرة الربانية ويستبدل قوما غيركم من الارواح والقلوب العاشقة الصادقة بل من العقول الكاملة المفارقة الا تنصروا رسول الوارد الرباني فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا أي النفوس الامارة الكافرة من أرض القبول ثاني اثنين ثاني النفس الملهمة اذ هما في غار العدم وكلمة الله هي العليا بجعل النفس المطمئنة بجذبة ارجعي وأصله الى مقام العندية انفروا أيها الطلاب خفافا مجردين من علائق الاهل والاولاد والاموال وثقالا متلبسين بها أو خفافا مجذوبين بالعناية وثقالا سالكين بالهداية وجاهدوا بقدمي بذل الاموال والانفس وقدم انفاق المال لان بذل النفس مع بقاء صفاتها الذميمة غير معتبر ومن صفاتها الذميمة الحرص على الدنيا والبخل بها ذلكم خير لكم لان الحاصل من المال ومن النفس الوزر والوبال والحاصل من الطلب الوصول والوصال لو كان مطلوبك يا محمد عرضا قريبا هو الدنيا ونعيمها وسفرا قاصدا هو تتبع شهوات النفس وهواها لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة لانها الخروج من الدنيا والعقبى وسيحلفون يعني أرباب النفوس لو خرجنا معكم يا أهل القلوب عفا الله عنك قدم العفو على العتاب تحقيقا لقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فهم في ريبهم يترددون بين أوصافهم الذميمة النفسانية والحيوانية بلا داعية الخروج الى الانوار ونية لاعدوا له عدة وهي متابعة الانبياء فثبطهم حبسهم في سجن البشرية ما زادوكم الا خبالا فيه اشارة الى ان قعود أهل الطبيعة في حبس البشرية صلاح لأرباب القلوب وأصحاب السلوك لانهم لو

نحو جواعن نية صادقة وعزيمة صالحة مازادوهم الا تشويشا وتفرقة لاقوالهم وأفعالهم وأحوالهم لقدابتغوا الفتنة من قبل يعني ان صفات النفس قبل البلوغ كانت تستخدم الروح في شهواتها حتى جاء الحق وهو العقل القابل لاوامر الشرع وظهر أمر الله وهو التكليف ومنهم من صفات النفس من يقول وهو الهوى ائذن لي في القعود عن الارتقاء في مدارج المعارف والمشارع ولا تفتني يا روح بتكليفي ماليس من شأني وذلك ان الهوى مركب المحبة (١٠٨) يستعمله الروح في تصاعده الى ذروة الكمال والوصال ألا في الفتنة سقطوا أي ان فتنة الهبوط هي الفتنة بالحقيقة وان جهنم البعد والقطيعة من لوازم كفار النفس وصفاتها أعاذنا الله منها (ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا انا معكم متربصون قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم انكم كنتم قوما فاسقين وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم الا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون ولا تعجبك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون ويحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا لولوا اليه وهم يجمحون ومنهم من يلمزك في الصدقات فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون) القراآت هل تربصون باظهار اللام وتشديد التاء البزي وابن فليح وقراءة حمزة وعلي وهشام مدغما حتى لا يجتمع ساكنان الباقون باظهار اللام وتخفيف التاء ان تقبل بالياء التحتانية حمزة وعلي وخلف الباقون بالفوقانية مدخلا بضم الميم وسكون الدال سهل ويعقوب الباقون بالدال المشددة المفتوحة يلمزك بضم الميم سهل ويعقوب الا آخرون بكسرها سوى عباس فانه مخير * الوقوف تسؤهم ج لابتداء شرط آخر مع واو العطف فرحون ه لنا ج للابتداء لفظا مع الاتحاد معنى مولانا ط لابتداء اخبار من الله أو الحكاية عنهم المؤمنون ه الحسنيين بالمعروف

ابراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات أتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) يقول تعالى ذكره ألم يأت هؤلاء المنافقين الذين يسرون الكفر بالله وينهون عن الايمان به وبرسوله نبأ الذين من قبلهم يقول خبر الامم الذين كانوا من قبلهم حين عصوا رسلنا وخالفوا أمرنا ماذا حل بهم من عقوبتنا ثم بين جل ثناؤه من أولئك الامم التي قال لهؤلاء المنافقين ألم يأتهم نبؤهم فقال قوم نوح ولذلك خفض القوم لانه ترجم بهم عن الذين والذين في موضع خفض ومعنى الكلام ألم يأت هؤلاء المنافقين خبر قوم نوح وصنيعي بهم اذ كذبوا رسولي نوحا وخالفوا أمري ألم أغرقهم بالطوفان وعاد يقول وخبر عاد اذ عصوا رسولي هودا ألم أهلكهم بريح صرصر عاتية وخبر ثمود اذ عصوا رسولي صالحا ألم أهلكهم بالرجفة فاتركهم بافنيتهم خمودا وخبر قوم ابراهيم اذ عصوه وردوا عليه ما جاءهم به من عند الله من الحق ألم أسلبهم النعمة وأهلك ملكهم نمرود وخبر أصحاب مدين بن ابراهيم ألم أهلكهم بعذاب يوم الظلة اذ كذبوا رسولي شعيبا وخبر المنقلبة بهم أرضهم فصار أعلاها أسفلها اذ عصوا رسولي لوطا وكذبوا ما جاءهم به من عندي من الحق يقول تعالى ذكره أفأمن هؤلاء المنافقون الذين يستهزؤن بالله وبآياته ورسوله ان يسلك بهم في الانتقام منهم وتعجيل الخزي والنكال لهم في الدنيا سبيل أسلافهم من الامم ويحل بهم بتكذيبهم رسولي محمدا صلى الله عليه وسلم ما حل بهم في تكذيبهم رسلنا اذ أتتهم بالبينات * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة والمؤتفكات قال قوم لوط انقلبت بهم أرضهم فجعل عاليها سافلها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله والمؤتفكات قال هم قوم لوط فان قال قائل فان كان عنى بالمؤتفكات قوم لوط فكيف قيل المؤتفكات فجمعت ولم توحد قيل انها كانت قريات ثلاثا فجمعت لذلك ولذلك جمعت بالتاء على قول الله والمؤتفكة أهوى فان قال وكيف قيل أتتهم رسلهم بالبينات وانما كان المرسل اليهم واحدا قيل معنى ذلك أتى كل قرية من المؤتفكات رسول يدعوهم الى الله فتكون رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين بعثهم اليهم للدعاء الى الله عن رسالته رسلا اليهم كما قالت العرب لقوم نسبوا الى أبي فديك الخارجي الفديكات وأبو فديك واحد ولكن أصحابه لما نسبوا اليه وهو رئيسهم دعوا بذلك ونسبوا الى رئيسهم فكذلك قوله أتتهم رسلهم بالبينات وقد يحتمل ان يقال معنى ذلك أتت قوم نوح وعاد وثمود وسائر الامم الذين ذكرهم الله في هذه الآية رسلهم من الله بالبينات وقوله فما كان الله ليظلمهم يقول جل ثناؤه فما أهلك الله هذه الامم التي ذكر انه أهلكها الا باجرامها وظلمها أنفسها واستحقاقها من الله عظيم العقاب لا ظلما من الله لهم ولا وضعا منه جل ثناؤه عقوبة في غير من هو لها أهل لان الله حكيم لا خلل في تدبيره ولا خطأ في تقديره ولكن القوم الذين أهلكهم ظلموا أنفسهم بمعصية الله وتكذيبهم رسله حتى أسخطوا عليهم ربهم فحقت عليها كلمة العذاب فعذبوا ۞ القول في تأويل قوله (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم) يقول تعالى ذكره واما المؤمنون والمؤمنات وهم المصدقون بالله ورسوله وآيات كتابه فان صفتهم ان بعضهم أنصار بعض يأمرون

بالمعروف يقول يأمرون الناس بالايمان بالله ورسوله وبما جاء به من عند الله ويقيمون الصلاة يقول ويؤدون الصلاة المفروضة ويؤتون الزكاة يقول ويعطون الزكاة المفروضة أهلها ويطيعون الله ورسوله فيأتمرون لامر الله ورسوله وينتهون عما نهاهم عنه أولئك سيرحمهم الله يقول هؤلاء الذين هذه صفتهم الذين سيرحمهم الله فينقذهم من عذابه ويدخلهم جنته لا أهل النفاق والتكذيب بالله ورسوله الناهون عن المعروف الآمرون بالمنكر القابضون أيديهم عن أداء حق الله من أموالهم ان الله عزيز حكيم يقول ان الله ذو عزة في انتقامه ممن انتقم من خلقه على معصيته وكفره به لا يمنعه من الانتقام منه مانع ولا ينصره منه ناصر حكيم في انتقامه منهم وفي جميع أفعاله * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس عن أبي العالية قال كل ما ذكره الله في القرآن من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فالامر بالمعروف دعاء من الشرك الى الاسلام والنهي عن المنكر النهي عن عبادة الاوثان والشياطين قال **حدثنا** عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله يقيمون الصلاة قال الصلوات الخمس ۞ القول في تأويل قوله (وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم) يقول تعالى ذكره وعد الله الذين صدقوا الله ورسوله وأقروا به وبما جاء به من عند الله من الرجال والنساء جنات تجري من تحتها الانهار يقول بساتين تجري تحت أشجارها الانهار خالدين فيها يقول لابثين فيها أبدا مقيمين لا يزول عنهم نعيمها ولا يبيد ومساكن طيبة يقول ومنازل يسكنونها طيبة وطيبها انها فيما ذكر لنا كما **حدثنا** أبو كريب قال ثنا اسحق بن سليمان عن الحسن قال سألت عمران بن حصين وأبا هريرة عن آية في كتاب الله تبارك وتعالى ومساكن طيبة في جنات عدن فقالا على الخبير سقطت سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قصر في الجنة من لؤلؤ فيه سبعون دارا من ياقوتة حمراء في كل دار سبعون بيتا من زمردة خضراء في كل بيت سبعون سريرا **حدثنا** ابراهيم بن سعيد الجوهري قال ثنا قرة بن حبيب عن حسن بن فرقد عن الحسن عن عمران بن حصين وأبي هريرة قالا سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية ومساكن طيبة في جنات عدن قال قصر من لؤلؤة في ذلك القصر سبعون دارا من ياقوتة حمراء في كل دار سبعون بيتا من زبرجدة خضراء في كل بيت سبعون سريرا على كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش زوجة من الحور العين في كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من طعام في كل بيت سبعون وصيفة ويعطى المؤمن من القوة في غداة واحدة ما يأتي على ذلك كله أجمع وأما قوله في جنات عدن فانه يعني وهذه المساكن الطيبة التي وصفها جل ثناؤه في جنات عدن وفي من صلة مساكن وقيل جنات عدن لانها بساتين خلد واقامة لا يظعن فيها أحد وقيل انما قيل لها جنات عدن لانها دار الله التي استخلصها لنفسه ولمن شاء من خلقه من قول العرب عدن فلان بأرض كذا اذا أقام بها وخلد بها ومنه المعدن ويقال هو في معدن صدق يعني به انه في أصل ثابت وقد أنشد بعض الرواة بيت الاعشى

ط للاستئناف بعد تمام الاستفهام بايدينا ط والوصل أصح لان الفاء جواب نتربص متربصون ه منكم ط فاسقين ه كارهون ه ولأولادهم ط كافرون ه لمنكم ط يفرقون ه يجمحون ه الصدقات ط للشرط مع الفاء يسخطون ه ورسوله ط الى قوله راغبون لان الكل يتعلق بلو وجواب لو بعد التمام محذوف أي لكان خيرا لهم * التفسير هذا نوع آخر من خبث ضمائر المنافقين عن ابن عباس الحسنة في يوم بدر والمصيبة في يوم أحد والاولى حمله على العموم اذ معلوم من حال المنافقين انهم كانوا في كل حسنة وعند كل مصيبة بالوصف الذي ذكر الله تعالى ومعنى أخذنا أمرنا أي أمرنا الذي نحن موسومون به من التيقظ والتحرز وحسن الرأي والتدبير ومن قبل أي من قبل ما وقع وتولوا أي عن مقام التحدث بذلك الى أهاليهم أو اعرضوا عن الرسول وهم فرحون مسرورون ثم أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بان يقول في جوابهم لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا قيل أي في اللوح المحفوظ من خير أو شر أو خوف أو رجاء أو شدة أو رخاء وفائدته انه اذا علم الانسان ان الذي وقع امتنع أن لا يقع لان خلاف معلوم الله ومقدوره محال زالت عنه منازعة النفس وهانت عليه المصائب وقيل أي في عاقبة أمرنا من الظفر بالعدو واظهار دين الله على كل الاديان فيكون المقصود ان أحوال المسلمين وان كانت مختلفة في الغم والسرور والدولة والمحنة الا ان العاقبة تكون لهم والظفر يقع من جانبهم فلا معنى لفرح المنافقين في الحال وقال الزجاج معناه لن يصيبنا الا ما اختصنا الله به من النصرة عليكم أو الشهادة وعلى هذا القول يقع ما في الآية الثانية كالتكرير هو مولانا لا يتولى أمورنا الا هو يفعل بنا ما يريد من أسباب التهاني والتعازي لا اعتراض لاحد عليه وعلى الله فليتوكل المؤمنون فيه تنبيه على ان المؤمن يجب أن لا يعلق الرجاء الا برب الارباب فانهم يتعلقون بالوسائط والاسباب ثم أمرهم بجواب ثان فقال هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين التربص التمسك بما ينتظر به مجيء حينه ومنه تربص بالطعام اذا تمسك به الى حين زيادة سعره والحسنى تأنيث الاحسن وهو صفة الخلة أو الخصلة أو العاقبة يعني النصرة أو الشهادة في الاولى احراز النعمة والظفر بالاعداء وفي الثانية ابتغاء الذكر والفوز بنعيم الآخرة ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده قارعة مثل قارعة عاد وثمود وقيل عذاب الله يشمل عذاب

وان تستضيفوا الى حلمه * تضافوا الى راجح قد عدن

و ينشد قدو زن * وكالذى قلنا فى ذلك كان ابن عباس و جماعة معه فيما ذكر يتأولونه حدثنى اسحق بن ابراهيم بن حبيب بن الشهيد قال ثنا غياث بن بشير عن خصيف عن عكرمة عن ابن عباس جنات عدن قال معدن الرجل الذى يكون فيه حدثنا محمد بن سهل بن عسكر قال ثنا ابن أبى مريم قال ثنا الكندى سعد عن زيادة بن محمد عن محمد بن كعب القرظى عن فضالة بن عبيد عن أبى الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يفتح الذكر فى ثلاث ساعات بقين من الليل فى الساعة الاولى منهن ينظر فى الكتاب الذى لا ينظر فيه أحد غيره فيمحو ما يشاء و يثبت ثم ينزل فى الساعة الثانية الى جنة عدن وهى داره التى لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر وهى مسكنه ولم يسكن معه من بنى آدم غير ثلاثة النبيين والصديقين والشهداء ثم يقول طوبى لمن دخلك وذكر فى الساعة الثالثة حدثنى موسى بن سهل قال ثنا آدم قال ثنا الليث بن سعد قال ثنا زياد بن محمد عن محمد بن كعب القرظى عن فضالة بن عبيد عن أبى الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عدن داره يعنى دار الله التى لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر وهى مسكنه ولا يسكنها معه من بنى آدم غير ثلاثة النبيين والصديقين والشهداء يقول الله تبارك وتعالى طوبى لمن دخلك * وقال آخرون معنى جنات عدن جنات أعناب وكروم ذكر من قال ذلك حدثنى أحمد بن أبى سريج الرازى قال ثنا زكريا بن عدى قال ثنا عبيد الله بن عمرو عن زيد بن أبى أنيسة عن يزيد بن أبى زياد عن عبد الله ابن الحرث ان ابن عباس سأل كعبا عن جنات عدن فقال هى الكروم والاعناب بالسريانية * وقال آخرون هى اسم لبطنان الجنة ووسطها ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد بن مسعدة قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا شعبة عن سليمان الاعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله قال عدن بطنان الجنة حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثنى قالا ثنا يحيى بن سعيد عن سفيان وشعبة عن الاعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله فى قوله جنات عدن قال بطنان الجنة قال ابن بشار فى حديثه فقلت ما بطنانها وقال ابن المثنى فى حديثه فقلت للاعمش ما بطنان الجنة قال وسطها حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الاعمش عن عبد الله بن مرة وأبى الضحى عن مسروق عن عبد الله جنات عدن قال بطنان الجنة قال حدثنا عبد الرحمن قال ثنا شعبة عن الاعمش عن أبى الضحى عن مسروق عن عبد الله بمثله حدثنا ابن المثنى قال ثنا ابن أبى عدى عن شعبة عن سليمان عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله مثله حدثنا أحمد بن أبى سريج قال ثنا أبو أحمد الزبيرى قال ثنا سفيان عن الاعمش عن أبى الضحى وعبد الله بن مرة عنهما جميعا أو عن أحدهما عن مسروق عن عبد الله جنات عدن قال بطنان الجنة حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن أبى الضحى عن مسروق عن عبد الله بن مسعود فى قول الله جنات عدن قال بطنان الجنة * وقال آخرون عدن اسم لقصر ذكر من قال ذلك حدثنى على بن سعيد الكندى قال ثنا عبدة أبو غسان عن عون بن موسى الكنانى عن الحسن قال جنات عدن وما أدراك ما جنات عدن قصر من ذهب لا يدخله الا نبى أو صديق أو شهيد أو حكم عدل و رفع به صوته

الدار بن أو بأيدينا يعنى القتل بأن يظهر نفاقكم و يأمر بقتلكم كالكافر الحربى فتربصوا أمر للتهديد نحو ذق انك أنت العزيز الكريم ثم ذكر أنهم ان أتوا بشئ من صورة البر لم يكن له قدر عند الله ولا ينتفعون به فى الآخرة والغرض ان أسباب الذل والهوان مجتمعة عليهم فى الدنيا والاخرى عن ابن عباس نزلت فى الجد بن قيس حين قال للنبى صلى الله عليه وسلم ائذن لى فى القعود وهذا مالى أعينك به ولا يبعد ان يكون السبب خاصا والحكم عاما وأنفقوا لفظه (١١٠) أمر ومعناه خبر كقوله فيما يجىء استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ومعناه أنفقوا وانظروا هل يتقبل منكم واستغفر لهم أو لا تستغفر لهم وانظر هل ترى اختلافا بين حال الاستغفار وتركه ومثله قول كثير لعزة * أسيئى بنا أو أحسنى لاملومة * كأنه يقول امتحنى لطف محلك عندى وعامليني بالاساءة والاحسان وانظرى هل تجدين منى تفاوتا فى الحالين وانما يجوز اقامة الخبر والطلب أحدهما مقام الآخر اذا دل الكلام عليه فيعدل عن الاصل لافادة المبالغة وانتصب طوعا أو كرها على الحال ومعناه طائعين من غير الزام من الله ورسوله أو ملزمين من جهتهما وسمى الالزام اكراها لانهم منافقون فكان الزام الله اياهم الانفاق شاقا عليهم كالاكراه ويحتمل أن يراد طائعين من غير اكراه من رؤسائكم أو ملزمين من جهتهم وذلك ان رؤساء أهل النفاق كانوا يحملونهم على الانفاق اذا رأوا فيه مصلحة ومعنى لن يتقبل منكم ان الرسول لا يقبله منكم أو انه لا يقع مقبولا عند الله ثم علل عدم القبول بقوله انكم كنتم قوما فاسقين قال الجبائى فيه دليل على ان الفسق يحبط الطاعات وأجيب بأن الفسق ههنا بمعنى الكفر ولا يلزم منه كون الفسق المطلق كذلك وانما قلنا ان الفسق بمعنى الكفر لقوله سبحانه وما منعهم أن تقبل منهم الآية علل منع القبول بامور ثلاثة أولها الكفر بالله ورسوله وثانيها ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى قال المفسرون معناه انه ان كان فى جماعة صلى وان كان وحده لم يصل وفيه انه يصلى للناس لا لله وفيه انه غير معتقد للصلاة ووجوبها فلهذا لزم منهم الكفر وثالثها ولا ينفقون الا وهم كارهون وذلك انهم لا ينفقون رغبة فى ثواب الله وانما ينفقون لاجل المصالح الدنيوية فهم فى حكم الكارهين وان أنفقوا مختارين يعدون الانفاق مغرما ومنعه مغنما فلا غرو قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم أدوا زكاة أموالكم طيبة بها انفسكم قيل الكفر

حدثنا

بالله سبب مستقل فى منع القبول فكيف ضم اليه الامرين الآخرين والجواب انها أمارات ويجوز توارد الامارات المتعددة على شئ واحد وبوجه آخر أطلق كفرهم أولا ثم قيده بعدم اعتقادهم وجوب الصلاة والزكاة وبعبارة أخرى حكم عليهم بالكفر مطلقا ثم خص من أنواع كفرهم هذين تفظيعا لشأن تارك الصلاة والزكاة قال فى الكشاف وقرأت فى بعض الاخبار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كره للمؤمن ان يقول كسلت كأنه ذهب الى هذه الآية وان الكسل من صفات المنافقين قال بعض العلماء وجه الجمع بين قوله ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره وبين مضمون هذه الآية وهو ان شيأ من أعمال البر لا يكون مقبولا عند الله مع الكفر هو أن يصرف ذلك الى تأثيره فى تخفيف العقاب ولقائل أن يقول لو لم يكن مقبولا بوجه لم يكن له فى التخفيف أيضا أثر وقيل فى الآية دلالة على ان الصلاة لازمة للكفار والا لم يكن الاتيان بها على وجه الكسل مانعا من تقبل طاعاتهم كما ان قيامهم وقعودهم وسائر تصرفاتهم على وجه الكسل ليس مانعا من التقبل بالاتفاق ثم لما قطع رجاء المنافقين عن منافع الآخرة أراد أن يبين ان ما يظنونه من منافع الدنيا فهو أيضا فى الحقيقة سبب لتعذيبهم وبلائهم وتشديد المحنة عليهم فقال مخاطبا للرسول صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد فلا تعجبك الآية ونظيره ولا تمدن عينيك وانما قال فلا تعجبك بالفاء لان ما قبله مستقبل يصلح للشرط أى ان يكن فيهم ما ذكرنا من الاتيان بالصلاة على وجه الكسل وغير ذلك فهذا جزاؤه وهذا بخلاف ما سيجئ فى الآية الاخرى من هذه السورة والاعجاب سرور المرء بالشئ مع نوع من الافتخار واعتقاد انه ليس لغيره ما يساويه وانه من البعيد فى حكم الله أن يزيل ذلك الشئ عنه ويحصله لغيره كقوله ما أظن أن تبيد هذه أبدا ولاشك ان هذه خصلة مذمومة من جهة استغراق النفس فى ذلك الشئ وانقطاعها عن الله ومن جهة استبعاد ازالته فى قدرة الله ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه والمقصود من الآية زجر الناس عن الانصباب الى الدنيا والمنع من التهالك فى حبها فان المسكن الاصلى هو الآخرة لا الاولى وقوله انما يريد الله ليعذبهم اعرابه كما مر فى قوله يريد الله ليبين لكم قال مجاهد والسدى وقتادة فى الآية تقديم وتأخير والتقدير فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم فى الحياة الدنيا انما يريد الله ليعذبهم بها فى الآخرة

حدثنا أحمد بن أبي سريج قال ثنا عبد الله بن عاصم قال ثنا عون بن موسى قال سمعت الحسن ابن أبي الحسن يقول جنات عدن وما أدراك ما جنات عدن قصر من ذهب لا يدخله الا نبي أو صديق أو شهيد أو حكم عدل رفع الحسن به صوته **حدثنا** أحمد قال ثنا يزيد قال أخبرنا حماد بن سلمة عن يعلى بن عطاء عن نافع بن عاصم عن عبد الله بن عمرو قال ان فى الجنة قصرا يقال له عدن حوله البروج والروح له خمسون ألف باب على كل باب حبرة لا يدخله الا نبي أو صديق **حدثنا** الحسن بن ناصح قال ثنا أبو داود قال ثنا شعبة عن يعلى بن عطاء قال سمعت يعقوب بن عاصم يحدث عن عبد الله بن عمرو ان فى الجنة قصرا يقال له عدن له خمسة آلاف باب على كل باب خمسة آلاف حبرة لا يدخله الا نبي أو صديق أو شهيد وقيل هى مدينة الجنة ذكر من قال ذلك **حدثت** عن عبد الرحمن المحاربي عن جويبر عن الضحاك فى جنات عدن قال هى مدينة الجنة فيها الرسل والانبياء والشهداء وأئمة الهدى والناس حولهم بعد والجنات حولها وقيل انه اسم نهر ذكر من قال ذلك **حدثت** عن المحاربي عن واصل بن السائب الرقاشي عن عطاء قال عدن نهر فى الجنة جناته على حافتيه وأما قوله ورضوان من الله أكبر فان معناه ورضى الله عنهم أكبر من ذلك كله وبذلك جاء الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم **حدثني** المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن مالك بن أنس عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يقول لاهل الجنة يا أهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك فيقول هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك فيقول أنا أعطيكم أفضل من ذلك قالوا يا رب وأى شئ أفضل من ذلك قال أحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبدا **حدثنا** ابن حميد قال ثنى يعقوب عن حفص عن شمر قال يجئ القرآن يوم القيامة فى صورة الرجل الشاحب الى الرجل حين ينشق عنه قبره فيقول ابشر بكرامة الله ابشر برضوان الله فيقول مثلك من يبشر بالخير ومن أنت فيقول أنا القرآن الذى كنت أسهر ليلك وأظمئ نهارك فيحمله على رقبته حتى يوافى به ربه فيمثل بين يديه فيقول يا رب عبدك هذا اجزه عنى خيرا فقد كنت أسهر ليله وأظمئ نهاره وآمره فيطيعنى وأنهاه فيطيعنى فيقول الرب تبارك وتعالى فله حلة الكرامة فيقول أى رب زده فانه أهل ذلك فيقول فله رضوانى قال ورضوان الله أكبر وابتدئ الخبر عن رضوان الله للمؤمنين والمؤمنات انه أكبر من كل ما ذكر جل ثناؤه فرفع وان كان الرضوان فيما قد وعدهم ولم يعطف به فى الاعراب على الجنات والمساكن الطيبة ليعلم بذلك تفضيل الله رضوانه عن المؤمنين على سائر ما قسم لهم من فضله وأعطاهم من كرامته نظير قول القائل فى الكلام لآخر أعطيتك ووصلتك بكذا وأكرمتك ورضاى بعد عنك أفضل ذلك هذه الاشياء التى وعدت المؤمنين والمؤمنات هو الفوز العظيم يقول هو الظفر العظيم والنجاء الجسيم لانهم ظفروا بكرامة الابد ونجوا من الهوان فى السفر فهو الفوز العظيم الذى لا شئ أعظم منه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير) يقول تعالى ذكره يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين بالسيف والسلاح والمنافقين واختلف أهل التأويل فى صفة الجهاد الذى أمر الله نبيه به فى المنافقين فقال بعضهم أمره بجهادهم

كأنهم نظروا الى أن المال والولد لا يكونان عذابا بل هما من نعم الله تعالى على عباده وأورد عليه انهما لا يكونان عذابا في الآخرة أيضا فان تكلفوا وقالوا أراد بذلك انهما سبب العذاب فقد استغنوا عن التقديم والتأخير لانهما قد يكونان سببا للعذاب في الدنيا أيضا وبوجه آخر المال والولد وكذا الاعجاب بهما يكونان في الدنيا لا محالة فاى فائدة في ذكرها واعلم ان الاموال والاولاد قد يكونان سببا للتعذيب في الدنيا والآخرة وذلك ان كل ما كان حبه للشئ أشد كان خوفه عن فواته أكثر وحزنه على فواته أعظم وصاحب المال أبدا اما في خوف فوات المال واما في حزن فواته واما في تعب حفظه وتثميره ثم ان الدنيا حلوة خضرة فاذا كثر ماله انصب بكليته اليه ويفضى الى طغيانه وقساوة قلبه الى أن ينسى حب الله وذكر الآخرة ثم انه ان بقي عليه ذلك الى آخر عمره فعند الموت عظم أسفه على مفارقته وكان كمن ينتقل من بستان ونعيم الى جحيم وعند الحشر يكون حلاله حسابا وحرامه عذابا فثبت ان حصول المال سبب لعذاب الدارين الا من يتصرف فيه بالحق ومثله يكون نادرا وكذا الكلام في الولد وهذا المعنى وان كان عاما للكل الا أن المنافقين لهم وجوه اختصاص بالتعذيب وذلك ان الرجل اذا كان مؤمنا بالله واليوم الآخر علم انه خلق للآخرة لا للدنيا فيفتر حبه للامور الدنيوية بخلاف المنافق الذى اعتقد ان لا سعادة الا هذه الخيرات العاجلة وأيضا ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يكلفهم انفاق الاموال وبعث الاولاد الى الغزو والجهاد وكانوا لا يعتقدون في ذلك فائدة أخروية وكانوا في أشق تكليف وكانوا مبغضين للنبي صلى الله عليه وسلم مع انهم كانوا مضطرين الى بذل المال وبعث الاولاد الى خدمته وكانوا خائفين من افتضاحهم واظهار نفاقهم وتعريض أولادهم وأموالهم للنهب والسبي وكثير منهم كان لهم أولاد أتقياء مخلصون كحنظلة بن أبي عامر غسلته الملائكة وكعبد بن عبد الله شهد بدرا وكان عند الله بمكان وهم خلق كثير كانوا يزيفون طريق آبائهم في النفاق ويقدحون فيهم والابن اذا صار هكذا تأذى الاب بسببه ولاجل هذه المعانى ذكر بعض العلماء ان التقدير يريد الله أن يزيد في أموالهم ليعذبهم اما قوله وتزهق أنفسهم أى تخرج وهم كافرون فقد قالت الاشاعرة فيه دليل على انه تعالى أراد منهم الكفر وأورد الجبائي عليه ان المريض اذا قال والآخرة

باليد واللسان وبكل ما أطاق جهادهم به ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا حميد ابن عبد الرحمن ويحيى بن آدم عن حسين بن صالح عن على بن الاقمر عن عمرو بن أبي جندب عن ابن مسعود في قوله تعالى جاهد الكفار والمنافقين قال بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه فان لم يستطع فليكفهر في وجهه* وقال آخرون بل أمره بجهادهم باللسان ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله تعالى يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم فامره الله بجهاد الكفار بالسيف والمنافقين باللسان واذهب الرفق عنهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس جاهد الكفار والمنافقين قال الكفار بالقتال والمنافقين ان تغلظ عليهم بالكلام حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم يقول جاهد الكفار بالسيف واغلظ على المنافقين بالكلام وهو مجاهدتهم* وقال آخرون بل أمره باقامة الحدود عليهم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن جاهد الكفار والمنافقين قال جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالحدود أقم عليهم حدود الله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم قال أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان يجاهد الكفار بالسيف ويغلظ على المنافقين في الحدود* قال أبو جعفر وأولى الاقوال في تأويل ذلك عندى بالصواب ما قال ابن مسعود من ان الله أمر نبيه صلى الله عليه وسلم من جهاد المنافقين بنحو الذى أمره به من جهاد المشركين فان قال قائل فكيف تركهم صلى الله عليه وسلم مقيمين بين أظهر أصحابه مع علمه بهم قيل ان الله تعالى ذكره انما أمر بقتال من أظهر منه كلمة الكفر ثم أقام على اظهاره ما أظهر من ذلك وأما من اذا اطلع عليه منهم انه تكلم بكلمة الكفر وأخذ بها أنكرها ورجع عنها وقال انى مسلم فان حكم الله في كل من أظهر الاسلام بلسانه ان يحقن بذلك دمه وماله وان كان معتقدا غير ذلك وتوكل هو جل ثناؤه بسرائرهم ولم يجعل للخلق البحث عن السرائر فلذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم مع علمه بهم واطلاع الله اياه على ضمائرهم واعتقاد صدورهم كان يقرهم بين أظهر الصحابة ولا يسلك بجهادهم مسلك جهاد من قد ناصبه الحرب على الشرك بالله لان أحدهم كان اذا اطلع عليه انه قد قال قولا كفر فيه بالله ثم أخذ به أنكره وأظهر الاسلام بلسانه فلم يكن صلى الله عليه وسلم يأخذه الا بما ظهر له من قوله عند حضوره اياه وعزمه على امضاء الحكم فيه دون ما سلف من قول كان نطق به قبل ذلك دون اعتقاد ضميره الذى لم يبح الله لاحد الاخذ به في الحكم وتولى الاخذ به هو دون خلقه وقوله واغلظ عليهم يقول تعالى ذكره واشدد عليهم بالجهاد والقتال والارعاب وقوله ومأواهم جهنم يقول ومساكنهم جهنم وهى مأواهم ومثواهم وبئس المصير يقول وبئس المكان الذى يصار اليه جهنم ۞ القول في تأويل قوله (يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا الا ان أغناهم الله ورسوله من فضله فان يتوبوا يك خيرا لهم وان يتولوا يعذبهم الله عذابا أليما في الدنيا

والآخرة وما لهم فى الارض من ولى ولا نصير) اختلف أهل التأويل فى الذى نزلت فيه هذه الآية والقول الذى كان قاله الذى أخبر الله عنه انه يحلف بالله ماقاله فقال بعضهم الذى نزلت فيه هذه الآية الجلاس بن سويد بن الصامت وكان القول الذى قاله ما حدثنا به ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية عن هشام بن عروة عن أبيه يحلفون بالله ماقالوا ولقد قالوا كلمة الكفر قال نزلت فى الجلاس ابن سويد بن الصامت قال ان كان ماجاء به محمد حقا لنحن أشر من الحمير فقال له ابن امرأته والله ياعدو الله لاخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قلت فانى ان لا أفعل أخاف ان تصيبنى قارعة واما أؤاخذ بخطيئتك فدعا النبى صلى الله عليه وسلم الجلاس فقال ياجلاس أقلت كذا وكذا فحلف ماقال فانزل الله تبارك وتعالى يحلفون بالله ماقالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا الا ان أغناهم الله ورسوله من فضله حدثنى المثنى قال ثنى اسحق قال ثنا أبو معاوية الضرير عن هشام بن عروة عن ابيه قال نزلت هذه الآية يحلفون بالله ماقالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم فى الجلاس بن سويد بن الصامت أقبل هو وابن امرأته مصعب من قباء فقال الجلاس ان كان ماجاء به محمد حقا لنحن أشر من حميرنا هذه التى نحن عليها فقال مصعب أما والله ياعدو الله لاخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قلت فأتيت النبى صلى الله عليه وسلم وخشيت ان ينزل فى القرآن أو تصيبنى قارعة أو ان أخلط فقلت يارسول الله أقبلت أنا والجلاس من قباء فقال كذا وكذا ولولا مخافة الله أن أؤاخذ بخطيئته أو تصيبنى قارعة ما أخبرتك قال فدعا الجلاس فقال له ياجلاس أقلت الذى قال مصعب قال فحلف فانزل الله تبارك وتعالى يحلفون بالله ماقالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم الآية حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال كان الذى قال تلك المقالة فيما بلغنى الجلاس بن سويد بن الصامت فرفعها عنه رجل كان فى حجره يقال له عمير بن سعيد فانكر فحلف بالله ماقالها فلما نزل فيه القرآن تاب ورجع وحسنت توبته فيما بلغنى حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد كلمة الكفر قال أحدهم لئن كان ما يقول محمد حقا لنحن شر من الحمير فقال له رجل من المؤمنين ان ماقال لحق ولانت شر من حمار قال فهم المنافقون بقتله فذلك قوله وهموا بما لم ينالوا حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد نحوه قال حدثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى أيوب بن اسحق بن ابراهيم قال ثنا عبد الله بن رجاء قال ثنا اسرائيل عن سماك عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا فى ظل حجرة فقال انه سيأتيكم انسان فينظر اليكم بعينى شيطان فاذا جاء فلا تكلموه فلم يلبث أن اطلع رجل أزرق فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علام تشتمنى أنت وأصحابك فانطلق الرجل فجاء باصحابه فحلفوا بالله ماقالوا وما فعلوا حتى تجاوز عنهم فانزل الله يحلفون بالله ماقالوا ثم نعتهم جميعا الى آخر الآية . وقال آخرون بل نزلت فى عبد الله بن أبى ابن سلول قالوا والكلمة التى قالها ما حدثنا به بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يحلفون بالله ماقالوا الى قوله من ولى ولا نصير قال ذكر لنا ان رجلين اقتتلا أحدهما من جهينة والآخر من غفار وكانت جهينة حلفاء

للطبيب أريدان تدخل على فى حالة مرضى لم يلزم منه كونه مريد المرض نفسه والجواب ان أمثال هذه موكولة الى قرائن الحال ففى قول المريض لاريب ان المطلوب هو دخول الطبيب وكون الدخول واقعا فى تلك الحالة من ضرورات كونه مريضا وهو طبيبه وفى الآية ليس المراد زهوق الروح فقط لان المسلم والمنافق فى ذلك سيان فالمراد وقوع الزهوق فى حالة الكفر فيكون الكفر منهم مرادا بالضرورة وقال فى الكشاف المراد الاستدراج بالنعم كقوله انما نملى لهم ليزدادوا اثما كانه قيل ويريد ان يديم عليهم نعمه الى ان يموتوا وهم كافرون مشغولون بالتمتع عن النظر للعاقبة ومن قبائح أفعال المنافقين ماحكى الله سبحانه عنهم فى قوله ويحلفون بالله انهم لمنكم أى على دينكم ثم قال وماهم منكم أى ليسوا على دينكم ولكنهم قوم يفرقون يخافون القتل فيظهرون الايمان تقية ثم أكد نفاقهم بقوله لو يجدون ملجأ مغرا فيتحصنون فيه آمنين على أنفسهم منكم لفروا اليه ولفارقوكم فلا تظنوا ان موافقتهم اياكم فى الدار والمسكن من صميم القلب والمغارات جمع مغارة وهو الموضع الذى يغار الانسان فيه ان يستقر والمدخل بالتشديد مفتعل من الدخول أدغمت التاء فى الدال لقرب مخرجيهما او التدخل تفعل من الادخال ومعناه المسلك الذى يندس بالدخول فيه قال الكلبى وابن زيد نفق كنفق اليربوع والمراد انهم لو وجدوا مكانا على أحد هذه الوجوه مع انها شر الامكنة لولوا اليه يقال ولى اليه بنفسه اذا انصرف وولى غيره اذا صرفه وهم يجمحون أى يسرعون اسراعا لا يرد وجوههم شئ ومنه الفرس الجموح لا يرده اللجام والحاصل انهم من شدة تأذيهم وتنفرهم من الرسول والمسلمين صاروا بهذه الحالة قال بعض العلماء انه تعالى ذكر ثلاثة أشياء والاقرب حملها على المعانى المتغايرة فالملجأ الحصون والمغارات الكهوف فى الجبال والمدخل السرب تحت الارض كالآبار والله تعالى أعلم ومن جملة قبائحهم قوله ومنهم من يلمزك الآية قال الزجاج لمزت الرجل ألمزه وألمزه بكسر الميم وضمها اذا عبته وفرق الليث فقال اللمز العيب فى الحضور والهمز العيب فى الغيبة واعلم ان العيب فى الصدقات يحتمل وجوها الاول فى أخذها بان يقال انتزاع كسب الانسان من يده غير معقول لان الله هو المتكفل بمصالح عبيده ان شاء أفقرهم وان شاء أغناهم الثانى ان يقال هب انك تأخذ الزكاة الا انك ما تأخذ [illegible]

تقنع بأقل من ذلك الثالث هب انك تأخذ هذا الكثير الا انك تصرفه الى غير مصرفه فيكون العيب وقوع في قسمة الصدقات وفي تفريقها
وهذا هو الذي دلت الاخبار على انهم أرادوه عن أبي سعيد الخدري بينا يقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم غنائم حنين قال له ابن ذي الخويصرة
رأس الخوارج اعدل يارسول الله فقال ويلك ومن يعدل اذا لم أعدل فنزلت وعن الكلبي هو أبو الجواظ قال ألا ترون الى صاحبكم انما يقسم
صدقاتكم في رعاة الغنم وهو يزعم انه يعدل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أبا لك أما كان موسى راعيا أما كان داود راعيا فلما ذهب قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم احذروا هذا وأصحابه فانهم منافقون وقيل هم المؤلفة قلوبهم ثم بين ان عيبهم ذلك وسخطهم لاجل نصيب نفسهم
لا للدين فقال فان اعطوا منها رضوا وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استعطف قلوب أهل مكة يومئذ بتوفير الغنائم عليهم فضجر المنافقون
ومعنى اذا هم يسخطون فهم يسخطون (١١٤) وفائدته ان يعلم ان الشرط مفاجئ للجزاء ومتهجم عليه ثم أرشدهم الى ما هو صلاحهم
في نفس الامر فقال ولو انهم رضوا الآية ورتبه على أربع مراتب الاولى الرضا بما آتاهم الله ورسوله لعلمهم بانه تعالى حكيم يعلم عواقب الامور فكلما كان حكما له وقضاء منه كان حقا وصوابا ولا اعتراض عليه الثانية ان يظهر أثر ذلك الرضا على لسانه وهو قولهم حسبنا الله كفانا فضله وصنعه لغيرنا المال وانما الرضا والتسليم وذكر الحبيب الثالثة ان نزل من هذه المرتبة العالية كان واثقا بان الله لا يهمله وسيعوضه من فضله في غنيمة أخرى الرابعة الرغبة الى الله بانه المقصد الحقيقي والمقصود الاصلي من الايمان والطاعة والمال والمنال روي ان عيسى عليه الصلاة والسلام مر بقوم يذكرون الله فقال ما الذي يحملكم عليه قالوا الخوف من عقاب الله فقال أصبتم ومر على قوم آخرين يذكرون فقال ما الذي حملكم عليه فقالوا الرغبة في الثواب فقال أصبتم ومر على قوم ثالث مشتغلين بالذكر فسألهم فقالوا لا نذكره للخوف من العقاب ولا للرغبة في الثواب بل لاظهار ذلة العبودية وعزة الربوبية وتشريف القلب بمعرفته وتشريف اللسان بذكره فقال أنتم المحقون

الانصار وظهر الغفاري على الجهني فقال عبد الله بن أبي للاوس انصروا أخاكم فوالله ما مثلنا ومثل محمد الا كما قال القائل سمن كلبك يأكلك وقال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فسعى رجل من المسلمين الى نبي الله صلى الله عليه وسلم فارسل اليه فسأله فجعل يحلف بالله ما قاله فانزل الله تبارك وتعالى يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر قال نزلت في عبد الله بن أبي ابن سلول * قال أبو جعفر والصواب من القول في ذلك عندنا ان يقال ان الله تعالى أخبر عن المنافقين انهم يحلفون بالله كذبا على كلمة كفر تكلموا بها انهم لم يقولوها وجائز أن يكون ذلك القول ما روي عن عروة ان الجلاس قاله وجائز أن يكون قائله عبد الله بن أبي ابن سلول والقول ما ذكر قتادة عنه انه قال ولا علم لنا بان ذلك من أي اذ كان لا خبر باحدهما يوجب الحجة ويتوصل به الى يقين العلم به وليس مما يدرك علمه بفطرة العقل فالصواب ان يقال فيه كما قال الله جل ثناؤه يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وأما قوله وهموا بما لم ينالوا فان أهل التأويل اختلفوا في الذي كان هم بذلك وما الشئ الذي كان هم به فقتل ابن امرأته الذي سمع منه ما قال وخشي ان يفشيه عليه ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال هم المنافقون بقتله يعني قتل المؤمن الذي قال له انت شر من الحمار فذلك قوله وهموا بما لم ينالوا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد به وقال آخرون كان الذي هم به رجلا من قريش والذي هم به قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا شبل عن جابر عن مجاهد في قوله وهموا بما لم ينالوا قال رجل من قريش هم بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له الاسود * وقال آخرون الذي هم عبد الله بن أبي ابن سلول وكان همه الذي لم ينله قوله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل من قول قتادة وقد ذكرناه وقوله وما نقموا الا ان أغناهم الله ورسوله من فضله ذكر لنا ان المنافق الذي ذكر الله عنه انه قال كلمة الكفر كان فقيرا فاغناه الله بان قتل له مولى فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ديته فلما قال ما قال قال الله تعالى وما نقموا يقول ما أنكروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا الا ان أغناهم الله ورسوله من فضله ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية عن هشام بن عروة عن أبيه وما نقموا الا ان أغناهم الله ورسوله من فضله وكان الجلاس قتل له مولى فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته فاستغنى فذلك قوله وما نقموا الا ان أغناهم

---

* التأويل ان تصبك يا روح حسنة من عواطف الحق تحزن النفس وصفاتها فيها انقطاع الروح عليها وان تصبك مصيبة من الموانع والقواطع أخذنا نصيبنا من المراتع الحيوانية لما خالفناه في السير الى العالم الروحاني قل يا روح لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا لا علمنا ان الفترات والوقفات للتربية لا للرد والطرد وقل هل تربصون بنا أيتها النفس وصفاتها الا احدى الحسنيين الاحسان والعواطف الربانية والوقفة والفترة الموجبة لحسن التربية بعذاب من عنده هو الابتلاء بالمصائب من الخوف والجوع وغيرهما أو بايدينا بالمنع من المخالفات وبكثرة الرياضات والمجاهدات طوعا أو كرها أي نفقاتكم لن يتقبل منكم لان أعمال اللسان وغيره من الجوارح من غير عمل القلب ليست بمقبولة وان كان عمل القلب بدون الجوارح مقبولا لقوله صلى الله عليه وسلم نية المؤمن أبلغ من عمله وفي باقي الآيات اشارات الى أن من امارات النفاق عدم الرضا

بقسمة الخلاق وحال المخاص بالعكس (انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله
وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة
للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه ان كانوا مؤمنين ألم يعلموا
أنه من يحادد الله ورسوله فان له نار جهنم خالدا فيها ذلك الخزى العظيم يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما فى قلوبهم قل استهزؤا
ان الله مخرج ما تحذرون ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن لا تعتذروا قد كفرتم بعد
ايمانكم ان نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون
عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم ان المنافقين هم

الفاسقون وعد الله المنافقين والمنافقات

أغناهم الله ورسوله من فضله قال حدثنا ابن عيينة عن عمرو عن عكرمة قال قضى النبي صلى الله عليه وسلم بالدية اثنى عشر ألفا فى مولى لبنى عدى بن كعب وفيه أنزلت هذه الآية وما نقموا الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وما نقموا الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله قال كانت لعبد الله بن أبى دية فاخرجها رسول الله صلى الله عليه وسلم له حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير عن سفيان قال ثنا عمرو قال سمعت عكرمة ان مولى لبنى عدى بن كعب قتل رجلا من الانصار فقضى له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدية اثنى عشر ألفا وفيه أنزلت وما نقموا الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله قال عمرو لم أسمع هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم الا من عكرمة يعنى الدية اثنى عشر ألفا حدثنا صالح بن سماك قال ثنا محمد بن سنان العوفى قال ثنا محمد بن مسلم الطائفى عن عمرو بن دينار عن عكرمة مولى ابن عباس عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم جعل الدية اثنى عشر ألفا فذلك قوله وما نقموا الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله قال باخذ الدية وأما قوله فان يتوبوا يك خيرا لهم يقول تعالى ذكره فان يتب هؤلاء القائلون كلمة الكفر من قيلهم الذى قالوه فرجعوا عنه يك رجوعهم وتوبتهم من ذلك خيرا لهم من النفاق وان يتولوا يقول وان يدبروا عن التوبة فيأبوها ويصروا على كفرهم يعذبهم الله عذابا أليما يقول يعذبهم عذابا موجعا فى الدنيا اما بالقتل واما بعاجل خزى لهم فيها ويعذبهم فى الآخرة بالنار وقوله وما لهم فى الارض من ولى ولا نصير يقول وما لهؤلاء المنافقين ان عذبهم الله فى عاجل الدنيا من ولى يواليه على منعه من عقاب الله ولا نصير ينصره من الله فينقذه من عقابه وقد كانوا أهل عز ومنعة بعشائرهم وقومهم يمتنعون بهم ممن أرادهم بسوء فاخبر جل ثناؤه ان الذين كانوا يمنعونهم ممن أرادهم بسوء من عشائرهم وحلفائهم لا يمنعونهم من الله ولا ينصرونهم منه ان احتاجوا الى نصرهم وذكر ان الذى نزلت فيه هذه الآية تاب مما كان عليه من النفاق ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية عن هشام بن عروة عن أبيه فان يتوبوا يك خيرا لهم قال قال الجلاس قد استثنى الله لى التوبة فانا أتوب فقبل منه رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو معاوية عن هشام بن عروة عن أبيه فان يتوبوا يك خيرا لهم الآية فقال الجلاس يا رسول الله انى أرى الله قد استثنى لى التوبة فأنا أتوب فتاب فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم منه ۞ القول فى تأويل قوله (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم

والكفار نار جهنم خالدين فيها هى حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذى خاضوا أولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون) القراآت أذن خير كلاهما بالرفع والتنوين الاعشى والمفضل الباقون بالاضافة ورحمة بالجر حمزة الآخرون بالرفع ألم تعلموا بتاء الخطاب جبلة عن المفضل الباقون بياء الغيبة ان نعف نعذب كلاهما بالنون ونصب طائفة عاصم غير المفضل الباقون على البناء للمفعول بياء الغيبة فى الاول وبتاء التأنيث فى الثانى * الوقوف وابن السبيل ط أى فرض الله فريضة من الله ط حكيم ه هو أذن ط آمنوا ط منكم ط أليم ه ليرضوكم ط لاحتمال الواو الحال والاستئناف مؤمنين ه خالدا فيها ط العظيم ه بما فى قلوبهم ط استهزؤا ط لاحتمال الفاء فى ان للتعليل

تحذرون ط ونلعب ط تستهزؤن ه بعد ايمانكم ط مجرمين ه من بعض ط كيلا تصير الجملة صفة لبعض المنافقين وهى صفة لكلهم أيديهم ط فنسيهم ط الفاسقون ه فيها ط حسبهم ط ج لاختلاف النظم مع اتحاد المقصود فى اتمام الجزاء ولعنهم الله ج لذلك مقيم ه لابناء على تعلق الكاف وأولادا ط خاضوا ط والآخرة ج الخاسرون ه * التفسير ان المنافقين لما لمزوا الرسول صلى الله عليه وسلم فى قسمة الصدقات بين لهم الله سبحانه مصرفها كيلا يبقى لهم طعن اذا رجعوا وعلموا موافقة الحكم لله فقال انما الصدقات الآية وفى تصدير الكلام بانما دلالة على انه لاحق لاحد فى الصدقات الا لهؤلاء ويؤيده ما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال لرجل ان كنت من الاصناف الثمانية فلك فيها حق والا فهو صداع فى الرأس وداء فى البطن ولنتكلم فى تعريف هؤلاء الاصناف فالاول والثانى الفقراء والمساكين ولاشك أن كلا من الصنفين محتاجون لا يفى دخلهم بخرجهم انما الكلام فى انهما متساويا الدلالة أو أحدهما أسوأ حالا فعن أبى يوسف ومحمد والجبائى أنهما

واحد حتى لو أوصى لزيد وللفقراء والمساكين بمال كان لزيد النصف لا الثلث قال الجبائي انه تعالى ذكرهما باسمين ليوكد أمرهم في الصدقات والفائدة ان يصرف اليهم من الصدقات سهمان لا كسائرهم وعند الشافعي الفقير أسوأ حالا لانه تعالى أثبت الصدقات لهؤلاء الاصناف دفعا لحاجاتهم فالذي وقع الابتداء بذكره يكون أشد حاجة لان الظاهر تقديم الاهم على المهم ومما يدل على اشعار الفقر بالشدة العظيمة قوله تعالى تظن ان يفعل بها فاقرة جعل الفاقرة كناية عن أعظم أنواع الشر والدواهي وروى انه صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ من الفقر وقد سأل المسكنة في قوله اللهم احيني مسكينا وأمتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين فكانه سأل توسط الحال ولهذا لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك أشياء معلومة مع انه تعالى أجاب دعاءه ظاهرا فأماته مسكينا وتقييده تعالى المسكين بقوله ذا متربة يدل على ان المسكين قد لا يكون كذلك وقال تعالى (١١٦) أما السفينة فكانت لمساكين وكان ابن عباس يفسر الفقير بانه الذي لا يجد شيأ كاهل الصفة والمسكين بانه الطواف الذي يسأل الناس والغالب انه يحصل له منهم شيء وقريب منه قول من قال سمي مسكينا لانه الدائم السكون الى الناس ولما كان المسكين هو السائل لما قلنا فالمحروم في قوله سبحانه وفي أموالهم حق للسائل والمحروم هو الفقير صاحب الحرمان واتفق الناس على ان الفقر ضد الغنى ولم يقل أحد ان الغنى والمسكنة ضدان فلعل الترفع هو ضد التمسكن وقال أبو حنيفة المسكين أسوأ حالا لقوله تعالى أو مسكينا ذا متربة وقد تقدم الكلام عليه ولانه تعالى جعل الكفارات من الاطعمة له ولا فاقة أعظم من الجوع ونقل الاصمعي عن أبي عمرو بن العلاء ان الفقير الذي له ما يأكل والمسكين هو الذي لا شيء له وقال يونس قلت لاعرابي أفقير أنت قال لا والله بل مسكين وقيل سمي مسكينا لانه يسكن حيث يحضر لاجل انه لا بيت له ولا منزل وأجيب بانه تعالى جعل الكفارة للمسكين ذي المتربة وهو الفقير بعينه وانما النزاع في المسكين المطلق والروايات معارضة بامثالها والله أعلم الصنف الثالث العاملون على الصدقات وهم السعاة الجباة للصدقة قال ابن عمر وابن الزبير والشافعي يعطى هؤلاء أجور أمثالهم لانها أجرة العمل وقال مجاهد والضحاك يعطون الثمن من الصدقات لانهم صنف من الثمانية والاصح ان الهاشمي والمطلبي لا يجوز ان يكون عاملا على الصدقات لان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبى ان يبعث أبا رافع عاملا على الصدقات وقال أما علمت ان مولى القوم منهم وفائدة التعدية بعلى التسلط والولاية يقال فلان على بلدة كذا اذا كان واليا عليها واختلفوا في ان الامام هل له حق لانه هو العامل في الحقيقة أو لا حق له لخروجه عن الاصناف والجمهور على ان العامل يأخذ نصيبه وان كان غنيا لان ذلك أجرة عمله وعن الحسن انه لا يأخذ الا مع الحاجة الصنف الرابع المؤلفة قلوبهم عن ابن عباس هم قوم أشراف من الاحياء اعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين وكانوا خمسة عشر رجلا منهم أبو سفيان والاقرع بن حابس وعيينة بن حصن أعطى كل رجل منهم مائة من الابل قال العلماء على مراد ابن عباس انه لا يتفع في

معرضون فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون) يقول تعالى ذكره ومن هؤلاء المنافقين الذين وصفتك يا محمد صفتهم من عاهد الله يقول أعطى الله عهدا لئن آتانا من فضله يقول لئن أعطانا الله من فضله ورزقنا مالا ووسع علينا من عنده لنصدقن يقول لنخرجن الصدقة من ذلك المال الذي رزقنا ربنا ولنكونن من الصالحين يقول ولنعملن فيها بعمل أهل الصلاح باموالهم من صلة الرحم به وانفاقه في سبيل الله يقول الله تبارك وتعالى فرزقهم الله وآتاهم من فضله فلما آتاهم الله من فضله بخلوا به بفضل الله الذي آتاهم فلم يصدقوا منه ولم يصلوا منه قرابة ولم ينفقوا منه في حق الله وتولوا يقول وأدبروا عن عهدهم الذي عاهدوه الله وهم معرضون عنه فاعقبهم الله نفاقا في قلوبهم ببخلهم بحق الله الذي فرضه عليهم فيما آتاهم من فضله واخلافهم العهد الذي وعدوا الله ونقضهم عهده في قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه من الصدقة والنفقة في سبيله وبما كانوا يكذبون في قيلهم وحرمهم التوبة منه لانه جل ثناؤه اشترط في نفاقهم انه أعقبهموه الى يوم يلقونه وذلك يوم مماتهم وخروجهم من الدنيا * واختلف أهل التأويل في المعنى بهذه الآية فقال بعضهم عنى بها رجل يقال له ثعلبة بن أبي حاطب من الانصار ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله الآية وذلك ان رجلا يقال له ثعلبة بن أبي حاطب من الانصار أتى مجلسا فاشهدهم فقال لئن آتاني الله من فضله آتيت منه كل ذي حق حقه وتصدقت منه ووصلت منه القرابة فابتلاه الله فآتاه من فضله فاخلف الله ما وعده وأغضب الله بما أخلف ما وعده فقص الله شأنه في القرآن ومنهم من عاهد الله الآية الى قوله يكذبون حدثني المثنى قال ثنا هشام بن عمار قال ثنا محمد بن شعيب قال ثنا معاذ بن رفاعة السلمي عن ابي عبد الملك علي بن يزيد الالهاني انه أخبره عن القاسم ابن عبد الرحمن انه أخبره عن أبي امامة الباهلي عن ثعلبة بن حاطب الانصاري انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادع الله أن يرزقني مالا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه قال ثم قال مرة أخرى فقال اما ترضى أن تكون مثل نبي الله فوالذي نفسي بيده لو شئت ان تسير معي الجبال ذهبا وفضة لسارت قال والذي بعثك بالحق لئن دعوت الله فرزقني مالا لاعطين كل ذي حق حقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة مالا قال فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها فنزل واديا من أوديتها حتى جعل يصلي الظهر والعصر في جماعة ويترك ما سواهما ثم نمت وكثرت فتنحى حتى ترك الصلوات الا الجمعة وهي

تموت

الجملة صرف الاموال الى المؤلفة والافلم يكن ما أعطاهم من الصدقات وروى ان أبابكر الصديق أعطى عدى بن حاتم لما جاءه بصدقاته وصدقات قومه أيام الردة والذى استقر عليه رأى الأئمة ان المؤلفة ثلاثة أقسام ضعيف النية فى الاسلام وشريف باعطائه يتوقع اسلام نظرائه والمتألف على جهاد من يليهم من الكفار ومانعى الزكاة حيث يكون ذلك أهون للامام من بعث جيش يعطى كل واحد منهم ما رأى الامام باجتهاده هذا كله اذا كانوا مسلمين فاما الكفار الذين يميلون الى الاسلام فيرغبون فيه باعطاء مال والذين يخاف شرهم فيتألفون لدفع الشر بمال فلا يعطون شيأ من الزكاة وكان النبى صلى الله عليه وسلم يعطيهم من خمس الخمس والآن لا يعطون أصلا لقوة الاسلام والاستغناء عن تألفهم ولانه ليس فى الآية دلالة على ان المؤلفة يجوز ان يكونوا من الكفار فلا ينبغى ان يقال ان حكم الآية منسوخ الصنف الخامس قوله وفى الرقاب قال الزجاج تقديره وفى فك الرقاب وللائمة فى تفسيره أقوال فعن ابن (١١٧) عباس انهم المكاتبون وهو مذهب الشافعى قال اذا عجزوا عن اداء النجوم بان لا يكون لهم شئ أولا يفى ما فى أيديهم بنجومهم صرف اليهم أو الى سيدهم باذنهم ما يعينهم على العتق وقال مالك وأحمد واسحق المراد انه يشترى به عبيد فيعتقون وعن أبى حنيفة وأصحابه وهو قول سعيد بن جبير انه لا يعتق من الزكاة رقبة كاملة ولكن يعطى منها فى رقبة و يعان بها مكاتب لان قوله وفى الرقاب يقتضى ان يكون له فيه مدخل وذلك ينافى كونه تاما فيه وقال الزهرى سهم الرقاب نصفه للمكاتبين المسلمين ونصفه يشترى به رقاب ممن صلوا وصاموا وقدم اسلامهم فيعتقون قال المفسرون انما عدل عن اللام الى فى لان الاصناف الاربعة الاول يصرف المال اليهم حتى يتصرفوا فيه كما شاؤا وفى الاربعة الاخيرة لا يصرف المال اليهم بل يصرف الى جهات الحاجات المعتبرة فى الصفات التى لاجلها استحقوا سهم الزكاة ففى الرقاب يوضع نصيبهم فى تخليص رقابهم عن الرق أو الاسر ولا يدفع اليهم وفى الغارمين يصرف المال الى قضاء ديونهم وفى الغزاة يصرف المال الى اعداد ما يحتاج اليه فى الغزو وفى ابن السبيل كذلك يصرف الى ما يبلغه المقصد وقال فى الكشاف انما عدل للايذان بانهم أرسخ فى استحقاق التصدق عليهم ممن سبق لان فى للوعاء فنبه به على انهم أحقاء بان يجعلوا مصبا للصدقات وتكرير فى فى قوله وفى سبيل الله وابن السبيل فيه فضل ترجيح لهذين على الرقاب والغارمين * الصنف السادس الغارمون قال الزجاج أهل الغرم لزوم ما يستحق وسمى العشق غراما لكونه أمرا شاقا لازما وفلان مغرم بالنساء وسمى الدين غرما لانه شاق لازم والغارمون المديونون والدين ان حصل بسبب معصية لم يدخل فى الآية لان المعصية لا تستوجب الاعانة وان حصل لا بالمعصية فهو مقصود الآية سواء حصل بسبب نفقات ضرورية أو لاصلاح ذات البين وان كان متمولا أو للضمان ان أعسر هو والاصيل وكل داخل فى الآية روى الاصم فى تفسيره انه صلى الله عليه وسلم لما قضى بالغرة فى جنين قالت العاقلة لا نملك الغرة يا رسول الله فقال لحمل بن مالك أعنهم بغرة من صدقاتهم وكان حمل على الصدقة يومئذ فقال

تم وكاينمو الدود حتى ترك الجمعة فطفق يلقى الركبان يوم الجمعة يسألهم عن الاخبار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فعل ثعلبة فقالوا يا رسول الله اتخذ غنما فضاقت عليه المدينة فاخبروه بامره فقال يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة قال وأنزل الله خذ من أموالهم صدقة الآية ونزلت عليه فرائض الصدقة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلين على الصدقة رجلا من جهينة ورجلا من سليم وكتب لهما كيف يأخذان الصدقة من المسلمين وقال لهما مرا بثعلبة وبفلان رجل من بنى سليم فخذا صدقاتهما فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة واقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا أخت الجزية ما أدرى ما هذا انطلقا حتى تفرغا ثم عودا الى فانطلقا وسمع بهما السلمى فنظر الى خيار أسنان ابله فعزلها للصدقة ثم استقبلهم بها فلما رأوها قالوا ما يجب عليك هذا وما نريد ان نأخذ هذا منك قال بلى فخذوه فان نفسى بذلك طيبة وانما هى لى فأخذوها منه فلما فرغا من صدقاتهما رجعا حتى مرا بثعلبة فقال أرونى كتابكما فنظر فيه فقال ما هذه الا أخت الجزية انطلقا حتى أرى رأيى فانطلقا حتى أتيا النبى صلى الله عليه وسلم فلما رآهما قال يا ويح ثعلبة قبل ان يكلمهما ودعا للسلمى بالبركة فاخبراه بالذى صنع ثعلبة والذى صنع السلمى فانزل الله تبارك وتعالى فيه ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين الى قوله وبما كانوا يكذبون وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أقارب ثعلبة فسمع ذلك فخرج حتى أتاه فقال ويحك يا ثعلبة قد أنزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبى صلى الله عليه وسلم فسأله ان يقبل منه صدقته فقال ان الله منعنى ان أقبل منك صدقتك فجعل يحثى على رأسه التراب فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عملك قد أمرتك فلم تطعنى فلما أبى ان يقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم رجع الى منزله وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقبل منه شيأ ثم أتى أبا بكر حين استخلف فقال قد علمت منزلتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعى من الانصار فاقبل صدقتى فقال أبو بكر لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أقبلها فقبض أبو بكر ولم يقبضها فلما ولى عمر أتاه فقال يا أمير المؤمنين اقبل صدقتى فقال لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم منك ولا أبو بكر ولا أنا أقبلها منك فقبض ولم يقبلها ثم ولى عثمان رحمة الله عليه فأتاه فسأله ان يقبل صدقته فقال لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر ولا عمر رضوان الله عليهما وأنا لا أقبلها منك فلم يقبلها منه وهلك ثعلبة فى خلافة عثمان رحمة الله عليه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله الآية ذكر لنا ان رجلا من الانصار أتى على

يعطى الغارم قدر دينه ان لم يقدر على شئ وان قدر على بعض أعطى الباقى * الصنف السابع قوله فى سبيل الله يعنى الغزاة قال الشافعى يجوز له ان يأخذ من مال الصدقات وان كان غنيا وهو مذهب مالك واسحق وأبى عبيد وقال أبو حنيفة لا يعطى الغازى الا اذا كان محتاجا وظاهر لفظ الآية لا يوجب القصر على الغزاة فلهذا نقل القفال عن بعض الفقهاء انهم أجازوا صرف الصدقة الى جميع وجوه الخير من تكفين الموتى و بناء الحصون وعمارة المساجد لان كلها فى سبيل الله * الصنف الثامن ابن السبيل وهو المسافر لا لاجل معصية يعطى ما يبلغه المقصد وموضع ماله ان كان له فى الطريق مال قال الشافعى ويدخل فى المسافر الشاخص من وطنه أو من بلد كان مقيما به منشأ للسفر والغريب المجتاز ببلدنا والله أعلم ولنذكر طرفا من أحكام هذه الاصناف * الحكم الاول اتفقوا على دخول الزكاة الواجبة فى قوله انما الصدقات لقوله فى موضع آخر خذ من أموالهم (١١٨) صدقة ولقوله صلى الله عليه وسلم ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة واختلفوا فى الصدقة المندوبة فمنهم من قال تدخل والفائدة ان تعلم ان مصارف جميع الصدقات ليست الا هؤلاء الاصناف والاقرب اختصاص الآية بالواجبة لدخول لام التمليك فى الاصناف والصدقة المملوكة لهم ليست الا الزكاة تدل على الحصر فى الاصناف الثمانية والصدقة المندوبة يجوز صرفها الى وجوه أخر كالمساجد والمدارس وتجهيز الموتى ولان الصدقات تنصرف الى معهود سابق وهو الصدقات الواجبة فى قوله ومنهم من يلمزك فى الصدقات * الحكم الثانى فى الآية دلالة على ان الزكاة انما يتولى أخذها الامام أو نائبه لانه تعالى جعل للعاملين سهما منها والعامل هو الذى نصبه الامام لاخذ الزكوات ويتأكد هذا النص بقوله خذ من أموالهم صدقة فالقول بان المالك يجوز له اخراج زكاة الاموال الباطنة بنفسه انما يعرف بدليل آخر كقوله وفى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم واذا كان حقا لهما وجب ان يجوز دفعه اليه ابتداء واذا كان الامام جائرا فالتفريق بنفسه أفضل * الحكم الثالث مذهب أبى حنيفة انه يجوز صرف الصدقة الى بعض هؤلاء الاصناف وهو قول عمر وحذيفة وابن عباس وسعيد بن جبير وعطاء وأبى العالية والنخعى لانه تعالى جعل جملة الصدقات لهؤلاء الثمانية فلا يلزم ان يكون كل جزء من أجزائها كصدقة زيد مثلا موزعا على كل واحد منهم ولان الرجل الذى لا يملك الا عشرين دينارا فاخرج نصف دينار لو كلفناه ان يقسمه على أربعة وعشرين ليوقع كل ثلاثة منها الى ثلاثة من كل صنف صار كل قسم حقيرا صغيرا غير منتفع به فى مهم معتبر وعن سعيد بن جبير لو نظرت الى أهل بيت من المسلمين فقراء متعففين فجبرتهم بها كان أحب الى وقال الشافعى لا بد من صرفها الى الاصناف الثمانية وهو قول عكرمة والزهرى وعمر بن عبد العزيز واحتجوا عليه بان الله تعالى ذكر هذه القسمة فى نص الكتاب ثم أكدها بقوله فريضة من الله وهو فى معنى المصدر المؤكد لان قوله انما الصدقات للفقراء فى قوة قوله فرض الله الصدقات لهم وهذا كالزجر عن مخالفة الآية وعن النبى صلى الله

مجلس من الانصار فقال لئن آتاه الله مالا ليؤدين لكل ذى حق حقه فآتاه الله مالا فصنع فيه ما تسمعون قال فلما آتاهم من فضله بخلوا به الى قوله وبما كانوا يكذبون ذكر لنا ان نبى الله صلى الله عليه وسلم حدث ان موسى عليه الصلاة والسلام لما جاء بالتوراة الى بنى اسرائيل قالت بنو اسرائيل ان التوراة كثيرة وانا لا نفرغ لها فسل لنا ربك جماعا من الامر نحافظ عليه ونتفرغ فيه لمعايشنا قال يا قوم مهلا مهلا هذا كتاب الله ونور الله وعصمة الله قال فاعادوا عليه فاعاد عليهم قالها ثلاثا قال فاوحى الله الى موسى ما يقول عبادى قال يا رب يقولون كيت وكيت قال فانى آمرهم بثلاث ان حافظوا عليهن دخلوا بهن الجنة ان ينتهوا الى قسمة الميراث فلا يظلموا فيها ولا يدخلوا أبصارهم البيوت حتى يؤذن لهم وان لا يطعموا طعاما حتى يتوضؤا وضوء الصلاة قال فرجع بهن نبى الله صلى الله عليه وسلم الى قومه ففرحوا وودوا انهم سيقومون بهن قال فوالله ما لبث القوم الا قليلا حتى انقطع بهم فلما حدث نبى الله بهذا الحديث عن بنى اسرائيل قال تقبلوا الى ستة أتقبل لكم الجنة قالوا ما هن يا رسول الله قال اذا حدثتم فلا تكذبوا واذا وعدتم فلا تخلفوا واذا ائتمنتم فلا تخونوا وكفوا أبصاركم وأيديكم وفروجكم أبصاركم عن الخيانة وأيديكم عن السرقة وفروجكم من الزنا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول ثلاث من كن فيه صار منافقا وان صام وصلى وزعم انه مسلم اذا حدث كذب واذا ائتمن خان واذا وعد أخلف * وقال آخرون بل المعنى بذلك رجلان أحدهما ثعلبة والآخر معتب بن قشير ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن عمرو بن عبيد عن الحسن ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله الى الآخر وكان الذى عاهد الله منهم ثعلبة بن حاطب ومعتب بن قشير وهما من بنى عمرو بن عوف حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله قال رجلان خرجا على ملأ قعود فقالا والله لئن رزقنا الله لنصدقن فلما رزقهم الله بخلوا به حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله رجلان خرجا على ملأ قعود فقالا والله لئن رزقنا الله لنصدقن فلما رزقهم بخلوا به فاعقبهم نفاقا فى قلوبهم بما أخلفوا الله ما وعدوه حين قالوا لنصدقن فلم يفعلوا حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد نحوه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن الآية قال هؤلاء صنف من المنافقين فلما آتاهم ذلك بخلوا به فلما بخلوا بذلك أعقبهم

بذلك

بذلك نفاقا الى يوم يلقونه ليس لهم منه توبة ولا مغفرة ولا عفو كما أصاب ابليس حين منعه التوبة * قال أبو جعفر فى هذه الآية الابانة من الله جل ثناؤه عن علامة أهل النفاق أعنى فى قوله فاعقبهم نفاقا فى قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون وبنحو هذا القول كان يقول جماعة من الصحابة والتابعين ووردت به الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر بعض من قال ذلك حدثنا أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن عمارة عن عبد الرحمن بن يزيد قال قال عبد الله اعتبروا المنافق بثلاث اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا عاهد غدر وأنزل الله تصديق ذلك فى كتابه ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله الى قوله يكذبون حدثنى محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن سماك عن صبيح بن عبد الله بن عميرة عن عبد الله بن عمر قال ثلاث من كن فيه كان منافقا اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان قال وتلا هذه الآية ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين الى آخر الآية حدثنا ابن المثنى قال ثنا أبو داود قال ثنا شعبة عن سماك قال سمعت صبيح بن عبد الله القيسى يقول سألت عبد الله بن عمرو عن المنافق فذكر نحوه حدثنى محمد بن معمر قال ثنا أبو هشام المخزومى قال ثنا عبد الواحد بن زياد قال ثنا عثمان بن حكيم قال سمعت محمد بن كعب القرظى يقول كنت أسمع ان المنافق يعرف بثلاث بالكذب والاخلاف والخيانة فالتمستها فى كتاب الله زمانا لا أجدها ثم وجدتها فى آيتين من كتاب الله قوله ومنهم من عاهد الله حتى بلغ وبما كانوا يكذبون وقوله انا عرضنا الامانة على السموات والارض هذه الآية حدثنى القاسم بن بشير بن معروف قال ثنا اسامة قال ثنا محمد المحرم قال سمعت الحسن يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صلى وصام وزعم انه مسلم اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان فقلت للحسن يا أبا سعيد لئن كان لرجل على دين فلقينى فتقاضانى وليس عندى وخفت أن يحبسنى ويهلكنى فوعدته أن اقضيه رأس الهلال فلم أفعل أمنافق انا قال هكذا جاء الحديث ثم حدث عن عبد الله بن عمرو ان أباه لما حضره الموت قال زوجوا فلانا فانى وعدته أن أزوجه لا ألقى الله بثلث النفاق قال قلت يا أبا سعيد ويكون ثلث الرجل منافقا وثلثاه مؤمن قال هكذا جاء الحديث قال فحججت فلقيت عطاء بن أبى رباح فاخبرته الحديث الذى سمعته من الحسن وبالذى قلت له وقال لى فقال أعجزت ان تقول له أخبرنى عن اخوة يوسف عليه السلام ألم يعدوا آباهم فاخلفوه وحدثوه فكذبوه وائتمنهم فخانوه أفمنافقين كانوا ألم يكونوا أنبياء أبوهم نبى

عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى لم يرض بقسمة ملك مقرب ولا نبى مرسل حتى تولى قسمتها بنفسه ثم ختم الآية بقوله والله عليم أى بتقدير الانصباء والمصالح حكيم لا يفعل الا ما هو الاصوب والاصلح وكل هذه المؤكدات دليل على وجوب الاحتياط فى صرف الزكاة ومن ههنا قال الشافعى لا بد فى كل صنف من ثلاثة لانه تعالى ذكر أكثر الاصناف بلفظ الجمع وأقل الجمع ثلاثة فان دفع نصيب الفقراء الى اثنين غرم للثالث أقل متمول على الاقيس لا الثلث لان التفضيل فى افراد الصنف جائز للمالك لان العدد من كل صنف غير محصور فيصعب اعتبار التسوية بخلاف التسوية بين الاصناف لانهم محصورون فيسهل التسوية بينهم * الحكم الرابع العامل والمؤلفة قلوبهم مفقودان فى زماننا فبقى ان تصرف الزكاة الى الاصناف الستة الباقية كما لو فقد بعض الاصناف فى بلد فانه يصرف الى الباقين ولا يؤمر بالنقل الى بلد وجدوا فيه جميعا والاحوط رعاية التسوية بينهم على ما يقوله الشافعى أما اذا لم يفعل ذلك فانها مجزئة عند سائر الائمة أما الحكمة فى ايجاب الزكاة فهو ان المال محبوب بالطبع لان القدرة من صفات الكمال والمال سبب لحصول القدرة على المشتهيات والمآرب لكن الاستغراق فى حبه يذهل النفس عن حب الله وعن التأهب للآخرة فاقتضت الحكمة الالهية تكليف مالك المال اخراج طائفة منه كسرا للنفس ومنعا من انصبابها بالكلية اليه فايجاب الزكاة علاج صالح لازالة مرض حب الدنيا عن القلب وهو المراد من قوله خذ من أموالهم صدقة تطهرهم أى عن دنس الاستغراق فى حب المال وأيضا ان كثرة الاموال توجب القوة والقدرة والشدة وتزايد تلك اللذات يدعو الانسان الى تحصيل الاموال المتزايدة فتصير المسألة دورية لا مقطع لها ولا آخر فاثبت الشرع لها مقطعا وآخرا وهو صرف طائفة من المال فى طلب مرضاة الله ليصرف النفس عن ذلك الطريق الظلمانى الذى لا آخر له ويفضى فى الاغلب الى الطغيان وقساوة القلب وأيضا النفس الناطقة لها قوتان نظرية وكمالها فى التعظيم لامر الله وعملية وكمالها فى الشفقة على خلق الله فاوجب الله الزكاة ليتصف جوهر الروح بهذا الكمال ويصير بسبب ذلك محبا الى الخلق وأمدوا له بالدعاء والهمة وأيضا المال سمى مالا لكثرة ميله الى كل أحد وهو غاد ورائح سريع الزوال مشرف على التلف والبوار فاذا أنفقه لوجه الله بقى بقاء لا يمكن زواله وفى انفاق المال تشبه بالمجردات والمفارقات وليس الغنى الا عن الشئ لا به لان الاستغناء عن الشئ صفة الحق والاستغناء بالشئ صفة المخلوقين العاجزين ففى الامر بالزكاة نقل للانسان من درجة ادنى الى درجة أعلى وأيضا الانسان روح وبدن ومال فاذا بذل الروح فى الاستغراق فى بحار معرفة الله وبذل البدن فى العبودية لله والصلاة له فكيف يليق به أن لا يبذل المال فى ابتغاء مرضاته وأيضا اذا فضل له المال عن قدر الحاجة وحضر انسان آخر محتاج فههنا حصل سببان كل واحد منهما يوجب ذلك المال اما فى حق المالك فهو انه سعى فى اكتسابه وتحصيله وتعلق قلبه به واما فى حق الفقير فلاحتياجه الموجب للتعلق به فلما وجد هذان السببان المتدافعان اقتضت حكمة الشارع

رعاية كل منهما بقدر الامكان ورجح جانب المالك لان الحق الاكتساب وحق التعلق فابقى عليه الكثير وامر بصرف جزء يسير الى الفقير توفيقا بين الامرين وجمعا بين المصلحتين مع رعاية المال عن التعطيل فلا معطل في الوجود وأيضا الاغنياء خزان الله لان المال مال الله وهم عبيده ولولا انه ألقاها في أيديهم لما ملكوا منها حبة فكم من عاقل لا يملك ملء بطنه وكم من غافل تأتيه الدنيا عفوا وصفوا وليس بمستبعد ان يقول الملك لخزانه اصرفوا طائفة من مال خزانتي الى المحتاجين من عبيدي وأيضا ان الاغنياء لو لم يلتزموا اصلاح مهمات الفقراء فربما حملتهم شدة الحاجة على تحصيل المال من وجوه منكرة كالسرقة ونحوها أو على الالتحاق باعداء المسلمين وقال صلى الله عليه وسلم الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر وكان الله تعالى يقول للغني اعطيتك المال فشكرت فصرت من الشاكرين فاخرج من يدك نصيبا منه حتى تصبر على فقدان المال فصرت من الصابرين ويقول للفقير ما اعطيتك الاموال الكثيرة فصبرت فصرت من الصابرين ولكني أوجبت على الغني ان يصرف اليك طائفة من المال لتشكرني فتكون من الشاكرين وأيضا أراد الله سبحانه أن يكون الغني منعما على الفقير بما يؤديه اليه ويكون الفقير منعما على الغني بما قبله منه ليحصل الخلاص له في الدنيا من الذم والعار وفي الآخرة من عذاب النار ثم حكى نوعا آخر من فضائح المنافقين وهو انهم كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم على وجه الطعن والذم هو أذن عن ابن عباس كانوا يؤذون النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون ما لا ينبغي فقال بعضهم لا تفعلوا فانا نخاف ان يبلغه ما تقولون فانما محمد أذن سامعة فقال الجلاس بن سويد نقول ما شئنا ثم نأتيه فيصدقنا بما نقول فانما محمد أذن سامعة فنزلت الآية وقال محمد بن اسحق بن يسار وغيره نزلت في رجل من المنافقين يقال له نبتل بن الحرث وكان رجلا أحمر العينين أسفع الخدين مشوه الخلقة وهو الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم من أراد ان ينظر الى الشيطان فلينظر الى نبتل بن الحرث وكان ينم حديث النبي صلى الله عليه وسلم الى المنافقين فقيل له لا تفعل فقال انما محمد أذن من حدثه شيأ صدقه نقول في ما شئنا ثم نأتيه فنحلف له فيصدقنا وقال السدي اجتمع ناس من المنافقين فيهم جلاس بن سويد بن الصامت ووديعة بن ثابت فارادوا ان يقعوا في النبي صلى الله عليه وسلم وعندهم غلام من الانصار يدعى محمد بن عامر بن قيس فحقروه فتكلموا وقالوا ان كان ما يقوله محمد حقا لنحن شر من الحمير فغضب الغلام وقال والله ان ما يقول محمد حق وانكم لشر من الحمير ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فدعاهم فسألهم فحلفوا ان عامرا كاذب وحلف عامر انهم كذبة وقال اللهم لا تفرق بيننا حتى يتبين صدق الصادق من كذب الكاذب فنزلت الآيتان قال علماء اللغة الاذن الرجل الذي يصدق بكل ما يسمع ويقبل قول كل أحد سمي بالجارحة التي هي آلة السماع كان جملته أذن سامعة ومثله قولهم للربيئة عين فمرادهم انهم نسبوا النبي صلى الله عليه وسلم بانهم يقولون له هو أذن وذلك انهم قصدوا به المذمة وانه ليس ذا ذكاء ولا بعيد غور بل هو سليم القلب

وجدهم أبي قال فقلت لعطاء يا أبا محمد حدثني بأصل النفاق وبأصل هذا الحديث فقال حدثني جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما قال هذا الحديث في المنافقين خاصة الذين حدثوا النبي فكذبوه وائتمنهم على سره فخانوه ووعدوه أن يخرجوا معه في الغزو فأخلفوه قال وخرج أبو سفيان من مكة فأتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان أبا سفيان في مكان كذا وكذا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه ان أبا سفيان في مكان كذا وكذا فاخرجوا اليه واكتموا قال فكتب رجل من المنافقين اليه ان محمدا يريدكم فخذوا حذركم فأنزل الله لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون وأنزل في المنافقين ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله الى فأعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون فاذا لقيت الحسن فاقرئه السلام وأخبره بأصل هذا الحديث وبما قلت لك قال فقدمت على الحسن فقلت يا أبا سعيد ان أخاك عطاء يقرئك السلام فأخبرته بالحديث الذي حدث وما قال لي فأخذ الحسن بيدي فأمالها وقال يا أهل العراق أعجزتم أن تكونوا مثل هذا سمع مني حديثا فلم يقبله حتى استنبط أصله صدق عطاء هكذا الحديث وهذا في المنافقين خاصة حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية قال أخبرنا يعقوب عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه وان صلى وصام وزعم انه مسلم فهو منافق فقيل له ما هي يا رسول الله فقال النبي عليه السلام اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال ثنا ميسرة عن الاوزاعي عن هرون بن رباب عن عبد الله بن عمرو بن وائل انه لما حضرته الوفاة قال ان فلانا خطب الى ابنتي واني كنت قلت له فيها قولا شبيها بالعدة والله لا ألقى الله بثلث النفاق وأشهدكم اني قد زوجته وقال قوم كان العهد الذي عاهد الله هؤلاء المنافقون شيئا في أنفسهم ولم يتكلموا به ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال سمعت معتمر بن سليمان التيمي يقول ركبت البحر فأصابنا ريح شديدة فنذر قوم منا نذورا ونويت أنا لم أتكلم به فلما قدمت البصرة سألت أبا سليمان فقال لي يا بني فه به قال معتمر وحدثنا كهمس عن سعيد بن ثابت قال قوله ومنهم من عاهد الله الآية قال انما هو شيء نووه في أنفسهم ولم يتكلموا به ألم تسمع الى قوله ألم يعلموا ان الله يعلم سرهم ونجواهم وان الله علام الغيوب ۞ القول في تأويل قوله (ألم يعلموا ان الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب) يقول تعالى ذكره ألم يعلم هؤلاء المنافقون الذين يكفرون بالله ورسوله سرا ويظهرون الايمان بهما لاهل الايمان جهرا ان الله يعلم سرهم الذي يسرونه في

سريع الاغترار بكل مايسمع ويجوز أن يراد بالايذاء أنواع أخر سوى هذا القول أي يؤذونه بالغيبة والنميمة وسائر أنواع الأذية ويقولون في وجه الاعتذار عن ذلك هو أذن يقبل كل مايسمع فنحن نأتيه فنعتذر اليه فيسمع عذرنا فيرضى ثم انه سبحانه أجاب عن قولهم فقال قل أذن خير لكم بالاضافة كقولهم رجل صدق يريدون الجودة والصلاح ومجوز الاضافة هو الملابسة كأنه قيل نعم هو أذن ولكن نعم الاذن اذ أريد هو أذن في الخير والحق وفيما يجب سماعه وقبوله وليس باذن في غير ذلك ويؤيده قراءة حمزة ورحمة بالجر عطفا عليه عطف الخاص على العام أي هو أذن خير ورحمة لا يسمع ولا يقبل غيرهما ثم بين كونه أذن خير بأنه يؤمن بالله أي يقر به ويعترف بوحدانيته لما قام عنده من الادلة ويؤمن للمؤمنين يسلم لهم قولهم لوثوقه بقولهم وعلمه باخلاصهم لا لكونه من أهل الغرة والبله وهو رحمة للذين آمنوا منكم باللسان دون الجنان لانه يجري أمركم على الظاهر ولا يبالغ في التفتيش عن بواطنكم فان الله هو الذي يتولى السرائر ولهذا ختم الآية بقوله والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم وأما من قرأ أذن خير بالرفع فيهما فعلى أن الاذن خبر مبتدأ محذوف وخير كذلك أي هو أذن هو خير والمعنى هو أذن موصوف بالخيرية في حقكم لانه يقبل معاذيركم ويتغافل عن جهالاتكم فيحفظ بذلك دماءكم وأموالكم وقيل النقدير قل أذن واعية سامعة للحق خير لكم من هذا الطعن الفاسد ثم ذكر بعده مايدل على فساد هذا الطعن وهو قوله يؤمن بالله الى آخره ووجه ثالث ذكره صاحب النظم واستحسنه الواحدي وهو أن قوله أذن وان كان رفعا في الظاهر لكنه نصب في الحقيقة على الحال وتأويله قل هو أذنا خير لكم ثم ذكر أن من قبائح المنافقين اقدامهم على الايمان الكاذبة فقال يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه أي كان من الواجب أن يرضوا الله تعالى بالاخلاص والتوبة لا باظهار ما يستسرون خلافه وانما لم يقل يرضوهما تعظيما لله بالافراد بالذكر أو المراد والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك أو وقع الاكتفاء بذكر الله لان رضى الله ورضى رسوله شيء واحد كما يقال احسان زيد واجماله بعثني ومعنى ان كنتم مؤمنين أي بزعمكم ثم وبخهم بقوله ألم يعلموا وذلك انه يقال ذلك لمن تولع في تعليم مدة ثم لم يظهر عليه أثر العلم والرشد وكان النبي صلى الله عليه وسلم طال مكثه فيهم وكثر تحذيره عن المعصية وترغيبه في الطاعة والضمير في قوله انه للشأن وفائدته مزيد التعظيم والتهويل والمحادة المخالفة لان كلا منهما في حد غير حد صاحبه كالمشاقة لان كلا منهما في شق آخر وقال أبو مسلم هي من الحديد يعني حديد السلاح ثم ذكر الجزاء فقوله فان له بالفتح أي فحق ان له نار جهنم وقيل ان مكرر للتأكيد والتقدير فله نار جهنم وقيل فان معطوف على انه وجواب من محذوف وهو يهلك قال الزجاج يجوز كسران على الاستئناف بعد الفاء ولكن القراءة بالفتح ونقل الكعبي في تفسيره انه قرأ بالكسر قال السدي نزل في جمع من المنافقين والله لوددت اني قدمت فجلدت مائة جلدة ولا ينزل

في أنفسهم من الكفر به وبرسوله ونجواهم يقول ونجواهم اذا تناجوا بينهم بالطعن في الاسلام وأهله وذكرهم بغير ماينبغي أن يذكروا به فيحذروا من الله عقوبته أن يحلها بهم وسطوته أن يوقعها بهم على كفرهم بالله وبرسوله وغشهم للاسلام وأهله فينزعوا عن ذلك ويتوبوا منه وأن الله علام الغيوب يقول ألم يعلموا ان الله علام ماغاب عن اسماع خلقه وأبصارهم وحواسهم مما أكنته نفوسهم فلم يظهر على جوارحهم الظاهرة فينهاهم ذلك عن خداع أوليائه بالنفاق والكذب ويزجرهم عن اضمار غير مايبدونه واظهار خلاف مايعتقدونه ۞ القول في تأويل قوله (الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم) يقول تعالى ذكره الذين يلمزون المطوعين في الصدقة على أهل المسكنة والحاجة بما لم يوجبه الله عليهم في أموالهم ويطعنون فيها عليهم بقولهم انما تصدقوا به رياء وسمعة ولم يريدوا وجه الله ويلمزون الذين لا يجدون ما يتصدقون به الا جهدهم وذلك طاقتهم فينتقصونهم ويقولون لقد كان الله عن صدقة هؤلاء غنيا سخرية منهم بهم فيسخرون منهم سخر الله منهم وقد بينا صفة سخرية الله بمن يسخر به من خلقه في غير هذا الموضع بما أغنى عن اعادته ههنا ولهم عذاب أليم يقول ولهم من عند الله يوم القيامة عذاب موجع مؤلم وذكر ان المعني بقوله المطوعين من المؤمنين عبد الرحمن بن عوف وعاصم بن عدي الانصاري وان المعني بقوله والذين لا يجدون الا جهدهم أبو عقيل الاراشي أخو بني أنيف ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات قال جاء عبد الرحمن بن عوف باربعين أوقية من ذهب الى النبي صلى الله عليه وسلم وجاءه رجل من الانصار بصاع من طعام فقال بعض المنافقين والله ماجاء عبد الرحمن بما جاء به الا رياء وقالوا ان كان الله ورسوله لغنيين عن هذا الصاع حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى الناس يوما فنادى فيهم ان اجمعوا صدقاتكم فجمع الناس صدقاتهم ثم جاء رجل من أحوجهم بمن من تمر فقال يارسول الله هذا صاع من تمر بت ليلتي أجر بالجرير الماء حتى نلت صاعين من تمر فامسكت أحدهما وأتيتك بالآخر فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينثره في الصدقات فسخر منه رجال وقالوا والله ان الله ورسوله لغنيان عن هذا وما يصنعان بصاعك من شيء ثم ان عبد الرحمن بن عوف رجل من قريش من بني زهرة قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم هل بقي من أحد من أهل هذه الصدقات فقال لا فقال عبد الرحمن بن عوف ان عندي مائة

فحدثني فيفضحنا فأنزل الله تعالى يحذر المنافقون وقال مجاهد كانوا يقولون القول بينهم ثم يقولون عسى ان لا يفشى علينا سرنا فنزلت والضمير في عليهم وفي تنبئهم للمؤمنين وفي قلوبهم للمنافقين لان السورة اذا نزلت في معناهم فهي نازلة عليهم وكأنها تخبرهم بما في بواطنهم وتذيع عليهم أسرارهم قيل المنافق كافر فكيف يحذر نزول الوحي لانه غير قائل به وأجيب بانهم عرفوا ذلك بالتجربة أو كفرهم كان كفر عناد أو كانوا شاكين في صحة نبوته والشاك في أمر خائف من وقوعه أو هذا الخبر في معنى الامر أي ليحذر المنافقون عن أبي مسلم انهم أظهروا هذا الحذر على سبيل الاستهزاء ولهذا أجابهم الله بقوله استهزؤا وهو أمر تهديد ان الله مخرج ما تحذرون ان يظهر ما تحذرونه من نفاقكم أو محصل انزال السورة لان الشيء اذا حصل بعد عدم فكان فاعله أخرجه من العدم الى الوجود قوله ولئن سألتهم الآية عن ابن عمر ان رجلا من المنافقين قال في غزوة تبوك ما رأيت مثل هذه القراء أرغب (١٢٢) بطونا أي أوسع ولا أكذب ألسنا ولا أجبن عند اللقاء يعني رسول الله وأصحابه فقال واحد من المؤمنين كذبت وأنت منافق ثم ذهب ليخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد القرآن قد سبقه فجاء ذلك الرجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ارتحل وركب ناقته فقال يا رسول الله انا كنا نلعب ونتحدث بحديث نقطع به عنا الطريق قال ابن عمر رأيت عبد الله بن أبي يشتد قدام رسول الله صلى الله عليه وسلم والحجارة تنكبه وهو يقول انما كنا نخوض ونلعب والنبي صلى الله عليه وسلم يقول أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن ما يلتفت اليه ولا يزيد عليه وقال الحسن وقتادة بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في غزوة تبوك وركب من المنافقين يسيرون بين يديه فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد أن يفتح قصور الشام وحصونها هيهات هيهات فاطلع الله عز وجل نبيه على ذلك فقال احبسوا على الركب فأتاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يا رسول الله انما كنا نخوض ونلعب قال الواحدي أصل الخوض الدخول في مائع مثل الماء والطين ثم كثر حتى أطلق على كل دخول فيه تلويث وأذى أي كنا نخوض في الباطل كما يخوض الركب لقطع الطريق فأنزل ثم أمر نبيه بان يقول في جوابهم أبالله أي بتكاليفه أو باسمائه أو بقدرته حيث استبعدتم اعانة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه على فتح قصور الشام وآياته يعني القرآن ورسوله كنتم تستهزؤن لم يعبأ باعتذارهم فجعلوا كأنهم معترفون بوقوع الاستهزاء منهم فأوقع الانكار على الاستهزاء بالله بأن أولى الاستفهام الذي يفيد التقرير المستهزأ به ولم يقل أتستهزؤن بالله ثم قال لا تعتذروا ونقل الواحدي عن أئمة اللغة ان معنى الاعتذار محو أثر الذنب أو قطعه من قولهم اعتذر المنزل اذا درس واعتذرت المياه اذا انقطعت ومنه عذرت الجارية لانها تعذر أي تقطع والعذر سبب لقطع اللوم نهاهم الله عن الاعتذار بالخوض واللعب لان الشيء الذي يوجب الكفر لا يصلح للعذر ثم بين ذلك بقوله قد كفرتم أي صرحتم بالكفر بعد ايمانكم أي بعد الايمان الذي أظهرتموه وفيه ان الاستهزاء بالدين كيف كان كفر بالله صريح لان العمدة الكبرى في الايمان

أوقية من ذهب في الصدقات فقال له عمر بن الخطاب أمجنون أنت فقال ليس بي جنون فقال أتعلم ما فعلت قال نعم مالي ثمانية آلاف أما أربعة آلاف فأقرضها ربي وأما الاربعة آلاف فلي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أعطيت وكره المنافقون فقالوا والله ما أعطى عبد الرحمن بن عوف عطيته الا رياء وهم كاذبون انما كان به متطوعا فأنزل الله عذره وعذر صاحبه المسكين الذي جاء بالصاع من التمر فقال الله في كتابه الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات الآية حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو اسامة عن شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين قال جاء عبد الرحمن بن عوف بصدقة ماله أربعة آلاف فلمزه المنافقون وقالوا راءى والذين لا يجدون الا جهدهم قال رجل من الانصار آجر نفسه بصاع من تمر لم يكن له غيره فجاء به فلمزوه وقالوا كان الله غنيا عن صاع هذا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد نحوه حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد نحوه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين الآية قال أقبل عبد الرحمن بن عوف بنصف ماله فتقرب به الى الله فلمزه المنافقون فقالوا ما أعطى ذلك الا رياء وسمعة فأقبل رجل من فقراء المسلمين يقال له حباب أبو عقيل فقال يا نبي الله بت أجر الجرير على صاعين من تمر أما صاع فأمسكته لاهلي وأما صاع فها هو ذا فقال المنافقون والله ان الله ورسوله لغنيان عن هذا فأنزل الله في ذلك القرآن الذين يلمزون الآية حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات قال تصدق عبد الرحمن بن عوف بشطر ماله وكان ماله ثمانية آلاف دينار فتصدق باربعة آلاف دينار فقال ناس من المنافقين ان عبد الرحمن بن عوف لعظيم الرياء فقال الله الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات وكان لرجل صاعان من تمر فجاء باحدهما فقال ناس من المنافقين ان كان الله عن صاع هذا لغنيا فكان المنافقون يطعنون عليهم ويسخرون بهم فقال الله والذين لا يجدون الا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم حدثني المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال الانماطي قال ثنا أبو عوانة عن أبي سلمة عن أبيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تصدقوا فاني أريد أن أبعث بعثا قال فقال عبد الرحمن بن عوف يا رسول الله ان عندي أربعة آلاف ألفين أقرضهما الله وألفين لعيالي قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما أعطيت وبارك لك فيما أمسكت فقال رجل من الانصار وان عندي صاعين من تمر صاعا لربي وصاعا لعيالي قال فلمز المنافقون وقالوا ما أعطى ابن عوف هذا الا رياء وقالوا أو لم يكن الله غنيا عن صاع هذا

هو التعظيم لامر الله والشرائع ان نعف عن طائفة منكم ذكر المفسرون انهم كانوا ثلاثة استهزأ اثنان وضحك الثالث ولما كان ذنب الضاحك أخف لانه لم يوافق القوم في الكفر فلا جرم عفا الله عنه وفيه اشارة الى انه من خاض في عمل باطل فعليه أن يجتهد في التقليل ويحذر من الانهماك فانه يرجى له بتركه ذلك القليل أن يعفو الله عنه الكل قال الزجاج الطائفة في اللغة الجماعة لانها الذي يمكنه أن يطيف بالشئ ثم يجوز أن يسمى الواحد بالطائفة قال تعالى وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين وأقله الواحد وروى الفراء باسناده عن ابن عباس انه قال طائفة الواحد فما فوقه ووجه بان من اختار مذهبا فانه ينصره ويذب عنه من كل الجوانب فلا يبعد أن يسمى طائفة بهذا السبب والباء للمبالغة وقال ابن الانباري العرب قد توقع لفظ الجمع على الواحد وقال تعالى الذين قال لهم الناس يعني نعيم بن مسعود ثم علل كونه معذبا للطائفة الثانية بانهم كانوا مجرمين أى مصرين مستمرين على الجرم ويجوز أن (١٢٣) يكون سبب العفو عن الطائفة الاولى احداثهم التوبة واخلاصهم الايمان بعد النفاق ويجوز أن يراد بالعذاب العذاب العاجل ومن قرأ ان يعف على البناء للمفعول والتذكير فلانه مستند الى الظرف كما تقول سير بالدابة دون سيرت وقرئ بالتأنيث ذهابا الى المعنى كانه قيل ان ترحم طائفة ثم ذكر جملة أحوال المنافقين وان اناثهم في ذلك كذكورهم فقال المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض أى في صفة النفاق وأريد به نفي أن يكونوا من المؤمنين وتكذيبهم في قولهم انهم لمنكم وتقرير قوله وماهم منكم ثم فصل ذلك المجمل ببيان مضادة حالهم لحال المؤمنين فقال يامرون بالمنكر وهو كل قبيح عقلا أو شرعا وأعظم ذلك تكذيب الله ورسوله وينهون عن المعروف وهو كل حسن عقلا أو شرعا وأعظم ذلك الاخلاص في الايمان ويقبضون أيديهم من كل خير أو عن كل واجب كصدقة أو زكاة أو انفاق في سبيل الله وهذا أولى ليتوجه الذم بتركه وقبض الايدي كناية عن الشح والبخل كبسطها في الكرم والسخاء نسوا الله اغفلوا أمره وتركوا ذكره وذلك ان النسيان الحقيقي لا يتوجه عليه الذم فنسيهم جازاهم بان صيرهم بمنزلة المنسي من ثوابه ورحمته وهذا على سبيل المزاوجة والطباق وانما جعل النسيان عبارة عن ترك الذكر لان من نسي شيأ لم يذكره فدل بذكر الملزوم على اللازم ثم قال ان المنافقين هم الفاسقون وفيه دليل على انهم هم الكاملون في الفسق وان على المسلم أن يحترز عما يكسبه هذا الاسم ثم بين مآل حال أهل النفاق والكفر فقال وعد الله الآية ومعنى خالدين فيها مقدرين الخلود فيها قاله في الكشاف ويحتمل أن يراد مستأهلين للخلود هي حسبهم كافيهم في الجزاء والايلام ومع ذلك فقد لعنهم الله لكون العذاب مقرونا بالاهانة والطرد ولهم عذاب مقيم نوع آخر من العذاب الدائم سوى عذاب النار أو عذاب عاجل لا ينفكون عنه من تعب النفاق والخوف من افتضاحهم ثم شبه المنافقين بالكفار الذين كانوا قبلهم في الامر بالمنكر والنهي عن المعروف وقبض الايدي عن الخيرات فقال ملتفتا من الغيبة الى الخطاب كالذين من قبلكم أي

فانزل الله الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين الى آخر الآية **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن سعد قال أخبرنا أبو جعفر عن الربيع بن أنس في قوله الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات قال أصاب الناس جهد شديد فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتصدق فجاء عبد الرحمن باربعمائة أوقية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم بارك له فيما أمسك فقال المنافقون مافعل عبد الرحمن هذا الارياء وسمعة قال وجاء رجل بصاع من تمر فقال يارسول الله آجرت نفسي بصاعين فانطلقت بصاع منهما الى أهلي وجئت بصاع من تمر فقال المنافقون ان الله غني عن صاع هذا فانزل الله هذه الآية والذين لا يجدون الا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات الآية وكان من المطوعين من المؤمنين في الصدقات عبد الرحمن بن عوف تصدق باربعة آلاف دينار وعاصم بن عدي أخو بني عجلان وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رغب في الصدقة وحض عليها فقام عبد الرحمن بن عوف فتصدق باربعة آلاف درهم وقام عاصم بن عدي فتصدق بمائة وسق من تمر فلمزوهما وقالوا ماهذا الارياء وكان الذي تصدق بجهده أبو عقيل أخو بني أنيف الاراشي حليف بني عمرو بن عوف أتى بصاع من تمر فافرغه في الصدقة فتضاحكوا به وقالوا ان الله لغني عن صاع أبي عقيل **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا أبو النعمان الحكم بن عبد الله قال ثنا شعبة عن سليمان عن أبي وائل عن ابن مسعود قال لما نزلت آية الصدقة كنا نحامل قال أبو النعمان كنا نعمل قال فجاء رجل فتصدق بشئ كثير قال وجاء رجل فتصدق بصاع تمر فقالوا ان الله لغني عن صاع هذا فنزلت الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا زيد بن حباب عن موسى بن عبيدة قال ثني خالد بن يسار عن ابن أبي عقيل عن أبيه قال بت أجتر الجرير على ظهري على صاعين من تمر فانقلبت باحدهما الى أهلي يتبلغون به وجئت بالآخر اتقرب به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته فقال انثره في الصدقة فسخر المنافقون منه وقالوا لقد كان الله غنيا عن صدقة هذا المسكين فانزل الله الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات الآيتين **حدثني** يعقوب قال ثنا ابن علية قال أخبرنا الجريري عن أبي السليل قال وقف علينا رجل في الحي فقال ثني أبي أو عمي فقال شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول من يتصدق اليوم بصدقة أشهد له بها عند الله يوم القيامة قال وعلي عمامة لي قال فنزعت لوثا أو لوثين لاتصدق بهما قال ثم أدركني ما يدرك ابن آدم فعصبت بها رأسي قال فجاء رجل لا أرى بالبقيع رجلا أقصر قامة ولا أشد سوادا ولا أذم لعين منه يقود

أنتم مثل الذين * وفعلتم مثل فعل الذين من قبلكم فعلى الاول محل الكاف رفع وعلى الثاني نصب ثم وصف أولئك الكفار بانهم كانوا أشد قوة أي جسامة من هؤلاء المنافقين وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم وهو ما خلق للانسان أي قدر له من خير كما قيل له قسم لانه قسم ونصيب لانه نصيب أي أثبت فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم قيل ما الفائدة في ذكر الاستمتاع بالخلاق في حق الاولين مرة ثم ذكره في حق المنافقين ثانيا ثم تكريره في حق الاولين ثالثا وأجيب بانه تعالى ذم الاولين بالاستمتاع بما أوتوا من حظوظ الدنيا وحرمانهم عن سعادة الآخرة بسبب استغراقهم في تلك الحظوظ فلما قرر تعالى هذا الذم عاد فشبه حال المنافقين بحالهم فيكون ذلك نهاية في المبالغة قال جار الله نظيره ان تقول لبعض الظلمة أنت مثل فرعون كان يقتل بغير جرم ويعذب وأنت تفعل مثل فعله واما قوله وخضتم كالذي خاضوا فعطوف على ما قبله مستند اليه (١٢٤) مستغن باسناده اليه عن تلك التقدمة ومعنى كالذي كالخوض الذي خاضوه أو كالفوج الذي خاضوا وقيل أصله كالذين فحذف النون ثم بين ان أولئك الكفار لم يحصل لهم الا حبوط الاعمال اما في الدنيا فبسبب الفقر والانتقال من العز الى الذل ومن القوة الى الضعف واما في الآخرة فلانهم هلكوا وبادوا وانتقلوا الى العقاب الدائم وخسران الدارين فهؤلاء المنافقون المشاركون لهم في هذه الاعمال والفضائح مع ضعف بأسهم وقلة عددهم وعددهم أولى بخزي الدارين وخسار الامرين * التأويل انما الصدقات وهي صدقات مواهب الله كما قال صلى الله عليه وسلم ما من يوم ولا ليلة ولا ساعة الا لله فيها صدقة على من يشاء من عباده للفقراء وهم الاغنياء بالله الذين فنوا عنهم وبقوا به والمساكين الذين لهم بقية أوصاف الوجود ألقوا سفينة القلب في بحر الطلب وقد خرقها خضر المحبة وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا والعاملين عليها وهم أرباب الاعمال كما كان الفقراء والمساكين أرباب الاحوال والمؤلفة قلوبهم الذين تتألف قلوبهم بذكر الله وفي الرقاب الذين يريدون أن يتخلصوا عن رق الموجودات بحريا العبودية موحدها والمكاتب عبد ما بقي عليه درهم والغارمين الذين استقرضوا من مراتب المكونات أوصافها وطبائعها وخواصها وهم محبوسون في سجن الوجود فهم معاونون بتلك الصدقات للخلاص عن حبس الوجود وفي سبيل الله المجاهدين والجهاد الاكبر مع كفار النفوس والهوى والشيطان والدنيا وابن السبيل المسافرون عن أوصاف الطبيعة وعالم البشرية السائرون الى الله على اقدام الشريعة والطريقة فريضة من الله أوجبها على ذمة كرمه كما قال الامن طلبني وجدني والله عليم بطالبيه حكيم في معاونتهم بعد الطلب كقوله من تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا ويقولون هو أذن رأوا معاملته بنظر المذمة والعيب قل أذن خير لكم أي سامعته خير لكم لان له مقام السامعية يسمع ما يوحى اليه يؤمن بالله عيانا ويؤمن للمؤمنين لان فوائد ايمانه تعود اليهم كما تعود الى نفسه ورحمة للذين آمنوا لانهم يهتدون بهداه والذين يؤذون رسول الله باقوالهم وأفعالهم وأحوالهم المتطوعين

ناقة لا أرى بالبقيع أحسن منها ولا أجمل منها قال أصدقة هي يا رسول الله قال نعم قال فدونكها فالقى بخطامها أو بزمامها قال فلمزه رجل جالس فقال والله انه ليتصدق بها ولهي خير منه فنظر اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بل هو خير منك ومنها يقول ذلك نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني يونس عن ابن شهاب قال أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك يقول الذي تصدق بصاع التمر فلمزه المنافقون أبو خيثمة الانصاري حدثني المثنى قال ثنا محمد بن رجاء أبو سهل العباداني قال ثنا عامر بن يساف اليمامي عن يحيى بن أبي كثير اليمامي قال جاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله مالي ثمانية آلاف جئتك بأربعة آلاف فاجعلها في سبيل الله وأمسكت أربعة آلاف لعيالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله فيما أعطيت وفيما أمسكت وجاء رجل آخر فقال يا رسول الله بت الليلة أجر الماء على صاعين فاما أحدهما فتركت لعيالي وأما الآخر فجئتك به اجعله في سبيل الله فقال بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت فقال ناس من المنافقين والله ما أعطى عبد الرحمن الا رياء وسمعة ولقد كان الله ورسوله غنيين عن صاع فلان فانزل الله الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات يعني عبد الرحمن بن عوف والذين لا يجدون الا جهدهم يعني صاحب الصاع فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال قال ابن عباس أمر النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين أن يجمعوا صدقاتهم واذا عبد الرحمن بن عوف قد جاء بأربعة آلاف فقال هذا مالي أقرضه الله وقد بقي لي مثله فقال له بورك لك فيما أعطيت وفيما أمسكت فقال المنافقون ما أعطى الا رياء وما أعطى صاحب الصاع الا رياء ان كان الله ورسوله لغنيين عن هذا وما يصنع الله بصاع من شئ حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات الى قوله ولهم عذاب أليم قال أمر النبي عليه السلام المسلمين أن يتصدقوا فقام عمر بن الخطاب فالقى مالا وافرا فاخذ نصفه قال فجئت أحمل مالا كثيرا فقال له رجل من المنافقين ترائي يا عمر فقال عمر أرائي الله ورسوله وأما غيرهما فلا قال ورجل من الانصار لم يكن عنده شئ فواجر نفسه ليجر الجرير على رقبته بصاعين ليلته فترك صاعا لعياله وجاء بصاع يحمله فقال له بعض المنافقين ان الله ورسوله عن صاعك لغنيان فذلك قول الله تبارك وتعالى الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم هذا الانصاري فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم وقد بينا معنى اللمز في كلام العرب بشواهده وما فيه من اللغة والقراءة فيما مضى واما قوله المطوعين فان معناه

يحذر المنافقون والحذر لا يغني عن القدر ان نعف عن طائفة اظهار الفضل ولرأفة نعذب طائفة اظهار القهر والعزة ولكن اظهار اللطف بلا سبب واظهار القهر لا يكون الا بسبب انهم كانوا مجرمين وبعضهم من بعض لان أرواحهم كانت في صف واحد في الازل فعاملاتهم من نتائج خصوصيات أرواحهم نسوا الله ولو ذكروه قبل الاتيان بالمعاصي لم يفعلوا ما فعلوا ولو ذكروه بعد الاتيان لاستغفروا فغفر لهم هي حسبهم لانها نصيبهم في الازل كانوا أشد منكم قوة بالاستعداد الفطري وضيعوها في الاستمتاع العاجل فخسروا رأس المال ولم يربحوا (ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات أتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم وعد الله المؤمنين (١٢٥) والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا الا ان أغناهم الله ورسوله من فضله فان يتوبوا يك خيرا لهم وان يتولوا يعذبهم الله عذابا أليما في الدنيا والآخرة وما لهم في الارض من ولي ولا نصير ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فأعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم)

* القراآت والمؤتفكات وبابه بغير همز أبو عمرو وغير شجاع وورش ويزيد والحلواني عن قالون والاعشى وحمزة في الوقف * الوقوف والمؤتفكات ط بالبينات ج لابتداء النفي مع فاء التعقيب يظلمون ه أولياء ط من بعض ه لما مر ورسوله ط سيرحمهم الله ط حكيم ه عدن ط أكبر ط العظيم ه واغلظ عليهم ط جهنم ط المصير ه ماقالوا ط لم ينالوا ج من فضله ط خيرا لهم ج والآخرة ج ولا نصير ه من الصالحين ه معرضون ه يكذبون ه علام الغيوب ه ج لاحتمال النصب أو الرفع على الذم وكونه بدلا من الضمير في نجواهم فيسخرون منهم ط سخر الله منهم ط لانعدام الجزاء مع اختلاف النظم أليم ه * التفسير لما شبه المنافقين بالكفار المتقدمين في تكذيب الانبياء والاشتغال بالنعيم الزائل بين أن أولئك الكفار من هم فذكرت طوائف سمع العرب أخبارهم لان بلادهم وهي الشام قريبة من بلادهم وقد بقيت آثارهم مشاهدة ولهذا قصد بالكلام بحرف الاستفهام للتقرير فأولهم قوم نوح وقد أهلكوا باغراق وثانيهم قوم عاد وأهلكوا بالريح العقيم وثالثهم ثمود

المتطوعين أدغمت التاء في الطاء فصارت طاء مشددة كما قيل ومن يطوع خيرا يعني يتطوع وأما الجهد فان للعرب فيه لغتين يقال أعطاني من جهده بضم الجيم وذلك فيما ذكر لغة أهل الحجاز ومن جهده بفتح الجيم وذلك لغة نجد وعلى الضم قراءة الامصار وذلك هو الاختيار عندنا لاجماع الحجة من القراء عليه وأما أهل العلم بكلام العرب من رواة الشعر وأهل العربية فانهم يزعمون انها مفتوحة ومضمومة بمعنى واحد وانما اختلاف ذلك لاختلاف اللغة فيه كما اختلفت لغاتهم في الوجد والوجد بالضم والفتح من وجدت وروي عن الشعبي في ذلك ما حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح عن عيسى بن المغيرة عن الشعبي قال الجهد والجهد في العمل والجهد في القوت حدثنا ابن وكيع قال ثنا حفص عن عيسى بن المغيرة عن الشعبي مثله قال ثنا ابن ادريس عن عيسى ابن المغيرة عن الشعبي قال الجهد في العمل والجهد في العيشة ﴿ القول في تأويل قوله (استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ادع الله لهؤلاء المنافقين الذين وصف صفاتهم في هذه الآيات بالمغفرة أو لا تدع لهم بها وهذا كلام خرج مخرج الامر وتأويله الخبر ومعناه ان استغفرت لهم يا محمد أو لم تستغفر لهم فلن يغفر الله لهم وقوله ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم يقول ان تسأل لهم أن تستر عليهم ذنوبهم بالعفو منه لهم عنها وترك فضيحتهم بها فلن يستر الله عليهم ولن يعفو لهم عنها ولكنه يفضحهم بها على رؤس الاشهاد يوم القيامة ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله يقول جل ثناؤه هذا الفعل من الله لهم وهو ترك عفوه لهم عن ذنوبهم من أجل انهم جحدوا توحيد الله ورسالة رسوله وانه لا يهدي القوم الفاسقين يقول والله لا يوفق للايمان به وبرسوله من آثر الكفر به والخروج عن طاعته على الايمان به وبرسوله ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه حين نزلت هذه الآية قال لأزيدن في الاستغفار لهم على سبعين مرة رجاء منه ان يغفر الله لهم فنزلت سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبدة بن سليمان عن هشام بن عروة عن أبيه ان عبد الله بن أبي ابن سلول قال لاصحابه لولا انكم تنفقون على محمد وأصحابه لانفضوا من حوله وهو القائل لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فأنزل الله استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم قال النبي صلى الله عليه وسلم لأزيدن على السبعين فأنزل الله سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم فأبى الله تبارك وتعالى ان يغفر لهم حدثنا ابن حميد وابن وكيع قالا ثنا جرير عن مغيرة عن شباك عن الشعبي قال دعا عبد الله بن عبد الله بن أبي ابن سلول النبي صلى الله عليه

وما جدوا بالصيحة ورابعهم قوم ابراهيم سلط الله عليهم البعوض وكفى نمرملكهم وهو نمرود ببعوضة واحدة سلطها على دماغه وخامسهم أصحاب مدين قوم شعيب أخذتهم الرجفة وسادسهم أصحاب المؤتفكات قوم لوط أمطر الله عليهم الحجارة بعد ان جعل مدائنهم عاليها سافلها والائتفاك الانقلاب سميت مدائنهم بذلك لان الله تعالى قلبها عليهم ويمكن أن يراد بالمؤتفكات الناس لانقلاب أحوالهم من الخير الى الشر ثم قال أتتهم رسلهم بالبينات أي بالمعجزات ولا بد بعد هذا من اضمار والتقدير فكذبوهم فاهلكهم الله فما كان الله ليظلمهم قالت المعتزلة أي ما صح منه الظلم ولكنهم استحقوا ذلك بسبب كفرهم وقدم الكلام في أمثال ذلك ثم بين ان شأن المؤمنين في الدنيا والآخرة بخلاف المنافقين فقال والمؤمنون الآية قال بعض العلماء انه قال ههنا أولياء بعض وهنالك من بعض لان نفاق اتباع المنافقين حصل بسبب التقليد لا كارهم وبمقتضى الطبع والعادة (١٢٦) بخلاف الموافقة بين المؤمنين فانها بسبب المشاركة في الاستدلال والتوفيق والهداية

وأقول كون بعض المنافقين من بعض يوجب اشتراكهم في أمر من الامور بالجملة كالدار أو حكم من الاحكام الشرعية أو سيرة وطريقة وهذا هو المقصود ولكنه يحتمل أن يكون تكافا أو بطريق النفاق لان سببه انعقاد غرض من الاغراض الدنيوية العاجلة فذكر الله تعالى اشتراكهم في ذلك بلفظ منهم لمكان الاحتمال المذكور واما تشارك المؤمنين في السيرة فلما كان سببه الاخلاص والعصبية للدين والاجتماع على ما يفضي الى سعادة الدارين كانت الموالاة بينهم محققة فصرح الله تعالى بذلك ثم وصفهم باضداد صفات المنافقين فقال يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وهاتان الصفتان بالنسبة الى غيرهم ثم قال ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهاتان لهم في أنفسهم وهما بازاء قوله في صفة المنافقين ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون ثم وصفهم بالطاعة على الاطلاق فقال ويطيعون الله ورسوله أي في كل ما يأتون ويذرون ثم ذكر ما أعد لهم من الثواب على سبيل الاجمال اولا فقال أولئك سيرحمهم الله والسين تفيد المبالغة وجهاد في انجاز الوعد بالرحمة كما يؤكد الوعيد به اذا قلت سأنتقم منك يوما يعني انك لا تفوتني وان تباطأ ذلك ثم ختم الآية بقوله ان الله عزيز حكيم وفيه ترغيب للمؤمنين وترهيب للكافرين لان العزيز هو من لا يمنع من مراده في عباده من رحمة أو عقوبة والحكيم هو الذي يدبر عباده على وفق ما يقتضيه العدل والصلاح ثم فصل ما أجمل من الرحمة بقوله وعد الله المؤمنين الآية وقد كثر كلام أصحاب الآثار في معنى جنات عدن فقال الحسن سألت عمران بن الحصين وأبا هريرة عن ذلك فقالا على الخبير سقطت سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هو قصر في الجنة من اللؤلؤ وفيه سبعون دارا من ياقوتة حمراء في كل دار سبعون بيتا من زمردة خضراء في كل بيت سبعون سريرا على كل سرير سبعون فراشا على كل فراش زوجة من الحور العين وفي كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من الطعام وفي كل بيت سبعون وصيفة يعطى المؤمن

وسلم الى جنازة أبيه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم من أنت قال حباب بن عبد الله بن أبي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بل أنت عبد الله بن عبد الله بن أبي ابن سلول ان الحباب هو الشيطان ثم قال النبي عليه السلام انه قد قيل لي استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم فانا استغفر لهم سبعين وسبعين وسبعين وألبسه النبي صلى الله عليه وسلم قميصه وهو عرق **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ان تستغفر لهم سبعين مرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم سأزيد على سبعين استغفارة فانزل الله في السورة التي يذكر فيها المنافقون لن يغفر الله لهم عزما **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله قال **حدثنا** اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بنحوه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحوه قال **حدثنا** الحسن قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن الشعبي قال لما ثقل عبد الله بن أبي انطلق ابنه الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له ان أبي قد احتضر فأحب ان تشهده وتصلي عليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما اسمك قال الحباب بن عبد الله قال بل أنت عبد الله بن عبد الله بن أبي ان الحباب اسم شيطان قال فانطلق معه حتى شهده وألبسه قميصه وهو عرق وصلى عليه فقيل له أتصلي عليه وهو منافق قال ان الله قال ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ولاستغفرن له سبعين وسبعين قال هشيم وأشك في الثالثة **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله استغفر لهم أو لا تستغفر لهم الى قوله القوم الفاسقين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية أسمع ربي قد رخص لي فيهم فوالله لاستغفرن أكثر من سبعين مرة فلعل الله ان يغفر لهم فقال الله من شدة غضبه عليهم سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ان الله لا يهدي القوم الفاسقين **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم فقال نبي الله قد خيرني ربي فلازيدنهم على سبعين فانزل الله سواء عليهم استغفرت لهم الآية **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال لما نزلت ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لازيدن على سبعين فقال الله سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ۞ القول في تأويل قوله (فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا باموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون) يقول تعالى ذكره فرح الذين خلفهم الله عن الغزو مع رسوله والمؤمنين به

من القوة ما يأتي على ذلك أجمع وعن ابن عباس انها دار الله لم ترها عين ولم يخطر على قلب بشر وقال ابن مسعود جنات عدن بطنان الجنة أي وسطها قاله الازهري و بطنان الاودية المواضع التي يستنقع فيها السيل واحدها بطن وقال عطاء عن ابن عباس هي قصبة الجنة وسقفها عرش الرحمن وهي المدينة التي فيها الرسل والانبياء والشهداء وأئمة الهدى وسائر الجنات حولها وفيها عين التسنيم وفيها قصور الدر والياقوت والذهب فتهب الريح من تحت العرش فيدخل عليهم كثبان المسك الابيض وقال عبد الله بن عمران في الجنة قصرا يقال له عدن حوله البروج وله خمسة آلاف باب على كل باب خمسة آلاف حرة لا يدخله الا نبي أو صديق أو شهيد وفي هذه الاخبار دلالة على ان عدنا علم و يؤيده قوله جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب ولو لم يكن علما لم يوصف بالمعرفة ولا ريب ان أصله صفة من قولك عدن بالمكان اذا أقام به ومنه المعدن للمكان الذي يخلق فيه الجواهر وعلى هذا فالجنات كلها جنات عدن الا أن يغلب الاسم على بعضها ورضوان من الله شئ يسير من رضاه أكبر من ذلك كله لان رضاه سبب كل فوز وكرامة وكل خطب مع رضا المولى هين وكل نعيم مع سخطه منغص وفيه دليل على ان السعادات الروحانية أعلى حالا وأشرف من السعادات الجسمانية بل لا نسبة لتلك اللذة والابتهاج الى هذه على ان الاعتراف بالسعادات الجسمانية واجب من حيث الشرع ذلك الموعود والرضوان هو الفوز العظيم وحده دون ما يعده الناس فوزا في الحديث ان الله عز وجل يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك فيقول انا أعطيكم أفضل من ذلك قالوا وأي شئ أفضل من ذلك قال أدخل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم أبدا ثم عاد مرة أخرى الى شرح أحوال المنافقين فقال يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم قال الضحاك أي جاهد الكفار واغلظ على المنافقين لان المنافق لا تجوز محاربته في ظاهر الشرع وضعف بان الفسق باباه وقيل المراد بهؤلاء المنافقين هم الذين عرف الله حالهم فصاروا كسائر الكفرة لخبرة حالهم و ريبتهم به وان علم حالهم بالوحي الا انه مأمور بأن يحكم بالظاهر والقوم كانوا يظهرون الاسلام فكيف يجوز قتالهم والصحيح ان الجهاد بذل المجهود في حصول المقصود وهو شامل للسيف واللسان فالمراد جاهد الكفار بالسيف والمنافقين وأغلظ عليهم في الجدال جميعا عن ابن مسعود ان لم يستطع بيده فبلسانه فان لم يستطع فليكفهر في وجهه فان لم يستطع فبقلبه ان يكرهه و يبغضه ويتبرأ منه وحمل الحسن جهاد المنافقين على اقامة الحدود عليهم اذا تعاطوا أسبابها واعترض عليه بان اقامة الحدود واجبة على كل فاسق فلا يكون لهذا تعلق بالنفاق واعتذر عنه بانه قال ذلك لان عنده ان كل فاسق منافق أو لان الغالب ممن يقام عليه الحد في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم كونه منافقا قال الضحاك خرج المنافقون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك وكانوا اذا خلا بعضهم الى بعض سبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وطعنوا في الدين فنقل ما قالوا حذيفة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله

وجهاد أعدائه بمقعدهم خلاف رسول الله يقول بجلوسهم في منازلهم خلاف رسول الله يقول على الخلاف لرسول الله في جلوسه ومقعده وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم بالنفر الى جهاد أعداء الله فخالفوا أمره وجلسوا في منازلهم وقوله خلاف مصدر من قول القائل خالف فلان فلانا فهو يخالفه خلافا فلذلك جاء مصدره على تقدير فعال كما يقال قاتله فهو يقاتله قتالا ولو كان مصدرا من خلفه لكانت القراءة بمقعدهم خلف رسول الله لان مصدر خلفه خلاف لا خلاف ولكنه على ما بينت من انه مصدر خالف فقرئ خلاف رسول الله وهي القراءة التي عليها قراء الامصار وهي الصواب عندنا وقد تأول ذلك بعضهم بمعنى بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم واستشهد على ذلك بقول الشاعر

عقب الربيع خلافهم فكأنما * بسط الشواطب بينهن حصيرا

وذلك قريب لمعنى ما قلنا لانهم قعدوا بعده على الخلاف له وقوله وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وأنفسهم في سبيل الله يقول تعالى ذكره وكره هؤلاء المخلفون ان يغزوا الكفار باموالهم وأنفسهم في سبيل الله يعني في دين الله الذي شرعه لعباده لينصروه ميلا الى الدعة والخفض وايثارا للراحة على التعب والمشقة وشحا بالمال ان ينفقوه في طاعة الله وقالوا لا تنفروا في الحر وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم استنفرهم الى هذه الغزوة وهي غزوة تبوك في حر شديد فقال المنافقون بعضهم لبعض لا تنفروا في الحر فقال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهم يا محمد نار جهنم أشد حرا التي أعدها الله لمن خالف أمره وعصى رسوله أشد حرا من هذا الحر الذي تتواصون بينكم أن لا تنفروا فيه يقول الذي هو أشد حرا أحرى ان يحذر ويتقى من الذي هو أقلهما أذى لو كانوا يفقهون يقول لو كان هؤلاء المنافقون يفقهون عن الله وعظه ويتدبرون آي كتابه ولكنهم لا يفقهون عن الله فهم يحذرون من الحر أقله مكروها وأخفه أذى ويوافقون أشده مكروها وأعظمه على من يصلاه بلاء وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله الى قوله يفقهون وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الناس ان ينبعثوا معه وذلك في الصيف فقال رجال يا رسول الله الحر شديد ولا نستطيع الخروج فلا تنفر في الحر فقال الله قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون فامره الله بالخروج حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة بمقعدهم خلاف رسول الله قال هي غزوة تبوك حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو معشر عن محمد بن كعب القرظي وغيره قالوا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في حر شديد الى تبوك فقال رجل من بني سلمة لا تنفروا في الحر فانزل الله قل نار جهنم الآية حدثنا ابن

حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ذكر قول بعضهم لبعض حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجهاد وأجمع السير الى تبوك على شدة الحر وجدب البلاد يقول الله جل ثناؤه وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا ۞ القول في تأويل قوله (فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون) يقول تعالى ذكره فرح هؤلاء المخلفون بقعودهم خلاف رسول الله فليضحكوا فرحين قليلا في هذه الدنيا الفانية بقعودهم خلاف رسول الله ولهوهم عن طاعة ربهم فانهم سيبكون طويلا في جهنم مكان ضحكهم القليل في الدنيا جزاء يقول ثوابا منا لهم على معصيتهم بتركهم النفر اذ استنفروا الى عدوهم وقعودهم في منازلهم خلاف رسول الله بما كانوا يكسبون يقول بما كانوا يجترحون من الذنوب * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن اسمعيل عن أبي رزين فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا قال يقول الله تبارك وتعالى الدنيا قليل فليضحكوا فيها ما شاؤا فاذا صاروا الى الآخرة بكوا بكاء لا ينقطع فذلك الكثير حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن عيان عن منصور عن أبي رزين عن الربيع بن خثيم فليضحكوا قليلا قال في الدنيا وليبكوا كثيرا قال في الآخرة حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن ويحيى قالا ثنا سفيان عن اسمعيل بن سميع عن أبي رزين في قوله فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا قال في الآخرة حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور عن أبي رزين انه قال في هذه الآية فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا قال ليضحكوا في الدنيا قليلا وليبكوا في النار كثيرا وقال في هذه الآية واذا لا تمتعون الا قليلا قال أحدهم أحد هذين الحديثين رفعه الى الربيع بن خثيم حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن فليضحكوا قليلا قال ليضحكوا قليلا في الدنيا وليبكوا كثيرا في الآخرة في نار جهنم جزاء بما كانوا يكسبون حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فليضحكوا قليلا أي في الدنيا وليبكوا كثيرا أي في النار ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ذكر لنا انه نودي عند ذلك أو قيل له لا تقنط عبادي حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن منصور عن أبي رزين عن الربيع بن خثيم فليضحكوا قليلا قال في الدنيا وليبكوا كثيرا قال في الآخرة قال حدثنا أبو معاوية عن اسمعيل بن سميع عن أبي رزين فليضحكوا قليلا قال في الدنيا فاذا صاروا الى الآخرة بكوا بكاء لا ينقطع فذلك الكثير حدثنا علي بن داود قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا قال هم المنافقون والكفار الذين اتخذوا دينهم هزوا ولعبا يقول الله تبارك وتعالى

وعن قتادة أن رجلين اقتتلا رجل من جهينة ورجل من غفار فظهر الغفاري على الجهني فنادى عبد الله بن أبي يا بني الاوس أنصروا أخاكم فوالله ما مثلنا ومثل محمد الا كما قال القائل سمن كلبك يأكلك وقال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فسعى بها رجل من المسلمين الى نبي الله صلى الله عليه وسلم فارسل اليه فجعل يحلف بالله ما قال فنزلت الآية اما قوله وهموا بما لم ينالوا فهو الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم عند مرجعه من تبوك وذلك انه توافق خمسة عشر رجلا منهم على أن يدفعوه عن راحلته الى الوادي اذا تسنم العقبة بالليل وكان عمار بن ياسر أخذ بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبيناهم كذلك اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف الابل وبقعقعة السلاح فالتفت فاذا هم قوم متلثمون فقال اليكم اليكم (١٢٨) يا أعداء الله فهربوا وقيل هم المنافقون بقتل عامر بن قيس لرده على الجلاس بن سويد وقد مر في تفسير قوله يحلفون بالله لكم ليرضوكم وقيل أرادوا أن يتوجوا عبد الله بن أبي وان لم يرض رسول الله صلى الله عليه وسلم وما نقموا وما عابوا الا أن أغناهم كقول القائل * ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * وذلك انهم كانوا حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة في ضنك من العيش لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة فظفروا الغنائم وجمعوا الاموال وروي انه قتل للجلاس مولى فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته اثني عشر ألفا فاستغنى ثم استعطف قلوبهم بعد صدور هذه الجنايات العظيمة عنهم فقال فان يتوبوا يك يعني ذلك الرجوع خيرا لهم وكان الجلاس ممن تاب فحسنت توبته وان يتولوا يعرضوا عن التوبة يعذبهم الله عذابا أليما في الدنيا بالقتل والسبي واغتنام الاموال وقيل بما ينالهم عند الموت ومعاينة ملائكة العذاب وقيل في القبر وأما عذاب الآخرة فمعلوم وما لهم في الارض يحتمل أرض الدنيا وأرض القيامة ثم بين ان هؤلاء كما نافقوا الرسول والمؤمنين فكذلك ينافقون ربهم فيما يعاهدونه عليه فقال ومنهم من عاهد الله يروى عن أبي امامة الباهلي ان ثعلبة بن حاطب الانصاري قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادع الله أن يرزقني مالا فقال ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه ثم قال مرة أخرى فقال اما ترضى أن تكون مثل نبي الله فوالذي نفسي بيده لو شئت أن تسيل معي الجبال فضة وذهبا لسالت فقال والذي بعثك بالحق لئن دعوت الله أن يرزقني مالا لأوتين كل ذي حق حقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة مالا فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها ونزل واديا من أوديتها حتى جعل يصلي الظهر والعصر في جماعة ويترك ما سواهما ثم نمت وكثرت حتى ترك الصلوات الا الجمعة وهي تنمو كما ينمو الدود حتى ترك الجمعة فسأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبر واخبره فقال يا ويح ثعلبة ثلاثا ونزل الله عز وجل خذ من أموالهم صدقة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلين على

فليضحكوا

فليضحكوا قليلا في الدنيا وليبكوا كثيرا في النار **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فليضحكوا في الدنيا قليلا وليبكوا يوم القيامة كثيرا وقال ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون حتى بلغ هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون ۞ القول في تأويل قوله (فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا انكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين) يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فان ردك الله يا محمد الى طائفة من هؤلاء المنافقين من غزوتك هذه فاستأذنوك للخروج معك في أخرى غيرها فقل لهم لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا انكم رضيتم بالقعود أول مرة وذلك عند خروج النبي صلى الله عليه وسلم الى تبوك فاقعدوا مع الخالفين يقول فاقعدوا مع الذين قعدوا من المنافقين خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم لانكم منهم فاقتدوا بهديهم واعملوا مثل الذي عملوا من معصية الله فان الله قد سخط عليكم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قال قال رجل يا رسول الله الحر شديد ولا نستطيع الخروج فلا تنفر في الحر وذلك في غزوة تبوك فقال الله قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون فأمره الله بالخروج فتخلف عنه رجال فأدركتهم نفوسهم فقالوا والله ما صنعنا شيأ فانطلق منهم ثلاثة فلحقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أتوه تابوا ثم رجعوا الى المدينة فأنزل الله فان رجعك الله الى طائفة منهم الى قوله ولا تقم على قبره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هلك الذين تخلفوا فأنزل الله عذرهم لما تابوا فقال لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الى قوله ان الله هو التواب الرحيم وقال انه بهم رؤف رحيم **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فان رجعك الله الى طائفة منهم الى قوله فاقعدوا مع الخالفين أي مع النساء ذكر لنا انهم كانوا اثني عشر رجلا من المنافقين فقتل منهم ما قتل **حدثني** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فاقعدوا مع الخالفين والخالفون الرجال * قال أبو جعفر والصواب من التأويل في قوله الخالفين ما قال ابن عباس فأما ما قال قتادة من ان ذلك النساء فقول لا معنى له لان العرب لا تجمع النساء اذا لم يكن معهن رجال بالياء والنون ولا بالواو والنون ولو كان معنيا بذلك النساء لقيل فاقعدوا مع الخوالف أو مع الخالفات ولكن معناه ما قلنا من انه أريد به فاقعدوا مع مرضى الرجال وأهل زمانتهم والضعفاء منهم والنساء واذا اجتمع الرجال والنساء في الخبر فان العرب تغلب الذكور على الاناث ولذلك قيل فاقعدوا مع الخالفين والمعنى ما ذكرنا ولو وجه معنى ذلك الى فاقعدوا مع أهل الفساد من قولهم خالف الرجل على أهله يخلف خلوفا اذا فسد ومن قولهم هو خلف

الصدقة رجلا من جهينة ورجلا من بني سليم وكتب لهما كيف يأخذان الصدقة وقال لهما مرا بثعلبة وبفلان رجل من بني سليم فخذا صدقاتهما فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا أخت الجزية ما أرى ما هذا انطلقا حتى تفرغا ثم تعودان الي فانطلقا وأخبرا السلمي فنظر الى خيار أسنان ابله فعزلها للصدقة ثم استقبلهم بها فلما رأوها قالوا ما يجب هذا عليك وما نريد ان نأخذ هذا منك قال بلى خذوه فان نفسي بها طيبة فأخذوها منه ثم رجعا على ثعلبة فقال أروني كتابكما ثم قال ما هذه الا أخت الجزية انطلقا حتى أرى رأيي فانطلقا حتى أتيا النبي صلى الله عليه وسلم فلما رآهما قال يا ويح ثعلبة قبل أن يكلمهما ودعا للسلمي بالبركة ثم نزلت الآية وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم من أقارب ثعلبة فخرج اليه وقال يا ويحك يا ثعلبة قد أنزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله ان يقبل منه صدقته فقال ان الله قد منعني ان أقبل منك صدقتك فجعل يحثو التراب على رأسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عملك قد أمرتك فلم تطعني فلما أبى ان يقبل منه شيأ رجع الى منزله وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقبل منه شيأ ثم أتى أبا بكر حين استخلف فقال قد علمت منزلتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعي من الانصار فاقبل صدقتي فقال لم يقبلها رسول الله وأنا أقبلها فقبض أبو بكر وأبى ان يقبلها ثم جاء بها الى عمر في خلافته فلم يقبلها وكذا في خلافة عثمان ولم يقبل صدقته واحد من الخلفاء اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وأقول وما ذاك الا بشؤم اللجاج أولا وآخرا قال بعض العلماء المعاهدة أعم من أن تكون باللسان أو بالقلب وقال المحققون انه لا بد من التلفظ بها لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله عفا عن أمتي ما حدثت به نفوسهم ولم يتلفظوا به ولان قوله عز من قائل ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من

فضله لنصدقن ظاهره مشعر بالقول اللساني والمراد بالفضل ايتاء السؤال طريق التجارة أو الاستغنام ونحوهما وأصل لنصدقن لنتصدقن أدغمت التاء في الصاد والتصدق المعطي لا السائل كقوله تعالى وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين ومعنى قوله ولنكونن من الصالحين عن ابن عباس انه أراد الحج والعل المراد اخراج كل ما يجب اخراجه اذ لا دليل على التقييد ثم وصفهم بصفات ثلاث فقال فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فالبخل عبارة عن منع الحق الشرعي والتولي نقض العهد والاعراض أراد به الاعجام عن تكاليف الله وان ذلك منهم عادة معتادة وترتيب هذا الذم على منع الصدقة ولاطلاق لفظة البخل عليه وشوفي عرف الشرع عبارة عن منع الواجب ذكر العلماء ان الصدقة الملتزمة في قوله لنصدقن هي الصدقة الواجبة وان الرجل قد عاهد ربه ان يقوم بما يلزمه من الانفاقات الواجبة ان وسع الله عليه دون ما يلتزمه الانسان بالنذر من المندوبات اذ لا دليل في الآية على ذلك مع

ان سبب النزول يأباه فان قيل الزكاة لا تلزم بسبب الالتزام وانما تلزم بسبب ملك النصاب وحلول الحول قلنا ان قوله لنصدقن لا دليل فيه على الفور بل المراد لنصدقن إذا في وقته الذي يليق به وفي الآية دلالة على ان الرجل حين عاهد بهذا العهد كان مسلما ثم انه لما بخل بالمال ولم يف بالعهد صار منافقا ويؤكده قوله سبحانه فاعقبهم نفاقا عن الحسن وقتادة ان أعقب مسند الى ضمير البخل أي أورثهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم لانه كان سببا فيه وباعثا عليه وكذا التأويل ان جعل عائدا الى التولي أو الاعراض وضعف بان حاصل هذه الامور كونه تاركا لاداء الواجب وذلك لا يمكن جعله مؤثرا في حصول النفاق في القلب لان ترك الواجب عدم والنفاق جهل وكفر وهو أمر وجودي والعدم لا يؤثر في الوجود ولان هذا الترك قد يوجد في حق كثير من الفساق مع انه لا يحصل معه النفاق ولانه لو اوجب حصول الكفر في القلب لاوجبه سواء كان الترك جائزا شرعا أو محرما فبسبب (١٣٠) اختلافات الاحكام الشرعية لا يخرج السبب عن كونه مؤثرا ولان البخل أو التولي أو الاعراض هو بعينه خلاف ما وعدوا الله به فيصير تقدير الآية ان التولي أوجب النفاق بسبب التولي وهذا كلام كما ترى فلم يبق الا أن يسند الفعل الى الله تعالى فيكون فيه دليل على ان خالق الكفر في القلوب هو الله ومن هنا قال الزجاج معناه انهم لما ضلوا في الماضي فالله تعالى يضلهم عن الدين في المستقبل ومما يؤكد القول بان الضمير في اعقب لله ان الضمير في قوله الى يوم يلقونه عائد الى الله والمعتزلة أن يقولوا النفاق وان سلم انه وجودي لكنه أمر شرعي ولا يبعد جعل شيء عدمي امارة عليه وأيضا الترك المقرون بالتولي والاعراض لا نسلم أنه لا يحصل معه النفاق ولا يلزم من كون الترك المحرم موجبا للكفر بجعل الشارع كون الترك الجائز كذلك ولا نسلم ان البخل هو بعينه اخلاف الوعد والكذب بل قد يقع البخل من غير سبق وعد سلمنا عود الضمير الى الله لكن من أين يلزم كونه خالقا للكفر والنفاق ولم لا يجوز أن يراد فاعقبهم الله العقوبة على النفاق باحداث الغم في قلوبهم وضيق الصدر وما ينالهم من الذل والخوف أو يراد فخذلهم حتى نافقوا وتمكن في قلوبهم نفاقهم فلا ينفك عنها الى أن يموتوا ولاهل السنة ان يقولوا هذا عدول عن الظاهر مع ان الدلائل الدالة على وجوب انتهاء الكل الى مشيئة الله وتقديره تعضد ما قلناه قال العلماء ظاهر الآية يدل على ان نقض العهد وخلف الوعد يورث النفاق فعلى المسلم أن يبالغ في الاحتراز عنه ومذهب الحسن البصري ان نقض العهد يوجب النفاق لا محالة تمسكا بهذه الآية وبقوله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صلى وصام وزعم انه مؤمن اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان وقال عطاء بن أبي رباح حدثني جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما ذكر قوله ثلاث من كن فيه فهو منافق في المنافقين خاصة الذين حدثوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبوه وائتمنوا على سره فخانوه ووعدوه أن يخرجوا معه الى الغزو فاخلفوه وقال ان عمرو بن عبيد فسر الحديث

وسوء كان مذهبا وأصله اذا أريد به هذا المعنى من قولهم خلف اللبن يخلف خلوفا اذا خلف من طول ضعه في السقاء حتى يفسد ومن قولهم خلف فم الصائم اذا تغيرت ريحه ۞ القول في تأويل قوله (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون) يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولا تصل يا محمد على أحد مات من هؤلاء المنافقين الذين تخلفوا عن الخروج معك أبدا ولا تقم على قبره يقول ولا تتول دفنه وتقبيره من قول القائل قام فلان بامر فلان اذا كفاه أمره انهم كفروا بالله يقول انهم جحدوا توحيد الله ورسالة رسوله وماتوا وهم خارجون من الاسلام مفارقون أمر الله ونهيه وقد ذكر ان هذه الآية نزلت حين صلى النبي صلى الله عليه وسلم على عبد الله بن أبي ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى وسفيان بن وكيع وسوار بن عبد الله قال ثنا يحيى بن سعيد عن عبيد الله قال أخبرني نافع عن ابن عمر قال جاء ابن عبد الله بن أبي ابن سلول الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مات أبوه فقال أعطني قميصك حتى أكفنه فيه وصل عليه واستغفر له فاعطاه قميصه وقال اذا فرغتم فآذنوني فلما أراد ان يصلي عليه جذبه عمر وقال أليس قد نهاك الله ان تصلي على المنافقين قال بل خيرني قال استغفر لهم أو لا تستغفر لهم قال فصلى عليه قال فانزل الله تبارك وتعالى ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره قال فترك الصلاة عليهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو اسامة عن عبيد الله عن ابن عمر قال لما توفي عبد الله بن أبي ابن سلول جاء ابنه عبد الله الى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله ان يعطيه قميصه يكفن فيه أباه فاعطاه ثم سأله ان يصلي عليه فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فاخذ بثوب النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابن سلول أتصلي عليه وقد نهاك الله ان تصلي عليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم انما خيرني ربي فقال استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم وسأزيد على سبعين فقال انه منافق فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره حدثنا سوار بن عبد الله العنبري قال ثنا يحيى بن سعيد عن مجالد قال ثني عامر عن جابر بن عبد الله ان رأس المنافقين مات بالمدينة فاوصى ان يصلي عليه النبي صلى الله عليه وسلم وان يكفن في قميصه فكفنه في قميصه وصلى عليه وقام على قبره فانزل الله تبارك وتعالى ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره حدثني أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سلمة عن يزيد الرقاشي عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد ان يصلي على عبد الله بن أبي ابن سلول فاخذ جبريل عليه السلام بثوبه فقال ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن عمرو عن جابر قال جاء النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبي وقد أدخل حفرته فاخرجه فوضعه على ركبتيه وألبسه قميصه وتفل عليه من ريقه

فقال اذا حدث عن الله كذب عليه وعلى دينه ورسوله واذا وعد أخلف كما ذكره الله فيمن عاهده واذا ائتمن على دين الله خان في السر وكان
قلبه على خلاف لسانه ونقل ان واصل بن عطاء أرسل الى الحسن رجلا فقال ان أولاد يعقوب حدثوه في قولهم فأكله الذئب فكذبوا وعدوه
في قولهم وانا له لحافظون فأخلفوا وائتمنهم أبوهم على يوسف فخانوه فهل تحكم بكونهم منافقين فتوقف الحسن في مذهبه قال أهل التفسير
قوله الى يوم يلقونه دل على أن ذلك المعاهد يموت على ذلك وكان كما أخبر فيكون اخبارا بالغيب ومعجزا قال الجبائي هذا اللقاء لا شك انه ليس بمعنى
الرؤية لان الكفار لا يرونه بالاتفاق فدل على ان اللقاء في القرآن ليس بمعنى الرؤية وضعف بانه لا يلزم من عدم كون هذا اللقاء بمعنى الرؤية
كون كل لقاء ورد في القرآن كذلك كقوله الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم ثم وبخهم على التجاهل أو عدم العلم بعلم الله واحاطته بضمائرهم
وتناجيهم فقال ألم يعلموا الآية والسر ما ينطوي عليه الصدور والنجوى ما يكون بين اثنين وأكثر مع الاخفاء عن غيرهم
والتركيب يدل على التخليص كما
مر في الانجاء كان المتناجيين تخلصا
عن غيرهما ومنه نجا وانجيا
ومعنى الآية كيف تجترؤن على
النفاق الذي الاصل فيه الاستسرار
والتناجي فيما بينهم مع انه تعالى
يعلم ذلك من حالهم كما يعلم الظاهر
ويعاقب عليه كما يعاقب على الظاهر
لانه العالم بجميع المعلومات على
أي وجه يفرض عن ابن عباس
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
خطبهم ذات يوم وحثهم على أن
يجمعوا الصدقات فجاء عبد الرحمن
ابن عوف بأربعة آلاف درهم
وقال يا رسول الله مالي ثمانية آلاف
جئتك بنصفها فاجعلها في سبيل
الله وأمسكت نصفها لعيالي فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك
الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت
فبارك الله في مال عبد الرحمن حتى
انه خلف امرأتين يوم مات فبلغ
ثمن ماله لهما مائة وستين ألف
درهم وقيل صولحت احداهما على
ثمانين ألفا وتصدق يومئذ عاصم بن
عدي العجلاني بمائة وسق من تمر
وجاء أبو عقيل الانصاري بصاع من
تمر وقال أجرت الليلة الناضحة نفسي من رجل لارسال الماء الى نخله فأخذت صاعين من تمر أمسكت أحدهما لعيالي وأقرضت الآخر لربي
فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضعه في الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ما أعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء وسمعة وأما أبو عقيل فانه
جاء بصاعه ليذكر مع سائر الاكابر والله غني عن صاعه فأنزل الله سبحانه الذين يلمزون المطوعين أي المتطوعين فأدغمت والتطوع التنفل
وهو الطاعة لله بما ليس بواجب والجهد بالضم والفتح شيء قليل يعيش به المقل قاله الليث وقال الفراء الضم لغة أهل الحجاز والفتح لغيرهم
وفرق ابن السكيت بينهما فقال الجهد بالضم الطاقة وبالفتح المشقة وقال الشعبي الاول في العمل والثاني في القوة سخر الله منهم خبر لا دعاء
كقوله الله يستهزئ بهم وقد عرفت ان هذا من قبيل المشاكلة أو المراد منه لازم السخرية وهو ايقاع الذل والهوان بهم وقال الاصم المراد
انه تعالى يكلفهم انفاق المال مع انه لا يثيبهم عليه وانما توجه الذم على المنافقين في هذا اللمز لان الحكم بالرياء ممن يعطي الكثير كيد

ريقه والله أعلم **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن الزهري عن عبيد الله بن
عبد الله بن عتبة بن مسعود عن عبد الله بن عباس قال سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لما
توفي عبد الله بن أبي ابن سلول دعي رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة عليه فقام اليه فلما وقف عليه
يريد الصلاة تحولت حتى قمت في صدره فقلت يا رسول الله أتصلي على عدو الله عبد الله بن أبي القائل
يوم كذا كذا وكذا أعدد أيامه ورسول الله عليه السلام يتبسم حتى اذا أكثرت عليه قال أخر عني
يا عمر اني خيرت فاخترت وقد قيل لي استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر
الله لهم فلو اني أعلم أني ان زدت على السبعين غفر له لزدت قال ثم صلى عليه ومشى معه فقام على قبره حتى
فرغ منه قال أتعجب لي وجرأتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ورسوله أعلم فوالله ما كان الا
يسيرا حتى نزلت هاتان الآيتان ولا تصل على أحد منهم مات أبدا فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
على منافق ولا قام على قبره حتى قبضه الله **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن
عاصم بن عمر بن قتادة قال لما مات عبد الله بن أبي أتى ابنه عبد الله بن عبد الله رسول الله صلى الله عليه
وسلم فسأله قميصه فأعطاه فكفن فيه أباه **حدثنا** المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني الليث قال
ثني عقيل عن ابن شهاب قال أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عبد الله بن عباس عن عمر بن
الخطاب قال لما مات عبد الله بن أبي فذكر مثل حديث ابن حميد عن سلمة **حدثنا** بشر قال ثنا
يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره الآية قال بعث
عبد الله بن أبي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مريض ليأتيه فنهاه عن ذلك عمر فأتاه نبي الله صلى
الله عليه وسلم فلما دخل عليه قال نبي الله صلى الله عليه وسلم أهلكك حب اليهود قال فقال يا نبي الله اني
لم أبعث اليك لتؤنبني ولكن بعثت اليك لتستغفر لي وسأله قميصه ان يكفن فيه فأعطاه اياه فاستغفر له
رسول الله صلى الله عليه وسلم فمات فكفن في قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفث في جلده ودلاه
في قبره فأنزل الله تبارك وتعالى ولا تصل على أحد منهم مات أبدا الآية قال ذكر لنا ان نبي صلى الله
الله عليه وسلم كلم في ذلك فقال وما يغني عنه قميصي من الله أو ربي وصلاتي عليه واني لأرجو ان يسلم به
ألف من قومه **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة قال أرسل عبد
الله بن أبي ابن سلول وهو مريض الى النبي صلى الله عليه وسلم فلما دخل عليه قال له النبي صلى الله عليه
وسلم أهلكك حب يهود فقال يا رسول الله انما أرسلت اليك لتستغفر لي ولم أرسل اليك لتؤنبني ثم سأله
عبد الله أن يعطيه قميصه ان يكفن فيه فأعطاه اياه وصلى عليه وقام على قبره فأنزل الله تعالى ذكره ولا
تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره ۞ القول في تأويل قوله (ولا تعجبك أموالهم

الرحمن وعاصم حكم على بواطن الامور وذلك أمر امستأثر الله به ورسوله وأيضا المز الفقير على جهد المقل سفه لانه لما يقدر الا عليه فقد بذل كل ماله فعلم منه غالبا انه ان قدر على أكثر من ذلك لم يكن منه منع وسعي الانسان في أن يضم نفسه الى أهل الخير والدين خير له من أن يضم نفسه الى أهل الكسل والبطالة ولو لم تكن فيه الا الثقة بالله والدخول في زمرة من يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة لكفى به منقبة وفضلا * التأويل بعضهم أولياء بعض لان التعارف في عالم الارواح يوجب التآلف في عالم الاشباح يأمرون بالمعروف الحقيقي أي بطلبه والمطلوب هو الله لقوله فاحببت أن أعرف وينهون عن المنكر وهو ما يقطع العبد عن الله ويقيمون الصلاة الحقيقية ويؤتون الزكاة يعني مافضل عن كفافهم الضروري ويطيعون الله ورسوله بخلاف المنافقين فانهم يطيعون النفس والهوى ومساكن طيبة على مراتب النفوس الطيبة فان الطيبات للطيبين يا أيها النبي يعني القلب الذي له نبأ من مقام الانباء جاهد النفوس الكافرة بسيف الصدق

وأولادهم انما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولا تعجبك يا محمد أموال هؤلاء المنافقين وأولادهم فتصلي على أحدهم اذا مات وتقوم على قبره من أجل كثرة ماله وولده فاني انما اعطيته ما اعطيته من ذلك لاعذبه بها في الدنيا بالغموم والهموم بما ألزمه فيها من المؤن والنفقات والزكوات وبما ينوبه فيها من الرزايا والمصيبات وتزهق أنفسهم يقول وليموت فتخرج نفسه من جسده فيفارق ما اعطيته من المال والولد فيكون ذلك حسرة عليه عند موته ووبالا عليه حينئذ ووبالا عليه في الآخرة بموته جاحدا توحيد الله ونبوة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم حدثني المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن سفيان عن السدي وتزهق أنفسهم في الحياة الدنيا ۞ القول في تأويل قوله (واذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين) يقول تعالى ذكره واذا أنزل عليك يا محمد سورة من القرآن بأن يقال لهؤلاء المنافقين آمنوا بالله يقول صدقوا بالله وجاهدوا مع رسوله يقول اغزوا المشركين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم استأذنك أولوا الطول منهم يقول استأذنك ذووا الغنى والمال منهم في التخلف عنك والقعود في أهله وقالوا ذرنا يقول وقالوا لك دعنا نكن ممن يقعد في منزله مع ضعفاء الناس ومرضاهم ومن لا يقدر على الخروج معك في السفر * وبنحو الذي قلنا في معنى الطول قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي بن داود قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله استأذنك أولوا الطول قال يعني أهل الغنى حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس أولو الطول منهم يعني الاغنياء حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق واذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول منهم كان منهم عبد الله بن أبي والجد بن قيس فنعى الله ذلك عليهم ۞ القول في تأويل قوله (رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون) يقول تعالى ذكره رضي هؤلاء المنافقون الذين اذا قيل لهم آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أهل الغنى منهم في التخلف عن الغزو والخروج معك لقتال أعداء الله من المشركين ان يكونوا في منازلهم كالنساء اللواتي ليس عليهن فرض الجهاد فهن قعود في منازلهن وبيوتهن وطبع على قلوبهم يقول وختم الله على قلوب هؤلاء المنافقين فهم لا يفقهون عن الله مواعظه فيتعظون بها وقد بينا معنى الطبع وكيف الختم على القلوب فيما مضى بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع * وبنحو الذي قلنا في معنى الخوالف قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله رضوا بأن يكونوا مع

الخوالف

والمخالفات وجاهد نفوس المريدين الذين يدعون الارادة في الظاهر دون الباطن واغلظ عليهم في المؤاخذات باحكام الشريعة والطريقة حتى تتمرن نفوسهم والا فمأواهم جهنم القطيعة ولقد قالوا كلمة الكفر وهي التي توجب الانكار والاعتراض عن الشيخ وهموا بما لم ينالوا أي أثبتوا لانفسهم مرتبة الشيخوخة قبل أوانها وما نقموا الا أن الشيخ رباهم ببيان فضل الله عن حكمة الولاية فلم يحتملوا الضيق حوصلة الهمة ومرتد الطريقة أعظم من مرتد الشريعة فلهذا يكون عذابه أليما في الدنيا والآخرة كما قال الجنيد لو أقبل صديق الى الله ألف سنة ثم أعرض عنه لحظة فان ما فاته أكثر مما ناله ومنهم من عاهد الله باستعداده الفطري لئن آتانا من فضله جعلنا متمكنين من اكتساب الكمال لنصدقن لنصرفن كل ما أعطانا فيما أعطى لاجله الى يوم يلقونه أي يلقون جزاء النفاق وأن الله علام الغيوب يعلم ما توسوس به أنفسهم وهو غيب عن الخلق ويعلم ما يستكن في قلوبهم وهو غيب من نفوسهم ولهذا قال الغيوب سخر الله منهم ذكره بلفظ الماضي ليعلم ان سخرية المنافقين نتيجة سخرية الله بهم في الازل (استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا انكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون ولا تعجبك أموالهم وأولادهم انما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون واذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول منهم وقالوا ذرنا

نكن مع القاعدين رضوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا باموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون أعد الله لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم) القرا آت معى أبدا بفتح الياء أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو وحفص والمفضل معى عدوا بالفتح حفص * الوقوف اولا تستغفر لهم ط فلن يغفر الله لهم ط ورسوله ط الفاسقين ه فى الحر ط حرا م لان المعنى لو كانوا يفقهون حرارة النار لما قالوا لا تنفروا فى الحر ولو وصل لاوهم ان جهنم لا يكون نارها أشد حرا اذا لم يفقهوا ذلك يفقهون ه كثيرا ج لان جزاء يصلح أن يكون مفعولا له أو مصدر محذوف أى يجزون جزاء يكسبون ه معى عدوا ط الخالفين ه على قبره ط فاسقون ه وأولادهم ط كافرون ه القاعدين ه لا يفقهون ه وأنفسهم ط الخيرات ز لابتداء وعد الفلاح على التعظيم بدليل تكرار (١٣٢) أولئك مع اتفاق الجملتين المفلحون ه خالدين فيها ط العظيم ه * التفسير عن ابن عباس ان عند نزول الآية الاولى فى المنافقين قالوا يا رسول الله استغفر لنا فاشتغل بالاستغفار لهم فنزل استغفر لهم الآية ومن المفسرين من قال انهم طلبوا من الرسول صلى الله عليه وسلم ان يستغفر لهم وان الله نهاه عنه والنهى عن الشئ لا يدل على ان المنهى أقدم على ذلك الفعل ثم ان الدليل قد يدل على انه ما اشتغل بالاستغفار لان المنافق كافر وقد ظهر فى شرعه ان الاستغفار للمنافق يجرى مجرى اغرائه على مزيد النفاق ولانه يلزم ان يكون النبى صلى الله عليه وسلم غير مجاب الدعوة وان أكثر فى الدعاء ومن الفقهاء من قال التخصيص بالعدد المعين يدل على ان الحال فيما وراء ذلك العدد بخلافه لما روى انه لما نزلت الآية قال صلى الله عليه وسلم لازيدن على السبعين فنزل سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم فكف عنه ولولا انه فهم بدليل الخطاب ان الامر فيما وراء السبعين بالخلاف لم يقل لازيدن على ذلك وأجيب بانه أراد اظهار الرحمة والرأفة بامته ودعاء لهم الى ترحم بعضهم لبعض لانه فهم منه ذلك كيف وقد قال تعالى لن يغفر الله لهم وأردفه بقوله ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله فليس المقصود بهذا العدد تحديد المنع وانما هو كقول القائل لن يسأله حاجة لو سألتنى سبعين مرة لم أقضها وليفيد ان العلة التى لاجلها لا ينفعهم استغفار الرسول وهى كفرهم وفسقهم وهذا المعنى قائم فى الزيادة على السبعين وذكر بعضهم لتخصيص السبعين وجوها ان السبعة عدد شريف لانه عدد السموات والارضين والبحار والاقاليم والنجوم السيارة والاعضاء وأيام الاسبوع فضرب السبعة فى عشرة لان الحسنة بعشر أمثالها وقيل خص بالذكر لانه صلى الله عليه وسلم كبر على حمزة سبعين تكبيرة وكانه قال ان تستغفر لهم سبعين مرة بازاء تكبيراتك على حمزة لن يغفر الله لهم وقد مر فى تفسير قوله قل أنفقوا طوعا أو كرها ان هذا أمر فى معنى الخبر كانه قيل لن يغفر الله لهم استغفرت لهم أم لا وانتصاب سبعين على المصدر كقولك ضربته عشرين ضربة ثم ذكر نوعا آخر من قبائح

الخوالف قال والخوالف هن النساء حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس رضوا بان يكونوا مع الخوالف يعنى النساء حدثنا ابن وكيع قال ثنا حبويه أبو يزيد عن يعقوب القمى عن حفص بن حميد عن شمر بن عطية رضوا بان يكونوا مع الخوالف قال النساء قال حدثنا المحاربى عن جويبر عن الضحاك مع الخوالف قال مع النساء حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله رضوا بان يكونوا مع الخوالف أى مع النساء حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة والحسن رضوا بان يكونوا مع الخوالف قالا النساء حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله رضوا بان يكونوا مع الخوالف قال مع النساء ❁ القول فى تأويل قوله (لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا باموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون) يقول تعالى ذكره لم يجاهد هؤلاء المنافقون الذين اقتصصت قصصهم المشركين لكن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم والذين صدقوا الله ورسوله معه هم الذين جاهدوا المشركين باموالهم وأنفسهم فانفقوا فى جهادهم أموالهم وأتعبوا فى قتالهم أنفسهم وبذلوها وأولئك يقول وللرسول وللذين آمنوا معه الذين جاهدوا باموالهم وأنفسهم الخيرات وهى خيرات الآخرة وذلك نساؤها وجنانها ونعيمها واحدتها خيرة كما قال الشاعر

ولقد طعنت مجامع الربلات * ربلات هند خيرة الملكات

والخيرة من كل شئ الفاضلة وأولئك هم المفلحون يقول وأولئك هم المخلدون فى الجنات الباقون فيها الفائزون بها ❁ القول فى تأويل قوله (أعد الله لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم) يقول تعالى ذكره أعد الله لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم وللذين آمنوا معه جنات وهى البساتين تجرى من تحت أشجارها الانهار خالدين فيها يقول لابثين فيها لا يموتون فيها ولا يظعنون عنها ذلك الفوز العظيم يقول ذلك النجاء العظيم والحظ الجزيل ❁ القول فى تأويل قوله (وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم) يقول تعالى ذكره وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم فى التخلف وقعد عن المجىء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والجهاد معه الذين كذبوا الله ورسوله وقالوا الكذب واعتذروا بالباطل فيهم يقول تعالى ذكره سيصيب الذين جحدوا توحيد الله ونبوة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم منهم عذاب أليم فان قال قائل فكيف قيل وجاء المعذرون وقد علمت ان المعذر فى كلام

أنفالهم فقال فرح المخلفون قيل انهم احتالوا آن يتخلفوا وكان الاولى آن يقال فرح المتخلفون واجيب بانهم استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذن لهم وخلفهم بالمدينة في غزوة تبوك وأريد بخلفهم كسلهم ونفاقهم والشيطان أو المجاهدون لما لم يوافقوهم في القعود فكأنهم خلفوهم أو أطلق عليهم المخلفون باعتبار انهم سيصيرون ممنوعين من الخروج في الآية الآتية فان رجعك الله الى قوله ولن تقاتلوا معي عدوا ومعنى بمقعدهم بقعودهم قاله مقاتل أو بموضع قعودهم وهو المدينة قاله ابن عباس ومعنى خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سار وأقاموا قاله قطرب والزجاج فانتصابه على انه مفعول له أي قعدوا لاجل خلافه أو على الحال مثل فارسها العراك أي مخالفين له وقال الاخفش و يونس الخلاف بمعنى الخلف أي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك ان جهة الامام التي يقصدها الانسان بخالفها جهة الخلف (١٣٤) وكرهوا ان يجاهدوا كيف لا يكرهون وليس فيهم باعث الايمان وداعي الاخلاص ومعهم صارف الكفر والنفاق وفيه تعريض بالمؤمنين الباذلين أموالهم وأرواحهم في الله المؤثرين ذلك على الدعة والخفض واعلم ان الفرح بالاقامة يدل على كراهية الذهاب الا أنه صرح بذلك للتوكيد ولعل المراد انه مال طبعهم الى الاقامة لالفهم بالبلد واستئناسهم بالاهل والولد وكرهوا الخروج الى الغزو لانه تعريض بالنفس والمال للقتل والاهدار قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون ان بعد هذه الدار دارا أخرى و بعد هذه الحياة حياة أخرى وهذه المشقة منقضية سهلة وتلك باقية صعبة ولبعضهم وكأنه صاحب الكشاف

مسرة أحقاب تلقيت بعدها
مساءة يوم أن بهاشية الصاب
فكيف بان تلقى مسرة ساعة
وراء تقضيها مساءة أحقاب

وفي هذا استجهال عظيم لهم ثم قال فليضحكوا وهو خبر الا أنه أخرج على لفظ الامر للدلالة على انه حتم لا يكون غيره ومعناه فسيضحكون قليلا أي ضحكا قليلا أو زمانا قليلا وسيبكون كثيرا يروى ان أهل النفاق يبكون في النار عمر الدنيا لا يرقأ لهم دمع ولا يكتحلون بنوم ثم عرف نبيه ابن وجه الصلاح في سائر الغزوات فقال فان رجعك الله الى طائفة منهم أي ان ردك الى المدينة الرجع متعد مثل الرد والرجوع لازم وانما قال طائفة لان منهم من تاب عن النفاق وندم أو اعتذر بعذر صحيح وقيل لم يكن المخلفون كلهم منافقين فاراد بالطائفة المخلفين من المنافقين فاستأذنوك للخروج الى غزوة أخرى بعد غزوة تبوك فقل لن تخرجوا معي أبدا عاقبهم باسقاطهم عن ديوان الغزاة جزاء على تخلفهم لما فيه من الذم والطرد وصلاحا للامر الجهاد لما في استصحابهم من المفاسد المذكورة في قوله لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا و يعني باول مرة غزوة تبوك وانما لم يقل أول المرات معرفا مجموعا لان المعنى ان فصلت المرات مرة مرة كانت هذه أولها نظيره هو أفضل رجل بمعنى ان عدالرجال رجلا رجلا كان هو أفضلهم وانما لم يقل أولى مرة لان أكثر اللغتين هذا أكثر النساء ولا يكاد يقال هي كبرى امرأة فاقعدوا مع الخالفين كقوله

العرب انما هو الذي يعذر في الامر فلا يبالغ فيه ولا يحكمه وليست هذه صفة هؤلاء وانما صفتهم انهم كانوا قد اجتهدوا في طلب ما ينهضون به مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عدوهم وحرصوا على ذلك فلم يجدوا اليه السبيل فهم بان يوصفوا بانهم قد أعذروا أولى وأحق منهم بان يوصفوا بانهم عذروا اذا وصفوا بذلك فالصواب في ذلك من القراءة ما قرأه ابن عباس وذلك ما حدثناه المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي حماد قال ثنا بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك قال كان ابن عباس يقرأ وجاء المعذرون مخففة ويقول هم أهل العذر مع موافقة مجاهد اياه وغيره عليه قيل ان معنى ذلك على غير ما ذهبت اليه وأن معناه وجاء المعتذرون من الاعراب ولكن التاء لما جاورت الذال أدغمت فيها فصيرتا ذالا مشددة لتقارب مخرج احداهما من الاخرى كما قيل يذكرون في يتذكرون ويذكر في يتذكر وخرجت العين من المعذرين الى الفتح لان حركة التاء من المعتذرين وهي الفتحة نقلت اليها فحركت بما كانت به محركة والعرب قد توجه في معنى الاعتذار الى الاعذار فيقول قد اعتذر فلان في كذا يعني أعذر ومن ذلك قول لبيد الى الحول ثم اسم السلام عليكما * ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر فقال فقد اعتذر بمعنى فقد أعذر على ان أهل التأويل قد اختلفوا في صفة هؤلاء القوم الذين وصفهم الله بانهم جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم معذرين فقال بعضهم كانوا كاذبين في اعتذارهم فلم يعذرهم الله ذكر من قال ذلك حدثني أبو عبيدة عبد الوارث بن عبد الصمد قال ثني أبي عن الحسين قال كان قتادة يقرأ وجاء المعذرون من الاعراب قال اعتذروا بالكذب حدثني الحارث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا يحيى بن زكريا عن ابن جريج عن مجاهد وجاء المعذرون من الاعراب قال نفر من بني غفار جاؤا فاعتذروا فلم يعذرهم الله فقد أخبر من ذكرنا من هؤلاء ان هؤلاء القوم انما كانوا أهل اعتذار بالباطل لا بالحق فغير جائز أن يوصفوا بالاعذار الا أن يوصفوا بانهم أعذروا في الاعتذار بالباطل فاما بالحق على ما قاله من حكينا قوله من هؤلاء فغير جائز ان يوصفوا به وقد كان بعضهم يقول انما جاؤا معذرين غير جادين يعرضون ما لا يريدون فعله فمن وجهه الى هذا التأويل فلا كلفة في ذلك غير اني لا أعلم أحدا من أهل العلم بتأويل القرآن وجه تأويله الى ذلك فاستحب القول به وبعد فان الذي عليه من القراء قراء الامصار التشديد في الذال أعني من قوله المعذرون ففي ذلك دليل على صحة تأويل من تأوله بمعنى الاعتذار لان القوم الذين وصفوا بذلك لم يكلفوا أمرا عذروا فيه وانما كانوا فرقتين اما مجتهد طائع واما منافق فاسق لامر الله مخالف فليس في الفريقين موصوف بالتعذير في الشخوص مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما هو معذر مبالغ أو معتذر فاذ كان ذلك كذلك وكانت الحجة من القراء مجمعة على تشديد الذال من المعذرين علم ان معناه ما وصفناه من التأويل وقد ذكر عن مجاهد في ذلك موافقة

وقيل اقعدوا مع القاعدين والخالف من يخلف الرجل في قومه وعن الاصمعي انه الفاسد من خلف اللبن والنبيذ اذا فسد وعن الفراء معناه المخالف قال قتادة ذكر لنا ان الخالفين الذين أمروا بالقعود كانوا اثنى عشر رجلا عن ابن عباس انه لما اشتكى عبد الله ابن سلول عاده رسول الله صلى الله عليه وسلم فطلب منه أن يصلي عليه اذا مات ويقوم على قبره وبعث اليه بقميصه الذي يلي جلده ليكفن فيه ففعل كل ذلك وعنه قال سمعت عمر بن الخطاب يقول لما توفي عبد الله بن أبي دعي رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة فقام اليه فلما وقف عليه يريد الصلاة تحولت حتى قمت في صدره فقلت يا رسول الله أعلى عدو الله عبد الله بن أبي القائل يوم بدر كذا وكذا أعدد أيامه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسم حتى اذا كثرت عليه قال أخر عني يا عمر اني خيرت فاخترت قد قيل لي استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ولو أعلم اني ان زدت على السبعين غفر له لزدت قال ثم صلى عليه ومشى معه (١٣٥) فقام على قبره حتى فرغ منه قال فعجبت من جراءتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ورسوله أعلم قال فوالله ما كان

٧ هنا بياض بالاصل

الا يسيرا حتى نزل ولا تصل على أحد منهم مات أبدا الآية فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده على منافق ولا قام على قبره حتى قبضه الله قال المفسرون وكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما فعل بعبد الله بن أبي قال وما يغني عنه قميصي وصلاتي من الله والله ان كنت لارجو ان يسلم به ألف من قومه وكان كما قال وقيل لعل السبب فيه انه لما طلب من الرسول قميصه الذي مس جلده ليدفن فيه غلب على ظن الرسول انه انتقل الى الايمان لانه وقت يتوب فيه الكافر فرغب ان يصلي عليه وذكر من أسباب دفع القميص ان العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ أسيرا ببدر ولم يجدوا له قميصا طويلا فكساه عبد الله قميصه ومنها ان المشركين قالوا له يوم الحديبية انا لانتقاد لمحمد ولكنا ننقاد لك فقال ان لي في رسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة حسنة فشكر رسول الله صلى الله عليه وسلم صنيعه ومنها انه كان لا يرد السائل لقوله تعالى وأما السائل فلا تنهر ومنها ان ابنه عبد الله كان من الصالحين فالرسول أكرمه لمكان ابنه ومنها اظهار الرأفة والرحمة كما مر قوله مات صفة لاحد وأبدا ظرف لقوله لا تصل ويحتمل تأبيد النفي ونفي التأبيد والظاهر الاول لان القرائن تدل على منعه من أن يصلي على أحد منهم منعا كليا دائما قال الزجاج معنى قوله ولا تقم على قبره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا دفن الميت وقف على قبره ودعا له فمنع ههنا منه وقال الكلبي معناه لا تقم باصلاح مهمه ثم قرر انهم كفروا وتعليل للنهي ويرد عليه ان الكفر حادث وحكم الله قديم والحادث لا يكون علة للقديم وأجيب بان العلة ههنا بمعنى الامارة المعرفة للحكم قال في الكشاف انما قيل مات وماتوا بلفظ الماضي والمعنى على الاستقبال على تقدير الكون والوجود لانه كائن موجود لا محالة وانما وصفهم بالفسق بعد وصفهم بالكفر لان الكافر قد يكون عدلا في دينه والكذب والنفاق والخداع والجبن والخبث مستقبح في جميع الاديان ماقوله ولا تعجبك أموالهم وأولادهم فقد سبق مثله في هذه السورة وتفاوت الالفاظ ... التكرير ...

ابن عباس حدثني المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير عن ابن عيينة عن حميد قال قرأ مجاهد وجاء المعذرون مخففة وقال هم أهل العذر حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال كان المعذرون ٧ ۞ القول في تأويل قوله (ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم) يقول تعالى ذكره ليس على أهل الزمانة وأهل العجز عن السفر والغزو ولا على المرضى ولا على من لا يجد نفقة يتبلغ بها الى مغزاه حرج وهو الاثم يقول ليس عليهم اثم اذا نصحوا لله ولرسوله في مغيبهم عن الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما على المحسنين من سبيل يقول ليس على من أحسن فنصح لله ولرسوله في تخلفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجهاد معه لعذر يعذر به طريق يتطرق عليه فيعاقب من قبله والله غفور رحيم يقول والله ساتر على ذنوب المحسنين يتغمدها بعفوه لهم عنها رحيم بهم ان يعاقبهم عليها وذكر ان هذه الآية نزلت في عائذ بن عمرو المزني وقال بعضهم في عبد الله بن مغفل ذكر من قال نزلت في عائذ بن عمرو حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله نزلت في عائذ بن عمرو ذكر من قال نزلت في ابن مغفل حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى الى قوله حزنا ألا يجدوا ما ينفقون وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الناس ان ينبعثوا غازين معه فجاءته عصابة من أصحابه فيهم عبد الله بن مغفل المزني فقالوا يا رسول الله احملنا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ما أجد ما أحملكم عليه فتولوا ولهم بكاء وعز عليهم ان يجلسوا عن الجهاد ولا يجدون نفقة ولا محملا فلما رأى الله حرصهم على محبته ومحبة رسوله أنزل عذرهم في كتابه فقال ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج الى قوله فهم لا يعلمون ۞ القول في تأويل قوله (ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون) يقول تعالى ذكره ولا سبيل أيضا على النفر الذين اذا ما جاؤك لتحملهم يسألونك الحملان ليبلغوا الى مغزاهم لجهاد أعداء الله معك يا محمد قلت لهم لا أجد حمولة أحملكم عليها تولوا يقول أدبروا عنك وأعينهم تفيض من الدمع حزنا وهم يبكون من حزن على انهم لا يجدون ما ينفقون ويتحملون به للجهاد في سبيل الله وذكر بعضهم ان هذه الآية نزلت في نفر من مزينة ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه قال هم من مزينة حدثني المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في

بالواو وهنالك بالفاء لانه لا تعلق له ههنا بما قبله وهو موتهم على حالة الفسق خلاف ما هنالك وانما قال ههنا وأولادهم بدون لا لان المراد هنالك الترقي من الادون الى الاعلى وهو ان اعجاب أولئك الاقوام باولادهم فوق اعجابهم باموالهم كقولك لا يعجبني أمر التائب ولا أمر المتوب وههنا أراد المعية فقط اما اكتفاء بما سبق هنالك واما لان هؤلاء أقوام آخرون لم يكن عندهم تفاوت بين الامرين وقيل انه هنالك لما علق الثاني بالاول تعليق الجزاء بالشرط أكد معنى النهي بتكرار لا وانما قال ههنا أن يعذبهم لانه اخبار عن قوم ماتوا على الكفر فتعلق الارادة بما هم فيه وهو العذاب واما في الآية المتقدمة فالمفعول محذوف وقدم وقيل الفائدة فيه التنبيه على ان التعليل في أحكام الله محال وانه أينما ورد حرف التعليل فمعناه ان وانما حذف الحياة ههنا اكتفاء بما ذكر هنالك وقيل تنبيها على ان الحياة الدنيا لا تستحق أن تسمى حياة لخستها واما فائدة التكرير فهي المبالغة في التحذير من الاموال والاولاد لانها جذابة للقلوب فتحتاج الى صارف قوي ويحتمل أن تكون الاولى في قومه والثانية في آخرين وقيل الثانية في اليهود والاولى في المنافقين ثم عاد الى توبيخ المنافقين فقال واذا أنزلت سورة أي بتمامها او يجوز أن يراد بعضها كما يقع القرآن والكتاب على بعضه (١٣٦) وقيل هي براءة لان فيها الامر بالايمان والجهاد ان آمنوا ان هي المفسرة لان انزال السورة في معنى القول وقال الواحدي تقديره بان آمنوا وانما قدم الامر بالايمان لان الاشتغال بالجهاد لا يفيد الا بعد الايمان أولو الطول ذو الفضل والسعة من طال عليه طولا قاله ابن العباس والحسن وقال الاصم الرؤساء والكبراء المنظور اليهم وخصوا بالذكر لان الذم لهم ألزم اذ لا عذر لهم في القعود مع القاعدين مع أصحاب الاعذار من الضعفة والزمنى والخوالف النساء اللواتي تخلفن في البيت وجوز بعضهم ان يكون الخوالف جمع خالف وكان يصعب على المنافقين تشبيههم بالخوالف ثم قال وطبع على قلوبهم كقوله ختم الله على قلوبهم وقد مر البحث فيه وقال الحسن الطبع بلوغ القلب في الكفر الى حد كأنه مات عن الايمان وقالت الاشاعرة هو حصول داعية الكفر المانعة من الايمان والطبع في اللغة الختم وهو التأثير في الطين ونحوه ومنه الطبع للسجية التي جبل عليها الانسان فهم لا يفقهون أسرار حكمة الله في الجهاد أو في الذهاب من السعادة وما في التخلف من الشقاء وفي قوله لكن الرسول نكتة هي انه ان تخلف هؤلاء فقد نهض الى الغزو من هو خير منهم وأصدق نية كقوله فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين ثم ذكر منافع الجهاد على الاجمال فقال وأولئك لهم الخيرات وهي شاملة لمنافع الدارين وقيل هي الحور لقوله فيهن خيرات حسان وقوله وأولئك هم المفلحون المراد منه الخلاص من المكاره ثم فصل ما أجمل فقال أعد الله الآية وقيل الخيرات الفلاح في الدنيا وهذه في الآخرة والفوز العظيم عبارة عن كون تلك الحالة مرتبة رفيعة ودرجة عالية * التأويل انما لم يؤثر استغفار الرسول في حقهم لقصور في القابل لا لتقصير في الفاعل والاثر يتوقف على الامرين جزاء بما كانوا يكسبون من رين القلوب وكدورة الارواح بظلمة الصفات الحيوانية وهم كافرون مستورو القلوب بحجاب حب الاموال والاولاد لهم الخيرات لما سعوا سعي العبودية نالوا الخيرات الربوبية هم المفلحون المتخلصون عن حجب صفات النفس ذلك الفوز العظيم اذ لا حجاب أعظم من حجاب النفس (وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا الا يجدوا ما ينفقون

قوله ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قال هم بنو مقرن من مزينة حدثني المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن ابن جريج قراءة عن مجاهد في قوله ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم الى قوله حزنا الا يجدوا ما ينفقون قال هم بنو مقرن من مزينة حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قال هم بنو مقرن من مزينة قال حدثنا أبي عن أبي جعفر عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن عروة عن ابن مغفل المزني وكان أحد النفر الذين أنزلت فيهم ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم الآية حدثني المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير عن ابن عيينة عن ابن جريج عن مجاهد في قوله تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا قال منهم ابن مقرن وقال سفيان قال الناس منهم عرباض بن سارية * وقال آخرون بل نزلت في عرباض بن سارية ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا أبو عاصم عن ثور بن يزيد عن خالد ابن معدان عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي وحجر بن حجر الكلاعي قالا دخلنا على عرباض بن سارية وهو الذي أنزل فيه ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم الآية حدثني المثنى قال ثنا سليمان بن عبد الرحمن قال ثنا الوليد قال ثنا ثور عن خالد عن عبد الرحمن بن عمرو وحجر بن حجر بنحوه * وقال آخرون بل نزلت في نفر سبعة من قبائل شتى ذكر من قال ذلك حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو معشر عن محمد بن كعب وغيره قال جاء ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحملونه فقال لا أجد ما أحملكم عليه فانزل الله ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم الآية قال هم سبعة نفر من بني عمرو ابن عوف سالم بن عمير ومن بني واقف حرمي بن عمرو ومن بني مازن بن النجار عبد الرحمن بن كعب يكنى أبا ليلى ومن بني المعلى سلمان بن صخر ومن بني حارثة عبد الرحمن بن يزيد أبو عبلة وهو الذي تصدق بعرضه فقبله الله منه ومن بني سلمة عمرو بن غنمة وعبد الله بن عمرو المزني حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قوله ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم الى قوله حزنا وهم البكاؤن كانوا سبعة

*(تم الجزء العاشر من تفسير الامام ابن جرير الطبري ويليه الجزء الحادي عشر
أوله ۞ القول في تاويل قوله تعالى (انما السبيل) *

(الجزء الحادى عشر)

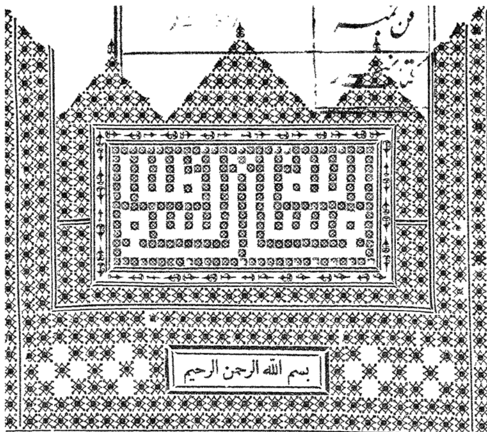
من تفسير الامام الكبير والعلامة الشهير من أطبقت الامة على تقدمه فى التفسير وجعلته حجة اذا وقع النزاع فى التعبير الامام أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى المسمى جامع البيان فى تفسير القرآن رحمه الله وأثابه رضاه آمين

(ولاجل تمام النفع وضعنا بالهامش الجزء الحادى عشر من تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للعلامة نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمى النيسابورى قدست أسراره)

(تنبيه)

طبع تفسير ابن جرير على النسخة المحضرة من خزانة (أمراء نجد آل رشيد * لازالت الايام تتلألأ بزواهر مجدهم ولا برح الانام يغترف من بحار برهم وذلك بعد مقابلة تلك النسخة على النسخة الموجودة بالكتبخانة الخديوية لازالت أشعة النفع بها تستمد منها سائر البرية وقد بذلنا الطاقة فى تصحيحها ومراجعة ما يحتاج الى المراجعة من مظانه الموثوق بترجيحها مع عناية جمع من أفاضل علماء مصر بالتصحيح تذكر أسماؤهم آخر الكتاب

(طبع بالمطبعة الميمنية بمصر)



القول فى تاويل قوله (انما السبيل على الذين يستأذنوك وهم أغنياء رضوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون) يقول تعالى ذكره ما السبيل بالعقوبة على أهل العذر يا محمد ولكنها على الذين يستأذنوك فى التخلف خلافك وترك الجهاد معك وهم أهل غنى وقوة وطاقة للجهاد والغزو نفاقا وشكا فى وعد الله ووعيده رضوا بان يكونوا مع الخوالف يقول رضوا بان يجلسوا بعدك مع النساء وهن الخوالف خلف الرجال فى البيوت ويتركوا الغزو معك وطبع الله على قلوبهم يقول وختم الله على قلوبهم بما كسبوا من الذنوب فهم لا يعلمون سوء عاقبتهم بتخلفهم عنك وتركهم الجهاد معك وما عليهم من قبيح الثناء فى الدنيا وعظيم البلاء فى الآخرة القول فى تاويل قوله (يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من أخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) يقول تعالى ذكره يعتذر اليكم أيها المؤمنون بالله هؤلاء المتخلفون خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم التاركون جهاد المشركين معكم من المنافقين بالاباطيل والكذب اذا رجعتم اليهم من سفركم وجهادكم قل لهم يا محمد لا تعتذروا لن نؤمن لكم يقول لن نصدقكم على ما تقولون قد نبأنا الله من أخباركم يقول قد أخبرنا الله من أخباركم وأعلمنا من أمركم ما قد علمنا به كذبكم وسيرى الله عملكم ورسوله يقول وسيرى الله ورسوله فيما بعد عملكم أتتوبون من نفاقكم أم تقيمون عليه ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة يقول ثم ترجعون بعد مماتكم الى عالم الغيب والشهادة يعنى الذى يعلم السر والعلانية الذى لا يخفى عليه بواطن أموركم وظواهرها فينبئكم بما كنتم تعملون فيخبركم بأعمالكم كلها سيئها فيجازيكم بها الحسن منها بالحسن والسيئ منها بالسيئ القول فى تاويل قوله (سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فاعرضوا عنهم انهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون) يقول تعالى ذكره سيحلف أيها المؤمنون بالله لكم هؤلاء المنافقون الذين فرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله اذا انقلبتم اليهم يعنى اذا انصرفتم اليهم من غزوكم لتعرضوا عنهم

(انما السبيل على الذين يستأذنوك وهم أغنياء رضوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من أخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فاعرضوا عنهم انهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين الأعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله والله عليم حكيم ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء والله سميع عليم ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول الا انها قربة لهم سيدخلهم الله فى رحمته ان الله غفور رحيم) القراآت المعذرون من الاعذار قتيبة ويعقوب الباقون بالتشديد دائرة السوء بضم السين وكذلك فى الفتح أبو عمرو وابن كثير الآخرون بفتحها قربة بضم الراء نافع غير قالون الآخرون باسكانها وكلاهما بمعنى * الوقوف ورسوله ط أليم ه لله ورسوله ط من سبيل ط رحيم ه لا للعطف ما ينفقون ه ط أغنياء ج لاحتمال ان يكونوا رضوا استئنافا

فلا تؤنبوهم فاعرضوا عنهم يقول جل ثناؤه للمؤمنين فدعوا تأنيبهم وخلوهم وما اختاروا لانفسهم من الكفر والنفاق انهم رجس وماواهم جهنم يقول انهم نجس ومأواهم جهنم يقول ومصيرهم الى جهنم وهي مسكنهم الذي يأوونه في الآخرة جزاء بما كانوا يعملون يقول ثوابا باعمالهم التي كانوا يعملونها في الدنيا من معاصي الله وذكر ان هذه الآية نزلت في رجلين من المنافقين قالا ما حدثنا به محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا الى بما كانوا يكسبون وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل له ألا تغزو بني الاصفر لعلك أن تصيب بنت عظيم الروم فانهم حسان فقال رجلان قد علمت يا رسول الله ان النساء فتنة فلا تفتنا بهن فائذن لنا فاذن لهما فلما انطلقا قال أحدهما ان هو الا شحمة لاول آكل فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينزل عليه في ذلك شيء فلما كان ببعض الطريق نزل عليه وهو على بعض المياه لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة ونزل عليه عفا الله عنك لم أذنت لهم ونزل عليه لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ونزل عليه انهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون فسمع ذلك رجل ممن غزا مع النبي صلى الله عليه وسلم فأتاهم وهم خلفهم فقال تعلمون ان قد نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدكم قرآن قالوا ما الذي سمعت قال ما أدري غير اني سمعت انه يقول انهم رجس فقال رجل يدعى مخشيا والله لوددت اني أجلد مائة جلدة واني لست معكم فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما جاء بك فقال وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يسفعه الريح وأنا في الكن فانزل الله عليه ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني وقالوا لا تنفروا في الحر ونزل عليه في الرجل الذي قال لوددت اني أجلد مائة جلدة يقول الله يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم فقال رجل مع رسول الله لئن كان هؤلاء كما يقولون ما فينا خير فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أنت صاحب الكلمة التي سمعت فقال لا والذي أنزل عليك الكتاب فانزل الله فيه ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وأنزل فيه وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني يونس عن ابن شهاب قال أخبرني عبد الرحمن بن كعب بن عبد الله بن كعب بن مالك ان عبد الله بن كعب قال سمعت كعب بن مالك يقول لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك جلس للناس فلما فعل ذلك جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون اليه ويحلفون له وكانوا بضعة وثمانين رجلا فقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم الى الله وصدقته حديثي فقال كعب والله ما أنعم الله علي من نعمة قط بعد ان هداني للاسلام أعظم في نفسي من صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا أكون كذبته فأهلك كما هلك الذين كذبوا ان الله قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي ما قال لاحد سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم انهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون الى قوله فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين

القول في تأويل قوله (يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين) يقول تعالى ذكره يحلف لكم أيها المؤمنون بالله هؤلاء المنافقون اعتذارا بالباطل والكذب لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين يقول فان أنتم أيها المؤمنون رضيتم عنهم وقبلتم معذرتهم اذ كنتم لا تعلمون صدقهم من كذبهم فان رضاكم عنهم غير نافعهم عند الله لان الله يعلم من سرائرهم ما لا تعلمون ومن خفي اعتقادهم ما تجهلون وانهم على الكفر بالله يعني انهم الخارجون من الايمان الى الكفر بالله ومن الطاعة الى المعصية

القول في تأويل قوله (الاعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر ان لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله والله عليم حكيم) يقول تعالى ذكره الاعراب أشد جحودا لتوحيد الله وأشد نفاقا من أهل الحضر في القرى والامصار

أو وصفا مع الخوالف لا لان الواو اما للعطف أو الحال لا يعلمون ٭ الجزء الحادي عشر وثلث القرآن أليم ٭ من أخباركم ط يعلمون ٭ لتعرضوا عنهم ط عنهم ط رجس ز لاختلاف الجملتين مع شدة اتصال المعنى في اتمام الوعيد جهنم ج لان جزاء يصلح ان يكون مفعولا له أو مفعولا مطلقا لمحذوف أو يجزون جزاء يكسبون ٭ لترضوا عنهم ج ط لابتداء الشرط مع فاء التعقيب الفاسقين ٭ على رسوله ط حكيم ٭ الدوائر ط دائرة السوء ط عليهم ط الرسول ط لهم ط في رحمته ط رحيم ٭ ٭ التفسير لما شرح أحوال منافقي المدينة شرع في أحوال المنافقين من أهل البدو فقال وجاء المعذرون من قرأ بالتخفيف فهو من أعذر اذا اجتهد في العذر وبالغ فيه ومنه قوله من أنذر فقد أعذر فكأنه تعالى فصل بين أصحاب العذر وبين الكافرين فالمعذورون هم الذين أتوا بالعذر وهم أسد وغطفان قالوا ان لنا أتباعا وعيالا وان بنا جهدا فائذن لنا في التخلف وقيل هم رهط عامر ابن الطفيل قالوا ان غزونا معك أغارت أعراب طيء على أهالينا ومواشينا فقال صلى الله عليه وآله سيغنيني الله عنكم وعن مجاهد نفر من غفار ومن قرأ بالتشديد ففيه وجهان الاول ان يكون من التعذير وهو التقصير في الامر والتواني فيه وحقيقته أن يوهم ان له عذرا فيما يفعل ولا عذر له الثاني وقد ذكره الفراء والزجاج وابن الانباري انه من الاعتذار والاصل فيه المعتذرون اذغمت

وصفهم جل ثناؤه بذلك لجفائهم وقسوة قلوبهم وقلة مشاهدتهم لاهل الخير فهم لذلك أقسى قلوبا وأقل علما بحقوق الله وقوله وأجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله يقول وأخلق أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله وذلك فيما قال قتادة السنن حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله قال هم أقل علما بالسنن حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن مغراء عن الاعمش عن ابراهيم قال جلس أعرابي الى زيد بن صوحان وهو يحدث أصحابه وكانت يده قد أصيبت يوم نهاوند فقال والله ان حديثك ليعجبني وان يدك لتريبني فقال زيد وما يريبك من يدي انها الشمال فقال الاعرابي والله ما أدري اليمين تقطعون أم الشمال فقال زيد بن صوحان صدق الله الاعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله وقوله والله عليم حكيم يقول والله عليم بمن يعلم حدود ما أنزل على رسوله والمنافق من خلقه والكافر منهم لا يخفى عليه منهم أحد حكيم في تدبيره اياهم في حلمه عن عقابهم مع علمه بسرائرهم وخداعهم أولياءه ❁ القول في تأويل قوله (ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء والله سميع عليم) يقول تعالى ذكره ومن الاعراب من يعد نفقته التي ينفقها في جهاد مشرك أو في معونة مسلم أو في بعض ما ندب الله اليه عباده مغرما يعني غرما لزمه لا يرجو له ثوابا ولا يدفع به عن نفسه عقابا ويتربص بكم الدوائر يقول وينتظرون بكم الدوائر أن تدور بها الايام والليالي الى مكروه ونفي محبوب وغلبة عدو لكم يقول تعالى ذكره عليهم دائرة السوء يقول جعل الله دائرة السوء عليهم ونزول المكروه بهم لا عليكم أيها المؤمنون ولا بكم والله سميع لدعاء الداعين عليم بتدبيرهم وما هو بهم نازل من عقاب الله وما هم اليه صائرون من أليم عقابه وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قول الله ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ويتربص بكم الدوائر قال هؤلاء المنافقون من الاعراب الذين انما ينفقون رياء اتقاء على أن يغزوا أو يحاربوا أو يقاتلوا ويرون نفقتهم مغرما ألا تراه يقول ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل المدينة والكوفة عليهم دائرة السوء بفتح السين بمعنى النعت للدائرة وان كانت الدائرة مضافة اليه كقولهم هو رجل السوء وامرؤ الصدق كأنه اذا فتح مصدر من قولهم سؤته أسوءه سوءا ومساءة ومسائية وقرأ ذلك بعض أهل الحجاز وبعض البصريين عليهم دائرة السوء بضم السين كأنه جعله اسما كما قال عليه دائرة البلاء والعذاب ومن قال عليهم دائرة السوء فضم لم يقل هذا رجل السوء بالضم والرجل السوء وقال الشاعر

وكنت كذئب السوء لما رأى دما * بصاحبه يوما أحال على الدم

والصواب من القراءة في ذلك عندنا بفتح السين بمعنى عليهم الدائرة التي تسوءهم سوءا كما يقال هو رجل صدق على وجه النعت ❁ القول في تأويل قوله (ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول ألا انها قربة لهم سيدخلهم الله في رحمته ان الله غفور رحيم) يقول تعالى ذكره ومن الاعراب من يصدق الله ويقر بوحدانيته وبالبعث بعد الموت والثواب والعقاب وينوي ما ينفق من نفقة في جهاد المشركين وفي سفره مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قربات عند الله والقربات جمع قربة وهو ما قربه من رضا الله ومحبته وصلوات الرسول يعني بذلك ويبتغي بنفقته ما ينفق مع طلب قربته من الله دعاء الرسول واستغفاره له وقد دللنا فيما مضى من كتابنا على أن من معاني الصلاة الدعاء بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن

التاء في الذال بعد نقل حركتها الى العين والاعتذار قد يكون بالكذب كقوله تعالى يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم قل لا تعتذروا وقد يكون صحيحا كقول القائل ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر أي جاء بعذر صحيح فاذا أخذنا بقراءة التخفيف كان المعذرون صادقين واذا أخذنا بقراءة التشديد وفسرناها بالمعتذرين احتمل الامران ومن المفسرين من رجح جانب صدقهم لانه تعالى ميزهم من الكاذبين بقوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله ومنهم من مال الى انهم كاذبون روى الواحدي باسناده عن أبي عمرو انه قال ان أقواما تكلفوا عذرا بباطل وهم الذين عناهم الله بقوله وجاء المعذرون وتخلف آخرون لا بعذر ولا بشبهة عذر جراءة على الله وهم الذين أرادهم الله بقوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله وهم منافقو الاعراب الذين لم يجيئوا ولم يعتذروا وظهر بذلك انهم كذبوا الله ورسوله في ادعائهم الايمان سيصيب الذين كفروا منهم من الاعراب عذاب أليم في الدنيا بالقتل وفي العقبى بالنار وانما قال منهم لعلمه بان بعضهم سيؤمن ويتخلص من هذا العقاب ثم ذكر ان تكليف الجهاد ساقط عن أصحاب الاعذار الحقيقية فقال ليس على الضعفاء وهم الذين في أبدانهم ضعف في أصل الخلقة أو لهرم ولا على المرضى ويدخل فيه أصحاب العمى والعرج والزمانة وكل من كان موصوفا بمرض يمنعه من التمكن من المحاربة ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون في الغزو على أنفسهم حرج قيل هم مزينة وجهينة ومن عدده وفيه دليل على انه لا يحرم عليه الخروج اذا أمكنه الاعانة بمقدار القدرة كحفظ متاع المجاهدين وتكثير سوادهم وانما يكون ذلك طاعة مقبولة منه اذا لم يجعل نفسه كلا ووبالا عليهم ثم انه شرط في جواز القعود النصح لله ورسوله ليحترزوا بعدهم عن القاء الارجاف وإثارة الفتن ويقدموا على اصلاح مهمات بيوتهم وبالجملة على كل ما له مدخل في طاعة الله ورسوله وموافقة السر العلن كما يفعل الولي

ابن

ابن عباس قوله وصلوات الرسول يعني استغفار النبي عليه السلام حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول قال دعاء الرسول قال هذه بغية الله من الاعراب حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر قال هم بنو مقرن من مزينة هم الذين قال الله فيهم ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا قال هم بنو مقرن من مزينة قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قوله الاعراب أشد كفرا ونفاقا ثم استثنى فقال ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر الآية حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا جعفر عن البختري بن المختار العبدي قال سمعت عبد الرحمن بن معقل قال كنا عشرة ولد مقرن فنزلت فينا ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر الى آخر الآية قال الله ألا انها قربة لهم يقول تعالى ذكره ألا ان صلوات الرسول قربة لهم من الله وقد يحتمل أن يكون معناه ألا ان نفقته التي ينفقها كذلك قربة لهم عند الله سيدخلهم الله في رحمته يقول سيدخلهم الله فيمن رحمه فادخله برحمته الجنة ان الله غفور لما اجترموا رحيم بهم مع توبتهم واصلاحهم أن يعذبهم ۞ القول في تأويل قوله (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الانهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم) يقول تعالى ذكره والذين سبقوا الناس أولا الى الايمان بالله ورسوله من المهاجرين الذين هاجروا قومهم وعشيرتهم وفارقوا منازلهم وأوطانهم والانصار الذين نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أعدائه من أهل الكفر بالله ورسوله والذين اتبعوهم باحسان يقول والذين سلكوا سبيلهم في الايمان بالله ورسوله والهجرة من دار الحرب الى دار الاسلام طلب رضى الله رضي الله عنهم ورضوا عنه واختلف أهل التأويل في المعني بقوله والسابقون الاولون فقال بعضهم هم الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان أو أدركوا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن بشر عن اسماعيل عن عامر والسابقون الاولون قال من أدرك بيعة الرضوان قال ثنا ابن فضيل عن مطرف عن عامر قال المهاجرون الاولون من أدرك البيعة تحت الشجرة حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى قال ثنا اسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي قال المهاجرون الاولون الذين شهدوا بيعة الرضوان حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان عن مطرف عن الشعبي قال المهاجرون الاولون من كان قبل البيعة الى البيعة فهم المهاجرون الاولون ومن كان بعد البيعة فليس من المهاجرين الاولين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا اسماعيل ومطرف عن الشعبي قال السابقون الاولون من المهاجرين والانصار هم الذين بايعوا بيعة الرضوان حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال ثنا هشيم عن داود عن عامر قال فصل ما بين الهجرتين بيعة الرضوان وهي بيعة الحديبية حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم قال أخبرنا اسماعيل بن أبي خالد ومطرف عن الشعبي قال هم الذين بايعوا بيعة الرضوان حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا عنترة أبو زيد عن مطرف عن الشعبي قال المهاجرون الاولون من أدرك بيعة الرضوان وقال آخرون بل هم الذين صلوا القبلتين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن قيس عن عثمان الثقفي عن مولى لابي موسى عن أبي موسى قال المهاجرون الاولون من صلى القبلتين مع النبي صلى الله عليه وسلم حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا قيس بن الربيع عن عثمان بن المغيرة عن أبي زرعة عن عمرو بن

الناصح بصاحبه ثم قال ما على المحسنين أي المعذرين الناصحين من سبيل العقاب والمؤاخذة قال بعض أهل الظاهر كداود الاصفهاني وغيره ان المحسن هو الآتي بالاحسان ورأس الاحسان وسنامه هو قول لا اله الا الله فهذا يدل على ان المكلف اذا تكلم بهذه الكلمة برئت ذمته نفسه وماله الا بدليل منفصل كما ان السلطان لو قال لاهل مملكته تكليفي عليكم كذا وكذا وبعد ذلك لا سبيل لاحد على أحد كان ذلك دليلا على انه لا تكليف عليهم فيما وراء ذلك لان باب النفي لا نهاية له فلا ينضبط الا بهذا الطريق وعلى هذا لو ورد في القرآن ألف تكليف أو أقل أو أكثر كان ذلك تنصيصا على ان التكاليف محصورة فيها وفيما وراءها ليس لله على الخلق تكليف وأمر ونهي وبهذا الطريق تصير الشريعة مضبوطة ويكون القرآن وافيا ببيان التكاليف والاحكام ولا حاجة الى التمسك بالقياس لان هذا النص دل على ان الاصل براءة الذمة فان كان القياس مفيد البراءة أيضا فضائع وان كان يفيد شغل الذمة صار مخصصا لعموم النص وانه لا يجوز لان النص أقوى من القياس ولما ذكر الضعفاء والمرضى والفقراء بين قسما رابعا وهم الذين لا يجدون الراحلة وان قدروا على الزاد فقال ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم أي على المركوب قلت قال في الكشاف هو حال من الكاف في أتوك باضمار قد اي اذا ما أتوك قائلا لا أجد ما أحملكم عليه تولوا ويجوز ان يكون واسطة بين الشرط والجزاء كالاعتراض قلت ويحتمل ان يكون بدلا من أتوك قال مجاهد هم أبناء مقرن ومعقل وسويد والنعمان وقيل أبو موسى الاشعري وأصحابه أتوا رسول الله صلى الله عليه وآله يستحملونه ووافق منه غضبا فقال والله ما أحملكم عليه فتولوا وهم يبكون فدعاهم وأعطاهم ذودا غر الذرى فقال أبو موسى ألست حلفت يا رسول الله صلى الله عليه وآله فقال اما اني ان شاء الله لا أحلف بيمين فأرى غيرها خيرا منها الا أتيت الذي هو خير منها

وكفرت عن يمينى وقيل هم البكاؤن ستة نفر من الانصار معقل بن يسار وصخر بن خنسا وعبدالله بن كعب وعلبة بن زيد وسالم بن عمير وثعلبة
ابن عنمة وعبدالله بن معقل أتوا رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا يانبى الله ان الله عز وجل قد ندبنا للخروج معك فاحملنا على

جرير عن مولى لابى موسى قال سألت أباموسى الاشعرى عن قوله والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار قال هم الذين صلوا القبلتين جميعا حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن أبى هلال عن قتادة قال قلت لسعيد بن المسيب لم سموا المهاجرين الاولين قال من صلى مع النبى صلى الله عليه وسلم القبلتين جميعا فهو من المهاجرين الاولين حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد عن ابن أبى عروبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب قال المهاجرون الاولون الذين صلوا القبلتين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن سعيد بن المسيب قوله والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار قال هم الذين صلوا القبلتين جميعا ثنا محمد بن المثنى قال ثنا عباس بن الوليد قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن سعيد بن المسيب مثله حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن بعض أصحابه عن قتادة عن سعيد بن المسيب وعن اشعث عن ابن سيرين فى قوله والسابقون الاولون قال هم الذين صلوا القبلتين حدثنا ابن بشار قال ثنا معاذ ابن معاذ قال ثنا ابن عون عن محمد قال المهاجرون الاولون الذين صلوا القبلتين حدثنا الحسن ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار قال هم الذين صلوا القبلتين جميعا وأما الذين اتبعوا المهاجرين الاولين والانصار باحسان فهم الذين اسلموا لله اسلامهم وسلكوا منهاجهم فى الهجرة والنصرة وأعمال الخير كما حدثنا أحمد ابن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا أبو معشر عن محمد بن كعب قال مر عمر برجل وهو يقرأ هذه الآية والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان قال من أقرأك هذه الآية قال أقرأنيها أبى بن كعب قال لا تفارقنى حتى أذهب بك اليه فأتاه فقال أنت اقرأت هذا هذه الآية قال نعم قال وسمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقد كنت أرانا رفعنا رفعة لا يبلغها أحد بعدنا قال وتصديق ذلك فى أول الآية التى فى أول الجمعة وأوسط الحشر وآخر الانفال أما أول الجمعة وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وأوسط الحشر والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان وأما آخر الانفال والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم حدثنا أبو كريب قال ثنا الحسن بن عطية قال ثنا أبو معشر عن محمد بن كعب القرظى قال مر عمر بن الخطاب برجل يقرأ والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار حتى بلغ ورضوا عنه قال وأخذ عمر بيده فقال من اقرأك هذا قال أبى بن كعب فقال لا تفارقنى حتى اذهب بك اليه فلما جاءه قال عمر أنت أقرأت هذا هذه الآية هكذا قال نعم قال أنت سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم قال لقد كنت أظن انا رفعنا رفعة لا يبلغها أحد بعدنا فقال أبى بلى تصديق هذه الآية فى أول سورة الجمعة وآخرين منهم لما يلحقوا بهم الى وهو العزيز الحكيم وفى سورة الحشر والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان وفى الانفال والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم الى آخر الآية وروى عن عمر فى ذلك ما حدثنى به أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم قال ثنا حجاج عن هارون عن حبيب بن الشهيد وعن ابن عامر الانصارى ان عمر ابن الخطاب قرأ والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار الذين اتبعوهم باحسان فرفع الانصار ولم يلحق الواو فى الذين فقال له زيد بن ثابت والذين اتبعوهم باحسان فقال عمر الذين اتبعوهم باحسان فقال زيد أمير المؤمنين أعلم فقال عمر ائتونى بابى بن كعب فأتاه فسأله عن ذلك فقال أبى والذين اتبعوهم باحسان فقال عمر اذا نتابع أبيا والقراءة على خفض الانصار عطفا بهم على المهاجرين وقد ذكر عن الحسن البصرى انه كان يقرأ الانصار بالرفع عطفا بهم على السابقين والقراءة التى لا أستجيز غيرها

الحفاق المرفوعة والبغال المخصومة نغز ومعك فقال لا أجد ما أحملكم عليه فولوا وهم يبكون وقوله تفيض من الدمع كقولك تفيض دمعا وهو أبلغ من يفيض دمعها لان العين جعلت كأنها فائضة ومن للبيان والجار والمجرور فى محل النصب على التمييز حزنا الا يجدوا أى على ان لا يجدوا انما السبيل أى سبيل الخطاب والعتاب فى أمر الغزو والجهاد على الذين يستأذنونك فى التخلف وهم أغنياء ثم قال على سبيل الاستئناف رضوا كأنه قيل ما لهم استأذنوا وهم قادرون على الاستعداد فقيل رضوا بالدناءة والانتظام فى جملة الخوالف ومن جملة أسباب الاستئذان ان طبع الله تعالى على قلوبهم قال أهل العلم لما قال فى الآية الاولى واذا أنزلت سورة قال هنالك وطبع ليكون المجهول مبنيا على المجهول بخلافه فى هذه الآية ثم ان العلم فوق الفقه وكان أنسب بالمقام الذى جرى فيه ذكر الله أما قوله قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم فانه علة المنع من الاعتذار لان غرض المعتذر ان يصير عذره مقبولا فاذا علم بان القوم يكذبونه وجب عليه تركه وقوله قد نبأنا الله علة لانتفاء التصديق وسيرى الله عملكم يعنى رؤية وقوع أى سيقع انكم هل تبقون على الحالة التى تظاهرونها أم لا وفى قوله ثم تردون الى عالم الغيب تخويف شديد وفيه انه مطلع على بواطنهم الخبيثة وضمائرهم المملوءة من النفاق والكذب وانما

ثم يعلل فى هذه الآية والمؤمنون كما فى الآية التى تجىء لان هذه فى المنافقين ولا يطلع على ما فى باطنهم الا الله ثم
ورسوله باطلاع الله اياه أى ينبؤهم كما قال قد نبأنا الله من أخباركم والآية الاخرى فى المؤمنين عباداتهم ظاهرة للكل وختم آية المنافقين

المخلص

الخفض في الانصار لاجماع الحجة من القراء عليه وان السابق كان من الفريقين جميعا من المهاجرين والانصار وانما قصد بالخبر عن السابق من الفريقين دون الخبر عن الجميع والحاق الواو في الذين اتبعوهم باحسان لان ذلك كذلك في مصاحف المسلمين جميعا على ان التابعين باحسان غير المهاجرين والانصار وأما السابقون فانهم مرفوعون بالعائد من ذكرهم في قوله رضي الله عنهم ورضوا عنه ومعنى الكلام رضي الله عن جميعهم لما أطاعوه وأجابوا نبيه الى مادعاهم اليه من أمره ونهيه ورضي عنه السابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان لما أجزل لهم من الثواب على طاعتهم اياه وايمانهم به وبنبيه عليه السلام وأعد لهم جنات تجري تحتها الانهار يدخلونها خالدين فيها لابثين فيها أبدا لايموتون فيها ولايخرجون منها ذلك الفوز العظيم ۞ القول في تأويل قوله (وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لاتعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون الى عذاب عظيم) يقول تعالى ذكره ومن القوم الذين حول مدينتكم من الاعراب منافقون ومن أهل مدينتكم أيضا أمثالهم أقوام منافقون وقوله مردوا على النفاق يقول مرنوا عليه ودربوا به ومنه شيطان مارد ومريد وهو الخبيث العاتي ومنه قيل تمرد فلان على ربه أي عتى ومرد على معصيته واعتادها وقال ابن زيد في ذلك ماحدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ومن أهل المدينة مردوا على النفاق قال أقاموا عليه لم يتوبوا كما تاب الآخرون حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ومن أهل المدينة مردوا على النفاق أي لجوا فيه وأبوا غيره لاتعلمهم يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم لاتعلم يامحمد أنت هؤلاء المنافقين الذين وصفت لك صفتهم ممن حولكم من الاعراب ومن أهل المدينة ولكنا نحن نعلمهم كما حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله وممن حولكم من الاعراب منافقون الى قوله نحن نعلمهم قال فما بال أقوام يتكلفون علم الناس فلان في الجنة وفلان في النار فاذا سألت أحدهم عن نفسه قال لاأدري لعمري أنت بنفسك أعلم منك بأعمال الناس ولقد تكلفت شيأ ما تكلفه الانبياء قبلك قال نبي الله نوح عليه السلام وما علمي بما كانوا يعملون وقال نبي الله شعيب عليه السلام بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ وقال الله لنبيه عليه السلام لاتعلمهم نحن نعلمهم وقوله سنعذبهم مرتين يقول سنعذب هؤلاء المنافقين مرتين احداهما في الدنيا والاخرى في القبر ثم اختلف أهل التأويل في التي في الدنيا ماهي فقال بعضهم هي فضيحتهم فضحهم الله بكشف أمورهم وتبيين سرائرهم للناس على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا الحسين بن عمرو العنقزي قال ثنا أبي قال ثنا اسباط عن السدي عن أبي مالك عن ابن عباس في قول الله وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق الى قوله عذاب عظيم قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا يوم الجمعة فقال اخرج يافلان فانك منافق اخرج يافلان فانك منافق فاخرج من المسجد ناسا منهم فضحهم فلقيهم عمر وهم يخرجون من المسجد فاختبأ منهم حياء أنه لم يشهد الجمعة وظن ان الناس قد انصرفوا واختبئوا هم من عمر ظنوا انه قد علم بامرهم فجاء عمر فدخل المسجد فاذا الناس لم يصلوا فقال له رجل من المسلمين أبشر ياعمر فقد فضح الله المنافقين اليوم فهذا العذاب الاول حين أخرجهم من المسجد والعذاب الثاني عذاب القبر حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان عن السدي عن أبي مالك سنعذبهم مرتين قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب فيذكر المنافقين فيعذبهم بلسانه قال وعذاب القبر ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور

بقوله ثم تردون لانه وعيد فقطعه عن الاول بخلاف آية المؤمنين حيث وصلها بالواو لانه وعد والله أعلم ثم ذكر ان منافقي الاعراب سيؤكدون اعذارهم بالايمان الكاذبة مثل ماحكى تعالى عن منافقي المدينة فقال سيحلفون بالله لكم (٧) أي لاجلكم اذا انقلبتم أي رجعتم اليهم ولم يذكر المحلوف عليه والظاهر انهم حلفوا على انهم ماقدروا على الخروج ولكن بين غرضهم من الحلف فقال لتعرضوا عنهم أرادوا الصفح والعفو فامر الله المؤمنين باعطاء طلبتهم ولكن على سبيل المقت لا الصفح وكذا قال ابن عباس أراد ترك الكلام والسلام وقال مقاتل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة لاتجالسوهم ولاتكلموهم وكانوا ثمانين رجلا منهم جد بن قيس ومعتب بن قشير ثم بين علة الاجتناب عنهم فقال انهم رجس فكأنهم نجس العين فلا سبيل الى تطهيرهم بالعقاب والتوبيخ وفي أمثالهم انما يعاتب الاديم دون البشرة المعاتبة المعاودة وبشرة الاديم ظاهره الذي عليه الشعر أي انما يعاد الى الدباغ من الاديم ماسلمت بشرته يضرب لمن فيه مراجعة ومستعتب واذا لم تكن المعاتبة نافعة فيهم فتركها هو الصواب ومأواهم جهنم منقلبهم النار عتابا وتوبيخا ثم بين انهم طلبوا اعراض الصفح بقوله يحلفون لكم لترضوا عنهم نهاهم عن الرضى بقوله فان ترضوا عنهم الآية دلت ان ارادة المؤمن يجب ان تكون موافقة لارادة الله وأي فائدة في رضى المؤمنين اذا كان الله تعالى ساخطا عليهم ثم عدد مثالب الاعراب وأراد بهم جمعا معينين كانوا أولى من منافقي المدينة قال أهل اللغة رجل عربي اذا كان نسبه الى العرب ثابتا وجمعه اعراب كالمجوسي والمجوس واليهودي واليهود فالاعرابي اذا قيل له ياعربي فرح واذا قيل للعربي يااعرابي غضب وذلك ان من استوطن القرى العربية فهو عربي ومن نزل البادية فهو اعرابي ولهذا لايجوز ان يقال للمهاجرين والانصار اعراب انما هم عرب قال صلى الله عليه وسلم لاتؤمن امرأة رجلا ولا فاسق مؤمنا

عن معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد سنعذبهم مرتين قال القتل والسبا حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد سنعذبهم مرتين بالجوع وعذاب القبر قال ثم يردون الى عذاب عظيم يوم القيامة حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا جعفر بن عون والقاسم ويحيى بن آدم عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله سنعذبهم مرتين قال بالجوع والقتل وقال يحيى الخوف والقتل حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال بالجوع والقتل حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن يمان عن سفيان عن السدي عن أبي مالك سنعذبهم مرتين قال بالجوع وعذاب القبر حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد سنعذبهم مرتين قال بالجوع والقتل وقال آخرون معنى ذلك سنعذبهم عذابا في الدنيا وعذابا في الآخرة ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة سنعذبهم مرتين عذاب الدنيا وعذاب القبر ثم يردون الى عذاب عظيم ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم أسر الى حذيفة باثني عشر رجلا من المنافقين فقال ستة منهم تكفيكهم الدبيلة سراج من نار جهنم يأخذ في كتف أحدهم حتى يفضي الى صدره وستة يموتون موتا ذكر لنا أن عمر بن الخطاب رحمه الله كان اذا مات رجل يرى أنه منهم نظر الى حذيفة فان صلى عليه صلى عليه والا تركه وذكر لنا أن عمر قال لحذيفة أنشدك الله أمنهم أنا قال لا والله ولا أومن منها أحدا بعدك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن سنعذبهم مرتين قال عذاب الدنيا وعذاب القبر حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن العلاء قالا ثنا بدل بن المحبر قال ثنا شعبة عن قتادة سنعذبهم مرتين قال عذابا في الدنيا وعذابا في القبر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال عذاب الدنيا وعذاب القبر ثم يردون الى عذاب النار وقال آخرون كان عذابهم احدى المرتين مصائبهم في أموالهم وأولادهم والمرة الاخرى في جهنم ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد سنعذبهم مرتين قال أما عذاب الدنيا فالاموال والاولاد وقرأ قول الله فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا بالمصائب فهي لهم عذاب وهي للمؤمنين أجر قال وعذاب في الآخرة في النار ثم يردون الى عذاب عظيم قال النار وقال آخرون بل احدى المرتين الحدود والاخرى عذاب القبر ذكر ذلك عن ابن عباس من وجه غير مرتضى وقال آخرون بل احدى المرتين أخذ الزكاة من أموالهم والاخرى عذاب القبر ذكر ذلك عن سليمان بن أرقم عن الحسن وقال آخرون بل احدى المرتين عذابهم بما يدخل عليهم من الغيظ في أمر الاسلام ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق سنعذبهم مرتين قال العذاب الذي وعدهم مرتين فيما بلغني عنهم ما هم فيه من أمر الاسلام وما يدخل عليهم من غيظ ذلك على غير حسبة ثم عذابهم في القبر اذا صاروا اليها ثم العذاب العظيم الذي يردون اليه عذاب الآخرة ويخلد فيه * قال أبو جعفر وأولى الاقوال في ذلك بالصواب عندي أن يقال ان الله أخبر أنه يعذب هؤلاء الذين مردوا على النفاق مرتين ولم يضع لنا دليلا نوصل به الى علم صفة ذينك العذابين وجائز أن يكون بعض ما ذكرنا عن القائلين ما أنبأنا عنهم وليس عندنا علم بأي ذلك من أي على أن في قوله جل ثناؤه ثم يردون الى عذاب عظيم دلالة على أن العذاب في المرتين كلتيهما قبل دخولهم النار والاغلب من احدى المرتين أنها في القبر وقوله ثم يردون الى عذاب عظيم يقول ثم يرد هؤلاء المنافقون بعد تعذيب الله اياهم مرتين الى عذاب عظيم وذلك عذاب جهنم ۞ القول في تأويل قوله (وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر

الحكماء انه قال حكمة الروم في أدمغتهم وذلك لأنهم يقدرون على التركيبات العجيبة وحكمة الهند في أوهامهم وحكمة اليونان في أفئدتهم وذلك لكثرة ما لهم من المباحث العقلية وحكمة العرب في ألسنتهم وذلك لحلاوة ألفاظهم وعذوبة عباراتهم وانما حكم على الاعراب بأنهم أشد كفرا ونفاقا لأنهم يشبهون الوحوش سئل بعض الحكماء ما بال أهل البادية لا يحتاجون الى الطبيب فقال كما لا يحتاج حمر الوحش الى البياطرة ولاستيلاء الهواء الحار عليهم الموجب لكثرة الطيش والخروج عن الاعتدال ولأن من أصبح وأمسى مشرقا عليه أنوار النبوة ومشرفا باستماع مواعظه وآدابه كيف يكون مساويا لمن نشأ كالناشئ من غير سياسة سائس ولا تأديب مؤدب وان شئت فقس الفواكه الجبلية بالفواكه البستانية ولهذا قال ان الجفاء والقسوة في الفدادين أي الاكارين لأنهم يصيحون وقوله وأجدر أي أولى وأحق بأن لا يعلموا حدود ما أنزل الله أي مقادير التكاليف وأحكامه وما انتهى اليه الادلة العقلية والسمعية والله عليم بما في قلوب أهل البدو والحضر وأصحاب الوبر والمدر حكيم في كل ما قدر من الشرائع وما يتبعها من الجزاء ثم نوع جنس الاعراب فقال ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما هو مفعول ثان ليتخذ لأنه بمعنى الجعل والاعتقاد والزعم أي

يعتقد أن الذي ينفقه في سبيل الله غرامة وخسران وقد عرفت أن أصل الغرم اللزوم كأنه اعتقد أنه لزمه لأمر
من خارج لتقية أو رياء ليس مما يثبت من النفس والمغرم اما مصدر أو موضع ويتربص بكم الدوائر نوب الزمان وتصاريفه ودوله وكأنها

عيا

سيأعسى الله ان يتوب عليهم ان الله غفور رحيم) يقول تعالى ذكره ومن أهل المدينة منافقون مردوا على النفاق ومنهم آخرون اعترفوا بذنوبهم يقول اقروا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا يعنى جل ثناؤه بالعمل الصالح الذى خلطوه بالعمل السيئ اعترافهم بذنوبهم وتوبتهم منها والآخر السيئ هو تخلفهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج غازيا وتركهم الجهاد مع المسلمين فان قال قائل وكيف قيل خلطوا عملا صالحا وآخر سيأ وانما الكلام خلطوا عملا صالحا بآخر سيئ قيل قد اختلف أهل العربية فى ذلك فكان بعض نحوى البصرة يقول قيل ذلك كذلك وجائز فى العربية ان يكون بآخر كما تقول استوى الماء والخشبة أى بالخشبة وخلطت الماء واللبن وأنكر ان آخرون يكون نظير قولهم استوى الماء والخشبة واعتل فى ذلك بان الفعل فى الخلط عامل فى الاول والثانى وجائز تقديم كل واحد منهما على صاحبه وان تقديم الخشبة على الماء غير جائز فى قولهم استوى الماء والخشبة وكان ذلك عندهم دليلا على مخالفة ذلك الخلط * قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك عندى انه بمعنى قولهم خلطت الماء واللبن بمعنى خلطته باللبن عسى الله ان يتوب عليهم يقول لعل الله ان يتوب عليهم وعسى من الله واجب وانما معناه سيتوب الله عليهم ولكنه فى كلام العرب على ما وصفت ان الله غفور رحيم يقول ان الله ذو صفح وعفو لمن تاب عن ذنوبه وساتر له عليها رحيم به ان يعذبه بها وقد اختلف أهل التأويل فى المعنى بهذه الآية والسبب الذى من أجله أنزلت فيه فقال بعضهم نزلت فى عشرة أنفس كانوا تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك منهم أبو لبابة فربط سبعة منهم أنفسهم الى السوارى عند مقدم النبى صلى الله عليه وسلم توبة منهم من ذنبهم

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيأ قال كانوا عشرة رهط تخلفوا عن النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك فلما حضر رجوع النبى صلى الله عليه وسلم أوثق سبعة منهم أنفسهم بسوارى المسجد فكان ممر النبى صلى الله عليه وسلم اذا رجع فى المسجد عليهم فلما رآهم قال من هؤلاء الموثقون أنفسهم بالسوارى قال هذا أبو لبابة وأصحاب له تخلفوا عنك يا رسول الله حتى تطلقهم وتعذرهم فقال النبى عليه السلام وأنا أقسم بالله لا أطلقهم ولا أعذرهم حتى يكون الله هو الذى يطلقهم رغبوا عنى وتخلفوا عن الغزو مع المسلمين فلما بلغهم ذلك قالوا ونحن بالله لا نطلق أنفسنا حتى يكون الله الذى يطلقنا فأنزل الله تبارك وتعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيأ عسى الله ان يتوب عليهم عسى من الله واجب فلما نزلت أرسل اليهم النبى صلى الله عليه وسلم فأطلقهم وعذرهم وقال آخرون بل كانوا ستة أحدهم أبو لبابة

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيأ عسى الله الى قوله ان الله غفور رحيم وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا غزوة تبوك فتخلف أبو لبابة وخمسة معه عن النبى صلى الله عليه وسلم ثم ان أبا لبابة ورجلين معه تفكروا وندموا وأيقنوا بالهلكة وقالوا نكون فى الكن والطمأنينة مع النساء ورسول الله والمؤمنون معه فى الجهاد والله لنوثقن أنفسنا بالسوارى ولا نطلقها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو يطلقنا ويعذرنا فانطلق أبو لبابة وأوثق نفسه ورجلان معه بسوارى المسجد وبقى ثلاثة نفر لم يوثقوا أنفسهم فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته وكان طريقه فى المسجد فمر عليهم فقال من هؤلاء الموثقو أنفسهم بالسوارى فقالوا هذا أبو لبابة وأصحاب له تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعاهدوا الله ان لا يطلقوا أنفسهم حتى تكون

لا تستعمل الا فى المكروه تشبيها بالدائرة التى تحيط بما فى ضمنها بحيث لا يوجد منها مخلص ثم خيب الله ظنونهم بالاسلام وذويه بان دعا عليهم بقوله عليهم دائرة السوء وانها جملة معترضة كقوله غلت أيديهم والسوء بالفتح مصدر أضيف اليه الدائرة للملابسة كقوله رجل صدق قال فى الكشاف وهو ذم للدائرة لان من دارت عليه ذام لها وبالضم اسم بمعنى البلاء والعذاب والمراد انهم لا يرون فى محمد ودينه الا ما يسوؤهم والله سميع لاقوالهم عليم بنياتهم قيل هم اعراب أسد وغطفان وتميم ثم ختم الكلام بذكر الصالحين منهم فقال ومن الآية والمعنى انهم يعتقدون ما ينفقونه سببا لحصول القربات عند الله وسببا لصلوات الرسول عليهم لانه كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم كقوله اللهم صل على آل أبى أوفى ثم انه تعالى شهد لهم ولامثالهم بصحة ما اعتقدوه فقال على طريق الاستئناف مؤكدا بحرفى التنبيه والتحقيق الا انها قربة لهم ثم فسر القربة بقوله سيدخلهم والسين لتحقيق الوعد قيل هم عبد الله ذو البجادين ورهطه أخذت أمه بجادا وهو كساء مخطط فشقته نصفين فردته باحدهما وأزرته بالثانى وبعثته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان فائدة ٧ والله أعلم * التأويل الناس ثلاثة المتضررون المعذرون المعترفون بتقصيرهم والقاعدون الكذابون والساعون المخلصون فى الطلب ولكن فيهم الضعفاء والمرضى والفقراء ولا حرج عليهم فى القعود عن طلب الكمال بالظواهر مع اشتغال البواطن فى الطلب بقدر الاستعداد ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم على طريق الناجية لتحملهم على جناح الهمة النبوية وتوصلهم الى مقامات لم يكونوا بالغيها كما حملهم على

البشرية والروحانية قلت لا أجد ما أحملكم عليه [illegible]

أنت الذى تطلقهم وترضى عنهم وقد اعترفوا بذنوبهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا أطلقهم حتى أومر باطلاقهم ولا أعذرهم حتى يكون الله هو يعذرهم وقد تخلفوا عنى ورغبوا بأنفسهم عن غزو المسلمين وجهادهم فأنزل الله برحمته وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيأ عسى الله أن يتوب عليهم ان الله غفور رحيم وعسى من الله واجب فلما نزلت الآية أطلقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعذرهم وتجاوز عنهم وقال آخرون الذين ربطوا أنفسهم بالسوارى كانوا ثمانية * ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن زيد بن أسلم وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيأ عسى الله أن يتوب عليهم ان الله غفور رحيم قال هم الثمانية الذين ربطوا أنفسهم بالسوارى منهم كردوم رداس وأبو لبابة حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن يعقوب عن جعفر عن سعيد قال الذين ربطوا أنفسهم بالسوارى هلال وأبو لبابة وكردوم رداس وأبو قيس وقال آخرون كانوا سبعة * ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيأ عسى الله أن يتوب عليهم ذكر لنا أنهم كانوا سبعة رهط تخلفوا عن غزوة تبوك فأما أربعة فخلطوا عملا صالحا وآخر سيأ جد بن قيس وأبو لبابة وحرام وأوس وكلهم من الأنصار وهم الذين قيل خذ من أموالهم صدقة تطهرهم الآية حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة خلطوا عملا صالحا وآخر سيأ قال هم نفر ممن تخلف عن تبوك منهم أبو لبابة ومنهم جد بن قيس تيب عليهم قال قتادة وليسوا بثلاثة حدثنا القسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة وآخرون اعترفوا بذنوبهم قال هم سبعة منهم أبو لبابة كانوا تخلفوا عن غزوة تبوك وليسوا بالثلاثة حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد ابن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيأ نزلت فى أبى لبابة وأصحابه تخلفوا عن نبى الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته وكان قريبا من المدينة ندموا على تخلفهم عن رسول الله وقالوا نكون فى الظلال والأطعمة والنساء ونبى الله فى الجهاد واللأواء والله لنوثقن أنفسنا بالسوارى ثم لا نطلقها حتى يكون نبى الله صلى الله عليه وسلم يطلقنا ويعذرنا وأوثقوا أنفسهم وبقى ثلاثة لم يوثقوا أنفسهم فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته فمر فى المسجد وكان طريقه فأبصرهم فسأل عنهم فقيل له أبو لبابة وأصحابه تخلفوا عنك يا نبى الله فصنعوا بأنفسهم ما ترى وعاهدوا الله لا يطلقوا أنفسهم حتى تكون أنت الذى تطلقهم فقال نبى الله صلى الله عليه وسلم لا أطلقهم حتى أومر باطلاقهم ولا أعذرهم حتى يعذرهم الله قد رغبوا بأنفسهم عن غزوة المسلمين فأنزل الله وآخرون اعترفوا بذنوبهم الى عسى الله أن يتوب عليهم وعسى من الله واجب فأطلقهم نبى الله وعذرهم وقال آخرون بل عنى بهذه الآية أبو لبابة خاصة وذنبه الذى اعترف به فتيب عليه فيه ما كان من أمره فى بنى قريظة * ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وآخرون اعترفوا بذنوبهم قال نزلت فى أبى لبابة قال لبنى قريظة ما قال حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وآخرون اعترفوا بذنوبهم قال أبو لبابة اذ قال لقريظة ما قال أشار الى حلقه ان محمدا ذابحكم ان نزلتم على حكم الله حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وآخرون اعترفوا بذنوبهم فذكر نحوه الا أنه قال ان نزلتم على حكمه حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن ليث عن مجاهد ربط

الاستعدادات الكاملة فلم يستعملوها فى طلب الكمال كسلا وميلا الى اللذات العاجلة الاعراب أشد كفرا ان فى عالم الانسانية هوى نفسه وحضرا هو قلبه والكفر والنفاق للنفس مقتضى الذات كما ان الايمان للقلب لذاته بالنظرة وقد يصير القلب كافرا بسراية النفس مؤمنة بسراية القلب ولكن النفس تكون أشد كفرا من القلب الكافر كما ان القلب يكون أشد ايمانا من النفس المؤمنة حدود ما أنزل الله على رسوله يعنى الواردات النازلة على الروح فان القلب حضر الروح كما ان المدينة حضر الرسول صلى الله عليه وسلم ومن النفوس من يعتقد أن ما يصرف من أوقاته فى طلب الكمال ضائع وخسارة ينتظر بالقلب اشتغالا وفترة عليهم دائرة السوء باستيلاء القلب عليها وقهرها بما يخالف هواها والله سميع يجيب هذا الدعاء عليم بمن ينبغى ان يسمع فى حقه (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى تحتها الانهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون الى عذاب عظيم وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم ان الله غفور رحيم خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم والله سميع عليم ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وأن الله هو التواب الرحيم وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون وآخرون مرجون لامر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم والله عليم حكيم والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن ان أردنا الا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون لا تقم فيه أبدا لمسجد أسس

أبو

على التقوى من أول يوم أحق ان تقوم فيه فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان
خير أمن أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به فى نار جهنم والله لا يهدى القوم الظالمين (١١) لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم
الا أن تقطع قلوبهم والله عليم حكيم

أبو لبابة نفسه الى سارية فقال لا أحل نفسى حتى يحلنى الله ورسوله قال فحله النبى صلى الله عليه وسلم وفيه أنزلت هذه الآية وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا الآية حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربى عن ليث عن مجاهد وآخرون اعترفوا بذنوبهم قال نزلت فى أبى لبابة وقال آخرون بل نزلت فى أبى لبابة بسبب تخلفه عن تبوك ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال قال الزهرى كان أبو لبابة ممن تخلف عن النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك فربط نفسه بسارية فقال والله لا أحل نفسى منها ولا أذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت أو يتوب الله على فمكث سبعة أيام لا يذوق طعاما ولا شرابا حتى خر مغشيا عليه قال ثم تاب الله عليه ثم قيل له قد تيب عليك يا أبا لبابة فقال والله لا أحل نفسى حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو يحلنى قال فجاء النبى صلى الله عليه وسلم فحله بيده ثم قال أبو لبابة يا رسول الله ان من توبتى ان أهجر دار قومى التى أصبت فيها الذنب وان أنخلع من مالى كله صدقة الى الله والى رسوله قال يجزيك يا أبا لبابة الثلث وقال بعضهم عنى بهذه الآية الاعراب ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا قال فقال انهم من الاعراب حدثنا ابن وكيع قال ثنا يزيد بن هارون عن حجاج بن أبى ذئب قال سمعت أبا عثمان يقول ما فى القرآن آية أرجى عندى بهذه الامة من قوله وآخرون اعترفوا بذنوبهم الى والله غفور رحيم * قال أبو جعفر وأولى هذه الاقوال بالصواب فى ذلك قول من قال نزلت هذه الآية فى المعترفين بخطإ فعلهم فى تخلفهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركهم الجهاد معه والخروج لغزو الروم حين شخص الى تبوك وان الذين نزل ذلك فيهم جماعة أحدهم أبو لبابة وانما قلنا ذلك أولى بالصواب فى ذلك لان الله جل ثناؤه قال وآخرون اعترفوا بذنوبهم فاخبر عن اعتراف جماعة بذنوبهم ولم يكن المعترف بذنبه الموثق نفسه بالسارية فى حصار قريظة غير أبى لبابة وحده فاذا كان ذلك كذلك وكان الله تبارك وتعالى قد وصف فى قوله وآخرون اعترفوا بذنوبهم بالاعتراف بذنوبهم جماعة علم ان الجماعة الذين وصفهم بذلك السبب غير الواحد فقد بين بذلك ان هذه الصفة اذا لم تكن الا لجماعة وكان لا جماعة فعلت ذلك فيما نقله أهل السير والاخبار واجمع عليه أهل التأويل الا جماعة من المتخلفين عن غزوة تبوك صح ما قلنا فى ذلك وقلنا كان منهم أبو لبابة لاجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك ۞ القول فى تأويل قوله (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم والله سميع عليم) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يا محمد خذ من أموال هؤلاء الذين اعترفوا بذنوبهم فتابوا منها صدقة تطهرهم من دنس ذنوبهم وتزكيهم بها يقول وتنميهم وترفعهم عن خسيس منازل أهل النفاق بها الى منازل أهل الاخلاص وصل عليهم يقول وادع لهم بالمغفرة لذنوبهم واستغفر لهم منها ان صلاتك سكن لهم يقول ان دعاءك واستغفارك طمأنينة لهم بان الله قد عفا عنهم وقبل توبتهم والله سميع عليم يقول والله سميع لدعائك اذا دعوت لهم ولغير ذلك من كلام خلقه عليم بما تطلب لهم بدعائك ربك لهم وبغير ذلك من أمور عباده وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قال جاؤا بأموالهم يعنى أبا لبابة وأصحابه حين أطلقوا فقالوا يا رسول الله هذه أموالنا فتصدق بها عنا واستغفر لنا قال ما أمرت ان آخذ من أموالكم شيأ فانزل الله خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها يعنى بالزكاة طاعة الله والاخلاص وصل عليهم يقول استغفر لهم حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال

القراآت من تحتها بزيادة من ابن كثير الباقون بحذفها وبالنصب على الظرف والانصار بالرفع يعقوب الآخرون بالجر ان صلاتك على التوحيد حمزة وعلى وخلف وعاصم غير أبى بكر وحماد الباقون على الجمع بكسر التاء علامة النصب مرجون بواو ساكنة بعد الجيم أبو جعفر ونافع وحمزة وعلى وخلف وعاصم سوى أبى بكر وحماد الباقون بالهمزة المضمومة بعد الجيم الذين اتخذوا بغير واو أبو جعفر ونافع وابن عامر أسس بنيانه مجهولا فى الحرفين ابن عامر ونافع جرف بسكون الراء ابن عامر وحمزة وخلف ويحيى وحماد الباقون بالضم هار بالامالة أبو عمرو وحمزة وفى رواية ابن سعدان وأبى عمرو وعلى غير ليث وابن حمدون وحمدويه والنجارى عن ورش وابن ذكوان غير ابن مجاهد والنقاش ويحيى وحماد الى ان قرأها يعقوب الباقون الا ان تقطع فعلا ماضيا أو مضارعا بحذف التاء من التفعل ابن عامر ويزيد وحمزة وحفص والمفضل وسهل ورويس تقطع مضارعا مجهولا من التقطع روح الباقون تقطع مضارعا مجهولا من التقطيع * الوقوف باحسان لا لان قوله رضى الله عنهم خبر والسابقون أبدا ط العظيم ه منافقون ه لمن قدر ومن أهل المدينة قوم مردوا ومن وصل وقف على أهل المدينة تقديره هم مردوا على النفاق ط ومن

قدر ومن أهل المدينة قوم احتمل ان يجعل لا تعلمهم صفة للقوم فلم يقف لا تعلمهم ط نحن نعلمهم ط عظيم ه ج لاحتمال ان يكون التقدير ومنهم آخرون وان يكون معطوفا على منافقون أو على قوم المقدر سيئا ط عليهم ط رحيم ه وصل عليهم ط لهم ط

ه يتوب عليهم ط حكيم ه من قبل ط الحسنى ط لكاذبون ه أبدا ط ان
 ه فى نار جهنم ط الظالمين ه قلوبهم ط حكيم ه *التفسير لما ذكر

ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال لما أطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا لبابة وصاحبيه انطلق أبو لبابة وصاحباه بأموالهم فأتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا خذ من أموالنا فتصدق بها عنا وصل علينا يقول استغفر لنا وطهرنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا آخذ منها شيأ حتى أومر فأنزل الله خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم يقول استغفر لهم من ذنوبهم التى كانوا أصابوا فلما نزلت هذه الآية أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم جزأ من أموالهم فتصدق بها عنهم حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن زيد بن أسلم قال لما أطلق النبى صلى الله عليه وسلم أبا لبابة والذين ربطوا أنفسهم بالسوارى قالوا يا رسول الله خذ من أموالنا صدقة تطهرنا بها فأنزل الله خذ من أموالهم صدقة تطهرهم الآية حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن يعقوب عن جعفر عن سعيد بن جبير قال قال الذين ربطوا أنفسهم بالسوارى حين عفا الله عنهم يا نبى الله طهر أموالنا فأنزل الله خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وكان الثلاثة اذا اشتكى أحدهم اشتكى الآخران مثله وكان عمى منهم اثنان فلم يزل الآخر يدعو حتى عمى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال الاربعة جد بن قيس وأبو لبابة وحرام وأوس هم الذين قيل خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم أى وقار لهم وكانوا وعدوا من أنفسهم ان ينفقوا ويجاهدوا ويتصدقوا حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك قال لما أطلق نبى الله صلى الله عليه وسلم أبا لبابة وأصحابه أتوا نبى الله بأموالهم فقالوا يا نبى الله خذ من أموالنا فتصدق به عنا وطهرنا وصل علينا يقولون استغفر لنا فقال نبى الله لا آخذ من أموالكم شيأ حتى أومر فيها فنزل الله عز وجل خذ من أموالهم صدقة تطهرهم من ذنوبهم التى أصابوا وصل عليهم يقول استغفر لهم ففعل نبى الله عليه السلام ما أمره الله به حدثنا القسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قوله خذ من أموالهم صدقة أبو لبابة وأصحابه وصل عليهم يقول استغفر لهم لذنوبهم التى كانوا أصابوا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم قال هؤلاء ناس من المنافقين ممن كان تخلف عن النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك اعترفوا بالنفاق وقالوا يا رسول الله قد ارتبنا ونافقنا وشككنا ولكن توبة جديدة وصدقة نخرجها من أموالنا فقال الله لنبيه عليه السلام خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها بعد ما قال ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره واختلف أهل العربية فى وجه رفع تزكيهم فقال بعض نحوى البصرة رفع تزكيهم بها فى الابتداء وان شئت جعلته من صفة الصدقة ثم جئت بها توكيدا وكذلك تطهرهم وقال بعض نحوى الكوفة ان كان قوله تطهرهم للنبى عليه السلام فالاختيار ان تجزم بانه لم يعد على الصدقة عائد وتزكيهم مستأنف وان كانت الصدقة تطهرهم وأنت تزكيهم بها جاز ان تجزم الفعلين وترفعهما *قال أبو جعفر والصواب فى ذلك من القول ان قوله تطهرهم من صلة الصدقة لان القراء مجمعة على رفعها وذلك دليل على انه من صلة الصدقة وأما قوله وتزكيهم بها فخبر مستأنف بمعنى وأنت تزكيهم بها فلذلك رفع واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله ان صلاتك سكن لهم فقال بعضهم رحمة لهم ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس ان صلاتك سكن لهم يقول رحمة لهم وقال آخرون بل معناه ان صلاتك وقار لهم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان صلاتك سكن لهم أى وقار لهم واختلفت القراء

الاعراب المخلصين بين ان فوق منازلهم منازل أعلى وأجل وهى منازل السابقين الاولين والتابعين لهم باحسان قال ابن عباس السابقون الاولون من المهاجرين هم الذين صلوا الى القبلتين وشهدوا بدرا وعن الشعبى هم الذين بايعوا بيعة الرضوان بالحديبية ومن الانصار أهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة نفر وأهل بيعة العقبة الثانية وكانوا سبعين والذين آمنوا حين قدم عليهم أبو زرارة ومصعب ابن عمير فعلمهم القرآن والظاهر ان الآية عامة فى كل من سبق فى الهجرة والنصرة قال أهل السنة لا شك ان أبا بكر أسبق فى الهجرة أو هو من السابقين فيها وقد أخبر الله تعالى عنهم بانه رضى عنهم ولا شك ان الرضا معلل بالسبق الى الهجرة فيدوم بدوامه فدل ذلك على صحة امامته والا استحق اللعن والمقت قال أكثر العلماء كلمة من فى قوله من المهاجرين والانصار للتبعيض وانما استحق السابقون منهم هذا التعظيم لانهم آمنوا وفى عدد المسلمين فى مكة والمدينة قلة وفيهم ضعف فقوى الاسلام بسببهم وكثر عدد المسلمين واقتدى بهم غيرهم وقد قيل من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها وقيل للتبيين ليتناول المدح جميع الصحابة وروى عن حميد بن زياد انه قال قلت يوما لمحمد بن كعب القرظى ألا تخبرنى عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وما كان بينهم فقال لى ان الله تعالى قد غفر لهم وأوجب لهم الجنة فى كتابه محسنهم ومسيئهم قلت له فى أى موضع أوجب لهم الجنة قال سبحان الله ألا تقرأ قوله تعالى والسابقون الاولون الى آخر الآية أوجب لجميعهم الرضوان وشرط على التابعين شرطا لم يشترطه عليهم وهو

فى

الاتباع بالاحسان وذلك ان يقتدوا بهم في أعمالهم الحسنة لا السيئة أو باحسان في القول وهو ان لا يقولوا فيهم سوأ ويحفظوا السنتهم عن الاغتياب والطعن في حقهم قال العلماء معنى رضا الله عنهم قبول طاعاتهم ثم عاد (١٣) الى شرح أحوال المنافقين فقال ومن حولكم

في قراءة ذلك فقرأته قراء المدينة ان صلواتك سكن لهم بمعنى دعواتك وقرأ قراء العراق وبعض المكيين ان صلاتك سكن لهم بمعنى ان دعاءك وكأن الذين قرؤا ذلك على التوحيد رأوا ان قراءته بالتوحيد أصح لان في التوحيد من معنى الجمع وكثرة العدد ما ليس في قوله ان صلواتك سكن لهم اذ كانت الصلوات هي جمع لما بين الثلاث الى العشر من العدد دون ما هو أكثر من ذلك والذي قالوا من ذلك عندنا كما قالوا وبالتوحيد عندنا القراءة لعلة لان ذلك في العدد أكثر من الصلوات ولكن المقصود منه الخبر عن دعاء النبي صلى الله عليه وسلم وصلاته انه سكن لهؤلاء القوم لا الخبر عن العدد واذا كان ذلك كذلك كان التوحيد في الصلاة أولى ﴿القول في تأويل قوله﴾ (ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وان الله هو التواب الرحيم) وهذا خبر من الله تعالى ذكره أخبر به المؤمنين به أن قبول توبة من تاب من المنافقين وأخذ الصدقة من أموالهم اذا أعطوها ليستا الى نبي الله صلى الله عليه وسلم وان نبي الله حين أبى أن يطلق من ربط نفسه بالسواري من المتخلفين عن الغزو معه وحين ترك قبول صدقتهم بعد ان أطلق الله عنهم حين أذن له في ذلك انما فعل ذلك من أجل ان ذلك لم يكن اليه صلى الله عليه وسلم وان ذلك الى الله تعالى ذكره دون محمد وان محمدا انما يفعل ما يفعل من ترك واطلاق وأخذ صدقة وغير ذلك من أفعاله بأمر الله فقال جل ثناؤه ألم يعلم هؤلاء المتخلفون عن الجهاد مع المؤمنين الموثقو أنفسهم بالسواري القائلون لا نطلق أنفسنا حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يطلقنا السائلو رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ صدقة أموالهم أن ذلك ليس الى محمد وان ذلك الى الله وان الله هو الذي يقبل توبة من تاب من عباده أو يردها ويأخذ صدقة من تصدق منهم أو يردها عليه دون محمد فيوجهوا توبتهم وصدقتهم الى الله ويقصدوا بذلك قصده وجهه دون محمد وغيره ويخلصوا التوبة له ويريدوه بصدقتهم ويعلموا ان الله هو التواب الرحيم يقول المراجع لعبيده الى العفو عنهم اذا رجعوا الى طاعته الرحيم بهم اذا هم أنابوا الى رضاه من عقابه وكان ابن زيد يقول في ذلك ما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قال الآخرون يعني الذين لم يتوبوا من المتخلفين هؤلاء يعني الذين تابوا كانوا بالامس معنا لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم فقال الله ان الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وان الله هو التواب الرحيم حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة قال أخبرني رجل كان يأتي حمادا ولم يجلس اليه قال شعبة قال العوام بن حوشب هو قتادة أو ابن قتادة رجل من محارب قال سمعت عبد الله بن السائب وكان جاره قال سمعت عبد الله بن مسعود يقول ما من عبد تصدق بصدقة الا وقعت في يد الله فيكون هو الذي يضعها في يد السائل وتلا هذه الآية هو الذي يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن عبد الله بن السائب عن عبد الله بن أبي قتادة المحاربي عن عبد الله بن مسعود قال ما تصدق رجل بصدقة الا وقعت في يد الله قبل ان تقع في يد السائل وهو يضعها في يد السائل ثم قرأ ألم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن عبد الله بن السائب عن عبد الله بن أبي قتادة عن ابن مسعود بنحوه حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن الاعمش عن عبد الله بن السائب عن عبد الله بن أبي قتادة قال قال عبد الله ان الصدقة تقع في يد الله قبل ان تقع في يد السائل ثم قرأ هذه الآية هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات حدثنا أبو كريب قال ثنا عباد بن منصور عن القسم انه سمع أبا هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه فيربيها

هو خبر ومن الاعراب بيان أو حال ومنافقون مبتدأ ومن أهل المدينة عطف على الخبر أو خبر لمبتدأ آخر بناء على ان التقدير ومن أهل المدينة قوم مردوا التركيب يدل على الملاسة والبقاء على هيئة واحدة من ذلك صرح ممرد وغلام أمرد وأرض مرداء لا نبات فيها وتمرد اذا عتا فان من لم يقبل قول غيره ولم يلتفت اليه بقي كما كان على هيئته الاصلية من غير تغير فمعنى مردوا على النفاق تمهروا وتمرنوا وبقوا عليه حذاقا معودين الى حيث لا تعلم أنت نفاقهم مع وفور حدسك وقوة ذكائك ثم قال سنعذبهم مرتين قال ابن عباس هما العذاب في الدنيا بالفضيحة والعذاب في القبر وروى السدي عن أبي مالك انه صلى الله عليه وسلم قام خطيبا يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان انك منافق حتى اخرج ناسا وفضحهم وقال مجاهد هما القتل والسبي وعذاب القبر وقال قتادة بالزبانية وعذاب القبر وقال محمد بن اسحق هو ما يدخل عليهم من غيظ الاسلام والمسلمين ثم عذابهم في القبور وقال الحسن بأخذ الزكاة من أموالهم وبعذاب القبر وقيل أحد العذابين ضرب الملائكة الوجوه والادبار والآخر عند البعث يوكل بهم عنق من نار ثم يردون الى عذاب عظيم هو الدرك الاسفل من النار قال الكلبي ومن حولكم جهينة ومزينة وأشجع وأسلم وغفار ومن أهل المدينة عبد الله بن أبي وجد بن قيس

ومعتب بن قشير وأبو عامر الراهب وأضرابهم ثم قال وآخرون وهو معطوف على منافقون أو مبتدأ اعترفوا صفته وخلطوا خبره وعسى الله جملة مستأنفة وقيل خلطوا حال باضمار قد وعسى الله خبر وللمفسرين خلاف في انهم قوم من المنافقين تابوا عن نفاقهم أو قوم من المسلمين

لاحدكم كما يربى أحدكم مهره حتى ان اللقمة لتصير مثل أحد وتصديق ذلك فى كتاب الله ان الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات ويمحق الله الربا ويربى الصدقات حدثنا سليمان بن عمر بن الاقطع الرقى قال ثنا ابن المبارك عن سفيان عن عباد بن منصور عن القاسم عن أبى هريرة ولا أراه الا قد رفعه قال ان الله يقبل الصدقة ثم ذكر نحوه حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن أيوب عن القسم بن محمد عن أبى هريرة قال ان الله يقبل الصدقة اذا كانت من طيب ويأخذها بيمينه وان الرجل يتصدق بمثل اللقمة فيربيها الله له كما يربى أحدكم فصيله أو مهره فتربو فى كف الله أو قال فى يد الله حتى تكون مثل الجبل حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ألم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات ذكر لنا ان نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يقول والذى نفس محمد بيده لا يتصدق رجل بصدقة فتقع فى يد السائل حتى تقع فى يد الله حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس وان الله هو التواب الرحيم يعنى ان استقاموا ۞ القول فى تأويل قوله (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقل يا محمد لهؤلاء الذين اعترفوا لك بذنوبهم من المتخلفين عن الجهاد معك اعملوا لله بما يرضيه من طاعته وأداء فرائضه فسيرى الله عملكم ورسوله يقول فسيرى الله ان عملتم عملكم ويراه رسوله والمؤمنون فى الدنيا وستردون يوم القيامة الى من يعلم سرائركم وعلانيتكم فلا يخفى عليه شئ من باطن أموركم وظواهرها فينبئكم بما كنتم تعملون يقول فيخبركم بما كنتم تعملون وما منه خالصا وما منه رياء وما منه طاعة وما منه لله معصية فيجازيكم على ذلك كله جزاءكم المحسن باحسانه والمسئ باساءته حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن رجل عن مجاهد وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون قال هذا وعيد ۞ القول فى تأويل قوله (وآخرون مرجون لامر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم والله عليم حكيم) يقول تعالى ذكره ومن هؤلاء المتخلفين عنكم حين شخصتم لعدوكم أيها المؤمنون آخرون ورفع قوله آخرون عطفا على قوله وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيأ وآخرون مرجون يعنى مرجون لامر الله وقضائه يقال منه أرجأته أرجئه ارجاء وهو مرجأ بالهمز وترك الهمز وهما لغتان معناهما واحد وقد قرأت القراء بهما جميعا وقيل عنى بهؤلاء الآخرين نفر ممن كان تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك فندموا على ما فعلوا ولم يعتذروا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عند مقدمه ولم يوثقوا أنفسهم بالسوارى فارجأ الله أمرهم الى ان صحت توبتهم فتاب عليهم وعفا عنهم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قال وكان ثلاثة منهم يعنى من المتخلفين عن غزوة تبوك لم يوثقوا أنفسهم بالسوارى ارجئوا لا يدرون أيعذبون أو يتاب عليهم فانزل الله لقد تاب الله على النبى والمهاجرين الى قوله ان الله هو التواب الرحيم حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية يعنى قوله خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من أموالهم يعنى من أموال أبى لبابة وصاحبيه فتصدق بها عنهم وبقى الثلاثة الذين خالفوا أبا لبابة لم يوثقوا ولم يذكروا بشئ ولم ينزل عذرهم وضاقت عليهم الارض بما رحبت وهم الذين قال الله وآخرون مرجون لامر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم والله عليم حكيم فجعل الناس يقولون هلكوا ان لم ينزل لهم عذر وجعل آخرون يقولون عسى الله ان يغفر

تخلفوا عن غزوة تبوك لا لمنافقين والنفاق ولكن للكسل ثم ندموا على ما فعلوا عن ابن عباس فى رواية الوالبى نزلت فى قوم كانوا قد تخلفوا ثم ندموا وقالوا انكون فى الكن والظلال مع النساء ورسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فى الجهاد روى انهم كانوا ثلاثة أبو لبابة مروان بن المنذر وأوس ابن ثعلبة ووديعة بن خزام وقيل كانوا عشرة فسبعة منهم حين بلغهم ما نزل فى المتخلفين فايقنوا بالهلاك أوثقوا أنفسهم على سوارى المسجد وقالوا والله لا نطلق أنفسنا حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يطلقنا ويعذرنا فقدم رسول الله فدخل المسجد وصلى ركعتين وكانت هذه عادته كلما قدم من سفر فرآهم موثقين فسأل عنهم فقالوا هؤلاء تخلفوا عنك فعاهدوا الله أن لا يطلقوا أنفسهم حتى تكون أنت الذى تطلقهم وترضى عنهم فقال رسول الله وأنا أقسم بالله لا أطلقهم ولا أعذرهم حتى أومر باطلاقهم فنزلت هذه الآية فاطلقهم وعذرهم فقالوا يا رسول الله هذه أموالنا وانما تخلفنا عنك بسببها فتصدق وطهرنا فقال ما أمرت ان آخذ من أموالكم شيأ فنزل خذ من أموالهم صدقة الآية والاعتراف هو الاقرار بالشئ عن معرفته والمراد انهم اقروا بذنوبهم وهذا كالمقدمة للتوبة لان الاعتراف بالذنب لا يكون توبة الا اذا اقترن به الندم على الماضى والعزم على تركه فى الحال وفى الاستقبال خلطوا عملا صالحا وآخر سيأ أى خلطوا كل واحد منهما بالآخر كقولك خلطت الماء واللبن وهذا أبلغ من قولك خلطت الماء باللبن لانك جعلت فى الاول كلا منهما مخلوطا ومخلوطا به كأنك قلت خلطت الماء باللبن واللبن بالماء ويجوز ان يكون الواو بمعنى الباء من قولك بعت الشاة شاة ودرهما أى شاة بدرهم وذلك ان الواو للجمع والباء للالصاق فهما متقاربان ويجوز ان يقال الخلط ههنا بمعنى الجمع قال أهل السنة فيه دليل على نفى القول بالمحابطة لانه لهم

لهم فصار وامرجئين لامر الله حتى نزلت لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة الذين خرجوا معه الى الشام من بعدما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رؤف رحيم ثم قال وعلى الثلاثة الذين خلفوا يعني المرجئين لامر الله نزلت عليهم التوبة فعموا بها فقال حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم الى قوله ان الله هو التواب الرحيم حدثنا ابن وكيع قال ثنا سويد بن عمرو عن حماد بن زيد عن أيوب عن عكرمة وآخرون مرجون لامر الله قال هم الثلاثة الذين خلفوا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وآخرون مرجون لامر الله قال هلال بن أمية ومرارة بن ربعة وكعب بن مالك من الاوس والخزرج حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وآخرون مرجون لامر الله هلال بن أمية ومرارة بن ربعة وكعب بن مالك من الاوس والخزرج قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا جويبر عن الضحاك مثله حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله وآخرون مرجون لامر الله هم الثلاثة الذين خلفوا عن التوبة يريد غير أبي لبابة وأصحابه ولم ينزل الله عذرهم فضاقت عليهم الارض بما رحبت وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم فرقتين فرقة تقول هلكوا حين لم ينزل الله فيهم ما أنزل في أبي لبابة وأصحابه وتقول فرقة أخرى عسى الله ان يعفو عنهم وكانوا مرجئين لامر الله ثم أنزل الله رحمته ومغفرته فقال لقد تاب الله على النبي والمهاجرين الآية وأنزل وعلى الثلاثة الذين خلفوا الآية حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وآخرون مرجون لامر الله قال كنا نحدث انهم الثلاثة الذين خلفوا كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن ربيعة رهط من الانصار حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وآخرون مرجون لامر الله قال هم الثلاثة الذين خلفوا حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وآخرون مرجون لامر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم وهم الثلاثة الذين خلفوا وأرجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم حتى أوتيت توبتهم من الله وأما قوله اما يعذبهم فانه يعني اما ان يحجزهم الله عن التوبة بخذلانه اياهم فيعذبهم بذنوبهم التي ماتوا عليها في الآخرة واما يتوب عليهم يقول واما يوفقهم للتوبة فيتوبوا من ذنوبهم فيغفر لهم والله عليم حكيم يقول والله ذو علم بامرهم وما هم صائرون اليه من التوبة والمقام على الذنب حكيم في تدبيرهم وتدبير من سواهم من خلقه لا يدخل حكمه خلل ۞ القول في تأويل قوله (والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن ان أردنا الا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون) يقول تعالى ذكره والذين ابتنوا مسجدا ضرارا وهم فيما ذكر اثنا عشر نفسا من الانصار ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن الزهري ويزيد بن رومان وعبد الله بن أبي بكر وعاصم بن عمر بن قتادة وغيرهم قالوا اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني من تبوك حتى نزل بذي أوان بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار وكان أصحاب مسجد الضرار قد كانوا أتوه وهو يتجهز الى تبوك فقالوا يا رسول الله انا قد بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية وانا نحب ان تأتينا فتصلي لنا فيه فقال اني على جناح سفر وحال شغل أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو قد قدمنا أتيناكم ان شاء الله فصلينا لكم

ولم يبق العملان لم يتصور اختلاطهما وفي قوله عسى الله ان يتوب عليهم دليل على وقوع التوبة التي أخبر بحصول مقدمتها وهي الاعتراف منهم وفيه دليل على قبول توبتهم لان عسى من الكريم اطماع واجب وفائدته ان يكون المكلف على الطمع والاشفاق فلا يتكل ولا يهمل وفيه ان التوبة بخلق الله وقالت المعتزلة معنى ان يتوب ان يقبل التوبة ورد بانه عدول عن الظاهر مع ان الدليل العام وهو وجوب انتهاء الكل الى مشيئته وتكوينه يعضد ما قلناه ثم قال سبحانه خذ من أموالهم صدقة عن الحسن كانوا يقولون ليس المراد من هذه الآية الصدقة الواجبة وانما هي صدقة كفارة الذنب الذي صدر عنهم وبهذا يحصل النظم بينها وبين ما قبلها كما مر وقال أكثر الفقهاء المراد بها الزكاة ووجه النظم انهم لما أظهروا التوبة والندامة أمروا باخراج الزكاة الواجبة تصحيحا لدعواهم ومما يدل على ذلك ان الامر ظاهره الوجوب وأيضا التطهير والتزكية يناسب الواجب لا التطوع وفي قوله من أموالهم دلالة على ان القدر المأخوذ بعض تلك الاموال وتعيين ذلك البعض انما عرف من السنة وفي اضافة المال اليهم دليل على ان المال مالهم ولا شركة للفقير فيه فتكون الزكاة متعلقة بذمته حتى لو تلف النصاب بعد الوجوب بقي الحق في ذمة المالك وهو قول الشافعي وقوله تطهرهم وتزكيهم التاء فيهما للخطاب أي تطهرهم أيها الآخذ وتزكيهم بواسطة تلك الصدقة وقيل التاء في تطهرهم للتانيث والضمير للصدقة وفيه نوع انقطاع للمعطوفين قال العلماء المعطوفان متغايران لا محالة فالتزكية مبالغة في التطهير أو هي بمعنى الانماء كانه تعالى جعل النقصان سببا للانماء والزيادة والبركة أو المراد بالتزكية تعظيم شأنهم والاثناء عليهم قال أبو حنيفة ظاهر الآية يدل على ان الزكاة طهرة للآثام فلا تجب الا حيث يمكن حصول الآثام وذلك لا يعقل الا في حق البالغ العاقل دون الصبي والمجنون وقال الشافعي تجب

فيه فلما نزل بذي أوان أتاه خبر المسجد فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك بن الدخشم أخا بني سالم بن عوف ومعن بن عدي أو أخاه عاصم بن عدي أخا بني العجلان فقال انطلقا الى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه وحرقاه فخرجا سريعين حتى أتيا بني سالم بن عوف وهم رهط مالك بن الدخشم فقال مالك لمعن انظرني حتى أخرج اليك بنار من أهلي فدخل أهله فأخذ سعفا من النخل فأشعل فيه نارا ثم خرجا يشتدان حتى دخلا المسجد وفيه أهله فحرقاه وهدماه وتفرقوا عنه ونزل فيهم من القرآن ما نزل والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا الى آخر القصة وكان الذين بنوه اثني عشر رجلا خذام ابن خالد بن عبيد بن زيد أحد بني عمرو بن عوف ومن داره أخرج مسجد الشقاق وثعلبة بن حاطب من بني عبيد وهو الى بني أمية بن زيد ومعتب بن قشير من بني ضبيعة بن زيد وأبو حبيبة بن الازعر من بني ضبيعة بن زيد وعباد بن حنيف أخو سهل بن حنيف من بني عمرو بن عوف وحارثة بن عامر وابناه مجمع بن حارثة وزيد بن حارثة ونبتل بن الحرث وهم من بني ضبيعة وبحزج وهو الى بني ضبيعة وبجاد ابن عثمان وهو من بني ضبيعة ووديعة بن ثابت وهو الى بني أمية رهط أبي لبابة بن عبد المنذر فتأويل الكلام والذين ابتنوا مسجدا ضرارا لمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكفرا بالله لمحادتهم بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ويفرقوا به المؤمنين ليصلي فيه بعضهم دون مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعضهم في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيختلفوا بسبب ذلك ويفترقوا وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل يقول واعدادا له لأبي عامر الكافر الذي خالف الله ورسوله وكفر بهما وقاتل رسول الله من قبل يعني من قبل بنائهم ذلك المسجد وذلك أن أبا عامر هو الذي كان حزب الاحزاب يعني حزب الاحزاب لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما خذله الله لحق بالروم يطلب النصر من ملكهم على نبي الله وكتب الى أهل مسجد الضرار يأمرهم ببناء المسجد الذي كانوا بنوه فيما ذكر عنه ليصلي فيه فيما يزعم اذا رجع اليهم ففعلوا ذلك وهذا معنى قول الله جل ثناؤه وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن ان أردنا الا الحسنى يقول جل ثناؤه وليحلفن بانوه ان أردنا الا الحسنى ببنائناه الا الرفق بالمسلمين والمنفعة والتوسعة على أهل الضعف والعلة ومن عجز عن المصير الى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة فيه وتلك هي الفعلة الحسنة والله يشهد انهم لكاذبون في حلفهم ذلك وقيلهم ما بنيناه الا ونحن نريد الحسنى ولكنهم بنوه يريدون ببنائه السوأى ضرارا لمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكفرا بالله وتفريقا بين المؤمنين وارصادا لأبي عامر الفاسق وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وهم أناس من الانصار ابتنوا مسجدا فقال لهم أبو عامر ابنوا مسجدكم واستعدوا بما استطعتم من قوة ومن سلاح فاني ذاهب الى قيصر ملك الروم فآتي بجند من الروم فأخرج محمدا وأصحابه فلما فرغوا من مسجدهم أتوا النبي عليه السلام فقالوا قد فرغنا من بناء مسجدنا فنحب ان تصلي فيه وتدعو لنا بالبركة فأنزل الله فيه لا تقم فيه أبدا لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق ان تقوم فيه الى قوله والله لا يهدي القوم الظالمين حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين قال لما بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجد قباء خرج رجال من الانصار منهم بحزج جد عبد الله بن حنيف ووديعة بن حزام ومجمع بن حارثة الانصاري فبنوا مسجد النفاق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبحزج ويلك ما أردت الى ما أرى فقال يا رسول الله والله ما أردت الا الحسنى وهو كاذب فصدقه رسول الله وأراد أن يعذره فأنزل الله والذين اتخذوا مسجدا ضرارا

الزكاة في مالهما لانه لا يلزم من انتفاء سبب معين انتفاء الحكم مطلقا وصل عليهم قال ابن عباس معناه ادع لهم فمن هنا قال الشافعي السنة للامام اذا أخذ الصدقة ان يدعو للمتصدق ويقول أجرك الله فيما أعطيت وبارك لك فيما أبقيت قال آخرون بظاهر اللفظ لما روى عن عبد الله بن أبي أوفى قال كان أبي من أصحاب الشجرة وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا أتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل على آل فلان فأتاه أبي بصدقته فقال اللهم صل على آل أبي أوفى وأكثر الائمة الآن على انه لا تحسن الصلاة لغير النبي على غيره الا تبعا وأطلق بعضهم كالغزالي وامام الحرمين لفظ الكراهة وقالوا السلام أيضا في معنى الصلاة وأما الشيعة فانهم يذكرون الصلاة والسلام في حق آل الرسول أيضا كعلي وأولاده عليه السلام وهم على العموم من القرشيين بنو هاشم والمطلب دون بني أمية وبني نوفل وغيرهم قالوا لانها كانت جائزة في حق من يؤدي الزكاة فكيف يمتنع ذكره أولا يحسن في أهل بيت الرسول ولان الكل أجمعوا على جوازها بالتبعية فما الفرق وأما السلام فلا كلام عليه لانه جائز في حق جمهور المسلمين فكيف لا يجوز في آل الرسول ان صلاتك سكن لهم والسكن ما يسكن اليه المرء وتطمئن به نفسه وذلك لان دعاءه يستجاب البتة فيستظهرون بها وكيف لا يفيض اشراق نفسه عليهم بتوجهه اليهم والترحم لهم احتج مانعو الزكاة بها في زمان أبي بكر قالوا الوجوب مشروط بحصول السكن والآن لا سكن ورد عليهم بسائر الآيات روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حكم بصحة توبة هؤلاء قال الذين لم يتوبوا هؤلاء الذين تابوا كانوا بالامس معنا لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم فنزلت ألم يعلموا يعني غير التائبين وقيل معناه ألم يعلم التائبون قبل ان يتاب عليهم وتقبل صدقاتهم ان الله يقبل التوبة الصحيحة ويقبل الصدقات الصادرة عن خلوص النية وفائدة توسط هو ان

ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله يعنى رجلا منهم يقال له أبو عامر كان محاربا للرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد انطلق الى هرقل فكانوا يرصدون أبا عامر ان يصلى فيه وكان قد خرج من المدينة محاربا لله ولرسوله وليحلفن ان أردنا الا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل قال أبو عامر الراهب انطلق الى قيصر فقالوا اذا جاء يصلى فيه كانوا يرون انه سيظهر على محمد صلى الله عليه وسلم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد الذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا قال المنافقون لمن حارب الله ورسوله لابى عامر الراهب حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله قال ثنا أبو اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين قال نزلت فى المنافقين وقوله وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل قال هو أبو عامر الراهب حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا سويد بن عمرو عن حماد بن زيد عن أيوب عن سعيد بن جبير والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا قال هم بنو غنم بن عوف حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن أيوب عن سعيد بن جبير والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا قال هم حى يقال لهم بنو غنم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أيوب عن سعيد بن جبير فى قوله والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا قال هم حى يقال لهم بنو غنم قال أخبرنا معمر عن الزهرى عن عروة عن عائشة قالت وارصادا لمن حارب الله ورسوله أبو عامر الراهب انطلق الى الشام فقال الذين بنوا مسجد الضرار انما بنيناه ليصلى فيه أبو عامر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله والذين اتخذوا مسجدا ضرارا الآية عمد ناس من أهل النفاق فابتنوا مسجدا بقباء ليضاهوا به مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بعثوا الى رسول الله ليصلى فيه ذكر لنا انه دعا بقميصه ليأتيهم حتى أطلعه الله على ذلك قوله وارصادا لمن حارب الله ورسوله فانه كان رجلا يقال له أبو عامر فر من المسلمين فلحق بالمشركين فقتلوه باسلامه قال اذا جاء صلى فيه فانزل الله لا تقم فيه أبدا لمسجد أسس على التقوى الآية حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا هم ناس من المنافقين بنوا مسجدا بقباء يضارون به نبى الله والمسلمين وارصادا لمن حارب الله ورسوله كانوا يقولون اذا رجع أبو عامر من عند قيصر من الروم صلى فيه وكانوا يقولون اذا قدم ظهر على نبى الله صلى الله عليه وسلم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل قال مسجد قباء كانوا يصلون فيه كلهم وكان رجل من رؤساء المنافقين يقال له أبو عامر أبو حنظلة غسيل الملائكة وصيفى وأخيه وكان هؤلاء الثلاثة من خيار المسلمين فخرج أبو عامر هاربا هو وابن ياليل من ثقيف وعلقمة بن علاثة من قيس من رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لحقوا بصاحب الروم فاما علقمة وابن ياليل فرجعا فبايعا النبى صلى الله عليه وسلم وأسلما وأما أبو عامر فتنصر وأقام قال وبنى ناس من المنافقين مسجد الضرار لابى عامر قالوا حتى يأتى أبو عامر يصلى فيه وتفريقا بين المؤمنين يفرقون بين جماعتهم لانهم كانوا يصلون جميعا فى مسجد قباء وجاؤا يخدعون النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ربما جاء السيل يقطع بيننا وبين

يعلم ان الالهية هى الموجبة لقبول التوبة لاستغنائه عن طاعة المطيعين ومعصية المذنبين فاذا انتقل العبد من حالة المعصية الى حالة الطاعة وجب على كرمه قبول توبته وفيه أيضا أن قبول التوبة ليس الى الرسول وفى قوله عن عباده (١٧) دون من اشارة الى البعد الذى يحصل للعبد عن الله بسبب العصيان أو الى تبعيده نفسه عن الله هضما وانكسارا وفى اضافة أخذ الصدقات الى الله بعد ان أمر الرسول بالاخذ تشريف عظيم لهذه الطاعة وانها من الله بمكان وانه يربيها كما يربى أحدنا فلوه حتى ان اللقمة تكون عند الله أعظم من أحد وقد جاء هذا المعنى فى الحديث ثم أمر نبيه بان يقول للتائبين أو لغير التائبين ترغيبا لهم فى التوبة اعملوا فيه نوع تهديد وتخويف فسيرى الله عملكم وقد مر تفسير مثله عن قريب والحاصل انه كانه قيل لهم اجتهدوا فى العمل فان له فى الدنيا حكما وهو ان يراه الله ورسوله والمؤمنون وفى الآخرة حكما وهو الجزاء وبوجه آخر كانه قيل ان كنت من المحققين فاعمل لله وان كنت من الظاهريين فاعمل للفوز بثناء شهداء الخلق وهم الرسول والمؤمنون فانهم شهداء لله يوم القيامة والشهادة لا تصح الا بعد الرؤية ولا شك ان رؤية الله تعالى شاملة لافعال القلوب والجوارح جميعا أما رؤية الرسول والمؤمنين فلا تشمل أفعال القلوب الا بارادة الله واطلاعه واشائه واعلم انه تعالى قسم المتخلفين الى ثلاثة أقسام منهم المنافقون الذين مردوا على النفاق والثانى التائبون المعترفون بذنوبهم والثالث الذين بقوا موقوفا أمرهم وذلك قوله وآخرون واعرابه كاعراب قوله وآخرون اعترفوا ومعنى مرجون أى مؤخرون من أرجيته وارجاته اذا أخرته ومنه قوله ارجه وأخاه كاصرو به سميت المرجئة لانهم يجوزون بغفران ذنب التائب ولكن يؤخرونه الى مشيئة الله ويقولون انهم مرجون لامر الله وقال الاوزاعى لانهم يؤخرون العمل عن الايمان وقال

وعن ابن عباس [illegible] بن الربيع وهلال بن أمية أمر رسول الله أصحابه ان لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم ولم يفعلوا كما فعل أبو لبابة وأصحابه من شد أنفسهم على السواري واظهار الجزع والغم فلما علموا ان أحدا لا ينظر اليهم فوضوا أمرهم الى الله

الوادي و يحول بيننا و بين القوم ونصلي في مسجدنا فاذا ذهب السيل صلينا معهم قال و بنوه على النفاق قال وانهار مسجدهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وألقى الناس عليه النتن والقمامة فأنزل الله والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين لئلا يصلي في مسجد قباء جميع المؤمنين وارصادا لمن حارب الله و رسوله من قبل أبي عامر وليحلفن ان أردنا الا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون حدثنا ابن حميد قال ثنا هارون عن أبي جعفر عن ليث أن شقيقا لم يدرك الصلاة في مسجد بني عامر فقيل له مسجد بني فلان لم يصلوا بعد فقال لا أحب أن أصلي فيه فانه بني على ضرار وكل مسجد بني ضرارا أو رياء أو سمعة فان أصله ينتهي الى المسجد الذي بني على ضرار ﴿القول في تأويل قوله (لا تقم فيه أبدا لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم لا تقم يا محمد في المسجد الذي بناه هؤلاء المنافقون ضرارا وتفريقا بين المؤمنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله ثم أقسم جل ثناؤه فقال لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم أنت فيه يعني بقوله أسس على التقوى ابتدئ أساسه وأصله على تقوى الله وطاعته من أول يوم ابتدئ في بنائه أحق ان تقوم فيه يقول أولى ان تقوم فيه مصليا وقيل معنى قوله من أول يوم مبدأ أول يوم كما تقول العرب لم أره من يوم كذا يعني مبدؤه من أول يوم يراد به من أول الايام كقول القائل لقيت كل رجل يعني كل الرجال واختلف أهل التأويل في المسجد الذي عناه بقوله لمسجد أسس على التقوى من أول يوم فقال بعضهم هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي فيه منبره وقبره اليوم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية عن ابراهيم بن طهمان عن عثمان بن عبيد الله قال أرسلني محمد بن أبي هريرة الى ابن عمر أساله عن المسجد الذي أسس على التقوى أي مسجد هو مسجد المدينة أو مسجد قباء قال لا مسجد المدينة قال ثنا القاسم بن عمرو العنقزي عن الدراوردي عن عثمان بن عبيد الله عن ابن عمر و زيد بن ثابت وأبي سعيد قالوا المسجد الذي أسس على التقوى مسجد الرسول قال ثنا أبي عن ربيعة بن عثمان عن عثمان بن عبيد الله ابن أبي رافع قال سألت ابن عمر عن المسجد الذي أسس على التقوى قال هو مسجد الرسول قال ثنا ابن عيينة عن أبي الزناد عن خارجة بن زيد عن زيد قال هو مسجد النبي صلى الله عليه وسلم قال ثنا أبي عن عبد الرحمن بن عبد الله بن ذكوان عن أبيه عن خارجة بن زيد عن زيد قال هو مسجد الرسول حدثنا ابن بشار قال ثنا حميد الخراط الادمي قال سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن قال مر بي عبد الرحمن بن أبي سعيد فقلت كيف سمعت أباك يقول في المسجد الذي أسس على التقوى فقال لي أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلت عليه في بيت بعض نسائه فقلت يا رسول الله أي مسجد الذي أسس على التقوى قال فأخذ كفا من حصا فضرب به الارض ثم قال هو مسجدكم هذا هكذا سمعت أباك يذكر حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن اسامة بن زيد عن عبد الرحمن بن أبي سعيد عن أبيه قال المسجد الذي أسس على التقوى هو مسجد النبي الاعظم حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا داود عن سعيد بن المسيب قال ان المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم هو مسجد المدينة الاكبر حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا ابن أبي عدي عن داود قال قال سعيد بن المسيب فذكر مثله الا انه قال الاعظم حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى ابن سعيد القطان عن ابن حرملة عن سعيد بن المسيب قال هو مسجد النبي صلى الله عليه وسلم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن أبي الزناد عن خارجة بن زيد قال أحسبه عن أبيه قال مسجد النبي صلى الله عليه وسلم الذي أسس على التقوى وقال آخرون بل عنى

وأخلصوا نياتهم فقبلت توبتهم ونزل فيهم وعلى الثلاثة الذين خلفوا كما سيجيء وقال الحسن انهم قوم من المنافقين حذرهم الله بهذه الآيات لم يتوبوا وقوله اما يعذبهم التشكيك فيه راجع الى العباد أي ليكن أمرهم على الخوف والرجاء وكان يقول اناس هلكوا ان لم ينزل الله لهم عذرا و يقول آخرون عسى الله ان يغفر لهم قال الجبائي جعل أمرهم دائرا بين التعذيب والتوبة فدل ذلك على انتفاء القسم الثالث وهو العفو من غير التوبة وأجيب بانه يجوز ان تكون المنفصلة مانعة الجمع فقط ولماذكر أصناف المنافقين و بين طرائقهم المختلفة قال والذين اتخذوا كانه قال ومنهم الذين اتخذوا وفي الكشاف ان محله الرفع على الابتداء وخبره محذوف أي وممن وصفوا هؤلاء الاقوام قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وعامة أهل التفسير كانوا اثني عشر رجلا بنوا مسجدا يضارون به مسجد قباء وروى ان بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأتيهم فأتاهم فصلى فيه فحسدتهم اخوانهم بنو غنم بن عوف وقالوا نبني مسجدا كذلك واعلم انه سبحانه حكى ان الباعث لهم على هذا العمل كان أمورا أربعة الاول الضرار وهو المضارة والثاني الكفر بالنبي صلى الله عليه وسلم وبالاسلام وذلك انهم أرادوا تقوية أهل النفاق والثالث التفريق بين المؤمنين لانهم أرادوا ان لا يحضروا مسجد قباء فيقل جماعتهم ولا سيما اذا صلى النبي في مسجدهم فيؤدي ذلك الى اختلاف الكلمة و بطلان الالفة والرابع قوله وارصادا لمن حارب الله ورسوله وقوله من قبل يتعلق بحارب أي من قبل بناء مسجد الضرار وقال في بذلك

بذلك مسجد قباء ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس لمسجد أسس على التقوى من أول يوم يعني مسجد قباء حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس نحوه حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا فضيل بن مرزوق عن عطية لمسجد أسس على التقوى من أول يوم هو مسجد قباء حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن صالح بن حبان عن ابن بريدة قال مسجد قباء الذي أسس على التقوى بناه نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد المسجد الذي أسس على التقوى مسجد قباء حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهري عن عروة بن الزبير الذين بنى فيهم المسجد الذي أسس على التقوى بنو عمرو بن عوف * قال أبو جعفر وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال هو مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم لصحة الخبر بذلك عن رسول الله ذكر الرواية بذلك حدثنا أبو كريب وابن وكيع قال أبو كريب ثنا وكيع وقال ابن وكيع ثنا أبي عن ربيعة ابن عثمان التيمي عن عمران بن أبي أنس رجل من الانصار عن سهل بن سعد قال اختلف رجلان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد الذي أسس على التقوى فقال أحدهما هو مسجد النبي وقال الآخر هو مسجد قباء فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه فقال هو مسجدي هذا اللفظ لحديث أبي كريب وحديث سفيان نحوه حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو نعيم عن عبد الله بن عامر الاسلمي عن عمران بن أبي أنس عن سهل بن سعد عن أبي بن كعب ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن المسجد الذي أسس على التقوى فقال مسجدي هذا حدثني يونس قال أخبرني ابن وهب قال ثني الليث عن عمران بن أبي أنس عن ابن أبي سعيد عن أبيه قال تمارى رجلان في المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم فقال رجل هو مسجد قباء وقال آخر هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله هو مسجدي هذا حدثني بحر بن نصر الخولاني قال قرئ على شعيب بن الليث عن أبيه عن عمران بن أبي أنس عن سعيد بن أبي سعيد الخدري قال تمارى رجلان فذكر مثله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثني سهل بن محمد بن أبي يحيى قال سمعت عمي أنيس بن أبي يحيى يحدث عن أبيه عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد الذي أسس على التقوى مسجدي هذا وفي كل خير حدثني المثنى قال ثني الحماني قال ثنا عبد العزيز عن أنيس عن أبيه عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه حدثنا محمد بن بشار قال ثنا صفوان بن عيسى قال أخبرنا أنيس بن أبي يحيى عن أبيه عن أبي سعيد ان رجلا من خدرة ورجلا من بني عوف امتريا في المسجد الذي أسس على التقوى فقال العوفي هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيا النبي صلى الله عليه وسلم وسألاه فقال هو مسجدي هذا وفي كل خير ۞ القول في تأويل قوله (فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين) يقول تعالى ذكره في حاضري المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم رجال يحبون ان ينظفوا مقاعدهم بالماء اذا أتوا الغائط والله يحب المتطهرين بالماء وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا أبو داود قال ثنا همام بن يحيى عن قتادة عن شهر بن حوشب قال لما نزلت فيه رجال يحبون ان يتطهروا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الطهور الذي أثنى الله عليكم قالوا يا رسول الله نغسل أثر الغائط حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لاهل قباء ان الله قد أحسن عليكم الثناء في الطهور فما تصنعون قالوا انا نغسل

الكشاف انه متعلق باتخذوا والمراد من قبل ان ينافق هؤلاء بالتخلف قال الزجاج الارصاد الانتظار وقال ابن قتيبة الانتظار مع العداوة وقال الاكثرون انه الاعداد والمراد بمن حارب أبو عامر الراهب والد حنظلة الذي (١٩) غسلته الملائكة وسماه رسول الله الفاسق وكان قد تنصر في الجاهلية وترهب وطلب العلم فلما ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم عاداه لانه زالت رياسته وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد لا أجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين فلما انهزمت هوازن خرج هاربا الى الشام وأرسل الى المنافقين ان استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح فاني ذاهب الى قيصر وآت بجنود ومخرج محمدا وأصحابه من المدينة فبنوا مسجدا وانتظروا أبا عامر ليصلي بهم في ذلك المسجد ثم أخبر الله تعالى عن نفاقهم بقوله وليحلفن ان أردنا أي ما أردنا ببناء هذا المسجد الا الخصلة الحسنى وهي الصلاة وذكر الله والتوسعة على المسلمين قال المفسرون انهم لما بنوا مسجدهم وافق ذلك غزوة تبوك فأتوا رسول الله وقالوا بنينا مسجد الذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشتائية ونحن نحب ان تصلي لنا فيه وتدعو بالبركة فقال صلى الله عليه وسلم اني على جناح سفر وحال شغل واذا قدمنا ان شاء الله صلينا فيه فلما قفل من الغزوة سألوه اتيان المسجد فنزل لا تقم فيه أبدا الآية فدعا بمالك ابن الدخشم ومعن بن عدي وعامر ابن السكن ووحشي قاتل حمزة فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه واحرقوه ففعل وأمر ان يتخذ مكانه كناسة تلقى فيه الجيف والقمامة ومات أبو عامر بالشام بقنسرين وقال الحسن هم رسول الله ان يذهب الى ذلك المسجد فناداه جبرائيل لا تقم فيه ولا يبعد ان النهي عن القيام فيه يستلزم النهي عن الصلاة فيه ثم بين علة النهي فقال لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أي من أيام وجوده أحق ان تقوم فيه والمعنى لو كان القيام في غيره جائزا لكان هذا أولى لاشتماله على الخيرات الكثيرة

عنا أثر الغائط والبول حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال لما نزلت فيه رجال يحبون ان يتطهروا قال النبي صلى الله عليه وسلم يامعشر الانصار ماهذا الطهور الذى أثنى الله عليكم فيه قالوا انا نستطيب بالماء اذا جئنا من الغائط حدثنى جابر بن الكردى قال ثنا محمد بن سابق قال ثنا مالك بن مغول عن سنان أبى الحكم عن شهر بن حوشب عن محمد بن عبد الله بن سلام قال قام علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الا أخبرونى فان الله قد أثنى عليكم بالطهور خيرا فقالوا يارسول الله انا نجد عندنا مكتوبا فى التوراة الاستنجاء بالماء حدثنا سفيان بن وكيع قال ثنا يحيى ابن رافع عن مالك بن مغول قال سمعت سيارا أبا الحكم غير مرة يحدث عن شهر بن حوشب عن محمد بن عبد الله بن سلام قال لما قدم النبى صلى الله عليه وسلم على أهل قباء قال ان الله قد أثنى عليكم بالطهور خيرا قوله فيه رجال يحبون ان يتطهروا قالوا انا نجده مكتوبا عندنا فى التوراة الاستنجاء بالماء حدثنا أبو هشام الرفاعى قال ثنا يحيى بن رافع قال ثنا مالك بن مغول عن سيار عن شهر بن حوشب عن محمد بن عبد الله بن سلام قال يحيى ولا أعلمه الا عن أبيه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم لاهل قباء ان الله قد أثنى عليكم فى الطهور خيرا قالوا انا نجده مكتوبا علينا فى التوراة الاستنجاء بالماء وفيه نزلت فيه رجال يحبون ان يتطهروا حدثنى عبد الاعلى بن واصل قال ثنا اسماعيل ابن صبيح اليشكرى قال ثنا أبو أويس المدنى عن شرحبيل بن سعد عن عويم بن ساعدة وكان من أهل بدر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهل قباء انى أسمع الله أثنى عليكم الثناء فى الطهور فما هذا الطهور قالوا يارسول الله مانعلم شيأ الا ان جيرانا لنا من اليهود وأبناءهم يغسلون أدبارهم من الغائط فغسلنا كما غسلوا حدثنى محمد بن عمارة قال ثنا محمد بن سعيد قال ثنا ابراهيم ابن محمد عن شرحبيل بن سعد قال سمعت خزيمة بن ثابت يقول نزلت هذه الآية فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين قال كانوا يغسلون أدبارهم من الغائط حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن ابن أبى ليلى عن عامر قال كان ناس من أهل قباء يستنجون بالماء فنزلت فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين حدثنا الحسن بن عرفة قال ثنا شبابة بن سوار عن شعبة عن مسلم القرى قال قلت لابن عباس أصب على رأسى وهو محرم قال ألم تسمع الله يقول ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين حدثنا ابن وكيع قال ثنا حفص عن داود وابن أبى ليلى عن الشعبى قال لما نزلت فيه رجال يحبون ان يتطهروا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهل قباء ماهذا الذى أثنى الله عليكم قالوا مامنا من أحد الا وهو يستنجى من الخلاء حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن عبد الحميد المدنى عن ابراهيم بن اسماعيل الانصارى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعويم بن ساعدة ماهذا الذى أثنى الله عليكم فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين قال نوشك أن نغسل الادبار بالماء حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن سعد قال أخبرنا أبو جعفر عن حصين عن موسى بن أبى كثير قال بدء حديث هذه الآية فى رجال من الانصار من أهل قباء فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين فسألهم النبى صلى الله عليه وسلم قالوا نستنجى بالماء حدثنى المثنى قال ثنا أصبغ بن الفرج قال أخبرنى ابن وهب قال أخبرنى يونس عن أبى الزناد قال أخبرنى عروة بن الزبير عن عويم بن ساعدة من بنى عمرو بن عوف ومعن بن عدى من بنى العجلان وأبى الدحداح فأما عويم بن ساعدة فهو الذى بلغنا انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الذين قال الله فيهم فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم الرجل منهم عويم بن ساعدة لم يبلغنا انه سمى منهم

أول يوم كان أولى بالصلاة فيه فالامام أولى بات (٢٠) يكون متقيا من أول عمره وماذاك الا على عليه السلام لانه لم يكفر بالله طرفة عين واختلفوا فى هذا المسجد فقيل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة عن أبى سعيد الخدرى سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المسجد الذى أسس على التقوى فأخذ الحصباء وضرب بها الارض وقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة وقيل هو مسجد قباء أسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى فيه أيام مقامه بقباء وهو يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس وخرج يوم الجمعة قال فى الكشاف وهذا أولى لان الموازنة بين مسجدى قباء أوقع وقال القاضى كل مسجد بنى على التقوى فانه يدخل فيه كما لو قال قائل لرجل صالح أحق ان تجالسه لم يكن ذلك مقصورا على واحد وأيضا كل مسجد بنى مباهاة أو رياء وسمعة أو لغرض سوى وجه الله أو بمال غير طيب فهو لاحق بمسجد الضرار ثم ذكر لمسجد التقوى وصفا آخر وذلك قوله فيه رجال يحبون ان يتطهروا فقيل انه التطهر من الذنوب بالتوبة والاستغفار والاخلاص كما ان أهل مسجد الضرار وصفوا باضداد هذه الامور من الضرار والكفر والتفريق ولان طهارة الباطن أشد تأثيرا من طهارة الظاهر فى القرب من الله وقيل انه التطهر بالماء وذلك انهم كانوا لا ينامون الليل على الجنابة ويتبعون الماء أثر البول وروى انها لما نزلت مشى رسول الله ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قباء فاذا الانصار جلوس فقال أمؤمنون أنتم فسكت القوم ثم أعادها فقال عمر يارسول الله انهم لمؤمنون وانا معهم فقال عليه السلام أترضون بالقضاء قالوا نعم قال أتصبرون على البلاء قالوا نعم قالوا أتشكرون فى الرخاء قالوا نعم فقال صلى الله عليه وسلم

رجلا غير عويمر حدثنى المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن هشام بن حسان قال ثنا الحسن قال لما نزلت هذه الآية فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذا الذى ذكركم الله به فى أمر الطهور فأثنى به عليكم قالوا نغسل أثر الغائط والبول حدثنى المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن مالك بن مغول قال سمعت سيارا أبا الحكم يحدث عن شهر بن حوشب عن محمد بن عبد الله بن سلام قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أو قال قدم علينا رسول الله فقال ان الله قد أثنى عليكم فى الطهور خيرا أفلا تخبرونى قالوا يا رسول الله انا نجده علينا مكتوبا فى التوراة الاستنجاء بالماء قال مالك يعنى قوله فيه رجال يحبون أن يتطهروا حدثنى أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا فضيل بن مرزوق عن عطية قال لما نزلت هذه الآية فيه رجال يحبون أن يتطهروا سألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما طهوركم هذا الذى ذكر الله قالوا يا رسول الله كنا نستنجى بالماء فى الجاهلية فلما جاء الاسلام لم ندعه قال فلا تدعوه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد كان فى مسجد قباء رجال من الانصار يوضئون سفلتهم بالماء يدخلون النخل والماء يجرى فيتوضؤن فأثنى الله بذلك عليهم فقال فيه رجال يحبون أن يتطهروا الآية حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا طلحة بن عمرو عن عطاء قال أحدث قوم الوضوء بالماء من أهل قباء فنزلت فيهم فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين وقيل والله يحب المطهرين وانما هو المتطهرين ولكن أدغمت التاء فى الطاء فجعلت طاء مشددة لقرب مخرج احداهما من الاخرى ﴿القول فى تأويل قوله (أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله و رضوان خير أمن أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به فى نار جهنم والله لا يهدى القوم الظالمين) اختلفت القراء فى قراءة قوله أفمن أسس بنيانه فقرأ ذلك بعض قراء أهل المدينة أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله و رضوان خير أمن أسس بنيانه على وجه ما لم يسم فاعله فى الحرفين كليهما وقرأت ذلك عامة قراء الحجاز والعراق أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله و رضوان خير أمن أسس بنيانه على وصف من بناء الفاعل الذى أسس بنيانه وهما قراءتان متفقتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب غير ان قراءته بتوجيه الفعل الى من اذ كان من المؤسس أعجب الى فتأويل الكلام اذا أى هؤلاء الذين بنوا المساجد خير أيها الناس عندكم الذين ابتدؤا بناء مسجدهم على اتقاء الله بطاعتهم فى بنائه وأداء فرائضه و رضى من الله لبنائهم ما بنوه من ذلك وفعلهم ما فعلوه خير أم الذين ابتدؤا بناء مسجدهم على شفا جرف هار يعنى قوله على شفا جرف على حرف جرف والجرف من الربى ما لم ينبت له حول هار يعنى متهور وانما هو هائر ولكنه قلب فأخرت ياؤها فقيل هار كما قيل هو شاك السلاح وشائك وأصله من هار يهور فهو هائر وقيل هو من هار يهار اذا انهدم ومن جعله من هذه اللغة قال هرت يا جرف ومن جعله من هار يهير قال هرت يا جرف وانما هذا مثل يقول تعالى ذكره أى هذين الفريقين خير وأى هذين البناءين أثبت أمن ابتدأ أساس بنائه على طاعة الله وعلم منه بأن بناءه لله طاعة والله به راض أم من ابتدأه بنفاق وضلال وعلى غير بصيرة منه بصواب فعله من خطئه فهو لا يدرى متى يتبين له خطأ فعله وعظيم ذنبه فيهدمه كما يأتى البناء على جرف ركية لا حابس لماء السيول عنها ولغيره من المياه ثرية بالتراب متناثرة لا تلبثه السيول أن تهدمه وتثيره يقول الله جل ثناؤه فانهار به فى نار جهنم يعنى فانتثر الجرف الهارى ببنائه فى نار جهنم كما حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فانهار به يعنى قواعده فى نار جهنم حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى

مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله عز وجل قد أثنى عليكم فما الذى تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول الله نتبع الغائط الاحجار الثلاثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلا النبى صلى الله عليه وسلم رجال يحبون ان يتطهروا وقيل يحبون ان يتطهروا بالحمى المكفرة لذنوبهم فحموا بأجمعهم ومحبة التطهر ايثاره والحرص عليه ومحبة الله الرضا عنهم والاحسان اليهم كما يفعل المحب لمحبوبه ثم بين انه لا نسبة بين الفريقين وان بينهما بونا بعيدا فقال مستفهما على سبيل التقرير أفمن أسس بنيانه وهو مصدر كالعمران وأريد به المبنى والمعنى أن من أسس بناء دينه على قاعدة قوية محكمة وهى تقوى الله و رضوانه خير أم من أسس دينه على ضد ذلك والشفا هو الشفير أى الشفة والجرف هو ما اذا سال السيل وانحسر الوادى و يبقى على طرف المسيل طين واه مشرف على السقوط ساعة فساعة فذلك الموضع الذى هو بصدد السقوط جرف والهار الهائر وهو أيضا المتصدع الذى أشفى على التهدم والسقوط قال الليث الهار مصدر هار الجرف يهور اذا انصدع من خلفه وهو ثابت بعد فى مكانه فاذا سقط فقد انهار وقال فى الكشاف انه صفة قصرت عن فاعل كخلف عن خالف وألفه ليست بألف فاعل انما هى عينه وأصله هور وعلى فعل ولا ترى أبلغ من هذا الكلام ولا أدل على حقيقة الباطل فلكونه على شفا جرف هار كان مشرفا على السقوط ولكونه على طرف جهنم كان اذا انهار فانما يسقط فى قعر جهنم يروى انه حفرت بقعة من مسجد الضرار فرؤى الدخان يخرج منه [illegible] كان [illegible] ذلك [illegible] لا يزال بنيانهم [illegible]

الذى بنوا ريبة فى كونه سبب الريبة فى قلوبهم و [illegible] منها ان هدمه صار سببا لازدياد شكهم فى نبوته و [illegible] الى الاجل [illegible] أو تقع أمامهم عنه وصار واصرا [illegible] فى انه [illegible] على ما هم فيه [illegible] بعضهم [illegible] فلا [illegible]

قوله فانهار به يقول نخر به حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله الى قوله فانهار به في نار جهنم قال والله ما تناهى ان وقع في النار ذكر لنا انه تحفرت بقعة منه فرؤي منها الدخان حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج بنو عمرو بن عوف استاذنوا النبي صلى الله عليه وسلم في بنيانه فاذن لهم ففرغوا منه يوم الجمعة فصلوا فيه الجمعة ويوم السبت ويوم الاحد قال وانهار يوم الاثنين قال وكان قد استنظرهم ثلاثا السبت والاحد والاثنين فانهار به في نار جهنم مسجد المنافقين انهار فلم يتناهدون ان وقع في النار قال ابن جريج ذكر لنا ان رجالا حفروا فيه فابصروا الدخان يخرج منه حدثني المثنى قال ثنا الحماني قال ثنا عبد العزيز بن المختار عن عبد الله الداناج عن طلق بن حبيب عن جابر قوله والذين اتخذوا مسجدا ضرارا قال رأيت المسجد الذي بني ضرارا يخرج منه الدخان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم حدثنا محمد بن مرزوق البصري قال ثنا أبو سلمة قال ثنا عبد العزيز بن المختار عن عبد الله الداناج قال ثني طلق العنزي عن جابر بن عبد الله قال رأيت الدخان يخرج من مسجد الضرار حدثني سلام بن سالم الخزاعي قال ثنا خلف بن يس الكوفي قال حججت مع أبي في ذلك الزمان يعني زمان بني أمية فمررنا بالمدينة فرأيت مسجد القبلتين يعني مسجد الرسول وفيه قبلة بيت المقدس فلما كان زمان أبي جعفر قالوا يدخل الجاهل فلا يعرف القبلة فهذا البناء الذي يرون جرى على يد عبد الصمد بن علي ورأيت مسجد المنافقين الذي ذكره الله في القرآن وفيه حجر يخرج منه الدخان وهو اليوم مزبلة قوله والله لا يهدي القوم الظالمين يقول والله لا يوفق للرشاد في أفعاله من كان بانيا بناءه في غير حقه وموضعه ومن كان منافقا مخالفا بفعله أمر الله وأمر رسوله ۞ القول في تاويل قوله (لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم والله عليم حكيم) يقول تعالى ذكره لا يزال بنيان هؤلاء الذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا يقول لا يزال مسجدهم الذي بنوه ريبة في قلوبهم يعني شكا ونفاقا في قلوبهم يحسبون انهم كانوا في بنائه محسنين الا ان تقطع قلوبهم يعني الا ان تصدع قلوبهم فيموتوا والله عليم بما عليه هؤلاء المنافقون الذين بنوا مسجد الضرار من شكهم في دينهم وما قصدوا في بنائهموه وأرادوه وما اليه صائر أمرهم في الآخرة وفي الحياة ما عاشوا وبغير ذلك من أمرهم وأمور غيرهم حكيم في تدبيره اياهم وتدبير جميع خلقه ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم يعني شكا الا أن تقطع قلوبهم يعني الموت حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ريبة في قلوبهم قال شكا في قلوبهم الا أن تقطع قلوبهم الى أن يموتوا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم الا أن تقطع قلوبهم يقول حتى يموتوا حدثني مطر بن محمد الضبي قال ثنا أبو قتيبة قال ثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد في قوله الا أن تقطع قلوبهم قال الا أن يموتوا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد الا أن تقطع قلوبهم قال يموتوا حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد الا أن تقطع قلوبهم قال يموتوا حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله قال ثنا سويد قال ثنا ابن المبارك عن معمر عن قتادة والحسن لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم قال شكا في قلوبهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا اسحق الرازي قال

أجزاء متفرقة اما بالموت واما بالسيف واما بالبلاء فحينئذ يضمحل آثارها عنها والمقصود ان هذا الشك يبقى في قلوبهم أبدا ويموتون على النفاق قال في الكشاف يجوز ان يكون ذكر التقطيع تصويرا لحال زوال الريبة عنها ويجوز ان يراد حقيقة تقطيعها وما هو كائن منه بقتلهم أو في القبور أو في النار وقيل معناه الا ان يتوبوا توبة تتقطع بها قلوبهم ندما وأسفا على تفريطهم * التاويل والسابقون الاولون الذين سبقت لهم العناية الازلية والسابقون الاولون عند الخروج من العدم وهم أهل الصف الاول من الجنود المجندة أو السابقون في جواب ألست بربكم الاولون في استماع هذا الخطاب أو السابقون في استحقاق المحبة عند اختصاصهم بتشريف يحبهم في الازل الاولون باداء حق المحبة في سر يحبونه أو السابقون عند تخمير طينة آدم في مماسة ذراتهم يد القدرة الاولون باستكمال تصرف القدرة في كمال الاربعين صباحا والسابقون عند رجوعهم بقدم السلوك الى مقام الوصال الاولون بالوصول الى سرادقات الجلال وهذا السبق مخصوص بالنبي صلى الله عليه وسلم وبامته كما قال نحن الآخرون السابقون من المهاجرين عن الاوطان البشرية والانصار لهم في طلب الحق والذين اتبعوهم باحسان بذلوا جهدهم في متابعتهم بقدر الامكان رضي الله عنهم باعطاء الاستعدادات الكاملة ورضوا عنه بايفاء حقوقها وممن حولكم من اعراب صفات النفس منافقون ومن أهل مدينة القلب فمن صفات النفس بعضها منافق كالقوة الشهوية للوقاع فانها تتبدل بالعفة عند استيلاء القلب على النفس بسياسة الشريعة وتربية الطريقة ظاهرا لا حقيقة لانها لا تتبدل بالكلية بل تميل الى الشهوة اذا خليت وطباعها ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ان أخوف ما أخاف على أمتي النساء وبهما كافرة كالة والشهوية في طلب الغذاء فانها باقية على طلبها ما دام البدن باقيا لاحتياجه الى بدل

ثنا

ثنا أبو سنان عن حبيب لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم قال غيظا فى قلوبهم قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد الا أن تقطع قلوبهم قال يموتوا قال ثنا اسحق الرازى عن أبى سنان عن حبيب الا أن تقطع قلوبهم الا أن يموتوا قال حدثنا قبيصة عن سفيان عن السدى ريبة فى قلوبهم قال كفر قلت أكفر مجمع بن حارثة قال لا ولكنها حزازة حدثنا أحمد ابن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن السدى لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم قال حزازة فى قلوبهم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم لا يزال ريبة فى قلوبهم راضين بما صنعوا كما حب العجل فى قلوب أصحاب موسى وقرأ وأشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم قال حبه الا ان تقطع قلوبهم قال لا يزال ذلك فى قلوبهم حتى يموتوا يعنى المنافقين حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا قيس عن السدى عن ابراهيم ريبة فى قلوبهم قال شكا قال قلت يا أبا عمران تقول هذا وقد قرأت القرآن قال انما هى حزازة واختلفت القراء فى قراءة قوله الا ان تقطع قلوبهم فقرأ ذلك بعض قراء الحجاز والمدينة والبصرة والكوفة الا ان تقطع قلوبهم بضم التاء من تقطع على انه لم يسم فاعله وبمعنى الا ان يقطع الله قلوبهم وقرأ ذلك بعض قراء المدينة والكوفة الا ان تقطع قلوبهم بفتح التاء من تقطع على أن الفعل للقلوب بمعنى الا أن تنقطع قلوبهم ثم حذفت احدى التاءين وذكر ان الحسن كان يقرأ الا ان يقطع قلوبهم بمعنى حتى تنقطع قلوبهم وذكر انها فى قراءة عبد الله ولو قطعت قلوبهم وعلى الاعتبار بذلك قرأ من قرأ ذلك الا ان تقطع بضم التاء والقول عندى فى ذلك ان الفتح فى التاء والضم متقاربا المعنى لان القلوب لا تنقطع اذا تقطعت الا بتقطيع الله اياها ولا يقطعها الله الا وهى منقطعة وهما قراءتان معروفتان قد قرأ بكل واحدة منهما جماعة من القراء فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب فى قراءته وأما قراءة من قرأ ذلك الا ان يقطع فقراءة لمصاحف المسلمين مخالفة ولا أرى القراءة بخلاف ما فى مصاحفهم جائزة ۞ القول فى تأويل قوله (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم) يقول تعالى ذكره ان الله ابتاع من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بالجنة وعدا عليه حقا يقول وعدهم الجنة جل ثناؤه وعدا عليه حقا أن يوفى لهم به فى كتبه المنزلة التوراة والانجيل والقرآن اذا هم وفوا بما عاهدوا الله فقاتلوا فى سبيله ونصرة دينه أعداءه فقتلوا وقتلوا ومن أوفى بعهده من الله يقول جل ثناؤه ومن أحسن وفاء بما ضمن وشرط من الله فاستبشروا يقول ذلك للمؤمنين فاستبشروا أيها المؤمنون الذين صدقوا الله فيما عاهدوا ببيعكم أنفسكم وأموالكم بالذى بعتموها من ربكم به فان ذلك هو الفوز العظيم كما حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن حفص بن حميد عن شمر بن عطية قال ما من مسلم الا ولله فى عنقه بيعة وفى بها أو مات عليها فى قول الله ان الله اشترى من المؤمنين الى قوله وذلك هو الفوز العظيم ثم حلاهم فقال التائبون العابدون الى وبشر المؤمنين حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم يعنى بالجنة قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن محمد بن بشار عن قتادة انه تلا هذه الآية ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة قال ثامنهم الله فأغلى لهم الثمن حدثنا القسم قال ثنا الحسين قال ثنى منصور بن هارون عن أبى اسحق الفزارى عن أبى رجاء عن الحسن انه تلا هذه الآية ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم قال بايعهم فأغلى لهم الثمن حدثنا

ما يحال ومنها ما سيأتيه كالقوة الغضبية والشيطانية من الكبر والحسد والكذب والخيانة فانها يحتمل ان تتبدل باضدادها من التواضع والمحبة والصدق والامانة عند استنارة النفس بنور الايمان والذكر فهذه الصفات وغيرها من صفات النفس مالم تتبدل بالكلية أو لم تكن مغلوبة بانوار صفات القلب ففيها بعض النفاق كما قال صلى الله عليه وسلم أربع من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم اذا حدث كذب واذا ائتمن خان واذا وعد أخلف واذا عاهد غدر ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها لا تعلمهم نحن نعلمهم يعنى ان هذه الافعال لا يعرفها أرباب العلوم الظاهرة وانما يعرفها أصحاب الكشوف الباطنة سنعذبهم مرتين مرة باحكام الشريعة ومرة بآداب الطريقة ثم يردون بجذبات اللطف الى عذاب عظيم هو الفطام عن الكونين والفناء فى الله أو بجذبات القهر الى اسبال حجب البعد والبقاء فى عالم الطبيعة وآخرون يعنى القلب وصفاته اعترفوا بذنوب ثبوت صفات النفس والتلوث بها خلطوا عملا صالحا هو صدق التوجه وآخر سيئا هو مطاوعة النفس والهوى فى بعض الاوقات عسى الله ان يوفقهم للرجوع الى طريق الحق بالكلية والاعراض عما سواه خذ من أموالهم صدقة تطهرهم بها عن دنس حب الدنيا وتزكيهم بالاخلاق الفاضلة فان حب الدنيا رأس كل خطيئة وتأخذ الصدقات فيه ان المعطى يجب ان لا ينظر الا الى الله ولا يمن على الفقير أصلا وستردون باقدام أعمالكم الى الله الذى يعلم ما غاب عنكم من نتائج أعمالكم وما غبتم عنه من التحدى الآن فترونها شاهدون بالعيون والقلوب فى عالمى الملك والملكوت وآخرون مرجون أخرت توبتهم ليترددوا بين الخوف والرجاء طيرا واعتنا حى التقصير والا ... طالبان ... لوا الى

الحرث قال ثنا عبدالعزيز قال ثنا أبومعشر عن محمد بن كعب القرظي وغيره قالوا قال عبدالله ابن رواحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اشترط لربك ولنفسك ما شئت قال اشترط لربي ان تعبدوه ولاتشركوا به شيأ واشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم قالوا فاذا فعلنا ذلك فماذا لنا قال الجنة قال ربح البيع لانقيل ولانستقيل فنزلت ان الله اشترى من المؤمنين الآية قال ثنا عبدالعزيز قال ثنا عبيد بن طفيل العبسي قال سمعت الضحاك بن مزاحم وساله رجل عن قوله ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم الآية قال رجل ألا أحمل على المشركين فاقاتل حتى اقتل قال ويلك أين الشرط التائبون العابدون ❁ القول في تاويل قوله (التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين) يقول تعالى ذكره ان الله اشترى من المؤمنين التائبين العابدين أنفسهم وأموالهم ولكنه رفع اذ كان مبتدأ به بعد تمام أخرى مثلها والعرب تفعل ذلك وقد تقدم بياننا ذلك في قوله صم بكم عمي بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع ومعنى التائبين الراجعون مما كرهه الله وسخطه الى ما يحبه ويرضاه كما حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام بن سلم عن ثعلبة بن سهيل قال قال الحسن في قول الله التائبون قال تابوا الى الله من الذنوب كلها حدثنا سوار بن عبدالله العنبري قال ثني أبي عن أبي الاشهب عن الحسن انه قرأ التائبون العابدون قال تابوا من الشرك وبرؤا من النفاق حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبوسلمة عن أبي الاشهب قال قرأ الحسن التائبون العابدون قال تابوا من الشرك وبرؤا من النفاق حدثنا القاسم قال ثنا الحسن قال ثنا منصور بن هارون عن أبي اسحق الفزاري عن أبي رجاء عن الحسن قال التائبون من الشرك حدثنا الحرث قال ثنا عبدالعزيز قال ثنا جرير بن حازم قال سمعت الحسن قرأ هذه الآية التائبون العابدون قال الحسن تابوا والله من الشرك وبرؤا من النفاق حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله التائبون قال تابوا من الشرك ثم لم ينافقوا في الاسلام حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج التائبون قال الذين تابوا من الذنوب ثم لم يعودوا فيها وأما قوله العابدون فهم الذين ذلوا خشية لله وتواضعا له فجدوا في خدمته كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة العابدون قوم أخذوا من أبدانهم في ليلهم ونهارهم حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن ثعلبة بن سهيل قال قال الحسن في قول الله العابدون قال عبدوا الله على أحايينهم كلها في السراء والضراء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني منصور بن هارون عن أبي اسحق الفزاري عن أبي رجاء عن الحسن العابدون قال العابدون لربهم وأما قوله الحامدون فانهم الذين يحمدون الله على كل ما امتحنهم به من خير وشر كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة الحامدون قوم حمدوا الله على كل حال حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن ثعلبة قال الحسن الحامدون الذين حمدوا الله على أحايينهم كلها في السراء والضراء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني منصور بن هارون عن أبي اسحق الفزاري عن أبي رجاء عن الحسن الحامدون قال الحامدون على الاسلام وأما قوله السائحون فانهم الصائمون كما حدثني محمد بن عيسى الدامغاني وابن وكيع قالا ثنا سفيان عن عمرو عن عبيد بن عمير حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني عمر بن الحرث عن عمرو بن دينار عن عبيد بن عمير قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن السائحين فقال هم الصائمون حدثني محمد بن عبدالله بن بزيع قال ثنا حكيم بن حزام قال ثنا سليمان عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم السائحون هم الصائمون حدثنا

ابن

لارباب الحقيقة وكفر اباحوا لهم ان حارب الله هم أهل الاباحة من مدعى الفقر لاتقم يارسول الروح أسس على التقوى هو مسجد القلب جبل على العبودية والطاعة من أول يوم من الميثاق رجال يحبون ان يتطهروا هم الاوصاف الجيدة والملكات المزكات عن دنس الطبيعة ولوث الحدوث ثم ميز بين أهل السعادة والشقاوة فقال أفمن أسس بنيانه أى جبل على الخير وما فيه رضا الله لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة لانهم جبلوا على الشقاء الا ان تقطع قلوبهم غيروا عن طباعهم وذلك محال أولا يزال يسرى من مزبلة النفس وسخ وظلمة الى قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم غيروا عن طباعهم وذلك بسكين الرياضة فتزول عنها تلك الملكات (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم انهم أصحاب الجحيم وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه ان ابراهيم لاواه حليم وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون ان الله بكل شئ عليم ان الله له ملك السموات والارض يحيى ويميت وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد

ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رؤف رحيم وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت
عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم (٢٥) يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا

ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا اسرائيل عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال السائحون الصائمون حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عاصم عن زر عن عبد الله قال السائحون الصائمون قال ثنا يحيي قال ثنا سفيان قال ثنى عاصم عن زر عن عبد الله بمثله حدثني محمد ابن عمارة الاسدي قال ثنا عبد الله قال أخبرنا شيبان عن أبي اسحق عن أبي عبد الرحمن قال السياحة الصيام حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن عطية قال ثنا اسرائيل عن أشعث عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال السائحون الصائمون حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن أبيه واسرائيل عن أشعث عن سعيد بن جبير عن ابن العباس قال السائحون الصائمون حدثنا المثنى قال ثنا الحماني قال ثنا اسرائيل عن أشعث عن سعيد بن جبير قال السائحون الصائمون حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن أشعث أبي الشعثاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن عاصم عن زر عن عبد الله مثله قال ثنا أبي عن أبيه عن أبي اسحق عن عبد الرحمن قال السائحون هم الصائمون حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس السائحون قال يعني بالسائحين الصائمين حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبيد الله عن اسرائيل عن أبي نجيح عن مجاهد قال السائحون هم الصائمون حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد السائحون الصائمون قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن علي عن ابن عباس قال ذكر الله في القرآن ذكر السياحة هم الصائمون قال ثنا أبي عن المسعودي عن أبي سنان عن ابن أبي الهذيل عن ابن عمر والعبدي قال السائحون الذين يديمون الصيام من المؤمنين حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن ثعلبة بن سهيل قال قال الحسن السائحون الصائمون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى منصور بن هرون عن أبي اسحق الفزاري عن أبي رجاء عن الحسن قال السائحون الصائمون شهر رمضان حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو خالد عن جويبر عن الضحاك قال السائحون الصائمون قال ثنا أبو اسامة عن جويبر عن الضحاك قال كل شيء في القرآن السائحون فانه الصائمون حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن الضحاك السائحون الصائمون حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله السائحون يعني الصائمين حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير ويعلى وأبو اسامة عن عبد الملك عن عطاء قال السائحون الصائمون حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن عبد الملك عن عطاء مثله قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير عن ابن عيينة قال ثنا عمرو أنه سمع وهب بن منبه يقول كانت السياحة في بني اسرائيل وكان الرجل اذا ساح أربعين سنة رأى ما كان يرى السائحون قبله فساح ولد بغي أربعين سنة فلم ير شيأ فقال أي رب أرأيت ان أساء أبواي وأحسنت أنا قال فأري ما رأى السائحون قبله قال ابن عيينة اذا ترك الطعام والشراب والنساء فهو السائح حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة السائحون قوم أخذوا من أبدانهم صوما لله حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا ابراهيم بن يزيد عن الوليد بن عبد الله عن عائشة قالت سياحة هذه الامة الصيام وقوله الراكعون الساجدون يعني المصلين الراكعين في صلاتهم الساجدين فيها كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى منصور بن هرون عن أبي اسحق الفزاري عن أبي رجاء عن الحسن الراكعون الساجدون قال الصلاة المفروضة وأما قوله الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر فانه يعني انهم يأمرون الناس بالحق في أديانهم واتباع الرشد والهدى والعمل وينهونهم عن المنكر وذلك

مع الصادقين) القراآت فيقتلون مبنيا للمفعول ويقتلون مبنيا للفاعل حمزة وعلي وخلف الآخرون على العكس ويقتلون بالتشديد أبو عون عن قنبل ابراهام وكذلك ما بعده هشام يزيغ بياء الغيبة حمزة وحفص والمفضل الباقون بتاء التأنيث خلفوا بالتخفيف وفتح اللام روى ابن روى عن عباس الباقون بالتشديد مجهولا * الوقوف الجنة ط ويقتلون ط والقرآن ط بايعتم به ط العظيم ه لحدود الله ط المؤمنين ه الجحيم ه اياه ط منه ط ج حليم ه ط ما يتقون ط عليم ه والارض ط ويميت ط نصير ه تاب عليهم ط رحيم ه ط للعطف على النبي خلفوا ط الا اليه ط ليتوبوا ط الرحيم ه الصادقين ه * التفسير لما شرح فضائح المنافقين وقبائحهم بسبب تخلفهم عن غزوة تبوك وذكر أقسامهم وفرع على كل قسم ما كان لائقا به عاد الى بيان فضيلة الجهاد والترغيب فيه قال محمد بن كعب القرظي لما بايعت الانصار رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وهم سبعون نفسا قال عبد الله بن رواحة اشترط لنفسك ولربك ما شئت فقال اشترط لربي ان تعبدوه ولا تشركوا به شيأ واشترط لنفسي ان تمنعوني ما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم قالوا فاذا فعلنا ذلك فما لنا قال الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل فنزلت ان الله اشترى

الآية قال مجاهد والحسن ومقاتل ثامنهم فأغلى ثمنهم وقال جعفر الصادق عليه السلام والله ما لابدانكم ثمن الا الجنة فلا تبيعوها الا بها واعلم ان هذه الاشتراء وقع مجازا عن الجزاء لان المشتري انما يشتري ما لا يملك والعبد

نهيهم الناس عن كل فعل وقول نهى الله عباده عنه وقد روى عن الحسن في ذلك ما **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى منصور بن هرون عن أبي اسحق الفزارى عن أبي رجاء عن الحسن الآمرون بالمعروف لا اله الا الله والناهون عن المنكر عن الشرك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن ثعلبة بن سهيل قال قال الحسن في قوله الآمرون بالمعروف قال اما انهم لم يأمروا الناس حتى كانوا من أهلها والناهون عن المنكر قال اما انهم لم ينهوا عن المنكر حتى انتهوا عنه **حدثني** المثنى قال ثنى اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع عن أبي العالية قال كل ما ذكر في القرآن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فالامر بالمعروف دعاء من الشرك الى الاسلام والنهي عن المنكر نهي عن عبادة الاوثان والشياطين وقد دللنا فيما مضى قبل على صحة ما قلنا من أن الامر بالمعروف هو كل ما أمر الله به عباده أو رسوله صلى الله عليه وسلم والنهي عن المنكر هو كل ما نهى الله عنه عباده أو رسوله واذ كان ذلك كذلك ولم يكن في الآية دلالة على انها عنى بها خصوص دون عموم ولا خبر عن الرسول ولا في فطرة عقل فالعموم بها أولى لما قد بينا في غير موضع من كتبنا وأما قوله والحافظون لحدود الله فانه يعني المؤدون فرائض الله المنتهون الى أمره ونهيه الذين لا يضيعون شيأ ألزمهم العمل به ولا يركبون شيأ نهاهم عن ارتكابه كالذى **حدثني** المثنى قال ثنا عبدالله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس والحافظون لحدود الله يعني القائمين على طاعة الله وهو شرط اشترطه على أهل الجهاد اذا وفوا الله بشرطه وفى لهم شرطهم **حدثني** محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس والحافظون لحدود الله قال القائمون على طاعة الله **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن ثعلبة بن سهيل قال قال الحسن في قوله والحافظون لحدود الله قال القائمون على أمر الله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى منصور بن هرون عن أبي اسحق الفزارى عن أبي رجاء عن الحسن والحافظون لحدود الله قال لفرائض الله وأما قوله وبشر المؤمنين فانه يعني وبشر المصدقين بما وعدهم الله اذا هم وفوا الله بعهده انه موف لهم بما وعدهم من ادخالهم الجنة كما **حدثنا** ابن بشار قال ثنا هوذة بن خليفة قال ثنا عوف عن الحسن ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم حتى ختم الآية قال الذين وفوا ببيعتهم التائبون العابدون الحامدون حتى ختم الآية فقال هذا عملهم وسيرهم في الرخاء ثم لقوا العدو فصدقوا ما عاهدوا الله عليه وقال بعضهم معنى ذلك وبشر من فعل هذه الافعال يعني قوله التائبون العابدون الى آخر الآية وان لم يغزوا ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى منصور بن هرون عن أبي اسحق الفزارى عن أبي رجاء عن الحسن وبشر المؤمنين قال الذين لم يغزوا ۞ القول في تأويل قوله (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم انهم أصحاب الجحيم وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه ان ابراهيم لاواه حليم) يقول تعالى ذكره ما كان ينبغي للنبي محمد صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا به ان يستغفروا يقول ان يدعوا بالمغفرة للمشركين ولو كان المشركون الذين يستغفرون لهم أولى قربى ذوى قرابة لهم من بعد ما تبين لهم انهم أصحاب الجحيم يقول من بعد ما ماتوا على شركهم بالله وعبادة الاوثان وتبين لهم أنهم من أهل النار لان الله قد قضى أن لا يغفر لمشرك فلا ينبغي لهم ان يسألوا ربهم ان يفعل ما قد علموا انه لا يفعله فان قالوا فان ابراهيم قد استغفر لابيه وهو مشرك فلم يكن استغفار ابراهيم لابيه الا لموعدة وعدها اياه فلما تبين له وعلم انه لله عدو خلاه وتركه وترك الاستغفار له وآثر الله وأمره عليه فتبرأ منه حين تبين له أمره واختلف أهل التأويل في السبب الذى نزلت هذه الآية فيه فقال بعضهم نزلت

وما علمك لمولاه ولهذا قال الحسن أنفسا هو خلقها وأموالا هو رزقها والمراد بانفسهم النفوس المجاهدة وباموالهم التي ينفقونها في أسباب الجهاد وعلى أنفسهم وأهليهم وعيالهم على الوجه المشروع وههنا نكتة هي ان قيم الطفل له ان يبيع مال الطفل من نفسه بشرط رعاية الغبطة ففي هذه الآية البائع والمشترى هو الله ففيه تنبيه على ان العبد كالطفل الذى لا يهتدى الى مصالح نفسه وانه تعالى هو المراعي لمصالحه حتى يوصله الى أنواع الخيرات وأصناف السعادات ووجه آخر الانسان بالحقيقة عبارة عن الجوهر المجرد الذى هو من عالم الارواح وهذا البدن وما يحتاج اليه من ضرورات المعاش كالآلات والوسائط لتحصيل الكمالات الموصلة الى الدرجات العاليات فالبائع هو جوهر الروح القدسي والمشترى هو الله وأحد العوضين الجسد البالي والمال الفاني والعوض الآخر الجنة الباقية والسعادات الدائمة فالربح حاصل والخسران زائل ولهذا قال فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وفي قوله يقاتلون معنى الامر كقوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وأنفسكم وهو كالتفسير لتلك المبايعة فيقتلون ويقتلون أى انهم يقتلون الكفار فلا يرجعون عنهم حتى يصيروا مقتولين ومن قرأ بتقديم المجهول فمعناه ان طائفة منهم اذا صاروا مقتولين لم يصر ذلك رادعا للباقين عن المقاتلة بقدر الامكان ومن العلماء من خصص هذا الوعد بجهاد السيف لظاهر قوله يقاتلون والتحقيق ان كل أنواع الجهاد يدخل فيه لان الجهاد بالحجة والدعوة الى دلائل التوحيد أكمل أثرا من القتال ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لعلي عليه السلام لان يهدى الله على يديك رجلا خير لك مما طلعت عليه الشمس ولان الجهاد بالسيف لا يحسن الا بعد تقديم الجهاد بالحجة ولان الانسان جوهر شريف في أصل فطرته فاذا أمكن ازالة صفاته الرذيلة مع ابقاء ذاته الشريفة كان أولى من افناء ذاته ألا ترى ان جلد الميتة لما كان منتفعا به من بعض في

في شأن أبي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم لان النبي صلى الله عليه وسلم أراد ان يستغفر له بعد موته فنهاه الله عن ذلك ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال لما حضرت أبا طالب الوفاة دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية فقال يا عم قل لا اله الا الله كلمة أحاج لك بها عند الله فقال له أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب فقال النبي صلى الله عليه وسلم لاستغفرن لك ما لم انه عنك فنزلت ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ونزلت انك لا تهدي من أحببت حدثني أحمد بن عبد الرحمن بن وهب قال ثنا عمي عبد الله بن وهب قال ثني يونس عن الزهري قال أخبرني سعيد بن المسيب عن أبيه قال لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد عنده أبا جهل ابن هشام وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عم قل لا اله الا الله كلمة أشهد لك بها عند الله قال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه ويعيد له تلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم هو على ملة عبد المطلب وأبى ان يقول لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لاستغفرن لك ما لم انه عنك فانزل الله ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين وأنزل الله في أبي طالب فقال لرسول الله انك لا تهدي من أحببت الآية حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين قال يقول المؤمنون الا نستغفر لآبائنا وقد استغفر ابراهيم لابيه كافرا فانزل الله وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه الآية حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن عمرو بن دينار ان النبي صلى الله عليه وسلم قال استغفر ابراهيم لابيه وهو مشرك فلا أزال أستغفر لابي طالب حتى ينهاني عنه ربي فقال أصحابه لنستغفرن لآبائنا كما استغفر النبي صلى الله عليه وسلم لعمه فانزل الله ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين الى قوله تبرأ منه حدثنا ابن وكيع قال ثنا يزيد بن هرون عن سفيان بن عيينة عن الزهري عن سعيد بن المسيب قال لما حضر أبا طالب الوفاة أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده عبد الله بن أبي أمية وأبو جهل بن هشام فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أي عم انك أعظم الناس على حقا وأحسنهم عندي يدا ولانت أعظم على حقا من والدي فقل كلمة تجب لي بها الشفاعة يوم القيامة قل لا اله الا الله ثم ذكر نحو حديث ابن عبد الاعلى عن محمد بن ثور وقال آخرون بل نزلت في سبب أم رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انه أراد ان يستغفر لها فمنع من ذلك ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا فضيل عن عطية قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وقف على قبر أمه حتى سخنت عليه الشمس رجاء ان يؤذن له فيستغفر لها حتى نزلت ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى الى قوله تبرأ منه قال ثنا أبو أحمد قال ثنا قيس عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن أبيه ان النبي صلى الله عليه وسلم أتى رسما قال وأكثر ظني انه قال قبرا فجلس اليه فجعل يخاطب ثم قام مستعبرا فقلت يا رسول الله انا رأينا ما صنعت قال اني استأذنت ربي في زيارة قبر أمي فأذن لي واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي فما رؤي باكيا أكثر من يومئذ حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ما كان للنبي والذين آمنوا الى انهم أصحاب الجحيم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد ان يستغفر لامه فنهاه الله عن ذلك فقال وان ابراهيم خليل الله قد استغفر لابيه فانزل الله وما كان استغفار ابراهيم الى لأواه حليم وقال آخرون بل نزلت من أجل ان قوما

الوجوه حث الشرع على ابقائه فقال هلا أخذتم اهابها فدبغتموه فانتفعتم به قوله وعدا عليه قال الزجاج انه منصوب بمعنى قوله بان لهم الجنة كانه قيل وعدهم الجنة وعدا فهو مصدر مؤكد وكذا قوله حقا أو هو نعت للمصدر (٢٧) مؤكد وما الذي حصل في التوراة والانجيل والقرآن قيل وعد المجاهدين على الاطلاق وقيل ذكر هذا البيع لامة محمد وقيل الامر بالقتال ومن أوفى استفهام بمعنى الانكار أي لا أحد أوفى بما وعد من الله لانه الغني عن كل الحاجات القادر على كل المقدورات وفي الآية أنواع من التوكيدات فاولها قوله ان الله اشترى واذا كان المشتري هو الاله الواجب الذات المتصف بجميع الكمالات المفيض لكل الخيرات فما ظنك به ومنها انه عبر عن ايصال الثواب بالبيع والشراء حتى يكون حقا مؤكدا ومنها انه قال بان لهم الجنة بحرف التحقيق وبلام التمليك دون ان يقول بالجنة ومنها قوله وعدا وانه لا يخلف الميعاد ومنها قوله عليه وكلمة على للوجوب ظاهرا ومنها قوله حقا وهو تأكيد التحقيق ومنها قوله في التوراة والانجيل والقرآن وانه يجري مجرى الاشهاد لجميع الكتب الالهية وجميع الانبياء والرسل على هذه المبايعة ومنها قوله ومن أوفى بعهده من الله وفيه تنبيه على انه لا يكذب ولا يخلف البتة ومنها قوله فاستبشروا والبشارة الخبر الصدق الاول ومنها قوله وذلك هو الفوز ثم وصف الفوز بالعظيم واعلم ان هذه الخاتمة تقع على ثلاثة أوجه أحدها ذلك الفوز بغير هو وانه في ستة مواضع في براءة موضعين وفي النساء والمائدة والصف والتغابن وما في النساء بزيادة واو والآخر وذلك هو الفوز بزيادة هو وذلك في ستة مواضع أخرى براءة موضعين ويونس والمؤمن والدخان والحديد وفي براءة أحدهما بزيادة الواو وهو خاتمة عشر آيات تؤكد لما في المؤمن وسبب هذا الاختلاف ان الجملة اذا جاءت بعد جملة من غير تراخ بنزول جاءت مربوطة بأنواع العطف وما كتابة تجرد من الثانية الى الاولى وأما باشارة فيها البيان يجامع بين

وما كان الله ليقضي عليكم في استغفاركم لموتاكم المشركين بالضلال بعد اذ رزقكم الهداية و وفقكم للايمان به وبرسوله حتى يتقدم اليكم بالنهى عنه فتتركوا الانتهاء عنه فاما قبل ان يبين لكم كراهية ذلك بالنهى عنه ثم تتعدوا نهيه الى مانهاكم عنه فانه لا يحكم عليكم بالضلال لان الطاعة والمعصية انما يكونان من المأمور والمنهى فامامن لم يؤمر ولم ينه فغير كائن مطيعا أو عاصيا فيمالم يؤمر به ولم ينه عنه ان الله بكل شئ عليم يقول تعالى ذكره ان الله ذو علم بما خالط أنفسكم عند نهى الله اياكم عن الاستغفار لموتاكم المشركين من الجزع على ماسلف منكم من الاستغفار لهم قبل تقدمه اليكم بالنهى عنه و بغير ذلك من سرائر أموركم وأمور عباده وظواهرها فبين لكم حلمه في ذلك عليكم ليضع عنكم ثقل الوجد بذلك و بنحو ماقلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون قال بيان الله للمؤمنين في الاستغفار للمشركين خاصة وفي بيانه طاعته ومعصيته عامة فافعلوا أو ذروا **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون قال بيان الله للمؤمنين أن لا يستغفروا للمشركين خاصة وفي بيانه طاعته ومعصيته عامة فافعلوا أو ذروا قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد نحوه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون قال يبين الله للمؤمنين في ان لا يستغفروا للمشركين في بيانه في طاعته وفي معصيته فافعلوا او ذروا ۞ القول في تأويل قوله (ان الله له ملك السموات والارض يحيي ويميت ومالكم من دون الله من ولي ولا نصير) يقول تعالى ذكره ان الله أيها الناس له سلطان السموات والارض وملكهما وكل من دونه من الملوك فعبيده ومماليكه بيده حياتهم وموتهم يحيي من يشاء منهم ويميت من يشاء منهم فلا تجزعوا أيها المؤمنون من قتال من كفر بي من الملوك ملوك الروم كانوا أو ملوك فارس والحبشة واغزوهم وجاهدوهم في طاعتي فاني المعز من أشاء منهم ومنكم والمذل من أشاء وهذا حض من الله جل ثناؤه المؤمنين على قتال كل من كفر به من المماليك واغراء منه لهم بحربهم وقوله ومالكم من دون الله من ولي ولا نصير يقول ومالكم من أحد هو لكم حليف من دون الله يظاهركم عليه ان أنتم خالفتم أمر الله فعاقبكم على خلافكم أمره يستنقذكم من عقابه ولا نصير ينصركم منه ان أراد بكم سوأ يقول فبالله فثقوا واياه فارهبوا وجاهدوا في سبيله من كفر به فانه قد اشترى منكم أنفسكم وأموالكم بان لكم الجنة تقاتلون في سبيله فتقتلون وتقتلون ۞ القول في تأويل قوله (لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رؤف رحيم) يقول تعالى ذكره لقد رزق الله الانابة الى أمره وطاعته نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم والمهاجرين ديارهم وعشيرتهم الى دار الاسلام وانصار رسوله في الله الذين اتبعوا رسول الله في ساعة العسرة منهم من النفقة والظهر والزاد والماء من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم يقول من بعد ما كاد يميل قلوب بعضهم عن الحق و يشك في دينه و يرتاب بالذي ناله من المشقة والشدة في سفره وغزوه ثم تاب عليهم يقول ثم رزقهم جل ثناؤه الانابة والرجوع الى الثبات على دينه وابصار الحق الذي كان قد كاد يلتبس عليهم انه بهم رؤف رحيم يقول ان ربهم بالذي خالط قلوبهم ذلك لما نالهم في سفرهم من الشدة والمشقة رؤف رحيم بهم رحيم أن يهلكهم فينزع منهم الايمان بعد ما قد أبلوا في الله ما أبلوا مع رسوله وصبروا

أراد استظهار المسلمين كيلا يضعف قلوبهم بالانقطاع عن الاقارب والانصار كانه قال وجب عليكم ان تفيؤا الى حكمي وتكاليفي لاني الهكم وأنتم عبيدي ثم عاد الى بقية أحكام الكفار (٣٤) فقال لقد تاب الله على النبي الآية ولنبين تفسير الآيتين على أسئلة مع جواباتها فالسؤال الاول ان قبول التوبة دليل سبق الذنب والنبي معصوم والمهاجرون والانصار الذين اتبعوه تحملوا أعباء ذلك السفر الطويل فكان اللائق بحالهم ان يثنى عليهم والجواب انه مامن مؤمن الا وهو محتاج الى التوبة والاستغفار لانه لا ينفك عن هفوة امامن باب الكبائر واما من باب الصغائر واما من باب ترك الاولى والافضل كما أشير الى ذلك في حق النبي صلى الله عليه وسلم بقوله عفا الله عنك لم أذنت لهم ولعله قد وقع في قلوب المؤمنين نوع نفرة من تلك السفرة لما عاينوا المتاعب ولا أقل من الوساوس والهواجس فاخبر الله سبحانه ان تلك الشدائد صارت مكفرة لجميع الزلات التي صدرت عنهم في ذلك السفر بل في مدة عمرهم وصارت قائمة مقام التوبة المقرونة بالاخلاص و يجوز ان يكون ذكر الرسول لاجل تعظيم شأن المهاجرين والانصار لا لانه صدر عنه ذنب السؤال الثاني ما المراد بساعة العسرة فالجواب قد تستعمل الساعة في معنى الزمان المطلق والعسرة تعذر الامر وصعوبته والمراد الزمان الذي صعب عليهم الامر جدا في ذلك السفر كانوا في عسرة من الظهر تعتقب العشرة على بعير واحد وفي عسرة من الزاد تزودوا التمر المدود والشعير المسوس والاهالة الزنخة المنتنة وقد بلغت منهم الشدة الى ان اقتسم التمرة اثنان ثم الى ان مصها جماعة ليشربوا عليها الماء وفي عسرة من الماء حتى نحروا الابل واعتصروا فرو شها وفي شدة زمان من حرارة القيظ كما قال المنافقون عليه لا تنفروا في الحر وقال أبو مسلم يجوز ان يراد بساعة العسرة جميع الاحوال والاوقات العسرة التي مرت عليهم في غزواتهم كما ذكر الله تعالى

عليه من البأساء والضراء بنحو ماقلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى ساعة العسرة فى غزوة تبوك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن عبد الله بن محمد بن عقيل فى ساعة العسرة قال خرجوا فى غزوة الرجلان والثلاثة على بعير وخرجوا فى حر شديد وأصابهم يومئذ عطش شديد فجعلوا ينحرون ابلهم فيعصرون أكراشها ويشربون ماءه وكان ذلك عسرة من الماء وعسرة من الظهر وعسرة من النفقة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ساعة العسرة قال غزوة تبوك قال العسرة أصابهم جهد شديد حتى ان الرجلين ليشقان التمرة بينهما وانهم ليمصوا التمرة الواحدة ويشربون عليها الماء حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد الذين اتبعوه فى ساعة العسرة قال غزوة تبوك قال ثنا زكريا بن على عن ابن مبارك عن معمر عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر الذين اتبعوه فى ساعة العسرة قال عسرة الظهر وعسرة الزاد وعسرة الماء حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة الآية الذين اتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك قبل الشام فى لهبان الحر على ما يعلم الله من الجهد أصابهم فيها جهد شديد حتى لقد ذكر لنا ان الرجلين كانا يشقان التمرة بينهما وكان النفر يتناولون التمرة بينهم يمصها هذا ثم يشرب عليها ثم يمصها هذا ثم يشرب عليها فتاب الله عليهم واقفلهم من غزوهم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى عمرو بن الحرث عن سعيد بن أبى هلال عن عتبة بن أبى عتبة عن نافع بن جبير بن مطعم عن عبد الله بن عباس انه قيل لعمر بن الخطاب رحمة الله عليه فى شأن العسرة فقال عمر خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك فى قيظ شديد فنزلنا منزلا أصابنا فيه عطش حتى ظننا ان رقابنا ستنقطع حتى ان كان الرجل ليذهب يلتمس الماء فلا يرجع حتى يظن ان رقبته ستنقطع حتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل مابقى على كبده فقال أبو بكر يارسول الله ان الله قد عودك فى الدعاء خيرا فادع لنا قال تحب ذلك قال نعم فرفع يديه فلم يرجعهما حتى مالت السماء فاظلت ثم سكبت فملؤا مامعهم ثم رجعنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر حدثنى اسحق ابن زيادة العطار قال ثنا يعقوب بن محمد قال ثنا عبد الله بن وهب قال ثنا عمرو بن الحرث عن سعيد بن أبى هلال عن نافع بن جبير عن ابن عباس قال قيل لعمر بن الخطاب رحمة الله عليه حدثنا عن شأن جيش العسرة فقال عمر خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ذكر نحوه ۞ القول فى تأويل قوله (وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا ان لا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم) يقول تعالى ذكره لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والانصار وعلى الثلاثة الذين خلفوا وهؤلاء الثلاثة الذين وصفهم الله فى هذه الآية بما وصفهم به فيما قيل هم الآخرون الذين قال جل ثناؤه وآخرون مرجون لامر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم والله عليم حكيم فتاب عليهم عز ذكره وتفضل عليهم وقد مضى ذكر من قال ذلك من أهل التأويل بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع فتأويل الكلام اذا ولقد تاب الله على الثلاثة الذين خلفهم الله عن التوبة فارجأهم عمن تاب عليهم ممن تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عمن سمع عكرمة فى قوله وعلى الثلاثة الذين خلفوا قال خلفوا عن التوبة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أما قوله خلفوا فخلفوا عن التوبة حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت

فى غزوة الخندق وادراغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر الثالث مامعنى كاد تزيغ وكيف اعرابه والجواب هما استعملان كاد زيد يخرج وكاد يخرج زيد ومعنى الاول كاد زيد خارجا أى قارب الخروج ومعنى الثانى كاد الشأن يكون كذا يعنى قارب الشأن هذا الخبر وشبهه سيبويه بقولهم خلق الله مثله أى ليس الشأن ذلك ولكن ضده والزيغ الميل عن الجادة قيل قارب بعضهم ان يميل عن الايمان وقيل هم بعضهم عند تلك الشدة بالمفارقة ثم حبسوا أنفسهم وصبروا وثبتوا وندموا وقيل ما كان الاحديث نفس بلا عزيمة ومع ذلك خافوا ان يكون معصية الرابع ذكر التوبة فى أول الآية فلم كررها فى قوله ثم تاب عليهم الجواب ان عاد الضمير فى عليهم الى الفريق فلا تكرار وان عاد الى النبى صلى الله عليه وسلم والمهاجرين والانصار جميعا فالتكرير للتوكيد مع رعاية دقيقة هى ان التوبة اكتنفت الذنب من جانبيه وذلك انه بدأ بذكر التوبة قبل ذكر الذنب تطييبا لقلوبهم ثم ذكر الذنب ثم أردفه بذكر التوبة ليدل على ان العفو عفو متأكد كما يقول السلطان عند كمال الرضى عفوت عنك ثم عفوت عنك واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم ان الله يغفر ذنب الرجل المسلم عشرين مرة وقال ابن عباس فى تفسير قوله ثم تاب عليهم يريد ازداد عنهم رضى ثم أكد هذه المعانى بقوله انه بهم رؤف رحيم فيشبه ان يراد بالرأفة ازالة الضرر وبالرحمة ايصال المنفعة أو الاول رحمة سابقة والثانى لاحقة الخامس الثلاثة الذين خلفوا من هم الجواب هم المرجون لامر الله كما مر سموا المخلفين كما سموا مرجئين أى مؤخرين عن أبى لبابة وأصحابه حيث تيب عليهم بعد أولئك وقيل لانهم خلفوا عن الغزو ويشهد له قراءة من قرأ بالتخفيف أى خلفوا الغازين وقيل المخلف من خلوف الفم أى فسدوا وقرأ جعفر الصادق عليه السلام خالفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض مع سعتها وهو مثل للحيرة فى الامر وضاقت عليهم أنفسهم أى

يقول بسعتها غما وندما على تخلفهم عن الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وضاقت عليهم أنفسهم بما نالهم من الوجد والكرب بذلك وظنوا أن لا ملجأ يقول وأيقنوا بقلوبهم ان لا شئ لهم يلجؤن اليه مما نزل بهم من أمر الله من البلاء بتخلفهم خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم ينجيهم من كربه ولا مما يحذرون من عذاب الله الا الله ثم رزقهم الانابة الى طاعته والرجوع الى ما يرضيه عنهم لينيبوا اليه ويرجعوا الى طاعته والانتهاء الى أمره ونهيه ان الله هو التواب الرحيم يقول ان الله هو الوهاب لعباده الانابة الى طاعته الموفق من أحب توفيقه منهم لما يرضيه عنه الرحيم بهم ان يعاقبهم بعد التوبة أو يخذل من أراد منهم التوبة والانابة ولا يتوب عليه وبنحو ما قلنا في تاويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن أبي سفيان عن جابر في قوله وعلى الثلاثة الذين خلفوا قال كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن ربيعة وكلهم من الانصار حدثني عبيد بن الوراق قال ثنا أبو اسامة عن الاعمش عن أبي سفيان عن جابر بنحوه الا انه قال ومرارة بن الربيع أو ابن ربيعة شك أبو اسامة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن اسرائيل عن جابر عن عكرمة وعامر وعلى الثلاثة الذين خلفوا قال أرجؤا في أوسط براءة حدثنا القاسم قال ثنا الحسن قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد الثلاثة الذين خلفوا قال الذين أرجئوا في أوسط براءة قوله وآخرون مرجون لامر الله هلال بن أمية ومرارة بن ربيعة وكعب بن مالك حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وعلى الثلاثة الذين خلفوا الذين ارجئوا في وسط براءة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن أبيه عن ليث عن مجاهد وعلى الثلاثة الذين خلفوا قال كلهم من الانصار هلال بن أمية ومرارة بن ربيعة وكعب بن مالك قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وعلى الثلاثة الذين خلفوا قال الذين ارجئوا قال ثنا جرير عن يعقوب عن جعفر عن سعيد قال الثلاثة الذين خلفوا كعب بن مالك وكان شاعرا ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية وكلهم أنصار قال ثنا أبو خالد الاحمر والمحاربي عن جويبر عن الضحاك قال كلهم من الانصار هلال بن أمية ومرارة بن الربيع وكعب بن مالك حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هاشم عن جويبر عن الضحاك قوله وعلى الثلاثة الذين خلفوا قال هلال بن أمية وكعب بن مالك ومرارة بن الربيع كلهم من الانصار حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وعلى الثلاثة الذين خلفوا الى قوله ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن ربيعة تخلفوا في غزوة تبوك ذكر لنا ان كعب بن مالك أوثق نفسه الى سارية فقال لا أطلقها ولا أطلق نفسي حتى يطلقني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله والله لا أطلقه حتى يطلقه ربه ان شاء وأما الآخر فكان تخلف على حائط له كان أدرك فجعله صدقة في سبيل الله وقال والله لا أطعمه وأما الآخر فركب المفاوز يتبع رسول الله ترفعه أرض وتضعه أخرى وقدماه تشلشلان دما حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبيد الله عن اسرائيل عن السدي عن أبي مالك قال الثلاثة الذين خلفوا هلال بن أمية وكعب بن مالك ومرارة بن ربيعة قال ثنا أبو داود الحفري عن سلام أبي الاحوص عن سعيد بن مسروق عن عكرمة وعلى الثلاثة الذين خلفوا قال هلال بن أمية ومرارة وكعب بن مالك حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية قال أخبرنا ابن عون عن عمر بن كثير بن أفلح قال قال كعب بن مالك ما كنت في غزاة أيسر للظهر والنفقة مني في تلك الغزاة قال كعب بن مالك لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت أتجهز غدا ثم ألحقه فأخذت

قلوبهم لا يسعها أنس ولا سرور وظنوا أي علموا وتيقنوا أن لا ملجأ من سخط الله الا الى استغفاره كقوله صلى الله عليه وسلم أعوذ بك منك وقيل الظن بمعناه الاصلي وهو الرجحان وذلك انهم ما كانوا قاطعين بان ينزل الله في شانهم قرآنا وان سلم انهم قطعوا بذلك الا انهم جوزوا ان تكون المدة قصيرة وجواب اذا محذوف والتقدير حتى اذا كان كذا وكذا تاب عليهم وحسن حذفه لتقدم ذكره عن كعب بن مالك قال لما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمت عليه فرد على كالغضب بعدما كان ذكرني في الطريق وقال ليت شعري ماخلف كعبا فقيل له ماخلفه الاحسن برديه والنظر في عطفيه فقال معاذ الله ما أعلم الا فضلا واسلاما ونهى عن كلامنا أيها الثلاثة فتنكر لنا الناس ولم يكلمنا أحد من قريب ولا بعيد فلما مضت أربعون ليلة أمرنا ان نعتزل نساءنا ولا نقربهن فلما تمت خمسون ليلة اذا أنا بنداء من ذروة سلع وهو جبل بالمدينة أبشر يا كعب بن مالك فخررت ساجدا وكنت كما وصفني ربي وضاقت عليهم الارض بما رحبت وتتابعت البشارة فلبست ثوبي وانطلقت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو جالس في المجلس وحوله المسلمون فقام الى طلحة بن عبيد الله يهرول الى حتى صافحني وقال لتهنك توبة الله عليك فلن أنساها لطلحة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يستنير استنارة القمر أبشر يا كعب بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك ثم تلا علينا الآية سئل أبو بكر الوراق عن التوبة النصوح فقال ان تضيق على التائب الارض بما رحبت وتضيق عليه نفسه كتوبة كعب بن مالك وصاحبيه السادس قد عرفنا فائدة قوله

تاب عليهم فما فائدة قوله ثم تاب عليهم ليتوبوا الجواب معناه رجع عليهم بالقبول والرحمة كرة بعد في

أخرى ليستقيموا على توبتهم أو تاب عليهم في الماضي ليتوبوا في المستقبل اذا فرطت منهم خطيئة علما منهم بان الله تواب على من تاب ولو عاد

في جهازي فامسيت ولم أفرغ فلما كان اليوم الثالث أخذت في جهازي فامسيت ولم أفرغ فقلت هيهات سار الناس ثلاثا فاقمت فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل الناس يعتذرون اليه فجئت حتى قمت بين يديه فقلت ما كنت في غزاة أيسر للظهر والنفقة مني في هذه الغزاة فاعرض عني رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر الناس ان لا يكلمونا وأمرت نساؤنا ان يتحولن عنا قال فتسورت حائطا ذات يوم فاذا أنا بجابر بن عبد الله فقلت أي جابر نشدتك بالله هل علمتني غششت الله ورسوله يوما قط فسكت عني فجعل لا يكلمني فبينا انا ذات يوم اذ سمعت رجلا على الثنية يقول كعب كعب حتى دنا مني فقال بشروا كعبا **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني يونس عن ابن شهاب قال غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك وهو يريد الروم ونصارى العرب بالشام حتى اذا بلغ تبوك أقام بها بضع عشرة ليلة ولقيه بها وفد أذرح ووفد أيلة فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجزية ثم قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك ولم يجاوزها وأنزل الله لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة الآية والثلاثة الذين خلفوا رهط منهم كعب بن مالك وهو أحد بني سلامة ومرارة بن ربيعة وهو أحد بني عمرو بن عوف وهلال بن أمية وهو من بني واقف وكانوا تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك الغزوة في بضعة وثمانين رجلا فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة صدقه أولئك حديثهم واعترفوا بذنوبهم وكذب سائرهم فحلفوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما حبسهم الا العذر فقبل منهم رسول الله وبايعهم ووكلهم في سرائرهم الى الله ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلام الذين خلفوا وقال لهم حين حدثوه حديثهم واعترفوا بذنوبهم قد صدقتم فقوموا حتى يقضي الله فيكم فلما أنزل الله القرآن تاب على الثلاثة وقال للآخرين سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم حتى بلغ لا يرضى عن القوم الفاسقين قال ابن شهاب وأخبرني عبد الرحمن بن عبد الله ابن كعب بن مالك ان عبد الله بن كعب بن مالك وكان قائد كعب من بنيه حين عمي قال سمعت كعب بن مالك يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك قال كعب لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها قط الا في غزوة تبوك غير اني قد تخلفت في غزوة بدر ولم يعاتب أحدا تخلف عنها انما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون يريدون عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة حين تواثقنا على الاسلام وما أحب ان لي بها مشهد بدر وان كانت بدر أذكر في الناس منها فكان من خبري حين تخلفت عن النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك اني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزوة والله ما جمعت قبلها راحلتين قط حتى جمعتهما في تلك الغزوة فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حر شديد واستقبل سفرا بعيدا ومفاوز واستقبل عدوا كثيرا فجلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم فأخبرهم بوجههم الذي يريد والمسلمون مع النبي صلى الله عليه وسلم كثير ولا يجمعهم كتاب حافظ يريد بذلك الديوان قال كعب فما رجل يريد أن يتغيب الا يظن ان ذلك سيخفى ما لم ينزل فيه وحي من الله وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال وأنا اليها أصعر فتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه وطفقت أغدو لكي أتجهز معهم فلم أقض من جهازي شيئا ثم غدوت فرجعت ولم أقض شيئا فلم يزل ذلك يتمادى حتى اسرعوا وتفارط الغزو وهممت ان أرتحل فادركهم فياليتني فعلت فلم يقدر ذلك لي فطفقت اذا خرجت في الناس بعد خروج النبي صلى الله عليه وسلم

في اليوم مائة مرة أو تاب عليهم ليرجعوا الى حالهم وعادتهم في الاختلاط بالمؤمنين أو تاب عليهم لينتفعوا بالتوبة وثوابها الا ان الانتفاع بها لا يحصل الا بعد توبة الله عليهم وقالت الاشاعرة المقصود بيان ان فعل العبد مخلوق لله تعالى حتى انه لو لم يتب عليهم لم يتوبوا وأيضا قالوا في الآية دلالة على ان قبول التوبة غير واجب عقلا لان توبة هؤلاء قد حصلت في أول الامر ثم انه صلى الله عليه وسلم لم يلتفت اليهم وتركهم خمسين يوما ويمكن ان يجاب بان شرائط التوبة من الاخلاص والنصح وغير ذلك لعلها لم تكن حاصلة من أول الامر فلهذا تأخر القبول دليله قوله تعالى حتى اذا ضاقت الآية ثم حث سبحانه المؤمنين على ملازمة سيرة التقوى والانضمام في زمرة أهل الصدق لا النفاق فقال يا أيها الذين آمنوا الآية قال بعض العلماء ظاهر الامر للوجوب فوجب على المؤمنين ان يكونوا مع الصادقين لا بمعنى ان يكونوا على طريقهم وسيرتهم لان ذلك عدول عن الظاهر بل بمعنى المصاحبة والكون مع الشيء مشروط بوجود ذلك الشيء فلا بد من وجود الصادقين ثم انه ثبت بالتواتر من دين محمد صلى الله عليه وسلم ان التكاليف المذكورة في القرآن متوجهة على المكلفين الى يوم القيامة فلا يكون هذا الامر مختصا بالكون مع الرسول وأصحابه في الغزوات بل أعم من ذلك ثم ان الصادق لا يجوز ان يكون منحصرا في الامام المعصوم الذي يمتنع خلو زمان التكليف عنه كما يقوله الشيعة لان كون كل واحد من المؤمنين مع ذلك الصادق بعد تسليم وجوده تكليف ما لا يطاق فالمراد بالصادقين أهل الحل والعقد في كل حين والمراد انهم اذا أجمعوا على شيء كانوا صادقين فيه محقين ويجب على الباقين ان يكونوا معهم ظاهرا وباطنا قال أكثر المفسرين الصادقون هم الذين صدقوا في دين الله وفيما عاهدوا عليه من الطاعة فيه قولا وعملا وقيل أي كونوا مع الثلاثة المذكورين في الصدق والثبات وعن ابن عباس ابن الخطاب أي آمن من

أهل الكتاب أى وافقوا المهاجرين والانصار فى الصدق وقيل الخطاب للذين شدوا أنفسهم على السوارى وفى الآية دلالة على فضيلة الصدق
وكمال درجته ومن خصائص الصدق ماروى (٣٨) ان اعرابيا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال انى أريد ان أومن بك الا انى
أحب الخمر والزنى والسرقة والكذب والناس يقولون انك تحرم هذه الاشياء كلها ولا طاقة لى بتركها فان قنعت منى بترك واحد آمنت بك فقبل ذلك وشرط له الصدق ثم أسلم فلما خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضوا عليه الخمر فقال ان شربت فان سألنى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شربها وكذبت فقد نقضت العهد وان صدقت أقام الحد على فتركها ثم عرض عليه الزنى فجاءه ذلك الخاطر فتركه وكذا فى السرقة فعاد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ما أحسن ما فعلت لما منعتنى عن الكذب انسد أبواب المعاصى على وتاب عن الكل ومن فضائل الصدق ان الايمان منه لا من سائر الطاعات ومن معايب الكذب ان الكفر منه لا من سائر الذنوب ومن مثالب الكذب ان ابليس مع تمرده وكفره استنكف منه حتى استثنى فى قوله لاغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين ثم المقتضى لقبح الكذب هو كونه كذبا عند الاشاعرة وكونه مفضيا الى المفاسد عند المعتزلة والله أعلم

❁ التأويل ان الله اشترى فى التقدير الازلى ولهذا تيسر لهم الآن بذل النفس والمال فى الجهاد الاصغر وفى الجهاد الاكبر وانه كما اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة اشترى من أوليائه الصديقين قلوبهم وأرواحهم بان لهم الجنة التائبون عما سوى الله العابدون المتوجهون اليه على قدم العبودية الحامدون لله على ما وفقهم لنعمة طلبه السائحون السائرون اليه بقدمى الصبر والشكر أو التبرى والتولى الراكعون أى الراجعون عن مقام القيام بوجودهم الى القيام بوجده الساجدون الساقطون على عتبة الوحدة بلاهم

عليه وسلم طفقت يحزننى انى لا أرى لى اسوة الا رجلا مغموصا عليه فى النفاق أو رجلا ممن عذر الله من الضعفاء ولم يذكرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس فى القوم بتبوك ما فعل كعب بن مالك فقال رجل من بنى سلمة يا رسول الله حبسه برداه والنظر فى عطفيه فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فبيناهو على ذلك رأى رجلا مبيضا يزول به السراب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن أبا خيثمة فاذا هو أبو خيثمة الانصارى وهو الذى تصدق بصاع التمر فلمزه المنافقون قال كعب فلما بلغنى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلا من تبوك حضرنى همى فطفقت أتذكر الكذب وأقول بم أخرج من سخطه غدا واستعين على ذلك بكل ذى رأى من أهلى فلما قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أظل قادما زاح عنى الباطل حتى عرفت انى لن أنجو منه بشئ أبدا فاجمعت صدقه وصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قادما وكان اذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين ثم جلس للناس فلما فعل ذلك جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون اليه ويحلفون له وكانوا بضعة وثمانين رجلا فقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم الى الله حتى جئت فلما سلمت تبسم تبسم المغضب ثم قال تعال فجئت أمشى حتى جلست بين يديه فقال لى ما خلفك ألم تكن قد ابتعت ظهرك قال قلت يا رسول الله انى والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت انى سأخرج من سخطه بعذر لقد أعطيت جدلا ولكنى والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عنى ليوشكن الله أن يسخطك على ولئن حدثتك حديث صدق تجد على فيه انى لأرجو فيه عفو الله والله ما كان لى عذر والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عنك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما هذا فقد صدق قم حتى يقضى الله فيك فقمت وثار رجال من بنى سلمة فاتبعونى وقالوا والله ما علمناك أذنبت ذنبا قبل هذا لقد عجزت فى ان لا تكون اعتذرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذر به المخلفون فقد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم لك قال فوالله ما زالوا يؤنبوننى حتى أردت أن أرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكذب نفسى قال ثم قلت لهم هل لقى هذا معى أحد قالوا نعم لقيه معك رجلان قالوا مثل ما قلت وقيل لهما مثل ما قيل لك قال قلت من هما قالوا مرارة بن ربيع العامرى وهلال بن أمية الواقفى قال فذكروا لى رجلين صالحين قد شهدا بدرا فيهما اسوة قال فمضيت حين ذكروهما لى ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه قال فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا حتى تنكرت لى فى نفسى الارض فما هى بالارض التى أعرف فلبثنا على ذلك خمسين ليلة فاما صاحباى فاستكانا وقعدا فى بيوتهما يبكيان وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم فكنت أخرج وأشهد الصلاة وأطوف فى الاسواق ولا يكلمنى أحد فآتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم عليه وهو فى مجلسه بعد الصلاة فاقول فى نفسى هل حرك شفتيه برد السلام أم لا ثم أصلى معه وأسارقه النظر فاذا أقبلت على صلاتى نظر الى واذا التفت نحوه أعرض عنى حتى اذا طال ذلك على من جفوة المسلمين مشيت حتى تسورت جدار حائط أبى قتادة وهو ابن عمى وأحب الناس الى فسلمت عليه فوالله ما رد على السلام فقلت يا أبا قتادة انشدك بالله هل تعلم انى أحب الله ورسوله فسكت قال فعدت فناشدته فسكت فعدت فناشدته قال الله ورسوله أعلم ففاضت عيناى وتوليت حتى تسورت الجدار فبينا أنا أمشى فى سوق المدينة اذا بنبطى من نبط أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول من يدل على كعب بن مالك قال فطفق الناس يشيرون له حتى جاءنى فدفع الى كتابا من ملك غسان وكنت كاتبا فقرأته فاذا فيه أما بعد فانه قد بلغنا ان صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار

هوان ولامضيعة فالحق بنا نواسك قال فقلت حين قرأتها وهذه أيضا من البلاء فتاممت بها التنور فسجرته به حتى اذا مضت أربعون من الخمسين واستلبث الوحي اذا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيني فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك ان تعتزل امرأتك قال فقلت أطلقها أم ماذا أفعل قال لا بل اعتزلها فلا تقربها قال وارسل الى صاحبي بذلك قال فقلت لامرأتي الحقي باهلك تكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الامر قال فجاءت امرأة هلال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله ان هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم فهل تكره ان أخدمه فقال لا ولكن لا يقربنك قالت فقلت انه والله مابه حركة الى شيء والله مازال يبكي منذ كان من أمره ما كان الى يومه هذا قال فقال لي بعض أهلي لو استاذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرأتك فقد اذن لامرأة هلال ان تخدمه قال فقلت لا استاذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومايدريني ماذا يقول لي اذا استأذنت فيها وانا رجل شاب فلبثت بعد ذلك عشر ليال فكمل لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا قال ثم صليت صلاة الفجر صباح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا فبينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله منا قد ضاقت على نفسي وضاقت على الارض بما رحبت سمعت صوت صارخ أوفى على جبل سلع يقول باعلى صوته يا كعب بن مالك أبشر قال فخررت ساجدا وعرفت ان قد جاء فرج قال وآذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر فذهب الناس يبشرونا فذهب قبل صاحبي مبشرون وركض رجل الى فرسا وسعى ساع من أسلم قبلي واوفى الجبل وكان الصوت أسرع من الفرس فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعت له ثوبي فكسوتهما اياه ببشارته والله ما أملك غيرهما يومئذ واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت أتامم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلقاني الناس فوجا فوجا يهنئوني بالتوبة ويقولون لتهنك توبة الله عليك حتى دخلت المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد حوله الناس فقام الى طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنأني والله ما قام رجل من المهاجرين غيره قال فكان كعب لا ينساها لطلحة قال كعب فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله عليه السلام وهو يبرق وجهه من السرور وأبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك فقلت أمن عندك يارسول الله أم من عند الله قال لا بل من عند الله وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سر استنار وجهه حتى كان وجهه قطعة قمر وكنا نعرف ذلك منه قال فلما جلست بين يديه قلت يارسول الله ان من توبتي ان انخلع من مالي صدقة الى الله والى رسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك بعض مالك فهو خير لك قال فقلت فاني أمسك سهمي الذي بخيبر وقلت يارسول الله ان الله انما أنجاني بالصدق وان من توبتي ان لا أحدث الا صدقا ما بقيت قال فوالله ما علمت أحدا من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله عليه السلام أحسن مما ابتلاني والله ما تعمدت كذبة منذ قلت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى يومي هذا واني أرجو الله فيما بقي قال فانزل الله لقد تاب الله على النبي حتى بلغ وعلى الثلاثة الذين خلفوا الى اتقوا الله وكونوا مع الصادقين قال كعب والله ما أنعم الله من نعمة قط بعد ان هداني للاسلام أعظم في نفسي من صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا أكون كذبته فاهلك كما هلك الذين كذبوا ان الله قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شر ما قال لاحد سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فاعرضوا عنهم انهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون الى قوله لا يرضى عن القوم الفاسقين قال كعب خلفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم توبتهم حين حلفوا له فبايعهم

الآمرون بالمعروف الحقيقي الناهون عما سواه والحافظون لحدود الله لئلا يتجاوزوا عن طلبه الى طلب غيره ما كان للنبي فيه ان الاجتهاد ليس سببا للنيل المراد وان الهداية من مواهب الربوبية لا من مراتب العبودية ان ابراهيم لاواه الاواه هو المتبرئ من المخلوقات لكثرة نيل المواجيد والكرامات فيكون لضيق البشرية تولاه بولاه فمهما ورد له وأراد الحق ضاق عليه نطاق الخلق فيتاوه عند تنفس القلب المضطر من الخلق الى الحق حليم عما أصابه من الخلق للحق فلا رجوع له من الحق الى الخلق بحال من الاحوال ولهذا قال لجبرائيل حين سأله ألك حاجة اما اليك فلا وما كان الله ليضل قوما ليردهم بالمكر الى الاثنينية والبعد بعد اذ هداهم الى الوحدانية والفردانية بالتوحيد والتفريد حتى يبين لهم ما يتقون من آفات البشرية وعاهات الدنيا فهي رأس كل خطيئة فان لم يحترزوا عنها وقعوا بالاستدراج الى حيث خرجوا عنها نعوذ بالله من الحور بعد الكور او نقول ان الله تعالى بعد اذ هداهم بالافناء عن الوجود الى البقاء بالجود لا يردهم الى بقاء البقاء وهو الاثبات بعد المحو والصحو بعد السكر وقد سماه المشايخ الاثبات الثاني حتى يبين لهم ما يتقون من الاعمال والاقوال رعاية لتلك الاحوال ان الله له ملك السموات القلوب والارض النفوس يحيي بنوره وبوبيته من يشاء ويميت عن صفات بشريته من يشاء ومالكم من دون الله من ولي فلا يشغلكم طلب الملك عن المالك فان طالب الملك لا يجد الملك ولا المالك وطالب المالك يجد الملك والمالك جميعا لقد تاب الله على النبي التوبة فضل من الله ورحمة فقدم ذكر النبي صلى الله عليه وسلم على المهاجرين ليكون وصول فضله اليهم بعد العبور على النبي تحقيقا لقوله وما أرسلناك الا رحمة للعالمين الذين اتبعوه في ساعة العسرة نيا وتولد شهواتها أو نقول لقد تاب الله أي أفاض أنوار رأفته على نبي الروح ومهاجري صفات القلب الذين هاجروا معه من مكة عالم الروح الى

واستغفر لهم وأرجى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا حتى قضى الله فيه فبذلك قال الله وعلى الثلاثة الذين خلفوا وليس الذى ذكر الله مما خلفنا عن الغزو وانما هو تخليفه ايانا وارجاؤه أمرنا عمن حلف له واعتذر اليه فقبل منهم **حدثنا** المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى الليث عن عقيل عن ابن شهاب قال أخبرنى عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك ان عبد الله بن كعب بن مالك وكان قائد كعب من بنيه حين عمى قال سمعت كعب بن مالك يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك فذكر نحوه **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الزهرى عن عبد الرحمن بن كعب عن أبيه قال لم أتخلف عن النبى صلى الله عليه وسلم فى غزاة غزاها الا بدرا ولم يعاتب النبى صلى الله عليه وسلم أحدا تخلف عن بدر ثم ذكر نحوه **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن ابن شهاب الزهرى عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك الانصارى ثم السلمى عن أبيه ان أباه عبد الله بن كعب وكان قائد أبيه كعب حين أصيب بصره قال سمعت أبى كعب بن مالك يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك وحديث صاحبيه قال ما تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة غزاها غير انى كنت تخلفت عنه فى غزوة بدر ثم ذكر نحوه ۞ القول فى تأويل قوله (ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) يقول تعالى ذكره للمؤمنين معرفهم سبيل النجاة من عقابه والخلاص من أليم عذابه ياأيها الذين آمنوا بالله ورسوله اتقوا الله وراقبوه باداء فرائضه وتجنب حدوده وكونوا فى الدنيا من أهل ولاية الله وطاعته تكونوا فى الآخرة مع الصادقين فى الجنة يعنى مع من صدق الله الايمان به فحقق قوله بفعله ولم يكن من أهل النفاق فيه الذين يكذب قيلهم فعلهم وانما معنى الكلام وكونوا مع الصادقين فى الآخرة باتقاء الله فى الدنيا كما قال جل ثناؤه ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وانما قلنا ذلك معنى الكلام لان كون المنافق مع المؤمنين غير نافعه بأى وجوه الكون كان معهم ان لم يكن عاملا أعمالهم واذا عمل عملهم فهو منهم واذا كان منهم كان لا وجه فى الكلام ان يقال اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ولتوجيه الكلام الى ما وجهنا من تأويله فسر ذلك من فسره من أهل التأويل بان قال معناه وكونوا مع أبى بكر وعمر أو مع النبى صلى الله عليه وسلم والمهاجرين رحمة الله عليهم ذكر من قال ذلك أو غيره فى تأويله **حدثنا** ابن حميد قال ثنا يعقوب عن زيد بن أسلم عن نافع فى قول الله اتقوا الله وكونوا مع الصادقين قال مع النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا حبويه أبو يزيد عن يعقوب القمى عن زيد بن أسلم عن نافع قال قيل للثلاثة الذين خلفوا ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين محمد وأصحابه **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق بن اسمعيل عن عبد الرحمن المحاربى عن جويبر عن الضحاك فى قوله وكونوا مع الصادقين قال مع أبى بكر وعمر وأصحابهما رحمة الله عليهم قال ثنا محمد بن يحيى قال ثنا اسحق بن بشر الكاهلى قال ثنا خلف بن خليفة عن أبى هاشم الرمانى عن سعيد بن جبير فى قول الله اتقوا الله وكونوا مع الصادقين قال مع أبى بكر وعمر رحمة الله عليهما **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله اتقوا الله وكونوا مع الصادقين قال مع المهاجرين الصادقين وكان ابن مسعود فيما ذكر عنه يقرؤه وكونوا من الصادقين ويتأوله ان ذلك نهى من الله عن الكذب ذكر الرواية عنه بذلك **حدثنى** المثنى قال ثنا آدم العسقلانى قال ثنا شعبة عن عمرو بن مرة قال سمعت أبا عبيدة بن عبد الله بن

مسعود

مدينة الجسد والانصار من القلب والنفس وصفاتهما الذين اتبعوه فى ساعة رجوعه الى عالم العلو بالعسرة لانهم من عالم السفل وعلى الثلاثة الذين خلفوا من النفس والهوى والطبع وما تبعوا الروح عند رجوعه الى عالمه ابتداء حتى اذا ضاقت عليهم أرض البشرية شوقا الى تلك الحضرة وضاقت عليهم أنفسهم تحننا الى نيل تلك السعادات وتحقق لهم بنور اليقين ان لو بقوا فى السفل لا ملجأ لهم من عذاب البعد عن الله الا الفرار اليه ثم تاب عليهم بجذبة العناية ولو وكلهم الى طبيعتهم ما سلكوا طريق الحق أبدا مع الصادقين الذين صدقوا يوم الميثاق والله أعلم (ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة فى سبيل الله ولا يطؤن موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح ان الله لا يضيع أجر المحسنين ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا الا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون ياأيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين واذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه ايمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون وأما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون أولا يرون انهم يفتنون فى كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون واذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم الى بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم فان تولوا فقل حسبى الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم) القرا آت

مسعود يقول قال ابن مسعود ان الكذب لا يحل منه جد ولا هزل اقرؤا ان شئتم يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا من الصادقين قال وكذلك هي قراءة ابن مسعود من الصادقين فهل ترون في الكذب رخصة قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن شعبة عن عمرو بن مرة قال سمعت أبا عبيدة عن عبد الله نحوه قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن عمرو بن مرة قال سمعت أبا عبيدة يحدث عن عبد الله قال الكذب لا يصلح منه جد ولا هزل اقرؤا ان شئتم يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا من الصادقين وهي كذلك في قراءة عبد الله فهل ترون من رخصة في الكذب حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن الاعمش عن ابراهيم عن عبد الله قال لا يصلح الكذب في هزل ولا جد ثم تلا عبد الله اتقوا الله وكونوا ما أدري أقال من الصادقين أو مع الصادقين وهو في كتابي مع الصادقين قال ثنا أبي عن الاعمش عن مجاهد عن أبي معمر عن عبد الله مثله قال ثنا أبي عن الاعمش عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن عبد الله مثله والصحيح من التأويل في ذلك هو التأويل الذي ذكرناه عن نافع والضحاك وذلك ان رسوم المصاحف كلها مجمعة على وكونوا مع الصادقين وهي القراءة التي لا أستجيز لاحد القراءة بخلافها وتأويل عبد الله رحمة الله عليه في ذلك على قراءته تأويل صحيح غير ان القراءة بخلافها ۞ القول في تأويل قوله (ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطؤن موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح ان الله لا يضيع أجر المحسنين) يقول تعالى ذكره لم يكن لاهل المدينة مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن حولهم من الاعراب سكان البوادي الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وهم من أهل الايمان به ان يتخلفوا في أهاليهم ولا دارهم ولا ان يرغبوا بانفسهم عن نفسه في صحبته في سفره والجهاد معه ومعاونته على ما يعانيه في غزوه ذلك يقول انه لم يكن لهم هذا بانهم من أجل انهم وبسبب انهم لا يصيبهم في سفرهم اذا كانوا معه ظما وهو العطش ولا نصب يقول ولا تعب ولا مخمصة في سبيل الله يعني ولا مجاعة في اقامة دين الله ونصرته وهدم منار الكفر ولا يطؤن موطئا يعني أرضا يقول ولا يطؤن أرضا يغيظ الكفار وطؤهم اياها ولا ينالون من عدو نيلا يقول ولا يصيبون من عدو الله وعدوهم شيأ في أموالهم وأنفسهم وأولادهم الا كتب الله لهم بذلك كله ثواب عمل صالح قد ارتضاه ان الله لا يضيع أجر المحسنين يقول ان الله لا يدع محسنا من خلقه أحسن في عمله فاطاعه فيما أمره وانتهى عما نهاه عنه ان يجازيه على احسانه ويثيبه على صالح عمله فلذلك كتب لمن فعل ذلك من أهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ما ذكر في هذه الآية الثواب على كل ما فعل فلم يضيع له أجر فعله ذلك وقد اختلف أهل التأويل في حكم هذه الآية فقال بعضهم هي محكمة وانما كان ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة لم يكن لاحد أن يتخلف اذا غزا خلافه فيقعد عنه الا من كان ذا عذر فاما غيره من الائمة والولاة فان لمن شاء من المؤمنين أن يتخلف خلافه اذا لم يكن بالمسلمين اليه ضرورة ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه هذا اذا غزا نبي الله بنفسه فليس لاحد ان يتخلف ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لولا ان أشق على امتي ما تخلفت خلف سرية تغزو في سبيل الله لكني لا أجد سعة فانطلق بهم معي ويشق علي أو أكره ان أدعهم بعدي حدثنا علي بن سهل قال ثنا الوليد بن مسلم قال سمعت الاوزاعي وعبد الله بن المبارك والفزاري والسبيعي وابن جابر وسعيد

موطئا ونحوه بالياء يزيد والشموني وفي الوقف غلظة بفتح الغين المفضل الباقون بكسرها والآخرون بتاء الخطاب للمؤمنين حمزة ويعقوب الباقون على الغيبة ❊ الوقوف عن نفسه ط صالح ط المحسنين ٥ لا للعطف (٤١) يعملون ٥ كافة ط يحذرون ٥ غلظة ط المتقين ٥ ايمانا ج يستبشرون ٥ كافرون ٥ يذكرون ٥ الى بعض ط لحق المحذوف أي يقولون هل يراكم ثم انصرفوا ط لا يفقهون ٥ عزيز على تأويل عليه شفاعة ما عنتم والصحيح الوصل لان المعنى شديد عليه ما أثمتم ولا وقف في الآية الى قوله رحيم حسبي الله ٥ والاصح الوصل على جعل الجملة حالا أي يكفي الله غير مشارك في الالوهية الاهو ط العظيم ٥ ❊ التفسير لما أمر بموافقة النبي وأصحابه في جميع الغزوات والمشاهد بقوله وكونوا مع الصادقين أكد ذلك المعنى بالنهي عن التخلف عنه فقال ما كان لاهل المدينة أي لا يستقيم ولا يجوز لهم والاعراب الذين كانوا حول المدينة فقد ذكر عن ابن عباس انهم مزينة وجهينة وأشجع وأسلم وغفار وكانه أراد المعروفين منهم والا فاللفظ عام ومعنى ولا يرغبوا ولا ان يرغبوا يقال رغبت بنفسي عن هذا الامر أي أبخل بها عليه ولا أتركها له والمراد انه لا يصح لهم ان يرغبوا عن صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب صلاح أنفسهم وبقائها بل عليهم ان يصحبوه على البأساء والضراء ويرضوا لانفسهم ما يرضاه الرسول لنفسه لان نفسه أعز نفس عند الله فاذا تعرضت مع كرامتها للخوض في شدة وجب على سائر الانفس ان لا يضنوا بها على ما سمح بنفسه عليه وفي هذا النهي مع التهييج توبيخ عظيم ولا

يحتمل ان الجهاد لا يجب على كل واحد بعينه للاجماع وان أصحاب الاعذار من الضعفة والمرضى ونحوهم مخصوصون بالعقل وبالنقل فيبقى ما وراءها من الصور تحت عموم الآية ثم ذكر ترغيبا يجري

ابن عبد العزيز يقولون في هذه الآية ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله الى آخر الآية انها الاول هذه الآية وآخرها من المجاهدين في سبيل الله وقال آخرون هذه الآية نزلت وفي أهل الاسلام قلة فلما كثروا نسخها الله وأباح التخلف لمن شاء فقال وما كان المؤمنون لينفروا كافة * ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب أن يتخلفوا عن رسول الله فقرأ حتى بلغ ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون قال هذا حين كان الاسلام قليلا فلما كثر الاسلام بعد قال وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة الى آخر الآية * والصواب من القول في ذلك عندي ان الله عنى بها الذين وصفهم بقوله وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم الآية ثم قال جل ثناؤه ما كان لاهل المدينة الذين تخلفوا عن رسول الله ولا لمن حولهم من الاعراب الذين قعدوا عن الجهاد معه ان يتخلفوا خلافه ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ندب في غزوته تلك كل من أطاق النهوض معه الى الشخوص الا من أذن له أو أمره بالمقام بعده فلم يكن لمن قدر على الشخوص التخلف فعدد جل ثناؤه من تخلف منهم فأظهر نفاق من كان تخلفه منهم نفاقا وعذر من كان تخلفه لعذر وتاب على من كان تخلفه تفريطا من غير شك ولا ارتياب في أمر الله اذ تاب من خطأ ما كان منه من الفعل فاما التخلف عنه في حال استغنائه فلم يكن محظورا اذ لم يكن عن كراهة منه صلى الله عليه وسلم ذلك وكذلك حكم المسلمين اليوم ازاء امامهم فليس بفرض على جميعهم النهوض معه الا في حال حاجته اليهم لما لا بد للاسلام وأهله من حضورهم واجتماعهم واستنهاضه اياهم فيلزمهم حينئذ طاعته واذا كان ذلك معنى الآية لم تكن احدى الآيتين اللتين ذكرنا ناسخة للاخرى اذ لم تكن احداهما نافية حكم الاخرى من كل وجوهه ولا جاء خبر بوجوب الحجة ان احداهما ناسخة للاخرى وقد بينا معنى المخمصة وأنها المجاعة بشواهده وذكرنا الرواية عمن قال ذلك في موضع غير هذا فاغنى ذلك عن اعادته ههنا وأما النيل فهو مصدر من قول القائل نالني ينالني ونلت الشئ فهو منيل وذلك اذا كنت تناله بيدك وليس من التناول وذلك ان التناول من النوال يقال منه نلت له انول له من العطية وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يقول النيل مصدر من قول القائل نالني بخير ينولني نوالا وانالني خيرا اناله وقال كان النيل من الواو أبدلت ياء لخفتها وثقل الواو وليس ذلك بمعروف في كلام العرب بل من شأن العرب ان تصحح الواو من ذوات الواو اذا سكنت وانفتح ما قبلها كقولهم القول والعول والحول ولو جاز ما قال لجاز القيل

القول في تأويل قوله (ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا الا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون) يقول تعالى ذكره ولا ينفق هؤلاء الذين لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطؤن موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا ولا ينفقون نفقة صغيرة في سبيل الله ولا يقطعون مع رسول الله في غزوه واديا الا كتب لهم أجر عملهم ذلك جزاء لهم عليه كأحسن ما يجزيهم على أحسن أعمالهم التي كانوا يعملونها وهم مقيمون في منازلهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة الآية قال ما ازداد قوم من أهليهم في سبيل الله بعدا الا ازدادوا من الله قربا

القول في تأويل قوله (وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) يقول تعالى ذكره ولم

تجرى عليه المنع من التخلف فقال ذلك بانهم أى الوجوب الدال عليه بقوله ما كان لهم بسبب انهم مثابون على أنواع المتاعب وأصناف الشدائد بل على جميع الحركات والسكنات مدة الذهاب والاياب والظمأ شدة العطش والنصب الاعياء والتعب والمخمصة المجاعة الشديدة التي تظهر ضمور البطن والموطئ اما مصدر (٤٢) كالورد أو مكان وعلى التقديرين الضمير في يغيظ عائد الى الوطء الصريح أو المقدر ثم الوطء يجوز ان يكون حقيقة فيراد به الدوس بالاقدام وبحوافر الخيول وباخفاف الابل ويجوز ان يكون مجازا فيراد به الايقاع والاهلاك قال ابن الاعرابي غاظه وغيظه وأغاظه بمعنى ويقال نال منه اذا رزأه ونقصه وهو عام في كل ما يسوءهم ويلحق بهم ضررا من قتل أو أسر أو غنيمة أو هزيمة والمراد انهم لا يتصرفون في أرض الكفار تصرفا يغيظهم ولا يرزؤهم شيأ الا كتب لهم به عمل صالح وفيه دليل على ان من قصد طاعة الله كان قيامه وقعوده ومشيه وحركته وسكونه كلها حسنات مكتوبة عند الله وكذا القول في طرف المعصية ولكن بالضد فما أعظم بركة الطاعة وما أشد شؤم المعصية وبهذه الآية استشهد أصحاب أبي حنيفة ان المدد القادم بعد انقضاء الحرب يشارك الجيش في الغنيمة لان وطء ديارهم مما يغيظهم وينكى فيهم وقال الشافعي لا يشاركون الغانمين في الغنيمة وان شاركوهم في الثواب لان الغنيمة من خواص المحاربين ومن قد تعاطى خطرا قال قتادة هذا الحكم من خواص رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غزا بنفسه فليس لاحد ان يتخلف عنه الا بعذر وقال ابن زيد هذا حين كان في المسلمين قلة فلما كثروا نسخه الله بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة وقال عطية ما كان لهم التخلف اذا دعاهم الرسول وأمرهم قال العلماء وكذلك غيره من الائمة والولاة واذا عينوا طائفة لانا لو جوزنا للمدعو ان يتقاعد لم يختص بذلك بعض دون بعض فيؤدى الى تعطيل الجهاد قوله ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة قال المفسرون يريد تمرة فما فوقها وعلاقة سوط وما أربى عليه مثل ما أنفق عثمان في جيش العسرة ولا يقطعون واديا أى أرضا في ذهابهم ومجيئهم وهو شائع في استعمال

يكن

العرب يقولون لا يتصل في وادي غيرك وهو في الاصل فاعل من ودى اذا سال والوادي كل منعطف بين جبال وآكام يكون منفذا للسيل الا كتب لهم ذلك الانفاق والقطع أو ذلك العمل الصالح المعهود في الآية المتقدمة ثم ذكر غاية الكتب فقال ليجزيهم أي أثبت في صحائفهم لاجل الجزاء جزاء أحسن من أعمالهم وأجل وقيل الاحسن من صفة الفعل أي يجزيهم (٤٣) على الاحسن وهو الواجب والمندوب دون المباح واعلم انه سبحانه عدد أشياء بعضها ليس من أعمال المجاهدين وهو الظما والنصب والمخمصة وباقيها من أعمالهم وهي الوطء والنيل والانفاق وقطع الارض وقسم هذا الباقي قسمين فضم شطرا منه الى ما ليس من أعمالهم تنبيها على انه في الثواب جار مجرى عملهم ولهذا صرح بذلك فقال الا كتب لهم به عمل صالح أي جزاء عمل صالح وأكد ذلك بقوله ان الله لا يضيع أجر المحسنين ثم أورد الشطر الباقي لغرض آخر وهو الوعد باحسن الجزاء واقتصر ههنا على قوله الا كتب لهم لان هذا القسم من عملهم فلم يحتج الى تصريح بذلك أو اكتفاء بما تقدم أو لان الضمير عائد الى المصدر الدال عليه الفعل والله تعالى أعلم بمراده ثم قال وما كان المؤمنون وفيه قولان أحدهما انه من بقية أحكام الجهاد لانه سبحانه لما بالغ في عيوب المنافقين كان المسلمون اذا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية الى الكفار ينفرون جميعا ويتركونه بالمدينة وحده فنزلت الآية قاله ابن عباس والمعنى انه لا يجوز للمؤمنين ان ينفروا باسرهم الى الجهاد بل يجب ان يصيروا طائفتين احداهما لملازمة خدمة الرسول والاخرى للنفير الى الغزو ثم ههنا احتمالان لانه قال محرضا فلولا نفر أي هلا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين فذهب الاكثر الى ان الضمير في ليتفقهوا عائد الى الفرقة الباقية في حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم لانهم اذا بقوا في خدمته شاهدوا الوحي والتنزيل وضبطوا ما حدث من الشرائع وعلى هذا فلا بد من اضمار والتقدير فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة وأقام طائفة ليتفقه المقيمون في الدين ولينذروا قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون معاصي الله عند ذلك وعلى هذا الطريق يتم أمر الدين بهاتين الطائفتين والاضاع

يكن المؤمنون لينفروا جميعا وقد بينا معنى الكافة بشواهده وأقوال أهل التأويل فيه فاغنى عن اعادته في هذا الموضع ثم اختلف أهل التأويل في المعنى الذي عناه الله بهذه الآية وما النفر الذي كرهه لجميع المؤمنين فقال بعضهم هو نفر كان من قوم كانوا بالبادية بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمون الناس الاسلام فلما نزل قوله ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب أن يتخلفوا عن رسول الله انصرفوا عن البادية الى النبي صلى الله عليه وسلم خشية أن يكونوا ممن تخلف عنه وممن عني بالآية فانزل الله في ذلك عذرهم بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة وكره انصراف جميعهم من البادية الى المدينة ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة قال ناس من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم خرجوا في البوادي فاصابوا من الناس معروفا ومن الخصب ما ينتفعون به ودعوا من وجدوا من الناس الى الهدى فقال الناس لهم ما نراكم الا قد تركتم أصحابكم وجئتمونا فوجدوا في أنفسهم من ذلك حرجا وأقبلوا من البادية كلهم حتى دخلوا على النبي صلى الله عليه وسلم فقال الله فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة يبتغون الخير ليتفقهوا وليسمعوا ما في الناس وما أنزل الله بعدهم ولينذروا قومهم الناس كلهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون حدثنا المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله الا انه قال في حديثه فقال الله فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة بعض وقعد بعض يبتغون الخير قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد نحو حديثه عن أبي حذيفة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحو حديث المثنى عن أبي حذيفة غير انه قال في حديثه ما نراكم الا قد تركتم صاحبكم وقال ليتفقهوا ليسمعوا ما في الناس وقال آخرون معنى ذلك وما كان المؤمنون لينفروا جميعا الى عدوهم ويتركوا نبيهم صلى الله عليه وسلم وحده كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة قال ليذهبوا كلهم فلولا نفر من كل حي وقبيلة طائفة ويتخلف طائفة ليتفقهوا في الدين ليتفقه المتخلفون مع النبي صلى الله عليه وسلم في الدين ولينذر المتخلفون النافرين اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة يقول ما كان المؤمنون لينفروا جميعا ويتركوا النبي صلى الله عليه وسلم وحده فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة يعني عصبة يعني السرايا ولا يتسروا الا باذنه فاذا رجعت السرايا وقد نزل بعدهم قرآن يعلمه القاعدون من النبي صلى الله عليه وسلم قالوا ان الله قد أنزل على نبيكم بعدكم قرآنا وقد تعلمناه فيمكث السرايا يتعلمون ما أنزل الله على نبيهم ويعلموا السرايا اذا رجعت اليهم لعلهم يحذرون حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة الى قوله لعلهم يحذرون قال هذا اذا بعث نبي الله الجيوش أمرهم أن لا يتركوا نبيه وتقيم طائفة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يتفقهوا في الدين وتنطلق طائفة تدعوا قومها وتحذرهم وقائع الله فيمن خلا قبلهم حدثنا الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة الآية كان نبي الله اذا غزا بنفسه لم يحل لاحد من المسلمين أن يتخلف عنه الا أهل العذر وكان

أحد الشقين والاحتمال الآخر ما روي عن الحسن أن الضمير يعود الى الطائفة النافرة وتفقههم هو أنهم يشاهدون ظهور المسلمين على المشركين وأن العدد القليل منهم من غير زاد ولا سلاح كيف يغلبون الجم الغفير من الكفار فيتنبهون لدقائق صنع الله في اعلاء كلمته فاذا رجعوا الى قومهم أنذروهم بما شاهدوا من دلائل (٤٤) الحق فيحذروا أي يتركوا الكفر والشرك والنفاق القول الثاني انه ليس من بقية

اذا أقام فاسرت السرايا لم يحل لهم أن ينطلقوا الا باذنه فكان الرجل اذا أسرى فنزل بعده قرآن تلاه نبي الله على أصحابه القاعدين معه فاذا رجعت السرية قال لهم الذين أقاموا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله أنزل بعدكم على نبيه قرآنا فيقرئونهم ويفقهونهم في الدين وهو قوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة يقول اذا أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة يعني بذلك انه لا ينبغي للمسلمين أن ينفروا جميعا ونبي الله قاعد ولكن اذا قعد نبي الله تسرت السرايا وقعد معه عظم الناس وقال آخرون بل معنى ذلك ما هؤلاء الذين نفروا بمؤمنين ولو كانوا مؤمنين لم ينفر جميعهم ولكنهم منافقون ولو كانوا صادقين انهم مؤمنون لنفر بعض ليتفقه في الدين ولينذر قومه اذا رجع اليهم ذكر من قال ذلك **حدثني** المثنى قال ثنا عبد الله ابن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة فانها ليست في الجهاد ولكن لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على مضر بالسنين أجدبت بلادهم وكانت القبيلة منهم تقبل بأسرها حتى يحلوا بالمدينة من الجهد ويعتلوا بالاسلام وهم كاذبون فضيقوا على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأجهدوهم وأنزل الله يخبر رسول الله أنهم ليسوا مؤمنين فردهم رسول الله الى عشائرهم وحذر قومهم أن يفعلوا فعلهم فذلك قوله ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون وقد روي عن ابن عباس في ذلك قول ثالث وهو ما **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة الى قوله لعلهم يحذرون قال كان ينطلق من كل حي من العرب عصابة فيأتون النبي صلى الله عليه وسلم فيسألونه عما يريدونه من دينهم ويتفقهون في دينهم ويقولون لنبي الله ما تأمرنا أن نفعله وأخبرنا ما نقول لعشائرنا اذا انطلقنا اليهم قال فيأمرهم نبي الله بطاعة الله وطاعة رسوله ويبعثهم الى قومهم بالصلاة والزكاة وكانوا اذا أتوا قومهم نادوا أن من أسلم فهو منا وينذرونهم حتى ان الرجل ليعرف أباه وأمه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرهم وينذرون قومهم فاذا رجعوا اليهم يدعونهم الى الاسلام وينذرونهم النار ويبشرونهم بالجنة وقال آخرون انما هذا تكذيب من الله لمنافقين أزروا بأعراب المسلمين وعيروهم في تخلفهم خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ممن قد عذره الله بالتخلف ذكر من قال ذلك **حدثني** الحارث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان بن عيينة عن سليمان الاحول عن عكرمة قال لما نزلت هذه الآية ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الاعراب أن يتخلفوا عن رسول الله الى ان الله لا يضيع أجر المحسنين قال ناس من المنافقين هلك من تخلف فنزلت وما كان المؤمنون لينفروا كافة الى لعلهم يحذرون ونزلت والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة الآية **حدثنا** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير عن ابن عيينة قال ثنا سليمان الاحول عن عكرمة قال سمعته يقول لما نزلت الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما وما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الاعراب الى قوله ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون قال المنافقون هلك أصحاب البدو الذين تخلفوا عن محمد ولم ينفروا معه وقد كان ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا الى البدو الى قومهم يفقهونهم فأنزل الله وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة الى قوله لعلهم يحذرون ونزلت والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له الآية واختلف الذين قالوا عني

أحكام الجهاد وانما هو حكم مستقل بنفسه ووجه النظم ان الجهاد أمر يتعلق بالسفر وكذلك التفقه اما في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم فوجوبه ظاهر لمن ليس بحضرته حتى يصل اليه ويستفيد من خدمته لأن الشريعة ما كانت مستقرة بل كانت تتجدد كل يوم شيأ فشيأ وأما في زماننا فلا ريب انه متى عجز عن التفقه الا بالسفر وجب عليه وان أمكنه في الحضر فلا شك ان للسفر بركة أخرى يعرفها كل من زاول الاسفار وحاول الاخطار ومعنى ليتفقهوا ليتكلفوا الفقاهة في الدين ويتجشموا المتاعب في أخذها وتحصيلها والفقه في الاصطلاح هو العلم بالاحكام الشرعية الفرعية المستنبطة من دلائلها التفصيلية والظاهر أن المراد في الآية أعم من ذلك بحيث يشمل علوم الشرع كلها من التفسير والحديث وأصول الدين وأصول الفقه ومقدمات كل من ذلك وغاياتها بحسب الامكان النوعي أو الشخصي وفي قوله ولينذروا قومهم اشارة الى ان الغرض الاصلي من التعلم هو الانذار والارشاد لا ما يستبق اليه علماء السوء من الاغراض الفاسدة كالمطاعم والملابس والمفاخر أعاذنا الله تعالى بفضله من قبح النية وفساد الطوية وجعلنا ممن لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا القائلون بأن خبر الواحد حجة قالوا أوجب الله تعالى أن يخرج من كل فرقة طائفة والخارج من الثلاثة يكون اثنين أو واحدا ثم انه أوجب بذلك العمل باخبارهم بقوله ولينذروا وأجيب بأن ايجاب الانذار لا يدل على وجوب العمل لأن الشاهد الواحد يلزمه أداء الشهادة وان لم يلزم القبول ورد بأن قوله لعلهم يحذرون ايجاب العمل باخبارهم ثم أرشد سبحانه الى ترتيب القتال فقال يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم

بذلك النهي عن نفر الجميع في السرية وترك النبي عليه السلام وحده في المعنيين بقوله ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم فقال بعضهم عنى به الجماعة المتخلفة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا معنى الكلام فهلا نفر من كل فرقة طائفة للجهاد ليتفقه المتخلفون في الدين ولينذروا قومهم الذين نفروا في السرية إذا رجعوا إليهم من غزوهم وذلك قول قتادة وقد ذكرنا رواية ذلك عنه من رواية سعيد بن أبي عروبة وقد حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين الآية قال ليتفقه الذين قعدوا مع نبي الله وينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم يقول لينذروا الذين خرجوا إذا رجعوا إليهم حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن وقتادة وما كان المؤمنون لينفروا كافة قال كافة ويدعوا النبي صلى الله عليه وسلم وقال آخرون منهم بل معنى ذلك ليتفقه الطائفة النافرة دون المتخلفة وتحذر النافرة المتخلفة ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين قال ليتفقه الذين خرجوا بما يريهم الله من الظهور على المشركين والنصرة وينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم * وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب أن يقال تأويله وما كان المؤمنون لينفروا جميعا ويتركوا رسول الله وحده وأن الله نهى بهذه الآية المؤمنين به أن يخرجوا في غزو وجهاد وغير ذلك من أمورهم ويدعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحيدا ولكن عليهم إذا سرى رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية أن ينفر معها من كل قبيلة من قبائل العرب وهي الفرقة طائفة وذلك من الواحد إلى ما بلغ من العدد كما قال الله جل ثناؤه فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة يقول فهلا نفر من كل فرقة منهم طائفة وهذا إلى ههنا على أحد الأقوال التي رويت عن ابن عباس وهو قول الضحاك وقتادة وإنما قلنا هذا القول أولى الأقوال في ذلك بالصواب لأن الله تعالى ذكره حظر التخلف خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم على المؤمنين به من أهل المدينة مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ومن الأعراب لغير عذر يعذرون به إذا خرج رسول الله لغزو وجهاد عدو قبل هذه الآية بقوله ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ثم عقب ذلك جل ثناؤه بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة فكان معلوما بذلك إذ كان قد عرفهم في الآية التي قبلها اللازم لهم من فرض النفر والمباح لهم من تركه في حال غزو رسول الله صلى الله عليه وسلم وشخوصه عن مدينته لجهاد عدو وأعلمهم أنه لا يسعهم التخلف خلافه إلا لعذر بعد استنهاضه بعضهم وتخليفه بعضهم أن يكون عقيب تعريفهم ذلك تعريفهم الواجب عليهم عند مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمدينته وإشخاص غيره عنها كما كان الابتداء بتعريفهم الواجب عند شخوصه وتخليفه بعضهم وأما قوله ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم فإن أولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال لتتفقه الطائفة النافرة بما تعاين من نصر الله أهل دينه وأصحاب رسوله على أهل عداوته والكفر به فيفقه بذلك من معاينته حقيقة علم أمر الإسلام وظهوره على الأديان من لم يكن فقهه ولينذروا قومهم فيحذروهم أن ينزل بهم من بأس الله مثل الذي نزل بمن شاهدوا وعاينوا ممن ظفر بهم المسلمون من أهل الشرك إذا هم رجعوا إليهم من عدوهم لعلهم يحذرون يقول لعل قومهم إذا هم حذروهم ما عاينوا من ذلك يحذرون فيؤمنون

أي يقربون منكم مبتدأ من الأقرب ومنتقلا إلى الأبعد والقتال واجب مع كافة الكفرة بآية القتال ولكن هذه الآية أخص لأن الغرض منها الترتيب ما لم يدع إلى قتال الأبعد قبل دفع الأقرب ضرورة فلا تكون هذه منسوخة بآية القتال على ما نقل عن الحسن وإنما وجب الابتداء بالغزو من المواضع القريبة لأن قتال الكل دفعة متعذر وللأقرب ترجيح ظاهر كما في الدعوة وكما في سائر المهمات مثلا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يبتدأ بالجمع الحاضرين ثم ينتقل إلى الغائبين وأيضا المؤنة في قتال الأقربين من النفقة والدواب تكون أقل والقتال معهم يكون أسهل للوقوف على أحوالهم وعدد عسكرهم والفرقة المجاهدة إذا تجاوزوا من الأقرب إلى الأبعد فقد عرضوا الذراري للفتنة وقد حارب رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه ثم غيرهم من عرب الحجاز ثم غزا الشام ويروى أن أعرابيا جلس على المائدة وكان يمد يده إلى الجوانب البعيدة من تلك المائدة فقال صلى الله عليه وسلم كل مما يليك فثبت بهذه الوجوه أن الابتداء بالأقرب فالأقرب واجب ما لم يضطر إلى العدول ضرورة وقوله وليجدوا فيكم غلظة أي شدة نظير قوله واغلظ عليهم ومن قرأ بفتح الغين فهو المصدر أيضا كالسخطة وهي لفظة جامعة للجراءة والصبر على القتال ولشدة العداوة والعنف في القتل والأسر كل ذلك فيما يتصل بالدعوة إلى الدين إما بإقامة الحجة وإما بالسيف أما فيما يتصل بالبيع والشراء والمجالسة فلا ولكن تقوى الله سبحانه على ذكر منه في موارده ومصادره ولهذا ختم الآية بقوله واعلموا أن الله مع المتقين فإن قتاله قتاله لله وإن تركه على الجزية تركه لله وإن كسر عدوه وآل الأمر إلى أخذ الغنيمة راعى فيه حدود الله ثم حكى بقية فضائح أعمال المنافقين فقال وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أي يقول بعض المنافقين لبعض إنكارا واستهزاء بالمؤمنين المعتقدين زيادة الإيمان بزيادة العلم الحاصل بالوحي والعمل به أو يقولونه لقوم من المسلمين وغرضهم صرفهم عن الإيمان والمقول أيكم مرفوع بالابتداء وخبره زادته هذه إيمانا ثم إنه تعالى حكى أنه حصل للمؤمنين بسبب نزول هذه السورة أمران أحدهما الازدياد الإيمان وقد مر معناه في أول

سورة الانفال والثاني الاستبشار وهو استدعاء البشارة اما بثواب الآخرة واما بالعزة والنصرة في الدنيا والمراد انهم يفرحون بسبب تلك
التكاليف الزائدة من حيث انه يتوسل بها الى مزيد الثواب وحصل للمنافقين الذين لهم عقائد فاسدة وأخلاق ذميمة أمران أولهما زيادة
الرجس على الرجس لان تكذيب سورة (٤٦) بعد تكذيب مثالها انضمام كفر الى كفر أولان حصول حسد وغل ونفاق عقيب

بالله ورسوله حذرا ان ينزل بهم ما نزل بالذين أخبر واخبرهم وانما قلنا ذلك أولى الاقوال بالصواب وهو قول الحسن البصري الذي رويناه عنه لان النفر قد بينا فيما مضى انه اذا كان مطلقا بغير صلة بشئ ان الاغلب من استعمال العرب اياه في الجهاد والغزو فاذا كان ذلك هو الاغلب من المعاني فيه وكان جل ثناؤه قال فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين علم ان قوله ليتفقهوا انما هو شرط للنفر لا لغيره اذ كان يليه دون غيره من الكلام فان قال قائل وما تنكر ان يكون معناه ليتفقه المتخلفون في الدين قيل ننكر ذلك لاستحالته وذلك ان نفر الطائفة النافرة لو كان سببا لتفقه المتخلفة وجب ان يكون مقامها معهم سببا لجهلهم وترك التفقه وقد علمنا أن مقامهم لو أقاموا ولم ينفروا لم يكن سببا لمنعهم من التفقه وبعد فانه قال جل ثناؤه ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم عطفا به على قوله ليتفقهوا في الدين ولاشك ان الطائفة النافرة لم ينفروا الا والانذار قد تقدم من الله اليها وللانذار وخوف الوعيد نفرت فما وجه انذار الطائفة المتخلفة الطائفة النافرة وقد تساوتا في المعرفة بانذار الله اياهما ولو كانت احداهما جائزة ان توصف بانذار الاخرى لكان أحقهما بان يوصف به الطائفة النافرة لانها قد عاينت من قدرة الله ونصرة المؤمنين على أهل الكفر به مالم تعاين المقيمة ولكن ذلك ان شاء الله كما قلنا من انها تنذر من حيها وقبيلتها من لم يؤمن بالله اذا رجعت اليه أن ينزل به ما أنزل بمن عاينته ممن أظفر الله به المؤمنين من نظرائه من أهل الشرك ۞ القول في تاويل قوله (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا ان الله مع المتقين) يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله قاتلوا من وليكم من الكفار دون من أبعد منهم يقول لهم ابدؤا بقتال الاقرب فالاقرب اليكم دارا دون الابعد فالابعد وكان الذين يلون المخاطبين بهذه الآية يومئذ الروم لانهم كانوا سكان الشام يومئذ والشام كانت أقرب الى المدينة من العراق فاما بعد ان فتح الله على المؤمنين البلاد فان الغرض على أهل كل ناحية قتال من وليهم من الاعداء دون الابعد منهم مالم يضطر اليهم أهل ناحية أخرى من نواحي بلاد الاسلام فان اضطروا اليهم لزمهم عونهم ونصرهم لان المسلمين يد على من سواهم ولصحة كون ذلك كذلك تاول كل من تاول هذه الآية ان معناها ايجاب الفرض على أهل كل ناحية قتال من وليهم من الاعداء ذكر الرواية بذلك عنهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن شبيب ابن غرقدة البارقي عن رجل من بني تميم قال سالت ابن عمر عن قتال الديلم قال عليك بالروم حدثنا ابن بشار وأحمد بن اسحق وسعيد بن وكيع قالوا حدثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن يونس عن الحسين قاتلوا الذين يلونكم من الكفار قال الديلم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن الربيع عن الحسن انه كان اذا سئل عن قتال الروم والديلم تلا هذه الآية قاتلوا الذين يلونكم من الكفار حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب قال ثنا عمران أخي قال سالت جعفر بن محمد بن علي بن الحسين فقلت ما ترى في قتال الديلم فقال قاتلوهم ورابطوهم فانهم من الذين قال الله قاتلوا الذين يلونكم من الكفار حدثني المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن الربيع عن الحسن انه سئل عن الشام والديلم فقال قاتلوا الذين يلونكم من الكفار الديلم حدثني علي بن سهل قال ثنا الوليد قال سمعت أبا عمرو بن سعيد بن عبد العزيز يقولان يرابط كل قوم ما يليهم من مسالحهم وحصونهم ويتاولان قول الله قاتلوا الذين يلونكم من الكفار حدثني يونس قال أخبرنا ابن

أمثالها ازدياد ملكة ذميمة عقيب أخرى وثانيهما بقاؤهم على تلك العقائد والاعمال الى ان ماتوا لان الملكة الراسخة لا تزول الى ان يموت صاحبها واسناد زيادة الرجس الى السورة اسناد حقيقي عند الاشاعرة لانهم يقولون انه سبحانه يخلق الكفر والايمان في العبد فلا يبعد احداث السورة فيهم الرجس واسناد مجازي عند المعتزلة لانهم يقولون انهم أحدثوا الرجس من عند أنفسهم حين نزول السورة بدليل ان الآخرين سمعوا السورة وازدادوا ايمانا والتحقيق فيه ان النفس الطاهرة النقية عن درن الدنيا باستيلاء حب الله والآخرة اذا سمعتها صار سماعها موجبا لازدياد رغبته في الآخرة ونفرته عن الدنيا وأما النفس الحريصة المتهالكة على لذات الدنيا وطيباتها الغافلة عن حب الآخرة وعشق المولى اذا سمعتها مشتملة على تعريض النفس للقتل والمال للنهب بسبب الجهاد زادت نفرته عنها وانكاره عليها وكل بقدر ثم عجب من حال المنافقين فقال أولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين قال ابن عباس أي يمتحنون بالمرض ثم لا يتوبون من النفاق ولا يتعظون بذلك المرض كما يتعظ المؤمن وانه عند ذلك يتذكر ذنوبه وموقفه بين يدي ربه فيزيده ذلك ايمانا وخوفا وقال مجاهد بالقحط والجوع وقال قتادة بالغزو والجهاد فان تخلفوا وقعوا في ألسنة الناس باللعن والخزي وان ذهبوا وهم على حالة النفاق عرضوا أنفسهم للقتل وأموالهم للنهب من غير فائدة وقال مقاتل كانوا يجتمعون على ذكر الرسول بالطعن فيخبره جبرائيل فيوبخهم بذلك ويعظهم فما كانوا يتعظون ثم ذكر نوعا آخر من مخازيهم فقال واذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم الى بعض أي سورة مشتملة على ذكرهم أو أعم من ذلك والنظر

وهب

وهب قال قال ابن زيد فى قوله قاتلوا الذين يلونكم من الكفار قال كان الذين يلونهم من الكفار العرب فقاتلهم حتى فرغ منهم فلما فرغ قال الله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر حتى بلغ وهم صاغرون قال فلما فرغ من قتال من يليه من العرب أمره بجهاد أهل الكتاب قال وجهادهم أفضل الجهاد عند الله وأما قوله وليجدوا فيكم غلظة فان معناه وليجد هؤلاء الكفار الذين تقاتلونهم فيكم أى منكم شدة عليهم واعلموا ان الله مع المتقين يقول وأيقنوا عند قتالكم اياهم ان الله معكم وهو ناصركم عليهم فان اتقيتم الله وخفتموه باداء فرائضه واجتناب معاصيه فان الله ناصر من اتقاه ومعينه ۞ القول فى تأويل قوله (واذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه ايمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون) يقول تعالى ذكره واذا أنزل الله سورة من سور القرآن على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فمن هؤلاء المنافقين الذين ذكرهم الله فى هذه السورة من يقول أيها الناس أيكم زادته هذه السورة ايمانا يقول تصديقا بالله وبآياته يقول الله فأما الذين آمنوا من الذين قيل لهم ذلك فزادتهم السورة التى أنزلت ايمانا وهم يفرحون بما أعطاهم الله من الايمان واليقين فان قال قائل أوليس الايمان فى كلام العرب التصديق والاقرار قيل بلى فان قيل فكيف زادتهم السورة تصديقا واقرارا قيل زادتهم ايمانا حين نزلت لانهم قبل أن تنزل السورة لم يكن لزمهم فرض الاقرار بها والعمل بها بعينها الا فى جملة ايمانهم بأن كل ما جاءهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم من عند الله فحق فلما أنزل الله السورة لزمهم فرض الاقرار بانها بعينها من عند الله ووجب عليهم فرض الايمان بما فيها من أحكام الله وحدوده وفرائضه فكان ذلك هو الزيادة التى زادتهم نزول السورة حين نزلت من الايمان والتصديق بها وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله واذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه ايمانا قال كان اذا نزلت سورة آمنوا بها فزادهم الله ايمانا وتصديقا وكانوا يستبشرون حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فى قوله فزادتهم ايمانا قال خشية ۞ القول فى تأويل قوله (وأما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون) يقول تعالى ذكره وأما الذين فى قلوبهم مرض نفاق وشك فى دين الله فان السورة التى أنزلت زادتهم رجسا الى رجسهم وذلك أنهم شكوا فى أنها من عند الله فلم يؤمنوا بها ولم يصدقوا فكان ذلك زيادة شك حادثة فى تنزيل الله لزمهم الايمان به عليهم بل ارتابوا بذلك فكان ذلك زيادة نتن من أفعالهم الى ما سلف منهم نظيره من النتن والنفاق وذلك معنى قوله فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا يعنى هؤلاء المنافقين انهم هلكوا وهم كافرون يعنى وهم كافرون بالله وآياته ۞ القول فى تأويل قوله (أولا يرون أنهم يفتنون فى كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون) اختلفت القراء فى قراءة قوله أولا يرون فقرأته عامة قراء الامصار أولا يرون بالياء بمعنى أولا يرى هؤلاء الذين فى قلوبهم مرض النفاق وقرأ ذلك حمزة أولا ترون بالتاء بمعنى أولا ترون أنتم أيها المؤمنون انهم يفتنون والصواب عندنا من القراءة فى ذلك الياء على وجه التوبيخ من الله لهم لاجماع الحجة من قراء الامصار عليه وصحة معناه فتأويل الكلام اذا أولا يرى هؤلاء المنافقون ان الله يختبرهم فى كل عام مرة أو مرتين بمعنى انه يختبرهم فى بعض الاعوام مرة وفى بعضها مرتين ثم لا يتوبون يقول

نظر الطعن والاستهزاء والازدراء بالوحى قائلين هل يراكم من أحد من المسلمين لننصرف فانا لا نصبر على استماعه ويغلبنا الضحك فنخاف الافتضاح بينهم لان نظر التغامز دال على ما فى الباطن من الانكار الشديد أو أرادوا ان كان من ورائكم أحد فلا تخرجوا والا فاخرجوا التخلص من هذا الايذاء وسماع الباطل ثم انصرفوا أى من مكان الوحى الى مكانهم أو عن استماع القرآن الى الطعن فيه ومعنى صرف الله قلوبهم قال ابن عباس منعهم عن كل رشد وخير وقال الحسن طبع الله قلوبهم وقال الزجاج أضلهم الله قالت الاشاعرة هو اخبار عما فعل الله بهم من الصد عن الايمان والمنع منه وقالت المعتزلة هو دعاء عليهم بالخذلان وبصرف قلوبهم عن الانشراح أو اخبار بانه صرفهم عن الالطاف التى يختص بها من آمن بها أو المراد صرف قلوبهم عما أورثهم من الغم والكيد قالوا ومعنى قوله لا يفقهون لا يتدبرون حتى يفقهوا وعند الاشاعرة هم قوم جبلوا على ذلك يحكى عن محمد بن اسحق انه قال لا تقولوا انصرفنا من الصلاة فان قوما انصرفوا صرف الله قلوبهم لكن قولوا قضينا الصلاة كان مقصوده التفاؤل باللفظ الوارد فى الخير دون الشر فانه تعالى قال فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله ثم لما أمر رسوله فى هذه السورة بتبليغ تكاليف شاقة يعسر تحملها ختم السورة بما يوجب الخطب فى تحملها فقال لقد جاءكم رسول من أنفسكم أى من جنس البشر لا الملك لان الجنس الى الجنس أميل وبه آلف وآنس والخطاب للعرب والمقصود ترغيبهم فى نصرته والقيام بخدمته لان كل ما يحصل له من الدولة والرفعة فان ذلك سبب لعزهم وفخرهم لانه من أبناء جلدتهم أو الخطاب لاهل الحرم خاصة لانهم كانوا يسمون أهل الحرم أهل الله وخاصته وكانوا يخدمونهم ويقومون باصلاح مهامهم فكانه قيل انهم كنتم قبل مقدمه مجدين فى خدمة أسلافه فلم تكاسلون فى خدمته مع انه لا نسبة له فى الشرف الى آبائه أو المقصود من ذكر هذه الصفة التنبيه على طهارته كانه قيل هو من عشيرتكم تعرفونه بالصدق والامانة والعفاف وتعرفون كونه حريصا على دفع الآفات عنكم وايصال الخيرات اليكم فارسال من هذه حاله وصفته يكون

ثم هم مع البلاء الذى يحل بهم من الله والاعتبار الذى يعرض لهم لا ينيبون من نفاقهم ولا يتوبون من كفرهم ولاهم يتذكرون بما يرون من حجج الله و يعاينون من آياته فيتعظوا بها ولكنهم مصرون على نفاقهم واختلف أهل التاويل فى معنى الفتنة التى ذكر الله فى هذا الموضع ان هؤلاء المنافقين يفتنون بها فقال بعضهم ذلك اختبار الله اياهم بالقحط والشدة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أولا يرون انهم يفتنون فى كل عام مرة أومرتين قال بالسنة والجوع حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله يفتنون قال يبتلون فى كل عام مرة أومرتين قال بالسنة والجوع حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أولا يرون انهم يفتنون فى كل عام مرة أومرتين قال يبتلون بالعذاب فى كل عام مرة أومرتين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله يفتنون فى كل عام مرة أومرتين قال بالسنة والجوع وقال آخرون بل معناه انهم يختبرون بالغزو والجهاد ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أولا يرون أنهم يفتنون فى كل عام مرة أومرتين قال يبتلون بالغزو فى سبيل الله فى كل عام مرة أومرتين حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن مثله وقال آخرون بل معناه أنهم يختبرون بما يشيع المشركون من الاكاذيب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فيفتتن الذين فى قلوبهم مرض ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا شريك عن جابر عن أبى الضحى عن حذيفة أولا يرون انهم يفتنون فى كل عام مرة أومرتين قال كنا نسمع فى كل عام كذبة أوكذبتين فيضل بها فئام من الناس كثير حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن شريك عن جابر عن أبى الضحى عن حذيفة قال كان لهم فى كل عام كذبة أوكذبتان * وأولى الاقوال فى ذلك بالصحة ان يقال ان الله عجب عباده المؤمنين من هؤلاء المنافقين و وبخ المنافقين فى أنفسهم بقلة تذكرهم وسوء تنبههم لمواعظ الله التى يعظهم بها وجائز أن تكون تلك المواعظ الشدائد التى ينزلها بهم من الجوع والقحط وجائز أن يكون ما يريهم من نصرة رسوله على أهل الكفر به و يرزقه من اظهار كلمته على كلمتهم وجائز أن يكون ما يظهر للمسلمين من نفاقهم وخبث سرائرهم بركونهم الى ما يسمعون من أراجيف المشركين برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ولا خبر يوجب صحة بعض ذلك دون بعض من الوجه الذى يجب التسليم له ولا قول فى ذلك أولى بالصواب من التسليم لظاهر قول الله وهو أولا يرون أنهم يختبرون فى كل عام مرة أومرتين بما يكون زاجرا لهم ثم لا ينزجرون ولا يتعظون ۞ القول فى تاويل قوله (واذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم الى بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بانهم قوم لا يفقهون) يقول تعالى ذكره واذا ما أنزلت سورة من القرآن فيها عيب هؤلاء المنافقين الذين وصف جل ثناؤه صفتهم فى هذه السورة وهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر بعضهم الى بعض فتناظروا هل يراكم من أحد ان تكلمتم أوتناجيتم بمعايب القوم يخبرهم به ثم قاموا فانصرفوا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يستمعوا قراءة السورة التى فيها معايبهم ثم ابتدأ جل ثناؤه قوله صرف الله قلوبهم فقال صرف الله عن الخير والتوفيق والايمان بالله و رسوله قلوب هؤلاء المنافقين ذلك بانهم قوم لا يفقهون

من أعظم نعم الله عليكم وقرئ من أنفسكم بفتح الفاء أى من أشرفكم وأفضلكم وتنسب هذه القراءة الى النبى والوصى وأهل البيت عليهم السلام ثم وصفه بما تستتبعه المجانسة والمناسبة من النتائج وذلك قوله عزيز عليه ما عنتم العزة الغلبة والشدة والعنت المشقة والوقوع فى المكروه والاثم وما مصدرية أى شديد شاق عليه لكونه بعضا منكم عنتكم ولقاؤكم المكروه وأولى المكاره بالدفع عقاب الله وهو انما أرسل لدفع هذا المكروه حريص عليكم الحرص يمتنع ان يتعلق بذواتهم فالمراد حريص على ايصال الخيرات اليكم فى الدارين فالصفة الاولى لدفع الآفات وايصال الخيرات والسعادات فلا تكرار وقال الفراء الحريص الشحيح والمعنى انه شحيح عليكم ان تدخلوا النار وفيه نوع تكرار ثم بين انه رحمة للعالمين فقال بالمؤمنين أى منكم ومن غيركم رؤف رحيم قال ابن عباس لم يجمع الله بين اسمين من أسمائه الاله وحاصل هذه الخاتمة ان هذا الرسول منكم فكل ما يحصل له من العز والشرف فذلك عائد اليكم وانه كالطبيب الحاذق وكالاب الشفيق واذا عرف ان الطبيب حاذق والاب مشفق فالعلاج والتأديب منهما احسان واجمال وان كان صعبا مؤلما فاقبلوا ما أمركم به من التكاليف وان كانت شاقة لتفوزوا بسعادة الدارين ثم قال لرسوله فان لم يقبلوا بل أعرضوا وتولوا فاتركهم ولا تلتفت اليهم وارجع فى جميع أمورك الى الله الذى بالحق أرسلك فهو كافيك وهو رب العرش العظيم فلا يخرج عن قبضة قدرته وتصرفه شئ لانه محيط بالعرش و بما يحويه العرش والله أعلم * التاويل ما كان لاهل مدينة القالب وهو النفس والهوى والقلب ومن حولهم من الاعراب الصفات النفسانية والقلبية ان يتخلفوا عن رسول الروح السائر اليه ولا يبذلوا وجودهم عند بذل وجوده بالفناء فى الله ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ من ماء الشهوات ولا نصب من أنواع المجاهدات ولا مخمصة بترك اللذات وحطام الدنيا فى طلب الله ولا يطؤن موطئا من مقامات الفناء يغيظ كفار النفس والهوى ولا ينالون من عدو الشيطان والنفس والدنيا بلاء ومحنة وقتلا أوحزنا وغير ذلك من أسباب الفناء الا كتب لهم به عمل صالح من البقاء بالله بعد الفناء فى الله

يقول

يقول فعل الله بهم هذا الخذلان وصرف قلوبهم عن الخيرات من أجل انهم قوم لا يفقهون عن الله مواعظه استكبارا ونفاقا واختلف أهل العربية في الجالب حرف الاستفهام فقال بعض نحوي البصرة قال نظر بعضهم الى بعض هل يراكم من أحد كأنه قال قال بعضهم لبعض لأن نظرهم في هذا المكان كان ايماء وتنبيها به والله أعلم وقال بعض نحوي الكوفة انما هو واذا ما أنزلت سورة قال بعضهم لبعض هل يراكم من أحد وقال آخر منهم هذا النظر ليس معناه القول ولكنه النظر الذي يجلب بالاستفهام كقول العرب تناظروا أيهم أعلم واجتمعوا أيهم أفقه أي اجتمعوا لينظروا فهذا الذي يجلب الاستفهام **حدثنا** ابن وكيع **قال** ثنا أبي عن شعبة عن أبي حمزة عن ابن عباس قال لا تقولوا انصرفنا من الصلاة فان قوما انصرفوا فصرف الله قلوبهم ولكن قولوا قد قضينا الصلاة **قال** ثنا أبي عن سفيان عن أبي اسحق عن عمير بن تميم الثعلبي عن ابن عباس قال لا تقولوا انصرفنا من الصلاة فان قوما انصرفوا فصرف الله قلوبهم **قال** ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن أبي الضحى عن ابن عباس قال لا تقولوا انصرفنا من الصلاة فان قوما انصرفوا فصرف الله قلوبهم ولكن قولوا قد قضينا الصلاة **حدثني** محمد بن سعد **قال** ثني أبي **قال** ثني عمي **قال** ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله واذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم الى بعض الآية قال هم المنافقون وكان ابن زيد يقول في ذلك ما **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله واذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم الى بعض هل يراكم من أحد من يسمع خبركم ولكم أحد أخبره اذا نزل شيء يخبر عن كلامهم قال وهم المنافقون قال وقرأ واذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه ايمانا حتى بلغ نظر بعضهم الى بعض هل يراكم من أحد أخبره بهذا أكان معكم أحد سمع كلامكم أحد يخبره بهذا **حدثني** المثنى **قال** ثنا آدم **قال** ثنا شعبة **قال** ثنا أبو اسحق الهمداني عمن حدثه عن ابن عباس قال لا تقل انصرفنا من الصلاة فان الله عير قوما فقال انصرفوا صرف الله قلوبهم ولكن قل قد صلينا ۞ القول في تأويل قوله (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم) يقول تعالى ذكره للعرب لقد جاءكم أيها القوم رسول الله اليكم من أنفسكم تعرفونه لا من غيركم فتتهموه على أنفسكم في النصيحة لكم عزيز عليه ما عنتم أي عزيز عليه عنتكم وهو دخول المشقة عليهم والمكروه والاذى حريص عليكم يقول حريص على هدى ضلالكم وتوبتهم ورجوعهم الى الحق بالمؤمنين رؤف أي رفيق رحيم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع **قال** ثنا ابن عيينة عن جعفر بن محمد عن أبيه في قوله لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم قال لم يصبه شيء من شرك في ولادته **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن جعفر بن محمد في قوله لقد جاءكم رسول من أنفسكم قال لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية قال وقال النبي صلى الله عليه وسلم انى خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح **حدثني** المثنى **قال** ثنا اسحق **قال** ثنا عبد الرزاق عن ابن عيينة عن جعفر بن محمد عن أبيه نحوه **حدثنا** بشر **قال** ثنا يزيد **قال** ثنا سعيد عن قتادة قوله لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم قال جعله الله من أنفسهم ولا يحسدونه على ما أعطاه الله من النبوة والكرامة وأما قوله عزيز عليه ما عنتم فان أهل التأويل اختلفوا في تأويله فقال بعضهم معناه ما ضللتم ذكر من قال ذلك **حدثنا** أبو كريب **قال** ثنا طلق بن غنام قال

ولا ينفقون نفقة صغيرة هي بذل الصفات ولا كبيرة هي بذل الذات في صفات الله وفي ذاته ولا يقطعون واديا من أودية الدنيا والآخرة والنفس والهوى والقلب والروح أحسن ما كانوا يعملون لأن عملهم بقدر معرفتهم وجزاؤه يضيق عنه نطاق فهمهم فلا تعلم نفس ما أخفي لهم وما كان المؤمنون لينفروا في السير الى الله وبالله وفي الله فهلا نفر من كل قوم وقبيلة فرقة طائفة هم خواصهم وأهل الاستعداد الكاملون ليتعلموا السلوك ويخبروا بذلك قومهم لعلهم يحذرون من غير الله قاتلوا الذين يلونكم من كفار النفس والهوى وصفاتها وليجدوا فيكم غلظة عزمة صادقة في ترك شهواتها وماتوا وهم كافرون أي ماتت قلوبهم لتزايد ظلمة النفاق كل حين ثم أخبر عن موت القلب بقوله أولا يرون أنهم يفتنون والفتنة موجبة لانتباه القلب الحي ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أي قلب حي هل يراكم من أحد في مقام الانكار والنفاق أي هل يرى محمد انكارنا على رسالته والقرآن فان كان رسولا أنار بنور رسالته ثم انصرفوا على هذا الحسبان لأن قلوبهم مصروفة وليس لهم فقه القلب لأن ذلك من أمارات حياة القلب من أنفسكم تسكين للعوام لئلا ينفروا عنه واشارة للخواص الى ان البشر لهم استعداد الوصول والوصال فان لم يكن بالاستقلال فبالمتابعة فاتبعوني يحببكم الله ومن قرأ من أنفسكم أي أشرفكم فلأنه أول جوهر خلقه الله تعالى أول ما خلق الله تعالى روحي ولاختصاصه بالخلاص عن تعلق الكونين وبلوغه الى قاب قوسين أو أدنى وتحليه بحلية فأوحى الى عبده ما أوحى ولعلو همته ما زاغ البصر وما طغى ولرؤيته سر القدر ولقد رأى من آيات ربه الكبرى بالمؤمنين رؤف رحيم فمن رأفته أمر بالرفق كما قال ان هذا الدين متين فادخلوا فيه بالرفق ومن رحمته قوله فبما رحمة من الله لنت لهم وههنا نكتة وهي ان رأفته ورحمته لما كانت مخلوقة اختصت بالمؤمنين فقط وكانت رحمته تعالى ورأفته للناس عامة ان الله بالناس لرؤف رحيم ونكتة أخرى هي ان رحمته صلى الله عليه وسلم عامة للعالمين بقوله وما أرسلناك الا رحمة للعالمين وأما رحمته

المضمومة الى الرأفة خاصة بالمؤمنين وكان الرأفة اشارة الى ظهور أثر الدعوة فى حقهم فالمؤمنون أمة الدعوة والاجابة جميعا وغيرهم أمة الدعوة فقط حسبي الله لان المقصود من التبليغ قد حصل لك وهو وصولك الى الله أعرضوا عن دعوتك أو اقبلوا والله المستعان *(سورة يونس مكية الا ثلاث آيات قوله تعالى فان كنت فى شك الى آخرهن حروفها ٥٥٦٧ كلامها ١٨٣٢ وآياتها ١٠٩)

ثنا الحكم بن ظهير عن السدى عن ابن عباس فى قوله عزيز عليه ما عنتم قال ما ضللتم وقال آخرون بل معنى ذلك عزيز عليه عنت مؤمنكم ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عزيز عليه ما عنتم عزيز عليه عنت مؤمنهم *وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول ابن عباس وذلك ان الله عم بالخبر عن نبي الله انه عزيز عليه ما عنت قومه ولم يخصص أهل الايمان به فكان صلى الله عليه وسلم كما وصفه الله به عزيزا عليه عنت جميعهم فان قال قائل وكيف يجوز أن يوصف صلى الله عليه وسلم بانه كان عزيزا عليه عنت جميعهم وهو يقتل كفارهم ويسبي ذراريهم ويسلبهم أموالهم قيل ان اسلامهم لو كانوا أسلموا كان أحب اليه من اقامتهم على كفرهم وتكذيبهم اياه حتى يستحقوا ذلك من الله وانما وصفه الله جل ثناؤه بانه عزيز عليه عنتهم لانه كان عزيزا عليه أن يأتوا ما يعنتهم وذلك أن يضلوا فيستوجبوا العنت من الله بالقتل والسبي واما ما التى فى قوله ما عنتم فانه رفع بقوله عزيز عليه لان معنى الكلام ما ذكرت عزيز عليه عنتكم وأما قوله حريص عليكم فان معناه ما قد بينت وهو قول أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة حريص عليكم حريص على ضالهم ان يهديه الله **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله حريص عليكم قال حريص على من لم يسلم أن يسلم ۞ القول فى تأويل قوله (فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم) يقول تعالى ذكره فان تولى يا محمد هؤلاء الذين جئتهم بالحق من عند ربك من قومك فادبروا عنك ولم يقبلوا ما أتيتهم به من النصيحة فى الله وما دعوتهم اليه من النور والهدى فقل حسبي الله يكفيني ربي لا اله الا هو لا معبود سواه عليه توكلت وبه وثقت وعلى عونه اتكلت واليه والى نصره استندت فانه ناصري ومعيني على من خالفني وتولى عني منكم ومن غيركم من الناس وهو رب العرش العظيم الذى يملك كل ما دونه والملوك كلهم مماليكه وعبيده وانما عنى بوصفه جل ثناؤه نفسه بانه رب العرش العظيم الخبر عن جميع ما دونه انهم عبيده وفى ملكه وسلطانه لان العرش العظيم انما كان يكون للملوك فوصف نفسه بانه ذو العرش دون سائر خلقه وانه الملك العظيم دون غيره وان من دونه فى سلطانه وملكه جار عليه حكمه وقضاؤه **حدثني** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن على عن ابن عباس قوله فان تولوا فقل حسبي الله يعني الكفار تولوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه فى المؤمنين ٧ **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن عمرو وعن عبيد بن عمير قال كان عمر رحمة الله عليه لا يثبت آية فى المصحف حتى يشهد رجلان فجاء رجل من الانصار بهاتين الآيتين لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه فقال ما أسألك عليها بينة أبدا كذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أحمد بن عبد الله بن يونس عن زهير عن الاعمش عن أبي صالح الحنفي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله رحيم يحب كل رحيم يضع رحمته على كل رحيم قالوا يا رسول الله انا لنرحم أنفسنا وأموالنا قال وأراه قال وأزواجنا قال ليس كذلك ولكن كونوا كما قال الله لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم أراه قرأ هذه الآية كلها **حدثني** محمد بن المثنى قال ثنا عبد الصمد قال ثنا شعبة عن على بن زيد عن يوسف عن ابن عباس عن أبي بن

(بسم الله الرحمن الرحيم)
(الر تلك آيات الكتاب الحكيم أكان للناس عجبا أن أوحينا الى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون ان هذا لساحر مبين ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون اليه مرجعكم جميعا وعد الله حقا انه يبدأ الخلق ثم يعيده ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون ان فى اختلاف الليل والنهار وما خلق الله فى السموات والارض لآيات لقوم يتقون ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم تجرى من تحتهم الانهار فى جنات النعيم دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين) القراآت الر بالامالة كذلك ما بعده أبو عمرو وخلف وحمزة وعلى والخراز عن هبيرة والنجارى عن ورش ويحيى وابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان لساحر بالالف ابن كثير وعاصم وحمزة وعلى وخلف الآخرون لسحر حقا انه بالفتح يزيد ضياء بالهمز حيث كان ابن مجاهد وأبو عون عن قنبل نفصل بالياء ابن كثير وأبو عمرو وسهل ويعقوب وحفص والمفضل والحلبي الباقون بالنون واطمأنوا بتليين الهمزة الاصبهانى عن ورش وحمزة

كعب

كعب قال آخر آية نزلت من القرآن لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم الى آخر الآية حدثني المثنى قال ثنا مسلم بن ابراهيم قال ثنا شعبة عن على بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس عن أبى قال آخر آية نزلت على النبى صلى الله عليه وسلم لقد جاءكم رسول من أنفسكم الآية حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى قال ثنا شعبة عن على بن زيد عن يوسف بن مهران عن أبى قال أحدث القرآن عهدا بالله هاتان الآيتان لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم الى آخر الآيتين حدثني أبو كريب قال ثنا يونس بن محمد قال ثنا أبان بن يزيد العطار عن قتادة عن أبى بن كعب قال أحدث القرآن عهدا بالله الآيتان لقد جاءكم رسول من أنفسكم الى آخر السورة

(القول فى تفسير السورة التى يذكر فيها يونس صلى الله عليه وسلم)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

القول فى تاويل قوله تعالى (الر) قال أبو جعفر اختلف أهل التاويل فى ذلك فقال بعضهم تاويله أنا الله أرى ذكر من قال ذلك حدثنا يحيى بن داود بن ميمون الواسطى قال ثنا أبو اسامة عن أبى روق عن الضحاك فى قوله الر انا الله أرى حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا شريك عن عطاء بن السائب عن أبى الضحى عن ابن عباس قوله الر قال أنا الله أرى وقال آخرون هى حروف من اسم الله الذى هو الرحمن ذكر من قال ذلك حدثني عبد الله بن أحمد بن شبويه قال ثنا على بن الحسين قال ثنى أبى عن يزيد عن عكرمة عن ابن عباس الر وحم ونون حروف الرحمن مقطعة حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عيسى بن عبيد عن الحسين بن عثمان قال ذكر سالم بن عبد الله الر وحم ونون فقال اسم الرحمن مقطع ثم قال الرحمن حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى حماد قال ثنا مندل عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير قال الر وحم ونون هو اسم الرحمن حدثنا ابن وكيع قال ثنا سويد بن عمرو الكلبى عن أبى عوانة عن اسمعيل بن سالم عن عامر انه سئل عن الر وحم وص قال هى اسماء من أسماء الله مقطعة بالهجاء فاذا وصلتها كانت اسما من أسماء الله تعالى وقال آخرون هى اسم من أسماء القرآن ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة الر اسم من أسماء القرآن وقد ذكرنا اختلاف الناس وما اليه ذهب كل قائل فى الذى قال فيه وما الصواب لدينا من القول فى ذلك نظيره وذلك فى أول سورة البقرة فاغنى ذلك عن اعادته فى هذا الموضع وانما ذكرنا فى هذا الموضع القدر الذى ذكرنا لمخالفة من ذكرنا قوله فى هذا قوله فى ألم فاما الذين وفقوا بين معانى جميع ذلك فقد ذكرنا قوله هنالك مكتفيا عن الاعادة ههنا

القول فى تاويل قوله (تلك آيات الكتاب الحكيم) اختلف فى تأويل ذلك فقال بعضهم تلك آيات التوراة ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن مجاهد تلك آيات الكتاب الحكيم قال التوراة والانجيل قال ثنا اسحق قال ثنا هشام عن عمرو عن سعيد عن قتادة تلك آيات الكتاب قال الكتب التى كانت قبل القرآن وقال آخرون معنى ذلك هذه آيات القرآن * وأولى التأويلين فى ذلك بالصواب تاويل من تأوله هذه آيات القرآن ووجه معنى تلك الى معنى هذه وقد بينا وجه توجيه تلك الى هذا المعنى فى سورة البقرة بما أغنى عن اعادته والآيات

فى الوقف * الوقوف الر ف كوفى الحكيم ه ط عند ربهم ط مبين ه يدبر الامر ط اذنه ط فاعبدوه ط تذكرون ه جميعا ط حقا ط الا لمن قرأ أنه بالفتح بالقسط ط يكفرون ه والحساب ط الا بالحق ط لمن قرأ نفصل بالنون ومن قرأ بالياء أمكنه ان يجعل نفصل حالا يعلمون ه يتقون ه غافلون ه لان أولئك خبران بايمانهم ج ط للحذف تقديره يهديهم ربهم بايمانهم الى دار البقاء مع اتحاد المقصود وتمام الموعود النعيم ه سلام ج ط لان الجملتين وان اتفقتا فقد اعترضت جملة معطوفة أخرى لان قوله وآخر دعواهم معطوف على دعواهم الاول العالمين ه * التفسير اتفقوا على ان قوله الر ليس بآية وعلى ان طه آية ولعل الفرق ان الر لا يشاكل مقاطع الآى التى بعده عن ابن عباس الر معناه انا الله أرى وقيل لا رب غيرى وقيل الر وحم ون اسم الرحمن تلك اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات والتبعيد للتعظيم والكتاب السورة والحكيم ذو الحكمة لاشتماله عليها أو وصف لصفة من تكلم به ومنه قولهم للقصيدة حكيمة وقيل فعيل بمعنى فاعل لانه يحكم بين الحق والباطل أو يحكم بان محمدا صادق لان القرآن أظهر معجزاته وابقاها وقيل بمعنى مفعول أى حكم فيه بجميع المأمورات والمنهيات وقيل بمعنى المحكم والاحكام المنع من الفساد وذلك انه لا يمحوه الماء ولا يحرقه النار ولا يغيره الدهور ويحتمل ان يقال الكتاب الحكيم هو القرآن أو اللوح المحفوظ أو التوراة والانجيل لان جميع الكتب الالهية متوافقة فى الاصول ويجوز ان يكون تلك اشارة الى ما تقدم هذه السورة من آيات القرآن واعلم انه سبحانه لما ختم السورة المتقدمة بقوله لقد جاءكم رسول من أنفسكم صدر هذه السورة بتعديد بعض الحروف على طريق التحدى وذلك ان حروف القرآن من جنس الحروف التى يتلفظون بها فلولا انه معجز لعارضوه وناقضوه ولما بين بهذا الطريق ان محمدا رسول حق من عند الله أنكر على كفار قريش تعجبهم من كونه رسولا فقال أكان للناس عجبا نصب على انه خبر كان واسمه أن أوحينا وفائدة اللام فى قوله للناس مع تقديمه هى انهم جعلوه لهم أعجوبة يتعجبون منها

الاعلام والكتاب اسم من أسماء القرآن وقد بينا كل ذلك فيما مضى قبل وانما قلناهذا التأويل أولى في ذلك بالصواب لانه لم يجئ للتوراة والانجيل قبل ذكر ولا تلاوة بعده فيوجه اليه الخبر فاذا كان ذلك كذلك فتاويل الكلام والرحمن هذه آيات القرآن الحكيم ومعنى الحكيم في هذا الموضع المحكم صرف مفعل الى فعيل كما قيل عذاب أليم بمعنى مؤلم وكما قال الشاعر

* أمن ريحانة الداعي السميع *

وقد بينا ذلك في غير موضع من الكتاب فمعناه اذا تلك آيات الكتاب المحكم الذي أحكمه الله وبينه لعباده كما قال جل ثناؤه الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير

❁ القول في تاويل قوله تعالى (أكان للناس عجبا أن أوحينا الى رجل منهم أن أنذر الناس) يقول تعالى ذكره أكان عجبا للناس ايحاؤنا القرآن على رجل منهم بانذارهم عقاب الله على معاصيه كانهم لم يعلموا ان الله قد أوحى من قبله الى مثله من البشر فتعجبوا من وحينا اليه وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا عثمان بن سعيد قال ثنا بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس قال لما بعث الله محمدا رسولا أنكرت العرب ذلك أو من أنكر منهم فقالوا الله أعظم من ان يكون رسوله بشرا مثل محمد فانزل الله تعالى أكان للناس عجبا ان أوحينا الى رجل منهم وقال وما أرسلنا من قبلك الا رجالا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال عجبت قريش ان بعث رجل منهم قال ومثل ذلك والى عاد أخاهم هودا والى ثمود أخاهم صالحا قال الله أو عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم

❁ القول في تاويل قوله تعالى (وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم) يقول جل ثناؤه أكان عجبا للناس ان أوحينا الى رجل منهم أن أنذر الناس وان بشر الذين آمنوا بالله ورسوله ان لهم قدم صدق عطف على أنذر واختلف أهل التاويل في معنى قوله قدم صدق فقال بعضهم معناه ان لهم أجرا حسنا بما قدموا من صالح الاعمال ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربي عن جويبر عن الضحاك ان لهم قدم صدق عند ربهم قال ثواب صدق قال ثنا عبد الله بن رجاء عن ابن جريج عن عبد الله بن كثير عن مجاهد ان لهم قدم صدق عند ربهم قال الاعمال الصالحة حدثني محمد ابن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم يقول أجرا حسنا بما قدموا من أعمالهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا يزيد بن حباب عن ابراهيم بن يزيد عن الوليد بن عبد الله عن أبي مغيث عن مجاهد ان لهم قدم صدق عند ربهم قال صلاتهم وصومهم وصدقتهم وتسبيحهم حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قدم صدق قال خير حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قدم صدق مثله قال ثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله قال ثنى حجاج عن أبي جعفر عن الربيع بن أنس قال قدم صدق قال ثواب صدق عند ربهم حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع مثله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق قال القدم الصدق ثواب الصدق بما قدموا من الاعمال وقال آخرون معناه أن لهم سابق صدق في اللوح المحفوظ من السعادة ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن علي عن ابن عباس قوله وبشر

ان تعجبهم اما ان يكون من جعل البشر رسولا او من تخصيص محمد صلى الله عليه وسلم بالوحي والنبوة مع انه كانوا يقولون العجب ان الله لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم أبي طالب وكلا الامرين ليس بعجب أما الاول فلان الجنس الى الجنس أميل ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا واما الثاني فلان الفقر واليتم لا يوجب في النبوة قدحا لان الله غني عن العالمين وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى وانما المعتبر في الاستنباء كونه متصفا بالصدق والامانة والتقوى وكان لمحمد صلى الله عليه وسلم في ذلك قبل بعثه اليد الطولى اذ كان يدعى محمدا الامين وان في قوله أن أنذر الناس هي المفسرة لان الايحاء فيه معنى القول أو مخففة من الثقيلة وقد عملت في ضمير شأن مقدر معناه انه أي ان الشان قولنا انذر الناس أو قوله بشر الذين آمنوا ان لهم أي بان لهم والانذار اخبار مع تخويف وانه عام للناس كلهم ولكن البشارة خاصة بالمؤمنين ويحتمل ان يراد بالناس الكفار فقط ويمكن ان يكون تعجبهم عائدا الى الانذار والتبشير ليس ذلك بعجب بل المنكر في العقول تعطيل الاعمال وان يترك الانسان سدى وارسال الرسل أمر ما أخلى الله تعالى المكلفين منه شيئا من الازمنة وبه تتم المملكة والامر والنهي والاذن والمنع والثواب والجزاء وانما قدم الانذار على التبشير لان الانذار تحذير عن فعل ما لا ينبغي والتبشير ترغيب في فعل ما ينبغي والتخلية مقدمة على التحلية ومعنى قدم صدق سابقة فضل ومنزلة رفيعة أي سبق لهم عند الله خير قال أحمد ابن يحيى القدم كل ما قدمت من خير وقال ابن الانباري كناية عن العمل الذي لا يقع فيه تأخير ولا ابطاء والسبب في اطلاق القدم على السابقة ان السعي والسبق لا يحصل الا بالقدم فسمى المسبب باسم السبب كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد واضافة القدم الى صدق لاجل المبالغة وللتنبيه على انها من السوابق العظيمة أي القدم التي صدق ويحق ان يسمى قدما أما عبارات المفسرين فمنهم من قال قدم صدق هي الاعمال الصالحة ومنهم من قال الثواب

الذين

ومنهم من قال شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم أما قوله قال الكافرون فقال القفال فيه اضمار والتقدير فلما أنذرهم قالوا ذلك ثم من قرأ لساحر بالالف فقوله هذا اشارة الى النبي صلى الله عليه وسلم ومن قرأ لسحر فهو اشارة الى القرآن وفيه دليل على عجزهم واعترافهم بانهم قاصرون عن معارضته كالسحر ومن هنا جوز بعضهم ان يكونوا أرادوا به المدح أي انه لكمال فصاحته وتعذر الاتيان بمثله جار مجرى السحر

الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم يقول سبقت لهم السعادة في الذكر الاول وقال آخرون معنى ذلك أن محمدا صلى الله عليه وآله وسلم شفيع لهم قدم صدق ذكر من قال ذلك **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا يحيى بن آدم عن فضيل بن عمرو بن الجون عن قتادة أو الحسن أن لهم قدم صدق عند ربهم قال محمد شفيع لهم **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم أي سلف صدق عند ربهم **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير عن ابن عيينة عن زيد بن أسلم في قوله ان لهم قدم صدق عند ربهم قال محمد صلى الله عليه وسلم * قال أبو جعفر وأولى هذه الاقوال عندي بالصواب قول من قال معناه أن لهم أعمالا صالحة عند الله يستوجبون بها منه الثواب وذلك انه محكي عن العرب هؤلاء أهل القدم في الاسلام أي هؤلاء الذين قدموا فيه خيرا فكان لهم فيه تقديم ويقال له عندي قدم صدق وقدم سوء وذلك ماقدمت اليه من خير أو شر ومنه قول حسان ابن ثابت رضي الله عنه

لنا القدم العليا اليك وخلفنا * لاولياء في طاعة الله تابع

وقول ذي الرمة

لكم قدم لا ينكر الناس انها * مع الحسب العادي طمت على البحر

فتاويل الكلام اذا وبشر الذين آمنوا ان لهم تقديم خير من الاعمال الصالحة عند ربهم ۞ القول في تاويل قوله تعالى (قال الكافرون ان هذا لسحر مبين) اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل المدينة والبصرة ان هذا لسحر مبين يعني ان هذا الذي جئتنا به يعنون القرآن لسحر مبين وقرأ ذلك مسروق وسعيد بن جبير وجماعة من قراء الكوفيين ان هذا لساحر مبين وقد بينت فيما مضى من نظائر ذلك ان كل موصوف بصفة يدل الموصوف على صفته وصفته عليه فالقارئ مخير في القراءة في ذلك وذلك نظير هذا الحرف قال الكافرون ان هذا لسحر مبين ولساحر مبين وذلك أنهم انما وصفوه بانه ساحر ووصفهم ماجاءهم به انه سحر يدل على أنهم قد وصفوه بالسحر واذا كان ذلك كذلك فسواء بأي ذلك قرأ القارئ لاتفاق معنى القراءتين وفي الكلام محذوف استغني بدلالة ماذكر عما ترك ذكره وهو فلما بشرهم وأنذرهم وتلا عليهم الوحي قال الكافرون ان هذا الذي جاءنا به لسحر مبين فتاويل الكلام اذا أكان للناس عجبا ان أوحينا الى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم فلما أتاهم بوحي الله وتلاه عليهم قال المنكرون توحيد الله ورسالة رسوله ان هذا الذي جاءنا به محمد لسحر مبين أي يبين لكم عنه انه مبطل فيما يدعيه ۞ القول في تاويل قوله تعالى (ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الامر مامن شفيع الا من بعد اذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون) يقول تعالى ذكره ان ربكم الذي له عبادة كل شيء لاتنبغي العبادة الا له هو الذي خلق السموات السبع والارضين السبع في ستة أيام وانفرد بخلقها بغير شريك ولا ظهير ثم استوى على عرشه مدبرا للامور وقاضيا في خلقه ما أحب لا يضاده في قضائه أحد ولا يتعقب تدبيره متعقب ولا يدخل أموره خلل مامن شفيع الا من بعد اذنه يقول لا يشفع عنده شافع يوم القيامة في أحد الا من بعد أن يأذن في الشفاعة ذلكم الله ربكم يقول جل جلاله هذا الذي هذه صفته سيدكم

ثم لما أنكر عليهم تعجبهم من الامور المذكورة وهي الواسطة أراد ان يقيم البرهان عليها باثبات المبدأ وبين غايتها باثبات المعاد وذلك في آيتين متواليتين وقد مر في الاعراف تفسير قوله ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش فلا حاجة الى الاعادة ثم ذكر ما يدل على مزيد عظمته وجلاله وانه لايخرج أمر من الامور من قضائه وتقديره فقال يدبر الامر مامن شفيع الا من بعد اذنه وانما فقد العاطف لانهما كالتفسير والتفصيل لما دل عليه قوله ان ربكم الله الخ والامر الشان أراد به أحوال الخلق وأحوال ملكوت السموات والارض والعرش والمعنى انه يقضي ويقدر بمقتضى الحكم ويفعل مايفعله المصيب في أفعاله الناظر في أدبار الامور وعواقبها لئلا يدخل في الوجود ما لا ينبغي قال الزجاج ان الكفار الذين خوطبوا بهذه الآية كانوا يقولون ان الاصنام شفعاؤنا عند الله فرد الله عليهم بانه ليس لاحد ان يشفع اليه في شيء الا بعد اذنه لانه أعلم بموضع الحكمة والصواب فلا يجوز لهم ان يسألوه مالا يعلمون انه صواب وصلاح ففي قوله يدبر الامر اشارة الى استقلاله في التصرف في جانب المبدأ وفي قوله مامن شفيع اشارة الى استقلاله في طرف المعاد ويمكن ان يقال المراد انه خالق العالم على أحسن الوجوه وأقربها من الاصلح مع انه ما كان هناك شفيع يشفع في تحصيل المصالح فدل ذلك على انه محسن الى عباده مريد للخير والراحة بهم كامل العناية باحوالهم قال أبو مسلم الشفيع معناه الثاني من الشفع الذي يخالف الوتر أي خلق السموات والارض وحده ولا حي معه ولا شريك يعينه ثم خلق الملائكة والثقلين والمراد انه لم يدخل في الوجود أحد الا من بعد ان قال له كن حتى كان وحصل ثم

ومولاكم لا من لا يسمع ولا يبصر ولا يدبر ولا يقضي من الآلهة والاوثان فاعبدوه يقول فاعبدوا ربكم الذي هذه صفته وأخلصوا له العبادة وافردوا له الالوهة والربوبية بالذلة منكم له دون أوثانكم وسائر ما تشركون معه في العبادة أفلا تذكرون يقول أفلا تتعظون وتعتبرون بهذه الآيات والحجج فتنيبون الى الاذعان بتوحيد ربكم وافراده بالعبادة وتخلعون الانداد وتبرؤن منها وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد يدبر الامر قال يقضيه وحده حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد ابن عبد الرحمن عن القاسم بن أبي بزة عن مجاهد يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه قال يقضيه وحده حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد يدبر الامر قال يقضيه وحده قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله ۞ القول في تاويل قوله تعالى (اليه مرجعكم جميعا وعد الله حقا انه يبدأ الخلق ثم يعيده ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون) يقول تعالى ذكره الى ربكم الذي هذه صفته ما وصف جل ثناؤه في الآية قبل هذه معادكم أيها الناس يوم القيامة جميعا وعد الله حقا فاخرج وعد الله مصدرا من قوله اليه مرجعكم لانه فيه معنى الوعد ومعناه يعدكم الله أن يحييكم بعد مماتكم وعدا حقا فلذلك نصب وعد الله حقا انه يبدؤ الخلق ثم يعيده يقول تعالى ذكره ان ربكم يبدأ انشاء الخلق واحداثه وايجاده ثم يعيده يقول ثم يعيده فيوجده حيا كهيئته يوم ابتدأه بعد فنائه وبلائه كما حدثني محمد بن عمرو قال حدثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد يبدؤ الخلق ثم يعيده قال يحييه ثم يميته قال أبو جعفر واحسبه انا قال ثم يحييه حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الله بن رجاء عن ابن جريج عن عبد الله بن كثير عن مجاهد يبدأ الخلق ثم يعيده قال يحييه ثم يميته ثم يحييه حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد انه يبدأ الخلق ثم يعيده يحييه ثم يميته ثم يبدأه ثم يحييه قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بنحوه وقرأت قراء الامصار ذلك انه يبدأ الخلق بكسر الالف من انه على الاستئناف وذكر عن أبي جعفر الرازي انه قرأه انه بفتح الالف من انه كانه اراد حقا انه يبدأ الخلق ثم يعيده فان حينئذ تكون رفعا كما قال الشاعر

أحقا عباد الله ان لست زائرا * أرابحة الا علي رقيب

وقوله ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط يقول ثم يعيده من بعد مماته كهيئته قبل مماته عند بعثه من قبره ليجزي الذين آمنوا يقول ليثيب من صدق الله ورسوله وعملوا بما أمرهم الله به من الاعمال واجتنبوا ما نهاهم عنه على أعمالهم الحسنة بالقسط يقول ليجزيهم على الحسن من أعمالهم التي عملوها في الدنيا الحسن من الثواب والصالح من الجزاء في الآخرة وذلك هو القسط والقسط العدل والانصاف كما حدثني المثنى قال ثنا ابو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بالقسط بالعدل وقوله والذين كفروا لهم شراب من حميم فانه جل ثناؤه ابتدأ الخبر عما أعد الله للذين كفروا من العذاب وفيه معنى العطف على الاول لانه تعالى ذكره عم بالخبر عن معادجميعهم كفارهم ومؤمنهم اليه ثم أخبر ان اعادتهم ليجزي كل فريق بما عمل المحسن منهم بالاحسان والمسيء بالاساءة

أشار الى المعلوم بالاوصاف المذكورة فقال ذلكم الله ربكم الذي يستاهل منكم العبادة بازاء النعم الجسام من خلق السموات والارض بما فيها وعليها فاعبدوه وحده أفلا تذكرون فيه تنبيه على وجوب الاعتبار والنظر في الدلائل الدالة على عظمته وجلاله ثم شرع في اثبات المعاد فقال اليه مرجعكم أي رجوعكم جميعا مجموعين (٥٤) وتقديم الجار والمجرور للاختصاص والمعنى لا ترجعون في العاقبة الا الى جزائه وحكمه فاستعدوا للقائه ثم أكد ذلك بقوله وعد الله حقا وفيه تاكيد ان كما مر ثم قال انه يبدأ الخلق ثم يعيده وهو استئناف فيه معنى التعليل كانه قال ان الذي قدر على الابداء يقدر على الاعادة بالطريق الاولى كقوله وننشئكم فيما لا تعلمون يعني انه سبحانه لما كان قادرا على انشاء ذواتكم أولا ثم على انشاء أجزائكم حال حياتكم ثانيا شيئا فشيئا من غير ان تكونوا عالمين بوقت حدوثه وبوقت نموه وجب القطع بانه لا يمتنع عليه اعادة تلك الاجزاء بعد البلى والتفرق ومن قرأ انه بالفتح فعلى حذف لام التعليل أي لانه أو على انه منصوب بالفعل الذي نصب وعد الله أي وعد الله وعدا ابداء الخلق ثم اعادته ويجوز ان يكون مرفوعا بما نصب حقا أي حق حقا بدأ الخلق ثم ذكر غاية الاعادة وحكمتها فقال ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات قال المفسرون في الآية اضمار والتقدير انه يبدأ الخلق ليامرهم بالعبادة ثم يميتهم ثم يعيدهم ليجزي وانما حسن هذا الحذف لتقدم قوله فاعبدوه ولان الاعادة لا تكون الا بعد الاماتة والاعدام وقوله بالقسط أي بالعدل متعلق بيجزي أي ليجزيهم بقسطه ويوفيهم أجرهم أو ليجزيهم بقسطهم وبما لم يظلموا أنفسهم حين آمنوا وعملوا صالحا وهذا وجه حسن لطباق قوله بما كانوا يكفرون وفي قوله والذين كفروا من غير ان يدخل لام العاقبة في الجملة كما أدخلها في الاولى دليل على انه خلق الخلق للرحمة لا للعذاب وانما جاء التعذيب لغرض وقوعهم في طريق القهر والحميم الماء الذي أسخن بالنار حتى انتهى حره قالت الاشاعرة في الآية دلالة على عدم منزلة بين المنزلتين على ما يقول بها المعتزلة وأجيب بان عدم الذكر لا يدل على العدم ورد بان الفساق أكثر من أهل الطاعة فكيف يجوز ترك ذكرهم واعلم ان للعلماء في

بالاساءة ولكن لما كان قد تقدم الخبر المستأنف عما أعد للذين كفروا من العذاب ما يدل سامع ذلك على المراد ابتدأ الخبر والمعنى العطف فقال والذين جحدوا الله ورسوله وكذبوا بآيات الله لهم شراب في جهنم من حميم وذلك شراب قد أغلي واشتد حره حتى انه فيما ذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم ليتساقط من أحدهم حين يدنيه منه فروة رأسه وكما وصفه جل ثناؤه كالمهل يشوي الوجوه وأصله مفعول صرف الى فعيل وانما هو محموم أي مسخن وكل مسخن عند العرب فهو حميم ومنه قول المرقش

وكل يوم لها مقطرة * فيها كباء معدة وحميم

يعني بالحميم الماء المسخن وقوله عذاب أليم يقول ولهم مع ذلك عذاب موجع سوى الشراب من الحميم بما كانوا يكفرون بالله ورسوله ۞ القول في تأويل قوله تعالى (هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون) يقول تعالى ذكره ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض هو الذي جعل الشمس ضياء بالنهار والقمر نورا بالليل ومعنى ذلك هو الذي أضاء الشمس وانار القمر وقدره منازل يقول قضاه فسواه منازل لا يجاوزها ولا يقصر دونها على حال واحدة أبدا وقال وقدره منازل فوحده وقد ذكر الشمس والقمر فان في ذلك وجهين أحدهما أن تكون الهاء في قوله وقدره للقمر خاصة لان بالاهلة يعرف انقضاء الشهور والسنين لا بالشمس والآخر ان يكون اكتفى بذكر أحدهما عن الآخر كما قال في موضع آخر والله ورسوله أحق أن يرضوه وكما قال الشاعر

رماني بامر كنت منه ووالدي * بريا ومن جول الطوي رماني

وقوله لتعلموا عدد السنين والحساب يقول وقدر ذلك منازل لتعلموا أنتم أيها الناس عدد السنين دخول ما يدخل منها وانقضاء ما يستقبل منها وحسابها يقول وحساب أوقات السنين وعدد أيامها وحساب ساعات أيامها ما خلق الله ذلك الا بالحق يقول جل ثناؤه لم يخلق الله الشمس والقمر ومنازلهما الا بالحق وهو الحق تعالى ذكره خلقت ذلك كله بحق وحدي بغير عون ولا شريك يفصل الآيات يقول يبين الحجج والادلة لقوم يعلمون اذا تدبروها حقيقة وحدانية الله وصحة ما يدعوهم اليه محمد صلى الله عليه وسلم من خلع الانداد والبراءة من الاوثان ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض لآيات لقوم يتقون) يقول تعالى ذكره منبها عباده على موضع الدلالة على ربوبيته وانه خالق كل ما دونه ان في اعتقاب الليل النهار واعتقاب النهار الليل اذا ذهب هذا جاء هذا واذا جاء هذا ذهب هذا وفيما خلق الله في السموات من الشمس والقمر والنجوم وفي الارض من عجائب الخلق الدالة على ان لها صانعا ليس كمثله شئ لآيات يقول لادلة وحججا واعلاما واضحة لقوم يتقون الله فيخافون وعيده ويخشون عقابه على اخلاص العبادة لربهم فان قال قائل أولا دلالة فيما خلق الله في السموات والارض على صانعه الا لمن اتقى الله قيل في ذلك الدلالة الواضحة على صانعه لكل من صحت فطرته وبرئ من العاهات قلبه ولم يقصد بذلك الخبر عن ان فيه الدلالة لمن كان قد أشعر نفسه تقوى الله وانما معناه ان في ذلك لآيات لمن اتقى عقاب الله فلم يحمله هواه على خلاف ما وضح له من الحق لان ذلك يدل على كل ذي فطرة صحيحة على ان له مدبرا يستحق عليه الاذعان له بالعبودة دون ما سواه من الآلهة والانداد ۞ القول

اثبات المعاد طريقين الاول طريقة القائلين بالحسن والقبح العقليين والثاني طريقة من يقول لا يجب على الله شئ أصلا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد أما الفريق الاول فلهم على وجوب المعاد حجج عقلية منها انه تعالى خلق الخلق وأعطاهم عقولا وقدرا فوجب في حكمته ان يرغبهم في الخيرات ويزجرهم عن السيئات وهذا الترغيب والزجر لا يمكن الا بربط الثواب على الفعل والعقاب على الترك هذا في المأمورات وبالعكس في المنهيات وذلك الثواب المرغب والعقاب المرهب غير حاصل في الدنيا فلابد من دار أخرى هي دار الآخرة ليحصل فيها ذلك والا لزم ان يكون الله تعالى كاذبا في قوله ليجزي الخ فان قيل لم لا يكفي في الترغيب والردع ما أودع الله في العقول من تحسين الخيرات وتقبيح المنكرات فلا يحتاج الى الوعد والوعيد ولئن سلم فلم لا يجوز ان يكون الغرض من الترغيب والترهيب نظام العالم لانه يفعل ذلك ولا يلزم منه الكذب على الله ألستم تخصصون أكثر عمومات القرآن ثم تزعمون انه لا كذب سلمنا انه يفعل لكن لم لا يجوز ان يكون الثواب والعقاب هو ما يصل الى الانسان في دار الدنيا من الراحات والآلام فالجواب ان العقل وان كان يدعو الى فعل الخير وترك الشر الا ان الهوى والنفس يدعوان الى الانهماك في الشهوات الجسمانية واذا حصل هذا التعارض فلابد من مرجح وما ذاك الا ترتيب الوعد والوعيد على الاعمال وتجويز الخلف في ذلك مناف للغرض وأخذ الاجرة انما يكون بعد الفراغ من العمل والعبد ما دام في الدنيا فهو في العمل وقد ترى ازهد الناس واعلمهم مبتلى بالآفات والبليات وافسقهم واجهلهم في أتم اللذات والمسرات ومنها ان صريح العقل يوجب في حكمة الحكيم ان يفرق بين المحسن والمسيء والظالم والمظلوم وان لا يجعل من كفر به وعصاه كمن آمن به وأطاعه وليس هذه التفرقة في الدنيا كما قيل كم عالم عالم أعيت مذاهبه * وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا فلابد من دار أخرى يظهر فيها التفاوت ومنها انه كلف عبيده بان يعبدوه والحكيم اذا أمر عبده بشئ فلابد ان يجعله فارغ البال منتظم الاحوال حتى يمكنه الاشتغال باداء ما كلفه والناس جبلوا على طلب اللذات والتبادر الى تحصيل أسباب الراحات

فلولم يكن زاجر من خوف المعاد لوقع الهرج والمرج والفتن وحينئذ لا يتفرغ المكلف لاداء ما أمر به فان قيل لم لا يكفى فى نظام العالم مهابة الملوك وسياستهم قلنا ان لم يكن السلطان قاهرا قادرا على الرعية فلا فائدة فيه وان كان قاهرا غالبا ولا خوف له من المعاد فحينئذ يقدم على أنواع الظلم والايذاء لان الداعية النفسانية قائمة ولا وازع له فى الدنيا ولا فى الآخرة (٥٦) ومنها انه تعالى خلق هذا العالم وخلق فيه الناس والعبث لا يليق بالحكيم الرحيم فوجب ان يقال انه خلقهم لمقصود ومصلحة وخير وليس ذلك فى الدنيا لان لذات هذا العالم جسمانية لا حقيقة لها الا ازالة الالم وازالة الالم أمر عدمى وكان هذا حاصلا قبل الوجود فلا يبقى للتخليق فائدة وأيضا ان لذات الدنيا مشوبة بالآلام بل اللذة فى الدنيا كالقطرة من البحر فعلمنا ان للراحة دارا أخرى فان قيل أليس انه يعذب أهل النار لا لمصلحة وفائدة لهم قلنا الفرق ان ذلك الالم استحقوه على أعمالهم وهذا الالم الحاصل فى الدنيا غير مستحق فوجب ان يعقبه خيرات عظيمة والا فينافى كونه ارحم الراحمين وأكرم الاكرمين ومنها انه لو لم يحصل للانسان معاد لكان أخس من جميع الحيوانات لانها تشاركه فى اللذات الحسية لان الروث فى مذاق الجعل كاللوز فى فم الانسان والانسان يزيد عليها بعقل هو سبب تألمه وتأذيه فى أغلب الاحوال يتفكر فى الاحوال الماضية فيتأسف ويتأمل فى الاحوال الآتية فيخاف فلو لم يكن للانسان معاد به يكمل حاله ويظهر سعادته كان عقله سببا لشقائه وخسته دون شرفه ومزيته ومنها ان ايصال النعم اما ان يكون مشوبا بالآفات أو خالصا عنها فلما أنعم الله تعالى علينا فى الدنيا بالمرتبة الاولى وجب ان ينعم علينا بالمرتبة الثانية فى دار أخرى اظهارا لكمال القدرة والرأفة والحكمة فهنالك ينعم على المطيعين ويعفو عن المذنبين ويزيل الغموم والهموم والآفات [عن]
والمخافات ومما يقوى هذا الكلام ان الانسان دائما فى الترقى من حين كونه جنينا فى بطن أمه الى ان يخلص من ذلك السجن ويخرج الى فضاء الدنيا والى ان ينتقل من تناول اللبن والشد الوثيق فى المهد الى تناول الاطعمة اللذيذة والمشى والعدو والى ان يصير اميرا نافذ الحكم على الخلق

فى تأويل قوله تعالى (ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون) يقول تعالى ذكره ان الذين لا يخافون لقاءنا يوم القيامة فهم لذلك مكذبون بالثواب والعقاب متنافسون فى زين الدنيا وزخارفها راضون بها عوضا من الآخرة مطمئنين اليها ساكنين والذين هم عن ايات الله وهى أدلته على وحدانيته وحججه على عباده فى اخلاص العبادة له غافلون معرضون عنها لاهون لا يتأملونها تأمل ناصح لنفسه فيعلموا بها حقيقة ما دلتهم عليه ويعرفوا بها بطول ما هم عليه مقيمون أولئك مأواهم النار يقول جل ثناؤه هؤلاء الذين هذه صفتهم مأواهم مصيرهم الى النار نار جهنم فى الآخرة بما كانوا يكسبون فى الدنيا من الآثام والاجرام ويجترحون من السيئات والعرب تقول فلان لا يرجو فلانا اذا كان لا يخافه ومنه قول الله جل ثناؤه ما لكم لا ترجون لله وقارا ومنه قول أبى ذؤيب

اذا لسعته النحل لم يرج لسعها * وخالفها فى بيت نوب عوامل

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد واطمأنوا بها قال هو مثل قوله من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها قال هو مثل قوله من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون قال اذا شئت رأيت صاحب دنيا لها يفرح ولها يحزن ولها يسخط ولها يرضى حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها الآية كلها قال هؤلاء أهل الكفر ثم قال أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون

القول فى تأويل قوله تعالى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم تجرى من تحتهم الانهار فى جنات النعيم دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين) يقول تعالى ذكره ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا الصالحات وذلك العمل بطاعة الله والانتهاء الى أمره يهديهم ربهم بايمانهم يقول يرشدهم ربهم بايمانهم به الى الجنة كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم تجرى من تحتهم الانهار فى جنات النعيم بلغنا ان نبى الله صلى الله عليه وسلم قال ان المؤمن اذا خرج من قبره صور له عمله فى صورة حسنة فيقول له ما أنت فوالله انى لاراك امرأ صدق فيقول أنا عملك فيكون له نورا وقائدا الى الجنة وأما الكافر اذا خرج من قبره صور له عمله فى صورة سيئة وبشارة سيئة فيقول ما أنت فوالله لاراك امرأ سوء فيقول انا عملك فينطلق به حتى يدخله النار حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله يهديهم ربهم بايمانهم قال يكون لهم نورا يمشون به حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج

عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقال ابن جريج يهديهم ربهم بايمانهم قال يمثل له عمله في صورة حسنة وريح طيبة يعارض صاحبه ويبشره بكل خير فيقول له من أنت فيقول انا عملك فيجعل له نورا من بين يديه حتى يدخله الجنة فذلك قوله يهديهم ربهم بايمانهم والكافر يمثل له عمله في صورة سيئة وريح منتنة فيلازم صاحبه ويلازمه حتى يقذفه في النار وقال آخرون معنى ذلك بايمانهم يهديهم ربهم لدينه يقول بتصديقهم هداهم ذكر من قال ذلك ٧ وقوله تجري من تحتهم الانهار يقول تجري من تحت هؤلاء المؤمنين الذين وصف جل ثناؤه صفتهم أنهار الجنة في جنات النعيم يقول في بساتين النعيم الذي نعم الله به أهل طاعته والايمان به فان قال قائل وكيف قيل تجري من تحتهم الانهار وانما وصف جل ثناؤه أنهار الجنة في سائر القرآن انها تجري تحت الجنات وكيف يمكن الانهار تجري من تحتهم الا ان يكونوا فوق أرضها والانهار تجري من تحت أرضها وليس ذلك من صفة أنهار الجنة لان صفتها انها تجري على وجه الارض في غير أخاديد قيل ان معنى ذلك بخلاف ما اليه ذهبت وانما معنى ذلك تجري من دونهم الانهار الى ما بين أيديهم في بساتين النعيم وذلك نظير قول الله قد جعل ربك تحتك سريا ومعلوم انه لم يجعل السري تحتها وهي عليه قاعدة اذ كان السري هو الجدول وانما عنى به جعل دونها بين يديها وكما قال جل ثناؤه مخبرا عن قيل فرعون أليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي بمعنى من دوني بين يدي وأما قوله دعواهم فيها سبحانك اللهم فان معناه دعاؤهم فيها سبحانك اللهم كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال أخبرت ان قوله دعواهم فيها سبحانك اللهم قال اذا مر بهم الطير فيشتهونه قالوا سبحانك اللهم وذلك دعواهم فيأتيهم الملك بما اشتهوا فيسلم عليهم فيردون عليه فذلك قوله تحيتهم فيها سلام قال فاذا أكلوا حمدوا الله ربهم فذلك قوله وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله دعواهم فيها سبحانك اللهم يقول ذلك قولهم فيها وتحيتهم فيها سلام حدثنا أبو كريب قال ثنا عبيد الله الاشجعي قال سمعت سفيان يقول دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام قال اذا أرادوا الشئ قالوا اللهم فيأتيهم ما دعوا به وأما قوله سبحانك اللهم فان معناه تنزيها لك يارب مما أضاف اليك أهل الشرك بك من الكذب عليك والفرية وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال سمعت أبي عن غير واحد عطية فهم سبحان الله تنزيه لله حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن بن مهدي قال ثنا سفيان عن عثمان بن عبد الله بن موهب قال سمعت موسى ابن طلحة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سبحان الله قال انزاه الله عن السوء حدثنا أبو كريب وأبو السائب وخلاد بن أسلم قالوا ثنا ابن ادريس قال ثنا قابوس عن أبيه ان ابن الكواء سأل عليا رضي الله عنه عن سبحان الله قال كلمة رضيها الله لنفسه حدثني نصر بن عبد الرحمن الاودي قال ثنا أبو أسامة عن سفيان بن سعيد الثوري عن عثمان بن عبد الله بن موهب الطلحي عن موسى بن طلحة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سبحان الله فقال تنزيها لله عن السوء حدثني علي بن عيسى البزار قال ثنا عبيد الله بن محمد قال ثنا عبد الرحمن ابن حماد قال ثني حفص بن سليمان قال ثنا طلحة بن يحيى بن طلحة عن أبيه عن طلحة بن عبيد الله قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير سبحان الله فقال هو تنزيه الله من كل سوء

---

٧ هنا بياض بالاصل

أو عالما مشرفا على حقائق الاشياء فوجب بحكم هذا الاستقراء ان يكون حاله بعد الموت أشرف وأبهى من اللذات العاجلة المشوبة بالآلام ومنها طريقة الاحتياط فانا اذا آمنا بالمعاد وتأهبنا له فان كان هذا المذهب حقا فقد نجونا وهلك المنكر وان كان باطلا لم يضرنا هذا الاعتقاد غاية ذلك فوات بعض اللذات الزائلة المشوبة بالمنغصات ومنها ان أحوال الانسان من صباه الى هرمه تضاهي حال الارض من الربيع الى الشتاء ثم انا نرى الارض في الربيع الثاني تعود الى تلك الحياة فلم لا يعقل مثل ذلك في الانسان ومنها ان الانسان انما يتولد من نطفة تولدت من الاغذية الكائنة من الاجزاء العنصرية المتفرقة في مشارق الارض ومغاربها فاذا مات وتفرقت تلك الاجزاء فكيف يمتنع ان تجتمع مرة أخرى على مثال الاجتماع الاول ومنها ان النظر في تغيرات العالم أدى الى اثبات صانع حكيم قادر قاهر والعقل يحكم بان هذا الحكيم لا يليق به ان يترك عبيده همل لا يكذبون عليه ويجورون فلا بد من ان يكون له أمر ونهي ووعد ووعيد من غير تجويز خلف فيهما كما مر ولا يتحقق جميع ذلك الا في دار الجزاء وأما الفريق الآخر الذين لا يعللون أفعال الله تعالى برعاية المصالح فانهم يقولون المعاد أمر جائز الوجود لان تعلق النفس بالبدن لما كان في المرة الاولى جائزا فالمرة الثانية أيضا جائزة ثم ان اله العالم قادر مختار عالم بجميع المعلومات الكليات والجزئيات فلا يعجزه تمييز أجزاء بدن زيد وان اختلطت باجزاء التراب والبحار عن أجزاء بدن عمرو واذا ثبت هذا الامكان وقد دل الدليل على صدق الانبياء عليهم السلام وعلى ان القرآن كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ثم انهم قطعوا بوقوع هذا الممكن والقرآن مشحون بآيات البعث والجزاء فوجب علينا القطع بالمعاد الجسماني اما شبهة المنكرين فمن ذلك انهم قالوا الدار الآخرة ان كانت شرا من هذه فالتبديل سفه وان كانت مثلها فعبث وان كانت خيرا منها فاما ان يقال انه قادر على خلق ذلك الاجود أولا ثم تركه وفعل الارذل فذلك سفه أو يقال انه ما كان قادرا ثم حدثت له القدرة فذلك انتقال من العجز الى القدرة من

الجهل الى الحكمة فهو محال على القديم والجواب ان كلا من الدارين خير في وقتها فالاولى لتحصيل الكمالات النفسانية المعدلة للنوع الانساني من قبيل العلم والعمل والاخرى للرحمة والجزاء ومن ذلك انهم قالوا حركات الافلاك مستندة وة والمستند لا ضد له وما لا ضد له لا يقبل الفساد والجواب ماذكرنا في كتبنا الحكمية

من ان كل جسم مركب وكل مركب ينحل لا محالة ولئن سلمنا انها أزلية فحركاتها

حدثني محمد بن عمرو بن تمام الكلبي قال ثنا سليمان بن أيوب قال ثني أبي عن جدي عن موسى بن طلحة عن أبيه قال قلت يارسول الله قول سبحان الله قال تنزيه الله عن السوء وتحيتهم يقول وتحية بعضهم بعضا فيها اسلام أي سلمت وأمنت مما ابتلي به أهل النار والعرب تسمي الملك التحية ومنه قول عمرو بن معدي كرب

أزور بها أبا قابوس حتى * أنيخ على تحيته بجند

ومنه قول زهير بن خباب الكلبي

من كل ما نال الفتى * قد نلته الا التحيه

وقوله وآخر دعواهم يقول وآخر دعائهم ان الحمد لله رب العالمين يقول وآخر دعائهم ان يقولوا الحمد لله رب العالمين ولذلك خففت ان ولم تشدد لانه أريد بها الحكاية ﴿القول في تأويل قوله تعالى (ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي اليهم أجلهم فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون)﴾ يقول تعالى ذكره ولو يعجل الله للناس اجابة دعائهم في الشر وذلك فيما عليهم مضرة في نفس أو مال استعجالهم بالخير يقول كاستعجاله لهم في الخير بالاجابة اذا دعوه به لقضي اليهم أجلهم يقول لهلكوا وعجل لهم الموت وهو الاجل وعني بقوله لقضي لفرغ اليهم من أجلهم وتبدى لهم كما قال أبو ذؤيب

وعليهما مسرودتان قضاهما * داود أو صنع السوابغ تبع

فنذر الذين لا يرجون لقاءنا يقول فندع الذين لا يخافون عقابنا ولا يوقنون بالبعث ولا بالنشور في طغيانهم يقول في تمردهم وعتوهم يعمهون يعني يترددون وانما أخبر جل ثناؤه عن هؤلاء الكفرة بالبعث بما أخبر به عنهم من طغيانهم وترددهم فيه عند تعجيله اجابة دعائهم في الشر لو استجاب لهم ان ذلك كان يدعوهم الى التقرب الى الوثن الذي يشرك به أحدهم أو يضيف ذلك الى انه من فعله ونحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل * ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير قال قول الانسان اذا غضب لولده وماله لا بارك الله فيه ولعنه **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير قال قول الانسان لولده وماله اذا غضب عليه اللهم لا تبارك فيه والعنه فلو يعجل الله الاستجابة في ذلك كما يستجاب في الخير لاهلكهم **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير قال قول الانسان لولده وماله اذا غضب عليه اللهم لا تبارك فيه والعنه لقضي اليهم أجلهم قال لاهلك من دعا عليه ولاماته **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير قال قول الرجل لولده اذا غضب عليه أو ماله اللهم لا تبارك فيه والعنه قال الله لقضي اليهم أجلهم قال لاهلك من دعي عليه ولاماته قال فنذر الذين لا يرجون لقاءنا قال يقول لا نهلك أهل الشرك ولكن نذرهم في طغيانهم يعمهون **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قوله ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير قال هو دعاء الرجل على نفسه وماله بما يكره ان يستجاب له **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله لقضي اليهم أجلهم

غير أزلية لان الحركة عبارة عن الانتقال من حال الى حال وهذه الهيئة تقتضي المسبوقية بالحالة المنتقل عنها والازلية تنافي المسبوقية بالغير فكان الجمع بين الازل والحركة محالا ولئن سلم ان الحركة أزلية فلم لا يجوز ان يكون بعض أوضاع الافلاك مقتضيا لاعادة المعدومات من الاشخاص الانسانية ومن ذلك انهم قالوا الانسان عبارة عن هذا البدن ذي الاجزاء لا كيف كانت بل بشرط وقوعها على تأليف مخصوص لان أجزاء البدن كانت موجودة قبل هذا الانسان والموجود مغاير للمعدوم فاذا مات الانسان وتفرقت أجزاؤه فقد عدمت تلك الصورة والاعراض وعود المعدوم محال وأجيب بان الانسان ليس عبارة عن هذا الجسد وانما هو النفس سواء كانت جوهرا مجردا مفارقا أو جسما مخصوصا لطيفا باقيا في جميع أحوال البدن من الصبا الى الهرم مصونا عن التحلل والتبدل وهو الذي يسميه المتكلمون بالاجزاء الاصلية ومن ذلك انهم قالوا اذا قتل الانسان واغتذى به انسان آخر لزم ان تعاد تلك الاجزاء في بدن كل واحد من الشخصين وذلك محال وأجيب بعين مامر وهي ان الاجزاء الاصلية لا تصير جزأ من انسان آخر فهذه خلاصة ما وصل اليه العقول من أمر المعاد والله تعالى أعلم بحقائق الامور ثم عدد بعض نعمه على المكلفين فقال هو الذي جعل الشمس ضياء وهو أجوف واوي مهموز اللام قلبت واوه ياء لكسرة ما قبلها ومن قرأ بهمزتين بينهما ألف فمحمول على القلب لانه اذا قدم اللام على العين وقع حرف العلة على الطرف فانقلبت همزة كما في كساء وهو اما ان يكون جمع ضوء كحوض وحياض أو مصدر ضاء يضوء مثل قام قياما وصام صياما ولا بد من

أجلهم قال لاهلكناهم وقرأ ماترك على ظهرها من دابة قال يهلكهم كلهم ونصب قوله استعجالهم بوقوع يعجل عليه كقول القائل قمت اليوم قيامك بمعنى قمت كقيامك وليس بمصدر من يعجل لانه لو كان مصدرا لم يحسن دخول الكاف أعنى كاف التشبيه فيه واختلفت القراء فى قراءة قوله لقضى اليهم اجلهم فقرأ ذلك عامة قراء الحجاز والعراق لقضى اليهم أجلهم على وجه مالم يسم فاعله بضم القاف من قضى ورفع الاجل وقرأ عامة اهل الشام لقضى اليهم أجلهم بمعنى لقضى الله اليهم أجلهم وهما قراءتان متفقتا المعنى فبايتهما قرأ القارئ فمصيب غير انى اقرأه على وجه مالم يسم فاعله لان عليه أكثر القراء ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه أوقاعدا أوقائما فلما كشفنا عنه ضره مر كان لم يدعنا الى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون) يقول تعالى ذكره واذا أصاب الانسان الشدة والجهد دعانا لجنبه يقول استغاث بنا فى كشف ذلك عنه لجنبه يعنى مضطجعا لجنبه أوقاعدا أوقائما بالحال التى يكون بها عند نزول ذلك الضر به فلما كشفنا عنه ضره يقول فلما فرجنا عنه الجهد الذى أصابه مر كان لم يدعنا الى ضر مسه يقول استمر على طريقته الاولى قبل ان يصيبه الضر ونسى ما كان فيه من الجهد والبلاء وتناساه وترك الشكر لربه الذى فرج عنه ما كان قد نزل به من البلاء حين استعاذه وعاد للشرك ودعوى الآلهة والاوثان أربابا معه يقول تعالى ذكره كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون يقول كما زين لهذا الانسان الذى وصفنا صفته استمراره على كفره بعد كشف الله عنه ما كان فيه من الضر كذلك زين للذين أسرفوا فى الكذب على الله وعلى أنبيائه فتجاوزوا فى القول فيهم الى غير ما اذن الله لهم به ما كانوا يعملون من معاصى الله والشرك به وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله دعانا لجنبه قال مضطجعا ۞ القول فى تاويل قوله (ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزى القوم المجرمين) يقول تعالى ذكره ولقد أهلكنا الامم التى كذبت رسل الله من قبلكم أيها المشركون بربهم لما ظلموا يقول لما أشركوا وخالفوا أمر الله ونهيه وجاءتهم رسلهم من عند الله بالبينات وهى الآيات والحجج التى تبين عن صدق من جاء بها ومعنى الكلام وجاءتهم رسلهم بالآيات البينات انها حق وما كانوا ليؤمنوا يقول فلم تكن هذه الامم التى أهلكناها ليؤمنوا برسلهم ويصدقوهم الى مادعوهم اليه من توحيد الله واخلاص العبادة له كذلك نجزى القوم المجرمين يقول تعالى ذكره كما أهلكنا هذه القرون من قبلكم أيها المشركون بظلمهم أنفسهم وتكذيبهم رسلهم وردهم نصيحتهم كذلك أفعل بكم فاهلككم كما أهلكتهم بتكذيبكم رسولكم محمدا صلى الله عليه وسلم وظلمكم أنفسكم بشرككم بربكم ان أنتم لم تنيبوا وتتوبوا الى الله من شرككم فان من ثواب الكافر بى على كفره عندى ان أهلكه بسخطى فى الدنيا وأورده النار فى الآخرة ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (ثم جعلناكم خلائف فى الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون) يقول تعالى ذكره ثم جعلناكم أيها الناس خلائف من بعد هؤلاء القرون الذين أهلكناهم لما ظلموا تخلفونهم فى الارض وتكونون فيها بعدهم لننظر كيف تعملون يقول لينظر ربكم أين عملكم من عمل من هلك من قبلكم من الامم بذنوبهم وكفرهم بربهم تحذون مثالهم فيه فتستحقون من العقاب ما استحقوا أم تخالفون سبيلهم

تقدير مضاف أى جعل الشمس ذات ضياء والقمر ذا نور الا ان يحمل على المبالغة بجعلها نفس الضياء والنور كما يقال للرجل الكريم انه كرم وجود والضياء أقوى من النور ولا خلاف بين العقلاء ان ضوء الشمس كيفية قائمة بها لذاتها واما نور القمر فقد ذهب جمهور الحكماء الى انه مستفاد من الشمس وبذلك يقع اختلاف أحواله من الهلالية الى البدرية كما ينافى

تفسير قوله تعالى يسألونك عن الاهلة

وقدره منازل قال فى الكشاف أى قدر مسيره منازل أو قدره ذا منازل ومنزل القمر المسافة التى يقطعها فى يوم وليلة بحركته الخاصة به وجملتها ثمانية وعشرون وأساميها مشهورة الشرطين الثريا البطين الخ وهى كواكب ثابتة معروفة عندهم جعلوها علامات المنازل فترى القمر كل ليلة نازلا بقرب أحدها وذلك انهم قسموا دور الفلك وهو اثنا عشر برجا على ثمانية وعشرين عدد أيام دور القمر فاصاب كل برج منزلان وثلث فسموا كل منزل بالعلامة التى وقعت وقت التسمية بحذائه ثم ذكر بعض منافعهما العائدة على المكلفين فقال لتعلموا عدد السنين والحساب حساب الاوقات من الاشهر والايام والليالى وقد ذكرنا السنة الشمسية والسنة القمرية وكيفية دوران احداهما على الاخرى فى تفسير قوله تعالى ان عدة الشهور الآية فلا حاجة الى التكرار ثم أشار الى سائر منافعهما وخواصهما بقوله ما خلق الله ذلك المذكور الاملتبسا بالحق والصواب دون الباطل والعبث فالشمس سلطان النهار والقمر خليفتها بالليل وبحركة الشمس تنفصل السنة الى فصولها الاربعة وبالفصول تنتظم مصالح هذا العالم وتحصل معايش الخلائق وبحركة القمر تحصل الشهور وباختلاف حاله فى زيادة النور ونقصانه تختلف أحوال الرطوبات الى غير ذلك من الخواص التى يرشد اليها التأمل والتدبر ولهذا قال يفصل الآيات لقوم يعلمون لانهم هم الذين ينتفعون بهذه الدلائل وقيل المراد بالعلم ههنا العقل الذى يعم الكل ثم ذكر المنافع الحاصلة من اختلاف الليل والنهار وقد مر تفسيره فى سورة البقرة فى قوله ان فى خلق السموات والارض الآية ومعنى قوله وما خلق الله فى السموات والارض كقوله وما خلق الله من شىء وقد مر فى آخر الاعراف

فتؤمنون بالله ورسوله وتقرون بالبعث بعد الممات فتستحقون من ربكم الثواب الجزيل كما **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ثم جعلنا كم خلائف فى الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون ذكر لنا ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال صدق ربنا ما جعلنا خلفاء الا لينظر كيف أعمالنا فاروا الله من أعمالكم خيرا بالليل والنهار والسر والعلانية **حدثنى** المثنى قال ثنا يزيد بن عوف أبو ربيعة بهذا قال ثنا حماد عن ثابت البنانى عن عبد الرحمن بن أبى ليلى ان عوف بن مالك رضى الله عنه قال لابى بكر رضى الله عنه رأيت فيما يرى النائم كان سببا دلى من السماء فانتشط رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لى فانتشط أبا بكر ثم ذرع الناس حول المنبر ففضل عمر رضى الله عنه بثلاث أذرع الى المنبر فقال عمر دعنا من رؤياك لا أرب لنا فيها فلما استخلف عمر قال ياعوف رؤياك قال وهل لك فى رؤياى من حاجة أولم تنتهرنى قال ويحك انى كرهت ان تنعى لخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه فقص عليه الرؤيا حتى اذا بلغ ذرع الناس الى المنبر بهذه الثلاث الاذرع قال أما احداهن فانه كائن خليفة وأما الثانية فانه لا يخاف فى الله لومة لائم وأما الثالثة فانه شهيد قال فقال يقول الله ثم جعلنا كم خلائف فى الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون فقد استخلفت يا ابن أم عمر فانظر كيف تعمل وأما قوله فانى لا أخاف فى الله لومة لائم فما شاء الله وأما قوله فانى شهيد فانى لعمر الشهادة والمسلمون مطيفون به ثم قال ان الله على ما يشاء قدير ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى ان اتبع الا ما يوحى الى انى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم) يقول تعالى ذكره واذا قرئ على هؤلاء المشركين آيات كتاب الله الذى أنزلناه اليك يا محمد بينات واضحات على الحق دالات قال الذين لا يرجون لقاءنا يقول قال الذين لا يخافون عقابنا ولا يوقنون بالمعاد الينا ولا يصدقون بالبعث لك ائت بقرآن غير هذا أو بدله يقول أو غيره قل لهم يا محمد ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى أى من عندى والتبديل الذى سألوه فيما ذكر ان يحول آية الوعيد آية وعد وآية الوعد وعيدا والحرام حلالا والحلال حراما فامر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان يخبرهم ان ذلك ليس اليه وان ذلك الى من لا يرد حكمه ولا يتعقب قضاؤه وانما هو رسول مبلغ ومأمور متبع وقوله ان أتبع الا ما يوحى الى يقول قل لهم ما أتبع فى كل ما آمركم به أيها القوم وأنهاكم عنه الا ما ينزله الى ربى ويأمرنى به انى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم يقول انى أخشى من الله ان خالفت أمره وغيرت أحكام كتابه وبدلت وحيه فعصيته بذلك عذاب يوم عظيم هوله وذلك يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون) يقول تعالى ذكره لنبيه معرفه الحجة على هؤلاء المشركين الذين قالوا له ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل لهم يا محمد لو شاء الله ما تلوته عليكم أى ما تلوت هذا القرآن عليكم أيها الناس بان كان لا ينزله على فيأمرنى بتلاوته عليكم ولا أدراكم به يقول ولا أعلمكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله يقول فقد مكثت فيكم أربعين سنة من قبل ان أتلوه عليكم ومن قبل ان يوحيه الى ربى أفلا تعقلون انى لو كنت منتحلا ما ليس لى من القول كنت قد انتحلته فى أيام شبابى وحداثتى وقبل الوقت الذى تلوته عليكم فقد كان لى اليوم لو لم يوح الى

وانما خص كونها آيات بالمتقين لانهم يحذرون العاقبة فيدعوهم الحذر الى التدبر والنظر قال القفال من تدبر فى هذه الاحوال علم ان الدنيا مخلوقة لبقاء الناس وان خالقها وخالقهم ما أهملهم بل جعلها لهم دار عمل واذا كان كذلك فلا بد من أمر ونهى ثم من ثواب وعقاب ليميز المحسن عن المسىء فهذه الاحوال فى الحقيقة دالة على صحة القول بالمبدأ والمعاد ثم شرع فى شرح أحوال من لا يؤمن بالمعاد ومن يؤمن به فقال ان الذين لا يرجون لقاءنا عن ابن عباس ومقاتل والكلبى معناه لا يخافون البعث كقوله تعالى وهم من الساعة مشفقون واستبعد الاكثرون تفسير الرجاء بالخوف وقالوا انه بمعنى الطمع أى لا يطمعون فى حسن لقائه كما يأمله السعداء أو لا يتوقعونه أصلا لانهم لا يؤمنون بالمعاد فهم ذاهلون عن طلب اللذات الحقيقية فارغون عن التوجه نحو السعادات الباقية ورضوا مع ذلك بالحياة الدنيا الخسيسة الخسيسة واطمأنوا بها سكنوا اليها سكون العاشق الى معشوقه وهذه غاية الانهماك والاستغراق فى اللذات الجسمانية والذين هم عن آياتنا غافلون فلا يعتبرون بالآيات ولا ينظرون فى الدلائل الموصلة الى حقيقة المبدأ والمعاد فلم يقبلوها بالتقليد ولم ينظروا اليها بعين الاجتهاد أولئك مأواهم النار فيه معنى الجزاء ولذلك تعلق به قوله بما كانوا يكسبون وفيه ان الاعمال السابقة هى المؤثرة فى حصول العذاب الجسمانى وهو النار المحسوسة والعذاب الروحانى وهو نار البعد من المألوفات والقطيعة من السعادات الباقيات فيكون مثاله مثال من أخرج من مجالسة معشوقه فالقى فى بئر ظلمانية لا أليف بها ولا مؤنس بل يكون فيها أنواع المؤذيات وأصناف الموحشات نعوذ بالله من تلك الحالات هذا حال من لا يؤمن بالمعاد فلا يعمل له وأما حال الذى يؤمن به فذلك قوله ان الذين آمنوا استكملوا من جهة القوة النظرية وعملوا الصالحات استكملوا من قبل القوة العملية أو صدقوا بقوله ثم حققوا التصديق بالعمل الصالح الذى جاءت به الانبياء والكتب من عند الله أو اشتغلوا قلوبهم وأرواحهم بتحصيل المعرفة ثم جوارحهم بالخدمة حتى تكون عيونهم مشغولة بالاعتبار وآذانهم

واوس

وأومر بتلاوته عليكم مندوحة عن معاداتكم ومتسع فى الحال التى كنت اهامنكم قبل أن يوحى الى وأومر بتلاوته عليكم و بنحوى الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** المثنى قال ثنا عبدالله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ولا أدراكم به ولا أعلمكم **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله لوشاء الله ماتلوته عليكم ولا أدراكم به يقول لوشاء الله لم يعلمكموه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس لوشاء الله ماتلوته عليكم ولا أدراكم به يقول ماحذرتكم به **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله وهو قول مشركى أهل مكة للنبى صلى الله عليه وسلم ثم قال لنبيه صلى الله عليه وسلم قل لوشاء الله ماتلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون لبث أربعين سنة **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله قل لوشاء الله ماتلوته عليكم ولا أدراكم به ولا أعلمكم به **حدثنى** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن انه كان يقرأ ولا أدرؤكم به يقول ما اعلمتكم به **حدثت** عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ولا أدراكم به يقول ولا أشعركم الله به وهذه القراءة التى حكيت عن الحسن عند أهل العربية غلط وكان الفراء يقول فى ذلك قد ذكر عن الحسن انه قال ولا أدرؤكم به قال فان يكن فيها لغة سوى دريت وأدريت فلعل الحسن ذهب اليها واما أن يصلح من دريت أو أدريت فلا لان الياء والواو اذا انفتح ماقبلهما وسكنتا صحتا ولم ينقلبا الى ألف مثل قضيت ودعوت ولعل الحسن ذهب الى طبيعته وفصاحته فهمزها لانها تضارع درأت الحد وشبهه وربما غلطت العرب فى الحرف اذا ضارعه آخر من الهمز فيهمزون غير المهموز وسمعت امرأة من طى تقول رثأت زوجى بأبيات ويقولون لبأت بالحج وحلأت السويق يتغلطون لان حلأت قد يقال فى دفع العطاش من الابل ولبأت ذهبت به الى اللبأ لبأ الشاء ورثأت زوجى ذهبت به الى رثيئة اللبن اذا أنت حلبت الحليب على الرائب فتلك الرثيئة وكان بعض البصريين يقول لاوجه لقراءة الحسن هذه لانها من أدريت مثل أعطيت الا ان لغة بنى عقيل أعطأت يريدون أعطيت تحول الياء ألفا قال الشاعر

الا آذنت أهل اليمامة طى بحرب * كناصاة الاغر المشهر

يريد كناصية حكى ذلك عن المفضل وقال زيد الخيل

لعمرك ما أخشى التصعلك ما بقا * على الارض قيسى يسوق الاباعرا

فقال بقا وقال الشاعر

زجرت فقالا لا تربع لزاجر * ان الغوى اذا نهى لم يعتب

يريد نهى قال وهذا كله على قراءة الحسن وهى مرغوب عنها قال وطى تصير كل ياء انكسر ماقبلها ألفا يقولون هذه جاراة وفى الترقوة ترقاة والعرقوة عرقاة قال وقال بعض طى قد لقت فزارة حذف الياء من لقيت لما لم يمكنها ان تحولها ألفا لسكون الياء فيلتقى ساكنان وقال زعم يونس ان نهى ورضى لغة معروفة قال الشاعر

وأنبئت بالاعراض ذا البطن خالدا * نسا أو تناساان يعد المواليا

باستماع كلام الله وألسنتهم بذكر الله وسائر أعضائهم بطاعة الله تعالى يهديهم ربهم بايمانهم قال أكثر المفسرين معناه يهديهم الى الجنة ثوابا لهم على ايمانهم وأعمالهم الصالحة ومعنى قوله بايمانهم أى بايمانهم هذا المضموم اليه العمل الصالح وهذا التفسير يوافق قوله تعالى يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبايمانهم ولقوله صلى الله عليه وسلم ان المؤمن اذا خرج من قبره صور له عمله الصالح فى صورة حسنة فيقول له أنا عملك فيكون له نورا وقائدا الى الجنة والكافر اذا خرج من قبره صور له عمله فى صورة سيئة فيقول أنا عملك فينطلق به الى النار وقيل معنى الآية ان ايمانهم يهديهم الى مزايا من الالطاف ولوامع من الانوار بحيث تزول بواسطتها عنهم الشكوك والشبهات فتؤدى الى حصول المثوبات ولذلك جعل تجرى من تحتهم الانهار بيانا له وتفسيرا لان التمسك بسبب السعادة كالوصول اليها فهذه الهداية عبارة عن الفوائد الزوائد الحاصلة فى الدنيا بعد الايمان قال القفال فعلى هذا الوجه كان المعنى يهديهم ربهم بايمانهم وتجرى من تحتهم الانهار الا انه حذف الواو وجعل قوله تجرى خبرا مستأنفا منقطعا عما قبله والتحقيق فى تقرير هذا الوجه ان العلم نور والجهل ظلمة والروح كاللوح والعلوم والمعارف كالنقوش ولكن حالهما بالضد من النقوش الجسمانية فان تزاحم النقوش الجسمانية يكدر اللوح وتوارد النقوش المعنوية وتكاثرها يزيد للوح الروح لمعانا واشراقا حتى انه يقوى بها على تحصيل المعارف الباقية بسهولة فليس فهم الرجل المنتهى للعلوم والحقائق كفهم المبتدئ فان الانسان اذا آمن بالله فقد أشرق وجهه بنور المعرفة واذا واظب على الاعمال الصالحة حصلت له ملكة التوجه الى الآخرة والاعراض عن الدنيا ولا يزال تتزايد اشراقات هذه المعارف والملكات فيرتقى فى معارجها لحظة فلحظة ولما كان لانهاية لمراتب المعارف والانوار العقلية فلانهاية لمراتب هذه الهداية فى قوله يهديهم ربهم بايمانهم دليل لمن قال ان العلم بالمقدمتين لايوجب العلم بالنتيجة ولكنهما يعدان الذهن لحصول الفيض من الجواد المطلق ومعنى تجرى من تحتهم الانهار انهم يكونون فى

روى عن ابن عباس فى قراءة ذلك أيضا رواية آخروهى ما حدثنا به المثنى قال ثنا المعلى ابن أسد قال ثنا خالد بن حنظلة عن شهر بن حوشب عن ابن عباس انه كان يقرأ قل لوشاء الله ما تلوته عليكم ولا أنذرتكم به والقراءة التى لا أستجيز أن يعدوها هى القراءة التى عليها قراء الامصار قل لوشاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به بمعنى ولا أعلمكم به ولا أشعركم به ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته انه لا يفلح المجرمون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم قل لهؤلاء المشركين الذين نسبوك فيما جئتهم به من عند ربك الى الكذب أى خلق أشر بعدا وأوضع لقيله فى غير موضعه ممن اختلق على الله كذبا وافترى عليه باطلا أو كذب بآياته يعنى بحججه ورسله وآيات كتابه يقول له جل ثناؤه قل لهم ليس الذى أضفتمونى اليه بأعجب من تكذيبكم على ربكم وافترائكم عليه وتكذيبكم بآياته انه لا يفلح المجرمون يقول انه لا ينجح الذين اجترموا الكفر فى الدنيا يوم القيامة اذا لقوا ربهم ولا ينالون الفلاح ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الارض سبحانه وتعالى عما يشركون) يقول تعالى ذكره ويعبد هؤلاء المشركون الذين وصفت لك يا محمد صفتهم من دون الله الذى لا يضرهم شيأ ولا ينفعهم فى الدنيا ولا فى الآخرة وذلك هو الآلهة والاصنام التى كانوا يعبدونها ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله يعنى انهم كانوا يعبدونها رجاء شفاعتها عند الله قال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهم أتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الارض يقول أتخبرون الله بما لا يكون فى السموات ولا فى الارض وذلك ان الآلهة لا تشفع لهم عند الله فى السموات ولا فى الارض وكان المشركون يزعمون انها تشفع لهم عند الله فقال الله لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم قل لهم أتخبرون الله ان ما لا يشفع فى السموات ولا فى الارض يشفع لكم فيها وذلك باطل لا يعلم حقيقته وصحته بل يعلم الله ان ذلك خلاف ما تقولون وانها لا تشفع لاحد ولا تنفع ولا تضر سبحانه وتعالى عما يشركون يقول تنزيها لله وعلوا عما يفعله هؤلاء المشركون من اشراكهم فى عبادته ما لا يضر ولا ينفع وافترائهم عليه الكذب ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (وما كان الناس الا أمة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم فيما فيه يختلفون) يقول تعالى ذكره وما كان الناس الا أهل دين واحد وملة واحدة فاختلفوا فى دينهم فافترقت بهم السبل فى ذلك ولولا كلمة سبقت من ربك يقول ولولا انه سبق من الله انه لا يهلك قوما الا بعد انقضاء آجالهم لقضى بينهم فيما فيه يختلفون يقول لقضى بينهم بان يهلك أهل الباطل منهم وينجى أهل الحق وقد بينا اختلاف المختلفين فى معنى ذلك فى سورة البقرة وذلك فى قوله كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين وبينا الصواب من القول فيه بشواهده فاغنى عن اعادته فى هذا الموضع حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وما كان الناس الا أمة واحدة فاختلفوا حين قتل أحد بنى آدم أخاه حدثنى المثنى قال ثنا القاسم قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بنحوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه ۞ القول فى تاويل قوله (ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه فقل انما الغيب لله فانتظروا انى معكم من المنتظرين) يقول تعالى ذكره ويقول هؤلاء المشركون هلا أنزل على محمد آية من

البساتين على مواضع مرتفعة كالسرر والارائك والانهار تجرى من بين أيديهم دعواهم فيها قال بعض المفسرين أى دعاؤهم ونداؤهم كم يدعو القانت بقوله اللهم اياك نعبد وقيل الدعاء العبادة كقوله وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وانما تكون هذه عبادتهم لا على سبيل التكليف بل على سبيل الالهام والعادة ابتهاجا بذكر الله وقيل الادعاء بين المتخاصمين والمعنى ان أهل الجنة يدعون فى الدنيا والآخرة تنزيه الله من المعايب والاقرار له بالالهية قال القفال أصله من الدعاء لان الخصم يدعو خصمه الى من يحكم بينهما وقيل أى طريقتهم وسيرتهم وذلك لان المدعى للشئ مواظب عليه فيمكن ان يجعل الدعوى كناية عن الملازمة وان لم يكن فى قولهم سبحانك اللهم دعاء ولا دعوى وقيل ان تمنيهم كقوله لهم ما يدعون أى ما يتمنونه وتقول العرب ادع على ما شئت أى تمن فكان تمنيهم فى الجنة ليس الا تسبيح الله وتقديسه ولقد كانوا فى الدنيا يدعون فى الحروب من يسكنون اليه ويستنصرونه فيقولون يا آل فلان فاخبر الله تعالى عنهم ان انسهم فى الجنة بذكر الله وسكونهم بتحميده وتحيتهم فيها سلام أى بعضهم يحيى بعضا بالسلام وقيل هى تحية الله والملائكة اياهم اضافة للمصدر الى المفعول وآخر دعواهم أن الحمد هى ان المخففة من الثقيلة وأصله انه الحمد لله على ان الضمير للشأن قال أهل الظاهر من المفسرين فى سبب تخصيص هذه الاذكار باهل الجنة ان قوله سبحانك اللهم علم بين أهل الجنة وخدامهم اذا سمعوا ذلك منهم أتوهم بما يشتهونه قال ابن جريج ورد فى الاخبار انه اذا ورد بهم طير يشتهونه قالوا سبحانك اللهم فيأتيهم الملك بذلك المشتهى فاذا نالوا منه شهوتهم قالوا الحمد لله رب العالمين وقال القاضى انه وعد المتقين بالثواب العظيم فاذا دخل أهل الجنة الجنة ووجدوا تلك المواعيد قالوا سبحانك اللهم أى نسبحك عن الخلف فى الوعد وقيل الهمهم الله بى آدم. ويه

فى الجنة بعد انقراض الدنيا ما افتخر به الملائكة قبلهم فى قولهم ونحن نسبح بحمدك و يمكن ان يقال ان لكل انسان معراجا بحسب قوته فاذا وصل العارف الصادق الى صفات جلال الله تعالى قال سبحانك واذا ارتقى منها الى الذات قال اللهم فاذا عجز عن ذلك المضمار واستغرق فى أوائل

ربه يقول علم ودليل نعلم به ان محمدا محق فيما يقول قال الله له فقل يا محمد انما الغيب لله أي لا يعلم أحدكم بفعل ذلك الا هو جل ثناؤه لانه لا يعلم الغيب وهو السر والخفي من الامور الا الله فانتظروا أيها القوم قضاء الله بيننا بتعجيل عقوبته للمبطل منا واظهاره المحق عليه اني معكم ممن ينتظر ذلك ففعل ذلك جل ثناؤه فقضى بينهم وبينه بان قتلهم يوم بدر بالسيف ❁ القول في تأويل قوله تعالى (واذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم اذا لهم مكر في آياتنا قل الله أسرع مكرا ان رسلنا يكتبون ما تمكرون) يقول تعالى ذكره واذا رزقنا المشركين بالله فرجا بعد كرب ورخاء بعد شدة أصابتهم وقيل عنى به القطر بعد القحط والضراء هي الشدة والرحمة هي الفرج يقول اذا لهم مكر في آياتنا استهزاء وتكذيب كما حدثنا المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد اذا لهم مكر في آياتنا قال استهزاء وتكذيب قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقوله قل الله أسرع مكرا يقول تعالى ذكره قل لهؤلاء المشركين المستهزئين من حججنا وأدلتنا يا محمد الله أسرع مكرا أي أسرع محالا بكم واستدراجا لكم وعقوبة منكم من المكر في آيات الله والعرب تكتفي باذا من فعلت وفعلوا فلذلك حذف الفعل معها وانما معنى الكلام واذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم مكروا في آياتنا فاكتفي من مكروا باذا لهم مكر ان رسلنا يكتبون ما تمكرون يقول ان حفظتنا الذين نرسلهم اليكم أيها الناس يكتبون عليكم ما تمكرون في آياتنا ❁ القول في تأويل قوله تعالى (هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا انهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين) يقول تعالى ذكره الله الذي يسيركم أيها الناس في البر على الظهر وفي البحر في الفلك حتى اذا كنتم في الفلك وهي السفن وجرين بهم يعني وجرت الفلك بالناس بريح طيبة في البحر وفرحوا بها يعني وفرح ركبان الفلك بالريح الطيبة التي يسيرون بها والهاء في قوله بها عائدة على الريح الطيبة جاءتها ريح عاصف يقول جاءت الفلك ريح عاصف وهي الشديدة والعرب تقول ريح عاصف وعاصفة وقد أعصفت الريح وعصفت واعصفت في بني أسد فيما ذكر قال بعض بني دستر

حتى اذا اعصفت ريح مزعزعة * فيها قطار ورعد صوته زجل

وجاءهم الموج من كل مكان يقول تعالى ذكره وجاء ركبان السفينة الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم يقول وظنوا ان الهلاك قد أحاط بهم وأحدق دعوا الله مخلصين له الدين يقول أخلصوا الدعاء لله هنالك دون أوثانهم وآلهتهم وكان مفزعهم حينئذ الى الله دونها كما حدثنا محمد ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة في قوله دعوا الله مخلصين له الدين قال اذا مسهم الضر في البحر أخلصوا له الدعاء حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن الاعمش عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة في قوله مخلصين له الدين هيا شراهيا تفسيره ياحي ياقيوم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله واذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم الى آخر الآية قال هؤلاء المشركون يدعون مع الله ما يدعون فاذا كان الضر لم يدعوا الا الله فاذا نجاهم اذا هم يشركون لئن أنجيتنا من هذه الشدة التي نحن فيها لنكونن من

تلك الانوار رجع من عالم الجلال الى عالم الاكرام فافاض الخير على جميع المحتاجين وبدفع المخافات والمكاره عنهم بكل ما أمكنه وذلك قوله وتحيتهم فيها سلام ثم اذا شاهدوا أثر نعمة الله عليهم بالاستفاضة والافاضة اختتموا الكلام بقولهم الحمد لله رب العالمين وعلى هذا يدور أمرهم في العروج والنزول ما داموا في الدنيا فيكون كذلك حالهم في العقبى لقوله كما تعيشون (٦٣) تموتون وكما تموتون تبعثون * التأويل الر فيه اشارتان احداهما من الحق للخلق الى حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم كانه قال بآلائي علمك في الازل وأنت في العدم وبلطفي عليك في الوجود وبرحمتي ورأفتي لك من الازل الى الابد والثانية من الحق للنبي عليه السلام اليه يقول بانسك معي حين خلقت روحك ولم يكن ثالث وبلبيك الذي أجبتني به حين دعوتك للخروج من العدم فقلت يا رب أي يا سيد فقلت لبيك وسعديك والخير كله بيديك وبرجوعك منك الى حين قلت لنفسك بجذبة ارجعي الى ربك تلك أي هذه الآيات المنزلة عليك آيات الكتاب الحكيم الذي وعدتك في الازل وآتيتك ولامتك الحكيم والحاكم على الكتب كلها فلا ينسخه كتاب وهو ينسخ الشرائع والاحكام والكتب كلها الى رجل منهم لما رأى فيه رجولية قبول الوحي دون غيره ويحتمل ان يكون معنى للناس الناسي عهد الله قدم صدق محمد صلى الله عليه وسلم لانه أول من خرج من العدم الى الوجود أو هو العناية الازلية سبقت رحمتي غضبي لساحر مبين صدقوا في انهم مسحورون الا انه سحرهم سحرة صفات فرعون النفس ان الذي ربكم هو الذي خلق السموات سموات أرواحكم وأرض نفوسكم من ستة أنواع هي الروح والقلب والعقل والنفس الحيواني والنفس النباتي والصورة المعدنية ثم استوى على عرش القلب يدبر أمر السعادة والشقاوة بقلبه كيف يشاء اليه مرجعكم جميعا فرجعوا المقبولين بجذبات العناية التي صورتها خطاب ارجعي الى ربك وحقيقتها انجذاب القلب الى الله وتنحيتها عزوف النفس عن الدنيا واستبراء الذهب والملوم ... ومان رجوع المردودين بغير الاختيار بالسلاسل والاغلال ومن نتائجه تعلقات الدنيا وآماة الاصعفات النفس بالقسط أي لكل حسب كماله ونقصانه جزاء

بمس الروح ضياء يستنير بها قمر القلب اذا وقع فى مواجهتها واذا وقع فى مقابلة أرض النفس انكسف ولهذا سمى قلبا لتقلب أحواله بين
الروح والنفس وتلك الاحوال هى منازله ومقاماته لتعلموا عدد سنين المقامات وحساب الكشوف والمشاهدات ان فى اختلاف ليل صفات
البشرية ونهار صفات الروحانية وما خلق الله فى سموات الروحانية وأرض البشرية من الاوصاف والاخلاق وتبدل الاحوال

الشاكرين لك على نعمك وتخليصك ايانا مما نحن فيه باخلاصنا العبادة لك وافراد الطاعة دون الآلهة والانداد واختلفت القراء فى قراءة قوله هو الذى يسيركم فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق هو الذى يسيركم من السير بالسين وقرأ ذلك أبو جعفر القارى هو الذى ينشركم من النشر وذلك البسط من قول القائل نشرت الثوب وذلك بسطه ونشره من طيه فوجه أبو جعفر معنى ذلك الى ان الله يبعث عباده فيبسطهم برا وبحرا وهو قريب المعنى من التسيير وقال وجرين بهم بريح طيبة وقال فى موضع آخر فى الفلك المشحون فوحد والفلك اسم للواحدة والجماع ويذكر ويؤنث قال وجرين بهم وقد قال هو الذى يسيركم فخاطب ثم عاد الى الخبر عن الغائب وقد بينت ذلك فى غير موضع من الكتاب بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وجواب قوله حتى اذا كنتم فى الفلك جاءتها ريح عاصف وأما جواب قوله وظنوا أنهم أحيط بهم فدعوا الله مخلصين له الدين ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (فلما أنجاهم اذاهم يبغون فى الارض بغير الحق يا أيها الناس انما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا ثم الينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون) يقول تعالى ذكره فلما أنجى الله هؤلاء الذين ظنوا فى البحر انهم أحيط بهم من الجهد الذى كانوا فيه اخلفوا الله ما وعدوه وبغوا فى الارض فتجاوزوا فيها الى غير ما أذن الله لهم فيها من الكفر به والعمل بمعاصيه على ظهرها يقول الله يا أيها الناس انما اعتداؤكم الذى تعتدونه على أنفسكم واياها تظلمون وهذا الذى أنتم فيه متاع الحياة الدنيا يقول ذلك بلاغ تبلغون به فى عاجل دنياكم وعلى هذا التأويل البغى يكون مرفوعا بالعائد من ذكره فى قوله على أنفسكم ويكون قوله متاع الحياة الدنيا مرفوعا على معنى ذلك متاع الحياة الدنيا كما قال لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ بمعنى هذا بلاغ وقد يحتمل ان يكون معنى ذلك انما بغيكم فى الحياة الحياة الدنيا فيكون البغى مرفوعا بالمتاع الدنيا على أنفسكم لانكم بكفركم تكسبونها غضب الله متاع الحياة الدنيا كانه قال انما بغيكم متاع وعلى أنفسكم من صلة البلاغ وبرفع المتاع قرأت القراء سوى عبد الله بن أبى اسحق فانه نصبه بمعنى انما بغيكم على أنفسكم متاعا فى الحياة الدنيا فجعل البغى مرفوعا بقوله على أنفسكم والمتاع منصوبا على الحال وقوله ثم الينا مرجعكم يقول ثم الينا بعد ذلك معادكم ومصيركم وذلك بعد الممات فننبئكم بما كنتم تعملون يقول فنخبركم يوم القيامة بما كنتم تعملون فى الدنيا من معاصى الله ونجازيكم على أعمالكم التى سلفت منكم فى الدنيا ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما يأكل الناس والانعام حتى اذا أخذت الارض زخرفها وازينت وظن أهلها انهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالامس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون) يقول تعالى ذكره انما مثل ما تباهون فى الدنيا وتفاخرون به من زينتها وأموالها مع ما قد وكل بذلك من التكدير والتنغيص وزواله بالفناء والموت كمثل ماء أنزلناه من السماء يقول كمطر أرسلناه من السماء الى الارض فاختلط به نبات الارض يقول فنبت بذلك المطر انواع من النبات مختلط بعضها ببعض كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس قوله انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض قال اختلط فنبت بالماء كل لون مما يأكل الناس كالحنطة والشعير وسائر حبوب الارض والبقول والثمار وما يأكله الانعام والبهائم من الحشيش والمراعى وقوله حتى اذا أخذت الارض زخرفها يعنى ظهر حسنها وبهاؤها وازينت يقول

لآيات دالة على التوحيد لقوم يتقون الاخلاق الذميمة والذين هم عن آياتنا غافلون وان لم يركنوا الى الدنيا وتمتعاتها كالرهابين والبراهمة وبعض الفلاسفة والله تعالى أعلم (ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضى اليهم أجلهم فنذر الذين لا يرجون لقاءنا فى طغيانهم يعمهون واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا الى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزى القوم المجرمين ثم جعلناكم خلائف فى الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى ان أتبع الا ما يوحى الى انى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته انه لا يفلح المجرمون ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبؤن الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الارض سبحانه وتعالى عما يشركون وما كان الناس الا أمة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم فيما فيه يختلفون ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه فقل انما الغيب لله فانتظروا انى معكم من المنتظرين) القراآت لقضى اليهم مبنيا للفاعل أجلهم بالنصب ابن عامر ويعقوب الآخرون مبنيا للمفعول ورفع أجلهم أو بدله بضم اللام وسكون الهاء وروى خلف عن الكسائى والاخبار عنه وعن غيره الاشمام الى ان وتزينت

وتزينت وظن أهلها يعنى أهل الارض انهم قادرون عليها يعنى على ماأنبتت وخرج الخبر عن الارض والمعنى للنبات اذ كان مفهوما بالخطاب ماعنى به وقوله أتاها أمرنا ليلا أونهارا يقول جاء الارض أمرنا يعنى قضاؤنا بهلاك ماعليها من النبات اما ليلا واما نهارا فجعلناها يقول فجعلنا ماعليها حصيدا يعنى مقطوعة مقلوعة من أصولها وانما هى محصودة صرفت الى حصيد كان لم تغن بالامس يقول كان لم تكن تلك الزروع والنبات على ظهر الارض نابتة قائمة على الارض قبل ذلك بالامس وأصله من غنى فلان بمكان كذا يغنى به اذا أقام به كما قال النابغة الذبيانى

غنيت بذلك اذهم لك جيرة * منها تعطف وتنال ود وتودد

يقول فكذلك يأتى الفناء على ما تتباهون به من دنيا كم وزخارفها فيفنيها ويهلكها كما أهلك أمرنا وقضاؤنا نبات هذه الارض بعد حسنها وبهجتها حتى صار كان لم تغن بالامس كان لم تكن قبل ذلك نباتا على ظهرها يقول الله جل ثناؤه كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون يقول كما بينا لكم أيها الناس مثل الدنيا وعرفنا كم حكمها وأمرها كذلك نبين حججنا وأدلتنا لمن تفكر واعتبر ونظر وخص به أهل الفكر لانهم أهل التمييز بين الامور والفحص عن حقائق مايعرض من الشبه فى الصدور وبنحو ماقلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله حتى اذا أخذت الارض زخرفها الآية أى والله لئن تشبث بالدنيا وحدب عليها لتوشك الدنيا ان تلفظه وتقضى منه حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وازينت قال أنبتت وحسنت حدثنى الحارث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عبد الرحمن بن أبى بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قال سمعت مروان يقرأ على المنبر هذه الآية حتى اذا أخذت الارض زخرفها وازينت وظن أهلها انهم قادرون عليها وما كان الله ليهلكها الا بذنوب أهلها قال قد قرأتها وليست فى المصحف فقال عباس بن عبد الله بن العباس هكذا يقرأها ابن عباس فارسلوا الى ابن عباس فقال هكذا أقرأنى أبى بن كعب حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة كان لم تغن بالامس يقول كان لم تعش كان لم تنعم حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو اسامة عن اسماعيل قال سمعت أباسلمة بن عبد الرحمن يقول فى قراءة أبى كان لم تغن بالامس وما أهلكناها الا بذنوب أهلها كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون واختلفت القراء فى قراءة قوله وازينت فقرأ ذلك عامة قراء الحجاز والعراق وازينت بمعنى وتزينت ولكنهم أدغموا التاء فى الزاى لتقارب مخرجيهما وادخلوا الفا ليوصل الى قراءته اذ كانت التاء قد سكنت والساكن لا يبتدأ به وحكى عن أبى العالية وأبى رجاء والاعرج وجماعة أخر غيرهم انهم قرؤا ذلك وأزينت على مثال أفعلت والصواب من القراءة فى ذلك وازينت لاجماع الحجة من القراء عليها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (والله يدعو الى دار السلام ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم) يقول تعالى ذكره لعباده أيها الناس لاتطلبوا الدنيا وزينتها فان مصيرها الى فناء وزوال كما مصير النبات الذى ضربه لله لها مثلا الى هلاك وبوار ولكن اطلبوا الآخرة الباقية ولها فاعملوا وما عند الله فالتمسوا بطاعته فان الله يدعوكم الى داره والى جناته التى أعدها لاوليائه تسلموا من الهموم والاحزان فيها وتأمنوا من فناء مافيها من النعيم والكرامة التى أعدها لمن دخلها وهو يهدى من يشاء من خلقه فيوفقه لاصابة

بفتح الياء وكذلك انى أخاف أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو نفسى ان بفتح الياء أبو عمرو وأبو جعفر ونافع ولادريكم بلام الابتداء فعلا ماضيا مثبتا روى أبو ربيعة عن البزى وقرأ حمزة وعلى وأبو عمرو وخلف وورش من طريق النجارى والخراز عن جبيرة وهبيرة وابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان وحماد ويحيى من طريق أبى حمدون بالامالة فعلا ماضيا منفيا بلا الباقون مثله ولكن بالتفخيم تشركون بتاء الخطاب وكذلك فى النحل والروم حمزة وعلى وخلف الباقون بالياء * الوقوف أجلهم ط لان مابعده مستقبل فنحن نذر يعمهون أوقائما ط مسه ط يعملون ظلموا لا ط لان الواو للحال ليؤمنوا ط المجرمين يعملون بينات ط لان مابعده جواب اذا أوبدله ط نفسى ج ط لان ان النافية لها صدر الكلام ولكن القائل متحد الى ط ج كمثل ماقلنا عظيم ط به والوصل أولى للفاء أولشدة اتصال المعنى من قبله ط تعقلون بآياته ط المجرمون عندالله ط فى الارض ط يشركون فاختلفوا ط يختلفون من ربه ج ط للابتداء بالامر مع الفاء فانتظروا ج لاحتمال الابتداء أو التعليل المنتظرين ه * التفسير انه سبحانه ابتدأ فى هذه السورة بذكر شبهات القوم فالاولى انهم تعجبوا من تخصيص الله محمدا صلى الله عليه وسلم بالنبوة فازال ذلك التعجب بالانكار وبالدلائل الدالة على صحة المبدأ والمعاد فكانه قيل انه ماجاء الا بدليل التوحيد والاقرار بالمعاد فليس للتعجب معنى ثم شرع فى شبهة أخرى وهى انهم كانوا يقولون ابدا اللهم ان كان محمد حقا فامطر علينا حجارة من السماء فاجابهم بقوله ولو يعجل الله الآية وقال القاضى لما ذكر الوعيد على عدم الايمان بالمبدأ والمعاد ذكر ان ذلك العذاب

من حقه ان يتأخر عن هذه الحياة الدنيا والاماني التكلف وقال الغفال لما وصفهم فيما مر بالغفلة أكد ذلك بان من غاية غفلتهم ان الرسول متى أنذرهم استعجلوا العذاب فبين أنه تعالى انه لامصلحة فى تعجيل ايصال الشر اليهم فلعلهم يؤمنون أو يخرج من أصلابهم من يؤمن كانوا عمرو ولد الشقاء ثم عوتبته بكشفه كما يجىء فى الآية التالية رفى الرخاء

كانوا يستعجلون النبي بالعذاب فقال ما معناه ولو عجلنا لهم الشر الذى دعوا به كما يجعل لهم الخير ونجيبهم اليه لاميتوا وأهلكوا قال فى الكشاف أصل الكلام ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله لهم بالخير فوضع استعجالهم بالخير موضع تعجيله لهم الخير اشعارا بسرعة اجابته لهم حتى كان استعجالهم بالخير تعجيل منه لهم وقيل التعجيل معناه طلب العجلة الا ان الاستعجال أشهر وأظهر فمعنى الآية لو أراد الله عجلة الشر للناس كما أرادوا عجلة الخير لهم وقيل هما متلازمان فكل معجل يلزمه الاستعجال الا انه تعالى وصف نفسه بتكوين العجلة ووصفهم بطلبها لان اللائق به التكوين واللائق بهم الطلب وسمى العذاب فى الآية شرا لانه أذى وألم فى حق المعاقب به ثم ان قوله ولو يعجل كان متضمنا لمعنى نفى التعجيل فيمكن ان يكون قوله فنذرهم معطوفا على منوى كانه قيل ولكن لا يعجل فنذرهم الزاما للحجة أو لمصالح أخرى ثم بين انهم كاذبون فى استعجال الشر ولو أصابهم ما طلبوه أظهروا العجز والطيش فقال واذا مس الانسان الضر أى هذا الجنس دعانا لجنبه اللام فى معنى الوقت كقولك جئته لشهر كذا وان شئت قلت فى موضع الحال لان الظرف والحال متآخيان فيصح عطف أحدهما على الآخر وتأويل أحدهما بالآخر أى دعانا مضطجعا أو قاعدا أو قائما أو وقت اضطجاعه وقعوده وقيامه والمراد انه يدعو الله فى جميع أحواله لا يفتر عن الدعاء ثم ان خص الضر بالمرض احتمل ان يراد انه يدعو الله حين كان مضطجعا غير قادر على القعود أو قاعدا غير قادر على القيام أو قائما لا يطيق المشى الى ان يخف كل الخفة ويرزق الصحة بكمالها أو يراد ان من المضرورين من هو أسوأ حالا وهو صاحب الفراش ومنهم من هو أخف وهو القادر على القعود ومنهم المستطيع للقيام وكلهم لا يصبرون على الضراء قال بعض المفسرين الانسان ههنا الكافر ومنهم من بالغ فقال كل موضع فى القرآن ورد فيه ذكر الانسان فالمراد به الكافر وهذا تحكم لو ورد مثل قوله تعالى هل أتى على الانسان الا ان يساعده نقل صحيح والاصح عند العلماء العموم لان الانسان خلق ضعيفا لا يصبر على الاذى ولا يشكر عند النعماء الا من عصمه الله وقليل ما هم عن

الطريق المستقيم وهو الاسلام الذى جعله جل ثناؤه سببا للوصول الى رضاه وطريقا لمن ركبه وسلك فيه الى جنانه وكرامته كما حدثني محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال الله السلام وداره الجنة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله والله يدعو الى دار السلام قال الله هو السلام وداره الجنة حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن أيوب عن أبى قلابة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قيل لى لتنم عينك وليعقل قلبك ولتسمع اذنك فنامت عينى وعقل قلبى وسمعت اذنى ثم قيل سيد بنى دارا ثم صنع مأدبة ثم أرسل داعيا فمن أجاب الداعى دخل الدار وأكل من المأدبة ورضى عنه السيد ومن لم يجب الداعى لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة ولم يرض عنه السيد فالله السيد والدار الاسلام والمأدبة الجنة والداعى محمد صلى الله عليه وسلم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله والله يدعو الى دار السلام ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم ذكر لنا ان فى التوراة مكتوبا يا باغى الخير هلم ويا باغى الشر انته حدثني الحسين بن سلمة بن أبى كبشة قال ثنا عبد الملك بن عمرو قال ثنا عباد بن راشد عن قتادة قال ثنى خليد العصرى عن أبى الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من يوم طلعت فيه شمسه الا وبجنبتيها ملكان يناديان يسمعه خلق الله كلهم الا الثقلين يا أيها الناس هلموا الى ربكم ان ما قل وكفى خير مما كثر وألهى وأنزل ذلك فى القرآن فى قوله والله يدعو الى دار السلام ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ليث بن سعد عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبى هلال عن جابر بن عبد الله قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال انى رأيت فى المنام كان جبرائيل عند رأسى وميكائيل عند رجلى يقول أحدهما لصاحبه اضرب له مثلا فقال اسمع سمعت اذنك واعقل عقل قلبك انما مثلك ومثل امتك كمثل ملك اتخذ دارا ثم بنى فيها بيتا ثم جعل فيها مأدبة ثم بعث رسولا يدعو الناس الى طعامه فمنهم من أجاب الرسول ومنهم من تركه فالله الملك والدار الاسلام والبيت الجنة وأنت يا محمد الرسول من اجابك دخل الاسلام ومن دخل الاسلام دخل الجنة ومن دخل الجنة أكل ما فيها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) يقول تعالى ذكره للذين أحسنوا عبادة الله فى الدنيا من خلقه فاطاعوه فيما أمرونهى الحسنى ثم اختلف أهل التأويل فى معنى الحسنى والزيادة التين وعدهما المحسنين من خلقه فقال بعضهم الحسنى هى الجنة جعلها الله للمحسنين من خلقه جزاء والزيادة عليها النظر الى الله تعالى ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا اسرائيل عن أبى اسحق عن عامر بن سعد عن أبى بكر الصديق للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال النظر الى وجه ربهم حدثنا سفيان قال ثنا حميد بن عبد الرحمن عن قيس عن أبى اسحق عن عامر بن سعد عن سعيد بن نمران عن أبى بكر للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال النظر الى وجه الله تعالى حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى اسحق عن عامر بن سعد للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال النظر الى وجه ربهم حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن ابن اسحق عن عامر بن سعد قال فى هذه الآية للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال الزيادة النظر الى وجه الرحمن حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا اسرائيل

عن أبي اسحق عن مسلم بن يزيد عن حذيفة للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال النظر الى وجه ربهم حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي قال ثنا شريك قال سمعت أبا اسحق يقول في قول الله وزيادة قال النظر الى وجه الرحمن حدثني علي بن عيسى قال ثنا شبابة قال ثنا أبو بكر الهذلي قال سمعت أبا تميمة الهجيمي يحدث عن أبي موسى الاشعري قال اذا كان يوم القيامة بعث الله الى أهل الجنة مناديا ينادي هل أنجزكم الله ماوعدكم فينظرون الى ما أعد الله لهم من الكرامة فيقولون نعم فيقول للذين أحسنوا الحسنى وزيادة النظر الى وجه الرحمن حدثني المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن أبي بكر الهذلي قال أخبرنا أبو تميمة الهجيمي قال سمعت أبا موسى الاشعري يخطب على منبر البصرة يقول ان الله يبعث يوم القيامة ملكا الى أهل الجنة فيقول يا أهل الجنة هل أنجزكم الله ماوعدكم فينظرون الى ما أعد الله لهم من الكرامة فيرون الحلي والحلل والثمار والانهار والازواج المطهرة فيقولون نعم قد أنجزنا الله ماوعدنا ثم يقول الملك هل أنجزكم الله ماوعدكم ثلاث مرات فلا يفقدون شيأ مما وعدوا فيقولون نعم فيقول قد بقي لكم شئ ان الله يقول للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ألا ان الحسنى الجنة والزيادة النظر الى وجه الله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني شبيب عن أبان عن أبي تميمة الهجيمي انه سمع أبا موسى الاشعري يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يبعث يوم القيامة مناديا ينادي أهل الجنة بصوت يسمع أولهم وآخرهم ان الله وعدكم الحسنى وزيادة فالحسنى الجنة والزيادة النظر الى وجه الرحمن حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا حماد بن زيد عن ثابت البناني عن عبد الرحمن بن أبي ليلى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال النظر الى وجه ربهم وقرأ ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة قال بعد النظر الى وجه ربهم حدثني المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن سليمان بن المغيرة قال أخبرنا ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى في قوله وزيادة قال قيل له أرأيت قوله للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال ان أهل الجنة اذا دخلوا الجنة فاعطوا فيها ما أعطوا من الكرامة والنعيم قال نودوا يا أهل الجنة ان الله قد وعدكم الزيادة فيتجلى لهم قال ابن أبي ليلى فما ظنك بهم حين ثقلت موازينهم وحين صارت الصحف في أيمانهم وحين جاوزوا جسر جهنم ودخلوا الجنة وأعطوا فيها ما أعطوا من الكرامة والنعيم كل ذلك لم يكن شيأ فيما رأوا قال ثنا ابن المبارك عن معمر وسليمان بن المغيرة عن ثابت البناني عن عبد الرحمن بن أبي ليلى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال النظر الى وجه ربهم قال ثنا الحجاج ومعلى بن أسد قالا ثنا حماد بن زيد عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال اذا دخل أهل الجنة الجنة قال لهم انه قد بقي من حقكم شئ لم تعطوه قال فيتجلى لهم تبارك وتعالى قال فيصغر عندهم كل شئ أعطوه قال ثم قال للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال الحسنى الجنة والزيادة النظر الى وجه ربهم ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة بعد ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن ثابت البناني عن عبد الرحمن بن أبي ليلى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة النظر الى وجه الله حدثنا ابن بشار قال ثنا هوذة قال ثنا عوف عن الحسن في قول الله للذين أحسنوا الحسنى وزيادة النظر الى الرب حدثنا عمرو بن علي ومحمد بن بشار قالا ثنا عبد الرحمن بن مهدي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في هذه الآية للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال اذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار

وهم الذين نظارهم في جميع الاحوال على المقدر المؤجل للامور حسب ارادته ومشيئته فلا جرم ان أصابهم السراء شكروا وان أصابهم الضراء صبروا فافنوا ارادتهم في ارادته ورضوا بقضائه قال الزجاج في الآية تقديم وتأخير والتقدير واذا مس الانسان الضر بجنبه أو قاعدا أو قائما وضعف بان تعديد أحوال الدعاء أبلغ من تعديد أحوال الضر لانه اذا كان داعيا (٦٧) على الدوام ثم نسي ذلك في وقت الرخاء كان أعجب ومعنى مر مضى على طريقته التي له قبل مس الضراء ومر عن موقف الدعاء والتضرع لا يرجع اليه ومعنى كأن لم يدعنا كأنه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشأن كذلك مثل ذلك التزيين زين للمسرفين ما كانوا يعملون من تتبع الشهوات والمزين هو الله تعالى أو النفس أو الشيطان تفرع على مسئلة الجبر والقدر وقد مر مرارا قال العلماء سمي الكافر مسرفا لانه أنفق ماله من الاستعداد الشريف من القوى البدنية والاموال النفيسة في الامور الخسيسة الزائلة من الاصنام التي هي أحقر من لا شئ ومن الشهوات الفانية التي لا أصل لها ولا دوام والمسرف في اللغة هو الذي ينفق المال الكثير لاجل الغرض الخسيس فصح ما قلنا ثم ذكر ما يجري مجرى الردع والزجر لهم عن القاء الشبه والاغاليط فقال ولقد أهلكنا القرون وقد مضى تفسير القرن في أول الانعام ولما ظرف لاهلكنا والواو في وجاءتهم للحال أي ظلموا بالتكذيب وقد جاءتهم رسلهم بالدلائل والحجج على صدقهم وهي المعجزات وقوله وما كانوا ليؤمنوا اما أن يكون عطفا على ظلموا أو يكون اعتراضا واللام لتأكيد النفي وان الله قد علم منهم انهم يصرون على الكفر والسبب في اهلاكهم تكذيب الرسل وعلم الله باصرارهم كذلك أي مثل ذلك الجزاء وهو الاستئصال الكلي يجزي كل مجرم وفيه وعيد لاهل مكة على تكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خاطب الذين بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله ثم جعلناكم خلائف أي استخلفناكم في الارض بعد تلك القرون لننظر كيف تعملون خيرا أو شرا استعير النظر للعلم الحقيقي الذي لا يتطرق اليه شك ويعني به العلم الذي يتعلق به الجزاء كما مر في الاعراف قال قتادة صدق ربنا ما جعلنا خلفاء الا

النار نودوا يا أهل الجنة ان لكم عند الله موعدا قالوا ما هو ألم تبيض وجوهنا وتثقل موازيننا وتدخلنا الجنة وتنجنا من النار فيكشف الحجاب فيتجلى لهم فوالله ما أعطاهم شيأ أحب اليهم من النظر اليه ولفظ الحديث لعمرو حدثني المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا حماد عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال اذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد يا أهل الجنة ان لكم عند الله موعدا يريد ان ينجزكموه فيقولون وما هو ألم يثقل الله موازيننا ويبيض وجوهنا ثم ذكر سائر الحديث نحو حديث عمرو بن علي وابن بشار عن عبد الرحمن قال ثنا الحماني قال ثنا شريك عن أبي اسحق عن سعيد بن نمران عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال النظر الى وجه الله تبارك وتعالى قال ثنا شريك عن أبي اسحق عن عامر بن سعد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله للذين أحسنوا الحسنى وزيادة بلغنا ان المؤمنين لما دخلوا الجنة ناداهم مناد ان الله وعدكم الحسنى وهي الجنة وأما الزيادة فالنظر الى وجه الرحمن حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا ابراهيم بن المختار عن ابن جريج عن عطاء عن كعب بن عجرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال الزيادة النظر الى وجه الرحمن تبارك وتعالى قال ثنا جرير عن ليث عن عبد الرحمن بن سابط قال الحسنى النضرة والزيادة النظر الى وجه الله تعالى حدثنا ابن البرقي قال ثنا عمرو بن أبي سلمة قال سمعت زهيرا عمن سمع أبا العالية قال ثنا أبي بن كعب انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال الحسنى الجنة والزيادة النظر الى وجه الله وقال آخرون في الزيادة بما حدثنا به يحيى بن طلحة قال ثنا فضيل بن عياض عن منصور عن الحكم عن علي رضي الله عنه للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة لها أربعة أبواب حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن منصور عن الحكم عن علي رضي الله عنه نحوه الا انه قال فيها أربعة أبواب قال ثنا جرير عن منصور عن الحكم بن عيينة عن علي رضي الله عنه مثل حديث يحيى بن طلحة عن فضيل سواء وقال آخرون الحسنى واحدة من الحسنات بواحدة والزيادة التضعيف الى تمام العشر ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال هو مثل قوله ولدينا مزيد يقول يجزيهم بعملهم ويزيدهم من فضله وقال من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن قابوس عن أبيه عن علقمة بن قيس للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال قلت هذه الحسنى فما الزيادة قال ألم تر ان الله يقول من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال كان الحسن يقول في هذه الآية للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال الزيادة بالحسنة عشر أمثالها الى سبعمائة ضعف وقال آخرون الحسنى حسنة مثل حسنة والزيادة زيادة مغفرة من الله ورضوان ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد للذين أحسنوا الحسنى مثلها حسنى وزيادة مغفرة ورضوان وقال آخرون الزيادة ما أعطوا في الدنيا ذكر من

لينظر الى أعمالنا فاروا الله من أعمالكم خيرا بالليل والنهار ثم حكى نوعا ثانيا من شبهاتهم فقال واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا أي لا يؤمنون بالمعاد لان كل من كان مؤمنا بالنشور فانه يرجو ثواب الله ويخاف عقابه وانتفاء اللازم دليل انتفاء الملزوم طلبوا من الرسول أحد أمرين اما الاتيان بقرآن غير هذا القرآن مع بقاء هذا القرآن على حاله واما تبديل هذا القرآن بنسخ بعض (٦٨) الآيات ووضع أخرى في مكانها فأمره الله تعالى ان يقول في جوابهم ما يكون لي أي ما ينبغي وما يحل أن أبدله من تلقاء نفسي من قبل نفسي فنفى عن نفسه أحد القسمين الذي هو أسهل وأقل ليلزم منه نفي الاصعب الاكثر بالطريق الاولى ثم أكد الجواب بقوله ان اتبع أي ما اتبع الا ما يوحى الى ان نسخت آية تبعت النسخ وان بدلت آية مكان آية تبعت التبديل وقد تمسك بهذا نفاة القياس ونفاة جواز الاجتهاد وأجيب بان رجوعهما أيضا الى الوحي ونقل عن ابن عباس ان قوله اني أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم منسوخ بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وضعف بان النسخ انما يكون في الاحكام والتعبدات لا في ترتيب العقاب على المعصية قال المفسرون هذا الالتماس منهم يحتمل ان يكون على سبيل السخرية فقد روى مقاتل والكلبي انهم خمسة نفر من مشركي مكة أو هم المستهزؤن في قوله انا كفيناك المستهزئين ويحتمل ان يكون على سبيل التجربة والامتحان حتى انه ان فعل ذلك علموا انه كاذب أو أرادوا ان هذا القرآن مشتمل على ذم آلهتهم فطلبوا قرآنا آخر لا يكون كذلك ثم أكد كون هذا القرآن من عند الله سبحانه وانه غير مستبد في ايراده فقال لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم ولا أعلمكم تنبيه على لساني ومن قرأ لأدراكم بلام الابتداء فمعناه ما تلوته أنا عليكم ولأخبركم الله به على لسان غيري ولكنه من على من يشاء من عباده فرآني أهلا له دون غيري وقرئ لا أدرأكم به بالهمزة ووجهه ان تكون الهمزة مقلوبة من الالف أو يكون من الدرء الدفع ومعنى ادرأته جعلته دارئا أي لم أجعلكم بتلاوته خصماء تدرؤنني بالجدال وتكذبونني فقد لبثت فيكم عمرا أي بعضا قال

معتبرا من العمر وهو أربعون من قبله أى من قبل نزول هذا القرآن أفلا تعقلون فيه قدح فى صحة عقولهم لان ظهور مثل هذا الكتاب العظيم المشتمل على علوم الاولين والآخرين المعجز للثقلين عن معارضته على من عرفوا حاله من عدم التعلم والمدارسة ومخالطة العلماء اذا شك فيه أنه من قبيل الوحى والمدد السماوى كان ذلك انكار الضروريات وافتراء على الله (٦٩) فلهذا قال فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا الآية

قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال الحسنى الجنة وزيادة ما أعطاهم فى الدنيا لا يحاسبهم به يوم القيامة وقرأ وآتيناه أجره فى الدنيا قال ما آتاه مما يحب فى الدنيا يجعل له أجره فيها وكان ابن عباس يقول فى قوله للذين أحسنوا الحسنى يقول للذين شهدوا أن لا اله الا الله * وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب أن يقال ان الله تبارك وتعالى وعد المحسنين من عباده على احسانهم الحسنى أن يجزيهم على طاعتهم اياه الجنة وأن تبيض وجوههم ووعدهم مع الحسنى الزيادة عليها ومن الزيادة على ادخالهم الجنة أن يكرمهم بالنظر اليه وأن يعطيهم غرفا من لآلئ وأن يزيدهم غفرانا ورضوانا كل ذلك من زيادات عطاء الله اياهم على الحسنى التى جعلها الله لاهل جناته وعم ربنا جل ثناؤه بقوله وزيادة الزيادات على الحسنى فلم يخصص منها شيأ دون شىء وغير مستنكر من فضل الله أن يجمع ذلك لهم بل ذلك كله مجموع لهم ان شاء الله وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب أن يعم كما عمه عز ذكره ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) يعنى جل ثناؤه بقوله ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة لا يغشى وجوههم كآبة ولا كسوف حتى تصير من الحزن كأنما علاها قتر والقتر الغبار وهو جمع قترة ومنه قول الشاعر

متوج برداء الملك يتبعه * موج ترى فوقه الرايات والقترا

يعنى بالقتر الغبار ولا ذلة ولا هوان أولئك أصحاب الجنة يقول هؤلاء الذين وصفت صفتهم هم أهل الجنة وسكانها ومن هو فيها هم فيها خالدون يقول هم فيها ماكثون أبدا لا يبيد فيخافوا زوال نعيمهم ولا هم بمخرجين فتتنغص عليهم لذتهم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل وكان ابن أبى ليلى يقول فى قوله ولا يرهق وجوههم قتر ما حدثنا محمد بن منصور الطوسى قال ثنا عفان قال ثنا حماد بن زيد عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبى ليلى ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة قال بعد نظرهم الى ربهم حدثنى المثنى قال ثنا الحجاج ومعلى بن أسد قالا ثنا حماد بن زيد عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبى ليلى بنحوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس قوله ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة قال سواد الوجوه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم) يقول تعالى ذكره والذين عملوا السيئات فى الدنيا فعصوا الله فيها وكفروا به وبرسوله جزاء سيئة من عمله السيئ الذى عمله فى الدنيا بمثلها من عقاب الله فى الآخرة وترهقهم ذلة يقول وتغشاهم ذلة يقول وتغشاهم ذلة وهوان بعقاب الله اياهم ما لهم من الله من عاصم يقول ما لهم من الله من مانع يمنعهم اذا عاقبهم يحول بينه وبينهم وبنحو الذى قلنا فى قوله وترهقهم ذلة قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وترهقهم ذلة قال تغشاهم ذلة وشدة واختلف أهل العربية فى الرافع للجزاء فقال بعض نحويى الكوفة رفع باضمار لهم كأنه قيل ولهم جزاء السيئة بمثلها كما قال فصيام ثلاثة أيام فى الحج والمعنى فعليه صيام ثلاثة أيام قال وان شئت رفعت الجزاء بالباء فى قوله وجزاء سيئة بمثلها وقال بعض نحويى البصرة الجزاء مرفوع بالابتداء وخبره بمثلها قال ومعنى الكلام جزاء سيئة مثلها وزيدت الباء كما زيدت فى قولهم بحسبك قول السوء وقد أنكر ذلك من قوله بعضهم فقال يجوز أن تكون الباء فى

وفيه ان هذا القرآن لو لم يكن من عند الله ثم نسبه الرسول صلى الله عليه وسلم الى الله لم يكن أحد أظلم منه ثم قبح الله أصنامهم معارضة لهم بنقيض مقصودهم من الالتماس فقال ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ان لم يعبدوه ولا ينفعهم ان عبدوه ومن حق المعبود أن يكون مثيبا معاقبا وفيه اشعار بأنها جماد والمعبود لابد أن يكون أكمل من العابد واذا كانت المنافع والمضار كلها من الله فلا تليق العبادة الا له ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قد ذكرنا وجه ذلك فى أوائل سورة البقرة فى قوله فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون ثم أنكر عليهم معتقدهم بقوله قل أتنبئون الله بما لا يعلم والمراد أنه لا وجود لكونهم شفعاء اذ لو كان موجودا لكان معلوما للعالم بالذات المحيط بجميع المعلومات وهذا مجاز مشهور يقول ما علم الله ذلك منى والمقصود أنه ما وجد منك ذلك قط وفى قوله فى السموات ولا فى الارض تأكيد آخر لنفيه لان ما لم يوجد فيهما فهو منتف معدوم قوله سبحانه وتعالى عما يشركون اما أن يكون من تمام ما أمر النبى صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم أو ابتداء كلام من الله تعالى نزه بها نفسه عن اشراكهم أو عن أشركائه الذين يشركونهم به ثم بين أن عبادة الاصنام بدعة وأن الناس يعنى العرب أو البشر كلهم كانوا على الدين الحق فاختلفوا وقد مر تفسير مثله فى سورة البقرة فى قوله كان الناس أمة واحدة والمقصود ههنا تقبيح صورة الشرك وعبادة الاصنام من دون الله فى أعينهم وتنفير طباعهم عن مثل هذا الامر المحدث الشنيع ولولا كلمة سبقت من ربك من بناء أمر الثواب والعقاب على التكليف لا على الالجاء والقسر أو من تأخير الحكم بينهم الى يوم القيامة أو من قوله سبقت رحمتى غضبى لقضى بينهم عاجلا ولم يبق من

البطال ثم ذكر نوعا رابعا من أغاليطهم فقال (ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه) وقد مر تفسيره في الانعام في قوله لولا أنزل عليه آية من ربه
كأنهم لم يعتدوا بالقرآن آية فاقترحوا غيره تعنتا فقل انما الغيب لله هو المختص بعلمه فانتظر وانزول ما اقترحتموه وهذا أمر فيه تهديد وعيد
والله ورسوله أعلم (واذا أذقنا الناس رحمة (٧٠) من بعد ضراء مستهم اذا لهم مكر في آياتنا قل الله أسرع مكرا ان رسلنا يكتبون
ما تمكرون هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا انهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين فلما أنجاهم اذا هم يبغون في الارض بغير الحق يا أيها الناس انما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا ثم الينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما يأكل الناس والانعام حتى اذا أخذت الارض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالامس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون والله يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون فكفى بالله شهيدا
بيننا وبينكم ان كنا عن عبادتكم لغافلين هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت وردوا الى الله مولاهم الحق وضل لواحد
عنهم ما كانوا يفترون) القراآت يمكرون بياء الغيبة سهل وروح الباقون بالتاء الفوقانية ينشركم بالنون ابن عامر ويزيد الباقون يسيركم من التسيير متاع بالنصب حفص والمفضل الباقون بالرفع قطعا بسكون الطاء ابن كثير وعلي وسهل ويعقوب والآخرون بفتحها تتلو بتاءين من

حسب لان التأويل ان قلت السوء فهو حسبك فلما لم تدخل الباء أدخلت في حسب بحسبك أن تقوم ان قمت فهو حسبك فان مدح ما بعد حسب أدخلت الباء فيما بعدها كقولك حسبك بزيد ولا يجوز بحسبك زيد لان زيدا الممدوح فليس بتأويل جزاء وأولى الاقوال في ذلك بالصواب ان يكون الجزاء مرفوعا باضمار بمعنى فلهم جزاء سيئة بمثلها لان الله قال في الآية التي قبلها للذين أحسنوا الحسنى وزيادة فوصف ما أعد لاوليائه ثم عقب ذلك بالخبر عما أعد الله لاعدائه فأشبه بالكلام ان يقال وللذين كسبوا السيئات جزاء سيئة واذا وجه ذلك الى هذا المعنى كانت الباء صلة للجزاء ۞ القول في تأويل قوله تعالى (كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) يقول تعالى ذكره كأنما ألبست وجوه هؤلاء الذين كسبوا السيئات قطعا من الليل وهي جمع قطعة وكان قتادة يقول في تأويل ذلك ما حدثنا به محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما قال ظلمة من الليل واختلفت القراء في قراءة قوله تعالى قطعا فقرأته عامة قراء الامصار قطعا بفتح الطاء على معنى جمع قطعة وعلى معنى ان تأويل ذلك كأنما أغشيت وجه كل انسان منهم قطعة من سواد الليل ثم جمع ذلك فقيل كأنما أغشيت وجوههم قطعا من سواد اذ جمع الوجه وقرأه بعض متأخري القراء قطعا بسكون الطاء بمعنى كأنما أغشيت وجوههم سوادا من الليل وبقية من الليل ساعة منه كما قال فاسر باهلك بقطع من الليل أي ببقية قد بقيت منه ويعتل لتصحيح قراءته ذلك كذلك انه في مصحف أبي ويغشى وجوههم قطع من الليل مظلم والقراءة التي لا يجوز خلافها عندي قراءة من قرأ ذلك بفتح الطاء لاجماع الحجة من قراء الامصار على تصويبها وشذوذ ما عداها وحسب الاخرى دلالة على فسادها خروج قارئها عما عليه قراء أهل الامصار والاسلام فان قال لنا قائل فان كان الصواب في قراءة ذلك ما قلت فما وجه تذكير المظلم وتوحيده وهو من نعت القطع والقطع جمع لمؤنث قيل في تذكيره ذلك وجهان أحدهما ان يكون قطعا من الليل وان يكون من نعت الليل فلما كان نكرة والليل معرفة نصب على القطع فيكون معنى الكلام حينئذ كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل المظلم ثم حذفت الالف واللام من المظلم فلما صار نكرة وهو من نعت الليل نصب على القطع وتسمي أهل البصرة ما كان كذلك حالا والكوفيون قطعا والوجه الآخر على نحو قول الشاعر لو ان مدحة حي منشر أحدا ✽ والوجه الآخر أحسن وجها وقوله أولئك أصحاب النار يقول هؤلاء الذين وصفت لك صفتهم أهل النار الذين هم أهلها هم فيها خالدون يقول هم فيها ماكثون ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون) يقول تعالى ذكره ويوم نجمع الخلق لموقف الحساب جميعا ثم نقول حينئذ للذين أشركوا بالله الآلهة والانداد مكانكم أي امكثوا مكانكم وقفوا في موضعكم أنتم أيها المشركون وشركاؤكم الذين كنتم تعبدونهم من دون الله من الآلهة والاوثان فزيلنا بينهم يقول ففرقنا بين المشركين بالله وما أشركوه به وبين غيره وأبنته منه وقال فزيلنا ارادة تكثير الفعل وتكريره ولم يقل فزلنا بينهم وقد ذكر عن بعضهم انه كان يقرأه فزايلنا بينهم كما قيل ولا تصاعر خدك ولا تصعر خدك والعرب تفعل ذلك كثيرا في فعلت يلحقون فيها أحيانا ألفا مكان التشديد فيقولون فاعلت اذا كان الفعل

التلاوة حمزة وعلى وخلف وروح و روى عن عاصم نبلو بالنون ثم الباء الموحدة كل نفس بالنصب الباقون بتاء التأنيث كل بالرفع * الوقوف آياتنا ط مكرا ط تمكرون ه والبحر ط فى الفلك ج ط للعدول مع ان جواب اذا منتظر احيط بهم ط لان قوله دعوا بدل من ظنوا لان دعاءهم من لوازم ظنهم الهلاك فهو ملتبس به وان جعل دعوا جوابا (٧١) عن سؤال سائل فما صنعوا كان لا للوقف وجه الدين ج لاحتمال اضمار القول وجعل الدعاء فى معنى القول الشاكرين ه بغير الحق ط على أنفسكم ط الا لمن جعله متعلقا بينبئكم تعملون ه والانعام ط عليها ج لان ما بعده جواب اذا بالامس ط يتفكرون ه السلام ط مستقيم ه وزيادة ط ولاذلة ط الجنة ج ط خالدون ه بمثلها ط لالان قوله وترهقهم معطوف على محذوف أى يلزمهم جزاء سيئة وترهقهم ذلة عاصم ج ط لان الكاف لا يتعلق بعاصم مع تعلقها بذلة قبله معنى لان رهق الذلة سواد الوجه المعبر عنه بقوله كانما اغطيت ط أصحاب النار ج ط خالدون ه شركاؤهم ج للعدول مع فاء التعقيب تعبدون لغافلين ه يفترون ه نصف الجزء * التفسير لما بين فى الآية المتقدمة انهم طالبون الآيات الزائدة عنادا ومكرا ولجاجا أكد ذلك بقوله واذا أذقنا روى انه سبحانه سلط القحط على أهل مكة سبع سنين ثم رحمهم وأنزل الامطار النافعة ثم انهم أضافوا تلك المنافع الى الاصنام وقيل نسبوها الى الانواء فقابلوا نعم الله بالكفران فذلك مكرهم وهو احتيالهم فى دفع آيات الله بكل ما يقدرون عليه من القاء شبهة وتخليط فى المناظرة وفى تخصيص الاذاقة بجانب الرحمة دليل على ان كثيرا من الرحمة قليل بالنسبة الى رحمته الواسعة وفيه أن الانسان لغاية ضعفه الفطرى لا يطيق أدنى لرحمة كما انه لا يطيق أدنى الالم الذى مسه قال فى الكشاف معنى مستهم خالطتهم حتى أحسوا بسوء أثرها فيهم وهذا أيضا من جملة الضعف انه ينسى ما عهده من الضر الشديد واذا الثانية للمفاجأة وقعت مقام الفاء فى جواب الشرط كما مر فى قوله اذا هم يقنطون وفائدتها بيان تعلقهم فاجؤا وقوع المكر منهم فى وقت الاذاقة وسارعوا اليه ولم يتلبثوا ريثما يتمضمضون من غصة الضراء

لواحد وأما اذا كان لاثنين فلا تكاد تقول الافاعلت وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون وذلك حين تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب لما قيل للمشركين اتبعوا ما كنتم تعبدون من دون الله ونصبت لهم آلهتهم قالوا كنا نعبد هؤلاء فقالت الآلهة لهم ما كنتم ايانا تعبدون كما حدثت عن مسلم بن خالد عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال يكون يوم القيامة ساعة فيها شدة تنصب لهم الآلهة التى كانوا يعبدون فيقال هؤلاء الذين كنتم تعبدون من دون الله فتقول الآلهة والله ما كنا نسمع ولا نبصر ولا نعقل ولا نعلم انكم كنتم تعبدوننا فيقولون والله لاياكم كنا نعبد فتقول لهم الآلهة فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم ان كنا عن عبادتكم لغافلين حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم قال فرقنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون قالوا بلى قد كنا نعبدكم فقالوا كفى بالله شهيدا بيننا وبينكم ان كنا عن عبادتكم لغافلين ما كنا نسمع ولا نبصر ولا نتكلم فقال الله هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت الآية وروى عن مجاهد انه كان يتأول الحشر فى هذا الوضع الموت حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن الاعمش قال سمعتهم يذكرون عن مجاهد فى قوله ويوم نحشرهم جميعا قال الحشر الموت والذى قلنا فى ذلك أولى بتأويله لان الله تعالى ذكره أخبر انه يقول يومئذ للذين أشركوا ما ذكر انه يقول لهم ومعلوم ان ذلك غير كائن فى القبر وانه انما هو خبر عما يقال لهم ويقولون فى الموقف بعد البعث ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم ان كنا عن عبادتكم لغافلين) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل شركاء المشركين من الآلهة والاوثان لهم يوم القيامة اذ قال المشركون بالله لها اياكم كنا نعبد كفى بالله شهيدا بيننا وبينكم أى انها تقول حسبنا الله شاهدا بيننا وبينكم أيها المشركون فانه قد علم انا ما علمنا ما تقولون انا كنا عن عبادتكم لغافلين يقول ما كنا عن عبادتكم ايانا دون الله الا غافلين لا نشعر به ولا نعلم كما حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ان كنا عن عبادتكم لغافلين قال كل شئ يعبد من دون الله حدثنى المثنى قال ثنى اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد ان كنا عن عبادتكم لغافلين قال يقول ذلك كل شئ كان يعبد من دون الله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت وردوا الى الله مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون) اختلفت القراء فى قراءة قوله هنالك تبلو كل نفس بالباء بمعنى عند ذلك تختبر كل نفس بما قدمت من خير أو شر وكان ممن يقرؤه ويتأوله كذلك مجاهد حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت قال تختبر حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقرأ ذلك جماعة من أهل الكوفة وبعض أهل الحجاز تتلوا كل نفس ما أسلفت بالتاء واختلف قارئو ذلك كذلك فى تأويله فقال بعضهم معناه وتأويله هنالك تتبع كل نفس ما قدمت فى الدنيا لذلك اليوم وروى بنحو ذلك خبر عن النبى صلى الله عليه وسلم من وجه وسند غير مرتضى انه قال يمثل لكل قوم ما كانوا يعبدون من دون الله يوم القيامة فيتبعونهم حتى يوردوهم النار قال ثم تلا رسول الله

صلى الله عليه وسلم هذه الآية هنالك تتلو كل نفس ما أسلفت وقال بعضهم بل معناه تتلو كتاب حسناته وسيئاته يعني تقرأ كما قال جل ثناؤه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا وقال آخرون تبلوا تعاين ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله هنالك تبلوا كل نفس ما أسلفت قال ما عملت تبلوا تعاينه * والصواب من القول في ذلك أن يقال انهما قراءتان مشهورتان قد قرأ بكل واحدة منهما أئمة من القراء وهما متقاربتا المعنى وذلك أن من تبع في الآخرة ما أسلف من العمل في الدنيا هجم به على مورده فيخبر هنالك ما أسلف من صالح أو سيئ في الدنيا وان من خبر ما أسلف في الدنيا من أعماله في الآخرة فانما يخبر بعد مصيره الى حيث أحله ما قدم في الدنيا من عمله فهو في كلتا الحالتين متبع ما أسلف من عمله مختبر له فبأيتهما قرأ القارئ كما وصفنا فمصيب الصواب في ذلك وأما قوله وردوا الى الله مولاهم الحق فانه يقول ورجع هؤلاء المشركون يومئذ الى الله الذي هو ربهم ومالكهم الحق لا شك فيه دون ما كانوا يزعمون أنهم لهم أرباب من الآلهة والانداد وضل عنهم ما كانوا يفترون يقول وبطل عنهم ما كانوا يتخرصون من الفرية والكذب على الله بدعواهم أوثانهم أنهم لله شركاء وأنها تقربهم منه زلفى كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وردوا الى الله مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون قال ما كانوا يدعون معه من الانداد والآلهة ما كانوا يفترون الآلهة وذلك أنهم جعلوها أندادا وآلهة مع الله افتراء وكذبا ۞ القول في تأويل قوله تعالى (قل من يرزقكم من السماء والارض أمن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله الاوثان والاصنام من يرزقكم من السماء الغيث والقطر ويطلع لكم شمسها ويغطش ليلها ويخرج ضحاها ومن الارض أقواتكم وغذاءكم الذي ينبته لكم وثمار أشجارها أمن يملك السمع والابصار يقول أم من ذا الذي يملك أسماعكم وأبصاركم التي تسمعون بها أن يزيد في قواها أو يسلبكموها فيجعلكم صما وأبصاركم التي تبصرون بها أن يضيئها لكم وينيرها أو يذهب بنورها فيجعلكم عميا لا تبصرون ومن يخرج الحي من الميت يقول ومن يخرج الشئ الحي من الميت ويخرج الميت من الحي يقول ويخرج الشئ الميت من الحي وقد ذكرنا اختلاف المختلفين من أهل التأويل والصواب من القول عندنا في ذلك بالادلة الدالة على صحته في سورة آل عمران بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع ومن يدبر الامر وقل لهم من يدبر أمر السماء والارض وما فيهن وأمركم وأمر الخلق فسيقولون الله يقول جل ثناؤه فسوف يجيبونك بأن يقولوا الذي يفعل ذلك كله الله فقل أفلا تتقون يقول أفلا تخافون عقاب الله على شرككم وادعائكم ربا غير من هذه الصفة صفته وعبادتكم معه من لا يرزقكم شيأ ولا يملك لكم ضرا ولا نفعا ولا يفعل فعلا ۞ القول في تأويل قوله تعالى (فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال فأنى تصرفون) يقول تعالى ذكره لخلقه أيها الناس فهذا الذي يفعل هذه الافعال فيرزقكم من السماء والارض ويملك السمع والابصار ويخرج الحي من الميت والميت من الحي ويدبر الامر الله ربكم الحق لا شك فيه فماذا بعد الحق الا الضلال يقول فأي شئ سوى الحق الا الضلال وهو الجور عن قصد السبيل يقول فاذا كان الحق هو ذا فادعاؤكم غيره الها وربا هو الضلال والذهاب عن الحق لا شك فيه فأنى تصرفون

الضر ولهذا قال سبحانه قل الله أسرع مكرا يقدر على ايصال جزاء مكرهم اليهم قبل أن يرتد اليهم طرفهم ولكنه يمهلهم لاجل معلوم ليتضاعف خبثهم مع كونه محفوظا بيانه قوله ان رسلنا يكتبون ما تمكرون وقد مر تحقيق هذا في تفسير قوله ويرسل عليكم حفظة واعلم ان مضمون هذه الآية قريب من مضمون قوله واذا مس (٧٢) الانسان الضر الا ان هذه زائدة عليها بدقيقة هي انهم بعد الاعراض عن الدعاء يطلبون الغوائل ويقابلون الرحمة بالمكر والخديعة ولا يرضون رأسا برأس ثم ضرب لاجل ما وصفهم به مثالا حتى ينكشف المقصود تمام الانكشاف فقال هو الذي يسيركم ومن قرأ ينشركم فكقوله فانتشروا في الارض قال بعض العلماء المسير في البحر هو الله سبحانه وتعالى وأما في البر فالمراد من التسيير التمكين والاقدار والحق ان جميع الافعال والحركات مستندة الى احداث الله تعالى غاية ذلك ان آثار اقداره واحداثه في البحر أظهر كما مر في تفسير قوله والفلك التي تجري في البحر قال القفال هو الله الهادي لكم الى السير في البحر طلبا للمعاش وهو المسير لكم لاجل انه هيأ لكم أسباب ذلك السير وحتى لانتهاء الغاية والغاية مضمون الجملة الشرطية بكمالها فالقيود المعتبرة في الشرط ثلاثة أولها الكون في الفلك وثانيها جري الفلك بهم بالريح الطيبة والضمير في جرين للفلك على انه جمع كما مر وثالثها فرحهم بها والقيود المعتبرة في الجزاء ثلاثة أيضا أولها جاءتها أي الفلك أو الريح الطيبة للتهاريح عاصف ذات عصوف كلابن لذات اللبن أو لان لفظ الريح مذكر والعصوف شدة هبوب الريح وثانيها وجاءهم الموج من كل مكان أي من جميع جوانب احيازالفلك والموج ما ارتفع من الماء فوق البحر وثالثها وظنوا انهم أحيط بهم أي غلب على ظنونهم الهلاك وأصله ان العدو اذا أحاط بقوم أو بلد فقد دنوا من البوار فجعل يقول

احاطة العدو بالشخص مثلا في الهلاك وقرئ في الفلكي والياء زائدة كما في الاحمري أو أريد به الماء الغمر الذي لا تجري الفلك الا فيه قال في الكشاف وانما التفت في قوله وجرين بهم الى آخره من الخطاب الى الغيبة للمبالغة كانه يذكر لغيرهم حالهم لتعجيبهم منها ويستدعي منهم

يقول فاى وجه عن الهدى والحق تصرفون وسواهما تسلكون وأنتم مقرون بان الذى تصرفون عنه هو الحق ❁ القول فى تأويل قوله تعالى (كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا انهم لا يؤمنون) يقول تعالى ذكره كما قد صرف هؤلاء المشركون عن الحق الى الضلال كذلك حقت كلمة ربك يقول وجب عليهم قضاؤه وحكمه فى السابق من علمه على الذين فسقوا فخرجوا من طاعة ربهم الى معصيته وكفروا به انهم لا يؤمنون يقول لا يصدقون بوحدانية الله ولا بنبوة نبيه صلى الله عليه وسلم ❁ القول فى تأويل قوله تعالى (قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فانى تؤفكون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد هل من شركائكم يعنى من الآلهة والاوثان من يبدأ الخلق ثم يعيده يقول من ينشئ خلق شئ من غير أصل فيحدث خلقه ابتداء ثم يعيده يقول ثم يفنيه بعد انشائه ثم يعيده كهيئته قبل ان يفنيه فانهم لا يقدرون على دعوى ذلك لها وفى ذلك الحجة القاطعة والدلالة الواضحة على أنهم فى دعواهم انها أرباب وهم لله فى العبادة شركاء كاذبون مفترون فقل لهم حينئذ يا محمد الله يبدأ الخلق فينشئه من غير شئ ويحدثه من غير أصل ثم يفنيه اذا شاء ثم يعيده اذا أراد كهيئته قبل الفناء فانى تؤفكون يقول فاى وجه عن قصد السبيل وطريق الرشد تصرفون وتقلبون كما حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن فانى تؤفكون قال انى تصرفون وقد بينا اختلاف المختلفين فى تأويل قوله أنى تؤفكون والصواب من القول فى ذلك عندنا بشواهده فى سورة الانعام ❁ القول فى تأويل قوله تعالى (قل هل من شركائكم من يهدى الى الحق قل الله يهدى للحق أفمن يهدى الى الحق أحق ان يتبع أمن لا يهدى الا ان يهدى فما لكم كيف تحكمون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المشركين هل من شركائكم الذين تدعون من دون الله وذلك آلهتهم وأوثانهم من يهدى الى الحق يقول من يرشد ضالا من ضلالته الى قصد السبيل ويسدد حائرا عن الهدى الى واضح الطريق المستقيم فانهم لا يقدرون ان يدعوا ان آلهتهم وأوثانهم ترشد ضالا أو تهدى حائرا وذلك انهم ان ادعوا ذلك لها أكذبتهم المشاهدة وأبان عجزها عن ذلك الاختبار بالمعاينة فاذا قالوا لا وأقروا بذلك فقل لهم فالله يهدى الضال عن الهدى الى الحق أفمن يهدى أيها القوم ضالا الى الحق وحائرا عن الرشد الى الرشد أحق أن يتبع الى ما يدعو اليه أم من لا يهدى الا أن يهدى واختلف القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل المدينة أم من لا يهدى بتسكين الهاء وتشديد الدال فجمعوا بين ساكنين وكأن الذى دعاهم الى ذلك انهم وجهوا أصل الكلمة الى انه أم من لا يهتدى ووجدوه فى خط المصحف بغير ما قرؤا وان التاء حذفت لما أدغمت فى الدال فاقروا الهاء ساكنة على أصلها الذى كانت عليه وشددوا الدال طلبا لادغام التاء فيها فاجتمع بذلك سكون الهاء والدال وكذلك فعلوا فى قوله وقلنا لهم لا تعدوا فى السبت وفى قوله يخصمون وقرأ ذلك بعض قراء أهل مكة والشام والبصرة يهدى بفتح الهاء وتشديد الدال وأموا ما أمه المدنيون من الكلمة غير انهم نقلوا حركة التاء من يهتدى الى الهاء الساكنة فحركوا بحركتها وادغموا التاء فى الدال فشددوها وقرأ ذلك بعض قراء الكوفة يهدى بفتح الياء وكسر الهاء وتشديد الدال بنحو ما قصده قراء أهل المدينة غير انه كسر الهاء لكسرة الدال من يهتدى استثقالا للفتحة بعدها كسرة فى حرف واحد وقرأ ذلك بعض عامة قراء الكوفيين أم من لا يهدى بتسكين الهاء وتخفيف الدال وقالوا ان العرب تقول

الاسجار والتقبيح وقال الامام فخر الدين الرازى الانتقال من مقام الخطاب الى مقام الغيبة فى هذه الآية دليل المقت والتبعيد كما ان عكس ذلك فى قوله اياك نعبد دليل الرضا والتقريب قلت هذا وجه حسن اما قوله دعوا الله مخلصين فقد قال ابن عباس تركوا الشرك ولم يشركوا به من آلهتهم شيأ وأقروا لله بالربوبية والوحدانية وقال الحسن ليس هذا الاخلاص الايمان لكن لاجل العلم بانه لا ينجيهم من ذلك الا الله فيكون ذلك جاريا مجرى الايمان الاضطرارى وقال ابن زيد هؤلاء المشركون يدعون مع الله ما يدعون فاذا جاء الضر والالم لم يدعوا الا الله وعن أبى عبيدة ان المراد من ذلك الدعاء قولهم اهيا شراهيا تفسيره ياحى ياقيوم يحكى ان رجلا قال لجعفر الصادق رضى الله عنه ما الدليل على اثبات الصانع فقال أخبرنى عن حرفتك فقال التجارة فى البحر قال صف لى كيف حالك فقال ركبت البحر فانكسرت السفينة وبقيت على لوح من ألواحها وجاءت الرياح العاصفة فقال جعفر الصادق رضى الله عنه هل وجدت فى قلبك تضرعا فقال نعم قال جعفر فالهك هو الذى تضرعت اليه فى ذلك الوقت لئن أنجيتنا من هذه الشدة كما مر فى الانعام يبغون فى الارض بغير الحق البغى قصد الاستعلاء بالظلم من قولك بغى الجرح اذا ترامى الى الفساد وأصله الطلب فلهذا أكد المعنى بقوله بغير الحق قال فى الكشاف انما زاد هذا القيد احترازا من استيلاء المسلمين على أرض الكفرة بهدم دورهم واحراق زروعهم كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ببنى قريظة قلت ويحتمل ان يراد بغير شبهة حق عندهم كقوله ويقتلون النبيين بغير الحق من قرأ متاع بالنصب فما قبله جملة تامة أى انما بغيكم وباله على أنفسكم وهو مصدر مؤكد كأنه قيل يتمتعون متاع الحياة الدنيا ومن قرأ بالرفع فاما على ان التقدير هو متاع الدنيا بعد تمام الكلام أو على انه خبر وقوله على أنفسكم صلة أى انما بغيكم على أمثالكم والذين جنسهم جنسكم بغى بعضكم على بعض منفعة الحياة الدنيا لا بقاء لها والبغى من منكرات المعاصى قال صلى الله عليه وسلم أسرع الخير ثوابا صلة الرحم وأعجل الشر عقابا البغى واليمين

الفاخرة وروى اثنتان يعجلهما الله فى الدنيا البغى وعقوق الوالدين وعن محمد بن كعب ثلاث من كن فيه كن عليه البغى والنكث والمكر قال تعالى انما بغيكم على أنفسكم أى لا يتهيأ لكم بغى بعضكم على بعض الا أياما قلائل وهى مدة حياتكم مع قصرها وسرعة انقضائها ثم الى ما وعدنا من المجازاة مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون (٧٤) وهو فى هذا الموضع وعيد بالعقاب كقول الرجل فى معرض التهديد سأخبرك بما فعلت ثم ذكر مثلا لمن يبغى فى الارض ويغتر بالدنيا ويشتد تمسكه بها فقال انما مثل الحياة الدنيا أى صفتها العجيبة الشأن كماء أنزلناه من السماء فاختلط به أى اشتبك بسبب هذا الماء نبات الارض فيحتمل ان يراد ان نباته ثم وصوله الى حد الكمال كلاهما بسبب المطر ويحتمل ان يراد ان النبات كان فى أول بروزه ومبدأ حدوثه غير مهتز ولا مترعرع فاذا نزل المطر عليه اهتز وربا حتى اختلط بعض الانواع ببعض وتكاثف حتى اذا أخذت الارض زخرفها قال الجوهرى الزخرف الذهب ثم يشبه به كل مموه مزور وازينت أصله تزينت فادغم واجتلبت لذلك همزة الوصل وهذا كلام فى نهاية الفصاحة وفيه تشبيه الارض بالعروس التى تاخذ الثياب الفاخرة من كل لون فتلبسها ثم تزين بجميع الاقسام المعهودة لها من حمرة وبياض ونحوها وظن أهلها أى غلب على ظنونهم أو تيقنوا انهم قادرون عليها متمكنون من تحصيل ريعها أتاها أمرنا باهلاكها واستئصالها وضربها ببعض العاهات ليلا أو نهارا أى حين غفلتهم بالنوم أو حين اشتغالهم وتقلبهم فى طلب معايشهم فجعلناها أى زرعها حصيدا شبيها بما يحصد من الزرع فى قطعه واستئصاله كأن لم تغن أى كأن الشأن لم يلبث زرعها بالامس أى فى زمان قريب يقال غنى بالمكان بالكسر يغنى بالفتح اذا أقام به والامس مثل فى الوقت القريب هذا والصحيح عند علماء البيان ان هذا التشبيه من التشبيه المركب قال فى الكشاف شبهت حال الدنيا فى سرعة تقضيها وانقراض نعيمها بحال نبات الارض فى جفافه وذهابه حطاما بعدما التف وتكاثف وزين الارض بخضرته ورفيفه وقيل المراد ان عاقبة هذه الحياة التى ينفقها المرء

وقد

هديت بمعنى اهتديت قالوا فمعنى قوله أم من لا يهدى أم من لا يهتدى الا أن يهدى * وأولى القراءة فى ذلك بالصواب قراءة من قرأ أم من لا يهدى بفتح الياء وتشديد الدال لما وصفنا من العلة لقارئ ذلك كذلك وان ذلك لا يدفع صحته ذو علم بكلام العرب وفيهم المنكر غيره وأحق الكلام ان يقرأ بأفصح اللغات التى نزل بها كلام الله تبارك وتعالى فتأويل الكلام اذا أفمن يهدى الى الحق أحق ان يتبع أم من لا يهتدى الى شئ الا ان يهدى فكان بعض أهل التأويل يزعم ان معنى ذلك أم من لا يقدر ان ينتقل عن مكانه الا ان ينقل وكان مجاهد يقول فى تأويل ذلك ما حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أفمن يهدى الى الحق أحق ان يتبع أم من لا يهدى الى ان يهدى قال الاوثان الله يهدى منها ومن غيرها من شاء لما شاء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله أمن لا يهدى الا ان يهدى قال قال الوثن وقوله فما لكم كيف تحكمون الا يعلمون ان من يهدى الى الحق أحق ان يتبع من الذى لا يهتدى الى شئ الا ان يهديه اليه هاد غيره فتتركوا اتباع من لا يهتدى الى شئ وعبادته وتتبعوا من يهديكم فى ظلمات البر والبحر وتخلصوا له العبادة فتفردوه بها وحده دون ما تشركون فيها من آلهتكم وأوثانكم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وما يتبع أكثرهم الا ظنا ان الظن لا يغنى من الحق شيأ ان الله عليم بما يفعلون) يقول تعالى ذكره وما يتبع أكثر هؤلاء المشركين الا ظنا يقول الا ما لا علم لهم بحقيقته وصحته بل هم منه فى شك وريبة ان الظن لا يغنى من الحق شيأ يقول ان الشك لا يغنى من اليقين شيأ ولا يقوم فى شئ مقامه ولا ينتفع به حيث يحتاج الى اليقين ان الله عليم بما يفعلون يقول تعالى ذكره ان الله ذو علم بما يفعل هؤلاء المشركون من اتباعهم الظن وتكذيبهم الحق اليقين وهو لهم بالمرصاد حيث لا يغنى عنهم ظنهم من الله شيأ ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين) يقول تعالى ذكره ما ينبغى لهذا القرآن ان يفترى من دون الله يقول ما ينبغى له ان يتخرصه أحد من عند غير الله وذلك نظير قوله وما كان لنبى ان يغل بمعنى ما ينبغى لنبى ان يغله أصحابه وانما هذا خبر من الله جل ثناؤه ان هذا القرآن من عنده أنزله الى محمد عبده وتكذيب منه للمشركين الذين قالوا هو شعر وكهانة والذين قالوا انما يتعلمه محمد من يحنس الرومى يقول لهم جل ثناؤه ما كان هذا القرآن ليختلقه أحد من عند غير الله لان ذلك لا يقدر عليه أحد من الخلق ولكن تصديق الذى بين يديه يقول تعالى ذكره ولكنه من عند الله أنزله مصدقا لما بين يديه أى لما قبله من الكتب التى نزلت على أنبياء الله كالتوراة والانجيل وغيرهما من كتب الله التى أنزلها على أنبيائه وتفصيل الكتاب يقول وتبيان الكتاب الذى كتبه الله على أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وفرائضه التى فرضها عليهم فى السابق من علمه لا ريب فيه يقول لا شك فيه أنه تصديق الذى بين يديه من الكتاب وتفصيل الكتاب من عند رب العالمين لا افتراء من عند غيره ولا اختلاق ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين) يقول تعالى ذكره أم يقول هؤلاء المشركون افترى محمد هذا القرآن من نفسه فاختلقه وافتعله قل يا محمد لهم ان كان كما تقولون انى اختلقته وافتريته فانكم مثلى من العرب ولسانى مثل لسانكم وكلامى مثل كلامكم فجيؤا بسورة مثل هذا القرآن والهاء فى قوله مثله كناية عن القرآن

وقد كان بعض نحوى البصرة يقول معنى ذلك قل فاتوا بسورة مثل سورته ثم ألقيت سورة وأضيف المثل الى ما كان مضافا اليه السورة كما قيل واسئل القرية يراد به واسأل أهل القرية وكان بعضهم ينكر ذلك من قوله ويزعم ان معناه فاتوا بقرآن مثل هذا القرآن والصواب من القول فى ذلك عندى ان السورة انما هى سورة من القرآن وهى قرآن وان لم يكن جميع القرآن فقيل لهم فاتوا بسورة مثله ولم يقل مثلها لان الكناية أخرجت على المعنى أعنى معنى السورة لا على لفظها لانها لو أخرجت على لفظها لقيل فاتوا بسورة مثلها وادعوا من استطعتم من دون الله يقول وادعوا أيها المشركون على ان تاتوا بسورة مثلها من قدرتم ان تدعوا على ذلك من أوليائكم وشركائكم من دون الله يقول من عند غير الله فاجمعوا على ذلك واجتهدوا فانكم لا تستطيعون ان تاتوا بسورة مثله أبدا وقوله ان كنتم صادقين يقول ان كنتم صادقين فى أن محمدا افتراه فاتوا بسورة مثله من جميع من يعينكم على الاتيان بها فان لم تفعلوا ذلك فلا شك انكم كذبة فى زعمكم ان محمدا افتراه لان محمدا لن يعدو ان يكون بشرا امثالكم فاذا عجز الجميع من الخلق ان ياتوا بسورة مثله فالواحد منكم عن ان ياتى بجميعه أعجز ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما ياتهم تاويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) يقول تعالى ذكره ما بهؤلاء المشركين يا محمد تكذيبك ولكن بهم التكذيب بما لم يحيطوا بعلمه مما أنزل الله عليك فى هذا القرآن من وعيدهم على كفرهم بربهم ولما ياتهم تاويله يقول ولما ياتهم بعد بيان ما يؤول اليه ذلك الوعيد الذى توعدهم الله فى هذا القرآن كذلك كذب الذين من قبلهم يقول تعالى ذكره كما كذب هؤلاء المشركون يا محمد بوعيد الله كذلك كذب الامم التى خلت قبلهم بوعيد الله اياهم على تكذيبهم رسلهم وكفرهم بربهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فانظر يا محمد كيف كان عقبى كفر من كفر بالله ألم نهلك بعضهم بالرجفة وبعضهم بالخسف وبعضهم بالغرق يقول فان عاقبة هؤلاء الذين يكذبونك ويجحدون بآياتى من كفار قومك كالتى كانت عاقبة من قبلهم من كفرة الامم ان لم ينيبوا من كفرهم ويسارعوا الى التوبة ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك أعلم بالمفسدين) يقول تعالى ذكره ومن قومك يا محمد من قريش من سوف يؤمن به يقول من سوف يصدق بالقرآن ويقر أنه من عند الله ومنهم من لا يؤمن به أبدا يقول ومنهم من لا يصدق به ولا يقر أبدا وربك أعلم بالمفسدين يقول والله أعلم بالمكذبين به منهم الذين لا يصدقون به أبدا من كل أحد لا يخفى عليه وهو من وراء عقابه فاما من كتب له انه يؤمن به منهم فانى ساتوب عليه ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (وان كذبوك فقل لى عملى ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وانا برىء مما تعملون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم وان كذبك يا محمد هؤلاء المشركون وردوا عليك ما جئتهم به من عند ربك فقل لهم أيها القوم لى دينى وعملى ولكم دينكم وعملكم لا يضرنى عملكم ولا يضركم عملى وانما يجازى كل عامل بعمله أنتم بريئون مما أعمل لا تؤخذون بجريرته وأنا برىء مما تعملون لا أؤاخذ بجريرة عملكم وهذا كما قال جل ثناؤه قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد وقيل ان هذه الآية منسوخة نسخها الجهاد والامر بالقتال ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وان كذبوك فقل لى عملى ولكم عملكم الآية قال أمره بهذا

فى باب الدنيا كعاقبة هذا النبات الذى حين عظم الرجاء به وقع اليأس منه لان الغالب ان المتمسك بالدنيا اذا اطمأن بها عظمت رغبته فيها وانتظم أمره بعض الانتظام أتاه الموت وتخيبه انه كما لم يحصل لذلك الزرع عاقبة تحمد فكذلك المغتر بالدنيا المحب لها لا يحصل له عاقبة تحمد ويحتمل ان يكون هذا مثلا لمن لا يؤمن بالمعاد فان الارض المزينة اذا زال حسنها فانه يعود ورونقها مرة أخرى فكذا النشور كذلك نفصل الآيات نذكر واحدة منها بعد الاخرى لتكون كثرتها وتواليها سببا لقوة اليقين وموجبا لزوال الشك لقوم يتفكرون فى أحوال الآفاق والانفس ثم لما نفر المكلفين عن الميل الى الدنيا بالمثل السابق رغبهم فى الآخرة بقوله والله يدعو الى دار السلام ومثله ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال سيد بنى دارا ووضع مائدة وأرسل داعيا فمن أجاب الداعى دخل الدار وأكل ورضى عنه السيد ومن لم يجب لم يدخل ولم يأكل ولم يرض عنه السيد فالله السيد والدار دار السلام والمائدة الجنة والداعى محمد صلى الله عليه وسلم وعنه صلى الله عليه وسلم ما من يوم طلع فيه الشمس الا وبجنبيها ملكان يناديان بحيث يسمع كل الخلائق الا الثقلين أيها الناس هلموا الى ربكم والله يدعوا الى دار السلام واتفقوا على ان دار السلام هو الجنة واختلفوا فى سبب التسمية فقيل لان السلام هو الله والجنة داره فالاضافة للتشريف وانما أطلق اسم السلام عليه تعالى لانه سلم من الفناء والتغير ومن جميع سمات النقص والحدوث ومن الظلم والعجز والجهل وهو القادر على تخليص المضطرين عن المكاره والآفات وكفى بدار أضافها الله تعالى لنفسه فضلا وشرفا وبهجة وسرورا وقيل سميت دار السلام لان من دخلها سلم من الآفات والمخافات وقيل نفشوا السلام بينهم تحيتهم فيها سلام والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم سلام قولا من رب رحيم واعلم ان الدعوة عامة ولكن الهداية خاصة فلذلك قال ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم ومن هنا ذهب أهل السنة الى ان الهداية والضلالة والخير والشر كلها بمشيئة الله تعالى وارادته وقالت المعتزلة المراد ويهدى من يشاء اجابة تلك الدعوة ويعفون ان من أجاب الدعاء

ثم نسخه وأمره بجهادهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ومنهم من يستمعون اليك أفانت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ومن هؤلاء المشركين من يستمعون الى قولك أفانت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون يقول أفانت تخلق لهم السمع ولو كانوا لا سمع لهم يعقلون به ام أنا وانما هذا اعلام من الله عباده ان التوفيق للايمان به بيده لا الى أحد سواه يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم كما انك لا تقدر ان تسمع يا محمد من سلبته السمع فكذلك لا تقدر ان تفهم أمرى ونهيى قلبا سلبته فهم ذلك لانى ختمت عليه انه لا يؤمن ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (ومنهم من ينظر اليك أفانت تهدى العمى ولو كانوا لا يبصرون) يقول تعالى ذكره ومن هؤلاء المشركين مشركى قومك من ينظر اليك يا محمد ويرى اعلامك وحججك على نبوتك ولكن الله قد سلبه التوفيق فلا يهتدى ولا تقدر ان تهديه كما لا تقدر ان تحدث للاعمى بصرا يهتدى به أفانت تهدى العمى ولو كانوا لا يبصرون يقول أفانت يا محمد تحدث لهؤلاء الذين ينظرون اليك والى أدلتك وحججك فلا يوفقون للتصديق بك أبصارا لو كانوا عميا يهتدون بها ويبصرون فكما أنك لا تطيق ذلك ولا تقدر عليه ولا غيرك ولا يقدر عليه أحد سواى فكذلك لا تقدر على ان تبصرهم سبيل الرشاد أنت ولا أحد غيرى لان ذلك بيدى والى وهذا من الله تعالى ذكره تسلية لنبيه صلى الله عليه وسلم عن جماعة ممن كفر به من قومه وأدبر عنه فكذب وتعزية له عنهم وأمر برفع طمعه من انابتهم الى الايمان بالله ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (ان الله لا يظلم الناس شيأ ولكن الناس أنفسهم يظلمون) يقول تعالى ذكره ان الله لا يفعل بخلقه مالا يستحقون منه لا يعاقبهم الا بمعصيتهم اياه ولا يعذبهم الا بكفرهم به ولكن الناس يقول ولكن الناس هم الذين يظلمون أنفسهم باجترامهم ما يورثها غضب الله وسخطه وانما هذا اعلام من الله تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم والمؤمنين انه لم يسلب هؤلاء الذين اخبر جل ثناؤه عنهم انهم لا يؤمنون الايمان ابتداء منه بغير جرم سلف منهم واخبار انه انما سلبهم ذلك باستحقاق منهم سلبه لذنوب اكتسبوها فحق عليهم قول ربهم وطبع على قلوبهم ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (ويوم نحشرهم كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار يتعارفون بينهم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين) يقول تعالى ذكره ويوم نحشر هؤلاء المشركين فنجمعهم فى موقف الحساب كانهم كانوا قبل ذلك لم يلبثوا الا ساعة من نهار يتعارفون فيما بينهم ثم انقطعت المعرفة وانقضت تلك الساعة يقول الله قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين قد غبن الذين جحدوا ثواب الله وعقابه حظوظهم من الخير وهلكوا وما كانوا مهتدين يقول وما كانوا موفقين لاصابة الرشد مما فعلوا من تكذيبهم بلقاء الله لانه أكسبهم ذلك مالا قبل لهم من عذاب الله ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (واما نرينك بعض الذى نعدهم أو نتوفينك فالينا مرجعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون) يقول تعالى ذكره واما نرينك يا محمد فى حياتك بعض الذى نعد هؤلاء المشركين من قومك من العذاب أو نتوفينك قبل ان نريك ذلك فيهم فالينا مرجعهم يقول فمصيرهم بكل حال الينا ومنقلبهم ثم الله شهيد على ما يفعلون يقول جل ثناؤه ثم أنا شاهد على أفعالهم التى كانوا يفعلونها فى الدنيا وأنا عالم بها لا يخفى على شئ منها وأنا مجازيهم بها عند مصيرهم الى ومرجعهم جزاءهم الذى يستحقونه كما حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد واما نرينك بعض الذى نعدهم من العذاب فى حياتك أو نتوفينك

وأطاع واتقى فان الله يهديه اليها والمراد من الهداية الالطاف ثم قسم أهل الدعوة الى قسمين وبين حال كل طائفة فقال للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولابد من تفسير هذه الالفاظ الثلاثة فعن ابن عباس أحسنوا أى ذكروا كلمة لا اله الا الله وذهب غيره الى ان المراد اتيان الطاعات واجتناب المنهيات لان الدرجات العالية لا تليق الا بهم وأما الحسنى فقال فى الكشاف المراد المثوبة الحسنى وقال ابن الانبارى العرب توقع هذه اللفظة على الخلة المحبوبة والخصلة المرغوب فيها ولذلك ترك موصوفها وأما الزيادة فحملها أهل السنة على رؤية الله لان اللام فى الحسنى للمعهود بين المسلمين من المنافع التى أعدها الله تعالى لعباده فالزيادة عليها تكون مغايرة لها فما هى الا الرؤية وقالت المعتزلة الزيادة يجب ان تكون من جنس المزيد عليه ورؤية الله تعالى بعد تسليم جوازها ليست من جنس نعيم الجنة فالمراد بها ما يزيد على المثوبة من التفضل كقوله ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله وزيف بان الزيادة اذا كان المزيد عليه مقدرا بمقدار معين وجب ان يكون من جنسه كما لو قال الرجل لغيره أعطيتك عشرة أمنان من الحنطة وزيادة اما اذا كان غير مقدر كما لو قال أعطيتك الحنطة وزيادة لم يجب ان تكون الزيادة من جنس المزيد عليه والمذكورة فى الآية لفظة الحسنى وهى الجنة وانها مطلقة فالزيادة عليها شئ مغاير لكل ما فى الجنة وعن على عليه السلام الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة وعن ابن عباس الحسنى الجنة والزيادة عشر أمثالها الى سبعمائة ضعف وعن مجاهد مغفرة من الله ورضوان وعن يزيد بن شجرة هى ان تمر السحابة باهل الجنة فتقول ما تريدون ان أمطركم فلا يريدون شيأ الا أمطرتهم هذا شأن المنافع الحاصلة لهم وأما انها منافع خالصة عن الكدورات فأفاد ذلك بقوله ولا يرهق أى لا يغشى وجوههم قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة ولا أثر هوان وكسوف بال ثم أشار الى كون تلك المنافع الخالصة آمنة من الانقطاع بقوله أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون وهذا معنى قول علماء الاصول الثواب منفعة خالصة دائمة مقرونة بالتعظيم ثم بين حال الفريق الآخر

قبل فالينا مرجعهم **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد نحوه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله ۞ القول في تاويل قوله تعالى (ولكل أمة رسول فاذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون) يقول تعالى ذكره ولكل أمة خلت قبلكم أيها الناس رسول أرسلته اليهم كما أرسلت محمدا اليكم يدعون من أرسلتهم اليهم الى دين الله وطاعته فاذا جاء رسولهم يعني في الآخرة كما **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ولكل أمة رسول فاذا جاء رسولهم قال يوم القيامة وقوله قضي بينهم بالقسط يقول قضي حينئذ بينهم بالعدل وهم لا يظلمون من جزاء أعمالهم شيأ ولكن يجازي المحسن باحسانه والمسيء من أهل الايمان اما أن يعاقبه الله واما ان يعفو عنه والكافر يخلد في النار فذلك قضاء الله بينهم بالعدل وذلك لا شك عدل لا ظلم **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قضي بينهم بالقسط قال بالعدل ۞ القول في تاويل قوله تعالى (ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين) يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم ويقول هؤلاء المشركون من قومك يا محمد متى هذا الوعد الذي تعدنا انه يأتينا من عند الله وذلك قيام الساعة ان كنتم صادقين أنت ومن تبعك فيما تعدونا به من ذلك ۞ القول في تاويل قوله تعالى (قل لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا الا ما شاء الله لكل أمة أجل اذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) يقول تعالى ذكره قل يا محمد لمستعجليك وعيد الله القائلين لك متى يأتينا الوعد الذي تعدنا ان كنتم صادقين لا أملك لنفسي أيها القوم اني لا أقدر لها على ضر ولا نفع في دنيا ولا دين الا ما شاء الله ان أملكه فأجلبه اليها باذنه يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم قل لهم فاذ كنت لا أقدر على ذلك الا باذنه فأنا على القدرة على الوصول الى علم الغيب ومعرفة قيام الساعة أعجز وأعجز الا بمشيئته واذنه لي في ذلك لكل أمة أجل يقول لكل قوم ميقات لانقضاء مدتهم وأجلهم فاذا جاء وقت انقضاء أجلهم وفناء أعمارهم لا يستأخرون عنه ساعة فيمهلون ويؤخرون ولا يستقدمون قبل ذلك لان الله قضى ان لا يتقدم ذلك قبل الحين الذي قدره وقضاه ۞ القول في تاويل قوله تعالى (قل أرأيتم ان أتاكم عذابه بياتا أو نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون) يقول تعالى ذكره قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك أرأيتم ان أتاكم عذاب الله بياتا يقول ليلا أو نهارا أو جاءت الساعة وقامت القيامة أتقدرون على دفع ذلك عن أنفسكم يقول الله تعالى ذكره ماذا يستعجل من نزول العذاب المجرمون الذين كفروا بالله وهم الضالون بجرمهم دون غيرهم ثم لا يقدرون على دفعه عن أنفسهم ۞ القول في تاويل قوله تعالى (أثم اذا ما وقع آمنتم به آلآن وقد كنتم به تستعجلون) يقول تعالى ذكره أهنالك اذا وقع عذاب الله بكم أيها المشركون آمنتم به يقول صدقتم به في حال لا ينفعكم فيها التصديق وقيل لكم حينئذ آلآن تصدقون به وقد كنتم قبل الآن به تستعجلون وأنتم بنزوله مكذبون فذوقوا الآن ما كنتم به تكذبون ومعنى قوله أثم في هذا الموضع وهنالك وليست ثم هذه هاهنا التي تأتي بمعنى العطف ۞ القول في تاويل قوله تعالى (ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون الا بما كنتم تكسبون) يقول تعالى ذكره ثم قيل للذين ظلموا أنفسهم بكفرهم بالله ذوقوا عذاب الخلد تجرعوا عذاب الله الدائم لكم أبدا الذي لا فناء له ولا زوال هل تجزون الا بما كنتم تكسبون يقول يقال لهم فانظروا هل تجزون أي هل

بقوله والذين أي وجزاء الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها أي جزاؤهم ان نجازي سيئة واحدة بسيئة مثلها لا نزاد عليها ومن جوز العطف على عاملين مختلفين جوز ان يكون التقدير وللذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها قالت المعتزلة وفيه دليل على ان المراد بالزيادة في الآية المتقدمة الفضل لانه دل بترك الزيادة على السيئة على عدله فناسب ان يكون قد دل هنالك باثبات الزيادة على المثوبة على فضله وترهقهم ذلة فانهم حين ماتوا ناقصين خالين عن الملكات الجيدة كان شعورهم بذلك سببا لذلهم وهو انهم على أنفسهم وهذا على قاعدة حكماء الاسلام ان الجهل سواد وظلمة كما ان العلم والمعرفة بياض ونور ومنه قول الشبلي رضي الله عنه كل بيت أنت ساكنه * غير محتاج الى السرج مالهم من الله من عاصم أي لا يعصمهم أحد من عذابه وسخطه أو مالهم من جهة الله ومن عنده من يعصمهم كما للمؤمنين والتحقيق انه لا عاصم من الله لاحد في الدنيا ولا في الآخرة الا باذن الله الا ان هذا المعنى في الآخرة أظهر كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ثم بالغ في الكشف عن سواد وجوههم فقال كأنما أغشيت أي ألبست وجوههم قطعا من الليل من قرأ بسكون الطاء فمعناه البعض والطائفة ومظلما صفته ومن قرأ بفتحها على انه جمع قطعة فمظلما حال من الليل والعامل فيه اما معنى الفعل في من الليل أو أغشيت لان قوله من الليل صفة لقوله قطعا فكان افضاء العامل الى الموصوف كافضائه الى الصفة قاله في الكشاف واعلم ان جمعا من العلماء ذهبوا الى ان المراد بقوله والذين كسبوا السيئات هو الكفار لان سواد الوجه من علامات الكفر بدليل قوله فاما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم وقوله ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة أولئك هم الكفرة الفجرة ولقوله بعدها ويوم نحشرهم والضمير عائد الى هؤلاء ثم انه وصفهم بالشرك وقال الآخرون اللفظ عام يتناول الكافر والفاسق الا ان الآيات المذكورة مخصصة ثم شرح بعض أحوال المشركين في القيامة فقال ويوم نحشرهم منصوب باضمار اذكر او ظرف متعلق بتبلو أي في يوم كذا تبلو كل نفس وحاصل الكلام انه يحشر العابد والمعبود

تثابون الا بما كنتم تكسبون يقول الا بما كنتم تعملون فى حياتكم قبل مماتكم من معاصى الله ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (ويستنبئونك أحق هو قل اى وربى انه لحق وما أنتم بمعجزين) يقول تعالى ذكره ويستخبرك هؤلاء المشركون من قومك يا محمد فيقولون لك أحق ما تقول وما تعدنا به من عذاب الله فى الدار الآخرة جزاء على ما كنا نكسب من معاصى الله فى الدنيا قل لهم يا محمد اى وربى انه لحق لا شك فيه وما أنتم بمعجزى الله اذا أراد ذلك بكم بهرب أو امتناع بل أنتم فى قبضته وسلطانه وملكه اذا أراد فعل ذلك بكم فاتقوا الله فى أنفسكم ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (ولو أن لكل نفس ظلمت ما فى الارض لافتدت به وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وقضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون) يقول تعالى ذكره ولو ان لكل نفس كفرت بالله وظلمها فى هذا الموضع عبادتها غير من يستحق عبادة وتركها طاعة من يجب عليها طاعته ما فى الارض من قليل أو كثير لافتدت به يقول لافتدت بذلك كله من عذاب الله اذا عاينته وقوله وأسروا الندامة لما رأوا العذاب يقول واخفت رؤساء هؤلاء المشركين من وضعائهم وسفلتهم الندامة حين أبصروا عذاب الله قد أحاط بهم وأيقنوا انه واقع بهم وقضى بينهم بالقسط يقول وقضى الله يومئذ بين الاتباع والرؤساء منهم بالعدل وهم لا يظلمون وذلك انه لا يعاقب أحدا منهم الا بجريرته ولا يأخذ بذنب أحد ولا يعذب الا من قد أعذر اليه فى الدنيا وأنذر وتابع عليه الحجج ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (الا ان لله ما فى السموات والارض الا ان وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون) يقول جل ذكره ألا ان كل ما فى السموات وكل ما فى الارض من شئ لله ملك لا شئ فيه لاحد سواه يقول فليس لهذا الكافر بالله يومئذ شئ يملكه فيفتدى به من عذاب ربه وانما الاشياء كلها للذى اليه عقابه ولو كانت له الاشياء التى هى فى الارض ثم افتدى لم يقبل منه بدلا من عذابه فيصرف بها عنه العذاب فكيف وهو لا شئ له يفتدى به منه وقد حق عليه عذاب الله يقول الله جل ثناؤه ألا ان وعد الله حق يعنى ان عذابه الذى أوعد هؤلاء المشركين على كفرهم حق فلا علم ان لا يستعجلوا به فانه بهم واقع لا شك ولكن أكثرهم لا يعلمون يقول ولكن أكثر هؤلاء المشركين لا يعلمون حقيقة وقوع ذلك بهم فهم من أجل جهلهم به مكذبون ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (هو يحيى ويميت واليه ترجعون) يقول تعالى ذكره ان الله هو المحيى المميت لا يتعذر عليه فعل ما أراد فعله من احياء هؤلاء المشركين اذا أراد احياءهم بعد مماتهم ولا اماتتهم اذا أراد ذلك وهم اليه يصيرون بعد مماتهم فيعاينون ما كانوا به مكذبين من وعد الله وعقابه ۞ القول فى تاويل قوله تعالى (يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين) يقول تعالى ذكره لخلقه يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم يعنى ذكرى يذكركم عقاب الله ويخوفكم وعيده من ربكم يقول من عند ربكم لم يختلقها محمد صلى الله عليه وسلم ولم يفتعلها أحد فتقولوا لا نأمن ان تكون لا صحة لها وانما يعنى بذلك جل ثناؤه القرآن وهو الموعظة من الله وقوله وشفاء لما فى الصدور يقول ودواء لما فى الصدور من الجهل يشفى به الله جهل الجهال فيبرئ به داءهم ويهدى به من خلقه من أراد هدايته به وهدى يقول وهو بيان لحلال الله وحرامه ودليل على طاعته ومعصيته ورحمة يرحم بها من شاء من خلقه فينقذه به من الضلالة الى الهدى وينجيه به من الهلاك والردى وجعله تبارك وتعالى رحمة للمؤمنين به دون الكافرين به لان من كفر به فهو عليه عمى وفى الآخرة جزاؤه على الكفر به الخلود

ليسألوا قبيرا المعبود من العابد خلاف ما كانوا يزعمون من قولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله وفيه اشارة الى ان الممكن لا نسبة له الى الواجب الحق فاذا اتخذ الممكن معبودا برئ من ذلك فى مقام لا ينفع الا الصدق قال فى الكشاف مكانكم أى الزموا مكانكم لا تبرحوا حتى تنظروا ما نفعل بكم وعند أبى على هو اسم من أسماء الافعال وحركته حركة بناء وهو كلمة وعيد عند العرب وأنتم لتأكيد الضمير فى مكانكم لسده مسد قوله الزموا وشركاؤكم عطف عليه فزيلنا بينهم ففرقنا بينهم وقطعنا الوصل التى كانت بينهم فى الدنيا قيل عين الكلمة واو لانه من زال يزول وانما قلبت ياء لان وزن الكلمة فيعل أى زيولنا مثل بيطرة على اعلال سيد وقيل هى من زلت الشئ أزيله فعينه على هذا ياء والوزن فعل ونظيره زيلنا قوله ونادى أصحاب الاعراف لان حكم الله بانه سيكون كالكائن وقال شركاؤهم فى صحة هذه الاضافة وجوه منها انهم جعلوا نصيبا من أموالهم لتلك الاصنام فهم شركاؤهم ومنها انهم متشاركون فى الخطاب فى قوله مكانكم ومنها انهم أثبتوا هذه الشركة والشركاء قيل هم الملائكة لقوله ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون وقيل كل من عبد من دون الله وقيل الاصنام لان هذا الخطاب مشتمل على التهديد وانه لا يليق بالملائكة المقربين وكيف تنطق هذه الاصنام قيل لان الله يخلق فيهم الحياة والعقل والنطق ثم هل يبقيهم أو يفنيهم الكل محتمل ولا اعتراض لاحد عليه وقيل يخلق فيهم الكلام فقط لو هذا الخطاب تهديد فى حق العابدين فهل يكون تهديدا فى حق المعبودين قالت المعتزلة لا لانه لا ذنب للمعبودين ومن لا ذنب له يقبح من الله تهديده وتخويفه وقالت الاشاعرة لا يسئل عما يفعل أما قول الشركاء ما كنتم ايانا تعبدون وهم كانوا قد عبدوهم فالمراد انكم ما عبدتمونا بامرنا وارادتنا انما عبدتم أهواءكم ... فى ... فكفى بالله شهيدا الآية ومن أعظم أسباب الغفلة كونها جمادات لا حس لها ولا شعور وقيل لما فى ذلك الموقف من الدهشة والحيرة فذلك الكذب يجرى مجرى كذب الصبيان والمجانين والمدهوشين وقيل انهم ما أقاموا الاعمال الكفار وزنا فجعلوها كالعدم

فى لظى ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المشركين بك وبما أنزل اليك من عند ربك بفضل الله أيها الناس الذى تفضل به عليكم وهو الاسلام فبينه لكم ودعاكم اليه وبرحمته التى رحمكم بها فأنزلها اليكم فعلمكم ما لم تكونوا تعلمون من كتابه وبصركم بها معالم دينكم وذلك القرآن فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون يقول فان الاسلام الذى دعاهم اليه والقرآن الذى أنزله عليهم خير مما يجمعون من حطام الدنيا وأموالها وكنوزها وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على بن الحسين الازدى قال ثنا أبو معاوية عن الحجاج عن عطية عن أبى سعيد الخدرى فى قوله قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا قال بفضل الله القرآن وبرحمته ان جعلكم من أهله حدثنى يحيى بن طلحة اليربوعى قال ثنا فضيل عن منصور عن هلال بن يساف قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا قال بالاسلام الذى هداكم وبالقرآن الذى علمكم حدثنا أبو هشام الرفاعى قال ثنا ابن يمان قال ثنا سفيان عن منصور عن هلال بن يساف قل بفضل الله وبرحمته قال بالاسلام والقرآن فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون من الذهب والفضة حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن هلال بن يساف فى قوله قل بفضل الله وبرحمته قال فضل الله الاسلام ورحمته القرآن حدثنى على بن سهل قال ثنا زيد قال ثنا سفيان عن منصور عن هلال بن يساف فى قوله بفضل الله وبرحمته قال الاسلام والقرآن حدثنى المثنى قال ثنا أبو نعيم وقبيصة قالا ثنا سفيان عن منصور عن هلال بن يساف مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن هلال مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا أما فضله فالاسلام وأما رحمته فالقرآن حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن قل بفضل الله وبرحمته قال فضله الاسلام ورحمته القرآن حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قل بفضل الله وبرحمته قال القرآن حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وبرحمته قال القرآن حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قوله هو خير مما يجمعون قال الاموال وغيرها حدثنا على بن داود قال ثنى أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قل بفضل الله وبرحمته يقول فضله الاسلام ورحمته القرآن حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن هلال قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا قال بكتاب الله وبالاسلام هو خير مما يجمعون وقال آخرون بل الفضل القرآن والرحمة الاسلام ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون قال بفضل الله القرآن وبرحمته حين جعلهم من أهل القرآن حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا جعفر بن عون قال ثنا هشام بن سعد عن زيد بن أسلم قال فضل الله القرآن ورحمته الاسلام حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن الضحاك قوله قل بفضل الله وبرحمته قال بفضل الله القرآن وبرحمته الاسلام حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال

وقيل المراد أنهم عبدوا الشياطين حيث أمروهم باتخاذ الانداد ومن جوز الكذب فى القيامة فلا اشكال وهنالك أى فى ذلك المقام وفى ذلك الموقف أو فى ذلك الوقت على استعارة اسم المكان للزمان تبلو كل نفس تختبر وتذوق ما أسلفت من العمل ومن قرأ بالنون فالمعنى نفعل بها فعل الجائر أو نصيب بالبلاء وهو العذاب كل نفس عاصية لاجل ما أسلفت من الشر (٧٩) ومن قرأ تتلوا بتاءين فمعناه تتبع ما أسلفت لان عمله هو الذى يهديه الى طريق الجنة أو الى طريق النار أو يقرأ فى صحيفتها ما قدمت من خير أو شر وردوا الى الله مولاهم الحق الصادق ربوبيته وضل عنهم وضاع عنهم ما كانوا يدعون انهم شركاء الله أو ما كانوا يختلقون من شفاعة الآلهة والحاصل أنهم يرجعون عن الباطل ويعترفون بالحق حين لا ينفعهم ذلك * التأويل واذا أذقنا الناس ذوق توبة وانابة أو ذوق كشف وشهود من بعد ضراء وهى الفسوق والاخلاق الذميمة وحب الاوصاف اذا لهم مكر فى آياتنا باظهارها الى غير أهلها بشرف النفس وطلب الجاه والقبول قل الله أسرع مكرا فيستدرجهم عن تلك المقامات الى دركات البعد من حيث لا يشعرون وهو الذى يسيركم فى البر البشرية والبحر الروحانية أو فى بر العبودية وبحر الربوبية حتى اذا كنتم فى فلك جذبات العناية وجرين بهم بهبوب نسيم شهود الجمال وفرحوا بالوصول والوصال جاءتها نكباء تجلى صفات الجلال وجاءهم أمواج البلايا والمحن من أماكن النجم البلاء موكل بالانبياء ثم بالاولياء ثم الامثل فالامثل فلما أنجاهم فيه اشارة الى ان أرباب الطلب لما وصلوا بجذبات الحق الى شهود الجمال واستغراق لجج بحر الجلال استقبلتهم عواصف العزة والكبرياء فيستدرجهم الى البغى وهو الطلب فى أرض ما سوى الحق غير الحق كماء أنزلناه من سماء الطلب الى أرض البشرية فاختلط به الصفات المولدة من أرض البشرية مما يأكل الناس والانعام من الصفات الحميدة الانسانية والذميمة البهيمية أتاها حكمنا الازلى ليلا أو نهارا عند استيلاء ظلمات صفات النفس أو عند بقاء ضوء الفيض الروحانى لكنه بامتزاج القوة الخيالية والوهمية يوقع فى ورطة العقائد الباطلة كما لبعض الفلاسفة والمبتدعة والله

يدعو الى دار السلام وهى مقام الغناء لان صاحبه يسلم عن آفات الحجب أو مقام العلم والمعرفة لان صاحبه يسلم عن آفة الاثنينية والجهالة
ويهدى من يشاء بجذبات العناية الى صراط مستقيم يؤدى الى السير بالله فى الله للذين أحسنوا الحسنى فالاحسان ان تعبد الله كانك تراه
والحسنى هى شواهد الحق والنظر اليه والزيادة الجنة ومافيها من النعيم أو هى مازاد على النظر من افناء الناسوتية فى اللاهوتية

ابن زيد فى قوله قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا قال كان أبى يقول فضله القرآن ورحمته الاسلام واختلفت القراء فى قراءة قوله فبذلك فليفرحوا فقرأ ذلك عامة قراء الامصار فليفرحوا بالياء هو خير مما يجمعون بالياء أيضا على التأويل الذى تأولناه من انه خبر عن أهل الشرك بالله يقول فبالاسلام والقرآن الذى دعاهم اليه فليفرح هؤلاء المشركون لا بالمال الذى يجمعون فان الاسلام والقرآن خير من المال الذى يجمعون وكذلك حدثت عن عبد الوهاب بن عطاء عن هارون عن أبى التياح فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون يعنى الكفار وروى عن أبى ابن كعب فى ذلك ما حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن أسلم المقرى عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبزى عن أبيه عن أبى بن كعب انه كان يقرأ فبذلك فلتفرحوا هو خير مما تجمعون بالتاء حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن الاجلح عن عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبزى عن أبيه عن أبى بن كعب مثل ذلك وكذلك كان الحسن البصرى يقول غير انه فيما ذكر عنه كان يقرأ قوله هو خير مما يجمعون بالياء الاول على وجه الخطاب والثانى على وجه الخبر عن الغائب وكان أبو جعفر القارى فيما ذكر عنه يقرأ ذلك نحو قراءة أبى بالتاء جميعا * قال أبو جعفر والصواب من القراءة فى ذلك ما عليه قراء الامصار من قراءة الحرفين جميعا بالياء فليفرحوا هو خير مما يجمعون لمعنيين أحدهما اجماع الحجة من القراء عليه والثانى صحته فى العربية وذلك أن العرب لا تكاد تأمر المخاطب باللام والتاء وانما تأمره فتقول افعل ولا تفعل وبعد فانى لا أعلم أحدا من أهل العربية الا وهو يستردى أمر المخاطب باللام ويرى انها لغة مرغوب عنها غير الفراء فانه كان يزعم أن اللام فى ذى التاء الذى خلق له واجهت به أم لم تواجه الا أن العرب حذفت اللام من فعل المأمور المواجه لكثرة الامر خاصة فى كلامهم كما حذفوا التاء من الفعل قال وأنت تعلم ان الجازم والناصب لا يقعان الا على الفعل الذى أوله الياء والتاء والنون والالف فلما حذفت التاء ذهبت اللام وأحدثت الالف فى قولك اضرب وافرح لان الالف ساكنة فلم يستقم ان يستأنف بحرف ساكن فادخلوا الفا خفيفة يقع بها الابتداء كما قالوا ادّاركتم واثاقلتم وهذا الذى اعتل به الفراء عليه لا له وذلك أن العرب ان كانت قد حذفت اللام فى المواجه وتركتها فليس لغيرها اذا نطلق بكلامها أن يدخل فيه ما ليس منه ما دام متكلما بلغتها فان فعل ذلك كان خارجا عن لغتها وكلام الله الذى أنزله على محمد بلسانها فليس لاحد أن يتلوه الا بافصح من كلامها وان كان معروفا بعض ذلك من لغة بعضها فكيف بما ليس بمعروف من لغة حى ولا قبيلة منها وانما هو دعوى لا ثبت بها ولا صحة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون) يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المشركين أرأيتم أيها الناس ما أنزل الله لكم من رزق يقول ما خلق الله لكم من الرزق فخولكموه وذلك ما تتغذون به من الاطعمة فجعلتم منه حراما وحلالا يقول فحللتم بعض ذلك لانفسكم وحرمتم بعضه عليها وذلك كتحريمهم ما كانوا يحرمونه من حروثهم التى كانوا يجعلونها لاوثانهم كما وصفهم الله به فقال وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا ومن الانعام ما كانوا يحرمونه بالتحيير والتسييب ونحو ذلك مما قدمناه فيما مضى من كتابنا هذا يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد آلله أذن لكم بان تحرموا ما حرمتم

والله ولى التوفيق (قل من يرزقكم من السماء والارض أمن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الامر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال فانى تصرفون كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فانى تؤفكون قل هل من شركائكم من يهدى الى الحق قل الله يهدى للحق أفمن يهدى الى الحق أحق ان يتبع أمن لا يهدى الا ان يهدى فما لكم كيف تحكمون وما يتبع أكثرهم الا ظنا ان الظن لا يغنى من الحق شيأ ان الله عليم بما يفعلون وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك أعلم بالمفسدين وان كذبوك فقل لى عملى ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا برىء مما تعملون)

القراآت كلمات ربك وكذلك فى آخر السورة على الجمع أبو جعفر ونافع وابن عامر لا يهدى مثل يرمى حمزة وعلى وخلف يهدى بسكون الهاء وتشديد الدال أبو جعفر ونافع غير ورش وعباس وأبو عمرو غير عباس باشمام الفتحة قليلا يهدى بكسر الهاء وتشديد الدال عاصم غير يحيى وجبلة ورويس يهدى بكسرتين والتشديد يحيى يهدى بفتحتين والتشديد ابن كثير وابن عامر وورش وسهل ويعقوب غير رويس * الوقوف يدبر الامر ط الله ح يتقون منه

ة ج ط ربكم الحق ج ط للاستفهام مع الفاء الا الضلال ج ط تصرفون ة لايؤمنون ه ثم يعيده ط الاول ط يؤفكون ه الى الحق ط للحق ط ان يهدى ج ط لمام فما لكم ص لحق الاستفهام الثانى تحكمون ط ه الاظنا ط شيأ ط يفعلون ه العالمين ه افتراه ط صادقين ه تأويله ط الظالمين ه لايؤمن به ط (٨١) بالمفسدين ه عملكم ج لان أنتم مبتدأ

منه أم على الله تفترون أى تقولون الباطل وتكذبون وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قال ان أهل الجاهلية كانوا يحرمون أشياء أحلها الله من الرزق وغيرها وهو قول الله أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا وهو هذا وأنزل الله تعالى قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده الآية حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم الى قوله أم على الله تفترون قال هم أهل الشرك حدثنى القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس قوله فجعلتم منه حراما وحلالا قال الحرث والانعام قال ابن جريج قال مجاهد البحائر والسيب حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فجعلتم منه حراما وحلالا قال فى البحيرة والسائبة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا الآية يقول كل رزق لم أحرم حرمتموه على أنفسكم من نسائكم وأموالكم وأولادكم آلله أذن لكم فيما حرمتم من ذلك أم على الله تفترون حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا فقرأ حتى بلغ أم على الله تفترون وقرأ وقالوا ما فى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وقرأ وقالوا هذه أنعام وحرث حجر حتى بلغ لايذكرون اسم الله عليها فقال هذا قوله جعل لهم رزقا فجعلوا منه حراما وحلالا وحرموا بعضه وأحلوا بعضه وقرأ ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين قل آلذكرين حرم أم الانثيين أما اشتملت عليه أرحام الانثيين أى هذين حرم على هؤلاء الذين يقولون وأحل لهؤلاء نبؤنى بعلم ان كنتم صادقين أم كنتم شهداء اذ وصاكم الله بهذا الى آخر الآيات حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا هو الذى قال الله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا الى قوله ساء ما يحكمون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة ان الله لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لايشكرون) يقول تعالى ذكره وما ظن هؤلاء الذين يتخرصون على الله الكذب فيضيفون اليه تحريم ما لم يحرمه عليهم من الارزاق والاقوات التى جعلها الله لهم غذاء ان الله فاعل بهم يوم القيامة بكذبهم وفريتهم عليه أيحسبون انه يصفح عنهم ويغفر كلا بل يصليهم سعيرا خالدين فيها أبدا ان الله لذو فضل على الناس يقول ان الله لذو تفضل على خلقه بتركه معاجلة من افترى عليه الكذب بالعقوبة فى الدنيا وامهاله اياه الى وروده عليه فى القيامة ولكن أكثرهم لايشكرون يقول ولكن أكثر الناس لايشكرونه على تفضله عليهم بذلك وبغيره من سائر نعمه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وما تكون فى شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا فى كتاب مبين) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وما تكون يا محمد فى شأن يعنى فى عمل من الاعمال وما تتلو منه من قرآن يقول وما تقرأ من كتاب الله من قرآن ولا تعملون من عمل يقول ولا تعملون

والعامل واحد تعملون ه * التفسير لما بين فضائح عبدة الاوثان أكدها بالحجج اللامعة والبراهين القاطعة من أحوال الرزق والموت والحياة والابداء والاعادة والارشاد والهداية وقد بنى الحجج على الاستفهام وتفويض الجواب الى المسؤل ليكون أبلغ فى الزام الحجة وأوقع فى النفوس فالحجة الاولى قوله قل من يرزقكم من السماء والارض بانزال الامطار النافعة الموجبة لتولد الاغذية النباتية الحيوانية فى الارض بعد رعاية شرائط تربيتها وانمائها وحفظها من العاهات أم من يملك السمع والابصار خص الحاستين بالذكر لما فى خلقهما وتسويتهما من الفطرة العجيبة وكان صلى الله عليه وسلم يقول سبحان من بصر بشحم وأسمع بعظم وأنطق بلحم ولما فى تحصينهما من الآفات فى المدد الطوال وهما لطيفان يؤذيهما أدنى شئ مزيد قدرة ورأفة ومن يخرج الحى من الميت الحيوان الماشى والطائر من النطفة والبيضة وقد مر سائر الاقوال فى سورة الانعام ومن يدبر الامر عمم بعد ما خصص لان أقسام تدبيره تعالى فى العالم العلوى والعالم السفلى وعالمى الغيب والشهادة أمور لانهاية لها وذكرها كالمتعذر فسيقولون الله وفيه دليل على أنهم كانوا يعبدون الاصنام بناء على أنها شفعاؤهم وانما تقربهم الى الله زلفى ولكنهم كانوا مخطئين فى هذا الاعتقاد

ولهذا ختم الآية بقوله فقل أفلا تتقون الله الذى اعترفتم بانه سبب فيضان جميع الخيرات فكيف أشركتم بعبادته الجمادات التى لاتقدر على نفع أو ضر فذلكم الموصوف بالقدرة الكاملة والرحمة الشاملة ربكم الحق الثابت ربوبيته بالوجدان والبرهان فماذا بعد الحق الا ضرورة

وما نافية أو استفهامية أو مجموع ماذا كلمة واحدة معناها أي شيء بعد الحق الا الضلال والمراد انه لما ثبت وجود الواجب الحق كان ماسواه ممكنا لذاته باطلا دعوى الالهية لان واجب الوجود يجب ان يكون واحدا في ذاته وفي صفاته وفي جميع اعتباراته والا لزم افتقاره الى ما انقسم اليه فلا يكون واجبا هف محال ولهذا ختم بقوله فانى تصرفون كيف تستجيزون العدول عن هذا الحق الظاهر وتقعون في الضلال اذ لا واسطة بين الامرين (٨٢) فمن يخطى أحدهما وقع في الآخر كذلك أي كما حق وثبت ان الحق بعده الضلال أو كما حق انهم مصروفون عن الحق فكذلك حقت كلمة ربك وتفسير الكلمة انهم لا يؤمنون على انه بدل أي حق عليهم انتفاء الايمان وقد علم الله منهم ذلك في الازل وأراد بالكلمة العدة بالعذاب وانهم لا يؤمنون تعليل على حذف اللام احتجت المعتزلة بمثل قوله تعالى فانى تصرفون ان الصارف لو كان هو الله تعالى لم يصح منه هذا التعجب والانكار وقالت الاشاعرة قد تعلق علمه تعالى بانهم لا يؤمنون كما قال حقت كلمة ربك وتعلق خبره بانهم لا يؤمنون وقدرته لم تتعلق بخلق الايمان فيه بل بخلق الكفر فيه وأثبت ذلك في اللوح المحفوظ وأشهد عليه ملائكته وأنزله على أنبيائه وأشهدهم عليه فلو حصل الايمان لبطلت هذه الاشياء فينقلب علمه جهلا وخبره الصدق كذبا وقدرته عجزا وارادته عبثا واشهاده باطلا الحجة الثانية قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده وانما قال ثم يعيده مع ان الخصم لا يعترف به لانه قدم في هذه السورة دلائل الاعادة بحيث لا يتمكن العاقل من دفعها اذا تأمل وأنصف فبنى الامر على ذلك وانما أمر نبيه ان ينوب عنهم في الجواب بقوله قل الله الآية تنبيها على ان هذا المعنى بلغ في الوضوح الى حيث لا حاجة فيه الى اقرار الخصم المكابر فكأنه قيل تكلم عنهم ان لم يدعهم لجاجهم ان ينطقوا بكلمة الحق وقوله فانى تؤفكون كقوله فانى تصرفون وقد مر في المائدة الحجة الثالثة الاستدلال على وجود الصانع بالخلق أولا ثم بالهداية عادة مطردة في القرآن فحكى عن الخليل صلى الله عليه وسلم الذي خلقني فهو يهدين وعن موسى ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى وأمر محمدا صلى الله عليه وسلم سبح اسم ربك الاعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى والسر فيه ان المقصود من خلق الجسد حصول الهداية للروح واقتباس العلوم والمعارف فيه بإرادة الحق سبحانه

من عمل أيها الناس من خير أو شر الا كنا عليكم شهودا يقول الا ونحن شهود لاعمالكم وشؤنكم اذ تعملونها وتأخذون فيها وبنحو الذي قلنا في ذلك روي القول عن ابن عباس وجماعة ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله اذ تفيضون فيه يقول اذ تفعلون وقال آخرون معنى ذلك اذ تشيعون في القرآن الكذب ذكر من قال ذلك حدثت عن المسيب بن شريك عن أبي روق عن الضحاك اذ تفيضون فيه يقول تشيعون في القرآن من الكذب وقال آخرون معنى ذلك اذ تفيضون في الحق ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد اذ تفيضون فيه في الحق ما كان قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وانما اخترنا القول الذي اخترناه فيه لانه تعالى ذكره أخبر انه لا يعمل عباده عملا الا كان شاهده ثم وصل ذلك بقوله اذ تفيضون فيه فكان معلوما ان قوله اذ تفيضون فيه انما هو خبر منه عن وقت عمل العاملين انه له شاهد لا عن وقت تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم القرآن لان ذلك لو كان خبرا عن شهوده تعالى ذكره وقت افاضة القوم في القرآن لكانت القراءة بالياء اذ يفيضون فيه خبرا منه عن المكذبين فيه فان قال قائل ليس ذلك خبرا عن المكذبين ولكن خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم انه شاهده اذ تلا القرآن فان ذلك لو كان كذلك لكان التنزيل اذ تفيض فيه لان النبي صلى الله عليه وسلم واحد لا جمع كما قال وما تتلو منه من قرآن فافرده بالخطاب ولكن في ابتدائه خطابه صلى الله عليه وسلم بالافراد ثم عوده الى اخراج الخطاب على الجمع نظير قوله يا أيها النبي اذا طلقتم النساء وذلك ان في قوله اذا طلقتم النساء دليلا واضحا على صرفه الخطاب الى جماعة المسلمين مع النبي صلى الله عليه وسلم مع جماعة الناس غيره لانه ابتدأ خطابه ثم صرف الخطاب الى جماعة الناس والنبي صلى الله عليه وسلم فيهم وخبر عن انه لا يعمل أحد من عباده عملا الا وهو له شاهد يحصي عليه ويعلمه كما قال وما يعزب عن ربك يا محمد عمل خلقه ولا يذهب عليه علم شيء حيث كان من أرض أو سماء وأصله من عزوب الرجل عن أهله في ماشيته وذلك غيبته عنهم فيها يقال منه عزب الرجل عن أهله يعزب ويعزب لغتان فصيحتان قرأ بكل واحدة منهما جماعة من القراء وبأيتهما قرأ القارئ فصيب لاتفاق معنيهما واستفاضتهما في منطق العرب غير اني أميل الى الضم فيه لانه أغلب على المشهورين من القراء وقوله من مثقال ذرة يعني من زنة نملة صغيرة يحكى عن العرب خذ هذا فانه أخف مثقالا من ذاك أي أخف وزنا والذرة واحدة الذر والذر صغار النمل وذلك خبر عن انه لا يخفى عليه جل جلاله اصغر الاشياء وان خف في الوزن كل الخفة ومقادير ذلك ومبلغه ولا أكبرها وان عظم وثقل وزنه وكم مبلغ ذلك يقول تعالى ذكره لخلقه فليكن عملكم أيها الناس فيما يرضي ربكم عنكم فانا شهود لاعمالكم لا يخفى علينا شيء منه ونحن محصوها ومجازوكم بها واختلفت القراء في قراءة قوله ولا أصغر من ذلك ولا أكبر فقرأ ذلك عامة القراء بفتح الراء من أصغر وأكبر على ان معناها الخفض عطفا بالاصغر على الذرة وبالاكبر على الاصغر ثم فتحت راؤهما لانهما

اذ الطرق المتفرقة كثيرة والظنون والاغاليط غير محصورة فتحصيل الوسط الحقيقي لا يمكن الا بتوفيقه وهدايته ولا مدخل في ذلك بالاستقلال لملك أو انسي أو جني فضلا عن الاصنام التي هي في أدنى مراتب الوجود لانها جمادات لا شعور لها هــذا تقرير الحجة الثالثة وقال الزجاج يقال هديت للحق والى الحق بمعنى فجمع بين العبارتين ويقال هدى بنفسه بمعنى اهتدى كما يقال شرى بمعنى اشترى ومنه قوله أمن لا يهدي وسائر القراآت أصلها يهتدي فادغم وفتحت الهاء بحركة التاء أو كسرت لالتقاء الساكنين وقد كسرت الهاء لاتباع ما بعدها قيل

لا يجران وقرأ ذلك بعض الكوفيين ولا أصغر من ذلك ولا أكبر رفعا عطفا بذلك على معنى المثقال لان معناه الرفع وذلك ان من لو ألقيت من الكلام لرفع المثقال وكان الكلام حينئذ وما يعزب عن ربك مثقال ذرة ولا أصغر من مثقال ذرة ولا أكبر وذلك نحو قوله من خالق غير الله وغير الله وأولى القراءتين في ذلك بالصواب قراءة من قرأ بالفتح على وجه الخفض والرد على الذرة لان ذلك قراءة قراء الامصار وعليه عوام القراء وهو أصح في العربية مخرجا وان كان للاخرى وجه معروف وقوله الا في كتاب يقول وما ذلك كله الا في كتاب عند الله مبين عن حقيقة خبر الله لمن نظر فيه انه لا شيء كان أو يكون الا وقد أحصاه الله جل ثناؤه فيه وانه لا يعزب عن الله علم شيء من خلقه حيث كان من سمائه وارضه **حدثني** المثنى قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وما يعزب يقول لا يغيب عنه **حدثني** محمد بن عمارة قال ثنا عبد الله قال أخبرنا اسرائيل عن أبي يحيى عن مجاهد عن ابن عباس وما يعزب عن ربك قال ما يغيب عنه ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) يقول تعالى ذكره ألا ان أنصار الله لا خوف عليهم في الآخرة من عقاب الله لان الله رضي عنهم فآمنهم من عقابه ولا هم يحزنون على ما فاتهم من الدنيا والاولياء جمع ولي وهو النصير وقد بينا ذلك بشواهده واختلف أهل التأويل فيمن يستحق هذا الاسم فقال بعضهم هم قوم يذكر الله لرؤيتهم لما عليهم من سيما الخير والاخبات ذكر من قال ذلك **حدثنا** أبو كريب وابن وكيع قالا ثنا ابن يمان قال ثنا ابن أبي ليلى عن الحكم عن مقسم وسعيد بن جبير عن ابن عباس ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون قال الذين يذكر الله لرؤيتهم **حدثنا** أبو كريب وأبو هشام قالا ثنا ابن يمان عن اشعث ابن اسحق عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن العلاء بن المسيب عن أبي الضحى مثله **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا جرير عن العلاء بن المسيب عن أبيه ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون قال الذين يذكر الله لرؤيتهم قال ثنا ابن مهدي وعبيد الله عن سفيان عن العلاء بن المسيب عن أبي الضحى قال سمعته يقول في هذه الآية ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون قال من الناس مفاتيح اذا رؤوا ذكر الله لرؤيتهم قال ثنا أبي عن مسعر عن سهل بن الاسد عن سعيد بن جبير قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أولياء الله فقال الذين اذا رؤوا ذكر الله قال ثنا زيد بن حباب عن سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي وائل عن عبد الله ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون قال الذين اذا رؤوا ذكر الله لرؤيتهم قال ثنا أبو يزيد الرازي عن يعقوب عن جعفر عن سعيد بن جبير عن النبي صلى الله عليه وسلم قال هم الذين اذا رؤوا ذكر الله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا فرات عن أبي سعد عن سعيد بن جبير قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن أولياء الله قال هم الذين اذا رؤوا ذكر الله قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا العوام عن عبد الله بن أبي الهذيل في قوله ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الآية قال ان ولي الله اذا رؤي ذكر الله وقال آخرون في ذلك بما **حدثنا** أبو هشام الرفاعي

هذه الشركاء جمادات فكيف قال في حقها الا ان يهدى وأجيب بوجوه منها ان المراد بها في الآية رؤساؤهم وأشرافهم كقوله اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا والمراد ان الله سبحانه هو الذي يهدي الخلق الى الدين الحق بالدلائل العقلية وبما مكنهم منه من الدلائل العقلية وأما هؤلاء الدعاة والرؤساء فانهم لا يقدرون على ان يهدوا غيرهم الا اذا هداهم الله ومنها انهم لما اتخذوها آلهة وصفهم الله تعالى بصفة من يعقل كقوله ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ومنها ان ذلك بالفرض والتقدير يعني انها لو كانت بحيث يمكنها ان تهتدي فانها لا تهدي غيرها الا ان تهدى ومنها ان البنية عندنا ليست بشرط في صحة الحياة والعقل فيصح من الله تعالى ان يجعلها حية عاقلة ثم انها تشتغل بهداية الغير ومنها ان المراد من الهدى النقل والحركة يقال هديت المرأة الى زوجها أي نقلت اليه فالمعنى لا ينتقل الى مكان الا اذا نقل اليه ثم تعجب من مذهبهم الفاسد باستفهامين متواليين فقال فما لكم كيف تحكمون ثم بين ما بنوا عليه أمر دينهم فقال وما يتبع أكثرهم الا ظنا أي في اقرارهم بالله لانه قول غير مستند الى برهان عندهم بل سمعوه من اسلافهم أو في قولهم للاصنام انها آلهة أو شفعاء وعلى هذا فالمراد بالأكثر الجميع ان الظن في معرفة الله وفيما يجب تحققه لا يغني من الحق وهو العلم والتحقيق شيأ من الغناء والمعنى ان الظن لا يقوم مقام العلم في شيء من الاحوال ثم أوعدهم على اتباعهم الظن وتقليد الآباء بقوله ان الله عليم بما يفعلون وتمسك نفاة القياس بالآية ظاهر من قبل ان القياس لا يفيد الا الظن وأجيب بان التمسك بالعمومات لا يفيد الا الظن وهذه الآية من العمومات فلم يجب اتباعها بحكمها وما أفضى ثبوته الى نفيه كان متروكا ولما فرغ من دلائل التوحيد شرع في اثبات النبوة

فقال وما كان هذا القرآن ان يفترى أى افتراء من دون الله وكلمة ان بمعنى اللام أى ماينبغى له وما استقام ان يكون مفترى والحاصل ان وصفه ليس وصف شئ يمكن ان يفترى به على الله لانه معجز لا يقدر البشر على اتيان مثله وانما القادر عليه هو الله تعالى ولكن كان تصديق الذى بين يديه من الكتب المنزلة لاعجازه دونها فهو عيار عليها شاهد بصحتها ونفس هذا التصديق أيضا معجز لان أقاصيصه موافقة لما فى كتب الاولين مع انه لم يتعلم قط ولم يتلمذ ولان بشارته جاءت فى تلك الكتب على وفق دعواه ولانه يخبر عن الغيوب المستقبلة فيقع مطابقا فظهر ان القرآن معجز من قبل اشتماله على الغيوب الماضية والمستقبلة اما انه معجز من جهة اشتماله على العلوم الجمة فذلك قوله وتفصيل الكتاب أى يبين ما كتب وفرض من الاحكام والشرائع كقوله كتاب الله عليكم قال فى الكشاف قوله لا ريب فيه من رب العالمين داخل فى حيز الاستدراك كانه قال ولكن كان تصديقا وتفصيلا منتفيا عنه الريب كائنا من رب العالمين وجوز ان يكون من رب العالمين متعلقا بتصديق وتفصيل ولا ريب فيه اعتراض كقولك زيد لاشك فيه كريم والمعنى ولكن كان تصديقا من رب العالمين وتفصيلا منه لا ريب فيه ثم أعاد بيان اعجازه مرة أخرى فقال مستفهما على سبيل الانكار أم يقولون افتراه قل ان كان الامر كما تزعمون فاتوا أنتم على وجه الافتراء بسورة مثله فى البلاغة وحسن النظم فانتم مثلى فى العربية والفصاحة وادعوا من استطعتم من دون الله أى لا تستعينون بالله وحده ثم استعينوا بكل من سواه ان كنتم صادقين انه افتراه قال بعض العلماء هذه الآية فى سورة يونس وهى مكية فلعل المراد بالسورة المتحدى بها هذه السورة والاصح ان التحدى واقع على أقصر سورة قالت المعتزلة لو لم يكن الاتيان بمثل القرآن صحيح الوجود فى الجملة لم يتحد العرب به لكنهم تحدوا بذلك فدل على ان القرآن محدث اذ لو كان قديما والاتيان بالقديم محال لم يصح هذا التحدى وأجيب بان القرآن يقال بالاشتراك على الصفة القديمة القائمة بذات الله وعلى هذه الحروف والاصوات المحدثة والتحدى انما وقع بهذه لا بتلك بل كذبوا سارعوا الى التكذيب بما لم يحيطوا بعلمه وهو القرآن ولما يأتهم تأويله ومعنى التوقع فيه انهم كذبوا به على البديهة قبل التدبر ومعرفة التأويل تقليدا للآباء وكذبوا به بعد التدبر وتكرير التحدى

قال ثنا أبو فضيل قال ثنا أبى عن عمارة بن القعقاع الضبى عن أبى زرعة عن عمرو بن جرير البجلى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من عباد الله عبادا يغبطهم الانبياء والشهداء قيل من هم يا رسول الله فلعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا فى الله من غير أموال ولا أسباب وجوههم من نور على منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس وقرأ الا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عمارة عن أبى زرعة عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من عباد الله لاناسا ماهم بانبياء ولا شهداء تغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله قالوا يا رسول الله أخبرنا من هم وما أعمالهم فانا نحبهم لذلك قال هم قوم تحابوا فى الله بروح الله على غير ارحام بينهم ولا أموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس وقرأ هذه الآية الا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون حدثنا الحسين بن نصر الخولانى قال ثنا يحيى بن حسان قال ثنا عبد الحميد بن بهرام قال ثنا شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم عن أبى مالك الاشعرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتى من افناء الناس ونوازع القبائل قوم لم تصل بينهم أرحام متقاربة تحابوا فى الله وتصافوا فى الله يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور فيجلسهم عليها يفزع الناس فلا يفزعون وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون والصواب من القول فى ذلك ان يقال الولى أعنى ولى الله هو من كان بالصفة التى وصفه الله بها وهو الذى آمن واتقى كما قال الله الذين آمنوا وكانوا يتقون وبنحو الذى قلنا فى ذلك كان ابن زيد يقول حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله الا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون من هم يا رب قال الذين آمنوا وكانوا يتقون قال أبى ان يتقبل الايمان الا بالتقوى ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (الذين آمنوا وكانوا يتقون) يقول تعالى ذكره الذين صدقوا الله ورسوله وما جاء به من عند الله وكانوا يتقون الله باداء فرائضه واجتناب معاصيه وقوله الذين آمنوا من نعت الاولياء ومعنى الكلام الا ان أولياء الله الذين آمنوا وكانوا يتقون لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فان قال قائل فاذا كان معنى الكلام ما ذكرت عندك أفى موضع رفع الذين آمنوا أم فى موضع نصب قيل فى موضع رفع وانما كان كذلك وان كان من نعت الاولياء لمجيئه بعد خبر الاولياء والعرب كذلك تفعل خاصة فى ان اذا جاء نعت الاسم الذى عملت فيه بعد تمام خبره رفعوه فقالوا ان أخاك قائم الظريف كما قال الله قل ان ربى يقذف بالحق علام الغيوب وكما قال ان ذلك لحق تخاصم أهل النار وقد اختلف أهل العربية فى العلة التى من أجلها قيل ذلك كذلك مع ان اجماع جميعهم على ان ما قلناه هو الصحيح من كلام العرب وليس هذا من مواضع الابانة عن العلل التى من أجلها قيل ذلك كذلك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم) يقول تعالى ذكره البشرى من الله فى الحياة الدنيا وفى الآخرة لاولياء الله الذين آمنوا وكانوا يتقون ثم اختلف أهل التأويل فى البشرى التى بشر الله بها القوم ما هى وما صفتها فقال بعضهم هى الرؤيا الصالحة يراها الرجل المسلم أو ترى له وفى الآخرة

عليهم واستيقان عجزهم عن هذا بغيا وحسدا وعنادا وذلك انما حملهم على التكذيب أولا وآخرا وجوه منها انهم وجدوا في القرآن أقاصيص الاولين ولم يعرفوا المقصود منها فقالوا أساطير الاولين وخفي عليهم ان الغرض منها بيان قدرة الله تعالى على التصرف في هذا العالم ونقل الامم من العز الى الذل وبالعكس ليعرف المكلف ان الدنيا ليست مما يبقى فنهاية كل حركة سكون وغاية كل سكون ان لا يكون كقوله عز من قائل لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب ومنها انهم كلما سمعوا حروف التهجي في أوائل السور ولم يفهموا منها

الجنة ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا ابن أبي عدي عن شعبة عن سليمان عن ذكوان عن شيخ عن أبي الدرداء قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة قال النبي صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له حدثنا العباس بن الوليد قال أخبرني أبي قال أخبرنا الاوزاعي قال أخبرني يحيى ابن أبي كثير قال ثني أبو سلمة بن عبد الرحمن قال سأل عبادة بن الصامت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد سألتني عن شيء ما سألني عنه أحد قبلك أو قال غيرك قال هي الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو ترى له حدثنا المثنى قال ثنا أبو داود عمن ذكره عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عبادة بن الصامت قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله تعالى الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له حدثنا أبو قلابة قال ثنا مسلم قال ثنا أبان عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن عبادة عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه حدثنا ابن المثنى وأبو عثمان بن عمر قالا ثنا علي بن يحيى عن أبي سلمة قال نبئت ان عبادة بن الصامت سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة فقال سألتني عن شيء ما سألني عنه أحد قبلك هي الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو ترى له حدثني أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن أبي صالح عن عطاء بن يسار عن رجل من أهل مصر عن أبي الدرداء لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة قال سأل رجل أبا الدرداء عن هذه الآية فقال لقد سألتني عن شيء ما سمعت أحدا سألني عنه بعد رجل سأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هي الرؤيا الصالحة يراها الرجل المسلم أو ترى له بشراه في الحياة الدنيا وبشراه في الآخرة الجنة حدثني محمد بن عمرو السكوني قال ثنا عثمان بن سعيد عن سفيان عن ابن المنكدر عن عطاء بن يسار عن رجل من أهل مصر قال سألت أبا الدرداء عن هذه الآية لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة فقال ما سألني عنها أحد منذ سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم غيرك الا رجلا واحدا سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما سألني عنها أحد منذ أنزلها الله غيرك الا رجلا واحدا هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له حدثنا عمرو بن عبد الحميد قال ثنا سفيان عن ابن المنكدر سمع عطاء بن يسار يخبر عن رجل من أهل مصر انه سأل أبا الدرداء عن لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ثم ذكر نحو حديث سعيد بن عمرو السكوني عن عثمان بن سعيد حدثني ابن حميد الحمصي أحمد بن المغيرة قال ثني يحيى بن سعيد قال ثنا عمر بن عمرو بن عبيد الاحوشي عن حميد بن عبد الله المزني قال أتى رجل عبادة بن الصامت فقال آية في كتاب الله أسألك عنها قول الله تعالى لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة فقال عبادة ما سألني عنها أحد قبلك سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مثل ذلك ما سألني عنها أحد قبلك الرؤيا الصالحة يراها العبد المؤمن في المنام أو ترى له حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو بكر قال حدثنا هشام

شيأ ساء ظنهم بالقرآن فاجاب الله تعالى عنه بقوله هو الذي أنزل عليك الكتاب الى قوله وأخر متشابهات الآية ومنها انهم رأوا القرآن يظهر شيأ فشيأ فاتهموا النبي وقالوا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة ومنها انهم وجدوا القرآن مملوأ من حديث الحشر والنشر وكانوا قد ألفوا المحسوسات فاستبعدوا ذلك وانهم وجدوا فيه تكاليف كثيرة من الصلاة والصيام والزكاة والحج والجهاد وكانوا يقولون ان اله العالم غني عنا وعن طاعاتنا كذلك كذب الذين من قبلهم يعني قبل النظر في معجزات أنبيائهم قال أهل التحقيق في الآية دلالة على ان من كان غير عارف بوجوه التأويل قد يقع في الكفر والبدعة لان ظواهر النصوص قد تتعارض فيفتقر هنالك الى تطبيق التنزيل على التأويل وقيل معنى الآية ان القرآن كتاب معجز من جهتين من جهة اعجاز نظمه ومن جهة ما فيه من الاخبار بالغيوب ومن جملتها أحوال الآخرة فقوله بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه اشارة الى التكذيب به قبل ان ينظروا في نظمه وبلوغه حد الاعجاز وقوله ولما يأتهم تأويله اشارة الى تكذيبهم قبل ان يمتحنوا اخباره بالغيوب هل تطابق الواقع أم لا ثم ختم الآية بقوله فانظر كيف كان عاقبة الظالمين والمراد انهم طلبوا الدنيا وأعرضوا عن الآخرة فلم تبق عليهم الدنيا وفاتتهم الآخرة فبقوا في خسران الدارين وقيل المقصود عذاب الاستئصال الذي نزل بالمكذبين قبلهم ثم قسم هؤلاء أعني الامم المكذبين فقال ومنهم من يؤمن به أي بالقرآن أو بالرسول أي يصدق به في نفسه ويعلم انه حق ولكنه يعاند ومنهم من يشك فيه لا يصدق به لا ظاهرا ولا باطنا ويمكن ان يقال المراد به قسمهم في الاستئصال أي ومنهم من سيؤمن به ومنهم من يبقى على الكفر فتكون الآية كالعذر في تبقيتهم وعدم استئصالهم وربك أعلم

بالمفسدين فيجازيهم على حسب مراتبهم في التكذيب أو يعلم طوياتهم هل يتوبون أو يصرون ثم بين اختصاص كل مكلف بأفعاله و بنتائج أعماله من الثواب والعقاب فقال وان كذبوك فقل لي عملي أي جزاء عملي على الطاعة والايمان وتبليغ الرسالة ولكم عملكم قال مقاتل والكلبي هي منسوخة بآية القتال والتحقيق ان آية القتال لاتدفع شيأ من مدلولات هذه فلا نسخ والله أعلم * التأويل قل من يرزقكم أي من ينزل من سماء النفس مطر الهواجس (٨٦) ويخرج من أرض النفس نبات الافعال والاعمال و ينزل من سماء القلب مطر آثار فيض الروح ويخرج من أرض النفس نبات الصفات البشرية والحيوانية أو ينزل من سماء الروح مطر فيض الروح ويخرج من أرض القلب نبات الاوصاف الحميدة أو ينزل من سماء القدرة مطر تجلي الصفات والفيض الرباني ويخرج من أرض الروح المحبة والاخلاق الالهية أو ينزل من سماء الذات مطر تجلي الصفات ويخرج من أرض الوجود نبات الفناء في الله وثمرات البقاء بالله أمن يملك السمع والابصار فيكون سمعه الذي به يسمع وبصره الذي به يبصر يخرج الحي من الميت النفس من القالب والقلب من الروح والروح من القلب وبالعكوس ومن يدبر أمر الانسان بالتربية من التراب الى ان يصل الى رب الارباب فسيقولون هذه الاحوال كلها من الله فقل لمن بلغ نظره الى هذه المراتب العلية وانها عتبة باب التوحيد والمعرفة أفلا تتقون بالله عن غيره لتدخلوا بيت الوحدة كذلك حقت كلمة ربك هكذا جرى القلم في الازل على الذين خرجوا عن قبول فيض النور حين رش على الخلق من نوره وتفصيل الكتاب وتفصيل الجملة التي هي مكتوبة عنده في أم الكتاب وهو علمه القائم بذاته وربك أعلم بالمفسدين الذين أفسدوا استعدادهم الفطري والله أعلم

عن ابن سيرين عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الحسنة هي البشرى يراها المسلم أو ترى له قال ثنا أبو بكر عن أبي حصين عن أبي صالح قال قال أبو هريرة الرؤيا الحسنة بشرى من الله وهي المبشرات حدثنا محمد بن حاتم المؤدب قال ثنا عمار بن محمد قال ثنا الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم لهم البشرى في الحياة الدنيا الرؤيا الصالحة يراها العبد الصالح أو ترى له وهي في الآخرة الجنة حدثنا أبو كريب قال ثنا محمد بن يزيد قال ثنا رشدين بن سعد عن عمرو بن الحارث عن أبي الشيخ عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله ابن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لهم البشرى في الحياة الدنيا الرؤيا الصالحة يبشر بها العبد جزء من تسعة وأربعين جزأ من النبوة حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى ابن واضح قال ثنا موسى بن عبيدة عن أيوب بن خالد بن صفوان عن عبادة بن الصامت انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة فقد عرفنا بشرى الآخرة فما بشرى الدنيا قال الرؤيا الصالحة يراها العبد أو ترى له وهي جزء من أربعة وأربعين جزأ أو ستين جزأ من النبوة حدثنا علي بن سهل قال ثنا الوليد بن مسلم قال ثنا أبو عمرو قال ثنا يحيى ابن أبي كثير عن أبي سلمة عن عبادة بن الصامت انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية لهم البشرى في الحياة الدنيا فقال لقد سألتني عن شئ ما سألني عنه أحد من امتي قبلك هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له وفي الآخرة الجنة حدثني أحمد بن حماد الدولابي قال ثنا سفيان عن عبيد الله بن أبي يزيد عن أبيه عن سباع بن ثابت عن أم كرز الكعبية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذهبت النبوة وبقيت المبشرات حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن الاعمش عن ذكوان عن رجل عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله لهم البشرى في الحياة الدنيا قال الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له وفي الآخرة الجنة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن الاعمش عن أبي صالح عن عطاء بن يسار عن رجل كان بمصر قال سألت أبا الدرداء عن هذه الآية لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة فقال أبو الدرداء ما سألني عنها أحد منذ سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما سألني عنها أحد قبلك هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له وفي الآخرة الجنة قال ثنا أبو بكر بن عياش عن عاصم عن أبي صالح عن أبي الدرداء قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة قال ما سألني عنها أحد غيرك هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له قال ثنا جرير عن الاعمش عن أبي صالح عن عطاء بن يسار عن أبي الدرداء في قوله لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة قال سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما سألني عنها أحد قبلك هي الرؤيا الصالحة يراها العبد أو ترى له وفي الآخرة الجنة قال ثنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عبد العزيز بن رفيع عن أبي صالح قال ابن عيينة ثم سمعته من عبد العزيز عن أبي صالح السمان عن عطاء بن يسار عن رجل من أهل مصر قال سألت أبا الدرداء عن هذه الآية لهم البشرى في الحياة الدنيا قال ما سألني عنها أحد منذ سألت عنها رسول الله

(ومنهم من يستمعون اليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ومنهم من ينظر اليك أفأنت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون ان الله لا يظلم الناس شيأ ولكن الناس أنفسهم يظلمون ويوم نحشرهم كأن لم يلبثوا الا ساعة من النهار يتعارفون بينهم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين واما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فالينا مرجعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون ولكل أمة رسول فاذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا الا

الله صلى الله عليه وسلم فقال ماسألنى عنها أحد منذ أنزلت على الا رجل واحد هى الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو ترى له قال ثنا عبدالله بن بكر السهمى عن حاتم بن أبى صغيرة عن عمرو بن دينار انه سأل رجلا من أهل مصر فقيها قدم عليهم فى بعض تلك المواسم قال قلت الا تخبرنى عن قول الله تعالى لهم البشرى فى الحياة الدنيا قال سألت عنها أبا الدرداء فاخبرنى انه سأل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هى الرؤيا الحسنة يراها العبد أو ترى له قال ثنا أبى عن على بن مبارك عن يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة بن عبدالرحمن عن عبادة ابن الصامت قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله تعالى لهم البشرى فى الحياة الدنيا قال هى الرؤيا الصالحة يراها العبد أو ترى له **حدثنى** المثنى قال ثنا مسلم بن ابراهيم وأبو الوليد الطيالسى قالا ثنا أبان قال ثنا يحيى عن أبى سلمة عن عبادة بن الصامت قال قلت يارسول الله قال الله تعالى لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة فقال لقد سألتنى عن شئ ماسألنى عنه أحد قبلك أو أحد من أمتى قال هى الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو ترى له قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا حماد بن زيد عن عاصم بن بهدلة عن أبى صالح قال سمعت أبا الدرداء وسئل عن الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى فى الحياة الدنيا قال ماسألنى عنها أحد قبلك منذ سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها فقال ماسألنى عنها أحد قبلك هى الرؤيا الصالحة يراها العبد أو ترى له **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عبدالله بن أبى يزيد عن نافع بن جبير عن رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله لهم البشرى فى الحياة الدنيا قال هى الرؤيا الحسنة يراها الانسان أو ترى له وقال ابن جريج عن عمرو بن دينار عن أبى الدرداء وابن جريج عن محمد بن المنكدر عن عطاء بن يسار عن أبى الدرداء قال سألت النبى صلى الله عليه وسلم عنها فقال هى الرؤيا الصالحة وقال ابن جريج عن هشام بن عروة عن أبيه قال هى الرؤيا يراها الرجل **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن يحيى ابن أبى كثير قال هى الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عبدة عن هشام بن عروة عن أبيه لهم البشرى فى الحياة الدنيا قال هى الرؤيا الصالحة يراها العبد الصالح قال ثنا ابن فضيل عن ليث عن مجاهد قال هى الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له قال ثنا عبدة ابن سليمان عن طلحة القناد عن جعفر بن أبى المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس لهم البشرى فى الحياة الدنيا قال هى الرؤيا الحسنة يراها العبد المسلم لنفسه أو لبعض اخوانه قال ثنا أبى عن الاعمش عن ابراهيم قال كانوا يقولون الرؤيا من المبشرات **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن قيس بن سعد ان رجلا سأل النبى صلى الله عليه وسلم عنها فقال ماسألنى عنها أحد من أمتى منذ أنزلت على قبلك قال الرؤيا الصالحة يراها الرجل لنفسه أو ترى له قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن العوام عن ابراهيم التيمى ان ابن مسعود قال ذهبت النبوة وبقيت المبشرات قيل وما المبشرات قال الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو ترى له قال ثنا عبدالله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله لهم البشرى فى الحياة الدنيا فهو قوله لنبيه وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا قال هى الرؤيا الحسنة يراها المؤمن أو ترى له قال ثنا اسحق

ماشاء الله لكل أمة أجل اذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون قل أرأيتم ان أتاكم عذابه بياتا أو نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون أثم اذا ماوقع آمنتم به آلآن وقد كنتم به تستعجلون ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون الا بما كنتم تكسبون ويستنبؤنك أحق هو قل اى وربى انه لحق وما أنتم بمعجزين ولو أن لكل نفس ظلمت مافى الارض لافتدت به وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وقضى بينهم بالقسط وهم لايظلمون ألا ان لله مافى السموات والارض ألا ان وعد (٨٧) الله حق ولكن أكثرهم لايعلمون هو يحيى ويميت واليه ترجعون ياأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون وماظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة ان الله لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لايشكرون) القرآآت أفانت بتليين الهمزة ونحوه الاصبهانى عن ورش وحمزة فى الوقف ولكن الناس بالتخفيف والرفع حمزة وعلى وخلف يحشرهم بالياء حفص الباقون بالنون نرينك أو نتوفينك بالنون الخفيفة رويس آلآن ونزن عالآن بحذف الهمزة التى بعد اللام والقاء حركتها على اللام حيث كان أبو جعفر ونافع وزمعة وحمزة فى الوقف ربى انه بفتح الياء أبو عمرو وأبو جعفر ونافع فليفرحوا بياء الغيبة تجمعون بتاء الخطاب ابن عامر ويزيد وقرأ زيد على ضده وقرأ رويس كليهما على الخطاب الباقون على الغيبة فيهما * الوقوف اليك ط لايعقلون ه اليك ط لايبصرون ه يظلمون ه بينهم ط مهتدين ه يفعلون ه رسول ج ط لايظلمون ه صادقين ه ماشاء الله ط أجل ط ولا يستقدمون ه المجرمون ه آمنتم به ط تستعجلون ه الخلد ج ط للاستفهام مع ان القائل واحد يكسبون ه أحق هو ط بمعجزين ه لافتدت به ط العذاب ج ط للعطف على أسروا دون رأوا يظلمون ه والارض ط لايعلمون ه ترجعون ه للمؤمنين ه فليفرحوا ط يجمعون ه وحلالا ط يفترون ه القيامة ط لايشكرون ه نصف السبع * التفسير ان الانسان اذا قوى بغضه لانسان آخر وعظمت نفرته عنه صارت نفسه متوجهة الى طلب مقابحه فى كلامه معرضة عن محاسنه

محاسنه فيه وكما ان الصمم في الاذن معنى ينافي حصول ادراك الصوت والعمى في العين آمر ينافي حصول ادراك الصورة فكذلك حصول هذا البغض الشديد يضاد وقوف الانسان على محاسن من يعاديه فبين الله سبحانه ان في أولئك الكفار من بلغت حاله في النفرة والعداوة الى هذا الحد يستمعون اليك اذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع ولكنهم لا يسمعون ولا يقبلون وينظرون اليك يعاينون أدلة الصدق واعلام النبوة ولكنهم لا يبصرون ولا يصدقون قال اهل المعاني المستمع الى القرآن كالمستمع الى النبي صلى الله عليه وسلم بخلاف النظر فكان في المستمعين كثرة فجمع ليطابق اللفظ المعنى ووحد ينظر حملا على اللفظ اذ لم يكثروا كثرتهم ثم قال أفأنت تطمع ان تقدر على اسماع الصم ولو انضم الى صممهم عدم عقولهم أو تقدر على هداية العمى ولا سيما اذا قرن بفقد البصر فقد البصيرة انما يقدر على ردهم الى حالة الكمال خالق القدر والقوى وحده وهذا الحصر انما يفهم من قوله أفأنت والمقصود من هذا الكلام تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم فان الطبيب اذا رأى مريضا لا يقبل العلاج أصلا أعرض عنه ولم يستوحش من ذلك لان التقصير من المزاج لا من الصنعة والحذق ثم أكد عدم قابليتهم في الفطرة مع اشارة الى ما يلحقهم من الوعيد يوم القيامة بقوله ان الله لا يظلم الآية فسرها المعتزلة بأن المراد من نفي الظلم انه ما ألجأ أحدا الى هذه القبائح والمنكرات ولكنهم باختيار أنفسهم أقدموا عليها وأجاب الواحدي عنه بانه انما نفى الظلم عن نفسه لانه يتصرف في ملك نفسه فلا اعتراض عليه واعلم ان ولكن الناس أنفسهم يظلمون لان الفعل منسوب اليهم بسبب الكسب والتحقيق انه نفى الظلم عنه لان وقوع فريق القهر ضروري ونسب الظلم اليهم لخصوص وقوعهم في الطريق وفيه دقة ثم ذكر وعيد الكفار فقال ويوم نحشرهم أي واذكر يوم نحشرهم كأن لم يلبثوا في محل النصب على الحال أي مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة وقوله يتعارفون اما حال أخرى أو بيان لقوله كأن لم يلبثوا الا ان التعارف لا يبقى مع طول العهد ويجوز ان يكون قوله ويوم نحشرهم متعلقا بيتعارفون والمراد بالتشبيه قلة لبثهم في الدنيا وقيل في القبور واستقلوا المدة الطويلة اما لانهم ضيعوا أعمارهم في الدنيا فجعلوا وجودها كالعدم واستقصروها للدهش والحيرة أو لطول وقوفهم في الحشر أو لشدة ما هم فيه من العذاب نسوا

قال ثنا محمد بن حرب قال ثنا ابن لهيعة عن خالد بن يزيد عن عطاء في قوله لهم البشرى في الحياة الدنيا قال هي رؤيا الرجل المسلم يبشر بها في حياته حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني عمرو بن الحارث ان دراجا أبا السمح حدثه عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لهم البشرى في الحياة الدنيا الرؤيا الصالحة يبشر بها المؤمن جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوة حدثني يونس قال أخبرنا أنس بن عياض عن هشام عن أبيه في هذه الآية لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة قال هي الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو ترى له حدثنا محمد بن عوف قال ثنا أبو المغيرة قال ثنا صفوان قال ثنا حميد بن عبد الله ان رجلا سأل عبادة ابن الصامت عن قول الله تعالى لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة فقال عبادة لقد سألتني عن أمر ما سألني عنه أحد قبلك ولقد سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عما سألتني فقال لي يا عبادة لقد سألتني عن أمر ما سألني عنه أحد من أمتي تلك الرؤيا الصالحة يراها المؤمن لنفسه أو ترى له *وقال آخرون هي بشارة يبشر بها المؤمن في الدنيا عند الموت ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الزهري وقتادة لهم البشرى في الحياة الدنيا قال هي البشارة عند الموت في الحياة الدنيا حدثنا ابن وكيع قال ثنا يعلى عن أبي بسطام عن الضحاك لهم البشرى في الحياة الدنيا قال يعلم أين هو قبل الموت *وأولى الاقوال في تأويل ذلك بالصواب ان يقال ان الله تعالى ذكره أخبر ان لاوليائه المتقين البشرى في الحياة الدنيا ومن البشارة في الحياة الدنيا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له ومنها بشرى الملائكة اياه عند خروج نفسه برحمة الله كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الملائكة التي تحضره عند خروج نفسه تقول لنفسه اخرجي الى رحمة الله ورضوانه ومنها بشرى الله اياه ما وعده في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من الثواب الجزيل كما قال جل ثناؤه وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات تجري من تحتها الانهار الآية وكل هذه المعاني من بشرى الله اياه في الحياة الدنيا بشره بها ولم يخصص الله من ذلك معنى دون معنى فذلك مما عمه جل ثناؤه ان لهم البشرى في الحياة الدنيا وأما في الآخرة فالجنة وأما قوله لا تبديل لكلمات الله فان معناه ان الله لا خلف لوعده ولا تغيير لقوله عما قال ولكنه يمضي لخلقه مواعيده وينجزها لهم وقد حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن أيوب عن نافع قال أطال الحجاج الخطبة فوضع ابن عمر رأسه في حجره فقال الحجاج ان ابن الزبير بدل كتاب الله فقعد ابن عمر فقال لا تستطيع أنت ذلك ولا ابن الزبير لا تبديل لكلمات الله فقال الحجاج لقد أوتيت علما ان تفعل قال أيوب فلما أقبل عليه في خاصة نفسه سكت وقوله ذلك هو الفوز العظيم يقول تعالى ذكره هذه البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة هي الفوز العظيم يعني الظفر بالحاجة والطلبة والنجاة من النار ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ولا يحزنك قولهم ان العزة لله جميعا هو السميع العليم) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم لا يحزنك يا محمد قول هؤلاء المشركين في ربهم ما يقولون واشراكهم معه الاوثان والاصنام فان العزة لله جميعا يقول تعالى ذكره فان الله هو المنفرد بعزة الدنيا والآخرة لا شريك له فيها وهو المنتقم من هؤلاء المشركين

القائلين

لذات الدنيا واستقصرها وأما التعارف فقد قيل يعرف بعضهم بعضا ما كانوا عليه من الخطأ والكفر وقيل يعرف كل واحد أهل معرفته والجمع بين ذلك وبين قوله ولا يسأل حميم حميما ان هذا التعارف توبيخ وتضليل يقول كل فريق لصاحبه انت أضللتني يوم كذا وانهم يتعارفون اذا بعثوا ثم تنقطع المعرفة وانما حذف جميعا في هذه الآية اكتفاء بما في الآية السابقة ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا ولان الآية سبقت هنالك لبيان حشر العابدين والمعبودين فأكد بقوله جميعا ليشمل (٨٩) الفريقين صريحا والله أعلم قوله قد خسر

القائلين فيه من القول الباطل ما يقولون فلا ينصرهم عند انتقامه منهم أحد لانه لا يعازه شيء هو السميع العليم يقول وهو ذو السمع لما يقولون من الفرية والكذب عليه وذو علم بما يضمرونه في أنفسهم ويعلنونه محصى ذلك عليهم كله وهو لهم بالمرصاد وكسرت ان من قوله ان العزة لله جميعا لان ذلك خبر من الله مبتدأ ولم يعمل فيها القول لان القول عني به قول المشركين وقوله ان العزة لله جميعا لم يكن من قيل المشركين ولا هو خبر عنهم انهم قالوه ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ألا ان لله من في السموات ومن في الارض وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون) يقول تعالى ذكره الا ان لله يا محمد كل من في السموات ومن في الارض ملكا وعبيدا لا مالك لشيء من ذلك سواه يقول فكيف يكون الها معبودا من يعبده هؤلاء المشركون من الاوثان والاصنام وهي لله ملك وانما العبادة للمالك دون المملوك وللرب دون المربوب وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء يقول جل ثناؤه واي شيء يتبع من يدعو من دون الله يعني غير الله وسواه شركاء ومعنى الكلام أي شيء يتبع من يقول لله شركاء في سلطانه وملكه كاذبا والله المنفرد بملك كل شيء في سماء كان أو ارض ان يتبعون الا الظن يقول ما يتبعون في قيلهم ذلك ودعواهم الا الظن يقول الا الشك لا اليقين وان هم الا يخرصون يقول وان هم الا يتقولون الباطل تظننا وتخرصا للافك عن غير علم منهم بما يقولون ۞ القول في تأويل قوله تعالى (هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون) يقول تعالى ذكره ان ربكم أيها الناس الذي استوجب عليكم العبادة هو الرب الذي جعل لكم الليل وفصله من النهار لتسكنوا فيه مما كنتم فيه في نهاركم من التعب والنصب وتهدؤا فيه من التصرف والحركة للمعاش والعناء الذي كنتم فيه بالنهار والنهار مبصرا يقول وجعل النهار مبصرا فاضاف الابصار الى النهار وانما يبصر فيه وليس النهار مما يبصر ولكن لما كان مفهوما في كلام العرب معناه خاطبهم بما في لغتهم وكلامهم وذلك كما قال جرير

لقد لمتنا يا أم غيلان في السرى * ونمت وما ليل المطي بنائم

فاضاف النوم الى الليل ووصفه به ومعناه نفسه انه لم يكن نائما فيه هو ولا بعيره يقول تعالى ذكره فهذا الذي يفعل ذلك هو ربكم الذي خلقكم وما تعبدون مالا ينفع ولا يضر ولا يفعل شيأ وقوله ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون يقول تعالى ذكره ان في اختلاف حال الليل والنهار وحال أهلهما فيهما دلالة وحججا على ان الذي له العبادة خالصا بغير شريك هو الذي خلق الليل والنهار وخالف بينهما بان جعل هذا للخلق سكنا وهذا لهم معاشا دون من لا يخلق ولا يفعل شيأ ولا يضر ولا ينفع وقال لقوم يسمعون لان المراد منه الذين يسمعون هذه الحجج ويتفكرون فيها فيعتبرون بها ويتعظون ولم يرد به الذين يسمعون بآذانهم ثم يعرضون عن عبره وعظاته ۞ القول في تأويل قوله تعالى (قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغني له ما في السموات وما في الارض ان عندكم من سلطان بهذا أتقولون على الله ما لا تعلمون) يقول تعالى ذكره قال هؤلاء المشركون بالله من قومك يا محمد اتخذ الله ولدا وذلك قولهم الملائكة بنات الله يقول الله منزها نفسه عما قالوا وافتروا عليه من ذلك سبحان الله تنزيها لله عما قالوا وادعوا على ربهم هو الغني يقول الله غني عن خلقه جميعا فلا حاجة به الى ولد لان الولد انما

استئناف فيه معنى التعجب كأنه قيل ما أخسرهم وفيه شهادة من الله على خسرانهم وجوز في الكشاف ان يكون على ارادة القول أي يتعارفون بينهم قائلين ذلك ثم أكد خسرانهم بقوله وما كانوا مهتدين أي في رعاية مصالح هذه التجارة لانهم أعطوا الكثير الشريف الباقي وقنعوا بالقليل الخسيس الفاني كمن رأى زجاجة خسيسة فظنها جوهرة نفيسة فاشتراها بكل ماله فاذا عرضها على الناقد بن خاب سعيه وفات أمله ثم سلى رسوله صلى الله عليه وسلم فقال واما نرينك وجوابه محذوف وقوله فالينا مرجعهم جواب أو نتوفينك والمعنى واما نرينك في أعدائك بعض الذي نعدهم في الدنيا فذاك أو نتوفينك قبل ان تدركه فنحن نريكهم في الآخرة لان مرجع الكل الينا ولقد صدق الله وعده فقد أراه في هذه الدار خزيهم وقهرهم بالقتل والاسر والاستيلاء عليهم والاستعلاء على ديارهم وأموالهم والذي سيريه في الآخرة أكبر وأدوم يدل عليه لفظ ثم لتبعيد الرتبة في قوله ثم الله شهيد على ما يفعلون ولا يخفى نتيجة هذه الشهادة من السخط والعقاب ويحتمل ان يراد بانطاق جوارحهم يوم القيامة جعل ذلك بمنزلة شهادة الله ثم بين انه ما أهمل أمة من الامم من رسول في وقت من الاوقات فقال ولكل أمة رسول وزمان

الفترة محمول على ضعف دعوة النبي صلى الله عليه وسلم المتقدم ووقوع موجبات التخابط في شرعه فاذا جاء رسولهم فبلغ فكذبه قوم وصدقه آخرون وقضي بينهم بالقسط أي حكم وفصل بالعدل فأنجي الرسول والمصدقون وعذب المكذبون فهذه الآية نظيرة قوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ويحتمل ان يقال المراد ولكل أمة من الامم يوم القيامة رسول ينسبون اليه ويدعون به فكأنه تعالى يقول أنا شهيد على

أعمالهم ومع ذلك فانى أحضر فى موقف القيامة مع كل قوم رسولهم حتى يشهد عليهم بالكفر والايمان فاذا جاء رسولهم وشهد لهم أو عليهم قضى بينهم والمراد منه المبالغة فى اظهار العدل والنصفة فتكون الآية كقوله فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد ثم ذكر شبهة أخرى من شبهات الكفرة وذلك انه صلى الله عليه وسلم كلما هددهم بنزول العذاب ومر زمان ولم يظهر ذلك العذاب كانوا يقولون متى هذا الوعد استبعادا لنزوله وتقدحا فى نبوته وهذا مما يؤكد القول الاول فى الآية المتقدمة لانه لا يجوز أن يقولوا متى هذا الوعد عند حضورهم فى دار الآخرة لحصول اليقين والمعرفة حينئذ وأيضا قوله ان كنتم صادقين لفظ الجمع موافق لقوله ولكل أمة رسول ثم أمره ان يجيب بما يحسم مادة الشبهة وهو قوله قل لا أملك لنفسى ضرا من مرض أو فقر ولا نفعا من صحة أو غنى الا ما شاء الله قال العلماء انه استثناء منقطع أى ولكن ما شاء الله من ذلك كائن فكيف أملك لكم الضر وجلب العذاب ثم بين ان أحدا لا يموت الا بالقضاء وان لعذاب كل طائفة أمدا محدودا لا يتجاوزه فلا وجه للاستعجال فقال لكل أمة أجل الآية وقد مر تفسير الآية فى أوائل الاعراف الا انه أدخل الفاء ههنا فى الجزاء فانه بنى الشرط على الاستئناف أو البيان بخلاف ما هنالك فانه جعل الشرط مرتبا على قوله ولكل أمة أجل فلم يحسن الجمع بين الفاءين ثم زيف رأيهم فى استعجال العذاب مرة أخرى فقال قل أرأيتم أى اخبرونى ان أتاكم عذابه بياتا أى فى حين الغفلة والراحة أو نهارا حين الاشتغال بطلب المعاش كما مر فى أول الاعراف ماذا يستعجل أى شئ يستعجل منه أى من العذاب المجرمون وانما قيل ماذا يستعجلون منه دلالة على موجب ترك الاستعجال وهو الاجرام لان حق المجرم ان يخاف التعذيب على اجرامه وان أبطأ مجيئه فضلا عن ان يستعجله ومن للبيان أو للابتداء والمعنى ان العذاب كله مر المذاق موجب الحسن للنفار فاى شئ يستعجلون منه وليس شئ منه يوجب الاستعجال أو المراد التعجب كأنه قيل أى شئ هول شديد يستعجلون وقيل الضمير فى منه لله تعالى وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال او تعرفوا الخطأ فيه وماذا الجملة مفعول أرأيتم ويجوز ان يكون جوابا للشرط كقولك ان أتيتك ماذا تطعمنى ثم تتعلق الجملة بأرأيتم ويجوز ان يكون اعتراضا وجواب الشرط أثم اذا ما وقع آمنتم به والمعنى ان أتاكم عذابه

يطلبه من يطلبه ليكون عونا له فى حياته وذكرا له بعد وفاته والله عن كل ذلك غنى فلا حاجة به الى معين يعينه على تدبيره ولا يبيد فيكون به حاجة الى خلف بعده له ما فى السموات وما فى الارض يقول تعالى ذكره لله ما فى السموات وما فى الارض ملكا والملائكة عباده وملكه فكيف يكون عبد الرجل وملكه له ولدا يقول أفلا تعقلون أيها القوم خطأ ما تقولون ان عندكم من سلطان بهذا يقول ما عندكم أيها القوم بما تقولون وتدعون من ان الملائكة بنات الله من حجة تحتجون بها وهي السلطان أتقولون على الله ما لا تعلمون يقول أتقولون على الله قولا لا تعلمون حقيقته وصحته وتضيفون اليه ما لا يجوز اضافته اليه جهلا منكم بما تقولون بغير حجة ولا برهان ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى (قل ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع فى الدنيا ثم الينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهم ان الذين يفترون على الله الكذب فيقولون عليه الباطل ويدعون له ولدا لا يفلحون يقول لا يبقون فى الدنيا ولكن لهم متاع فى الدنيا يمتعون به وبلاغ يتبلغون به الى الاجل الذى كتب فناؤهم فيه ثم الينا مرجعهم يقول ثم اذا انقضى أجلهم الذى كتب لهم الينا مصيرهم ومنقلبهم ثم نذيقهم العذاب الشديد وذلك اصلاؤهم جهنم بما كانوا يكفرون بالله فى الدنيا فيكذبون رسله ويجحدون آياته ورفع قوله متاع بمضمر قبله اما ذلك واما هذا ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى (واتل عليهم نبأ نوح اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم مقامى وتذكيرى بآيات الله فعلى الله توكلت فاجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا الى ولا تنظرون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واتل على هؤلاء المشركين الذين قالوا اتخذ الله ولدا من قومك نبأ نوح يقول خبر نوح اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم مقامى يقول ان كان عظم عليكم مقامى بين أظهركم وشق عليكم وتذكيرى بآيات الله يقول ووعظى اياكم بحجج الله وتنبيهى اياكم على ذلك فعلى الله توكلت يقول ان كان شق عليكم مقامى بين أظهركم وتذكيرى بآيات الله فعزمتم على قتلى أو طردى من بين أظهركم فعلى الله اتكالى وبه ثقتى وهو سندى وظهرى فاجمعوا أمركم يقول فأعدوا أمركم واعزموا على ما تقدمون عليه فى أمرى يقال منه أجمعت على كذا بمعنى عزمت عليه ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم من لم يجمع على الصوم من الليل فلا صوم له بمعنى من لم يعزم ومنه قول الشاعر

يا ليت شعرى والمنى لا تنفع * هل أغدون يوما وأمرى مجمع

وروى عن الاعرج فى ذلك ما حدثنى بعض أصحابنا عن عبد الوهاب عن هارون عن أسيد عن الاعرج فاجمعوا أمركم وشركاءكم يقول أحكموا أمركم وادعوا شركاءكم ونصب قوله شركاءكم بفعل مضمر له وذلك وادعوا شركاءكم وعطف بالشركاء على قوله أمركم على نحو قول الشاعر

ورأيت زوجك فى الوغى * متقلدا سيفا ورمحا

فالرمح لا يتقلد ولكن لما كان فيما أظهر من الكلام دليل على ما حذف فاكتفى بذكر ما ذكر منه مما حذف فكذلك ذلك فى قوله وشركاءكم واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته قراء الامصار وشركاءكم نصبا وقوله فاجمعوا بهمز الالف وفتحها من أجمعت أمرى فأنا أجمعه اجماعا وذكر عن

الحسن البصرى انه كان يقرؤه فاجمعوا أمركم بفتح الالف وهمزها أمركم وشركاؤكم بالرفع على معنى واجمعوا أمركم وليجمع أمرهم أيضا معكم شركاؤكم * والصواب من القول فى ذلك قراءة من قرأ فاجمعوا أمركم وشركاءكم بفتح الالف من أجمعوا ونصب الشركاء لانها فى المصحف بغير واو ولاجماع الحجة على القراءة بها ورفض ما خالفها ولا يعترض عليها بمن يجوز عليه الخطأ والسهو وعنى بالشركاء آلهتهم وأوثانهم وقوله ثم لا يكن أمركم عليكم غمة يقول ثم لا يكن أمركم عليكم ملتبسا مشكلا مبهما من قولهم غم على الناس الهلال وذلك اذا أشكل عليهم فلم يتبينوه ومنه قول رؤبة

بل لو شهدت الناس اذ تكموا * بغمة لولم تفرج غموا

وقيل ان من ذلك الغم لان الصدر يضيق به ولا يتبين صاحبه لامره مصدرا يصدره يتفرج عنه ما بقلبه ومنه قول خنساء

وذى كربة راخى ابن عمرو خناقه * وغمته عن وجهه فتجلت

وكان قتادة يقول فى ذلك ما حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة أمركم عليكم غمة قال لا يكبر عليكم أمركم وأما قوله ثم اقضوا الى فان معناه ثم امضوا الى ما فى أنفسكم وافرغوا منه كما حدثنى محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ثم اقضوا الى ولا تنظرون قال اقضوا الى ما كنتم قاضين حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله ثم اقضوا الى ولا تنظرون قال اقضوا الى ما فى أنفسكم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله واختلف أهل المعرفة بكلام العرب فى معنى قوله ثم اقضوا الى فقال بعضهم معناه امضوا الى كما يقال قد قضى فلان يراد قد مات ومضى وقال آخرون منهم بل معناه ثم افرغوا الى وقالوا القضاء الفراغ والقضاء من ذلك قالوا وكأن قد قضى دينه من ذلك انما هو فرغ منه وقد حكى عن بعض القراء انه قرأ ذلك ثم افضوا الى بمعنى توجهوا الى حتى تصلوا الى من قولهم قد أفضى الى الوجع وشبهه وقوله ولا تنظرون يقول ولا تؤخرون من قول القائل أنظرت فلانا بما لى عليه من الدين وانما هذا خبر من الله تعالى ذكره عن قول نبيه نوح عليه السلام لقومه انه بنصرة الله عليهم واثق ومن كيدهم وتواثقهم غير خائف واعلام منه لهم ان آلهتهم لا تضر ولا تنفع يقول لهم امضوا ما تحدثون أنفسكم به فىّ على عزم منكم صحيح واستعينوا مع من شاء معكم على بآلهتكم التى تدعون من دون الله ولا تؤخروا ذلك فانى قد توكلت على الله وأنا به واثق انكم لا تضروننى الا ان يشاء ربى وهذا وان كان خبرا من الله تعالى عن نوح فانه حث من الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم على التأسى به وتعريف منه سبيل الرشاد فيما قلده من الرسالة والبلاغ عنه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (فان توليتم فما سألتكم من أجر ان أجرى الا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل نبيه نوح عليه السلام لقومه فان توليتم أيها القوم عنى بعد دعائى اياكم وتبليغ رسالة ربى اليكم مدبرين فاعرضتم عما دعوتكم اليه من الحق والاقرار بتوحيد الله واخلاص العبادة له وترك اشراك الآلهة فى عبادته فتضييع منكم وتفريط فى واجب حق الله عليكم لا بسبب من قبلى فانى لم أسألكم على ما دعوتكم اليه اجرا ولا عوضا أعتاضه

آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان ودخول حرف الاستفهام على ثم كدخوله على الواو والفاء الآن على ارادة القول أى قيل لهم اذا آمنوا بعد وقوع العذاب آلآن آمنتم به وقد كنتم به تستعجلون على جهة التكذيب والانكار وقوله ثم قيل عطف على قيل المضمر قبل الآن والحاصل ان الذى تطلبونه ضرر محض عار عن المنفعة والعاقل لا يطلب مثل ذلك وانما قلنا انه ضرر محض لانه اذا وقع العذاب فاما أن تؤمنوا وايمان اليأس غير مقبول واما ان لا تؤمنوا فيحصل عقيب ذلك عذاب آخر اشد وادوم (٩١) ويقال على سبيل الاهانة ذوقوا عذاب الخلد فان قلتم الهنا أنت الغنى عن الكل فكيف يليق برحمتك هذا الوعيد والتهديد أجيبتم هل تجزون الا بما كنتم تكسبون فالجزاء مرتب على العمل ترتب المعلول على العلة كما يقوله الحكيم أو ترتب الاجر الواجب عند المعتزلة أو بحكم الوعد المحض عند أهل السنة وتفسير الكسب مذكور فى البقرة فى قوله لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ثم حكى عنهم انهم بعد هذه البيانات استفهموا تارة أخرى عن تحقيق العذاب فقال ويستنبؤنك أحق هو وهو استخبار على جهة الاستهزاء والانكار أى أحق ما تعدنا به من نزول العذاب فى العاجل وهذا السؤال جهل محض لانه تقدم ذكره مع الجواب مرة واحدة فلا وجه للاعادة ولانه قد تبين بالبراهين القاطعة صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فيلزم القطع بصحة كل ما يخبر عن وقوعه وقيل المراد أحق ما جئتنا به من القرآن والشرائع وقيل أى ما تعدنا من البعث والقيامة فامره الله تعالى ان يجيبهم بقوله قل اى وربى ومعناه نعم ولكنه مستعمل مع القسم البتة وفائدة هذا القسم فى جوابهم ان يكون قد أبرز الكلام معهم على الوجه المعتاد بينهم احتمالة اقلوبهم ومن الظاهر ان من أخبر عن شىء وأكده بالقسم فقد أخرجه عن حد الهزل وأدخله فى باب الجد فقد يكون هذا القدر مقنعا اذا لم يكن الخصم ألد ثم أكد مضمون المقسم عليه بقوله وما أنتم بمعجزين فائتين العذاب والغرض التنبيه على ان أحدا لا يدافع نفسه عما أراد الله وقضى ثم زاد فى التأكيد بقوله ولو أن لكل نفس الآية وقد مر مثله فى آل عمران والمائدة وقوله ظلمت صفة لنفس اما قوله وأسروا الندامة فقد قيل الاسرار بمعنى الاظهار والهمزة للسلب أى أظهروا الندامة لانه ليس هناك تجلد والمشهور انه الاخفاء وسببه انهم تواصوا حين عاينوا وقيل الاسرار بمعنى الاظهار والهمزة

قلت أى ماسلبهم قواهم فلم يطيقوا اصراخا ولا بكاء أو أخفوا الندامة من سفلتهم واتباعهم حياء منهم وخوفا من توبيخهم وهذا التزوير في
أول ما يرون العذاب اما عند احاطة النار بهم فلا يبقى هذا التماسك أو أراد بالاخفاء الاخلاص لان من أخلص فى الدعاء أسره وفيه تهكم بهم
وباخلاصهم لانهم أتوا بذلك فى غير وقته وقضى بينهم بالقسط قيل أى بين المؤمنين والكافرين وقيل بين الرؤساء والاتباع وقيل بين
الكفار بانزال العقوبة عليهم وقيل بين الظالمين من الكفار والمظلومين منهم فيكون فى ذلك القضاء تخفيف من عذاب
بعضهم وتثقيل لعذاب بعضهم
وان اشتركوا كلهم فى العذاب ثم
ذكر فى آيتين انه جميع ما قرر
بحكم المالكية والقدرة على الاحياء
والاماتة والابداء والاعادة وقيل
فى وجه النظم انه لما ذكر حديث
الافتداء بين انه ليس للظالم شئ
يفتدى به فان كل الاشياء ملكه
وملكه وقيل انه لما أقسم على
حقية ما جاء به النبى وكان دليلا
اقناعيا أراد ان يصححها بالبرهان
النير فذكر ان كل ما فى هذا العالم
من نبات وحيوان وجسد وروح
وظلمة ونور وعلوى وسفلى بسيط
ومركب فهو ملكه فلكونه قادرا
على جميع الممكنات يقدر على
ايصال الرحمة الى أوليائه والعذاب
الى أعدائه ولكونه منزها عن
النقائص والآفات يكون بريئا
عن الخلف فى الوعد والايعاد وفى
تصدير الكلام بكلمة ألا تنبيه
للغافلين وايقاظ للنائمين وتقريع
للناظرين فى الاسباب الظاهرة
القائلين البستان للامير والدار
للوزير والغلام لزيد والجارية
لعمرو ولا يعلمون أن كلها عوار
وودائع ولا بد يوما أن ترد الودائع
واعلم ان الطريق الى اثبات نبوة
الانبياء بامور أحدها اظهار
المعجزة على يده مطابقة للدعواه
وقد قرره الله سبحانه فى هذه
السورة على أحسن الوجوه حيث
قال وما كان هذا القرآن أن يفترى الى تمام الآيتين والثانى ان نعلم بعقولنا ان الاعتقاد الحق والعمل
الصالح ماهو فكل من جاء ودعا الخلق الى ذلك وادعى الرسالة وكان لنفسه قوة تكميل الناقصين غلب على ظننا انه النبى الحق فاشار سبحانه الى
هذا الطريق بقوله قل يا أيها الناس الآية فوصف القرآن بصفات أربع الاولى كونه موعظة والمراد بها الزجر عما لا ينبغى كالطبيب ينهى
المريض أولا عما يضره الثانية كونه شفاء لما فى الصدور وحصول العقائد الحقة والاخلاق الحميدة قبيلها بلى اضدادها كالطبيب بعد الحمية يبلى

منكم باجابتكم اياى الى ما ادعوتكم اليه من الحق والهدى ولا طلبت منكم عليه ثوابا ولا جزاء ان
أجرى الا على الله يقول جل ثناؤه ان جزائى وأجر عملى وثوابه الا على ربى لا عليكم أيها القوم ولا على
غيركم وأمرت أن أكون من المسلمين وأمرنى ربى أن أكون من المذعنين له بالطاعة المنقادين
لامره ونهيه المتذللين له ومن أجل ذلك أدعوكم اليه وبامره آمركم بترك عبادة الاوثان
❁ القول فى تاويل قوله تعالى (فكذبوه فنجيناه ومن معه فى الفلك وجعلناهم خلائف وأغرقنا
الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) يقول تعالى ذكره فكذب نوحا قومه فيما
أخبرهم به عن الله من الرسالة والوحى فنجيناه ومن معه ممن حمل معه فى الفلك يعنى فى السفينة
وجعلناهم خلائف يقول وجعلنا الذين نجينا مع نوح فى السفينة خلائف فى الارض من قومه
الذين كذبوه بعد ان أغرقنا الذين كذبوا بآياتنا يعنى حججنا وأدلتنا على توحيدنا ورسالة رسولنا نوح
يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فانظر يا محمد كيف كان عاقبة المنذرين وهم الذين أنذرهم
نوح عقاب الله على تكذيبهم اياه وعبادتهم الاصنام يقول له جل ثناؤه انظر ماذا أعقبهم تكذيبهم
رسولهم فان عاقبة من كذبك من قومك ان تمادوا فى كفرهم وطغيانهم على ربهم نحو الذى كان من
عاقبة قوم نوح حين كذبوه يقول جل ثناؤه فليحذروا ان يحل بهم مثل الذى حل بهم ان لم يتوبوا
❁ القول فى تاويل قوله تعالى (ثم بعثنا من بعده رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا
بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع على قلوب المعتدين) يقول تعالى ذكره ثم بعثنا من بعد نوح
رسلا الى قومهم فاتوهم ببينات من الحجج والادلة على صدقهم وانهم لله رسل وان ما يدعونهم اليه
حق فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل يقول فما كانوا ليصدقوا بما جاءتهم به رسلهم بما
كذب به قوم نوح ومن قبلهم من الامم الخالية من قبلهم كذلك نطبع على قلوب المعتدين يقول
تعالى ذكره كما طبعنا على قلوب أولئك فختمنا عليها فلم يكونوا يقبلون من أنبياء الله نصيحتهم ولا
يستجيبون لدعائهم اياهم الى ربهم بما اجترموا من الذنوب واكتسبوا من الآثام كذلك نطبع على
قلوب من اعتدى على ربه فتجاوز ما أمره به من توحيده وخالف ما دعاهم اليه رسلهم من طاعته
عقوبة لهم على معصيتهم ربهم من هؤلاء الآخرين من بعدهم ❁ القول فى تاويل قوله تعالى
(ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون الى فرعون وملائه بآياتنا فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين) يقول
تعالى ذكره ثم بعثنا من بعد هؤلاء الرسل الذين أرسلناهم من بعد نوح الى قومهم موسى وهارون
ابنى عمران الى فرعون مصر وملائه يعنى واشراف قومه وسادتهم بآياتنا يقول بادلتنا على حقيقة
ما دعوهم اليه من الاذعان لله بالعبودة والاقرار لهما بالرسالة فاستكبروا يقول فاستكبروا عن
الاقرار بما دعاهم اليه موسى وهارون وكانوا قوما مجرمين يعنى آثمين بربهم بكفرهم بالله تعالى
❁ القول فى تاويل قوله تعالى (فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا لسحر مبين قال موسى
أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا ولا يفلح الساحرون) يقول تعالى ذكره فلما جاءهم الحق من
عندنا يعنى فلما جاءهم بيان ما دعاهم اليه موسى وهرون وذلك الحجج التى جاءهم بها وهى الحق الذى
جاءهم من عند الله قالوا ان هذا لسحر مبين يعنون انه يبين لمن رآه وعاينه انه سحر لا حقيقة له قال
موسى

موسى لهم أتقولون للحق لما جاءكم من عند الله أسحر هذا واختلف أهل العربية فى سبب دخول ألف الاستفهام فى قوله أسحر هذا فقال بعض نحوى البصرة أدخلت فيه على الحكاية لقولهم لانهم قالوا أسحر هذا فقال أتقولون أسحر هذا وقال بعض نحوى الكوفة انهم قالوا هذا سحر ولم يقولوه بالالف لان أكثر ماجاء بغير ألف قال فيقال فلم أدخلت الالف فيقال قد يجوز ان تكون من قيلهم وهم يعلمون انه سحر كما يقول الرجل للجائزة اذا أتته أحق هذا وقد علم انه حق قال وقد يجوز ان تكون على التعجب منهم أسحر هذا ما أعظمه وأولى ذلك فى هذا بالصواب عندى ان يكون المقول محذوفا و يكون قوله أسحر هذا من قيل موسى منكرا على فرعون وملائه قولهم للحق لما جاءهم سحر فيكون تأويل الكلام حينئذ قال موسى لهم أتقولون للحق لما جاءكم وهى الآيات التى أتاهم بها من عند الله حجة له على صدقه سحر أسحر هذا الحق الذى ترونه فيكون السحر الاول محذوفا اكتفاء بدلالة قول موسى أسحر هذا على انه مراد فى الكلام كما قال ذو الرمة

فلما لبسن الليل أوحين نصبت * له من حذا آذانها وهو جانح

يريد أوحين أقبل ثم حذف اكتفاء بدلالة الكلام عليه وكما قال جل ثناؤه فاذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم والمعنى بعثناهم ليسوؤا وجوهكم فترك ذلك اكتفاء بدلالة الكلام عليه فى اشباه لما ذكرنا كثيرة يتعب احصاؤها وقوله ولا يفلح الساحرون يقول ولا ينجح الساحرون ولا يبقون

القول فى تأويل قوله تعالى (قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء فى الارض وما نحن لكما بمؤمنين) يقول تعالى ذكره قال فرعون وملؤه لموسى أجئتنا لتلفتنا يقول لتصرفنا وتلوينا عما وجدنا عليه آباءنا من قبل مجيئك من الدين يقال منه لفت فلان عنق فلان اذا لواها كما قال ذو الرمة

لفتا وتهزيعا سواء اللفت * التهزيع الدق واللفت الليّ كما حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة لتلفتنا قال لتلوينا عما وجدنا عليه آباءنا وقوله وتكون لكما الكبرياء فى الارض يعنى العظمة وهى الفعلياء من الكبر ومنه قول ابن الرقاع

سودد اغير فاحش لايدا * نيه تجبارة ولا كبرياء

حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وتكون لكما الكبرياء فى الارض قال الملك قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن مجاهد وتكون لكما الكبرياء فى الارض قال السلطان فى الارض قال ثنا محمد بن بكر عن ابن جريج قال بلغنى عن مجاهد قال الملك فى الارض قال ثنا المحاربى عن جويبر عن الضحاك وتكون لكما الكبرياء فى الارض قال الطاعة حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وتكون لكما الكبرياء فى الارض قال الملك قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنى الحارث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان عن الاعمش عن مجاهد قال السلطان فى الارض وهذه الاقوال كلها متقاربات المعانى وذلك ان الملك سلطان والطاعة ملك غير ان معنى الكبرياء هو ما ثبت فى كلام العرب ثم يكون ذلك عظمة بملك وسلطان وغير ذلك وقوله وما نحن لكما

المرض والاخلاط المحمودة بدل الاخلاط الفاسدة بالمعالجات الصائبة والادوية النافعة الثالثة حصول الهدى بسببه وذلك انه اذا زالت الملكات الردية التى طبيعتها الظلمة وصارت مرآة النفس مصقولة محاذية لعالم القدس انطبع فيها نقش الملكوت وتجلى لها قدس اللاهوت الرابعة كونه رحمة للمؤمنين وذلك بان تصير النفس البالغة لى هذه الدرجات الروحانية والمعارج الربانية بحيث تفيض أنوارها على أرواح الناقصين فيض النور من جوهر الشمس على اجرام هذا العالم وانما خص المؤمنين (٩٣) بهذه الرحمة لان كل روح لم يتوجه الى خدمة أرواح الانبياء المطهرين لم ينتفع بانوارهم كما ان كل جرم لم يقع فى مواجهة قرص الشمس لا يستضىء بنورها والحاصل ان الموعظة اشارة الى تطهير ظواهر الخلق عما لا ينبغى وهو الشريعة والشفاء اشارة الى تطهير الارواح عن العقائد الفاسدة والاخلاق الردية بتحصيل اضدادها وهى الطريقة والهدى عبارة عن ظهور نور الحق فى قلوب الصديقين وهى الحقيقة والرحمة اشارة الى كونها بالغة فى الكمال والاشراق الى حيث تصير مكملة للباقين وهى النبوة ولما أرشد سبحانه الى الطريق الموصل الى السعادات الباقية الروحانية ذكر انها هى التى يجب ان يكمل الفرح بحصولها دون السعادات الفانية الجسمانية فقال قل بفضل الله وبرحمته قال فى الكشاف أصل الكلام بفضل الله وبرحمته فليفرحوا فبذلك فليفرحوا والتكرير للتقرير والتأكيد وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا فحذف أحد الفعلين لدلالة الآخر عليه والفاء داخلة لمعنى الشرط كأنه قيل ان فرحوا بشئ فليخصوهما بالفرح ويجوز ان يراد بفضل الله وبرحمته فليعتنوا فبذلك فليفرحوا وان يراد قد جاءتكم موعظة بفضل الله وبرحمته فبذلك أى بمجيئها فليفرحوا وعلى هذا يكون قل اعتراضا ومن قرأ بتاء الخطاب فمعناه على ما نقل عن زيد بن ثابت فبذلك فلتفرحوا يا أصحاب محمد هو خير مما يجمع الكفار ونسبت هذه القراءة الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو الاصل والقياس لانه أدل على الامر بالفرح وأشد تصريحا به وانما قلنا انه الاصل لان حكم الامر فى المخاطب والغائب واحد الا انه خفف أمر المخاطب بحذف اللام وحذف حرف المضارعة لكثرة الاستعمال فى المخاطب والى همزة الوصل ومن قرأ تجمعون بتاء الخطاب فانه عنى المخاطبين والغائبين جميعا الا انه غلب الخطاب كما غلب

التذكير أو كأنه أراد المؤمنين وفيه حث لهم على ترجيح الجواذب العقلية الروحانية على الوازع النفسانية الجسدانية لانه لا معنى لهذه اللذات الجسمانية الا دفع الآلام والمعنى العدمي لا يستحق الفرح به وبتقدير ان تكون صفات الثبوتية الا ان التضرر بآلامها أقوى من الانتفاع بلذاتها فلا نسبة للذة الوقاع وهي أقوى اللذات الى ألم القولنج وسائر الآلام القوية وأيضا ان مداخل اللذات الجسمانية معظمها البطن والفرج ومداخل الآلام كل جزء من أجزاء البدن وأيضا اللذات الجسمانية لا بقاء لها مثلا اذا زال ألم الجوع زال الالتذاذ بالاكل وكل ما لا بقاء له لا يشتد فرح العاقل بحصوله ولو لم يحصل في لذة الاكل والوقاع الا اتعاب الحواس والجوارح في مقدماتها ولواحقها لكفى ومن المعلوم ان الفرح الحاصل بحدوث الولد لا يعادل الحزن الواقع عند موته وفيه قال المعري ان حزنا في ساعة الموت لاضعاف سرور في ساعة الميلاد فتبين بهذا ان الفرح انما يجب ان يكون بالروحانيات الباقيات لا بالجسمانية الزائلات اما المفسرون فقد قالوا فضل الله الاسلام ورحمته ما وعد عليه وعن أبي بن كعب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قل بفضل الله وبرحمته فقال بكتاب الله والاسلام ومثله ما روي عن أبي سعيد الخدري فضل الله القرآن ورحمته ان جعلكم من أهله ثم أشار الى طريق ثالث في اثبات النبوة فقال قل أرأيتم الآية وتقريره انكم تحكمون بحل بعض الاشياء وبحرمة بعضها فان كان هذا لمجرد التشهي فذلك طريق باطل مهجور بالاتفاق لادائه الى التنازع والتشاجر واختلاف الآراء وافتراق الاهواء وان كان لانه حكم الله فيكم فبم عرفتم ذلك فان كان بقول رسول أرسله اليكم فقد اعترفتم بصحة النبوة والا كان افتراء على الله وفي الآية أيضا اشارة الى فساد طريقتهم في شرائعهم وأحكامهم من تحريم السوائب والبحائر وقولهم هذه أنعام وحرث حجر وغير ذلك وما أنزل الجملة في ما محل الرفع بالابتداء وخبره آلله أذن لكم وقل مكرر للتأكيد والرابط محذوف ومجموع المبتدأ والخبر متعلق بأرأيتم والمعنى أخبروني الذي أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا آلله أذن لكم في تحريمه وتحليله أم على الله تفترون وعن الزجاج ان ما في ما أنزل بمعنى الاستفهام منصوب بأنزل وانه مع معموله مفعول أرأيتم معناه أخبروني وعلى هذا يكون قل آلله كلاما مستأنفا ومعنى أنزل خلق وانشأ كقوله

بمؤمنين يقول وما نحن لكما يا موسى وهارون بمؤمنين يعني بمقرين بأنكما رسولان أرسلتما الينا

القول في تأويل قوله تعالى (وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون) يقول تعالى ذكره وقال فرعون لقومه ائتوني بكل من يسحر من السحرة عليم بالسحر فلما جاء السحرة فرعون قال موسى ألقوا ما أنتم ملقون من حبالكم وعصيكم وفي الكلام محذوف قد ترك وهو فأتوه بالسحرة فلما جاء السحرة ولكن اكتفى بدلالة قوله فلما جاء السحرة على ذلك فترك ذكره وكذلك بعد قوله ألقوا ما أنتم ملقون محذوف أيضا قد ترك ذكره وهو فألقوا حبالهم وعصيهم فلما ألقوا قال موسى ولكن اكتفى بدلالة ما ظهر من الكلام عليه فترك ذكره

القول في تأويل قوله تعالى (فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر ان الله سيبطله ان الله لا يصلح عمل المفسدين) يقول تعالى ذكره فلما ألقوا ما هم ملقوه قال لهم موسى ما جئتم به السحر واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق ما جئتم به السحر على وجه الخبر من موسى عن الذي جاءت به سحرة فرعون انه سحر كأن معنى الكلام على تأويلهم قال موسى الذي جئتم به أيها السحرة هو السحر وقرأ ذلك مجاهد وبعض المدنيين والبصريين ما جئتم به آلسحر على وجه الاستفهام من موسى السحرة عما جاؤا به أسحر هو أم غيره وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأه على وجه الخبر لا على الاستفهام لان موسى صلوات الله وسلامه عليه لم يكن شاكا فيما جاءت به السحرة انه سحر لا حقيقة له فيحتاج الى استخبار السحرة عنه أي شيء هو وأخرى انه صلوات الله عليه قد كان على علم من السحرة انما جاء بهم فرعون ليغالبوه على ما كان جاءهم به من الحق الذي كان الله آتاه فلم يكن يذهب عليه أنهم لم يكونوا يصدقونه في الخبر عما جاؤا به من الباطل فيستخبرهم أو يستخبر استخبارهم عنه ولكنه صلوات الله عليه أعلمهم انه عالم ببطول ما جاؤا به من ذلك بالحق الذي أتاه ومبطل كيدهم بجده وهذه أولى بصفة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الاخرى فان قال قائل فما وجه دخول الالف واللام في السحر ان كان الامر على ما وصفت وأنت تعلم ان كلام العرب في نظير هذا ان يقولوا ما جاءني به عمرو درهم والذي أعطاني أخوك دينار ولا يكادون ان يقولوا الذي أعطاني أخوك الدرهم وما جاءني به عمرو الدينار قيل له بلى كلام العرب ادخال الالف واللام في خبر ما والذي اذا كان الخبر عن معهود قد عرفه المخاطب والمخاطب بل لا يجوز اذا كان ذلك كذلك الا بالالف واللام لان الخبر حينئذ خبر عن شيء بعينه معروف عند الفريقين وانما يأتي ذلك بغير الالف اذا كان الخبر عن مجهول غير معهود ولا مقصود قصد شيء بعينه فحينئذ لا تدخل الالف واللام في الخبر وخبر موسى كان خبرا عن معروف عنده وعند السحرة وذلك انها كانت نسبت ما جاءهم به موسى من الآيات التي جعلها الله علما له على صدقه ونبوته الى انه سحر فقال لهم موسى السحر الذي وصفتم به ما جئتكم به من الآيات أيها السحرة هو الذي جئتم به أنتم لا ما جئتكم به أنا ثم أخبرهم ان الله سيبطله فقال ان الله سيبطله يقول سيذهب به فذهب به تعالى ذكره بأن سلط عليه عصا موسى قد حولها ثعبانا يتلقفه حتى لم يبق منه شيء ان الله لا يصلح عمل المفسدين يعني انه لا يصلح عمل من سعى في أرض الله بما يكرهه وعمل فيها بمعاصيه وقد ذكر ان ذلك في قراءة أبي بن كعب

ما آتيتم به سحر وفى قراءة ابن مسعود ما جئتم به سحر وذلك مما يؤيد قراءة من قرأ بنحو الذى اخترنا من القراءة فيه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون) يقول تعالى ذكره مخبرا عن موسى انه قال للسحرة ويحق الله الحق يقول ويثبت الله الحق الذى جئتكم به من عنده فيعليه على باطلكم ويصححه بكلماته يعنى بأمره ولو كره المجرمون يعنى الذين اكتسبوا الاثم بربهم بمعصيتهم اياه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (فما آمن لموسى الاذرية من قومه على خوف من فرعون وملائهم ان يفتنهم وان فرعون لعال فى الارض وانه لمن المسرفين) يقول تعالى ذكره فلم يؤمن لموسى مع ما أتاهم به من الحجج والادلة الاذرية من قومه خائفين من فرعون وملئهم ثم اختلف أهل التأويل فى معنى الذرية فى هذا الموضع فقال بعضهم الذرية فى هذا الموضع القليل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فما آمن لموسى الاذرية من قومه قال كان ابن عباس يقول الذرية القليل حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله تعالى فما آمن لموسى الاذرية من قومه الذرية القليل كما قال الله تعالى كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين وقال آخرون معنى ذلك فما آمن لموسى الاذرية من أرسل اليه موسى من بنى اسرائيل لطول الزمان لان الآباء ماتوا وبقى الابناء فقيل لهم ذرية لانهم كانوا ذرية من هلك فيمن أرسل اليهم موسى عليه السلام ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد فى قوله تعالى فما آمن لموسى الاذرية من قومه قال أولاد الذين أرسل اليهم من طول الزمان ومات آباؤهم حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد و حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بنحوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فما آمن لموسى الاذرية من قومه قال أولاد الذين أرسل اليهم موسى من طول الزمان ومات آباؤهم حدثنى الحارث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان عن الاعمش فما آمن لموسى الاذرية من قومه على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم قال ابناء أولئك الذين أرسل اليهم فطال عليهم الزمان وماتت آباؤهم وقال آخرون بل معنى ذلك فما آمن لموسى الاذرية من قوم فرعون ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فما آمن لموسى الاذرية من قومه على خوف من فرعون وملئهم ان يفتنهم قال كان الذرية التى آمنت لموسى من اناس غير بنى اسرائيل من قوم فرعون يسير منهم امرأة فرعون ومؤمن آل فرعون وخازن فرعون وامرأة خازنه وقد روى عن ابن عباس خبر يدل على خلاف هذا القول وذلك ما حدثنى به المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ذرية من قومه يقول بنى اسرائيل فهذا الخبر ينبئ عن انه كان يرى ان الذرية فى هذا الموضع هم بنو اسرائيل دون غيرهم من قوم فرعون * وأولى هذه الاقوال عندى بتأويل الآية القول الذى ذكرته عن مجاهد وهو ان الذرية فى هذا الموضع أريد بها ذرية من أرسل اليه موسى من بنى اسرائيل فهلكوا قبل ان يقروا بنبوته لطول الزمان

وانزل لكم من الانعام ثمانية أزواج وذلك ان كل ما فى الارض من زرع أو ضرع فانه بسبب الماء النازل من السماء قال فى الكشاف ويجوز ان تكون الهمزة فى آلله للانكار وأم منقطعة بمعنى بل أتفترون على الله تقريرا للافتراء ثم قال وما ظن الذين يعنى أى شئ ظنهم فى ذلك اليوم وما يصنع بهم فيه وهو فى صورة الاستعلام ولكن المراد تعظيم وعيد من يفترى على الله حيث أبهم أمره وكفى به زاجرا للمفتى فى الاحكام بغير علم فليتق الله وليصمت ان الله لذو فضل على الناس اذ أنعم عليهم بالعقل ورحمهم بارسال النبى وتعليم الشرائع ولكن أكثرهم لا يشكرون هذه النعمة بجحد نبيه أو مخالفته * التأويل أفأنت تسمع الصم صم آذان القلوب أفأنت تهدى العمى عمى أبصار البصائر ويوم نحشرهم حشر العوام خروج أجسادهم من القبور الى المحشر وحشر الخواص خروج أرواحهم الاخروية من قبور أجسادهم الدنيوية بالسير والسلوك وحشر الاخص خروجهم من قبور الانانية الروحانية الى هوية الربانية كما قال يوم نحشر المتقين الى الرحمن كأن لم يلبثوا الا ساعة من النهار لانه لا نسبة لمدة الدنيا الى ما بين الازل والابد يتعارفون بينهم يعرفون تفاوت مقامات كل صنف من هؤلاء واما نرينك بعض الذى نعدهم بشرط الايمان من نعيم الجنان ولقاء الرحمن أو نتوفينك فنبلغك أقصى المراتب ومقامك المحمود فالينا مرجعهم رجوعا اضطراريا لا اختياريا ثم الله شهيد على ما يفعلون من خسارة الدارين ولكل أمة رسول فى الظاهر من الانبياء وفى الباطن من الهام الحق لكل أمة أجل فى استكمال السعادة والشقاوة بياتا أى فى الازل أو نهارا أى يظهر الآن ما قدر لكم فى الازل قل اى وربى انه لحق أى أقسم بربك الذى يربيك ان وقوع الامور الاخروية حق لانك عبرت على الجنة والنار ليلة المعراج ظلمت بافساد الاستعدادات الان لله ما فى سموات الارواح وأرض القلوب ونفوس الان وعد الله لاهل السعادة ولاهل الشقاوة فى الازل حق هو يحيى قلوب بعضهم بالمعرفة ويميت قلوب آخرين بالجهل أو يحيى بالنور ويميت بالظلمة أو يحيى بصفة الجمال ويميت بصفة الجلال يا أيها الناس يا أهل النسيان قد جاءتكم موعظة هى خطاب ألست بربكم وهو داء العشق وشفاء من ذلك الداء وهو توفيق اجابة بلى لما فى الصدور وهو دا غاب فانهم ادوه صدف العصر وهدى عناية خاصة اذ الدعوة عامة والهداية خاصة ورحمة اتصال امداد

يحصل بين أن يجمع عليه السجل و يفوز بالوصول والوصال قل بفضل الله وهو اسماع الخطاب وبرحمته وهو الابقاء على مدلول الخطاب فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعه أهل الدنيا في دنياهم ما أنزل الله لكم من رزق القلوب والارواح فضلا عن النفوس والاشباح من الواردات والشواهد فجعلتم منه حراما على أنفسكم وحلالا على غيركم أي حدثت أنفسكم بان تحصيل هذه السعادات ونيل تلك الكرامات ليس من شأننا وانما هو من شأن الانبياء وخواص الاولياء قل آلله (٩٦) أذن لكم ان تعرضوا عن هذه المقامات وتحيلوها الى غيركم وتركنوا الى الدنيا وزخارفها أم على الله تفترون بان الدعوة اختصت بهم دوننا ان الله لذو فضل على الناس بتسوية الاستعداد الفطري (وما تكون في شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب مبين ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم ولا يحزنك قولهم ان العزة لله جميعا هو السميع العليم ألا ان لله من في السموات ومن في الارض وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغني له ما في السموات وما في الارض ان عندكم من سلطان بهذا أتقولون على الله ما لا تعلمون قل ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع في الدنيا ثم الينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون) القراآت شأن بغير همز حيث كان أبو عمرو وغير شجاع والاعشى ويزيد والاصفهاني عن ورش وحمزة في الوقف يعزب بالكسر حيث كان علي الباقون بالضم ولا أصغر ولا أكبر بالرفع فيهما حمزة وخلف وسهل ويعقوب والمفضل الآخرون بالنصب * الوقوف تفيضون فيه ط مبين ه يحزنون ه ج لان الذين يصلح صفة للاولياء ويصلح نصبا أو رفعا على المدح فيوقف على يتقون أو مبتدأ خبره لهم البشرى فلا توقف على يتقون وفي الآخرة ط لكلمات الله ط العظيم ه ط لانه لو وصل لاوهم ان الضمير عائد الى أولياء وقول الاولياء لا يحزن الرسول فقولهم مثلا

فادركت ذريتهم فآمن منهم من ذكر الله بموسى وانما قلت هذا القول أولى بالصواب في ذلك لانه لم يجر في هذه الآية ذكر لغير موسى فلان تكون الهاء في قوله من قومه من ذكر موسى لقربها من ذكره أولى من أن تكون من ذكر فرعون لبعد ذكره منها اذ لم يكن بخلاف ذلك دليل من خبر ولا نظر و بعد فان قوله على خوف من فرعون وملئهم الدليل الواضح على ان الهاء في قوله الا ذرية من قومه من ذكر موسى لا من ذكر فرعون لانها لو كانت من ذكر فرعون لكان الكلام على خوف منه ولم يكن على خوف من فرعون وأما قوله على خوف من فرعون فانه يعني على حال خوف ممن آمن من ذرية قوم موسى بموسى فتأويل الكلام فما آمن لموسى الا ذرية من قومه من بني اسرائيل وهم خائفون من فرعون وملئهم ان يفتنوهم وقد زعم بعض أهل العربية انه انما قيل فما آمن لموسى الا ذرية من قومه لان الذين آمنوا به انما كانت أمهاتهم من بني اسرائيل وآباؤهم من القبط فقيل لهم الذرية من أجل ذلك كما قيل لابناء الفرس الذين أمهاتهم من العرب وآباؤهم من العجم أبناء والمعروف من معنى الذرية في كلام العرب انها أعقاب من نسبت اليه من قبل الرجال والنساء كما قال الله جل ثناؤه ذرية من حملنا مع نوح وكما قال ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف ثم قال بعد وزكريا ويحيى وعيسى والياس فجعل من كان من قبل الرجال والنساء من ذرية ابراهيم واما قوله وملئهم فان الملأ الاشراف وتأويل الكلام على خوف من فرعون ومن اشرافهم واختلف أهل العربية فيمن عنى بالهاء والميم اللتين في قوله وملئهم فقال بعض نحوي البصرة عنى بها الذرية وكانه وجه الكلام الى فما آمن لموسى الا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملأ الذرية من بني اسرائيل وقال بعض نحوي الكوفة عنى بها فرعون قال وانما جاز ذلك وفرعون واحد لان الملك اذا ذكر لخوف أو سفر أو قدوم من سفر ذهب الوهم اليه والى من معه وقال ألا ترى انك تقول قدم الخليفة فكثر الناس تريد بمن معه وقدم فغلت الاسعار لانا ننوي بقدومه وقدوم من معه قال وقد يكون ان تريد بفرعون آل فرعون وتحذف آل فرعون فيجوز كما قال واسئل القرية تريد أهل القرية والله أعلم قال ومثله قوله يا أيها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن * وأولى الاقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال الهاء والميم عائدتان على الذرية ووجه معنى الكلام الى انه على خوف من فرعون وملأ الذرية لانه كان في ذرية القرن الذين أرسل اليهم موسى من كان أبوه قبطيا وأمه اسرائيلية فمن كان كذلك منهم كان مع فرعون على موسى وقوله أن يفتنهم يقول كان ايمان من آمن من ذرية قوم موسى على خوف من فرعون أن يفتنهم بالعذاب فيصدهم عن دينهم ويحملهم على الرجوع عن ايمانهم والكفر بالله وقال أن يفتنهم فوحد ولم يقل أن يفتنوهم لدليل الخبر عن فرعون بذلك أن قومه كانوا على مثل ما كان عليه لما قد تقدم من قوله على خوف من فرعون وملئهم وقوله وان فرعون لعال في الارض يقول تعالى ذكره وان فرعون لجبار مستكبر على الله في أرضه وانه لمن المسرفين وانه لمن المتجاوزين الحق الى الباطل وذلك كفره بالله وتركه الايمان به وجحوده وحدانية الله وادعاؤه لنفسه الالوهة وسفكه الدماء بغير حلها ❁ القول في تأويل قوله تعالى (وقال موسى يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه

تو كلوا

توكلوا ان كنتم مسلمين) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل موسى نبيه لقومه ياقوم ان كنتم أقررتم بوحدانية الله وصدقتم بربوبيته فعليه توكلوا يقول فبه فثقوا ولامره فسلموا فانه لن يخذل وليه ويسلم من توكل عليه ان كنتم مسلمين يقول ان كنتم مذعنين لله بالطاعة فعليه توكلوا ۞ القول في تاويل قوله تعالى (فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين) يقول تعالى ذكره فقال قوم موسى على الله توكلنا أي به وثقنا واليه فوضنا أمرنا وقوله ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين يقول جل ثناؤه مخبرا عن قوم موسى انهم دعوا ربهم فقالوا يا ربنا لا تختبر هؤلاء القوم الكافرين ولا تمتحنهم بنا يعنون قوم فرعون وقد اختلف أهل التأويل في المعنى الذى سالوه ربهم من اعاذته ابتلاء قوم فرعون بهم فقال بعضهم سالوه أن لا يظهرهم عليهم فيظنوا انهم خير منهم وانهم انما سلطوا عليهم لكرامتهم عليه وهوان الآخرين ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن عمران بن حدير عن أبي مجلز في قوله ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين قال لا يظهروا علينا فيروا انهم خير منا حدثني المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا حماد عن عمران بن حدير عن أبي مجلز في قوله ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين قال قالوا لا تظهرهم علينا فيروا أنهم خير منا حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن أبيه عن أبي الضحى ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين قال لا تسلطهم علينا فيزدادوا فتنة وقال آخرون بل معنى ذلك لا تسلطهم علينا فيفتنونا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين لا تسلطهم علينا فيفتنونا حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير عن ابن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين قال لا تسلطهم علينا فيضلونا حدثنا الحسن بن يحيي قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله وقال أيضا فيفتنونا حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين لا تعذبنا بايدى قوم فرعون ولا بعذاب من عندك فيقول قوم فرعون لو كانوا على حق ما سلطنا عليهم ولا عذبوا فيفتتنوا بنا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين قال لا تعذبنا بايدى قوم فرعون ولا بعذاب من عندك فيقول قوم فرعون لو كانوا على حق ما سلطنا عليهم ولا عذبوا فيفتتنوا بنا حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم ابن أبي بزة عن مجاهد قوله لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين قال لا تصبنا بعذاب من عندك ولا بايديهم فيفتتنوا ويقولوا لو كانوا على حق ما سلطنا عليهم وما عذبوا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله تعالى ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين لا تبتلينا ربنا فتجهدنا وتجعله فتنة لهم هذه الفتنة وقرأ فتنة للظالمين قال المشركون حين كانوا يؤذون النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين ويرمونهم أليس ذلك فتنة لهم وسوأ لهم وهي بلية للمؤمنين * والصواب من القول في ذلك ان يقال ان القوم رغبوا الى الله في ان يجيرهم من ان يكونوا محنة لقوم فرعون وبلاء وكل ما كان من أمر كان لهم مصدة عن اتباع موسى والاقرار به وبما جاءهم به فانه لاشك انه كان لهم فتنة

توهم ان قوله ان العزة مقول الكفار جميعا ط العليم ٥ الارض ط شركاء ط يخرصون مبصرا ط يسمعون ٥ سبحانه ط الغنى ط ومافي الارض ط بهذا ط لا يعلمون ٥ لا يفلحون ٥ ط يكفرون ٥ * التفسير لما بين فساد طريقة الكفار في عقائدهم وأحكامهم بين كونه سبحانه عالما بعمل كل أحد وبما في قلبه من الدواعي والصوارف والرياء والاخلاص وغير ذلك فقال وما تكون يا محمد في شأن أي أمر من الامور وأصله الهمز بمعنى القصد من شأنت شأنه اذا قصدت قصده قال ابن عباس أي في شأن من أعمال البر وقال الحسن في شأن الدنيا وحوائجها ومافي وما تكون وما تلو نافية والضمير في منه اما لله عز وجل أي نازل من عنده واما للشأن لان تلاوة القرآن شأن من شؤن رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو معظم شأنه ولهذا أفرد بالذكر كقوله وملائكته وجبريل وميكال واما للقرآن والاضمار قبل الذكر تفخيم له كانه قيل وما تتلو من التنزيل من قرآن لان كل جزء منه قرآن ثم عمم الخطاب فقال ولا تعملون أيها المكلفون من عمل أي عمل كان الا كنا عليكم شهودا شاهدين رقباء والجمع للتعظيم أو لان المراد الملائكة الموكلون اذ تفيضون فيه الافاضة الشروع في العمل على جهة الانصباب والاندفاع ومنه قوله فاذا أفضتم من عرفات قيل شهادة الله علمه فيلزم انه لا يعلم الاشياء الا عند وجودها والجواب ان الشهادة علم خاص ولا يلزم منه امتناع تقدم العلم المطلق على الشئ كما لو أخبرنا الصادق ان زيدا يفعل كذا غدا فنكون عالمين بذلك لا شاهدين ثم ازداد في التعميم فقال وما يعزب عن ربك أي لا يبعد ولا يغيب ومنه كلأ عازب أي بعيد والرجل العزب لبعده عن الاهل ومعنى مثقال ذرة قدمر في قوله ان الله لا يظلم مثقال ذرة وذلك في سورة النساء والمقصود انه لا يغيب عن علمه شئ أصلا وان كان في غاية الحقارة وانما قال ههنا في الارض ولا في السماء خلاف مافي سورة سبا وهو المعهود في القرآن لان الكلام سيق لشهادته على شؤن أهل الارض فناسب ان يقدم ذكر مافي الارض هذا بعد تسليم ان الواو تفيد الترتيب ثم بالغ في تعميم علمه فقال ولا أصغر من ذلك ولا أكبر من قرأ بالنصب على نفي الجنس أو بالرفع على الابتداء ليكون كلاما برأسه فلا اشكال واما من جعلهما معطوفا على لفظ مثقال لانه في موضع الجر بالفتح لامتناع الصرف فيه

وكان من أعظم الامور اليهم ابعادا من الايمان بالله و رسوله وكذلك من الصدة كان لهم عن الايمان ان لو كان قوم موسى عاجلتهم من الله محنة فى أنفسهم من بلية تنزل بهم فاستعاذ القوم بالله من كل معنى يكون صادا لقوم فرعون عن الايمان بالله باسبابهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ونجنا برحمتك من القوم الكافرين) يقول تعالى ذكره ونجنا يا ربنا برحمتك فخلصنا من أيدى القوم الكافرين قوم فرعون لانهم كانوا يستعبدونهم ويستعملونهم فى الاشياء القذرة من خدمتهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وأوحينا الى موسى وأخيه ان تبوآ لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين) يقول تعالى ذكره وأوحينا الى موسى وأخيه ان اتخذا لقومكما بمصر بيوتا يقال منه تبوأ فلان لنفسه بيتا اذا اتخذه وكذلك تبوأ مصحفا اذا اتخذه وبوأته انا بيتا اذا اتخذته له واجعلوا بيوتكم قبلة يقول واجعلوا بيوتكم مساجد تصلون فيها واختلف اهل التأويل فى تأويل قوله واجعلوا بيوتكم قبلة فقال بعضهم فى ذلك نحو الذى قلنا فيه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن حميد عن عكرمة عن ابن عباس واجعلوا بيوتكم قبلة قال مساجد حدثنى المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن خصيف عن عكرمة عن ابن عباس قوله واجعلوا بيوتكم قبلة قال أمروا ان يتخذوها مساجد قال ثنا أبو غسان مالك بن اسمعيل قال ثنا زهير قال ثنا خصيف عن عكرمة عن ابن عباس فى قول الله تعالى واجعلوا بيوتكم قبلة قال كانوا يفرقون من فرعون وقومه ان يصلوا فقال لهم اجعلوا بيوتكم قبلة يقول اجعلوها مسجدا حتى تصلوا فيها حدثنا ابن وكيع وابن حميد قالا ثنا جرير عن منصور عن ابراهيم واجعلوا بيوتكم قبلة قال خائفوا فامروا أن يصلوا فى بيوتهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن منصور عن ابراهيم واجعلوا بيوتكم قبلة قال كانوا خائفين فامروا ان يصلوا فى بيوتهم حدثنى المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا شبل عن خصيف عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله واجعلوا بيوتكم قبلة قال كانوا خائفين فامروا ان يصلوا فى بيوتهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن ابن أبى نجيح عن مجاهد واجعلوا بيوتكم قبلة قال كانوا لا يصلون الا فى البيع وكانوا لا يصلون الا خائفين فامروا ان يصلوا فى بيوتهم قال ثنا جرير عن ليث عن مجاهد قال كانوا خائفين فامروا ان يصلوا فى بيوتهم قال ثنا عبد الله عن اسرائيل عن السدى عن أبى مالك واجعلوا بيوتكم قبلة قال كانت بنو اسرائيل تخاف فرعون فامروا أن يجعلوا بيوتهم مساجد يصلون فيها حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن سعد قال أخبرنا أبو جعفر عن الربيع بن أنس فى قوله واجعلوا بيوتكم قبلة يقول مساجد قال ثنا أحمد بن يونس قال ثنا اسرائيل عن منصور عن ابراهيم واجعلوا بيوتكم قبلة قال كانوا يصلون فى بيوتهم يخافون حدثنا ابن وكيع قال ثنا زيد بن الحباب عن أبى سنان عن الضحاك ان تبوآ لقومكما بمصر بيوتا قال مساجد حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم فى قوله واجعلوا بيوتكم قبلة قال كانوا خائفين فامروا ان يصلوا فى بيوتهم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله واجعلوا بيوتكم قبلة قال قال ابن زيد اجعلوا فى بيوتكم مساجدكم

السماء الا فى كتاب و يلزم منه ان يكون ذلك الشئ الذى فى الكتاب خارجا عن علم الله وانه محال و يمكن ان يجاب عنه بان الاشياء المخلوقة قسمان قسم أوجده الله تعالى ابتداء من غير واسطة كخلق الملائكة والسموات والارض وقسم آخر أوجده بواسطة القسم الاول من حوادث عالم الكون والفساد ولا شك ان هذا القسم الثانى متباعد فى سلسلة العلية والمعلولية عن مرتبة واجب الوجود فالمراد من الآية انه لا يبعد عن مرتبة وجوده شئ فى الارض ولا فى السماء الا هو فى كتاب مبين وهو فى كتاب أثبت فيه صور تلك المعلومات والغرض الرد على من يزعم انه تعالى غير عالم بالجزئيات أو نقول ان الاستثناء منقطع بمعنى لكن هو فى كتاب مبين وذكر أبو على الجرجانى صاحب النظم أن الا بمعنى الواو على ان الكلام قد تم عند قوله ولا أكبر ثم وقع الابتداء بكلام آخر فقال الا فى كتاب أى وهو أيضا فى كتاب مبين والعرب تضع الا موضع واو النسق كثيرا ومنه قوله انى لا يخاف لدى المرسلون الا من ظلم يعنى ومن ظلم وقوله لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا يعنى والذين ظلموا ثم انه لما بين احاطته بجميع الاشياء وكان فى ذلك تقوية قلوب المطيعين وكسر قلوب المذنبين أتبعها تفصيل حال كل فريق فقال ألا ان أولياء الله الآية والتركيب يدل على القرب فكانهم قربوا منه تعالى لاستغراقهم فى نور معرفته وجلاله قال أبو بكر الاصم هم الذين تولى الله هدايتهم بالبرهان وتولوا القيام بحق عبوديته والدعوة اليه وقال المتكلمون ولى الله من يكون آتيا بالاعتقاد الصحيح المبنى على الدليل ويكون آتيا بالاعمال الصالحة الواردة فى الشريعة وعنوا بذلك قوله تعالى فى وصفهم الذين آمنوا وهو اشارة الى كمال حال القوة النظرية وكانوا يتقون وهو اشارة الى كمال حال القوة العملية وههنا مقام آخر وهو ان يحمل الايمان على مجموع الاعتقاد والعمل ويكون الولى متقيا فى كل الاحوال أما فى موقف العلم فبان يقدس ذاته عن ان يكون [illegible] وأعلى ما عرفه و يكون كما وصفه واما فى مقام العمل فان يرى عبوديته وعبادته قاصرة عما يليق بكبريائه وجلاله [illegible]

تصلون فيها تلك القبلة وقال آخرون معنى ذلك واجعلوا مساجدكم قبل الكعبة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس واجعلوا بيوتكم قبلة يعني الكعبة حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمى قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس في قوله واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين قال قالت بنو اسرائيل لموسى لا نستطيع ان نظهر صلاتنا مع الفراعنة فاذن الله لهم ان يصلوا في بيوتهم أمروا ان يجعلوا بيوتهم قبل القبلة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال قال ابن عباس في قوله واجعلوا بيوتكم قبلة يقول وجهوا بيوتكم مساجدكم نحو القبلة ألا ترى انه يقول في بيوت اذن الله ان ترفع حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبيد الله عن اسرائيل عن أبي يحيى عن مجاهد واجعلوا بيوتكم قبلة قال قبل القبلة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بيوتكم قبلة قال نحو الكعبة حين خف موسى ومن معه من فرعون ان يصلوا في الكنائس الجامعة فامروا ان يجعلوا في بيوتهم مساجد مستقبلة الكعبة يصلون فيها سرا حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد واجعلوا بيوتكم قبلة ثم ذكر مثله سواء قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وأوحينا الى موسى وأخيه ان تبوآ لقومكما بمصر بيوتا مساجد قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ان تبوآ لقومكما بمصر بيوتا قال مصر الاسكندرية حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأوحينا الى موسى وأخيه ان تبوآ لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة قال وذلك حين منعهم فرعون الصلاة فامروا ان يجعلوا مساجدهم في بيوتهم وان يوجهوا نحو القبلة حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة بيوتكم قبلة قال نحو القبلة حدثنا ابن وكيع قال ثنا اسحق عن أبي سنان عن الضحاك وأوحينا الى موسى وأخيه ان تبوآ لقومكما بمصر بيوتا قال مساجد واجعلوا بيوتكم قبلة قال قبل القبلة وقال آخرون معنى ذلك واجعلوا بيوتكم تقابل بعضها بعضا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمران بن عيينة عن عطاء عن سعيد بن جبير واجعلوا بيوتكم قبلة قال يقابل بعضها بعضا وأولى الاقوال في ذلك بالصواب القول الذي قدمنا بيانه وذلك ان الاغلب من معنى البيوت وان كانت المساجد بيوتا البيوت المسكونة اذا ذكرت باسمها المطلق دون المساجد لان المساجد لها اسم هي به معروفة خاص لها وذلك المساجد فاما البيوت المطلقة بغير وصلها بشيء ولا اضافتها الى شيء فالبيوت المسكونة وكذلك القبلة الاغلب من استعمال الناس اياها في قبل المساجد والصلوات فاذا كان ذلك كذلك وكان غير جائز توجيه معاني كلام الله الا الى الاغلب من وجوهها المستعمل بين أهل اللسان الذي نزل به دون الخفي المجهول ما لم يأت دلالة تدل على غير ذلك ولم يكن على قوله واجعلوا بيوتكم قبلة دلالة تقطع العذر بان معناه غير الظاهر المستعمل في كلام العرب لم يجز لنا توجيهه الى غير الظاهر الذي وصفنا وكذلك القول في قوله قبلة وأقيموا الصلاة يقول تعالى ذكره وأدوا الصلاة المفروضة بحدودها في أوقاتها

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل من أولياء الله فقال هم الذين يذكر الله برؤيتهم يعني ان مشاهدتهم تذكر أمر الآخرة لما فيهم من آثار الخشوع والاخبات والسكينة وعن عمر سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان من عباد الله عبادا ما هم بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله قالوا يا رسول الله أخبرنا من هم وما أعمالهم فلعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا في الله على غير ارحام بينهم ولا أموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم قرأ الآية يحكى ان ابراهيم الخواص كان في البادية ومعه واحد يصحبه فاتفق في بعض الليالي ظهور حالة قوية وكشف تام له فجلس في موضعه وجاءه السباع ووقفوا بالقرب منه والمريد تسلق على رأس شجرة خوفا منها والشيخ كان فارغا من تلك السباع فلما أصبح وزالت تلك الحالة ففي الليلة الثانية وقعت بعوضة على بدنه فظهر الجزع من تلك البعوضة فقال المريد كيف تليق هذه الحالة بما قبلها فقال الشيخ تحملنا البارحة ما تحملناه بسبب قوة الوارد الغيبي فلما غاب ذلك الوارد فانا أضعف خلق الله ثم أخبر الله سبحانه عنهم بان لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة فقيل بشراهم في الدنيا ما بشر الله به المؤمنين المتقين في غير مكان في كتابه وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات وقيل انها عبارة عن محبة الناس لهم وعن ذكرهم اياهم بالثناء الحسن عن أبي ذر رضي الله عنه قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس قال تلك عاجل بشرى المؤمن والدليل العقلي عليه ان الكمال محبوب لذاته فكل من اتصف بصفة الكمال كان محبوبا بالكل أحد اذا أنصفه لم يحسده ولا كمال للعبد أعلى وأشرف من كونه مستغرق القلب في معرفة الله معرضا عما سواه ونور الله مخدوم بالذات ففي أي قلب حصل كان مخدوما بالطبع لما سوى الله وقيل هي الرؤيا الصالحة وعنه صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصادقة جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوة وسبب تخصيص هذا العدد ان النبي صلى الله عليه وسلم استنبأ بعد أربعين سنة الى كمال عمره وهو ثلاث وستون سنة وكان يأتيه الوحي أولا بطريق المنام ستة أشهر ونسبة هذه المدة الى ثلاث وعشرين سنة التي هي جميع مدة الوحي نسبة الواحد الى ستة وأربعين واما ان الرؤيا الصادقة

وقوله و بشر المؤمنين يقول جل ثناؤه لنبيه عليه السلام و بشر مقيمي الصلاة المطيعي الله يا محمد المؤمنين بالثواب الجزيل منه ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم) يقول تعالى ذكره وقال موسى يا ربنا انك أعطيت فرعون وكبراء قومه وأشرافهم وهم الملأ زينة من متاع الدنيا وأثاثها وأموالا من أعيان الذهب والفضة في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك يقول موسى لربه ربنا أعطيتهم ما أعطيتهم من ذلك ليضلوا عن سبيلك واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأه بعضهم ليضلوا عن سبيلك بمعنى ليضلوا الناس عن سبيلك و يصدوهم عن دينك وقرأ ذلك آخرون ليضلوا عن سبيلك بمعنى ليضلوا هم عن سبيلك فيجوروا عن طريق الهدى فان قال قائل أفكان الله جل ثناؤه أعطى فرعون وقومه ما أعطاهم من زينة الدنيا وأموالها ليضلوا الناس عن دينه أو ليضلوا هم عنه فان كان لذلك أعطاهم ذلك فقد كان منهم ما أعطاهم لذلك فلا عتب عليهم في ذلك قيل ان معنى ذلك بخلاف ما توهمت وقد اختلف أهل العلم بالعربية في معنى هذه اللام التي في قوله ليضلوا فقال بعض نحويي البصرة معنى ذلك ربنا فضلوا عن سبيلك كما قال فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا أي فكان لهم وهم لم يلتقطوه ليكون لهم عدوا وحزنا وانما التقطوه فكان لهم قال فهذه اللام تجيء في هذا المعنى وقال بعض نحويي الكوفة هذه اللام لام كي ومعنى الكلام ربنا أعطيتهم ما أعطيتهم كي يضلوا ثم دعا عليهم وقال آخر هذه اللامات في قوله ليضلوا وليكون لهم عدوا وما أشبهها بتأويل الخفض آتيتهم ما آتيتهم لضلالهم والتقطوه لكونه لانه قد آلت الحالة الى ذلك والعرب تجعل لام كي في معنى لام الخفض ولام الخفض في معنى لام كي لتقارب المعنى قال الله تعالى يحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم أي لاعراضكم ولم يحلفوا لاعراضهم وقال الشاعر

سموت ولم تكن أهلا لتسمو * ولكن المضيع قد يصاب

قال وانما يقال وما كنت أهلا للفعل ولا يقال لتفعل الا قليلا قال وهذا منه * والصواب من القول في ذلك عندي انها لام كي ومعنى الكلام ربنا أعطيتهم ما أعطيتهم من زينة الحياة الدنيا والاموال لتفتنهم فيه ويضلوا عن سبيلك عبادك عقوبة منك وهذا كما قال جل ثناؤه لاسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه وقوله ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم هذا دعاء من موسى دعا الله على فرعون وملئه ان يغير أموالهم عن هيئتها و يبدلها الى غير الحال التي هي بها وذلك نحو قوله من قبل ان نطمس وجوها فنردها على أدبارها يعني به من قبل ان نغيرها عن هيئتها التي هي بها يقال منه طمست عينه أطمسها وأطمسها طمسا وطموسا وقد تستعمل العرب الطمس في العفو والدثور وفي الاندقاق والدروس كما قال كعب بن زهير

من كل نضاخة الذفرى اذا عرقت * عرضتها طامس الاعلام مجهول

وقد اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك في هذا الموضع فقال جماعة منهم فيه مثل قولنا ذكر من قال ذلك حدثني زكريا بن يحيى بن زائدة قال ثنا حجاج قال ثني ابن جريج عن

عند الموت تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة واما البشرى في الآخرة فتلقي الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة وما يرون من بياض وجوههم واعطاء الصحائف بايمانهم وما يقرؤن منها الى آخر أحوالهم في الجنة لا تبديل لكلمات الله لا تغيير لاقواله ولا اخلاف لمواعيده وقد مر مثله في الانعام ذلك اشارة الى كونهم مبشرين في الدارين وكلتا الجملتين اعتراض ولا يجب ان يقع بعد الاعتراض كلام تقول فلان ينطق بالحق والحق ابلج قال القاضي لا تبديل لكلمات الله يدل على انها قابلة للتبديل وكل ما يقبل العدم امتنع ان يكون قديما ومحل المنع ظاهر فان نفي شئ عن شئ لا يلزم منه امكانه له كقول الموحد لا شريك لله ثم سلى رسوله عن صنيع الفريق المكذبين فقال ولا يحزنك أو نقول انه كما أزال الحزن عنه في الآخرة بقوله ألا ان أولياء الله أزال الحزن عنه في الدنيا بقوله ولا يحزنك قولهم أي تكذيبهم لك وتهديدهم بالخدم والاموال وتشاورهم في تدبير هلاكك وابطال أمرك وبالجملة كل ما يتكلمون به في شأنك من المطاعن والقوادح ثم استأنف قوله ان العزة لله كأنه قيل مالي لا أحزن فقيل لان العزة لله جميعا ان الغلبة والقهر له ولحزبه كتب الله لاغلبن أنا ورسلي وقرئ ان بالفتح لا على انه بدل فان ذلك يؤدي الى ان القوم كانوا يقولون ان العزة لله جميعا والرسول كان يحزنه ذلك وهذا كفر بل لان التقدير لان العزة على صريح التعليل وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم واثقا بوعد الله تعالى في جميع الاحوال وان كان قد يقع في بعض الحروب والوقائع انكسار وهزيمة فان الامور بخواتيمها ثم أكد الوعد بقوله هو السميع العليم يسمع ما يقولون و يعلم ما يدبرون فيكفيك شرهم ثم زاد في التأكيد عبد مع اشارة الى فساد عقيدة المشركين فقال ألا ان لله من في السموات ومن في الارض تخصيص ذوي العقول اما للتغليب واما لان الآية مسوقة لبيان فساد عقائد أهل الشرك فذكر ان العقلاء المميزين وهم الملائكة والثقلان كلهم عبيده ولا يصلح أحد منهم لان يكون شريكا له فما وراءهم مما لا يسمع ولا يعقل كالاصنام أولى بان لا يكون ندا لله ثم أكد هذا المعنى بقوله وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ومفعول يتبع محذوف أي ليس

يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء في الحقيقة انما هي أسماء لا مسميات لها لان شركة الله في الربوبية محال وانما حذف أحد المكررين للدلالة فالاول مفعول يدعون والثاني مفعول يتبع ويجوز ان تكون ما استفهامية بمعنى أي شيء يتبعون وشركاء على هذا نصب بيدعون ولا حاجة الى اضمار ويجوز ان تكون ما موصولة معطوفة على من كانه قيل ولله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء أي وله شركاؤهم ثم زاد في التأكيد فقال ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون وقدم مثله في سورة الانعام (١٠١) ثم ذكر طرفا من آثار قدرته مع اشارة الى بعض نعمه فقال هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه طلبا للراحة والنهار مبصرا ذا ابصار باعتبار صاحبه أي جعله مضيئا لتهتدوا به في حوائجكم وهذان طرف من منافع الليل والنهار ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون سماع تامل وتدبر وقبول ثم حكى نوعا آخر من أباطيلهم فقال قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه وقدم في البقرة ولما نزه نفسه عن اتخاذ الولد برهن على ذلك بقوله هو الغني وتقريره ان الغنى التام يوجب امتناع كونه ذا اجزاء وحصول الولد لا يتصور الا بعد انفصال جزء منه يكون كالبذر بالنسبة الى النبات وأيضا انما يحتاج الى الولد والى توليد المثل الذي يقوم مقامه من يكون بصدد الانقضاء والانقراض فالازلي القديم لا يفتقر الى الولد ولا يصح له مثل وأيضا الغني لا يفتقر الى الشهوة ولا الى اعانة الولد ولو صح ان يتولد منه مثله لصح ان يكون هو أيضا متولدا من مثله ولا يشكل هذا بالولد الاول من الاشخاص الحيوانية فان المدعى هو الصحة لا الوقوع ثم بالغ في البرهان فقال له ما في السموات وما في الارض واذا كان الكل ملكه وعبيده فلا يكون شيء منها ولدا له لان الاب يساوي الابن في الطبيعة بخلاف المالك ثم زيف دعواهم الفاسدة فقال ان عندكم من سلطان بهذا أي ما عندكم من حجة بهذا القول قال في الكشاف والباء حقها ان تتعلق بقوله ان عندكم على ان يجعل القول مكانا للسلطان كقولك ما عندكم بارضكم موز كانه قيل أن عندكم فيما تقولون سلطان أقول كانه نظر الى ان استعمال الباء بمعنى في أكثر منه بمعنى على ثم وبخهم على القول بلا دليل ومعرفة فقال أتقولون على الله ما لا تعلمون ثم أوعدهم على افترائهم فقال قل ان الذين يفترون الآية ثم بين ان ذلك المفتري ان فاز بشيء من المطالب العاجلة والمآرب الخسيسة من رياسة ظاهرة وعرض زائل فذلك متاع قليل في الدنيا ثم لا بد من الموت

عبدالله بن كثير قال بلغنا عن القرظي في قوله ربنا اطمس على أموالهم قال اجعل سكرهم حجارة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عبدالله بن كثير عن محمد بن كعب القرظي قال اجعل سكرهم حجارة حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن يمان عن أبي جعفر عن الربيع عن أبي العالية اطمس على أموالهم قال اجعلها حجارة حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا اسحق قال ثنا عبدالرحمن بن سعد قال ثنا أبو جعفر عن الربيع ابن أنس في قوله اطمس على أموالهم قال صارت حجارة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ربنا اطمس على أموالهم قال بلغنا ان زروعهم تحولت حجارة حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ربنا اطمس على أموالهم قال بلغنا ان حروثا لهم صارت حجارة حدثنا المثنى قال ثنا قبيصة بن عقبة قال ثنا سفيان ربنا اطمس على أموالهم قال يقولون صارت حجارة حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا يحيى الحماني قال أخبرنا ابن المبارك عن اسمعيل عن أبي صالح في قوله ربنا اطمس على أموالهم قال صارت حجارة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبدالرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله ربنا اطمس على أموالهم قال بلغنا ان حروثا لهم صارت حجارة حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله ربنا اطمس على أموالهم قال جعلها الله حجارة منقوشة على هيئة ما كانت حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ربنا اطمس على أموالهم قال قد فعل ذلك وقد أصابهم ذلك طمس على أموالهم فصارت حجارة ذهبهم ودراهمهم وعدسهم وكل شيء وقال آخرون بل معنى ذلك اهلكها ذكر من قال ذلك حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ربنا اطمس على أموالهم قال أهلكها حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبدالله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ربنا اطمس على أموالهم يقول دمر عليهم وأهلك أموالهم وأما قوله واشدد على قلوبهم فانه يعني واطبع عليها حتى لا تلين ولا تنشرح بالايمان كما حدثني المثنى قال ثنا عبدالله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس وقال موسى قبل أن يأتي فرعون ربنا اشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم فاستجاب الله له وحال بين فرعون وبين الايمان حتى أدركه الغرق فلم ينفعه الايمان حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس واشدد على قلوبهم يقول واطبع على قلوبهم حتى يروا العذاب الاليم وهو الغرق حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد واشدد على قلوبهم بالضلالة قال ثنا اسحق قال ثنا عبدالله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد واشدد على قلوبهم قال بالضلالة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان

من قرآن ولا تعملون يا أمة محمد صلى الله عليه وسلم من عمل من الاعمال من قبول القرآن ورده من مثقال ذرة مما أظهر من حركة فى أرض البشرية بعمل من أعمال الخير والشر ولا فى السماء أى فى سماء القلوب بالنيات الصالحة والفاسدة ولا أصغر من الحركة وهو القصد دون الفعل ولا أكبر من النية وهو العمل ألا ان (١٠٢) أولياء الله الذين هم أعداء النفوس لا خوف عليهم من تمنى النظر بنفوسهم ولا هم يحزنون على ما فاتهم من شهوات النفوس للعداوة القائمة بينهم لهم البشرى فى الحياة الدنيا بالوقائع والمبشرات وفى الآخرة بكشف القناع عن جمال العزة لا تبديل لكلمات الله لاحكامه الازلية حيث قال للولى كن وليا وللعدو كن عدوا ولا يحزنك يا رسول القلب قول مشركى النفوس فى تزيين شهوات الدنيا ولذاتها فى نظرك ان العزة لله جميعا يعز من يشاء فى الدنيا وفى الآخرة جميعا فلا يمنعه نعيم الدنيا عن نعيم الآخرة بل ربما يعينه على الآخرة كما جاء فى الحديث الربانى ان من عبادى من لا يصلحه الا الغنى فان افقرته يفسده ذلك الا ان لله من فى السموات ومن فى الارض أى القلوب السماوية والنفوس الارضية ان يتبعون الا الظن أى يظنون انهم يتبعون شركاء الدنيا والهوى باختيارهم لا باختيارنا هو الذى جعل لكم ليل البشرية لتستريحوا فيه من تعب المجاهدات وتزول عنكم الملالة والكلالة ونهار الروحانية ذا ضياء وبصيرة يبصر بها مصالح السلوك والترقى فى المقامات لقوم يسمعون حقائق القرآن بسمع القلوب الواعية ثم أخبر عن الشبهات التى تقع فى اثناء السلوك قالوا أى مشركو النفوس عند تجلى الروح بالخلافة فى صفة الربوبية معترفا بتجلى صفة ابداع الحق وبمطيعية الروح مع كمال قربه واختصاصه بالحق عند بقاء تصرفات الخيال حتى يثبت الابوة والبنوة بين الله وبين العبد اذا نبوة أخص التعلقات بالولد وهذا الكشف والابتداء هو مستند أهل الالهام اليهود والنصارى له ما فى السموات الروحانية من الكشوف والاحوال وما فى الارض البشرية من الوهم والخيال وما ينشأ من الشبهات والآفات ان الذين يفترون عليهم بالنفوس الامارة بالسوء لا يفلحون لا تغترون بكشف الحقائق ثم بنفيهم لان الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا فاحسنوا بالالهم والله أعلم (واتل عليهم

قال سمعت الضحاك يقول فى قوله واشدد على قلوبهم يقول أهلكهم كفارا وأما قوله فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم فان معناه فلا يصدقوا بتوحيد الله ويقروا بوحدانيته حتى يروا العذاب الموجع كما حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فلا يؤمنوا بالله فيما يرون من الآيات حتى يروا العذاب الاليم حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال سمعت القرى يقول فلا يؤمنوا يقول دعا عليهم واختلف أهل العربية فى موضع يؤمنوا فقال بعض نحوى البصرة هو نصب لان جواب الامر بالفاء أو يكون دعاء عليهم اذ عصوا وقد حكى عن قائل هذا القول انه كان يقول هو نصب عطفا على قوله ليضلوا عن سبيلك وقال آخر منهم وهو قول نحوى الكوفيين موضعه جزم على الدعاء من موسى عليهم بمعنى فلا آمنوا كما قال الشاعر

فلا ينبسط من بين عينيك ما انزوى * ولا تلقنى الا وانفك راغم

بمعنى فلا انبسط من بين عينيك ما انزوى ولا لقيتنى على الدعاء وكان بعض نحوى الكوفة يقول هو دعاء كانه قال اللهم فلا يؤمنوا قال وان شئت جعلتها جوابا لمسئلته اياه لان المسئلة خرجت على لفظ الامر فتجعل فلا يؤمنوا فى موضع نصب على الجواب وليس بسهل قال ويكون كقول الشاعر

يا ناق سيرى عنقا فسيحا * الى سليمان فنستريحا

قال وليس الجواب بسهل فى الدعاء لانه ليس بشرط * والصواب من القول فى ذلك انه فى موضع جزم على الدعاء بمعنى فلا آمنوا وانما اخترت ذلك لان ما قبله دعاء وذلك قوله ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فالحاق قوله فلا يؤمنوا اذ كان فى سياق ذلك بمعناه أشبه وأولى وأما قوله حتى يروا العذاب الاليم فان ابن عباس كان يقول معناه حتى يروا الغرق وقد ذكرنا الرواية عنه بذلك من بعض وجوهها فيما مضى حدثنى القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال ابن عباس فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم قال الغرق ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (قال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون) وهذا خبر من الله عن اجابته لموسى صلى الله عليه وسلم وهرون دعاءهما على فرعون وأشراف قومه وأموالهم يقول جل ثناؤه قال الله لهما قد أجيبت دعوتكما فى فرعون وملئه وأموالهم فان قال قائل وكيف نسبت الاجابة الى اثنين والدعاء انما كان من واحد قيل ان الداعى وان كان واحدا فان الثانى كان مؤمنا وهو هارون فلذلك نسبت الاجابة اليهما لان المؤمن داع وكذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن جريج عن رجل عن عكرمة قال قد أجيبت دعوتكما وقد زعم بعض أهل العربية ان العرب تخاطب الواحد خطاب الاثنين وانشد فى ذلك

فقلت لصاحبى لا تحبسانا * بنزع أصوله واجتز شيحا

حدثنا

يا نوح اذ قال لقومه ياقوم ان كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فاجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم
اقضوا الى ولا تنظرون فان توليتم فما سألتكم من أجر ان أجرى الا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين فكذبوه فنجيناه ومن معه في الفلك
وجعلناهم خلائف وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين ثم بعثنا من بعده رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات فما كانوا
ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع على قلوب المعتدين ثم بعثنا من بعدهم موسى (١٠٣) وهرون الى فرعون وملئه بآياتنا فاستكبروا

وكانوا قوما مجرمين فلما جاءهم
الحق من عندنا قالوا ان هذا لسحر
مبين قال موسى أتقولون للحق لما
جاءكم أسحر هذا ولا يفلح الساحرون
قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه
آباءنا وتكون لكما الكبرياء في
الارض وما نحن لكما بمؤمنين وقال
فرعون ائتوني بكل ساحر عليم فلما
جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا
ما أنتم ملقون فلما ألقوا قال موسى
ما جئتم به السحر ان الله سيبطله ان
الله لا يصلح عمل المفسدين ويحق
الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون
فما آمن لموسى الا ذرية من قومه
على خوف من فرعون وملئهم أن
يفتنهم وان فرعون لعال في الارض
وانه لمن المسرفين وقال موسى ياقوم
ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا
ان كنتم مسلمين فقالوا على الله
توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم
الظالمين ونجنا برحمتك من القوم
الكافرين وأوحينا الى موسى
وأخيه أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتا
واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا
الصلاة وبشر المؤمنين وقال موسى
ربنا انك آتيت فرعون وملأه
زينة وأموالا في الحياة الدنيا ربنا
ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس
على أموالهم واشدد على قلوبهم
فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم
قال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما
ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون

حدثنا ابن وكيع قال ثنا زكريا بن عدى عن ابن المبارك عن اسمعيل بن أبي خالد عن أبي صالح قال قد أجيبت دعوتكما قال دعا موسى وأمن هارون **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي وزيد بن حباب عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب قال دعا موسى وأمن هارون قال ثنا أبو معاوية عن شيخ له عن محمد بن كعب قال دعا موسى وأمن هارون **حدثنا** المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية قال قد أجيبت دعوتكما قال دعا موسى وأمن هارون قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن سعد وعبد الله بن أبي جعفر عن أبي جعفر عن الربيع بن أنس قال دعا موسى وأمن هارون فذلك قوله قد أجيبت دعوتكما **حدثنا** الحسن ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن رجل عن عكرمة في قوله قال قد أجيبت دعوتكما قال كان موسى يدعو وهارون يؤمن فذلك قوله قد أجيبت دعوتكما **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قد أجيبت دعوتكما لموسى وهارون قال ابن جريج قال عكرمة أمن هارون على دعاء موسى فقال الله قد أجيبت دعوتكما فاستقيما **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد كان هارون يقول آمين فقال الله قد أجيبت دعوتكما فصار التأمين دعوة صار شريكه فيها وأما قوله فاستقيما فانه أمر من الله تعالى لموسى وهارون بالاستقامة والثبات على أمرهما من دعاء فرعون وقومه الى الاجابة الى توحيد الله وطاعته الى أن يأتيهم عقاب الله الذى أخبرهما انه أجابهما فيه كما **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قال ابن عباس فاستقيما فامضيا لامرى وهى الاستقامة قال ابن جريج يقولون ان فرعون مكث بعد هذه الآية أربعين سنة وقوله ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون يقول ولا تسلكان طريق الذين يجهلون حقيقة وعدى فتستعجلان قضائى فان وعدى لا خلف له وان وعيدى نازل بفرعون وعذابى واقع به وبقومه ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى اذا أدركه الغرق قال آمنت انه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين) يقول تعالى ذكره وقطعنا ببنى اسرائيل البحر حتى جاوزوه فأتبعهم فرعون يقول فتبعهم فرعون وجنوده يقال منه أتبعته وتبعته بمعنى واحد وقد كان الكسائى فيما ذكر أبو عبيد عنه يقول اذا أريد انه أتبعهم خيرا أو شرا فالكلام أتبعهم بهمز الالف واذا أريد اتبع أثرهم أو اقتدى بهم فانه من اتبعت مشددة التاء غير مهموزة الالف بغيا على موسى وهارون ومن معهما من قومهما من بنى اسرائيل وعدوا يقول واعتداء عليهم وهو مصدر من قولهم عدا فلان على فلان في الظلم يعدو عليه عدوا مثل غزا يغزو غزوا وقد روى عن بعضهم انه كان يقرأ بغيا وعدوا وهو أيضا مصدر من قولهم عدا يعدو عدوا مثل علا يعلو علوا حتى اذا أدركه الغرق يقول حتى اذا أحاط به الغرق وفي الكلام متروك قد ترك ذكره بدلالة ما ظهر من الكلام عليه وذلك فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا فيه فغرقناه حتى اذا أدركه الغرق وقوله قال آمنت انه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل فرعون حين أشرف على الغرق وأيقن بالهلكة آمنت يقول أقررت

وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى اذا أدركه الغرق قال آمنت انه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وأنا
من المسلمين آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون
القراآت وشركاؤكم بالرفع يعقوب ان أجرى بفتح الياء حيث كان أبو جعفر ونافع وأبو عمرو وابن عامر وحفص ويكون لكما بالياء التحتانية حماد
[illegible]

انه لااله الا الذى آمنت به بنوا اسرائيل واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأ بعضهم وهو قراءة عامة المدينة والبصرة انه بفتح الالف من انه على اعمال آمنت فيها ونصبها به وقرأ آخرون آمنت انه بكسر الالف من انه على ابتداء الخبر وهى قراءة عامة الكوفيين والقول فى ذلك عندى انهما قراءتان متقاربتا المعنى وبايتهما قرأ القارئ فمصيب وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب عن عبدالله بن شداد قال اجتمع يعقوب وبنوه الى يوسف وهم اثنان وسبعون وخرجوا مع موسى من مصر حين خرجوا وهم ستمائة ألف فلما أدركهم فرعون فرأوه قالوا ياموسى اين المخرج فقد أدركنا قد كنا نلقى من فرعون البلاء فأوحى الله الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم ويبس لهم البحر وكشف الله عن وجه الارض وخرج فرعون على فرس حصان أدهم على لونه من الدهم ثمانمائة ألف سوى ألوانها من الدواب وكانت تحت جبريل عليه السلام فرس وديق ليس فيها انثى غيرها وميكائيل يسوقهم لا يشذ رجل منهم الا ضمه الى الناس فلما خرج آخر بنى اسرائيل دنا منه جبريل ولصق به فوجد الحصان ريح الانثى فلم يملك فرعون من أمره شيأ وقال أقدموا فليس القوم أحق بالبحر منكم ثم اتبعهم فرعون حتى اذا هم أوّلهم ان يخرجوا ارتطم ونادى فيها آمنت انه لااله الا الذى آمنت به بنوا اسرائيل وأنا من المسلمين ونودى آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن عطاء ابن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وعن عدى بن ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال رفعه أحدهما الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ان جبرئيل كان يدس فى فم فرعون الطين مخافة ان يقول لااله الا الله حدثنى الحسن بن عمرو بن محمد العنقزى قال ثنا أبى قال ثنا شعبة عن عطاء بن السائب عن عدى بن ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال جعل جبرئيل عليه السلام يدس أو يحشو فى فم فرعون الطين مخافة ان تدركه الرحمة حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن كثير بن زاذان عن أبى حازم عن أبى هريرة قال قال النبى صلى الله عليه وسلم قال لى جبرئيل يامحمد لو رأيتنى وأنا أغطه وأدس من حمئه فى فيه مخافة ان تدركه رحمة الله فيغفر له يعنى فرعون حدثنى المثنى قال ثنا حجاج قال ثنا حماد عن على بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لما أغرق الله فرعون قال آمنت انه لااله الا الذى آمنت به بنوا اسرائيل فقال جبرئيل يامحمد لو رأيتنى وأنا آخذ من حمأة البحر وأدسه فى فيه مخافة ان تدركه الرحمة حدثنى المثنى قال ثنى عمرو بن حكام قال ثنا شعبة عن عطاء ابن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لما قال فرعون لااله الا الله جعل جبرئيل يحشو فى فيه الطين والتراب حدثنا محمد بن عبدالاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال أخبرنى من سمع ميمون بن مهران يقول فى قوله آمنت انه لااله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل قال أخذ جبرئيل من حمأة البحر فضرب بها فاه أو قال ملأ بها فاه مخافة ان تدركه رحمة الله حدثنا ابن وكيع قال ثنا الحسين بن على عن جعفر بن برقان عن ميمون بن مهران قال خطب

الضحاك

ابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان وفى كلتا القراءتين خففت النون ثم كسرت لالتقاء الساكنين تشبيها بنون التثنية الباقون والحلوانى عن هشام تتبعان بتشديدهما فى الحالين آمنت انه بكسر الهمزة على الاستئناف بدلا من آمنت حمزة وعلى وخلف الآخرون بالفتح نجيك من الانجاء سهل ويعقوب وقتيبة والآخرون (١٠٤) بالتشديد * الوقوف نبأ نوح م لئلا يوهم ان اذ ظرف لقوله اتل بل التقدير واذكر اذ قال ولا تنظرون ٥ من أجر ط على الله لا لان التقدير وقد أمرت من المسلمين ٥ بآياتنا ج للفاء ولان أمر النظر والعبرة يقتضى التثبت والتدبر المذكور ٥ من قبل ط المعتدين ٥ مجرمين ٥ مبين ٥ لما جاءكم لا بناء على ان التقدير أتقولون للحق لما جاءكم هو سحر والاستفهام فى قوله أسحر يستحق الابتداء وسيجئ له مزيد بيان هذا ط للفصل بين الاخبار والاستخبار الساحرون ٥ فى الارض ط بمؤمنين ٥ عليم ٥ ملقون ٥ ماجئتم به ط لمن قرأ السحر مستفهما السحر ط سيبطله ط المفسدين ٥ المجرمون ٥ ان يفتنهم ط فى الارض ج لاتصال الكلام المسرفين ٥ مسلمين ٥ توكلنا ج للعدول مع اتحاد القائل الظالمين ٥ لا للعطف الكافرين ٥ ج واقيموا الصلاة ط لان قوله وبشر خطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم وان أريد به موسى فلابد من العدول المؤمنين ٥ الدنيا لا لتعلق قوله ليضلوا بقوله آتيت وربنا لتكرار للاول لاجل التضرع عن سبيلك ج لابتداء النداء مع اتحاد القائل الاليم ٥ لا يعلمون ٥ وعدوا ط الغرق لالان قال جواب اذا المسلمين ٥ المفسدين ٥ آية ط لغافلون ٥ * التفسير لما بالغ فى تقرير الدلائل والبينات والجواب عن الشبهات شرع فى قصص الانبياء المتقدمين لان نقل الكلام من أسلوب الى اسلوب أقرب الى انشراح الصدر ودفع الملال ومعان فى ذكرها تسلية للرسول وعبرة للمعتبر الى غير ذلك من الفوائد التى سبق ذكرها فى الاعراف ومعنى كبر ثقل وشق كقوله وانها لكبيرة وفى مقامى وجوه منها انه زيادة كقولك فعلت كذا لمكان فلان أى لاجله وكقوله تعالى ولمن خاف مقام ربه أى ربه ومثله قولهم فلان ثقيل الظل ومنها ان يراد به المكث أى شق عليكم مكثى بين أظهركم مدة طويلة الف سنة الا خمسين عاما او لان الانسان من القوم يقوم

و يدعى الى خلافها ولاسيما اذا تكرر الدعاء كان ذلك موجبا للتنفر والثقل وخاصة اذا كانت تلك الطريقة مقتضاة النفس والطبيعة الداعيتين الى اللذات العاجلة ومنها ان يكون المقام بمعنى القيام لانهم كانوا يقومون على أرجلهم فى الوعظ والتذكير ليكون مكانهم بينا وكلامهم مسموعا كما يحكى عن عيسى عليه السلام انه كان يعظ الحوار يين قائما وهم قعود وجواب الشرط اما قوله فعلى الله توكلت أى ان شقه بغضكم لى تحملكم على الاقدام على ايذائى وانا لا أقابل ذلك الشر الا بالتوكل على الله فان ذلك هجيراى قديما وحديثا واما قوله فأجمعوا

(١٠٥)

الضحاك بن قيس فحمد الله واثنى عليه ثم قال ان فرعون كان عبدا طاغيا ناسيا الذكر الله فلما أدركه الغرق قال آمنت انه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين قال الله آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين قال ثنى أبى عن شعبة عن عدى بن ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان فرعون لما أدركه الغرق جعل جبرئيل يحثو فى فيه التراب خشية ان يغفر له قال ثنا محمد بن عبيد عن عيسى بن المغيرة عن ابراهيم التيمى ان جبرئيل عليه السلام قال ما حسدت أحدا من بنى آدم الرحمة الا فرعون فانه حين قال ما قال خشيت ان تصل الى الرب فيرحمه فأخذت من حماة البحر و زبده فضربت به عينيه ووجهه قال أخبرنا أبو خالد الاحمر عن عمر بن يعلى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال جبرئيل عليه السلام لقد حشوت فاه الحماة مخافة ان تدركه الرحمة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين) يقول تعالى ذكره معرفا فرعون قبح صنيعه أيام حياته واساءته الى نفسه أيام صحته بتماديه فى طغيانه ومعصيته ربه حتى فزع اليه فى حال حلول سخطه به ونزول عقابه مستجيرا به من عذابه الواقع به لما ناداه وقد علته أمواج البحر وغشيته كرب الموت آمنت انه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين له المنقادين بالذلة له المعترفين بالعبودية آلآن تقر لله بالعبودية وتستسلم له بالذلة وتخلص له الالوهة وقد عصيته قبل نزول نقمته بك فاسخطته على نفسك وكنت من المفسدين فى الارض الصادين عن سبيله فهلا وأنت فى مهل وباب التوبة لك منفتح أقررت بما أنت به الآن مقر ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون) يقول تعالى ذكره لفرعون فاليوم نجعلك على نجوة من الارض ببدنك ينظر اليك هالكا من كذب بهلاكك لتكون لمن خلفك آية يقول لمن بعدك من الناس عبرة يعتبرون بك فينزجرون عن معصية الله والكفر به والسعى فى أرضه بالفساد والنجوة الموضع المرتفع على ما حوله من الارض ومنه قول أوس بن حجر

فمن بعقوته كمن بنجوته * والمستكن كمن يمشى بقرواح

و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه عن أبى السليل عن قيس بن عباد وغيره قال قالت بنو اسرائيل لموسى انه لم يمت فرعون قال فأخرجه الله اليهم ينظرون اليه مثل الثور الاحمر حدثنى يعقوب ابن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن سعيد الجريرى عن أبى السليل عن قيس بن عباد قال وكان من أكثر الناس أو أحدث الناس عن بنى اسرائيل قال فحدثنا ان أول جنود فرعون لما انتهى الى البحر هابت الخيل اللهب قال ومثل لحصان منها فرس وديق فوجد ريحها أحسبه انا قال فانسل فاتبعته الخيل قال فلما تتام آخر جنود فرعون فى البحر وخرج آخر بنى اسرائيل أمر البحر فانطبق عليهم فقالت بنو اسرائيل ما مات فرعون وما كان ليموت أبدا فسمع الله تكذيبهم نبيه قال فرمى به على الساحل كأنه ثور أحمر يتراآه بنو اسرائيل حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب عن عبد الله بن شداد فاليوم ننجيك ببدنك قال ببدنه جسده رمى به البحر حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح

وقوله فعلى الله توكلت اعتراض كقولك ان كنت أنكرت على شيأ فالله حسبى فاعمل ما تريد ولا يحسن ان يقال ان الفاء الثانية عاطفة للاختلاف طلبا وخبرا ومعنى فأجمعوا أمركم اعزموا عليه من أجمع الامر اذا نواه وعزم عليه قاله الفراء وقال أبو الهيثم اجمع أمره أى جعله جمعا بعد ما كان متفرقا وتفرقه أنه يقول مرة افعل كذا ومرة افعل كذا فلما عزم على أمر واحد فقد جمعه أى جعله جمعا فهذا هو الاصل فى الاجماع ثم صار بمعنى العزم حتى وصل بعلى فقيل أجمعت على الامر أى عزمت عليه والفصيح أجمعت الامر والمراد بالامر وجوه مكرهم وكيدهم وانتصب شركاءكم على المفعول معه أى مع شركائكم ومن قرأ بالرفع عطفا على الضمير المتصل وانما يحسن ذلك من غير تأكيد بالمنفصل للفصل والمراد بالشركاء اما منهم على مثل قولهم ودينهم واما الاصنام وحسن اسناد الاجماع اليهم على وجه التهكم كقوله قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون واعلم انه عليه السلام قال فى أول الامر فعلى الله توكلت ليدل على انه واثق بوعد الله جازم بأن تهديدهم اياه بالقتل لا يضره ثم أورد عليهم ما يدل على صحة دعواه فقال فأجمعوا أمركم كأنه قال حصلوا كل ما تقدرون عليه من الاسباب المؤدية الى مطلوبكم غير مقصرين على ذلك بل ضامين الى أنفسكم شركاءكم الذين تزعمون ان حالكم يقوى بمكانهم ثم ضم الى ذلك قيدا آخر فقال ثم لا يكن أمركم عليكم غمة قال أبو الهيثم أى مبهما من قولهم غم علينا الهلال فهو مغموم أى التبس وقال الليث لقى غمة من أمره اذا لم يهتد له وقال الزجاج أى ليكن أمركم الذى أجمعتموه ظاهرا منكشفا أى تجاهرونى بالاهلاك ويحتمل ان يراد بهذا الامر العيش والحال أى اهلكونى لئلا يكون عيشكم

عن مجاهد فاليوم ننجيك ببدنك قال بجسدك **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنا** ابراهيم بن المنتصر قال ثنا يزيد قال ثنا الاصبغ بن زيد عن القاسم بن أبي أيوب قال ثني سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما جاوز موسى البحر بجميع من معه التقى البحر عليهم يعني على فرعون وقومه فاغرقهم فقال أصحاب موسى انا نخاف ان لا يكون فرعون غرق ولا نؤمن بهلاكه فدعا ربه فاخرجه فنبذه البحر حتى استيقنوا بهلاكه **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية يقول أنكر ذلك طوائف من بني اسرائيل فقذفه الله على ساحل البحر ينظرون اليه **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة لتكون لمن خلفك آية قال لما أغرق الله فرعون لم تصدق طائفة من الناس بذلك فاخرجه الله آية وعظة **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن التيمي عن أبيه عن أبي السليل عن قيس بن عباد أو غيره بنحو حديث ابن عبد الاعلى عن معمر **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا عبد الله بن رجاء عن ابن جريج عن عبد الله بن كثير عن مجاهد فاليوم ننجيك ببدنك قال بجسدك قال ثنا محمد بن بكير عن ابن جريج قال بلغني عن مجاهد فاليوم ننجيك ببدنك قال بجسدك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال كذب بعض بني اسرائيل بموت فرعون فرمي به على ساحل البحر ليراه بنو اسرائيل قال كانه ثور أحمر وقال آخرون ننجيك بجسدك من البحر فنخرجك منه ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية يقول أنجى الله فرعون لبني اسرائيل من البحر فنظروا اليه بعد ما غرق فان قال قائل وما وجه قوله ببدنك وهل يجوز ان ينجيه بغير بدنه فيحتاج الكلام الى ان يقال فيه ببدنك قيل كان جائزا ان ينجيه بهيئته حيا كما دخل البحر فلما كان جائزا ذلك قيل فاليوم ننجيك ببدنك ليعلم انه ينجيه بالبدن بغير روح ولكن ميتا وقوله وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون يقول تعالى ذكره وان كثيرا من الناس عن آياتنا يعني عن حججنا وأدلتنا على ان العبادة والالوهة لنا خالصة لغافلون يقول لساهون لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ولقد بوأنا بني اسرائيل مبوأ صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) يقول تعالى ذكره ولقد أنزلنا بني اسرائيل منازل صدق قيل عني بذلك الشام وبيت المقدس وقيل عني به الشام ومصر ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا المحاربي وأبو خالد عن جويبر عن الضحاك مبوأ صدق قال منازل صدق مصر والشام **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة مبوأ صدق قال بوأهم الله الشام وبيت المقدس **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد ولقد بوأنا بني اسرائيل مبوأ صدق الشام وقرأ الارض التي باركنا فيها للعالمين وقوله ورزقناهم من الطيبات يقول ورزقنا بني اسرائيل من حلال الرزق وهو الطيب وقوله فما اختلفوا حتى جاءهم العلم يقول جل

أي أدوا الى قطعه وأحكموا بحثه وامضائه وعن القفال ان فيه تضمينا والمعنى القوا الي ما استقر عليه رأيكم محكما مفروغا منه ثم ختم الكلام بقوله ولا تنظرون أي عجلوا ذلك باشد ما تقدرون عليه من غير اهمال ومعلوم ان مثل هذا الكلام لا يصدر الا عمن بلغ في التوكل الغاية القصوى ثم بين ان كل ما أتى به فان ذلك (١٠٦) فارغ من الطمع الدنيوي والغرض الخسيس فقال فان توليتم اعرضتم عن نصحي وتذكيري فما سألتكم من أجر فما كان عندي ما ينفركم عني وتتهموني لاجله من طمع أو غرض عاجل ان أجري ليس أجري الا على الله أي ما نصحتكم الا لوجهه ولا يثيبني الا هو وفي الآية نكتة كانه أراد انه لا يخاف منهم بوجه من الوجوه لا بايصال الشر وذلك قوله فعلى الله توكلت الى آخره ولا بانقطاع الخير منهم وذلك قوله فان توليتم الآية وأمرت أن أكون من المسلمين أي سواء قبلتم دين الاسلام أو لم تقبلوه فانا مامور بان أكون على دين الاسلام أو مامور بالاستسلام لكل ما ألقى من قبل هذه الدعوة فكذبوه بقوا على تكذيبهم الى آخر المدة المتطاولة فنجيناه ومن معه في الفلك قد ذكرنا في الاعراف الفرق بين هذه العبارة وبين ما هنالك وجعلناهم خلائف يخلفون الهالكين بالطوفان فانظر كيف كان عاقبة المنذرين تعظيم لشان اهلاكهم وتحذير لغيرهم وتسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ثم بعثنا من بعده من بعد نوح رسلا كهود وصالح وابراهيم ولوط وشعيب فجاؤهم بالبينات بالحجج الواضحات والمعجزات الباهرات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل الآية وقد مر تفسيرها في أواسط الاعراف الا انه زيد ههنا لفظة به فقيل لتناسب ما قبله وهو كذبوا بآياتنا وكذلك في الاعراف راعى المناسبة لان ما قبله ولكن كذبوا بعير الباء ثم بعثنا من بعدهم بعد الرسل ثناؤه

أو الامم بآياتنا يعني الآيات التسع فاستكبروا عن قبولها وكانوا قوما مجرمين كفارا ذوي آثام ولذلك اجترؤا على رد الآيات اما قوله أسحر هذا فليس بمقول لقوله أتقولون لانهم قطعوا في قوله ان هذا لسحر مبين بانه سحر وما استفهموا ولكن الوجه فيه ان يقال ان القول ههنا بمعنى الطعن والعيب كالذكر في قوله سمعنا فتى يذكرهم ومنه قولهم فلان يخاف القالة أي مطاعن الناس فكانه قال أتعيبون الحق وتطعنون

ثناؤه في اختلاف هؤلاء الذين فعلنا بهم هذا الفعل من بني اسرائيل حتى جاءهم ما كانوا به عالمين وذلك انهم كانوا قبل ان يبعث محمد النبي صلى الله عليه وسلم مجمعين على نبوة محمد والاقرار به وبمبعثه غير مختلفين فيه بالنعت الذي كانوا يجدونه مكتوبا عندهم فلما جاءهم ما عرفوا كفر به بعضهم وآمن به بعضهم والمؤمنون به منهم كانوا عددا قليلا فذلك قوله فما اختلفوا حتى جاءهم المعلوم الذي كانوا يعلمونه نبيا لله فوضع العلم مكان المعلوم وكان بعضهم يتأول العلم ههنا كتاب الله ووحيه ذكر من قال ذلك **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فما اختلفوا حتى جاءهم العلم بغيا بينهم قال العلم كتاب الله الذي أنزله وأمره الذي أمرهم به وهل اختلفوا حتى جاءهم العلم بغيا بينهم أهل هذه الاهواء هل اقتتلوا الا على البغي قال والبغي وجهان وجه النفاسة في الدنيا ومن اقتتل عليها من أهلها وبغي في العلم يرى هذا جاهلا مخطئا ويرى نفسه مصيبا عالما فيبغي باصابته وعلمه على هذا المخطئ وقوله ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ان ربك يا محمد يقضي بين المختلفين من بني اسرائيل قبل يوم القيامة فيما كانوا فيه من أمرك في الدنيا يختلفون بان يدخل المكذبين بك منهم النار والمؤمنين بك منهم الجنة فذلك قضاؤه يومئذ فيما كانوا فيه يختلفون من أمر محمد صلى الله عليه وسلم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (فان كنت في شك مما أنزلنا اليك فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فان كنت يا محمد في شك من حقيقة ما أخبرناك وأنزلنا اليك من أن بني اسرائيل لم يختلفوا في نبوتك قبل أن تبعث رسولا الى خلقه لانهم يجدونك عندهم مكتوبا ويعرفونك بالصفة التي أنت بها موصوف في كتابهم في التوراة والانجيل فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك من أهل التوراة والانجيل كعبد الله بن سلام ونحوه من أهل الصدق والايمان بك منهم دون أهل الكذب والكفر بك منهم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس في قوله فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك قال التوراة والانجيل الذين أدركوا محمدا صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب فآمنوا به يقول فاسئلهم ان كنت في شك بانك مكتوب عندهم **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله تعالى فان كنت في شك مما أنزلنا اليك فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك قال هو عبد الله بن سلام كان من أهل الكتاب فآمن برسول الله صلى الله عليه وسلم **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك قال هم أهل الكتاب **حدثت** عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك يعني أهل التقوى وأهل الايمان من أهل الكتاب ممن أدرك نبي الله صلى الله عليه وسلم فان قال قائل أوكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في شك من خبر الله انه حق يقين حتى قيل له فان كنت في شك مما أنزلنا اليك فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك قيل لا وكذلك قال جماعة من أهل العلم

فيه ثم أنكر عليهم قولهم فقال أسحر هذا او يقال مفعول يقولون محذوف وهو قولهم ان هذا السحر مبين أو يقال جملة قوله أسحر هذا ولا يفلح الساحرون حكاية لكلامهم كانهم قالوا منكرين لما جاء به أجئتما بالسحر تطلبان به الفلاح ولا يفلح السحرة لان حاصل صنيعهم تخييل وتمويه قالوا أجئتنا لتلفتنا التركيب يدل على الالتواء ومنه الفتل والالتفات افتعال من اللفت وهو الصرف والليّ وتكون لكما الكبرياء في الارض أي الملك والعز في أرض مصر قال الزجاج سمي الملك كبرياء لانه أكبر (١٠٧) ما يطلب من أمر الدنيا وأيضا فالنبي صلى الله عليه وسلم اذا اعترف القوم بصدقه صارت مقاليد أمر أمته اليه وصار أكبر القوم وقيل لان الملوك موصوفون بالكبر والحاصل انهم عللوا عدم قبولهم دعوة موسى بامرين التمسك بالتقليد وهو عبادة آبائهم الاصنام والحرص في طلب الدنيا والجد في بقاء الرياسة ويجوز ان يقصدوا ذمهما وانهما ان ملكا أرض مصر تجبرا وتكبرا ثم صرحوا بالتكذيب قائلين وما نحن لكما بمؤمنين ثم حاولوا المعارضة وقد مرت تلك القصة في الاعراف اما قوله ما جئتم به فمعناه الذي جئتم به هو السحر لا الذي سماه فرعون وقومه سحرا من آيات الله قال الفراء وانما قال السحر بالالف واللام لانه جواب الكلام الذي سبق كانهم قالوا لموسى ما جئت به سحر فقال موسى بل ما جئتم به السحر فوجب دخول الالف واللام لان النكرة اذا عادت عادت معرفة يقول الرجل لغيره لقيت رجلا فيقول له من الرجل ولو قال من رجل لم يقع في وهمه انه يسأل عن الرجل الذي ذكره ومن قرأ آلسحر بالاستفهام فما استفهامية مبتدأ وجئتم به خبره كانه قيل أي شئ جئتم به ثم قال على وجه التوبيخ آلسحر اي اهو سحر أو السحر جئتم به ان الله سيبطله باظهار المعجزة عليه ان الله لا يصلح عمل المفسدين لا يؤيده بتكميل الخاتمة ويحق الله الحق يثبته بكلماته بمواعيده أو بما سبق من قضائه أو باوامره فما آمن لموسى أي في أول أمره الا ذرية من قومه قال ابن عباس لفظة الذرية يعبر بها عن القوم على وجه التحقير ولا يبعد ان المراد ههنا ليس هو الاهانة فالمراد التصغير بمعنى قلة العدد وقيل المراد أولاد من أولاد قومه كانه دعا الآباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون وأجابته طائفة من ابنائهم مع الخوف من فرعون ان يصرفهم عن دينهم بتسليط أنواع البلاء عليهم وقيل ان الذرية أقوام كان آباؤهم من قوم فرعون وأمهاتهم من بني اسرائيل وقيل الذين ...

فرعون وآسية امرأته وخازنه وامرأة خازنه وماشطته فالضمير في قومه على هذا لفرعون وعوده الى موسى اظهر لانه اقرب المذكورين
ولما نقل ان الذين آمنوا به كانوا من بني اسرائيل والضمير في ملئهم اما لفرعون على جهة التعظيم لانه ذو اصحاب يأتمرون له أو المراد آل فرعون
بحذف المضاف أو للذرية يعني اشراف بني اسرائيل لانهم كانوا يمنعون اعقابهم خوفا من فرعون عليهم وعلى أنفسهم يدل على ذلك قوله
ان يفتنهم أي يعذبهم فرعون ثم أكد اسباب (١٠٨) الخوف بقوله وان فرعون لعال لغالب في الارض أرض مصر وانه لمن المسرفين
في القتل والتعذيب أو لمن المجاوزين الحد لانه من أخس العبيد فادعى الربوبية العليا وقال موسى تثبيتا لقومه ان كنتم آمنتم بالله صدقتم به وبآياته فعليه توكلوا اخصوه بتفويض أموركم اليه ان كنتم مسلمين قال العلماء المؤخر في مثل هذه الصورة مقدم في المعنى نظيره ان ضربك زيد فاضربه ان كانت بك قوة والمراد ان كانت بك قوة فان ضربك زيد فاضربه فكأنه قيل لهم في حال اسلامهم ان كنتم منقادين لتكاليف ربكم بالاخلاص مصدقين له بالتحقيق عارفين بانه واجب الوجود لذاته وما سواه محدث مخلوق مقهور تحت حكمه وتدبيره ففوضوا جميع أموركم اليه وحده فقالوا مؤتمرين لموسى على الله توكلنا ثم اشتغلوا بالدعاء قائلين ربنا لا تجعلنا فتنة أي موضع فتنة لهم والمراد بالفتنة تعذيبهم أو صرفهم عن دينهم أو المراد لا تفتن بنا فرعون وقومه لانك لو سلطتهم علينا صار ذلك شبهة لهم في انا لسنا على الحق ويجوز ان تكون الفتنة بمعنى المفتون أي لا تجعلنا مفتونين بان تمكنهم من صرفنا عن الدين الحق ولما قدموا التضرع الى الله في ان يصون دينهم عن الفساد اتبعوه سؤال عصمة أنفسهم فقالوا ونجنا الآية وفي ذلك دليل على ان عنايتهم بمصالح الدين فوق اهتمامهم بمصالح النفس وهكذا يجب ان تكون عقيدة كل مسلم والله الموفق وأوحينا الى موسى وأخيه أن تبوّآ لقومكما بمصر بيوتا
بيوتا تبوّأ بالمكان اتخذه مباءة نحو توطنه اذا اتخذه وطنا واختلف المفسرون في البيوت فمنهم من ذهب الى انها المساجد كقوله
في بيوت أذن الله ان ترفع فالمراد من قوله واجعلوا بيوتكم قبلة ان تجعل تلك البيوت مساجد متوجهة نحو القبلة وهي جهة بيت المقدس
أو الكعبة على ما نقل عن ابن عباس وقال الحسن الكعبة قبلة كل الانبياء وانما وقع العدول عنها بأمر الله تعالى في أيام نبينا صلى الله عليه

حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم عن أبي بشر عن سعيد بن جبير في قوله فان كنت في شك مما أنزلنا اليك فقال لم يشك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسأل حدثنا ابن وكيع قال ثنا سويد بن عمرو عن أبي عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير في قوله فان كنت في شك مما أنزلنا اليك فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك قال ماشك وماسأل حدثني الحارث قال ثنا القاسم بن سلام قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو بشر عن سعيد بن جبير ومنصور عن الحسن في هذه الآية قال لم يشك صلى الله عليه وسلم ولم يسأل حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فان كنت في شك مما أنزلنا اليك فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك ذكر لنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا اشك ولا أسأل حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة فان كنت في شك مما أنزلنا اليك فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك قال بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا أشك ولا أسأل فان قال فما وجه مخرج هذا الكلام اذا كان الامر على ما وصفت قيل قد بينا في غير موضع من كتابنا هذا استجازة العرب قول القائل منهم لمملوكه ان كنت مملوكي فانته الى أمري والعبد المأمور بذلك لا يشك سيده القائل له ذلك انه عبده كذلك قول الرجل منهم لابنه ان كنت ابني فبرني وهو لا يشك في ابنه انه ابنه وان ذلك من كلامهم صحيح مستفيض فيهم وذكرنا ذلك بشواهده وان منه قول الله تعالى واذ قال الله ياعيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله وقد علم جل ثناؤه ان عيسى لم يقل ذلك وهذا من ذلك لم يكن صلى الله عليه وسلم شاكا في حقيقة خبر الله وصحته والله تعالى ذكره بذلك من أمره كان عالما ولكنه جل ثناؤه خاطبه خطاب قومه بعضهم بعضا اذ كان القرآن بلسانهم نزل وأما قوله لقد جاءك الحق من ربك الآية فهو خبر من الله مبتدأ يقول تعالى ذكره أقسم لقد جاءك الحق اليقين من الخبر بانك لله رسول وان هؤلاء اليهود والنصارى يعلمون صحة ذلك ويجدون نعتك عندهم في كتبهم فلا تكونن من الممترين يقول فلا تكونن من الشاكين في صحة ذلك وحقيقته ولو قال قائل ان هذه الآية خوطب بها النبي صلى الله عليه وسلم والمراد بها بعض من لم يكن صحت بصيرته بنبوته صلى الله عليه وسلم ممن كان قد أظهر الايمان بلسانه تنبيها له على موضع تعرف حقيقة أمره الذي يزيل اللبس عن قلبه كما قال جل ثناؤه ياأيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين ان الله كان عليما حكيما كان قولا غير مدفوعة صحته ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين) يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تكونن يا محمد من الذين كذبوا بحجج الله وأدلته فتكون ممن غبن حظه وباع رحمة الله ورضاه بسخطه وعقابه ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم) يقول تعالى ذكره ان الذين وجبت عليهم يا محمد كلمة ربك وهي لعنته اياهم بقوله ألا لعنة الله على الظالمين فثبتت عليهم يقال منه حق على فلان كذا يحق عليه اذا ثبت ذلك عليه ووجب وقوله لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية يقول لا يصدقون بحجج الله ولا يقرون بوحدانية ربهم ولا بانك

لله رسول ولو جاءتهم كل آية وموعظة وعبرة فعاينوها حتى يعاينوا العذاب الاليم كما لم يؤمن فرعون وملؤه اذ حقت عليهم كلمة ربك حتى عاينوا العذاب الاليم فحينئذ قال آمنت انه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل حين لم ينفعه قيله فكذلك هؤلاء الذين حقت عليهم كلمة ربك من قومك من عبدة الاوثان وغيرهم لا يؤمنون بك فيتبعونك الا فى الحين الذى لا ينفعهم ايمانهم و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون قال حق عليهم سخط الله بما عصوه حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون حق عليهم سخط الله بما عصوه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين) يقول تعالى ذكره فهلا كانت قرية آمنت وهى كذلك فيما ذكر فى قراءة أبى ومعنى الكلام فما كانت قرية آمنت عند معاينتها العذاب ونزول سخط الله بها بعصيانها ربها واستحقاقها عقابه فنفعها ايمانها ذلك فى ذلك الوقت كما لم ينفع فرعون ايمانه حين أدركه الغرق بعد تماديه فى غيه واستحقاقه سخط الله بمعصيته الا قوم يونس فانهم نفعهم ايمانهم بعد نزول العقوبة وحلول السخط بهم فاستثنى الله قوم يونس من أهل القرى الذين لم ينفعهم ايمانهم بعد نزول العذاب بساحتهم وأخرجهم منهم وأخبر خلقه انه نفعهم ايمانهم خاصة من بين سائر الامم غيرهم فان قال قائل فان كان الامر على ما وصفت من ان قوله فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها بمعنى فما كانت قرية آمنت بمعنى الجحود فكيف نصب قوم وقد علمت ان ما قبل الاستثناء اذا كان جحدا كان ما بعده مرفوعا وان الصحيح من كلام العرب ما قام أحد الا أخوك وما خرج الا أخوك قيل ان ذلك انما يكون كذلك اذا كان ما بعد الاستثناء من جنس ما قبله وذلك ان الاخ من جنس أحد وكذلك الاب ولكن لو اختلف الجنسان حتى يكون ما بعد الاستثناء من غير جنس ما قبله كان الفصيح من كلامهم النصب وذلك لو قلت ما بقى فى الدار أحد الا الوتد وما عندنا أحد الا كلبا أو حمارا لان الكلب والوتد والحمار من غير جنس أحد ومنه قول النابغة الذبيانى

* أعيت جوابا وما بالدار من أحد * ثم قال

الا أوارى لايا ما أبينها * والنؤى كالحوض بالمظلومة الجلد

فنصب الاوارى اذ كان مستثنى من غير جنسه فكذلك نصب قوم يونس لانهم امة غير الامم الذين استثنوا منهم ومن غير جنسهم وشكلهم وان كانوا من بنى آدم وهذا الاستثناء الذى يسميه بعض أهل العربية الاستثناء المنقطع ولو كان قوم يونس بعض الامة الذين استثنوا منهم كان الكلام رفعا ولكنهم كما وصفت و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس قوله فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها يقول لم تكن قرية آمنت ينفعها الايمان اذا نزل بها بأس الله الا قرية يونس قال ابن جريج قال مجاهد فلم تكن قرية آمنت ينفعها ايمانها كما نفع قوم يونس

وسلم بعد الهجرة ومنهم من قال انها مطلق البيوت ثم قيل المراد اجعلوا دوركم قبلة أى صلوا فى بيوتكم وقيل المراد اجعلوا بيوتكم متقابلة اما السبب فى اتخاذ هذه البيوت فان يصلوا فى بيوتهم خفية خيفة من الكفرة كما كان المؤمنون على ذلك فى أول الاسلام بمكة أو لان المقصود الجمعية واعتضاد البعض بالبعض وقيل على التفسير الاول لما أظهر فرعون العداوة الشديدة أمر الله موسى وهرون وقومهما باتخاذ المساجد على رغم الاعداء وتكفل ان يصونهم عن شرهم وانما ثنى الخطاب اولا ثم جمع لان اختيار المكان للعبادة مما يفوض الى الانبياء فخوطب موسى وهرون بذلك ثم جعل الخطاب عاما لهما ولقومهما لان استقبال القبلة واقامة الصلاة واجب على الجمهور ثم خص موسى عليه السلام بالتبشير فى قوله و بشر المؤمنين لان الغرض الاصلى من جميع العبادات هو هذه البشارة فلم تكن لائقة الا بحال موسى الذى هو الاصل فى الرسالة وفيه تعظيم لشأن البشارة والمبشر قال الضعيف مؤلف الكتاب قد سنح فى خاطرى وقت هذه الكتابة ان الخطاب فى قوله و بشر المؤمنين لنبينا صلى الله عليه وسلم على طريقة الالتفات والاعتراض ومضمون البشارة انه جعلت الارض كلها لهذه الامة مسجدا وطهورا دون سائر الامم فانهم أمروا باتخاذ موضع يرجعون اليه البتة للعبادة والله أعلم بمراده ثم ان موسى عليه السلام لما بالغ فى اظهار المعجزات القاهرة ورأى القوم مصرين على الجحود والانكار أخذ يدعو عليهم ومن حق من يدعو على الغير ان يذكر أولا سبب الدعاء عليه فلهذا قال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا فالزينة عبارة عن الصحة والجمال واللباس والدواب واثاث البيت والاموال ما يزيد على ذلك من الصامت والناطق عن ابن عباس كانت لهم من فسطاط مصر الى أرض الحبشة جبال فيها معادن من ذهب وفضة قالت الاشاعرة اللام فى قوله ليضلوا لام التعليل كان موسى عليه السلام قال يا رب انك أعطيتهم هذه الزينة والاموال لاجل ان يضلوا ففيه دلالة على انه تعالى تسبب لضلالهم وأراد منهم ذلك والالم ي [illegible] اسبابه ثم شرع فى الدعاء عليهم بالطمس على أموالهم والطمس المحو والمسخ كما مر فى سورة النساء فى قوله سبحانه من قبل أن نطمس وجوها و بالشد على قلوبهم ومعناه الاستيثاق والختم وقالت المعتزلة قوله ليضلوا دعاء بلفظ الامر الغائب دعا عليهم لما أصروا بالضلال و بالطمس و بالشد كانه قال علم بالتجربة

وطول الصحبة ان ايمانهم كالمحال أو علم ذلك بالوحي اشتد غضبه عليهم فدعا الله عليهم بما علم انه لا يكون غيره فقال ليثبتوا على ماهم عليه من
الضلال وليطبع الله على قلوبهم كما يقول الاب المشفق لولده اذا لم يقبل نصحه واستمر على غيه سلمنا ان قوله ليضلوا ليس دعاء عليهم لكن اللام
فيه للعاقبة كقوله لدوا للموت سلمنا ان اللام للتعليل لكنهم جعلوا نعمة الله سببا في الضلال فكانهم أوتوها ليضلوا ولم لا يجوز ان يكون
لا مقدرة أي لئلا يضلوا كقوله يبين الله لكم ان تضلوا أي لا تضلوا أو يكون حرف الاستفهام مقدرا في آتيت على سبيل التعجب (١١٠)
اما قوله تعالى فلا يؤمنوا فاما ان
يكون معطوفا على قوله ليضلوا على
التفاسير كلها وما بينهما اعتراض
واما ان يكون جوابا لقوله واشدد
ويجوز ان يكون دعاء بلفظ النهي
معطوفا على اشدد قال قد أجيبت
دعوتكما اضاف الدعوة اليهما لان
موسى كان يدعو وهرون يؤمن
ويجوز ان يكونا جميعا يدعوان
الا انه خص موسى بالذكر في
الآية الاولى لاصالته في الرسالة
والمعنى ان دعاءكما مستجاب وما
طلبتما كائن ولكن في وقته فاستقيما
فاثبتا على ما انتما عليه من التبليغ
والانذار زيادة في الزام الحجة ولا
تستعجلا فقد لبث نوح في قومه
ألف سنة الا قليلا قال ابن جريج
مكث موسى بعد الدعاء أربعين
سنة يدعوهم الى الله ولا تتبعان
سبيل الذين لا يعلمون ان الاستعجال
لا يفيد في اجابة الدعاء فقد يستجاب
الدعاء ولكن يظهر الاثر بعد حين
وجاوزنا ببني اسرائيل البحر قد
مرت تلك القصة في أوائل سورة
البقرة في قوله واذ فرقنا بكم البحر
الآية ومعنى قوله فاتبعهم لحقهم
يقال تبعه حتى اتبعه والبغي الافراط
في الظلم والعدو مجاوزة الحد وفي
الآية سؤال وهو ان فرعون تاب
ثلاث مرات أحدها قوله آمنت
وثانيها انه لا اله الا الذي آمنت به
بنو اسرائيل وثالثها وانا من
المسلمين فلم تقبل توبته والجواب من وجوه الاول انه ايمان اليائس وانه لا يقبل لان الالجاء ينافي التكليف
الثاني انه لم تكن مقرونة بالاخلاص وانما كان ستدفع البلية الحاضرة والمحنة الماحقة الثالث ان ذلك التوحيد كان مبنيا على محض التقليد
والمخذول كان من الدهرية المنكرين لوجود الصانع ومثل هذا الاعتقاد الفاحش لا تزول ظلمته الا بنور الحجة القطعية الرابع ما روي ان
بعض بني اسرائيل لما جاوزوا البحر اشتغلوا بعبادة العجل فلعله أراد الاله الذي بذلك العجل الذي آمنوا به ... في ذلك الوقت وكانت ...

ايمانهم الا قوم يونس حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فلولا كانت قرية
آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم
الى حين يقول لم يكن هذا في الامم قبلهم لم ينفع قرية كفرت ثم آمنت حين حضرها العذاب فتركت
الا قوم يونس لما فقدوا نبيهم وظنوا ان العذاب قد دنا منهم قذف الله في قلوبهم التوبة ولبسوا
المسوح والهوا بين كل بهيمة وولدها ثم عجوا الى الله أربعين ليلة فلما عرف الله الصدق من قلوبهم
والتوبة والندامة على ما مضى منهم كشف الله عنهم العذاب بعد ان تدلى عليهم قال وذكر لنا ان قوم
يونس كانوا بنينوى أرض الموصل حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة
الا قوم يونس قال بلغنا انهم خرجوا فنزلوا على تل وفرقوا بين كل بهيمة وولدها يدعون الله أربعين ليلة
حتى تاب عليهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الحميد الحماني عن اسمعيل بن عبد الملك عن سعيد بن جبير
قال غشي قوم يونس العذاب كما يغشى الثوب القبر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج
عن صالح المري عن قتادة عن ابن عباس ان العذاب كان هبط على قوم يونس حتى لم يكن بينهم وبينه
الا قدر ثلثي ميل فلما دعوا كشف الله عنهم حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن
ابن أبي نجيح عن مجاهد واسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فلولا
كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما آمنوا قال كما نفع قوم يونس زاد أبو حذيفة في
حديثه قال لم تكن قرية آمنت حين رأت العذاب فنفعها ايمانها الا قوم يونس متعناهم حدثني
المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس قال ثنا رجل
قد قرأ القرآن في صدره في امارة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فحدث عن قوم يونس حين أنذر قومه
فكذبوه فاخبرهم ان العذاب يصيبهم ففارقهم فلما رأوا ذلك وغشيهم العذاب لكنهم خرجوا من
مساكنهم وصعدوا في مكان رفيع وانهم جأروا الى ربهم ودعوه مخلصين له الدين ان يكشف
عنهم العذاب وان يرجع اليهم رسولهم قال ففي ذلك أنزل فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها
الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين فلم تكن قرية
غشيها العذاب ثم امسك عنها الا قوم يونس خاصة فلما رأى ذلك يونس لكنه ذهب عاتبا على ربه
وانطلق مغاضبا وظن ان لن نقدر عليه حتى ركب في سفينة فاصاب أهلها عاصف الريح فذكر قصة
يونس وخبره حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح قال لما رأوا
العذاب ينزل فرقوا بين كل انثى وولدها من الناس والانعام ثم قاموا جميعا فدعوا الله واخلصوا
ايمانهم فرأوا العذاب يكشف عنهم قال يونس حين كشف عنهم العذاب ارجع اليهم وقد كذبتهم
وكان يونس قد وعدهم العذاب بصبح ثالثة فعند ذلك خرج مغضبا وساء ظنه حدثني الحارث
قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان عن اسمعيل بن عبد الملك عن سعيد بن جبير قال لما أرسل
يونس الى قومه يدعوهم الى الاسلام وترك ما هم عليه قال فدعاهم فابوا فقيل له أخبرهم ان العذاب
مصبحهم فقالوا انا لم نجرب عليه كذبا فانظروا فان بات فيكم فليس بشيء وان لم يبت فاعلموا ان العذاب
مصبحكم فلما كان في جوف الليل أخذ مخلاته فتزود فيها شيئا ثم خرج فلما أصبحوا تغشاهم العذاب كما

يتغشى الانسان الثوب في القبر ففرقوا بين الانسان وولده وبين البهيمة وولدها ثم عجوا الى الله فقالوا آمنا بما جاء به يونس وصدقناه فكشف الله عنهم العذاب فخرج يونس ينظر العذاب فلم ير شيأ قال جربوا على كذبا فذهب مغاضبا لربه حتى أتى البحر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن اسرائيل عن أبي اسحق عن عمرو بن ميمون قال ثنا ابن مسعود في بيت المال قال ان يونس عليه السلام كان قد وعد قومه العذاب وأخبرهم انه يأتيهم الى ثلاثة أيام ففرقوا بين كل والدة وولدها ثم خرجوا فجأروا الى الله واستغفروه فكف الله عنهم العذاب وغدا يونس ينظر العذاب فلم يرشيأ وكان من كذب ولم تكن له بينة قتل فانطلق مغاضبا حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا صالح المرى عن أبي عمران الجونى عن أبي الجلد جيلان قال لما غشى قوم يونس العذاب مشوا الى شيخ من بقية علمائهم فقالوا له انه قد نزل بنا العذاب فما ترى فقال قولوا يا حى حين لا حى ويا حى محيى الموتى ويا حى لا اله الا أنت فكشف عنهم العذاب ومتعوا الى حين حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال بلغني في حرف ابن مسعود فلولا يقول فهلا وقوله لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى في الحياة الدنيا يقول لما صدقوا رسولهم وأقروا بما جاءهم به بعد ما أظلهم العذاب وغشيهم أمر الله ونزل بهم البلاء كشفنا عنهم عذاب الهوان والذل في حياتهم الدنيا ومتعناهم الى حين يقول وأخرنا في آجالهم ولم نعاجلهم بالعقوبة وتركناهم في الدنيا يستمتعون فيها بآجالهم الى حين مماتهم ووقت فنائهم أعمارهم التي قضيت فناءها ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) يقول تعالى ذكره لنبيه ولو شاء يا محمد ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا بك فصدقوك انك لي رسول وان ما جئتهم به وما تدعوهم اليه من توحيد الله واخلاص العبودة له حق ولكن لا يشاء ذلك لانه قد سبق من قضاء الله قبل ان يبعثك رسولا انه لا يؤمن بك ولا يتبعك فيصدقك بما بعثك الله به من الهدى والنور الا من سبقت له السعادة في الكتاب الاول قبل ان يخلق السموات والارض وما فيهن وهؤلاء الذين عجبوا من ايحائنا اليك صدق هذا القرآن لتنذر به من أمرتك بانذاره ممن قد سبق له عندى انهم لا يؤمنون بك في الكتاب السابق وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله ونحو هذا في القرآن فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحرص أن يؤمن جميع الناس ويتابعوه على الهدى فأخبره الله انه لا يؤمن من قومه الا من قد سبق له من الله السعادة في الذكر الاول ولا يضل الا من سبق له من الله الشقاء في الذكر الاول فان قال قائل فما وجه قوله لآمن من في الارض كلهم جميعا فالكل يدل على الجميع والجميع على الكل فما وجه تكرار ذلك وكل واحدة منهما تغنى عن الاخرى قيل قد اختلف أهل العربية في ذلك فقال بعض نحوى أهل البصرة جاء بقوله جميعا في هذا الموضع توكيدا كما قال لا تتخذوا الهين اثنين ففى قوله الهين دليل على الاثنين وقال غيره جاء بقوله جميعا بعد كلهم لان جميعا لا تقع الا توكيدا وكلهم يقع توكيدا واسما فلذلك جاء بجميعا بعد كلهم

البكلمة بالزيادة الكفر الخامس ان أكثر اليهود يميلون الى التجسيم والتشبيه ولذلك عبدوا العجل فكأنه ما آمن الا باله الموصوف بالجسمية والحلول والنزول السادس لعل الايمان انما يتم بالاقرار بوحدانية الله تعالى وبنبوة موسى كأنه لو قيل ألف مرة لا اله الا الله لم يصح ايماننا الا اذا قرن به محمد صلى الله عليه وسلم رسول الله الى الناس كافة السابع يروى ان جبريل عليه السلام أتى فرعون بفتيا ما قول الامير في عبد نشأ في مال مولاه ونعمه فكفر نعمته وجحد حقه وادعى السيادة دونه فكتب فرعون فيه يقول أبو العباس الوليد بن مصعب جزاء العبد الخارج على سيده الكافر نعمته ان يغرق في البحر ثم ان فرعون لما غرق دفع جبريل اليه خطه فعرفه اما قوله آلآن فالمشهور من الاخبار أنه قول جبريل وقيل انه قول الله سبحانه والتقدير أتؤمن الساعة في وقت الاضطرار حين أدركك الغرق وأدركك وقوله وكنت من المفسدين في مقابلة قوله وأنا من المسلمين روى ان جبريل أخذ يملأ فاه بالطين حين قال آمنت لئلا يتوب غضبا عليه والاقرب عند العلماء ان هذا الخبر غير صحيح لانه ان قال ذلك حين بقاء التكليف لم يجز على جبريل ان يمنعه من التوبة بل يجب ان يحثه عليها وعلى كل طاعة لقوله تعالى وتعاونوا ولو منعه لكانت التوبة ممكنة لان الاخرس قد يتوب بان يعزم بقلبه على ترك المعاودة الى القبيح ولو منعه من التوبة لكان قد رضى ببقائه على الكفر والرضا بالكفر كفر وكيف يليق به سبحانه ان يقول لموسى وهرون فقولا له قولا لينا ثم يأمر جبريل بمنعه عن الايمان ولو قيل ان جبريل فعل ذلك من تلقاء نفسه كان منافيا لقوله وما نتنزل الا بامر ربك لا يسبقونه بالقول وان كان قال ذلك بعد زوال التكليف فلم يكن لما فعل جبريل فائدة اللهم الا ان يقال انه دس حال البحر في فيه في وقت لا ينفعه ايمانه غضبا لله على الكافر قوله فاليوم ننجيك ببدنك فيه اقوال منها ان معناه نخرجك من البحر ونخلصك مما وقع فيه قومك من قعر البحر ولكن بعد ان تغرق وقوله ببدنك في موضع الحال أي في الحال التي لا روح فيك وانما أنت بدن قال كعب رماه الماء الى الساحل كأنه ثور أو المراد ببدنك كاملا سويا لم ينقص منه شيء ولم يتغير او عريانا لست الا بدنا وفيه نوع تهكم كأنه قيل ننجيك لكن هذه النجاة انما تحصل لبدنك لا لروحك كما يقال نعتقك ونخلصك من السجن ولكن بعد ان تموت وقيل ننجيك ببدنك أي

قال ولو قيل انه جمع بينهما لعلم ان معناهما واحد لجاز ههنا قال وكذلك الهين اثنين العدد كله يفسر به فيقال رأيت قوما أربعة فلما جاء باثنين وقد اكتفى بالعدد منه لانهم يقولون عندي درهم ودرهمان فيكفي من قولهم عندي درهم واحد ودرهمان اثنان فاذا قالوا دراهم قالوا ثلاثة لان الجمع يلتبس والواحد والاثنان لا يلتبسان ثم ثنى الواحد والتثنية على تنافى الجميع لانه ينبغي أن يكون مع كل واحد واحد لان درهما يدل على الجنس الذي هو منه وواحد يدل على كل الاجناس وكذلك اثنان يدلان على كل الاجناس ودرهمان يدلان على أنفسهما فلذلك جاء بالاعداد لانه الاصل وقوله أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم انه لن يصدقك يا محمد ولن يتبعك ويقر بما جئته به الا من شاء ربك أن يصدقك لا باكراهك اياه ولا بحرصك على ذلك أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين لك مصدقين على ما جئتهم به من عند ربك يقول له جل ثناؤه فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين الذين حقت عليهم كلمة ربك أنهم لا يؤمنون ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون) يقول تعالى ذكره لنبيه وما كان لنفس خلقتها من سبيل الى تصديقك يا محمد الا بأن آذن لها في ذلك فلا تجهدن نفسك في طلب هداها وبلغها وعيد الله وعرفها ما أمرك ربك بتعريفها ثم خلها فان هداها بيد خالقها وكان الثوري يقول في تأويل قوله الا باذن الله ما حدثني المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن سفيان في قوله وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله قال بقضاء الله وأما قوله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون فانه يقول تعالى ذكره ان الله يهدي من يشاء من خلقه للايمان بك يا محمد ويأذن له في تصديقك فيصدقك ويتبعك ويقر بما جئت به من عند ربك ويجعل الرجس وهو العذاب وغضب الله على الذين لا يعقلون يعني الذين لا يعقلون عن الله حججه ومواعظه وآياته التي دل بها جل ثناؤه على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وحقيقة ما دعاهم اليه من توحيد الله وخلع الانداد والاوثان حدثني المثنى قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ويجعل الرجس قال السخط ۞ القول في تأويل قوله تعالى (قل انظروا ماذا في السموات والارض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون) يقول تعالى ذكره قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك السائليك الآيات على صحة ما تدعوهم اليه من توحيد الله وخلع الانداد والاوثان انظروا أيها القوم ماذا في السموات من الآيات الدالة على حقيقة ما أدعوكم اليه من توحيد الله من شمسها وقمرها واختلاف ليلها ونهارها ونزول الغيث بأرزاق العباد من سحابها وفي الارض من جبالها وتصدعها بنباتها وأقوات أهلها وسائر صنوف عجائبها فان في ذلك لكم ان عقلتم وتدبرتم عظة ومعتبرا ودلالة على أن ذلك من فعل من لا يجوز أن يكون له في ملكه شريك ولا له على تدبيره وحفظه ظهير يغنيكم عما سواه من الآيات يقول الله جل ثناؤه وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون يقول جل ثناؤه وما تغني الحجج والعبر والرسل المنذرة عباد الله عقابه عن قوم قد سبق لهم من الله الشقاء وقضى لهم في أم الكتاب انهم من أهل النار لا يؤمنون بشيء من ذلك ولا يصدقون به ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم

ننجيك بنجوة من الارض وهي المكان المرتفع وقيل ببدنك أي بدرعك قال الليث البدن الدرع القصير الكمين عن ابن عباس قال كان عليه درع من الذهب يعرف بها فاخرجه الله من الماء مع ذلك الدرع ليعرف فان صحت هذه الرواية كانت معجزة لموسى عليه السلام قوله لتكون لمن خلفك آية فقيل ان قوما اعتقدوا في الهيته وزعموا ان مثله لا يموت فاظهر الله تعالى أمره بان أخرجه من الماء بصورته حتى يشاهدوه وزالت الشبهة عن قلوبهم وكانت مطروحة على ممر من بني اسرائيل فلهذا قيل لمن خلفك وقيل انه تعالى أراد ان يشاهده الخلق على ذلك الذل والاهانة بعدما سمعوا منه قوله أنا ربكم الاعلى ليكون ذلك زجرا للعاوين عن مثل طريقته ويعرفوا انه كان بالامس في نهاية الجلالة ثم آل أمره الى ما آل فلا يجترؤا على نحو ما اجترأ عليه وقيل المراد ليكون طرحك الساحل وحدك دون المغرقين آية من آيات الله للامم الآتية ثم زجر هذه الامة عن ترك النظر في الدلائل وحثهم على التأمل والاعتبار فقال وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون ۞ التأويل واتل عليهم نبأ نوح الروح اذ قال لقومه وهم القلب والسر والنفس وصفاتها يا قوم ان كان عظم عليكم مقامي في الاخلاق الحميدة الروحانية ودعائي الى الله ببراهينه الواضحة فما سألتكم من أجر من حظوظ مشاربكم الدنيوية ما حظي الا من مواهب الله وشهود جماله وجعلناهم خلائف خلفاء الله في أرضه وباقي التأويل كما مر في الاعراف وهكذا في قصة موسى ولا يفلح الساحرون لان الفلاح هو الخلاص عن قيد الوجود المجازي ويحق الله الحق أي الذكر بكلماته وهي لا اله الا الله ولو كره أهل الهوى والنفوس الامارة فما آمن لموسى القلب الا صفاته أو بعض صفات فرعون النفس بتبديل اخلاقها الذميمة بالاخلاق الحميدة القلبية على خوف من فرعون النفس والهوى والدنيا وشهواتها ان يصرفهم الى حالها الطبيعية التي جبلت عليها وأوحينا الى موسى القلب وهرون السر ان تبوآ لقومكما بمصر عالم الروح مقامات ومنازل لا في عالم النفس السفلي واجعلوا تلك المقامات متوجهة الى طلب الحق وأقيموا الصلاة أديموا العروج من المقامات الروحانية الى المواصلات الربانية ليضلوا عن سبيلك ليكون عاقبة أمرهم ان ينقطعوا أو يقطعوا بتلك الاشياء عن السير في طلبك ربنا اطمس على أموالهم بمحقها وتحقيرها في نظرهم واشدد على قلوبهم

القول في تاويل قوله تعالى (فهل ينتظرون الامثل أيام الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا انى معكم من المنتظرين) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم محذرا مشركى قومه من حلول عاجل نقمه بساحتهم نحو الذى حل بنظرائهم من قبلهم من سائر الامم الخالية من قبلهم السالكة فى تكذيب رسل الله وجحود توحيد ربهم سبيلهم فهل ينتظر يا محمد هؤلاء المشركون من قومك المكذبون بما جئتهم به من عند الله الا يوما يعاينون فيه من عذاب الله مثل أيام اسلافهم الذين كانوا على مثل الذى هم عليه من الشرك والتكذيب الذين مضوا قبلهم فخلوا من قوم نوح وعاد وثمود قل لهم يا محمد ان كانوا ذلك ينتظرون فانتظروا عقاب الله اياكم ونزول سخطه بكم انى من المنتظرين هلاككم وبواركم بالعقوبة التى تحل بكم من الله وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فهل ينتظرون الامثل أيام الذين خلوا من قبلهم يقول وقائع الله فى الذين خلوا من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن ابى جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس فى قوله فهل ينتظرون الامثل أيام الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا انى معكم من المنتظرين قال خوفهم عذابه ونقمته وعقوبته ثم أخبرهم انه اذا وقع من ذلك أمر انجى الله رسله والذين آمنوا معه فقال الله ثم ننجى رسلنا والذين آمنوا كذلك حقا علينا ننجى المؤمنين القول فى تاويل قوله تعالى (ثم ننجى رسلنا والذين آمنوا كذلك حقا علينا ننجى المؤمنين) يقول تعالى ذكره قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك انتظروا مثل أيام الذين خلوا من قبلكم من الامم السالفة الذين هلكوا بعذاب الله فان ذلك اذا جاء لم يهلك به سواهم ومن كان على مثل الذى هم عليه من تكذيبك ثم ننجى هنالك رسولنا محمدا صلى الله عليه وسلم ومن آمن به وصدقه واتبعه على دينه كما فعلنا قبل ذلك برسلنا الذين أهلكنا أممها فانجيناهم ومن آمن به معهم من عذابنا حين حقت على أممهم كذلك حقا علينا ننجى المؤمنين يقول كما فعلنا بالماضين من رسلنا فانجيناها والمؤمنين معها وأهلكنا أممها كذلك نفعل بك يا محمد وبالمؤمنين فننجيك وننجى المؤمنين بك حقا علينا غير شك القول فى تاويل قوله تعالى (قل يا أيها الناس ان كنتم فى شك من دينى فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذى يتوفاكم وأمرت أن أكون من المؤمنين) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك الذين عجبوا ان أوحيت اليك ان كنتم فى شك أيها الناس من دينى الذى أدعوكم اليه فلم تعلموا انه حق من عند الله فانى لا أعبد الذين تعبدون من دون الله من الالهة والاوثان التى لا تسمع ولا تبصر ولا تغنى عنى شيأ فتشكوا فى صحته وهذا تعريض ولحن من الكلام لطيف وانما معنى الكلام ان كنتم فى شك من دينى فلا ينبغى لكم أن تشكوا فيه وانما ينبغى لكم ان تشكوا فى الذى أنتم عليه من عبادة الاصنام التى لا تعقل شيأ ولا تضر ولا تنفع فاما دينى فلا ينبغى لكم ان تشكوا فيه لانى أعبد الله الذى يقبض الخلق فيميتهم اذا شاء وينفعهم ويضر من يشاء وذلك ان عبادة من كان كذلك فلا يستنكرها ذو فطرة صحيحة وأما عبادة الاوثان فينكرها كل ذى لب وعقل صحيح وقوله ولكن اعبد الله الذى يتوفاكم يقول ولكن اعبد

الى الدنيا وما فيها على قلوبهم واجعل هممهم علية فى طلبك والنظر اليك فقط حتى يروا العذاب الاليم فان النفس وصفاتها لا يؤمنون بالآخرة وطلب الحق حتى يذيقهم ألم الفطام عن الدنيا وشهواتها سبيل الذين لا يعلمون طريق الوصول الى الله ولا يعرفون قدره وجاوزنا ببنى اسرائيل هم القلب والسر وصفاتها والبحر بحر الروحانية الملكوتية فاتبعهم فرعون النفس وصفاتها بعد الفطام عن شوائب عالم الملك قهرا وقسرا حتى اذا هبت رياح اللطف وتموجت بحار الفضل واستغرق موسى القلب وصفاته فى لجى بحر الوصال وبلغت امواج أمواجه الى ساحل البشرية أدرك فرعون النفس الغرق فاستمسك بعروة تلك الغريق وقال آمنت ومن أمارات أجنبية فرعون النفس من عالم الروح انه لم يتمسك بحبل التوحيد والمعرفة بيد الصدق والاستقلال ولم يقل آمنت بالله الذى لا اله الا هو وانما تمسك بيد الاضطراب والتقليد فقال لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل ننجيك ببدنك أى نخلصك مع قالبك من بحر الضلالة لتكون دليلا على كمال قدرتنا وعنايتنا وان من اتبع خواص عبادنا نجعله من أهل النجاة والدرجات بعد ان كان من أهل الهلاك والدركات والله حسبنا (ولقد بوأنا بنى اسرائيل مبوأ صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون فان كنت فى شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا أفانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون قل انظروا ماذا فى السموات والارض وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون فهل ينتظرون الامثل أيام الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا انى معكم من المنتظرين ثم ننجى رسلنا والذين آمنوا كذلك حقا علينا ننجى المؤمنين قل يا أيها الناس ان كنتم فى شك من

ديني فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم وأمرت أن أكون من المؤمنين وأن أقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل واتبع ما يوحى اليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين) القراآت بوأنا مثل أنشأنا ونجعل بالنون يحيى وحماد الآخرون بالياء التحتانية (١١٤) ثم ننجي من الانجاء نصر وروح ويزيد ننجي المؤمنين من الانجاء أيضا

على وسهل ويعقوب وحفص والمفضل الآخرون بالتشديد فيهما * الوقوف الطيبات ج للابتداء بالنفي مع الفاء العلم ط يختلفون ◦ من قبلك ج لانقطاع النظم مع اتفاق المعنى الممترين ◦ لا للعطف الخاسرين ◦ لا يؤمنون ◦ لا لتعلق لو بما قبلها الاليم ◦ يونس ط حين ◦ جميعا ط مؤمنين ◦ باذن الله ط أي وهو يجعل لا يعقلون والارض ط للفصل بين الاستخبار والاخبار لا يؤمنون ◦ من قبلهم ط من المنتظرين ◦ كذلك ج لاحتمال ان يراد نجيهم كانجاء الرسل أو يكون الوقف على آمنوا والتقدير ننجي المؤمنين انجاء كذلك وحقا علينا اعتراض المؤمنين يتوفاكم ج لاحتمال ان يراد وقد أمرت المؤمنين٧ لا للعطف حنيفا ج للعطف مع زيادة نون التأكيد المؤذن بالاستئناف المشركين ◦ ولا يضرك ج للابتداء بالشرط مع الغاء الظالمين ◦ الا هو ج للعطف مع حق الفصل بين المتضادين لفضله ط من عباده ط الرحيم ◦ من ربكم ج لنفسه ج عليها ج للعطف مع النفي بوكيل ◦ ط يحكم الله ج لاحتمال العطف والاستئناف الحاكمين ◦ * التفسير لما ذكر ما وقع عليه الختم في واقعة فرعون وجنوده أراد أن يذكر ما وقع عليه الختم في واقعة بني اسرائيل فقال ولقد بوأنا أي أسكناهم مسكن صدق أو اسكان صدق فيكون المبوأ اسم مكان أو مصدرا والعرب اذا مدحت شيأ أضافته الى الصدق ليعلم ان كل ما يظن به من الخير ويطلب منه فانه يصدق ذلك الظن ويوجد فيه فيكون المعنى منزلا صالحا مرضيا والمراد بني اسرائيل اما اليهود الذين كانوا في زمن موسى عليه السلام فمبوأهم أقصد الشام ومصر وما يدانيها فانها بلاد كثيرة الخصب غزيرة الارزاق ومع ذلك فقد أورثهم الله جميع ما كان تحت تصرف فرعون وقومه من الناطق والصامت في الخ فقوا في دينهم وما اختلفوا

الله الذي يقبض أرواحكم فيميتكم عند آجالكم وأمرت ان أكون من المؤمنين يقول هو الذي أمرني ان أكون من المصدقين بما جاءني من عنده ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وان أقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين) يقول تعالى ذكره وأمرت ان أكون من المؤمنين وان أقم وان الثانية عطف على ان الاولى ويعني بقوله أقم وجهك للدين أقم نفسك على دين الاسلام حنيفا مستقيما عليه غير معوج عنه الى يهودية ولا نصرانية ولا عبادة وثن ولا تكونن من المشركين يقول ولا تكونن ممن يشرك في عبادة ربه الآلهة والانداد فتكون من الهالكين ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين) يقول تعالى ذكره ولا تدع يا محمد من دون معبودك وخالقك شيأ لا ينفعك في الدنيا ولا في الآخرة ولا يضرك في دين ولا دنيا يعني بذلك الآلهة والاصنام يقول لا تعبدها راجيا نفعها أو خائفا ضرها فانها لا تنفع ولا تضر فان فعلت ذلك فدعوتها من دون الله فانك اذا من الظالمين يقول من المشركين بالله الظالم لنفسه ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم) يقول تعالى ذكره لنبيه وان يصبك الله يا محمد بشدة أو بلاء فلا كاشف لذلك الا ربك الذي أصابك به دون ما يعبده هؤلاء المشركون من الآلهة والانداد وان يردك بخير يقول وان يردك ربك برخاء أو نعمة وعافية وسرور فلا راد لفضله يقول فلا يقدر أحد أن يحول بينك وبين ذلك ولا يردك عنه ولا يحرمكه لانه الذي بيده السراء والضراء دون الآلهة والاوثان ودون ما سواه يصيب به من يشاء يقول يصيب ربك يا محمد بالرخاء والبلاء والسراء والضراء من يشاء ويريد من عباده وهو الغفور لذنوب من تاب وأناب من عباده من كفره وشركه الى الايمان به وطاعته الرحيم بمن آمن به منهم وأطاعه أن يعذبه بعد التوبة والانابة ۞ القول في تأويل قوله تعالى (قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد للناس يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم يعني كتاب الله فيه بيان كل ما بالناس اليه حاجة من أمر دينهم فمن اهتدى يقول فمن استقام فسلك سبيل الحق وصدق بما جاء من عند الله من البيان فانما يهتدي لنفسه يقول فانما يستقيم على الهدى ويسلك قصد السبيل لنفسه فاياها يبغي الخير بفعله ذلك لا غيرها ومن ضل يقول ومن اعوج عن الحق الذي أتاه من عند الله وخالف دينه وما بعث به محمدا والكتاب الذي أنزله عليه فانما يضل عليها يقول فان ضلاله ذلك انما يجني به على نفسه لا على غيرها لانه لا يؤخذ بذلك غيرها ولا يورد بضلاله ذلك المهالك سوى نفسه ولا تزر وازرة وزر أخرى وما أنا عليكم بوكيل يقول وما أنا عليكم بمسلط على تقويمكم انما أمركم الى الله وهو الذي يقوم من شاء منكم وانما أنا رسول مبلغ أبلغكم ما أرسلت به اليكم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (واتبع ما يوحى اليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين) يقول تعالى ذكره واتبع يا محمد وحي الله الذي يوحيه اليك

ـعباو كانوا على طريقة واحدة حتى قرؤا التوراة فقابلوها بضد المقصود منها وبدلوا الاتفاق بالاختلاف وأحدثوا المذاهب المتعددة
واما اليهود المعاصرون لرسول الله صلى الله عليه وسلم والى هذا ذهب جم غفير من المفسرين عن ابن عباس هم قريظة والنضير وبنو قينقاع
أنزلناهم منزل الصدق ما بين المدينة والشام ورزقناهم من طيبات تلك البلاد رطبا وتمرا ليس في غيرها فبقوا على دينهم ولم يظهر فيهم الاختلاف
حتى جاءهم سبب العلم وهو القرآن النازل على محمد صلى الله عليه وسلم فاختلفوا في نعته وصفته وآمن به قوم وبقي على الكفر آخرون وبالجملة
فالله تعالى يقضي بين المحقين منهم والمبطلين في يوم الجزاء لان دار التكليف ليست دار القضاء ولما بين كيفية اختلاف اليهود
في شأن كتابهم أو في شأن رسوله حق حقيقته وحقيقة ما أنزل عليه بقوله فان كنت في شك والشك في اللغة ضم الشيء بعضه الى بعض ومنه شك الجوهر في العقد وشككته بالرمح أي خرقته وانتظمته والشكيكة الفرقة من الناس والشكائك البيوت المصطفة والشاك يضم الى ما يتوهمه شيأ آخر خلافه والخطاب فيه للرسول في الظاهر والمراد أمته كقوله يا أيها النبي اذا طلقتم والدليل عليه قوله بعد ذلك قل يا أيها الناس ان كنتم في شك من ديني ولانه لو كان شاكا في شأنه لكان غيره بالشك أولى ويمكن ان يقال الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم حقيقة ولكن ورد على سبيل الفرض والتمثيل كأنه قيل فان وقع لك شك مثلا والقضية الشرطية لا اشعار فيها البتة بوقوع الشرط ولا وقوعه بل المراد استلزام الاول للثاني على تقدير وقوع الاول وقد يكونان محالين كقول القائل ان كانت الخمسة زوجا كانت منقسمة بمتساويين وفيه من الفوائد الارشاد الى طلب الدلائل لاجل مزيد اليقين وحصول الطمأنينة وفيه استمالة لامته والجاء لهم على السؤال عما كانوا منه في شك

وفيه ان أهل الكتاب من الاحاطة بصحة ما أنزل اليك بحيث يصلحون لمراجعة مثلك فضلا عن غيرك فيكون الغرض وصف الاحبار بالرسوخ
في العلم بصحة ما أنزل الى الرسول لا وصف الرسول بالشك ولذلك قال صلى الله عليه وسلم عند نزوله لا أشك ولا أسأل بل اشهد انه الحق وعن ابن
عباس لا والله ما شك طرفة عين ولا سأل أحدا منهم وقيل ان نافية أي فما كنت في شك يعني لا نأمرك بالسؤال لانك شاك ولكن لتزداد يقينا
وقيل الخطاب لكل سامع يتأتى منه الشك ومن المسؤل عنه قال المحققون هم مؤمنو أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وعبد الله بن صوريا
وتميم الداري وكعب الاحبار لانهم هم الذين يوثق بخبرهم ومنهم من قال الكل سواء لانهم اذا بلغوا حد التواتر ثم قرؤا آية من التوراة والانجيل

اليك وتنزيله الذي ينزله عليك فاعمل به واصبر على ما أصابك في الله من مشركي قومك من الاذى والمكاره وعلى ما نالك منهم حتى يقضي الله فيهم وفيك أمره بفعل فاصل وهو خير الحاكمين يقول وهو خير القاضين واعدل الفاصلين فحكم جل ثناؤه بينه وبينهم يوم بدر وقتلهم بالسيف وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم فيمن بقي منهم أن يسلك بهم سبيل من أهلك منهم أو يتوبوا وينيبوا الى طاعته كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وما أنت عليهم بوكيل واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين قال هذا منسوخ حتى يحكم الله حكم الله بجهادهم وامره بالغلظة عليهم والله الموفق للصواب والحمد لله وحده والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

(تفسير السورة التي يذكر فيها هود صلى الله عليه وسلم)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

القول في تأويل قوله تعالى (الر كتاب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير) قال أبو جعفر قد ذكرنا اختلاف أهل التأويل في تأويل قوله الر والصواب من القول في ذلك عندنا بشواهده بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وقوله كتاب أحكمت آياته يعني هذا الكتاب الذي أنزله الله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وهو القرآن ورفع قوله كتاب بنية هذا كتاب فاما على قول من زعم ان قوله الر مراد به سائر حروف المعجم التي نزل بها القرآن وجعلت هذه الحروف دلالة على جميعها وان معنى الكلام هذه الحروف كتاب احكمت آياته فان الكتاب على قوله ينبغي ان يكون مرفوعا بقوله الر وأما قوله احكمت آياته ثم فصلت فان أهل التأويل اختلفوا في تأويله فقال بعضهم تأويله احكمت آياته بالامر والنهي ثم فصلت بالثواب والعقاب ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرني أبو محمد الثقفي عن الحسن في قوله كتاب احكمت آياته ثم فصلت قال احكمت بالامر والنهي وفصلت بالثواب والعقاب حدثنا ابن حميد قال ثنا عبد الكريم بن محمد الجرجاني عن أبي بكر الهذلي عن الحسن الر كتاب احكمت آياته قال احكمت في الامر والنهي وفصلت بالوعيد حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير عن ابن عيينة عن رجل عن الحسن الر كتاب احكمت آياته قال بالامر والنهي ثم فصلت قال بالثواب والعقاب وروي عن الحسن قول خلاف هذا وذلك ما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن أبي بكر عن الحسن قال وحدثنا عباد بن العوام عن رجل عن الحسن قال أحكمت بالثواب والعقاب ثم فصلت بالامر والنهي وقال آخرون معنى ذلك أحكمت آياته من الباطل ثم فصلت فبين منها الحلال والحرام ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير أحكمها الله من الباطل ثم فصلها بعلمه فبين حلاله وحرامه وطاعته ومعصيته حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال

ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة أحكمت آياته ثم فصلت قال أحكمها الله من الباطل ثم فصلها بينها * وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال معناه أحكم الله آياته من الدخل والخلل والباطل ثم فصلها بالامر والنهي وذلك ان احكام الشيء اصلاحه واتقانه واحكام آيات القرآن احكامها من خلل يكون فيها أو باطل يقدر ذو زيغ أن يطعن فيها من قبله وأما تفصيل آياته فانه تمييز بعضها من بعض بالبيان عما فيها من حلال وحرام وأمر ونهي وكان بعض المفسرين يفسر قوله فصلت بمعنى فسرت وذلك نحو الذي قلنا فيه من القول ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى قال ثنا ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله ثم فصلت قال فسرت حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فصلت قال فسرت قال ثنا محمد ابن بكر عن ابن جريج قال بلغني عن مجاهد ثم فصلت قال فسرت حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله وقال قتادة معناها بينت وقد ذكرنا الرواية بذلك قبل وهو شبيه المعنى بقول مجاهد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وأما قوله من لدن حكيم خبير فان معناه حكيم بتدبير الاشياء وتقديرها خبير بما تؤول اليه عواقبها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة في قوله من لدن حكيم خبير يقول من عند حكيم خبير ۞ القول في تأويل قوله تعالى (الا تعبدوا الا الله انني لكم منه نذير وبشير) يقول تعالى ذكره ثم فصلت بأن لا تعبدوا الا الله وحده لا شريك له وتخلعوا الآلهة والانداد ثم قال تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد انني لكم من عند الله نذير ينذركم عقابه على معاصيه وعبادة الاصنام وبشير يبشركم بالجزيل من الثواب على طاعته واخلاص العبادة والالوهة له ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا حسنا الى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله وان تولوا فاني أخاف عليكم عذاب يوم كبير) يقول تعالى ذكره ثم فصلت آياته بان لا تعبدوا الا الله وبان استغفروا ربكم ويعني بقوله وان استغفروا ربكم وان اعملوا أيها الناس من الاعمال ما يرضي ربكم عنكم فيستر عليكم عظيم ذنوبكم التي ركبتموها بعبادتكم الاوثان والاصنام وشرككم الآلهة والانداد في عبادته وقوله ثم توبوا اليه يقول ثم ارجعوا الى ربكم باخلاص العبادة له دون ما سواه من سائر ما تعبدون من دونه بعد خلعكم الانداد وبراءتكم من عبادتها ولذلك قيل وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه ولم يقل وتوبوا اليه لان التوبة معناها الرجوع الى العمل بطاعة الله والاستغفار استغفار من الشرك الذي كانوا عليه مقيمين والعمل لله لا يكون عملا له الا بعد ترك الشرك به فاما الشرك فان عمله لا يكون الا للشيطان فلذلك أمرهم تعالى ذكره بالتوبة اليه بعد الاستغفار من الشرك لان أهل الشرك كانوا يرون انهم يطيعون الله بكثير من أفعالهم وهم على شركهم مقيمون وقوله يمتعكم متاعا حسنا الى أجل مسمى يقول تعالى ذكره للمشركين الذين خاطبهم بهذه الآيات

استغفروا

الدلائل والظاهر ان المقصود من السؤال معرفة حقيقة القرآن وصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لقوله مما أنزلنا اليك وقيل السؤال راجع الى قوله فيما اختلفوا حتى جاءهم العلم ثم انه سبحانه لما بين الطريق المزيل للشك شهد بحقيقته فقال لقد جاءك الحق من ربك ثم ان فرق المكلفين بعد المصدقين اما متوقفون في صدقه واما مكذبون فنهى الفريقين مخاطبا في الظاهر لنبيه قائلا فلا تكونن من الممترين ولا تكونن الآية والمراد فاثبت ودم على ما أنت عليه من (١١٦) انتفاء المرية وانتفاء التكذيب وفيه من التهييج والبعث على اليقين والتصديق بما فيه ثم لما زجر كل فريق عما زجر بين ان له عبادا قضى عليهم بالشقاء وعبادا ختم لهم بالحسنى فلا يتغيرون عن حالهم البتة اما الاولون فاشار اليهم بقوله ان الذين حقت الآية وقد مر مثله في هذه السورة وقالت المعتزلة ان عدم ايمان هذا الفريق الى حين وقوع البأس وسواهم على الكفر مكتوب عند الله وثبت عليهم قوله في الازل بما يجري عليهم لكنها كتابة معلوم لا كتابة مقدر ومراد وقالت الاشاعرة كلمته حكمه وارادته وخلقه فيهم الكفر وقدم امثال هذه الابحاث مرارا كثيرة وأما الآخرون فذلك قوله فلولا كانت أي فهلا حصلت قرية واحدة آمنت تابت عن الكفر وأخلصت الايمان قبل معاينة العذاب فنفعها ايمانها لوقوعه في وقت الاختيار والتكليف دون أوان اليأس والاضطرار الا قوم يونس هو استثناء منقطع أي ولكن قوم يونس لان أول الكلام جرى على القرية وان كان المراد أهلها وقيل ان لولا في هذا المقام بمعنى النفي كأنه قيل ما آمنت قرية من القرى الهالكة الا قوم يونس روي ان يونس صلى الله عليه وسلم بعث الى نينوى من أرض الموصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا كما سيجيء في سورة الانبياء فلما فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح وعجوا أربعين ليلة وقيل قال لهم يونس ان أجلكم أربعون ليلة فقالوا ان رأينا أسباب الهلاك آمنا بك فلما مضت خمس وثلاثون أغامت السماء غيما اسود هائلا يدخن دخانا شديدا ثم يهبط حتى تغشى مدينتهم وتسود سطوحهم فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين النساء والصبيان وبين الدواب وأولادها فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات والعجيج وأظهروا الايمان والتوبة وتضرعوا الى ربهم فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة وعن ابن مسعود بلغ من توبتهم ان ترادوا المظالم حتى ان الرجل منهم

استغفروا ربكم ثم توبوا اليه فانكم اذا فعلتم ذلك بسط عليكم من الدنيا ورزقكم من زينتها وأنسأ لكم في آجالكم الى الوقت الذي قضى فيه عليكم الموت وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يمتعكم متاعا حسنا الى أجل مسمى فأنتم في ذلك المتاع فخذوا بطاعة الله ومعرفة حقه فان الله منعم يحب الشاكرين وأهل الشكر في مزيد من الله وذلك قضاؤه الذي قضى وقوله الى أجل مسمى يعني الموت حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد الى أجل مسمى قال الموت حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الى أجل مسمى وهو الموت حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة الى أجل مسمى قال الموت وأما قوله ويؤت كل ذي فضل فضله فانه يعني يثيب كل من تفضل بفضل ماله أو قوته أو معروفه على غيره محتسبا بذلك مريدا به وجه الله أجزل ثوابه وفضله في الآخرة كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ويؤت كل ذي فضل فضله قال ما احتسب به من ماله أو عمل بيده أو رجله أو كلمه أو ما تطوع به من أمره كله حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال وحدثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بنحوه الا انه قال أو عمل بيديه أو رجليه وكلامه وما تطول به من أمره كله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه الا انه قال وما نطق به من أمره كله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ويؤت كل ذي فضل فضله أي في الآخرة وقد روي عن ابن مسعود انه كان يقول في تأويل ذلك ما حدثت به عن المسيب بن شريك عن أبي بكر عن سعيد بن جبير عن ابن مسعود في قوله ويؤت كل ذي فضل فضله قال من عمل سيئة كتبت عليه سيئة ومن عمل حسنة كتبت له عشر حسنات فان عوقب بالسيئة التي كان عملها في الدنيا بقيت له عشر حسنات وان لم يعاقب بها أخذ من الحسنات العشر واحدة وبقيت له تسع حسنات ثم يقول هلك من غلب آحاده أعشاره وقوله وان تولوا فاني أخاف عليكم عذاب يوم كبير يقول تعالى ذكره وان أعرضوا عما دعوتهم اليه من اخلاص العبادة لله وترك عبادة الآلهة وامتنعوا من الاستغفار لله والتوبة اليه فادبروا مولين عن ذلك فاني أيها القوم أخاف عليكم عذاب يوم كبير شأنه عظيم هوله وذلك يوم تجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون وقال جل ثناؤه وان تولوا فاني أخاف عليكم عذاب يوم كبير ولكنه مما قد تقدمه قول والعرب اذا قدمت قبل الكلام قولا خاطبت ثم عادت الى الخبر عن الغائب ثم رجعت بعد الى الخطاب وقد بينا ذلك في غير موضع بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع ۞ القول في تأويل قوله تعالى (الى الله مرجعكم وهو على كل شئ قدير) يقول تعالى ذكره الى الله أيها القوم مآبكم ومصيركم فاحذروا عقابه ان توليتم عما أدعوكم اليه من التوبة اليه من عبادتكم الآلهة والاصنام فانه مخلدكم نار جهنم ان هلكتم على شرككم قبل التوبة اليه وهو على كل شئ قدير يقول وهو على احيائكم بعد مماتكم

حين لا حي ويا حي يحيي الموتى ويا حي لا اله الا انت فقالوها فكشف عنهم ومتعوا بالايمان والاعمال الصالحة وبالخيرات الدنيوية الى حين انقضاء آجالهم وعن الفضيل بن عياض قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وانت أعظم منها وأجل افعل بنا ما أنت أهله ولا تفعل بنا ما نحن أهله ثم بين ان الايمان وضده كلاهما بمشيئة الله وتقديره فقال ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا قالت الاشاعرة هذه القضية تفيد الشمول والاحاطة لكنه ما حصل ايمان أهل الارض بالكلية فدل هذا على انه تعالى ما أراد ايمان الكل وأول المعتزلة المشيئة بمشيئة الالجاء والقسر وأجيب بان الكلام في الايمان الذي كان يطلبه النبي منهم وهو الايمان المنوط به التكليف لا الايمان القسري الذي لا ينتفع به المكلف فلو حمل الايمان المذكور في الآية وكذا المشيئة على ايمان الالجاء ومشيئة القسر لم ينتظم الكلام ثم ذكر ان القدرة القاهرة والمشيئة النافذة ليست الا للحق سبحانه وتعالى فقال أفانت تكره فاولى الاسم حرف الاستفهام للاعلام بان الاكراه ممكن مقدور عليه وانما الكلام في المكره من هو وما هو الا الله الواحد وحده فحمل المعتزلة هذا الاكراه على الالجاء ومعناه ان يفعل في قلوبهم ما يضطرون عنده الى الايمان وحمل الاشاعرة الاكراه على خلق الايمان ومعناه انه قادر على خلق الايمان والكفر فيهم لا انت بدليل قوله وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله ويجعل الرجس أي الكفر والفسق على الذين لا يعقلون وفسر المعتزلة الاذن بمنح الالطاف والرجس بالخذلان لان الرجس هو العذاب والخذلان سببه وخصصوا النفس بالنفس المعلوم ايمانها والذين لا يعقلون يعني المصرين على الكفر واستدل الاشاعرة بقوله وما كان لنفس على انه لا حكم للاشياء قبل ورود الشرع لان الاذن عبارة عن الاطلاق في الفعل ورفع الحجر واذا كان أصل الشرع وهو الايمان باذن الله فما ترتب عليه أولى اجابت المعتزلة بان المراد بالاذن التوفيق والتسهيل والالطاف ولما بين ان الايمان لا يحصل الا بمشيئة الله تعالى أمر بالنظر والاستدلال بالدلائل السماوية والارضية حتى لا يتوهم ان الحق هو الجبر المحض فقال قل انظروا ماذا في السموات والارض أي شئ فيهما من الآيات والعبر ثم ذكر ان التفكر والتدبر في هذه الدلائل لا ينفع في حق من حكم الله عليه في الازل بالشقاوة وما تغني يحتمل ان تكون ما نافية أي لا تفيد هذه الآيات والنذر وهي جمع نذير صفة أو مصدر في حق المحكوم عليهم بعدم الايمان وان تكون

وعقابكم على اشراككم به الاوثان وغير ذلك مما أرادبكم وبغيركم قادر ۞ القول في تأويل قوله تعالى (ألا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه الاحين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون انه عليم بذات الصدور) اختلفت القراء في قراءة قوله ألا انهم يثنون صدورهم فقرأته عامة قراء الامصار ألا انهم يثنون صدورهم على تقدير يفعلون من ثنيت والصدور منصوبة واختلف قارئو ذلك كذلك في تأويله فقال بعضهم ذلك كان من فعل بعض المنافقين كان اذا مر برسول الله صلى الله عليه وسلم غطى وجهه وثنى ظهره ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا ابن أبي عدي عن شعبة عن حصين عن عبيد الله بن شداد في قوله ألا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه الا حين يستغشون ثيابهم قال كان أحدهم اذا مر برسول الله صلى الله عليه وسلم قال بثوبه على وجهه وثنى ظهره حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن عبد الله بن شداد بن الهاد قوله ألا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه قال من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان المنافقون اذا مروا به ثنى أحدهم صدره ويطأطئ رأسه فقال الله ألا انهم يثنون صدورهم الآية حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال ثنا هشيم عن حصين قال سمعت عبد الله بن شداد يقول في قوله يثنون صدورهم قال كان أحدهم اذا مر بالنبي صلى الله عليه وسلم ثنى صدره وتغشى بثوبه كي لا يراه النبي صلى الله عليه وسلم وقال آخرون بل كانوا يفعلون ذلك جهلا منهم بالله وظنا ان الله يخفى عليه ما تضمر صدورهم اذا فعلوا ذلك ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد يثنون صدورهم قال شكا وامتراء في الحق ليستخفوا من الله ان استطاعوا حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد يثنون صدورهم شكا وامتراء في الحق ليستخفوا من الله ان استطاعوا حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد يثنون صدورهم شكا وامتراء في الحق ليستخفوا منه قال من الله ان استطاعوا حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد يثنون صدورهم قال قال تضيق شكا حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله يثنون صدورهم قال تضيق شكا وامتراء في الحق قال ليستخفوا منه قال من الله ان استطاعوا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه حدثنا محمد بن بشار قال ثنا هوذة قال ثنا عوف عن الحسن في قوله الا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم قال من جهالتهم به قال الله ألا حين يستغشون ثيابهم في ظلمة الليل في أجواف بيوتهم يعلم تلك الساعة ما يسرون وما يعلنون انه عليم بذات الصدور حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن منصور عن أبي رزين ألا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه الا حين يستغشون ثيابهم قال كان أحدهم يحني ظهره ويستغشي بثوبه وقال آخرون انما

سمعها منه بعد سماعهم ... ثم قال فهل ينتظرون والمراد أن الانبياء المتقدمين كانوا يتوعدون كفار زمانهم بأيام مشتملة على أنواع العذاب أو بوقائع الله فيهم وهم يكذبونهم ويسخرون منهم وكذلك كان يفعل الكفار المعاصرون للرسول صلى الله عليه وسلم فقال سبحانه قل فانتظروا وفيه تهديد ووعيد بأنه سينزل بهؤلاء مثل ما أنزل بأولئك من الاهلاك بعد انجاء الرسول واتباعه كما حكى تلك الاحوال الماضية بقوله ثم ننجي رسلنا الآية قالت المعتزلة حقا علينا المراد به الوجوب والاستحقاق اذ لا يحسن تعذيب الرسول والمؤمنين وقالت الاشاعرة انه حق بحسب الوعد والحكم فان العبد لا يستحق على خالقه شيأ ثم أمر رسوله باظهار التباين الصريح بين طريقته وطريقة المشركين فقال قل يا أيها الناس والمعنى يا أهل مكة ان كنتم لا تعرفون ديني فاعلموا اني مبرأ عن أديانكم الباطلة ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم وتخصيص هذا الوصف لانه يدل على الخلق أولا وعلى الاعادة ثانيا كما مر مرارا أو لان الموت أشد الاحوال مهابة في القلوب فكان أقوى في الزجر والردع أو لانه قد تقدم ذكر الاهلاك والوقائع النازلة بالامم الخالية فكأنه قال اعبد الله الذي وعدني باهلاككم وانجائي وفي الآية اشارة الى انه لن يوافقهم في دينهم كي لا يشكوا في أمره ويقطعوا اطماعهم عنه ولما ذكر انه لا يعبد الا الله بين انه مأمور بالايمان والمعرفة فقال وأمرت أن أكون أي بأن أكون من المؤمنين ثم عطف عليه قوله وأن أقم وجهك ولا تدع نظرا الى المعنى كأنه قيل له كن مؤمنا ثم أقم ولا تدع أو المراد وأمرت بكذا وأوحي الي ان أقم قال في الكشاف قد سوغ سيبويه ان توصل أن بالامر والنهي وشبه ذلك بقولهم أنت الذي تفعل على الخطاب لان الغرض وصلها بما يكون معه في معنى المصدر والامر والنهي دالان على المصدر دلالة غيرهما من الافعال ومعنى أقم وجهك استقم اليه ولا تلتفت يمينا وشمالا او حنيفا حال من الدين او من الوجه قال المحققون الوجه ههنا وجه العقل والمراد توجه بالكلية الى طلب الدين كمن يريد أن ينظر الى شيء نظرا تاما فانه يقيم وجهه في مقابلته بلا يصرفه عنه ثم أكد الامر بالنهي عن مقصده فقال ولا تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت أي فان دعوت من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك وكنى عنه بالفعل للاختصار واذن جزاء الشرط وجواب لسؤال مقدر كأن سائلا سأل عن تبعة عبادة الاوثان وجعل من الظالمين لان اضافة التصرف بالاستقلال الى ما سواه من الكل وضع الشيء في غير موضعه ثم صرح بانه مبدأ الكائنات ومنتهى الحاجات لا غير [illegible]

كانوا

كانوا يفعلون ذلك لئلا يسمعوا كلام الله تعالى ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ألا انهم يثنون صدورهم الآية قال كانوا يستغشون ثيابهم يعلم مايسرون وما يعلنون وذلك أخفى مايكون ابن آدم اذا حنى صدره واستغشى بثوبه وأضمر همه فى نفسه فان الله لايخفى ذلك عليه حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة يستغشون ثيابهم قال أخفى مايكون الانسان اذا أسر فى نفسه شيأ وتغطى بثوبه فذلك أخفى مايكون والله يطلع على مافى نفوسهم والله يعلم مايسرون وما يعلنون وقال آخرون انما هذا اخبار من الله نبيه صلى الله عليه وسلم عن المنافقين الذين كانوا يضمرون له العداوة والبغضاء ويبدون له المحبة والمودة انهم معه وعلى دينه يقول جل ثناؤه ألا انهم يطوون صدورهم على الكفر ليستخفوا من الله ثم أخبر جل ثناؤه أنه لايخفى عليه سرائرهم وعلانيتهم وقال آخرون كانوا يفعلون ذلك اذا ناجى بعضهم بعضا ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ألا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه قال هذا حين يناجى بعضهم بعضا وقرأ الا حين يستغشون ثيابهم الآية وروى عن ابن عباس انه كان يقرأ ذلك الا انهم يثنونى صدورهم على مثال تحلولى الثمرة تفعوعل حدثنا ٧ قال ثنا أبو اسامة عن ابن جريج عن ابن أبى مليكة قال سمعت ابن عباس يقرأ الا انهم يثنونى صدورهم قال كانوا لا يأتون النساء ولا الغائط الا وقد تغشوا بثيابهم كراهة ان يفضوا بفروجهم الى السماء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال سمعت محمد بن عباد بن جعفر يقول سمعت ابن عباس يقرؤها الا انهم يثنونى صدورهم قال سألته عنها فقال كان ناس يستحيون ان يتخلوا فيفضوا الى السماء وان يصيبوا فيفضوا الى السماء وروى عن ابن عباس فى تأويل ذلك قول آخر وهو ما حدثنا به محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد ابن ثور عن معمر قال أخبرت عن عكرمة أن ابن عباس قرأ الا انهم يثنونى صدورهم وقال ابن عباس يثنونى صدورهم الشك فى الله وعمل السيئات يستغشون ثيابهم يستكبر أو يستكن من الله والله يراه يعلم مايسرون وما يعلنون حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرناه معمر عن رجل عن عكرمة عن ابن عباس انه قرأ ألا انهم يثنونى صدورهم قال عكرمة يثنونى صدورهم قال الشك فى الله وعمل السيئات فيستغشى ثيابه ويستكن من الله والله يراه ويعلم مايسرون وما يعلنون ❊والصواب من القراءة فى ذلك عندنا ما عليه قراء الامصار وهو الا انهم يثنون صدورهم على مثال يفعلون والصدور نصب بمعنى يحنون صدورهم ويكنونها كما حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله يثنون صدورهم يقول يكنون حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ألا انهم يثنون صدورهم يقول يكنون مافى قلوبهم الا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما عملوا بالليل

٧ بياض بجميع نسخ الاصل

عسى الله تفسير مثلها فى أول سورة الانعام قال الواحدى وان يردك بخير من القلب وأصله وان يردبك الخير ولكنه لما تعلق كل واحد منهما بالآخر جاز كل واحد منهما وأقول فى تخصيص الارادة بجانب الخير والمس بجانب الشر دليل على ان الخير يصدر عنه سبحانه بالذات والشر بالعرض ثم ختم السورة بما يستدل به على قضائه وقدره فى الهداية والضلال فقال يا أيها الناس الآية وفسرها الاشاعرة بان من حكم له فى الازل بالاهتداء فسيقع له ذلك وان حكم له بالضلال فكذلك ولا حيلة فى دفعه كما مر فى سورة الانعام قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه الآية وقالت المعتزلة المراد انه بين الشريعة وأزاح العلة وقطع المعذرة فمن اختار الهدى فما نفع باختياره الا نفسه ومن آثر الضلال فلا يعود وباله الا على نفسه يروى عن ابن عباس ان الآية منسوخة بآية القتال ولا يخفى ضعفه ثم أمر باتباع الوحى والتنزيل فان وصل اليه بسبب الاتباع مكروه فليصبر فيه الى ان يحكم الله وهو خير الحاكمين ولبعضهم فى الصبر شعر

سأصبر حتى يعجز الصبر عن صبرى
وأصبر حتى يحكم الله فى أمرى
سأصبر حتى يعلم الصبر أننى
صبرت على شئ أمر من الصبر

❊التأويل ولقد بوأنا بنى اسرائيل يعنى متولدات الروح العلوى من القلب والسر دون النفس لانها من البنات لا من البنين مبوأ صدق منزلا عليا فى العالم النورانى ورزقناهم من الطيبات من الفيض الربانى الفائض على الروح لان الروح مستو على عرش القلب وكل ما فاض من صفة الروحانية على الروح يفيض الروح على القلب والسر فما اختلف القلب والسر حتى جاءهم دعوة النبى فمن قبلها صار مقبولا ومن ردها كان مردودا وبوجه آخر مبوأ صدق بين الاصبعين من أصابع الرحمن فما اختلفوا حتى أدركهم علم الله الازلى بالسعادة والشقاء فان كنت فى شك خلق الانسان ضعيفا فاذا انفتح عليه أبواب الكرامات وهبت رياح السعادات فربما ظن انه مما يخادع به الاطفال فلا يدرى هل هو من كرامة الاجتباء أو من وخامة الابتلاء فكان النبى صلى الله عليه وسلم من خصوصيته انما أنا بشر مثلكم يرتع فى هذه الرياض وباختصاص يوحى الى يسقى بكاسات المناولات من تلك الحياض فشك عند سكر دائم من شهود التلوين أو من كشوف التمكين فادركته العناية الازلية فأكرم بخطاب لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن بل كان هذا النهى نهى التكوين فما كان ممتريا ولهذا قال والله لا أشك ولا أسأل الامثل أيام الذين خلوا من انه كل ميسر لما خلق له قل فانتظروا ظهور ماقدر ولكم ولكن أعبد الله الذى يتوفاكم بالفناء عن النفس وصفاتها حنيفا طاهرا عن لوث الالتفات الى ما سواه وأقم الصلاة ظم فى الفنار

والنهار حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول حدثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله الا انهم يثنون صدورهم يقول يثنوني صدورهم وهذا التأويل الذى تأوله الضحاك على مذهب قراءة ابن عباس الآن الذى حدثنا هكذا ذكر القراءة في الرواية فاذا كانت القراءة التى ذكرنا أولى القراءتين في ذلك بالصواب لاجماع الحجة من القراء عليها فأولى التأويلات بتأويل ذلك تأويل من قال انهم كانوا يفعلون ذلك جهلا منهم بالله انه يخفى عليه ما تضمره نفوسهم أو تناجوه بينهم وانما قلنا ذلك أولى التأويلات بالآية لان قوله ليستخفوا منه بمعنى ليستخفوا من الله وان الهاء في قوله منه عائدة على اسم الله ولم يجر لمحمد ذكر قبل فيجعل من ذكره صلى الله عليه وسلم وهى في سياق الخبر عن الله فاذا كان ذلك كذلك كانت بان تكون من ذكر الله أولى واذا صح ان ذلك كذلك كان معلوما انهم لم يحدثوا أنفسهم انهم يستخفون من الله الا بجهلهم به فاخبرهم جل ثناؤه انه لا يخفى عليه سر أمورهم وعلانيتها على أى حال كانوا تغشوا بالثياب أو ظهروا بالبراز فقال ألا حين يستغشون ثيابهم يعنى يتغشون ثيابهم يتغطونها ويلبسون يقال منه استغشى ثوبه وتغشاه قال الله واستغشوا ثيابهم وقالت الخنساء

ارعى النجوم وما كلفت رعيتها * وتارة أتغشى فضل اطمارى

يعلم ما يسرون يقول جل ثناؤه يعلم ما يسر هؤلاء الجهلة بربهم الظانون ان الله يخفى عليه ما أضمرته صدورهم اذا حنوها على ما فيها وثنوها وما تناجوه بينهم فاخفوه وما يعلنون سواء عنده سرائر عباده وعلانيتهم انه عليم بذات الصدور يقول تعالى ذكره ان الله ذو علم بكل ما أخفته صدور خلقه من ايمان وكفر وحق وباطل وخير وشر وما تستجنه مما لم يجنه بعد كما حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس ألا حين يستغشون ثيابهم يقول يغطون رؤسهم قال أبو جعفر فاحذروا ان يطلع عليكم ربكم وأنتم مضمرون في صدوركم الشك في شئ من توحيده أو أمره أو نهيه أو فيما ألزمكم الايمان به والتصديق فتهلكوا باعتقادكم ذلك

(تم الجزء الحادى عشر للامام ابن جرير الطبرى ويليه الجزء الثانى عشر أوله ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وما من دابة في الارض)

(سورة هود مكية غير آية قوله وأقم الصلاة طرفى النهار وحروفها ٧٦٠٥ وكلماتها ١٧١٥ وآياتها ١٢٣)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ألا تعبدوا الا الله اننى لكم منه نذير وبشير وأن استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا حسنا الى أجل مسمى ويؤت كل ذى فضل فضله وان تولوا فانى أخاف عليكم عذاب يوم كبير الى الله مرجعكم وهو على كل شئ قدير ألا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون انه عليم بذات الصدور